الوعي الإسلامي

العدد ٢١٧ • محرم ١٤٠٣هـ • اكتوبر/نوفمبر ١٩٨٢م

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه

رواه البخاري

هديتك مع العدد : مجلة براعم الايمان



الوعي الاسلامي

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة التاسعة عشرة

العدد ٢١٧ ● محرم ١٤٠٣ هـ ● اكتوبر/نوفمبر ١٩٨٢م

هـدفهـا

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسة

تصدرها

وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم ٤٢٨٩٣٤ _ ٤٤٩٠٥١

التوزيع والاشتراكات

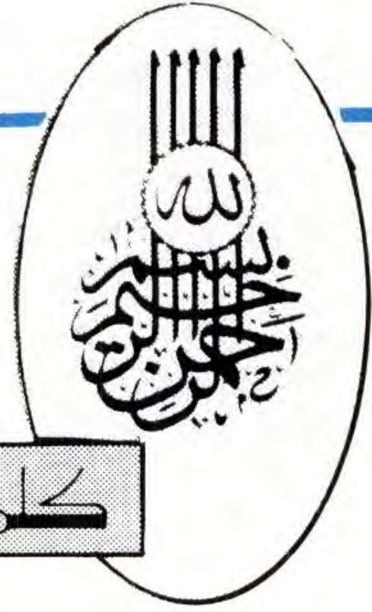
الشركة العربية للتوزيع (ش.م.ل)
ص. ب « ٤٢٢٨ » بيروت . لبنان
تلكس ARABCO 23032 LE

● الثمن ●

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم

ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي



كلمة الوعي

الوقتُ هوَ الحياة

في مستهل شهر المحرم ينتهي عام بكل ما سجل فيه من اعمال واحداث ، ويشرق عام جديد ابيض الصفحات ، ليدون فيها ما يحدث لحظة بلحظة ، وساعة بساعة ، ويوما بيوم ، وشهرا بشهر .

والمؤمن الذي ينظر في امر مسلمي هذا العصر يأسى ويحزن لما هم فيه من ضياع وهوان . رغم كثرة عددهم ، فعددهم اكثر من تسعمائة مليون .

ووطنهم الفسيح زاخر بالخيرات . يمدهم بما يقارب نصف ثروة العالم .. والسبب في هذا الضياع والهوان غفلتهم عن هداية الله . ومظاهر تلك الغفلة كثيرة ، وأهمها اضاعة الوقت في غير ما يفيد ، وعدم تقدير قيمته في الحياة .. والحكمة العربية قديما تقول : « الوقت من ذهب إن لم تحرص عليه ذهب ».

وهذا صحيح في نظر من يقيسون الوجود بالقيم المادية .. أما الاسلام فالوقت فيه هو « الحياة ». لان مقاييس الوجود في الاسلام ابعد من القيم المادية .

بل هي مقاييس سامية . ترفع النفس الى قوة روحية عالية . وتسمو بالبدن الى قوة جسمانية فائقة .. وحياة الانسان في هذا الوجود هي الوقت الذي يمضي بين الميلاد والوفاة . وقد يذهب الذهب وينفد ، ولكنا نستطيع

الحصول عليه بعد نفاده . ونستطيع ان يكون معنا أضعاف ما فقدناه منه .

ولكن الوقت الذاهب ، والزمن الفائت لا نستطيع له اعادة ولا ردا ، فالوقت اذن اغلى من الذهب ، واغلى من كل جوهر وعرض . والنجاح في هذه الحياة لا يتوقف على الخطة الدقيقة ، والظروف المواتية ، فحسب . وانما يتوقف ـ مع هذا ـ على اللحظة المناسبة ، والتوفيق ان يقع العمل في وقته الملائم . (**والله يقدر الليل والنهار**) .. وليس وقت العمل نهارا دون ليل ، ولا ليلا دون نهار ، فصفات المؤمنين في ليلهم هجوع قليل وذكر كثير . (**كانوا قليلا من الليل ما يهجعون·وبالأسحارهم يستغفرون**) .

وصفاتهم في نهارهم فروسية وعمل . يستيقظون من نومهم مبكرين ، لينالوا بركة البكور التي دعا لهم بها رسولهم ـ صلى الله عليه وسلم ـ في قوله : « اللهم بارك لامتى في بكورها » . وينهضون للاعمال جادين مخلصين . يتقنونها مراقبة لله وحبا لرضاه وامتثالا لقول الرسول الكريم « ان الله يحب احدكم اذا عمل عملا ان يتقنه ».

ان الايقاظ لهداية الله يحرصون على اوقاتهم حتى لا تضيع سدى ، ويوقعون العمل في لحظته المناسبة ، وذلك امارة التوفيق والسداد .. اما اعظم الناس خسارة واخفاقا فهم اولئك الذين يغفلون عن هداية الله ، فلا تلتقط قلوبهم معانيها ، ولا تبصر اعينهم شاهدها . ولا تسمع آذانهم نداءها . هؤلاء لا يعرفون قيمة لاوقاتهم . يخرجون من الدنيا بلا زاد من

التقوى : وهم ـ بهذه الغفلة مستحقون للعذاب . قال تعالى : **(ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها اولئك كالأنعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون)**

لقد كان من دعاء ابي بكر رضي الله عنه : « اللهم لا تدعنا في غمرة ولا تأخذنا على غرة ولا تجعلنا من الغافلين » . وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يدعو بأن يرزقه الله البركة في الاوقات واصلاح الساعات .. ورسول الاسلام ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : « لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيم أفناه وعن شبابه فيم أبلاه » .. ومن اروع الصور التي تبينت فيها قيمة الوقت ما جاء في الاثر عن الحسن البصري : « ما من يوم ينشق فجره الا وينادي يا ابن آدم أنا خلق جديد وعلى عملك شهيد فتزود مني فاني لا اعود الى يوم القيامة ».

.. وان الاوقات تتفاوت في يمنها وبركتها .. فساعة اعظم بركة من ساعة ، ويوم افضل عند الله من يوم . وشهر اكرم من شهر .. وتلك فرصة أتاحها الله للمؤمنين ليطردوا فيها شبح الغفلة ويعودوا الى التذكر واليقظة ، وليغنموا فيها نفحات الفضل حين تهب نسمات القبول ، فان الحسنة

تتضاعف في هذه الاوقات المباركة ، فيرفع الله فيها من درجات عباده الصالحين ، كما يفتح فيها باب المتاب على مصراعيه ليدخل من أراد الله به الخير من التائبين المنيبين .. ولقد جاءت آيات الله وأحاديث رسوله تشير الى

هذه الاوقات . فالله تعالي يقول : (**فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون . وله الحمد في السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون**) . ويقول :(**واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والأصال ولا تكن من الغافلين**) ويقول : (**والفجر . وليال عشر**)

وفي القول المأثور توجيه سديد الى طريق الانتفاع بالوقت :« **ان المؤمن بين مخافتين:بين عاجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه ، وبين آجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه . فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ومن الشبيبة قبل الكبر ومن الحياة قبل الموت** » .

أيها المسلمون . واجبنا تكريما لانفسنا ، واعزازا لديننا . ان نصرف أوقات حياتنا في العمل لدنيانا وآخرتنا . استجابة لامر الله تعالى في قوله : **(وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما احسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين)** . والا نضيعها بالكسل ، او نشغلها بالعبث ، وان نستعين بالله ولا نعجز وان نلبي امر الله تعالى :(**وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون**)

اننا بذلك نقدر الوقت قدره ، ونعرف له قيمته ، ونسير في الطريق الصحيح الذي يحقق لنا العزة ، ويخرجنا من الظلمات الى النور باذن الله وارادته . (**ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم**)

رئيس التحرير

محمد الأباصيري

وجوب تطبيق أحكام الشريعة الاسلامية

للمستشار / علي عبد اللاه طنطاوي

ليس الاسلام مجرد شعائر وعبادات أو أحكام يخير الانسان في الأخذ بها أو تركها وإنما هو دين بعث به النبي صلي الله عليه وسلم ليحكم الناس في سلوكهم ومعاملاتهم في كل زمان ومكان .

وأحكام الاسلام فيها صلاح للناس واصلاح وذلك ثابت في قوله تبارك وتعالى :ـ (**قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم**)المائدة / ١٥ و ١٦

ويقول عز وجل : (**كتاب انزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد**) ابراهيم / ١

ويقول جل وعلا : (**وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا**) الاسراء / ٨٢

والمسلمون مأمورون بتطبيق الشريعة الاسلامية ولا خيار لهم في ذلك فالله عز وجل يقول : (**وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا**) المائدة / ٤٨ ويقول تبارك وتعالى : (**فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا**) النساء / ٥٩

ويقول سبحانه وتعالى : (**وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم وأحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك فان تولوا فأعلم انما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيرا من الناس لفاسقون . أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما**

لقوم يوقنون) المائدة / ٤٩ و ٥٠
وهذه الآيات الكريمة كما هو مبين من نصوصها تحمل تحذيرا للرسول صلى الله عليه وسلم من الحكم بغير كتاب الله واتباع الهوى وان القوانين الأجنبية المستوردة التي تحلل ما حرم الله وتحرم ما أحله ليست إلا صورة من صور الهوى الذي نهى عنه الله وحذر من الوقوع فيه .

ويقول الله عز وجل : (**و إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله**) النساء / ١٠٥ ويقول : (**فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما**) النساء / ٦٥
ولعل في ذكر سبب نزول هذه الآية ما يوضح التزام المسلمين التزاما وجوبيا بأحكام الشريعة الاسلامية اذ قيل في سبب نزولها ان نزاعا نشب بين الزبير وأحد الأنصار على رى أرض فاختصما الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال عليه الصلاة والسلام إسق ثم ارسل الماء الى جارك فقال الأنصاري أن كان ابن عمتك أي حكمت له لأنه ابن عمتك فغضب النبي من هذا القول الذي كان سببا لنزول هذه الآية .

وقيل أنها نزلت بسبب خصومة بين أحد اليهود ومنافق تظاهر بالاسلام فدعاه اليهودي لتحكيم رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفض المنافق ودعا اليهودي لتحكيم كعب بن الاشرف أحد كبار اليهود فرفض اليهودي ثم انطلقا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم لليهودي فأبى المنافق الا الذهاب الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه للقضاء بينهما فما كان من عمر الا انه قتله بعد ان عرف قصته قائلا :(**هكذا أقضى لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله**) وعموما فإن كلا الروايتين يتضمن الالتزام الوجوبي الذي لا خيار فيه بأحكام الشريعة .

وقد وصف الله عز وجل من لم يحكم بكتابه بأنه كافر وظالم وفاسق فيقول جل من قائل : (**ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون**) ويقول : (**ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون**) ويقول : (**ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون**) الايات من سورة المائدة / ٤٤ و ٤٥ و ٤٧

ويروي عن ابن عباس قوله من لم يحكم بما أنزل الله جاحدا به فهو كافر ومن اقر به ولم يحكم به فهو فاسق ظالم .

وخلاصة القول ان لا خيار للمسلم في اختيار التشريعات التي تحكم علاقاته وتنظم معاملاته لأن الاسلام دين ودولة فهو يحكم المسلم في عباداته وفي أسرته وفي مجتمعه ولو قصرناه على أحكام العبادات فإننا نكون قد بعدنا عنه وخالفناه هذا من الناحية الدينية .

أما من ناحية المصلحة فان حاجة المسلمين ماسة وملحة الى تطبيق احكام الشريعة الاسلامية بعد ان كشفت لنا الأيام قصور القوانين الوضعية المستوردة التي زينت

الفواحش للناس ثم أباحتها وأقامت حانات للخمور والفجور ثم حمتها فدمرت الكثير من بيوت المسلمين وقضت على أسرهم وشردت أطفالهم وذهبت بأبدانهم وعقولهم فضلا عن ذهابها بدينهم .

هذه القوانين الوضعية التي اهملت المسائل الاخلاقية ولم تولها أي عناية مادامت في نظرها لا تسبب ضررا مباشرا للافراد او الامن او النظام .

هذه القوانين الوضعية التي أباحت لذئاب الفساد والانحلال اعلاء الصوت والمطالبة بمنع الأذان للصلاة بمكبرات الصوت بحجة عدم تكدير راحة المواطنين سبحان الله انها حرب صريحة على الاسلام على أرضه وفي معقله .. انها محاولة هدم له أليست الصلاة هي الركن الثاني من اركان الاسلام ؟ من أقامها أقام الاسلام ومن تركها فقد هدم الاسلام ألم يقل عز وجل : (**ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين لهم في الدنيا خزى ولهم في الآخرة عذاب عظيم**) البقرة / ١١٤

● هذه القوانين التي أباحت لبعض الملحدين والمحسوبين على الاسلام والمنسوبين اليه ان يشككوا في الدين ويوهنوا العقائد ويعرضوا بالأنبياء والرسل ويهاجموا المبادىء والقيم في محاولة لتخريب العقول النامية والقلوب الناشئة متخفين وراء القصص والاخبار والافكار والآراء .

● هذه القوانين المستوردة التي في ظلها تقام مسابقات الجمال وتقاس فيها السيقان والخصور والارداف وسط حفلات خليعة ماجنة تنافي المروءة والخلق الكريم .

● هذه القوانين الوضعية المستوردة التي كفلت حماية ملاعب السباق وأندية القمار ، فدمرت أسرا كريمة ، وشردت أطفالا في عمر الزهور ، فأصبحت وبالا على المجتمع من جراء انغماس ذويهم في السهر ولعب القمار .

● هذه القوانين الوضعية التي تركت عيون الشباب المتسكعين تمتد مسعورة في الشوارع الى ما لا يحل لها ولا تجد من يقمعها او يزجرها .

● هذه القوانين الوضعية التي تركت ألسنة السفهاء تمتد وتطول ولا تجد من يردعها .

● هذه القوانين الوضعية التي أباحت باسم الحرية الشخصية لاعداء الاسلام ان يبذروا في الكتب والصحف بذور الشك في نفوس الشباب والنيل من عقائده الصحيحة واخلاقه القويمة وغايتهم من ذلك اغراؤه على التمرد على احكام الدين وحثه بل دفعه الى الفسق والعصيان متسترين بما سموه الحرية الشخصية والتحرر العقلي .

● هذه القوانين الوضعية التي مهدت للفاحشة والرذيلة سبل الانتشار وتركت من يدافع عنها دون خجل ولا حياء برغم أننا بلد متفتح ، تقدم لكل زائر الطبق الذي يشتهيه .. واإسلاماه !! أعلى ارض الاسلام وفي

معقله يسمح بهذا ؟

لقد فقدنا الفضيلة والقيم والأخلاق وأصبح الفساد والمجون والانحلال والتخنث مظهرا من مظاهر التقدم في نظرنا ، وبات الكذب والختل والخديعة سياسة ، وأضحى الغش والنفاق والمداهنة كياسة ، وأصبح خلف العهود ونقض الوعود مصلحة ، وصار الناس ينظرون الى السماحة والمحبة والود والتعاون والاخاء على انها زوائل يستخف بالمتصف بها .

هذه هي مفاسد الغرب تنتقل الينا مع قوانينه التي نقلناها عنه فجاءت مخالفة لديننا واخلاقنا وتقاليدنا واصبحنا بفعلها أشباحا اسلامية بعيدين عن الدين .

ان غاية كل قانون هو خدمة الجماعة التي يشرع لها وسد حاجتها وحماية عقيدتها ونظمها الاجتماعية والاقتصادية ، انه يجب ان يمثل دينها وآدابها واخلاق أفرادها وتقاليدهم ومن ثم اختلفت هذه القوانين باختلاف الشعوب والقانون الذي يصلح لدولة لا يصلح لاخرى اذا لم تكن ظروفها مشابهة لها كما حدث في البلاد الاسلامية ولا مخرج من هذا أولا علاج الا بتطبيق شريعة الله التي تقيم العدل وتحمى العقل وتهذب النفس المنحرفة وتكفل المساواة وتقوى دعائم الفضيلة في المجتمع . وقد أنصف يلولا كازيلي المستشار الملكي السابق لوزارة العدل حيث قال : « أنه يجب على مصر ان تستمد قانونها من الشريعة الاسلامية فهي اكثر اتفاقا من غيرها مع روح البلد القانونية »

ويقول العالم النمساوي الكبير ليوبولدفاس ـ وقد أسلم وحسن اسلامه وتسمى باسم محمد علي ـ في كتاب الاسلام على مفترق الطرق ـ لقد تحققت ان ثمة سببا واحدا فقط للانحلال الاجتماعي والثقافي بين المسلمين ذلك السبب يرجع الى الحقيقة الدالة على ان ـ المسلمين اخذوا شيئا فشيئا يتركون اتباع روح التعاليم الاسلامية ، لقد ظل الاسلام بعد ذلك موجودا ولكنه كان جسدا بلا روح ثم ان العنصر الذي خلق قوة العالم الاسلامي من قبل هو المسئول الآن عن ضعف المسلمين فان المجتمع الاسلامي بني منذ أوله على أسس دينية وضعف هذا الاساس قاد بالضرورة الى ضعف البناء الثقافي فيه وربما كان سببا لاضمحلاله بالكلية .

واذا اعتبرنا الامور على ما هي عليه اليوم فان الاسلام يشبه مركبا يغرق وكل يد تستطيع ان تكون عونا فان الحاجة اليها على ظهر المركب نفسه ولا يمكن ان ينقذ هذا المركب من الغرق الا اذا اصغينا الى القرآن وفهمنا قوله : (**لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر**) الاحزاب / ٢١

وفي هذا المعنى أيضا تقول المستشرقة الايطالية الدكتورة لورافيشيا فاغليري الاستاذة بمعهد الدراسات الشرقية بميلانو في بحث لها بعنوان تفسير الاسلام : (انه الكتاب المقدس الذي لم يصبه تحريف ابدا .. ذلك الكتاب الذي لا يبلي بل سيبقى

كما أنزله الله على نبيه البدوي البسيط آخر الانبياء والمرسلين .. انه ذلك النبع النقي الذي سيعود اليه المسلمون فعندما ينهلون مباشرة من هذا الكتاب المقدس لن يفشلوا في العودة الى نشاطهم القديم)

وتقول - ان علينا أن نقدم أعمق اعجابنا الى دين لا يكتفي بنظرية ملائمة لمطامع الطبيعة البشرية وباقامة شريعة تتألف من أسمى القوانين التي يستطيع الانسان الحياة وفقها ولكنه يذهب الى أبعد من ذلك فينادي بفلسفة حياة ، دين يقيم مبادىء الاخلاق الاساسية على أساس نظامي وايجابي .»

حقا وصدقا ما قالته المستشرقة انها احكام الله خالقنا والاعلم بما تكنه خلجات انفسنا وهو الخبير دون سواه بما يصلح لعلاجها : (**هو أعلم بكم إذ انشأكم من الارض و إذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم**) النجم / ٣٣ وسبحانه حين يقول : (**ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير**) الملك / ١٤

انها أحكام الله التي سدنا بها العالم عندما تمسكنا بها وكنا ملء سمع الزمان وبصره فلما ابتعدنا عنها صرنا حيارى لا ندري اين المساق وسط بحر حالك السواد متلاطم الامواج ؟

انها الاحكام المنقذة لنا دون سواها وها هو رسول الله صلى الله عليه وسلم يرشدنا اليها بقوله : « لقد تركتكم على مثل البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدى الا هالك » رواه ابن ماجه

هذا هو توجيه رسول الله صلى الله عليه وسلم والله عز وجل يقول في محكم آياته :(**يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم**) الانفال / ٢٤

واذا كانت حاجة المسلمين ماسة الى تطبيق احكام دينهم فان العالم بأجمعه أشد اليها حاجة وانا لا نلقي هذا القول جزافا او نرسله على عواهنه وانما هي حقائق ساطعة واضحة لا ترقى اليها شبهة ولا تستطيع كراهية كاره ولاعداوة حاقد ان تحجبها ، وقد وجدت صداها في كتابات كبار المستشرقين والمفكرين في العالم اذ يقول المفكر البريطاني الكبير برنارد شو ، اني اعتقد ان رجلا كمحمد لو تسلم زمام الحكم المطلق في العالم بأجمعه اليوم لتم له النجاح في حكمه ولقاد العالم الى الخير وحل مشاكله على وجه يحقق للعالم كله السلام والسعادة المنشودة .

ويقول أيضًا ان اوربا اليوم ابتدأت تحس بحكمة محمد وبدأت تعشق دينه كما انها ستبرىء العقيدة الاسلامية مما اتهمتها به أراجيف رجال أوربا في العصور الوسطى ، وسيكون دين محمد هو النظام الذي تؤسس عليه دعائم السلام والسعادة ويستند على فلسفته في حل المعضلات وفك المشكلات وحل العقد .

ويقول المؤرخ ويلز ان الديانة الحق التي وجدتها تسير مع المدنية أينما سارت هي الديانة الاسلامية واذا طلب مني احد القراء ان احدد له

الاسلام فاني احدده بالعبارة التالية : الاسلام هو المدنية ، ويقول : ان الاسلام ساد لانه كان خير نظام اجتماعي وسياسي استطاعت الايام تقديمه

ويقول المستشرق جيب ما زال الاسلام يحفظ التوازن بين الاتجاهين المتتاليين المتقابلين في دنيا الغرب ، فهو يوائم بين الاشتراكية القومية وبين شيوعية روسيا فلم يهو بالجانب الاقتصادي من الحياة الى ذلك النطاق الضيق الذي أصبح من مميزات أوربا في الوقت الحالي والذي هو من مميزات روسيا أيضا .

ويقول ماسينيون ان لدى الاسلام من الكفاية ما يجعله يتشدد في تحقيق فكرة المساواة ، وذلك بفرض الزكاة التي يدفعها كل فرد لبيت المال ، وهو يناهض الديون الربوية والضرائب غير المباشرة التي تفرض على الحاجات الاولية الضرورية ، ويقف في نفس الوقت الى جانب الملكية الفردية ورأس المال التجاري وبذا يحل الاسلام مرة اخرى مكانا وسطا بين نظريات الرأسمالية والبورجوازية ونظريات البلشفية الشيوعية .. وللاسلام ماض بديع من تفاوت الشعوب وتفاهمها وليس من مجتمع آخر له مثل ما للاسلام من ماض كلل بالنجاح في جمع كلمته مثل هذه الشعوب الكثيرة المتباينة على بساط المساواة في الحقوق والواجبات .

ويقول ليودوروس لقد وجدت في الاسلام حل المشكلتين اللتين تشغلان العالم ، **الأولى** : قول القرآن : (**إنما المؤمنون إخوة**) فهذا اجمل مبادىء الاشتراكية **والثانية** : فرض الزكاة على كل ذى مال .

ويقول الدكتور جرمانوس ان مستقبل العالم وخلاصه من خطر الاصطدام الاجتماعي الذي يهدده لن يكون الا في المزاوجة بين الحضارة الاوربية بدرسها وعلمها وبين الروح السامية التي تنطوي عليها عقائد الدين الاسلامي واني آمل ان يكون الاسلام قادرا مرة اخرى على تحقيق هذه المعجزة في سبيل وحدة الجماعة الانسانية .

هذه آراء بعض المفكرين الاجانب الذين ولدوا في بيئة غير اسلامية وارتبطت مفاهيمهم بغير دين الاسلام رفضوا كراهيته ومن ثم فان اقوالهم هذه لم يجهروا بها الا بعد دراسات طويلة وابحاث عميقة .

واني اضع هذه الاقوال أمام أقزام المسلمين الذين هبطوا بأنفسهم ودينهم الى المستوى الذي حجب عنهم حسناته ، فلجأوا الى مدنية الغرب او مادية الشرق الملحدة وكان جديرا بهم ان يتذكروا قول شاعر الاسلام محمد اقبال رحمه الله « ان المسلم لم يخلق ليندفع مع التيار ويساير الركب البشري حيث سار بل خلق ليوجه العالم والمجتمع والمدنية ، ويفرض على البشرية اتجاهه ويملي عليها ارادته لانه صاحب الرسالة والعلم اليقين » وصدق الله العظيم اذ يقول : (**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله**) آل عمران / ١١٠



وتاريخ

قد تكون الهجرة في الاعتبار الشخصي هي اضطرار انسان ما الى تغيير محل اقامته والانتقال الى موطن اخر بصفة مؤقتة او دائمة تحت ضغط او تأثير ظروف مختلفة اجتماعية او اقتصادية او صحية .. كما ان الهجرة قد تشمل افراد اسرته لذات الظروف او لظروف اخرى كالفرار من ظلم ومحاولة التماس الامن في موطن جديد ، كما ان الهجرة قد تأخذ طابعا اكثر شمولا كأن تهاجر قبيلة او طائفة هجرة جماعية بسبب ظواهر بيئية كتأثير الزلازل او البراكين او غير ذلك . والهجرة المكانية التي ذكرناها قد تشمل ايضا انواعا من الطيور كطائر السمان مثلا الذي يهاجر في مواسم مختلفة من اقصى الشمال الى اماكن يتلمس فيها الدفء ، وتشمل الهجرة ايضا بعض ثعابين البحار حين تهاجر في موسم التزاوج السنوي الى مكان بعيد تقطع في سبيل الوصول اليه آلاف الاميال مسترشدة بغريزة خاصة ... او هجرة بعض الحيوانات كالفيلة مثلا حين تحس اقتراب منيتها فيهاجر الفرد منها الى مكان ما مسترشدا بالغريزة حيث مقبرة الافيال .. وكما ان هذا ما يطلق عليه بالهجرة المكانية فهناك هجرات معنوية

الأمة العربية

للاستاذ
محمد لبيب البوهى

كهجرة الافكار او المخترعات او النظريات .

الهجرة في التاريخ العربي القديم :

عندما نتأمل خريطة العالم نجد ان مايسمى بالمنطقة العربية يشمل البقاع الممتدة من المحيط الاطلسي الى الخليج العربي ، وقد تعاقبت على هذه المنطقة اطوار مختلفة من التاريخ . ولا ريب ان الانتشار العربي في هذه البقاع المترامية لم يكن الا نتيجة لانتقال الاشخاص والافكار طوال اجيال ماضية موغلة في القدم عبر هذه المساحات .

بل ان هذه المنطقة العربية برغم ما تجتازه الان من فترات تأخر او ضعف او مرض فانما ذلك شيء طارىء وعرضى لا بد ان تعقبه صحوة ويقظة لاستئناف المسيرة والنهوض برسالتها في امانة ريادتها للانسانية ، فهذا الضعف الحالي انما هو كسنة الحياة حين يصاب الجسد القوى او بعض اعضائه بمرض عارض ، ما يلبث ان يزول بالعلاج او بالخصائص الذاتية في قوة مقاومة البدن القوى ليمر بطور

نقاهة ثم ينهض قويا منطلقا .

وليس لنا في هذا الصدد الا ان نشير الى ان ما يسمى بالمنطقة العربية لم يكن ذلك الا نتيجة لانتشار الانسان العربي من منطقة اصلية حاملا معه عاداته وتقاليده وافكاره .

دليل من التاريخ :

فالثابت علميا ومن المشاهـدات الواقعية ومما يردده كثير من اعدائنا ان هناك عداوة مستمرة من قديم الزمان تأخذ أساليب وأوضاعاً شتى عسكريا او اقتصاديا او فكريا ، وهي عداوة منشؤها اسباب كثيرة اهمها الخوف من يقظة الانسان العربي يقظة تستمد من خصائصه المركوزة فيها كل مقومات قيادة الحياة اذا اخذ اصحابها بها ، وحرصـوا عليها ، وعملـوا على نمـوهـا متمـاسكـين كالبنيان ، فالعداء موجَّه بالدرجـة الاولى الى تعميق أسبـاب التمـزق لتقطيع عناصر التماسك العربي بين ابناء المنطقة الواحدة ، واقامة الحدود والفواصل للحيلـولة دون امكـانية التماسك والتـواصل .. ممـا يعتبر هجرة معنوية لخصائص الانسـان العربي التي يُخشى يقظتها والتي يبرهن عليها التشابه الكبير منذ القدم في صفات اهل هذه البقاع ، وذلك لانها تستمد هذه الخصائص من جذور ثابتة تنتقل عنـاصرهـا مع الانسان العربي حيثما انتقل وتلازمه ، ولذلك فان المتأمل الحكيم يلحظ ذلك في ان اخلاق العربي في الكويت على سبيل المثال تطابق وتشابه اخلاق وطباع وعادات أخيه في العراق او الشام او مصر او الشمال الافريقي الخ .

منابع الهجرة العربية :

ونحن لا نستطيع الا ان نقف كثيرا عندما نتأمل وضع الانسان بصفة عامة على كوكب الارض ، اذ كانت النشأة الاولى من أب واحد وأم واحدة للانسانية جمعاء ، ثم بث منهما الله سبحانه كل بني الانسان :(**وبث منهما رجالا كثيرا ونساء**) النساء / ١

ففي البدء لم يكن غير آدم وحواء ، وحينما هبطا لم يكن على الارض من البشر سواهما ، ثم منهمـا جاءت الذرية التي اخذت مع توالي الاجيال بأسباب جغرافية ، واقتصادية وتحت تزاحم الخليقة في الحركة والانتقال وراء مصادر اخرى للحياة ، فانفصل بداية الابناء عن الاباء الى المكان الاقرب ثم الى آخر فكانت هجرات بطيئة في اماكن متقاربة ، ثم توالت بعد ذلك ، فالتاريخ البشري كلـه ينحصر في هجرة الذرية . وتطلعاتها الى اماكن جديدة دائما جيلا بعد جيل حتى صاروا شعوبا وقبائل في ارجاء الارض ، يقول سبحانه :

(**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا**) الحجرات / ١٣

والتأمل اليسير يجعلنا نوقن أن

المنطقة العربية كانت اول ينابيع الهجرة كما تؤيد ذلك الادلة الدينية . اذ كان في هذه المنطقة المكان الأول الذي هبط فيهالابوان للاستخلاف في الارض بدليل أن الله سبحانه وضع للناس أول بيت ، وواضح أنه لم يكن هناك من قبل شيء من ذلك : (**إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا**) آل عمران / ٩٦

وهنا قد نجد سؤالا يطرح نفسه . ندرك من جوابه ان الجنس البشري كله من أب واحد . وأم واحدة ، ومعنى ذلك ان الهنود - وسكان الصين - والتبت . والروس والطليان والانجليز والامريكان و.. و.. و.. كلهم اخوة ، جاءوا من نفس الابوين ، ثم كان الانتشار عبر آلاف السنين من التاريخ الى بقاع الأرض .

وهذا يؤيد ان الهجرة هي دائما حركة الحياة وسوف تستمر أسبابها أبد الدهر .. فالاسباني - والطلياني والفرنسي هم اخوة لي ، واذا أسلم واحد منهم وحسن اسلامه صار أكثر قربا الى الله من اي عربي دونه في التقوى . وهنا قد ينشأ سؤال جديد لماذا اذن لا نتشابه - في كثير من التقاليد والافكار والعادات - بيننا وبينهم ؟ والجواب يرجع الى عوامل البيئة والاسباب الاجتماعية والاقتصادية المختلفة على حين وجود مقومات ساعدت الخصائص العربية على التشابه والتماسك .. ومصدر ذلك الحرص على كتاب الله الذي تولى سبحانه حفظه والتمسك بالسنة التي هي الترجمان والتطبيق العملي لآيات الله ، فانه من المشاهد الواقعي ان العربي حتى من كان غافلا أو لاهيا لا تنقطع صلته بصورة ما عن عقيدته .

كيف بدأت الهجرة وكيف كان انتشارها ؟:

يقول الدارسون من أهل العلم أنه في الأزمان الموغلة في القدم كانت الطبيعة تختلف عما هي عليه الآن ، فمن المعروف تاريخيا مثلا أن كثيرا من البراكين والجبال والهضاب كانت قيعانا تغمرها المياه .

وفي تلك الازمان كانت الجزيرةالعربية كما يقرر هؤلاء الدارسون تفيض بالخصوبة ، وتتساقط عليها الأمطار في جميع فصول العام ، وتكتنفها الغابات الكثيرة والأشجار ، وفي ذلك الوقت كانت أوروبا مغطاة بالجليد . ثم جاء العصر الحجري الذي احدث تغييرا جذريا ، فغمر الجفاف المنطقة العربية واخذت القشرة الارضية تتجمد فتحولها الى صحراوات . تبدلت فيها الظروف المناخية ، ومن ذلك الحين بدأت الهجرات بسبب هذه التغييرات على نطاق واسع ..

حديث التاريخ عن بداية الهجرات :

ويحدثنا اهل العلم عن سلسلة من الهجرات من الجزيرة العربية من نحو ثلاثة آلاف وخمسمائة عام قبل

الميلاد ، اي من زهاء خمسة آلاف وخمسمائة من الأعوام . إذ انطلقت قبائل كثيفة تحت ضغط الظروف المناخية كما تقدم الى الشمال الشرقي ، حيث وادي الفرات ومن هذه الهجرات نشأت الموجة الحضارية التي عرفت باسم حضارة بابل وآشور .. وهناك اعتراض لا بد من بيانه عند هذه النقطة ذلك ان العداء التقليدي المغرض والمستمر للاسلام يأخذ مزاعم شتى فمن ذلك ما يزعمه كثير من المستشرقين من ان الحضارة الاسلامية لم تقدم جديدا للانسانية ، وانها اقتصرت على دور الناقل للحضارات القديمة كاليونانية وغيرها دون اضافة جوهرية ولا يقف بعضهم عند هذا الحد بل يحلو له ان يضيف ان الاسلام يعتبر معوقا وعقبة في سبيل الحضارة مرددين الاشارة الى أن عددا كبيرا من البلاد التي تدين بالاسلام في آسيا وأفريقيا وغيرهما غارقة في التخلف والجمود ذلك ان الاسلام في زعمهم يشد اهله الى الوراء ، ويجعلهم يدورون حول أنفسهم وعلى أعينهم غشاوة من الخرافات ـ وليس هنا مجال مناقشة هذا الباطل ، فالواقع يدحض هذه المفتريات فالتعاليم الاسلامية كانت هي الرائدة في جعل التقدم العلمي فريضة على كل مسلم ، واذا كان ذلك في ميدان التقدم الانساني فان الاسلام عمل على تصفية الرق على حين انه ما زال في الاذهان قيام الحضارة الغربية حتى عهد قريب ، تصيد مئات الالوف من زنوج افريقيا ، وتقلهم تحت السياط للبيع عبيدا في امريكا .

هجرة الافكار قبل وبعد هجرة الافراد والجماعات :

وهناك حقيقة لا يصح ان تغيب عنا ، هي ان للافكار هجرات ربما تسبق في كثير من الأحيان هجرة الأفراد والجماعات ، وقد تكون أسرع منها فرب نظريات أو أفكار في كتاب واسع الانتشار يصبح كل ما فيه بمثابة هجرة مفتوحة وغير مقيدة بقيد ما الى كل الأماكن التي يصل اليها وتفيد منه ، وعلى هذا الأساس فالأفكار الاسلامية هاجرت الى أوروبا وغيرها حتى قبل أن يعرف أصحاب هذه الافكار الطريق الى تلك البقاع .. والبلاد الغربية التي هاجرت اليها الأفكار العربية وانتفعت بها ، أصبحت بالقياس الى هذه الأفكار كالابن العاق الذي ينكر ما كان من اعداد أبويه له .. ومع هذا فان الأمر لا يخلو من بعض المنصفين من ذوي المكانة العلمية ، الذين يقرون بهذه الحقيقة أو بجزء منها .. واذا كان الأوروبيون يطلقون على (ارنولد توينبي) لقب أبي التاريخ فلننظر بعض ما يقوله أبو التاريخ توينبي .

مما قرره ابو التاريخ ارنولد توينبي :

انه يقول في كتابه : « الحضارة في

الميزان » « منذ قرون طويلة وأهل الغرب يرون في الاسلام خطرا مخيفا يتهددهم قبل أن يسمع الناس بالشيوعية ، ففي القرن السادس عشر وهو الزمن القريب منا نسبيا كان الاسلام يبعث في قلوب الغرب من التوجس ما تبعثه الشيوعية في القرن العشرين » وهكذا فان رجل التاريخ وهو من اقطاب الرجال الغربيين يقرر أن عداوة الغرب للاسلام تعدل عداوتهم للشيوعية ، ولما كانت الشيوعية هي نظريات تنتقل بالهجرة الفكرية فهكذا يعملون حساب النظريات الاسلامية .. وإن كان الوضع يختلف تماما فالهجرة الفكرية للنظرية الشيوعية ، هي هجرة افكار مخربة مدمرة ومن أجل ذلك يعمل أصحابها على تسربها بأساليب سرية ، والأمر بالنسبة للاسلام هو عكس ذلك تماما .

وعلى حين يقف رجل مثل ارنولد توينبي هذا الموقف باعتراف واضح ، فانه يوجد في الجانب الآخر آراء بالغة الافتراء يرمينا بها آخرون كالمستشرق الأحمق المضلل (جيروثام) حيث يقول إن الاسلام غير قادر على أن يمد بنيه بالابداع ، ورجاله ودعاته سطحيون لا يستطيعون النفاذ الى اعماق الحياة ..

ولنترك هذه الادعاءات ولنعد الى جذور حضارتنا وكيف بزغ نجمها من المنطقة العربية بالهجرة الذاتية والفكرية ، فقد ذكرنا انه منذ قرابة خمسة آلاف وخمسمائة عام مضت تتابعت الهجرات من قلب الجزيرة الى سوريا وسواحل البحر الابيض حيث نشأت الحضارات العمورية .. والكنعانية . والفينيقية .

الهجرة العربية الى شمال افريقيا ومشرقها :

وقد ثبت من المراجع التاريخية والآثار ما يشير الى هجرة القبائل من المنطقة العربية في دفعات متتالية منذ التاريخ المذكور وتمت الهجرات عبر باب المندب والصومال واثيوبيا ومصر . وقد تبين ذلك من أمور كثيرة منها مثلا إطلاق كلمة عرب كإسم شامل على جميع الذين استوطنوا أكثر هذه الجهات ، وذلك على الرغم من التسميات المحلية .. ومن ذلك ما نلحظه من ان المنطقة الممتدة من الخليج حتى المحيط الاطلسي يتكلم اهلها لغة واحدة وقد انشأوا حضارة متشابهة ، ولهم تاريخ واحد ، وانصهرت فيه امجادهم وعلومهم وفنونهم وعاداتهم ـ وقد تكون هناك ظروف عاقت في بعض الاوقات انطلاق نموها ، أو جمدت ذلك الانطلاق ، أو عادت به الى الوراء .

ولكن بالرغم من ذلك فان الأصالة المركوزة في طبيعتهم ، ما تزال تحتوي خصائص مقومات اليقظة المرجوة وتمدهم بالقوى اللازمة لاستئناف المسيرة وتعويض ما فات ، بل والسبق الى المقدمة كخير أمة اخرجت للناس .

منهج الأخوة

جاء في سيرة ابن هشام : قال ابن اسحاق « وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اصحابه من المهاجرين والأنصار ـ فيما بلغنا ونعوذ بالله أن نقول عليه ما لم يقل ـ : تآخوا في الله أخوين ، ثم اخذ بيد علي بن أبي طالب فقال : هذا أخي ـ فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد المرسلين وامام المتقين ورسول رب العالمين الذي ليس له خطير ولا نظير من العباد وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه أخوين ، وكان حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله صلى الله عليه وسلم .. وزيد بن حارثة .. أخوين ، واليه أوصى حمزة يوم أحد حين حضره القتال ، وجعفر بن أبي طالب ذو الجناحين الطيار في الجنة ومعاذ بن جبل أخوين .. وكان أبو بكر وخارجة

في مدرسة الهجرة

للأستاذ / عبد الحفيظ فرغلي علي القرني

بن زيد أخوين ، وكان بلال وأبو رويحة الخثعمي أخوين .. فلما دون عمر بن الخطاب الدواوين بالشام ، وكان بلال قد خرج الى الشام فأقام بها مجاهدا ، فقال عمر لبلال : الى من تجعل ديوانك يا بلال ؟ قال : مع أبي رويحة لا أفارقه أبدا للأخوة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عقد بينه وبيني ، فضم اليه وضم ديوان الحبشة الى خثعم لمكان بلال منهم » .

كانت الأخوة التي عقدها النبي صلى الله عليه وسلم بين اصحابه خطوة موفقة مترتبة على الهجرة ، بل هي ثمرة جنية من ثمارها ، فقد وثقت العلاقة بين المسلمين وربطت بينهم برباط متين من الحب والتضامن ، وزكى القرآن الكريم هذه الرابطة

واثنى عليها بما هو جدير بها لتظل مثلا أعلى ينظم حياة المسلمين في المستقبل ، ويحفزهم الى ما يجب عليهم نحو أنفسهم ودينهم ومجتمعهم من تضامن وتعاون .

ولقد ضرب الأنصار أروع المثل في استقبال اخوانهم المهاجرين ، فآثروهم على أنفسهم وأهليهم ، وبادلوهم الحب والوفاء وساروا معا في اخلاص وثيق العرى ، يشيدون بنيان دولة الاسلام الخالدة تحت لواء رسولهم القائد الأمين صلى الله عليه وسلم . قال تعالى : (**والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون**) الحشر / ٩ .

جاء في مناسبة هذه الآية ما رواه القرطبي في تفسيره قائلا : وكان المهاجرون في دور الأنصار فلما غنم عليه الصلاة والسلام أموال بني النضير دعا الأنصار وشكرهم فيما صدقوا مع المهاجرين في انزالهم اياهم في منازلهم واشراكهم في أموالهم ، ثم قال : ان أحببتم قسمت ما أفاء الله على من بني النضير بينكم وبينهم ، وكان المهاجرون على ما هم عليه من السكنى في مساكنكم وأموالكم ، وان أحببتم أعطيتهم وخرجوا من دوركم . فقال سعد بن عبادة وسعد بن معاذ : بل نقسمه بين المهاجرين ويكونون في دورنا كما كانوا ، ونادت الأنصار : رضينا وسلمنا يا رسول الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار ، وأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرين ولم يعط الأنصار شيئا الا ثلاثة نفر .

وليس ثناء الله على صنيع الأنصار هذا شيئا هينا ، بل هو أمر له خطره ، هو قدوة يقتدي بها ، وقرآن يتلى ويتعبد بتلاوته ، وأثر خالد يذكرهم بالخير الى أن يطوي الله الأرض وما عليها ، وتعليم للمسلمين الى أبد الدهر ، كيف يكونون عند حسن ظن دينهم ، يرفعون من شأنه ، ويجاهدون في سبيله ، ويضحون بالغالي والنفيس من أجل اقامة مثله ؟

من مناهج مدرسة الهجرة :

الهجرة مدرسة لها مناهجها المتعددة ، ولقد خرجت هذه المدرسة ابطالا وربت رجالا دأبوا على التضحية والفداء ، وباعوا أنفسهم وأهليهم وأموالهم وأوطانهم لله ، وتحملوا المشقة والاغتراب يبتغون فضلا من الله ورضوانا ، وفي مقدمة هذه المناهج ما تعلمه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخوة صادقة مخلصة ما تزال آثارها تروى ويتعلم منها المسلمون عبر العصور والأجيال الدروس

والعظات .

ولنقرأ في دروس الايثار التي تلقنها الصحابة في مدرسةالهجرة من الأمثلة الطيبة ما رواه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رجلا بات به ضيف فلم يكن عنده الا قوته وقوت صبيانه فقال لامرأته : نومي الصبية وأطفئي السراج وقربي للضيف ما عندك ، فنزلت هذه الآية : ويؤثرون على انفسهم ..

وفي تفسير القرطبي .. ذكر ابن المبارك قال : أخبرنا محمد بن مطرف قال : حدثنا أبو حازم عن عبد الرحمن بن سعيد بن يربوع عن مالك الدار أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه اخذ اربعمائة دينار ، فجعلها في صرة ، ثم قال للغلام : اذهب بها الى أبي عبيدة بن الجراح ، ثم تلكأ ساعة في البيت حتى تنظر ما يصنع .

فذهب الغلام اليه فقال : يقول لك أمير المؤمنين اجعل هذه في بعض حاجتك ، فقال : وصله الله ورحمه ، ثم قال : تعالي يا جارية ، اذهبي بهذه السبعة الى فلان وبهذه الخمسة الى فلان حتى أنفذها . فرجع الغلام الى عمر فأخبره فوجده قد أعد مثلها الى معاذ بن جبل ، وقال : اذهب بها الى معاذ بن جبل وتلكأ في البيت ساعة حتى تنظر ماذا يصنع . فذهب اليه فقال : يقول لك امير المؤمنين اجعل هذه في بعض حاجتك . فقال : رحمه الله ووصله ، وقال : يا جارية : اذهبي الى بيت فلان بكذا وبيت فلان بكذا . فأطلت امرأة معاذ فقالت : ونحن والله مساكين فأعطنا ، ولم يبق في الخرقة الا ديناران قد جاء بهما اليها . فرجع الغلام الى عمر فأخبره ، فسر بذلك ، وقال : انهم اخوة بعضهم من بعض .

ومن أمثلة الايثار ما ذكره القشيري قال : قال ابن عمر : أهدي لرجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس شاة ، فقال : ان أخي فلانا وعياله أحوج الى هذا منا فبعثه اليهم ، فلم يزل يبعث به واحدا الى اخر حتى تداولها سبعة بيوت حتى رجعت الى اولئك . ذكره الثعلبي عن انس .

لقد قامت هذه الأخوة التي عقدها النبي صلى الله عليه وسلم بين أصحابه على الايثار ، ولا يكون الايثار الا نتيجة محبة خالصة مخلصة بين هؤلاء القوم الذين تخرجوا في مدرسة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكان هو مثلهم الأعلى ، يقوم نحوهم بخالص الوفاء ، ويؤثرهم على نفسه ويدافع عنهم ويرد غيبتهم ويذكرهم بكل خير ويبادلهم حبا بحب واخلاصا باخلاص . فهو يقول عن الانصار مثلا فيما رواه مسلم في صحيحه عن انس : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ان الأنصار كرشي وعيبتي وان الناس سيكثرون ويقلون فاقبلوا من محسنهم واعفوا عن مسيئهم » وما من أحد من أصحابه الا وقد أطراه وأثنى عليه وجعل له مزية تذكر له أبد الدهر .

وهذه هي أخلاق القيادة المثالية التي تذكر الفضل لأصحابه ، ولا تنساه حين تصل الى مبتغاها ، فانا لنقرأ في سير الأفذاذ أنهم يحيطون انفسهم بالمناصرين لهم في مبادئهم حتى اذا نجحوا في تحقيق أهدافهم نسوا أصحابهم أو بطشوا بهم أو تنكروا لهم خوفا من المنافسة أو استجابة لهاجس ريبة أو تأمينا للمستقبل ، ولكن المثل الأعلى في قيادة الرسول صلى الله عليه وسلم يعصمه من التردي في هذا الخطأ الذي يقع فيه قادة الدنيا ، ويدفعه الى أن يقي أصحابه بنفسه ويحرص عليهم حرصا شديدا لأن لكل منهم ميزة من المزايا العظام ، التي تعلي بنيان هذه الأمة ، وترفع شأن الأخلاق التي جاء ليتممها .

ولقد حرص أصحابه على أن يفتدوه بأنفسهم ويصونوه بأرواحهم ، وتحدثنا السيرة الطاهرة بأمثلة طيبة من ذلك ، تحدثنا مثلا بأن أبا طلحة ترس على النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتطلع ليرى القوم فيقول له أبو طلحة : لا تشرف يا رسول الله لا يصيبونك ، نحرى دون نحرك ، ووقى بيده رسول الله صلى الله عليه وسلم فشلت .

ولم يقف الأمر عند حد الرجال ، بل ان النساء أيضا تسابقن في افتداء الرسول صلى الله عليه وسلم ، حتى ان نسيبة بنت كعب أصيبت دون رسول الله بأحد عشر جرحا غائرا حتى أغمي عليها من كثرة النزف ، ولم يكن همها حين أفاقت من غشيتها الا السؤال عن رسول الله ولم تسأل عن زوجها أو ولديها .

والايثار الذي بنيت عليه الأخوة الصادقة بين أصحاب رسول الله لم يكن في أيام الدعة والرخاء فحسب ، فان ذلك أمر قد يحدث بين عامة الناس ، ولكنه ايثار الحاجة القصوى التي قد تتوقف عليها الحياة ، هو الجود بالنفس وهو أقصى غاية الجود ، فيما يرويه القرطبي في تفسيره : قال حذيفة العدوي : انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لي ، ومعي شيء من الماء وأنا أقول : ان كان به رمق سقيته فاذا أنا به ، فقلت له : أسقيك فأشار برأسه آن نعم ، فاذا أنا برجل يقول آه آه ، فأشار الى ابن عمي أن انطلق اليه فاذا هو هشام بن العاص ، فقلت أسقيك ؟ فأشار أن نعم ، فسمع آخر يقول آه آه ، فأشار هشام أن انطلق اليه فجئته فاذا هو قد مات ، فرجعت الى هشام فاذا هو قد مات ، فرجعت الى ابن عمي فاذا هو قد مات .

من آداب الأخوة :

ولأن الأخوة عليها مدار كبير في بنيان المجتمع اهتم بها النبي صلى الله عليه وسلم في أول أمره وهو يبني مجتمع الأمة الاسلامية ، ودعا الى حسن العلاقة بين المسلمين فلا ينبغي أن يكون بينهم تقاطع او تدابر . روى مسلم في صحيحه عن أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله اخوانا . » وروى عن أبي أيوب الأنصاري : أن رسول الله صلى

الله عليه وسلم قال : « لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال . يلتقيان ، فيعرض هذا ، ويعرض هذا ، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام » متفق عليه .

ولم يكتف الرسول صلى الله عليه وسلم بالدعوة الى التآخي بين اثنين اثنين ، بل وسع دائرة الأخوة لتشمل المسلمين جميعا ، وعمل على أن ينمي الشعور بالألفة والمودة بينهم عن طريق الايمان الذي ينبغي أن يكون هو أساس العلاقة بين المسلمين لا علاقة الدم أو النسب ، فقد قال عليه الصلاة والسلام فيما يرويه أبو هريرة : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره . التقوى ههنا ، التقوى ههنا ، التقوى ههنا ، واشار الى صدره ، بحسب امرىء من الشر ان يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه » رواه مالك ، والبخاري ، ومسلم واللفظ له من حديث أوله : « اياكم والظن » وسادت هذه الأخوة حتى أصبحت في معرض النعم التي يمن الله بها على المؤمنين ويذكرهم بالمحافظة عليها ويحذرهم من كفرانها فيقول لهم : **(واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا)** آل عمران / ١٠٣

وبذلك أصبح المسلمون جميعا أعضاء في أسرة واحدة رباطها الاسلام وقوامها الايمان وشعارها الحب والوئام ، وأكد النبي صلى الله عليه وسلم هذه الرابطة الى درجة أنه حذر من وجود تناحر أو شحناء بين أفراد هذه الأسرة الكبيرة روى سهل عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئا الا رجلا كان بينه وبين أخيه شحناء فيقال : أنظروا هذين حتى يصطلحا ، أنظروا هذين حتى يصطلحا ، أنظروا هذين حتى يصطلحا » رواه مسلم ولقد كان التوارث بين المسلمين يقوم على أساس هذه العلاقة الايمانية ، كان الأخوان في الله يتوارثان حتى نزل قوله تعالى : **(وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله)** الأنفال / ٧٥ فعاد التوارث كما كان .

الألفة ترفع الكلفة :

ولأن الشعار هو الحب ارتفعت الكلفة بينهم وذابت الخلافات وظللهم التسامح ، فقديما قالوا : الألفة ترفع الكلفة ، وجاء في الأثر الشعري :

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا

وليس هناك أروع من التصافي بين الأخوان والتواضع لهم والتغافل عن هفواتهم والتماس الأعذار لهم ، وقد اعتبر الله المتحابين في الله من المقربين الى حضرته المستظلين بظله يوم لا ظل الا ظله ، ورد في صحيح مسلم : « ان الله يقول يوم القيامة : أين المتحابون بجلالي . اليوم أظلهم في ظلي ، يوم لا ظل الا ظلي » .

وأخرج أحمد والحاكم وغيرهما مرفوعا : « قال الله تبارك وتعالى حقت محبتي

للمتحابين في ، وحقت محبتي للمتواصلين في ، وحقت محبتي للمتباذلين في . المتحابون في على منابر من نور يغبطهم النبيون والصديقون والشهداء . »

وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم الى الاستكثار من الاخوان فالمرء قليل بنفسه كثير باخوانه ، ولكل مؤمن شفاعة كما ورد في الآثار ، وقد اخذ الشيخ حسن رضوان هذا المعنى فنظمه شعرا في كتابه القيم المسمى « روض القلوب المستطاب » فقال :

ومن على صدق اشتياقه نظر	الى أخيه نظرة فاق البشر
وكان مثل من بصدقه اعتكف	عاما بمسجد النبي ذي الشرف
وكثرة الأخوان شرعا تطلب	لما لها من كل خير يرغب
فكل مؤمن له شفاعه	مقبولة في أمر هول الساعه

ولأن المودة ترفع الكلفة نزل قوله تعالى في نفي الحرج :(**ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم**) الى قوله تعالى : (**أو صديقكم**) النور / ٦١ .

والصديق من يصدقك مودته وتصدقه ، ويخلص لك وتخلص له . جاء في تفسير الكشاف للزمخشري : « يحكى عن الحسن أنه دخل داره واذا حلقة من أصدقائه وقد استلوا سلالا من تحت سريره فيها الخبيص وأطايب الأطعمة وهم يكبون عليها يأكلون ، فتهللت أسارير وجهه سرورا وضحك وقال : هكذا وجدناهم هكذا وجدناهم ، يريد كبراء الصحابة ومن لقيهم من البدريين رضي الله عنهم . وكان الرجل منهم يدخل دار صديقه وهو غائب فيسأل جاريته كيسه فيأخذ منه ما شاء ، فاذا حضر مولاها وأخبرته أعتقها سرورا بذلك .

وعن جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنهما : من عظم حرمة الصديق أن جعل الله من الأنس والثقة والانبساط وطرح الحشمة بمنزلة النفس والأب والأخ والابن ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما : الصديق أكبر من الوالدين ؛ ان الجهنميين لما استغاثوا لم يستغيثوا بالاباء والأمهات فقالوا : مالنا من شافعين ولا صديق حميم .

عناية الأسلام بالأخوة :

لقد امتدح الاسلام الاخوة وأثنى على المخلصين فيها ، ووضع لها آدابها حتى تفنن المتفننون من الحكماء في ذلك ، وغصت بذلك كتب الأدباء والمؤلفين حتى أفردت لها أبوابا واستصفت فيها فرائد التعبير وغرائب القصص وطرائف الأشعار وروائع الحكم والأمثال ، وما ذلك الا لبيان فضل هذه الحلة التي يقوم عليها بناء المجتمع الشامخ الراسخ الأصول .

وما عرف انسان فضل الأخوة الا لكرم أصله وثاقب فكره وحسن مروءته ، وما

ضيع انسان أخاه الا اذا كان ساقط الهمة قليل المروءة . جاء في كتاب كليلة ودمنة : أعجز الناس من فرط في طلب الاخوان وأعجز منه من ضيع من ظفر به منهم .

وجاء في كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة « حدثني الرياشي عن الأصمعي ، قال حدثنا سليمان بن المغيرة قال : قال يونس : اثنان ما في الأرض أقل منهما ولا يزدادان الا قلة ، درهم يوضع في حق وأخ يسكن اليه في الله .

أما الصديق الذي يصحب فأصدق وصف فيه ما يرويه سفيان بن عيينة عن علقمة بن لبيب العطاردي يوصى ابنه :

« يا بني اذا نزعتك الى صحبة الرجال حاجة فاصحب من إن صحبته زانك ، وان خدمته صانك ، وان أصابتك خصاصة عانك ، وان قلت صدق قولك ، وان صلت شد صولك ، وان مددت يدك بفضل مدها ، وان رأى منك حسنة عدها ، وان سألته اعطاك وان سكت عنه ابتداك ، وان نزلت بك احدى الملمات آساك ، من لا يأتيك منه البوائق ، ولا تختلف عليك منه الطرائق ، ولا يخذلك عند الحقائق ، وان حاول حويلا آمرك ، وان تنازعتما منفساً آثرك .. ـ الحويل : المحاولة ـ والمنفس : النفيس . عيون الاخبار ـ

ومن أقاصيصهم الطريفة التي تدل على فرط المروءة والتفاني في خدمة الأصدقاء والرفقاء والاخوان ما يرويه أبو نصر السراج الطوسي في كتابه « اللمع » :

قال ابو علي الرباطي رحمه الله تعالى : صحبت عبد الله المروزي رحمه الله فقال : أيما أحب اليك تكون أنت الأمير أو أنا ؟ فقلت : لا بل أنت الأمير ، فقال : وعليك الطاعة ، فقلت نعم . فأخذ مخلاة ووضع فيها الزاد وجعلها على ظهره ، فاذا قلت له : أعطني حتى أحمله ، يقول ألست أنا الأمير ، فعليك بالطاعة .

قال : فأخذنا المطر ليلة فوقف على رأسي الى الصباح وعليه كساء وأنا جالس يمنع عني المطر ، فكنت أقول لنفسي : ليتني مت ولم أقل له أنت الأمير . ثم قال لي : اذا صحبك انسان فاصحبه كما رأيتني صحبتك .

وحدث السهروردي في كتابه عوارف المعارف قائلا : قصد صديق صديقه يستعين به في دين حان اجله ، فأعطاه ما طلب ، ثم دخل على زوجته يبكي ، فقالت له : ما يبكيك وكان بوسعك أن تعتذر اليه ؟ فقال لها : ما على المال أبكي ، ولكني أبكي على ما ضيعت من حق صحبته حتى اضطررته الى أن يسألني .

هذه الأخوة وتلك شروطها وآدابها كما وضع النبي صلى الله عليه وسلم أساسها ومنهجها في مدرسة الهجرة الحافلة بالمناهج والدروس .

فهل نحن الآن آخذون الأهبة لاستعادة هذه المناهج ودراستها حق دراستها ، لنعود الى الدرب ونلحق بالركب ونصبح جديرين بهذه الرسالة السامية التي ائتمنا عليها النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام من بعده ؟ اللهم وفقنا للصواب واهدنا الى سواء السبيل .

من المعارك الخالدة
في الاسلام

موقعة نهاوند

للاستاذ / محمد رجاء حنفي عبد المتجلي

بسم الله الرحمن الرحيم
(فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيما) .
صدق الله العظيم . النساء ٧٤ .

لقد وقف المسلمون بحركة الفتح في العراق شرقاً عند « حلوان » كما رسم عمر بن الخطاب ، كيلا يتورط المسلمون فيما لا يعرفونه من مسالك بلاد الفرس قبل أن تتوطد أقدامهم فيما انتزعوه من الفرس من أقاليم ، واتجهوا الى شمال العراق الذي كان يقع معظمه في قبضة الروم ، ليستولوا على ما بتلك النواحي من القرى والمدن حتى يأمنوا غارات الروم منها ، وزادهم رغبة في ذلك ما وصل الى علمهم من أن ملك الموصل قد جمع قوات من العرب والفرس والروم ، وأنه قد عسكر بهم في تكريت .

وحاصرهم المسلمون أربعين يوما ، عمل بعدها ابن المعتم القائد الاسلامي الذي سيره سعد بن أبي وقاص لملاقاة الأعداء على اجتذاب العرب من صفوف الأعداء ، مستعينا على ذلك بوحدة اللغة والجنس فأجابوه ، وطلب منهم أن يكبروا اذا ما سمعوا تكبير المسلمين ، وعندما حدث ذلك أثناء الهجوم ظن المحاصرون أن المسلمين قد فاجأوهم من الخلف ، فاستبقوا الى أبواب الحصن يريدون الخروج ، فأخذتهم سيوف المسلمين ، وسقط الحصن في أيدي القوات الاسلامية .

ثم سار ابن المعتم مع حلفائه الجدد الى نينوى وفتحها ، ودانت للمسلمين جميع الأقاليم الواقعة بين دجلة والفرات ، من المدائن الى الموصل .

وفكر الفرس في الخروج من الأهواز للاغارة على ما بأيدي المسلمين بقيادة الهرمزان ، وعرف المسلمون ما

ينتويه الفرس ، فكتب أمير البصرة يستأذن الخليفة في قتالهم فأذن له ، وأمر سعد بن أبي وقاص بأن يمده بالرجال والسلاح فأمده ، واشترك جيشا البصرة والكوفة في قتال الهرمزان حتى تم لهم النصر ، وطلب الهرمزان الصلح فأجيب الى ما طلب ، واحتفظ المسلمون بما استولوا عليه من أراضي .

بيد أنه بعد فترة من الزمن جاءت الأنباء بأن كسرى يزدجرد قد حرض الهرمزان وغيره من الأمراء على الثورة ضد المسلمين ، فكتب عمر الى سعد يطلب منه أن يعاون جنود البصرة في القضاء على هذه الحركة التمردية ، ووصلت قوات المسلمين الى رامهرمز حيث اصطدمت بالهرمزان وهزمته وانتزعت المدينة من يده ، فانسحب منها الى تستر ، فحاصرها المسلمون حوالي تسعة أشهر حتى خارت روح المقاومة فيها ، فدخلها المسلمون ونزل الهرمزان على حكم الخليفة عمر ، فأرسل اليه بالمدينة ليرى رأيه فيه ، وهناك أقام كفرد من عامة المسلمين بعد أن أسلم وحسن اسلامه ، وصار لا يفارق الخليفة مطلقا ، ولا يضن عليه بالرأي أو بالمشورة .

واستمر المسلمون في تقدمهم من تستر الى سوس ومنها الى جنديسابور ، وانفتح الطريق أمامهم الى أصفهان ، غير أنه قد طرأ من الحوادث ما وجه الفتوحات الاسلامية الى خراسان حيث يقيم كسرى الفرس ، فقد جاءت الأنباء بأن أمراء الفرس قد تكاتبوا وأرسل بعضهم الى بعض الرسل على أن يكونوا جبهة متحدة لدفع هؤلاء المسلمين الذين يغزونهم اليوم في عقر دارهم ، ويمدون سلطانهم على ولايات كثيرة من أرضهم ، ثم لا يفتأون يتقدمون فيها ، وكأنه ليس لأحد على وجه الأرض من القوة والقدرة ما يستطيع بهما أن يقف أمامهم أو يتحدى قوتهم .

وازاء هذه الأنباء رأى عمر بن الخطاب أن الوقوف بالفتح في حدود العراق لم يعد مستطاعا ، وأن الحوادث تحمله مختارا أو مكرها مرغما على أن يعدل في سياسته التي اتخذها ازاء هذا التوسع في فتوح بلاد الفرس ، وتدفعه دفعا الى التوسع حتى لا يجد يزدجرد مكانا له على أرض الفرس .

تجميع القوات الفارسية :

اتفق أمراء الولايات الفارسية على أن يكتبوا الي يزدجرد ليكون على رأس حركتهم ، فالجميع يدين له بالطاعة ، وبذلك يلتف الناس حول حركتهم .

وكان يزدجرد قد اضطرب في أرجاء مملكته بين مختلف الولايات منذ فر من المدائن ، فلما وصلته رسائل الأمراء ورأى ما أزعجه من زحف المسلمين أعجبه ما لاحظه من شدة حماس الأمراء ، وتصميمهم على دفع عدوهم وعدوه ، وعاودته نفحة من شبابه قلبت يأسه أملا ، وبدلت اضطرابه طمأنينة ، فكتب الى أهل ايران يستحثهم ويقلل من أهمية وخطر غزو العرب لهم .

وفعلت كتب كسرى فعل السحر في النفوس ، فبعث كل أمير من جنده ما استطاع ارساله الى نهاوند ، حتى وصل عدد الجنود مائة وخمسين ألفا تحت قيادة الفيرزان ، وفي نهاوند عقد كسرى مجلسا عسكريا ضم أمراء الجنود القادمين من شتى الأرجاء ، وقال لهم : « ان محمدا الذي جاء العرب بهذا الدين لم يتعرض لبلادنا ، وقام أبو بكر من بعده فلم يتعرض لنا في ملكنا ، ولم يثر بنا الا فيما يلي بلاد العرب من السواد ، وهذا عمر بن الخطاب لما طال ملكه انتهك حرمتنا وأخذ بلادنا ، ولم يكفه ذلك حتى أغزانا في عقر دارنا ، فأخذ بيت المملكة ، وانتقصكم السواد والأهواز ، وهو آتيكم ان لم تأتوه ، وليس بمنته حتى تخرجوا من بلادكم » .

ونقل الأمراء مضمون حديث كسرى الى الجند ، فازدادت حماستهم وقويت معنوياتهم ، وظلوا ينتظرون اليوم الذي يواجهون فيه المسلمين على أحر من الجمر ، وهم متشوقون للقتال ، متعاهدون على أن يحرزوا النصر بأرواحهم ، ويستردوا ما فقدوه من ولايات ضاعت منهم على أيدي المسلمين .

عمر يستعد للقاء الفرس :

لم يبق لدى عمر أدنى شك في أنه اذا لم يوجه الى الفرس الضربة القاضية القاصمة فانهم لن يفتروا عن مناوأة المسلمين ، فالخصم قوي يملك الكثير من مصادر القوى المادية والبشرية ، وليس ببعيد أن يبتسم لهم الحظ يوما فتتعرض الدولة الاسلامية للخطر .

وأخذت الأنباء ترد الى المدينة متوالية وراء بعضها عن تأهب الفرس واستعدادهم لقتال المسلمين ، أنباء تهز القلوب وتروعها ، فالقوات الفارسية التي تجمعت تحت قيادة الفيرزان قد سارت الى همذان ، وهي الآن تتابع سيرها قاصدة حلوان ، بل هي قد تحركت متخذة طريقها صوب الكوفة ، وبعد قليل ستبلغها .

ولم يخف على عمر ما في هذه الأنباء من مبالغة يصورها الفزع ، **لأن الخوف من الخطر أو من توقعه يدفع النفوس الى كونها تتوهم الأشياء وتجسمها الى أضعاف أضعاف الواقع من حقيقتها** ، وليس من المستبعد أن يكون الفرس قد قصدوا من ظهورهم بهذا التكتل العسكري شن حرب نفسية المقصود منها اضعاف روح المسلمين المعنوية ، مع اثارة حملة من الشكوك المراد منها أن يرتاب أفراد القوات الاسلامية في مدى قدرتهم على مواجهة هذا العدو القوي .

بيد أن الأمر الذي لا شك فيه هو أن الفرس قد جمعوا جموعهم واستعدوا استعدادا كاملا ، وأن عمر ان لم يواجه الفرس ويبادرهم بالشدة فقد يزدادون جرأة تنتهي بهم الى حد تهديد ما استولى عليه المسلمون في خوزستان والعراق ، فالتأهب الى ملاقاة هذا الخطر واجب مقدس .

عمر يستشير الناس فيمن يتولى القيادة :

أراد عمر أن يستشير الناس ـ كعادته ـ في مثل هذه الأمور ، فأمر المنادي أن ينادي : الصلاة جامعة . فأقبل المسلمون من كل مكان ، وعندما التأم عقد الناس بالمسجد صعد المنبر وذكر لهم ما أنهاه اليه عماله عن تهيؤ الفرس ، واجتماعهم وكثرة عددهم ثم قال لهم : « ان هذا اليوم له ما بعده ، ألا واني قد هممت بأمر فاسمعوا وأجيبوا وأوجزوا ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، أفمن الرأي أن أسير فيمن قبلي ومن قدرت عليه حتى أنزل منزلا وسطا بين هذين المصرين فأستنفرهم ، ثم أكون لهم ردءا حتى يفتح الله عليهم ويقضي ما أحب ؟ » .

وتكلم القوم ، فكان رأي طليحة بن عبيدالله أنه ولى هذا الأمر ، وقد أحكمته التجارب والأمور فأمره نافذ ومطاع ، وكان رأي عثمان بن عفان أن يكتب الى أهل الشام وأهل اليمن ليسيروا ، ثم يسير هو بأهل الحرمين الى الكوفة والبصرة فيلقى جمع المشركين بجمع المسلمين ، فيكون ذلك أعز للمسلمين ، وأن هذا اليوم له ما بعده فليشهده برأيه وأعوانه .

وكان رأي علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ أنه اذا سار أهل الشام من شامهم سارت الروم الى ذراريهم ، واذا سار أهل اليمن من يمنهم سارت الحبشة الى ذراريهم ، واذا سار عمر ابن الخطاب من المدينة انتفضت عليه الأرض من أطرافها وأقطارها ، حتى يكون ما يدع وراءه أهم اليه مما بين يديه من العورات والعيالات ، وكان من رأيه أن يقر أهل الأمصار في أمصارهم ، ويكتب الى أهل البصرة ليتفرقوا ثلاث فرق : فرقة في حرمهم وذراريهم ، وفرقة في أهل عهدهم حتى لا ينتقضوا ، وفرقة تسير الى اخوانهم بالكوفة مددا لهم ، وأن الأعاجم اذا نظروا اليه وقد خرج بنفسه قالوا : هذا أمير العرب . فيكون ذلك أشد لتكالبهم عليه ، فمكان أمير المؤمنين من العرب مكان النظام من الخرز يجمعه ويمسكه ، فاذا انحل تفرق ما فيه وذهب ، ثم لن يجتمع أبدا .

واقتنع عمر برأي علي وسر به ، وكان اذا استشار أحدا في أمر من الأمور لا يبرم ذلك الأمر حتى يشاور العباس رضي الله عنه ، فلما اقتنع بكلام علي عرضه على العباس الذي قال له : خفض عليك ، فانما اجتمع هؤلاء الفرس لنقمة تنزل عليهم .

وأعلن عمر أنه مقيم بالمدينة ، ومرسل الجيوش تلو الجيوش امدادا لقتال الفرس ، ثم قال : « أشيروا علي أيها الناس برجل أوله أمر هذه الحرب وليكن عراقيا » ، قالوا : أنت أفضل منا رأيا ، وأحسن مقدرة ، وأبصر بجندك ، وقد وفد عليك أهل العراق وجنده فرأيتهم وخبرتهم . فقال عمر : « أما والله لأولين أمرهم رجلا يكون أول الأسنة اذا لقيها غدا ، النعمان ابن مقرن » ، فقال الناس : هو لها . ولعل السبب في اشتراط عمر أن يكون القائد عراقيا هو أن العراقي أعرف

ببلاده من غيره ، فيكون ذلك أدعى الى نجاح خططه فيها .

ولقد كان النعمان لها حقا ، فقد عرفه المسلمون فارسا شجاعا مقداما لا يعرف التردد ولا الفـرار ، غير متسرع لاغتنام فرصة ، كان على ميمنة جيش أبي بكر الصديق الذي خرج يحارب من منعوا الزكاة فهزمهم في موقعة ذي القصة ، وكان في فتوح العراق يحارب جنبا الى جنب مع خالد ابن الوليد ، وكان النصر يسير في ركابه كما كان يسير في ركاب خالد ، وحينما تولى سعد بن أبي وقاص قيادة جيش العراق كان النعمان في طليعة الجنود المقاتلة ، وقد برز في موقعة القادسية ، وفي فتح العراق العربي ، ثم أبلى بلاء حسنا في حروب خوزستان .

تعليمـات الخليفـة الى القـائـد الجديد :

كتب عمر الى النعمان يأمره بالمسير الى ماه ، لأنها ستكون مركز التجمع للقوات التي عين قائدا لها ، فاذا اجتمعت القوات سار بها الى الفيرزان ومن معه من الفرس .

وكتب لأهل الكوفة أن يوافـوا النعمان وعليهم حذيفة بن اليمان قائدا ، وكتب لأبي موسى الأشعري أن يسير بأهل البصرة ، ثم أرسل الى ماه جموعا من المدينة فيهم عبد الله بن عمر ، وبعث الى النعمان يقول له : « ان حدث بك حدث فعلى الناس حذيفة بن اليمان ، فان حدث بحذيفة حدث فعلى الناس نعيم بن مقرن » ، وعين السائب بن الأقرع ـ وكان كاتبا حاسبا ـ أمينا على الغنائم ، وقال له : « الحق بهذا الجيش فكن فيهم ، فان فتح الله عليهم فاقسم بين المسلمين فيئهم ، وخذ خمس الله ورسوله ، وان أصيب هذا الجيش فاذهب في سواد الأرض فبطـن الأرض خـير مـن ظهرها » .

وكتب الى أمراء الجند الذين كانوا بين فارس والأهواز أن : « اشغلوا أهل فارس عن اخوانكم ، وأقيموا على حدود ما بين فارس والأهواز حتى يأتيكم أمري » ، وقد أراد عمر بعمله هذا أن يقطع خط الامداد والتموين عن الجيوش الفارسية .

زحف القوات الاسلامية :

اجتمعت القوات الاسلامية في ماه ، وأرسل عمر بن الخطاب قوة جديدة من أهل الحجاز الى النعمان قادها المغيرة بن شعبة ، وانهـالت عليه الامـدادات من جميـع الأنحـاء ، وحرص الذين لم يشهدوا موقعـة القادسية ولم يحظوا بشرف الاشتراك فيها على أن يشتركوا في نهاوند التي لن تكون دون القادسية شأنا .

وتحرك الجيش حتى وصل الى حلوان ، فأراد النعمان أن يتعرف أخبـار الفرس ليعـرف هـل بثـوا جواسيسهم على الطريق الى نهاوند أم لا ؟ وذلك حتى يحتاط ولا يـدخل بجيشه في طريق مجهول قد يعرض المسلمين للخطر ، فـأرسل دوريـة استكشـافيـة مكـونـة من طليحـة

الأسدي ، وعمرو بن معد يكرب ، وعمرو بن أبي سلمى ليستكشفوا له الطريق ، فسار ثلاثتهم يوما كاملا ، وعندما حل الليل رجع عمرو بن أبي سلمى لعدم معرفته بأرض الفرس ، بينما استمر زميلاه في السير الى نهاية الليل ، ورجع عمرو بن معد يكرب لأنه لم ير شيئا خلال مسيره يوما وليلة وخاف من قطع الطريق عليه ، وواصل طليحة الأسدي السير حتى وصل الى نهاوند ، فعرف أخبار الفرس وأسرارهم ثم قفل راجعا ، وعندما رآه المسلمون كبروا لأنهم كانوا يخشون عليه من مفاجآت الطريق وخطره .

ودخل طليحة على النعمان وأخبره أن ليس بينه وبين نهاوند ما يعرقل سير المسلمين الى هناك ، وأن الطريق مأمون ، فأمر النعمان قواته بالتحرك ، وسار بقواته حتى نزل على مقربة من أعدائه ، وهناك كبر المسلمون ثلاث تكبيرات زلزلت الفرس وألقت الرعب في قلوبهم .

المفاوضات :

عرف الفيرزان أخبار المسلمين ، وأنهم جاءوا اليه بجيش يبلغ تعداده ثلاثين ألف جندي ، فلم يستصغر شأنهم أو يستهن بهم ، ولم يخدعه أنه أمامهم في مائة وخمسين ألف جندي متعاهدين على القتال حتى الموت ، متحصنين في حصون قوية منيعة ، فهو قد شهد موقعة القادسية ، ورأى من قوة هؤلاء العرب وشدتهم في القتال ما راعه وأنزل في قلبه الرعب ، واضطر يومها هو والهرمزان الى الفرار عقب هزيمة القوات الفارسية ذات الكثرة في العدد والعتاد والعدة .

وفكر الفيرزان ، ودارت في رأسه عدة أفكار .. هل ستدور الدائرة عليه هذه المرة أيضا ؟ .. هل جنوده لديهم من الروح العالية ما يمكنهم من احراز النصر على هؤلاء المسلمين الذين ما دخلوا معهم في معركة إلا وهزموهم ؟ .. ان موقفهم يوم القادسية كان مثل موقفهم اليوم ، كثرة في العدد ، وقوة في العتاد والعدة ، ومع ذلك لحقت بهم الهزيمة هل يبعث الى المسلمين ويطلب منهم المفاوضة ؟ وهل سيكون مصير هذه المفاوضات الفشل كما حدث في المرات السابقة ؟ وأحس الفيرزان بأن رأسه يكاد ينفجر من كثرة الأفكار التي به ، انه منذ وقت طويل يفكر ولم يهتد الى شيء .. فماذا يفعل ؟

واستقر رأيه على مفاوضة المسلمين ، عساه ينجح هذه المرة ويكسب بالمفاوضة ما يخسره بالحرب ، فأرسل الى المسلمين يطلب منهم المفاوضة ، فبعث اليه النعمان المغيرة بن شعبة ، الذي اجتاز الميادين المحيطة بنهاوند وتخطى أسوارها حتى انتهى الى الفيرزان .

ودار بين الرجلين حديث طويل احتقر فيه الفيرزان العرب واستصغر شأنهم ، ووصفهم بالجوع والشقاء ، ثم اشتد في لهجته مع المغيرة ليدخل الرعب الى قلبه ، ويضعف من روحه المعنوية ، فيفت بذلك في عضد

المسلمين ويرتاعوا ، ولكنه بعمله هذا أخفق السفارة وكان سببا في فشل المفاوضات .

المعركة :

أنشب النعمان القتال عقب فشل المفاوضات ، ودارت الحرب سجالا بين الفريقين يومين كاملين ، كان الفرس خلالهما لا يخرجون من حصونهم الا اذا أرادوا ورأوا في الخروج نصرا لهم ، فهم قد عمدوا الى أسوارهم وأحاطوها بحسك الحديد ، ولم يتركوا سوى منافذ ضيقة يخرجون منها متى أرادوا ، ولم تكن خيول المسلمين تستطيع اجتياز هذا الحسك ، وقد اشتد ذلك على المسلمين وخافوا أن يطول القتال وتسوء عاقبته .

وطال الحصار وامتدت أيامه ، فعقد النعمان مجلسا حربيا حضره كبار قواد الجيش وغيرهم من أعيان العرب ، وسألهم رأيهم في الخطة التي يجب أن يسير عليها بعدما طال أمد الحصار ، وبعد امتناع الفرس عليهم واختفائهم وراء حصونهم ، فعرضت اقتراحات عديدة ، كان من أبرزها وأوجهها رأي طليحة الأسدي الذي دل على ذكاء ممتاز ومهارة حربية وسعة ادراك ، ومؤداه : أن ينشب المسلمون القتال مع الفرس في صباح اليوم التالي ، ثم بعد فترة يتظاهرون بالانكسار والهزيمة ويرتدون الى الخلف منسحبين ، وعندئذ سيعتقد الفرس أنهم قد كسبوا الموقعة بتقهقر المسلمين وانسحابهم ، فيخرجون من حصونهم يتعقبونهم ، وفي هذه الحالة يخرج عليهم فريق من الجيش يكون قد كمن لهم أثناء الليل ويأتيهم من ورائهم ، فيضعهم المسلمون بين نارين ، وينصرف فريق آخر من الجيش يهاجم نهاوند ويحتلها ، ويرفع الراية الاسلامية فوقها .

ونفذ النعمان هذه الخطة على الفور ، فأمر القعقاع بن عمرو أن يذهب في صباح اليوم التالي ويهاجم المدينة بالجنود الذين تحت امرته ، فاذا خرج الفرس من حصونهم أظهر الهزيمة وتراجع أمامهم .

وفي الصباح تقدم القعقاع بجنوده ورمى المدينة بالنبل ، وأظهر للفرس أنه عازم على اقتحام الأسوار ، وأبدى من ضروب البأس والشجاعة ما جعل الفرس يخرجون اليه في حذر المرتاب المتشكك يصدون هجماته ، فقتل المسلمون كل من خرج اليهم ، مما أثار الحماسة في نفوس الفرس فخرجوا إليهم فوجدوهم قلة يمكن التغلب عليهم بلا صعوبة ، فاجتازوا الأسوار والحسك وأخذوا يقاتلونهم ، وهنا ظهرت براعة القعقاع ، فلم يأمر قواته بالتراجع ، بل استمر يقاتل حتى لا تنكشف حيلته ، وعندما أدرك أن الوقت قد حان لتنفيذ عملية الانسحاب فر بجنوده من أمامهم ، فلما شاهدوه يهرب خرجوا في أثره أملا في القضاء عليه وعلى قواته .

وكان النعمان قد أصدر أمره الى جنوده بالتراجع الى ما وراء مرمى النبل من حصون المدينة وأسوارها ،

حتى اختفى معظمها وراء آحد المرتفعات .

وتابع الفرس مطاردة القعقاع وهم ينقلون أمامهم بعضا من حسك الحديد خوفا من أن تحاول القوات الفارة مهاجمتهم من جديد ، ولكن القعقاع أمعن في الفرار بجنوده ، مما جعل الفرس يتثبتون من هزيمة المسلمين ، فتركوا حسك الحديد وراءهم وأسرعوا خلف الفارين .

واندفع الجيش الفارسي كله وعلى رأسه الفيرزان وراء المسلمين الذي اعتقد أن الدنيا قد ابتسمت له والحظ قد حالفه .

وقد نتج عن مطاردة القوات الفارسية للقعقاع وجنوده أن خلت مدينة نهاوند من الجنود ، ولم يبق بها سوى حراس أبوابها ، فلما ابتعدوا عن المدينة بمقدار كاف رأوا المسلمين يقفون ، وشاهدوا القعقاع ومن معه كأنما يريدون الثبات لهم فارتاعوا ، بيد أن روعهم لم يلبث أن هدأ وسكن وحسبوها حيلة أراد بها القعقاع أن يحمي ظهر الجيش المنسحب .

وانضم القعقاع بقواته الى القوات الاسلامية ، وأقام مع المسلمين ينتظرون أمر النعمان بالهجوم ، وكان النعمان قد أمر بأن يلزموا أماكنهم ولا يقاتلوا حتى تزول الشمس ، وكان اليوم يوم جمعة .

وأدرك الفرس المسلمين قبل الزوال فرموهم بالنبال حتى أكثروا فيهم الجراح ، فأشار بعض القواد على النعمان أن يصدر أمره للجيش بالقتال فلم يفعل ، فقال له المغيرة : « لو أن الأمر الي علمت ما أصنع » ، فأجابه النعمان في سكون وتؤدة : « رويدا تر أمرك . وقد كنت تلي الأمر فتحسن ، فلا يخذلنا الله ولا اياك ، ونحن نرجو في المكث مثل الذي ترجو في الحث »

لقد انتظر النعمان بالقتال الساعات التي كان يحبها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك عند الزوال وتفيؤ الأفياء ومهب الرياح ، فلما آن للشمس أن تزول ركب فرسه وسار به بين الجنود ، ووقف عند كل راية يشجع الجنود ، ويحرضهم بأحسن ما فيهم ، ويمنيهم ويعدهم النصر ان هم قاتلوا عدوهم بروح عالية ، ثم قال للجنود : « اني مكبر ثلاثا ، فاذا كبرت الثالثة فإني حامل ان شاء الله فاحملوا ، وان قتلت فالأمير بعدي حذيفة ، فان قتل ففلان » ، وعد لهم سبعة آخرهم المغيرة ، ثم قال : « اللهم أعزز دينك وانصر عبادك ، واجعل النعمان أول شهيد اليوم على اعزاز دينك ونصر عبادك » ، فبكى الجنود ، ورجع والأعين مشدودة اليه ، وهو معلم ببياض القباء والقلنسوة .

وكبر النعمان ثلاثا ، واندفع واللواء في يده منقضا على الفرس ، والمسلمون يشدون حوله ، ورأى الفرس صدق المسلمين في هجومهم فهاجموهم .

ودارت المعركة ، واقتتل الفريقان اقتتالا عظيما ، وكثر عدد القتلى من الفرس نظرا لاستماتة المسلمين في قتالهم حتى تخضبت الأرض بدمائهم

وانهمرت أنهارا ، فكانت الخيول والجنود تنزلق فيها .

وبينما كان النعمان يشق طريقه في قلب العدو زلق فرسه في الدماء فصرعه ، واراد المولى تبارك وتعالى أن يستجيب لدعائه في هذه الساعة فيستشهد في سبيله ، فأصابه سهم في خاصرته ، ورآه أخوه نعيم فسجاه بثوبه وأخذ اللواء من يده ودفعه الى حذيفة .

وأشار المغيرة بن شعبة بكتمان خبر استشهاد النعمان حتى لا تهن الجنود ، وتضعف معنوياتهم ويكون ذلك سببا في اضطراب سير المعركة .

ودخل الليل ، وانتشر الظلام ، والمسلمون يدفعون عدوهم أمامهم ، وأصاب الاعياء الفرس فتراجعوا منهزمين ، فاذا بحسك الحديد يمنعهم من الارتداد الى الخلف ، فأمعن فيهم المسلمون القتل ، وأراد البعض ان ينجو ، فانحرفوا عن موضع الحسك ، فاذا بالظلام يحجب عن عيونهم خندقا عميقا ، فهووا فيه بخيولهم .

وهكذا قضت القوات الاسلامية على ذلك الجيش الذي اجتمع من جميع أنحاء فارس ظانا أن بمقدوره الحاق الهزيمة بالمسلمين ، فاذا بالمسلمين يذيقونه الموت فلا يفلت منه الا الشريد .

وكان الفيرزان قد فر مع الفارين يطلب النجاة لنفسه ، فاندفع وحيدا يركض بجواده نحو همذان يرجو الاحتماء بها ، فرآه نعيم بن مقرن ، فدفع القعقاع في اثره وقد أدركه عند ثنية همذان وقتله .

ودخل الفارون همذان والمسلمون من ورائهم يطاردونهم حتى حصروهم فيها ، وأقسموا ألا يبرحوها حتى تفتح أبوابها ، وأدرك أميرها دقة موقفه ، وخاف أن يتخذ موقفا متشددا فيحل به مثل ما حل بالفيرزان وجنوده ، فأرسل الى المسلمين يستأمنهم ويصالحهم عليها ، فصالحه القعقاع .

وعاد القعقاع بمن معه ، فوجدوا حذيفة قد دخل نهاوند بجيشه عقب المعركة واستولى عليها وعلى ما فيها من الغنائم والأسلاب ، ودفعها الى السائب بن الأقرع الأمين على الغنائم .

وجاء الى المسلمين الهربذ صاحب بيت النار مستأمنا لنفسه ولمن شاء على أن يدلهم على جواهر كان كسرى قد أودعها عنده لنوائب الزمان ؛ فأعطاه حذيفة الأمان ، فأخرج له من تلك الجواهر سفطين - أي : جولقين - ، فأجمع المسلمون على أن يجعلوها لعمر ، ثم قسمت الغنائم على الجنود ، وخرج السائب بالباقي قاصدا المدينة .

عمر يتنسم الأخبار

كان عمر بالمدينة يتسقط أخبار الجيش وهو أشد ما يكون اشفاقا عليه ، فقد تأخر رسوله اليه بالبشرى ، وهو لم يذق للنوم طعما خوفا من أن يصله عن قواته ما لا يحب ولا يرضى ، فكان يقضي ليله داعيا لهم ثم يخرج يتنسم الأخبار

ويسأل القادمين الى المدينة .

وكان حذيفة قد بعث طريف بن سهم ليسرع بالخبر الى الخليفة ، وعندما بلغها سأله عمر عما وراءه من الأخبار ، فذكر له انتصار المسلمين وكتم عنه ما لا يسره ، فسر عمر بما سمع وهرع الى المسجد يصلي شكرا للمولى تبارك وتعالى ، ثم خرج في جماعة من أصحابه وكله شوق وأمل في أن يقف على جلية الأمر ، وأمعنوا في الطريق المؤدي الى بلاد فارس ، فشاهدوا على البعد راكبا مقبلا جهة المدينة توسم فيه عثمان بن عفان أنه السائب ، وقد صدق في توسمه ، فلقد كان الراكب فعلا هو السائب بن الأقرع ، فلما اقترب منهم نزل من فوق راحلته وسلم عليهم ، فقال له عمر : « ما وراءك ؟ » قال : « البشرى والفتح » وسأله عمر : « فما فعل النعمان ؟ » قال : « زلت فرسه في دماء القوم فصرع واستشهد » ، فقال عمر وقد هزه النبأ : « **انا لله وانا اليه راجعون** » ، ولم يتمالك نفسه فبكى حتى اخضلت لحيته ، وترحم على النعمان ، فقد كان رضي الله عنه رقيق القلب محبا للمسلمين ، حريصا على حياة القواد ، يحزن حزنا شديدا أذا أصيب أحدهم أو ألم به مكروه .

وعندما سكنت عنه ثورة الحزن سأل عمن قتل من المسلمين ، فذكر له السائب أعيان الناس وأشرافهم ، ثم قال : « وآخرون من أفناء الناس لا يعرفهم أمير المؤمنين » ، فقال عمر والدمع يترقرق في عينيه : « وما ضرهم ألا يعرفهم عمر ، لكن الله يعرفهم وقد أكرمهم بالشهادة ، وما يصنعون بمعرفة عمر » .

وعاد الجميع الى المدينة ، وأدخل خمس الفيىء الى المسجد ، وأمر عمر بعض الصحابة بالمبيت في المسجد حتى يقسم الفيىء على المسلمين في الصباح .

وذهب الى منزله وتبعه السائب وأخبره بخبر السفطين وما فيهما من الجواهر التي لا تقوم بمال ، وذكر له أن جنود القوات الاسلامية وقوادهم قد أجمعوا أمرهم على أن يجعلوهما له ، فقال له عمر : « يا ابن مليكة : والله ما دروا هذا ولا أنت معهم ، فالنجاء النجاء . عودك على بدئك حتى تأتي حذيفة فيقسمهما على من أفاء الله عليه » ، فانطلق السائب راجعا الى حذيفة بنهاوند وأخبره بالحديث الذي دار بينه وبين عمر ، فباعهما وقسم ثمنهما على المسلمين .

ولقد وقعت تلك الموقعة في السنة الحادية والعشرين من الهجرة ، وعرفت بفتح الفتوح ، لأنها كانت خاتمة الحروب الهامة مع الفرس ، وأمر عمر بعدها القوات الاسلامية بالانسياح في بلاد الفرس ، وسهل ذلك عليهم أن قلب المقاومة قد سقط بهروب يزدجرد أمام زحف المسلمين الى أقصى حدود بلاده الشرقية ، وامتد النفوذ الاسلامي بذلك شرقا الى السند ، وقد تم ذلك للمسلمين في سنوات قلائل ، الأمر الذي لا يزال موضع دهشة العالم الى اليوم .

جماعات القصاص

نشأتها وتطورها في المجتمع الاسلامي

للدكتور / أحمد على المجدوب

القصاص جمع ومفردها القاص أو القصاص ، وفي لسان العرب القاص : الذي يأتي بالقصة على وجهها كأنه يتتبع معانيها والفاظها . والقصة : الخبر وهو القصص . وقص على خبره يقصه قصا قصصا : اورده . والقصص : الخبر المقصوص ، بالفتح وضع موضع المصدر حتى صار اغلب عليه . والقصص ، بكسر القاف : جمع القصة التي تكتب .

وفي القاموس المحيط : قص اثره قصا وقصيصا تتبعه والخبر اعلمه ، نحن نقص عليك احسن القصص نبين لك احسن البيان ، والقاص من يأتي بالقصة . وما جاء في معجم الفاظ القرآن الكريم لا يزيد على هذا ففيه : قص الكلام او الاخبار ونحوها يقصها قصا وقصصا : تتبعها فرواها .

ويقال : قص القصص : روى الاخبار .

وقد عرف المستشرق اليهودي « جولد تسهير » القاص أو القصاص في كتابه المسمى دراسات اسلامية بأنه : الرجل الذي كان يجمع الناس حوله في الطرق او في المساجد من غير ان تكون له صفة رسمية ، فيعظهم حينا بذكر الاحاديث والاخبار المأثورة ، ويسليهم بالقصص والحكايات حينا آخر . وان الصفة الدينية

لحديثهم « أي القصاص » هي التي كانت تميزهم عن القصاص غير الدينيين الذين يجمعون الناس اليهم في الطرق ليسلوهم بالنوادر والمضاحك .

ويلاحظ على تعريف « جولد تسهير » انه : قصد به القصاص في الدولة الاسلامية ، اي بعد مجيء الاسلام في حين انهم كانوا موجودين في الجاهلية وان اختلف نوع القصص الذي كانوا يقصونه ، فقد شاع القصص بين العرب في الجاهلية ، وكان المحور الذي تدور حوله احاديثهم هي الحروب ، وايامها كيوم داحس والغبراء ، ويوم الفجار ويوم الكلاب ، ويوم ذي قار ، والهوى واخبار العاشقين ، والاشعار المنسوبة اليهم ، وعن السحر والكهانة ، واخبار الجن وغير ذلك مما يعبر عن عقلية العرب في جاهليتهم ويمثل ادبهم وحياتهم .

كذلك فان القصاص كانوا في الجاهلية يصحبون المقاتلين ويحرضونهم على القتال ويحمسونهم بقصصهم . وبعضهم استمر بفعل هذا بعد اسلامه مثل عمرو ابن معد يكرب وقيس بن هبيرة وشرحبيل بن السمط ، فقد ذكر ابو حنيفة الدينورى ان سعد بن ابي وقاص قبل لقاء القادسية جعل هؤلاء الثلاثة يثيرون عزائم الجند بقصائدهم وقصصهم لتحريضهم على القتال .

وهذا يدل على ان خلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمنعوا القصاص من القيام بهذا الدور وهو ما أخذ به من جاء بعدهم من الحكام ، فقد ذكر ان رجلا يسمى ابا العباس أحمد ابن ابي احمد الطبري المعروف بالقاص ، سمى بذلك لانه كان مع جيوش المسلمين في حروبهم للديلم والروم يحرضهم ويقص لهم .

أما فيما يتعلق بالتفرقة التي أوردها « جولد تسهير » بين انواع القصاص ، حيث قسمهم الى قصاص لهم الصفة الرسمية اي يكلفون برواية القصص من جانب الحكام ، وقصاص ليست لهم الصفة الرسمية ، ثم تقسيمه لهولاء الى قصاص دينيين يقصون القصص الديني ، وآخرين غير دينيين يسلون الناس بالنوادر والمضاحك على حد قوله ، فهو تقسيم صحيح .

ويمكن القول ان القصاص كانوا في اول الامر يقومون بهذا العمل ، تطوعا ، أي بصفة غير رسمية وبدافع من ايمانهم بالعقيدة الاسلامية ، وكان ميدانهم الرئيسي على ما سبق ان ذكرناه ، بين الجند وفي المعارك سواء في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، أو بعد انتقاله الى الرفيق الاعلى . ومع ذلك فان بعضهم كان يروي القصص في المدينة بين الغزوات ، وقد ذكر ابن الجوزي في كتاب القصاص والمذكرين ان النبي صلى الله عليه وسلم امتدح الخطباء الصالحين الذين يسمون القصاص . ويقول ايضا ان عمر بن الخطاب اجاز لتميم الداري ، او لعبيد بن عمير في رواية ان يقص على الناس .

وان كان للمقريزي رأي مخالف فهو يقول ان القصص والقصاص لم يكن في ايام الرسول صلى الله عليه وسلم ولا في زمن الخلفاء الراشدين ، وانما حدث في زمن معاوية ، وقبل خلافة عثمان ، وكان تميم الدارى قد استشار عمر بن الخطاب قبل ذلك ليقص على الناس فأبى عليه حتى كان آخر ولايته فأذن له ان يذكر الناس

في يوم الجمعة قبل ان يخرج عمر . فلما آلت الخلافة الى عثمان بن عفان استأذنه تميم فأذن له ان يذكر الناس يومين في الجمعة فكان تميم يفعل ذلك .

وفي رواية اخرى عن الحسن انه سئل : متى احدث القصص ؟ قال : في خلافة عثمان . فسئل من اول من قص ؟ قال : تميم الداري أما الخليفة الرابع علي بن ابي طالب فقد جاء في الاحياء للغزالي ، انه امر بطرد القصاص من المساجد ، ومنع الناس من الجلوس اليهم والاستماع الى قصصهم ، واستثنى الحسن البصرى لانه كان يسلك في قصصه مسلكا سليما . وفعل ذلك عبد الله بن عمر فاستعان على اخراجهم من المسجد بصاحب الشرطة .

يكاد الاجماع ينعقد على ان اول من استعمل القصاص بصفة رسمية هو معاوية بن ابي سفيان بعد ان آلت اليه الخلافة ، واول من اصدر اليه معاوية امره بقص القصص هو « تميم الدارى » ، الذي كان يقوم بهذا العمل في آخر خلافة عمر بن الخطاب وخلافة عثمان بن عفان على سبيل التطوع ، فلما عهد اليه معاوية بأمر القصص على الناس ، اخذ يروي قصصه في المساجد اذا فرغ المصلون من صلاة الصبح وفي المجتمعات في غير اوقات الصلاة . وما لبث معاوية ان عهد الى القضاة في الامصار بمهمة القصاص : فقد روى الكندى في كتابة « القضاة » ان كثيرا من القضاة كانوا يقومون بمهمة القصاص الى جانب مهنة القضاء بأمر الحاكمين ، وان أول من قص بمصر « سليمان بن عمر التجيبي » سنة ٣٨ هـ . وولاه معاوية أمر القضاء الى جانب القصص ، ثم لم يلبث ان عزله من القضاء وخصصه للقصص لا غير .

الا ان المقريزي يرى ان تولى القاضي للقصص لم يحدث الا في مصر ، فلم يتم الجمع بين القضاء والقصص الا فيها ويفسر هذا الوضع الفريد بقوله : انه من المحتمل ان يكون نظاما من انظمة الكنيسة المصرية . ومما لا شك فيه ان استحداث معاوية لوظيفة القصاص ينم عن فطنة وبعد نظر ، فقد ادرك ما لعملهم هذا من أهمية وما لدورهم من أثر واضح ، يشبه الى حد كبير الاثر الذي تحدثه وسائل الاعلام من اذاعة وتليفزيون وصحف في الدول المعاصرة .

وقد وجد في هذه الفترة ، فضلا عن القصاص الرسميين وغير الرسميين الذين يقصون القصص الديني ، قصاصون من نوع آخر ، يروون اخبار الامم الماضية في القصور وعلى اسماع الخلفاء ومن هؤلاء عبيد بن شرية الجرهمي الذي قيل : انه روى اخبار الملوك العرب من لخم وغسان لمعاوية بن ابي سفيان الذي كان قد استحضره من صنعاء اليمن الى دمشق ليروى اخبار الامم الماضية واستمر عبيد يقوم بهذا العمل الى ايام عبد الملك بن مروان ، وله كتاب الملوك وأخبار الماضين .

كذلك كان عمر بن عبد العزيز يحضر مجلس القصاص ثم خست هذه الصناعة فتعرض لها الجهال فبعد عن الحضور والظاهر ان وظيفة القاص اصبحت في العهدين الاموي والعباسي من الوظائف السامية التي يسعى الى شغلها علية القوم فقد جاء في لسان العرب لابن منظور وقيل : اراد الخطبة لان الامراء كانوا يلونها في

الاول ويعظون الناس فيها ويقصون عليهم اخبار الامم السالفة .

ويبدو ان المبدأ الذي وضعه معاوية بن ابي سفيان والذي يقضي بتشجيع القصاص باعتبارهم وسيلة من وسائل اعلامه ، طبقه خلفاؤه من بعده ، فشجعوهم بدورهم حتى تضاعفت اعدادهم وانتشروا في كل مصر من امصار الدولة الاسلامية . فلما سقطت دولة بني امية وآل الحكم الى بني العباس ، لم يشأ هؤلاء وبالذات الخلفاء الأول ، ان يواجهوا ظاهرة القصاص التي اصبحت تمثل خطرا على الاسلام ، بل ارخوا لهم العنان وتركوهم يصولون ويجولون في انحاء الدولة ولم يعد القاص يجمع بين منصب القضاء وقص القصص فحسب ، بل جرى الجمع ايضا بين قراءة القرآن والقصص . فكان من يقرأ القرآن بالمسجد يقص القصص أيضا .

وقد كثر القصاص بالعراق حتى حكى ابن عوف (المتوفي عام ١٥١ هـ) انه في مساجد البصرة كان لعلماء الفقه حلقة واحدة ، على حين كان للقصاص حلقات لا تحصى ، حتى كانت المساجد مملوءة بهم وفي بغداد ابتكر احد القصاص ، وهو موسى بن سيار الاسوارى ، طريقة جديدة في القصص اذ كان يجلس وعن يمينه العرب ، وعن يساره الفرس ، فيقص لهؤلاء بالفارسية ولأولئك بالعربية . وكان له قريب يدعى عمرو بن قائد الاسوري كان قاصا مثله وظل يقص ستا وثلاثين سنة وكلاهما عاش في القرن الثالث الهجري . ثم انتشروا في آسيا الوسطى وفي غيرها من الامصار .

أما في الحجاز فكانوا نادرين ويحكى عن مالك بن انس انه منعهم من دخول مسجد الرسول بالمدينة . وكانوا ايضا قليلين في المغرب ، حيث كان يغلب على الناس العناية بالحديث والامانة في روايته ، حتى يقول المقدسي : ان اهل المغرب لا يعرفون الا كتاب الله وموطأ مالك .

ويقول « جولد تسهير » ان القصاص لم يلقوا معارضة من احد وخاصة من العلماء ، ولم يضايقهم احد في ادائهم لهذه المهمة ، اي رواية القصص . واذا كان ذلك صحيحا في عهد الدولة الاموية وبداية عهد الدولة العباسية ، الا ان سبب صحته ليس هو الذي قال « جولد تسهير » وهو :

« انهم كانوا عنصرا مكملا في الحياة الدينية الاسلامية » فهذا القول منه محض افتراء ، لان القصاص لم يكونوا في يوم ما عنصرا مكملا في الحياة الدينية الاسلامية ، بل الصحيح انهم كانوا عنصر هدم لهذه الحياة بما كانوا يروجونه من اسرائيليات واساطير وخرافات واكاذيب اساءت اشد الاساءة للاسلام وما زالت تسيء اليه ، وهو ما سوف نبينه عندما نتناول دور القصاص في نشر الاسرائيليات .

اما السبب الصحيح لعدم معارضة العلماء للقصاص ، فهو الصفة الرسمية او شبه الرسمية لهؤلاء في عهد الامويين وقيامهم بالدعوة لهم وترويج افكارهم ونشر آرائهم في خصومهم السياسيين .

واستمر هذا الوضع في عهد الدولة العباسية ومع ذلك فاننا نجد الحسن بن على

رضي الله عنهما في العهد الاموي ينكر على قاص صادفه يقص القصص قوله عن نفسه انه قاص ودعاه الى ترك رواية القصص . وكذلك سالم بن عبد الله بن عمر الذي لم يكن يحب ان يستمع الى قاص الجماعة . اما في عهد الدولة العباسية فانه فضلا عما فعله الامام مالك في المدينة ، فإن العلماء وبالذات ائمة المذاهب فعلوا مثله في بغداد عاصمة الخلافة ، فقد هاجمهم ابو حنيفة وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين والغزالي وغيرهم ممن لمسوا عن كثب خطورة الدور الذي يلعبه القصاص . وفي هذا يروى ان احمد بن حنبل ويحيى بن معين اديا ـ الصلاة بمسجد الرصافة ، فقام بين ايدي المصلين قاص ، فقال : عن انس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا اله الا الله خلق الله من كل كلمة طيرا ، منقاره من ذهب ، وريشه من مرجان ، ومضى يعدد اشياء غريبة وكائنات عجيبة يخلقها الله من كلمات لا اله الا الله فجعل أحمد بن حنبل ينظر الى يحيى بن معين ، وهذا ينظر اليه ، ثم سأله : انت حدثته بهذا ؟ قال : والله ما سمعت بهذا الا الساعة ، فلما انتهى القاص اشار له يحيى ، فجاء متوهما انه سيمنحه مالا ، فسأله يحيى من حدثك بها ؟ قال احمد بن حنبل ، ويحيى بن معين ، فقال له أنا يحيى وهذا أحمد ، ما سمعنا بهذا قط في حديث رسول الله ، فإن كان ولا بد فعلى غيرنا ، فقال القاص : لم ازل اسمع ان يحيى بن معين ، واحمد بن حنبل احمقان ، ما تحققته الا الساعة ، فقال له يحيى : وكيف ؟ قال : كأنه ليس في الدنيا احمد بن حنبل ويحيى بن معين غيركما ؟

لقد كتبت عن سبعة عشر احمد بن حنبل ، ويحيى بن معين : فما كان منهما الا ان رضيا من النقاش بالسلامة .

ليس ذلك فحسب ، بل ان الشعراء انفسهم لم يترددوا في تحذير الناس من القصاص بعد ان تمادوا في غيهم وهددوا بنشاطهم العقيدة الصحيحة وتسلطوا على الناس يتلاعبون بعقولهم ، فها هو ذا ابو دلف الخزرجي شاعر الملح والطرف والذي الف قصيدة مشهورة تسمى القصيدة الساسانية بين فيها اصناف المكدين والمخرقين والمحتالين من اسوأ طراز فسمى فيها القصاص فقال ؟

ومن قصص لاسرائيل أو شبرا على شبر

وكانوا يطلقون على الحكايات القصار الشبريات للتمييز بينها وبين القصص ، ويقول ابن منظور في « لسان العرب » ج ٣ ص ١٠٢ : « وفي الحديث لا يقص الا أمير أو مأمور او مختال ، اي لا ينبغي ذلك الا لأمير يعظ الناس ويخبرهم بما مضى ليعتبروا ، وأما مأمور بذلك فيكون حكمه حكم الامير ولا يقص مكتسبا ، او يكون القاص مختالا يفعل ذلك تكبرا على الناس أو مرائيا يرائي الناس بقوله وعمله لا يكون وعظه وكلامه حقيقة . وفي الحديث . ان بني اسرائيل لما قصوا هلكوا وفي رواية : لما هلكوا قصوا ، أي اتكلوا على القول وتركوا العمل فكان ذلك سبب هلاكهم ، او العكس لما هلكوا بترك العمل اخلدوا الى القصص »

كذلك فانه لما كثر عدد القصاص وزاد طمعهم ، اشتد الصراع فيما بينهم

واحتدمت المنافسة ، وتفشى الحقد والبغضاء بينهم فصاروا يكيدون لبعضهم بعضا حتى اصبح من الامثال الجارية ان القاص لا يحب القاص ويصور ابن قتيبة تأثيرهم على قلوب العامة قائلا : « كانوا يميلون وجوه العوام اليهم ، ويستدرون ما عندهم بالمناكير والغريب ، والاكاذيب من الاحاديث . ومن شأن العوام القعود عند القاص ، ماكان حديثه عجبا خارجا عن فطر العقول او كان رقيقا يحزن القلوب ويستفز العيون ، فاذا ذكر الجنة قال : فيها الحوراء من مسك او زعفران ، وعجيزتها ميل في ميل .. الخ . »

ولما استفحل خطر القصاص امر الخليفة العباسي في عام ٢٧٩ هـ بالنداء في مدينة السلام (بغداد) الا يقعد في الطريق ولا في المسجد قاص ولا منجم ولا عراف ، وجدد هذا الامر في عام ٢٨٤ هـ . ثم بطل نظام الجمع بين المنصبين ، القضاء والقصص ، وارتفع شأن منصب القضاء ، وانحط منصب القاص ، بل وبطل ايضا الجمع بين قراءة القرآن والقصص ففي عام ٣٠١ هـ اراد ابو بكر الملطى الذي تولى القصص في هذه السنة ان يقرأ القرآن ويقص في كل يوم ، فمنعه القاضي من ذلك ، فرجع القاضي الى القراءة في ثلاثة أيام وترك القصص .

ومع ذلك فقد بقى القصاص غير الرسميين يمارسون نشاطهم . وفي القرن الرابع الهجري نزلوا الى غمار العامة ، وصاروا يقصون لهم القصص الديني والاساطير والنوادر في المساجد والطرق وينالون منهم مالا كثيرا . وكان يجتمع اليهم الرجال والنساء فيرفعون اصواتهم بالدعاء ويمدون ايديهم .

وفي اواخر القرن الرابع كان القصاص اكثر مثيري الفتن القديمة بين اهل السنة والشيعة ، وكان من نتيجة ذلك ان فقدوا كل ثقة من جانب اهل التقى والصلاح ، وبدأت الثقة تتحول عنهم الى طائفة خلفتهم هي طائفة المذكرين ، ويسمى مجلسهم مجلس الذكر .

وعلى الرغم من موقف الخلفاء العباسيين منهم ، اي من القصاص ، وعداء العلماء لهم ، الا انهم لم يكفوا عن القيام بنشاطهم ، بل ونوعوا في اساليبهم وفي الموضوعات التي يقصونها للناس ففي القرن السادس الهجري كما يقول ابن الجوزي : « انهم تلمحوا ما يزعج النفوس ويطرب القلوب فنوعوا فيه الكلام فتراهم ينشدون الاشعار الرائقة الغزلية في العشق .. ومنهم من يتحرك الحركات التي يوقع بها على قراءة الالحان ، والالحان التي قد اخرجوها اليوم مشابهة للغناء فهي الى التحريم اقرب منها الى الكراهية والقارىء يطرب والقاص ينشد الغزل مع تصفيق بيده وايقاع برجليه فتشبه السكر ويوجب ذلك تحريك الطباع وتهييج النفوس وصياح الرجال والنساء وتمزيق الثياب من دفائن الهوى ..

ومنهم من يتكلم بالطامات والشطح الخارج عن الشرع ويستشهد باشعار العشق وغرضه ان يكثر في مجلسه الصياح ولو على كلام فاسد ، وكم منهم من يزوق عبارة لا معنى تحتها واكثر كلامهم اليوم في موسى والجبل وزليخا ويوسف ولا يكادون يذكرون الفرائض ولا ينهون عن ذنب ، فمتى يرجع صاحب الزنا ومستعمل

الربا وتعرف المرأة حق زوجها وتحفظ صلاتها . »
ويقول : « ومن القصاص من يخلط في مجلسه الرجال والنساء وترى النساء يكثرن الصياح وجدا على زعمهن فلا ينكر ذلك عليهن جمعا للقلوب عليه ، ولقد ظهر في زماننا هذا من القصاص ما لا يدخل في التلبيس لانه امر صريح من كونهم جعلوا القصص معاشا يستمنحون به الامراء والظلمة والاخذ من أصحاب المكوس والتكسب به في البلدان ، وفيهم من يحضر المقابر فيذكر البلى وفراق الاحبة فيبكي النسوة ولا يحث على الصبر . . »

وهكذا نلاحظ على العكس مما ذهب اليه « جولد تسهير » ان العلماء لم يكفوا عن معارضة القصاص والتحذير منهم ومن نشاطهم الضار واساليبهم الماكرة في اجتذاب الناس اليهم والاستيلاء على اموالهم وافساد عقولهم . واذا كانوا فيما شنوه من حملات عليهم لم يحققوا نجاحا ملحوظا فان ذلك لا يرجع الى تقصير في جانبهم او قصور في وسائلهم بقدر ما يرجع الى احوال المسلمين في تلك العصور ، حيث كانت مجتمعاتهم في حالة من التفاعل الشديد بين عناصر ثقافية قديمة واخرى جديدة ، او هي قديمة ولكنها تعد جديدة بالنسبة لمن وفد من العرب الى الاقاليم المفتوحة ، وقد وجد القصاص ووجدت القصة كذلك سبيلها الى البناء الثقافي للامة الاسلامية الذي كان في طور النمو .

ولعلنا لاحظنا فيما ذكره ابن الجوزي التطور الهام الذي اصاب رواية القصص في القرن السادس الهجري ، حيث اصبحت تصاحبها ايقاعات بالاقدام وتصفيق بالايدي ، مع الغناء اي ان القاص لم يعد ، كما كان في السابق ، يقص القصص كما لو كان يقرأ من كتاب ، او حتى كما لو كان يتكلم كلاما عاديا ، وانه اصبح يردد غناء مصحوبا بالايقاع بالاقدام التي تدق الارض - وبالايدي التي تصفق ، وفي مرحلة تالية اضاف القصاص الى الايقاع ، انغام آلة الربابة التي تصاحب غناءهم للقصص وهو ما نراه حتى اليوم في الريف المصري ، حيث ينتقل الراوي - اي القاص - بين القرى والنجوع يعزف على ربابته ويقص القصص فيتجمع حوله الرجال والنساء والاطفال يستمعون الى قصص عنترة والزناتي خليفة والزير سالم ، كما يروي السيرة النبوية بطريقة تذكر بما كان يفعله سلفه في القرون الهجرية الاولى من اللجوء الى الاسرائيليات وذكر الاساطير والخرافات . ومع ذلك فانه يمكن القول ان تأثيرهم في العامة آخذ في الضعف الى ان ينعدم ، اوبالاحرى الى ان ينقرضوا خاصة بعد ان اقبل هؤلاء على التعليم واقتنوا اجهزة الاستقبال الاذاعي والمرئي فلم يعودوا بحاجة الى الاستماع للقصاص . ولكن ما يزال للاسرائيليات التي طالما روج لها هؤلاء باب واسع تنفذ منه الى العقول ، هذا الباب هو كتب التفسير والكتب المسماة بقصص الانبياء وقصص القرآن التي تستمد معظم مادتها من الاسرائيليات ، فلعل الهيئات المسئولة في الدول الاسلامية تقدم على هذه الخطوة التي طالما دعا اليها المخلصون من علماء هذه الامة ، الا وهي تخليص تلك الكتب مما علق بها من شوائب واعادة طبعها بعد تطهيرها من خرافات واساطير واكاذيب اليهود .



الهجرة تحول حاسم على طريق الدعوة

للاستاذ
محمد حسن عبد العزيز

الهجرة النبوية من مكة الى المدينة لم تكن عملا ارتجاليا عشوائيا ، وانما كانت عملية مخططة ذات اهداف محددة بكل ما يعنيه التخطيط من تكامل في الانشطة لتحقيق هدف عام محدد سلفا ، ويواجه المستقبل بتكتيكات مرحلية واضحة العناصر والامكانيات الواجب استخدامها في مراحل زمنية محددة او بمعنى ربط الاهداف بالوسائل المتاحة المستخدمة مع محاولة التحكم في الاحداث باتباع سياسة مدروسة وحساب دقيق لكل عوامل الاخفاق والنجاح .

اما الهدف المحدد سلفا فكان انتقال النبي عليه الصلاة والسلام واصحابه من مكة الى يثرب وكانت الخطة ان يخرج جماعة المؤمنين ثم يلحق بهم نبيهم بطريقة لا تسمح

لكفار قريش ان يلحقوا بهم او به .

قضى النبي عليه الصلاة والسلام في مكة ثلاثة عشر عاما يدعو الى ربه ويعرض نفسه على القبائل في موسم الحج ـ فلم يؤمن به الا نفر قليل من الفقراء والمستضعفين ، وقد اخذت طواغيت قريش من الدعوة موقفا مؤسفا ـ قابلوا الحكمة والموعظة الحسنة بالاهانة والتنكيل وواجهوا الدعوة بالتي هي احسن ـ بالصد والتكذيب والانكار ـ فبعد ان بدأ القرآن يوجه نقده الشديد لمجتمع مكة وطعنه لنظمهم الاقتصادية والاجتماعية ويصفها بالجور والفوضى ، ويعيب عليهم الضلال والجهل والظلام الذي يغوصون فيه الى الاعماق ، خشى هؤلاء ان يستجيب الناس له فتضيع مكانتهم بين القبائل بكل ما تتيحه لهم من مظاهر الترف والانغماس في الشهوات والملذات ، فلجأوا الى اسلوب الملاينة والمساومة بالمال وبالملك لكنه ردهم ردا مفحما رافضا كل عرض زائل عرضوه عليه ـ كان حاسما في اشد الاوقات طلبا للحسم والقطع فامور العقيدة لا تقبل المساومة ولا تعرف الالتقاء في وسط الطريق ، فلا مجاملة ولو في شيء قليل لانها كل لا يتجزأ ، ونزلت آيات الوحي تفضحهم وتبين حقيقتهم :

(ودوا لو تدهن فيدهنون) القلم / ٩

واصبحت الهجرة ضرورة حتمتها الظروف وقد بلغ الحقد الاعمى بالمشركين ذروته ، وغاظهم ان تفلت جماعة المؤمنين ايديهم ، واذن فلا بد من القضاء على محمد لأنهم ان قتلوه قتلوا أمة باسرها وقضوا على الدعوة في مهدها ، وبالتالي يكون وجود المهاجرين في المدينة بلا فائدة ، فقر قرارهم على ان تمثل كل القبائل وبينما هو نائم يضربونه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه في القبائل ولا يستطيع بنو هاشم على عداء قومهم جميعا .

وكانت ضرورة اقتضتها ظروف الدعوة في مواجهة اعدائها خروجا مؤقتا من ارض لا تصلح لانطلاق الدعوة الى ارض ارحب واوسع ، تجد فيها الامان وحرية العقيدة وتحقق لجماعة المؤمنين القوة المادية القادرة على رد اعتداء الاعداء المتربصين .

لم تكن الهجرة اذن من اجل عيش هانيء ولا فرارا من التعذيب او من مواجهته وانما كانت انتقالا مؤقتا لوطن جديد من تصميم مؤكد على العودة للوطن الاصلي .

كذلك كانت الهجرة في مفترق الطريق بين عهد تثبيت الدعوة والعقيدة وتكوين الصف الاول ، وعهد تأسيس امة الاسلام كنموذج يحتذى به وينسج على منواله ، ومفترق الطريق بين عهد مقابلة الاساءة بالاحسان وعهد مقابلة الاساءة بالاساءة دون تجاوزها .

ومع استقبال هلال المحرم تتجه القلوب مفعمة بأنبل الاحاسيس الى تلك المدينة الخالدة التي فتحت ذراعيها وقلبها للداعي وللدعوة ولجماعة المؤمنين ، تحميهم وتكفل لهم حرية العقيدة وتتيح للداعي المناخ المباشر لنشر الاسلام في امان

واطمئنان ، حتى يحين له ان يعود الى مسقط رأسه .

واذا كنا نقول بأن الهجرة النبوية كانت تعتمد على تخطيط محكم وحساب دقيق لكل العوامل فان هذا لا يتأتى الا بتوحيد القوى ، واتخاذ الحيطة الكاملة اثناء الرحلة مع اجتناب كل عوامل الاخفاق لتحقيق الهدف ، ولذلك اجدني في حاجة الى ابراز بعض النقاط التي تساعدنا على توضيح الاطار العام لخطة الهجرة وهدفها من دراسة المناخ العام الذي كان يحيط بها .

اولا : موقع المدينة « يثرب »

تقع بين حرة واقم الى ناحية الشرق ، وحرة الوبر الى ناحية الغرب ، وتبعد عن مكة بمسيرة احد عشر يوما في طريق الشمال ، وتقدر مسافتها بنحو ٣٣٥ كيلو مترا على خط مستقيم وتشغل منخفضا تحيطه التلال من ثلاثة جوانب ومستواها نحو ٧٠٠ متر فوق سطح البحر الاحمر أما جزؤها الجنوبي فاكثر الجهات استواء وان وجدت به بعض المرتفعات .

ويوجد الى شمالها جبل أحد ومن ورائه جبل ثور والى الجنوب جبل عير .

وتمتاز هذه المنطقة بخصوبتها حيث تنتشر فيها العيون والابار وتكثر الزراعات بالاضافة الى اشتغال اهلها ببعض اعمال التجارة والصناعة .

وسميت باسم « يثرب » نسبة الى زعيم العماليق ، كما هو وارد في النقوش السبئية وما رواه الجغرافيون القدماء ، وعرفت ايضا باسم طيبة والمدينة المنورة بعد الهجرة .

ثانيا : الملامح البشرية

● ـ القبائل العربية :

وتتألف اساسا من قبيلتين ، الأوس والخزرج ، وهما قبيلتان ازديتان في الاصل من عرب الجنوب ، هاجروا من اليمن على اثر انهيار سد مأرب واشتداد الجفاف ؛ ولجأوا الى هذه المنطقة بحثا أو جريا وراء المأوى والكلأ ، وكان ذلك في القرن الثاني قبل الميلاد ، لكنهم مع ذلك كانوا على خلاف شديد وحروب مستمرة حصدت منهم اعدادا هائلة لاتفه الاسباب .

● ـ قبائل يهود

ويرجع تاريخ قدومهم الى هذه المنطقة الى القرن الخامس قبل الميلاد ، حيث تسربوا هربا من الاسر البابلي ، فقدموا من بلاد الشام واستوطنوا الاماكن الخصبة شمال الحجاز حول يثرب « فدك ، وتيماء ، ووادي القرى ، وخيبر » والمعروف عن اليهود منذ اقدم العصور ميلهم الى العزلة والانطواء وعدم الاندماج وسكنى احياء خاصة بهم سميت احياء اليهود او حواري اليهود

« الجيتو » والاشتغال بحرف لا يشاركهم فيها غيرهم تتصل اساسا بشئون المال والاقتصاد ، وكانت يثرب في هذا الوقت تمثل مركزا تجاريا هاما لوقوعها في طريق القوافل بين مكة والشام .

ونظرا لوجود خلافات شديدة ، بين القبائل العربية ، فقد اصبح المجال مناسبا لهم ، لذلك نجدهم قد تجنبوا الحيرة وغسان ، تحاشيا لسلطة الرومان عليها ، كما ابتعدوا عن نجران خشية الانتقام منهم عما فعلوه بالمسيح ابن مريم ، أما اليمن فكانت مسرحا للصراع المشتعل بين الفرس والحبشة ، أمّا مكة فمن العبث أن يفكروا فيها باعتبارها العاصمة الدينية للعرب جميعا ونفس الشيء بالنسبة للطائف لقربها الشديد من مكة . لذلك احتلوا الاماكن المرتفعة وفي عمق وجدانهم عقدة اليهودي التائه وفي يقينهم ان العرب سينتبهون حتما الى وجودهم وانهم سيرفضونه ، الامر الذي جعلهم يحملون مساكنهم الى اطم وحصون للتحصين بها اذا نشبت الحرب المنتظرة بينهم وبين العرب .

ومن اشهر هذه القبائل : « بني قينقاع ، وبني النضير ، وبني قريظة » .

ثالثا : الحالة العامة في يثرب :

كما رأينا الخلافات على اشدها بين الاوس والخزرج لاسباب تافهة مع انهم ابناء عمومة ، يقول السمهودي « أنه وقعت بينهم حروب كثيرة لم يسمع قط في قوم غيرهم اكثر منها ولا اطول » - وذكر من حروبهم : « حرب سمير ، حرب كعب بن عمر ، وحرب خضير بن الاسلت ، وحرب حاطب بن قيس ، وكانت اخر حروبهم قبل الهجرة يوم بعاث » وعن طريق الدس والوقيعة استغل اليهود الخلافات الموجودة بين الاوس والخزرج فآلوا على انفسهم الا ان تزداد نيران الحرب يوما بعد يوم فيتفرغون لجمع المال وشراء العقار وحفر الآبار وتربية الماشية وتجارة الذهب والفضة والنسيج والاقراض بالربا ، ثم يتدخلون شيئا فشيئا في اقتصاديات البلاد ويسيطرون على مقاليد السلطة السياسية يوجهونها كما يشاءون لتحقيق مآربهم .

وقد مكنتهم سكناهم للاماكن العالية من التحكم والسيطرة على موارد المياه وحبسها اذا قل المطر ، كما انهم يفاخرون العرب بادعاء انهم اهل كتاب وانهم شعب الله المختار وان كل ما عداهم نجس لا يرقى الى مستوى الحيوان ، ولا يجوز له دخول ملكوت السموات .

ولم نسمع قديما ولا حديثا ان واحدا من معتنقي الديانات الاخرى قد تهود ، ويرجع سبب ذلك الى قسوة التعقيدات والطقوس التلمودية والتكاليف الصعبة .

وبهذا الاسلوب تحكم اليهود في يثرب ، وان كان لا ينكر ان العنصر العربي ضاق بوجودهم حتى بات الصدام محتما ينتظر الشرارة الاولى .

فالحالة العامة في يثرب كانت مضطربة تغوص الى الاعماق في الخلافات والحروب ، كلما خمدت نار الحرب أججها اليهود من جديد ، فاذا انتشرت بشائر مبعث النبي الخاتم استغلها يهود في توعد العرب بالانضمام اليه ومحاربتهم معه وقتلهم قتل عاد وإرم .

وقد اراد الله تعالى أن يجعل من اعداء الدين الجديد خير دعاية له . فقد انتظر الاوس والخزرج مبعث النبي الجديد وصمموا على ان يكونوا اسبق من اليهود في الايمان به والانضمام اليه فيتوحدون تحت قيادته حسما لخلافاتهم المستمرة وتوجيه شئون بلادهم لما فيه مصلحتهم ، ولعل ابرز توضيح لهذا المعنى ما قاله وفد الخزرج للنبي عليه الصلاة والسلام يوم العقبة : « انا قد تركنا قومنا وبينهم من العداوة والشر ما بينهم ، وعسى ان يجمعهم الله بك ، فسنقدم عليهم فندعوهم الى امرك ونعرض عليهم ما اجبناك اليه من امر هذا الدين فان يجمعهم الله عليك فلا رجل اعز منك » .

خطة الهجرة :

لم يبق في مكة من جماعة المؤمنين غير النبي عليه الصلاة والسلام وابي بكر في انتظار اذن السماء لهما بالهجرة ، وغير علي بن ابي طالب الذي تنتظره مهمة خاصة .

وفي الليلة الموعودة استل النبي من بين المتربصين بدارة ، وقد اعماهم الله وغشيهم السبات العميق ، وينام علي في فراشه في مهمة لا يقوم بها غيره وفي سبيل ما هو افضل من حياته ذاتها ، فهو من آل البيت ويعلم كل دقائقه ، وتلك لفتة من التخطيط السليم الذي انتهجه النبي حتى لا يثير دخول رجل غريب الى البيت في الليل الشك في نفوس المشركين وليحافظ في نفس الوقت على سرية الهجرة ، ومنع ارتياب المشركين في الامر .

ولاحت خيوط الفجر في الافق ترفع صفحة الظلام الذي غشى الكون ، فانزاحت الظلمة وبدت الحقيقة المغطاة مع اشعة النور ؛ فالمضطجع على الفراش ليس محمدا ، وعلي ينظر الى فتيان قريش بنظرات يفهمون معناها ومغزاها ، وشفتاه تنضح عن بسمة رقيقة مطمئنة على نجاح الهجرة بينما يأكلهم الغيظ والدم يغلي في عروقهم .

وكان النبي تحت جنح الظلام قد اتجه مع صديقه ابي بكر الى غار ثور في اتجاه الجنوب عن طريق الغرب والمعلاه الشمالي وهما اقرب منه الى المدينة ، ويبعد غار ثور عن مكة نحو خمسة كيلو مترا ونصف الى جنوب الجنوب الشرقي ويبلغ ارتفاعه ٧٥٩ مترا فوق سطح البحر ، والطريق

الموصل اليه شاق وعسير لكثرة الوعورة وشدة الانحدار حتى أن النبي لم يصل إليه الا بعد أن أدميت قدماه وسالت منها الدماء وبقيا فيه ثلاثة ايام كجزء من الخطة المعدة لضمان سلامة الهجرة ، ليكون دائم الاتصال باحوال قريش وتدابيرها ، تأتيه المعلومات عن طريق اسماء ومحمد ولدي ابي بكر .

وان استطاع قصاصو الاثر من الوصول الى باب الغار الا انهم اغفلوا عن البحث في داخله لما هو معروف من قصة نسيج العنكبوت والحمامتين الوحشيتين اللتين باضتا بجواره ، مما اوحى اليهم باستحالة دخول المهاجر العظيم الى هذا الغار ، وفي هذا يقول القرآن الكريم : (**إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فانزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم**) التوبة / ٤٠

وبعد الايام الثلاثة خرجا من الغار في اتجاه المدينة من طريق غير مألوف ؛ من ناحية الغرب الى طريق الساحل بين اودية من السفوح ، عرجا منه شمالا ليتجنبا مناطق الاستقرار ويستفيدا في نفس الوقت من موارد المياه ، ثم اتجها شمالا مارين باسفل - عسفان ثم بامج - ثم اجازا قديدا ثم سلكا الخرار حتى بلغا الجحفة ثم سارا في المنطقة الجبلية حتى وصلا المدينة لمسافة تقدر بنحو ٣٣٥ كيلو مترا .

والى هنا تكون خطة الهجرة قد نفذت بكل مراحلها كأحسن ما يكون تنفيذا للخطة المدروسة من حيث السرية واستطلاع اخبار العدو وخططه لتجنب كل عوامل الاخفاق مع الاستفادة الكاملة بالامكانيات المتاحة .

وما اشبه اليوم بالبارحة .

** يهود الامس قدموا الى يثرب . واستقروا فيها زمنا ينهبون الثروات ويتحكمون ويستطلعون في المرافق ويوجهون دفة الحياة لما يخدم مصالحهم . وعن طريق الدس والوقيعة اوقعوا الخلافات بين ابناء العمومة بينما هم في موقف المتفرج الذي يميل مع الهوى ضد المغلوب .

* ويهود اليوم احتلوا فلسطين . بينما العرب تطحنهم الخلافات . فلم ينتبهوا للخطر الداهم فاذا تنبهوا كانوا قليلي الحيلة ممنوعي الوسيلة ليس امامهم الا الامر الواقع ، اما ان يقبلوه واما ان يوحدوا جهودهم لازالته واقتلاعه .

** وفرق كبير بين هجرة وهجرة .

* محمد عليه الصلاة والسلام هاجر الى قوم دعوه ولم يطلب منهم ترك وطنه ومسقط رأسه حتى انه لم يتمالك نفسه وهو يودع مكة ليلة الهجرة فانطلق لسانه وكله الم قائلا « والله إنك احب ارض الله الى الله وإنك احب ارض الله الي ولولا أن اهلك اخرجوني منك ما خرجت » وما كانت هجرته من اجل

شيء من متاع الدنيا وانما كانت في سبيل الله اعلاء لدينه الذي اراده للبشرية هاديا من الجهل والضلال والفوضى والظلام ليرسي قواعد الحق والعدل والمساواة .

لم يهاجر ليحارب عقيدة اخرى يختلف معها وانما كفل حرية العقيدة للكل ، لم يرفع سلاحا وانما كان سلاحه الكلمة الطيبة والموعظة الحسنة والدعوة بالتي هي احسن .

** اما يهود فقد هاجروا من اجل احتلال الارض وطرد السكان الاصليين واستنزاف الثروات والتدخل في شئون البلاد ورفض كل عقيدة تخالف عقيدتهم ، مهدرين كرامة الانسان وحرمة الاديان ، وهدموا الكنائس والمساجد واحرقوا بيت المقدس وحولوه الى صالة للرقص والفجور وحمام للسباحة .

* محمد لم يهاجر من اجل عيش هانىء وانما كانت هجرته حلقة في سلسلة نضال طويل ومتصل من اجل اعلاء راية التوحيد ، وفي ذهنه أن يعود يوما من الايام الى وطنه ومسقط رأسه .

* وهم هاجروا من اجل التسلط بالحديد والنار لاغتصاب ارض قالوا انها وطنهم المزعوم ، وافتروا انهم الشعب المختار المستحق وحده للحياة .

النبي في المدينة

لما وصل المهاجر العظيم الى يثرب وجد الاسلام قد انتشر فيها على ايدي الطليعة الموفقة واستقبله اهلها استقبالا يليق بمقامه ، ومن بين المستقبلين جماعة يهود وبعض من اعتنقوا الاسلام ولا تزال الوثنية تراود عقولهم وعلى رأسهم عبد الله بن ابي ، وبدأ على الفور في تنظيم المجتمع الاسلامي ليكون النواة والمثل الذي يحتذي به بعد ذلك .

وكان الاسلام يمر بمرحلة حرجة من حياته ، واعداؤه في داخل المدينة وخارجها يتربصون به ويتحينون الفرصة للانقضاض عليه .

وان المجتمع الجديد كان في أمَس الحاجة الى تشريع جديد ينظم حياتهم ويحوطهم بالرعاية والحماية ويكفل لهم التناصر والتكافل ، لحماية هذا المجتمع الوليد من عوامل التفكك والاختلاف .

* وحتى يتناسى الاوس والخزرج خلافاتهما ، وحدهما معا تحت لقب الانصار اي الذين نصروا الله ورسوله . ثم جمع المهاجرين معهم في اخوة في حكم اخوة الدم .

* تشمل التوارث والالتزامات الاخرى الناشئة عن وشيجة النسب كالديات وغيرها ، وتلك صلة فريدة في تاريخ التكافل غير مسبوقة حتى بين اصحاب العقائد .

وقد استمر العمل بهذه الوشيجة الاخوية الاستثنائية الى ان استقرت الامور بعد غزوة بدر واستتب الامر والامن ، وتوفرت اسباب الارتزاق ، واصبحت الظروف الاستثنائية غير قائمة ، فنزلت آيات الوحي تبطلها

وتستبقي فقط نواحي التعاطف والتعاون والتناصر ، كما اقرت الابقاء على باب التكافل عن طريق الهبة والوصية وهو باب مفتوح لمن اراد ان يقدم برا او معروفا ، وهو كذلك اوسع نطاقا واشمل من نظام التوارث .

ثم بدأ ببناء مسجد بسيط بساطة الاسلام ذاته ، متواضع في كل شيء بلا تكلف ، فراشه من الرمال والحصباء وجدرانه من اللبن ، وسقفه من جريد النخيل واعمدته من جذوعها ، وفيه يجتمع الجميع يتدارسون امور دينهم ودنياهم ويقيمون الشعائر التي طالما حوربت ، ليستشعروا معنى العبودية لله وحده ، وتتهذب نفوسهم ، وتصقلهم الطاعة والنظام فينعكس ذلك على علاقاتهم ، وصار المسجد منذئذ مصدر التوجيه الروحي والمادي وفيه تخرج أئمة العلم وقادة الجيوش وزعماء الاصلاح .

وقد اثنى القرآن الكريم على هذا الموقف النبيل باعتباره الصورة الحية والمثل المشرق للمؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم ، فرابطة العقيدة اقوى من رابطة الدم والنسب والجنس ، انه صدق الايمان من جانب المهاجرين الذين تركوا الاهل والمال والوطن ، والايثار من جانب الانصار الذين ضحوا بكل شيء في سبيل نصرة النبي وتأمين سلامة الدعوة وكفالة حرية العقيدة ، وذلك في الآيتين الثامنة والتاسعة من سورة الحشر .

اما يهودوهم اهل كتاب يشاركونهم وطنهم ـ فإن كسب مودتهم فيه امان لمجتمع المدينة واتقاء لشرورهم خصوصا وانهم يرتبطون مع قريش بعلاقات تجارية ، وحصونهم تمتد في نواح معادية للدين الجديد ، والاسلام لا يستطيع بعد ، مواجهة جبهتين في آن واحد ـ لذلك كسب النبي مودة اليهود بتلك الوثيقة الخالدة التي توضحت فيها سمات المجتمع القائم على النصرة وعدم الاعتداء وصد هجوم المهاجمين ، ضمت هذه الوثيقة المهاجرين والانصار ومعهم يهود ، الذين اقرهم على عقيدتهم وامنهم على اموالهم وانفسهم واشترط عليهم وشرط لهم : « فمن تبعنا من يهود فان له النصرة والاسوة ـ اي المساواة في المعاملة ـ غير مظلومين ولا متناصر عليهم ـ وانهم في حالة الدفاع عن المدينة ضد اي خطر خارجي سواء مع المسلمين ، وان من يظلم او يأثم فانه لا يوقع الا نفسه واهل بيته . وان على المسلمين نفقتهم وعلى اليهود نفقتهم وبينهم النصر على من حارب اهل هذه الصحيفة » .

اما العلاقة بينهما فتقوم على اساس من النصح والنصيحة والبر والتعاون على رد المظالم ونصرة المظلوم مع التزام السلم والمسالمة لان يثرب حرام حرمتها لاهل هذه الصحيفة .

ومنعا لاي خلاف جعلت الصحيفة امور المجتمع شورى بينهم ، واوكلت الفصل في قضاياهم للنبي عليه الصلاة والسلام تأليفا بين القلوب وتوحيدا لجهة الفصل فيها .

اما المسائل الداخلية والخاصة

فأبقيت كما هي ، واصبحت امة الاسلام تشمل المسلم وغير المسلم .
ولما علمت بقية القبائل اليهودية بامر هذه الوثيقة ، اقبلت على النبي تطلب منه الانضواء تحتها فقبل واثبت توقيعهم عليها .

وامن الاسلام جبهته الداخلية وانصرف النبي الى شئون الدين يدعم القوى الروحية في النفوس ويؤلف بين القلوب باشاعة روح الاخاء والمساواة والرحمة والمحبة .

ومن الطبيعي ان تلقى دعوة الاسلام في هذا المناخ الجديد متنفسا ومنطلقا ، وان يجد من يريد الانضمام اليه مطلق الحرية في الاتصال بالداعي في امان واطمئنان دونما تهديد من أحد ، وان يعلن اسلامه على الملأ دون تردد وان يؤدي فرائض الدين في المسجد وقتما شاء وان يختلف وضع وموقف جماعة المؤمنين وبعدان كانوا لا يملكون الا الاحسان الى المسيء ، فقد تغير الموقف امام احتمال هجوم قريش في اي وقت او احتمال غدر يهود في الداخل فهم اليوم لا بد ان يعاملوا المسيء بإساءته ، ولذلك كان عليهم ان يدعموا قدراتهم القتالية بالاستعداد المادي والمعنوي : (**فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم**) البقرة / ١٩٤ وحتى رد الاعتداء احاطه الاسلام بفيوض من اخلاقياته فلا يتجاوز الاعتداء الذي وقع والا انقلب ظلما .

ويروي لنا التاريخ بان يهود لم تستطع على الوثيقة صبرا ، وان روح الغدر الكامنة في نفوسهم تحركت وغاظهم ان ينتشر الاسلام بهذه السرعة وان مكائدهم لم تفلح في ايقاف ذلك الاعصار الجارف الذي دمر امامه الخرافات والاباطيل

وكشف ما زيفوه من التوراة وفضحهم إذ ادعوا انهم الشعب المختار ، فألبوا القبائل عليه واشتركوا معهم في قتاله ثم تحدوه بطريقة سافرة وحاولوا تفتيت الجبهة الداخلية باثارة الوقيعة بين الاوس والخزرج وايقاظ العداء القديم ، لكن النبي عليه الصلاة والسلام كشف مؤامراتهم وعرف المؤمنون ما يضمره لهم يهود .

وبات وجود يهود ظهراني المسلمين في المدينة خطرا يتهددهم ولا بد من التخلص منهم تمكينا للدعوة من الانطلاق دون قيود ، فخرج اليهم المسلمون وقضوا على وجودهم نهائيا وتخلصت المنطقة العربية من شرورهم ، وانطلق الاسلام الى آفاق لم يكن بالغها في وجود تلك الشراذم العاتية .

وعاد الاسلام الى مسقط رأسه ظافرا منتصرا بغير قتال واندفع الناس يدخلون في دين الله افواجا ، وهم يرون محمدا قد نسى في ساعة النصر كل مساءاتهم وتحقق الهدف بفضل خطة محكمة وسليمة دقيقة الحساب ، وبفضل وحدة جماعة المؤمنين وتماسكهم وحققت الهجرة اهدافها وان ذهبت باناسها ، لكنها بقيت لنا على طول التاريخ ذكرى وعبرة .

وقفة تأمل

الجهاد

● ديننا لا يعرف الضعف ، ولا يستسلم للهزيمة ، ولا يقبل الدنية ، ولا يرضى لأتباعه الهوان والضياع والذل .

● فما بالنا تكال لنا الضربات القاتلة ، ويسبى أطفال المسلمين ونساؤهم ، وتسحق اقدام الأراذل جماجم الأحياء والأموات على السواء .

● ومأساة العصر في لبنان تدور طواحينها فتفرز اشلاء المسلمين .. ويتحد السلاح الكافر في يد الحاقد اليهودي ، والغادر الكتائبي ، والعميل الخسيس .. وترتفع اصوات النساء والصبيان والشيوخ .. « وا اسلاماه » !.. ولا مجيب ..

● ويجتمع من قبل المذبحة زعماء المسلمين .. ويحاربون بالقرارات ، والتوصيات ، والتهديدات ، ثم يأتي الشجب والاستنكار ، واعلان الحداد .. والتوقف عن العمل .. وتغيير برامج الاذاعات والتلتفزيونات العربية ، وتلاوة القرآن الكريم على ارواح الأبرياء الذين ذهبوا ضحية المكر والخداع والتآمر والعمالة ، وكأن القرآن كتاب أموات لا منهج حياة للأحياء !

● عجيب امرنا والله .. نضع مصائرنا على اعتاب الباب العالي الأمريكي .. وهو الذي قتلنا بسلاحه .. وأخرج مقاتلينا من مواقعهم بمكره ودهائه ، وخدع حكامنا بوعوده الكاذبة .. واطلق يد العدو لتعمل قتلا وذبحا في رقاب المسلمين .

● ومجلس الامن ، وهيئة الأمم ، والضمير العالمي .. وحقوق الانسان .. كلها مسميات بلا مضامين .. فلا خير فيها .. ولا امل .. والعدو لا يفهم الا منطق الحديد والنار ..

ولقد قال شاعرنا قديما :

السيف أصدق إنباء من الكتب ... في حده الحد بين الجد واللعب

● وبعد .. فمتى نعمل من اجل الجهاد في سبيل الله ؟ انتظر حتى يدخل العدو ديار المسلمين ؟ انه قد دخلها واغتصبها وشرد اهلها منذ عام ١٩٤٨

وما قبله .. وبسط نفوذه وما يزال على اراض اخرى اسلامية .. فماذا ننتظر ؟.. اليس الجهاد فرض عين في بعض حالاته ..فمتى يكون كذلك اذا لم يكن الآن ؟..

● شعوب اسلامية كثيرة مقهورة من حكامها ، تحاسب على الكلمة ، والعقيدة ، والرأي الحق ، وتذوق شتى انواع العقاب علي غير ذنب .. فماذا يمنع هؤلاء القادة ان يجهزوا من شعوبهم افرادا ـ غير مرغوب فيهم ـ يجهزوهم بالعتاد والسلاح ويمدوهم بالمؤن والمعونة ويفتحوا امامهم الطريق .. ليسطروا البطولات الاسلامية من جديد في ساحات الشرف والجهاد ، واذا انتصروا ـ وهم منتصرون بعون الله ـ كان في ذلك عز الجميع ، واذا استشهدوا ففي سبيل الله قدموا أرواحهم ، فقط على حكوماتنا ان تستطيع الدفاع عن نفسها .

● ان أمة الاسلام أمة عظيمة ، لا تصاب بالعقم ابدا ، فلله جنود من الناس يستطيعون ان يعيدوا الحق الى اهله ، ويذلوا الباطل ، ولا يخشون احدا إلا الله .

قال تعالى : « **يأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم** » .

● واذا كنا لا نرغب في القتال لمجرد القتال ، ولا نحب سفك الدماء لمجرد سفك الدماء ، واذا كان ديننا هو دين السلام ، الا أنه يرفض الاستسلام للعدو ، او الفرار من ميدان القتال ..

قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « **يأيها الناس ، لا تمنوا لقاء العدو ، وسلوا الله العافية ، فاذا لقيتموهم فاصبروا ، واعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف** » .

● يا قوم الزحف الاسلامي قادم ، والكرامة الاسلامية يصونها المجاهدون ، بالثبات على الحق حتى النصر او الشهادة .. وذاك وعد الله القائل سبحانه :

« **فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب أوزارها ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم . سيهديهم ويصلح بالهم . ويدخلهم الجنة عرفها لهم . يأيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم** » .

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

من آيات الله في خلقه

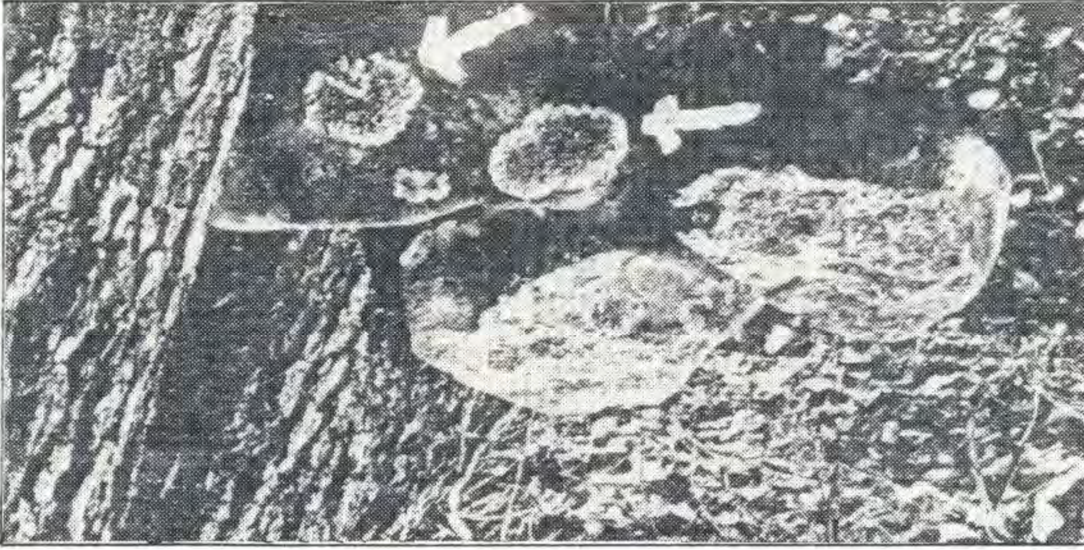
كائنات بدائية تعاونت، فصمدت وعاشت!

للدكتور

عبد المحسن صالح

التعـاون في الحيـاة شيء طيب ومطلوب ، فما تعاون قوم على خير ، الا وجنوا خيرا كثيرا ... مبدأ منطقي هام ومعروف ، ولقد عبر عنه القرآن الكريم اجمل تعبير : (**وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله**) المائدة/٢ . وفي الحديث الشريف : « يد الله مع الجماعة » رواه الترمذي .

لكننا ـ وبحكم تخصصنا ـ لن نتعرض هنا لمبادىء التعاون في الدين والدنيا على مستوى البشر ، فلهذا فقهاؤه من رجال الدين ، وعلماؤه من المتبحرين في علم الاجتماع والسلوك والاخلاق ، ثم ما اكثر ما قيل ويقال في هذا المجال ، ومـا اوفر النصـائح





١ - صورتان للاشن وهي تلتصق على الصخور والاحجار (مشارا اليها بالاسهم).

المنطوقة والمكتوبة ، وما أجمل التوصيات والقرارات التي تتمخض عن الندوات والمؤتمرات ، علها تطبق في الدول والجماعات ، لكن ما من سميع او مجيب ، وها هو حال الدول العربية عامة ، والاسلامية خاصة ، شاهد على ما نقول ، فما اكثر الخلافات ، وما اشد العداوات ، خاصة عندما تؤدي الى حروب تسفك فيها الدماء ، ونرجو ان يكون ذلك سحابة صيف عما قليل تقشع .

ولست هنا من دعاة النصيحة الحسنة ، ولا الموعظة الطيبة ، فهذه وتلك تترددان بيننا ليل نهار ، دون ان يتمخض ذلك عن صلاح الحال ، لكننا سنتعرض هنا لصورة رائعة من صور التعاون التي حلت ببعض كائنات ظهرت قبلنا على هذا الكوكب بمئات الملايين من السنين ، ومع ذلك فقد هيأ الله لها من امرها رشدا ، فصمدت وسارت كل هذا العمر الطويل .

مواثيق رائعة

فرغم ان الانسان هو المخلوق

الوحيد الذي ينظم حياته بقوانين معروفة ، ومواثيق مكتوبة او منطوقة ، نتيجة لعقله الراجح ، وفكره الصائب ، الا انه في بعض الاحيان يخل بالمواثيق الكائنة بينه وبين ربه ، او بينه وبين كل ما حوله ، سواء كان ذلك فيما يتعلق بعلاقاته مع الناس ، او مع البيئة التي يعيش فيها ، فيكون الخلل الذي لا يمكن ان تستقيم معه حياة رشيدة ، او علاقات وطيدة ..

والى هذا المعنى ايضا يشير القرآن الكريم : (**ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق**) الاعراف/ ١٦٩ : (**والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به ان يوصل ويفسدون في الأرض اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار**) الرعد/ ٢٥ . الى آخر هذه الآيات التي تعرضت للمواثيق في سور غير قليلة .

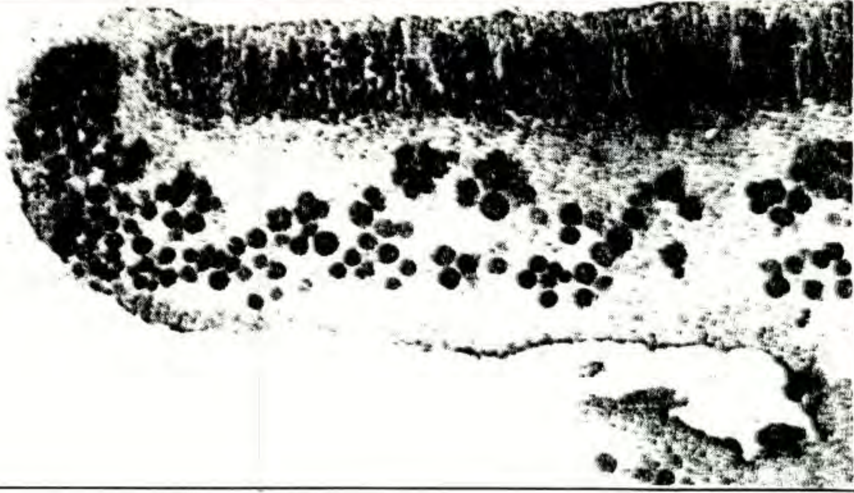
ومع اننا ارقى مخلوقات الارض ، ثم نفعل ذلك ، الا ان هناك كائنات صغيرة وبدائية قد احترمت مواثيقها بدرجة قد تنال من غرور الانسان وكبريائه ، فرغم ان هذه المواثيق غير مكتوبة ولا مسجلة ولا منطوقة ، الا انها واجبة النفاذ بين هذه الكائنات التي نعتبرها في ادنى درجات الخلق ، فلم يحدث ان اخلت بشرط من الشروط ، او تلاعبت ببند من البنود ، بل تحترمها وتسير على هديها ، وكأنما هي تقدم لنا درسا عظيما في معنى الحياة ، ولا حياة بدون نظام ولا مواثيق لو كنتم تعلمون !

من اجل هذا قدمنا تلك الدراسة ، فلعل فيها العبرة لمن اراد ان يتأمل ويعتبر بنظم اوحيت في هذه الكائنات البدائية وحيا جميلا ، وترك الانسان لعقله ، وبه يعرف الخطأ من الصواب : (**انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا**) الانسان/ ٣ . فالحق بين ، والباطل بين ، لكن اكثر الناس عن الحق لا هون !

علينا ـ اذن ـ ان نقدم احد هذه الكائنات التي تآلفت وتعاونت ، فصمدت وعاشت ، وفوق هذا فقد عمرت الارض ومهدتها ، لتكون صالحة للزرع والضرع ، ولا زالت تقوم بعملها هذا الى اليوم ، رغم انها قد بدأته من مئات الملايين من السنين ، وسوف نعود لتوضيح ذلك فيما بعد .

فالذين اوتوا شيئا من التأمل وقوة الملاحظة ، ونظروا الى صور الخلق من خلال « مرآة » العقل ، لا شك ستقع عيونهم يوما على اشياء اشبه بقشور تلتصق على قلف الاشجار ، او تتشبث بالصخور او قطع الاحجار .. قد تحسبها ميتة ، لأنها احيانا تجف تحت حرارة الشمس الحارقة ، فاذا مسها ندى او رطوبة او مطر ، اهتزت وربت ولانت ، لكن لا عليك من كل ذلك اذن ، لأن الحياة تحتوي على كل ما هو غريب ومثير .

فمن خلال دراساتنا لامثال هذه الكائنات ، والتي نعرفها باسم الاشن « مفردها اشنة » يتبين انهما كائنان في كائن واحد ، ولقد تعاونا معا ليكونا



٢ ـ شريحة في الاشنة توضح النسيج الفطري
وهو يحيط بخلايا الطحلب (الدائرية او البيضاوية).

اجناسا وانواعا شتى ، ومن خلال هذا التعاون الوثيق استطاعا ان يقهرا كل الظروف الصعبة ، فعاشت انواع منها على ثلوج القطبين ، وانواع اخرى في الصحاري الحارة ، وغيرها تشبثت بجذوع وفروع الاشجار ، او حتى على اسطح المنازل في المناطق الباردة .. وبالاختصار فقد اثبتا وجودهما بعناد بالغ في بيئات قاسية قد تتهاوى فيها الكائنات الاخرى وتموت !

خذ وهات

ان الاشنة تمثل لنا شريكى حياة ظلا متعاونين منذ عشرات او مئات الملايين من السنين ، دون ان يخل احدهما بمواثيقه او تعهداته نحو الاخر ، ويحضرنا في هذا المجال ، حديث للرسول عليه الصلاة والسلام : « يد الله على الشريكين ما لم يخن احدهما صاحبه ، فاذا خان احدهما صاحبه رفعها عنهما » رواه ابو داود والحاكم ـ وكأنما هذا الحديث ينطبق ايضا على حالة شريكي حياة وممات ، ذلك انهما اذا عاشا ، عاشا معا ، واذا اكلا ، فكل شيء بالعدل والقسطاس ، واذا خلفتهما ذرية ، جاءت الذرية بجزء من هذا وجزء من ذاك ، واذا ماتا ايضا ، ماتا معا .

والاشنة تتكون من طحلب وفطر ، وللطحالب عموما حياة تختلف اختلافا واضحا عن الفطريات ، وبيئتها الاساسية مياه البحار والانهار والبحيرات والمستنقعات ، او احيانا على بيئة ارضية تتميز بالبلل والرطوبة ، ولا يمكن ـ والحال كذلك ـ ان يهجر الطحلب بيئته المائية او الرطبة ، ليعيش على الصخور والاحجار ، والا كان مآله الجفاف والموت في غضون ساعات ، لكن مواثيقه غير المكتوبة مع شريك

حياته ـ اي الفطر ـ قد هيأت له حياة ارضية ، فهجر بيئته المائية الى غير رجعة !

اما الفطر فنوع من العفن الذي يتكون من خيوط حساسة ودقيقة ، وانت تستطيع ان تراه على قطعة خبز رطبة تركتها لبضعة ايام في مكان دافىء ، فترى عليها مستعمرات فطرية ذات اشكال والوان مختلفة .

لكن كل هذا قد لا يهمنا بقدر ما يهمنا ان نعرف ان الكائنين من قسمين مختلفين من اقسام مملكة النبات ، وهما لبساطتهما يعتبران من النباتات الدنيئة او البدائية جدا ، لكن بداوتهما قد تحولت الى حضارة ، فاستقلا بحياة من نوع جديد ، وهي تشير الينا من طرف خفي بان الله يخلق ما يشاء بغير حساب ، ويؤلف بين الذين قد تفرقت بهم سبل الحياة ، حتى لو كان ذلك على مستوى طحلب وفطر !

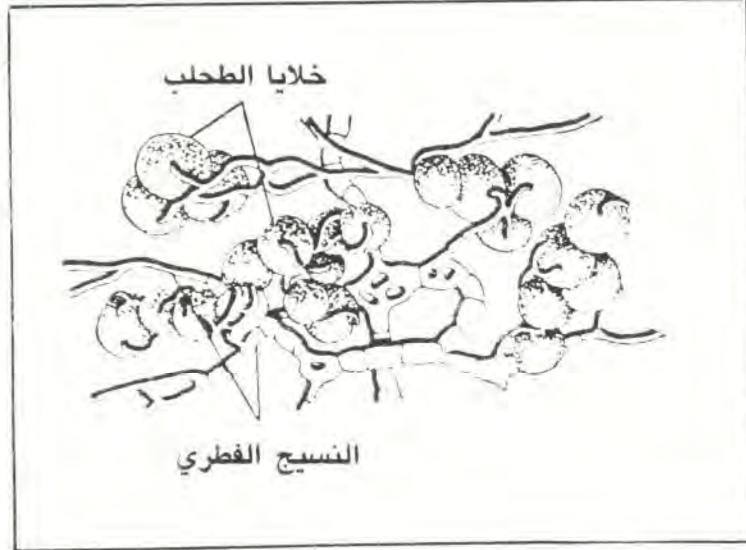
لكن .. ما هو الدافع الى ذلك ، خاصة وان عشرات الالوف من انواع الطحالب او الفطريات تحيا حياة مستقلة ، ودون ان يحتاج اي نوع منها للاخر ، او يعتمد عليه ؟

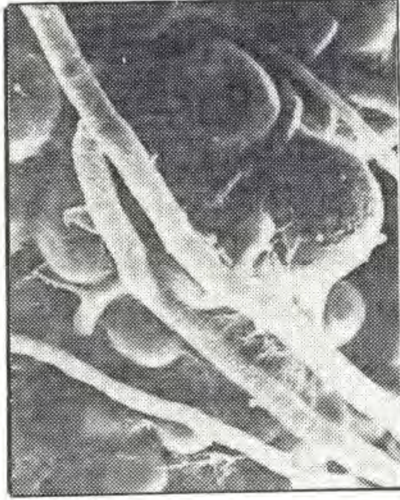
الواقع ان احدا لا يستطيع ان يقدم تعليلا مقبولا ومقنعا في هذا المجال ، اذ احيانا ما تضع لنا الحياة طرزا من الالغاز ، فيتخبط فيها العقل دون ان يصل الى قرار ، المهم ان هناك تمثيلية حكيمة نصبتها الحياة على خشبة مسرح الاشنة ، لنشهد احداثها من خلال هذين الكائنين ، وبعد ان نرى فصولها ، تتركنا في حيرة ، لنعلل ما شاءت لنا عقولنا من تعليلات ، لكننا لو اخترنا لها عنوانا يناسب الحال ، لكان هذا العنوان هو « التعاون في الحياة وعلى الحياة » .. او كما يعن لبعض العلماء تسميتها « حياة التكافل » او « تبادل المنفعة » ، او « اكفلني واكفلك ».. او ـ « خذوهات » .. او ما تشاء من مسميات ، لكن بعد ان نطلعك على اصول التمثيلية التي تنطوي على حكمة تجذب لاصالتها عقول العلماء والمفكرين والحكماء !

سوق تجارية لها مغزاها

وكما نتبادل نحن سلعنا على مستوى الاسواق المحلية او العالمية ، مع ما قد يعتريها في بعض الاحيان من بخس في الكيل والميزان ، او تحقيق ارباح ظالمة على حساب الغير ، كذلك يتبادل الكائنان في الاشنة سلعا كيميائية دون ان يغمط احدهما حق الاخر ، وكأنما هناك موازين منصوبة ، تتوازن كفتاها بين اخذ وعطاء ، فتؤدي الى توازن الحياة ذاتها بين السكان ـ نعني خلايا الفطر ، وخلايا الطحلب !

ان الطحلب بذاته ـ وكما ذكرنا ـ لا يستطيع ان يعيش معرضا للحرارة والجفاف ، فخلاياه جد رقيقة وحساسة ، ولهذا كانت بيئته الطبيعية في الماء ، ومع ذلك فأحيانا ما ينتشر على الصخور والاحجار في قيظ الصحراء ، وهذا تناقض صارخ ،





الصورة العليا بالميكروسكوب الاليكتروني وفيها تظهر خلايا الطحلب (بيضاوية الشكل) وحولها يتفرع النسيج الفطري (على هيئة خيوط حية). والصورة السفلى رسم توضيحي للكائنين . لاحظ الاتصال الوثيق بينهما ليتبادلا عناصر الحياة .

لكن المتناقضات قد تزول بالتعاون ، فجاء الفطر ليحيط صاحبه بنسيج من خيوطه ، ويحميه في الداخل ، وكأنما هو يدثره ويغطيه ، بحيث لا يؤثر الجفاف فيه ، بل ويحفظ عليه ماءه الذي يتوازن بحساب ومقدار مع حياته ، ومع ان الماء شحيح ونادر في الصحراء ، او في قلف الاشجار ، الا ان الكائن الفطري قد جاء بنسيج كثيف ومغزول ومتداخل بحيث يعطيه ذلك القدرة في الحصول على الماء من بخار الهواء ، او من الندى الخفيف في الصباح الباكر ، فيقتسمه قسمة عادلة مع رفيق حياته ، او قد تجود السحب العابرة ببعض مائها بين الحين والحين ، فيؤدي ذلك الى نمو وانتعاش ، ويحتفظ ببعضه للايام العجاف !

لكن المشكلة ليست مشكلة ماء فحسب ، بل تبرز ايضا العناصر الغذائية اللازمة لاستمرار الحياة ، فالفطر بذاته لا يستطيع ان يشكل هذه العناصر البسيطة ويبنيها على هيئة مادة حية ، ولا بد والحال كذلك ان يعيش رماما على المواد العضوية المتحللة ، او متطفلا على النبات والحيوان .. ان العفن الذي نراه على الخبز المهجور ، او في الثمرات والفواكه والخضراوات العطنة ، انما هي انواع من الفطريات التي تحصل على غذائها منها عندما تحللها وتخمرها بعصاراتها الهاضمة ، ثم تمتصها ، وتعيش عليها ، وهي لا تختلف من حيث المبدأ عن عصاراتنا الهاضمة ، فنحن نهضم طعامنا في

امعائنا ، لكن الفطريات تفرز عصاراتها في الخارج على الطعام ، ثم تمتصه بحالة بسيطة وميسرة .

لكن الفطر الذي يعيش مع صاحبه الطحلب على قلف الاشجار الجافة ، او حتى على الصخور والحجارة ، لا شك نوع أو انواع غريبة من الفطريات ، فهو يوقع افكارنا مرة اخرى في تناقض واضح ، لأن الصخور مثلا لا تحتوي على اية مادة عضوية تكفي لاطعام نملة ، فما بالنا بأشنة اكبر من النملة بعشرات او مئات المرات ؟ وكيف ينمو الفطر على الصخر ، وليس فيه ما يسمن او يغني من جوع ؟

الواقع ان رفيق عمره ـ الطحلب ـ قد تكفل بهذه المهمة ـ لأنه هو الذي يقوم بتجهيز المائدة .. لقمة له ، ولقمة لمن دثره وحماه بجزء من نفسه او نسيجه ، وبذلك يقتسمان لقمة العيش ، او ما استوى من عناصر الغذاء ، سواء كان ذلك في السراء او الضراء ، اذ احيانا ما تسوء الظروف ، والنعمة لا تدوم ، لا بين بشر ، ولا مع اشن !

يفتت الصخر بحثا عن العناصر

ان الطحالب كائنات خضراء ، مثلها كالنباتات سواء بسواء ، بمعنى انها تمتلك مادة خضراء تعرف باسم « الكلوروفيل »، والكلوروفيل بمثابة بطاريات شمسية حية ودقيقة غاية الدقة ، وبهذا يستطيع الطحلب ، وكذلك اي نبات اخضر ، ان يستخدم هذه البطاريات في اقتناص الطاقة الشمسية ، وتحويلها الى طاقة كيميائية ، يدير بها عملياته الحيوية ، ويكون بها من العناصر البسيطة او غير العضوية ، خاماته الغذائية .. وهذه تتمثل لنا في بروتينات وسكريات ونشويات ودهون وفيتامينات .. الخ ، والطحلب يقوم بتجهيز الوليمة ، فيأخذ نصيبا ، ويعطي شريكه نصيبا !

لكن لا شيء يأتي من لا شيء ، فلكي يقوم الطحلب بتجهيز المائدة ، فلا بد من عناصر اولية وبسيطة ، ليصنع من خاماتها تلك الوليمة .. فمن اين يحصل على تلك العناصر ، وهو مدثر بنسيج الفطر ، ولا صلة له بتربة او صخر ؟

لقد تكفل الفطر بهذه المهمة ، وهي مهمة جد عويصة ، خاصة اذا كان يعيش على الصخور ، اذ ليس عليها شيء يصلح للحياة ، وليس له ايضا جذور ، ولو كانت ، لما استطاع ان يفتت الصخور ، لكنه مع ذلك يفتتها ، رغم ضعف حاله ، ورقة خيوطه ، فلقد امتلك لذلك احماضا يفرزها ، فيذيب الصخر والحجر ، صحيح ان العملية جد بطيئة ، لكن اعطها عمرا ، تعطك نتيجة اكيدة ، وبمرور ملايين فوق ملايين من السنين ، تمهد الاشن الصخور ، وتفتتها ، وتحولها الى بيئة تصلح لغزو كائنات اخرى صغيرة ، ثم قد تتبعها كائنات اكبر ، فاكبر ، ولهذا يعتبر العلماء ان هذه الاشن من الرواد الاوائل التي شاركت في تمهيد الصخور القديمة ، لتصبح بيئة صالحة لسلسلة من الكائنات التي

تبعتها في الظهور من قديم الزمن ، حتى جاء الانسان ليجد كل شيء ممهدا ، ومن وراء ذلك يد خفية ، ممثلة في عمل متناسق ومتعاون قام به جنود مجهولون لا يزالون يؤدون عملهم حتى يومنا هذا ، دون ضجة او دعاية ـ كما يفعل البشر !

المهم ان الاشن تذيب وتمتص من الصخر عناصره البسيطة ، هذا بالاضافة الى ما يجود به عليها الغبار المتساقط من عناصر بتركيزات جد ضئيلة ، او ما تسوقه اليها مياه الامطار في فترات متقطعة ، ومع انها تكتفي باقل القليل ، الا انها صامدة في مكانها صمود المجاهدين الصابرين ، ففي فترات الرخاء ، تنمو على الصخر وتنتشر وفي ايام الشقاء تجف وتتصلب وتنكمش ، حتى لكأنما هي من الاموات ، فاذا اصابها شيء من بخار او ندى او رذاذ : **اهتزت وربت** على حد تعبير القرآن الكريم !

نقول قولنا هذا ، لأن الاشن رغم قلة حيلتها ، تستطيع ان تقاوم البرودة القاسية ، والاشعة الحارقة ، والجفاف الشديد الذي لا يقدر عليه اي كائن اخر ، ورغم هذه الظروف ، نراها تعمر في مكانها مئات السنين ، او تنتشر على ما حولها من صخور ، لتفتت وتذيب وتمهد لنفسها ولغيرها من كائنات شتى .

من خامة اولية .. الى وليمة جاهزة

على الفطر اذن ان يسعى سعيه الشاق فيما تأهل له ، وتخصص فيه ، فهو خبير ـ كما سبق ان ذكرنا ـ بتجميع الماء ، وامتصاص العناصر ، وحماية صاحبه الرقيق الحساس الساكن في الداخل ، لكن الفطر لا يستطيع ان يستفيد بما امتصه ، والطحلب قادر على ذلك ، ولهذا يتفرع الفطر بنسيجه حول خلايا الطحلب ، ليعطيها العناصر التي لا فائدة له فيها ولا مأرب ، فيقوم الطحلب بتصنيعها على هيئة بروتينات ودهنيات وفيتامينات ، كما انه ضليع ايضا في تكوين السكريات والنشويات من غاز ثاني اكسيد الكربون والماء بمساعدة الطاقة الشمسية ، فيسحب الفطر منها نصيبه ، ويترك للطحلب نصيبه .. انها قسمة عادلة ومتوازنة ، ولا بد من ذلك ، والا لاختلت امور التوازن ، ولا حياة مع خلل: (**ولكن اكثر الناس لا يعلمون**) سبا/٢٨ .

ان المبدأ الاساسي الذي تقوم عليه حياة هذين النوعين من الكائنات الكائنين في كيان واحد ، هو مبدأ التبادل المنظم ، او التوزيع المنسق ، او التخصص في الاداء .. عملا لا قولا ، فكل مجهود يقوم به احدهما ، يجد التقدير عند الاخر .. لا ظلم ولا طغيان ولا بخس في الميزان ، ولقد طبقا ذلك بصورة تحطم غرور الانسان ، والى ذلك يشير القرآن الكريم : (**لقد جئناكم بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون**) الزخرف/٧٨ .

ولقد بلغ التآلف والتعاون بين الفطر والطحلب درجات وددنا لو انها كانت من نصيب الانسان ، اذ حاول العلماء التفرقة بينهما ، وقدموا للطحلب ما يهواه ، وللفطر كل ما يطمع فيه من خيرات هذا الكوكب ، لكنهما

لم يستجيبا لهذه الاغراءات ، بمعنى ان كلا منهما قد توقف عن النمو والتكاثر ، وكأنما هو يفتقد شيئاً غاليا ، وعندما جمع العلماء شمل هذا وذاك ، تآلفا ، وسارت بهما الحياة سيرها الطبيعي .. قصة هائلة من قصص الوفاء النادر ، رغم ان هذه الكائنات من ادنى وابسط صور المخلوقات !

انها على اية حال علاقات قديمة ، وروابط وثيقة ، ومواثيق غير مكتوبة ، لكنها مع ذلك تحترم ودون ان يخل احدهما بالتزامه نحو شريكه ، وهذا ما لا يقدر عليه البشر ، فكل منهم يريد ان يستولي على ما ليس له حق فيه ، الا من رحم الله !

ولقد بلغ التآلف في هذه الكائنات مداه الى الدرجة التي اصبحت ذريتهما مشتركة ، فلا تطغى ذرية احدهما على الاخر ، بل يأتي الخلف على غرار السلف ، ولن نتعرض هنا للوسائل المختلفة التي تنتهجها هذه الانواع من الاشن في تكوين ذرياتها ، لتنتشر طولا وعرضا في الزمان والمكان ، فالحديث في ذلك يطول ، لكن يكفي ان نذكر ان اجزاء من نسيج الفطر تدثر خلايا من الطحلب ، وتحفظها من تقلب الظروف ، وهذه الوحدات الصغيرة بمثابة « الانجال » التي تهاجر الى افاق جديدة ، لتؤدي رسالتها نحو نوعها ، ونحو تمهيد الارض لغيرها ، لتعمر بمن فيها . انه تعاون في الحياة وحتى الممات .. ولكل نصيب مما قدم نحو الاخر .

والواقع ان صور التآلف والتعاون لا تقتصر فقط على فطر وطحلب ، بل لنا فيها ايضا نصيب ، ففي داخل امعائنا ميكروب نحتضنه من المهد حتى اللحد ، ولو غاب ، لغابت عنا بعض مركبات لا نستطيع لها في اجسامنا تصنيعا ، وعندئذ تظهر علينا اعراض مرضية لا تختفي الا بعودة ما غاب عنها .. وما يجري علينا يجري على حيوانات المرعى ، فلها ايضا ميكروب من نوع اخر ، ولولاه لما كانت .. وصور اخرى كثيرة قد نتعرض لها في دراسة او دراستين ، فهذا وغيره يوضح امورا غابت عن مداركنا ومدارك الاجيال السابقة ، وهي تشير الى ما في الخلق من اسرار ، لو اننا وعيناها ، لكان لنا بين العالمين شأن يذكر : (**يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات**) المجادلة/ ١١ . فالعلم في اية صورة من صوره ، انما هو قوة في الدين والدنيا ، وهو فوق ذلك يكشف الستار عن ايات الله في خلقه : (**وفي الأرض آيات للموقنين**) الذاريات/ ٢٠ . ولا شك ان هذه الصورة من صور التعاون التي قدمناها في هذه الدراسة تشهد بان الله قد خلق فقدر فسوى فأبدع :

(**صنع الله الذي أتقن كل شيء**) النمل/ ٨٨ : (**الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى**) طه/ ٥٠ . ولن يتضح لنا معنى هذه الايات ، الا اذا بحثنا في اسرار الكون والحياة ، لنعلم ما لم نكن نعلم (**وما اوتيتم من العلم الا قليلا**) الاسراء/ ٨٥ .

الخطيب الديني



للأستاذ / ابراهيم علي ابو الخشب

تعول الأمم والجماعات على ما تسميه وسائل الاعلام ، ولا تفتأ ما بين وقت وآخر تعمل على تطويرها ، وادخال الجديد الذي يضمن لها قوة التأثير ، وأداءها لمهمتها على أكمل الوجوه وأحسنها ، لاعتقادهم أن الايمان بالفكرة ، والاذعان للمبادىء والاستجابة للرغبات ، وحمل الناس على سياسة معينة ، يتوقف إلى مدى بعيد على الدعاية له ، والتنويه به ،

وبيان جوانب الفضل من الاقبال عليه ، والرغبة فيه ، والحب له ، وهذه الوسائل مهما كان لها من الفاعلية او الأثر ، فان أعظمها عائدة وفائدة الخطابة ، وقد كانت هي السلاح الحاد لدى الأمم جميعا ، استعانت به ، واستفادت منه ، والتجأت اليه ، وأدى دوره الفعال في استقرار الأمور ، وانتصار السياسة ، وتمكين السلطان ، وتوطيد دعائم الملك ، والعرب وهي أمة بيان ولسن ، وفصاحة وبلاغة . كانت توليها شأنا عظيما ، والخطيب منهم كان لقبيلته بمثابة القوة الضاربة التي يعولون عليها في رفع الراية ، ونباهة الشأن ، واحترام الجانب ، وكان له من الاجلال والاحترام اضعاف اضعاف ما كان للشاعر على الرغم من تقديرهم للشعر وللشعراء ، وأنهم ـ كما يقول ابن رشيق في كتابه العمدة ـ ما كانوا يهنأون الا بغرس تنتج او شاعر يولد ، وذلك لأن الخطيب مع ذرابة لسانه ، وقوة بيانه ، وفصاحة اسلوبه ، وسلامة ألفاظه ، كان معروفا باستقامة الخلق ، وطهارة العرض ، ونقاء القلب ، وسلامة الضمير ، وحسن الأحدوثة ، ونظافة التاريخ ، ولهذا كانوا مع تلك المواقف المشهودة له ، يحكمونه في الخصومة ، ويعتمدون عليه في السفارة ، وينزلون على رأيه اذا اشتد بينهم النزاع ، وكان اعتقادهم فيه انه انسان مرموق ما في ذلك شك ، وكانوا على خلاف ذلك كله مع الشاعر ، وإن كان يتحدث باسمهم ، ويدافع عن اعراضهم ، وبخاصة اذا أضافوا الى ذلك أن معينه الذي ينفق منه هو الكذب الذي لا تتورع عنه السوقة ، ولا تتجنبه الدهماء ، ولا تخلو منه الطبقة الدنيا من الناس ، والشعر ـ كما يقولون ـ اعذبة أكذبه ، ولأمر ما جعل الاسلام الخطابة احدى شعائره في الجمعة والعيدين لما لهما من هذا الأثر الطيب الذي تتركه في نفس السامع ، لترغبه في الحق ، وتوجهه للخير ، وتحببه في السلوك السوى ، وكان الخلفاء المسلمون يقدرون لها دورها في توطيد دعائم السلطان ، واستقرار الأمن ، ولهذا كانوا يباشرونها بأنفسهم ، ليضمنوا ذلك النفع الذي يعود عليهم منها ، وكان خصومهم الذين يكيدون لهم ، او يكدرون الصفو عليهم ، إنما تثبت أقدامهم في الميدان ، ويقدرون على الطعان ، بمقدار ما يساعدهم القول ، ويسعفهم البيان ، أو يؤازرهم المنطق .

والجماعات الدينية ـ الآن ـ وقد انتشرت هنا وهنالك تدعو الى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، عمادها الأول والأخير هو هذا اللون من القول ، وذلك الأسلوب من الدعاية ، الذي نسميه نحن بالخطابة الدينية ، وهو ضروري إلى حد بعيد لاثارة الوعي إلى الدين الحنيف ، والفقه فيه ، والفهم لقضاياه ومسائله ، ومعرفة حلاله وحرامه ، وبيان ما تضمنه من سلوك طيب ، وأخلاق حميدة ، ووازع الدين ، وصوت السماء ، من الأمور المهمة التي لها تقديرها في إصلاح البيئة ،

وتهذيب الجماعة ، وتقويم الأخلاق ، وقد تقرع هذه المعاني كلها آذان الناس صباحا ومساء ، من اي جهة من الجهات ، أو ناحية من النواحي ، لكن دويها في الآذان ، أو وقعها في القلوب ، لا يكون بهذه المثابة من جلجلة الصوت ، والطنين في الأفئدة ، وتحريكها للنفوس ، كما يكون مصدرها خطيب المنبر في بيت من بيوت الله ، كما تنطق بذلك الآية الكريمة : (**وأن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحدا**) الجن/١٨ ، والصوت الذي ينبعث منها من غير شك كأنه صادر عن الملأ الأعلى ، يشيع في قلب المؤمن الرهبة والخشية ، والفزع والتقوى ، والطاعة والامتثال ، والاذعان والاستجابة ، ويحمل الروح على أن تكون دائما أبدا يقظى الى صوت الضمير من داخلها فلا تنحرف ولا تلتوي ، وانما تكون على السنن السوى ، والصراط المستقيم ..

وقد دأبت الأمم والشعوب على أن تصطفى لتلك الخطابة جماعة ممن تتوافر لهم من المزايا والخلال ، والقدرة والاستعداد ، والبيان واللسن ، والفقه والعلم ، والصلاح والاستقامة ، والورع ، ما يجعل منهم أمثلة صالحة لأن يتخذ الناس منهم القدوة المتبعة . التي يحاولون أن يكونوا ظلالها ، أو صورة مكرورة منها وليجد قولهم ـ على الأقل ـ طريقه الى قلوبهم وأفئدتهم .. وإذا كان الاصلاح الاجتماعي في كل زمان ومكان مدينا للقوة التي تدفعه ، والجهود التي تعمل له ، والرجال الذين يرفعون لواءه ، والأصوات التي تنادي به ، فان حملة مشاعل هذا اللون من البيان كانوا هم الرعيل الأول في إصلاح الأمم والشعوب ، والنهوض بالأفراد والجماعات ، لا لأن لهم صوتا أندى ، ومنطقا أروع ، وكلماً أكثر بيانا وإفصاحا ، وإنما كان هذا لأن إقناعهم يعتمد على تعاليم السماء التي لا تسف ولا تنزل ، أو تنافق وتداجى .. ولا نبالغ بعض المبالغة إذا قلنا إن الخطابة الدينية مع غزارة مادتها ، وكثرة روافدها ، وفيض معينها من الكتاب والسنة ، ظلت متخلفة عن غيرها من ألوان الخطابة الأخرى .

ولا ندري ما هو السبب المباشر لذلك التخلف ، ويقولون ان جمال الدين الأفغاني ادرك ذلك المعنى منذ زمن فأنشأ مدرسة يقوم الخريجون فيها بملء هذا الفراغ ، وأنشأ بعده رشيد رضا اخرى لتكون امتدادا لها ، ولكن ذلك كله لم يأت بالثمرة المرجوة ، لأن نجاح الخطيب يبتدىء من نفسه هو أولا وقبل كل شيء ، والذي يحيط علما بتاريخ الزهاد والمتصوفين يجد أن فصاحة المنطق ، وذرابة اللسان ، وما اشبه ذلك من آلات البلاغة والبيان ، كانت آخر ما يلتمس لهم من النعوت والأوصاف ، وأن الرجل منهم كان يعظ بسلوكه وعمله ، ودينه وخلقه ، وزهده وورعه ، أكثر مما يعظ بذرابة لسانه ، ونصاعة بيانه ، ولا نكلف خطيب المنبر أن يكون في مسرح الحسن البصري وابن السمان وابن

المبارك وابراهيم بن أدهم وغيرهم ممن كانوا ينابيع حكمة ، ومصابيح هداية ، وأمثلة نادرة للربانيين أو الأحبار . غير أننا نكلفه ألا يكون صورة مشوهة للرجل الذي يقف موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقول للناس هذا حلال وهذا حرام ، ويقتضيه ذلك - لا محالة - أن يكون على كثير من العلم والأدب ، والفقه والورع ، والزهد والخلق ، ونظافة الظاهر والباطن ، وأن يكون عنده من الالمام بالمسائل ، والمعرفة للأحكام ، ما يجعله استاذا ، فلا يقول قائل ليته ، ولا لو كان ، وإنما يقول عنه القائلون انه يتحيز مكانا مرموقا ، وفراغا واسعا . وهو باعتباره « خطيبا دينيا » ينظر الناس اليه بمنظارين اثنين .. منظار الخطيب اولا ، ومنظار رجل الدين ثانيا ، وكلاهما له حسابه وتقديره ، واجلاله واحترامه ، واذا كان للدين سلطانه على الحياة في الاقتصاد والسياسة ، والحرب والسلم . والجماعات والأفراد . وكل معنى من معاني العيش والاستقرار ، فان الخطيب الذي نتحدث عنه وننشده ، يجب ان يكون صورة طيبة لهذا الدين الذي لا يضيق ذرعا بتلك الحياة التي يحياها الناس .. وقد كانت هذه الخطابة في بعض العصور صورة مهلهلة للصياغة الأدبية . او التفكير الهزيل ، وكان خطباء المنابر يخطبون من ديوان يدور على مدى العام مع المناسبات فلما انتعشت البلاغة ، وازدهر البيان ، تقدمت الخطابة نوعا ما . الا ان شيئا لا يزال عالقا بها ، وهو سجع الجمل ، واجتلاب بعض المحسنات البديعية ، ويقولون ان بعض علماء المذاهب كانوا يرون ضرورة ذلك السجع للموسيقى التي تؤثر في السامع ليخشع قلبه ، ويتحرك وجدانه ، كما يرون - كذلك - أن تلقى من مكتوب ليضمن الخطيب عدم الارتباك عليه او اللحن او الخطأ وللمنابر رهبتها واضطراب وقوف الناس فوقها .. ولا ينكر احد ان المنابر الكثيرة التي ظهرت في الأدب والسياسة والاجتماع والعلوم والفنون والتقاضي سيكون لها اثرها في انتعاش البيان واللسان ، وكل رصيد يضاف اليها مما يعمل على نهوضها وتقدمها فهو غنم لها ، وزيادة في تمكنها وقوتها ، وقد أدركنا منذ سنوات الأثر الذي احدثته بعض الجماعات الدينية في رقيها وتهذيبها ، ونهوضها وتقدمها .

ووددنا لو ان ذلك كله ظل موصولا ، لان ميزة هذه الجماعة التي كانت تحرص عليها ، أن يكون لأفرادها باع وذراع في اجادة القول ، وفصاحة المنطق ، وقوة البيان ، لكن هكذا اراد الله لهذه الطاقة التي كانت متاحة للخطابة الدينية أن تفتر ، ولهذا المد الثوري أن ينتهي ، وأصبحت المنابر لا تجد من يهزها ، وصارت لباقة اللسان ، وسلامة البيان ، وقوة المنطق ، فيما بيننا هنا وهنالك في البلاد التي تدين بالاسلام وتقضي تقاليدها الدينية ان يكون فيها منابر قول ، ومجالات خطابة ، وميادين براعةوفصاحة نادرة .

التاريخ الميلادي والهجري

للأستاذ / فتح الله محمد حسن الحمدي

للتاريخ الميلادي (الافرنجي) اهمية كبرى في حياتنا وحياة العالم اليومية ، وهذا التاريخ ملىء بالذكريات للفرد وللدولة فعلى اساسه يحسب الفرد تاريخ ميلاده وعمره وتاريخ زواجه وتاريخ ميلاد اولاده او مناسبة عزيزة عليه له او لاصدقائه او اقربائه ، وكذلك الحال بالنسبة للدولة فللدولة تاريخ استقلال وتحرر وتاريخ مولد امير او رئيس او وفاته ايضا وهو يحسب بهذا التاريخ .

فنجد ان للتاريخ الافرنجي (الميلادي) اهمية في حياة الفرد والدولة والعالم وهو التقويم السائد والرسمي في معظم دول العالم كانت اسلامية او غير اسلامية .

والمعروف ان هذا التاريخ بدأ بمولد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام .

وشهور السنة الميلادية هي يناير ، فبراير ، مارس ، ابريل ، مايو ، يونيو ، يوليو ، اغسطس ، سبتمبر ، اكتوبر ، نوفمبر ، ديسمبر .. ولكل شهر

مناسبة لتسميته بهذا الاسم وهو يرجع الى قدماء المصريين والحضارات الاخرى وليس مجال بحثنا هذا أسباب تسمية كل شهر .
وعدد أيام السنة الميلادية هي ٣٦٥ يوما كل ٣ سنوات (في السنة البسيطة) ، ٣٦٦ يوما في السنة الرابعة وهي ما تسمى (بالسنة الكبيسة) .
ويمكنك عزيزي القارىء ان تعرف اي يوم يوافق للتاريخ الميلادي سواء في الماضي او في المستقبل بمئات السنين .

السنة الكبيسة والسنة البسيطة :

السنة الميلادية على عكس السنة الهجرية تماما من حيث عدد ايام الشهور فالشهور الهجرية ٣٠ يوما او ٢٩ اما في الميلادية ٣٠ او ٣١ في جميع الشهور عدا شهر فبراير فهو احيانا يأتينا ٢٨ يوما واحيانا ٢٩ يوما وليس هذا متروكا للحظ او رؤية هلال لكن بعملية حسابية بسيطة جدا الا وهي قسمة السنة على ٤ فان كان الناتج رقما صحيحا ولم يبق شيء فالسنة كبيسة واذا تبقى اي كسر فالسنة بسيطة (في السنة الكبيسة فبراير٢٩ يوما وعدد أيامها ٣٦٦ يوما ـ البسيطة فبراير ٢٨ يوما وعدد أيامها ٣٦٥ يوما) .
وعدد أيام اشهر السنة هي يناير ٣١ ـ فبراير ٢٨ / ٢٩ ـ مارس ٣١ ـ ابريل ٣٠ ـ مايو ٣١ ـ يونيو ٣٠ ـ يوليو ٣١ ـ اغسطس ٣١ ـ سبتمبر ٣٠ ـ اكتوبر ٣١ ـ نوفمبر ٣٠ ـ ديسمبر ٣١ يوما .

واليك بيان ذلك عمليا :

قبل ان ندخل في عمليات احتساب التواريخ الميلادية (الافرنجية) اود ان اوضح للسادة القراء انني سأتبع طريقين او اسلوبين او اكثر وحتى يستوعب القارىء الطريقة المختصرة يجب عليه اولا معرفة الطريقة المطولة والمفسرة الى ابعد الحدود .
كما يجب على القارىء الكريم حفظ المتممات الحسابية الاتية والتي سيأتي شرح استخدامها فيما بعد وهي :
١ ـ شهر يناير يأخذ رقم ١
٢ ـ شهر فبراير يأخذ ٤

٣ ـ شهر مارس يأخذ رقم ٤
٤ ـ شهر ابريل يأخذ ٠
٥ ـ شهر مايو يأخذ رقم ٢
٦ ـ شهر يونيو يأخذ ٥
٧ ـ شهر يوليو يأخذ رقم ٠
٨ ـ شهر اغسطس يأخذ الرقم ٣
٩ ـ شهر سبتمبر يأخذ الرقم ٦
١٠ ـ شهر اكتوبر يأخذ الرقم ١
١١ ـ شهر نوفمبر يأخذ الرقم ٤
١٢ ـ شهر ديسمبر يأخذ الرقم ٦

وهذه الارقام تستعمل من اول يناير ١٩٠٠ حتى ٣١ ديسمبر ٢٠٠٠فقط

مثال :

ما هو اليوم الموافق ليوم ٦ اكتوبر ١٩٧٣

الحل العادي اولا :

احسب عدد السنوات الكبيسة منذ ١٩٠٠ وحتى ١٩٧٣
وذلك بقسمة ٧٣ على ٤ = ١ / ١٨
هنا سنستخدم ال ١٨ الصحيحة ونهمل الباقي لعدم اهميته .

ثانيا :
نجمع ال ٧٣ + ١٨ = ٩١

ثالثا :
نجمع ٦ أيام من اكتوبر = ٦

رابعا :
اذا نظرنا الى المتممات الحسابية والتي سبق ذكرها نجد ان المتمم الحسابي لشهر اكتوبر يأخذ = ١

خامسا :
المجموع = ٩٨

سادسا : نقسم ال ٩٨ ÷ ٧ (وهو عدد أيام الاسبوع) = ـ / ١٤
هنا لا يهمنا الرقم الصحيح ويهمنا جدا الرقم الباقي
اذا تبقى ١ فيكون اليوم هو الاحد
اذا تبقى ٢ فيكون اليوم هو الاثنين
اذا تبقى ٣ فيكون اليوم هو الثلاثاء
اذا تبقى ٤ فيكون اليوم هو الاربعاء
اذا تبقى ٥ فيكون اليوم هو الخميس
اذا تبقى ٦ فيكون اليوم هو الجمعة
واذا لم يتبق شيء فيكون اليوم هو السبت

وفي مثالنا هذا لم يتبق شيء وعلى ذلك فيكون يوم ٦ اكتوبر ١٩٧٣ هو يوم السبت .

القانون العام :

السنة + السنة/٤ + اليوم المراد معرفته + المتمم الحسابي
٧

الحل المختصر : ملحوظات هامة :

١ ـ من خلال الحل العادي السابق يتضح لنا اننا نقسم الناتج على ٧ ولا يهمنا الناتج الصحيح ونهتم بالباقي كما هو في (ثانيا وثالثا) فمثلا يمكننا ان نقول ٩١ = ٠ (قسمة ٩١ على ٧ = ـ / ١٣

وكذلك الحال بالنسبة لليوم المراد معرفته فمثلا اذا اردت معرفة يوم ٢٧ اكتوبر فيمكننا اعتبار رقم ٢٧ هو ٦ (٢٧ على ٧ = ٦ / ٣

وكذلك ٣١ مارس مثلا يمكن اعتباره ٣ (ناتجة عن قسمة ٣١ على ٧ = ٣ / ٤ .. وهكذا واذا صعب عليك ذلك فعليك بجمعها بأكملها وبدون اختصار .

٢ ـ قبل ان تبدأ في احتساب اى تاريخ عليك ان تأخذ رقم السنة على جانب وتقسمها على ٤ اولا ثم نجمع الناتج على السنة نفسها وتقسمهما على ٧ واهمل الباقي من قسمة السنة على ٤ واهمل الصحيح من قسمة مجموع السنة + السنة على ٤ والكل على ٧ فمثلا سنة :

٧٣ (٧٣ + ٧٣/٤) = (٧٣ + ١٨)/٧ = ٩١/٧ = صفر

وهنا اذكرك عزيزي القارىء ان جميع ايام سنة ٧٣ يستعوض عنها بالرقم صفر من ١ يناير حتى ٣١ ديسمبر .

وبالتالي فان ١ ـ ٧٣ + ٧٣/٤ = ٧٣ + ١٨ = ٩١/٧ = ٠ .

٢ ـ ٦ ايام من اكتوبر = ٦

٣ ـ المتمم الحسابي لا كتوبر = ١

(المجموع) / ٧

٤ ـ بقسمة الناتج على ٧ = ٧/٧ = ـ / ١ (المهم هنا الباقي وليس الرقم الصحيح)

وحيث انه لم يتبق شيء فاليوم كما ذكرت هو السبت

ملحوظة هامة :

اذا كانت السنة كبيسة (تقبل القسمة على ٤ بدون باق) وجب علينا طرح ١ من مجموع (السنة + السنة/٤) وقبل قسمتـــه على ال ٧ في شهري يناير وفبراير فقط ولا نطرح شيئا في باقي أيام السنة .

مثال (٢) : المطلوب معرفة اليوم الاول ليناير ١٩٦٠

الحل العادي :

١ ـ ٦٠ + ٦٠/٤ = ٦٠ + ١٥ = ٧٥ − ١ = ٧٤

٢ ـ ١ من يناير = ١

٣ ـ المتمم الحسابي لشهر يناير = ١

= ٧٦

٤ ـ بقسمة ٧٦ ÷ ٧ = ٦ / ١٠

فاذا تبقى ٦ فاليوم هو الجمعة

الحل المختصر :

١ ـ ٦٠ + ٦٠/٤ = ٧٥ − ١ = ٧٤/٧ = ٤ / ١٠ = ٤

٢ ـ ١ من يناير = ١

٣ ـ المتمم الحسابي ليناير = ١

٦

وحيث انه بقسمة ال ٦ ÷ ٧ ينتج صفرا ويتبقى٦فاليوم هو الجمعة .

مثال (٣)

مطلوب معرفة يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢

الحل :

١ ـ ٥٢ + ٥٢/٤ = ٦٥ = ٢

٢ ـ ٢٣ من الشهر = ٢٣ = ٢

٣ ـ المتمم الحسابي ليوليو = ٠

٤

وبقسمة ال ٤ على ٧ فيتبقى ٤ واذا تبقى ٤ فاليوم هو الاربعاء

ملحوظة : لا حظ عزيزي القارىء ان سنة ١٩٥٢ كبيسة واننا لم نطرح واحدا لوقوع التاريخ المراد معرفته بعد انتهاء يناير وفبراير ولا نطرح واحدا في السنوات الكبيسة الا في يناير وفبراير فقط .

مثال (٤)

مطلوب معرفة اليوم الموافق للعيد الوطني (٢٥ فبراير ١٩٨٢ م)

الحل :

١ ـ ٨٢ + ٨٢ ÷ ٤ = ١٠٢ = ٤

٢ ـ ٢٥ من فبراير = ٢٥ = ٤

٣ ـ المتمم الحسابي لفبراير = ٤

وبالجمع = ١٢

وبقسمة ال ١٢ ÷ ٧ = ٥ /١

وحيث انه تبقى ٥ فان اليوم الموافق لـ ٢٥ فبراير ١٩٨٢ هو الخميس

نصائح عامة :

١ ـ اذا تمعنت النظر في اي تقويم في السنوات البسيطة فانك تجد ان أيام شهر يناير واكتوبر واحدة فمثلا اذا كان ٥ يناير يوافق السبت فمن الطبيعي انك ستجد ٥ اكتوبر من نفس السنة السبت ايضا وكذلك الحال مع اشهر (فبراير ومارس ونوفمبر)
اما أشهر (ابريل ويوليو) و (سبتمبر وديسمبر) فانها واحدة ايضا سواء كانت السنة بسيطة او كبيسة .
٢ ـ انصحك عزيزي القارىء بعدم استخدام الالات الحاسبة عند قسمتك على ٧ لان الباقي فيها جزء من ١٠ وليس جزء١ من ال ٧ لذا وجب النصح .

التاريخ الهجري

للتاريخ الهجري اهمية كبرى في حياة الامة الاسلامية وهو ملىء بالمعارك الاسلامية والفتوحات والمناسبات العزيزة على كل مسلم ومسلمة .
والمعروف لدى عامة الناس ان الشهور الهجرية بدأت بهجرة الرسول صلوات الله وسلامه عليه لكن احب ان اذكر بعض الاخوة ان مولد الرسول صلى الله عليه وسلم كان يوم الاثنين ٩ ربيع الاول من عام الفيل ـ الموافق ٢٠ ابريل ٥٧١ ، فمعنى ذلك ان الشهور العربية كانت موجودة قبل مولد الرسول .

لكن انشاء هذا التاريخ كان على يد سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه في يوم الاربعاء ٢٠ جمادى الثانية بعد الهجرة بـ ١٧ سنة ـ الموافق ٨ يوليو ٦٣٨ م ـ ولقد كانت هجرة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ٨ ربيع الاول سنة ١ هـ ـ الموافق ٢٠ سبتمبر ٦٢٢م
ومن ذلك كله نستنتج ان اليوم الاول للتاريخ الهجري (العربي) هو يوم الخميس ١ محرم عام ١ هـ ـ موافق ١٥ يوليو ٦٢٢ ميلادية .
وقبل ان ندخل في عمليات معرفة التواريخ الهجرية يجب ان نعلم بأن السنة الهجرية كالسنة الميلادية من حيث انها كبيسة وبسيطة فكما ان السنة البسيطة في الميلادية ٣٦٥ يوما والكبيسة ٣٦٦ يوما كل ٤ سنوات فان السنة

الهجرية ٣٥٤ يوما عامة و ٣٥٥ يوما كل سنتين او ثلاث ، وسوف اشرح ذلك بالتفصيل .

السنة الكبيسة والسنة البسيطة

ث   د   س   يوم

اتفق العلماء على ان الشهر الهجري ٤٤ / ٤٤ / ١٢ / ٢٩
وباحتساب الشهور يتضح ان الشهور ٣٠ يوما ، ٢٩ يوما على التوالي فمعنى ذلك ان الشهر الذي يكون ٢٩ يوما فاننا نجد فيه زيادة مقدارها ٤٤ ث / ٤٤ د / ١٢ س ومن خلال هذه المدة البسيطة فانه يستجمع لدينا ١١ يوما كل ٣٠ سنة .. لذا اتفق العلماء على ان تكون في كل ٣٠ سنة هجرية ١١ سنة كبيسة وهي :

٢ ـ ٥ ـ ٧ ـ ١٠ ـ ١٣ ـ ١٥ ـ ١٨ ـ ٢١ ـ ٢٤ ـ ٢٦ ـ ٢٩

فاذا اردت معرفة السنة الكبيسة من السنة البسيطة اقسم السنة على ٣٠ وقابل الباقي بهذه الارقام فان وافق احداها فهي كبيسة والعكس فهي بسيطة ، ويجب حفظها عن ظهر قلب .

واليك بيان ذلك عمليا :

قبل ان ندخل في عمليات احتساب التواريخ احب ان اوضح للسادة القراء انني سأتبع طريقتين او اسلوبين او اكثر وحتى يستوعب القارىء الطريقة المختصرة يجب عليه اولا معرفة الطريقة المطولة والمفسرة الى ابعد الحدود .

اولا : معرفة غرة اي سنة هجرية :ـ

مثال : اود معرفة اليوم الموافق لاول محرم ١٤٠٢ هـ

اولا : الطريقة المطولة :

اتفقنا على ان السنة الهجرية البسيطة ٣٥٤ يوما والكبيسة ٣٥٥ يوما وان كل ٣٠ سنة يتخللها ١١ سنة كبيسة .

فلمعرفة ذلك اليوم يجب علينا اولا ان نعرف عدد الايام التي مرت منذ بداية التاريخ الهجري وحتى اخر يوم في عام ١٤٠١ هـ .

الحل : ١ ـ اضرب ال ١٤٠١ × ٣٥٤ = ٤٩٥٩٥٤ يوما

هذا ان كانت جميع السنوات بسيطة لكن يتخلل ال ١٤٠١ سنة كل ٣٠ سنة ١١ سنة كبيسة

٢ ـ اقسم ١٤٠١ ÷ ٣٠ = ٢١ / ٤٦ « ٣٠ سنة »

اذًا ٤٦ × ١١ « كل ٣٠ سنة » = ٥٠٦

٣ ـ ننظر الى ال ٢١ سنة الباقية نجد انه يتخللها « ٨ » سنوات كبيسة وهي :

« ٢ ـ ٥ ـ ٧ ـ ١٠ ـ ١٣ ـ ١٥ ـ ١٨ ـ ٢١ »

والتي اشرنا اليها سابقا = ٨

٤ ـ نجمع عليها ١ « ١ محرم » = ١

وبقسمة عدد الايام منذ بداية التاريخ على ٧ « عدد أيام الاسبوع » يتضح لنا

٤٩٥٩٥٤ + ٥٠٦ + ٨ + ١ ـــــــ = ٤٩٦٤٦٩ ـــــــ = يوم ١ / اسبوع ٧٠٩٢٤

٧ ٧

وكما ذكرنا سابقا ان التاريخ بدأ بيوم الخميس ، وبالتالي فان عدد الاسابيع لا يهمنا بشيء

واذا تبقى من خارج القسمة	١	يكون اليوم موافق الخميس
واذا تبقى من خارج القسمة	٢	يكون اليوم موافق الجمعة
واذا تبقى من خارج القسمة	٣	يكون اليوم موافق السبت
واذا تبقى من خارج القسمة	٤	يكون اليوم موافق الاحد
واذا تبقى من خارج القسمة	٥	يكون اليوم موافق الاثنين
واذا تبقى من خارج القسمة	٦	يكون اليوم موافق الثلاثاء

اذا لم يتبق شيء من خارج القسمة يكون اليوم موافق الاربعاء

اذًا فان مثالنا هذا يوافق الخميس . ١ محرم ١٤٠٢ هـ .

ثانيا : الطريقة المختصرة :ـ

اننا سنتبع نفس الطريقة بتسلسلها لكن باختصار شديد وقبل الدخول في الشرح عليك معرفة الآتي جيدا :ـ

١ ـ ما دمنا نضرب عدد السنوات السابقة × ٣٥٤ « في كل عملية » وقد نخطىء في عمليات الضرب وما دام لا يهمنا الرقم الصحيح ، فيمكن اختصار الرقم ٣٥٤ بـ ٤
وهو ناتج عن ٣٥٤ على ٧ = ٤ / ٥٠
٢ ـ كذلك الحال بالنسبة للسنة « السابقة » فيمكن قسمتها على ٧ أيضا واهمال الرقم الصحيح واستعمال الرقم الباقي :
مثل ١٤٠٢ ÷ ٧ = ٢ / المهم هنا ال ٢ الباقية فقط .
٣ ـ كذلك الحال بالنسبة لعدد السنوات الكبيسة « كل ٣٠ سنة » فيمكن قسمته على ٧ واخذ الرقم الباقي واهمال الصحيح « في مثالنا السابق ٤٦ »
٤٦ على ٧ = ٤ / ٦
٤ ـ كذلك الحال بالنسبة لعدد ال ١١ « فهو ثابت وهو احد طرفي الضرب » فيمكن قسمته واستبداله بـ ٤

مثال : ما هو اليوم الموافق لاول محرم ١٤٠٢ هـ
الحل :

١ ـ الباقي من قسمة ١٤٠١ على ٧ × الباقي من قسمة ٣٥٤ على ٧
١ × ٤ = ٤
٢ ـ ١٤٠١ ÷ ٣٠ = ٢١ / ٤٦
٣ ـ باقي قسمة ٤٦ على ٧ × باقي قسمة ١١ على ٧
٤ × ٤ = ١٦
٤ ـ ابحث عن عدد السنوات الكبيسة في ٢١ سنة الباقية
(٢ ـ ٥ ـ ٧ ـ ١٠ ـ ١٣ ـ ١٥ ـ ١٨ ـ ٢١ = $\frac{٨}{٧}$ = ١
٥ ـ ١ من شهر المحرم = ١
المجموع ٢٢

٦ ـ نقسم ٢٢ ÷ ٧ = ٣ $\frac{١}{٧}$
ومعنى ذلك انه يتبقى ١ وإذا تبقى ١ فيكون اليوم الخميس

معرفة اي يوم في السنة الهجرية :

لا يختلف الحال في اي يوم من ايام السنة عن غرة اي سنة والفارق البسيط هو اننا سنزيد على ما سبق بيانه عدد الايام الداخلة في السنة نفسها كأنني اريد معرفة ٥ ربيع الاول مثلا فما علينا الا ان نتبع ما سبق بيانه بالاضافة الى أيام شهر المحرم ، صفر ، ٥ أيام من شهر ربيع الأول المذكور في المثال .

وقبل الدخول في التفصيل يجب علينا ان نعرف عدد الايام بكل شهر وهي :ـ

محرم ٣٠	صفر ٢٩
ربيع الاول ٣٠	ربيع الثاني ٢٩
جمادي الاولى ٣٠	جمادي الثانية ٢٩
رجب ٣٠	شعبان ٢٩
رمضان ٣٠	شوال ٢٩
ذو القعدة ٣٠	ذو الحجة ٣٠/٢٩

مثال :

المطلوب معرفة اليوم الموافق لـ ١٠ رمضان ١٣٩٣

الحل العادي : : ١ ـ أحسب عدد ايام التاريخ الهجري اولا حتى ٣٠ ذو الحجة ١٣٩٢ وهي :

١٣٩٢ × ٣٥٤ = ٤٩٢٧٦٨

٢ ـ احسب عدد ال ٣٠ سنة السابقة

١٣٩٢ ÷ ٣٠ = ١٢ / ٤٦

٣ ـ حيث ان كل ٣٠ سنة فيها ١١ سنة كبيسة

اذا ٤٦ × ١١ = ٥٠٦

٤ ـ ال ١٢ سنة الباقية فيها ٤ سنوات كبيسة = ٤

٥ ـ اجمع الايام الداخلة في سنة ١٣٩٣ وهي :

محرم صفر ربيع١ ربيع٢ جماد١ جماد٢ رجب شعبان رمضان

٣٠ ٢٩ ٣٠ ٢٩ ٣٠ ٢٩ ٣٠ ٢٩ ١٠ = ٢٤٦

= ٤٩٣٥٢٤

بقسمة هذا الناتج على ٧ = ٣ / ٧٠٥٠٣
حيث ان الباقي ٣ وكما سبق وان اوضحنا انه اذا تبقى ١ فيكون اليوم الخميس
واذا تبقى ٢ فيكون اليوم الجمعة
واذا تبقى ٣ كما هو في مثالنا هذا فيكون اليوم (السبت) .

اذا اليوم الموافق لـ ١٠ رمضان ١٣٩٣ هو السبت .

الحل المختصر :
١ ـ حيث ان عدد أيام السنة ثابت في جميع التواريخ فيمكن اختصاره بالرقم ٤ وهو ناتج كما سبق عن قسمته على ٧ واخذ الباقي ٣٥٤ ÷ ٧ = ٤
وكذلك الحال برقم السنة نفسها (السابقة) ١٣٩٢ في مثالنا هذا
١٣٩٢ ÷ ٧ = ٦
فتكون الخطوة الاولى ٦ × ٤ = ٢٤
٢ ـ الخطوة الثانية فليس فيها اختصار ١٣٩٢ ÷ ٣٠ = ١٢ / ٤٦
والناتج الصحيح يمكن اختصاره بضرب $\frac{٤٦}{٧} \times \frac{١١}{٧}$
٤ (باقي القسمة × ٤ باقي قسمة ١١ ÷ ٧ = ١٦
٣ ـ عدد السنوات الباقية من القسمة (١٢) فيوجد بها ٤ سنوات كبيسة (٢ ـ ٥ ـ ٧ ـ ١٠) = ٤
٤ ـ يمكن اختصار عدد أيام الشهور وذلك لتخفيف جمع الايام . وعلى ذلك فان

محرم ٢	صفر ١
ربيع الاول ٢	ربيع الثاني ١
جمادي الاولى ٢	جمادي الثانية ١
رجب ٢	شعبان ١
رمضان ٢	شوال ١
ذو القعدة ٢	ذو الحجة ٢ / ١

وهذا لم يجمع عادة
ففي مثالنا هذا
محرم صفر ربيع[١] ربيع[٢] جماد[١] جماد[٢] رجب شعبان رمضان
٢ + ١ + ٢ + ١ + ٢ + ١ + ٢ + ١ + ١٠ = ٢٢
$\frac{٣٠}{٧}$ = ٢ ٤ — $\frac{٢٩}{٧}$ = ١ / ٤ = ٦٦
٥ ـ بقسمة ال ٦٦ على ٧ = $\frac{٣}{٧}$ ٩
واذا تبقى ٣ فيكون اليوم السبت
مثال (٢) المطلوب معرفة اليوم الموافق لاول شوال ١٤٠٢ هـ

الحل العادي :

١ ـ ١٤٠١ × ٣٥٤ = ٤٩٥٩٥٤

٢ ـ ١٤٠١ ÷ ٣٠ = ٢١ / ٤٦

٣ ـ ٤٦ × ١١ = ٥٠٦

٤ ـ ال ٢١ سنة الباقية فيها ٨ سنوات ك = ٨

٥ ـ محرم صفرربيع[١] ربيع[٢] جماد[١] جماد[٢] رجب شعبان رمضان شوال

٣٠ + ٢٩ + ٣٠ + ٢٩ + ٣٠ + ٢٩ + ٣٠ + ٢٩ + ٣٠ + ١ = ١٦٧

٤٩٦٧٣٥

بقسمة هذا العدد على ٧ فيكون ٤٩٦٦٧٣٥ ÷ ٧ = ١

وحيث ان المتبقى ١ فيكون ١ شوال ١٤٠٢ هو الخميس

الحل المختصر :

١ ـ باقي قسمة ١٤٠١ / ٧ × ٤

١ × ٤ = ٤

٢ ـ ١٤٠١ ÷ ٣٠ = ٢١ / ٤٦

٣ ـ ٤ × ٤ = ١٦

٤ ـ ال ٢١ سنة الباقية بها ٨ سنوات كبيسة = ٨

محرم صفرربيع[١] ربيع[٢] جماد[١] جماد[٢] رجب شعبان رمضان شوال

ـ ٢ + ١ + ٢ + ١ + ٢ + ١ + ٢ + ١ + ٢ + ١ = ١٥

= ٤٣

٦ ـ نقسم ٧ / ٤٣ = ١ / ٦

واذا تبقى ١ فيكون اليوم هو الخميس

مثال (٣)

المطلوب معرفة اليوم الموافق ل ٨ محرم ١٣٦١

١ ـ ٢ × ٤ = ٨ = ١

٢ ـ ١٣٦٠ ÷ ٣٠ = ١٠ / ٤٥

٣ × ٤ = ١٢ = ٥

٣ ـ ال ١٠ سنوات الباقية فيها ٤ سنوات ك = ٤ = ٤

٤ ـ ٢٨ من محرم = ٢٨ = ٢٨ = ـ

٥٢ = ١٠

٥ ـ بقسمة اي من الناتجين على ٧ يكون الباقي هو ٣ وهو يوم السبت

ملحوظة هامة :

١ ـ لك الخيار عزيزي القارىء في ان تختصر او ان لا تختصر وما عملية

الاختصار هذه الا ضمان لعدم الوقوع في خطأ الجمع لاعداد كبيرة او بقسمتها على ٧ وستجد دوما ان النتيجة واحدة .

٢ ـ ان نسبة الخطأ في هذه العمليات لن تزيد عن ١ ..,ـ ٪ في جميع السنوات

٣ ـ انصح بعدم استخدام الالات الحاسبة عند قسمتك في اي عملية على ٧ لان الباقي فيها هو جزء من ١٠ وليس من ٧ لذا وجب النصح باستخدام العمليات الحسابية البحتة في القسمة .

العلاقة بين التاريخ الهجري والميلادي

ذكرنا في الجزء الخاص بالتقويم الهجري انه بدأ الحساب به على يد سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه منذ الخامس عشر من شهر يوليو ٦٢٢ ميلادية ، وان عدد ايام السنة الهجرية ٣٥٤ يوما في السنة الهجرية البسيطة و ٣٥٥ يوما في السنة الهجرية الكبيسة .

وذكرنا ان السنة الكبيسة يمكن تحديدها بقسمة السنة على ٣٠ وباقي القسمة اذا قابل الارقام (٢ ـ ٥ ـ ٧ ـ ١٠ ـ ١٣ ـ ١٥ ـ ١٨ ـ ٢١ ـ ٢٤ ـ ٢٦ ـ ٢٩) فهي كبيسة وان لم يقابلها فهي بسيطة وذلك لكون كل ٣٠ سنة يتخللها ١١ سنة كبيسة ، وان عدد اشهر السنة ١٢ شهرا وانها على التوالي ٣٠ ، ٢٩ يوما عدا ذى الحجة فهو الذي يختلف فيه عدد الايام من حيث كبيسة او بسيطة .
وذكرنا في الجزء الخاص بالسنة الميلادية ان السنة ٣٦٥ يوما في السنة البسيطة و ٣٦٦ يوما في السنة الكبيسة ويمكن معرفة السنة الكبيسة بقسمتها على ٤ فان كان الناتج رقما صحيحا فالسنة كبيسة وان تبقى من خارج القسمة اي كسر فالسنة بسيطة (٣ سنوات متواصلة) وان عدد شهورها ١٢ شهرا ويتراوح عدد أيام شهورها من ٢٨ ـ ٣١ يوما وشهر فبراير الذي يختلف عدد أيامه تقريبا كل ٣ سنوات كما ذكرنا من حيث ان السنة كبيسة او بسيطة . ففي الكبيسة ٢٩ يوما والبيسطة ٢٨ يوما .
ومن خلال تلك المقدمة البسيطة يمكن معرفة عمليات التحويل ببساطة .

تحويل التاريخ الهجري الى ميلادي

مثال (١) نود معرفة التاريخ الميلادي الموافق ليوم ١٠ رمضان ١٣٩٣ هجرية

الحل : لمعرفة التاريخ الميلادي يجب ان نعرف اولا عدد أيام التاريخ الهجري منذ بدايته وحتى العاشر من رمضان ١٣٩٣ ويحسب كالآتي :

١ ـ السنة السابقة

١٣٩٢ × ٣٥٤ = ٤٩٢٧٦٨

٢ ـ السنة السابقة

١٣٩٢ ÷ ٣٠ = ١٢ / ٤٦

٣ ـ الصحيح

٤٦ × ١١ = ٥٠٦

٤ ـ نبحث في الـ ١٢ سنة الباقية عن عدد السنوات الكبيسة

فتجد انها (٢ ، ٥ ، ٧ ، ١٠) = ٤

٥ ـ الايام الواقعة في عام ١٣٩٣ هي

محرم صفر ربيع١ ربيع٢ جماد١ جماد٢ رجب شعبان رمضان

٣٠ + ٢٩ + ٣٠ + ٢٩ + ٣٠ + ٢٩ + ٣٠ + ٢٩ + ١٠ = ٢٤٦

ويجمع كل من ناتج ١ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، = ٤٩٣٥٢٤

ثم نقسم الناتج على عدد أيام السنة الميلادية (١/٤ ٣٦٥ يوما) ينتج

٤٩٣٥٢٤ ÷ ٣٦٥,٢٥٠ = يوم ٧١ سنة ١٣٥١

ونضيف على عدد الايام الناتجة ١٢ يوما (وهذا العدد ثابت على الدوام في جميع عمليات التحويل ولا يسع المجال لشرح سببه) فينتج لنا :

يوم	سنة
٧١	١٣٥١
١٢	
٨٣	١٣٥١

وفي النهاية يمكن جمع السنة (١٣٥١ + ٦٢٢ (بداية التاريخ الهجري بالميلادية)

١٣٥١ + ٦٢٢ = ١٩٧٣

وعن الايام فيمكن العد اعتبارا من ١٥ يوليو ولمدة ٨٣ يوما فينتج لنا

باقي شهر يوليو اغسطس سبتمبر اكتوبر

١٦ + ٣١ + ٣٠ + ٦

ومعنى ذلك ان العاشر من رمضان ١٣٩٣ يوافق السادس من اكتوبر عام ١٩٧٣م .

مثال (٢) :
نود معرفة اليوم الميلادي الموافق لـ ١٢ ربيع الاول ١٤٠٢ هـ
الحل :
لمعرفة ذلك اليوم يجب معرفة عدد الايام السابقة في التاريخ الهجري وهي :
١ ـ ١٤٠١ × ٣٥٤ = ٤٩٥٩٥٤
٢ ـ ١٤٠١ ÷ ٣٠ = ٢١ / ٤٦
٣ ـ ٤٦ × ١١ = ٥٠٦
٤ ـ نبحث في الـ ٢١ سنة الباقية عن عدد السنوات الكبيسة
(٢ ـ ٥ ـ ٧ ـ ١٠ ـ ١٣ ـ ١٥ ـ ١٨ ـ ٢١) = ٨
٥ ـ محرم صفر ربيع الاول
٣٠ + ٢٩ + ١٢ = ٧١
وبجمع ١ ، ٣ ، ٤ ، ٥ = ٤٩٦٥٣٩
وبقسمة الناتج على ٤ /١ ٣٦٥ يوما ينتج
٤٩٦٥٣٩ ÷ ٣٦٥,٢٥ = ١٦٤ يوم ١٣٥٩ سنة

وباضافة ١٢ يوما وهذا العدد ثابت على الدوام في جميع العمليات التحويلية

يوم	سنة
١٦٤	١٣٥٩
١٢	
١٧٦	١٣٥٩

وبالعد من ١٥ يوليو ٦٢٢ ولمدة ١٧٦ / ١٣٥٩ ينتج لنا
اولا السنة ٦٢٢ + ١٣٥٩ = ١٩٨١
ثانيا اليوم :
باقي يوليو ١٩٨١ اغسطس ٨١ سبتمبر ٨١ اكتوبر ٨١ نوفمبر ٨١ ديسمبر ١٩٨١ يناير ١٩٨٢
١٦ + ٣١ + ٣٠ + ٣١ + ٣٠ + ٣١ + ٧
ومعنى ذلك ان ١٢ ربيع الاول من عام ١٤٠٢ يوافق السابع من يناير ١٩٨٢م .
وهناك طريقة اخرى سريعة بالنسبة للسنة فقط وان كانت نسبة الخطأ فيها تصل الى ٢٥٪ وهي :
السنة الميلادية = السنة الهجرية × ٣٣ / ٣٢ + ٦٢٢
حيث ان كل ٣٣ سنة هجرية تعادل ٣٢ سنة ميلادية تقريبا ولان التاريخ الهجري بدأ في عام ٦٢٢م

مائدة القارئ

مصير الأصنام

جاء في سيرة ابن هشام أنه كانت « بقباء » امرأة لا زوج لها ، مسلمة ، وكان يأتيها إنسان من جوف الليل فيضرب عليها بابها ، فتخرج اليه ، فيعطيها شيئا معه ، فتأخذه ، قال علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ وهو راوي الخبر : فاستربت بشأنه ، فقلت لها : يأمة الله ، من هذا الرجل الذي يضرب عليك بابك كل ليلة ، فتخرجين إليه ، فيعطيك شيئا ، لاأدري ما هو ، وأنت امرأة مسلمة لا زوج لك ؟

قالت : هذا سهل بن حنيف بن واهب ، قد عرف اني امرأة لا احد لي ، فاذا امسى عدا على أوثان قومه فكسرها ، ثم جاءني بها ، فقال : احتطبي بهذا .

بناء مسجد

كان اول ما فعله الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد أن استقر به المقام في « المدينة المنورة » هو بناء المسجد النبوي الشريف .. وكان البناءون من المهاجرين والأنصار ورسول الله معهم يعمل كواحد منهم .. وكان نشيدهم :

لئن قعدنا والنبي يعمل
لذاك منا العمل المضلل

والنبي ـ صلى الله عليه وسلم يقول :

« لا عيش إلا عيش الآخرة ، اللهم ارحم الأنصار والمهاجرة » .

وكان علي بن ابي طالب يقول :

لا يستوى من يعمر المساجدا
يدأب فيه قائما وقاعدا
ومن يرى عن التراب حائدا

حائط الاسلام وبابه

خطب سعيد بن سويد بحمص ـ في الشام ـ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

ايها الناس : إن للاسلام حائطا منيعا ، وبابا وثيقا : فحائط الاسلام الحق ، وبابه العدل ، ولا يزال الاسلام منيعا ما اشتد السلطان ، وليست شدة السلطان قتلا بالسيف ، ولا ضربا بالسوط ، ولكن قضاء بالحق ، وأخذ بالعدل .

لهذا لا يشرب الخمر

قيل للعباس بن مرداس : لو شربت النبيذ لازددت جرأة .

فقال : ما كنت لأصبح سيد قومي ، وأمسى سفيههم ، وأدخل في جوفي ما يحيل بيني وبين عقلي .

مجالسة العلماء

قال الشعبي : جالسوا العلماء ، فانكم ان احسنتم حمدوكم ، وإن أسأتم تأولوا لكم ، وعذروكم ، وان اخطأتم لم يعنفوكم ، وان جهلتم علموكم ، وان شهدوا لكم نفعوكم .

دعوتان

قال حكيم : دعوتان ارجو احداهما ، واخاف الأخرى :

دعوة مظلوم اعنته ، ودعوة ضعيف ظلمته .

زماننا

قال الامام الشافعي ـ رضي الله عنه :

نعيب زماننا والعيب فينا
وما لزماننا عيب سوانا
ونهجو ذا الزمان بغير ذنب
ولو نطق الزمان لنا هجانا
وليس الذئب يأكل لحم ذئب
ويأكل بعضنا بعضا عيانا

دعاء

قال اعرابي في دعائه :

اللهم لا تخيبني وانا ارجوك
ولا تعذبني وانا ادعوك
اللهم فقد دعوتك كما امرتني
فأجبني كما وعدتني

من وحي الهجرة النبوية

للاستاذ /محمود ابراهيم طيرة

قديم ، ولكن في القلوب جديد ... ومجد لنا في العالمين تليد
ويوم ، ولكن قل في الدهر مثله ... وعيد على مر الزمان سعيد
وذكرى الى كل القلوب حبيبة ... وحب الورى للخالدات اكيد
وتلك ـ لعمرى ـ ليلة ، قد جرى بها ... من المعجزات الخارقات عديد
فيادورة الدنيا ـ قفى بتادب ... لها ، واحترام ، والانام يشيد !
تجدد عزم المرء بالجد في العلا ... وما العزم الا قدرة وجهود
وتوحى بأن الحق ـ مهما أصابه ... من الباطل البطاش ـ سوف يسود
ومن يعتصم بالله يحظى بنصره ... ولله في نصر النبي جنود
سقا الله ارضا سار فوق اديمها ... نبي الهدى ، والخطو منه سديد
وفي هجرة الهادي تجلت بطولة ... له ، واسألوا التاريخ ، فهو شهيد
فما اشجع المختار : لا يرهب القوى ... قوى الشر تغشى داره وحشود

ويقتحم الاخطار ـ لا ـ بل يدوسها ... كما داس اعواد الهشيم وليد !
ولكنه اذ غادر الدار شامخا ... عرى القوم طرا رهبة وجمود !
وطاشت سهام المعتدين ، لانها ... عناية ربِّ الكون عنه تذود
مقام رفيع لا ينال ، وكوكب ... سما في الاعالي ، ما اليه صعود !
الى الغار يمضي في امان ، تحفه ... ملائكة ، فالشر منه بعيد
فيا غار ثور ـ ان حظك وافر ... وحسبك فخرا في الوجود خلود !
شرفت بايواء النبي محمد ... وصاحبه حينا ، فانت سعيد
سمعت حديث المصطفى لصديقه ... يطمئنه ، والخوف منه شديد
هما اثنين كانا ، والمهيمن ثالث ... ورابعهم انت الوحيد تسود
هنيئا بما قد نلت في غسق الدجى ... فمجدك وافي ، والزمان يجود
وفي الغار آيات الاله كثيرة ... فسبحان ربي ، قادر ومريد
ولكنها الطلسم ، جمت رموزه ... وقد حار في حل الرموز رشيد !
طلاسم تنفي ان في الغار ساكنا ... فضاعت سدى للمقتفين جهود
عجيب هو الغار ، الذي بدد القوى ... ورد غزاة الشرك ، وهو قعيد
فان يك عند الناس غارا فانه ... لدى الله حصن للرسول عتيد !
وان عليا في الوفاء لدينه ... مثال علي في الحياة ، مفيد
ومن يرتضي الموت الزؤام نيابة ... عن المصطفى رمز الفدا ، ويزيد
وان له في العلم شانا وفي الحجى ... ودر علي في البيان نضيد !
ويا هجرة المختار ـ الف تحية ... فاني محب ، والاله شهيد
فقد كنت للاسلام اول نصره ... وللشرك ـ يعتو ـ دولة وجنود
لذا قدر الاسلام قدرك عنده ... فاولاك مجدا ، ما عليه مزيد
بك ابتدا التاريخ ، يعلى مقامه ... بنسبته للمجد ، وهو اكيد
ومن ينتسب للمجد لا شك ماجد ... فتاريخنا في العالمين مجيد
سلام على الذكرى بهيج ، كأنه ... من القلب في العام الجديد نشيد
ويا ربِّ ارجو للعباد هداية ... فان ضلال الاخسرين شديد !
وسلما لدنيانا ، يتوجه الرضا ... لعل به حلو الرخاء يعود

من المكتبة الاسلامية

الأفعى

تأليف الاستاذ عبدالله التل

هذا الكتاب الذي نعرض له لا نجد تعبيرا يصلح له الا ان نقول انه كتاب يجب على كل مسلم ومسلمة في مشارق الأرض ومغاربها ان يقتنيه وان يقرأه ويتدارسه فهو كتاب يوضح بالدليل والبرهان مدى تغلغل الافعى اليهودية في كثير من شؤون الحياة بل ان اخطر ما فعلته الأفعى اليهودية هو القيام بكافة المذابح والانقلابات والمتغيرات التي طرأت على العالم العربي والاسلامي .

والكتاب يفضح كل مؤامرات اليهود ضد الاسلام .

ينقسم الكتاب الى فصول تسعة سنقوم - في ايجاز - بوضعها أمام القارىء المسلم ليعرف ماذا فعلت الأفعى وماذا ستفعل اذا لم نتقدم لها ليس لقطع رأسها فحسب ولكن لاستئصال ذيلها .

الفصل الأول : تجار الحروب :

يذكر المؤلف - رحمه الله - بالدليل والتوثيق العلمي ان جميع الثورات والانقلابات التي بدأت منذ عصر التسامح مع اليهود تكاد تكون كلها من صنع اليهود انفسهم لجأوا اليها تنفيذا لتعاليم التوراة المتداولةوالتلمود الارهابي هذه التعاليم التي تحض وفي صراحة ودون مواربة على القضاء على غير اليهود .

ولقد سعى اليهود الى السيطرة على

اليهودية

عرض وتلخيص الاستاذ / معالي عبدالحميد حمودة

الشعوب عن طريق السيطرة عليهم ثقافيا وروحيا ثم استخدام المال في تحقيق هذه السيطرة ولعل أبرز من تولوا تنفيذ هذا « آل روتشيلد » ودورهم الخطير في الاتصال بالملوك والرؤساء والقيام بانشاء مصارف مالية في العديد من العواصم والمدن في اوروبا والولايات المتحدة الامريكية ، ناهينا عن تطور الدور الذي لعبه آل روتشيلد وما نجم عنه افتعال الكيان الصهيوني بناء على وعد بلفور « ١٩١٧م » .

وكان اليهود وراء الثورة الفرنسية « ١٧٨٩م » ورفعوا شعار الماسونية المزيف : حرية مساواة اخاء وعندما قامت الثورة الفرنسية كان المحفل الماسوني الاكبر في باريس مركزا لتجمع قادة الثورة ، وقد وضعت القوانين والأنظمة للثورة الفرنسية في ذلك المحفل الماسوني الرهيب .. والثابت تاريخيا ان اليهود هم الذين خططوا للثورة الفرنسية ، وهم الذين قاموا بها ، وكان من اسوأ نتائجها ان الفرنسيين قتلوا اخوانهم الفرنسيين ، وغنم اليهود في النهاية كل شيء .

ولقد اذاع اليهود ان الثورة الفرنسية كانت عملا تاريخيا خدم الانسانية واعطى وثيقة حقوق الانسان ؟؟ وهذه كلها مزاعم لا تستند الى واقع تاريخي ، فقد تحولت فرنسا بعد ثورتها الكبرى الى مزرعة يهودية وتحولت الى بؤرة فساد ، توزع

الرذيلة والدعارة والدنس والفجور على العالم بأسره .

ويبين الكتاب وقوف اليهود وراء حروب نابليون فعندما انتهت السلطة العليا في فرنسا اليه ، اتصل به اليهود وسيطروا عليه ومن ثم كانت اعمال نابليون في كافة حروبه من الحذاء الى الرأس . بيد ان نابليون انتبه الى الدور الذي لعبه اليهود في توريط فرنسا في الديون المالية الرهيبة ومن ثم اورد المؤلف عبارة خطيرة قالها نابليون بعد هزيمته .

« لقد عزمت على تحسين احوال اليهود غير اني لا اريد زيادة منهم في مملكتي . لقد عملت بالفعل على كل ما يثبت ازدرائي لاحقر شعب على وجه الأرض » وكان هذا بعد ان لقى نابليون هزيمته القاصمة في معركة ووترلو .

وعن حوادث القرن التاسع عشر الميلادي فان اصابع اليهود كانت وراء اغتيال الملوك والرؤساء في النمسا وايطاليا وروسيا والبرتغال وكذا اسهم اليهود في حرب السبعة اسابيع « ١٨٦٤م » التي وقعت بين بروسيا والنمسا .. وحرب السبعين « ١٨٧٠م » التي وقعت بين فرنسا وبروسيا وحرب البوير « ١٨٩٩ - ١٩٠٢م » التي دارت بين الانجليز وشعب البوير .

كما اورد المؤلف رحمه الله بيانات علمية دقيقة عن ان اليهود كانوا السبب الأول والأخير في الحربين العالميتين ، والتي تجاوزت خسائرها البشرية ٦٦,٢٧٩,٩٢٢ مليونا من البشر .

وينهي الفصل الأول حديثه عن اثر اليهود في الثورة الشيوعية ، هذا الاثر الذي بدأ بالتغلغل اليهودي للافعى في روسيا عن طريق المساعدات المادية الكبيرة وملايين الدولارات تتدفق على الثوار بواسطة قائدهم اليهودي « ترتوتسكي » .

الفصل الثاني : استغلال عصر التسامح لتخريب المسيحية :

يوضح لنا الكتاب ان اليهود تسللوا الى المسيحية منذ مئات السنين فخربوا معتقداتها واضاعوا اصولها السماوية الصحيحة وكان هذا التسلل في البدء بمعرفة بولس « شاؤل » الرسول وانطلق اليهود لتخريب المسيحية فاعتنقوا المسيحية . ولقد نجح اليهود في هذا العمل ايما نجاح ساعدهم في ذلك عصر التسامح من جهة ومن جهة اخرى رغبة بعض الدول المسيحية في معاداة الاسلام . وقد حارب اليهود كنيسة روما ، وتمت هذه المحاربة عن طريق تسلل ما يسمى بالمصلحين « وهم يهود » لاستحداث حركات مذهبية اخرجت المسيحية عما تبقى لها من اصولها الصحيحة واخر هؤلاء المصلحين كان « مارتن لوثر » الذي احيا الهالة الخرافية التي اضفتها التوراة المتداولة على بني اسرائيل بعد ان كانت المسيحية قد حطمت هذه الهالة وقضت تماما على خرافة الشعب

المختار .

الفصل الثالث : هدم الخلافة الاسلامية :

يعد هذا الفصل اهم فصول كتاب الافعى اليهودية واخطرها ، هذا الفصل الذي يبين كيف نجح اليهود والماسونية في اسقاط الخلافة الاسلامية . فيوضح لنا المؤلف كيف تسلل اليهود الى الخلافة العثمانية ؟ وتقربوا من السلاطين العثمانيين ، وبدأ هذا التسلل باغتيال السلطان محمد الفاتح عن طريق طبيبه اليهودي « يعقوب » ، وكذا تم اغتيال اولاد السلطان سليمان القانوني واحفاده الصغار ، وكان وراء هذا خليلة سليم الثاني « نوربانو » اليهودية ثم استمر تغلغل اليهود في دوائر الحكم العثماني اربعمائة عام ، حتى انتهى بزوال الخلافة العثمانية وهدم ذلك المعقل الاسلامي على يد العميل الماسوني مصطفى كمال الملقب بأتاتورك .

ويبين هذا الفصل الخطوات المرحلية التي لجأت اليها الافعى اليهودية لاسقاط الخلافة ، وبدأت بيهود الدونمة « المرتدون » الذين تظاهروا بالاسلام ، وكذا الجمعيات السرية ـ وعلى قمتها الماسونية ـ التي جندت كافة قواها لخدمة اليهود وهدم الخلافة ، ثم تكوين جمعية « الاتحاد والترقي » .

اكتملت الخطوات المرحلية بالدعوة المغرضة الى القومية العربية ، وساهم في هذه الدعوة الزائفة بعض مفكري النصارى الذين حملوا الحقد والبغضاء ضد الاسلام ، ويفرد الكتاب مقالا ضافيا للحديث عن رأس الافعى اليهودية : مصطفى كمال الذي جندته اليهودية ، واعتنق الماسونية ، واضطهد علماء الاسلام ، واغلق المدارس ، وهدم المساجد ، وحرم الأذان ، ومنع الصلاة في جامع ايا صوفيا ، والغى استعمال التقويم الهجري ، وألغى قوانين الميزات والزواج والاحوال الشخصية . وشجع المرأة التركية والشباب المسلم على الدعارة والفجور .

الفصل الرابع : الافعى اليهودية في بلاد المسلمين تحت الحكم الشيوعي :

لم يكن عبثا تغلغل اليهود في الثورة البلشفية ، فقد كان لهذا التغلغل اسباب لها ما وراءها ، وتجسد هذا في التنكيل بالمسلمين تحت الحكم الشيوعي ، وبدأت مذابح الشيوعية تحركها الافعى اليهودية للتنكيل بالمسلمين ، فذبح المسلمون في تركستان الغربية .. والشرقية ، وبدأت هذه المذابح بخداع من ستالين .. ولينين للمسلمين وبعدها بدأت سلسلة حمراء دموية من الشيوعية لكافة البلدان الاسلامية ، التي غزتها الشيوعية ثم امتدت المذابح الى القوقاز .. والقرم وغيرها

من المدن ثم الى يوغسلافيا ، فلقى المسلمون هناك المذابح والتنكيل والتصفية الجسدية .

الفصل الخامس : الافعى في اندونيسيا وباكستان :

لعله لا توجد دولة من دول العالم الاسلامي تتعرض لموجات متتالية من التبشير والتنصير مثل اندونيسيا بالاضافة الى الهجوم الشيوعي الذي لا يتوقف ولا يهدأ ، ويفرد الكتاب صفحات للدور الخطير الذي لعبه « احمد سوكارنو » خدمة لليهودية والشيوعية والصليبية .

اما باكستان فيبين المؤلف رحمه الله بالوثائق والادلة كيف لعبت الافعى اليهودية دورا كبيرا في تقسيم باكستان وشن الهند للحرب ضد باكستان المسلمة ناهينا عن الصلات الوثيقة بين الهنادكة واليهود ، هذه الصلات الوثيقة التي تمثلت في التعاون العسكري بين النظامين .

الفصلين السادس والسابع من الكتاب :

يتكلم **الفصل السادس** عن لواء الاسكندرونة .. وقبرص .. والعراق وايران ويوضح ما قام به العميل الماسوني مصطفى كمال من اغتصاب لواء الاسكندرونة وعن قبرص والدور الذي قامت به الافعى اليهودية وبريطانيا ناهينا عن دور اليونان في محاولة ضم قبرص التركية المسلمة اليها .

وعن العراق وما قامت به الافعى اليهودية في ايام الشيوعية .. وعن ايران كيف ثبت تدخل اليهود في نظام حكمها - السابق - وتجارتها والسيطرة على اقتصادها بالاضافة الى تغلغل اليهود في نظام المخابرات الايراني « السافاك » وما قام به اليهود من انشاء دور للدعارة والفجور والفساد ايام شاه ايران .

اما **الفصل السابع** فهو يتحدث عن مأساة اريتريا المسلمة ومحنة الاسلام في الحبشة - ابان حكم هيلا سلاسي - وتعاونه مع اليهود تعاونا تاما من اجل القضاء على الاسلام كما نتعرف على الدور الذي قام به هيلا سلاسي عندما سلم ارتيريا الى اليهود عن طريق ضمها الى الحبشة متجاهلا في ذلك قرار الامم المتحدة وقتها .

الفصل الثامن : نيجيريا والسنغال وتشاد وزنجبار :

تواصل الافعى اليهودية لدغاتها السامة في قارة افريقيا المسلمة حيث الدول ذات الثقل الاسلامي ففي نيجيريا تسللت الطوائف اليهودية وافتعلت المنازعات الطائفية في هذا البلد الاسلامي العريق واستعانت اليهودية بالاستعمار البريطاني ومراكز التبشير وتسلل اليهود الى نيجيريا لتهويدها واعترض زعماؤها فكان ان تم تدبير اغتيال الزعيم المسلم

« احمدو بيللو » و (ابو بكر تافاوا باليوا) في ١٩٦٦/١/١٥ وقام بالاغتيال مجموعة من الضباط النصارى بتخطيط من اليهود وبريطانيا لازاحة الزعماء المسلمين .

اما تشاد والسنغال - وشعباهما من المسلمين - فقد قام الاستعمار الفرنسي بالتواطؤ مع اليهود بافتعال الخطط المألوفة لاحداث الفتن المعتادة وتدفقت البعثات اليهودية الى البلدين ونجحت هذه الطوائف في خلق الفتن واشتعلت المناطق كلها .

اما زنجبار فقد تكاتف على اضاعتها القوى العدائية المعتادة ، فاتفق الاستعمار الصليبي والاستعمار اليهودي بتصفية زنجبار ، ورصدت اسرائيل الاموال اللازمة وتم تدبير المذبحة المشهورة ضد المسلمين « ١٩٦٤/١/١٢م » وكانت الأوامر تقضي بقتل كل عربي مسلم وذبح الاطفال وهتك اعراض المسلمات وتم تشجيع الاباحية والرذيلة ، وقام الخادم « عبيد كرمومي » - الذي وضعه جوليوس نيريري حاكما لزنجبار - بتنفيذ خطة سادته ، وتم ضم زنجبار الى تنجانيقا في ٢٦ نيسان ١٩٦٤م وليصبح القس الكاثوليكي جوليوس نيريري رئيسا للدولتين المتحدتين تنجانيقا وزنجبار تحت ما يسمى بـ « تنزانيا » .

الفصل التاسع والأخير :

اما **الفصل الاخير** فهو يتعلق بالصدى الذي احدثه كتاب الافعى اليهودية في معاقل الاسلام ، وهو يتمثل في بعض المناقشات التي دارت بين النصارى وبين مؤلف الكتاب بالاضافة الى بعض الاراء الاسلامية التي خضعت في تقييمها للكتاب الى التهوين من اليهود والى التهويل لهم ، وقد تصدى المؤلف رحمه الله لهذا كله ووضع الامور في مكانها الصحيح .

واختتم المؤلف كتابه بعدة ملاحق هامة هي :

١ - ملحق رقم ١ الخاص بسلاطين آل عثمان وتواريخهم .

٢ - ملحق رقم ٢ الخاص بامبراطورية الاسلام « الاقطار الاسلامية المستقلة والاقليات المسلمة » .

٣ - ملحق رقم ٣ ويحمل نص المذكرة التي رفعها رئيس جماعة الكفاح لتحرير الشعوب الاسلامية الى الامم المتحدة .

وبعد ..

فليس لنا من تعليق نختتم به عرضنا لكتاب الافعى اليهودية في معاقل الاسلام الا ان نطالب من فوق منبر **مجلة الوعي الاسلامي** بأن يقرأ كل مسلم ومسلمة هذا الكتاب ، ولعل الله عز وجل يلهم بعض اولياء امر العالم الاسلامي الذين منحهم الله ثروة من عنده ان يقوموا باعادة طبع هذا الكتاب وتوزيعه - ولو مجانا - على الشباب المسلم كي نعرف عدونا .

فلن نستطيع قط ان نتغلب على عدونا الا اذا عرفناه .. ولن نعرف عدونا الا اذا عرفنا اعماله وما فعله .. وما يفعله .. وما يخطط لعمله .

تلمسان

من الاحداث الثقافية الهامة انعقاد الملتقى السادس عشر للفكر الاسلامي بمدينة تلمسان بالجزائر منذ السادس من شوال ١٤٠٢ هجرية حتى اليوم الثاني عشر منه (٢٧ يولية ـ ٢ اغسطس ١٩٨٢م) ، وكان الموضوع الرئيسي الذي دارت حوله المحاضرات والمناقشات تقويم حصيلة الدراسات الاسلامية التي اجريت حول السنة النبوية باعتبارها المصدر الثاني للتشريع في الاسلام ، والرد على افتراءات المستشرقين المغرضين ، ووضع منهج علمي تقوم عليه البحوث الفقهية . وقد شارك في هذا المؤتمر نحو الف من العلماء المتخصصين العرب والمسلمين والباحثين والطلاب . وقد بلغ عدد الاساتذة الجزائريين مائتين ، وخمسين عملوا جنبا الى جنب مع المفكرين القادمين من مختلف بلاد العالم .

وتناول الملتقى دراسة السنة من حيث تبليغها ، وتدوينها ، والبحث التحليلي لكتب الحديث ، وكان المحور الرابع للدراسة فهم السنة والعمل بها ، وذلك في اطار ما تهدف اليه هذه الندوة التي تقام بالجزائر سنويا من التعريف بالفكر الاسلامي والتصدي للغزو الثقافي الاستعماري .

ويذكر احتضان مدينة تلمسان لهذا الملتقى وكذلك الملتقى الذي عقد بها في سنة

مدينة الفكر الاسلامي

للدكتور
حسن فتح الباب

١٣٩٥ هجرية (١٩٧٥م) بماضيها التليد في العصور الوسطى ، اذ كانت مركزا للفكر العربي الاسلامي ومنارا ثقافيا يقصده طلاب المعرفة طوال ثلاثة قرون تقريبا . وكانت تنافس بما بلغته من مكانة مرموقة مدن المغرب العربي ولا سيما فاس والقيروان ، بل مدن المشرق العربي ايضا ، وقد هيأ لتلك المدينة العريقة ذلك المركز العلمي والحضاري عدة عوامل اهمها ما تتمتع به من موقع جغرافي استراتيجي ممتاز جعل منها مركزا تجاريا وثقافيا كبيرا يربط بين الشمال الافريقي والاندلس ، وملتقى طريقين من اهم طرق المغرب العربي ، احداهما تصل الشرق بالغرب ، والاخرى تربط بين الشمال والجنوب ، وكانت تعتبر خلال مدة طويلة سبيل الذهب . وبالاضافة الى هذه الميزات الجغرافية ، فان وفرة اراضيها الخصبة ومياهها العذبة جذبت اليها كثيرا من الاقوام إلتماسا لطيب المقام والحياة الرغدة ، وان كانت هذه العوامل قد جعلتها مسرحا للصراع في

العصرين الوسيط والحديث بين القوى السياسية المتنازعة ومطمعا للدول الاوروبية ، فكانت محاصرة او مهددة بالحصار في كثير من الاحيان . وهدمت واعيد بناؤها في كل مرة على يد القوة الغالبة لتتخذ منها ركيزة ومستقرا او نقطة وثوب للتوسع . وهكذا تعددت الممالك والدول التي عرفتها تلمسان ، اذ تعاقب عليها الرومان والادارسة والمرابطون والموحدون والزيانيون والمرينيون ثم الزيانيون مرة اخرى ، وقد اعقبهم الولاة الاتراك الذين استمر حكمهم ثلاثة قرون اعقبها عصر الاستعمار الفرنسي البغيض منذ نهاية الثلث الاول من القرن الماضي حتى اندثر على يد المجاهدين الجزائريين الاحرار واستقلت الجزائر سنة ١٩٦٢م .

ومازالت في تلمسان بعض اثار الحضارة الاسلامية التي ازدهرت بها في عهود الممالك المتوالية ، وفي مقدمة هذه المنشآت ذات القيمة التاريخية الاسلامية مساجدها ومدارسها ، واقدمها الجامع الكبير الذي بناه المرابطون في القرن الثاني عشر الميلادي ، وهو يشبه الى حد كبير مسجد قرطبة في فنه المعماري ولا سيما ساحة الصلاة والمحراب والقبتان . ومن اشهر مساجد تلمسان مسجد بلحسن وهو تحريف اسم ابن الحسن اخي العالم المشهور أبى اسحق ، وقد بناه عثمان ابن يغموراسن سلطان الزيانيين ، ومسجد سيدي أبى مدين نسبة الى الفقيه شعيب أبى مدين الاندلسي الاصل اذ ولد في اشبيلية سنة ١١٢٦م ، ودرس في فاس بالمغرب في عهد الموحدين ، كما درس في مدينة بجاية بالجزائر ، وكان زاهدا متصوفا . وكذلك مسجد سيدي الحلوي الذي بني في عهد المرينيين ، والحلوى هو الشيخ ابو عبد الله الشودسي الذي نشأ ايضا في اشبيليه ، وكان قاضيا متصوفا ، طاف في بلاد المغرب حتى استقر في تلمسان في اوائل القرن الثالث عشر . وثمة مساجد اخرى شيدت في تلمسان خلال العصور المختلفة ، ولم يزل بعضها قائما حتى الان مثل جامع اولاد الامام الذي يرجع الى عهد المرينيين . ولكثرة هذه المساجد تعد تلمسان بحق مدينة المآذن ولولا ان الاستعمار الفرنسي اهمل شأنها ، ولم يعن الاتراك ايضا بترميمها ، لاحتفظت المدينة بكثير منها .

وتضم مسجد ابي مدين وضريحه ومسجد الحلوي « قرية العباد » التي تقع في الجنوب الشرقي من تلمسان على منحدر هضبة عالية : وهي تزخر بالاثار التاريخية التي خلفها السلطان المريني ابو الحسن لتخليد العلماء والزهاد في عصره وليدخل بصنيعه هذا في قلوب الاهلين لما عرفوا به من تقدير عميق لاهل العلم والصلاح ، ومن ارتفاع مكانة العلماء عندهم على مكانة الامراء . وتحوي هذه القرية اثار قصر ومدرسة الى جانب المسجدين والضريح . وقد ووري في مقبرتها كثير من رجال الفقه والتصوف ، فهي اشبه بمقبرة العالية مثوى الشهداء في الجزائر العاصمة . بيد ان بعض اهل المدينة ممن لم ينالوا قسطا من التعليم يبلغون في تقديرهم لاولئك الرجال مرتبة تكاد تقرب من التقديس اذ يعدونهم من اولياء الله ويعتبرون كل ما يصيبهم من نعم من فيض بركاتهم ، ويعتمدون عليهم

بعد الله في حماية مدنهم ومنشآتهم . ومن ثم تختلط الحقائق بالاساطير فيما يتعلق بسير هؤلاء الزاهدين نظرا لما تنسبه اليهم العامة من افعال كالخوارق . ولا شك ان انتشار مذاهب المتصوفة في عهد المرابطين والموحدين وسوء فهم العامة للاصول الشرعية قد ساعدا على ذلك . كما ان بعض اصحاب الطرق قد لعبوا دورا كبيرا في هذا الشأن دعمه المستعمرون ومبشروهم بعد الغزو الفرنسي ، كما استغله بعض مؤرخيهم المتعصبين في تشويه الاسلام والمسلمين .

ومع ذلك ، فانه من الثابت تاريخيا انه نشأت ـ الى جانب حركة التصوف ذات الاتجاهات المعتدلة والمغالية ـ نهضة ثقافية عربية اسلامية كبرى عمت تلمسان وسائر بلاد المغرب العربي ، تدل على ذلك المؤسسات الحضارية التي اشاد بها الخبراء والعلماء الاوربيون غير الحاقدين ، والتي تقع المدارس موقع الصدارة منها . وقد كانت هذه المدارس ـ التي اكثر الحكام المسلمون من بنائها ـ مقصدا لرواد العلم والمعرفة من اهل الاندلس والمغرب ، وبفضلها غدت تلمسان احدى العواصم الثقافية الكبرى . فكان المسجد بمحرابه تجاوره المدرسة بمكتبتها . ولا يخفى الدور الاجتماعي الكبير الذي يقوم به المسجد الى جانب دوره الديني بل ان الجوامع الكبرى كانت اشبه بالجامعات العلمية كما هو الشأن بالنسبة للجامع الازهر بالقاهرة وجامعي الزيتونة في تونس والقرويين بالمغرب . ومن ثم يحق القول ان مدارس تلمسان كانت محل عبادة ومنجم علماء وفلاسفة ومثقفين في نفس الوقت . بل ان الزوايا قامت الى جانب المدارس والمساجد بدور في نشر اللغة العربية والاسلام ، اذ لم تتعرض لها السلطات الفرنسية بل تركتها لابناء الشعب ، ظنا بان اقبالهم عليها من شأنه ان يلهيهم عن الاستعمار ويصرفهم عن السياسة والنضال الوطني ، فافاد من ذلك طلاب العلم في الحفاظ على لغتهم وشخصيتهم .

ويؤكد الباحثون الاجانب انفسهم ان تلمسان كانت تعد في الفترة ما بين القرنين الثاني عشر والخامس عشر للميلاد مدينة العلماء ، ومجمع المدارس ومزار الحكماء من مختلف ارجاء العالم العربي والاسلامي . وكان لحكامها مآثر غير منكورة في هذا الميدان ولا سيما في عهد بني زيان ازهى عصور تلمسان ، اذ كانوا يبنون الى جانب قصورهم مساجد تضاهيها في عظمة البنيان في اغلب الاحيان . كما اولوا دور التعليم والقائمين عليها رعايتهم ، تقديرا لرسالة العلم ، واستجابة لما عرف عن التلمسانيين من اجلال للمعرفة . وقد اوقفوا على هذه المدارس اراضي وحدائق ومطاحن وحمامات للانفاق من ريعها على المعلمين والطلاب وصيانة المباني . ولم يحل الاصل البربري لهؤلاء الحكام المسلمين دون تشجيعهم التدريس باللغة العربية باعتبارها لغة القرآن والحضارة الاسلامية ، واحتفالهم بالمولد النبوي في قاعة القصر الزياني بين ابناء الشعب المتجمعين في حلقات ادبية يتبارى فيها الشعراء ويحضرها السلطان . ويبرز بين هؤلاء الحكام بصفة خاصة السلطان يغموراسن الكبير ، اذ كان شغوفا بالثقافة العربية ، مطلعا عليها ، حريصا على حضور حلقات الدراسة في الجامع الكبير رغم انه لم يكن يتحدث الا باللهجة

البربرية ، واليه يرجع الفضل في اجتذاب علماء العرب المشهورين الى عاصمته تلمسان .

ومن اهم المدارس القديمة في تلمسان « مدرسة العباد » التي نوهنا بها انفا والتي كان ينقطع بها للدراسة الباحثون عن المعرفة ويلقي بها العلماء محاضراتهم . ولم يقتصر بعض هؤلاء العلماء على دراسة العلوم الدينية ، بل جمعوا بينها وبين العلوم الاخرى ، اذ لم يكن ثمة تخصص علمي في ذلك الزمان ، بل كان العلماء موسوعات جامعة حية ، تقاس مراتبهم بمعيار الشمول وسعة المعرفة مع الدقة وحدة الذهن والقدرة التعبيرية . وكان اكثرهم يجمعون بين العلم والعمل الصالح والزهد الذي يبلغ درجة التنسك ، ولا سيما ان النساك كانوا منتشرين انذاك في ربوع المغرب الكبير ، وقال عنهم مستشرق في دراسة علمية موضوعية « انهم يحسنون التوفيق بين العلم والتخيل وبين التقشف والعبادة » . ومنهم من كان فارسا مجاهدا في الحروب . ولعل ذلك من الاسباب الظاهرة التي ذكرناها من قبل ، وهي نظرة البسطاء من الناس الى هؤلاء العلماء الورعين البسلاء بصفتهم اولياء الله ، واحبابه ، وحماة مدينتهم الذين يصدون عنها غائلة المغيرين ، وتناقل الناس عديدا من الروايات التي تجمع بين الواقع والخيال في مآثر هؤلاء الرجال الابطال . ويكفي ان يذكر منهم « سيدي محمد بن علي » الذي قاد ثورة التلمسانيين ضد الاتراك في القرن السابع عشر .

وقد ذكر المؤرخان ابن مريم والتنسي (القرن الرابع عشر الميلادي) في مؤلفاتهما قائمة تضم اكثر من ثلاثمائة عالم عاشوا في تلمسان ، وامسكوا بزمام حياتها الثقافية في العصور الوسطى ، ومن بينهم الحافظ بن مرزوق ، وابو عبد الله الشريف ، وابراهيم المعمودي ، وسعيد العقباني ، وابن ذكرى ، والابلي ، ومحمد ابن عبد الكريم المغيلي ، وابن يحيى الونشريسي . وجلهم تعمقوا في دراستهم الفقهية ، وتوسعوا في العلوم الاخرى ، وصنفوا مؤلفات مازال بعضها يحمل افكارا لم يتجاوزها عصرنا . ومنهم من شغل مناصب هامة في العواصم العربية القديمة كفاس وغرناطة وتونس والقاهرة ، مثل مناصب الفتوى والقضاء والتدريس .

ويحظى الحافظ بن مرزوق بمكانة خاصة بين هؤلاء العلماء ، وقد عاش بين سنتي ١٣٦٤ ، ١٤٣٨م ، وعرف على نطاق واسع في تلمسان ، اذ شرح مؤلفات العالم الفيلسوف اليوناني سقراط ، والف كتابا في الفتوة ، وتخصص في تفسير القرآن ، ونظم قصيدة بعنوان « البردة » . وتدل هذه المؤلفات جميعا على سعة ثقافته .

ومن ابرز الشخصيات التاريخية التي عرفتها تلمسان المفكر العربي الاسلامي الكبير عبد الرحمن بن خلدون الذي يعد من العبقريات النادرة في العصور الوسطى (١٣٣٢ ـ ١٤٠٦م) ، اذ وضع لاول مرة اصول فلسفة التاريخ وعلم الاجتماع ، وله افكار تدخل في صميم الفكر الاقتصادي وان لم تشكل نظرية اقتصادية بالمعنى

الحديث . وقد تنقل في بلاد المغرب والاندلس ، ثم اقام بتلمسان حيث شرع في تأليف مصنفه التاريخي الكبير : « العبر وديوان المبتدأ والخبر في اخبار العرب والعجم والبربر » . وقد اتمه وكتب مقدمته الشهيرة ـ على ارجح الاقوال ـ في قلعة ابن سلامة بقرية تاقزوت التابعة لولاية تيهارت بالجزائر ، وذلك بعد ان غادر تلمسان وقبل ان يتوجه الى القاهرة . وهو يذكر انه خلال اقامته في تلمسان قصد الى مدرسة العباد في ضواحيها ، ملتمسا فيها الاعتكاف قليلا والتقاط الانفاس من عناء رحلاته الطويلة وعبء المناصب الادارية التي تولاها ، ومواصلة التحصيل ، وقال في ذلك ما معناه : « لقد توجهت الى مدرسة الشيخ ابي مدين فرارا من الشئون المدنية وطلبا للدرس بقدر ما يسمح لي بذلك » .

ويلي ابن خلدون في الاهمية العلمية لمؤلفاته الجغرافي المؤرخ ابو العباس احمد ابن محمد التلمساني المعروف بالمقري المتوفي سنة ١٤٠١هـ (١٦٣١م) وكان اديبا مشاركا في علوم الكلام والحديث والتفسير . وقد ولد في تلمسان وتوفي بمصر حيث كان قاضيا . واشهر مؤلفاته كتابه في تاريخ ممالك الاندلس والمغرب « نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب » ، ومازال يدرس حتى الان في الجامعات العربية . وله كتاب بعنوان « تعاليق حول مبادىء الحق » . ومن علماء تلمسان الشيخ محمد بن يوسف السنوسي (١٤٢٨ ـ ١٤٩٠م) الذي قال عنه احد المستشرقين انه قدم للعلم ما قدم ابن خلدون للتاريخ وعلم الاجتماع . وقد اسس تيارا فلسفيا انطلاقا من مبدأ وحدانية الله . ومن مؤلفاته كتاب العقيدة في عدة اجزاء (العقيدة الكبرى ، الوسطى ، الصغرى ، واخيرا المقدمة) . كما الف في علوم الطب والرياضيات والفلك وقد خلف اكثر من اربعين مصنفا في هذه العلوم وفي المنطق والنحو ، الى جانب العلوم الدينية والتصوف . وهو يعد فخر الفكر الاسلامي في اواخر القرن الخامس عشر . وقد توفى في بلدته تلمسان وله ضريح يزار في قرية العباد . ومن تلامذته عبد الكريم المغيلي الذي توفي في مدينة كانوا (نيجيريا) حيث اسس اول جامعة اسلا ية في هذه المدينة .

ويقترن اسم الشيخ السنوسي باسم الشيخ ابي عبد الله الشوديسي المشهور بسيدي الحلوي ، اذ كان كلاهما من شيوخ المدرسة التلمسانية العريقة ، رغم ما يفرق بينهما من فاصل زمني . وقد ولد الشيخ ابو عبد الله ، واقام في اشبيلية بالاندلس حيث اشتغل بالقضاء بفضل تمكنه من علم التشريع ، واعتنق المذهب الصوفي . ورحل الى المغرب ثم الى تلمسان في القرن الثالث عشر ، ودفن في مقبرة العباد حيث اقيم له ضريح ومسجد باسمه . وقد عرف عنه انه من تلاميذ ابني الامام محمد التنسي والشيخ الابلي ، ذلك العالم الذي كان له دور راجح في تكوين ابن خلدون . ويروي المؤرخون عن الشيخ ابي عبد الله انه درس مبادىء المنطق اليوناني والحساب والهندسة والطب والفلاحة والموسيقى . وكان طلب العلم شغله الشاغل .

ومن علماء تلمسان الذين جمعوا بين العلوم الدينية والعلوم الاخرى احمد ابو

يحيى الحباق ، اذ تخصص هذا الفقيه في علم الاسطرلاب (الفلك) ، وترك مؤلفات قيمة مازالت تدرس في الجامعات الاوروبية منها « رسالة السفر » وتعليقه على كتاب الفقيه وعالم الرياضيات المراكشي ابي العباس احمد بن البناء (١٢٥٨ ـ ١٣٣٩م) « تلخيص اعمال الحساب » .

لقد ترسم هؤلاء العلماء خطى الرعيل الاول من علماء تلمسان القدامى ابتداء من القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) حينما كانت تحمل هذه المدينة القديمة اسم « أغادير » في عهد الأدارسة الذين بنوا فيها اول مسجد كبير بعد الفتح الاسلامي الذي قاده عقبة بن نافع قادما من مدينة القيروان التي اسسها في تونس ، وجعلوا منها مركزا لنشر مبادىء الاسلام عبر المدن والقرى في المغرب الاوسط (الجزائر حاليا) ، ثم اعقبهم المرابطون في اواخر القرن العاشر الميلادي . وقد شهدت تلمسان في عهدهم ـ ولا سيما في ظل حكم يوسف بن تشفين مؤسس دولتهم ـ ازدهارا بعد معاناة وحصار . وكان اول اعماله بناء عاصمته « تاقرارت » في موقع تلمسان الحالي ، واقامة الجامع الكبير ، واجتذبت تلك النهضة التي عظمت في عهد بني عبد الواد (الزيانيين) واستمرت من القرن الثالث عشر الى القرن السادس عشر ، اقطاب الفقه والفكر من شتى البلدان . فوفد الى تلمسان الشيخ عمران ابو موسى المشدالي (٦٧٠ ـ ٧٠٥هـ) ، وكان يدير بها المدرسة التاشفينية ، وهو شيخ مشايخ ابن خلدون ، وكذلك الشيخ اسحق بن ابراهيم التنسي الذي توطن فيها في عهد يغموراسن مؤسس الدولة الزيانية ، وكان يلقي دروسه بمسجدها .

وبفضل هذا الاضطراد في المجال العلمي والتعليمي بالمساجد والمدارس ابتداء من محو الامية والوعظ والارشاد وبث تعاليم الفقه والتصوف حتى التثقيف بالمعنى العام ، وتواتر العلماء طبقة بعد طبقة في سلسلة لم تنقطع حلقاتها عدة قرون ، ارسيت تقاليد في المجال الثقافي والفكري لم تقو على محوها كوارث الحروب التي لحقت بالبلاد . فكان التلمسانيون ينبعثون بالعلم والعرفان من بعد موتهم في الدمار ، وكانما مدينتهم طائر الفينيق الذي ينتفض بين ركام الرماد المحترق ، منطلقا الى الحياة ، محلقا في اجواء الفضاء . ونرى مصداق هذا الواقع الثقافي في شهادة شاهد من الفرنسيين لا يخلو من التعصب للعهد الاستعماري والتجني على العصر التركي ، وهو المستشرق « الفريد بال » ، اذ قال في عام ١٩٢٠ : « لازالت تلمسان مركز الثقافة . ويمتاز المسلمون في هذه المدينة . بحياتهم الثقافية لا عن سكان الارياف فحسب ، بل عن مسلمي المدن الاخرى ايضا » . وبعد ان نسب هذا المستشرق الى الاتراك وحدهم مسؤولية ما ران في عصرهم على بعض المناطق من خمول ثقافي ، متجاهلا الجاني الحقيقي وهو الاستعمار الفرنسي ، واستطرد قائلا : « واليوم ايضا ، رغم الضعف الثقافي الناتج عن ثلاثة قرون ، فانه يمكن العثور على عدد كبير من المثقفين المسلمين وبعض العلماء في تلمسان . وانك لتجد في

احيان كثيرة بقالا ، او بائع تبغ ، او حلاقا ، منهمكا في مطالعة نص تاريخي او ادبي ، او ديني ؛ او جزء من الف ليلة وليلة او مجموعة اغان ، ريثما يأتيه الزبائن » .

وقد كان من نتائج هذا المناخ الثقافي الذي ساد البيئة التلمسانية ، انه رغم المحو الاستعماري المنظم لمقومات الشخصية التاريخية لسكان المدينة ، فقد بقي اتصالها وثيقا بماضيها العربي الاسلامي ، واستطاعت تكوين تراث غني مكنها رغم تلك العقبات والالتواءات من مواصلة حياة ثقافية زاخرة قيمة ، خلعت طابعها التهذيبي على الكثرة الغالبة من اهلها في اوقات فراغهم ، وفي معاملاتهم ، بعد ان كان ذلك وقفا على طبقة الاثرياء . وقد كان هذا التراث الثقافي هو القاعدة التي شادت عليها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الصرح التمهيدي للنهضة العربية الاسلامية في الثلاثينات من القرن العشرين ، فشيدت في تلمسان مدرسة باسم « دار الحديث » افتتحها الشيخ عبد الحميد بن باديس رئيس الجمعية . وادارها من بعده نائبه الشيخ البشير الابراهيمي ، وكانت تدرس فيها اللغة العربية ، الى جانب الكتاتيب ، وقد تخرج في هذه المدرسة وتلك الكتاتيب كثير من ابناء جيل الثورة الجزائرية التي اندلعت في الخمسينات .

كما انشئت في تلمسان بجهود فردية جمعيات دينية ثقافية ، اهمها جمعية اصدقاء الكتاب سنة ١٩٢٦ ، وكانت مكتبتها مركزا للتنوير وتبادل المصنفات ، وملتقى لطلاب المعرفة ، بل كانت هذه الجمعية ايضا مدرسة للتربية الوطنية ، وبث روح الصمود في مواجهة العدو ، فكان التلمسانيون يقصدونها بحثا عن الوسيلة التي تمكنهم من الاحتفاظ بشخصيتهم العربية الاسلامية ، من خلال الهامش الضئيل الذي تركه الاستعمار ، وهو تعليم مبادىء الدين واللغة العربية ، وذلك قبل ان يستبدل بهذه السياسة نهج القهر والتنكيل . ولقد منحت جمعية اصدقاء الكتاب النور لجمعية أخرى انشئت باسم « اصدقاء الطالب » ، وكانت مهمتها تقديم المساعدة المادية للشبان الجزائريين الذين وصلوا الى مرحلة التعليم العالي .

واليوم تؤتي البذور القديمة والرعاية الحديثة ثمارها ، فتتضاءل الامية بفضل التعليم المجاني وتنفيذ خطط التنمية الاجتماعية ، وتتزايد المدارس بمختلف مراحل التعليم ، وينشأ مركز جامعي سنة ١٩٤٧ يضم في هذا العام ١٧٠٩ طالبا . ويصدق القول ان تلمسان اليوم التي احتضنت ملتقى الفكر الاسلامي مرتين ، هي ابنة تلمسان الامس ، التي دافعت عن مقوماتها العقائدية واللغوية والثقافية ، وخاضت معارك طاحنة في سبيل الوطن ، واستحقت ـ بمن انجبت من مفكرين وباحثين وتجاوزت شهرتهم ارضها الى ارجاء العالم الاسلامي ، بل الى بلدان كثيرة خارج هذا العالم ـ ان تسمي عاصمة الفكر الاسلامي جنبا الى جنب مع القاهرة وفاس والقيروان والمدن الاندلسية في العصر الوسيط ، ومازالت كذلك حتى اليوم .

الله أقسم أن يتم نوره

للدكتور / احمد حسنين القفل

هلا سألت الدهر عن عظمائه / وسألته : من جل عن نظرائه ؟
ينبيك توا ، دون ادنى ريبة / أن الفريد الفذ من نجبائه
هو ذا النبي الهاشمي « محمد » / من انقذ الانسان من أدوائه
من أسس الدين القويم مضحيا / بالنفس والأموال في إنشائه
من قابل الأهوال يضحك ثغره / للنائبات . اذا دعا بدعائه
من قاوم الكفار فردا أعزلا / وهم الكثير ، فزلزلوا لبلائه
أقصوه عن وطن له فاذا بهم / فتحوا البلاد بأسرها لندائه
الله أقسم أن يتمم نوره / حاشاه يخذل لائذا بلوائه

***

نعم الحنيفة . إنها دين الورى / حمدا لرحمن على نعمائه
دين أضاء الكون بعد ظلامه / آساه من أدوائه وشقائه
قد كانت الأعراب قبل ظهوره / شعبا يشيع الجهل في أرجائه
قد الحجارة عابداً بجهالة / وتفنن الشيطان في اغوائه
جور ، وحيف ، وانتهاك محارم / حمق يعيش الكل تحت سمائه
جار القوي على الضعيف سفاهة / واجتاحه في صبحه ومسائه
مازال يمرح في الضلالة هائما / يزداد أدواء على أدوائه
والخير مقصور على ساداته / والذل مضروب على ضعفائه
حتى أراد الله خيرا بالورى / بل شاء آلاء على آلائه
بعث البشير « محمدا » برسالة / لتخلص الانسان من أهوائه
لينير هذا الكون من ظلماته / ويشيع دين السلم في أرجائه

***

بشر حباه الله نور بصيرة / آتاه قرآنا وكل رضائه
مازال يدعو كادحا مستبسلا / يزداد في اخلاصه ووفائه
والقوم منصرفون عنه للهوهم / مستنفرين عليه في ايذائه
وسط الجحافل قام يدعو هازئا / من عصبه رأبت على اقصائه

قالوا لـه الايذاء مـرا علقـا   كم ساوموا حينا على اغـرائـه
لهفي عـلى فـرد يتيم أعـزل   ايمـانـه قـد زاد من أعبـائـه
ما انفك يدعو ساخرا من أمرهم   والكـل مشدوه لحسن بـلائـه
جهرا وسرا : في المساء وفي الضحى   يـدعو لـدين جد في ارسـائـه
حتى اذا برموا وجن جنونهم   ورأوا نـذير الشر في أنبـائـه
جمعوا الجموع لقتله وليأسهم   من رده عن دينـه ووفـائـه
وقفوا بباب البيت ليلة اجمعوا   أمـرا على اهـدار حق دمائـه
كتب الالـه لينصرن رسـولـه   والسهم طاش ففر من أعدائه
خرج الرسول « محمد » من بينهم   « وعـلي » يكمن طيعا لفدائه
والجمع عند الباب غاب صوابهم   هـذا يشارك ذاك في اغفـائـه
الله أكبـر ، تلك معجـزة بدت   هدت كيان الشرك في غلوائـه

***

هذي قريش قد تزايـد كربهـا   رصدت له الابطال من اعدائه
في اثره ذهبوا ، وغاية قصدهم   ان يقتلوا « المبعوث » في صحرائه
ما ذنب هادٍ قام يدعو قومـه   للصالحات ، وذاك كل رجائه ؟
واساه « صدِّيق » وسار بجنبه   يسعى ويمضي طيعـا لفدائـه
حب لـذات الله ، لاختـل بـه   كلا ولا التضليل من أسمائه
خاب الطغاة المشركون فقد رأوا   ما تعجز الألفاظ عن ابدائـه
يا « غار ثور » قل لهم ماذا جرى   للصاحبـين تناجيـا بفنـائـه
بالباب أكملت « الحمامة » عشها   و« العنكبوت » يجول في أرجائه
سبحانك اللهم تنصر من تشا   وتـذل جبـارا عـلى خيـلائـه

***

في « يثرب » الفى الذين تمسكوا   بـالدين والتفوا على اعـلائه
هم زمرة « الأنصار » قر بقربهم   كـل يبالـغ في تمـام رضـائـه
هبوا لنصرتـه كرامـا ، أيدوا   « علم الهدى » و« الدين » في ضرائه
ترك « المهاجر » مالـه وعيالـه   فـالمصطفى والله كـل رجـائـه
يا هاديا سعد الأنـام بفضله   والله نـاصـره عـلى أعـدائـه
هاجرت من وجه الظلام لرحمة   وسعت جميع الكون من أرجائه
هـذا منـار للجهـاد أقمتـه   عال يحار الطرف في أضوائـه
هـذا مثـال للنـزاهـة حبـذا   لـو أننـا سرنـا عـلى لألائـه

***

يا دولة الاسلام هذا مجـدكم   جال الرسول وجد في ارسـائه
هـذا تـراث ان تمسكتم بـه   سدتم ، وان الفوز في اعـلائه
قـرآنكم دستوركم فخـذوا به   فالمجد ان تمضوا على آرائـه

اعتداد الإسلام بالألعاب

للدكتور / زيدان عبد الباقي

التكيف الاجتماعي من الموضوعات التي لم يتفق - بعد - علماء الاجتماع على تعريف محدد لها . فمن الناحية العفوية هناك من يعرفه بأنه« **الوسيلة الاجتماعية التي تمكن الفرد من ان يتكامل اجتماعيا** » أي محاولة مساعدة الفرد على تحقيق النمو الفردي الاجتماعي السليم ، وعلى خلق الاتجاهات الاجتماعية البناءة في كيانه ، وكذلك خلق الشعور بالمسئولية الاجتماعية ، الذي يسمح له - في مرحلة معينة من عمره - بممارستها . وهناك من يعرفه بأنه « **تلاؤم الفرد مع المجتمع الذي يعيش فيه في اطار الأفكار والعادات والتقاليد السائدة ، ومع أنماط السلوك الاجتماعي الجديدة التي يخلقها التطور والتغير في المجتمع ، وفي نظمه ومؤسساته ووسائل انتاجه** »بمعنى ان التكيف الاجتماعي عملية توفيق بين أفراد المجتمع ، تقوم على التضحية والتساهل والتحمل في سبيل الصالح العام وتحقيق الهدف المشترك .

ذلك ان الافراد مهما تقاربت مكوناتهم الشخصية ، فانهم مختلفون في الكثير او القليل منها ، ومن ثم يستحيل ان تسير حياتهم الاجتماعية على نحو صحيح الا بالتكيف الاجتماعي الايجابي ، وفي حدود ما

الرِّيَاضِيَّة

يتيحه الموقف الاجتماعي الذي يجمعهم من عناصر تلاؤمية .

التكيف الاجتماعي السلبي :

هذا ولم يجد علماء الاجتماع صعوبة في الاتفاق على تعريف محدد للتكيف الاجتماعي فحسب ، وانما وجدوا صعوبات أشد في تعريف « **سوء التكيف الاجتماعي**» ذلك المفهوم الذي يستخدم بكثرة في علوم الاجتماع والنفس الاجتماعي والتربية والبيولوجيا .. على اعتبار ان الفرد الذي لا يتكيف اجتماعيا سيكون منعزلا اجتماعيا وقد يعزله المجتمع اجتماعيا أيضا ، بعد أن تصبح له شخصية غير مقبولة من الجميع .

أنواع التكيف الاجتماعي :

هذا والتكيف قد يكون **فيزيقيا** Accommodation وقد يكون **اجتماعيا** Adaptation والنوع الثاني هو الذي يدخل في موضوعنا هنا . ويقصد بالتكيف الاجتماعي - من وجهة نظرنا - ان « **يتكيف الانسان مع البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها ، بحيث يصبح قطعة منها ، وعنصرا منسجما من عناصرها** » وعملية التكيف مع البيئة الاجتماعية - على هذا النحو - تحتاج الى نضج في الشخصية من جانب ، وادراك لواقع المجتمع من كل جوانبه من ناحية اخرى . وهذه العملية تتحقق بشكل متدرج ، وعلى مراحل متتابعة ، تتوافق مع مراحل نمو وتنشئة الفرد اجتماعيا . وهذه

العملية الأخيرة تبتدىء قبل ان يصبح الطفل جنينا . وتستمر معه من مرحلة النضج الاجتماعي .. الخ . وفي كل مرحلة من مراحل حياته تأخذ عملية التكيف الاجتماعي صيغة معينة ، تتبدل وفق المتغيرات التي تطرأ على شخصية الفرد من خلال تلك المراحل . وكلما اتيح له ان يندمج في مجتمعات متعددة ، كلما اكتسب تجارب وخبرات تربوية واجتماعية تساعده على الارتقاء بتكيفه الاجتماعي مع أفراد المجتمع الآخرين .

وبعبارة موجزة فان التكيف الاجتماعي « **هو الانسجام مع البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها الفرد** »على حين ان التكيف الفيزيقي وظيفته ترويض اعضاء الفرد وتكوينه الجسماني على التكيف مع ظروف البيئة الجغرافية ، ولا سيما الجوانب المناخية فيها . ذلك ان الانسان كما يفقد القدرة على الرؤية ، بصفة مؤقتة ـ عندما ينتقل فجأة من مكان يغمره الضوء الى مكان آخر مظلم ، يظل عاجزا عن الابصار ـ لفترة قصيرة ـ والى ان يتسع انسان العين . وبذلك يتمكن من التعرف على المرئيات داخل هذا المكان .. وبالمثل فان الانسان يفقد القدرة على التكيف الاجتماعي ـ بصفة مؤقتة ـ عندما ينتقل من بيئة اجتماعية الى اخرى مغايرة . وتستمر تلك الحالة معه الى ان يتغلب على المقاومة الداخلية والصراع الذاتي العنيف بين تراثه الراسب في تكوينه وفي شعوره ، وبين البيئة الاجتماعية الجديدة بمختلف عناصرها .

التوازن بين الفرد والجماعة :

غير ان التكيف الاجتماعي أو « **الشعور بالجماعية** » لا يعني ذوبان شخصية الفرد في المجتمع ، كما ان « **الفردية** » الحقيقية ليست انعزالا وهروبا من المجتمع ، على اعتبار ان « **التوازن بين الفردية والجماعية هو التكيف الاجتماعي بعينه**» اذ ان التكيف الاجتماعي « **عملية اجتماعية** »Social process تعتمد على ما يتطلبه المجتمع من تفاعل ايجابي بين الفرد والجماعة ، وهو **عملية فردية بقدر ما يتطلب المجتمع من اثراء لحياة الفرد ، حتى يتمكن من التفاعل الايجابي والاندماج** Amalgamation **في المجتمع** .

التكيف الاجتماعي بالأرقام :

وقد توصلت « السوسيومترية » Sociometry أو « علم قياس العلاقات الاجتماعية » الى وسيلة منهجية لقياس درجة التكيف الاجتماعي لكل فرد بالأرقام ، وترتيب افراد كل جماعة طبقا لدرجة تكيفهم الاجتماعي . وتقوم هذه الطريقة على أساس قسمة القيمة العددية لمجموع الاستجابات الرأسية والأفقية ـ في الصفوفة الاجتماعية ـ Matrix نحو

العضو في الجماعة على (ن ـ١) على اعتبار ان (ن) تساوي عدد أعضاء الجماعة ناقص العضو الذي يجري قياس مدى تكيفه الاجتماعي وعدد الاستجابات الرأسية والأفقية يمكن الحصول عليه من المصفوفة الاجتماعية ، التي تعتمد على أساس نتائج الاختبارات السوسيومترية .

التكيف الاجتماعي بالألعاب الرياضية :

التربية الرياضية هي احدى الوسائل التي تساهم في اشاعة التكيف الاجتماعي بين افراد المجتمع ذلك ان المجتمع الرياضي اذ يمارس بعض افراده الانشطة الرياضية ، ويشاهد البعض الآخر ممارسة هؤلاء ، مؤيدين البعض دون البعض بصورة تساعد على التنفيس الانفعالي Catharsis للمشاهدين والمشجعين ، وتساعد على ازجاء الطاقات الزائدة لدى اللاعبين في نشاطات بناءة . وكل ذلك مما يساعد على اندماج الافراد في البيئة الاجتماعية وزيادة انتمائهم اليها ، وهذا هو التكيف الاجتماعي الفعلي .

وفيما يلي يمكن تلخيص عناصر الدور الذي تلعبه الرياضة في احداث التكيف الاجتماعي :

(أ) انها مجال للتعبير عن الذات ، وبالتالي وسيلة لاثراء قدرات الأفراد على الابداع والتفوق من جانب ، واظهار الاستعدادات والمهارات الكامنة لديهم ونقلها الى حيز الواقع .

(ب) انها مجال للتنفيس الانفعالي عن الطاقات المكبوتة ، وبالتالي تساعد على التقليل من حدة التوترات النفسية ، الأمر الذي يصل الفرد الى حالة من الطمأنينة والهدوء النفسى . وتلك كلها تشكل أساسا للتلاؤم والتفاهم مع الآخرين . ولا ريب ان الانسجام بين الفرد والآخرين هو احد عناصر التكيف الاجتماعي في صورته الواقعية .

(ج) انها تعمل على توسيع دائرة الانتشار الاجتماعي للفرد ، اذ تأخذ به من دائرة الاسرة ، الى دائرة اوسع وارحب هي دائرة الملعب ، وهذه الأخيرة يجد فيها ما ينسيه ، ما قد يوجد في الدائرة الأولى من مشاكل اجتماعية ونفسية الى حين ، حتى اذا ما عاد اليها كان اكثر قدرة على التغلب عليها . اذ ان هذا النسيان يساعده على توفير الراحة المطلوبة لعقله ، حتى اذا ما عاد الى مجتمعه الاسرى كان عقله أكثر قدرة على التفكير المنطقي الخلاق ، الذي يأخذ بيده إلى وضع الحلول الناجعة لمشكلاته التي يعاني منها ، ومن المعروف ان لكل فرد مشكلاته التي كثيرا ما تختلف عن مشكلات الآخرين .

(د) انها تيسر للفرد فرصة التعود على التعاون الايجابي مع الآخرين ، فضلا عن ممارسة المنافسات الشريفة مباشرة أو غير مباشرة . وهذا يساعد الفرد على السيطرة على انفعالاته السلبية قبل الايجابية . وطبقا لما تفرضه الظروف في الموقف الاجتماعي

من أنماط سلوكية .
(هـ) انها تتيح للفرد التعامل مع مختلف الفئات الاجتماعيــة ، ومع المجتمعات المحلية والدولية ، سواء على النطاق الوطني او العالمي وبذلك تزداد دائرة معرفته اتساعا في الكم والكيف . وهذا يساعده على التعود على الالتزام بما تقضي به القوانين المكتوبة وغير المكتوبة التي تفرضها قواعد الألعاب الرياضية . وكل ذلك يجعل الفرد على بينة من قــواعد الضبط الاجتماعي Social Control واذا ما عرف الانسان تلك القواعد الضبطية ، فانه سيكون على حذر من مخــالفتــهــا ، وحينئــذ يــوصــف « **بالمواطن الصالح** »
(و) انها ليست نظاما اقتصاديا أو سياسيا ، وانما هي نظام اجتماعي ، بمعنى انها رؤية جمالية حياتية ، ومدرسة « **نبــل** » كالصــلاة ، مع مــلاحظة ان الصــلاة تحل محــل الرياضة ، والعكس غير صحيح .. وهي « **نقاء اخلاقي** »لا يستهدف من ورائه مغنما .
(ز) انها مجهود يبــذل للارتقــاء بتصــوراتنــا عن قــدرة الانســان وكرامته ، والارتفاع بها الى مستوى قدراته العضلية ، حتى نفرق بين العلم الذي نطلبه بعقولنا ، والاجسام القوية التي نطلبها بعضلاتنا .
(ح) انهــا تربيــة للجسم والفكر والروح معا ، بمعنى انها تهدف الى تحســين « **الذات** » البشــرية والى التكــامل المتــواصــل الــلامتنــاهي لانسانية الانسان . ذلك ان التكوين الاجتماعي « **الشخصية** » للفرد ، والتكــوين الكيــاني « **الجسم** » لا يتوقف عند حد معين ، وانما يعاد تكوينهما على فترات غير متباعدة من الزمن طوال عمر الانسان . وبالتالي فان التربية الرياضية عامل أساسي من عوامل اعادة تكوين الشخصية والجسم الانساني بين حين وآخر ، كلمــا طحنتهمــا المحن وصقلتهمــا التجارب .

اللــعــب وســوء التكيــف الاجتماعي :

لقد تفاقمت المشاكل الاقتصادية المتعلقة بالرياضة ، بشكل لا نتوقع معه الا النتائج الوخيمة ، فتكاليف اقامة الدورات الرياضية وبطولاتها ومهرجاناتها تتزايد بصورة خيالية ، ونــاهيك عن الــدورات الأولمبيــة .. ونتيجــة لــذلــك ســادت الجــوانب الرياضية نزعــة قوامهــا الرفــاهية والأبهة ، والاسراف الذي يصل الى حد السفه . وقد انعكست هذه النزعة على حياة الرياضيين فدفعتهم الى تخصيص جل أوقاتهم للتدريب من أجل تحقيق (الفوز) والانتصــار فحسب .. كل ذلك أدى الى كثير من السلبيات التي يمكن الاشارة اليها بالاصبع على النحو التالي :

● - ساعد ارتفاع مستوى الاداء وتعقده في الرياضة الدولية ، عــلى انتشار ما يمكن تسميته « **بمرض المشاهدة دون الممارسة** » . ولعل

الاجسام المعيبة للافراد الذين لا يمارسون الرياضة ، حيث الكروش « البطون » البارزة ، والظهور المقوسة ، والنتوءات هنا وهناك ، والأرجل الملتوية والاجسام المترهلة ، والعرق الذي يتصبب من الجبين مع سرعة دقات القلب و « النهجان » لمجرد السير على الأقدام لبضع دقائق قليلة .. كل ذلك خير شاهد على الآثار السيئة لهذا المرض ، فالعامل أو الموظف أو التاجر .. ذو الوزن الثقيل ، او ذو الكرش « البطن » الكبير » ، أو ذو الجسم الناحل الضامر المريض ، عدم فائدته للتنمية الاجتماعية والاقتصادية اكثر من فائدته . وهؤلاء لعيوبهم الجسمية - الناجمة عن عدم ممارسة الرياضة - يصطفون على مقاعد الملاعب الرياضية بالعشرات أو المئات او الآلاف .. يمارسون الأقوال « التصفير » والتصفيق لأولئك النجوم الرياضيين الذين انتزعوا منهم المبادأة وسيطروا على الميدان ، واستحوذوا على الرياضة وسخروا كل الامكانات التي تتحمل نفقاتها الشعوب لصالحهم دون الجماهير صاحبة الحق فيها ، والتي يبدو انها لا تعرف أن ممارسة الرياضة حق لها وواجب عليها .

- أدى تشجيع مختلف الدول للحركة الرياضية الى انتشار الملاعب ، بل والمدن الرياضية الفسيحة الأرجاء خارج المدن السكنية ، الأمر الذي جعل ممارسة الرياضة تحتاج الى مبالغ مالية كبيرة للانتقال إليها ، فضلا عن المبالغ الكبيرة الأخرى المطلوبة للملابس الرياضية التي تحتكر انتاجها شركات صهيونية مثل « شركة أديداس » ولذلك فان عدم قدرة الكثيرين على شراء الملابس الرياضية ، وكذلك عدم قدرتهم على حيازة وسائل الانتقال الخاصة الى النوادي الرياضية ، فضلا عن ارتفاع قيمة العضوية في هذه النوادي .. كل ذلك أدى الى شعور الكثيرين بالعجز ، ومن ثم سوء التكيف الاجتماعي .

الفوائد التربوية للرياضة :

للتربية الرياضية عدة فوائد تربوية واجتماعية يمكن تلخيصها فيما يلي :

- ان الرياضة تقبل التوظيف « **كأداة تسهم في البناء الانساني والحضاري** » للمجتمع ، بمعنى انها تسهم في القضاء على كافة الاخطار التي تهدد المجتمع ، وكذلك في التخفيف من حدة المشاكل التي يعاني منها . وعلينا نحن ان نجعل منها رسالة تربوية ، تمارس بروح رياضية عالية ، من اجل تحقيق الاهداف الاجتماعية السامية . ولذلك يشترط لقيامها بتحقيق تلك الاهداف ان تكون خالية من التعصب والاثارة والمغالاة والصراع الدامي ، وان تكون بعيدة عن التحيز المقوت ، وعن الاتجار والمتاجرة ، وكذلك عن الاحتراف والاستعباد لشخصيات اللاعبين .

- انها واجب وهواية ، بمعنى انها

تشمل كل افراد المجتمع ، وتجب على الجميع ، وان كانت تمارس كهواية خالصة في الزمان والمكان بالرغم من انها ليست كذلك .

- انها تثري المناخ التربوي في مختلف مجالاته وتعزز مكانته وتدعمه ، بما تتيحه من فرص امام ذوي المواهب والاستعدادت والمهارات ، وتجعل من الميسور على كل منهم ان ينمي مواهبه وقدراته ، وصولا الى اعلى المستويات الرياضية الميسورة في نطاق الروح الرياضية السامية والاخلاق الحميدة الفاضلة . ومن هنا يمكن القول : ان الرياضة احدى الطرق الاساسية لبناء الشخصية الانسانية وتدعيم اركانها .

- انها ضرورة صحية واجتماعية ، ذلك ان اقوال المصلحين الاجتماعيين ان « **الرياضة للجميع** » رؤية انسانية صادقة ، تعبر عن حاجة الانسان المعاصر للحركة والنشاط البدني والرياضي المعاصر مملوءة بالمؤثرات السلبية التي ابعدت الانسان عن الحركة والنشاط ، حتى اصبح الانسان من الناحية الاجتماعية ، تتنازعه امراض الحضارة وتمزقه الصراعات النفسية .. واصبح في بعض المجتمعات الاخذة في النمو مجرد هيكل بشري ينوء بحمل ثلاثي امراض التخلف « **الفقر والجهل والمرض** » فلا هو قادر على حملها ، ولا هو قادر على التخلص منها ، وكأنها قدر لا فكاك منه ولا محيص عنه .

الدين الاسلامي والألعاب الرياضية :

من الظنون الخاطئة السائدة في المجتمع ان الدين الاسلامي يتعارض مع الالعاب الرياضية ، وهم في ذلك يجهلون ان الاسلام اعتد في تكوين شخصية الفرد كل اعتداد ببنائه الجسماني ، كاعتداده بكيانه الخلقي في ذاته ، مع الشخصية المثالية ـ لكي تجتمع فيه قوة البدن ، الى جانب قوة الروح والعقل . فقد نظر الاسلام نظرة اهتمام الى ضرورة القوة للتركيب الجسماني من اجل الاضطلاع بشاق الاعمال ، والقيام بأثقل الأعباء ، سواء اكان ذلك فيما يتعلق باعمال الصناعات الثقيلة ام مخاطر الاستكشافات والبحوث العلمية ، نظرية كانت ام تجريبية ، ام العمليات العسكرية على اختلاف انواعها وتعدد طرائقها .

فلا عجب اذن ان يعظم الاسلام اغراض البدن وحاجات الجسم ، بقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه « **فان لجسدك عليك حقا ، ولعينيك عليك حقا ، وان لزوجك عليك حقا** » (رواه الشيخان عن عبد الله بن عمرو بن العاص) وبإشادة القرآن الكريم ببسطة الجسم ، على انها من نعم الله اذ يقول سبحانه

وتعالى : **(وزاده بسطة في العلم والجسم)** البقرة / ٢٤٧ وزيادة على ذلك يدعو الاسلام اهله الى ممارسة كثير من الرياضات البدنية كالسباحة والرماية وركوب الخيل والاستطراد في عرض الادلة والشواهد على اهتمام الاسلام بأجسام المسلمين وعقولهم واروواحهم لا ينتهي .

التكيف النفسي بالالعاب الرياضية :

ومن الضروري - من الناحية الاسلامية - ان تمارس الالعاب الرياضية بعيدا عن التعصب الاعمى والتحيز المقيت ، ولا تمارس الا على اسس من الاخلاق الاسلامية السامية . فقد فطن « ابن طباطبا » صاحب « الفخري في الاداب السلطانية » الى نفع الرياضة البدنية ، حيث قال عن فوائد الصيد .. **ومنها ان حركة الصيد حركة رياضية تعين على الهضم وتحفظ صحة المزاج** » ويقصد بالمزاج او بالسمات المزاجية ، ما يقصد بها في علم النفس الاجتماعي ، حيث تتوقف صحة المزاج على التكوين الفسيولوجي للفرد كحالة جهازيه العصبي والغدي . فهناك بعض الافراد الذين يميلون بطباعهم الى المدح والاستبشار ، والبعض الاخر الذي يميل الى الاكتئاب والانقباض بطباعهم ايضا وربما لظروفهم الاجتماعية والاقتصادية . وهناك البعض الاخر ممن هم معرضون بفطرتهم الى ارتفاعات وانخفاضات في حالاتهم الانفعالية الغالبة .. وهناك اناس يميلون الى الانعزال والخجل والانطواء بحكم تكوينهم المزاجي .

والمعروف ان قصور الغدة الدرقية يسم الفرد بالخمول والبلادة .. ومثل هذه الامور يعنيها التكوين الوراثي للفرد الى حد كبير . ومن ثم فمن العسير - وربما من المحال - تغييرها . كما انها لا تحتاج الى تعليم او تدريب خاص .. وهذا على عكس السمات الاجتماعية والخلقية ، مثل التدين والامانة والتعاون والتنافس والتصارع والتكيف الاجتماعي والاستمثال الاجتماعي وما الى ذلك . والدليل على هذا ما لوحظ من ان الرضعاء في الاسبوع الاول من حياتهم ولا سيما الذين يعيشون في بيئة واحدة ، تبدو عليهم فوارق ملحوظة في سماتهم المزاجية . وما لوحظ من ان التوائم الصنوبة - اي التي تنشأ من انشطار نفس البويضة المخصبة - تبدي نشاطا ملحوظا في سماتها المزاجية ، حتى وان كان احدها منفصلا عن الاخر . اي في غير بيئته الاجتماعية . على حين ان التوائم اللاصنوية - اي التي تنشأ من بويضات مخالفة - والتي تنشأ وتربى اجتماعيا معا - تبدي اختلافا ظاهرا في السمات المزاجية في سن مبكرة . وبالتالي فان اللهو واللعب من الامور التي تساهم في التخفيف من اثار السمات المزاجية السلبية . وهذا ما يقصده الاسلام من وراء التشجيع

على الالعاب الرياضية ، بشرط الا تعوق اللاعبين والمشجعين عن اداء الفرائض الدينية .

هذا وفي كتاب « الموجز في الطب » لابن النفيس - في الكلام عن الالعاب الرياضية - ما نصه « **وفي اللعب بالصولجان رياضة للبدن والنفس ، لما يلزمه من الفرح بالغلبة والغضب بالانقهار** » واللاعب هنا هو الذي يفرح بفوزه ، ويغضب لفشله - وليس المشجعون الذي يستخدمون الحجارة وزجاجات المياه الغازية الفارغة ، والمقاعد وغيرها في قذف اللاعبين والحكام بها ، بل وقذف المتفرجين انفسهم عند هزيمة الفريق الذي يتولون تشجيعه .

والملاحظ هنا ان المتفرجين يتقمصون شخصيات اللاعبين طبقا لانتماءات المتفرجين الرياضية ، وبالتالي فان المتفرج يفرح عندما يفوز الفريق الذي يشجعه على الاخر المنافس . وبالعكس من ذلك يحزن عندما ينهزم فريقه او يصاب بالانقهار ، كما يقول الحديث السابق الذكر لابن النفيس .

ولعل دول الجزيرة العربية - وفي مقدمتها دولة الكويت - من اولى دول العالم التي تعطي اهتماما عظيما لممارسة الانشطة الرياضية ، حيث يوفر المسؤولون كافة احتياجات الرياضة والرياضيين بصورة ملأت الملاعب بعشرات الالاف من لاعبين ومتفرجين ، حيث يمكثون الساعات الطوال تحت وهج الشمس لمشاهدة المباريات الرياضية .. الامر الذي يمنع القليل النادر من شباب الجزيرة العربية من اداء الصلوات في مواقيتها . ولما كانت انماط السلوك ذات خاصية انتشارية ، فان الخوف يملأ قلوبنا من انتشار وزيادة اعداد الذين يؤجلون الصلوات من اجل الاستمتاع بمشاهدة المباريات الرياضية . ولان هذا الامر يقلقني فقد اجبت على سؤال لاحد طلاب المعهد العلمي بمدينة « سكاكا » بمنطقة الجوف بشمال المملكة العربية السعودية في صيف سنة ١٤٠٠ هجرية .. وكان السؤال يدور حول رأيي في الرياضة ؟ وكانت اجابتي : انها « وباء » ولم تفهم اجابتي على وجهها الصحيح ، حيث ظن بعض الطلاب انني لا احبذ الالعاب الرياضية . وقد اوضح لهم قصدي احد الزملاء .. هذا ولازلت اقول ان من الضروري توجيه جزء من طاقات الشباب التي توجه الى الرياضة .. توجيهها الى الاسهام في تنفيذ مشروعات وبرامج التنمية الاجتماعية والاقتصادية ، حتى لا يبدو الشباب العربي - بين شباب العالم - فارغا ولا هم له الا تشجيع الرياضة والتعصب للاعبين .

تلك هي الرياضة التي اعتد بها الاسلام من اجل توفير التكيف الاجتماعي والنفسي للمسلمين في كل آن وزمان .

الاسلام والمشكلة الاسكانية

للاستاذ /محمود قطام

لقد انفرد الاسلام وتميز في نظرته وموقفه ومعالجته لهذه المسألة ، حيث كان صريحا حين اعلن ان الحد من النسل يعتبر جريمة لا تغتفر لقوله تعالى (**من قتل نفسا بغير نفس او فساد في الارض فكأنما قتل الناس جميعا ومن احياها فكأنما احيا الناس جميعا**) المائدة / ٣٢ وقوله تعالى (**قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله**) . الأنعام/ ١٤٠ لان هذا يعني تحجيما لسنة الله في خلقه وارضه ، وتدخلا في شؤون الخالق الرازق ، الكفيل بأرزاق جميع مخلوقاته من انس وجن وانعام وبقية الكائنات الحية الاخرى ، لقوله تعالى:(**وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين**). هود/ ٦ وقوله تعالى :(**ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا . ولا تقتلوا اولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطئا كبيرا**) .

الاسراء / ٣٠ و ٣١

ويقول الامام ابو الاعلى المودودى - رحمه الله - : « ان قوانين الاسلام للحياة الاجتماعية والاقتصادية مع تعاليمه الخلقية وتربيته الروحانية قد محت كل سبب او داعية من تلك الاسباب والدواعي التي لاجلها نشأت ثم تقدمت وانتشرت حركة تحديد النسل في المدينة الغربية فالانسان اذا كان مصدقا ومؤمنا بالاسلام وتعاليمه وقوانينه من الوجهة الفكرية والعملية ، فانه من المحال ان تنشأ في نفسه رغبة في تحديد النسل ، او تعرض له في حياته ظروف ترغمه على الانحراف عن طريق الفطرة المستقيم ».

ويرى المرحوم محمود شلتوت - شيخ الجامع الازهر الاسبق - « ان تحديد النسل بالمعنى العام تأباه طبيعة الحياة ، وحكمة الله وشريعة

الاسلام ».
واذا كنا نجد في علومنا مثلا كثيرة لهذه المسائل التي لم يحرر فيها محل النزاع ، فاني ارى ان مسألة تحديد النسل من اوضح المسائل التي تناولها النظر واختلاف الرأي دون ان يحرر بين الباحثين المعنى المراد من كلمة - تحديد النسل - فقد تبادر ان المقصود منها هو : اصدار قانون عام يلزم الامة كلها ان تقف بالنسل عند حد معين ، لا فرق بين سيدة يسوغ اليها الحمل ، فترضع ولدها السابق لبن الحمل ، واخرى يبطىء حملها وتمضي مدة الرضاع او اكثر في تربية السابق دون حمل ولا ارضاع في زمن الحمل ، ولا بين قوي سليم من الامراض يلد اقوياء اصحاء ، وضعيف مريض يلد ضعفاء مرضى ، ولا بين غني في سعة من الرزق يستطيع القيام بتربية ابنائه الكثيرين ، فيضعف احتماله وتفسد حياته ويقع في حياة مرتبكة .
فتحديد النسل بهذا المعنى العام لا يمكن ان يرضاه عاقل او شرع يريد الاصلاح ، او امة تريد لنفسها البقاء وتعمل جاهدة وبخطوات سريعة في المشروعات الانتاجية التي تنافس بها الامم الاخرى ، وترد عنها كيد الغزاة المستعمرين . وهو بعد ذلك تأباه طبيعة الكون المستمرة في النمو ، وتأباه حكمة الحكيم الذي خلق الخلق ، وخلق فيها مادة التوالد والتناسل ، وخلق مقابل ذلك في الارض وسائر ما خلق قوة الانتاج الدائم المضاعف .
فالنظام الاسلامي يحض على التزاوج ويشجع التكاثر والتناسل ، تحقيقا لمبدأ القوة والاتساع السكاني ، ولكي تبقى امة الاسلام مرهوبة الجانب من قبل اعدائها الكثيرين ، لقوله تعالى : « **نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم اني شئتم وقدموا لانفسكم** » البقرة/٢٢٣ وقوله تعالى : « **ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة** ». الروم /٢١ وقوله تعالى :(**قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا ولا تقتلوا اولادكم من إملاق نحن نرزقكم واياهم**) . **الأنعام/١٥١** .
والاسلام في تحريمه لمنع او وقف او تحديد النسل اباح تنظيم النسل في حالات معينة وفقا للقاعدة الشرعية التي تشير : « ان الضرورات تبيح المحظورات » كأن يكون الزوجان مصابين بمرض خطير يخشى ان يمتد الى ذريتهما ، وقد اباح الرسول صلى الله عليه وسلم العزل برضى الطرفين » - الزوج والزوجة - ، والقاعدة الشرعية تقول : « الضرر يزال » ، وهذا متروك للشخص وتقدير حالته ومدى تحمله ، وقد اباح العلماء ايضا منع الحمل مؤقتا بين الزوجين او دائما ان كان بهما او بأحدهما داء من شأنه ان ينقل الى الذرية والاحفاد .
والاسلام لا يتعارض مع العلم في نظرته الى ان الانسان خلق على هذه الارض ليكون خليفة لله في الارض ، ومسؤولا عن بقاء النوع البشري الى

ان يرث الله الارض ومن عليها ، فالله سبحانه وتعالى لم يخلق الانس والجن عبثا ، لقوله تعالى : « **وما خلقت الجـن والانس الا ليعبدون** » الذاريات /٥٦.

وأشار ـ كاتب روسي انتون بتمي لوف في كتابه المأساة الحياتية للمرأة BIOLOGICal Tragedy of Woman الى ان ولادة المرأة ليست الا لتقوم بخدمة الابقاء على النوع البشري ».

يقول الطبيب آزوالد شوارز في كتابه نفسية الجنس The Payohologic-al Sex « اي شيء يا ترى يدل عليه وجود الغريزة الجنسية في الانسان ؟ من الحقيقة التي لا غبار عليها ان هذه الغريزة انما هي لانجاب الذرية وتخليد النسل ، اذ من القوانين الثابتة في علم الاحياء ان كل عضو في جسد الانسان يجب ان يؤدي وظيفته الخاصة المستقلة ، حتى يحقق بذلك المهمة التي قد اسندتها اليه الفطرة ، وعلى هذا اذا منع هذا العضو من اداء وظيفته الخاصة ، فلا بد ان تتعرض حياة الانسان لمشاكل مرهقة متعددة ، ومما يتعلق بهذا البحث ان جسد المرأة لم يخلق في معظمه الا لوظيفة الحمل والتوليد ، فهي اذا منعت ان تعمل لتحقيق هذه الوظيفة الاساسية لنظامها الجسدي والعقلي فلا بد ان تذهب ضحية الاضمحلال والتذمر والعقد النفسية المتعددة ، وعلى خلاف هذا فانها عندما تصبح اما تجد جمالا جديدا ، وبهاء روحيا يتغلب على ما قد يعتريها من الضعف والاضمحلال بسبب وضع الطفل وارضاعه .

ويضيف د . شوارز « ان كل عض في جسدنا يجب ان يقوم بوظيفة وعلى هذا فانه اذا حيل بينه وبين ا يقوم بوظيفته فلا بد ان يختل ب التوازن في نظامنا الجسدي ، ان المرأ ليست بحاجة الى انجاب الذرية لمجر ان ذلك مما تقتضيه عاطفة الامو التي قد فطرت عليها ، او لمجرد انه ترى القيام بهذه الخدمة واجبا ع نفسها بناء على ضابط خلقي مفروض عليها ، وانما هي بحاجة اليها لا نظامها الجسدي ما بني كله الا للقيا بها ، فهي اذا منعت ان تقوم بها فا بد ان تتأثر شخصيتها كلهـ بالانقباض والحرمان والهزيمـ واليأس المميت .

والاسلام حين منع تحديد النسل كان محقا في ذلك لحرصه الاكيد عل النوع البشري من الفناء والزوال ولحرصه على صحة افراده وجماعات ومجتمعه بدليل ان العلم والطب الحديث أثبتا الحقائق التي اشار اليه الاسلام ، فقد أشار تقرير لجنة نسب الولادة القومية في بريطانيا سنـ ١٩٢٧ بصدد الحديث عن مشكل تحديد السكان من الوجهة الطبية ال انه « من الممكن باستخدام الوسائل المانعة للحمل ان ينشأ الاضطراب والاختلال في نظام الرجل الجسماني كما انه من الممكن ان ينشأ با الضعف في قوته التناسلية او تنعدم فيه هذه القوة بتاتا ، ومما يجوز القول به على وجه عام : ان هذه الوسائل كانت تحدث في صحة الرجل مؤثرات سيئة جدا ، الا ان الذي يخشى دائم

ان الرجل عندما لا يشبع غريزته الجنسية بعلاقته الزوجية يعتريه التبرم والانقباض شيئا فشيئا في حياته العائلية ، ولا بد اذن ان يحاول اشباع غريزته الجنسية بوسائل اخرى تفسد عليه صحته بل قد تعرضه للامراض الخبيثة .

ويشير التقرير ذاته بالنسبة للنساء : « ان منع الحمل اذا كان لازما من الوجهة الطبية وكانت ولادة عدد كبير من الاطفال قد افسدت على المرأة صحتها ، فلا شك ان وسائل منع الحمل تحدث مؤثرات حسنة في صحة المرأة ، ولكن اذا لم تكن ثمة حاجة تدعوها الى منع الحمل فلا بد ان تكون النتيجة المحتومة لاتخاذ التدابير الصناعية ان ينشأ التوتر في نظام المرأة الجمساني ، ويلازمها شيئا فشيئا القلق والاضطراب والتبرم والضجر ، لانها عندما لا تشبع غريزتها فان علاقتها بزوجها يعتريها الشذوذ والانزعاج ، وقد شوهدت هذه النتائج بصفة خاصة في الذين يختارون طريق العزل لمنع الحمل .

وترى د . ماري شارليب ان وسائل تحديد النسل سواء كانت هي اللولبات المعدنية او الاقراص والعقاقير القاتلة للحيوانات المنوية او حواجز المطاط وغيرها ، وان كانت المرأة لا تتعرض باستخدامها لضرر فوري ظاهري ، ولكنها اذا ظلت تستخدمها لمدة من الزمان فلا بد ان يصيبها الانهيار العصبي Nerrous Instability قبل ان تبلغ سن الكهولة ، ومن النتائج اللازمة لاستخدام هذه الوسائل ، التبرم ، التذمر والقلق والنزق والارق وتوتر الاعصاب وتشويش الفكر وهجوم الاحزان ، وضعف القلب ونقص الدورة الدموية ، وشلل اليدين والرجلين والتهاب الجسد واضطراب العادة الشهرية .

وترى د . ستياوتي في كتابها التخطيط العائلي Family Planning « ان نتائج تحديد النسل خطيرة جدا ، حيث ان الانسان يفقد بها طمأنينة القلب ، ويصيبه الاضطراب النفسي ، والقلق العصبي والارق الشديد ، ويختل عليه توازنه العقلي ، وتعقم النساء ويفقد الرجال قوتهم التناسلية .

ويرى د . رينيل ديوكس ان « المرأة عندما تتناول هذه الحبوب لمنع الحمل فهي لا تتعرض للصداع والالام العصبية فحسب بل لا تأمن على نفسها ان يصيبها مرض عضال كالسرطان .

والاسلام يرى ان لجوء المجتمع البشري في اي مكان واي زمان لاسلوب تحديد النسل ، دليل ابتعاده عن جادة الصواب والحق ، وانحرافه عن المحجة البيضاء ، الذي لا يزيغ عنها الا هالك ، لقوله تعالى « **وإذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل** » البقرة / ٢٠٥ .

كما ان لجوء المجتمع لتحديد النسل سيتبعه بالضرورة تقليص في موارد الرزق كعقاب الهي ، لتدخل خلقه في شؤون مخلوقاته ،

ومعاكستهم لفطرته السليمة وتناقص في القوى العاملة بسبب ازدياد معدل الوفيات ، وفي ذات الوقت انخفاض معدل المواليد ، لقوله تعالى « **قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله** ».

من هنا فقد جاء النهي الاسلامي جازما وحازما بضرورة التخلي عن فكرة تحديد النسل ، لقول الرسول صلى الله عليه وسلم ، ما يمنع المؤمن ان يتخذ اهلا لعل الله يرزقه نسمة ، تثقل الارض بلا اله الا الله ».

ويرى جوزف اسبنجلور : ان الزيادة السريعة في عدد السكان تكفل الزيادة السريعة في النشاط الاقتصادي ، ولا سيما اذاكانت القوى المنبسطة Expensive Forces اكثر نشاطا من القوى المنكمشة Contrac-tive Forces ، ومثل هذا سيحدث ايضا في الحالة المضادة ، والحق انه على قدر ما تهبط نسبة زيادة السكان ، تهبط نسبة استثمار رأس المال المتعلق بالتوظيف الكامل . Full Emplyment

كما ان الله سبحانه وتعالى تعهد وتكفل بمنع حدوث مشكلة الانفجار السكاني ، اوالقنبلة السكانية ، كما يحلو لبعض المفكرين تسميتها ، ذلك ان الخالق جل وعز هو المنظم والمسير لشؤون خلقه وكونه ، وهو العليم الخبير بما في مملكته ، فرب البيت اعلم بمن فيه من ضيوفه ايا كان علمهم ، ووعيهم ، وبعد نظرهم ، لقوله تعالى « **انا كل شيء خلقناه بقدر** »القمر /٤٩ .

وقوله تعالى « **وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم** »الحجر/٢١ ، وقوله تعالى « **وما كنا عن الخلق غافلين** » المؤمنون/١٧ .

والزيادة السكانية المطردة او ما يسمى بالانفجار السكاني ، قضية محلولة حسب الشرع الاسلامي ، فنظام الحياة والموت وعوامل الحرب والمحن والامراض والافات التي تحدث بين حين واخر ، والزلازل والاعاصير والبراكين تعمل بطريقة او باخرى على تحقيق التوازن المطلوب والمقدر من قبل رب السموات والارض ، لقوله تعالى : (**ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض**) البقرة /٢٥١

»١ وكأن هذه الامور تسعى الى تطبيق مبدأ النزعة نحو التوازن المعروف في اساسيات علم النفس ، والذي يتلخص في ازالة كل ما من شأنه تهديد التوازن واعادة الامور الى حالتها الطبيعية ، والمحافظة على التوازن في هذا الكون الفسيح .

من هنا يمكن القول ان حركة تحديد النسل حركة غريبة عن المجتمع الاسلامي وهي حركة استعمارية ، هدفها تحطيم المجتمع الاسلامي ، والحضارة الاسلامية من الداخل من خلال اشاعة الفساد والانحراف ، وبالتالي العمل على افناء الانسان المسلم من خلال الترويج لفكرة تحديد النسل بدواعي شتى ، ظاهرها الحرص على المستوى المعيشي

للفرد والمجتمع ، والمحافظة على التوازن الحياتي للانسانية ، وباطنها القضاء على الامة الاسلامية واذلالها .

ويرى الامام المودودي رحمه الله : « ان حركة تحديد النسل ليست الا ثمرة من ثمار الالحاد والدهرية

ان الاسلام هو الكفيل - اذا ما طبق كشريعة ومنهاج حياة - بحل كافة المشكلات الانسانية ، لان الانسان بلا اسلام يقتل نفسه ، ويظلم نفسه ، ويعيش حياة الالم مهما اخذ حقه حظه من اللذة العابرة ، وان الانسانية بلا اسلام تدمر نفسها ، وتهدم سعادتها ، وتعيش حياة الشقاء الدائم حتى في هذا العالم الذي لا يدوم .

ويرى المفكر الاسلامي الشهير محمد قطب : انه لا بد من الاسلام لتخليص الناس من جاهليتهم وضلالهم وشقائهم وحيرتهم ، وقلقهم واضطرابهم ، وتمزق حياتهم وافكارهم ومشاعرهم ، فالاسلام هو العلاج الوحيد لكل جاهليات الارض ، ولهذه الجاهلية الحديثة - جاهلية القرن العشرين - على وجه التخصيص .

فالاسلام زيادة على كونه العلاج الناجع والوحيد لكافة المعضلات البشرية ، فان ممارسته العملية ، وتحكيم منهجه في واقع الحياة كفيل بخلق الاستقرار والتوازن المعيشي والحياتي للانسانية ، لقوله تعالى : **(ولو أن اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ولكن كذبوا فاخذناهم بما كانوا يكسبون)** الاعراف / ٩٦

خلاصة القول فان الحل الناجع لمشكلة التزايد السكاني تكمن في التخطيط العلمي الواعي والمدروس الذي يأخذ بعين الاعتبار حاجتين اساسيتين يحتاج اليهما العالم الاسلامي اليوم ، وهما : ١ - حماية نفسه .

٢ - اطعام نفسه .

ولتحقيق هاتين الحاجتين ، لا بد من زيادة وتكثيف الجهود لاستثمار الموارد التامة لبني الانسان ، وتطوير الزراعة بشقيها النباتي والحيواني ، والعمل على تطوير الصناعة السمكية باستثمار الامكانات المتاحة في البحار الداخلية والانهر ، وعمل بحيرات اصطناعية ، والاستفادة من امكانيات الصيد في اعالي البحار ، بهدف زيادة الموارد المعيشية لتواكب الزيادة السكانية المطلوبة لبقاء الامة على اعتبار ان الله - جلت قدرته - هو الرزاق ، لقوله تعالى « **ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين** » الذاريات / ٥٨ وقوله تعالى : « **له مقاليد السموات والارض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر** » الشورى / ١٢ وقوله تعالى : « **وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين . وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم** » فالرزق من وظيفة رب العزة ، والسعي والبحث عنه من وظيفة الانسان ، لقوله تعالى : « **فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له** » العنكبوت / ١٧ .

بريد الوعي الاسلامي

أصحاب الرس

الاخ عبد القادر هائل غالب .. ارسل الينا من كالفورنيا - بأمريكا .. رسالة يقول فيها انه كان يقرأ في كتاب الله تعالى ، وابتدأ القراءة من أول سورة « ق » ومضى في قراءته الى ما شاء الله له ، وقد استوقفته الاية الكريمة : « **كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود** ».

ويسأل من أصحاب الرس ؟ ومن نبيهم ان كان لهم نبي ؟ وأين كانوا ؟ وفي أي زمن عاشوا .. وختم رسالته كما بدأها بتحية الاسلام ، حيث عالم اليوم الذي لا يعرف الا الوحشية والهمجية والخراب وسفك الدماء .

المحرر : نحمد الله سبحانه على هدايته وتوفيقه ، ونستعينه ، ونطلب الغفران منه ، ونحيي في الاخ السائل حرصه على تلاوة القرآن الكريم وتدبره وفهم مقاصده ، ونرجو ان يوفقنا الله وإياه للعمل بكتابة وبسنة نبيه صلى الله عليه وسلم .

هذا .. وتحكي سورة (ق) موقف كفار مكة من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والقرآن الكريم ، وتكذيبهم بيوم البعث ، ورفضهم الاذعان والايمان بما جا ء به محمد صلى الله عليه وسلم ، والتصديق بأن وحي الله المنزل عليه ، كذبوا الرسالة والرسول ، وما جاءهم رسول الله الا بالحق الواضح ، وابان لهم القرآن الكريم عن قدرة الله الخالق .. أفلم ينظروا الى السماء وما فيها من مظاهر قدرة الله ، والى الارض وكيف حفظ لها الله استقرارها

بالجبال ، وأحياها بالنبات بواسطة الماء المبارك النازل بالخصب والنماء من السماء ، كل ذلك بفضل الله جعله رزقا للعباد ، والله القادر على الاحياء أول مرة قادر على البعث بعد الموت ، ولكن الكافرين يصرون على الانكار والكفر والعناد ، وشأنهم في ذلك شأن أمم سابقة كذبت رسل الله اليهم أمثال قوم نوح ، وأصحاب الرس ، وثمود ، وعاد ، وفرعون ، واخوان لوط ، واصحاب الايكة ، وقوم تبع ، فحق عليهم وعيد الله ، حيث انزل بهم عقابه في الدنيا ، فمنهم من مات غرقا ، ومنهم من تهدم عليهم بنيانهم وخسف الله بهم الارض ، ومنهم من اخذته الصيحة ، ذلك جزاؤهم في الدنيا ولهم في الاخرة عذاب اليم .

وفي ذلك تهديد لكفار مكة ، وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بسرد قصص الانبياء السابقين مع اقوامهم .

وأصحاب الرس كما يقول البيضاوي : قوم كانوا يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم شعيبا فكذبوه فبينما هم حول الرس ـ وهي البئر غير المطوية ـ انهارت ، فخسفت بهم وبديارهم .

واختار ابن جرير الطبري : ان المراد بأصحاب الرس هم أصحاب الاخدود الذين كفروا في سورة البروج .

وهناك من العلماء من يرى : انهم قوم رسوا نبيهم في البئر اي دفنوه حيا فيها ، فأهلكهم الله ، الى غير ذلك من الاراء ..

والذي يعنينا انهم قوم كذبوا رسول الله اليهم فأهلكهم الله ، وهذا هو شأن مكذبي الرسل دائما ، الهلاك في الدنيا ، والعقاب الأليم في الآخرة .

وبعد ذلك فلن يضيرنا في شيء اختلاف العلماء في تحديد زمانهم ومكانهم .

فابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ يقول : هم أهل قرية من قرى ثمود
وعكرمة ـ رضي الله عنه ـ يقول : أصحاب الرس بفلج ، وهم أصحاب (يس) ، وقال قتادة : فلج من قرى اليمامة .

والرس : هي البئر المطوية : اي التي لم تبن حوائطها .
هذا .. والله أعلم .



محاربة الاسلام الفقر

تحت هذا العنوان كتب الأخ/علال البوزيدي - من المغرب - يقول :-

○ إن الاحسان الذي هو خلق نبيل من الاخلاق الاسلامية يعتبر من بين الطرق الايجابية التي حارب بها الاسلام الفقر .

ومظاهر الاحسان متعددة وحققت من النتائج عبر العصور ما تعجز الاقلام عن وصفه ، حتى ان فلسفة الفكر الاجتماعي استمدت قواعدها من الاحسان ، واكدت الأيام أن اهم مظاهر النهضة الاجتماعية ، واهم عناصر نجاح العمل الاجتماعي يرتكز على الاحسان والتضامن والتعاون والتآزر بين الناس ، كأفراد يشكلون المجتمع العام .

○ وحارب الاسلام كذلك الفقر بالحث على العمل ، والنهي عن البطالة ، نظرا لعواقبها السلبية على الانسان والمجتمع نفسيا واجتماعيا واقتصاديا .
- وقد جاء في الأثر .
- « التمسوا الرزق من خبايا الأرض » .
- وقوله تعالى : (فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه) .

○ حارب الاسلام كذلك الفقر بالزكاة فأوجبها على المسلم وجعلها ركنا من الاركان الخمسة التي بني عليها الاسلام ، ولما لها من اهمية تعتبر الركن الثالث بعد الشهادة التي بها يدخل المسلم في الاسلام والصلاة التي هي عمود الدين ، ولذلك يعتبر الاخلال بهذا الركن ، وعدم القيام به ، من الكبائر .

وبفضل الشريعة الاسلامية الخالدة تم ايجاد الحلول الكفيلة

بمحاربة الفقر والقضاء عليه نهائيا لو تمسك الناس جميعا بعدالة السماء ، وقام الانسان باداء الأمانة بصدق ونزاهة ونكران ذات . ومن اسباب محاربة الفقر ما جاء في الأحاديث النبوية الشريفة وما نصت عليه السنة المطهرة ، فهذا الرسول عليه الصلاة والسلام يقول معالجا للامراض الناتجة عن الفقر والعوز ومنها التسول والاستجداء : (اليد العليا خير من اليد السفلى) والاستقراء الواعي العاقل العميق في الأبعاد التي يشير اليها هذا الحديث تؤكد أن التحرر من الفقر والتوصل الى الغناء والاكتساب المشروع الحلال هو نتيجة كد واجتهاد ، وليس نتيجة تقاعس وكسل وخمول وبطالة ، بل لابد للانسان من العمل ، فالأرض غنية ومتعطشة الى السواعد والى عرق الجبين .

ولم يبق امام الانسان الا استعمال عقله وبصيرته ووعيه ثم عزيمته وارادته وحريته .

هذه الخصائص منحها الاسلام للانسان لتكتمل بها انسانيته وتصان بها كرامته ، وبتوفره عليها يجعل بينه وبين الفقر حواجز وموانع . وفي ختام هذا الموضوع يمكن القول بأن الاسلام حارب الفقر بما جاء في القرآن الكريم ، ويتضح ذلك من خلال ما تنص عليه الكثير من الآيات البينات التي تدور حول القدر والعدل والحرية والارادة .

« فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » .

« كل امرىء بما كسب رهين »

« ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك »

« اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير » .

« وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون »

« من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها . وما ربك بظلام للعبيد » .

« إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا » .

وهكذا تتوالى الآيات دالة دلالة محكمة على ما فيه خير الانسانية وصلاحها ونفعها ، ولكن عقوق بعض الناس وخروجهم عن الصراط المستقيم وتمسكهم بالمذهب المادي جعلهم يرون الآيات معكوسة ، وبذلك اصابت الناس فتنة تاه فيها الفقراء والأغنياء على السواء ، وما سلم منها الا اغنياء الايمان فاللهم اغننا بحلالك عن حرامك ، واكفنا بفضلك عمن سواك . آمين .

مَنطِـق القُـوّة

إن من هداه الله الى الاسلام يجب ان يسخر قلبه ولسانه في كل وقت لشكر الله وحمده على هدايته لأن الاسلام حقيقة إذا دخل القلوب ملأها بالحب والخير والارتداع عن أذى الغير .

أقول هذا عندما أسمع أنباء اتباع الأديان الأخرى من قوات اسرائيلية غازية ومعها العناصر العميلة الفاسدة وهي تقتل الأبرياء من اللاجئين الفلسطينيين العزل في بيروت ، وما قامت به اسرائيل من قبل بقصف مروع ، وتهديم البنايات فوق رؤوس المدنيين ، واستخدام الاسلحة المحرمة دوليا انتقاما لفشلها العسكري .

هذا الاسلام الذي شرفنا به الله يجب ان يكون مفخرة لكل مسلم يعتز به دينا وعقيدة في كل الظروف ، لأنه يقف مع المجتمعات يطورها وينميها ومع الانسانية يحافظ على كرامتها ويدافع عن حدودها وهو ما عجزت عنه قيادات ترفع شعارات معينة .. ولذلك فإني سأفصل موضوعي الى ناحيتين :ـ

الناحية الأولى .. موقف الرسول العظيم وخلفاؤه من اتباع الأديان الأخرى . واحترامهم للمواثيق معهم .

الناحية الثانية : موقفهم من المنحرف من اهل هذه الأديان والمعتدي على ارض الاسلام منهم .

أما الناحية الأولى : فقد اعطى النبي صلى الله عليه وسلم مثلا اعلى لمعاملة اصحاب الأديان الاخرى فقد روى انه يحضر ولائمهم ويشيع جنازاتهم ويعود مرضاهم ويزورهم ويكرمهم حتى روى انه لما زاره وفد نصارى نجران فرش لهم عباءته وأمرهم بالجلوس عليها .

وقد سار المسلمون على سيرة نبيهم فعاشروا اهل الملل بصفاء تام ووئام ..

وحين نذكر موقف الخليفة الراشد أبي بكر حين وقف خطيبا في جيش اسامة وقال كلمته ليس لهذا الجيش وانما للتاريخ وللعالم اجمع ، اذكرها ليعرف المعتدون كيف يكون التعامل الأخلاقي .. قال : أيها الناس اوصيكم بعشر فاحفظوها عني . لا تخونوا ، ولا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلا صغيرا ، ولا شيخا كبيرا ، ولا امرأة ، ولا تعقروا نخلا ، ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ولا

بقرة ولا بعيرا ، الا لمالكه .. وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا انفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا انفسهم له .. الى ان ختمها قائلا : اندفعوا باسم الله ..

لقد كانت وصية ابي بكر لجيش اسامة اروع ما يمكن ان يوجهه خليفة انسان يقدر كرامة الانسان لقائد انسان يقود جيشه لخوض حرب عادلة ، ولم تصل قوانين الحرب والحياد في القانون الدولي في القرن العشرين الى ان تسمو الى الهدف الرفيع الذي عبر عنه رضي الله عنه بهذه الكلمات القليلة في عددها ، الكبيرة في معناها ..

الناحية الثانية : لقد علمنا الرسول عليه الصلاة والسلام كيف يكون الرد على من أراد بالاسلام والمسلمين شرا فعندما اعتدى يهود بنو قينقاع على حرمة امرأة مسلمة بأن كشفوا من جسدها ما حرم الاسلام كشفه وضحك اليهود منها ، وقتلوا احد المسلمين الذي حاول نصرة المرأة .

طارت شرارة الحرب ، وكان ذلك في منتصف شوال في السنة الثانية للهجرة فقد حاصرهم رسول الله في حصونهم خمس عشرة ليلة حتى اضطروا للتسليم ، وطردهم من المدينة واشترط ألا يجاوروه فيها ، وتكرر ذلك مع يهود خيبر الذين بدأوا يؤلفون جبهة ضد المسلمين فقام المسلمون بشن هجوم على حصونهم والفتك بهم ومد الاسلام رواقه على ارضهم .

وفي عهد معاوية الذي انتقم من بطريرك القسطنطينية لأنه صفع احد جنوده الذين ارسلهم للقسطنطينية لمعرفة احوالها وفتحها .. فقد سعى حتى احضره ووقف امامه واحضر الجندي وقال له اهذا الذي صفعك ؟

قم فاصفعه .. والمعتصم الذي اجتاح بلاد الروم من اجل امرأة استغاثت به .. هؤلاء هم القادة .. رسل السلام ورجال الحق في كل مكان لم يقفوا امام القصف والتدمير والاستغاثات موقف المتفرج .. كما يقف قادة اليوم امام المذابح .. انها النكسات والهزائم المتتالية ، حيث ضاعت القدس واراض اسلامية جديدة .. وانتهكت اسرائيل الحرمات ، وداست الكرامة حين غزت بيروت ودمرت بيوتها ..

واخيرا حين انطلقت الرصاصات الخائنة على الأبرياء لتقتلهم وتمثل بهم .. كل شيء تحرك .. وكل عين بكت في كل منزل اسلامي .. فماذا فعل حكامنا ؟ وماذا هم فاعلون ؟ لا امل الا في الجهاد ولا جدوى الا في منطق القوة ، فهي اللغة الوحيدة التي يفهمها العدو ..

والله غالب على امره ، والنصر للمجاهدين المسلمين ..

فايز موسى ابو شيخة

مع الصحافة

لا ريب في ان المذابح الهمجية التي قام بها العدو الصهيوني وحلفاؤه في مخيمي « صبرا » و« شاتيلا » تعتبر من الاحداث القليلة التي شغلت الاعلام العالمي على هذا النحو الواسع . ومع ذلك فما تزال وقائعها واثارها ودلالاتها افظع بكثير مما استطاع الاعلام ان يصور . على ان سلسلة الاحداث التي بدأت بالقصف الاسرائيلي الوحشي للعزل والآمنين في عدد من مدن لبنان وقراه ، وانتهت - وما نحسبها نهاية طبعا - بالمذابح الهمجية .. ثم ما تخلل ذلك من مواقف ومساومات واتفاقات وغدر ونقض للعهود .. كل ذلك كان كفيلا ان يكشف لشعوب المنطقة كثيرا من الحقائق الخطيرة التي ظلت لمدة من الزمن تعروها الشكوك .

صحيح ان فظاعة الاحداث ، وعظم الضحايا ، وفداحة الخسائر .. هي التي فرضت نفسها فرضا على الاعلام العالمي ، بيد ان الصحيح ايضا انها لم تكن لتستحوذ على هذا الاهتمام الواسع لولا مساسها المباشر الخطير بقضايا حساسة ، تتعلق بمصالح القوى العظمى ، والصراع الدولي في منطقة الشرق الاوسط . وهكذا فمن الخطأ ان يظن ان نوازع الشفقة او يقظة الضمير او شيئا اخر من هذا القبيل وحده هو الذي املى على الاعلام العالمي هذا الاهتمام الكبير بالاحداث المفجعة .

ولعل الاهم من ذلك هو ان السياسة الصهيونية وما تنطوي عليه من حقد وغدر وجريمة باتت عارا يصم الذين يقومون بدعمها ويعلنون حرصهم على امنها ، ذلك بان ما فعله الصهاينة في لبنان جعل اي تأييد او دعم او سكوت عاريا عن كل مسوغ اخلاقي ، من اجل هذا كان لابد للاعلام العالمي ، ولا سيما الامريكي والغربي ، ان يحاول تبرئة ساحته من جرائم اليهود ، عن طريق الادانة « الكلامية » والفضح الاعلامي .

وحين تنكشف الجرائم الصهيونية تجد القوى العظمى التي ما تزال حريصة على اسرائيل انه لابد من طريقة لدفع الحرج ، وهكذا يجب - في نظر اعلامها - تضييق دائرة التهمة ، وحصرها في « كبش واحد » . ولذلك يركز هذا الاعلام على تحميل جزء من المسؤولية عن المجازر الوحشية لحكومة بيجن ، ويتناسى الاعلام نفسه ان الاستفتاءات التي اجرتها وكالات انبائه نفسها دلت على ان الغالبية العظمى ليهود اسرائيل وامريكا والغرب ايدت الغزو الصهيوني للبنان ، وتنضوي

في هذا السياق الدعائي تلك التظاهرات التي يقوم بها اليهود ضد بيجن وشارون خاصة ، وهي محاولة لتضليل الرأي العام العالمي والحفاظ على ثوب « الحمل » الذي دأبت الصهيونية على ستر جرائمها به . وحين يهاجم الاعلام الامريكي بيجن وشارون فهو في الحقيقة يحاول تبليع شعوب المنطقة حبوبا مخدرة ، على نحو ما فعلت الادارة الامريكية عندما اقالت وزير خارجيتها هيج في ابان الغزو الصهيوني للبنان ، مع ان ماتم في لبنان كان بتدبير امريكي - اسرائيلي لاهداف امريكية اسرائيلية .

بقيت مسألة اخرى تكشف ايضا سر هذا الاهتمام الاعلامي للقوى المؤيدة لاسرائيل بالاحداث المفجعة في لبنان ، وهي ان هناك نقمة عارمة تجيش بها صدور الشعوب في المنطقة نتيجة لتلك الاحداث المروعة ، وهذه النقمة قد تنذر بانفجارات من الغضب ، مما يهدد على نحو او اخر مصالح القوى العظمى في الشرق الاوسط ، ولذلك فلا بد من ان يقوم الاعلام بمهمة التنفيس للحؤول بين براكين الغضب الشعبي وبين الانفجار ، حفاظا على « المصالح الحيوية » ومادام « الكلام » امرا قليل التكاليف ، ومادام « الفعل » الاسرائيلي قد استنفد اغراضه وامكاناته .. فلا ضير اذن من عواصف الدعاية الاعلامية . نقول هذا الكلام لاننا لم نلمس وما نحسب اننا سوف نلمس - اجراءات عملية فعالة للجم البربرية اليهودية تقوم بها دولة من تلك الدول التي تشن حملة « اعلامية » على جرائم اسرائيل ، وقد دأبت من قبل طويلا على حمايتها وضمان وجودها .

وهذا في الحقيقة هو الذي حمل عددا من الصحف العربية على ان تسأل : وماذا بعد ؟! اجل .. ماذا بعد الكلام ؟!

ومهما كان فقد ابرزت الاحداث المشحونة بالفواجع والالام للشعوب العزلاء المخدوعة جملة من الحقائق الصلبة التي غفل او تغافل عنها الكثيرون طويلا :

١ - ان حديث اسرائيل عن السلام مجرد خرافة للتضليل ، تدخل في اطار غدرها ونقضها للعهود كما تجلى واضحا بعد انسحاب الفلسطينيين من بيروت ، وان اسرائيل لن تكف عن عدوانها على شعوب المنطقة المجاورة قبل ان تحقق اهدافها جميعا ، ولن يكون عدوانها هذا هو العدوان الاخير .

٢ - ان « القوة » هي الاساس الذي تبنى عليه السياسات الدولية في هذا العصر الذي يدعي فيه الكبار لانفسهم وصاية شاملة على الحضارة الانسانية وقيمها ، وان مزاعم السلام التي يدغدغون بها الضعفاء ليست سوى جرعات من « الافيون » « السياسي » للقبول بسيطرة القوة والامر الواقع .

٣ - ان الذين يعولون على صداقة هذه او تلك من القوى العظمى ، لن ينالوا شيئا ذابال من ولائم السياسة الدولية ما داموا لا يملكون من القوة ما يحمل تلك الدول على اعتبارهم والوفاء بالتزاماتها نحوهم ،

هذا .. وقد انصبت اتجاهات الصحافة العالمية على جوانب عدة ، ابرزها : تحديد المسؤولية المباشرة وغير المباشرة عن الجرائم المرتكبة . وفضح الطبيعة

العدوانية الغادرة لاسرائيل ، ومحاولة التكهن بما يمكن ان ينجم عن ذلك في المستقبل القريب .

المسؤولية

حول المسؤولية عن المذابح كتبت الغارديان تحت عنوان « اسرائيل والمذبحة » :

شهد لبنان مؤخرا واحدا من اكثر الاحداث بربرية في عصرنا الحاضر . وكانت السلطات الاسرائيلية التي سوف يلبسها العار الى الابد مسؤولة عنه . ليست هناك كلمات مناسبة نستطيع ان نصف بها ما فعله الاسرائيليون وحلفاؤهم من المليشيات اليمينية ضد اسر اللاجئين الفلسطينيين العزل في مخيمي صبرا وشاتيلا . وربما كانت مذابح الحرب العالمية الثانية في ليديس وو ارسو وادادور . شيئا لايذكر بالنسبة لما فعله الاسرائيليون .

وسوف تظهر الايام عاجلا ام اجلا كم من كبار السياسيين الاسرائيليين كان يعرف كل شيء عن قرار اطلاق يد المليشيات المسلحة في المخيمات .

لقد كان هناك من المسؤولين من يعرف . وهؤلاء جميعا مجرمون ومتواطئون في هذه الجريمة الوحشية . وسيكون من الصعب الان على اية حكومة ان تتعامل مع قيادة اسرائيل الحالية ، مع قيادة فيها مثل شارون وزيرا للحرب .

وقالت صحيفة هارتس الاسرائيلية في تقرير نشرت ترجمته في عمان في ٥ ذي الحجة :

ان اريل شارون وزير الدفاع الاسرائيلي وايتان رئيس الاركان وعددا من كبار الضباط الاسرائيليين كانوا في مكان قريب من المخيمات الفلسطينية عند وقوع هذه المجازر وبالتحديد فوق سطح احد المباني في منطقة الاوزاعي بالضواحي الجنوبية الغربية من بيروت عند دخول قوات اسرائيل الى الجزء الغربي .

واضافت الصحيفة :

ان القوات الاسرائيلية التي كانت تطوق المخيمات كانت تطلق النار على من حاول الفرار من النساء والاطفال حيث قتلت بعضهم في حين اضطر البعض الاخر الى العودة للموت الذي كان في انتظارهم داخل المخيمات .

وكتبت التايمز تحت عنوان « بعد المذبحة » :

لماذا لم يستمع العالم عندما اعلن الفلسطينيون واصدقاؤهم الدور

الرئيسي للقوات الفلسطينية في لبنان يقتصر على حماية المدنيين الفلسطينيين وان من المرجح تماما وقوع مذبحة تستهدف اولئك الملايين بمجرد اخراج قوات منظمة التحرير من بيروت ، اذا لم يتم استبدال تلك القوات باخرى فعالة ومتعددة الجنسيات مفوضة بالبقاء حتى تتمكن السلطة اللبنانية النظامية من تسلم مقاليد الامور .

لا يتمكن المرء ايضا من تبرئة اولئك الذين كانوا يعلمون بان تلك المجزرة كانت ستحدث اذا لم يتم منعها ، ومع ذلك فانهم لم يتخذوا اية خطوات فعالة للحيلولة دون وقوعها .

والامريكيون ، والقوى الاخرى التي اسهمت في المفاوضات الخاصة باجلاء منظمة التحرير ، يجب ان يتحملوا ايضا جزءا من المسؤولية . فقد تقبلوا بسرعة كبيرة الزعم الاسرائيلي بان القوة متعددة الجنسيات لم يعد لها ثمة عمل بعد اتمام اجلاء منظمة التحرير . وحتى الدول الاخرى مثل بريطانيا ـ التي اختارت عدم القيام بدور نشط ـ يمكن اعتبارها مذنبة بسبب الاهمال .

اما صحيفة الانباء الكويتية فكتبت في ٨ ذي الحجة في افتتاحيتها تقول :

طبيعي جدا ان تتطلع الشعوب الى الانظمة والقادة في الاوقات العصيبة تنتظر الفعل الصادر عنها في مواجهة الازمات والتحديات القومية ، وبخاصة ما ارتبط منها بشأن الحرب والعدوان والاذلال العسكري . وتشتد ثورة الشعوب ويتعاظم غضبها حين ترى ان التصدي الذي كانت تحلم به قد اجهض وان الذين يجلسون فوق منصة الحكم بعيدون عن ممارسة الواجب المفترض وتأخذ الجماهير على القادة عجزهم عن الاتفاق على اسس المواجهة مع العدو .

○ فضح الهمجية اليهودية

وتراجع صحيفة صنداي تايمز طرفا من تاريخ الجرائم اليهودية لتضع اخر جرائمها في سياقها الصحيح . عن السياسة العدوانية الاسرائيلية تقول الصحيفة تحت عنوان : « التحذيرات التي تجاهلها العالم » :

اليوم حيث يعتصر الالم قلوب الفلسطينيين في كل مكان ، كم كانوا يتمنون لو كان هذا العالم قد جنبهم رؤية اسوأ مخاوفهم من الصهيونية تتحقق ، فلاكثر من اربعين عاما وهم يناشدون الانسانية ان تعمل شيئا من اجل وقف الخطر الذي يتهدد وجودهم على يد الصهيونية . ولكن العالم لم يعر اذنا صاغية لتحذيراتهم . وما حدث في مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في بيروت مؤخرا لم يكن سوى سلسلة متصلة الحلقات لما

يحدث للفلسطينيين طيلة اربع حقب مضت .

ومذابح شاتيلا وصبرا لا تختلف عن غيرها من المذابح التي ارتكبت ضدهم من قبل في دير ياسين وقبية وقالونيا وكفر قاسم وقلقيلية والنبي الياس وعزون وخان يونس والسموع وغيرها الا في الارقام .

في ابريل ١٩٤٨ عندما كانت قرية دير ياسين الفلسطينية الواقعة عند اطراف القدس نائمة شن مسلحو عصابة ارغون تسفاي لئومي الصهيونية هجوما غادرا عليها وذبحوا ٢٤٣ رجلا وامرأة وطفلا . وقائد هذه العصابة لم يكن احدا غير مناحيم بيغن رئيس وزراء اسرائيل الحالي .

وبعد ذلك بخمس سنوات شنت العصابات الصهيونية هجوما مماثلا على قرية قبية فقتلوا سكانها الوادعين جميعا . وكانت العصابات تلك تحت قيادة اريل شارون الذي اخذ الان زمام جيش اسرائيل بين يديه .

واليوم بفضل وسائط الاعلام الحديثة شاهد العالم بالالوان عملية الابادة الجماعية ضد الشعب الفلسطيني فهل يفعل شيئا ام يستمر مرة اخرى في الانضمام الى الجوقة التي تعزف الحان الصهيونية .

في حملاتها القذرة ضد الفلسطينيين لم تنس الدعاية الصهيونية شيئا من شأنه ان يحرمهم مما كان لهم ، شوهت الصهيونية حتى تراثهم ، فهم ابناء الحضارة ليسوا في وسائط اعلامهم سوى حفنة من البدو الرحل وشوهت تاريخهم فمسحت عن الخارطة اسم فلسطين التاريخي القديم ووضعت مكانه اسما اختارته من بطون القصص التاريخية .

ما بعد العدوان الصهيوني

عرضت « الموند » الفرنسية تحليلا للعدوان الصهيوني ، وحاولت ان تتبين الاثار التي يمكن ان يؤدي اليها ، في مقال بعنوان « المسؤولية الامريكية تجاه المذبحة » :

امران اصبحا بديهيين بعد حرب لبنان ، اولهما ان بيغن واتباعه ليست لديهم اية رغبة في التفاوض مع الفلسطينيين في قبول تعايش بين دولة فلسطينية واخرى يهودية فوق ارض فلسطين . لقد خاض بيغن الحرب هذه المرة ليس للحفاظ على وجود اسرائيل بل ليحقق حلم « اسرائيل الكبرى » على حساب الدول العربية المجاورة . وثانيهما ان هناك استراتيجية مشتركة اميركية ـ صهيونية تهدف الى تأمين هيمنة الولايات المتحدة على هذه المنطقة الحيوية في الشرق الاوسط عبر تصفية منظمة التحرير الفلسطينية والاتيان بحكم سياسي موال لاميركا

في لبنان وتعزيز مواقع الحكومات المؤيدة للولايات المتحدة في العالم العربي في هذه الاثناء كان المواطنون العرب يتابعون بحيرة هذه السلبية من جانب معظم الحكومات العربية

ولو ان الدول العربية سمحت للمتطوعين بالانخراط في حرب لبنان وسهلت مهامهم لكان عشرات الالوف من المتطوعين العرب الشباب جاءوا لرفد الفلسطينيين وهو ما كان سيفعله اليهود حتما لو ان تل ابيب كانت في وضع بيروت .

ان الاحداث المأساوية التي يعيشها العرب ستكون لها بالتأكيد انعكاسات سياسية واستراتيجية اقليمية ودولية ايضا . وسيعرف العالم العربي المصدوم حتى قمة رأسه كيف يستخلص دروس مأساة لبنان بعد ان ادرك على حسابه ان نقطة الضعف الاساسية فيه تعود الى تمزق صفوفه .

أما الشعب الفلسطيني فمحكوم عليه ان يواصل الكفاح حتى يستعيد هويته ووطنه . ولن تكون الاعمال التي سيواجه بها الشعب الفلسطيني قادة اسرائيل شرعية وحسب بل هي ايضا عبارة عن اعمال دفاع مشروع عن النفس لانه بعد ان طردت اسرائيل الفلسطينيين من ارضهم لاحقتهم حتى الى لبنان حيث وجد جزء من الشعب الفلسطيني مأوى له في ذلك البلد .

وفي عدد اخر لصحيفة اللوند نفسها صدر في ١٤ ذي الحجة قالت الصحيفة :

خارج اطار التفسيرات الرسمية ثمة قراءتان للعملية الاسرائيلية بدا احتمالهما ممكنا جدا منذ شهر حزيران « يونيو ». القراءة الاولى تقول ان اسرائيل لا تسعى الى اعادة بناء لبنان « قويا مستقلا » كما تعلن بالعكس انها تسعى الى تقسيم البلاد الى ثلاثة قطاعات او على الاقل الى منطقتين كبيرتين الاولى ، تقع الى الشمال من سهل البقاع ، وهذه تبقى متروكة لسورية (تعويضا عن الجولان) ، والثانية من بيروت والى الجنوب وهذه ستكون منطقة نفوذ اسرائيلية ويحاذي هذه الى الشمال محمية مسيحية تحت رقابة قوية .

القراءة الثانية تقول ان اسرائيل تريد اقامة دولة لبنانية قوية متحدة على ان استقلال هذه الدولة يكون على « ذوقها » وبطريقتها هي ، اي ان تكون دولة تابعة ضعيفة ، توقع معها معاهدة السلام التي تفرضها هي ، وتتحرك بحسب مشيئتها .

وقد اعربت عدد من الصحف العربية عن دهشتها من الارتماء العربي في احضان امريكا التي ثبت انها تواطأت مع اسرائيل في غزوها الاخير للبنان ، وتتوقع بعض الصحف ارتماء متزايدا في المستقبل .

« إلى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بالشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨) بيروت ـ لبنان او بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر : القاهرة ـ مؤسسة الاهرام ـ شارع الجلاء .
السودان : الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص.ب (٣٥٨)
الجزائر : الشركة الوطنية للصحافة ٢٠ شارع الحرية
المغرب : الدار البيضاء ـ الشركة الشريفية
تونس : الشركة التونسية للتوزيع .
لبنان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨)
الاردن : عمان : وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : (٣٧٥)
السعودية : جدة : مكتبة مكة ـ ص.ب (٤٧٧)
الخبر : مكتبة مكة ـ ص.ب (٦٠)
الرياض : مكتبة مكة ص.ب (٤٥٢)
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء
مسقط : المؤسسة العربية للتوزيع والنشر ـ ص.ب (١٠١١)
صنعاء : دار الفكر
البحرين : دار الهلال
قطر : دار العروبة ص.ب ٦٣٣
ابو ظبي : المؤسسة العامة للطباعة والنشر ـ ص.ب (٦٧٥٨)
دبي : دار الحكمة ص.ب (٢٠٠٧)
الكويت : الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات ت ٤٢١٤٦٨

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة .

محتويات العدد



طباعة موسسة دار السياسة ـ الكويت

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

العدد ٢١٨ ـ صفر ١٤٠٣هـ ـ نوفمبر/ديسمبر ١٩٨٢م

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

من حمل علينا السلاح فليس منا ومن غشنا فليس منا

رواه مسلم

محمد موزني

هديتك مع العدد : مجلة براعم الايمان

قال تعالى:

يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم
من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا
أن الله مع المتقين

محمد ... [illegible]

الآية ١٢٣ من سورة التوبة

الوعي الاسلامي

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة التاسعة عشرة

العدد ٢١٨ - صفر ١٤٠٣هـ نوفمبر ديسمبر ١٩٨٢م

هدفها

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسة

تصدرها

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم : ٤٢٨٩٣٤ _ ٤٤٩٠٥١

التوزيع والاشتراكات

الشركة العربية للتوزيع (ش.م.ل)
ص. ب « ٤٢٢٨ » بيروت . لبنان
تلكس ARABCO 23032 LE

● الثمن ●

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم
ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي

الأحداث الجسام وأمل الغد

القى صاحب السمو امير الكويت الشيخ جابر الاحمد الصباح كلمة الافتتاح في الانعقاد الثالث من الفصل التشريعي الخامس لمجلس الامة الكويتي . وقد أشار فيها الى الاحداث الجسام التي شهدتها الارض العربية : من مذابح جماعية قامت بها اسرائيل وعملاؤها ، وملاحقة لأبناء الكويت تمت على أيد أثمة ، وحروب داخلية ومؤامرات واغتيالات . وعلى الصعيد الداخلي للكويت تضمنت كلمة الافتتاح اهتماما بما حدث من اندفاع غير محسوب نحو الكسب السريع .
وفيما يلي نص الكلمة :

بسم الله والصلاة والسلام على أشرف خلق الله ، بعون من الله سبحانه نفتتح الانعقاد الثالث من الفصل التشريعي الخامس لمجلس الامة .

اخواني :

بين لقائنا هذا ولقائنا السابق شهدت ارضنا العربية احداثا جساما منها المذابح الجماعية التي ارتكبتها اسرائيل وعملاؤها ضد المدنيين العزل الى ايد اثمة لاحقت ابناء الكويت الذين يحملون رسالتها الى العالم اخاء وسلاما وتعاونا فمنهم من نجا ومنهم من اختاره الله سبحانه الى رحابه شهيدا . وكأن العرب والمسلمين لم يكفهم ما يلقونه من اعدائهم فاضافوا اليه الحروب



الداخلية والمؤامرات والاغتيال .
على الصعيد الداخلي حدث اندفاع غير محسوب نحو الكسب السريع تحت مظلة الاقتصاد الحر الزمنا ان نتخذ موقفا يجمع بين حماية المجتمع والاقتصاد الوطني في نور من قولـه تعالى :
« يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل » وقوله تعالى « ولا تنسوا الفضل بينكم إن الله بما تعملون بصير » .
اخواني :
ان الاعباء التي تحملها الكويت داخليا وخارجيا تزداد كثافة وتشابكا مع تطور الحياة والاحداث في منطقتنا والعالم من حولنا .
واول من يعيننا على حسن القيام بها ايماننا بالله ربنا،منه سبحانه وتعالى العون والهدى . وندعوه دائما قائلين « إياك نعبد وإياك نستعين . اهدنا الصراط المستقيم » .
وانني اذ اثني على التعاون القائم بين السلطتين التشريعية والتنفيذية لمقابلة هذه المسؤوليات . ادعو الله سبحانه وتعالى ان يزيد هذا التعاون قوة وامتدادا . لنجعل غدنا اكثر ازدهارا من حاضرنا . مهتدين بقوله تعالى « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع اجر من احسن عملا » .
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

كلمة الوزارة في

في ذكرى الهجرة..

القى السيد محمد ناصر الحمضان وكيل وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بالكويت كلمة في ذكرى الهجرة المشرفة . وذلك في احتفال اقامته الوزارة في هذه المناسبة .

وقد استهل السيد الوكيل كلمته بالاشارة الى العقبات والمصاعب التي واجهت الدعوة الى الله في مكة المكرمة . ثم تحدث عن هدف الهجرة . وما يستخلص منها من دروس لتعزيز الصحوة الاسلامية المعاصرة . والمح الى ابرز تلك الدروس وهو الاخذ بالاسباب بالتخطيط والاعداد مقرونا بالاعتماد على الله . واكد ان الكوارث التي تصيب امتنا الان ترجع الى افتراق الكلمة . ودعا الى العودة الى الاسلام سلوكا ومنهجا للحياة وفي شؤونها كافة . وانهى كلمته بالتذكير بان الاسلام دين القوة . وليس يجدر بنا ان نكتفي بالشكوى والضيق . او ان نركن لليأس على حين تعاني الامة من النكبات . حتى لقد صار الجهاد واجبا على كل مسلم ومسلمة .

وفيما يلي نص الكلمة

الاحتفال بالهجرة

دعوة الى الجهاد

الحمد لله . والصلاة والسلام على سيدنا محمد و اله وصحبه ومن اتبع هداه . وبعد . فكلما اطل على المسلمين عام هجري جديد تجددت معاني ذكرى عزيزة علينا . ذكرى خالدة الاثر في تاريخنا ونهج حياتنا دينا ودولة .. انها هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة بعد ان تشبع جوها بعدائه ومعارضة دعوته . وتواصى اهلها بسد السبل امام انتشارها بينهم او في البيئات المجاورة . وفي ذلك الوقت نفسه افاض الله على المدينة واهلها بركات العزم الصراح على احتضان الدعوة وبذل الطاعة للداعي الى الله على بصيرة . عازفين عن دين الآباء وتقاليد الأجداد . رابطين مصيرهم بمستقبل الاسلام رغم الظروف العصيبة المحيطة به . لا حافز لهم الا الثقة بوعد الله لرسوله والنهوض لنصرة الحق واهله .

لقد هاجر الرسول عليه الصلاة والسلام مع ثلة من السابقين الأولى لا بحثا عن معيشة افضل ولا سعيا الى مغانم لياخذوها . ولا رحيلا عن ارض نفدت خيراتها . فقد كانت مكة مهوى الافئدة ومركز جزيرة العرب . وخرج المهاجرون عنها وهي احب البلاد الى نفوسهم واقدس البقاع في الارض . وكان

الهدف الوحيد لرعيل الهجرة الخروج الى ارض الله الواسعة ليهاجروا فيها ويعبدوا ربهم آمنين مع قوم (تبوؤوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) وكان الهدف الذي ارتضاه الله لرسوله اقامة اول دولة للدين الحنيف بعد ان اشتاقت الأرض الى هدى الأنبياء واشتد ظمؤها الى وحي السماء .

لقد رافق حادثة الهجرة من مظاهر الأخذ بالأسباب ومن فيض العناية الالهية ما سدد الخطى وأنجح القصد ورسم السبل التي يجب أن يسلكها المسلمون أفرادا وجماعات لاعادة مجد الاسلام وعزة المسلمين ، بالتخطيط المدروس والاعداد المناسب مقرونا ذلك كله بما تمليه على المسلم عقيدته من الاعتماد المطلق على الله والثقة بوعده في نيل احدى الحسنيين : النصر المؤزر ، او الشهادة .

واننا بأشد الحاجة الى استحضار هذه الدروس المستفادة من الهجرة لتكون نبراسا لنا في تعزيز الصحوة الاسلامية وتأصيلها واحاطتها بما ينبغي من الفهم والهيمنة الرشيدة لتكون - كما يقولون - مقامات راسخة لا أحوالا متغيرة . فان أحب العمل إلى الله أدومه وان قل . ولا تزال طائفة من هذه الأمة القائمة على الحق ، وهي الجديرة بالقيادة والريادة الى سواء السبيل .

ان هذه الذكرى تمر على المسلمين وهم مازالوا يخوضون امتحانا عسيرا بعد أن تكاثرت عليهم الكوارث المفجعة التي يكاد جديدها ينسي القديم .. وقد دلت هذه النوازل بما لا يدع مجالا للشك ، على ان أسبابها افتراق الكلمة واتباع السبل التي تفرق بيننا او تبعدنا عن صراط الله المستقيم ، وأقل ما يجب علينا ألا نحرم من الحوافز الداعية الى جمع الشمل وتوحيد الكلمة والنهوض بما تمليه الاخوة الاسلامية من التعاون والتكافل ، (انما المؤمنون اخوة) و « من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم » .

لقد كان في الهجرة الى المدينة فرصة للاحتكاك باليهود والاختبار لمن اختاروا طريق النفاق والارجاف والتخذيل .. وقد تمكن المسلمون بوحدة الصف أن يخيبوا من كاد لهم من المنافقين ، أما اليهود فقد ظلوا طوال حياة الدولة الاسلامية - كما وصفهم الله - (كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فسادا) - ولم تجد فيهم شتى المواثيق والعهود ولا ما تفيؤوه من ظلال الحماية الاسلامية لأهل الأديان بتركهم وما يدينون ، ولم ينفع الا استمرار لواء الجهاد خفاقا فهو سنام الاسلام والسبيل لتكون

العزة ـ حقيقة واقعا ـ لله ولرسوله وللمؤمنين .

هذا ، وان الفلاح والنجاح هو في العودة الى الاسلام سلوكا ومنهجا ، دستورا لحياتنا ، وقواما لاقتصادنا وأمانا لمجتمعنا ، ونبعا لثقافتنا ، ولا صلاح لهذه الأمة في شتى عهودها وبقاعها الا بما صلح به أولها ، فان مبادىء الاسلام اذا حملت الى الناس بالدعوة الحكيمة والتطبيق الرشيد كان فيها راحة الانسانية المتعبة التي تلهث وراء مبادىء لم تحقق للبشرية ما تصبو اليه بل كشفت الحاجة الى الانضواء في دين الله الذي اكمله للناس ، ورضيه لهم ، واتم عليهم به النعمة ، فجزى الله عنا صاحب الذكرى خير ما جزى رسولا عن أمته .

ايها الاخوة المؤمنون ،،

ونحن نرقب في الافق هلال المحرم هذه الليلة تودع أمتنا من عمرها عاما مر عليها ثقيلا بالاحداث والمحن ارتفع في حسابه عدد الضحايا والشهداء ، فخلف الآلام والجراح وعصر الحزن كل القلوب وهزت بشاعة العدوان المشاعر في شرق الدنيا وغربها .

والاسلام هو دين القوة يأبى ان نستقبل عامنا الجديد بالشكوى والضيق ، يأبى ان نواجهه باليأس وتنكيس الرأس ، بل يوجب الجهاد في الظروف الحاضرة على كل مسلم ومسلمة حتى نحرر الارض ونطهر المقدسات ونثأر لشهدائنا الابرار .

وكيف لا والارض أرضنا والحق حقنا ومن المستحيل ان يباد شعب يستحق الحياة وان يضيع حق سلبه الطغاة .

تعلمنا الهجرة ان نواجه الاخطار في قوة واستعلاء وان نستعلي بالايمان على الآلام والجراح وان نوحد الصف وننسى الخلافات ، ونقدم للمعركة اكرم زاد واعظم تضحية لنخرج من المحنة برؤوس مرفوعة وجهاد مشكور ، ونعلم الاعداء ان الحق امضى سلاح وان خط الطغيان خاسر وأنه على الباغي تدور الدوائر .

(وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون)

ايها الاخوة بالعودة الى كتاب الله والتمسك بسنة رسوله نستحق بشارة القرآن الكريم (وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين) .

هذا وان وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية لتنتهز هذه الفرصة فتبعث بخالص التهنئة الى سمو امير البلاد وسمو ولي عهده الامين والشعب الكويتي الكريم والأمة الاسلامية وكلها امل ورجاء ان يعيد الله سبحانه هذه الذكرى على امة الاسلام وهي اكثر تمسكا بكتاب ربها وسنة نبيها وقد توحدت الصفوف واجتمع الشمل وتحقق لها النصر الكريم والفوز المبين .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،،



كلمة الوعي

أدب الدعوة إلى الله

غاية الاسلام أن يحيا الناس حياة طيبة ، ويتمتعوا بمدينة فاضلة ، ثم يفوزوا في الآخرة بسعادة خالدة .

وفي القرآن الكريم ما يدل على أن الدعوة إلى الاسلام لا يثبت أصلها ، وتمتد فروعها ، وتؤتي ثمرها الطيب ، إلا إذا قامت على أساس الحجة والبرهان ، وذهب بها الداعي كل مذهب حكيم ، وأخذ فيها بكل أدب جميل ..

وفي شواهد هذه المعاني يقول الله تعالى : (**ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن**) .

ويقول سبحانه : **(ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي انزل إلينا وأنزل اليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون)**.

وكذلك كانت دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الاسلام . فكان يراعي في تبليغها الطرق الكفيلة . بنجاحها ، فيورد لكل مقام مقالا يناسبه ، ويكسو كل معنى من المعاني ثوبا يليق به ، ويخاطب كل طائفة على قدر عقولهم ، ويلقاهم بالاسلوب الذي هو أدعى إلى إقبالهم ، وأسرع أثرا في صرفهم عن غوايتهم .

ومن طرق دعوته صلى الله عليه وسلم التذكير بما يصير اليه المتقون من عز وسلامة ، وما يلحق المجرمين من خزى ومهانة .. وللبشارة والانذار أثر كبير في حث المؤمنين على الحسنات وردعهم عن السيئات ، ودعوة غير المؤمنين إلى النظر والتأمل .. وإذا نظر غير المؤمن بروية أدرك أن دعوة الاسلام حق فيفسح لها صدره ، ويمد إليها عنقه مذعنا .

ومن مظاهر دعوته « صلى الله عليه وسلم » إرسال الحكم البالغة .

والكتاب العزيز والحديث الشريف مليئان بالحكم السامية التي تدل المتأمل على أن دعوة الاسلام قول فصل وما هي بالهزل

وما من حكمة نافعة يذكرها الناس لشاعر أو خطيب بالأعجاب إلا وكان معنى تلك الحكمة مقتبسا من كتاب الله أو سنة رسوله عليه الصلاة والسلام .

ومن أدب دعوته أخذه فيها بالصبر والرفق والأناة . يعرضها في لين من القول ، ويقابل الجاهل بالاعراض والمسيء بالعفو أو الاحسان . وكان صلى الله عليه وسلم يأخذ في التأديب والزجر عما لا ينبغي مأخذاً لطيفا حتى أنه لا يوجه الانكار إلى رجل بعينه ما وجد في الموعظة العامة كفاية ، قالت عائشة « رضي الله عنها » : « صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا فرخص فيه ، فتنزه عنه قوم ، فبلغه ذلك ، فخطب ، فحمد الله ثم قال : « ما بال

أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه ؟ فو الله إني لأعلمهم بالله ، وأشدهم له خشية »

ومن حكمته « صلى الله عليه وسلم » في الدعوة انه لا يجعل الوعظ على الناس ركاما بل كان يتحرى بالموعظة وقت حاجتهم إليها ، أو وقت نشاطهم لسماعها .

قال عبد الله بن مسعود « رضي الله عنه » لأصحابه : « إني أتخولكم بالموعظة كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولنا بها مخافة السآمة علينا ».

ومن بديع أسلوبه « صلى الله عليه وسلم » في إجابة السائلين أنه يأتي بالجواب في صورة قاعدة عامة . كان رجل من محارب يؤذيه أيام كان يعرض نفسه على القبائل داعياً إلى الله ، ثم جاء ذلك الرجل في وفد محارب مسلما وذكَّر رسول الله بما كان يلقاه به من الأذى ، وقال له : استغفر لي . فقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ « إن الاسلام يجب ما قبله ». ولو قال في الجواب للرجل : « غفر الله لك » لبلغ السائل مرامه . ولكنه « صلى الله عليه وسلم » أورد الجواب في صورة يؤخذ منها غفران كل ذنب صدر من السائل قبل الإسلام ، ويؤخذ منها أن هذه المغفرة عامة لا تختص به ، بل تحصل لكل من ارتكب آثاما في عهد الكفر ، ثم دخل في حظيرة الاسلام .

وكان « صلى الله عليه وسلم » في دعوته يخاطب الناس بما تحتمله عقولهم . وأرشد إلى هذا الأدب بقوله : « حدثوا الناس بما يعرفون »

وكان من حكمته في الدعوة التصريح بعلل كثير من الأحكام والآداب أو الاشارة إليها . وذلك مما يزيد القلوب إيمانا بصدقها ، وينادي بأنها دعوة قائمة على رعاية المصالح وقطع دابر الفساد .
سأله رجل أأستأذن على أمي قال : « نعم » قال : إني معها في البيت قال : « استآذن عليها » قال إني خادمها قال : « استأذن عليها » أتحب أن تراها عريانة ؟ قال : لا قال : « استأذن عليها ».

فعلة أدب الاستئذان الخوف من أن يكون صاحب المنزل في وضع يكره أن يراه عليه أحد من الناس .

وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم وضعا هو من أشد ما يكره الانسان أن يشهده عليه أحد ، وهو وضع تجرده من الثياب ليقنع السائل بوجوب الاستئذان ، ويمنعه من أن يراجع في الأمر مرة أخرى .

ومن حكمه في الدعوة أنه كان يعيد الجملة ثلاثا ، كما قال « صلى الله عليه وسلم » « والله لا يؤمن » « والله لا يؤمن » « والله لا يؤمن » قيل من يا رسول الله قال : « الذي لا يأمن جاره بوائقه »

وكان « صلى الله عليه وسلم » يقرن القول ببعض إشارات حسية تناسب المعنى ليزداد جلاء ، ويأخذ بها في النفس صورة قوية . ومثال هذا قوله « صلى الله عليه وسلم » « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » وشبك بين أصابعه .

ومن طرق دعوته « صلى الله عليه وسلم » افتتاحه الكلام بسؤال المخاطبين عن الشيء الذي يريد تعليمهم إياه لماضي الاستفهام من تهيئة النفوس للاصغاء إلى ما يقول . فيقع منها موقع القبول . قال معاذ بن جبل « رضي الله عنه » بينما أنا رديف رسول الله ليس بيني وبينه إلا آخرة الرحل قال « يا معاذ قلت : لبيك يا رسول الله وسعديك قال : هل تدري ما حق الله على عباده ؟ قلت : الله ورسوله أعلم قال : « حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا »

تلك قبسات من أدب رسول الله « صلى الله عليه وسلم » في تبليغ دعوته وهي تفصح عن بالغ حكمته ونجاح منهجه ، مما كان سببا في الاقناع والقبول .

وحرى بالدعاة الى الله أن يقتدوا بهذا الأدب العالي ، وأن يدركوا أنه لا يكفي في الدعوة إلى الاسلام أن يطرق الداعي بها المجالس من غير أن يشد أزرها بالحجة ، ويتخير لها الاسلوب الذي يجعلها مألوفة للعقول ، خفيفة الوقع على الاسماع .

رئيس التحرير

محمد الأباصيري

الترقي الروحي في المنهج الالهي

للدكتور / عز الدين علي السيد

ما أمسكت القلم لأكتب إلا خلت اني سألغو وأثرثر ، بكلام معاد مسئوم ، لأنه ما من موضوع أقترحه ، إلا سبق لي أو لغيري قول فيه ، وكأنما يحس ذلك قلمي وصحيفتي ، فأراه نافرا وأراها ساخرة ! ولكني أجدني ما أزال مطالبا بواجب المسلم في التواصي بالحق ، ومبررا عملي ، بأن الفكرة مع تكرارها منسية كالمجهول ؛ يعوزها ان تظل تذكر حتى تحيا وتشتد !

ويقيني في موضوع اليوم انه من علم القارىء بمكان ولكن يقيني أيضا أن ذلك المكان عند كثيرين زاوية من جانب المخ ، بعيدة عن البؤرة فليس له سلطان مهين على توجيه السلوك ، والترقي بالروح الى الغاية المبتغاة من انسان سوي ، عرف ما ناط به الخالق الكريم من مهمة صعبة ، ابت السموات والارض والجبال ان تحملنها واشفقن منها ! فالحياة المحمية بالأمانة من عقوق الآدمي في أنماط السلوك خاصية وعامة هي الحياة السوية ، التي تسنمت فيها الروح مكانها ، من قيادة الجسم وتوجيه انشطته ، وترشيد انفعالاته ، وترقية شهواته وهي حياة لا تخنق الاستعداد الشهوي ولاتئده كما يتوهم الاغبياء فلولا ما ناطه به الحكيم من وظيفة تعمير الأرض لما خلقه ، ولكنها تحفظه من العبث به من الشيطان ، الذي لا هم له الا احتواء البشر في حصيلة كيده المستمر !

فالدنيا منذ شاء الله ان يستخلف أدم ، مستعمرة له ولذريته ، وهي حافلة بكل مشتهى ، وللانسان قابلية فطرية مودعة فيه بالحكمة لتلتقي بهذه المشتهيات التي لا حصر لها ، والحواس التي هي منافذ الادراك لهذه

المشتهيات ، تجهيز الهي يحكم الصلة بين الانسان والوجود الذي هو فلذة منه ، ولكنه الخليفة فيه .
ولعله لولا اقتضاء الحكمة العلية احلال الشيطان هذا الكون مع الانسان ، ما احتاج الانسان الى وحي السماء يوجهه ، اذ كانت الفطرة التي خلق الله الناس عليها دينا كافيا للاشباع في حدود السلامة من الجشع ، وحب الفرد ان يستقطب المنافع كلها لذاته ولو شقى من حوله ، ولكنه لو كان الامر هكذا ، لما تميز الفاضل من المفضول ، ولما وجد البر والفاجر ، والمؤمن والكافر ، ووجود ذلك كل مفروغ من القول فيه ، لان حكمة الله اقتضته اقتضاء ازليا ابديا ، يستوجبه كمال اسمائه الحسنى وجلاله !
وهنا يتجلى ميدان الصراع ، ويصبح الجهاد للترقي واجبا للانتصار على عدو البشر ، وللسلامة من مصير اقسم عليه متحديا اذ قال (**فبعزتك لاغوينهم اجمعين**) ص / ٨٢ وليكون المجاهد المترقي غالبا عليه داخلا في استثنائه : (**الا عبادك منهم المخلصين**) ص / ٨٣ .
واذا تبين بهذا لزوم الجهاد للترقي الى مستوى النصر على الشيطان ، الذي دسيسته في صميم تركيب الانسان وهي النفس الموصولة الحس بالشهوات على وجه مستمر ـ فقد اقتضت حكمة الله ان يسند الصفوة المختارة المستثناة بمنهج هذا الترقي ، لان العقل وان يكن عقالا للنفس ـ يعجز احيانا كثيرة امام الحكم بالتحسين والتقبيح ، للالتباس بمغالطة الشيطان ووسواسه ، وخديعته العقل بالعلل والبراهين المفتراة ! فليحق الحق ويبطل الباطل وليتأكد العدل وتقام الحجة ، انزل الله الكتب منهجا حكيما على نجباء الحياة : (**لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل**) النساء / ١٦٥
ولو كان العقل وحده كافيا للحماية والانتصار لكان الحجة البالغة وكانت رسالة الوحي نافلة ! وحقيقة مؤكدة ان النفس البشرية نفس شاعرة وان لم تقل شعرا ، لان عالمها الداخلي عالم احساس وعاطفة ووجدان ، وعالمها الخارجي عالم اغراء واثارة وفتنة ، وهذا مناط انطلاق الخيال الذي يزلزل سلطان العقل ، وينيمه مخدرا بالسحر والنشوة ، ويصور له ان الله ما خلق هذين العالمين هكذا ، الا للاغتنام قدر المستطاع : (**من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث**) آل عمران / ١٤ واشباهها من كل مصب لعاطفة وهاتف بغريزة !
وهذا التلبيس حق بظاهره باطل مخز بباطنه والذي يكشف الحق ويزهق الباطل لعين العقل حتى يحذر هو منهج الله ، الذي لا يحرم قوانا الموهوبة من المتعة المسعدة بكل هذه المثيرات ، ولكن في اطار من الطهر والنزاهة ، وباحكام يعصم من انفلات المؤمن المستجيب الى حبالة الصائد المحتال .
فالرسالات والاسلام خاتمها والمهيمن بالتمام والكمال عليها ، منهج الهي منير صاعد يقيد الضار والقبيح بحكم ربه عليه ، وان حسنه العقل مخدوعا

بالعلل الكواذب ! ويقيد النافع والحسن بحكم ربه عليه وان قبحه العقل مخدوعا بالعلل الكواذب !

ويمكن للناظر في المنهج الالهي ان يجد مهما قلت ثقافته ـ قاموس الحسن وقاموس القبح ، الذي يفصل به بينهما ليهتدي فيرتقي :

فالحلال والطيب ، والبر ، والمعروف ، والازكى ، والاطهر ، والاحسن ، والاقوم ـ وما الى ذلك متصف بها الحسن عند الله !

والحرام ، والخبيث ، والمنكر ، والفاحشة ، والرجس ، والفسق ، والكفر ، وما اليها متصف بها كل قبيح عند الله !

وكل خير وفضيلة ـ كما قرر الحكماء ـ وسط بين رذيلتين : هما الافراط والتفريط . والمنهج الالهي هو دائم بينهما في استنان طريق الحياة !

فالاتصال الجنسي ـ كما لدى البهائم وشبهها من البشر ـ حسن في ذاته ، لانه استجابة طبيعية لغرائز تريد الاشباع ، ولكنه قبيح على اطلاقه ، لما يترتب عليه من مفاسد امن بها كل جيل او وطن اصيب بالفسوق عن منهج الله ، فضاع النسب ، وانحلت الاسرة ، وفقد السكن ، وتدلى الانسان فكان دون الحيوان ، الذي يعرف حظيرته وابناءه فيحضنهم ويرأمهم ! ولهذا حصنه المنهج الالهي بالضمان الكافي لحماية الحياة .

وحكم الانسان بالاعدام على هذه الغريزة فيه ، قبيح في منهج الله ، لانه افتراء على وصل الحياة باتخاذ السبب المشروع ، وحكم على الجنس بالانقطاع عند هذه الغاية ، وتحريم لما امتن به الله من زينة الحياة وانس القلب ، ومد بالحطب الجزل لنار الصراع في داخل الحياة النفسية يمرض المرء بالقلق والتوتر واضطراب الانتاج .

والقصاص قتل للنفس ، فهو قبيح في ذاته لانه ازهاق للروح وهدم لبناء الله الذي لا يقدر على مثله سواه ولكنه حسن في منهج الله لانه يعصم البناء الاكبر من الهدم ، لاعتقاله شهوة القاتل او نزوته في ظلال غريزة حب البقاء ، فيكف ليعيش عن اجابة النزوة ، ولهذا جعله المنهج الالهي مصدرا تصدر عنه الحياة ، بان جعله ظرفا لها في قول الحق جل علاه : (**ولكم في القصاص حياة**) البقرة / ١٧٩ كما جعل الحياة نكرة لعظمتها ، لانها حياة الملايين ومنها حياة القاتل الذي كفه النداء ! كما خاطب به اولى الالباب حملا لها ان تفكر ، وجعله تعالى علة للتقوى من الاعتداء الآثم والانطلاق المبير ، الذي ضرج الارض بدمائها اليوم ، دليل خسران البشر اذا تركوا منهج الله !

ولما كان هذا هو وجه الحسن في القصاص ، جعل الله الدماء قصاصا والجروح قصاصا ، والحرمات قصاصا ، ليرقى كل مؤمن فوق اهوائه ، ويؤمن البناء الاكبر شر بوائقه بثمن كبير هو امنه في الدنيا بالتلاحم مع هذا البناء ، وامنه في الاخرة بالاستجابة لصوت المنهج الذي اهاب به فلباه !

كما ان الاسراف في القتل قصاصا في منهج الله قبيح لانه طاعة للهوى ،

وانخداع بالظنة وافلات بالسلطان من قيود المنهج الذي استحب درء الحدود بالشبهات وفرض التحري لعدالة الشاهد ، وجعل للشهادة نصابا من الشهداء ، وللاقرار على النفس نصابا من الترديد ، تكريما لدم الآدمي وتعريفا له بقيمة ذاته ليعرف اين هو على دروب الحياة المتعددة المسالك !

وعلى قياس ما مثلنا كل ما في المنهج الالهي الحكيم من امر ونهي فما احل الله غير الطيبات وما حرم غير الخبائث .

والعبادات بمبادئها وصفاتها ما هي الا تدريب مستمر ناجح في التسامي بالنفس الى اعلى ما يكفل للدنيا نسقها المستقيم .

فالصلاة ناهية عن الفحشاء والمنكر قال تعالى : **(واقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر)** العنكبوت / ٤٥ هكذا بتنزيل الصلاة منزلة الناهي العاقل المختار ، لاكبار شأنها في الترقي بالذات عن مشتهيات النفس الفاحشة ، التي ينكرها العقل المدعوم بسلامة الفطرة وبالسلامة من تزييف الشيطان .

والصوم تسام بالنفس عن اكتساب ما جبلت عليه ، وما هو ضروري لقيام الحياة ، فترة غير قصيرة من الزمن ، ليدربها على الانضباط وصيام الجوارح كلها عن التسفل بالهجر من قول او عمل وانت واجد عدم الجدوى من الصوم المقترن بالعمل الهابط في قول النبي - صلوات الله وسلامه عليه - : « من لم يدع قول الزور والعمل به ، فليس لله حاجة في ان يدع طعامه وشرابه » رواه البخاري واحمد عن ابي هريرة .

والحج تسام بالنفس على حب المال وملازمة الاهل والوطن ، واستمرار الحياة على نسق الكسب والراحة من عناء السفر ووعثاء الطريق ! وهو مع ذلك ترق بالسلوك الى التهذيب الاكمل ، في مضائق من شأنها ان تفلت الجارحة من ضبط العقل ، فلا تمام له الا بتمام السيطرة على مملكة النفس التي يحشد حولها المنكور قواه .

(فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج) البقرة / ١٩٧ .

(من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته امه !) رواه البخاري واحمد عن ابي هريرة .

والزكاة - والنفس مجبولة على الشح - استعلاء بهذه النفس على حبها المردي بتهديد الشيطان :

(الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء) البقرة / ٢٦٨

واستجابة في المقابل لدعوة المنهج الى الفلاح :

(ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) التغابن / ١٦ .

حيث يبذل المتسامي من خير ماله وطيب كسبه مستعصيا على نداء عدوه ، لا يبطل ما انفق بالمن والاذى ولا يتيمم الخبيث ينفق منه وليس بآخذه الا ان يغمض فيه ، بل يؤثر غيره ولو كان به خصاصة ، لانه آمن حين ارتقت نفسه

فوق دنياه ، بان الذخر اجمعه في ابتغاء وجه الله :
(**انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا**) الدهر / ٩
وكلمة التوحيد وهي الاس لاركان الاسلام وحقيقة المنهج ، تسام بالعقل والروح عن دنو النظر وهبوط الوجدان ، بل عن بلاهة الطفولة التي تغري بحب الجمع والتكثير ، حتى في الاله الذي يعبد ، والتي لا تقتنع لعدم القدرة على التجريد ، الا بما تدرك الحاسة ، فهي من اجل ذلك تنكر الوحدانية ولا تؤمن باله لا تراه او تلمسه ! ومفهوم عقيدة التوحيد في المنهج الالهي ، يبطل لدى المؤمن كل سلطان غير الله لا يظله الله بسلطانه فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .
ومفهوم عقيدة التوحيد في المنهج الالهي ، تقرن الذل والعبودية لله وحده بالعزة والكرامة امام من سواه حتى يكون افضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر ! لان مفهوم هذه العقيدة ، ان الاكرم عند الله هو الاتقى ، وان الله اقرب الى العبد من حبل الوريد وانه معه حيث كان يعلم السر واخفى :
(**انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة او في السموات او في الارض يأت بها الله ان الله لطيف خبير**) لقمان / ١٦
فلا حجاب بين المترقي بمنهجه وبينه ، بل ما يزال المترقي به يجاهر حتى يقسم على الله فيبره ، وحتي يجعله عبدا ربانيا يقول للشيء كن فيكون !
وملتزم هذا المنهج حذر وقاف ، لا مخدوع ولا مغرور لانه رأى فيه
(**ويحذركم الله نفسه**) ال عمران / ٢٨ و ٣٠
(**ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون**) الحجرات / ٢
(**وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا**) الفرقان / ٢٣
(**وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا**) الكهف / ١٠٤
بل ورأى قول اهدى البشر - صلوات الله وسلامه عليه - ولا انا الا ان يتغمدني الله » رواه البخاري واحمد
ان المنهج الالهي لترقية الروح ، الذي سلكه الحق في مائة واربع عشرة سورة هي القرآن ، وأوحى الى نبيه بالسنة الحنون لبيانه وما اوسع صدرها لا يصوره في جلاله وكماله الا ذاته ، وهو بنعمة الله قد تكفل الله بان لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فما تطفلنا مع وجوده القائم الا لنرد اليه بمثل هذه الحروف انفسنا ، وانفس امثالنا مما نأوا عنه ، بفتن اظلتنا هي من حولنا كقطع الليل المظلم ، لا عاصم لنا من شرها الا ذلك الحبل الممدود بيننا وبين الله ،
(**وذكر به ان تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع وان تعدل كل عدل لا يؤخذ منها اولئك الذين ابسلوا بما كسبوا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون**) الانعام / ٧٠



كمصدر تشريعي في رأي المستشرقين

للدكتور / عجيل النشمي

لقد تركزت بحوث المستشرقين حول القرآن الكريم وتناوله اغلبهم بالطعن من جوانب عديدة في لفظه ورسمه وتلاوته واحكامه واخباره وطريق تنزيله وثبوته والاحكام المستنبطة منه الى غير ذلك .

ولسنا هنا في معرض استقصاء ما دونوه والرد عليه . وانما حسبنا ان نقف على تصورهم للقرآن الكريم كمصدر من مصادر التشريع الاسلامي ودوره في بلورة الفقه ، وتقييم ذلك على ضوء ما قرره علماء اصول الفقه .

والوقوف على هذا يستلزم حتما الوقوف على تصورهم للقرآن الكريم على وجه العموم من جانب ، والنتيجة التي راموا التوصل اليها من جانب آخر ، لأن النظر في القرآن كمصدر للتشريع فرع هذا التصور العام .

التصور العام للقرآن :

أ ـ ثبوت القرآن : ينظر المستشرقون الى القرآن الكريم على انه نسج محمد صلى الله عليه وسلم وتأليفه عن طريق الوحي المزعوم والذي هو عبارة عن احلام ورؤي واوهام ـ حسب افترائهم ـ وانه في بدايته كان عبارة عن افكار وامثلة تصور الحياة الاخرة ـ ونتيجة لهذا حارب الشرك ودعى الى توحيد الله وحسن عبادته للفوز بالدار الآخرة .

وقد كان متأثرا في سيرته هذه بالمصادر الخارجية من حوله .

هذا التصور المشوش عن القرآن الكريم تجده مسطرا في كتبهم ويتناقلونه آثما عن آثم خاليا من ادنى نظرة علمية مجردة .

وهذا قول احد كبرائهم يكشف عن هذا التصور فيقول :

لما بلغ محمد (صلى الله عليه وسلم) الاربعين من عمره ، اخذ يقضي وقته على ما تعود في الخلوة في الغيران المجاورة للمدينة ، حيث كان نهبا للاحلام القوية والرؤي الدينية ، وتملكه شعور بأن الله يدعوه بقوة تزداد شيئا فشيئا ليذهب الى قومه منذرا اياهم ما يؤدي بهم ضلالهم من الخسران المبين ، وبكلمة واحدة ، احس بقوة لا يستطيع لها مقاومة تدفعه الى أن يكون مربيا لشعبه اي « منذره ومبشره ».

ويعبر الكاتب عن نفس الفكرة فيقول : وفي خلال النصف الاول من حياته اضطرته مشاغله الى الاتصال بأوساط استقى منها افكارا اخذ يجترها في قرارة نفسه ، وهو منطو في تأملاته اثناء عزلته ، ولميل ادراكه وشعوره للتأملات المجردة والتي يلمح فيها اثر حالته المرضية ، نراه ينساق ضد العقلية الدينية والاخلاقية لقومه الاقربين والابعدين . وفي بدء رسالته كانت تأملاته تأخذ طريقها الى الخارج في شكل امثال مضروبة للحياة الاخرى كانت تفرض نفسها على مخيلته بقوة تزداد يوما بعد يوم ، وهذه التأملات هي التي كونت الفكرة الاساسية التي بني عليها تبشيره ، وما سمعه او عرفه يوم الحساب ، الذي سيقع يوما على العالم كالصاعقة أخذ يطبقه على الامور التي يراها حوله ، والتي كانت تملأ نفسه اشمئزازا .. وهكذا اسس محمد (صلى الله عليه وسلم) دعوته على التوبة والندم والخضوع والاسلام الى تمثيلات تتعلق باليوم الآخر قبل كل شيء . وحالة الادراك هذه كان من نتائجها ، لا من اسبابها ، ان نبذ محمد (صلى الله عليه وسلم) الشرك الذي حطت عقائده من شأن القدرة الالهية التي لا حد لها ، ووزعتها بين آلهة متعددين ..

ثم يقول : اذا ما كان يبشر به خاصا بالدار الآخرة ليس الا مجموعة موارد استقاها بصراحة من الخارج يقينا واقام عليها هذا التبشير ، لقد افاد من تاريخ العهد القديم ـ وكان ذلك في اكثر الاحيان عن طريق قصص الانبياء ـ لِيُذكّر على سبيل الانذار والتمثيل ، بمصير الامم السالفة الذين سخروا من رسلهم الذين ارسلهم الله لهدايتهم ووقفوا في طريقهم ، وبهذا انضم محمد (صلى الله عليه وسلم) الى سلسلة اولئك الانبياء القدماء بوصفه آخرهم عهدا وخاتمهم .

ويحاول التوصل الى نفس النتيجة وهي الطعن بقطعية ثبوت القرآن الكريم بأسلوب وطريقة اخرى ، حصرها في وجوه ثلاثة ، سنذكرها تباعا ونناقشها ونرد عليها .

● **الوجه الاول** : تخليط الشيطان على النبي صلى الله عليه وسلم

فيقول : « ان اول مصادر الشرع في الاسلام واكثرها قيمة الكتاب ، وليس هناك من شك في قطعية ثبوته وتنزهه عن الخطأ على الرغم من امكان سعي الشيطان لتخليطه سورة الحج الاية ٥١ و « الكاتب هنا في غاية الدهاء فهو حين يقرر قطعية ثبوت القرآن ابتداء ، ينفيها على الفور بزعمه امكان وسوسة الشيطان على النبي صلى الله عليه وسلم فيسبق لسانه سهوا او غلطا فينقل عن الله خلاف ما اراد . وهو يريد استغلال ما ذكره بعض المفسرين في قوله تعالى في سورة الحج « **وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله اياته والله عليم حكيم** »الآية٥٢الحج .

فقد ذكر بعض المفسرين ان سبب نزول هذه الآية ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى تولى قومه عنه ، وشق عليه ما رأى من مباعدتهم عما جاءهم به ، تمنى في نفسه ان يأتيه من الله تعالى ما يقارب بينه وبين قومه ، وذلك لحرصه على ايمانهم ، فجلس ذات يوم في نادي من اندية قريش كثير اهله ، واحب يومئذ ان لا يأتيه من الله تعالى شيء ينفرون عنه ، وتمنى ذلك ، فأنزل الله تعالى سورة « **والنجم اذا هوى** » فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ « **افرأيتم اللات والعزى . ومناة الثالثة الأخرى** » النجم ١٩ / ٢٠ القى الشيطان على لسانه لما كان يحدث به نفسه ، ويتمناه « تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى ، فلما سمعت قريش ذلك فرحوا ، ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في قراءته ، فقرأ السورة كلها ، وسجد في آخر السورة ، فسجد المسلمون بسجوده ، وسجد جميع من في المسجد من المشركين ، فلم يبق في المسجد مؤمن ولا كافر الا سجد . وتفرقت قريش وقد سرهم ما سمعوا ، وقالوا : قد ذكر محمد آلهتنا بأحسن الذكر وقالوا : قد عرفنا ان الله يحيي ويميت ويخلق ويرزق ولكن آلهتنا هذه تشفع لنا عنده ، فان جعل لها محمد نصيبا فنحن معه ، فلما امسى رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه جبريل عليه السلام فقال : « ماذا صنعت ؟ تلوت على الناس ما لم آتك به عن الله سبحانه ، وقلت ما لم اقل لك » فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم حزنا شديدا ، وخاف من الله خوفا كبيرا فأنزل الله تعالى « **وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته** » .

هذه هي القصة التي اراد ان يشير ويستند عليها ، وليس له فيها متعلق ولا تصلح دليلا لنفي قطعية ثبوت القرآن الكريم .

فقد فند العلماء منذ القديم هذه القصة وابطلوها من عدة نواح ، ذكرها الاستاذ امين الخولي وضمنها رده على Schacht في تعليقه على كتابه اصول الفقه فذكر أن العلماء **نقدوها من جهات** .

★ ـ نقدوا سندها نقدا مرا اذ سئل عنها محمد بن اسحاق فقال هذا من وضع الزنادقة ، وصنف في ذلك كتابا ، وابن اسحق نفسه قد قيل في الثقة به ما قيل ، فكيف بما يعده هذا المصنف من وضع الزنادقة ؟ كما قال البيهقي هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل ، ثم اخذ يتكلم في ان رواة هذه القصة مطعون فيهم ، وقد روى البخاري في صحيحه انه صلى الله عليه وسلم قرأ سورة النجم ، وسجد فيها المسلمون والمشركون الانس والجن . وليس فيها حديث الغرانيق . كما قال ابو حيان في تفسيره « وليس في الصحاح ولا في التصانيف الحديثة شيء مما ذكروه ، فوجب اطراحه ، ولذلك نزهت كتابي عن ذكره فيه ، وكذلك قال في توهين سند هذه الرواية القاضي عياض ، وابو بكر بن العربي وغيرهم ، كل هذا الى جانب ان المروي فيها مرسل ـ اي سقط من سنده من بعد التابعي ، والجمهور يتوقف عن الاحتجاج به وحسبنا ذلك من طرق نقد سند هذه القصة :

● **كذلك نقدوها من نواح مختلفة ، منها** :

★ ـ مناقضتها القرآن من مثل قوله تعالى « **ولو تقول علينا بعض الأقاويل . لأخذنا منه باليمين . ثم لقطعنا منه الوتين** » ، الحاقة ٤٤ ـ ٤٦ وقوله « **وما ينطق عن الهوى . إن هو**

الا وحي يوحى » النجم ٣ ـ ٤ والعجب ان هذه الآية في صدر السورة التي يحكي ان التخليط كان فيها . وقوله « **قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي ان اتبع إلا ما يوحى اليَّ** ». ١٥ يونس .

★ ـ نقدها بمناقضة اعتبارات عقلية محضة لا تتوقف على مسلمات دينية ، ثم من تلك الاعتبارات ما هو عقلي صرف ومنها ما هو تاريخي ومنها ما هو ادبي . فالعقلي الصرف ، انها ليست الا خبر واحد ، وخبر الواحد لا يعارض الدلائل النقلية والعقلية المتواترة . ثم من الاعتبارات التاريخية ملاحظة ان الرسول بمكة ـ حيث تروى القصة ـ لم يتمكن من القراءة والصلاة عند الكعبة ولا سيما في محفل غاص ومنها أن معاداة المشركين الرسول كانت اكبر من ان يغتروا بهذا القدر فيخروا سجدا قبل ان يقفوا على حقيقة الامر .

★ ـ ومن الاعتبارات الادبية ما يسوقه القاضي عياض بقوله « **ووجه ثان** ، وهو استحالة هذه القصة نظرا وعرفا ، وذلك ان الكلام لو كان كما روى لكان بعيد الالتئام ، متناقض الاقسام ، ممتزج المدح بالذم ، متخاذل التأليف والنظم ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم ومن بحضرته من المسلمين وصناديد المشركين ممن لا يخفى عليه ذلك ، بل هذا لا يخفى على ادنى متأمل فكيف بمن رجح حلمه ، واتسع في باب البيان ومعرفة فصيح الكلام علمه ». وهذا القول يوضحه النظر في السياق من سورة النجم وانه تعييب للآلهة وحط من شأنها « **ان هي إلا أسماء سميتموها انتم وأباؤكم ما انزل الله بها من سلطان إن يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى** » النجم ٢٣ « فكيف يقحم قبل هذا قوله « **تلك الغرانيق العلي ، وان شفاعتهن لترتجى** » وكيف يوضع هذا وسط ذلك السياق ، فيسيغه المشركون ، بل يعجبون به ويطربون له ، ويسجدون مع النبي ويشاع اسلامهم جميعا وفي المقام بعد ذلك نفى الله لشفاعة الملائكة في قوله « **وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا الا من بعد ان يأذن الله لمن يشاء ويرضى** » النجم ٢٦ فكيف ترتجى شفاعة اصنامهم حين تنفي شفاعة الملائكة على هذا النحو ، وكيف يتلاءم هذا في المزاج الادبي لاساطين القول ، الذين تحدوا بالقرآن ، بل لأي عربي .

ومن الاعتبارات الادبية التي ينقد بها متن تلك القصة كذلك ، ما ساقه الاستاذ الامام محمد عبده رحمه الله ـ في بحث له قيم الم فيه بطائفة من نقد القدماء ، ورفض القصة ، وفسر آية الحج هذه بما يستقيم دون اتصال بالسبب المزعوم في نزولها ، ولذلك الملحظ الادبي الناقض لمتن تلك القصة هو : ان العرب لم يرد في نظمها ، ولا في خطبها ، ولا نقل عن احد بطريق صحيح ، انها وصفت الهتها بالغرانيق ، وليس من معاني الكلمة شيء يلائم صفة الآلهة والاصنام حتى يطلق عليها في القرآن .

فتلك الاعتبارات الادبية وحدها ، دون نظر الى شيء وراءها ، مما لا يليق ان يهمله من رجح حلمه ، واتسع في فقه اللغة علمه ، حتى يحتج بعدها وبعد غيرها من قوى النقد بآية الحج المذكورة على امكان سعي الشيطان لتخليط القرآن . وتلك كلها مظاهر النقد في الاسلوب القديم ، فكيف بدقة الاساليب الغربية الحديثة .

على انك ان تهدر ذلك كله ، وتقبل مع الاستاذ Schacht قصة الغرانيق ، فلن تجد بذلك ، الطريق للاستشهاد بآية الحج ٥٢ على امكان سعي الشيطان لتخليط القرآن . نعم تكون القصة وحدها شاهدا على وقوع هذا مرة على النحو الذي ترويه ، وتكون سببا للنزول له اثره في تفسير الآية ، لكن الآية مع ذلك كله لا تكون شاهدا على هذه الدعوى ، في امكان سعي الشيطان لذلك ، **لوجوه** :

● ـ ان الآية ـ على ان هذا سبب النزول ، وعلى فرض تخليط الشيطان على الانبياء ـ ليست حديثا عن تخليط حصل لنبي الاسلام ولا فيها اشارة اليه ، والى هذا يشير ابو حيان ـ في الموضع السابق ـ اذ يقول « وهذه الآية ليس فيها اسناد شيء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انما

تضمنت حالة من كانوا قبله من الرسل والانبياء ، اذا تمنوا فليست الآية دليلا ـ في حساب البحث العلمي ـ على تخليط خاص بالقرآن ».

ولا يفوتك أن تلاحظ ان الآية تقول « **وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي** » فتعمم ، ولكن الكاتب يخص القرآن بامكان سعي الشيطان لتخليطه ، وذلك ما نمسك عن تعليله .

● ـ ان معنى الآية ، مع تسليم هذا السبب وتوجيه تفسيرها بمقتضاه ، انما هو ان ما يقع من تخليط الشيطان مؤقت ، لا يلبث ان ينسخه الله . ثم يحكم الله اياته والله عليم حكيم ، فهو امكان مؤقت لا يترك اثرا ، فلا يتجه مع هذا الاستدلال بالآية على امكان التخليط .

الوجه الثاني : نسيان النبي صلى الله عليه وسلم

فيقول : « كما انه ليس من شك ايضا في انه وصل الينا ـ اي القرآن ـ من غير تحريف ـ على الرغم من نسيان الرسول (صلى الله عليه وسلم) لعدد من آيات الكتاب ، سورة البقرة الآية ١٠٠ وسورة الاعلى الآية ٦ وما بعدها ».

فيزعم هذا ان النبي صلى الله عليه وسلم وهو المبلغ عن الله عز وجل ينسي بعض ما يبلغ به ، ويستنتج ذلك من الآية التي اشار اليها وهي آية البقرة رقم ١٠٦ وليس ١٠٠ وهي قوله تعالى « **ما ننسخ من آية او ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم ان الله على كل شيء قدير** » . البقرة ١٠٦ وقوله تعالى « **سنقرئك فلا تنسى . إلا ما شاء الله انه يعلم الجهر وما يخفي** » . الاعلى ٦ ـ ٧

والكاتب هنا يلقي الزعم على عواهله دون بيان او تفصيل ، وكأن الامر مسلم ومقرر في تصوره ، والامر ليس كذلك عند التدقيق ، وليس له مستند يقوى على تثبيت تلك الدعوى وسنبين فيما يلي مدلول الايتين لنقدر على الحكم على صحة او خطأ المدعي .

اولا : قوله تعالى « **ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها او مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير** ».

لقد فسر بعض المفسرين كلمة « آية » بالمعجزة كالشيخ محمد عبده ومحيي الدين بن عربي استنادا الى فاصلة الآية ، « فان ذكر القدرة والتقرير بها لا يناسب موضوع الكلام ونسخها ، وانما يناسب هذا ذكر العلم والحكمة .

وعلى هذا تخرج الآية عن محل الاستشهاد فلا تكون دالة على النسيان .

ثم يقال له ايضا : ان كلمة « ننسها » فيها احدى عشرة قراءة ، وفيها معاني عدة فقيل يراد بها التأخير ، او الترك او النسيان ، ومع هذه الاحتمالات لا يصح التمسك والانتصار على معنى واحد هو النسيان كما ذكره الكاتب .

وحتى على فرض ان المراد منها النسيان فقط ، فيمكن القول ، انها ليست شاهدا مطلقا على دعواه ان النبي صلى الله عليه وسلم نسي آيات ، واخل هذا بصيانة الكتاب عن التحريف ، لأن الكلام في انساء الله اياه ، لا في نسيانه هو ، وانساء الله له الآية كعدم ايحائها ، وهو بالنسيان بعد ذلك يؤدي رسالته ، اما لو اراد الله ابلاغها فنسيها ولم يؤدها فهذا هو المحرف للوحي ، وليس هو المذكور في الآية : الا ان يتحكم في اختيار قراءة بعينها ويرفض ما عداها ولو لم تكن من القراءات القوية ، على انه ان يرد ذلك فسنسايره ايضا **فنرى** :

● ـ انه على ابعد التنزل والمسايرة ، ومع فرض قصر الكلمة في الآية على « تنسها » بتاء الخطاب وهو ابلغ ما يطمع فيه المستشهد ، على هذا كله لا تشهد الآية لا على وقوع النسيان ، ولا على الاخلال بصيانة الكتاب عن التحريف .

اما انها لا تشهد بوقوع النسيان فعلا ، فلأن الكلام على صورة الشرط **ما ننسخ من آية او ننسها نأت بخير** ـ وكل ما تفيده حصول الجواب ان حصل الشرط ، لا وقوع الشرط فعلا ، فكلمات الشرط تدخل على المستحيل مثل : **لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا** الانبياء /٢٢ **لئن أشركت ليحبطن عملك** الزمر /٦٥ ، خطابا للنبي ونظير هذا ان تقول ، ما ينصف الاستاذ

يصل الى الحق ، تريد وقوع هذا بوقوع ذاك وليس من معناه وقوع الانصاف من الاستاذ فعلا ، وهذا الملحظ قديم اورده المفسرون .

- **فمعنى الآية على هذا** « إن تنس تلاف الله نسيانك ».

وأما ان الآية لا تشهد بشيء من الاخلال بصيانة الكتاب عن التحريف فهو ان الله يحدث انه مراقب الرسول مشرف على الحال ، مبدله بما ينساه خيرا منه ، فهو عالم بنسيانه ، مغتفر له اياه ، معوض له عما ينسى ، فالآية على عكس ما يريد الاستاذ شاهدة - بفرض ان هذا تفسيرها وعلى كل هذا التنزل والتسليم - على عناية زائدة بمراقبة التبليغ ، واصلاح شأنه فكيف جعلها الكاتب شاهد نسيان وتحريف ..

ثانيا : قوله تعالى « **سنقرئك فلا تنسى . الا ما شاء الله إنه يعلم الجهر وما يخفي** »الاعلى /٦ - ٧ . فقد فسر النسيان كذلك بمعنى ترك العمل ، فالمعنى انه لا يترك العمل الا بما شاء الله ترك العمل به فينسخه - وبهذا تخرج الآية من موضوع احتجاج الكاتب ، وان ابى إلا قصرها على معنى النسيان ، فالاستثناء منه - الا ما شاء الله - قد فسر بأنه استثناء غير حقيقي ، وذلك لأوجه ، منها :

★ - ان الاستثناء انما هو لاظهار قدرة الله ، وان عدم نسيان الرسول منحة من الله له وتفضل يؤيده به ، ولهذا المقام نظائر قرآنية ، اريد فيها بيان قدرة الله ، وعدم مشيئة الله وقوع الامر المقدور ، المؤثر على مهمة الرسول وشخصيته ، مثل آيتي الاسراء « **ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك . ثم لا تجد لك به علينا وكيلا . إلا رحمة من ربك إن فضله كان عليك كبيرا** »الاسراء / ٨٦ ، ٨٧ مع القطع بأن الله لم يشأ ذلك ، ومثل آية الزمر « **ولقد أوحي إليك والى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين** ». الزمر ٦٥ ومحال ان يشرك النبي « صلى الله عليه وسلم ».

★ - ان هذا الاستثناء بالمشيئة قد استعمل في اسلوب القرآن للدلالة على الثبوت والاستمرار ، فهو استثناء صلة في الكلام وليس ثم شيء اريد اخراجه ، وشواهد هذا الاسلوب القرآني قوله عن أهل النار « **خالدين فيها ما دامت السموات والأرض الا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد** » وقوله في اهل الجنة « **خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ** » هود / ١٠٧، ١٠٨ . ولعل منه كذلك قوله « **قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله** » الاعراف / ١٨٨ .

الوجه الثالث : وقوع النسخ في القرآن الكريم .

فيقول : ولا يتعارض مع حجية القرآن القاطعة كذلك ان بعض آياته المتأخرة تنسخ ما قبلها ، سورة البقرة اية ١٠٠ وسورة النحل اية ١٠٣ وما بعدها ، وكان هم المفسرين المتأخرين التخلص من المتناقضات العديدة الواردة في القرآن والتي تصور لنا تدرج محمد في نبوته ، اما بما عمدوا اليه من التوفيق بينها ، واما بالاعتراف بأن الآيات المتأخرة تنسخ ما قبلها ، وذلك في الحالات التي يشتد فيها التناقض بين تلك الآيات .

والكاتب هنا لم يحرر معنى النسخ ولم يبين وجه التعارض والتناقض واكتفى بالاشارة الى آية النسخ السابقة وآية النحل في قوله تعالى « **ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين** » النحل / ١٠٣ .

وهذه الآية الثانية مقحمة على دعوى النسخ ، وليس محل الاستشهاد - الدقيق - بها هنا ، وانما اراد بها فقط ان يؤازر دعوى الملحدين القدامى في دعواهم ، ونكتفي برد الآية ذاتها المفحم على هذه الدعوى .

اما الآية الاولى فهي التي تستحق منا وقفة نكشف فيها عن وجه الصواب الذي حاد عنه الكاتب في فهم معنى النسخ .

فلقد تعددت تعريفات العلماء لمعنى النسخ في الاصطلاح الشرعي :

فعرفه الامام الجصاص بأنه : **اطلاق الشرع بيان مدة الحكم والتلاوة وعرفه الامام** البيضاوي بأنه : « **بيان انتهاء حكم شرعي بطريق شرعي متراخ عنه** ».

وعرفه ابو بكر الباقلاني بأنه « **الخطاب الدال على ارتفاع الحكم الثابت بالخطاب المتقدم على وجه لولاه لكان ثابتا مع تراخيه عنه** ».

وعرفه فخر الدين الرازي بأنه « **طريق شرعي يدل على ان الحكم الذي كان ثابتا بطريق شرعي لا يوجد بعد ذلك ، مع تراخيه عنه على وجه لولاه لكان ثابتا** » وعرفه ابن الحاجب بأنه « **رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر** » .

هذه هي حقيقة النسخ ولسنا في حاجة الى تفصيل هذه التعاريف من ناحية اصولية فنية انما يكفينا انها في جملتها تعني ان الله شرع حكما ما ثم رفعه ونسخه وابدله بحكم آخر غيره بما يناسب التدرج التشريعي الذي هو صفة من صفات التشريع الاسلامي .

والسؤال الموجه الى الكاتب بعد هذا ما هي صلة ذلك بعدم قطعية ثبوت القرآن انهما قضيتان منفصلتان ، لا تمت احداهما الى الاخرى بصلة ، اللهم الاصلة واهية .. كما المح لها الاستاذ امين الخولي في تعليقه على كلام الكاتب ـ وهي شبهة ما اثير قديما من ان النسخ يلزمه البداء اي ظهور شيء كان خافيا على الله ، وتلك شبهة واهية ، وقد مل القول فيها كذلك وواضح رد القدماء عليها بأن النسخ لم يكن الا اتباعا لمصلحة الخلق لا تغيرا لعلم الله ، والشرائع انما قصد بها مصالح الناس الدينية والدنيوية ، فتبدلت الخطابات بحسب تبدل المصالح .

على انه كان يجب على الكاتب ان يقدر ان طوائف من المسلمين المتاخرين قد انكروا جواز النسخ ، وفسروا الآيات المقول بنسخها تفسيرا لا يتوقف على القول بالنسخ .

فعلى القول بوقوع النسخ فعلا في القرآن ، لا يظهر له تأثير في قطعية الثبوت وعلى القول بعدم جواز النسخ يسقط الايراد من اساسه .

وبعد هذا يبقى القول والسؤال للكاتب اين التناقض الذي كان هم المفسرين التخلص منه ؟ هذا ما لا يستطيع اثباته بعد هذا البيان .

والامر الذي لا يمكننا استيعابه وتوجيهه وجهة علمية ، اشارته الى ان تلك التناقضات ـ المزعومة ـ تصور لنا تدرج محمد (صلى الله عليه وسلم) في نبوته فانها تصور التدرج حقا ولكن اتدرج التشريع ام تدرج المشرع ؟ اما عمل المشرع فظاهر في تدرجه ولكن هل ذلك تدرج للنبي صلى الله عليه وسلم ؟ وهل يعتبر تدرج المعلم والمدرب والمروض والطبيب في العناية بمن يعلم او يدرب او يطبب صدى لتغيير في نفسه هو ؟ لا شك ان ذلك غير الواقع ، وهب ـ تساهلا ـ أن هذا المظهر يحتمل تدرج النبي وتدرج الشرع فكيف تحكم الكاتب وجعله مظهر تدرج النبي صلى الله عليه وسلم لا غير ؟ لا تدري اي اسلوب علمي يعتمد الكاتب في ذلك ، حتى يقرر ان التبديل يمثل ترقي النبي صلى الله عليه وسلم في نبوته ولا يمثل ترقيه في اعداد امته وتلطفه في تربيتها .

وبمجموع هذه الردود على الجهات الثلاث التي زعم Schacht انها توهن قطعية ثبوت القرآن . لا يبقى محل لدعواه ولا وجه علمي يقابل به ما اوردناه .

وهذه النظرة الاستشراقية تعطينا تصورهم للقرآن الكريم كمصدر تشريعي من حيث ثبوته ، فهو لم يثبت عندهم من قبل الله عز وجل ولم ينزل بصورة وحي منه تبارك وتعالى ، وانما هو محض ادعاء واختلاق من محمد صلى الله عليه وسلم تبلور من اتصالاته بمن حوله من اليهود والنصارى وغيرهم وساعد على ذلك حالته المرضية وعزلته الموحشة التي توهم من خلالها الوحي ، فرأى من واجبه تبليغ هذه الدعوة الى الناس .

وهذه افتراءات هشة ذكرها وحكاها القرآن على لسان اليهود والنصارى من قبل ورد عليها . ولسنا هنا في معرض مناقشة تلك الدعاوي وتفنيدها ، وانما المراد بيان اصل التصور ومنشؤه ، ويكفينا هنا القول بأن هذا التصور مردود من الناحية العلمية والتاريخية المجردة ، وكل ما ذكروه لا يشكل دليلا يستأهل النقاش ويصلح مستندا لاثبات الزعم .

مشروعية الأذان



الأذان لغة : الاعلام ، قال تعالى : « **وأذان من الله ورسوله** » (التوبة : ٣)

وقال عز من قائل : « **فأذن مؤذن** » (الاعراف : ٤٤)

ويقال له : آذان .... وتأذين .... وأذين .

وهو شرعا : الاعلام بوقت الصلاة ، بألفاظ مخصوصة .

والراجح ان الأذان : لم يكن مشروعا في مكة - قبل الهجرة - وانما شرع في السنة الأولى من الهجرة ، كما يدل على ذلك حديث ابن عمر الذي نفى النداء بالصلاة قبل الهجرة مطلقا .

وحديث ابن عمر ، كما رواه البخاري : « كان المسلمون حين قدموا المدينة ، يجتمعون فيتحينون الصلاة ، ليس ينادى لها ، فتكلموا يوما في ذلك .

- فقال بعضهم : اتخذوا ناقوسا ، مثل ناقوس النصارى .

● وقال بعضهم : بل بوقا ، مثل قرن اليهود .

فهذا يفيد ان الصحابة رضوان

الأذان في الإسلام

دكتور نجاشي علي ابراهيم

الله عليهم ، كانوا يتحينون الصلاة .

قال القاضي عياض : يعني يقدرون حينها ، ليأتوا اليها فيه .

وهذا يدل على ان الأذان : لم يكن قد شرع في مكة قبل الهجرة ، لأنه لو كان مشروعا : ما فعل الصحابة ذلك .

وتذكر كتب السنة انه : لما كثر الناس ذكروا ان يعلموا وقت الصلاة بشيء ، يجمعهم لها

ـ فقالوا : لو اتخذنا ناقوسا ؟.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذلك للنصارى .

● فقالوا لو اتخذنا بوقا ؟.

قال : ذلك لليهود .

● فقالوا : لو رفعنا نارا ؟.

قال : ذلك للمجوس .

فافترقوا ... فرأى عبد الله بن زيد « رؤيا » فجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : طاف بي وانا نائم رجل ، يحمل ناقوسا في يده .

● فقلت : يا عبد الله ... اتبيع الناقوس ؟.

قال : وما تصنع به ؟.

● قلت : ندعو به الى الصلاة .

قال : افلا ادلك على ما هو خير من

ذلك ؟ .

● قلت : بلى .

فقال : تقول : الله اكبر ... الله اكبر ... فذكر اذان .

فلما اصبحت ، اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال : انها لرؤيا حق .

ثم قال الرسول صلى الله عليه وسلم

● لعبد الله بن يزيد : القه على بلال ، فانه أندى صوتا منك .

وعلى هذا يكون ابتداء مشروعية الأذان بالمدينة .

وقد ذكر بعض المفسرين : ان اليهود لما سمعوا الأذان قالوا : لقد ابتدعت يا محمد شيئا ، لم نسمع به فيما مضى من الأمم ، فنزل قول الله تعالى : « **وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا** » (المائدة : ٥٨) .

وقد جزم ابن المنذر : بان الرسول صلى الله عليه وسلم ، كان يصلي بغير أذان ، منذ فرضت الصلاة بمكة ، الى ان هاجر الى المدينة ، والى ان وقع التشاور في ذلك ، على مافي حديث عبد الله بن عمر ، ثم حديث عبد الله بن زيد / سبل السلام .

مسائل العقيدة في الأذان :

والأذان على قلة الفاظه ـ كما يقول القرطبي ـ مشتمل على مسائل العقيدة :

● لانه بدأ بالأكبرية ، وهي تتضمن وجود الله وكماله .

● ثم ثنى بالتوحيد ، ونفى الشرك .

● ثم باثبات الرسالة لمحمد صلى الله عليه وسلم .

● ثم دعا الى الطاعة المخصوصة عقب الشهادة بالرسالة ، لانها لا تعرف الا من جهة الرسول .

● ثم دعا الى الفلاح ، وهو البقاء الدائم ، وفيه الاشارة الى المعاد ... ثم اعاد ما اعاد توكيدا .

حكمة مشروعية الأذان :

ومن ثم ذكر اهل العلم لحكمة مشروعية الأذان اربعة اشياء :

● اظهار شعار الاسلام .

● وكلمة التوحيد .

● والإعلام بدخول وقت الصلاة ومكانها .

● والدعاء الى الجماعة .

الحكمة في اختيار القول :

ويستطيع المتأمل ، ان يدرك الحكمة البالغة : في اختيار القول للأذان دون الفعل ، وذلك لسهولة القول ، وتيسره لكل احد ، في كل زمان ومكان .

ويروى ان اول من أذن بالصلاة جبريل : في سماء الدنيا ، فسمعه عمر ، وبلال ، فسبق عمر : بلالا ، فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم جاء بلال فقال له : سبقك بها عمر / فتح الباري .

هذه هي قصة الأذان ، بالنسبة للصلاة المفروضة على وجه العموم ، حيث يكون الأذان للاعلام بدخول

وقت الصلاة بهذه الألفاظ المخصوصة التي ينطلق بها صوت المؤذن : خمس مرات في اليوم والليلة ، حتى انه : « لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ، ولا إنس ، ولا شيء : الا شهد له يوم القيامة ، كما صرح بذلك المعصوم عليه الصلاة والسلام .

الأذان في صلاة الجمعـــة :

واذا كانت الجمعة تختص بأنها تسبـق بخطبتـين ، فمتـى يكـون الأذان ؟.

● هل يكون عند ابتداء الخطبتين ، وجلوس الامام على المنبر ؟.

● ام يكون قبل ذلك ؟.

يروى البخاري عن الزهري قال : سمعت السائب بن يزيد يقول : ان الأذان يوم الجمعة ، كان اوله حين يجلس الامام يوم الجمعة على المنبر : على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبي بكر ، وعمر رضي الله عنهما . فلما كان في خلافة عثمان رضي الله عنه ، وكثروا ، امر عثمان يوم الجمعة : بالأذان الثالث ، فأذن به عـلى الـزوراء ، فثبت الأمـر عـلى ذلك / البخاري .

كما يروى البخاري عن السائب بن يزيد : ان الذي زاد التأذين الثالث يوم الجمعة : عثمان بن عفان رضي الله عنه ، حين كثر اهل المدينة ... وكان التأذين يوم الجمعـة حين يجلس الامام ، يعني على المنبر / البخاري .

كما يروى ايضا عن ابن شهاب : ان السائب بن يزيد اخبره ان التأذين الثاني يوم الجمعة ، امر به عثمان حين كثر اهل المسجد ، وكان التأذين يـوم الجمـعـة حـين يجلس الامام / البخاري .

فأذان الجمعة انما كان بين يدي الخطيب طيلة عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر ، وعمر رضي الله عنهما .

قال المهلب : الحكمة في جعـل الأذان في هذا الحل ، ليعرف الناس بجلوس الامام على المنبر ، فينصتوا له اذا خطب .

قال الحافظ ابن حجر : وفيه نظر ، فـان في سياق ابن اسحـاق عند الطبراني وغيره عن الزهري : ان بلالا كان يؤذن على باب المسجد .

فالظاهر ان هذا الأذان ، كان لمطلق الاعلام ، لا لخصوص الانصات .

نعم لما زيد الأذان الأول : كان لـلاعلام ، وكـان الذي بـين يدي الخطيب : للانصات / فتح الباري .

الأذان في عهد عثمـــان :

ولما تولى عثمان : الخلافة ، وولي امر المسلمين ، وكثر الناس بحيث اصبح الأذان الذي يقع بين يدي الخطيب : غير كاف في الاعـلام ، احدث عثمان ، أذانـا يعلم الناس بدخول وقت الصـلاة ، وذلك غـير الأذان الذي اعتاد الناس سماعه عند جلوس الامام على المنبر .

وعثمان رضي الله عنه ، لم يأمر بذلك الأذان عقب مباشرتـه لأمور

الخلافة وتوليه الحكم ، وانما سار على طريقة من سبقوه ، ثم لما رأى كثرة الناس : زاد هذا النداء ليكون اعلاما للناس بدخول الوقت .

ويؤكد هذا ما روي من ان الأذان ، كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وابي بكر ، وعمر : يوم الجمعة أذانين .

وقد فسر ذلك : بالأذان والاقامة .

وعلى هذا فان الذي احدثه عثمان يوم الجمعة : هو النداء للصلاة حيث امر بالنداء لها في محل يقال له : « الزوراء » ليجتمع الناس للصلاة ، وكان ينادي لها بألفاظ الأذان المشروع .

والزوراء : موضع بسوق المدينة ، كما صرح بذلك البخاري في صحيحه .

قال الحافظ ابن حجر : وهو المعتمد .

وقال ابن بطال : هو حجر كبير عند باب المسجد ، وهذا مردود بما روى عند ابن خزيمة وابن ماجه عن الزهري : انها دار بالسوق يقال لها : « الزوراء » وعند الطبراني : فأمر بالنداء الأول على دار يقال لها : الزوراء .

وقفة تأمل :

والمتأمل في ذلك كله ، يستطيع ان يدرك ان ما زاده عثمان ، قد ورد في عبارات ، قد توحي لأول وهله بأنها متناقضة ، وذلك لأنها جاءت على النحو التالي ، على هذه الصورة .

- فأمر عثمان بالنداء الأول .
- التأذين الثاني امر به عثمان .
- امر عثمان بالأذان الثالث .

والواقع انه لا منافاة بين ذلك كله ، ولا تناقض بين هذه العبارات :

- لأن ما زاده عثمان يعتبر « اولا » باعتبار انه يسبق الأذان الذي بين يدي الخطيب ، والاقامة للصلاة .
- ويعتبر « ثانيا » بالنسبة للأذان الحقيقي الموجود بين يدي الخطيب لا الاقامة .
- ويعتبر « ثالثا » باعتبار كونه مزيدا على الأذان بين يدي الخطيب والاقامة للصلاة .

قال الحافظ ابن حجر : والذي يظهر ان الناس اخذوا بفعل عثمان في جميع البلاد اذ ذاك ، لكونه خليفة مطاع الأمر / نيل الأوطار .

الأذان بعد زيادة عثمان :

وهكذا يتبين لنا ، ان صلاة الجمعة تسبق بما يأتي :

-) الأذان الذي يعلم الناس بدخول وقت الصلاة ، وهو الذي احدثه عثمان ولم يكن معمولا به قبل ذلك .
-) الأذان الذي بين يدي الخطيب ، والذي يفعله المسلمون الآن ، وهو ما كان موجودا من عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، حتى أحدث عثمان الأذان الذي يعلم الناس بدخول الوقت .
-) الاقامة للصلاة ، وهي التي تكون عقب انتهاء الخطيب من القاء خطبتي الجمعة .

عمل الناس وسلوكهم :

وأمام هذا الذي حدث ، واستقر منذ عهد عثمان رضي الله عنه ، فان عمل الناس وسلوكهم مختلف في ذلك :

- فمنهم من يلتزم ما كان سائدا ، ومعمولا به في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبي بكر ، وعمر ، رضي الله عنهما ، ويكتفي بالأذان بين يدي الخطيب ، والاقامة للصلاة ، ولا يلقى بالا لما زاده عثمان ، وبالتالي لا يفعلون ما فعله .

يقول ابن حجر : بلغني ان اهل المغرب الأدنى ، لا تأذين عندهم سوى مرة .

- والغالبية العظمى من المسلمين ، ينظرون الى عثمان بن عفان رضي الله عنه : نظرة احترام وتقدير ، فهو صحابي جليل ، وبالتالي يقلدونه في فعله ، ويسيرون على منهجه .

ابن عمر والأذان الأول :

واذا كان ابن ابي شيبة قد روى من طريق ابن عمر أنه قال : الأذان الأول يوم الجمعة بدعة .

فان هذا لا يصلح دليلا للمانعين ، او سندا لهم ، يعتمدون عليه ، لأنه لم يثبت عن ابن عمر ، انه قال ذلك على سبيل الانكار .

وانما كلام ابن عمر رضي الله عنهما :

● يحتمل ان يكون قد صدر منه على سبيل الانكار .

● كما يحتمل انه يريد بذلك : ان هذا الأذان لم يكن في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ، وكل ما لم يكن في زمنه عليه الصلاة والسلام : يسمى بدعة .

واذا كان الناس لا يقتدون بعثمان رضي الله عنه الذي تبعه صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يخالفوه في ذلك ، فبمن يقتدون ؟.

إن بعض هؤلاء المخالفين ، قد يدعي انه يتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا حق اريد به باطل .

فلو انهم ارادوا فعلا اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم لساروا على نهج صحابته من بعده ، ولكنهم يخالفون جماعة المسلمين ، ليلفتوا الأنظار اليهم ، ويصفوا انفسهم بالأتباع ، ويصموا غيرهم بالابتداع .

وهكذا يتبين لنا بوضوح : ان عثمان رضوان الله عليه ، قد احدث الأذان الأول : لإعلام الناس بدخول وقت الصلاة ، قياسا على بقية الصلوات ، وألحق الجمعة بها ، وأبقى خصوصيتها بالأذان بين يدي الخطيب / فتح الباري .

وبالتالي تشترك صلاة الجمعة مع بقية الصلوات المفروضة في الأذان الأول الذي يعلم الناس بدخول الوقت ، ثم تنفرد صلاة الجمعة بالخصوصية التي اثبتها النبي صلى الله عليه وسلم لها ، وهي الأذان بين يدي الخطيب اثناء جلوسه على المنبر .

وفقنا الله لما يحبه ويرضاه ، والله الموفق والمعين ، والهادي الى سواء السبيل .

حقوق الانسان بين النظرية والتطبيق

للدكتور فؤاد محمد محمود العارضة

الله سبحانه وتعالى خالق الكون وجميع المخلوقات من انسان وحيوان ونبات وجماد وغير ذلك وهو رب هذا العالم وبمشيئته ورحمته يتعلق كل مخلوق ولا سيما الانسان . ونعمه وافضاله تغمر الانسان وسائر المخلوقات . ومع ذلك لولا قوته الخارقة وقدرته المعجزة ولولا ان امر الانسان وسائر الكون بيده وحده عز وجل لما آمن به ولما عبده وأطاعه احد ولما اعطاه بشر حقه من عبادة وطاعة وتسبيح وذكر فالمؤمن الذي يعبد الله ويطيعه انما يفعل ذلك خوفا من عقابه وعذابه في نار جهنم وطمعا في ثوابه ونعيمه في جنان الخلود . اما الكافر الملحد بالله فانه يكفر بالله وينكر وجوده لانه على بصره وبصيرته غشاوة كثيفة من ظلمات الجهل المطبق والغرور بالله والناس اعداء ما جهلوا وينكرون ما لا يرونه بأبصارهم أو بصائرهم .

وهكذا تكون قوة الله الراحمة العادلة التي لا تحد ولا تطال والقادرة على احقاق الحق واقامة العدل واعطاء الثواب وانزال العقاب هي التي جعلت الانسان يعترف بوجود الله ويقر بوحدانيته ويدرك مبلغ عظمته وقدرته ويؤمن به وحده إلاها لا شريك له لجميع البشر وربا اوحد لهذا الكون .

وننزل الى الأرض عالم البشر فنرى منذ بدء الخليقة وحتى اليوم ان الحياة الحرة الكريمة والعزة والقيادة والسيادة والمجد والعلم والحضارة والأمر والنهي كان من نصيب الاقوياء القادرين لا من نصيب الضعفاء العاجزين . فقد قاد آدم

حواء وانقادت حواء لآدم لان آدم اقوى بطبيعته من حواء جسما وعقلا ونفسا وروحا وقد ورث آدم هذه القيادة وربوبة الأسرة الى ابنائه واحفاده من بعده وورثت حواء هذا الانقياد للرجل والتبعية له الى بناتها وحفيداتها من بعدها وظل ذلك ارثا متوارثا بين بني البشر على توالي الاجيال والازمان كما يقول الله تعالى : « **الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من أموالهم** » . سورة النساء / ٣٤

وفي عالم الدول والأمم نرى ان الأمم الواعية القوية هي التي صنعت التاريخ وحملت شعلة العلم والمعرفة ورفعت منار الحضارة والمدنية وهي التي تأثرت بالحياة وأثرت في مجراها وهي التي نالت حقها الطبيعي في الحياة الحرة الكريمة المستقلة وعاشت مسموعة الكلمة عالية المكانة يقدرها القريب والبعيد ويحترمها الصديق ويهابها العدو ..

ولما شاخت وضعفت وانحلت اقتحمتها العيون وافترستها الذئاب البشرية وبذلك فقدت حقها في الحياة الحرة المستقلة .

فالفرس والرومان كانت لهم قبل الاسلام الحنيف امبراطوريتان استعماريتان قويتان تنازعتا السيادة على العالم القديم ردحا طويلا من الزمن . ولما ضعفتا وشاختا فقدتا ما كان لهما من سيادة وحرية واستقلال على ايدي المسلمين الأوائل ..

وأقام المسلمون الاولون دولة عربية اسلامية امتدت الى فرنسا غربا وتخوم الصين شرقا واضاء سماءها وارضها نجوم وكواكب من اهل العلم والفكر والفن والادب وأشرقت في آفاقها شمس الحضارة العربية الاسلامية .

ولما ضعف العرب المسلمون لابتعادهم عن الاسلام الحنيف الذي كان نور ابصارهم وبصائرهم وحياتهم وجامع ارواحهم وابدانهم ومصدر عزتهم وقوتهم وسلاحهم الذي فلوا به سلاح الحديد والفولاذ وهزموا اعتى قوى الباطل والظلم والظلام واعداء الحق والعدل والانسانية غزاهم الاعداء الطامعون في عقر ديارهم واستعمروهم واستعبدوهم واقتطعوا اجزاء عزيزة غالية من ديارهم وأوطانهم ونهبوا خيراتهم وثرواتهم وازهقوا ارواحهم وسفكوا دماءهم .

وفي العصر الحديث اندلعت ثورات وطنية دموية وظهرت حركات انسانية على الظلم والباطل والاستعباد والاستبداد وكلها رفعت شعار الحرية والاخاء والمساواة والعدالة الاجتماعية ونادت بحق الانسان في الحياة الحرة الكريمة في وطن حر مستقل .

واخيرا تشكلت هيئة الامم المتحدة سنة ١٩٤٥ واعلنت ميثاق حقوق الانسان ولكنه ظل حبرا على ورق ولم يترجم الى واقع ملموس واوضح دليل على ذلك هو حرمان الشعب الفلسطيني العربي من ارضه ووطنه وداره على يد دول استعمارية ماكرة غادرة تقول ما لا تفعل وتعمل ما لا تقول فهي قد وضعت توقيعها وختمها على ميثاق الامم المتحدة الذي يحرم الظلم والعدوان وينص على حق الانسان في الحياة

الحرة الكريمة في وطن حر مستقل ولكنها لم تحترم توقيعها وختمها باتباعها سياسة استعمارية لا اخلاقية لا انسانية تناقض مضمون الميثاق .

وهكذا يكون وضع القوانين ورفع الشعارات واعلان المبادىء شيء والتطبيق العملي لها والعمل بها شيء آخر فواقع الحياة يقول لنا ان الاقوياء من افراد وجماعات ودول هم الذين استثمروها لصالحهم وتمثلوها ومارسوها في حياتهم وعاشوا احرارا كراما على ان الظالمين منهم تستروا بها ليستعبدوا الضعفاء والفقراء ويسخروهم لخدمة مصالحهم ويمتصوا دماءهم وينهبوا ثرواتهم باسم الحضارة والمدنية والانسانية والامن والسلام . فكم من اباطيل ومظالم اقترفت باسم الحق والعدل وكم من حماقات وجهالات ارتكبت باسم الحضارة والعلم والمدنية وكم من شعوب استعمرت واستعبدت باسم الحرية والامن والسلام العالمي وكم من افواه تكمم وايدي وأرجل تقيد وتغل والسن تربط وتخرس واجساد تلقى في غياهب السجون تحت ستار المحافظة على القانون والنظام وكم نحُر الوطن والشعب والمصلحة العامة على مذبح الوطن وكم وطنية جعلت شباكا ، وكم من شعارات براقة وقوانين لماعة خلابة رفعت واطلقت للاستهلاك المحلي وتخدير الاعصاب . هذا ما تبتلى به الشعوب المتخلفة الضعيفة اما الشعوب الواعية الحية القوية فانها تمارس حقها الطبيعي في الحياة الحرة الكريمة في وطن حر مستقل يحترمها الصديق ويهابها العدو ويخطب ودها القريب والبعيد . وهذا هو واقع الحياة وحال الدنيا في كل زمان ومكان .

ويحدثنا واقع الحياة وهو القانون المعقول السليم الذي ينبغي السير عليه والعمل به بان المبادىء والقوانين والدساتير والقرارات تبقى حبرا على ورق مطوي حتى تلقى اقوياء قادرين على تطبيقها والسير في طريقها وبذلك تحيا وتثمر . ويقول لنا ايضا ان الحق الذي لاتدعمه قوة يسلب ويغتصب ويؤكل وان الحياة الحرة الكريمة لا يحياها الا الاقوياء الاشداء القادرون على الحرب والكفاح ودفع الظلم وانتزاع الحق المغتصب واقامة العدل ومعاقبة الظالمين المعتدين وان حقوق الانسان في الحرية والاستقلال والمساواة والعدالة الانسانية لا ينالها ولا ينعم بها الا الاقوياء القادرون بينما يحرم منها الضعفاء المساكين هذا والاقوياء الظالمون يقرون للاقوياء المبصرين مثلهم ، بحقهم في الحياة الحرة الكريمة وينصفونهم ولكنهم ينكرون على المستضعفين العاجزين العميان هذا الحق ويظلمونهم كما يقول احد الشعراء :

لا عدل الا ان تعادلت القوى وتصادم الارهاب بالارهاب .

والقوي الظالم يصم سمعه ويغلق بصره دون شكوى الضعيف المظلوم ويسخر منه عندما يتظلم ويطالب بحقه كما يقول الشاعر فهد العسكر :

كم ضعيف بكى ونادى وراح لبكاه تقهقه المدفعية

فالحياة الحرة الكريمة نورها العقول الواعية المستنيرة وسياجها النفوس الحرة الأبية التي يستوي الموت عندها والبقاء وتحمل ارواحها على اكفها وراحاتها كما

يقول شاعر فلسطين الشهيد عبد الرحيم محمود :

سأحمل روحي على راحتي ... وألقي بها في مهاوي الردى
فاما حياة تسر الصديق ... وإما ممات يغيظ العدى

ويقول المتنبي :
لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى ... حتى يراق على جوانبه الدم .

والدول الخمس الكبرى لقوتها وطول باعها تتمتع بحق الفيتو اي النقض في مجلس الامن الدولي ويدور في فلكها الدول الصغيرة الضعيفة . وهي تسمع كلمتها ويصان حقها ولا يعتدى احد على حدودها .

فعلى قدر قوة الامة الذاتية تتمتع بالحياة الحرة المستقلة الكريمة وتعلو مكانتها ويرتفع شأنها بين الأمم والدول ، فالقوي القادر حر كريم وسيد نفسه . والضعيف المسكين عبد مسخر للقوي وخادم له . والقيادة والسيادة والحياة للأقوى والانقياد والتبعية والعبودية للأضعف . فاذا كنت محاربا مقاتلا فأنت موجود ورأس مرفوع وان كنت ضعيفا متخاذلا فأنت ضائع مفقود وذيل مجرور .

والاسلام الحنيف دين العدل والحق والحرية والمساواة والقوة العاقلة الرحيمة يؤثر المؤمن القوي على المؤمن الضعيف كما يقول رسول الله محمد (صلى الله عليه وسلم) : « **المؤمن القوي خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير** » رواه مسلم . فالمؤمن القوي نور قوي ساطع والمؤمن الضعيف نور ضعيف خافت . والحكمة في ذلك ان المؤمن القوي انفع للاسلام والحياة من المؤمن الضعيف . وهو اقدر منه على نصرة الاسلام وحمايته واقوى على احقاق الحق واقامة العدل وصنع الحياة الحرة الكريمة ، لذلك كان الاكثر اثمارا والأقدر على العمل والانتاج والخدمة هو الافضل المفضل عند الله والناس كما يقول رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم : « **الخلق عيال الله وأحبهم الى الله انفعهم لخلقه** » .

والاسلام الحنيف شعت انواره في الأرجاء والآفاق وقامت له دولة عربية اسلامية عظمى وحضارة اسلامية انسانية ساطعة مشرقة على ايدي المسلمين المؤمنين الاقوياء ويدل على ذلك اسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه اذ بدخوله في دين الله انتقلت الدعوة الاسلامية من مرحلة السر والخفاء الى مرحلة الجهر والعلانية .

الا ان القوة نوعان قوة ايجابية بناءة نافعة وقوة سلبية هدامة ضارة . فالقوة البناءة الخيرة هي القوة الرحيمة العادلة العاقلة المبصرة . اما القوة الهدامة الشريرة فهي الظالمة الغاشمة العمياء . وتصير القوة عادلة رحيمة خيرة بالعلم والايمان وتقوى الله ومكارم الاخلاق ، وتصير القوة جائرة باغية متسلطة بالجهر واتباع الهوى والشهوة والانانية والتحلل من الفضائل والمثل العليا . والقوة العادلة الراحمة العاقلة حضارة ومدنية

وانسانية والقوة الغاشمة العمياء همجية وحيوانية ووحشية .

وقوة الاسلام الحنيف قوة انسانية رحيمة عادلة وعاقلة مبصرة وهي شجرة طيبة مباركة أزهرت وأثمرت وأينعت ثمارها الطيبة الحلوة . لقد عامل المسلمون الأوائل في أيام عزهم وسلطانهم وقوتهم ودولتهم العظمى الناس برحمة وانسانية وأذاقوا الشعوب التي احتكوا بها طعم الحرية والكرامة والعدالة والأخوة الانسانية وأعلنوا حقوق الانسان في الحياة الكريمة ونشروا في ربوع الأرض نور العلم والايمان لأنهم كانوا هداة مصلحين وحملة رسالة سماوية ومجاهدين في سبيل الله ولم يكونوا مستعمرين متسلطين ولا لصوصا يسرقون وينهبون ويدل على ذلك البلدان التي انصهرت في بوتقة العروبة والاسلام بحرارة العلم والايمان والاسلام .

وهكذا تكون الحياة الحرة الكريمة في وطن حر مستقل حقا طبيعيا مقدسا لكل انسان كالماء والهواء والنور ولا يحق لأي انسان أن يحرم انسانا آخر من هذا الحق الطبيعي فالله سبحانه وتعالى خلق الناس أحرارا كراما كما يقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه : متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا » .

ولما كان الظلم والاستبداد والطمع والأنانية من شيم النفوس كما يقول المتنبي :

والظلم من شيم النفوس فان تجد ذا عفة فلعلة لا يظلم

فقد رأينا الأقوياء الظالمين يتعدون حدودهم ويعتدون على الضعفاء المساكين وينتزعون منهم لقمة العيش ويسلبون حقهم في الحياة الحرة المستقلة .

ويمارس الأقوياء الأشداء القادرون حقهم في الحياة الحرة الكريمة ويحرم منه الضعفاء المساكين . فالقوي القادر سيد يأمر وينهي والضعيف المسكين عبد وخادم مسخر للقوى يدور في فلكه ويتبعه .

والقوة بيدها الأمر والنهي وحسم الأمور وحق تقرير المصير والبناء والهدم وصنع التاريخ وهي القادرة على الصنع والعمل والانتاج والتغيير والتبديل واحقاق الحق واقامة العدل واجراء الثواب وانزال العقاب وغرس الخير واجتثاث الشر وصنع السلام العادل ونشر الأمن الوارف ، والقوة لها القدرة على الطيران والغوص وتسخير البر والبحر والجو لخدمتها وعلى وضع الفاتحة والخاتمة ووضع النقاط على الحروف ولها المجد والعلى والفوز والفلاح .

وبالقوة الغلابة الراحمة المبصرة العاقلة تعاد المياه الى مجاريها ويوقف الظالمون الطامعون عند حدهم وتسحق الأخطار المحدقة بالوطن ويعاد الهر الذي يحكي انتفاخا صورة الأسد الى حجمه الحقيقي والقزم المتعملق الى وضعه الطبيعي ويفيق المخمور السكران بخمرة البطر والغرور من سكرته وغروره ويعود الحق الى نصابه والقوة العاقلة تفتح الطريق المسدود والباب المقفل .

على أن القوة العاقلة الراحمة العادلة قوة انسانية خيرة مثمرة ولها النصر والمجد والخلود فهي نفحة من نفحات الله العزيز الحكيم .

أما القوة الحمقاء الغليظة القاسية فهي قوة حيوانية كاسرة مفترسة ولها في

آخر الامر الهزيمة والاندثار والمصير الأسود .

فالقوي العاقل الرحيم مبصر وصحيح سليم معافى يعيش حرا كريما وآمنا مطمئنا تغشاه السكينة والطمأنينة ويثمر ثمارا طيبة .

أما القوي الظالم الأحمق فانه أعمى ومريض نفسيا وعقليا ولا قلب له ولا ضمير لديه ويعيش مفتقدا صفاء النفس وطمأنينة القلب وراحة الضمير يفر النوم من عينيه ويخنقه كابوس الرعب والقلق ويؤرقه وتطارده أشباح ضحاياه وجرائمه كما يقول الشاعر العربي :

اثنان يمضي الدهر لم يتهادنا ... شبح الضحية والضمير المجرم

وأما الضعيف المسكين فيعيش مغبونا مأكولا يسخره القوي الظالم لخدمته ويأكله حين يجوع كما يشهد بذلك واقع الحياة قديما وحديثا في كل زمان ومكان وواقع الحياة هو القانون السليم الذي ينبغي السير عليه .

ولا حياة حرة كريمة في هذه الحياة الا للأقوياء العقلاء الرحماء أما الأقوياء الظالمون فأعمارهم قصيرة اذ سرعان ما يقعون في مهاوي الردى والهلاك فهم لحمقهم وعماهم وتهورهم وصلفهم يلقون بأيديهم الى التهلكة ، فالقوة الحمقاء العمياء تضر وتؤذي وتدمر كما أن الشجاعة بلا عقل وحكمة تهور وجنون وانزلاق ولا خير في قوة بلا عقل ولا في شجاعة بلا حكمة كما يقول المتنبي :

وكل شجاعة في المرء تغني ... ولا مثل الشجاعة في حكيم

والخير والمجد والعزة ثمرة القوة والعقل والشجاعة والحكمة . على أن العقل له المقام الأول والشجاعة لها المقام الثاني إذ بالعقل والحكمة يتميز الانسان عن الحيوان . أما الشجاعة فتوجد لدى بعض الحيوان . وفي ذلك يقول المتنبي :

الرأي قبل شجاعة الشجعان ... هو أول وهي المحل الثاني

فاذا هما اجتمعا لنفس حرة ... بلغت من العلياء كل مكان

وقوة الانسان تتجسد في عقله وروحه وخلقه لا في جسمه وقواه الحسية المادية ، وبها سخر قوى الطبيعة لخدمته وحلق في الفضاء وغاص في قاع البحر وجعل العالم الأرضي في مدى سمعه وبصره وفي متناول يده . وشق طريقه في الحياة وتذليل صعابها واجتياز عقباتها وحل مشاكلها العويصة ووضع الحيوان الذي يقوى عليه جسدأ وذراعا في القفص في حديقة الحيوان وهكذا يتبين لنا من واقع الحياة منذ كان الانسان أن الحياة الحرة الكريمة في وطن حر مستقل حق طبيعي لكل انسان ولكن هذا الحق لم يستطع أن يمارسه ويعيش فيه عبر الزمن الا الأقوياء القادرون . وقد حرم منه الضعفاء المساكين على أيدي الطغاة الظالمين فلا يمكن أن يعيش الانسان آمنا مطمئنا وحرا كريما إلا في عالم الملائكة والأنبياء . ففي دنيا البشر في العالم الأرضي لا يعيش في أمن وسلام وحرية واستقلال الا الأقوياء الأشداء العقلاء . فالعدالة الانسانية كانت ومضات غابرة في دنيا البشر وقد بلغت عصرها الذهبي في عهود المسلمين الأوائل ولا وجود للعدالة الوارفة الظلال الا في عالم الملائكة والأنبياء والدار الآخرة فالعدالة المطلقة فوق مستوى البشر .

البعد الديني

إن العبادات الدينية برامج يومية تعمق في النفس معاني أسمى ، وإذا فقدت العبادة روحها فقدت أثرها الفعال في الفرد والجماعة ..

العبادات في الاسلام ليست شيئا من الأشياء .. يؤديها المسلم دون أن تترك في نفسه أثرا ..

○ فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، وتجعل الانسان « الفرد » و « الجماعة » يسلم الأمر لله ، فهو يرتبط في علاقته بالقوة التي لا تقهر ، وبهذا التسليم يشعر المسلم بالأمان ، ولا يرهب أحدا .

○ والزكاة تحارب صفة البخل في الانسان ، فيعيش المجتمع حالة التكافل ، والتراحم . فتنشأ المدينة الفاضلة .

○ والصوم سمو بالنفس عن عالم المادة إلى عالم الاشراق الروحي ، والصفاء النفسي ، حيث أن الله مطلع على كل شيء .. فلا خداع ولا نفاق ولا غـش ولا احتيال .

○ والحج بوتقة تجمع الأمة المسلمة في أطهر البقاع ، طارحة وراءها كل متع الحياة الزائلة ، ملبية الخالق العظيم .. والجميع سواسية ، فلا اعتبار لحسب ولا نسب ولا جنس ولا لون .

وهذا البعد الديني هو الذي يجعل المسلم يقدم على التضحية بالمال والنفس من أجل هدف أسمى ، سعيا وراء الأمل ..

فما الهدف ؟.. هدف المسلم تحقيق العدالة في الأرض وفقا لمنهج الاسلام ، الذي ارتضاه الله للناس جميعا . وهو هدف لا يعرف الحدود الضيقة من الجنس والعرق .. بل هو لخير الانسانية جمعاء .

والأمل في نصر الله وتوفيقه لا يعرف اليأس ، فقديما قال الشاعر : « ما أضيق العمر لولا فسحة الأمل » .. ولتحقيق الأمل .. لا بد من وضوح الهدف ، والطموح الى تحقيقه ..

فهل نعرف نحن مسلمي اليوم هدفنا ؟ وهل نطمح الى تحقيقه ؟ وبمقدار ما يكون الهدف ساميا تهون التضحية والبذل والجهاد ..

ومادام الأمل عظيما فلا يأس .. وبالأمل يعمل الانسان ويجهد ويتعب ويتعرض للمخاطر .. ومن بعد ذلك يتحقق وعد الله القائل : « « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا »ويقول سبحانه : « أن الأرض يرثها عبادي الصالحون » .

فهل تعمل الحكومات الاسلامية من أجل هدف واحد ، وغاية واحدة ؟.. لو كان لما توالت على واقعنا الهزائم أليس كذلك ؟!

الإسلام والأيدولوجيات المعاصرة

للدكتور
عبد العزيز
ابو عبد الله

بعد ان فتحت الحرية على المواطنين الابواب على مصراعيها ، انطلق البعض ينادي بمذاهب ، كانت المناداة بها فيما مضى ، تجعل مكانه وراء القضبان ، وليته ينادي بها عن معرفة ، ولكن بدون وضوح فكر ، ولعلني ابلغ ما احاول الكشف عنه من بناء الوجودية الانسانية في منطقة مهبط الوحي وارض الحضارات على دعائم خالدة ، واني لعلى يقين بان النقد الذي يستهدف الحق هو طريق المخلصين ، واذا

كنت احب افلاطون والحق . فان حبي للحق اكثر ، والحق أحق ان يتبع ، لقد اتسم الفكر المعاصر بنزعة مادية جافة من جهة ، وبنزعة انحلالية مائعة من جهة اخرى ، قوام الاولى فلسفة الايمان بالصراع الديالكتي من وراء هذا التمذهب بالواقع المادي .

وقد اصبحت المدرسة الجدلية وعلى رأسها « فورباخ وهيغل وماركس » ذات مذهب او ايديولوجية ، يجب ان تسود في رأيهم على الصعيد التوجيهي في دنيا الافراد والجماعات بل الانسانية جمعاء . واذا كان الفكر حركة تأملية من داخل الوجود البشري ، فان المادية الجدلية حركة ديناميكية في الخارج ، تحيكها صراعات الطبقات التي يصنعها الاقتصاد في مختلف صوره وتحركاته الصاعدة ، وما التاريخ في جوهره سوى قصة هذا الصراع الدامي ..!

والواقع ان هذه الحركة المادية قد تبلورت نظرتها في الوجود بانه مادة حية اكتسبت الفكر من تفاعلها وليس هو الا صورة له . وهنا تكون المادة سابقة في الوجود على الفكر ، والمادة كما يقولون ـ لم يخلقها اله ولا انسان ، وانما هي بعوامل الصيرورة تتطور كما قال قيراقليط الاغريقي وافتتح بها « ماركس » هامش كتابه « الدفاتر الفلسفية » والدين والمثالية في نظرهما اساطير وخرافات وانحرافات ومخدرات كانت تصنع دائما بين الاقوياء لاسكات الضعفاء .

وهذه نزعة فلسفية نبتت في اغريقا على يد هيراقليط ، ثم حملها التاريخ عبر الاجيال بين اخذ ورد وجزر ومد . تارة تظهر في انحراف المزدكية الفارسية ، ومرة على يد الخرمية في دولة الخلافة الاسلامية .

غير انها في هذا الطفو لم تكن ذات صبغة فكرية بقدر ما هي حركة متمردة على النظام والمثالية ، وما ان جاء القرن الثامن عشر بحركته الفكرية الواسعة ، حتى ظهرت : مادية « فورباخ » وجدلية : « هيغل » وصراع : « ماركس » في القرن التاسع عشر ، وتحول ذلك الى حركة عملية على يد : « لينين » في بداية هذا القرن .
ونلاحظ ان هذا المذهب قد اخذ على عاتقه تفسير الحياة في كل مظاهرها ونشاطها بالمبدأ الهام وهو : المادة المتحركة غير المخلوقة اصلا وحركتها الديالكتية تاريخ الوجود والاقتصاد هو الحبل السري ، والبشرية هي الدمى التي تحركها تلك الخيوط .. !

و« ماركس » رجل يهودي قصة حياته مثيرة ، ولا يعنينا منها سوى قدرته الفائقة على هضم هذا المذهب المادي من الجهة الفلسفية ثم انعطافه الى الناحية الاقتصادية ، واخراجه كتاب الشيوعية المقدس : « رأس المال » وهو كتاب صعب الاسلوب يقوم على ما يشبه المعادلات الرياضية ولقد عكف على هذا الكتاب تلميذ

مخلص هو « لينين » . ويحكي انه وعاه بدرجة تفوق على كاتبه ، وكان هو الاخر يهوديا قد حكم على اخيه بالقتل لاتهامه بحركة ضد القيصر الروسي ، ففر « فلادمير لينين » يجوب اوروبا ؛ وكانت الحالة السياسية والاقتصادية في روسيا بالاضافة الى ذوي الارهاب الراسبوتيني قد مهدت لقيام انقلاب خطير ، استولى فيه العمال على السلطة ، والحديث يطول عن الشيوعيين ، ولكن نكتفي هنا بنقطتين اساسيتين الاولى : ليست دفاعا عن القيصرية بالطبع ولكنها اعلان حقيقة . وهي ان المحفل الامريكاني الماسوني ، الذي يدير الماسونية الكونية وكل اعضائه من اعاظم زعماء اليهود وحدهم ، عقد مؤتمرا قرر فيه خمسة من اليهود اصحاب الملايين خراب روسيا القيصرية بانفاق مليار دولار وتضحية مليون يهودي لاثارة الثورة في روسيا ، وهؤلاء الخمسة الذين تبرعوا بالمال هم « اسحاق وموتيمر وشستر وليفي ورون » وكان المال مفروضا للدعاية واثارة الصحافة العالمية على القيصرية ، هذه الاموال هي التي غذت الثورة الشيوعية الثانية .

وفي عام واحد وخمسين وتسعمائة والف كان المجلس الشيوعي الذي يحكم روسيا مكونا من سبعة عشر عضوا على رأسهم ستالين والباقي يهود عدا « فيرشيلوف ومولوتوف » .

ولكن زوجتيهما من اليهود ، علاوة على هذا فكارل ماركس مؤسس الحركة الشيوعية يهودي ، ولا نريد ان نعلق ، ولكن هل كل هذه الاشياء صدق ؟ وما تعودنا ان نتكلم بهذه اللهجة ، لاننا لا نعادي اليهودية كدين ، ولكن كحركات عنصرية استعمارية ، والجواب مطلوب من الشيوعيين العرب .

وحكايتهم مع الامة العربية ليس فيها ما يشرف ، فقد دخلت الشيوعية مصر في اوائل العشرينات من هذا القرن عن طريق مجموعة جلبهم اليهود واتخذوها ستارا للعمل ضمن مخطط للحركة الصهيونية ، وكان اليهود قد اخذوا على عاتقهم مهمة نشر الشيوعية في الوطن العربي ، لان ذلك سيساعدهم على انشاء وطن قومي لهم في فلسطين . ثم بدأ انتشارهم في ظروف كانت مهيأة لهم ، فالوطن العربي تحت الاحتلال ، وما استقل منه لم يكن في المستوى الذي يمكنه من مواجهة مخططات من هذا النوع ، وقد قام تحركهم على تقسيم المجتمع الى شرائح اجتماعية وطائفية ، اما الاجتماعية فكانت في اوساط العمال الذين كانوا يعانون الوانا بليغة من الفاقة في ظل الانظمة الرجعية بدغدغة آمانيهم واحلامهم بالاشتراكية الا أن امتدادهم كان محدودا ، وكان ينظر اليهم نظرة الريبة والحذر ، حتى الذين استجابوا لهم لم تطل استجابتهم فبمجرد ان اكتشفوا حقيقة ما يخفونه وراء دعوتهم انفضوا رافضين ، اما الشرائح الدينية ، فقد اختاروا طوائف معينة بدعوى انها ليست عربية وحاولوا عزلها عن المجتمع ،

والنقطة الثانية : قضية هجرة اليهود السوفيت الى فلسطين المحتلة كيف

وبأي منطق يبرر هذا ؟ . انه عدم التزام الماركسيين بالاممية التي جاءوا بها وتحللهم من قوميتهم لانهم يرفعون شعارات لا يطبقونها ، وهذا هو « لينين » الذي ارتبطت به الماركسية تطبيقا يقول عام الف وتسعمائة واربعة عشر هل ترى اننا نحن « البروليتاريين » في روسيا نحس بان الاعتزاز القومي غريب علينا ؟ لا والف لا ! فنحن نتعشق لغتنا ونحب بلادنا ونبذل قصارى جهدنا للرفع من شأن جماهيرنا الكادحة ، لنصل الى مرحلة الوعي الديمقراطي الاشتراكي ، ونحن نحس بالالم اكثر من غيرنا لما نراه من اضطهاد وذل يحيط ببلادنا على ايدي القيصر ورجاله ونبلائه ورأسماليته ، فنحن شديدو الاعتزاز ، ولذا فنحن نكره ماضينا الذليل ، وحاضرنا المستعبد .

ان التقدم الاقتصادي في اوربا كانت نتيجته ضد تقدم الانسان ، لانه سلبه شخصيته وارادته ، والذي ينظر الى المؤسسات الاقتصادية الكبيرة ، ويتبع سير فروع اعمالها ، يجدها تستغل الانسان ابشع استغلال ، وتأخذ منه كل وقته ، ولذا كان « شارل ديجول » سباقا عندما قال ان الحضارة الديناميكية معناها : انها تقيد الانسان ؛ وانها تثقل عليه بحيث لا يفكر في مصيره .

ان الدول الكبرى رغم تقدمها ، لم تفكر في تغيير اسلوب حياة الانسان الى الافضل ، بحيث تنعم بقسط من الحرية واكتشاف الذات ، ولقد تحدثت عن سقوط النظام الماركسي لانه قام على اساس عنصري لغرض خاص ، وبقي ان اثبت ان المجتمع الرأسمالي ينهار ، والشباب الامريكي يفقد نفسه ، وكوارث الطبيعة لا تحير المربين ، ولا تزعج علماء الاجتماع ، ولا تثير من الاهتمام الا بقدر الجهد الذي يبذله لمواجهة خسائرها بالاعتمادات المالية واعمال الاغاثة ، ولكن الكارثة التي تواجهها امريكا الان من النوع الذي يصعب معالجته ، ولا تقف خسائرها عند حد معين ، كفقد الارواح والممتلكات بل يتعدى ذلك لتمس حضارة الامة ومستقبلها في الصميم ..

السوس ينخر في نظام الكيان الأمريكي الذي لا يهمه مصلحة المجتمع ولا يهمه الا الربح المادي ولو بشراء أسلحة توجه الى صدور الشعوب ، لذلك ينهدم الهيكل الحضاري الهش والمخدرات في ادمان ، وهذه المشكلة بدلالتها الاخلاقية لها ابعاد عميقة ، وتوضح فشل فلسفة التربية الامريكية في تحقيق اهدافها واشباع غايات المجتمع منها وخطورتها ، ولا سيما اذا كانت تتعلق بالاطفال في سن المراهقة ، ولا يقتصر على الدراسة و « تفريخ » جيل من المنحرفين فحسب بل يتعداها الى مصير الامة كلها .

واذا أصيب القوم في أخلاقهم
فأقم عليهم مأتما وعويلا

في النظامين الماركسي والرأسمالي وضعت حرية الفكر والقلم في خدمة الاغراض الحزبية والتخريبية ، حيث تجند المخابرات الامريكية جيشا من العلماء لصنع ادوات الدمار وجيشا [illegible] في تدبير المؤامرات ، وكذلك يفعل الاتحاد السوفيتي

وغيرهما من الدول الأخرى .

هناك ـ كما اسلفنا ـ تجربتان أثبتتا أن الحرية وهم عند الغربيين والشرقيين ، فالغربية انتهت الى الديمقراطية كما أسموها ، والشرقية انتهت الى شكل الحكم في الاتحاد السوفيتي والمعسكر الشيوعي ، وقد لازم التجربتين في حركة نضالهما التحرري نضال رءوس الاموال في أيدي البيوتات الصناعية ، وقامت عليها طبقة من العمال تعيش من قوة عملها او اقطاعات زراعية قامت عليها طبقة من الفلاحين تعيش ايضا من ناتج عملها ، والديكتاتورية في روسيا دكتاتورية الطبقة العمالية تملي على الشعب ما تشاء ولكن هل زعماء الكرملين يعيشون كما يعيش سواهم ؟ لا والف لا ! انهم يعيشون في رغد من العيش وبحبوحة من النعيم ، بينما كثرة الشعب تطحنهم تروس البؤس وتطويهم عجلات الشقاء ، لا شفقة عليهم ، ولا احسان اليهم ، ولا تقدير لانسانيتهم ، ولا مراعاة لمشاعرهم .

ولقد وقف خروشوف يوما وكان جريئا فاخذ قطعتين من حديد ، وصار يضرب احداهما بالأخرى ، ثم استعدى أحد الجالسين وصفعه على وجهه عدة صفعات ، فحاول ان يدافع عن نفسه عندها قال خروشوف كلمة مشهورة ومسجلة وهذا في المؤتمر الأخير للحزب الشيوعي ، قال : الى ان يكون الانسان كهذه الالة او كهذه الاداة او كهذا الجماد لا يحس ، يمكنني ان أتعامل معه كما اتعامل مع هذا .

اذا كانت الاشتراكية الشيوعية او الماركسية لا تحقق للانسان في روسيا وفي ظلها ما حققته الرأسمالية في الدول الاسكندنافية ، فانا سأفرق بطاقة الحزب الشيوعي ، هذا كان اول تراجع مسجل وفيه الخفة بنظام ستالين فانهارت الماركسية ، علما بان الذرة لا يوجد في داخلها صراع كالانسان .. ! الرأسمالية حلت المشكل الاقتصادي باطلاق الملكية الفردية الى ما لا نهاية ، والرأسمالية تحولت الى طاحونة تطحن المجتمع الرأسمالي وتحول الفرد الى ترس في عجلة الرأسمالية ، هي التي تثير الحروب وتوجه السياسة ، وهي التي تجلب التعاسة للعالم في كثير من الاماكن .. والشيوعية تجربة مضادة للرأسمالية وهي اقصى اليسار ، واعتبرت نفسها حلت المشكل الاقتصادي بالغاء الملكية الخاصة ، وطبقت هذه التجربة ورأينا الفرد تحول ايضا الى ترس في عجلتها ، واصبح الحزب الشيوعي في البلاد الشيوعية يمثل السلطة ، ويملك الثروة في البلاد الشيوعية مثل الطبقة الرأسمالية .

لا بد من حل جديد ، فالاشتراكية هي التي تتيح الفرصة لارادة الانسان وهي التي تكون حلا باستمرار ، وليس هناك غير اشتراكية واحدة هي العدل الاجتماعي ، الذي يمنع استغلال الفرد للفرد او سيطرة طبقة على طبقة ، وهي التقاسم في الخير والتشارك في النعمة ، تسمح بنزع الملكية احيانا والتأميم ، ووضع قيود على الملكية في حالة ثالثة ، وبالتأمين والضرائب التصاعدية . والاديان كلها تقف بجانب هذه العادة الاجتماعية ، تلغي الاستغلال ، وفي القرآن الكريم كتاب البشرية الامجد من الايات ما يكشف بجلاء عن نظرية الاسم للمال ، فالمال

هو مال الله ، اي انه ملك عام فالمولى سبحانه يقول **(وآتوهم من مال الله الذي اتاكم)** النور / ٣٣ وقال عز وجل :**(وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه)** الحديد / ٧ فالقول بان المال مال الله وان الناس ليسوا سوى امناء وحراس عليه ، هو قول لم يصل اليه مذهب من المذاهب الاشتراكية الحديثة ، لان ترجمته بلغة هذه الايام هو « المال وظيفة عامة وليس ميزة شخصية » فاذا أضفنا اليه قول المصطفى صلى الله عليه وسلم : « من كان عنده فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ، ومن كان عنده فضل زاد فليعد به على من لا زاد له » رواه مسلم واحمد ادركنا ان مازاد عن حاجة الانسان يجب ان يكون في خدمة غيره وان الاستئثار به لا تقره روح الاسلام .

ولننتقل الى « النازية » التي ظهرت في بداية العقد الرابع من القرن الحالي وبلغت اقصى نجاح لها ، ولم يكن نجاحها عسكريا فقط بل قد بلغ حد الاعجاز البشري اذ حاربت المانيا بفضله كل القوى الحربية في العالم المتمدين فهزتها جميعا ، ولكن الجانب العسكري لم يكن سوى الوجه الظاهر لحشد هائل من ملكات التفكير والتقييم والاختراع والاحتيال والالهام والتأثير في دروب الحكم والاقتصاد والدعاوى والتمويل والنقل والمواصلات والطباعة والنشر والحرب النفسية . بلغ اقصى نجاحه حينما ضم اليه كبار رجال السياسة والفكر واجتمعت كل السلطات في يدها واجتمعت سلطات الحرب في زعيم كان متجردا للمصلحة العامة ويفيض حبا لبلاده ، ولكن انصاره قالوا عنه انه زعيم معصوم ، خلبت النازية انظار العالم واوهمته بانه نظام جدير بالحياة وقادر على البقاء ، بل انه الحل الاسمى لازمة اوروبا والغرب كله ، ولكن لم يقدر لهذا النظام البقاء بعد الحرب العالمية الثانية ، لانه قام على العنصرية والتهديد . هدد « هتلر » القسس حينما نادوا بالتقوى والعمل الصالح لان هذا يتنافى مع نظريته العنصرية التي اساس التفاضل فيها الجنس « المانيا فوق الجميع » فانصرف رجال الكنيسة الى الحياة الاخرى وتركوا الدنيا .

في التربية عرف هتلر الاعمال التربوية وكان يقول للناس : ان رجلا سليما معافى هو افضل من رجل مريض مهما كانت مقوماته العقلية ، كان يتجه الى دعم قوى الرياضة لانه يؤدي الى قوة الجسد ، وطلب من المؤرخين ان يفسروا التاريخ تفسيرا تتجه فيه الناحية العنصرية اتجاها اخر باعتبار ان الشعب متفوق .

وطلب من العلماء ايضا ان يقولوا ولو بالتزييف ان الشعب الآري متفوق ، وكانوا يكتبون باللغة الانجليزية على السلع : صنعت في المانيا فاشترها فهي جيدة ، هنا تحول مخطط ، يتجه فيه الشعب نحو الوضع الافضل في تصوره ، اقول هذا لانني « ابغض العنصرية » لان اصحابها يعتبرون انفسهم اوصياء على الشعوب . نلاحظ في هذه النظم ان القسوة والقمع هي سبيل المحافظة على الايديولوجية وهي من صنع بشر ولكنها تحاط بقدسية المبدأ الذي يقول : الدولة التي تسمح بنقاش تسمح بالنقاش فيما يتصل بتطبيق المبدأ لا بالمبدأ نفسه ، هذه

مقررات الاوصياء **ولها ملامح خمسة** :

١ ـ لا تمتد بجذورها الى ثقافة المجتمع .

٢ ـ تحاط بجو من القدسية والحماية عن طريق القمع والقهر .

٣ ـ يتبنى ايديولوجيتها حزب غير مفتوح .

٤ ـ تهتم بالناشئة اكثر .

٥ ـ لا تهيء الفرصة للحوار والمناقشة وصولا الى الاجتماع .

فاين هذا من الثورات الشرعية المنبثقة من القيم الروحية الخالدة النابعة من الاديان القادرة على هداية الانسان واضاءة حياته بنور الايمان من اجل الخير تقوم على مبدأ الشورى : (**وشاورهم في الأمر**) ال عمران / ١٥٩

والقرآن الكريم يقول : (**كنتم خير أمة أخرجت للناس**) والألمان يقولون : « المانيا فوق الجميع » وهناك فرق كبير بين المعنيين ولكنه فارق روحي ، ولكن اذا اخذنا الالفاظ على ظاهرها فقد نجد تشابها أن هؤلاء النازيين يريدون ان يرفعوا زعيمهم الى المكان الذي رفع الله فيه رسوله صلى الله عليه وسلم حيث قال : (**اطيعوا الله وأطيعوا الرسول**) النساء / ٥٩ وهيهات ان يصل زعيمهم الى موطىء قدم الرسول فهذا موحى اليه وقد اختارته العناية الالهية واذا كانت الثورة الفرنسية قد قامت لتحرير المواطن الفرنسي في اواخر القرن الثامن عشر ونادت بالحرية والاخاء والمساواة ، فليست مبادىء جديدة ، وقد جاء بها الاسلام منذ اربعة عشر قرنا ، جاء الاسلام وكان سموا بالذات العربية بل قتلا لحدة الشر في النفس الانسانية وتغليبا لجانب الخير في الجانب الفردي ، فكان منهجا تجلت فيه ادق المعاني الانضباطية والنظامية في الجانب الاجتماعي منتظما في ظل التربية النبيلة الروحية للفرد ومنسجما ومتجاوبا مع تطلعاتها الحياتية . بحيث يكون تنفيذ هذه التطلعات خاضعا لروحية التربية وصادرا عن خلقية سلوكية تكبح جماح النفس ازاء مغريات المادة . واتزنت النفس العربية اتزانا عميقا في ظل الاسلام وشموليته ، فأصبح فعلها المادي محكوما بهذا الاتزان الشمولي ، وصفت صفاء جعلها في ظل شمولية الاسلام تستشرق عالم الكون بشفافية مكنتها ان تعرف معنى وابعاد اتجاهها نحو السمو الروحي ، وهو القصد من هذه الحركة ، ثم كان على الجانب الاخر المنهج الحياتي لهذه النفس المهذبة كيف تحقق خلافتها لله في الارض ؟ وكيف تنظم هذه الخلافة للمجموعة الانسانية ؟ ثم قبل هذا كيف ينطلق الانسان العربي ليحملها نورا يبدد الظلام ومعرفة تبدد اليأس وتوحيدا يمزق جدران الشرك ، وامنا واطمئنانا يريح النفس مما هي فيه من قلق واضطراب ؟

لهذا خرج العرب ، ومن اجل خير الانسان قاتلوا ، ولكي تنتظم الانسانية كلها في ظلال المثل والروح تشرق شمس الاسلام ويعمر بالمحبة ، تظلها رايات العدل ، تحمل العرب عبء الرسالة : (**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله**) آل عمران / ١١٠

الأسرة

من معاني الاسرة ـ كما في معجمات اللغة العربية ـ : الدرع الحصينة ، وأقارب الرجل الادنون ، وأهل بيته ، الذين يتقوى ويحتمي بهم ، كما يحتمي المحارب بالدرع ، ومن المجاز البليغ ـ كما قال الزمخشري ـ قولهم : شد الله أسره ، اي قوى احكام خلقته .

والاسرة في التاريخ القديم ، وعند اكثر الامم ، اعتبروها وحدة اجتماعية ، يرأسها الاب ، وكان العرب يعتبرون القبيلة ، هي الوحدة السياسية والاجتماعية ، كما قال « سمث » ـ، وقال « روبرت لوى » : انهم كانوا يعتبرون الاسرة ، هي الوحدة الاجتماعية الصغرى ، التي نمت بعد ذلك حتى صارت عشيرة او قبيلة ، وقد ذهب بعض الباحثين الى ان عرب الجاهلية ، لم يعرفوا زواجا مستمرا ، ترتبط فيه المرأة برجل معين ، والى اجل غير مسمى ، لانهم كانوا يجرون على نظام النكاح المؤقت .. الذي ظل شائعا بينهم ، حتى جاء الاسلام ، فأباحه الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ لاصحابه فترة من الزمان ، عرف فيها هذا النكاح المؤقت باسم « نكاح المتعة » ، كما ذهبوا الى شيوع الاباحية الجنسية عند العرب قبل الاسلام وذلك ما سجله المؤرخ العريق « سترابون » في معجمه الجغرافي ، على العرب في بلاد اليمن ، غير ان الباحثين المحققين قديما وحديثا ، قد اثبتوا بطلان ما سجله « سترابون » هذا ، وأثبتوا ان علاقة الرجل بالمرأة في العصر الجاهلي ، كانت لها نظم اربعة أشار اليها الحديث الصحيح ،

في الجاهلية والإسلام

للاستاذ : الغزالي حرب

بلسان السيدة عائشة ام المؤمنين التي قالت ـ رضي الله عنها ـ : ان النكاح في الجاهلية كان على اربعة انحاء :

أ) فنكاح منها نكاح الناس اليوم .

ب) والنكاح الثاني كانوا يسمونه نكاح الاستبضاع ، وهو ان يقول الرجل لامرأته ، اذا طهرت من حيضها : ارسلي الى فلان فاستبضعي منه ، ثم يعتزلها زوجها جنسيا ، حتى يظهر حملها من ذلك الرجل ، فاذا ولدت منه ، نسب الولد الى ابيه لا الى امه ، وهذا النكاح لم يكن شائعا عند العرب ، ولا مقصورا عليهم ، كما سنبين ذلك قريبا .

جـ) والنكاح الثالث نكاح المشاركة او الرهط ، وهو ان يجتمع رجال دون العشرة ، فيدخلوا على المرأة ، ليصيبها كل منهم .. فاذا وضعت حملها ، اجتمعوا عندها ، لتختار منهم من تلحق به ولده وولدها ، وهذا النكاح الثالث كان دخيلا على العرب من الفرس في أثناء حكمهم لليمن ، وتسلطهم على الحيرة قريبا من الكوفة ، في عهد الساسانيين .

د) والنكاح الرابع كان نكاح الاماء البغايا ، اللائى كن دخيلات على العرب ، الذين كانت أغلبيتهم العظمى ، لا يعترفون الا بالنكاح الاول المشروع ، الذي اقره الاسلام ـ فيما أقر ـ من النظم الجاهلية التي لم ير بها بأسا في مجموعها ، وأدخل عليها ما أدخل من التعديل ، والتنظيم ، والتهذيب ، لانه وحي السماء ، الذي لم يبح مثلا ـ وحاشاه ـ نكاح الاستبضاع ، الذي اباحه افلاطون في جمهوريته ، كما أباحه

ليكورغ مشرع أسبرطه ، وأباحته شريعة سولون للمرأة التي يعجز زوجها عن معاشرتها جنسيا ، وأقرته شريعة مانو للهنود .. وكل هذه الشرائع الوضعية لا قيمة لها ، ولا عبرة بها ، في جنب الاسلام شريعة السماء وخاتمة الديانات : ولا يستوي وحي من الله منزل .. وقافية في العالمين شرود !!

وما أهم ما أنكره الاسلام ، على نظام الاسرة في العصر الجاهلي ، منذ اللحظة الأولى لقيام هذا النظام ؟ وما أهم التعديلات أو البدائل الاسلامية التي بفضلها صار هذا النظام اسلاميا بعد ان كان جاهليا ؟

أولا : انكر الاسلام على عرب الجاهلية ـ اول ما أنكر ـ اعتبارهم عقد الزواج ، صفقة تجارية ومن هنا وصفوا الانثى عقب مولدها بأنها « النافجة » قائلين في التهنئة بمولدها : هنيئا لك النافجة « وذلك ما سارت به أمثالهم العربية ، ومعنى النافجة : التي تنفج مالك وتزيده ، بما تأخذه من مهرها ـ وهو العوض الذي يدفع لأهلها ـ وبما تأخذه من صداقها ـ وهو العوض الذي يدفعه الرجل لها هي وبفضل الصداق والمهر ينتفج حال والد العروس ويتضخم ، وانصافا للحقيقة والتاريخ ، نقرر ان بعض سادات العرب واشرافهم ، كانوا يأنفون من تضخيم ثرواتهم واموالهم بمهر او صداق ، ومن هنا فخرت احدى الزوجات العربيات ، بأن زوجها ووالد بناتها ، لا يأخذ مهرا أو صداقا مما كانوا يسمونه « حلوانا » وفي ذلك قالت هذه الزوج الام الفخور بزوجها المتعفف .

« لا يأخذ الحلوان من بناته » كما قال زوج عربي يفخر بذلك أيضا :

وليس تلادى من وراثة والدى
ولا شاء مالى مستفاد النوافج

وبقدر ما أنكر الاسلام ، اعتبار عقد الزواج صفقة تجارية ، خلع على هذا العقد من القداسة والتكريم ما لم يخلع على عقد سواه :

أ) فهو آية كونية عالمية شاملة لبني الانسان وغيرهم (**سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون**) يس /٣٦ .

ب) وطرفاه ـ وهما الذكر والانثى ـ جديران بالقسم بهما ، والتكريم لهما ، شأنهما في ذلك شأن الآيات الكونية التي اقسم الله بها قائلا : (**والليل إذا يغشى . والنهار إذا تجلى . وما خلق الذكر والأنثى . إن سعيكم لشتى .**) الليل /١ ـ ٤

جـ) وهو العقدة الوثقى ، والميثاق الغليظ ، الذي وصف القرآن الكريم به اثنين لا ثالث لهما : وهما العهد الرباني الاول الذي اخذه الله على انبيائه ورسله ، وعقد الزواج ، قائلا : (**وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا**) الأحزاب/٧ وقائلا ايضا سبحانه (**وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا. وكيف تأخذونه**

وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا .) النساء / ٢٠-٢١

ثانيا : هذا الميثاق الزوجي الغليظ ، أقامه الادب الاسلامي القرآني ، على امتن الدعائم واقوى الاسس الاجتماعية ، وهي السكينة والمودة ، والرحمة ، مصداقا لقوله تعالى (**ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون**) الروم / ٢١ .

ثالثا : في ظلال هذه السكينة والمودة والرحمة ، المتبادلة بين الزوجين المسلمين المتحابين أقر القرآن الكريم العيون ، وشرح الصدور وأنار الأبصار والبصائر ، بالدعوات الصالحات المتوهجات بنور الامل والرجاء ، في الذرية الصالحة ، والخلف (بفتح اللام) الطيب قائلا : (**هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء**) آل عمران / ٣٨ (**فهب لي من لدنك وليا . يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا**) مريم / ٥-٦ (**ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما**) الفرقان / ٧٤ .

رابعا : ولم يفت الاسلام ـ بادىء ذي بدء ـ ان ينكر على أهل الجاهلية ، مغالاتهم في المهر والصداق ، اللذين كانوا يفرقون بينهما ، بأن المهر هو العوض الذي يدفع لأهل المرأة ، والصداق هو العوض الذي يدفعه الزوج للزوجة نفسها ، وما أقوى الدعاء المحمدي الشريف الحاسم الذي يقول : اللهم اذهب ملك غسان ، وضع مهور كندة » ومعلوم ان اهل قبيلة « كندة » ، كانوا يغالون في مهور العرائس ، الى درجة ان العروس الكندية ، كان مهرها احيانا لا يقل عن الف من الابل ، وتلك هي الروح التجارية المادية ، التي اعلن الاسلام الحرب عليها بإنسانيته وسماحته وبساطته ، حتى يقيم الاسرة على أساس انساني ، لا على أساس تجاري ، بمثل قول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ مثلا لسهل بن سعد عندما أراد الزواج : اذهب فاطلب ـ ولو خاتما من حديد ـ قال : يا رسول الله ، ما وجدت شيئا ولا خاتما من حديد ، فسأله الرسول الانسان الاعظم : هل معك من القرآن شيء ؟ قال : معي سورة كذا ، وسورة كذا .. قال : اذهب فقد انكحتكها بما معك من القرآن ، ومثل قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ايضا : خير النساء أيسرهن صداقا » وكما زوج الرسول سهل بن سعد بما كان معه من القرآن ، زوج رجلا آخر بدون مهر اكثر من ان يعلم زوجته اربع سور او خمسا من كتاب الله ـ كما روى ابن عباس ـ أو يعلمها عشرين آية ـ كما روى ابو هريرة ـ، وبهذه الروح الاسلامية الاصيلة ، تشبع فاروق الاسلام عمر بن الخطاب ، في كلمته الصادقة الواقعية الملهمة : « لا تغالوا في صدقات النساء ، فانه لو كان تقوى لله ، او مكرمة في الدنيا ، لكان نبينا ـ صلى الله عليه وسلم ـ أولانا بذلك ، فما أصدق نساءه ولا بناته اكثر من

اثنتي عشرة أوقية » ، ثم تشبع بها فقهاء الاسلام الذين قدروا المهر الشرعي ، بما لا يزيد عن خمسة وعشرين قرشا مصريا ومن شواهد الوسطية الاسلامية في اتزانها واعتدالها ، انها لم ترض المغالاة في المهر ، وفي الوقت نفسه لم ترض الحرمان نهائيا من المهر ، ومن هنا حرم فقهاء الاسلام ما يعرف باسم « نكاح الشغار » ، الذي سمى بهذا الاسم لانه شاغر وخال من المهر كلية ، لأنه قائم على اتفاق بين رجلين ، على أن يزوج كل منهما الآخر ابنته أو أخته ، بدون مهر مطلقا وحسب الطرفين هذا التبادل بينهما .. فان تم هذا النكاح المحرم - وهو نكاح الشغار - فهنا يوجب الاسلام مهر المثل لكل من هاتين الزوجتين ، وإلا فالزواج باطل شرعا .

ب) ومن شواهد الوسطية الاسلامية ايضا ، ان الاسلام لم ينكر على الجاهلية ، تعدد الزوجات - من حيث المبدأ - وانما أنكر عليها الفوضى في تعدد الزوجات ، فقد جاء الاسلام فوجد في قبيلة ثقيف وحدها ، رجالا لدى كل منهم عشر زوجات ، كمسعود بن معقب ، وعروة بن مسعود ، وسفيان بن عبد الله ، وابي عقيل مسعود بن عامر ، وغيلان بن سلمة ، فلما أسلم غيلان ، وسفيان ، وأبو عقيل ، نزل كل منهم عن ست زوجات وامسك أربعا ، ولكثرة الازواج الذين تزوجوا اكثر من اربع نساء في الجاهلية ، الف فيهن ابو الحسن المدائنى كتابا مستقلا عنوانه « من جمع اكثر من اربع » ، ومن سماحة الفقه الاسلامي ومرونته التي كان بها صالحا لكل زمان ومكان ، أنه اعتبر تعدد الزوجات ، خاضعا في الحكم الشرعي ، للظروف والاعتبارات الاجتماعية التي تحيط بالفرد والاسرة والامة ، فهو إما مباح ، وإما مكروه ، واما حرام ،- كما حقق ذلك الفقهاء قديما وحديثا ، ولا سيما الشيخ محمد امين صاحب الحاشية المشهورة باسم « حاشية ابن عابدين » في فقه الاحناف ، ولا شك في ان المنصفين الموضوعيين - حتى من غير المسلمين - يعتبرون تعدد الزوجات في الاطار الاسلامي المحكم المعتدل العادل ، خيرا من تعدد العشيقات ، في النظم الغربية المتحللة ، التي ندد بها كثير من الكتاب والباحثين الاجتماعيين شرقا وغربا ، ومنهم - على سبيل التمثيل لا الحصر - جوستاف لوبون ، الذي وصف نظام العقود الاسلامي بانه « نظام حسن ، ويرفع المستوى الاخلاقي في الأمم التي تدين به ، ويزيد الاسر ارتباطا ، ويمنح المرأة احتراما وسعادة لا تجدهما في أوروبا » .

خامسا : ولم يفت الاسلام - بادىء ذى بدء أيضا - ان ينكر على بعض القبائل العربية ، انها كانت لا تكتفي بحرمان المرأة من الميراث - وان كانت زوجة وأما ، وانما كانت تعتبرها هي نفسها ميراثا يورث عن زوجها المتوفى ، وكانت لا تتورع عن عضلها والتضييق عليها بمنعها من الزواج في

حياة زوجها او بعد وفاته ـ سواء أكان هذا العاضل الظالم زوجا هدفه من ظلمه هذا أن يسترجع الصداق الذي دفعه لها ، أو كان وارثا هدفه من ظلمه هذا أن تتنازل له المسكينة الارملة ، عما ورثته من زوجها بدافع الغيرة ، أو الأنفة ، أو الأثرة وحب الذات ، وفي تحريم هذا كله حفاظا على كيان الاسرة المسلمة يقول القرآن الكريم :(**يأيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن ألا أن يأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا** ..) النساء / ١٩

وفي تفسير هذه الاية الكريمة ، قال الطبري : « ان ابن الزوج المتوفى او قريبه ، كان يعضل امرأته فيمنعها من الزواج من غيره ، حتى تموت او ترد اليه صداقها فداء لها ... وقال الزمخشري : « ان الرجل كان اذا تزوج امرأة ، ولم توافقه ، حبسها مع سوء العشرة ، والقهر ، حتى تفتدي منه بمالها وتختلع ،، » ، وانصافا هنا للحقيقة والتاريخ ، نذكر القراء ـ والذكرى تنفع المؤمنين ـ بأن هذه المنكرات التي أنكرها الاسلام على بعض القبائل العربية ، ليكفل للاسرة استقرارها العائلي المنشود ، لم تكن مقصورة على هؤلاء العرب ، فقد كان العبريون يعتبرون المرأة جزءا من متاع الرجل ، تورث كما يورث ما خلفه ، وللوارث ان يبيعها او يعضلها ويضيق عليها ..

سادسا : ولم يفت الاسلام ايضا ـ وهنا بيت القصيد ـ ان ينكر على كثير من العرب في الجاهلية استخفافهم بقداسة الحياة الزوجية ، وكرامة الزوجة المغلوبة على امرها ، ومن شواهد هذا الاستخفاف ، ان الرجل منهم ـ كما قال الفخر الرازي ، وابن زيد كان يطلق امرأته ألف مرة ، أو مائة مرة ، ثم يراجعها بعد كل مرة ، ان أراد ، ولا حسيب ولا رقيب ، ولا معروف ولا احسان ، وانما هي المضارة للزوجة المسكينة ، والاستخفاف بكرامتها وكرامة الحياة الزوجية ، وذلك ما أنكره الاسلام عليهم أيما انكار ، يقول الله ـ تعالى : (**الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان**) البقرة / ٢٢٩

وفي ظلال هذا التشريع القرآني الكريم المحكم الخالد على الزمان ، كفل الفقه الاسلامي للزوجة حقها تاما كاملا ، في ان تشترط على زوجها في عقد الزواج ، جعل العصمة بيدها ، وأباح لها ـ اذا لم تكن العصمة بيدها ـ ان تفتدي حريتها ، بما تدفعه لزوجها من مال ، باسم « الخلع » ، ما دام هنالك مبرر معقول ، ومسوغ شرعي مقبول ، كالغيبة الطويلة ، او العجز الجنسي ، او سوء العشرة ، او تعذر التجاوب العاطفي بينها وبين زوجها ، او نحو ذلك مما فصلته كتب الفقه الاسلامي ، في واقعية وموضوعية والى لقاء قريب ـ ان شاء الله .

الإعلام الإسلامي

ان الحاجة ماسة اليوم الى اعلام اسلامي متميز عن الاعلام الغربي بنظرياته التقليدية التي تخدم بلاده ولا تحقق لنا أي شيء سوى أن نتعلم مبادىء وقيم بعيدة عن صدق الكلمة وإيثار الحق . يجب أن نتعدى مرحلة الأحاديث ونبدأ على الفور في التخطيط من منطلق منهج علمي يرسم لنا استراتيجية طويلة المدى ، ولتكن النهضة التكنولوجية في مجال الاتصال وأجهزته احدى وسائلنا لتحقيق هذا الهدف الذي يفرض نفسه علينا ...

أولا : التصدي للحملات التي يتعرض لها الاسلام ... وثانيا : تأسيس اعلام جديد يخدم الاسلام والمسلمين .

اننا نعيش الآن تحديات يتعرض لها الاسلام وتحيط به وبنا من كل جانب ...

أولها : اعتبار الديانات أفيون الشعوب وانه لا نفع من التمسك بها خاصة الدين الاسلامي ..

ثانيها : محاولة جعل الانسان ماديا وجعل القيمة للمجتمع ... أما

ضرورة للاسلام والمسلمين

للاستاذ / محمد عبد الحميد

قيمة الانسان وحريته وكرامته فلا مكان لها على الاطلاق ...

وثالثها : ان الاسلام جامد ولا يصلح للعصر الحديث وانه يتعارض مع تطور المدنية ...

ورابعها : وصف الاسلام بأنه صورة متكررة من الديانات التي سبقته ، وهو ما قام عليه مفهوم بعض علماء الأديان المقارنة لاعلاء شأن دياناتهم ...

وخامسها : تشجيع الرغبات الجسدية من منطلق مفهوم الحرية التي يجيزونها لهذه الرغبات ويحرمونها على السلوك والانتاج الانساني ...

وسادسها : التبشير الغربي القائم على التضليل الفكري والتحلل الخلقي والالحاد الذي يجد متنفسا قويا وواضحا في الصحافة ووسائل الاعلام المتعددة كالسينما والمسرح والتلفاز والراديو والمعارض والكتب ...

سابعها : ان اللغة العربية الفصحى تواجه بوصفها لغة القرآن الكريم العديد من التحديات عن طريق اعلاء شأن العاميات واحياء اللهجات واللغات القديمة باستعمالها في وسائل الاعلام لوضع السدود والحيلولة دون فهم القرآن والاعتزاز والاهتمام بالتراث الاسلامي .

● **الصحيفة الالهية**

ولا شك أننا أمام كل هذه التحديات التي تهاجمنا بشكل مباشر أو غير مباشر وتتسرب الينا عبر العديد من القنوات الاعلامية الغربية .. تحتاج الى اعلام اسلامي لعرض الفكر الاسلامي ونشر المعرفة الصحيحة وتقديم الثقافة الاسلامية في اطار متطور جاذب وليس طاردا حتى تتحقق الاهداف التي نبتغيها للأجيال الحاضرة والمستقبلة باعتبارها الدرع الواقي للدين والاسلام والمسلمين . ان الاعلام الاسلامي حقق في الماضي أهدافه ... ان الاسلام قد أدرك ما ينبغي أن يكون عليه الحال بين المسلمين في اجتماعاتهم المختلفة ... وفي اتصالهم وفي كل ما يخص أمورهم ... وضع الركائز القوية والمعالم الواضحة ..

كان الاسلام منذ بدء ظهوره دين دعوة من الناحيتين النظرية والتطبيقية ... ان الوحي في حد ذاته بما يحويه من الصدق والقوة وعظمة الخالق يحمل اعلام الحق تبارك وتعالى لنبيه الكريم بحكم شرعي في قلب وعقل الرسول الكريم ليبلغه الى المؤمنين الذين انفتحت عقولهم وقلوبهم لهذه الرسالة الكبرى ... أيضا القرآن الكريم حسب المفهوم الاعلامي السائد أليس أكبر وأهم وسيلة اعلامية كونه الدستور الاكبر للبشرية الذي بين حدود الله وهاديا للناس كافة الى الصراط المستقيم .

لقد حوى القرآن الكريم قمة الاعلام في المصطلحات والمفاهيم والألفاظ الدالة على مختلف طرق وأساليب وأنماط الاعلام ... على سبيل المثال .. قول الحق تبارك وتعالى : (**هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا انما هو إله واحد وليذكر أولوا الألباب**) . ابراهيم / ٥٢ . أيضا : (**عم يتساءلون . عن النبأ العظيم**) النبأ/١ و ٢ . أيضا (**هو الذي يصوركم في الأرحام**) آل عمران /٦ . كذلك : (**يومئذ تحدث أخبارها . بأن ربك أوحى لها**) الزلزلة/٤ و ٥ .

هذه الكلمات الربانية الخالدة فيها جميع أساليب الاعلام والدعاية المعروفة المدونة في الكتب الحديثة ... فيها الخبر ... فيها التوجيه والارشاد ... أيضا نجد أسلوب الأمثلة والشواهد التي جاءت به الكتب السماوية السابقة ... كذلك نجد أسلوب التوقع ... أيضا نجد الطريق الأمثل الذي يرسم لنا طريق الدعوة الاسلامية وتقديم المثل الأعلى والمنهج القويم الذي يوصل الى أبرز النتائج كما جاء في الآيات البينات التالية : (**يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا . وداعيا الى الله بإذنه وسراجا منيرا . وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا . ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا**) الأحزاب / ٤٥ ـ ٤٨ .. كذلك : (**إنه لتنزيل رب العالمين . نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربي مبين**) الشعراء/ ١٩٢ ـ ١٩٥ ... أيضا : (**ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن**) النحل / ١٢٥ ... أيضا (**لا إكراه في الدين**) البقرة /٢٥٦ . هذه مجرد أمثال ... وإننا لنجد في كل آية ، الاعلام الصادق الأمين من رب العالمين حتى إننا لنقول بأن القرآن الكريم هو بحق صحيفة إلهية فوق كل الصحف يصدق فيها قول الحق تبارك وتعالى : (**قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا**) الاسراء/٨٨ .

● الصدق والأمانة

ماذا في الأحاديث النبوية

الشريفة ؟ ... فيها الكثير .. فيها الصدق والمعلومات بل هي بحق مواثيق شرف لأعظم رسائل إعلامية بما تحويه من أدب الحديث ، بساطة التعبير ، التواضع ، احقاق الحق ، الايجابية في المواقف ، وضوح الايمان ، اكتساب محبة المستمع التي يتحلى بها رجل الاعلام وأيضا تحقيق الهدف المراد بقول هذه الأحاديث التي ما قيلت الا لتحقيق فائدة المسلمين الى يوم الدين . لقد توافر في القرآن الكريم وفي الأحاديث النبوية الشريفة وتحقق فيهما ما يقوله الاعلاميون من أن أبرز مجموعة الاهداف التي تتجه اليها وسائل الاعلام على اختلافها مقروءة أو مسموعة أو مرئية هي : الاعلام أو الأخبار ، التوجيه والارشاد ، التفسير والايضاح والتثقيف .

ولنقرأ هذا الحديث الذي ينهى عن التعصب للنسب أو الجنس أو اللون : « دعوا الكسعة ، دعوها فانها منتنة » رواه البخاري وأحمد ومسلم . أيضا : « ليس منا من دعا الى عصبية ، وليس منا من قاتل على عصبية ، وليس منا من مات على عصبية » . رواه أبو داود .. وفي الفضائل يقول صلى الله عليه وسلم : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم » رواه أحمد والنسائي . وقوله : « عدل ساعة خير من عبادة ستين سنة » . رواه الأصفهاني . وقوله : « ان الله تعالى يحب معالي الأمور وأشرافها ، ويكره سفسافها » رواه الطبراني . وقوله : « ليس منا من لم يجل كبيرنا ، ويرحم صغيرنا ، ويعرف لعالمنا حقه » . رواه أحمد والحاكم . وفي العلم : « من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع ، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الارض حتى الحيتان في الماء ، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ، وإن العلماء ورثة الأنبياء وان الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ، انما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر » رواه أبو داود والترمذي وقوله : « طلب العلم فريضةعلى كل مسلم » رواه البيهقي وابن عدي عن أنس بن مالك ... وباقي الأحاديث كل واحد فيه رسالة ذات هدف ، ونصيحة توجب الطاعة ، ومنهج يوجب الأخذ به ، وعلم يجب الاستفادة منه ، ونهي تجب عدم مخالفته ومعرفة يجب اتباعها ... هكذا هي الاحاديث النبوية الشريفة .

أيضاً تتمثل الوسائل الاعلامية فيما قاله الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم ، وكلام كبار المحدثين والعلماء ، وخطب الخطباء ... وكانت الوسيلة لابراز ذلك كله ، المساجد ، اجتماع المسلمين في الصلاة والحج ، والاجتماعات العديدة والرسائل المختلفة التي كانت تبعث في المناسبات ... ثم الاعلام المباشر على هذه المستويات وغيرها .

هذا الزاد الكبير ... وهذا الزاد الرباني المتمثل في القرآن الكريم ... وهذا الكنز .. هذه الخزانة من المعرفة المتمثلة في الأحاديث النبوية الشريفة كيف لا نحافظ عليهما اليوم في مكانتهما الساشعة المرتفعة كما فعل الأوائل ... كيف نترك هذه الجحافل الملحدة تبعدهما عنا بنظريات دنيوية ... بنظريات اعلامية هي دونهما بكثير ؟؟ الا يحق لنا أن نتصدى لهم ... نأخذ منهم ونعطيهم بما هو أقوى وأشد تأثيرا .. اذا كان علمهم سيفسدنا ، بل انه كذلك ، فلنرده اليهم أشد وأقسى بالعلم والاقناع حتى يعرفوا ان الحق إلى جانبنا ... وأن حق ديننا علينا أن نصونه ونحميه حتى يبقى مصانا الى الأبد من أيدي العابثين .

● المنهج العلمي

كيف نصل الى اعلام اسلامي مثالي ونموذجي في آن واحد ؟ .. كيف نخطط ونتوصل الى منهج علمي يكون أساسا لاعلامنا الاسلامي الذي ننشده لجيلنا الحاضر والأجيال القادمة ؟ ... كيف نبني الحصن الاعلامي المسلم كي نصد هجمات الأعداء الذين يهدفون الى إبعادنا عن ديننا الذي يعرفون أهميته وقوته وشموليته وعالميته وأبديته ؟ ..

بين أيدينا نهضة تكنولوجية في مجال أجهزة الاتصال ... لدينا نهضة الترانستور ... لدينا أقمار الاتصال التي يسرت امكانية نقل الحدث لحظة وقوعه « مصورا » ، وليس مسموعا فقط كما هو الحال بالنسبة للراديو ... لدينا أيضا التلفزيون .. لدينا الكلمة المقروءة « الصحافة » ... وغيرها من وسائل الاعلام ... هل حقيقة قمنا باستغلال واستخدام هذه الوسائل لخدمة الدين الاسلامي ؟ ... هل استفدنا منها واستخدمناها في اعلامنا لهدفنا الأسمى للحفاظ على مبادىء الدين الاسلامي ؟ .

المسؤولية كبيرة ... والواجب أكبر أمام هذه الحملات الشرسة التي يشنها أعداء الاسلام لدين الله وصدق قول الحق تبارك وتعالى في سورة البقرة :

(ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا) ٢١٧ . ولاشك أن حاجتنا تصبح ملحة لتحقيق هدفين أساسيين :

الأول : أن نبدأ بأنفسنا ... فلا يمكن بأي حال من الأحوال أن نتلقى شيئا دون أن نكون عارفين بأهميته في تشكيل مستقبلنا ... المعنى الاجمالي الشامل حول هذه الخصوصية هو قيام الاعلام بدوره المؤثر في خدمة الدين الاسلامي وتحقيق أهدافه ومبادئه وفضائله ... ذلك يتطلب تثقيف وتعليم المواطن المسلم لاعداده لتلقي ذلك الاعلام حتى لا يشعر بالغربة العقلية بالمقارنة بالاعلام الغربي الذي يمتاز بعناصر التشويق التي تشد القارىء وتحرك مشاعره وأحاسيسه ليبتلع الطعم أو الفكرة التي تقدم له في قالب أو قوالب براقة وجميلة .

اذا قمنا بذلك أصبحنا أقوياء .. أصبحت لدينا القدرة على التصدير .. أقصد بكلمة التصدير العطاء الخارجي لمواجهة هذه الحملات .. وتتحول الدعوة الى عملية اتصال بالمفهوم الاعلامي السليم ... وهذا يقتضي تقديم الدين للجماهير التي لم تتح لها فرصة معرفته أو فهمه بالشكل والصورة الواقعية .

السؤال الذي يفرض نفسه كيف نحقق هذه الأهداف ؟ ... وبشكل آخر ما هي الوسائل التي تساعدنا ويمكننا استخدامها لتحقيق هذه الأهداف ؟ هل هي فقط الصحافة والاذاعة المسموعة والاذاعة المرئية « التلفزيون » ؟ ... هل نضيف اليها الكتاب والمعارض والمؤتمرات والندوات ؟ ... هل نضم اليها الأفلام بشتى أنواعها سواء الأفلام السينمائية أو التسجيلية أو الوثائقية ؟ ... هل نقدر أهمية ودور الاتصال الشخصي والجماهيري والتوسع في انشاء المراكز الاسلامية المتخصصة في الخارج ؟ ..

لا شك أن هذه الوسائل جميعها هامة .. بل هي على جانب كبير من الأهمية .. لأنها وسائل اعلامية متعارف عليها ... ومتفق على فاعلية الأدوار التي تلعبها في الاعلام الغربي ... ونحن لا بد أن نعرف قدرها ونقدرها ونخطط لتأثيرها في مجال الاعلام الاسلامي الذي ننشده ونبغي تحقيقه . ان استخدام هذه الوسائل لا يمكن أن يبدأ من فراغ ... ولا يمكن أن يتم بشكل منفرد تقوم به كل دولة اسلامية على حدة ... ولا يكفي في هذا المجال انعقاد المؤتمرات والندوات ثم اصدار التوصيات التي يجري تنفيذ جزء منها ثم ترك بقية الأجزاء .

● الوسائل الاعلامية

إذن نحن مطالبون بانشاء الوسائل التالية :

* قمر صناعي اسلامي لاستخدامه في تزويدنا بكافة البرامج التليفزيونية الاسلامية يشاهدها الناس كافة في بلدان العالم المختلفة من أهمها نقل شعائر الحج وكافة الأفلام المصورة التي تنقل الى المشاهد الحضارة الاسلامية العريقة .

* عمل تخطيط علمي لتوزيع معاهد وكليات للصحافة الاسلامية التي تضطلع بدور تكوين الصحفي المسلم أو رجال الاعلام الاسلاميين ، الذين يخدمون في هذا المجال على مستوى البلاد الاسلامية وخارجها في دول العالم أجمع مع المعرفة التامة للغة الشعوب الاخرى واتقان لهجات الشعوب الاسلامية .

* انشاء وكالة عالمية للانباء تقوم بتمويلها الحكومات الاسلامية تتميز بالاستقلالية والعطاء ... لا يقتصر دورها على مجرد نقل الخبر بالكلمة أو الصورة بالشكل الغربي المتعارف عليه ... وانما يوضع لها منهاج اسلامي علمي اعلامي ولا تخضع لسيطرة الحكومات لتعمل في جو من

الحرية حتى تكتسب ثقة المسلمين وغير المسلمين في العالم كله ... تهتم بالخبر العادي ... والخبر الذي يخدم الدعوة الاسلامية .

* انشاء صحافة اسلامية تتدرج تحتها التخصصات التالية :

أ ـ صحافة اسلامية شاملة بتصور اسلامي تهتم بالفنون الصحفية المتنوعة .

● ـ صحافة اجتماعية ودورها القيام والاهتمام بالدراسات الاجتماعية وقضايا المجتمع تتصدى لها بموضوعية اسهاما منها في تقديم وتقويم المجتمع وحل مشاكله بكافة الصور المختلفة .

● ـ صحافة اقتصادية .. قريبة مما يحدث في العالم ... مع بيان الأسس التي تتحرك في اطارها قضايا المصارف والبنوك والشركات المختلفة المتنوعة من خلال رؤية اسلامية ... **الأمر بهذه الصورة سيجعل المواطن المسلم وغير المسلم يعرفان عدالة هذه القضايا وصلاحيتها في التطبيق في كل** زمان ومكان .

● ـ صحافة اسلامية علمية .. وهي في هذا المجال يجب أن تسير في اتجاهين ... **الاول** : تفسيري بما حواه القرآن الكريم عن عظمة الخالق في الخلق بصوره المختلفة ... واحتواؤه ليس للتطورات والتكنولوجيا السائدة الآن ، بل بما يمكن أن تصل اليه في المستقبل ... **الثاني** : الحث على العلم ، وفتح الباب على مصراعيه للعلماء المسلمين في كافة التخصصات العلمية ، وتخصيص جوائز قيمة لأصحاب النظريات العلمية والمخترعين المسلمين ، وتشجيع البحث العلمي الذي يخدم البشرية بصفة عامة والمسلمين بصفة خاصة .

● ـ صحافة اسلامية أدبية وفنية ... وليس معنى ذلك أننا سنقف بها في شكل معين جامد ... وانما نعمل دائما على تحريكها في اتجاه التمييز الذي عرف به الشعر في أزهى عصوره في التاريخ الاسلامي والذي كان يعتمد على التلاقي بين فحول الشعراء في الأشكال المتعارف عليها حاليا كالندوة والمناسبات ليس في بلد معين ... وإنما في جميع البلاد الاسلامية مع ترجيح المهرجانات التي تضم شعراء المسلمين ودعوة الشعراء الغربيين للمشاهدة والسماع والمشاركة ... يضاف الى ذلك الاهتمام وتشجيع باقي الفنون الاخرى كالمسرح والقصة مع خلق الناقد الفني الاسلامي الذي يضع الأطر الفنية في هذا المجال لاثراء هذه الفنون وتقدمها على الدوام .

● ـ الاهتمام بالقضايا التي تعالج مشاكل المرأة ... وخير وسيلة لذلك وجود صحافة نسائية متخصصة تشجع على الدعوة الاسلامية والسلوك الحسن في ظلال تعاليم الاسلام ... مع التصدي لأي مشكلة وايجاد الحلول المناسبة لها ... وتشجيع المرأة في مجالات العمل التي تناسبها . والعمل على كل ما يصون حق المرأة بمعاملتها للزوج والأبناء ... الى كافة الموضوعات التي تتعلق بحياتها وصولا الى النموذج الأمثل

للمرأة المسلمة .

● وسائل أخرى

الأمر لا يقف عند هذا الحد ...

ولكن ذلك كله يرتبط بانشاء دار نشر اسلامية ومكتبة اسلامية لها فروعها في كل بلد اسلامي ... ووجود رابطة للناشرين المسلمين وتكوين جمعية اسلامية لحقوق التأليف .

والاهتمام بالمعارض الفنية الاسلامية عملية ضرورية ... ان حركة هذه المعارض في البلاد الاسلامية وخارجها تتيح للمسلم وغيره الوقوف على أهمية الفن الاسلامي بمدارسه المختلفة والتطورات العصرية التي أضافها الفنانون المعاصرون على أساس ان الدين غير جامد ... ولن يكون بأي حال من الأحوال جامدا أمام عمليات الابداع والخلق الفني والتشكيلات المتنوعة التي هي ثمار ذلك كله .

كذلك الاهتمام بالمكتبة الاسلامية لا يجب أن يقف أو يتوقف عند حد المبنى الذي يضمها ويتحرك اليها المواطن المسلم ... المكتبة في شكلها المتطور يجب أن تتحرك الى المواطن ... بمعنى ايجاد ما يسمى بالمكتبة الاسلامية المتنقلة ... تسعى الى صاحب المعرفة .. الى القارىء أينما وجد وتواجد .. وهذه الفكرة تشجع أكثر على القراءة ... وتجذب المزيد من القراء وهي غاية على جانب كبير من الأهمية .

موضوع آخر له دوره وأهميته ... ويدور حول توسيع الدائرة أمام المخيمات الاسلامية التي تضم الشباب من الجنسين في غير اختلاط ... مخيمات للذكور وأخرى للاناث ... تمارس فيها الرياضة الفعلية بمناقشة علوم الدين والاجابة على كافة الأسئلة التي تدور في عقول الشباب ... وأيضا ممارسة أنواع الرياضات المختلفة . وما أحوج شبابنا الى المزيد من هذه المخيمات داخل البلد الاسلامي الواحد ... وأيضا تجمع شباب المسلمين في مخيمات سنوية تقام كل عام في بلد اسلامي .

هذا الاطار العام الذي يضم الصور المختلفة يمكن أن يكون أساسا في خلق اعلام اسلامي في مظهره وشكله وجوهره ومضمونه ويصل بنا الى الأهداف التي نتمناها ونريدها ... أولا من أجل تكوين رأي عام اسلامي على أساس سليم ... الأمر الذي يمكننا في التصدي لأي معلومات مشوشة نخشى أن تهدمنا ... بل هي جادة في هدمنا ... وفي نفس الوقت تكون لدينا القدرة للوقوف أمام الاعلام الغربي نتصدى له بأساليبه ونتفوق عليه بأساليبنا القائمة على العقيدة الاسلامية التي أساسها العدل والاخلاص والوفاء والصدق والتضحية والعطاء والفهم الحقيقي لمعاني الحرية .. والتي يعبر عنها وعن غيرها القرآن الكريم دستور الاسلام والمسلمين الى يوم الدين .

مائدة القارئ

مقاومة الشر

قال تعالى : « **يـأيها الذين آمنوا قـاتلوا الـذين يلـونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين** »

الآية ١٢٣ من سورة التوبة .

الا المجاهرون

قال رسول الله ـ صلى الله عليـه وسلـم ـ :

« كل امتي معافى الا المجاهرون ، وان من المجانة أن يعمل الرجل بالليل عمـلا فيستره الله ، ثم يصبح ليكشف ستر الله عنه » رواه البخاري ،

لا تشاؤم

كـان المنصور بن ابي عامر الأندلسي اذا قصد الغزو عقد لواءه بجامع قرطبة ، ولم يسر الى الـغـزو الا مـن الجامع ، فـذات مرة اتجه الى الجامع لعقد اللواء فيه ، فـاجتمع عنده القضاة والعلماء وأرباب الدولة ، فرفع حـامل اللـواء اللواء فصادف ثريا من ثريات الجامع ، فانكسرت على اللواء وتبدد الزيت ، فتطير الحاضرون من ذلـك ، وتغـير وجـه المنصور ، فقال رجل : أبشر يا أمير المؤمنين لغـزو هين ، وغنيمـة سـارة ، فقـد بلغت أعـلامـك الثـريـا ، وسقاها الله من شجرة مبـاركـة زيتـونـة . فـاستحسن المنصـور ذلـك ، واستبشر به ، وكانت الغزوة من أبرك الغزوات .

هل لك حاجة ؟

كان من أوائل من اقتحمـوا الحـرب في موقعة اليرموك غـلام من الأزد ، وكان حدثا كيسا ، وقال الغـلام لأبي عبيدة رضي الله عنه وهو قائد جيش المسلمـين : « **أيـهـا الأمـير ، اني اشفي قلبـي ، وأجـاهـد عـدوي وعـدو الاسلام ، وأبذل نفسي في سبيـل الله تعالى لعلي ارزق الشهادة ، فهل تأذن لي في ذلك ؟ وان كان لك حاجة الى رسول الله ـ صلى الله عليـه وسلـم ـ فأخبرني بها ؟** » .

فراسة

يحكى أن الشافعي كان يسير هو ومحمد بن الحسن رضي الله عنهما فرأيا رجلا فقال الشافعي : انه نجار ..

وقال محمد : انه حداد ..

فسألا الرجل عن صناعته .. فقال : اني حداد ، وكنت أعمل في السابق نجارا .

فصدقت فراستهما .

افضل الجهاد

قيل لعمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه - : أي الجهاد افضل ؟
فقال : جهادك هواك .

الاعتدال

قال حذيفة بن اليمان : ليس خياركم من ترك الآخرة للدنيا ، ولا من ترك الدنيا للآخرة ، ولكن من أخذ من هذه لتلك .

كن أبيا

قال الشاعر :

وكن أبيا عن الاذلال ممتنعا
فالذل لا ترتضيه همة الرجل
وان عراك العنا والضيم في بلد
فانهض الى غيرها في الارض وانتقل

الامن

قال حكيم : الأمن مع الفقر خير من الخوف مع الغنى .

جواب مسكت

قال رجل لاخر : ان الحاكم قد أمر لكل مجنون بدرهمين .
فقال له : هل أخذت نصيبك ؟ .

دلالة الزّمان والمكان عظة واعتبار

للاستاذ / عبد العزيز مصطفى

التلازم بين الزمان والمكان حقيقة من حقائق الفكر والحياة الانسانية وتجارب الانسان ، وهي حقيقة لا تحتاج الى برهان أدق من النتائج الحاصلة بعد كل شوط من أشواط العمل الانساني ، فأي عمل من أعمال الانسان في مجتمعه وفي اي بيئة ينتهي الى نتيجة حتمية ، ومهما كان نوع هذه النتيجة او لونها ودرجتها فهي نهاية « موقوتة » لعمل ما سبقها ، وفي ضوء هذه الحقيقة تتعدد الاعمال وتختلف وكذلك تتعدد وتختلف النهايات والنتائج .

ولكن التلازم بين الزمان والمكان في منهاج الاسلام حقيقة مضيئة باهرة ، فاذا كان الزمان والمكان وعاء لعمل الانسان ومشوار حياته المحدودة في عالم الدنيا ، فان الاسلام يجعل من وعاء الزمان والمكان مواطن اختبار للارادة ، ومواضع تأمل للعقل والوجدان ، ومجالا للانسان في عقيدته وعمله تتحقق فيه اخطر النتائج لعلاقتها بمصيره ، وهو مجال ليس قصاراه مظاهر الحياة في هذه الدنيا ، وإنما هو أبعد من ذلك ، لان الاسلام يجعل من الدنيا قنطرة الى الآخرة ، ومزرعة لحياة خالدة بعد الموت ، ولهذا فان الزمان والمكان في منهاج الاسلام سبيل للمسلم الى عالم لا يفنى بعد الموت ، وهو عالم إما جنة وإما نار ، الجزاء فيه على حسب النية والعمل ؛ والعقيدة والعمل الذي يطابقها ويوافق مراميها . وكأن التلازم بين

الزمان والمكان يقابله تلازم بين عهد الضمير وسلوك المسلم ، وكأنه التوافق بين الوعاء وما يوضع فيه أو يدور في مجاله المحدود من خير أو شر ما يقدمه المسلم في دنياه لاخرته . ولذلك فإن عظمة الاسلام في جانب من جوانبها العديدة تبين جلية واضحة في توقيت كل امر وكل شيء بميعاد ، وفي دور موكّل به كل مخلوق ، واذا كان وعاء الزمان والمكان هو حيز ما وكّل به كل مخلوق من أعمال وأقوال ، فإن ارتباط هذه الاعمال بطاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم يجعل للاعمال غاية ومعنى وقيمة كما يجعل للزمان والمكان معنى وغاية وقيمة وليس مجرد حركة زمانية او دورة مكانية .

فحركة الزمان والمكان ليست ـ في الاسلام ـ غاية لذاتها ، وإنما هي حركة مسخَّرة لغاية أسمى من مجرد الدوران في اختلاف الليل والنهار ، وما قيمة الحركة في اي مقياس عقلي إن لم تكن تستهدف غاية ؟.. فاذا كانت الغاية هي تأمل عظمة الله في مخلوقاته ، وكسبيل الى مزيد من الايمان بالله الواحد القادر الخالق العظيم ، فقد صارت للحركة الزمانية والمكانية ـ إذن ـ قيمة تعلو على أية قيمة أخرى ..

يقول جل شأنه :

(**وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم**) الاسراء / ٤٤

(**سبح لله ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم**) الحديد / ١

(**تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن**) الاسراء / ٤٤

(**يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون**) فصلت / ٣٨

تشير الآيات إلى أن الزمان والمكان من المخلوقات التي خلقها الله لتسبح بحمده ، كما أنها موضع للتأمل والاعتبار ، ولينتفع بها الانسان ، ويرى فيها قدرة الله . يقول سبحانه وتعالى :

(**ولله المشرق والمغرب**) البقرة / ١١٥

(**أو لم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء**) الاعراف / ١٨٥

(**هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون**) يونس / ٦٧

(**الشمس والقمر بحسبان . والنجم والشجر يسجدان**) الرحمن / ٥ و ٦

ولكن المسلم مطالب بألا تلهيه الدنيا وما فيها عن مصيره الابقى في الاخرة .

(**وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وأبقى أفلا تعقلون**) القصص / ٦٠

فحركة النجوم والكواكب ، والليل والنهار ، وتعدد بيئات الانسان في الارض وتنوعها ، إنما هي دلائل قدرة الله ، وآيات من آياته سبحانه ، يجب أن تكون مصدرا للمؤمن من مصادر التفكير في صفات الله وقدرته البادية في مخلوقاته ، ومصدرا يتأمله المؤمن فيزداد ايمانه قوة ، وتلك هي الغاية من الزمان والمكان في منهاج العقيدة الاسلامية ، وهي أن يكون النظر الى الزمان والمكان على انهما آية

من آيات الله في ملكه ، وآية على رحمته التي وسعت كل شيء ، وسبيل الى التنافس في طاعة الله وعبادته والتقرب اليه سبحانه بالاعمال الصالحة .
(ألم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة) لقمان / ٢٠ .

من دلائل التدبير المحكم

وتبدو قدرة الله في مخلوقاته للمؤمن فيهتدي الى أدق نظام وأرقى اسلوب وأجمل تكوين وأروع توجيه كلما نظر في حركة الزمان والمكان كمثل من أمثلة مخلوقات الله ونعمه التي لا يبلغها الاحصاء . بل إن تعبير اللغة عن الجمال والنظام في حركة الزمان والمكان إنما هو تعبير محدود بحدود اللغة القاصرة عن الوصف مهما بلغت من البلاغة والشاعرية والمنطق ..

ومن دلائل النظام والجمال في حركة الزمان والمكان التنوع مع التخصيص والتعميم والمنفعة والتناسق في تدبير محكم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . هنالك النسيم والهواء الطلق والهواء الصحراوي القوي ، وهنالك هواء الخريف وهواء الشتاء والصيف وعبير الربيع .. ولكن هنالك أيضا الاعاصير والطوفان والسيول والعواصف الجامحة والرعد والبرق :
(إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون) البقرة / ١٦٤
(وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون) الاعراف / ٥٧
(وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين) الحجر / ٢٢
(وهو الذي جعل لكم الليل لباسا والنَّوم سُباتا وجعل النهار نشورا . وهو الذي أرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته وأنزلنا من السماء ماءً طهورا . لنحيي به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسيَّ كثيرا) الفرقان / ٤٧ ـ ٤٩
وقد تأتي الريح بمعنى العقاب :
(كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم) آل عمران / ١١٧
وقد تأتي بمعنى الابتلاء أو الاختبار أو العقاب أيضا :
(هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم

أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين) يونس / ٢٢
(فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم) الاحقاف / ٢٤
(أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا) الاسراء / ٦٩

ومن الوان المنفعة التي يجنيها الانسان فيما خلق الله من نعم .. السحاب ..**(هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا وينشيء السحاب الثقال)** الرعد / ١٢
(حتى إذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء) الاعراف / ٥٧
(ألم تر أن الله يزجي سحاباً ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار) النور / ٤٣ وفي هذه الاية الشريفة بيان لقدرة الله سبحانه في تصريف مخلوقاته على حسب ارادته ، فهو سبحانه المهيمن القيوم القهار ، وهو الرحيم الذي يرحم من يشاء من عباده ، وهوالخالق الاعظم .

نعمة وحكمة للتذكير والتأمل

والله جعل الزمان والمكان آية من آياته ، وعبرة لأولى الالباب ، فيهما اختلاف ولكنهما مسخران لغايات تنفع الانسان المؤمن في الدنيا والاخرة ، اذا أحسن هذا الانسان الشكر لله واذا اتجه الى الله بقلب سليم ، وأخلص العبادة لله ، وأعمل فكره في تأمل هذه المخلوقات العظيمة التي سخرها الله وذللها للانسان .
(يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير) فاطر / ١٣
وفي الاية الشريفة اشارة الى الاخرة ، فالدنيا زائلة ، ولها وقت معلوم لله تنتهي عنده ، هو وقت الساعة ، ولذلك فالشمس والقمر ليسا دائمين خالدين ، وإنما هما مسخران لاجل مسمى يعلمه الله وحده :
(فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان. فبأي آلاء ربكما تكذبان) الرحمن / ٣٧ و ٣٨
هنالك التخصيص في مخلوقات الله والتعميم فيما سخرها له ، فالزمان مختص بدور ، والمكان له دور ، ولكنهما مسخران لكل البشر مؤمنين وكافرين ، فهما من آيات نعمه وابتلائه على سواء ؛ اذ إن المؤمن تزيده النعم إيمانا ، بينما الكافر

جاحد لنعم الله فهو خاسر دنياه وآخرته ، وذلك لان المؤمن كلما اهتدى الى الشكر لله على نعمه والى المزيد من العبادة والتقوى كان شكره وعبادته جزاءً حسناً له في الاخرة ، اما الكافر فله عذاب اليم حيث خسر مصادر الهداية في الدنيا فهو في الاخرة يلقي الخسران المبين .

تخصيص في وظيفة الزمان والمكان فلكل دوره ، وتعميم للفائدة ، يقابله تخصيص من نوع آخر هو دور المخلوق بالنسبة الى الخالق جلّ وعلا . دور العباد تجاه المعبود ، فاذا امتثل العبد لامر ربه فاز فوزا عظيما ، واذا انحرف عن طاعة خالقه واتبع هواه فقد ضل ضلالا بعيدا .

واذا كان التخصيص والتعميم في خلق السموات والارض ، فان المولى سبحانه جعل الزمان والمكان ، اية كبرى على النظام الفريد الذي لا يختل ، والتناسق العظيم الذي يبهر العقول والقلوب والافئدة ، تمجيدا لله وثناء عليه . فحركة الليل والنهار - كما يقول بعض المفكرين - آية على نظام دقيق يستدعى الايمان بالله أكثر مما تستدعي المعجزة إيمان المنكرين والملحدين والمكابرين ، فهذا النظام الدقيق المستمر طوال الدهور والعصور هو اكبر من المعجزة في بلاغتها واشارتها الى الصانع الاعظم . هذه الحركة المستمرة الدقيقة في سير الافلاك هي ابلغ دليل على وجود الله وعلى قدرته سبحانه ، وعلى رحمته بعباده فالزمان والمكان من نعم الله على الانسان ، قد سخرها سبحانه لينتفع بها الانسان ولتكون عبرة لاولى الابصار والالباب :

(**وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلاً من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب**) الاسراء ١٢

وكما أن الله سبحانه جعل الزمان نعمة من نعمه على الانسان فقد جعل سبحانه المكان والزمان متكاملين يكمل كل منهما الآخر ، ويؤثر كل منهما في الآخر ، وجعل سبحانه في هذا التأثير منطقة للانسان ورحمة به ، واذا كنا لا نتصور الزمان بغير مكان فلا نتصور المكان بغير صورة زمانية .. وهما مجال للعبادة واشارة واضحة الى عظمة الخالق ، والى أن واجب المخلوق أن يشكر الله على هذه النعم الكثيرة التي لا يحصيها عقل أنسان :

(**خلق السموات بغير عمد ترونها وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وبث فيها من كلّ دابة وأنزلنا من السماء ماءً فأنبتنا فيها من كل زوج كريم**) لقمان ١٠ /

(**ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة**) لقمان ٢٠

ونظام الكون فيما يرى الانسان من نظام الزمان والمكان رحمة من الله ونعمة ، لان هذا النظام في دقته واتقانه من أسباب استمرار حياة الانسان الدنيوية وصلاحيتها للعيش ، وإمكان التمتع بخيراتها ، ولو لم يكن هذا النظام الالهي قائما لما استطاع الانسان أن يحيا على هذه الارض ، ولما استطاع أن يعمل ويفكر

وينال نصيبا من الراحة بعد عناء العمل . ولا شك أن حركة الزمان والمكان تشير الى أن هذه الدنيا فانية ، والى أن حياة الانسان محدودة ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، فالافلاك تسير على نظام دقيق الى أجل مسمى ، وكذلك حياة الانسان في الارض لها أجل محتوم لا مفر منه ولا مهرب :

(ألم تر أن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري إلى أجل مسمى وأن الله بما تعملون خبير) لقمان / ٢٩

وكذلك يجب أن يتأمل الانسان في حركة الزمان والمكان تأمل العابد المسبّح الشاكر لله ، فكل ما في السموات والارض آيات من آيات الله ، تشير الى عظمة الخالق ، وافتقار المخلوق الى الله المنعم المتفضل .

(فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون . وله الحمد في السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون) الروم / ١٧ و ١٨

(ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون) الروم / ٢٣

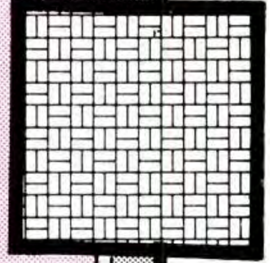
وتشير آيات من القرآن الكريم الى أن الزمان والمكان من آيات القدرة الالهية ، وأنهما من نعم الله التي لا تعد ولا تحصى ، فيهما نور وضياء ، وفيهما مجال للتفكير العقلي واعمال الفكر في مخلوقات الله ؛ على أن الغاية من وراء ذلك الفكر تأكيد الايمان ألقلبي ، وتأكيد الاعتقاد بأن هذه الدنيا الى زوال ، وأن الآخرة هي الخير الأبقى :

(هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدَّره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلاّ بالحق يفصّل الآيات لقوم يعلمون . إن في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والأرض لآيات لقوم يتقون . ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون . أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون) يونس / ٥ ـ ٨

(وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون . والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم . والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم . لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون) يس / ٣٧ ـ ٤٠

ومن نعمة الله على الانسان أن جعل سبحانه الزمان والمكان تذكيرا دائما للانسان بعظمة الخالق ، ورحمته ، وكرمه . فالزمان والمكان في متناول العقل الانساني والحواس الانسانية ، وهما الحركة الدائبة في عالم الشهادة ، وكما يشيران الى دقة النظام واحكام الحركة ، فهما أيضا يشيران الى رحمة الله في اختلاف الليل والنهار ، إذ الانسان يحتاج الى الليل للراحة ، ويحتاج الى النهار للعمل ، ولكن العبادة جائزة ليلا ونهارا ، لان العبادة هي وظيفة الانسان المصيرية ، ففي العبادة سعادته في الدنيا وفي الاخرة ، وهي واجب المخلوق تجاه الخالق جلّ وعلا .

أمن المجتمع المسلم



التاريخ درس متكرر ، والمشكلات التي تعتاق سبيل المجتمعات الانسانية واحدة ، والآفات التي تعتريها واحدة ، مهما اختلفت في المظهر فإنها تتفق في الجوهر ، ذلك لأن الانسان واحد . مهما استقى من ينابيع الثقافة والمعرفة وعبر التاريخ ، لأن هذه العوامل لا تغير منه إلا الشكل .. أما المضمون فسيبقى واحدا رغم تطاول الزمن وتقدم الحياة ... ومن هنا كان حتما على الانسان المعاصر أن يستفيد من عبر التاريخ ، وأن يتعظ بما حدث للانسانية منذ أقدم العصور .. ليأخذ الحذر ، ويتجنب الخطأ ، ويمضي على درب مأنوس ، وطريق لاحب .

ويتميز القرآن الكريم باعطاء نماذج حية وواقعية فيها العظة والعبرة لمن أراد أن يتدبر أو أراد شكورا .. وحين يستغرق الانسان المعاصر في قراءة هذه النماذج وتدبرها ، ويمنحها من الوعي والتحليل ما تستحق سيجد فيها الكثير من صور الحاضر ، ومشكلاته المعقدة ، وآفاته المدمرة حتى لكأنما هذا النموذج أو ذاك قد نزل غضا من السماء ليتناولها بالتحليل والبيان - وسيجد أن الخلاص من تلك المشكلات مرتهن بما وصف القرآن من علاج ، وبما طب من دواء ، وبما قدم من وسائل الانقاذ .. لقد تعرض المجتمع المسلم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لموجة عاتية من الحرب النفسية كادت تعصف بأمنه وتفت في عضده وتتركه هيكلا بلا روح ، أو جسدا بلا طموح ، ولم تكن هذه الحرب **إلا حرب الاشاعة** ، التي كانت تدار هادئة ، وقت السلم ، وتشن عاتية وقت الحرب .... كانت تتناول القيادة المسلمة حينا بتوهين أمرها ، وتقليل خطرها .. فالرسول ـاعر ، أو كاهن ، أو مجنون وكانت تتناول منهجة حينا آخر فهو شعر أو سحر أو أساطير الاولين .

ومما يدخل في هذا الباب حرب أخرى **تسمى حرب السخرية** تلتقي

كما يصوّره القرآن

للاستاذ : توفيق محمد سبع

مع السابقة في هدفها من قتل الثقة في نفوس المسلمين وإلقاء اليأس في قلوبهم ، وإثارة الربكة والخجل في تصرفاتهم ، وهي سلاح فتاك كسابقتها وقد حكى القرآن بعض أساليبها في قوله سبحانه : « **إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون ● وإذا مروا بهم يتغامزون ● وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين ● وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون** المطففين ٢٩ ـ ٣٢

فهذا مشهد ساخر يسجله القرآن بكل حركة من حركاته بحيث تلمح فيه حركة الأيدي والعيون والشفاه والجباه والاكتاف تشترك في حركة التغامز من هؤلاء المجرمين الذين تجردوا من كل أدب وحياء !!

تلك الحرب النفسية وأشباهها كانت تدار وقت السلم ، ينفس بها الباطل عن حقده ، ويعبر عن موجدته .. محاولا بث الضعف في نفوس المسلمين .

والعجيب أن القوم قد عرفوا أثر هذا النوع من الحرب ، فاهتموا بشأنها ، بحيث عمدوا **الى تنسيقها** ، لتحدث أثرها من التشكيك والبلبلة في نفوس المسلمين ... وكان الوليد بن المغيرة بارعا في هذا اللون من الحرب النفسية .. كان يتولى بنفسه تفريخ الاشاعة وصبها في قالب منطقي ، ويناقش القوم في أمرها ، ويتخير المناخ المناسب لاطلاقها ، ويتحرى التجمعات العامة للجماهير ... لقد جمع الوليد يوما سادة قريش من المشركين ـ وتصدر مجلسهم ، ثم قال لهم : « إنه قد حضر الموسم .. وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه ، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا .. فأجمعوا فيه رأيا ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضا فقالوا : أنت يا أبا عبد شمس فقل .. وأَرقِمْ لنا رأيا نعمل به .. فقال : بل أنتم فقولوا أسمع منكم !! قالوا نقول كاهن .. قال : والله ما هو بكاهن .. لقد رأينا الكهان فما هو بزمزته الكاهن ولا سجعه !! قالوا : مجنون قال : ما هو بمجنون ... لقد رأينا الجنون وعرفناه فما هو بخنقه ولا وسوسته !! قالوا شاعر قال : ما هو بشاعر !! لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وما هو بالشعر !! قالوا : فما تقول ؟ قال : والله إن لقوله لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة وما أنتم بقائلين من هذا شيئا إلا عرف أنه باطل .. **وإن أقرب القول فيه** : أن تقولوا : **إنه ساحر** جاء بقول هو سحر يفرق فيه بين المرء وأبيه وبين

المرء وأخيه وبين المرء وزوجه وبين المرء وعشريته ... فاقتنعوا وتفرقوا عنه بذلك .

وجعلوا يجلسون على السبل لا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه وذكروا له أمره .... فأنزل الله في الوليد بن المغيرة قوله : **إنه فكر وقدر ● فقتل كيف قدر ● ثم قتل كيف قدر ● ثم نظر ثم عبس وبسر ، ثم أدبر واستكبر فقال إن هذا إلا سحر يؤثر . إن هذا إلا قول البشر** » المدثر ١٨ ـ ٢٥ وجعلوا يقولون ذلك لكل من لقوا من الناس فانتشر ذكره في العرب كلها .

والذي أود أن استخلصه من هذا الحديث ما يلي :ـ

١ ـ أن القوم كانوا يعرفون **تأثير الدعاية ضد محمد وأصحابه** بدليل اجتماعهم لهذا الأمر وتدارسهم للاشاعة ، واتخاذهم زعيما لهم يوجه آراءهم ، ويناقش أفكارهم .

٢ ـ أنهم لم يدعوا أمر الاشاعة فوضى تحكمه الآراء الفردية .. التي قد تتناقض أو يكذب بعضها بعضا بل عمدوا إلى مؤتمر لتبادل الرأي فيما يقولون بشأن محمد وقرآنه .

٣ ـ أنهم قد تحروا موسم الحج موعدا لاطلاق الشائعات لينتشر أمرها وتذيع في الآفاق ، بالضبط كما تفعل الدول الحديثة في انتهاز فرص التجمع الجماهيري لترويج الاشاعة لأن عقلية الجماهير لا تناقش ما تسمع .. وإنما تردده دون مناقشة ... (كالببغاء عقله في أذنيه).

٤ ـ أنها قد عمدت إلى لون من الانتقاء للاشاعة الملائمة التي تنطلي على الجماهير واستبعدت ما سواها من الاشاعات التي يسهل دحضها وتكذيبها .

٥ ـ أن القوم لم ينطلقوا باشاعات كثيرة يكذب بعضها بعضا ـ وإنما أجمعوا على واحدة وتواصوا بها حتى تأخذ شكلا أقرب إلى المنطق .

لقد توصل هذا المجتمع الساذج الى أهم الشروط العلمية لفن الاشاعة ـ من وسط جماهيري ـ وتأقيت زمني ـ وحبكة ذكية ـ ودراسة للاشاعة ـ ثم اتخاذ قرار بها واطلاقها بعد ذلك .. ان حربا كهذه لا يمكن أن تمر على العرب دون أن تلعب بعقولهم .. ولقد تصدى القرآن الكريم لتعريتها .. وكشف نفوس أصحابها ـ كيلا تدمر الثقة في نفوس المسلمين الذين كانوا قلة مستضعفة تتعرض لشتى الاهانات في ذلك الوقت العصيب من عمر الدعوة ، إن هذا النوع من الحرب لا يستدعي عتادا ولا قوة .. كما أنه لا يريق دما ، ولا يهدم حصنا .. لأنه موجه إلى نفسية الشعوب . وإلى روحها ، بحيث لا يترك ذرة من هذا الكيان الا أوهنها وأضعفها وسلبها قوة الارادة لتستسلم بعد ذلك وتلقى السلاح ، وتلك هي غاية العدو وما يعمل له جاهدا بأساليب الخداع والدهاء والمكر والتمويه ، ولقد أخذ هذا الفن من حرب الاشاعة يقوى ويكثر التعويل عليه على امتداد الزمن بين أساليب الحرب وتخصص فيه

المتخصصون وأصبح قوة يعمل لها كل حساب ، ويشتد خطر الاشاعة في زمن الحروب - حتى لتترك اشاعة خادعة ما لا تتركه أفتك أسلحة الدمار والهلاك .. وكما ذكر القرآن بعض أساليب الاشاعة أيام السلم .. فانه كذلك يذكر بعض نماذج الاشاعة التي تطلق في ميادين القتال تنبيها على خطرها ، وتجنبا لآثارها فنحن نقرأ في كتاب ربنا : « **الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم** » وقد كانت هذه الاشاعة في أعقاب أحد - حيث كانت نفوس المسلمين مثقلة بالآلام لما فقدوا من الأبطال ، ولما تعرضوا له من الابتلاء والشدة .. ولقد واجهت قيادة المسلمين هذه الحرب النفسية بخطة أزكى وعمل أنجح .. كيلا تسري آثارها في نفوس المسلمين فسارعت بالتخطيط للقاء العدو الهارب حتى لا يطمع في المسلمين ولا يظن بهم الظنون .. إنه تجمع لاعلان نوع من الحرب النفسية على العدو الذي ظن أنه قد سحق المسلمين - ورغم القتلى والدماء نهض المسلمون بهذا الواجب الثقيل .. فقد خرج الرسول صلوات الله وسلامه عليه إلى المسجد الجامع في أعقاب أحد وأمر بلالا أن يؤذن للخروج في طلب العدو .. كما أمر ألا يخرج من المسلمين إلا من كان محاربا بالأمس ، فارتفع الصحابة على الجراح والآلام ولبوا مسرعين ، مستجيبين لله ورسوله . ورفضوا منطق الحرب النفسية التي كان يرددها العدو وقتذاك .. وهو أن جيش المشركين لا يغلب بعد اليوم .. وبددوا هذه الخرافة .

امتحان صعب من غير شك ولكن روح الايمان تتغلب على تهاويل الموقف وتنهض بتبعاته في قوة وحزم . لقد خرج الرسول بالمسلمين إلى مكان يقال له : **حمراء الأسد بينه وبين المدينة ثمانية أميال واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم يريد إرهاب العدو وبث الذعر في نفسه فأقام هناك ثلاثة أيام .**

ولقد أدت هذه الخطة هدفها فحين علم أبو سفيان بخروج المسلمين في طلبهم وأعلن ذلك في القوم .. قال بعض المشركين لبعض : ما بال هؤلاء مع آلامهم وجراحهم يخرجون لحربنا ؟ أبقى فيهم عزم وجلد ؟ وحاروا في الأمر ... وذهبت بهم الظنون كل مذهب - فأورثتهم خبالا وضعفا وفتت في عضدهم فكروا راجعين إلى مكة سراعا .. فلما بلغ الرسول ذلك قال لأصحابه : حسبنا الله ونعم الوكيل .

وفي هذا الموقف يتجلى بصر القيادة المؤمنة بأساليب الحرب النفسية والرد على الشائعات المسمومة التي كان العدو يطلقها لتنال من عزم المسلمين وتوهن إرادتهم .. ولقد نزل في هذا الموقف قرآن يتلى ، ليظل درسا خالدا لأصحاب المبادىء والرسالات على امتداد التاريخ **يقول الحق** تبارك وتعالى : « **الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر**

عظيم • الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل • فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم • إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين » آل عمران ١٧٢ - ١٧٥ .

وفي هذا التصرف من الرسول وأصحابه دروس وعظات .. فيه تبرز معادن الرجال الذين صنعهم محمد على عينه ، فقد ارتفعوا فوق آلامهم وجراحهم .. كما ارتفعوا على الأشاعات المسمومة التي كان يصوّبها العدو إلى قلوبهم ، بقصد تفتيت وحدتهم ، وإشاعة روح الهزيمة بين صفوفهم وتفريغ قلوبهم من المحتوى الايماني لتصبح خاوية تتبع كل ناعق ، وتصغى لكل شائعة وتموت فيها إرادة القتال ، وفيه حزم القيادة التي لم تتردد لحظة . في فرض الخطة الصارمة على الجيش المثخن بالجراح ، وقد نهض الجيش بواجب الزحف حسبما أشارت القيادة دون التفات الى المآسي والجراح - وفي ذلك من الولاء والطاعة ما يذهل العقل ويثير الاعجاب وهكذا أحبطت خطة الحرب النفسية التي شنها العدو بخطة أحكم ، وتدبير أقوى ، وكانت العقيدة هي التي تتحكم في الموقف كله وتسود صفوف المجاهدين « **وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم** » الاحزاب ٣٦ .

وما أحوج المسلمين اليوم إلى هذه الدروس ليقفوا صفا واحدا أمام مخططات العدو وأساليب كيده . وليثبتوا في ميدان الحرب النفسية ويواجهوها بخطط مدروسة ومواقف ثابتة .. وما أكثر أعداءنا المتربصين بنا على مر العصور .. وما أكثر ما يستخدمون ضدنا من أسلحة الحرب النفسية التي ينفخون فيها من أبواقهم ، وأنهم الجيش الذي لا يقهر والعصمة من ذلك كله تكمن في قول الله سبحانه : « **فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل** ». إن هذا اليقين الجازم في الانتصار على العدو يفتقر إلى تربية إيمانية عميقة حتى تكون الثمرة كما قال الله سبحانه . « **فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله** » ولكي يزيدنا القرآن بصرا **بأساليب الحرب النفسية** ، وما ينبغي أن تواجه به من عقيدة وعلم - وبخاصة بعد أن أصبحت في العصر الحديث سلاحا فتاكا يتخصص فيه المتخصصون وأصبحت له المعامل النفسية والوسائل الحديثة التي تتولى تحليل الاشاعة ومدى تأثيرها على نفسية الشعوب .. من أجل ذلك نرى القرآن الكريم يزود الجماعة المسلمة بقواعد تخطيطية ووسائل وقائية وأخرى علاجية لتعصم الصف المؤمن من خطر الشائعات وتؤمن سلامة المجتمع من البلبلة وتدرأ عنه الآثار المدمرة التي تستهدف إرادته وروحه ، ولا شك أن تلك ناحية إعجازية في

كتاب الله .. ترصد بعين القدرة مستقبل هذه الحرب .. وخطورتها على أمن المجتمعات .. فتضع الأسس السليمة لتفاديها .. والخلاص من آثارها .

ولنقرأ في ذلك قول ربنا سبحانه : « **وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا ● فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأسا وأشد تنكيلا** » النساء ٨٣ ـ ٨٤ .

إن هذه الآية تضعنا وجها لوجه أمام الشائعات التي تتردد في المجتمعات أيام الحروب . وتعلمنا كيف يتصرف الأفراد في الشائعات اذا سمعوها تتردد في جنبات المجتمع . ثم توضح لنا أن الايمان هو خير عاصم من شرور تلك الشائعات .. وأنها لا تعدو مع الايمان أن تكون عملا شيطانيا لا ينبغي أن يفت في عضد المسلمين فيصدهم عن الاستمرار في الحرب ـ وتوضح للرسول الكريم وهو القيادة التي تتطلع إليها الأنظار أن يستمر على قتال العدو مهما اشتد خطر الاشاعة . حتى ولو قاتل وحده في الميدان فذلك وحده خليق أن يرد بأس العدو ويحبط مؤامراته .. والله من ورائه محيط .

ونحن نرى أن الآية الكريمة تفرض نوعا من الرقابة على الانباء أيام الحروب . حتى لا تتسرب الشائعات في صفوف المقاتلين فتوهن قوتهم .

وتطالعنا في هذه الآية أوضاع المجتمع المسلم في فترة من أحرج الفترات بين أحد والخندق وهي فترة نشطت فيها دعايات العدو بقصد إشاعة البلبلة في صفوف المجاهدين ، وبث الوهن والضعف في نفوسهم ، وكان المجتمع المسلم يومذاك طوائف عدة منهم المنافقون ـ ومنهم اليهود ـ ومنهم فئة لم ترتفع بايمانها إلى درجة الحصانة من عوامل الاغراء والضعف ـ ومنهم السذج الذين لا خبرة لهم بأساليب الحرب النفسية ـ فهم يرددون كل ما يسمعون عن حسن نية ـ كل هذه الطوائف كانت تردد ما تسمع إما عن سوء نية أو عن سذاجة ـ فيتلقفها لسان عن لسان وينقلها فرد عن فرد فلا تلبث أن تملأ رحاب المجتمع ، ومن البديهي أن نيات اليهود والمنافقين مدخولة فهم يرددون الاشاعة عن عمد وقصد ، كلما سمعوا شائعة طاروا بها لتفت في عضد المجتمع المسلم فيلقي السلاح ، وهذا هو المقصود بقوله تعالى : « **وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به** » فمن أولئك الذين يذيعون الشائعات ؟ ومن أين تأتيهم ؟.

إن الذين يذيعون الشائعات هم طوائف من المجتمع الاسلامي بعضهم منافق يريد الحاق الدمار بالمسلمين ـ وبعضهم من اليهود الذين يعيشون على اثارة الاحقاد وتحريك الشائعات لارباك المسلمين

وبث الوهن في نفوسهم . وهناك فريق ثالث لم يرتفع بالايمان الى مستوى الموقف العصيب فهؤلاء يرددون الاشاعة دون روية ولا تمحيص لأنهم لا يدركون خطرها كما اسلفنا .

ومن البديهي أن الأشاعة إنما تعد الى تلك الطوائف من أعداء المسلمين - ومن يقفون ضدهم في القتال .. يحيكونها بذكاء وينشرونها بوعي . ويختارون لها الظروف الملائمة زمانا ومكانا وقد يتولى نشرها عملاء من بينهم - أو من ضعاف النفوس الذين يتظاهرون بمؤازرة المسلمين - وقد قسمت الآية الكريمة الاشاعة قسمين : **أولاها** : إشاعة الامن .. والأخرى : إشاعة الخوف والهدف واحد لا محالة وهو توهين الصنف المسلم وبث روح البلبلة والضعف في جنباته **وإشاعة الأمن** : هي التي تتحرى أوقات الحشد والتعبئة للجيش المسلم حتى إذا استكمل غايته من الاستعداد المادي والمعنوي .. وهم بالتحرك إلى العدو إذا باشاعة الأمن تتردد قائلة : ما بال هذا الاستعداد الهائل والعدو ضعيف وعدته قليلة وعدده ضئيل ؟! ولماذا كل هذا الانفاق والاستعداد والحالة آمنة ؟- تلك اشاعة لو تعقلها المسلمون لرفضوا الأخذ بها والانصياع إليها أو ترديدها - لأنها تريد أن تخدعهم - وتؤمنهم تأمينا كاذبا - حتى تفتر عزيمتهم وتبرد همتهم ويقل تحمسهم للقتال .. فيدرك العدو غايته ويميل عليهم ميلة واحدة أما **إشاعة الخوف** : فهي التي تحاول ارهاب الجيش المسلم بالمبالغة في وصف قوة العدو - ووفرة أسلحته ، وكفاءته القتالية وأن جيشه لا يقهر .. وتلك الشائعة لو لم يكتشف خطرها في أول الأمر فانها تثير الذعر في نفوس المسلمين .. وتسلبهم الأمن - وتدع افئدتهم هواء !! وهي في الوقت ذاته تهيء الفرصة لدعاة الهزيمة لكي يذيعوها في الآفاق . فتطير هنا وهناك تاركة اسوأ الاثر في نفوس المسلمين .

وتأمل معي كيف يعبر القرآن عن نشاط أولى الأغراض السيئة في بث الدعاية وذلك قوله سبحانه : « **أذاعوا به** » دون أن يقول : أذاعوه .. كأنما جعلت تلك الشائعات المغرضة بوقا ينفخ فيه دعاة الهزيمة وأعداء الدعوة .. فقد غدت الشائعة آلة ينفخ فيها هؤلاء .. يكبرون صغيرها - ويجسمون ضعيفها .. وينفثون فيها من أحقادهم وأضغانهم لتعمل عملها في الصف المسلم .. إن هذا التعبير يصور لنا تحمس هؤلاء لاذاعة الشائعات الضارة سواء كانت متصلة بالأمن أو الخوف لتؤدي هدفها من قتل الثقة في نفوس المسلمين .. وهذا تعليم للمسلمين ليعرفوا أخلاق عدوهم .

كيف نتصرف في الاشاعة التي تصلنا من أعدائنا ؟

هنا تمضي الآية في تعليم المسلمين وتنمية إدراكهم حتى لا يتسرعوا في ترديد ما يصلهم من اشاعات ، فذلك هو طريق الوهن .. وسبيل الهزيمة .

وانما عليهم أن يرفعوا كل اشاعة وافدة إلى نبيهم ـ أو الى أمير الجيش حتى يتصرف في أمرها والآية الكريمة تفترض أن **توجد فئة متخصصة** بين المسلمين في دراسة الاشاعة وتحليلها ـ ومعرفة بواعثها وأهدافها لتستنبط بعد ذلك ما ينبغي عمله إزاءها كيلا تؤثر في المسلمين بدليل قوله تعالى : « **لعلمه الذين يستنبطونه منهم** » فهم إذن جماعة مهمتها دراسة الشائعات واستنباط أهدافها وبواعثها .. ومعرفة الرد عليها ـ وربما استنبطت تلك الجماعة معرفة شخصية العدو ـ ومدى استعداده ومبلغ تحفزه .. وهكذا تجعل الآية من الاشاعة خطرا يتخصص في دراسته المتخصصون وترسم للمسلمين كيف يتصرفون فيما يصلهم من اشاعات .

وبهذا يتم توفير القيادة ، وتربية خلق الطاعة في المسلمين ، ورد الأمور إلى أربابها ـ وربما توحي كلمة « يستنبطونه » باعمال العقل ، وشحذ الذهن في كل اشاعة وافدة . وهذا يعطي الانطباع بخطر الاشاعة وقوة أثرها وإلا لما استدعت تحليلا ولا استنباطا ، لا غرو أن حرب الاشاعة ضرب من ضروب الحرب النفسية ترتكز على الذكاء والحيلة ـ ومن ثم كان الخلاص منها محتاجا الى الدراية وذكاء العقل لكشف مخططات العدو وتعرف أهدافه . ثم تأتي الآية الاخرى « **فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك** » لتؤكد للقيادة المسلمة رفض الاشاعة وعدم الاذعان لها ـ والمضي إلى القتال ولو فريدا ، وتحريض المسلمين عليه ـ ففي ذلك ما يحبط خطط العدو ، ويبطل تدبيره .

إن هذه الآية تبث الطمأنينة في نفوس المسلمين وأنه لا سبيل إلى تأثير هذه الحرب النفسية ما دامت قلوبهم مؤمنة ـ وعقولهم واعية ـ وطاعتهم موفورة ـ وعيونهم مفتوحة على عدوهم ، بعد ذلك كله فان أمر الاشاعة يصبح هينا لأنه من كيد الشيطان .. وكيد الشيطان ضعيف واهن .

إن هنا درسا يجب أن نتنبه له في جميع الأقطار الاسلامية ـ ذلك هو التماس العلاج من القرآن الكريم وتحكيم منهج الله في سلمنا وحربنا ففيه ما يعصمنا من الخطأ ويردنا إلى الصواب ، وأساليب الحرب النفسية رغم اهتمام الاعداء بها في العصر الحاضر وصرف الجهود إليها وإنفاق الأموال الطائلة عليها لتؤدي هدفها .. قد تناولها القرآن على شكل نماذج قوية تتجلى في إرادة الجيش المسلم وصلابته أمام الدعايات كما تتناولها على شكل دراسة تحليلية توضح أهدافها ومخاطرها وترسم للمسلمين السبيل الأمثل لتجنبها ليحيا المجتمع المسلم في أمن وسلام ، لا تلعب به الشائعات ولا تضلله دعايات الأعداء ـ وذلك لكي يعرف المسلمون أن قرآنهم قد استوعب ظروفهم الحاضرة والمستقبلة . كما استوعب أوضاعهم الماضية ـ وذلك من أقوى الأدلة على إعجازه وأنه تنزيل من حكيم حميد ـ وبالله التوفيق .

الشورى في الاسلام

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على اشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبع هديه الى يوم الدين .

أما بعد :ـ

فان الاسلام يحرص كل الحرص على ارساء المبادىء التي يشعر في ظلها كل مسلم بأنه فرد له مكانته وكرامته بين أبناء مجتمعه .
ومن تلك المبادىء التي يحرص الاسلام على ارسائها : مبدأ الشورى ذلك المبدأ الذي اهتم به القرآن الكريم ، والتزم به رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما التزم به صحابته ـ رضوان الله عليهم ـ وفي هذا المقال يسرني ان اتناول ذلك بشيء من التفصيل .

اهتمام القرآن بالشورى :ـ

لقد ذكر الله تعالى الشورى في موضعين من كتابه العزيز ، لكل موضع منهما دلالته القوية على وجوب هذا المبدأ الهام من مبادىء الاسلام أما الموضع الأول من هذين الموضعين فهو : قول الله تعالى مخاطبا رسوله ـ صلى الله عليه وسلم :ـ « **فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين** » . الاية ١٥٩ / آل عمران

بين النظرية والتطبيق

للاستاذ / عمر حافظ سليم

وهذه الاية تدل دلالة قوية على وجوب الشورى ، من جهة أنها نزلت عقب هزيمة المسلمين يوم احد ، وفي ظروف يتضح منها ان رأي من أشار على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يكن صوابا ، ومع ذلك فقد انزل الله ـ سبحانه وتعالى امره بالعفو عنهم ومشاورتهم ، وهذا يؤيد عناية الاسلام بالشورى وأما الموضع الثاني : فهو قول الله تعالى :

« **فما اوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله خير وابقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون.والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون.والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون** » الاية٣٦-٣٨الشورى والذي يتأمل في هذه الاية المباركة ، وينظر في تركيبها يجد ان الله قد ذكر الشورى ، كصفة من صفات عباده ـ بين ركنين أساسيين من أركان الاسلام هما : الصلاة ، والزكاة ، وهذا يدل على اهمية الشورى وأنها واجبة التنفيذ مثل الصلاة والزكاة .

دعوة الرسول الى الشورى :ـ

لقد دعا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى الاخذ بمبدأ الشورى في كل امر لم ينزل فيه وحي من الله ، ولم تمض فيه سنة من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

وهذه بعض الاحاديث الواردة عنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ في ذلك :ـ

١ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال :

« ما رأيت احدا قط كان أكثر مشورة لاصحابه من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ » (رواه الشافعي)
٢ ـ وعن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ قال : سئل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن العزم ، قال : ـ مشاورة اهل الرأي ، ثم اتباعهم ـ... » (رواه ابن مردويه)
٣ ـ وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : (المستشار مؤتمن) رواه ابو داود ـ والترمذي .
٤ ـ وعن جابر ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا استشار احدكم اخاه فليشر عليه » (رواه ابن ماجة) .

تطبيق الرسول للشورى :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ قدوة حسنة في تطبيق هذا المبدأ والزام نفسه به .
ولقد اشتملت سنته العملية على صور رائعة لمشاورة الرسول لاصحابه واليك ـ ايها القارىء الكريم ـ عرضا لبعض تلك المواقف التي استشار الرسول فيها أصحابه والزم نفسه فيها بمبدأ الشورى :

١ ـ مشاورة الرسول لاصحابه في غزوة بدر الكبرى :

وذلك حين خرج الرسول ومعه أصحابه لاستعراض قافلة تجارية لقريش بهدف الاستيلاء عليها ، فما أن علمت قريش بهذا النبأ ارسلت بجيش كبير مجهز بأحدث معدات عصره ، وهنا أراد الرسول ان يختبر مدى استعداد جنوده ، فلم يجد لذلك انجح من الشورى فطلبها منهم يروى ابن هشام في سيرته : ان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ استشار الناس واخبرهم عن قريش ، فقام ابو بكر فقال وأحسن ثم قام عمر فقال واحسن ، ثم قام المقداد بن عمرو فقال : « يا رسول الله امض لما اراك الله فنحن معك ، والله ما نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى **اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون** ، لكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون ، فو الذي بعثك بالحق لو سرت بنا الى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه ، فقال له رسول الله خيرا ثم دعا له » .
ثم قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ اشيروا على أيها الناس ، وانما يريد الانصار ، وذلك لانهم عدد الناس ، وانهم حين بايعوه بالعقبة قالوا يا رسول الله انا براء من ذمامك حتى تصل الى ديارنا ، فاذا وصلت الينا فأنت في ذمتنا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا فكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يتخوف الا تكون الانصار ترى عليها نصره الا ممن دهمه بالمدينة من عدوه ، وان ليس عليهم

آن يسير بهم الى عدو من بلادهم فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ قال له سعد بن معاذ : والله لكأنك تريدنا يا رسول الله ؟ قال : اجل قال : « قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك ، فو الذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره ان تلقى عدونا بنا غدا ، انا لصبر في الحرب ، صدق في اللقاء ، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك ، فسر على بركة الله ، فسر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقول سعد ونشطه ذلك ، ثم قال : سيروا ، وأبشروا فان الله قد وعدني احدى الطائفتين ، والله لكأني الان انظر الى مصارع القوم .

ـ ويروي ابن اسحق : انه في نفس تلك الغزوة نزل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بجيشه في ادنى ماء من بدر ، فسأله صحابي جليل هو الحباب بن المنذر ابن الجموح فقال يا رسول الله : أرأيت هذا المنزل امنزلا انزلكه الله ليس لنا ان نتقدمه أو نتأخر عنه ، أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟ قال : بل هو الرأي والحرب والمكيدة ، فقال : يا رسول الله : فان هذا ليس بمنزل : فانهض بالناس حتى نأتي ادنى ماء من القوم ، فننزله ثم نغور ما وراءه من القلب ثم نبني عليه حوضا فنملوء ماء ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ : لقد أشرت بالرأي ، فنهض رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ومن معه من الناس ، فسار حتى اذا اتى ادنى ماء من القوم نزل عليه ، ثم امر بالقلب فغورت ، وبنى حوضا على القليب الذي نزل عليه ، فملىء ماء ثم قذفوا فيه الانية » (سيرة ابن هشام ـ ج[٢] ـ ص ٤١١ ، ٤١٢)

٢ ـ مشاورة الرسول لاصحابه في أسرى بدر :

اخرج احمد ومسلم من حديث عمر ـ رضي الله عنه ـ في قصة بدر ، وفيه : « واستشار رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أبا بكر وعليا وعمر ، رضي الله عنهم فقال أبو بكر : يا رسول الله هؤلاء بنو العم والعشيرة والاخوان ، واني أرى ان تأخذ منهم الفدية فيكون ما أخذناه قوة على الكفار ، وعسى ان يهديهم الله فيكونوا لنا عضدا ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ما ترى يا ابن الخطاب ؟ قال : قلت : والله ما أرى ما رأى أبو بكر ، ولكن أرى أن تمكنني من فلان (قريب لعمر) فأضرب عنقه ، وتمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه ، حتى يعلم الله انه ليست في قلوبنا هوادة للمشركين ، وهؤلاء صناديدهم ، وائمتهم وقادتهم ،
فهوى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما قال أبو بكر ولم يهوما قلت ، واخذ منهم الفداء . فلما كان من الغد ، قال عمر : فغدوت الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وهما يبكيان ، فقلت : يا رسول الله اخبرني ماذا يبكيك انت

وصاحبك ؟ فان وجدت بكاء بكيت ، وان لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما فقال الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ للذي عرض على اصحابك من اخذهم الفداء قد عرض على عذابكم ادنى من هذه الشجرة (شجرة قريبة) وانزل الله تعالى : « **ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة والله عزيز حكيم . لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم.فكلو مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله ان الله غفور رحيم** » **٦٧ - ٦٩ / الانفال**

٣ - مشاورة الرسول لاصحابه في الخروج لغزوة احد :

لما سمع الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ والمسلمون بأن المشركين قد نزلوا مقابل المدينة ، قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ للمسلمين : اني قد رأيت والله خيرا ، رأيت في ذباب سيفي ثلما ، ورأيت أني أدخلت يدي في درع حصينة ، فأولتها المدينة فان رأيتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم ، حيث نزلوا ، فان ، أقاموا بشر مقام ، وان هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها ، وكان رأي عبد الله بن أبي بن سلول مع رأي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يرى رأيه في ذلك والا يخرج اليهم ، وكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يكره الخروج فقال رجال من المسلمين من اكرم بالشهادة يوم أحد وغيره ممن فاته بدر : يا رسول الله اخرج بنا الى أعدائنا ، لا يرون أنا جبنا عنهم وضعفنا ، فقال عبد الله بن أبي بن سلول : يا رسول الله اقم بالمدينة لا تخرج اليهم فو الله ما خرجنا منها الى عدو لنا قط إلا أصاب منا ، ولا دخلها علينا الا أصبنا منه ، فدعهم يا رسول الله ، فان أقاموا أقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال في وجههم ، ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم وان رجعوا ، رجعوا خائبين كما جاءوا ، فلم يزل الناس برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذين كان من أمرهم حب لقاء القوم حتى دخل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بيته فلبس لأمته ، وذلك يوم الجمعة حين فرغ من الصلاة ، وقد مات في ذلك اليوم رجل من الانصار يقال له مالك بن عمرو ، فصلى عليه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم خرج عليهم وقد ندم الناس ، وقالوا استكرهنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولم يكن لنا ذلك ، فلما خرج عليهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قالوا : يا رسول الله استكرهناك ولم يكن لنا ذلك ، فان شئت فاقعد ـ صلى الله عليك ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ (ما ينبغي لنبي اذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل ، فخرج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم في ألف من أصحابه . (سيرة ابن هشام ـ جـ[٣] ـ ص ٤٧٤٦)

وأود ان أشير هنا الى أن ما حدث للمسلمين من هزيمة في يوم أحد ليس معناه أن الشورى سبب في ذلك ، لان هزيمة المسلمين في تلك الغزوة كانت لأسباب لا علاقة

لها بالشورى منها مخالفة الرماة لأوامر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وانشغال المسلمين بجمع الغنائم .

٤ ـ مشاورة الرسول لاصحابه في صلح غطفان :

اخرج ابن اسحق عن الزهري قال :
(لما اشتد على الناس البلاء يوم الخندق) بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ الى عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر ، والى الحارث بن عوف بن ابي حارثة المري ، وهما قائدا غطفان ، فاعطاهما ثلث ثمار المدينة على ان يرجعا بمن معهما عنه وعن اصحابه ، فجرى بينه وبينهما الصلح حتى كتبا الكتاب ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح الا المراوضة في ذلك فلما اراد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ان يفعل بعث الى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة فذكر ذلك لهما واستشارهما فيه ، فقالا له يا رسول الله : امرا تحبه فنصنعه لك ، أم شيئا امرك الله به ولا بد لنا من العمل به ام شيئا تصنعه لنا ؟ قال : بل شيء اصنعه لكم ، والله ما اصنع ذلك الا لانني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم من كل جانب ، فأردت ان اكشف عنكم من شوكتهم الى امر ما ، فقال سعد بن معاذ : يا رسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الاوثان لا نعبد الله ولا نعرفه وهم لا يطمعون ان يأكلوا منها ثمرة الاقرى او بيعا ، افحين اكرمنا الله بالاسلام وهدانا له واعزنا بك وبه نعطيهم اموالنا والله لا نعطيهم الا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم ، قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فانت وذاك فتناول سعد بن معاذ الصحيفة فمحا ما فيها من الكتاب ، ثم قال : ليجهدوا علينا) .

(سيرة ابن هشام ـ ج ٣ ـ ص ١٦٣)

★ التزام الخلفاء الراشدين بالشورى :

على نفس الطريق التي سلكها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في الاخذ بمبدأ الشورى سار صحابته من بعده ـ ويكفينا في هذا المقام ان نستدل على صدق ذلك بالمواقف الاتية :

١★ اختيار خليفة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

عند وفاة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ رأى المسلمون ان يختاروا خليفة له يقوم بتدبير الامور من بعده وقد اسرعوا الى ذلك قبل القيام بواجب تشييعه ـ صلى الله عليه وسلم ـ حيث اجتمع كبار المهاجرين والانصار .. في سقيفة بني ساعدة ليتشاوروا في هذا الامر ، وبعد مناقشات ومشاورات اجتمع امرهم على ابي بكر

الصديق ، فبايعوه خليفة لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم بايعه عامة المسلمين مرة ثانية في المسجد ، وبذلك تكون تلك البيعة تطبيقا عمليا رائعا لمبدأ الشورى .

★ اختيار عمر خليفة لابي بكر :

رأى ابو بكر في فترة خلافته ان يجنب الامة ما حدث من خلافات عند وفاة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فما كان منه الا ان اختار لهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه واستشار كبار الصحابة في ذلك فاقتنعوا بهذا الاختيار ، لذلك فقد سارع المسلمون جميعا بعد وفاة ابي بكر الى مبايعة عمر بن الخطاب بالخلافة ، وهكذا نرى ان رأي الامة كان هو الاساس في اختيار عمر خليفة لابي بكر .

★ اختيار عثمان خليفة لعمر :

وعندما طعن عمر في المسجد ذهب اليه المسلمون وطلبوا منه ان يستخلف عليهم فقال لهم : ان استخلف فقد فعل ذلك من هو خير مني (يعني ابا بكر وان لم استخلف فقد فعل ذلك من هو خير مني (يعني رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم) .

ولكني ارى ان تكون شورى بين : عثمان بن عفان ، وعلي بن ابي طالب وعبد الرحمن بن عوف ، وطلحة بن عبيد الله ، وسعد بن ابي وقاص ، والزبير حتى اذا انتقل عمر الى جوار ربه اجتمع اهل الشورى ، وتشاوروا اياما ثم اختاروا عثمان بعد ان قام عبد الرحمن بن عوف بمشاورة كبار المهاجرين والانصار فبايعوه وبايعه الناس وهكذا تمت بيعة عثمان بالشورى ايضا .

٥ ـ مشاورة ابي بكر وعمر لاهل الرأي :

ويكفينا في هذا المقام ان نذكر دليلا واحدا على ذلك وهو ما اخرجه ابن سعد عن القاسم ان بابكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ كان اذا نزل به امر يريد فيه مشاورة اهل الرأي والفقه دعا رجالا من المهاجرين والانصار ، ودعا عمر وعثمان ، وعليا ، وعبد الرحمن بن عوف ، ومعاذ بن جبل ، وابي بن كعب ، وزيد بن ثابت ـ رضي الله عنهم ـ وكل هؤلاء كان يفتي في خلافته وانما يصير فتوى الناس الى هؤلاء ـ فمضى ابو بكر على ذلك ثم ولى عمر فكان يدعو هؤلاء النفر ،؛ وكانت الفتوى تصير وهو خليفة الى عثمان ، وابي وزيد) .

بعد ان عرضنا لتلك النماذج الطيبة وهذه الصور الرائعة التي تشهد بصدق التزام الرسول وصحابته بمبدأ الشورى ننتقل الى نقطة اخرى تأتي كنتيجة لما عرضناه وهي : « سمات الشورى في الاسلام » وفيما يلي عرض لبعضها :

★ الشورى ملزمة للحاكم :

ولقد كثر الكلام حول هذا الموضوع وتناوله كثير من علمائنا الاجلاء ما بين مؤيد ومعارض ولكل رأيه ودليله . ولكن المجال الان لا يتسع لتلك الخلافات .
وحسبي في هذا المقام ان اشير الى ما سبق من المواقف التي ذكرناها كنماذج لتطبيق الرسول وصحابته لمبدأ الشورى ، فهذه المواقف كافية في الاستدلال على تأييد ان الشورى في الاسلام ملزمة للحاكم .
والقول بان الشورى غير ملزمة للحاكم معناه الغاء ارادة الامة وخضوعها لنزعات الاستبداد الفردي عند الحاكم .

★ مجال الشورى ·

هو الامور التي لم ينزل فيها وحي من الله ولم ترد فيها سنة من رسول الله اما ما نزل فيه وحي من الله او وردت فيه سنة من رسول الله فلا مجال للشورى فيه اذ انه لا يقبل التغيير .

★ كيفية الشورى :

لم يحددها الاسلام وانما تركها للامة تكيفها مع ظروفها وتطوراتها .

★ تأخذ

● تأخذ الشورى في الاسلام برأي الاغلبية ، بل انها تحترم هذا الرأي احتراما شديدا ، وخير دليل على ذلك ما فعله الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ في غزوة احد حين نزل على رأي الاغلبية

● تخلو الشورى الاسلامية من مساوىء النظم الديمقراطية فهي لا تعرف الحزبية التي يمقتها الاسلام .

● الشورى الاسلامية تجنب الامة نزعات الاستبداد الفردي عند الحاكم كما انها تقي المجتمع من آراء الشذاذ .. وفي نهاية حديثنا عن الشورى في الاسلام نتمنى من الله سبحانه ان يوفق المسلمين الى العودة الى الشورى الاسلامية التي لا تعرف التقليد ، ولا تعرف العزف على انغام الغرب ، ولا التغني بانغامه والله المستعان .



تثبت العقيدة

للشيخ / عبد الحميد السائح

من الامور التي لا يختلف عليها اثنان ان العقيدة هي الاساس الذي يجب ان يعنى بتثبيتها واحكامها ، وازالة الشبه والغموض عنها حتى تكون صافية صفاء الاسلام نفسه ، وتكون واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار ، بعيدة عن الدجل والتخيلات والاوهام .

ومن المسلم به ايضا ان العقيدة في الاسلام كلما كانت متينة مكينة امكن البناء عليها والاستناد اليها وثبات صاحبها عند المحن ، وصموده عند الفتن ، ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكة المكرمة ، يهتم اولا بترسيخ العقيدة في نفوس اصحابه ، حتى تكونت فئة مؤمنة صمدت عند الشدائد وتحملت كل المصاعب ، وضحت في سبيل عقيدتها بكل شيء ، حتى اموالها وراحتها واصبح هدفها الاسمى الايمان بالله والحصول على رضاه ، وهجرت في سبيل ذلك اوطانها واقامت دولتها على اساس الايمان وعزة الاسلام ولا ريب أنه نشأ بعد ذلك فئات وطوائف في مختلف العصور جمحت عن طريق السداد وجنحت الى الانحراف ، والاضطراب سيرا وراء افكار فلسفية او آراء نظرية ، ينقصها التمحيص والتحقيق ويعوزها السند العلمي الدقيق .

ومن هذا القبيل ما انبهر به بعض الكتاب المعاصرين من دعوى الاعجاز العددي للقرآن الكريم لرقم ١٩ ، وبنوا على ذلك قصورا ونتائج لا تثبت امام نقاش علمي صحيح ، حتى وصلوا الى انكار ملائكة النار والى تحديد وقت الساعة .

وان ما تضمنه المقال القيم للمستشار حسين ناجي محيي الدين والمنشور في

الوعي الاسلامي العدد ٢١٤/ شوال ١٤٠٢ هـ اغسطس ١٩٨٢ م من نقد لمن تخيل الاعجاز في الرقم ١٩ ، وما ترتب عليه ، هو في محله غير ان المقال تضمن امورا ذات علاقة في اثبات العقيدة ، لا يصح السكوت عليها ولا المرور بها من غير تمحيص ولا تحقيق ، خصوصا ان غير الاستاذ المستشار ذهب الى ما يعارض تلك الامور ويناقضها ، كما يتجلى فيما يلي : يقول الاستاذ المستشار في مقاله المذكور :

١ ـ من المسلم الذي لا خلاف عليه بين علماء وائمة المسلمين بل عليه الاجماع في كل العصور ان الخبر اذا كان متعلقا بالعقيدة فانه يجب ان يكون تقينيا يعني متواترا ، فهذا الخبر اليقيني هو وحده الدليل القطعي في شأن العقائد ولا يؤخذ فيها بأي خبر ولو كان صحيحا الخ .

٢ ـ كل عقيدة يقررها خبر ظني ولو كان صحيحا فانها تكون مستبعدة ويكون القول بها رجما بالغيب ، واقحاما على الله ما لم يأذن بقوله الخ ..

٣ ـ ان المتدخل في الغيبيات اثباتا بغير دليلها المخصص لها وهو الخبر القطعي اليقيني او المتدخل فيها تأويلا بغير نفس دليل ثبوتها فقد ظلم نفسه وافترى على الله ، وادعى لنفسه ما ليس اليها فضلا عن انه ينحرف الى التكذيب والانكار والتحريف والتزوير الخ ..

والذي ذهب اليه الكاتب الكريم يتفق مع رأي بعض العلماء الاعلام ويقتضيه تعريف علم العقائد بانه « العلم بالعقائد الدينية المكتسب من الادلة اليقينية » كما جاء في كتاب « فلسفة التوحيد او اشرف المقاصد ، للعلامة احمد بن محمد المكناسي من علماء القرن السادس الهجري في عهد الدولة المولوية الهاشمية الاسماعيلية . وذهب اخرون الى ان العقيدة تثبت بحديث الاحاد اذا كان صحيحا وهو ما يقتضيه تعريف علم العقيدة بانه « علم يقتدر منه على اثبات العقائد الدينية بايراد الحجج ، ودفع الشبه ، كما جاء في كتاب « المواقف » للعلامة عبد الرحمن ابو الفضل عضد الدين الايجي ، وهو من علماء القرن الثامن الهجري ، وذلك ما ذهب اليه الاستاذ محمد ناصر الالباني في رسالته « وجوب الاخذ بحديث الاحاد في العقيدة » ص ٥ وفي رسالته الاخرى « الحديث حجة بنفسه في العقائد والاحكام ص ٢٥ ـ ٤٥ ورأى ان القول بان العقيدة لا تثبت الا بالدليل القطعي وهو القرآن الكريم والحديث المتواتر ، قول مبتدع لا اصل له في الشريعة الغراء ولم يعرفه السلف الصالح ولم ينقل عن احد منهم الخ ..

وازاء هذين الاتجاهين المتضاربين رأيت ان احقق الموضوع من جميع اطرافه واعتمد على ما قرره الاسلاف من العلماء الاثبات خدمة للحقيقة وتجلية لها ، ومعاونة في تحديد ما تثبت به العقيدة في الاسلام ، وما يترتب على ذلك من نتائج :

١ ـ ان الرسول صلى الله عليه وسلم حين يحدث اصحابه في اي شأن من شئون الدين ، انما يبلغ ما امره الله بتبليغه كما قال سبحانه : **وما ينطق عن الهوى . ان هو الا وحي يوحى .**

٢ ـ ان الصحابي بعد ان يؤمن برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فانه

يتيقن صدق ما اخبر به الرسول وسمعه منه عن الله سبحانه ، لا فرق في ذلك بين شئون العقيدة او الاحكام العملية الدنيوية الاخرى وسواء استند خبر الرسول الى آية منزلة ، او حديث نبوي ، وكلاهما يفيد اليقين ، ولا مساغ للقول حينئذ بالتواتر والاحاد .

٣ ـ بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وانقطاع الوحي ، وتفرق اصحابه في الامصار ، وقبل تدوين الاحاديث في مسانيد وصحاح وسنن ، كانت العمدة على الرواية فاذا كان الراوي ثقة اعتمدت روايته والا اخذ بالاحكام المبنية في علمي الاصول ومصطلح الحديث في ذلك .

٤ ـ ما نقل من الاحاديث والسنن ، منه ما وصل الينا بطريق التواتر ، اي نقله جماعة عن جماعة لا يحتمل تواطؤهم على الكذب ، في جميع مراحل النقل حتى تصل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومثل هذا النوع من الاحاديث المتواترة لا خلاف بين علماء المسلمين وأئمتهم في الاعتماد عليه في العقيدة والاحكام وانه يفيد اليقين واما ما وصل الينا بطريق الاحاد فسيعرف حكمه مما يلي :

٥ ـ جميع ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشرع والبيان كله حق ، وطريق اهل السنة ان لا يعدلوا عن النص الصحيح ولا يعارضوه بمعقول ولا بقول احد . قال البخاري رحمه الله ، سمعت الحميدي يقول : كنا عند الشافعي رحمه الله فأتاه رجل فسأله عن مسألة فقال : قضى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا وكذا فقال رجل للشافعي ، ما تقول انت ، فقال : سبحان الله ، تراني في كنيسة ؟ تراني في بيعة ؟ تراني على وسطي زنار ؟ اقول لك : قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وانت تقول : ما تقول انت ؟ ونظائر ذلك في كلام السلف كثير . وقال تعالى :(وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم)الاحزاب /٣٦ .

وخبر الواحد اذا تلقته الامة بالقبول عملا به وتصديقا له يفيد العلم اليقيني عند جماهير الامة ، وهو احد قسمي المتواتر ، ولم يكن بين سلف الامة في ذلك نزاع .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرسل رسله آحادا ويرسل كتبه مع الآحاد ولم يكن المرسل اليهم يقولون : لا نقبله لانه خبر واحد الخ ..[٢] .

٦ ـ وفي شرح مسلم الثبوت من كتب اصول الفقه المعتبرة جملة من الاحكام المتعلقة تتلخص بما يلي :

أ ـ الاكثر من اهل الاصول ، ومنهم الائمة الثلاثة ابو حنيفة ومالك والشافعي على ان خبر الواحد ان لم يكن المخبر معصوما نبيا ، لا يفيد العلم مطلقا ، « يقصد بالعلم هنا وجوب الاعتقاد » ، وقيل يفيد بالقرينة وقيل يفيد العلم مطلقا وعن الامام احمد ان هذا مطرد في جميع الحالات .

ب ـ الاجماع على العمل به في حياته صلى الله عليه وسلم .

جـ ـ تحريم العمل بالظن ، المدلول عليه بالايتين : ولا تقف ما ليس لك به علم الاسراء /٣٦ و« ان يتبعون الا الظن»النجم /٢٨ مخصوص باصول الدين فان الظن واجب الاعتبار في العمليات بالدلائل القطعية .

٧ ـ في فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ، يجب العمل بالاحاديث الصحيحة ، التي لا يعلم لها معارض يدفعها وهي تنقسم الى ما دلالته قطعية ، بان يكون قطعي السند والمتن ، وهو ما تيقنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قاله ، وتيقنا انه اراد به تلك الصورة والى ما دلالته ظاهرة غير قطعية .

فأما الاول فلا خلاف بين العلماء في الجملة انه يجب اعتقاد موجبه علما وعملا . وقد اختلفوا في خبر الواحد الذي تلقته الامة بالقبول والتصديق او الذي اتفقت على العمل به . فعند عامة الفقهاء واكثر المتكلمين انه يفيد العلم ، وذهب طوائف من المتكلمين انه لا يفيد .

واما القسم الثاني وهو الظاهر فهذا يجب العمل به في الاحكام الشرعية باتفاق العلماء المعتبرين فان تضمن حكما علميا مثل الوعيد ونحوه فقد اختلفوا فيه فذهب طوائف من الفقهاء الى ان خبر الواحد العدل اذا تضمن وعيدا على فعل فانه يجب العمل به في تحريم ذلك الفعل ، ولا يعمل به في الوعيد الا ان يكون قطعيا وكذلك لو كان المتن قطعيا لكن الدلالة ظاهرة .

وذهب الاكثرون من الفقهاء وهو قول عامة السلف الى ان هذه الاحاديث حجة في جميع ما تضمنته من الوعيد ، فان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين من بعدهم ما زالوا يثبتون بهذه الاحاديث الوعيد كما يثبتون بها العمل الخ .

٨ ـ وقال الامام الحافظ أبو عمر يوسف المعروف بابن عبد البر الاندلسي واختلف أصحابنا وغيرهم في خبر الواحد العدل ، هل يوجب العلم والعمل جميعا ، أم يوجب العمل دون العلم ؟ والذي عليه أكثر أهل العلم منهم انه يوجب العمل دون العلم ، وهو قول الشافعي وجمهور أهل الفقه والنظر ، ولا يوجب العلم عندهم الا ما شهد به على الله ، وقطع العذر بمجيئه قطعا ولا خلاف فيه . وقال قوم كثير من أهل الاثر وبعض أهل النظر انه يوجب العلم الظاهر والعمل جميعا ، ثم قال : والذي نقول به انه يوجب العمل به دون العلم ، وعلى ذلك أكثر أهل الفقه .

٩ ـ ذكر المرحوم الشيخ محمد أبو زهرة في كتابه « العقيدة الاسلامية » ان الامام الشافعي في الرسالة أول من تعرض لتقسيم العلم بالاحكام التكليفية العملية والاعتقادية الى قسمين :

الأول ـ سماه علم العامة .

الثاني ـ سماه علم الخاصة .

أما علم العامة فلا يسمع بالغا غير مغلوب على عقله جهله ، مثل الصلوات الخمس وصوم رمضان والحج على المستطيع والزكاة ، وانه حرم عليه الزنا ،

والقتل والسرقة والخمر ، وما كان في معنى ما ذكر .
وأما علم الخاصة ، فما يعرض للناس من فروع الشريعة ، التي ليس فيها نص كتاب لا يحتمل التأويل ، ولم يكن فيها نص متواتر ، عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، أو وجد نص ولكن بخبر الاحاد ، لا بالخبر المتواتر أو كانت النصوص فيه قابلة للتأويل ، ثم قال : ومن امتنع من قبول ما جاء في الكتاب أو السنة المجمع عليها ، استتيب ، أما خبر الخاصة (أي حديث الاحاد) فهو ملزم للعاملين في العمل وليس لهم رده ، ولكن لو شك شاك في هذا لم نقل له ـ تب ـ بل نقول له : ليس لك أن تشك . ثم قال الاستاذ أبو زهرة ، وعلى منهاج الشافعي نسير ، والأصل في اثبات العقائد لا يكون الا بالكتاب الذي لا يقبل التأويل ، والسنة المتواترة ، التي تثبت العلم الضروري ، وأما خبر الواحد فانا نرى انه مع وجوب منع رده ووجوب قبوله ، لا يثبت العقائد اثباتا قطعيا ، فاذا كان قد ذكر بالسنة غير المتواترة أمور اعتقادية كبعض الاخبار عما يكون يوم القيامة وعما يكون في الجنات من نعيم مقيم ، وعما يكون في آخر الزمان من أخبار الدجال ونزول المسيح عليه السلام وغير ذلك مما ذكر في أخبار الآحاد التي يرويها الثقات العدول فانا نقبله ولا نرده ، ولكن لأن التكفير أمره خطير واعتبار المسلم مرتدا ، مع احتمال الغلط في أخبار الآحاد يمنع من اعتباره قطعيا في السند ، وكذلك ما يكون متواترا يحتمل التأويل غير المتكلف ، فانه يقبل النص ولكن لا يعتبر مرتدا الخ .

الخلاصة

١ ـ ما ذكره المستشار حسين ناجي ، في المقال المذكور من أنه (لا خلاف بين علماء وأئمة المسلمين في كل العصور وان الاجماع انعقد عليه ، وهو أن الخبر اذا كان متعلقا بالعقيدة فانه يجب أن يكون متواترا ، وان هذا الخبر اليقيني هو وحده الدليل القطعي في شأن العقيدة ، ولا يؤخذ فيها بأي خبر آخر الخ غير دقيق ، بل ان ذلك موضع خلاف كما عرف مما سبق .
٢ ـ ما ذكره المستشار أيضا من أن كل عقيدة يقررها خبر ظني ولو كان صحيحا فانها تكون مستبعدة ويكون القول بها رجما بالغيب الخ ليس صحيحا أيضا ، وان كان يسوغ له أن يختار القول بأن العقيدة لا تثبت الا بخبر قطعي ، دون الطعن بعقيدة من يقول بغير ذلك .
٣ ـ قول المستشار أيضا ، ان المتدخل في اثبات الغيبيات بغير الدليل القطعي يكون قد افترى على الله ، فيه مجازفة ومخالفة لآراء بعض الأئمة الاثبات الذين أشرت اليهم .
٤ ـ ما ذهب اليه الاستاذ محمد ناصر الالباني ، من وجوب الأخذ بالعقيدة بحديث الاحاد ، وان القول بأن العقيدة لا تثبت الا بالدليل القطعي قول مبتدع ولا أصل له في الشريعة ولم يعرفه السلف الصالح ولم ينقل عن أحد منهم الخ قول غير صحيح أيضا ، ويتعارض مع ما نقلناه عن الامام الشافعي وعن شيخ الاسلام ابن تيمية وعن الحافظ ابن عبد البر الاندلسي .
٥ ـ والذي اختاره ليكون منهجا في العقيدة متفقا مع كل الاتجاهات السليمة هو ما يلي :
أولا ـ من أنكر شيئا من أمور الدين ، وهو يعلم أن الرسول صلى الله عليه وسلم حدث به أو

قرره فقد طعن في صدق الرسول وكذب برسالته ، ويلحق به من أهمل العلم بالمتواتر ، والمعلوم من الدين بالضرورة وهو ما في القرآن الكريم والسنة المتواترة ، ومثل هؤلاء يستتابون ، لأنهم سلكوا طريقا غير طريق المؤمنين ، ولا يعتبرون من المسلمين الا اذا تابوا وأصلحوا وعدلوا عن انحرافهم .

ثانيا : كل مسلم له قدرة النظر في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية اذا ظهر له فيها وجه لا يتصادم مع نصها ، ولا يتعارض مع النصوص والآيات الاخرى ، ولا يؤدي الى انكار أية عقيدة وردت في الكتاب أو السنة المتواترة ، فلا يجوز لنا أن نكفره ونعتبره خارجا عن الاسلام ، لمخالفته المشهور بين العلماء أو لاعتقاده وجها غير مألوف ، وان كان الأجدر بالمسلم أن يتمسك بعقيدة السلف المعروفة عن الصحابة والتابعين ، والأئمة المجتهدين ، دون الدخول في تفصيلات لم تثبت بطريق صحيح يعتمد عليه .

أما اولئك الذين لا خبرة لهم بشؤون الدين واحكامه ولا معرفة لهم بأصول اللغة وقواعدها فليس لهم أن يخرجوا على الناس بأمور تحللهم من فرائض دينهم ، أو تحل لهم ما حرم عليهم بنصوص القرآن ، والاحاديث المعول عليها أو تبعدهم عن نهج الاسلام وقواعده الصحيحة .

ثالثا ـ القول بعدم اعتماد الاخبار والاحاديث النبوية ، والاقتصار على ما في كتاب الله ، أو التفريق بين السنة العملية والسنة القولية ، هو مناف للاسلام ومصادم للقرآن وهوبدعة بعض المنحرفين من أهل الضلال ولم يقل بذلك أحد ممن يعتد بقوله . قال تعالى : « **وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون** » .. النحل / ٤٤ وهل سنة الرسول وأحاديثه الصحيحة ، سواء كانت عملية أو قولية الابيان وتوضيح ما اشتمل عليه القرآن من العقائد والاحكام .

رابعا : القول باعتماد أخبار الأحاد التي رواها الثقات في العقيدة والعمل هو مذهب كثير من أئمة المسلمين وعلمائهم في جميع الامصار ، ولذلك فما نقل عن البعض من تحريم أخذ العقيدة من أخبار الاحاد ، قول غير صحيح أيضا ولا يعول عليه .

خامسا : لا يجوز تكفير من لم يعتمد في العقيدة على خبر الاحاد ، ولا من يؤول النصوص القطعية الثبوت تأويلا يحتمله لفظها ، حسب قواعد اللغة العربية وأصولها ، وذلك لأن التكفير أمره خطير ، ويجب أن يعتمد على الأمور القطعية التي لا تحتمل الغلط ؛، وفي حديث رواه البخاري : اذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما . أما اذا كان النص قطعي الثبوت قطعي الدلالة مثل : وأحل الله البيع وحرم الربا . ومثل ما ورد في تحريم الخمر والزنا ونحو ذلك ، فلا مجال للتأويل فيها أو الاجتهاد بنصوصها ، وكل من يخالف ذلك ، فقد سلك طريقا غير طريق المؤمنين ، ويستتاب حتى يعتبر من جماعة المسلمين ، وهذا هو الطريق السليم الذي به يصان الاسلام ، من عبث العابثين ، وهراء الملحدين ، وتلاعب المستهترين ، .

قال تعالى : « **هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا** » **الفتح** /٢٨ .

نسأل الله أن يوفقنا جميعا للحرص على رضاه وأن يختم لنا بخاتمة السعادة والحسنى ، « ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب » .

بمناسبة رحيل ابطال المقاومة الفلسطينية عن بيروت في ذي القعدة ١٤٠٢هـ - اغسطس ١٩٨٢م

وصية شهيد

للاستاذ محمود عبد اللطيف فايد

يا اخوتي في عالم الأحياء ... لا وقت للعبرات عند رثائي !!
أنا عامر ساح الخلود وهانىء ... بمشاهد التكريم والاعطاء
كشف الغطاء عن العيون فراعها ... سحر من الفردوس ، فيض بهاء
حيث الورود بنظمها وعبيرها ... فرحى تحيي موكب الشهداء
وتمايل الأغصان يعرض لوحة ... لتآلف وتمازج وصفاء
والحور أرسلن اللحون تحية ... للقادمين على سنا وسناء
(عمر) أبو الشهداء يقدمنا هنا ... كالوالد المتبوع بالأبناء
كل أراد المعتدون فناءه ... والله يأبى غير حسن بقاء :
مامات من يهدى على درب العلا ... خطواتنا ، والعزة الشماء

ooo

أرأيتم قومي جميل نهايتي ... وشراسة الأعداء في أجوائي ؟
وتخاذل الأحباب عن صد العدا ... وكأن في حسن الكلام عزائي !
والكون يعجب من بطولة شعبنا ... والمجد يرمقنا على استحياء !
سبعون يوما في جحيم هائل ... وعزيمتي أقوى من الأرزاء
حسبوا الحصار معجلا لنهايتي ... فحصرتهم في بقعة سوداء
ولكم رجا (شارون) نصرا عاجلا ... مترقبا للراية البيضاء
لكنني أرهقته وأغظته ... وعلا يناطح حائط الشهباء
هل ينكر التاريخ حكمة (ياسر) ... وثباته في ساحة الأشلاء ؟
وتبسم الاخوان في جمر اللظى ... وصمودنا في قوة وفداء ؟
ولكل سيف نبوة لكنما ... خطأ القيادة مرهق الأعباء

ooo

يا إخوتي : مازلت أذكر عالما ودّعته ومعالم الأشياء
وربوع (صيدا) قطعة من موطني كيف اعتُبرت بها من الغرباء ؟
الأرض أرضي ، والفضاء يظلها جوى ومسرح زاجلي وسمائي

ooo

آه لصهيون مآرب في دمي يسعى لها في خِسَّة ودهاء
من شردوا في الأرض صاروا فيلقا يهزا بنا ويطل من علياء !!
يتوحدون على اختلاف لغاتهم لمذلتي وإهانتي وشقائي
و(العم سام) كم يؤيد طيشهم لصّان كم دأبا على إيذائي
عجبا خزائنه تضيق بثروتي والمر لي ، والشهد للأعداء
ما عاد يلمحنا كجسم واحد شتان بين حجارة وبناء
وتلاحم الذرات يصنع طودنا من بعد ما قد كن شبه هباء

ooo

أبني أبي : بالله لا تتفرقوا فالخلف يبقينا مع الضعفاء
الدين والأصل العريق موحد ماح لليل الضعف والشحناء
فلم الشرود عن الصواب كأننا لم نقتنع بتتابع الأرزاء !
لا تحرق المأساة حسن جهادكم لله فوق محجة بيضاء !!
طلقات خصمي لم تفرق بيننا بجنوب لبنان ولا الصحراء
أقطارنا كُوِيَت بفاجر غدرها كم نددت بالطعنة النكراء
الثأر لا التنديد يردع باغيا والنار فوق بلاغة البلغاء
جل المصاب ولن يفيدكم الأسى وتصارع التهمات والآراء
والتبر فوق النار يصفو جوهرا وسنا الخطوب منارة الحكماء

ooo

هذا عدوي قد بلوتم غدره فإلام ترجى (لعبة الوسطاء) ؟
هل نأمن الأفعى وشر سمومها في حجرنا أو نتقي بدواء ؟
الحل معروف وفي إمكانكم لو عشتم في وحدة وإخاء
والنصر ظلّ المؤمنين بربهم أسد الورى ببطولة وفداء
العاملين لدينهم ولعزهم السائرين على خطا الشهداء

ooo

يا إخوتي : إني صدقتكم الهدى ووصيتي سطرتها بدمائي
أترى تحل قلوبكم وعقولكم فتريحكم من نكبة سوداء
لا تنمحي بتخلف وتمزق أو تنجلي بنذالة العملاء

ooo

لا يأس مهما طال ليل محزن فالفجر قارب مؤذنا بضياء
فجر التوحد والتقدم والعلا فجر الشباب لأمتي المعطاء

التحاسد

من مأثورات عمر بن ابي ربيعة الشاعر قوله :

حسداً حملنه من أجلها   وقديما كان في الناس الحسد

اي ان الحسد موجود في الانسان منذ خلق ، وبسببه قتل احد ابني ادم اخاه على قرب عهد بالجنة ، وعلى قلة ما جد في الدنيا من اسباب تؤدي الى الاثرة والتحاسد والتنافس . ولكنه الداء الوبيل الذي اعده الشيطان ليكيد للانسان ، والذي كان طبعا في ابليس فاراد ان يبثه في بني ادم ليفسد به حياتهم وينغص معيشتهم ، روى ابن القاسم عن مالك ـ فيما يحكيه القرطبي في تفسيره ـ انه قال : بلغني ان اول معصية كانت الحسد والكبر ، حسد ابليس ادم . حسده ـ كما قال قتادة ـ على ما اعطاه الله من الكرامة ، وحين امر الملائكة بالسجود له .

ومما ينسب الى علي كرم الله وجهه فيما يرويه كتاب بهجة المجالس : قال ابليس لجنوده : القوا بين الناس التحاسد والبغي لانهما يعدلان الشرك .

وسرى هذا الداء الوبيل الى قابيل الذي حسد اخاه هابيل الذي تقبل الله قربانه فقتله ، وقص الله قصتهما في سورة المائدة حيث قال جل شأنه : (**واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر ، قال لاقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين**) الى اخر الايات من ٢٧ الى ٣٢ ـ المائدة .

ولم ينج من الحسد اخص الناس من سلالة الانبياء والمقربين ، واخوة يوسف الذين حسدوا اخاهم خير شاهد على ذلك .

وتوارث الناس هذا الحسد الذي اثمر البغي حتى قال الشاعر :

جنى الضغائن اباء لنا سلفوا   فلن تبيد ، وللآباء ابناء ..

بين علماء

للاستاذ / عبد الحفيظ فرغلي علي القرني

مفهوم الحسد : والحسد هو ان يتمنى الانسان زوال نعمة انعمها الله على غيره ، ومرده الى الحقد والشر وسوء الطبع ، ومن اجل ذلك امرنا الله بالاستعاذة منه ومن اهله « ومن شر حاسد اذا حسد » وهو من الكفر بالله لان صاحبه اساء الظن بربه على نحو ما فسره « منصور الفقيه » الذي روى صاحب كتاب محاضرات الادباء قوله :

الا قل لمن بات لي حاسدا اتدري على من أسأت الادب
اسأت على الله في حكمه لأنك لم ترض لي ما وهب

وزاد بعضهم :

فكان جزاؤك ان زادني وسد عليك باب الطلب .

وهذا النوع من الحسد مذموم ، وقد امرنا الله بمقاومته في نفوسنا .

الحسد والغبطة : وهناك لون من الحسد هو ما يسمى الغبطة ، وهي ان تتمنى مثل حال صاحبك قال عليه الصلاة والسلام : المؤمن يغبط والمنافق يحسد ، وعليه قوله عليه الصلاة والسلام « لا حسد الا في اثنتين رجل اتاه الله مالا فهو ينفقه في الحق ، ورجل اتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها » رواهما ابن عبد البر النمري في كتابه بهجة المجالس .

ولأن الحسد يكاد يكون طبيعة في ابن ادم ، وضع النبي صلى الله عليه وسلم له انواعا من العلاج اهمها عدم البغي .. فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه يوسف بن محمد بن عبد البر النمري في كتابه السابق انه قال : ثلاثة لا يكاد

يسلم منهن احد : الطيرة والحسد والظن . قيل فما المخرج منهن يا رسول الله ؟ قال : اذا تطيرت فلا ترجع واذا حسدت فلا تبغ واذا ظننت فلا تحقق .

مبعث الحسد : ومبعث الحسد في النفس ما ركب فيها من حب الغنى والسيطرة والأثرة وحب التملك والرغبة في الاستعلاء . فاذا ما وجدت من يفوقها في ذلك استطار شرها ، وعلى ذلك فان النعم التي يفيئها الله على عباده من الأسباب التي تثير الحسد في النفوس ، حتى ورد الأثر الكريم : « كل ذي نعمة محسود » وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « ما كانت على أحد نعمة الا كان لها حاسد ، ولو كان الرجل أقوم من القدح لوجد له غامزا » .

وعلى الرغم من أن الانسان قد نهى عن الحسد وأمر أن يقوم نفسه بالجهاد حتى لا تقع في هذا الداء الوبيل وشره المستطير ، إلا أننا نجد هذا الداء مستشريا حتى بين العلماء أنفسهم الذين نصبوا أدلة على الهدى ومعالم للتقوى وأمثلة صالحة للايثار والتواضع .

ولو حسد جاهل عالما لهان الأمر لأن الناس أعداء ما جهلوا كما يقولون : ولأن الشاعر الحكيم أجاد تقرير ذلك حين قال :

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه ... فالقوم أعداء له وخصوم
كضرائر الحسناء قلن لوجهها ... حسدا وبغضا إنه لدميم

أما أن يحسد عالم عالما فذلك هو العجب ، ومرده ـ كما أسلفت القول ـ الى ما ركب في الطبع من ذلك الداء الوبيل الذي لا يكاد يسلم منه أحد الا من عصم الله ووفقه في أن يتغلب عليه بمجاهدة النفس وحملها على الاعتدال والكف عن البغي .

ولأن تحاسد العلماء فيما بينهم قد اشتهر أمره ، وجرت به أقلام المؤرخين ، ووعته بطون الصحف ، وردت الحكمة التي رواها الراغب الأصفهاني في كتابه محاضرات الأدباء : هلاك العلماء بحسدهم ، ولعله يقصد أن الحسد بينهم يؤدي الى أن يكيد بعضهم لبعض ، أو يؤدي الى غلبة الانفعال المفرط الذي يثير جيشان الدم الذي يقتل صاحبه إما فرحا أو غما ، كما حدث ذلك بالنسبة لسيبويه الذي تناظر مع الكسائي في مجلس الرشيد فخذل ظلما فمات كمدا وحزنا ... وسيأتي ذكر هذه القصة إن شاء الله تعالى .

وبسبب ذلك الحسد الذي يؤدي الى ركوب البواطل أحيانا لأنه يرغب في الانتصار للنفس لا للحق قال ابن عباس رضي الله عنهما : لا تقبلوا قول العلماء بعضهم على بعض فإنهم يتغايرون.

وقد تكون الغيرة غير الحسد ولكنها فرع منه على أي حال ، فالغيرة تدفع الى التنافس وطلب الكمال كما تؤدي الى صون العلم عن غير أهله والمحافظة عليه من الابتذال ، ولعل هذه الغيرة هي المعنية في قول الأشج : إني لأغار على الحديث كما

يغار على الجارية الحسناء .

أمثلة من تحاسد العلماء :

ومما يروى في ذلك ما يحدث به الرواة في كتبهم مما كان يدور في مجالس الخلفاء والأمراء بين العلماء من مناظرات يثيرها التحاسد وتثيره ، وقد يؤدي ذلك الى ذهاب التحفظ ويدفع الى الخفة التي تستوجبها حلاوة الظفر أو الغم الذي يستجلبه الخذلان .

حدث الحريري في كتابه درة الغواص قائلا :

جمع الرشيد بين أبي الحسن الكسائي وأبي محمد اليزيدي ليتناظرا عنده ، وقد علم اليزيدي أنه يقصر عن الكسائي في النحو ، فابتدره في اللغة قائلا : كيف تقول : تمرة مذنبة ـ بكسر النون المشددة ـ أو مذنبة ـ بفتح النون ؟

فلم يأبه الكسائي لقوله ، بل ظن أنه قال بسرة . فقال : أقول مذنبة بكسر النون فقال : إذا كان ماذا ؟ قال : اذا بدا الارطاب من أسفلها .

فضرب اليزيدي بقلنسوته الارض ، وقال : أنا أبو محمد اليزيدي وقد أخطأت يا شيخ ، التمرة لا تذنب وإنما البسرة تذنب .

فغضب عليه الرشيد وقال : أتكتني بمجلس وتسفه على الشيخ ؟ والله إن خطأ الكسائي وحسن أدبه أحب الى من صوابك مع قبح أدبك ، فقال : يا أمير المؤمنين إن حلاوة الظفر أذهبت عني التحفظ ، فأمر باخراجه .

فحرص اليزيدي على الظفر حسدا للكسائي الذي كانت له منزلة في بلاط الرشيد جعلته يبادر بالسؤال في ميدان آخر غير ميدان النحو ، ولا يلقي بالسؤال صريحا حتى يموه الأمر على المسئول ، ولكنه على كل نال جزاءه من الرشيد . ويبدو أن أبا محمد اليزيدي كان مولعا بإظهار علمه بين يدي الخلفاء والامراء فقد حكى صاحب مهذب الأغاني في الجزء الثامن في ترجمته هذه القصة :

قال أبو محمد اليزيدي : كنا مع المهدي قبل أن يستخلف بأربعة أشهر ، وعنده شيبة بن الوليد العبسي ، فجمع بيننا مجلس وفيه الكسائي .

ودارت المناظرة حول النسب الى كلمتي البحرين والحصنين ، حيث قالوا في النسب الى البحرين : بحراني ، وفي النسب الى الحصنين : حصني ولم يقولوا : حصناني .

فقال اليزيدي : لو أنهم نسبوا الى البحرين فقالوا بحري لم يعرف أإلى البحرين نسبوا أم الى البحر ولكنهم حين نسبوا الى الحصنين لم يكن هناك موضع آخر يقال له الحصن فقالوا حصني .

قال الكسائي : لما نسبوا الى الحصنين كانت فيه نونان فقالوا حصني اجتزاء بإحدى النونين عن الأخرى ، ولم يكن في البحرين الا نون واحدة فقالوا : بحراني ...

قال اليزيدي : فكيف تنسب الى بني جنان فإنه يلزم على ذلك أن تقول : جنى ، ولكنهم قالوا جناني . فسكت الكسائي .

ثم تناظرا في ضبط كلمة « خيرهم » في هذه العبارة : إن من خير القوم أو خيرهم بتة زيدا . فضبطها الكسائي بالرفع ، وعلل شيبة الذي كان حاضرا المجلس ذلك بأن أو بمعنى بل .

ولكن اليزيدي خطأهما وقال بل هي بالنصب . كما ورد في قول الشاعر :

يـأيـهـا السـائـلي لأخبـــــره ... عمن بصنعاء من ذوي الحســـــب
حمـير سـادتـهـا تقـر لـهـــا ... بالفضل طـرا جحاجح العـــرب
وإن مـن خيـرهـم وأكـرمـهـم ... أو خيـرهـم بتـة أبـو كـــرب

وعلة النصب تقدير إعادة إن ...

واستشهدوا بفصيح من فصحاء العرب فوافق على ذلك . فاستفز اليزيدي السرور حتى ضرب الأرض بقلنسوته وقال : أنا أبو محمد ...

فقال شيبة : أتكتني بحضرة الأمير ؟ فقال المهدي : والله ما أراد بذلك مكروها ولكنه فعل ما فعل للظفر وقد لعمري ظفر .

فقال اليزيدي : إن الله عز وجل أنطقك بما أنت أهله وأنطق غيرك بما هو أهله .

فلما خرجوا قال شيبة : أتخطئني بين يدي الأمير ؟ أما لتعلمن .

قال اليزيدي : قد سمعت ما قلت وأرجو أن تجد غبها ـ عاقبتها ـ .

ثم كتب اليزيدي رقاعا فيها أبيات من الشعر تهجو شيبة لم تلبث أن ذاعت في الناس .

وهذا هو الجانب غير المحمود في القصة . وهو أن يؤدي التغاير والتحاسد الى التهاجي .. والتناظر في العلم أمر طيب ، ولكن ينبغي أن يكون منصرفا الى التعليم وبيان وجه الحق لا الى الانتقاص من أقدار الناس . والكسائي لم يخطىء في ضبطه ، ولكن الحسد يفعل الكثير ..

ويذكر الدميري في حياة الحيوان أن المناظرة بين الكسائي واليزيدي في مجلس الرشيد ، كانت بسبب آخر غير ما ذكر ، وهو أن اليزيدي سأل الكسائي عن إعراب كلمة مهر في آخر البيتين الآتيين :

مـا رأينـــا قـط خـــربـا ... نقـر عنـه البيض صقــــر
لا يكـون العيـــــر مهـــرا ... لا يكـون المـهـــر مـهـــر

ـ الخرب ـ نوع من الطيور ـ العير : الحمار .

فقال الكسائي : يجب أن يكون المهر منصوبا على أنه خبر يكون ، ففي البيت إقواء ، فقال اليزيدى : الشعر صواب ، لأن الكلام قد تم عند قوله لا يكون ، ثم

استأنف فقال : المهر مهر . والنتيجة التي توصلنا اليها من الحوار على كل لا تختلف ..

بين الكسائي والمفضل الضبي وذكر السيوطي في كتاب المزهر ما نقله عن الزجاجي في أماليه ، قال : أخبرنا أحمد بن سعيد الدمشقي ، قال : قال المفضل الضبي : وجه الى الرشيد فما علمت إلا والرسل تطلبني ، فخرجت حتى صرت إليه وهو متكىء ومحمد بن زبيدة عن يساره والمأمون عن يمينه ، فسلمت عليه ، فأومأ إلي بالجلوس فجلست ، فقال : يا مفضل ، كم في «فسيكفيكهم الله» من اسم ؟ فقلت : الياء لله عز وجل والكاف الثانية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، والهاء والميم والواو للكفار . قال : صدقت كذا أفادنا هذا الشيخ ، يعني الكسائي وهو إذن جالس .

ثم قال : فهمت يا محمد ؟ قال : نعم ، قال : أعد المسألة فأعادها كما قال المفضل . ثم التفت فقال : يا مفضل عندك مسألة تسأل عنها ؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين ، قول الفرزدق :

أخـذنـا بـآفـاق السمـاء عليكم   لنـا قمـراهـا والنجـوم الطـوالـع

قال : هيهات ، قد أفادنا هذا متقدما قبلك هذا الشيخ ، لنا قمراها يعني الشمس والقمر كما قالوا سنة العمرين ، يريدون أبا بكر وعمر . قلت زيادة يا أمير المؤمنين في السؤال . قال : زد .

قلت : فلم استحسنوا هذا ؟ قال : لأنه اذا اجتمع اسمان من جنس واحد وكان أحدهما أخف على أفواه القائلين غلبوه فسموا الأخير باسمه .

قلت : بقيت مسألة أخرى ، فالتفت الى الكسائي وقال : أفي غير ما قلت ؟ قلت : بقية الفائدة التي أجراها الشاعر المفتخر في شعره . قال : وما هي ؟ قلت : أراد بالشمس إبراهيم عليه السلام خليل الرحمن ، وبالقمر محمدا صلى الله عليه وسلم وبالنجوم الخلفاء الراشدين من آبائك الصالحين ، فاشرأب أمير المؤمنين وقال للفضل بن الربيع : احمل اليه مائة الف درهم ومائة الف درهم لقضاء دينه .

فما حمل المفضل على الاستزادة في الحديث إلا وجود الكسائي ورغبة في اظهار منزلته وكثرة علمه في مجلس فيه غيره من العلماء .

الكسائي وسيبويه : وقد يؤدي هذا التحاسد الى التزوير وتعمية الحقائق ، ولعل أقدم ما يدل على ذلك في دنيا العلماء ما دار في مجلس الرشيد بين سيبويه والكسائي فيما يحكيه ابن خلكان في وفياته .

قال : ورد سيبويه الى بغداد من البصرة والكسائي يعلم الأمين ، فجمع هارون بينهما ، وتناظرا في قول القائل : كنت أظن أن الزنبور أشد لسعا من النحلة فاذا هو هي أو إياها ...

قال الكسائي : إياها . وقال سيبويه : هي ..

وأصر كل على رأيه حتى اتفقا على مراجعة عربي خالص لا يشوب كلامه شيء من

كلام أهل الحضر .

وكان الأمين شديد العناية بالكسائي لكونه معلمه . فاستدعى عربيا وسأله فقال كما قال سيبويه ، فقال له الأمين : نريد أن تقول كما قال الكسائي ، فقال : ان لساني لا يطاوعني على ذلك فانه ما يسبق إلا إلى الصواب ، فقرروا معه أن شخصا يقول : قال سيبويه كذا ، وقال الكسائي كذا فالصواب مع من منهما ؟

فيقول العربي : الصواب مع الكسائي . فقال هذا يمكن ... وتم ما أرادوا .

فعلم سيبويه أنهم تحاملوا عليه وتعصبوا مع الكسائي ضده ، فخرج من بغداد مغموما وقد حمل في نفسه لما جرى عليه .

وهكذا ضاع الحق ، وما أشق ذلك على نفس الحر ، ولا سيما إذا كان صاحب السلطان ضالعا في ضياعه .

بين الأصمعي والجرمي : وجاء في درة الغواص للحريري أيضا ، قال : لما شخص أبو عمرو الجرمي الى بغداد ثقل موضعه على الأصمعي إشفاقا من أن يصرف وجوه أهلها عنده ويصير السوق له ، فأعمل الفكر فيما يغض منه ، فلم ير إلا أن يرهقه فيما يسأل عنه ، فأتاه في حلقته وقال له : كيف تنشد قول الشاعر :

قد كن يخبأن الوجوه تسترا ... فاليوم حين بدأن للنظار

أو حين بدين ؟

فقال له : بدأن . قال : أخطأت . فقال : بدين . قال : غلطت ، إنما هو (بدون) أي ظهرن . فأسرها أبو عمرو في نفسه وفطن لما قصده واستأنى به الى أن تصدر الأصمعي في حلقته واحتف الجميع به فوقف وقال له : كيف تقول في تصغير مختار ؟ قال : مخيتير ، قال : أنفت لك من هذا القول ، أما تعلم أن اشتقاقه من الخير وأن التاء فيه زائدة ؟ ولم يزل يندد به الى أن انفض الناس من حوله ..

وكما كان هناك تحاسد بين الأصمعي والجرمي ، كان هناك تحاسد أشد بين الاصمعي وأبي عبيدة بسطت الكتب الأدبية ألوانا منه ..

وكان هناك تنافس أثاره التحاسد بين المبرد وثعلب ، حتى صار التباعد بينهما والتنافر مضرب مثل ، من ذلك ما ورد في كتابنا « المبرد أديب النحاة » : روى ياقوت أنه قد كان بين المبرد وثعلب ما يكون بين المعاصرين من المنافرة ، واشتهر ذلك حتى صار مضرب الامثال ، وحتى قال بعضهم ممثلا بعسر اللقاء بين هذين العالمين :

كفى حزنا أنا جميعا ببلدة ... ويجمعنا في أرضها شر مشهد
وكل لكل مخلص الود وامق ... ولكنه في جانب عنه مفرد
نروح ونغدو لا تزاور بيننا ... وليس بمضروب لنا يوم موعد
فأبداننا في بلدة والتقاؤنا ... عسير كلقيا ثعلب والمبرد

وبين الشعراء : واذا كان العلماء يتحاسدون لما فضل الله به بعضهم على بعض في العلم ، وهذا التفاضل يؤدي الى ازدياد قرب الفاضل الى الخليفة وارتفاع قدره بين الناس خاصتهم وعامتهم كما يؤدي الى إغداق العطايا عليه ، فإن الشعراء لما يحرزون من أموال الخلفاء والأمراء يكونون أشد تحاسدا وتباغضا .

جاء في الأمالي الجزء الأول : امتدح أبو العتاهية عمر بن العلاء فأمر له بسبعين ألف درهم وأمر من حضره من خدمه وغلمانه أن يخلعوا عليه ، فخلعوا عليه حتى لم يقدر على القيام لما عليه من الثياب . ثم إن جماعة من الشعراء كانوا بباب عمر ، فقال بعضهم لبعض : يا عجبا للأمير يعطي أبا العتاهية سبعين ألف درهم ، فبلغ ذلك عمر فقال : علي بهم ، وأدخلوا عليه . فقال : ما أحسد بعضكم لبعض يا معشر الشعراء ، إن أحدكم يأتينا يريد مدحنا فيشبب في قصيدته بصديقته بخمسين بيتا ، فما يبلغنا حتى تذهب لذاذة مدحه ورونق شعره . وقد أتانا أبو العتاهية فشبب ببيتين ثم قال فينا ما قال ، وذكر أبيات مدحه فيه .

تباهي العالم وخيلائه : ويتصل بتحاسد العلماء ما يدخل في نفوسهم من عزة العلم وخيلائه حتى يخرجه ذلك عن حد الوقار والسكينة ، فإن العلم يطغى كما يطغى المال ، وإذا بلغ العالم في فنه حدا كبيرا ولم يكن الى جانب ذلك تواضع يزينه وتقوى تعصمه طغى وتكبر ، وربما دفعه ذلك الى الجهل حيث يكبر عليه أن يسأل عن شيء يجهله فلا يجيب فيفتي بغير علم ، وتلك من كبائر العلماء .

ومن خيلاء العلماء ما حدث به الشريش في شرح مقامات الحريري : قال مقاتل بن سليمان يوما وقد دخلته أبهة العلم : سلوني عما تحت العرش الى أسفل الثرى . فقال له رجل : ما نسألك عن شيء من ذلك ، إنما نسألك عما معك من الأرض ؟ أخبرني عن كلب أهل الكهف ما كان لونه ؟ فأفحمه . ولما شهرت تآليف ابن قتيبة ولحظ بعين العالم المتفنن صعد المنبر وقد غص الحفل واعتلى تبريز على علماء وقته مع فضل جاه اشتمل به من السلطان . فقال : ليسألني من شاء عما شاء . فقام اليه أحد الأغفال فقال له : ما الفتيل والقطمير ؟ فلم يحر جوابا وأفحم ونزل خجلا وانصرف الى منزله كسلا . فلما نظر الى اللفظتين وجد نفسه أذكر الناس بهما ، وهذا من عقاب العجب بالنفس .

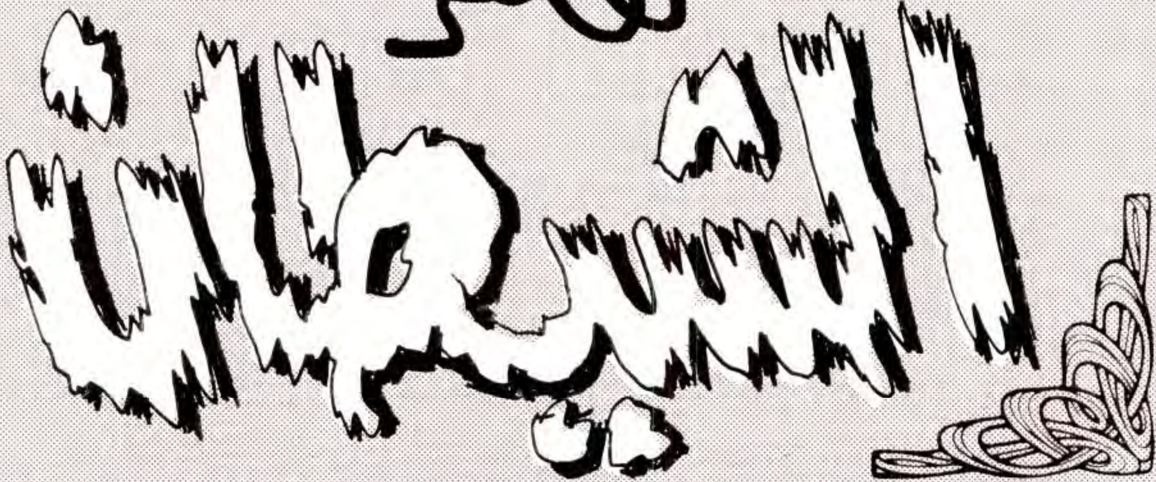
وقال قتادة : ما سمعت شيئا الا حفظته ولا حفظت شيئا فنسيته . ثم قال : يا غلام هات نعلي فقال له الغلام : هما في رجليك ، ففضحه الله .

واذا كان الحسد داء في قلب العالم فالكبر داء أكبر وقد قيل :

لكل شيء في الورى آفة ... وآفة المرء من الكبر ..

واذا كانت هذه أمثلة جرت لبعض ما كان يحدث بين أهل العلم . فإن في المقابل لها أمثلة تدل على إيثار كريم ، ومروءة نادرة ، وتواضع جم ، ومعرفة كبيرة بأقدار الناس ، يكفي في الدلالة على ذلك علاقة الأئمة الأربعة فيمن التقى منهم بعضهم ببعض وتقاريظ غيرهم لهم رضي الله عنهم وأرضاهم .

وسائل الانسان لقهر الشيطان



للاستاذ كارم السيد غنيم

لقد خلق الله الانسان وأمر الملائكة بالسجود له إجلالا لما بثه الله سبحانه فيه من روح ، واشعارا للمخلوق الجديد بان كل ما في الكون والحياة مسخر له ، ثم كان سجود الملائكة ايضا امتثالا لأمر الله الواحد القهار . عصى الشيطان ربه في السجود ودار ما دار من الحوار ، ثم انتهى الامر الى طرد اللعين من الجنة فاذا به يتوعد الانسان بان يقعد له كل مرصد ، وانه سيدفع لكل نسل من ذرية آدم شيطانا قرينا له يغويه ويعمل على ايقاعه في حبائل الذنوب والشرك ان استطاع .

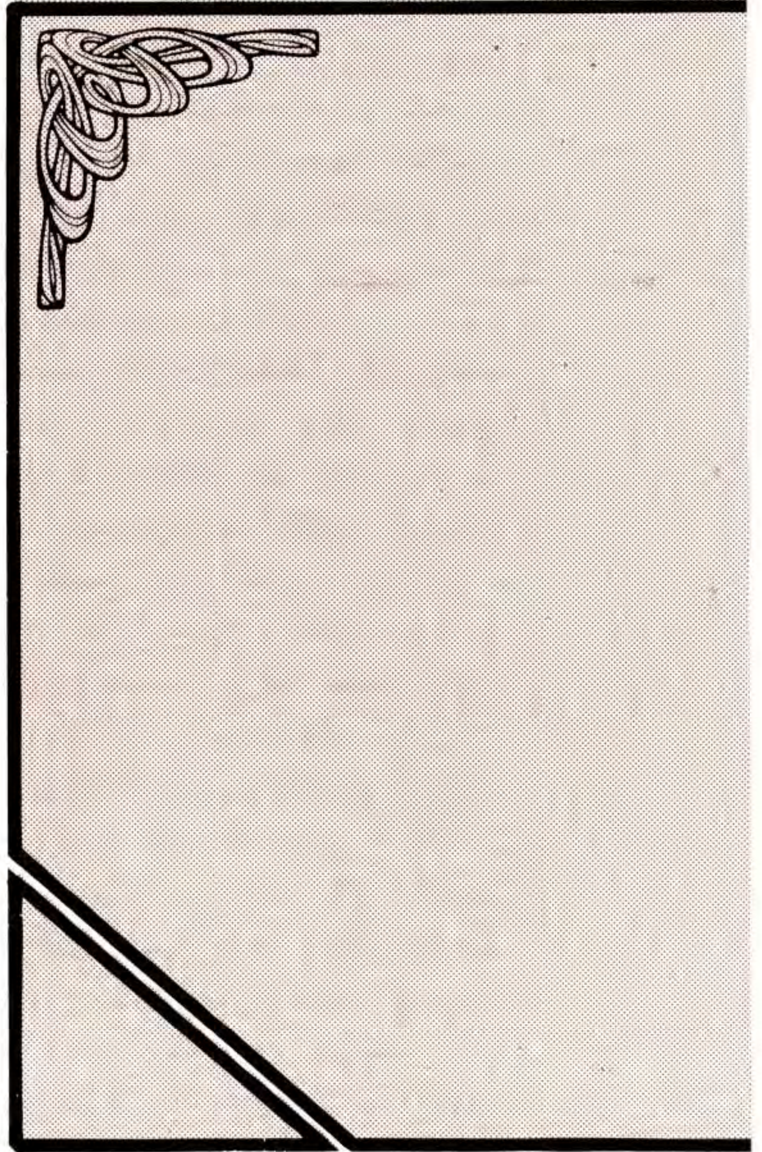
ورد في الأثر عن الحسن البصري : ان الجن ذرية ابليس ـ كما

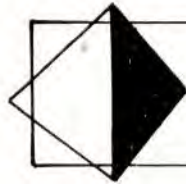
مداخل الشيطان الى نفس الانسان :

ان ابواب دخول الشيطان الى النفس الانسانية كثيرة ، وكل بحسب ما فيه من نقطة ضعف ، وعموما فانه يمكن القول بان كل صفة ذميمة او خصلة رذيلة تعد مسلكاً من مسالك الشيطان في دخوله الى النفس البشرية ، فمن مداخله

(١) الغضب . (٢) الشهوة . (٣) الحسد . (٤) الحرص الشديد : فاذا كان الانسان شديد الحرص على شيء ما اعمته شدة حرصه واصمته . (٥) الشبع : حتى ولو كان من حلال صافي ، ففيه ست خصال ذميمة هي :

ذهاب خوف الله من قلب العبد ، ذهاب الرحمة من قلب العبد (لأنه يظن ان كل الناس شباع مثله) ، الاثقال عن الطاعة ، عدم تذوق كلام الحكمة وذلك لفساد رقة البصيرة ، عدم نفاذ كلام الوعظ او الحكمة منه الى قلوب الناس ، ثم تهييج الأمراض لتحرك دواعيها في البدن . (٦) الاسراف : في كل شيء من مأكل ومشرب وملبس ومسكن ومتاع (٧) العجلة : وذلك لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : (العجلة من الشيطان والتأني من الله تعالى) ، واثر عن احد الصالحين قوله : العجلة من الشيطان الا في خمسة أمور ، فان العجلة فيها محمودة لانها سنة : اطعام الضيف اذا دخل البيت ، تجهيز ودفن الميت ، قضاء الدين ، تزويج البكر ، والتوبة من الذنب .





ان الانس ذرية آدم ـ ومن هذه الذرية وتلك مؤمنون وكافرون ، فمن كان كافرا فهو شيطان سواء كان من عالم الجن ام من عالم الانس ، ومن كان مؤمنا ـ جنا او انسا ـ كان وليا لله ، ولقد ثبت ان مع كل واحد من بني آدم شيطانا من الجن ، يجري منه مجرى الدم .

(٨) البخل وخوف الفقر : وذلك لانهما يدفعان الانسان الى الاكتناز والصراع على التملك واحراز المتاع . (٩) التعصب للمذاهب والاهواء والحقد على الخصوم . (١٠) سوء الظن بالمسلمين : والقاعدة في الاسلام هي حسن ظن المرء بأخيه الى ان يثبت عكس ما ظن .

وسائل وطرق الشيطان في إضلال الانسان :

ان لهذه الوسائل اشكالاً والواناً منها على سبيل المثال : (١) يخيل الشيطان للانسان اشياء ويوعز اليه بان النفع فيها ، وهي في الحقيقة عين الهلاك للانسان ، فاذا استجاب المرء ووقع فيما زينه له الشيطان خرج اللعين ووقف ضاحكا مستبشرا بما نجح فيه من إغواء ، وكثيرا ما يكون الشيطان نفسه دالا على صاحبه المسكين فيما وقع فيه من مهالك . (٢) للشيطان قدرة على سحر العقل البشري ، وهو أمر لا يسلم منه الا من شاء الله من العباد ، فكم باطل حسنه الشيطان وكم حسن قبحه ، وضعيف الدين يسير اسيرا في ايدي الشيطان . ومن هذه الامور ما يلقيه اللعين إلى افراد معينين من خيالات متناقضة وآراء متهافتة ، حتى ينسيه كتاب الله وسنة رسوله ، ويدور وراء صاحبه اول الأمر بفاتحة الدخول وهي الوسوسة ، فالوسوسة إيحاء شيطاني يتدخل به شيطان المرء في امور الايمان والطاعة من طهارة وصلاة وغير ذلك . فان كان المسلم مجتهدا في التقرب الى الله دخل الشيطان الى نفسه بانه قد بلغ من الرقي درجة تسقط معها التكاليف الشرعية ، فيظن العبد المسكين ذلك ويترك التكاليف من اوامر ونواه ، ويقع فيما يسمى (الزندقة) . (٣) قد يظهر اللعين بأشكال شتى وقد يسخر اشياء شتى حول الانسان ليوقعه في الضلال بما نصب له من شرك ، ويروى في هذا الشأن اثر وارد عن الشيخ عبد القادر الجيلاني - رحمه الله - يقول : كنت مرة في العبادة ، فرأيت عرشا عظيما وعليه نور ، فقال لي : يا عبد القادر انا ربك ، وقد حللت لك ما حرمته على غيرك . فقلت له : أأنت الله الذي لا اله الا هو ؟ اخسأ يا عدو الله . قال : فتمزق ذلك النور وصار ظلمة ، وقال يا عبد القادر : نجوت مني بفقهك في دينك وعلمك وبمنازلاتك في احوالك (اي معرفة دلالات السلوك الى الله والامور العارضة اثناءه) ، لقد فتنت بهذه القصة سبعين رجلا . فلما حكى الشيخ عبد القادر تلك القصة على تلاميذه في مجلس العلم الذي كان يعقده ، سأله احد التلاميذ : وكيف علمت يا استاذ انه شيطان ؟ فأجابه : علمت ذلك بقوله : حللت لك ما حرمت على غيرك ، وايضا انه قال : انا ربك ، ولم يستطع ان يقول : انا الله الذي لا اله الا انا .

قدمنا هذه الكلمات حتى يعلم الانسان اهم مداخل الشيطان واهم اشكال اغوائه حتى يمكننا التنبه له

فنستعمل الوسائل بالوجه الصحيح . من هذه الوسائل :

اولا : الاستعاذة :

الاستعاذة هي الاستجارة بشيء بقصد رد مكروه سوف يقع او وقع بالفعل ، والاستعاذة بالله تعالى هي اللجوء اليه طلبا لمعونته في دفع المكروه . وللاستعاذة صيغ كثيرة منها ..

(١) أقصر صيغة : اجمع العلماء على ان التعوذ ليس من القرآن ولا آية منه ولكن ورد الأمر بالاستعاذة من الشيطان الرجيم . اذا شرع الانسان في تلاوة القرآن . ايهما افضل (اعوذ بالله من الشيطان الرجيم) ام (اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم) ؟ عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قلت : اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم : (يا بن ام عبد : اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، هكذا أقرأني جبريل عن اللوح عن القلم) ورجحه النووي في الأذكار . (٢) الصيغة التي علمها جبريل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : حينما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عما فعل ليلة ان كادته الشياطين حيث تحدرت عليه من الأودية والشعاب ، وفيهم شيطان بيده شعلة يريد ان يحرق بها وجه الرسول صلى الله عليه وسلم ، فهبط جبريل عليه السلام فقال : يا محمد قل : قال ماذا اقول : قال قل (اعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق وذرأ وبرأ ومن شر ما ينزل من السماء ، ومن شر ما يعرج فيها ، ومن شر فتن الليل والنهار ، ومن شر كل طارق الا طارقا بخير ... يا رحمن) . (٣) الصيغة التي تعلمها الرسول من ابراهيم ابي الانبياء : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين فيقول (أعيذكما بكلمات الله التامة ، من كل شيطان وهامة ، ومن كل عين لامة) ، ثم يقول : هكذا كان ابراهيم صلى الله عليه وسلم يعوذ بها اسماعيل واسحاق .

وتسن الاستعاذة في مواضع منها :

(١) عند تلاوة القرآن الكريم : امتثالا للنص القرآني « **فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم** » (النحل / ٩٨) بقصد طرد الشيطان حال التلاوة حتى يمكن للمسلم ان ينتفع بقراءته فهما وتدبرا ، ثم ايضا بقصد جلب الملائكة فاذا حضرت هربت الشياطين . (٢) قبل القراءة في الصلاة : خلاصة اقوال العلماء في ذلك انه يجوز للمسلم الاستعاذة قبل القراءة في الركعة الاولى فقط من كل صلاة ، ويجوز للمسلم ان يتعوذ قبل القراءة في كل ركعة من ركعات الصلاة ويجوز له ان يتركها في كل الركعات . (٣) قبل النوم : من السنة ان يتعوذ المسلم عند نومه بصيغة اقصرها « اعوذ بالله من الشيطان الرجيم » ، او (بسم الله ، اعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر عباده ، ومن همزات الشياطين وان يحضرون) ،

كان عبد الله بن عمرو بن العاص يعلمها لأولاده ليقولوها قبل النوم ، ومن كان منهم طفلا لا يعرف القراءة او الحفظ كتبها له في ورقة وعلقها في عنقه . (٤) عند الأرق اثناء النوم . (٥) عند الغضب : روى مسلم عن سليمان بن صرة احد الصحابة رضي الله عنهم انه حدث ان غضب رجل في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الرسول : (اني لأعلم كلمة لو قالها لذهب ذا ـ يقصد الغضب ـ عنه اعوذ بالله من الشيطان الرجيم) . (٦) عند مشاغلة الشيطان للمسلم اثناء الصلاة : قيل ان شيطانا يسمى (خترب) يلاعب المسلم اثناء صلاته بقصد افسادها عليه ، فاذا ما أحس المسلم به يتعوذ بالله من الشيطان الرجيم . (٧) حال السفر عند قدوم الليل يتعوذ المسلم بالصيغة المأثورة عن الرسول صلى الله عليه وسلم (يا ارض ربي وربك الله اعوذ بالله من شرك ومن شر ما خلق فيك ومن شر ما يدب عليك ، ومن اسد وأسود ، ومن الحية والعقرب ، ومن ساكن البلد ، ووالد وما ولد) . (٨) عند نزول المسلم منزلا ما : يتعوذ بالصيغة المأثورة عن الرسول (حيث يقول : من نزل منزلا ثم قال : اعوذ بكلمات الله التامة من شر ما خلق ، لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك) . (٩) عند ورود النزغ الشيطاني في تفكير او عمل : وذلك بنص القول الالهي « واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم (الاعراف / ٢٠٠) (١٠) كذلك فالاستعاذة سنة عند دخول المرحاض : علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نقول (اللهم اني اعوذ بك من الخبث والخبائث) وقيل ان الخبث هم ذكور الشياطين ، والخبائث هم اناثها .

ثانيا : المعوذات :

المعوذات قد تكون ثلاثة : سورة الاخلاص + سورة الفلق + سورة الناس وقد تكون السورتين الأخيرتين فقط ، حسب الروايات التي وردت مرفوعة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن هذه الروايات : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعقبة : (ألا اخبرك بأفضل ما تعوذ به المتعوذون ؟) قلت بلى ، قال : (قل اعوذ برب الفلق) ، و (قل اعوذ برب الناس) .

عن السيدة عائشة : (ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا أوى الى فراشه نفث ـ اي دفع رذاذا من فمه ـ في كفيه بـ : قل هو الله احد ، والمعوذتين جميعا ، ثم يمسح بهما وجهه وما بلغت يداه من جسده . قالت عائشة : فلما اشتكى ـ اي وجع المرض ـ كان يأمرني ان افعل ذلك به) .

عقد الشيطان :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يعقد الشيطان على قافية رأس احدكم اذا هو نام ثلاث عقد ،

يضرب على كل عقدة مكانها ، عليك ليل طويل فارقد ، ـ اي يكتب على كل عقدة عقدها هذه العبارة ـ فان استيقظ فذكر الله انحلت عقدة ، فان توضأ انحلت عقدة ، فان صلى انحلت عقده كلها ، فأصبح نشيطا طيب النفس ، والا اصبح خبيث النفس كسلان) .

استعاذات مأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :

وردت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعاذات كثيرة تضمنتها كتب الحديث المختلفة وكذا كتب اهل السلوك والتربية الروحية ، نذكر منها ما يلي : اللهم اني اعوذ بك من البخل ، وأعوذ بك من الجبن ، واعوذ بك من ان أرد الى ارذل العمر ، واعوذ بك من فتنة الدنيا ، واعوذ بك من عذاب القبر .

اللهم اني اعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ودعاء لا يسمع ونفس لا تشبع ، واعوذ بك من الجوع فانه بئس الضجيع ، ومن الخيانة فانها بئس البطانة ومن الكسل والبخل والجبن والهرم ومن ان ارد الى ارذل العمر ومن فتنة الدجال وعذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات) .

اللهم اني اعوذ بك من شر ما علمت ومن شر ما لم اعلم . .

اللهم اني اعوذ بك من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الاعداء .

اللهم اني اعوذ بك من الكفر والدين والفقر ، واعوذ بك من عذاب جهنم واعوذ بك من فتنة الدجال .

اللهم اني اعوذ بك من القسوة والغفلة والعيلة والذلة والمسكنة ، واعوذ بك من الكفر والفقر والفسوق والشقاق والنفاق وسوء الاخلاق وضيق الارزاق والسمعة والرياء ، واعوذ بك من الصمم والبكم والعمى والجنون والجذام والبرص وسيء الاسقام .

اللهم اني اعوذ بك من غلبة الدين وغلبة العدو وشماتة الاعداء .

ثالثا : قراءة آية الكرسي :

ولا داعي لذكر آثار واخبار في فضلها لضيق المجال هنا ولكن نقول انها هي الآية رقم (٢٥٥) في سورة البقرة وهي : « **الله لا إله الا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده الا بأذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم** » .

رابعــا : قــراءة ســورة البقرة :

ومن جملة ما ورد في فضلها ان البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة لا تدخله الشياطين .

خامسا : خـواتيم سورة البقرة :

وهي الآيات (٢٨٥ + ٢٨٦) من السورة

ســادسا : أوائـل ســورة غافر :

وهي الآيات ١ + ٢ + ٣ من السورة الكريمة وهي « **حم . تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم . غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا اله الا هـو اليه المصير** » .

سابعا : كثرة ذكر الله :

وهذا موضوع كبير متشعب نؤجله الى لقاء قادم ، ولكن علينا ان نعلم الفرق بين من يذكر الله وبين من لم يذكر الله كالفرق بين الحي والميت ، فالذاكر قلبه حي طاهر منير ، والاخر قلبه مظلم خاو من الأنوار ، ولذكر الله صيغ كثيرة وردت عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو في جميع الاحـوال وجميع الاوقـات وجميع الأماكن (فيما عدا قضاء الحاجة في المرحاض) .

ثـامنـا : احـدى صيـغ التوحيد :

قول : (لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير) ١٠٠ مرة متوالية .

تـاســعـا : الـوضـوء والصلاة :

قال رسول الله صـلى الله عليه وسلم : (ان الغضب من الشيطان ، وان الشيطان خلق من النار ، وانما النار تطفأ بالماء ، فاذا غضب احدكم فليتوضأ) وطبعا اذا توضأ فيحسن به أن يصلي على الاقل ركعتين .

عاشرا : الامساك عن فضول الكـلام والطعام والنظـر ومخـالطة النـاس :

اما فضول (قليل) النظر : فهو مبـدأ الفتنة وبـداية الـوقـوع في المحظور . واما فضـول الطعام ، فلقول الرسول صلى الله عليه وسلم (ما ملأ آدمي وعاء شر من بطنه ، بحسب ابن آدم اكيلات يقمن صلبه فان كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفســه) واما فضول المخالطة ـ فيما عدا مخالطة تجر نفعا لدين المرء وتقواه ـ فهي الاقلال من معاشرة الناس خصوصا غير العاملين بدين الله .

نسأل الله العافية ونعوذ به من شرور الشياطين وسيئات انفسنا انه سميع قريب مجيب .

الجزية بين الأخذ والرد

للاستاذ / ابراهيم النعمة

مقدمة :

الجزية هي الاموال التي تأخذها دولة الاسلام من اهل الذمة او غيرهم من الكفار ، سواء كانت على الاشخاص ام على الارض الزراعية التي يملكونها . هذا هو مفهوم الجزية في عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وابي بكر وصدر من خلافة عمر . وبعد ان توسعت الفتوحات الاسلامية في بلاد فارس والروم صارت كلمة « الجزية » تطلق على الضريبة التي تؤخذ على الرؤوس فحسب . اما

الضريبة التي تؤخذ على الاراضي الزراعية ، فاطلق عليها اسم « الخراج » . وفرضت الجزية في السنة الثامنة من الهجرة بعد غزوة تبوك ، وقيل بل في السنة التاسعة . وسميت بهذا الاسم من المجازاة في مقابل حفظ نفوسهم وصيانتها من القتل !

وقد وجه خصوم الاسلام سهام نقدهم نحو هذا النظام ، ناعتين الاسلام بانه اعتدى على اهل الذمة وغيرهم من الكفار حين سن نظام الجزية ، واثقل كاهلهم ، فصار كثير من اهل الذمة ينوء بحملها ..!

والعجيب كل العجب ، ان تنزل الى هذا المستوى الوضيع وتتردى فيه منظمة « اليونسكو » التي زعمت في موسوعتها ان الجزية التي فرضها المسلمون على اهل الذمة ، جعلت وضعهم مهينا واثقلت كاهلهم ، وان ازدياد انتشار الاسلام بين اهل الذمة ادى الى تناقص الدخل من ضريبة الجزية ، فاضطرت دولة الاسلام ان تضع ضريبة جديدة هي ضريبة « الخراج » !

ويعترف الكاتب ان ضريبة الخراج لم تكن خاصة باهل الذمة فقط ، بل كانت تشمل اهل الذمة وغيرهم ، الا انه يستدرك فيقول : ان ذلك الوضع الاجتماعي كان ضارا باهل الذمة ويزعم ان اهل الذمة اقبلوا على الدخول في الاسلام تخلصا من الضرائب الباهظة التي كانت تفرض عليهم !

لقد اخطأ كثير من المستشرقين حين تحدثوا في هذه القضية ، لانهم اولا : لا يقرأون ما كتبه المسلمون ، بل ينقل الواحد منهم عن الاخر هذه الشبهات ، واذا اورد قسم منهم الخبر اورده مبتورا او محرفا ، اذ غايتهم الطعن في الاسلام ليس الا ، وليس الوصول الى الحقيقة !

تاريخ الجزية

عرف نظام الجزية منذ عهود قديمة : فكان متبعا في عهد سليمان بن داود ـ عليه السلام ـ كما ورد ذلك في سفر الملوك .

وعرف لدى النصارى ، فكانت الجزية تدفع للبابوات مقابل حماية الرسول بطرس .. وعرفت الجزية في اليونان : فكان اليونانيون يفرضون ضرائب باهظة ينوء بحملها كثير من الناس في اسيا الصغرى ، وذلك منذ القرن الخامس قبل الميلاد .

اما الرومان ، فقد فرضوها على الامم التي فتحوها ، وهي تعدل سبعة اضعاف

الجزية في الاسلام . يقول الاستاذ محمد كرد علي ناقلا عن بعض المؤرخين وصف حكم الرومان للشاميين :
« وكثيرا ما كانوا ـ الشاميون ـ يبيعون ابناءهم ليوفوا ما عليهم من الاموال ، وقد كثرت المظالم والسخرات والرقيق » .

على ان الضرائب الرومية ، في مصر كانت عامة شاملة ، فهي تجبى على الرؤوس والصناعات ، كما تجبى على الماشية والارض . وليس ذلك فحسب بل كانت تجبى من المارة تجارا وغير تجار ، بل كانت تجبى حتى من اثاث المنازل ! وبلغ الجور والتعسف في الضرائب في هذه البلاد مبلغا كبيرا ، اذ تعدت الاحياء الى الاموات : فكان لا يسمح بدفن الميت الا بعد ان يدفع وليه ضريبة معينة ! يقول « الفردج بتلر » في كتابه « فتح العرب لمصر » على الصفحة ٤٧ :

« ان الروم كانوا يجبون من مصر جزية على النفوس ، وضرائب اخرى كثيرة العدد .. مما لا شك فيه ان ضرائب الروم كانت فوق الطاقة ، وكانت تجري بين الناس على غير عدل » .

وقد عرفت الجزية ـ ايضا ـ في بلاد الفرس . واول من سن نظامها ورتب اصولها وجعلها طبقات كبرى « انوشروان » !
كما عرفت الجزية في بولونيا والدانمرك وانكلترا والمانيا والبرتغال ..!

الجزية في الاسلام :

الجزية في الاسلام ليست هدفا من اهداف الجهاد ولا دافعا من دوافعه ، بل قد تكون نتيجة من نتائجه واثرا من اثاره . يقول القرآن الكريم :
(قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) التوبة / ٢٩ .
فهذه الاية تأمر المسلمين بقتال اعدائهم اذا دعا ما يوجب الى ذلك : كأن يعتدي هؤلاء على المسلمين في اشخاصهم او اموالهم او ديارهم او يحيكوا المؤامرات ضد دولة الاسلام لفتنة المسلمين في دينهم او تعويق انتشار دعوة الاسلام وذيوعها !
ولقد أخطأ قسم من الناس فهم هذه الاية ، فتمسكوا بحرفية اللفظ ، وتناءوا بعيدا عن روح الشريعة الاسلامية في تفسيرها واخذها ، بل ابتعدوا ـ ايضا ـ عن هدى الرسول الكريم ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ والخلفاء الراشدين في اخذها ، اذ الجزية لم تكن سوى وسيلة لهداية الناس الى صراط الله المستقيم .. فلم تكن ضربا من ضروب التحكم والتسلط ، وانما هي دعوة حكيمة للايمان بالله ، واسلوب

حكيم تتفتح به الابصار المغلقة ، وتجدبه الراحة والطمأنينة النفوس القلقة ، اذ يتعرف من يدفع الجزية على الاسلام : بعقيدته وشريعته واخلاقه وسماحته وعدالته وتراحم اهله وتعاونهم على المكرمات الناصعات والسجايا الرائعات ، وذلك حين يخالط من يدفع الجزية للمسلمين . وهكذا يتعرف غير المسلمين على الاسلام من خلال فرض الجزية عليهم . فهي اذن دواء لداء ، وعملية جراحية لاستئصال امراض قتالة ، واي مرض اشد خطورة من مرض التقليد الاعمى والمحاكاة البلهاء ، وعكوف المرء على ما وجد عليه اباءه من دين وعقيدة وعادات لا تتفق مع العقل وفطرة الله التي فطر الناس عليها ؟!

والمقصود باليد في قول الله تعالى : **(حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون)** هو الغنى والقدرة على دفعها : فلا تؤخذ الا ممن يقدر على ادائها كما يقول اهل اللغة ! والصغار في قوله تعالى : (وهم صاغرون) اي راضون بحكم الاسلام في سنه الجزية . وهكذا فسر الامام الشافعي الصغار . وفسره الماوردي بان يجري عليهم احكام الاسلام . فيكون معنى الاية : ان الله يأمر المسلمين ان يقاتلوا من استوجبوا القتال الى ان يعطي رجالهم المقاتلون الجزية عن سعة وقدرة على ادائها ، طيبة نفوسهم باعطائها . يقول الامام الشافعي ـ رحمه الله ـ :

« واذا اخذ منهم الجزية اخذها باجمال ولم يضرب منهم احدا ، ولم ينله بقول قبيح ، والصغار ان يجري عليهم الحكم لا ان يضربوا ولا يؤذوا » .

على ان سلفنا الصالح ـ رضي الله عنهم ـ حين نهوا عن التشديد في اخذ الجزية منعوا المناداة على املاكهم عوضا عنها . وكتب علي بن ابي طالب ـ كرم الله وجهه ـ الى بعض عماله :

« لا تبيعن لهم في خراجهم حمارا ولا بقرة ولا كسوة شتاء ولا صيفا » .

ومن تسامح المسلمين في قضية الجزية ان الذمي لو مات وعليه شيء منها ، فانه يعفى منها ، ولا يؤخذ من تركته شيء . يقول الامام ابو يوسف ـ رحمه الله ـ :

« ان وجبت عليه الجزية فمات قبل ان تؤخذ منه ، او اخذ بعضها وبقي البعض لم يؤخذ بذلك ورثته ، ولم تؤخذ من تركته » .

وتساهل المسلمون في اخذها كثيرا ، فاباحوا دفع النقود والدواب والسلع والمتاع بدل الدراهم ، بل كان علي بن ابي طالب ـ كرم الله وجهه ـ « يأخذ منهم في جزيتهم الابر والمسال ويحسب لهم من خراج رؤوسهم » .

وحين تؤخذ الجزية يمنح من يعطونها امانا على انفسهم واعراضهم واموالهم وحريتهم في اقامة شعائرهم التعبدية ، ويقوم المسلمون بالدفاع عنهم اذا اعتدى عليهم معتد . وهكذا تصان ارواحهم ، ويسكنون في دار الاسلام احرارا !

ولقد طور المسلمون مفهوم الجزية ، وجعلوها تدور مع العلة وجودا وعدما ، فان من استعان به المسلمون ، او اشترك في الجيش الاسلامي تسقط عنه الجزية . اما حديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : « انا لا نستعين بمشرك » رواه احمد وابو داود وابن ماجه عن عائشة رضي الله عنها فهو من الاحاديث الخاصة ، ذلك ان

الثقة لم تكن متوافرة اذ ذاك في غير المسلم . فلا يفهم من هذا الحديث اذن عدم انخراط غير المسلمين في الجيش على الدوام . والذي يدلنا على ذلك ان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ استعان بقسم من المشركين في بعض معاركه : فاستعان بصفوان بن امية قبل اسلامه في حنين . ومما روي عنه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ قوله : « ان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر » رواه البخاري . لهذا وغيره صرح جمهور فقهائنا ـ رضي الله عنهم ـ بجواز الاستعانة باهل الشرك !

على ان روايات كثيرة رواها الطبري عن سويد بن مقرن احد قواد عمر بن الخطاب ، وعتبة بن فرقد ، وسراقة بن عمرو عاملي عمر بن الخطاب ، والاحنف بن قيس .. ان كل واحد من هؤلاء كتب لاهل مدينته كتابا وضح فيه ان من لا يدفع الجزية ينخرط مع المسلمين في الجيش ويقاتل اعداء الله ، فتسقط عنه الجزية .

وقد كتب سويد بن مقرن لرزبان واهل دهستان كتابا هذا نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من سويد بن مقرن لرزبان صول بن رزبان واهل دهستان وسائر اهل جرجان :

ان لكم الذمة وعلينا المنعة ، على ان عليكم من الجزاء في كل سنة على قدر طاقتكم على كل حالم . ومن استعنا به منكم ، فله جزاؤه في معونته عوضا من جزائه . ولهم الامان على انفسهم واموالهم ومللهم وشرائعهم . ولا يغير شيء من ذلك .. » كتب سنة ثماني عشرة .

وكتب عتبة بن فرقد معاهدة مع اهل اذربيجان جاء فيها :

« بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما اعطى عتبة بن فرقد عامل عمر بن الخطاب امير المؤمنين اهل اذربيجان : سهلها وجبلها وحواشيها وشفارها واهل مللها كلهم الامان على انفسهم واموالهم ومللهم وشرائعهم ، على ان يؤدوا الجزية على قدر طاقتهم . ليس على صبي ولا امرأة ولا زمن ليس في يديه من الدنيا شيء . لهم ذلك ولمن سكن منهم .. ومن حشر منهم في سنة « ارسل لميدان القتال » وضع عنه جزاء تلك السنة . ومن اقام فله مثل ما لمن اقام من ذلك . ومن خرج فله الامان حتى يلجأ الى حرزه . كتبت هذه المعاهدة سنة ثماني عشرة .

اما البلاذري فيقول :

« ان ابا عبيدة بن الجراح صالح السامرة بالاردن وفلسطين ، وكانوا عيونا وادلاء للمسلمين على جزية رؤوسهم واطعمهم ارضهم » .

وذكر الطبري في حوادث سنة ٢٢ عن حادث ملك شهر براز الذي قال للامير من وجهته :

« انا اليوم منكم ويدي مع ايديكم .. وبارك الله لنا ولكم . وجزيتنا اليكم النصر لكم والقيام بما تحبون ، فقبل منه ذلك » .

وهذا يشبه في عصرنا الحاضر المعاهدات التي توقع بين دولتين مستقلتين

وتسمى بمعاهدات الصداقة الدائمة ، وتتعهد كل من الدولتين بانجاد الدولة الاخرى من اي اعتداء كان لاجل محدود او غير محدود !

ونجد معاوية بن ابي سفيان - رضي الله عنه - قد اعطى العهد الى الارض . وفيه ترك لهم دينهم ، وان لا يدفعوا الجزية ثلاث سنين ، وبعد ذلك اذا رغبوا بدفع الجزية دفعوا منها ما شاءوا ، والا اعدوا خمسة عشر الف مقاتل ليعاونوا المسلمين وليدافعوا عن الارض . فاذا هاجمهم الروم تعهد معاوية بامدادهم بما يحتاجونه من نجدات !

والذي يدلنا على ان الجزية تؤخذ مقابل حماية أهل البلاد المفتوحة ، ودفع العدوان عنهم ، فاذا عجز المسلمون عن ذلك ردوا الى اهل البلاد ما اخذوه منهم من جزية ما جاء في معاهدة خالد بن الوليد لاهل بانقيا وبسما ، وهذه هي المعاهدة :

« بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من خالد بن الوليد لصلوبا بن نسطونا وقومه .

اني عاهدتكم على الجزية والمنعة على كل ذي يد ببانقيا وبسما جميعا على عشرة الاف دينار سوى الخرزة : القوي على قوته ، والمقل على قدر اقلاله في كل سنة .. فلك الذمة والمنعة .. فان منعناكم فلنا الجزية والا فلا حتى نمنعكم » كتبت سنة اثنتي عشرة في صفر .

وكذلك كان امر ابي عبيدة في فتوح الشام . يقول توماس ارنولد :

« كما ان ابا عبيدة قائد العرب في فتوح الشام عندما علم بان هرقل قد جهز جيشا لمهاجمة المسلمين كتب الى عمال المدن المفتوحة في الشام يأمرهم برد الجزية الى اهلها ، وكتب للناس » انما رددنا عليكم اموالكم لانه بلغنا ما جمع لنامن الجموع وانكم قد اشترطتم علينا ان نمنعكم ، وانا لا نقدر على ذلك . وقد رددنا عليكم ما اخذنا منكم ، ونحن لكم على الشرط وما كتبنا بيننا وبينكم ان نصرنا الله عليهم » .

ممن تقبل الجزية .

ذهب الاوزاعي والثوري وفقهاء الشام والمالكية على المشهور من مذهبهم ان الجزية تؤخذ من كل كافر ، عربيا كان او اعجميا ، من اهل الكتاب او من عبدة الاصنام والاوثان . وهذا ما رجحه ابن قيم الجوزية حيث قال :

« ولم يفرق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولا خلفاؤه في الجزية بين العرب والعجم ، بل أخذها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من نصارى العرب واخذها

من مجوس هجر وكانوا عربا » .

وهذا الرأي اقرب من الرأي الذي ذهب اليه الشافعية والحنابلة والظاهرية والامامية اذ قالوا : ان الجزية لا تؤخذ الا من اهل الكتاب والمجوس !

والذي يجعلنا نميل الى الرأي الاول اننا لو لم نقبل الجزية من غير اهل الكتاب والمجوس لادى ذلك الى اجبارهم على الدخول في الاسلام والقرآن الكريم يقول :

(لا إكراه في الدين) البقرة /٢٥٦

شرط عقد الذمة :

اشترط فقهاؤنا ـ رضي الله عنهم ـ لعقد الذمة المؤبد شرطين :

١ ـ ان يلتزم الذمي بدفع الجزية اذا كان قادرا على دفعها .

٢ ـ تترك دولة الاسلام من عقدت له الذمة وما يدين به ، وتترك له امواله وما يعتقد ، كما تترك له قوانينه في الاسرة : من الزواج والطلاق والنسب فيتبع ما تعارف عليه اهل دينه !

ونستطيع ان نقول : ان الاسلام ضمن لمن يقيم بديار المسلمين اقامة دائمة من الحقوق ما لا نجد مثله في عصرنا الحاضر : ذلك ان من يقيم في إنكلترا وفرنسا ـ مثلا ـ ويتجنس بجنسية هذا البلد او ذاك تسرى عليه احكام ذلك البلد في الاسرة . فاذا تزوج باكثر من واحدة ، يعتبر زواجه باطلا ، وقد يحال الى المحاكمة بسبب هذه الجريمة المزعومة ! واذا طلبت الزوجة النفقة من زوجها ، فلا تنظر المحكمة في قضيتها ، لان هذا الزواج باطل عندهم ، على حين نجد فقهاءنا ، رضي الله عنهم ، قالوا : ان المجوسي اذا تزوج ابنته في بلادنا ، ورفعت البنت امرها الى القاضي المسلم تطلب النفقة فان على القاضي ان يقضي بالنفقة من غير ان ينظر الى العقد : اصحيح هو ام باطل ؟!

وعندما يدفع الانسان الجزية يكون كالمسلم في واجب الدولة في الدفاع عنه ، وفك رقبته ، فقد روي ان قطلوشاه امير التتر اغار على دمشق في اوائل القرن الثامن الهجري واسر من المسلمين واهل الذمة من اسر ، ففاوضه الامام ابن تيمية في ذلك ، فوافق قطلوشاه ان يفك اسرى المسلمين فقط ، لكن الامام ابن تيمية ابى الا ان يفك اسرى المسلمين واهل الذمة ، وكان مما قاله شيخ الاسلام في هذا :

« لا بد من افتكاك جميع من معك من اليهود والنصارى الذين هم اهل ذمتنا ، ولا ندع لديك اسيرا ، لا من اهل الملة ولا من اهل الذمة ، فان لهم ما لنا وعليهم ما علينا ، فأطلقهم الامير التتري جميعا . »

الزكاة والجزية :

تؤخذ الزكاة من المسلم بنسبة ٢,٥٪ عن نقوده ، ويدفع زكاة الغنم والبقر

والابل .. بنسب اخرى مبينة في كتب الفقه الاسلامي ، ولا يعفى القادر على الاداء من الزكاة ، والامام يحارب من يمتنع !
وقد حددت مصارف الزكاة تحديدا دقيقا في قوله تعالى :

(إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم) التوبة / ٦٠

وتنفق الزكاة على المسلمين وغيرهم : فينفق بعضها في المرافق العامة ، ويستفيد من ذلك غير المسلمين ـ ايضا ـ وفسرت كلمة (المساكين) في اية مصارف الزكاة : بالذين لا يملكون ما يكفيهم . اما (المؤلفة قلوبهم) فقد فسرها كثير من العلماء بغير المسلمين تتألفهم دولة الاسلام لترغبهم الى الدخول في الاسلام ، او لتتقي شرورهم !

ويستفيد دافع الجزية من زكاة المسلمين حين تدفع بعض اموال الزكاة في اعداد الجيش الذي يدفع عن الامة : مسلمين وغير مسلمين !

ومع ذلك كله ، فان من يدفع الجزية لا يدفع سوى نسبة ضئيلة ، تتناسب مع حالة كل فرد : فالموسر يدفع ثمانية واربعين درهما ، ويدفع الوسط اربعة وعشرين درهما ، اما الفقير ، فلا يدفع سوى اثني عشر درهما فقط . ويعفى من هذه الضريبة من لا يقدر على القتال : كالاطفال والنساء والعميان والمقعدين والمعتوهين والرهبان والعبيد ..

وبدفع هذه النسبة الضئيلة تثبت عصمة دمه وماله . فهي في مقابل خدمتهم العسكرية في جيش المسلمين ، ومقابل حمايتهم من اي اعتداء خارجي كان . فاذا عجز المسلمون عن حمايتهم والدفاع عنهم يردون اليهم ما اخذوه منهم من جزية !

على أن من يدفع الجزية اذا افتقر يعفى من دفعها ، وتجرى له مساعدات من بيت مال المسلمين هو وعياله . ومما كتبه خالد بن الوليد لاهل الحيرة . « ايما شيخ ضعف عن العمل ، او اصابته افة من الافات ، او كان غنيا فافتقر ، وصار اهل دينه يتصدقون عليه طرحت جزيته ، وعيل من بيت مال المسلمين وعياله ما اقام بدار الهجرة ودار الاسلام . » .

وكتب والي العراق الى عمر بن عبد العزيز يخبره ان اموالا كثيرة قد اجتمعت فامره ان يوسع بها على المسلمين . فكتب اليه ان قد فعل ، ولا تزال عنده اموال كثيرة ، فامره ان يزوج ابكار النساء ابكار الرجال . فكتب اليه ان قد فعل ، وبقي مال ، فكتب اليه ان يقوي اهل الذمة على العمارة ..!

على ان دولة الاسلام تأخذ من المسلم زكاة ماله مبلغا كبيرا ان كان موفور الغنى ، بينما لا تأخذ من الذمي الا ما ذكرته ، وهي نسبة قليلة جدا .. فلو ان مسلما وذميا ملك كل واحد منهما مليونا من الدراهم ، فتأخذ دولة الاسلام من

المسلم ربع العشر اي خمسة وعشرين الف درهم ، بينما لا تأخذ من الذمي الا ثمانية واربعين درهما فقط !

الفضل ما شهدت به الاعداء :

قال سير توماس . و . ارنولد :

« ولم يكن الغرض من فرض هذه الضريبة على المسيحيين ، كما يريدنا بعض الباحثين على الظن ، لونا من الوان العقاب لامتناعهم عن قبول الاسلام ، وانما كانوا يؤدونها مع سائر اهل الذمة وهم غير المسلمين من رعايا الدولة .. في مقابل الحماية التي كفلتها لهم سيوف المسلمين . »

وقال ـ ايضا :

« ومن الواضح ان اي جماعة مسيحية كانت تعفى من اداء هذه الضريبة اذا ما دخلت في خدمة الجيش الاسلامي . وكان الحال على هذا النحو مع قبيلة الجراجمة ، وهي قبيلة مسيحية كانت تقيم بجوار انطاكية ، سالمت المسلمين ، وتعهدت ان تكون عونا لهم ، وان تقاتل معهم في مغازيهم ، شريطة الا تؤخذ بالجزية ، وان تعطى نصيبها من الغنائم . ولما اندفعت الفتوح الاسلامية الى شمال فارس في سنة ٢٢هـ ، ابرم مثل هذا الحلف مع احدى القبائل التي تقيم على حدود هذه البلاد ، واعفيت من اداء الجزية مقابل الخدمة العسكرية » .

وقالت الاستاذة (لورا فيشيا فاغليري) :

« منحت تلك الشعوب حرية الاحتفاظ باديانها القديمة ، وتقاليدها القديمة ، شرط ان يدفع الذين لا يرتضون الاسلام دينا ضريبة عادلة الى الحكومة تعرف بالجزية . لقد كانت هذه الضريبة اخف من الضرائب التي كان المسلمون ملتزمين بدفعها الى حكومتهم نفسها ، ومقابل ذلك منح اولئك الرعايا « المعروفون باهل الذمة » حماية لا تختلف في شيء عن تلك التي تمتعت بها الجماعة الاسلامية نفسها . ولما كانت اعمال الرسل والخلفاء الراشدين قد اصبحت فيما بعد قانونا يتبعه المسلمون ، فليس من الغلو ان نصر على ان الاسلام لم يكتف بالدعوة الى التسامح الديني ، بل تجاوز ذلك ، ليجعل التسامح جزءا من شريعته الدينية » .

وبعد :

فاين نظام الجزية في الاسلام مما فرضته بعض المعاهدات في عصورنا المتأخرة ، اذ فرضت معاهدة « فرنكفورت » ان تدفع فرنسا غرامة مقدارها خمسة مليارات من الفرنكات الذهبية ؟

بل اين نظام الجزية في الاسلام من نظام « الاستسلام بلا قيد ولا شرط » حيث تقوم الدولة المنتصرة بفرض شروطها من طرف واحد للصلح ، من غير ان يكون للدولة المغلوبة رأي في ذلك ؟!

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب .

مسجد البصرة

- ١ -

يحتاج مسجد البصرة الى كتاب برأسه ، فقد قدر لهذا البلد الطيب أن يكون المصدر الأول للحركة العلمية في أزهى عصور العربية ، وكان علماؤه لا يقتصرون على البحوث الدينية ، بل يتكلمون في كل ما يتجه اليه العقل من علوم ، بحيث كانت ساحة المسجد الممتدة مدرسة ذات فصول ، والفصول هي الحلقات المتنوعة في المسجد ، فحلقة للنحو ، وحلقة لعلم الكلام ، وحلقة للفقة ، وحلقة للتفسير ، وحلقة للوعظ والقصص ، وحلقة للتاريخ والأخبار ، والناس يعرفون جميعا دسامة هذه الحلقات ويخفون اليها من كل صوب ، بل ان الرشيد على جلالة قدره كان يتنكر في بعض الملابس والأزياء ليشاهد بعض المصاولات الفكرية في البصرة على حالها الطبيعي دون افتعال ، وكذلك فعل المأمون اذ اخذ يصطحب القاضي يحيى بن أكثم إلى حلقات المعتزلة بالبصرة ، لينعم بلذة الصيال الفكري حين يرى رأيا يصول على رأي ، وحجة تقرع حجة ، والناس واعون متيقظون كأنما يسمعون لأول مرة كتاب الله .

وقد انتشرت سمعة المسجد البصري الجامع في العهد الأموي وكان لعهده الأول يقتصر على دروس الفقه والوعظ ، ثم اتجه الى دروس اللغة والنحو حين أخذ

والخليل بن أحمد

للدكتور/محمد رجب البيومي

عبدالله الحضرمي يقرأ العربية على طلابه ، وقد خطأ كبار الشعراء ومنهم الفرزدق ، فثار عليه الشاعر وهجاه بأبيات منها قوله المشهور :

فلو كان عبدالله مولى هجوته ... ولكن عبدالله مولى مواليا

وتوالت دروس أبي عمر بن العلاء ، ويونس بن حبيب ، والخليل بن أحمد ، وسيبويه ، تقيم للعربية مجدا شاهق الأوج رفيع العماد .

وكان للحسن البصري مجلسه العلمي الرائع ، وفي حلقة درسه نشأ الاعتزال حين خاصمه تلميذه واصل بن عطاء ، واعتزل مجلسه الى مجلس آخر ، وتابعه في اتجاهه عمرو بن عبيد ، واشتد اللجاج فكثرت المعتزلة ، وظهر من رءوسها في المسجد الجامع أبو هذيل العلاف والنظام ، ومهما قيل في الاعتزال من نقد ، فان أعلامه الكبار هم الذين تصدوا للزنادقة والملاحدة ، وهم الذين حاربوا أعداء الاسلام بمنطق العقل فكشفوا عوارهم ، وكان اعتزازهم بالعقل مبعث نهوض فكري لم يقف عند العقيدة وحدها ، بل امتد الى كل بحث علمي .

وبذلك أصبح الفكر الاسلامي ذا ثروة رائعة نقف عليها اليوم فيما كتبه السابقون من تراث يصور أوجه الخلاف بين الفرق المتصارعة ، ولا يعيي صاحب العقل البصير أن يتجه الى ما يرتضيه من الآراء ، مقدرا وجهة نظر المخالف تقديره لوجهته التي يميل اليها ، وفي ذلك من سعة الصدر ورحابة الأفق ما يجب أن يكون على مدى الحياة .

على أن مجالس الوعظ والقرآن بالمسجد الجامع بالبصرة كانت أشد جذبا للعامة من رواد الحلقات ، اذ لا يصبرون على عمق الجدل الكلامي ، وتشعب مراميه ، وقد اشتهر بالقصص التهذيبي ، والوعظ الديني نفر كبير منهم أبو ذر الهمذاني الذي قال عنه الجاحظ : ما سمعت أبا ذر يعظ الناس إلا خيل الي أنه قد نفخ في الصور وقام الناس لرب العالمين ، وما سمعت أحدا يقلده عن غير بصر الا تمنيت أن يمشق بالسياط تسعين !

أما القاضي ابن سيار الأسواري فقد كان عجيبة العجائب حقا ، يقول عنه الجاحظ : ان فصاحته بالفارسية كانت تعدل فصاحته بالعربية ، وكان يجلس في مجلس وعظه فيقعد العرب عن يمينه والفرس عن شماله ، فيقرأ الآية من كتاب الله ، ويفسرها للعرب بالعربية ، وللفرس بالفارسية ، فلا يدري العالم باللغتين معا بأي لسان هو أبين ، وزميله الذي يجاوره في الحلقة عمرو بن قائد لا يقل مكانة عنه ، وقد قضى ستة وثلاثين عاما يفسر كتاب الله ، مبتدئا بسورة البقرة ، ومضى عليه هذا الأمد الطويل دون أن يختم القرآن تفسيرا .

وكان عراك النحاة واللغويين لا يقل روعة عن عراك سواهم من المتكلمين ، فكثيرا ما اصطدم الأصمعي بأبي عبيدة في حلقات المسجد الجامع ، وكانت الغلبة في الظاهر للأصمعي لأنه حسن المنطق ، فصيح المخارج ، بارع الفكاهة ، ولكن الذين يدققون في صميم الحوار ويتعمقونه يعرفون عمق أبي عبيدة وبعد غوره ، وان صد عنه تلكؤ لسانه وضعف بيانه أثناء الجدل .

وقد خاصم الأصمعي سيبويه في بعض المسائل ، وانتصر عليه بلباقته المعهودة حين أخذ يشقق الحديث ، وينتقل من فن الى فن ، ولكن الأصمعي نفسه كان يدري أنه يخدع السامعين دون أن يصيب المقتل من صاحبه ، وفيما رواه ياقوت الحموي عن الأصمعي اعتراف صريح يدل على أنه يعرف منزلة من يناظرهم ، ويعلم أنهم يصيبون إصابة لا تحتاج الى اللجاج لو لا ما منيت به النفس البشرية من حب الانتصار وزهو الغلبة .

قال ياقوت : قال أبو حاتم الجستاني : فقلت له ـ أي الأصمعي ـ في نفسي شيء أريد أن أسألك عنه ، قال : سل ، فقلت : حدثني بما جرى بينك وبين سيبويه في المناظرة ، فقال : والله ، لولا أني لا أرجو الحياة من مرضي هذا ما حدثتك ، إنه عرضَ عَليَّ شيء من الأشياء التي وضعها سيبويه في كتابه ، ففسرتها على خلاف ما فَسَّر فبلغ ذلك سيبويه فبلغني أنه قال : لا ناظرته إلّا في المجلس الجامع ، فصليت يوما في الجامع ثم خرجت فتلقاني في المسجد ، فقال لي : اجلس يا أبا سعيد ، ما

الذي أنكرت من بيت كذا ، وبيت كذا ، ولم فسرت على خلاف ما يجب ، فقلت له : ما فسرت الا ما يجب ، والذي فسرته أنت ووضعته خطأ ، تسألني وأجيب ، ورفعت صوتي ، فسمع العامة فصاحتي ، ونظروا الى لكنته ، وقالوا : غلب الأصمعي سيبويه ، فسرني ذلك ، فقال لي : اذا علمت أنت يا أصمعي ما نزل بك مني لم ألتفت الى قول هؤلاء ، ونفض يده في وجهي ومضى ».

وهذه القصة وان صورت جموح الأصمعي وشهوة الزهو لديه فانها تصور أيضا اعترافه بالحق لأبي حاتم ، وتقديره القوي لرأي سيبويه ، كما تصور في الوقت نفسه عظمة سيبويه حين لم يعبأ بمدح العامة أو ذمهم ، بل قال قوله عن يقين في صحته ، بل عن يقين في أن الأصمعي يعلم أنه مصيب ، ولكنه يأبى أن يتراجع ! فسيبويه في مجال التقدير العلمي أوفى كيلا من صاحبه .

واذا كان الشعراء في صدر العصر العباسي يؤمون هذه الحلقات فانهم لا محالة قد تأثروا فكريا بالمتكلمين ، وأخذت أفكارهم تعمق ومعانيهم تغزر بالاستماع الى هذه المجادلات الدقيقة ، وفيهم من بالغ في ذلك مبالغة اشتهر بها ، يقول الدكتور محمد طه الحاجري .

« وقد كان من أثر اتصال الشعراء بالمتكلمين وأخذهم عنهم « في مسجد البصرة » أن جعلنا نرى فيهم من اصطبغ شعره بالصبغة الكلامية ، فعرف بهذا اللون من الشعر كأبي عبد الرحمن العطوي ، وهو شاعر بصري المولد والمنشأ ، وقد ذكره محمد بن داود في كتاب الشعراء ـ على ما ينقل عنه أبو الفرج ـ قال : كان له فن من الشعر لم يسبق اليه ، وذهب فيه الى ما ذهب أصحاب الكلام ، ففاق جميع نظرائه ، وخف شعره على كل لسان ، وروى ، واستعمله الكتاب ، وأخذوا معانيه وجعلوه إماما ».

ونختار من أساتذة هذا المسجد الجامع شخصية الخليل بن أحمد فنعرف به على ايجاز وانه الشهير الجهير .

ـ ٢ ـ

قيل إنه لو اختير عبقريان من علماء الاسلام لكان أحدهما الخليل ، دون نزاع ، كما قيل لن يجوز على الصراط بعد الأنبياء من هو أدق ذهنا من الخليل . وهما قولان يجدان مبررهما من واقع الخليل العلمي لأن جهده في شتى ميادين العربية كان من الدهشة والعجب بحيث جاز لدارسيه أن يقفوا أمامه مبهورين .

تلقى الخليل بن أحمد العلم في مسجد البصرة على أساتذة كبار منهم عيسى بن عمر الثقفي وأبو عمرو بن العلاء ، ولكنهما بالقياس اليه في منطق العلم الموازن ذوا جهد متواضع ، لأن الخليل مع عبقريته الساطعة قد كافح وجالد وترك البصرة الى بوادي الأعراب ، ولم يسمع شيئا من العلم الا ناقشة وأبدى رأيه فيه تفنيدا أو تأييدا ، وقد ذهب الى البادية وجمع ما استطاع جمعه من ألفاظ الأعراب ، ومواد اللغة ، وكان السابق الى تدوين أول معجم لغوي عرفته العربية ، وقد جعل يقابل

فصحاء اللغة في مواسم الحج بمكة عدة سنوات ، ليقارن ما جمعه بما عند الفصحاء ثم رسم الخطة لوضع معجم يشمل المهمل والمستعمل معا فاحتوى على نحو من ١٢,٣٠٥,٤١٢ كلمة عربية بعضها مستعمل وأكثرها مهمل . وقد حدا به الى تدوين المهمل ما منحه من تفكير عقلي دقيق ، لأنه كان يجيء بالفعل فيذكر الاحتمالات في حروفه كلها ضما وفتحا وسكونا ، ثم يقلب اشتقاقه على شتى وجوهه فتأتي صيغ كثيرة منها المهمل والمستعمل ، فيقول عن كلمة واحدة هذه مما استعمله العرب وعن أخرى هذه مما لم تستعمله . ثم أضاف في مجال الاستشهاد على ما نطقت به العرب كثيرا من درر الشواهد ، ونوادر الفرائد ، وعجيب القواعد مما يعز وجوده في معجم غير معجم العين ، وقد نسب هذا المعجم الى تلميذه الليث ، وكل ما في هذا النسب أن الليث سمع أستاذه ودون قوله وزاد عليه في حدود منهجه الذي قرره ، ولسنا نبخس الليث فضله ، ولكن النزاهة العلمية تقول إن احضار الأرض واعداد أدوات البناء ، وتشييد القصر كله من عمل الخليل دون نظر الى لبنات جديدة وضعها تلميذ أو تلميذان في عدة جدر من جدران البناء ! وقد بدأ الخليل معجمه بالعين ولم يبدأ بالهمزة كما فعل غيره من بعده لأنه رأى هذا الحرف مما يلحقه النقص والتغيير والحذف ، ولم يبدأ بالألف لأنها لا تكون كلمة في الابتداء ، ولا تكون في اسم أو فعل الا زائدة أو مبدلة ، أما العين فهي أنصع الحروف فخصت بالابتداء ، وهناك كتاب يسمى فائت العين ينسب للخليل ، وليس له ، لأنه لو ذكر الفائت لوضعه في مكانه في النسخة التي يقرؤها لطلابه ، كما هي عادة العلماء ! ولا بد أن عالما لغويا كبيرا استدرك على الخليل بعض ما استعمل من ألفاظ لم تذكر في « العين »، وليس ذلك بمستغرب ، فقد قال الامام الشافعي في « الرسالة » لا يحيط بكلمات اللغة العربية بشر الا أن يكون نبيا !

أما كتاب سيبويه الشهير فمن وحي الخليل أستاذه ، لأن الخليل بعقله العلمي قد جاز بالنحو حد الرواية الى ضبط الأصول ، وبسط الفروع ، واستخراج العلل والأسباب ، ولو تفرغ للنحو وحده لكان قد اهتدى الى أكثر مما اهتدى اليه ، وبعض الناس يقيمون معركة في غير ميدان ، فيذهب أحدهم الى تجريد سيبويه من كل فضل ، ونسبة الفضل في الكتاب كله إلى الخليل ، وبعض آخر يذهب الى أن الخليل أستاذ سيبويه حقا ، ولكنه يشرح النحو دون تأليف ، فألف سيبويه كتابه من جهده وحده ، وكلا الفريقين جانح عن الحقيقة موغل في الخطأ ، فأثر الخليل في سيبويه واضح ، واذا وجد في الكتاب قول سيبويه : « سألته » أو : « وقال » فالضمير راجع الى الخليل وحده ، فما ظنك بمن يسأله سيبويه وينتظر اجابته ! الحق أننا نضع الحق في نصابه حين نقول ان الكتاب بتوجيه من الأستاذ للتلميذ ، وأن التلميذ كان له جهد يكافىء جهد الأستاذ ، وكلاهما في النحو ذو مقام عظيم .

ونأتي الى عجيبة العجائب حقا ، وهي ابتداع الخليل علم العروض ابتداعا على غير سابق مثال ، وتفرده وحده لا شريك له بانشاء علم عربي كامل تام ، اذا صرفنا النظر عن بحر استدركه بعده المستدركون !! ونحن نعرف أن كل شيء مبتكر في

العلم أو الفن يكون مظنة التعثر ، والأخذ والرد ، ويكون نواة يضعها المبتكر الأول في الأرض الجديدة ثم تتوالى الأيام عليها بتوالي الباحثين سقيا ورعيا وتسميدا وتهوية حتى تنشق الأرض عن الغصن الأخضر ، وينمو الجذع والساق ، وتهتدل الفروع ، وتنضج الثمار ! هذا هو المعهود في دنيا العلم ، أما أن يكون العروض دوحة فينانة مثمرة ممتدة نشأت في أرض الخليل وحده وبمعونته رعيا وتهوية وريا وتشذيبا ، قد بسقت غصونها ، وامتدت ظلالها وجاءت بأشهى الثمر ! أما أن يكون دوحة العروض الوارقة المثمرة كلها من صنع الخليل وغرسه ، فهذا هو الشيء الذي لا ينتهي منه عجب ذوي العقول .

يقول حمزة بن الحسن الأصبهاني :

« ان دولة الاسلام لم تخرج أبدع للعلوم - التي لم يكن لها عند علماء العرب أصول - من الخليل بن أحمد ، وليس على ذلك برهان أوضح من علم العروض ، الذي لا عن حكيم أخذه ، ولا على مثال تقدمه احتذاه ، فلو كانت أيامه قديمة ، ورسومه بعيدة ، لشك فيه بعض الأمم لصنعته ما لم يصنعه أحد منذ خلق الله الدنيا ، وذلك في اختراعه هذا العلم ، وفي تأسيس بناء كتاب العين الذي يحصر لغة أمة من الأمم قاطبة ، ثم امداده سيبويه من علم النحو بما صنف منه كتابه الذي هو زينة لدولة الاسلام ».

لقد رأى الخليل فاشية اللحن على أيدي الموالي . وشاهد من ضعف السلائق ، وبلبلة الألسنة ما خشى معه على الشعر رواية وانشاء . فأخذ يجمع شعر العرب من كل فج ليجعله طوائف وشيعا ، وليخص كل طائفة بوزن معين تنتمي اليه مئات القصائد ، فاتخذ أصولا ، ووضع لكل أصل تفعيلات متميزة يعرف بها ، وانتهت الأصول الى خمسة عشر أصلا سماها بحورا ، وجعل لكل بحر اسما يناسبه ، وقد أخذ يستخفي عن الأنظار وهو يقطع الأبيات على ما اخترعه من الأوزان ، فيذكر فعولن مفاعيلن متفاعلن ، ويكرر ذلك تطبيقا لما يحضره من الشاهد ، وقد رآه أحد أولاده يقطع الأبيات ، وينطق بالوزن العروضي فدهش وحسب أباه مجنونا ومضى ليخبر أسرته ، ولكن الخليل ابتسم لما علم وقال في عطف :

لو كنت تعلم ما أقول عذرتني ... أو كنت تعلم ما تقول عذرتكا
لكن جهلت مقالتي فعذلتني ... وعلمت أنك جاهل فعذرتكا

وللخليل بن أحمد جهد معلم في شكل الحروف على نمطها المتعارف الآن ، اذ أن الخط العربي كان في صدر الاسلام خلوا من الشكل والاعجام ، فجاء أبو الأسود ليجعل النقط ضبطا للحروف ، فعلامة الفتحة نقطة فوق الحرف ، وعلامة الكسرة نقطة تحته ، وعلامة الضمة نقطة وسطه ، وجعل التنوين نقطتين ، ثم جاء نصر بن عاصم ، فأعاد النظر الى الخط بتوجيه من الحجاج بن يوسف فأشار بنقط الاعجام بعد أن كانت الحروف كلها مهملة ، فوضع نقطة تحت الباء ونقطتين تحت

الياء وواحدة فوق النون واثنتين فوق التاء ، وثلاثة فوق الثاء وهكذا ، فاختلط نقط الشكل بنقط الاعجام ووقع الناشئون والكبار أحيانا في لبس مما يقرءون ، ولكن الله عز وجل هدى الخليل بن أحمد الى أن يميز بين الشكل والاعجام ، فجعل النقط للاعجام وحده ، أما الشكل فوضع له ما نعرفه الآن من علامات الفتحة والضمة والكسرة والسكون والشدة للمضعف ، والشرطتين للتنوين ، وجعل للهمزة رأس عين « ء »، فكان مجموع ما تم له وضعه ثماني علامات هي : الفتحة والكسرة والضمة والسكون والشدة والهمزة والصلة حرف « صـ » والمدة ، وترك كتابا يتضمن ذلك فلم يزد أحد عما فعل .

ومع هذا العلم الرفيع ، والاختراع المدهش فان الخليل كان متواضعا كل التواضع لم يفخر على أحد بما أحدث ، مع أن من يقرءون كتبه يفخرون تائهين لأنهم استطاعوا قراءتها فقط ، وعدوا أنفسهم بها علماء كبارا يشار اليهم بالبنان ، وقد تباعد عن الرؤساء فلم يتصل بخليفة أو وزير ، لأنه جعل العلم وجهته فقاسى من مشقات العيش ما كان يجب أن يمهد له تلقائيا ليفرغ الى مجهوده الضخم العملاق ، وقد عاش حتى رأى تلاميذه في حياته يتكسبون بعلمه ، ويعلمون الناس بما وعوا عنه درسا وتأليفا ، فتساق لهم الهدايا ، وتفرق عليهم البدر ، وتكال اليهم المناصب ، وهو مقيم بكوخ صغير من أكواخ البصرة ، فاذا غلبته نفسه ، وللنفس غلبة في أحيان الضيق ، تعزى بما يحفظ من روائع الحكم قرآنا وحديثا وشعرا ، وأخذ ينشد قول الأخطل :

واذا افتقرت الى الذخائر لم تجد ذخـرا يكـون كصالـح الأعمـال

وقد أدرك حالته المتقشفة بعض الولاة من أبناء المهلب بن أبي صفرة ، فأجرى له راتبا ، وكان واليا على فارس والأهواز وأرسل اليه يستدعيه ، فأحس الخليل أنه منصرف لا محالة عما هو بصدده من معالجة شئون العلم نحوا وعروضا ولغة وموسيقى ، فرد عليه بقوله :

أبلغ سليمان أني عنـه في سعة وفي غنى غير أني لست ذا مال
الرزق عن قدر لا الضعف ينقصه ولا يـزيـدك فيـه حـول محتـال

وكانت وفاة الخليل فجأة بمسجد البصرة ! هذا المسجد الذي شهد فتوحه العلمية قد قدر عليه أن يشهد مصرعه بل مصرع أنبغ من شاهد من العلماء ، اذ يذكر المؤرخون أن الخليل بن أحمد دخل المسجد وهو يفكر في اختراع نوع من الحساب تذهب به الجارية الى التاجر فلا يظلمها ، فصدمته سارية « عامود » من سواري المسجد فشجت رأسه وسقط مغشيا عليه ، فعجلت هذه الصدمة القاسية بوفاته رحمه الله ، وإن أجل الله اذا جاء لا يؤخر .



بأقلام القراء

لغتنا العربية

كتب الأخ / الحسيني محمد عبد الرحمن - من الأردن - حول هذا الموضوع يقول : -

الحديث عن اللغة العربية لا ينبغي ان ينتهي .. بل لا بد ان يأخذ طابع الاستمرارية .. طالما اننا نحيا بها وتحيا بنا ..

لقد جعلها الله سبحانه وعاء لكتابه المجيد : « **إنا جعلناه قرآنا عربيا** » ... كما انها وعاء لعلوم الدين كلها من تفسير ، وفقه ، وتوحيد ، وغيرها ..

وهي لغة حديث رسولنا العظيم - صلى الله عليه وسلم - الذي أوتى جوامع الكلم ..

وهي التي تحوي كنوز تراثنا العلمي والأدبي .. ذلك التراث الذي نفخ الروح في هذه الأمة قديما فسادت الدنيا كلها ..

ولقد افاض كثير من الكتاب في الحديث عن العلل التي اصابت لغتنا .. والعي الذي اصاب ألسنة المتحدثين بها ... فأصبحت لغة غريبة بين قومها .. لا تلقى منهم عناية ولا اهتماما ..

والأسباب واضحة لا تخفى على احد ..

وقد يكون كلامنا معادا اذا قلنا ان الشباب في كل دولنا العربية تقريبا يرى ان الوظائف المرموقة وفرص العمل المربحة هي غالبا من نصيب اولئك الذين يجيدون لغة اجنبية او لغتين ..

اما الذين يجيدون اللغة العربية فأصبح مكانهم في الصفوف الخلفية ..

وصارت النصيحة المتداولة على ألسنة كثيرة موجهة للنشء تقوا لهم : أتقنوا لغة اجنبية تفوزوا بالخير والفلاح .

اما الذين يدرسون اللغة العربية في المعاهد والجامعات فانهم - وهذا شيء محزن - جرفتهم الاقدار الى هذا المصير الذي لم يرغبوا فيه .. اذ ان اكثرهم من اولئك الذين تلفظهم الكليات العملية كالطب والهندسة وغيرها ..

وقد نتج عن ذلك ان نشأ جيل من مدرسي اللغة العربية لا يكاد يحسن نطق جملة واحدة .. اذا قرأ احدهم القرآن تعتع فيه وأعوج لسانه .. والشعر الذي تحسبه لؤلؤا منثورا ..

اذا أنشده أحدهم ذهب برونقه وروائه .. فلا تكاد تحسبه شعرا او حتى نثرا مقبولا .. هؤلاء هم الأمناء على أجيالنا .. والقائمون على تأديبها وتقويم ألسنتها ..



اما وسائل اعلامنا فيبدو ان الحديث عنها اصبح كلاما لا غناء فيه ..

وكأني بالقائمين عليها لا يعنيهم ان تكون لغة اجهزتهم لغة عربية سليمة او غير سليمة .. لا يعنيهم ذلك في شيء طالما ان ما يريدون توصيله للناس يصل اليهم بأية صيغة كانت ..



وان نسيت فلا أنسى ابدا الخطباء .. وخاصة خطباء المساجد ، فقد سمعت بعضهم وهو يخطب يغم عليه بدهيات في اللغة .. ورغم كل هذا فأنني لا ارى الاصلاح عسيرا وأعد من خطواته ما يأتي :

١ - ان يبدأ تقويم اللسان من الصغر ، وذلك بالاهتمام الجاد بمدارس تحفيظ القرآن الكريم .. او التي تسمى في بعض البلاد : الكتاتيب .. ذلك لان حفظ القرآن الكريم منذ الصغر هو الحليب الذي اذا رضعه الطفل اكتسب مناعة ضد اعوجاج اللسان ..

٢ - انشاء مجمع لغوي على مستوى الدول العربية كلها .. لا تكون مهمته قاصرة على نحت الالفاظ .. وانما يتولى - بما يتاح له من وسائل - حماية لغتنا من التبذل والانحطاط .. واحياء تراثنا اللغوي الهائل وتنشئة اجيال قادرة على التحدث باللغة العربية الناصعة ..

٣ - ان تكون لهذا المجمع اذاعة وصحيفة يشرف عليها ويؤدي من خلالهما رسالته ..

٤ - ان يضاف بند الى مواثيق الشرف الاعلامية في الدول العربية ينص على ان التفريط في التحدث او الكتابة باللغة العربية السليمة يعد اخلالا بهذه المواثيق ..

٥ - ان يوضع المتحدثون بلغتنا الجميلة في موضعهم السليم .. فلا يحرمون من الوظائف والمناصب الهامة بينما تعطى لغيرهم ممن يجيدون لغات اجنبية ..

٦ - ان يدرك كل من له اهتمام بالثقافة الاسلامية ان بين علوم اللغة العربية وعلوم الدين رباطا وثيقا جدا ، فهما

كشقي المقص .. وان من يقرأ في علوم الدين ويهمل القراءة في علوم اللغة فقد فاته خير كثير .. ولم يعرف تاريخ امتنا عالما تبحر في علوم الدين الا وكان - بنفس القدر - متبحرا في علوم اللغة ..

٧ - ان يدخل كليات اللغة العربية من يعشق لغتنا الجميلة او على الأقل من لا يبغضها ..

٨ - المجلات الاسلامية لا تكاد تولي اللغة العربية شيئا من الاهتمام ..

صحيح ان ما ينشر فيها يلتزم الاسلوب اللغوي السليم .. لكن هذا وحده لا يكفي ..

اذ كيف لا تنشر هذه المجلات شيئا من بديع تراثنا اللغوي ؟. ثم كيف لا تهتم بتصحيح الاخطاء اللغوية الشائعة ؟ ولماذا لا ينشر فيها القدر الكافي من الموضوعات التي تناقش موضوعات تتعلق باللغة العربية وآدابها .. الى غير ذلك مما يعرفه القائمون عليها اكثر مما يعرفه مثلي ..

أخيرا فاني اكرر .. الاصلاح ليس عسيرا .. اذا أردناه ..

عدو العرب والاسلام

كتب الشيخ / علي احمد الحاوي - من مصر العربية - تحت هذا العنوان يقول شعرا : -

بيجن ربيب الحقد والأسقام قد ظل دوما مدمن الإجرام
كم من قبيح سافر يحلو له غر يعيش بأسوأ الأحلام
كم من بلاء وافتراء حاكه بيجن عدو العرب والإسلام
صهيون في صلف وحلم زائف متخبط في جنة وظلام
عقل الصهاينة القرود عقيدة قامت على السرقات والإرغام
لا يؤمنون بمبدأ او قيمة وفقا لأخلاق وفكر سامي
قد صدعوا الأقصى بكل بلية بين اعتداء وانتقام دامي
موجات صهيون بآمال شدت في جنة الأطماع والأوهام
فكر عقيم مفلس متعفن ويضيق بالأعراف والأفهام
هذا هو الأقصى ينادي أمة هي أمة الاسلام والإقدام
لخلاص مسجدها وزهرة قدسها من قبل فوت الحين والأيام
لا بد يوما ان ترد لأهلها كل الحقوق . لسيد وهمام .

مع الصحافة

من الخطأ أن يظن أن صفحات قليلة كهذه يمكن أن تحيط بما تعرضه الصحافة من شؤون العالم الاسلامي في خلال شهر ، كما أن من الخطأ أيضا أن يظن أن الصحافة نفسها تولي شؤون المسلمين في العالم اهتماما حقيقيا شاملا لهمومهم وأزماتهم وأوضاعهم عامة . فمن المعروف أن الصحافة عادة لا تقول كل شيء ، أو هي لا تستطيع ذلك ، لأسباب أصبح الكثير منها معروفا .. ومألوفا أيضا .

ثم ان المسلمين أنفسهم لم يقوموا حتى الآن بانشاء وكالة أنباء اسلامية تتوفر على الاهتمام بقضاياهم على نحو يسع الأحداث الكثيرة المتتابعة التي تجتاح هذا العالم الاسلامي المترامي الأطراف . والى أن يتم ذلك سوف تبقى أخبار العالم الاسلامي على هامش الصحافة ، ولن تجد لها مكانا الا في ثنايا أخبار الغرب أو الشرق ،

حين لا تجد وكالات الأنباء العالمية مفرا من ذكرها ، لأنها تتصل - على نحو أو آخر - بمصالح تلك الدول غربية كانت أو شرقية . هذا .. فضلا عما تتعرض له أخبار المسلمين من تشويه أو توجيه ، تبعا لما تقتضيه مصالح هذه الدولة أو تلك ، وميولها .



واهتمام الصحافة في معظمه ينصب هذه الأيام على ما يسمى «عملية السلام» في الشرق الأوسط ، وعلى الأوضاع العربية التي نجمت في أعقاب مؤتمر فاس الأخير ، وعلى المخاوف الجديدة المتوقعة من استئناف المعارك في حرب الخليج .

وأما ما يحدث من اشتباكات دموية بين المسلمين والسيخ في الهند ، وأما أحوال سائر المسلمين في الشرق الأقصى أو في افريقية وغيرها .. فقل أن نظفر بما يجلو الصورة بوضوح .

وأما الحرب المنسية في أفغانستان بين المجاهدين المسلمين والغزاة الروس فلم نكن لنعرف عنها شيئا لولا تقرير ورد في صحيفة اسلامية غير مشهورة سنورد قبسات منه بعد قليل .

○ دوامة المبادرات

احتلت المباحثات الأردنية

الفلسطينية موقعا بارزا من اهتمام الصحافة ، ومع ذلك لم يخف عدد من المحللين السياسيين شكوكهم في نجاح أي تحرك سياسي ، ما دام العدو الاسرائيلي يستطيع أن يفرض ارادته بقوة السلاح ، دون أن تبدي الدول

العربية ارادة مماثلة لخيار عسكري ما ، يتيح للخيار السياسي استعادة بعض الحقوق المغتصبة .

تقول صحيفة «الغارديان» في مقال لها بعنوان «خريطة جديدة للشرق الأوسط» :

« الحقيقة هي أنه ليس هناك أدنى أمل في الشرق الأوسط بامكانية اقناع الحكومة الحالية في اسرائيل بمنح الفلسطينيين أي شيء أكثر من الحقوق البلدية المحدودة في مدن الضفة الغربية .

فالمفاوضات التي حدثت مؤخرا في الأردن ، والجهود الدبلوماسية العربية التي ستجد مكانا لها في واشنطن قد أجريت على أمل أن حكومة جديدة ذات آمال بالسلام ستظهر في تل أبيب أخيرا .

ورغم أن كلمة «الكونفيدرالية» ظلت تستخدم دائما لوصف العلاقة المستقبلية بين ضفتي نهر الأردن ، ففي القانون الدولي تعتبر الوحدة الداخلة في الاتحاد الكونفيدرالي دولة ذات سيادة لها الحق بصياغة سياستها الخارجية ووضع نمط دفاعاتها العسكرية .

ومن الواضح أن هذا لا يتناسب مع الخطط الأمريكية والاسرائيلية التي ترمي الى تذويب الفلسطينيين » ..

وحول الأمل الذي يتعلق به بعض العرب في تغيير حكومة العدو الاسرائيلي ، لتسهيل المباحثات ، والفوز ببعض الحقوق .. تقول «الهيرالد تريبيون» :

ومن المشكوك فيه أن يكون ما حدث (في الغزو الصهيوني الأخير للبنان) قد قلص التأييد القوي لبيغن في أوساط الاسرائيليين الذين يحبون أسلوبه المتشدد ولغته «العبرية القديمة» وتعصبه العرقي .

وتنقل صحيفة «كورييري ديلاسير» الايطالية في تحقيق لها : وجهة نظر معظم اليهود في اسرائيل بعبارة موجزة لأحد اليهود يقول فيها :

« أعتقد أن بيغن يمثل اسرائيل ، وهو تعبير عن الحسم .. وعن الارادة ، القوة والايمان بالخط العادل (!) ومذابح صبرا وشاتيلا لا تغير أبدا وجهة نظري هذه ...

نحن الاسرائيليون لا علاقة لنا بهذا الموضوع . لا تنخدعوا أبدا بالمتظاهرين في تل أبيب فهم لا يمثلون الأغلبية هنا » .

أما «الايكونوميست» فتعرض تحليلا للظروف المحيطة بالمباحثات الأردنية الفلسطينية في مقال نشر في أوائل هذا الشهر جاء فيه :

لا تدوم اجراءات الوحدة بين الدول العربية طويلا - وقد كانت هناك عدة محاولات في الماضي - لأنها كانت تقوم

دائما على أسس عاطفية غامضة . ولكن المحادثات المطولة والمكثفة التي تجري في عمان منذ يوم السبت الماضي التاسع من أكتوبر والتي قد تسفر عن قيام اتحاد كونفيدرالي بين الأردن والضفة الغربية وقطاع غزة هي أكثر واقعية لأنها مبنية على أسس متينة من المخاوف المشتركة .

لقد غير الأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية ترتيب أولوياتهما منذ الحرب في لبنان .

فقبل الحرب كان يجب أولا تحرير الضفة وقطاع غزة من الاحتلال الاسرائيلي ، ثم يأتي بعد ذلك احتمال ربطهما مع الأردن في اتحاد كونفيدرالي . أما الآن فقد جرى ،

تحت ضغط الخشية وعامل الوقت ، بحث تفاصيل هذا الاتحاد للموافقة عليه مسبقا ، على أن ينفذ عندما تتم استعادة هذه المناطق المحتلة .

وهكذا أصبح الاتفاق الأردني الفلسطيني عامل ضغط لازالة الاحتلال . ولم يأت هذا الاجراء تنفيذا لبيان القمة العربية في فاس في الشهر الماضي ولكن الأردن شعر بالخطر يتهدده من جانب اسرائيل ، وبخاصة بعد سيل التصريحات من وزير الحرب أرييل شارون التي هدد فيها النظام الهاشمي .... والفلسطينيون شعروا بالخطر يتهددهم أيضا .. »

○ في أعقاب قمة فاس :

تعرب معظم الصحف العربية عن خيبة أمل كبيرة من التطورات التي أعقبت مؤتمر فاس الأخير على صعيد العلاقات العربية ، لا سيما ما يتعرض له الفلسطينيون من ضغوط فقد ورد في افتتاحية للرأي العام أواخر ذي الحجة بعنوان « الوفاق والحد الأدنى » :

بعد مؤتمر القمة العربي الأخير في فاس ، بدا أننا خرجنا بصيغة من التضامن العربي ...
لكن يبدو أن «العادة القديمة» غلابة ، بحيث أن مناخات الانقسام بدأت تطل من جديد ، وتبرز رؤوسها ، من شتى الأمكنة والمواقع .

والحقيقة أننا لم نعد نتعاطى تلك «الأحلام القديمة» حول الوحدة بين الدول العربية ، وما درجنا عليه في السنوات الطوال الماضية . ولا ننكر أننا صدمنا في جميع تلك الأحلام ، حتى أننا بتنا نشك في أننا لم نكن نتحدث عن

خرافات . ولذلك تحولت أحلامنا ـ حتى لهذه الدرجة ـ نحو أن يكون بين الدول العربية ولو حد أدنى من التوافق ، بحيث نحفظ وجوهنا أمام العالم ، ونمتنع عن أن نكون مضغة في أفواه الآخرين ، ومضحكة لديهم .

وعن أزمة القرار الفلسطيني كتبت «الوطن» في افتتاحيتها في ٢٦ ذي الحجة :

« إذا كنا ندعو الى ان يعطى الفلسطينيون حق تقرير المصير في مواجهة اسرائيل ، فاولى ان نعترف للفلسطينيين ايضا بحق تقرير المصير في مواجهة العرب . ولطالما نادينا باستقلال العمل الفلسطيني ورفع الوصاية من عليه ، خاصة ان التجارب العديدة اثبتت ان القيادة الفلسطينية تملك وعيا سياسيا يمكنها من مواجهة الكثير من

التحديات التي تعترض طريقها باقتدار .
ان الجهد العربي ينبغي ان يصب في اتجاه دعم الموقف الفلسطيني وليس الى تصفيته .. وكفانا نكسات وصدمات وشرذمات وتصفيات !»

○ حرب الخليج المدمرة

عبرت مجلة الرائد الصادرة في الهند عما يسببه استمرار حرب الخليج من آثار مدمرة للمسلمين ، وهم في اشد الحاجة الى دمائهم وامكاناتهم وقواهم . تقول المجلة :
لقد انتهز العدو هذه الفرصة ، فرصة انشغال البلدين بالحرب الأهلية ، واشتباكهما ، والوهن الذي اصابهما بسبب هذه الحرب الطويلة ، أن يحقق أهدافه في لبنان وأماكن أخرى .

○ المجاهدون المنسيون في افغانستان

قبل ان نعرض نبذا من تقرير عن أفغانستان نشير الى مقال نشرته « الموند » الفرنسية عن « الحرب المنسية في افغانستان » وعزت فيه صمت الغرب المريب الى عقود شراء الغاز التي تبرمها دول الغرب مع السوفيات . تقول « الموند »:

« إن الصمت والنسيان الذي يبدر من شركات التلفزيون تجاه « الحرب القذرة » التي ما زالت تدور في افغانستان يبدو غريبا وظالما .. وان كافة الحكومات الاوروبية الغربية التي تعاقدت لشراء الغاز السوفياتي في الاونة الاخيرة لم تسأل على الاطلاق عن المصدر الحقيقي لهذا الغاز الذي ستحصل عليه ، والحقيقة ان قسما كبيرا من الغاز الذي سيبيعه الاتحاد السوفياتي الى الدول الاوروبية الغربية والذي سينقل عبر سيبيريا ، مسروق من افغانستان ..».

وعن خطة السوفيات في الحرب لضرب المسلمين الافغان بالمسلمين الروس تقول الصحيفة :
ان القيادة السوفياتية العليا فهمت الخطأ الذي ارتكبته في البداية بارسالها الى الحرب في اراضي دولة مسلمة قوات سوفياتية مسلمة تم تجميعها من اوزبكستان وتركمانيا وتادجيك وقرغيزيا .

اما « الاكسبرس » فقد تحدثت عن الاسلحة الكيماوية والالغام (الدمى) التي يستخدمها السوفيات ضد المسلمين الافغان ، وذلك في مقال نشرته اواخر ذي الحجة بعنوان « دمى الموت السوفياتية » جاء فيه :
« انها الغام صغيرة فظيعة لانها اشبه ما تكون بلعب الاطفال ، فهي لا تتجاوز حجم علبة السجائر ، والسوفيات يلقونها في كل مكان فوق الجبال الافغانية وخاصة في الممرات الاساسية وعلى طول الحدود الباكستانية ..
ولهذه الالغام الوان خضراء ورمادية او صفراء تمتزج مع الاعشاب والطبيعة المحيطة بها ، واذا ما وطئها انسان فانه فسيفقد ساقه اما اذا لمسها فسيخسر يده .
ويعتبر الاطفال اول ضحايا هذه اللعب البلاستيكية التي تبدو بريئة وكذلك النساء والرجال ..

وقد لاحظ الاطباء السويسريون ان الجروح التي تسببها الالغام في بعض

الاحيان تتعفن وتصبح الاصابة شبيهة بتلك التي يتسبب فيها الفوسفور ولا تستجيب للعلاج التقليدي بالمضادات الحيوية ».

اما جريدة « الدعوة » الصادرة في « دلهي » بالهند في ١٢ ذي الحجة فقد عرضت تقريرا مطولا عن التطورات الاخيرة في عمليات الجهاد الافغاني جاء فيه :

الأمر الأساسي الذي نشاهده في الحرب التي تدور رحاها في افغانستان هو :

انها ليست حربا بين جيشين من الجيوش النظامية ، بل هي عبارة عن مقاومة شعبية اتسع نطاقها وشملت جميع انحاء البلاد . حيث اصبح كل مواطن افغاني مجاهدا في سبيل الله ..

وتقسم افغانستان الى ثلاث مناطق من وجهة المعارك القائمة فيها :

١ ـ المناطق التي تشتمل على معارك ساخنة .
٢ ـ مناطق الاشتباكات العادية
٣ ـ مناطق اللا حرب واللا سلم .

كابل ، وجلال آباد ، وغزني ، وهرات ، وقندهار ، ومزار شريف تعيش قلاقل ومعارك ولا يسودها السلم . ان جميع تلك البلدان تحيط بها ظروف خطيرة معبأة بالاشتباكات والمعارك . ولذلك فان السلطات في تلك البلدان تضطر في اغلب الاحيان الى فرض منع التجول حتى بالنهار ..

وقد حدثت خلال شهرين ماضيين معارك ساخنة جدا في سبع عشرة ولاية افغانية من بين ثمان وعشرين ولاية . كما

حدثت في ست ولايات اشتباكات نعتبرها اشتباكات عادية . بينما عاشت خمس ولايات وضع اللا حرب واللا سلم ..

ان القوات الروسية استخدمت سلاحها الجوي في جميع الولايات على وجه التقريب ، والولايات التي اصيب فيها السكان باضرار جسيمة في الارواح والاموال بالغارات الجوية الروسية هي : فارياب . وغور ، وننكرهاو وقندهار ..

وعن غارات فدائيي المدن يقول التقرير :

هذا عنصر جديد انضم الى حركة المقاومة الافغانية من عام ١٩٨١م .

ونطلق على هذا العنصر الجديد مصطلح (فدائيو المدن) ان هؤلاء الفدائيين ـ على العكس من المجاهدين الذين يشتغلون في القرى والضواحي ـ يشنون الغارات على المدن بصورة عصابات تتكون حينا من نفرين واحيانا من ثلاثة او اربعة انفار .

وان اكثر من ضرب اعصاب ادارة كابل وقوات الاحتلال الروسي هو هذا العنصر الفدائي الجديد . ان فدائيي المدن ينفذون عمليات الاغارة بكل نجاح على كل من كابل العاصمة ، ومدينة غزني ومدينة هرات ومدينة قندهار .

وعن الوضع السياسي يذكر التقرير :

ان ادارة كابل تعاني صراعا عنيفا بين حزب برجم وحزب خلق . ولا تزال ادارة كارمل تستنفد جهودها لانهاء هذا الصراع بين الحزبين الشيوعيين . كما ان ادارة كارمل بايعاز من روسيا تخطط الآن لاثارة سوء التفاهم بين المهاجرين الافغان وبين المواطنين الباكستانيين .

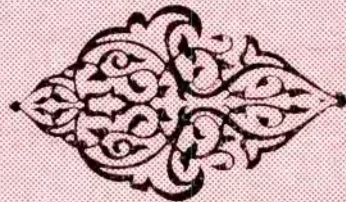
« إلى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بالشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨) بيروت ـ لبنان او بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر	:	القاهرة ـ مؤسسة الاهرام ـ شارع الجلاء .
السودان	:	الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص.ب (٣٥٨)
الجزائر	:	الشركة الوطنية للصحافة ٢٠ شارع الحرية
المغرب	:	الدار البيضاء ـ سابرس ـ محمد برادة
تونس	:	الشركة التونسية للتوزيع .
لبنان	:	بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨)
الاردن	:	عمان : وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : (٣٧٥)
السعودية	:	جدة : مكتبة مكة ـ ص.ب (٤٧٧)
		الخبر : مكتبة مكة ـ ص.ب (٦٠)
		الرياض : مكتبة مكة ص.ب (٤٥٢)
		المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء
مسقط	:	المؤسسة العربية للتوزيع والنشر ـ ص.ب (١٠١١)
صنعاء	:	دار الفكر
البحرين	:	دار الهلال
قطر	:	دار العروبة ص.ب ٦٣٣
ابو ظبي	:	المؤسسة العامة للطباعة والنشر ـ ص.ب (٦٧٥٨)
دبي	:	دار الحكمة ص.ب (٢٠٠٧)
الكويت	:	الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات ت ٤٢١٤٦٨

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة .

محتويات العدد



طباعة موسسة دار السياسة ـ الكويت ـ

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

العدد ٢١٩ - ربيع الأول ١٤٠٣ هـ - ديسمبر / يناير ١٩٨٣ م



هديتك مع العدد : مجلة براعم الايمان

مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ
أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ

الوعي الاسلامي

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة التاسعة عشرة

العدد/٢١٩ - ربيع الأول ١٤٠٣ هـ - ديسمبر / يناير ١٩٨٣ م

هـدفهـا

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرهـا

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم ٤٢٨٩٣٤ _ ٤٤٩٠٥١

التوزيع والاشتراكات

الشركة العربية للتوزيع (ش.م.ل)
ص. ب « ٤٢٢٨ » بيروت . لبنان
تلكس ARABCO 23032 LE

● الثمـن ●

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم
ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي



كلمة الوعي

لن نيأس أبداً.. وسنكافح مقتدين برسول الله

الأمة الاسلامية عرضة في هذه الحياة لأحداث ومصائب تنزل بها ، سواءأ كان نزولها بما كسبت ايديها ام امتحانا يختبر الله به ايمانها ليميز الصادقين من الكاذبين .

ومن شأن الاحداث ان توقظ في نفوس المؤمنين التفكير العميق في طريقة معالجتها والتغلب عليها ، لان تعاليم الاسلام تدعوهم الى الاخذ

بالاسباب التي تصون عزتهم وكرامتهم ، وفي مقدمتها الاعتصام بحبل الله ، والوحدة على الحق ، والتضحية في سبيل المبادىء العليا والقيم الكبرى ، قال تعالى : (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها كذلك يبين الله لكم اياته لعلكم تهتدون) وقال سبحانه : (وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة ابيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير) .

وقد كان الاسلاف الاوائل يستمسكون بحقوقهم الى حد انه اذا نال منهم عدو او حل بهم مكروه هجروا السكون والدعة ، وتركوا تقاليد الترف والسرف ، وابتعدوا عن اسباب اللهو والمرح ، ولا يقر لهم قرار الا اذا نالوا ثأرهم من عدوهم ، واستردوا ما فقدوه من ارض ومقدسات ، ولبسوا ثوب العزة ، ومزقوا ثياب المذلة والهوان ، فاذا تم لهم ما يبغون ـ نتيجة كفاحهم وجهادهم ـ حمدوا الله وشكروه لانه الموفق والمعين ، ينصر من ينصر دينه ، ويثبت على طريق الحق قدمه ، ويدحر المعتدين الظالمين (إن تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم والذين كفروا فتعسا لهم وأضل اعمالهم)) .

وحاضر الامة الاسلامية قد ملىء بالمحن الشداد من عدو خبيث تسنده كل قوى العدوان في الارض . اغتصب ارضها ومقدساتها منذ سنين ، ثم ارتكب ذلك العدوان الصارخ باحتلال لبنان ، واقامة ابشع المجازر ضد النساء والاطفال والشيوخ من اللبنانيين والفلسطينيين ..!! ولا يشك عاقل في ان تفرق الامة الناجم عن تركها لتعاليم الاسلام واتباعها لطرق الشياطين هو سبب تخاذلها في صد العدوان حتى اصابها ما اصابها من عار وشنار !!

واذا كان المنافقون قد اسعدتهم تلك المصائب وقرت عيونهم بحدوثها

فان المؤمنين قد جرحوا بها جرحا عميقا ، واحسوا بآلامها احساسا دقيقا ، ولا بد ان يعملوا على التخلص منها طال الزمن او قصر ، ولن يصرفهم عن العمل لخلاص الامة من هذا البلاء صارف ، وسيبذلون كل طاقاتهم لجمع أمتهم على العمل بكتاب الله وسنة رسوله ، ولن يسمحوا لمشاعر الدعة والهزل واللامبالاة التي يروجها المنافقون ان تخامر النفوس او تصرفها عن حياة الجهاد والكفاح ، ولهم في رسول الله أسوة حسنة .

لقد كان رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام صاحب طاقة كبيرة تستوعب الحياة في جميع حالاتها من عسر ويسر ، وانكسار وانتصار .

ولقد علم اصحابه ان الاستسلام للشهوات المادية ، والحرص على نمط معين من الملذات ، سقوط بالهمة ، وخور في العزيمة واسترخاء مع الشيطان ، قال عليه الصلاة والسلام يصف المجتمعات المعتلة « انما اخشى عليكم شهوات الغي في بطونكم وفروجكم ومضلات الهوى » رواه احمد والطبراني والبزار في المعجم الكبير وقال : « تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة » رواه البخاري وليس معنى هذا الهدى النبوي تحريم المباح ولا زجر الناس عن طيبات احلت لهم ، وانما معناه ابعاد المرء عن الشهوات المحرمة ليكون صاحب ارادة قوية تتجه الى اقرار الحق فيبذل المال والنفس في سبيل الله تحقيقا للعزة ، وحفاظا على الديار والمقدسات . وذلك قوله تعالى (ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن ومن اوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم)

ان الولع الشديد باللهو واللعب والاستجابة للشهوات الآثمة والأهواء المضلة وعدم الاحساس بمرارة العدوان دلالة واضحة على موت القلوب وقبول الدنايا وحب الدنيا ، وكراهية الموت . وفي المجتمعات التي فتكت بها هذه العلة يقول الله تعالى : (إن هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا) ويقول سبحانه (فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم) .

لقد عاشت الامة فترة من الزمن وقد غيرت ما بنفسها فبعدت عن هداية الله وصرفت النظر عما يجب ان تراه وتفعله ، وحملقت عيونها فيما يجب ان تغض عنه وتسترخي بازائه ، فكانت المصائب والمحن (ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) .. واعداء الاسلام لا يطلبون من الامة الاسلامية ان تفعل بنفسها اكثر من ذلك .

والآن وبعد هذه النوائب تقف الامة على مفترق طرق ، ويتحتم عليها لتعود لها عزتها ويصان وجودها ، ان تعود الى اسلامها عودا صحيحا وان تحتكم في جميع امورها الى قانون ربها ، وتتوب الى خالقها ليكفر عنها سيئاتها ويمدها بنصره وتأييده (يأيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار) .

ايها العرب : لقد حملتم لواء الاسلام للعالم ، وكان سلفكم الصالح اساتذة العالم وهداته وانتم تعلمون ما أحدثتم . وان منقذكم الوحيد مما انتم فيه من تنازع وشقاق هو الاسلام ولا علاج لكم سواه فماذا تنتظرون بعد هذا البلاء الذي حاق بكم وبكل مسلم ؟

الا يستحق المسجد الاقصى وما حوله ولبنان وما اصابها وقفة تدبر واستعبار يتلاوم فيها المفرطون ، ثم يغضبون لله غضبة تمحو العار وتدرك الثار ؟

إن لنا أملا في تلك الوقفة لأنها الفيصل بيننا وبين اعدائنا ، وهي الفيصل بين الكرامة والمهانة في تاريخنا .. واذا صح العزم وضح السبيل (والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون) . نسأل الله الهداية والتوفيق .

رئيس التحرير

محمد الأباصيري

عِلم وبيان

يقول قرآن ربنا العظيم في نصه الحكيم :

« **وانهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم . ان في خلق السماوات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون** » « ١٦٣ ـ ١٦٤ سورة البقرة »

ولما كانت آيات القرآن الكريم قد نزلت في مناسباتها حسبما يستلزم الامر ويقتضي الحال . ردا على سؤال .. او تقديرا لموقف .. او حسما لما عليه جدال او ثبتا لما يفرضه الاسلام .. او تبيانا لما هو حلال .. وما هو حرام . الا ان الله تبارك وتعالى شاء ان ترتب الايات بغير ترتيب نزولها .. فكما كان يوحى الى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاية كان يوحي بمكانها .. محددا ما قبلها .. وما بعدها . وبذلك تم ترتيب الآيات الكريمة في السور الشريفة .. كما شاء الله جل شأنه وكما هو يتداول بين ايدينا .. وهو على غير ترتيب نزولها .. ولا شك ان من ضمن ما نتبينه من اهداف ذلك .. هو الربط والترابط بين آياته الشريفة كلها .. ونصوصه الكريمة جميعها .. وهو ما يتضح في الايتين الكريمتين موضع هذا البحث .

فالآية الاولى تقرر بديهية عقلية .. وحقيقة علمية .. ان الهنا .. اله واحد . وان لا اله الا هو .. وانه هو الرحمن الرحيم ..

وجاءت الآية الثانية وهي التالية لها في ترتيب تسجيل الآيات فاوردت بعض شواهد وجود الله ووحدانيته .. وصورا من بالغ قدرته وواسع رحمته . وحددتها في :

● خلق السماوات والارض

من آيات القرآن

للاستاذ عبد الرزاق نوفل

● اختلاف الليل والنهار
● الفلك التي تجري في البحر
● انزال الماء من السماء
● تصريف الرياح
● السحاب المسخر بين السماء والارض

ولقد وصل العلم الى بعض الحقائق فيما اوردته الاية الشريفة . فقدم بها الى الانسان الادلة القاطعة على وجود الله ووحدانيته .. والامثلة الواضحة على رحمة الله بالناس وبالغ حكمته .. وهذه الادلة لا شك فيها . ولا خلاف عليها .. ولا جدال عنها لان ادلة العلم تعتمد على القياسات العملية والفحوص المعملية والمشاهدات التسجيلية والحقائق العلمية ولذلك فان الايمان عن طريق العقل ووسيلته العلم واجهزته السمع والبصر والوعي والادراك اثبت واقوى واعمق من الايمان عن طريق النقل .. الذي يتأثر بالناقل .. ويتغير بتغيره او تغير ما ينقله اليه ..

والسماوات يراها الانسان . كل انسان .. من اول العهد به وحتى نهاية البشر .. يراها في كل زمان .. ومن كل مكان .. ويتعجب اشد العجب .. انه لا يجد لها اولا تبدأ منه .. ولا اخرا تنتهي عنده .. ولا يقدر لها عمقا تصل اليه .. ولا شك ان المتأمل لذلك المتدبر له .. لا بد ان يسبح بحمد الله الخالق القادر .. يرى الانسان السماء. في نجومها .. فتدهشه كثرتها انها كثرة بالغة . فقد اعتقد انها تبلغ الفا .. هكذا قال علماء علم الفلك في اول العهد بهذا العلم اذ تمكن بطليموس من عد حوالي الف نجم صنفها الى ست مجموعات طبقا للمعانها .. واطلق عليها الست مقادير .. ثم استحدث العلم اجهزة الرصد والتقريب فأتيح له ان يرصد مئات الالاف .. وكلما تقدم في استخدام وسائل ادق .. كلما زاد عدد النجوم التي يمكنه رصدها .. ووجد ان هناك غيرها اكثر مما وصل علمه اليها .. لذلك قال حجة علم الفلك السير جيمس جينز في كتابه (الكون الغامض) في النصف الاول من القرن الحالي .

« ربما كان مجموع عدد النجوم التي في الكون قريبا من مجموع عدد حبات الرمل التي تغطي شواطىء البحار في العالم كله » .

ثم استخدم الانسان علم الفلك الراديوي يبحث في السماء على اساس اشعاعات راديوية موجودة بها بدلا من رصد الضوء واخيرا دخلت علوم الفلك في مرحلة اخرى جديدة ومتطورة

وذلك بدراسة الاشعة السينية المنطلقة في الفضاء .. ويتفق العلماء على ان السماء اعمق واكبر واضخم مما يتسع له الخيال اي خيال وان عدد النجوم اضعاف اضعاف اي عدد يتصوره الانسان .. والاعجب من ذلك ان العدد يتزايد .. والسماء تتسع وتتمدد وانه بالتحليل الطيفي للنجوم المضيئة ثبت ان المجرات التي تحوي النجوم والكواكب غير تلك التي تحتوي ارضنا وما يتبعها وما تتبعه تبتعد عنا مندفعة في السماء البعيدة بسرعة ١٤ الف ميل في الثانية وانها كلما ازدادت بعدا عنا ازدادت سرعتها الى درجة اكبر لم يعرف قدرها وان السماء دائما في اتساع وتمدد .. وان النجوم ابدا تتكاثر .. وتولد .. وتنمو .. وهذه الحقائق العلمية قال بها قرآن ربنا الكريم سابقا العلم بعشرات المئات من السنين بمثل النص الشريف :

« **والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون** »

« ٤٧ سورة الذاريات »

وبالرغم من هذه السرعات الرهيبة وحركة كل نجم في مجموعته .. وبالرغم من هذا الحشد الهائل من عدد يكاد لا يكتب ولا يقرأ .. ويتكاثر ويتزايد فانه لا فرصة اطلاقا لأن يصطدم نجم بآخر .. ولا ان يقترب من مجاله بحال من الاحوال ..

هذه بعض قدرة الله .. في الخلق .. وهذه بعض حكمته في التقدير والتدبير .

ويرى الانسان السماء .. فيعتقد حسبما يتراءى له ان ما بين النجوم انما هو خلاء ولكن العلم قد اثبت ان النجوم ليست في فراغ ولكنها محاطة بالغازات والتراب والتي اسموها بالغاز البيني اي ما بين النجوم وقرر ان السماء من الامتلاء به بحيث لا تستطيع اي قوة مما نعهدها او نعرفها ان تشق هذا التكتل الذي يكون السماء او ان تحدث ادنى نقص في اتصاله غير المتناهي .. بل ان العالم استخدم لفظ البناء في التعبير عن حقيقة قيام السماء . وهو ما قاله قرآن ربنا العظيم منذ اربعة عشر قرنا من الزمان بالنص الشريف :

« **الذي جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء** »« ٢٢ سورة البقرة »

هذه السماوات بما فيها ـ والتي تلتف حولنا من كل ناحية من يمسكها هكذا فلا تقع على الارض .. قال العلم انها الجاذبيات .. ثم قال اخيرا .. بل لا جاذبيات .. اذ تتوالد النجوم وتندفع بسرعات رهيبة مما لا يجعل للجاذبيات اي تأثير على حفظها .. ويجيب القرآن الكريم على ذلك بالحقيقة القاطعة في النص الكريم :

« **ويمسك السماء ان تقع على الارض الا بأذنه ان الله بالناس لرؤوف رحيم** »

« ٦٥ سورة الحج »

اليست هذه شاهدات على وجود الله ـ ووحدانيته .. وقدرته .. ورحمته .

اما عن خلق الارض فان الاجهزة العلمية التي خرجت من الارض ودارت حولها ورصدت حركاتها .. وصورت شكلها .. وسجلت

امجادها .. قد قدمت لنا عدة ملايين من الصور المسجلة من مختلف الزوايا وشتى الاركان . ومن اجهزة عديدة من دول متفرقة .. وتلتقي كلها في حقيقة علمية واحدة . هي أن الارض ليست كرة كاملة الاستدارة ولكنها اشبه الاشياء الدحية اي البيضة وقد سبق قرآن ربنا العظيم الى ذكر هذه الحقيقة بالنص الكريم :

« **والارض بعد ذلك دحاها** »

« ٣٠ سورة النازعات »

الارض اذا هي اشبه ببيضة . معلقة في الفضاء .. وانها كما اظهر الرصد والتسجيل تلف حول نفسها .. وايضا تلف حول الشمس . وبالرغم من شكلها الكروي . وحركتها هذه وتلك .. فان ما عليها لا يقع ولا يتناثر . فالمياه تجري في الانهار .. والبحار تفيض بالماء .. ونبني ونرتفع بالبناء وكل ذلك على سطحها . اليس ذلك صنع اله .. وامره ..

ويقرر العلم ان الارض على المسافة المثلى من الشمس لقيام الحياة وانها لو قربت .. منها .. او بعدت عنها . قليلا لانتهت الحياة .. بل ان اخر ما توصل اليه العلم يقرر ان الارض محاطة احاطة تامة في سمائها الدنيا بنطاق من الاشعاع القوي للجسيمات النشطة واسموه بحزام فان آلن .. كما امكن اكتشاف ما يسمى بالمارد الذري الذي يرهب العلماء منذ ما يقارب من نصف قرن اذ انه في طبقات الجو ويلف الارض تماما وهو ذرات من البروتون السالب التي تستطيع ان تفني المادة من جميع اشكالها وفي كل حالاتها افناء تاما .. اليس هذا هو بعض حفظ السماء الذي يقول عنه القرآن الكريم :

« **وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون** »

« ٣٢ سورة الانبياء »

اليست هذه بعض اللمحات الخاطفة في خلق الارض .. وما تشير اليه من بالغ قدرة الله ورحمته بالانسان .. بل وبالكون كله .. والا تدل على وجوده .. وعلى وحدانيته .. سبحانه وتعالى ..

ويعيش الانسان حياته بين ليل ونهار .. ومن عدالة امر الله سبحانه وتعالى ان العالم ينقسم بالتساوي بين الليل والنهار .. بالنسبة لكل انسان . في اي بقعة كان . ففي منطقة الاستواء يتساوى الليل والنهار يوميا وعلى طول العام . ثم يزداد النهار طولا صيفا وبالتدريج كلما بعدنا عن هذه المنطقة .. حيث يتناقص بقدره شتاء ويطول الليل الى ان نصل الى منطقة القطب فنجد ان النهار يستمر ستة اشهر متصلة والليل يستمر كذلك ستة اشهر متتابعة ..

واختلاف الليل عن النهار امر واضح يحس به ويراه كل انسان .. ماديا . بالنسبة للضوء والظلام وحيويا بالنسبة للطاقة والقدرة .. وسيكولوجيا بالنسبة للاحساس .. والادراك .. وقد ثبت بالقياس اختلاف كل نهار عن سابقه .. وعن لاحقه .. وكذلك يختلف الليل .. اي ليل .. وكل ليل عن غيره .. بعوامل شتى .. كالحرارة والرطوبة ودرجة الظلام ..

او شدة الضوء .. ودرجة الريح .. وسرعته واثـر النجوم والقمـر .. والاشعاعات التي تنهمر على الارض .. ويختلف من يوم الى اخر .. ومن ليلة عن غيرها .. وكل هذه الاختلافات بين الليل والنهـار .. وبين الليـالي وبعضها . والنهار وغيره .. انما هي من صور رحمة الله سبحانه وتعالى بعباده . فقد اثبتت الدراسات العلمية التي اجراها فـريق من الباحثـين البريطانيين بقيادة طبية بمستشفى سـانت تومـاس بلندن اخيـرا ان الشمس والقمر يؤثران على مزاج الشخص . وان الوقت كذلك نهارا وليلا . وفي اي شهر والطقس وحركة النجـوم والكواكب كلهـا تؤثـر في الانسـان . تأثيـرا ماديـا ونفسيا مباشرا وقويا فهذا الاختلاف في الليل والنهار وما يهدف اليه .. وما نعلم عنه الا القليل .. وهذا القليل انما يشير الى سعة رحمة الله بعباده وانه حقـا وصدقا .. الرحمن الرحيم ..

والانسان ليعيش حياته لا بد له من ان يتعامل مع الناس . وهذا التعامل انما يشمل . من هم بالقرب منه . والبعد عنه .. فهو يأكل ما زرعـه غيره .. ويلبس ما يعده له سواه .. ويشـارك في التجارة او الصنـاعة غيره .. ثم انه لا بد ان يتعامل مع البعيد عنه في مختلف البقاع وشتى الامصار .. فالله سبحانه وتعالى قد وزع ارزاق النـاس في كل انحـاء العالم .. فتشابكت بذلك مصالحهم .. ووجدنا حاجة كل فرد الى غيره ماسة وضرورية .. وكذلك الـدول .. في مختلف القارات .. ويجد الانسان ان البحر يفصل تماما بين القارات ويباعد بين البلاد . وانه لا بد ان يركبه ويعبر بـه من حيث هو الى حيث يحقق حاجاته . هكذا سخر الله للانسان ما يجعل الفلك تجري في البحر بما يحقق نفعه .. بداية من طلب العلم .. حيث تتفاوت درجاته في مختلف البلاد .. حتى تحقق التجارة وتوزيع منتجات الصناعة .. ونجدة دول قد يعتدي عليها .. والفلك تجري في البحر بداية من سفن الشـراع التي يـدفعهـا الهواء .. حتى هذه القلاع الضخمة والعابرات الضخمة تسير بما وفق الله به الانسان من استخدام للبخار او الذرة او الطاقة النووية وما قد يوفق الله اليه الانسان .. اذا شاء فيما بعد .. هذا الماء .. يحمل هذه الاوزان الكبيرة من الحديـد كسفينة ومـا تحمل .. وتسير كما تشاء .. الى حيث تشاء .. ولكن المشيئة هي لله وحده .. فهو الذي شاء فكانت الفلك وكانت رحلتها في البحر .. فسبحانه لا اله الا هو الرحمن الرحيم .. فهذا اثر من رحمته واشارة لقدرته ..

ومن ماء البحر وحرارة الشمس عليه .. يتكون البخار الذي يتصاعد اعلى الى السماء .. ثم يعود ليهطل على الارض ماء عذبا .. فاذا بالارض به .. وبلا غيره .. تتحرك بالحياة .. بعد موتها .. فتنبت الزرع .. وهو الغذاء الوحيد لكائنات حية تعيش عليه .. وايضا الغذاء لغيرها .. التي تعيش عليه وعلى هذه الكائنات ، وعلى رأسها واعلاها الانسان .. الذي احيا

الله الارض بالماء الذي انزله من السماء .. فدبت كائنات حية لتحقق الحياة الطيبة الكريمة للانسان .. رحمة من الله به .. وفضلا منه .

اما نزول الماء على الارض فانما تحدد مكانه واتجاهه الرياح .. قوتها .. سرعتها .. وجهتها .. وعوامل اخرى عديدة .. كلها تشارك في تنفيذ امر الله الذي قدر سابقا كمية ما ينزل من الماء . واين ينزل .. والا لنزل المطر الى حيث صعد وتبخر .. اي ينزل الى البحر فلا يستفاد به .. ولكن رحمة الله بالانسان .. سبقت .. فقدرت للريح اتجاهها وسرعتها لتحمل الماء الى حيث يجب كما اراد الله . جل شأنه .. والرياح التي تدفع الفلك على البحر .. وتدفع السحاب في السماء الى حيث يجب ان ينزل .. هي ايضا من ضمن وسائل تلقيح النباتات .. فهناك من النباتات ما لا تتلاقح الا بالرياح . حيث تحمل حبوب اللقاح في اعضاء تذكير النباتات .. الى اجهزة النباتات الخاصة بالتلقيح .. وهذه الحقيقة العلمية التي وصل اليها العلم بعد دراسات مطولة وابحاث مستفيضة .. ومتابعات معملية وبعد استخدام وسائل البحث المتطورة من اجهزة تكبير وتسجيل وتصوير قال بها القرآن الكريم منذ اربعة عشر قرنا من الزمان في النص الشريف :

« **وارسلنا الرياح لواقح** » « ٢٢ سورة الحجر »

والسحاب لا يتكون الا اذا تبخر الماء من على المسطحات المائية على الارض .. فهو بذلك انما يكون دائما بين السماء والارض .. فاذا سقط على الارض .. لم يعد بسحاب .. ولذلك فالسحاب مسخر بين السماء والارض فهذا مكانه .. كما انه كل سحاب ممطر لا يفترض ان ينزل مطره على الارض . فهناك حالات .. وكثيرة يهطل السحاب بالمطر من السماء فاذا اقترب من جو الارض .. وصادف درجات حرارة كبيرة .. عاد المطر ليتبخر بفعل الحرارة الى السماء مرة اخرى .. ولا ينزل بذلك المطر على الارض .. فهو بذلك ولذلك مسخر بين السماء والارض .. يصعد الى السماء .. وقد ينزل على الارض .. او يهبط في السماء ويعود اليها ثانية .. وكل هذا انما هو تدبير العزيز الحكيم .. وتقدير الله الواحد العليم حتى تتحقق رحمته بالانسان . فهو الرحمن الرحيم .

هذه هي بعض البديهيات العقلية التي تقوم على الشواهد البصرية والحقائق العلمية والتي يصل بها الانسان اذا ما شاهد وتأمل وتفكر .. واذا ما بحث وتدبر الى الحقيقة الاولى في هذا الوجود وهي ان الله الهنا اله واحد لا اله الا هو .. وانه هو الرحمن الرحيم .. ولذلك بعد ان اوردتها الاية الشريفة قالت عنها انها ايات لمن يستخدمون عقولهم .. فستؤمن قلوبهم .. انها فعلا وحقا وصدقا آيات لقوم يعقلون ..

« **كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون** »

« ٢٤٢ سورة البقرة »



عندما ينصف الغربيون رسول الإسلام

رسول الله وأثره

تمهيد :

لم يكن محمد رسول الله عليه الصلاة والسلام أول رسول ، كما أنه لم يكن أول مصلح ، ولكنه كان أعمق هؤلاء جميعا في التأثير في حياة البشر ، سواء أكان ذلك في حياته أم بعد مماته ، فهو صلوات الله وسلامه عليه صاحب رسالة شاملة ، كاملة ، متوازنة ، تصل المسلم بالله تعالى ، وتجعله يحس بكرامته عليه ، وبأن له رسالة في هذه الحياة ، وتجعله يقظ الضمير عالي الهمة كريما على نفسه وعلى مجتمعه ، يؤدي حق الله ، وحق نفسه ، وحق مجتمعه ، كما يؤدي حق جسمه وحق روحه ، والقدوة الكاملة الحية في نفس كل مسلم هو رسول الله عليه الصلاة والسلام ،

ومن هنا ، فقد استطاع أن يربي ، وأن يؤثر ، وأن ينشر في ربوع العالم الأمن والسلام والاطمئنان ، التي لم تستطع آية فلسفة في قديم البشرية وحديثها أن تحققها ، ولعل هذا هو الذي جعل الدكتور « مايكل هارث » صاحب كتاب **المائة الأوائل** يختار**محمدا** عليه الصلاة والسلام أول واحد منهم ، وقد برر هذا الاختيار بقوله : (**إن اختيار محمد ليكون الأول في قائمة أهم رجال التاريخ قد يدهش القراء ، ولكنه الوحيد في التاريخ كله الذي نجح أعظم نجاح على المستويين الديني والدنيوي ، فهناك رسل وأنبياء وحكماء بدءوا رسالات عظيمة ، ولكنهم ماتوا دون إتمامها ،**

في البشرية

للأستاذ/ علي القاضي

كالمسيح في المسيحية ، أو شاركهم فيها غيرهم ، أو سبق إليها سواهم كموسى في اليهودية ، ولكن محمدا هو الوحيد الذي أتم رسالته الدينية كاملة ، وتحددت كل احكـــامها ، وامنت بها شعوب بأسرها في حياته ، ولأنه أقام إلى جانب الدين دولة جديدة ، فانه في هذا المجال الدنيوي أيضا وحد القبائل في شعب ، والشعوب في أمة ، ووضع لها كل أسس حياتها ورسم أمور دنياها ، ووضعها في موضع الانطلاق إلى العالم أيضا في حياته ، فهو الذي بدأ الرسالة الدينية والدنيوية وأتمها ، ثم يقول مبرزا سببا آخر من أسباب اختياره نبي الاسلام ليكـــون الأول : (إن معظم الذين غيروا التاريخ ظهروا في قلب أحد المراكز الحضارية في العالم في بيئة متمدنة تبرر ظهور العظماء فيها ، ولكن محمدا هو الوحيد الذي نشأ في بقعة من الصحراء الجرداء المجردة تماما من كل مقومات الحضارة والتقدم ، ولكنه جعل من البدو البسطاء المتحاربين قوة معنوية هائلة ، قهرت بعد ذلك امبراطوريات فارس وبيزنطة وروما المتقدمة بما لا يقاس ، وفي تاريخ الغزو في كل زمان ومكان يكـــون الغزو عسكـــريا ، ولكنه في حالة الرسالة المحمدية فان معظم البلاد التي فتحها خلفاؤه استعربت

تماما ، وتغيرت لغة ، ودينا ، وقومية ، من العراق وسوريا إلى آخر الشاطيء الافريقي غربا ، إلى السودان جنوبا ، وأصبحت أمة واحدة تتكلم لسانا واحدا إلى الآن ، فهناك اليوم بعد ألف وأربعمائة سنة خمسمائة مليون مسلم ، ولكن هناك بينهم حوالي مائة وخمسين مليون عربي ، وهو معيار في قياس أثر الرسالة أي استمرارها الزمني وثباتها ليس له مثيل في تاريخ الفتح في العالم ، كذلك لا يوجد نص في تاريخ الرسالات نقل وبقي بحروفه كاملا دون تحريف كل هذا الزمن سوى القرآن الذي نقله محمد ، الأمر الذي لا ينطبق على التوراة مثلا أو الانجيل .

هكذا نجد أن فتوحات العرب التي بدأت في القرن السابع الميلادي قد بقيت تلعب دورا هاما في التاريخ الانساني حتى يومنا هذا ، ومن أجل هذا النفوذ الديني والدنيوي فانني وجدت أن محمدا هو صاحب الحق الوحيد في أن أعتبره صاحب أعظم تأثير على الاطلاق في التاريخ الأنساني) .

مقارنة :

بحث الغربيون في تاريخ رسول الله عليه الصلاة والسلام ، وفي رسالته ، وحاولوا أن يقارنوه بالغزاة والفاتحين فلم يجدوا له شبيها ، لا في العصور القديمة ، ولا في العصور الحديثة ، وما أشد غرامهم بالمقارنات ، وما أشد اهتمامهم بالبحث في أوجه القصور بالنسبة لنبي الاسلام .

ومن هذه المقارنات التي قاموا بها مقارنتهم النبي الكـريم بالاسكندر الأكبر في فتوحاته وسعتها وسرعتها ، فوجدوا أن فتوحات الاسكندر كانت عسكرية فقط ، فهي لم تغير شيئا من حياة الشعوب ، ولا من عاداتها ، ولا من أخلاقها ،

فهو لم يحمل رسالة تفيد أي شعب من هذه الشعوب ، بينما نبي الاسلام حمل رسالة كاملة خالدة إلى جميع الشعوب ، وإلى جانب هذا فان المدن قد دمرت تدريجيا في ظل حكـم الامبراطورية الرومانية ، بينما عمرت المدن في ظل الحكم الأسلامي

وإلى جانب هذا ، فان الاسكندر الأكبر لم ينقل معه الفكر اليوناني ، وإنما تبنى بدون قيد ولا شرط الأفكار التي كانت سائدة في البلاد المغلوبة في ذلك الوقت ، واعتنق عقائدها ، وأخيرا فان المستعمرين الأغريق خضعوا لفاتحين أخرين ..

ولكـن الاسلام غير كل شيء سياسيا ، واقتصاديا ، واجتماعيا ، في البلاد التي فتحها ، وقد تغلغل في الأعماق بالنسبة لهذه الشعوب جميعا ، فكـان التغيير شاملا في اللغة ، والعادات ، والأفكـار ، والأخلاق ، والتشريع ، وتغير تصور هذه الشعوب عن العالم وعن الله تعالى ، وعن المفاهيم التي أصبحت سائدة ، وذلك التغير كان سريعا ، وأحست هذه الشعوب إحساسات جديدة نحو نفسها ، ونحو الأنسانية ، والأفكـار الأسلامية

كانت دائما تنتشر وتكسب الأتباع كلما أتيحت لها الفرصة لكي تظهر في بساطته ونقائه الفطريين ، ومعنى ذلك أن الأسلام له قوة ذاتية وتوافق فريد مع الطبيعة البشرية وحقائق الكون .

المفكرون الغربيون :

والمفكرون الغربيون درسوا سيرة محمد صلوات الله وسلامه عليه ، وتكلم كل منهم عن الجانب الذي أثاره « فبرونر » في مقدمة كتابه « القرآن » تأليف « دي ساير » ـ لاحظ أن البناء الأخلاقي والديني لا يزال منصوبا على قوائمه ، وثابتا في صلابته ، حتى قيل : إنه لم يحدث منذ بداية الهجرة أن مسلما قد تحول عن الأسلام إلى دين آخر .

لقد انتشر الأسلام بين شعوب مختلفة في الجنس ، واللغة ، والدين ، والمناخ من الصين إلى مراكش ، فصاغ هذه الشعوب جميعا في بوتقة الاسلام ، وأصبح لها بناء اجتماعي واقتصادي وثقافي وتاريخي واحد ، ومع ما تعرض له هذا البناء على مدى التاريخ من عناصر التدمير الداخلية والخارجية إلا أنه لا يزال فيه من الحيوية ما يمكنه من أن يؤدي رسالته في العالم المعاصر ، وكانت سرعة الفتح ملفتة لنظر الجميع ، والآثار الأسلامية والعقائدية والاجتماعية والثقافية واللغوية قد تركت بصماتها في كل مجتمع من المجتمعات التي عاشت فيها ، بل وأكثر من ذلك فقد لاحظ المقدسي في كتابه « أحسن التقاسيم » ملاحظة دقيقة ، قال :إن الفرس من القرن الرابع الهجري كانوا أشد غيرة على اللغة العربية من العرب أنفسهم ، فهم ليسوا حريصين على الأسلام فقط ، بل وعلى اللغة التي نزل بها القرآن ، وبلغ حرصهم درجة عظيمة حتى صاروا أكثر حرصا من العرب أنفسهم أصحاب اللغة .

وما أكثر الشعوب التي رفضت أن تذوب في الفاتحين ، ولكن حين دخلها الاسلام ، كانوا خير المنفذين لتعاليمه .

وهناك ملاحظة أخرى لاحظها بعض المنصفين من الغربيين ، تلك هي أن كل عاصمة من عواصم الدنيا تعيش لنفسها ولا تأبه بالآخرين ، ومن هنا فقد شقيت أمم كثيرة من أجل الأمة المتسلطة ، وما أكثر ما حطمت لندن وباريس من عواصم لتنعم هي ، والسبب يظهر في الحياة المادية التي تحياها هي .

ولكن عاصمة الأسلام أو عواصم الاسلام لا تقوم بهذا العمل لأن لها رسالة تؤديها لجميع البلاد ، وجميع الأمم ، وجميع الناس ، وهي أن يعبد الانسان ربه الذي كرمه وخلقه في أحسن تقويم .

ولقد كانت العاصمة الثقافية الأسلامية متنقلة ، ويعتبر ذلك مظهرا من مظاهر شباب الحضارة الاسلامية ، ولذلك فهي أطول الحضارات عمرا ... فالحضارة الاسلامية ــ على غرار الانسان ــ لها قلب يتصل به ، وهي الأماكن المقدسة .

و« دير مانجايم » يعجبه في الاسلام إبعاد أفراد المجتمع عن فوضى المعاشرة الجنسية ، وما استطاع أن ينشره الرسول الكريم من الأمن والطمأنينة بين أفراد المجتمع ، فيقول : (إن دعوة محمد قد أوجدت في الجزيرة العربية تقدما غير قابل للاعتراض ، سواء أكان ذلك في نطاق الأسرة أم الجماعة ، فان قيمة المرأة في المجتمع برسالة محمد قد علت ، وحظها من الحياة قد تحسن ، ويرى أن الفحش والمعاشرة الحرة بين المرأة والرجل قد حظرها دين محمد ، وقد حرم أيضا إكراه الأماء على اتخاذ الفحش وسيلة لأثراء مواليهن ، كما كان متبعا من قبل ، ثم يقول : إن أفضل البراهين على عظمة رسالته ، هي تلك العقول المطمئنة ، والقلوب العامرة بالسكينة ، والأرادة القوية التي عالجت الأنسان من الأمراض الأخلاقية) .

و « ول ديورانت » ــ صاحب قصة الحضارة ــ كتب مجلدا كاملا عن الحضارة الاسلامية ، وقد نظر إلى أثر النبي الكريم في المجتمعات التي آمنت به ، وفي تواضعه الذي لم تعرف له البشرية مثيلا ، فيقول : « إذا حكمنا على العظمة بما كان للعظيم من أثر في الناس ، لقلنا : إن محمدا كان أعظم عظماء التاريخ ، فقد رفع المستوى الروحي والأخلاقي لشعب ألقت به في ظلمات الهمجية حرارة وجدب الصحراء ، وقد نجح محمد برسالته في ذلك نجاحا عظيما لم يدانه أحد على مدى التاريخ ، لقد كبح محمد جماح التعصب ، وقضى على الخرافات ، وأقام فوق الديانات القديمة لبلاده دينا ساميا سهلا واضحا بنى به صرحا خلقيا عاليا ، واستطاع في جيل واحد أن ينتصر في مائة معركة ، وفي قرن واحد أن ينشىء دولة عظمى ، وأن يبقى إلى يومنا هذا قوة ذات خطر عظيم ، لم يتظاهر محمد قط بأبهة السلطان ، بل كان يرفض أن يوجه إليه شيء من التعظيم والتبجيل ، يقبل دعوة العبد الرقيق إلى الطعام ، ولا يطلب من عبد أن يقوم له بعمل يجد لديه من القوة والوقت ما يمكنه من عمله ، لم يكن ينفق على أسرته إلا القليل من المال ، رغم ما كان يرد إليه من الفيء الكثير ، أما ما كان ينفقه على نفسه فكان أقل القليل ، وكان يخص الصدقات بالجزء الأكثر من هذا المال .

و « توماس كارليل » يعجبه في محمد عليه الصلاة والسلام الصدق والتواضع ، كما يعجبه في الاسلام المساواة وفرض الزكاة ، وغير ذلك من الأشياء التي ساعدت على انتشار الاسلام ، فيقول في كتابه « الابطال » عن محمد البطل الرسول : (إني أحب محمدا لبراءة طبعه من الرياء والتصنع ، ولقد كان ابن القفار هذا رجلا مستقل الرأي ، ولا يدعي ما ليس فيه ، لم يكن متكبرا ، ولكنه كان يخاطب بقوله الحر الصادق قياصرة الروم وأكاسرة العجم).

ثم يقول : وفي الاسلام خطة أراها

أشرف الخلال وأجلها ، وهي المساواة بين الناس ، والناس في الاسلام سواء والاسلام لا يكتفي بجعل الصدقة سنة محبوبة ، بل يجعلها فرضا محتما على كل مسلم ، وقاعدة من قواعد الدين ، ثم يقدرها بالنسبة إلى ثروة الفرد فتكون جزءا من أربعين من الثروة ، فتعطى إلى الفقراء والمساكين وأبناء السبيل ، وما هي إلا صوت الانسانية السمحة الصافية المتراحمة المتعاطفة ، صوت الرحمة والأخاء والمساواة ، ثم يقول : لقد أخرج الله العرب بالأسلام من الظلمات إلى النور ، وأحيا بالأسلام من العرب أمة خاملة ، وأرضا هامدة ، وهل كانت إلا فئة من الأعراب خاملة متعثرة ، تجوب الفلاة لا يسمع لها صوت ، ولا يحس لها حركـــة ، فأرسل الله لها نبيا هو محمد ، فاذا الخمول وقد استحال إلى نشاط ، والضعة تتحول إلى قوة والشرارة إلى حريق ، وما هي إلا قرن من الزمان يمر على هذا الحادث الفذ ، حتى أصبح لدولة العرب موقع القدم الراسخ في العالم ، من الهند إلى الأندلس ، فأشرقت دولة الأسلام حقبا عديدة بنور الفضل والنبل والمروءة والبأس والنجدة ، وسيطر الحق والهدى على نصف المعمورة ، وكــذلك الأيمان المنظم العظيم فهو مبعث الحياة ومنبع القوة).

فيلم الرسالة :

وفيلم الرسالة يحكي رسالة محمد صلوات الله وسلامه عليه ، ومع أن علماء المسلمين لم يوافقوا على عرضه لوجود بعض الأخطاء فيه ، إلا أنهم في الغرب استقبلوه استقبالا هائلا ، وقد عرض ما يقرب من عامين متواليين في معظم دور الخيالة الأوربية ، وأن الانسان ليأخذه العجب حين يرى صفوف الأوربيين متراصة للحصول على تذاكر لمشاهدة الفيلم ، ويخرجون بعد مشاهدته ليبدوا إعجابهم الرائع بهذه اللقطات من التاريخ الاسلامـي ، والتي تضع أيديهم كما يقولون على مفاهيم عظيمة لم يتمكنوا من معرفتها ، اللهم إلا من كان منهم متخصصا في هذه الدراسات ، ويرجعون ضيق ذات يدهم في هذا المجال إلى أن الدراسات عن الأسلام ونبيه العظيم ورجالاته الخالدين لا تزال حبيسة اللغة العربية ، ويقول الغربيون : إن هذا عيب في الكاتبين باللغات الأجنبية المقروءة من المسلمين ، وقصور دور النشر العربية عن الاسهام في ترجمة هذه الثقافة الخالصة إلى العالم باللغات التي يفهمها ويقرؤها .

عن الاجراءات الحربية :

وقد لاحظ بعض المفكرين الغربيين أن النبي صلوات الله وسلامه عليه – لا يميل إلى العنف ، ولا يحب المعارك ، ولا يتخذ الاجراءات الحربية العنيفة ، لأن كل هذه الأشياء ليست من طبعه ، ولكنه كان يحب للناس أن يدخلوا في دين الله وأن يهتدوا بهداه ، ولذلك فقد كان القرآن الكريم يلوم النبي صلوات الله وسلامه

عليه ـ في ذلك ، كان يلومه على حرصه الشديد في إسلام الناس ، مع أنهم لا يريدون أن يتبعوا طريق الهدى **(فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا)** الكهف/٦ ، كما لامه على أنه رضي بالفدية ، ذلك لأن الامام يتصرف في الأسير طبقا للمصلحة العامة ، وفي بداية الاسلام فان المفروض ألا يبقوا على الأسرى حتى لا يعودوا فيكونوا حربا عليهم ، لذلك كان من المفروض أن يكثر القتل في الكفار ، ففي ذلك إعزاز لشوكة المسلمين ، وإضعاف للمشركين **(ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم . لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم)** الأنفال/٦٧ ، ٦٨ .

وقد لقي النبي صلوات الله وسلامه عليه من أهل مكة ما لقي ، ومع ذلك فانه عندما فتح مكة وانتصر عليهم النصر الحاسم ، وعلت كلمة الله في جنباتها ، نهض رسول الله إلى البيت العتيق ، وأخذ يكسر الأصنام ، وهو يقول :**(جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا)** الاسراء/٨١ حتى إذا طهر المسجد من الأوثان ، وأقبل على قريش وهم صفوف ، يرقبون قضاءه فيهم ، أمسك بعضادتي باب الكعبة وهم تحته ، وقال: لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ، ثم قال : يامعشر قريش ما ترون اني فاعل بكم ؟ قالوا له ، وهم الذين يعرفون خلقه عن طول صحبة : خيرا أخ كريم ، وابن أخ كريم ، قال : فاني أقول لكم ما قاله يوسف لأخوته : لا تثريب عليكم اليوم ، اذهبوا فأنتم الطلقاء .

بل أكثر من هذا ، فقد كان رسول الله بالمسجد الحرام يجهز على الوثنية ، واقترب منه فضالة بن عمير ، يريد أن يجد فرصة ليقتله فنظر إليه النبي نظرة عرف فيها طويته ، ولكنه لم يجد في نفسه على الرجل ، بل استدعاه وسأله : ماذا كنت تحدث به نفسك ؟ فقال فضالة : لا شيء ، كنت أذكر الله ، فتبسم النبي ، ثم قال : استغفر الله ، وتلطف معه ، ووضع يده على صدره ، فانصرف الرجل وهو يقول : ما رفع يده عن صدري حتى ما من شيء أحب إلي منه ، ولو أن قائدا في عصرنا الحديث حصل له هذا لأباد العشرات ، بل والمئات ، ولكنه محمد رسول الله .

ومواقف المنافقين واليهود مع رسول الله مشهودة ومعروفة ، فقد كانوا يتآمرون على الفتك به بل وحاولوا ذلك مرات عديدة ، ومع ذلك فانه لم يجد عليهم في نفسه ، بل إنه كان يستغفر للمنافقين راجيا لهم الرحمة من الله تعالى ، فنزلت الآية الكريمة **(استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين)** التوبة/٨٠ ، ومع ذلك فان النبي الكريم قال : أزيد على السبعين ، فنزلت الآية الكريمة

(سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم) المنافقون/٦ ــ وهذا هو الذي جعل « دير مانجايم » يعجب بانسانية محمد الرائعة ، في معاملة أعدائه في الحرب ، وفي عدم التعرض لغير المحاربين ، وفي عدم تجريد السلاح إلا عند الضرورة القصوى ، فيقول : (إن محمدا قد أبدى في حياته اعتدالا يلفت النظر ، فقد برهن في انتصاره النهائي على عظمة نفسية قل أن نجد لها في التاريخ مثيلا ، فهو يأمر جنوده بألا يتعرضوا للضعفاء والمسنين ، والأطفال والنساء ، وحظر عليهم هدم البيوت وسلب الناس ، وأمرهم ألا يجردوا سيوفهم إلا عند الضرورة القصوى).

تأثير الأسلام في الأديان الأخرى :

يقول الأستاذ « احمد أمين » : ظهر بين النصارى نزعات يظهر فيها أثر الاسلام ، من ذلك أنه في القرن الثامن الميلادي ظهر في « سيتمانيا » بفرنسا حركة تدعو إلى إنكار الاعتراف أمام القس ، وأنه ليس للقس حق في ذلك ، وأن يضرع الانسان إلى الله وحده في غفران ما ارتكب من إثم ، والاسلام ليس له قسيسون ورهبان وأحبار ، فطبيعي ألا يكون فيه اعتراف .

ويقول صاحب كتاب « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ؟» (وكذلك كانت هناك حركة تدعو إلى تحطيم الصور والتماثيل ، فقد أصدر الامبراطور الروماني « ليو الثالث » أمرا سنة ٧٢٦ م يحرم فيه تقديس الصور والتماثيل ، وصرح آخر سنة ٧٣٠ م بأن الاتيان بهذا وثنية ، وكذلك كان قسطنطين الخامس وليو الرابع ، على حين كان البابا جريجوري الثاني والثالث وجرمانيوس بطريرك القسطنطينية من مؤيدي عبادة الصور ، ويقولون : إن كلوديس أسقف نورين الذي عين سنة ٨٢٨ م والذي كان يحرق الصور والصلبان ، وينهي عن عبادتها في أسقفيته ، ولد وربى في الأندلس الاسلامية وكذلك وجدت طائفة من النصارى شرحت عقيدة التثليث بما يقرب من الوحدانية ، وأنكرت ألوهية المسيح عليه السلام .

وكذلك كان تأثير الأسلام في أخلاق الأمم ، وفي تشريعاتها ، في أراضي أوربا النصرانية ، وفي الهند الوثنية بعد الفتح الأسلامي ، نراه في الاتجاه إلى التوحيد ، ونزعات الاحترام للمرأة وحقوقها ، والاعتراف بمبدأ المساواة بين طبقات البشر ،إن قادة الدين في هذا العصر قد دعوا إلى عبادة الله ، وقد ظهر هذا التأثير في الديانات التي ظهرت في الهند .

يقول الباحث الهندي المشهور« بانكر » سفير الهند في مصر سابقا ، وهو يتحدث عن تأثير عقيدة التوحيد الاسلامية في عقلية الشعب الهندي ودياناته : (إن دخول الغزاة الذين جاءوا من شمال غرب الهند ودخول الاسلام له أهمية كبيرة في تاريخ الهند ، وأنه قد فضح الفساد

الذي كان قد انتشر في المجتمع الهندي ، وأنه قد أظهر انقسام الطبقات وحب الاعتزال من العالم الذي كانت تعيش فيه الهند ، إن نظرية الأخوة الاسلامية والمساواة التي كان المسلمون يؤمنون بها ، ويعيشون فيها ، أثرت في أذهان الهندوس تأثيرا عميقا ، وكان أكثر خضوعا لهذا التأثير البؤساء الذين حرم عليهم المجتمع الهندي المساواة والتمتع بالحقوق الانسانية).

ويقول الكاتب الهندي « ميهاتا » في كتابه الحضارة الهندية والاسلام : (إن الاسلام قد حمل إلى الهند مشعلا من نور ، انجلت به الظلمات التي كانت تغشي الحياة الأنسانية في عصر مالت فيه المدنيات القديمة إلى الانحطاط والتدني ، وأصبحت الغايات الفاضلة معتقدات فكرية ، لقد كانت فتوح الاسلام في عالم الاقتصاد والأفكار أوسع وأعظم منها في حقل السياسة ، شأنه شأن الاقطار الأخرى ، لقد كان من سوء الحظ أن ظل تاريخ الاسلام في هذا القطر الهندي مرتبطا بالحكومات فبقيت حقيقة الاسلام في حجاب ، وبقيت هباته وأياديه مختفية عن الأنظار .

ويقول « بريفوليت » في كتابه « صناع البشرية » : (ما من ناحية من نواحي تقدم أوربا إلا وللحضارة الأسلامية فيها فضل كبير ، وآثار حاسمة لها تأثير كبير) ويقول في موضع آخر : (لم تكن العلوم الطبيعية التي يرجع فيها الفضل إلى العرب ، هي التي أعادت أوربا إلى الحياة ، ولكن الحضارة الأسلامية قد أثرت في حياة أوربا تأثيرات كبيرة ومتنوعة ، منذ أرسلت أشعتها الأولى إلى أوربا).

خاتمة :

الانسان حين ينظر إلى المجتمعات المعاصرة، ويجد الصراعات المختلفة التي تدور فيها ، والجهود التي تبذل ، والأموال التي تنفق ، والأرواح التي تزهق ، يعجب أشد العجب ، لأن ذلك لن يعود بالخير على أحد ، وليس له هدف إلا الكسب المادي ، وما أشقى البشرية حين يتولى أمرها من لا يهتم بالمحافظة على أمنها ، ولا على صحتها الجسمية والنفسية ، ولقد لفت نظر « برنارد شو » أسلوب حل المشكلات الذي يتميز به رسول الاسلام ، فلم يملك نفسه أن قال وهو غير المسلم :**(لو أن محمدا رسول الاسلام وجد وسط هذا العالم المليء بالمشكلات والصراعات لاستطاع أن يحل مشكلات العالم ، وهو جالس يحتسي فنجانا من القهوة).**

ترى ــ هل جاء الوقت ونحن على أبواب القرن الخامس عشر الهجري أن ينظر الغربيون إلى الأسلام نظرة منصفة ، فيعملوا على دراسته ، ويسيروا على نهجه ، حتى يخلصوا هذا العالم الحائر من حيرته ، ويعيشوا في أمن وسلام واطمئنان ، مؤدين رسالتهم المثالية في هذه الحياة .

شهر ربيع الأول في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم

للاستاذ / صلاح أحمد الطنوبي

يقبل شهر ربيع الأول من كل عام ، فترى ملايين المسلمين يبتهجون بمقدم هذا الشهر أجمل ابتهاج ، ويفرحون لاقباله كل الفرح حيث يتم التعظيم

والتبجيل لرسول الله « صلى الله عليه وسلم » ... فالدنيا كلها في شهر ربيع الأول تحتفل بذكراه ، وتعيش ذلك الشهر الكريم الذي اختاره الله تبارك وتعالى ؛ ليكون شهر مولده .. وليكون شهر هجرته .. وليكون الشهر الذي يستطيع فيه ان ينتزع أرض حصون بني النضير اقوى قبائل اليهود .. وليكون شهر الانتصارات في الغزوات والسرايا .. وليكون الشهر الذي يلحق فيه بالرفيق الاعلى .. بعد ثلاث وستين عاما عاشها صاحبها العظيم في جلال يبهر العقول .

١ - شهر ربيع الأول ومولد السراج الوهاج محمد بن عبد الله « صلى الله عليه وسلم »

ولد النبي العظيم « محمد » صلى الله عليه وسلم » في فجر يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول في عام الفيل ، فكان يوم مولده نقطة التحول في تاريخ البشرية من شر ما كانوا فيه من شقاء وضلال إلى خير أوصلهم للهداية والاسعاد ... ، ولد الرسول « صلى الله عليه وسلم » والعالم تتقاذفه الأمواج ؛وينخر في عظامه سوس الفساد ، أضله دجالو الاديان ، واستعبده جبابرة الحكام وأرهقه جور القوانين ، واستهوته في الأرض الشياطين ، وطغى فيه حب الشهوات . إن الرسول العظيم محمداً « صلى الله عليه وسلم » منقذ البشرية ، وهادي العقول ، ومطهر الأرواح ، ومزكي النفوس .

كان عام الفيل عام خيرين عظيمين لمكة ، بل للعرب ، بل للانسانية المؤمنة في مستقبل تاريخها : صيانة الكعبة من الفيل وأصحابه أو من جنون الشر ، ومولد الخير في شخص الوليد اليتيم محمد بن عبد الله « صلى الله عليه وسلم » ، وقد حكى الله قصة عدوان أبرهة في سورة الفيل ، وقد عاشت القصة مع القرآن الكريم تحدث الأجيال عن كيد اصحاب الفيل وما صنع الله تعالى بهم ، لتكون بها العبرة الواعظة لكل من يغريه حمقه بالعدوان على حرم الله الذي جعله مثابة للناس وأمنا ..

٢ - شهر ربيع الأول وهجرة الرسول « صلى الله عليه وسلم » .

قضى رسول الله « صلى الله عليه وسلم » بمكة ثلاث عشرة سنة بعد بعثته الشريفة يدعو إلى الله جل ثناؤه ، ويجمع حول الدعوة الطلائع المؤمنة القوية ، ويربيهم على الايمان بالله تعالى ، وعلى الصبر والصمود في مواجهة الشدائد ، ولقد ابتلوا بأقسى ألوان الابتلاء ، وعذبوا العذاب الشديد من أعداء الحق وأعداء الحياة ، فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا .. ولقد أذن الله تبارك وتعالى لرسوله « صلى الله عليه وسلم » ان يختار للدعوة موقعا جديداً من مواقع العمل .. وأن يترك هذا الموقع إلى حين ، وأن يتجه إلى حيث يقيم مجتمع

الايمـان ، فخرج الـرسول العظيم محمد « صلى الله عليه وسلم » من مكة أول يوم من ربيع الأول وقدم الرسول « صلى الله عليه وسلم » المدينة لاثنتى عشرة خلت من ربيع الأول وذلك يوم الاثنين لثلاث وخمسين من مولده (٢٨يونية سنة ٦٢٢ م).

٣ ـ شهر ربيع الأول وهزيمة يهود بني النضير :

النضير : اسم قبيلة من اليهود الذين كانوا بالمدينة ، وكانوا هم وقريظة نازلين بظاهر المدينة في حدائق وآطام « حصون » لهم .

دبر يهود بني النضـير مؤامرة لاغتيال الرسول « صلى الله عليـه وسلم » وعلم الرسول الكريم « صلى الله عليه وسلم » بنبئها ، فعزم على تأديبهم وذلك بأن يجلوا عن المدينة ، وامهلهم عشرة أيام ، ومن بقى بعد ذلك منهم ضربت عنقه ... الا ان المنافقين بقيـادة عبد الله بن أبي حرضوهم على البقاء ، وحـاصرهم الرسول « صـلى الله عليه وسلم » حصارا عنيفا ــ وتطهرت المدينة من رجسهم .

ونزل في امر بني النضير سورة الحشر بأسرها يذكر فيها ما أصابهم الله به من نقمته ، وما سلط عليهم به رسول الله « صلى الله عليه وسلم » وما عمل به فيهم .. وكانت غزوة بني النضير في شهر ربيع الأول سنة أربع على رأس سبعة وثلاثين شهرا من الهجرة (يونية سنة ٦٢٥م).

٤ ـ غزوة دومة الجندل في ربيع الأول سنة ٥ هـ (يوليـو سنة ٦٢٦ م):

دومة الجندل : بلد بين الحجاز والشام .

استعمل النبي « صلى الله عليه وسلم » على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري ، وسببها ان النبي « صلى الله عليه وسلم » بلغه أن بها جمعا كثيرا يظلمون من مر بهم ، وأنهم يريدون الدنو من المدينة ، فخرج النبي « صلى الله علسه وسلم » في ألف من أصحابه ومعه دليل من بني عذرة ، فأصابهم الرعب وتفرقوا ثم عاد الرسول « صلى الله عليه وسلم » وصحبه منتصرين .. وقد كانت هذه الغزوة بمثابة اعلان عن دعوة الاسلام بين سكان البوادي الشمالية واطراف الشام الجنوبيـة ، وأحسوا بقـوة الاسلام وسطوته ، كما كانت الغزوة ارهابا لقيصر وجنده ، وتعتبر الغزوة فـاتحة سـير الجيوش الاسـلامية للفتوحات العظيمـة في بلاد آسيـا وافريقيا فيما بعد ..

٥ ـ غزوة الغابة في ربيع الأول سنة ٦ هـ (يولية سنة ٦٢٧ م):

وتسمى بغزوة ذي قرد ، وذو قرد : ماء على نحو بريد من المدينة مما يلي بلاد غطفان ، وسببها اغارة عيينة بن حصن الفزارى في خيل لغطفان على لقاح رسول الله « صـلى الله عليه وسلم » بالغابـة ، وكانت عشـرين لقحة ، وفيها رجـل من بني غفار وامرأته فقتلوا الرجل واحتملوا المرأة

في اللقاح ، والرجل الذي قتلوه هو ابن أبي ذر « رضي الله تعالى عنه » وكان يرعى الابل ، وامرأته التي اسروها اسمها ليلى ، وقد نجت لانهم اوثقوها ، وكانوا يريحون نعمهم بين يدي بيوتهم ، فانطلقت وركبت ناقة للنبي « صلى الله عليه وسلم » ليلا على حين غفلتهم ، وقدمت على النبي « صلى الله عليه وسلم » واخبرته بذلك .. فاستعمل الرسول « صلى الله عليه وسلم » على المدينة ابن أم مكتوم ، وركب رسول الله « صلى الله عليه وسلم » في خمسمائة ، وخلف سعد بن عبادة « رضي الله عنه » في ثلاثمائة يحرسون المدينة ، وعقد لواء للمقداد « رضي الله عنه » في رمحه وقال : « امض حتى تلحقك الخيول وانا على اثرك » .

وكانت نتيجة هذه الغزوة انهم ادركوا العدو فهزموه ، وقتلوا رؤساءه ، واستنقذوا اللقاح .. وقد ابلى في هذه الغزوة سلمة بن الأكوع بلاء حسنا وكان راميا .

٦ ـ سرية خالد بن الوليد الى بني الحارث بن كعب بنجران (ربيع الاول سنة ١٠هـ):

بعث رسول الله « صلى الله عليه وسلم » خالد بن الوليد في شهر ربيع الاول سنة عشر (يونية سنة ٦٣١ م) ومعه اربعمائة الى بني الحارث بن كعب بنجران (موضع بين اليمن ونجد) وأمره ان يدعوهم الى الاسلام قبل ان يقاتلهم ثلاثا ، فان استجابوا قبل منهم ؛ واقام فيهم ، ليعلمهم الكتاب والسنة ومعالم الاسلام ، فان لم يفعلوا قاتلهم ، وكان اهل نجران على شريعة عيسى ابن مريم « عليه السلام » فخرج خالد حتى قدم عليهم ، فبعث الركبان يضربون في كل وجه ، ويدعون الناس الى الاسلام ويقولون : يأيها الناس اسلموا تسلموا ، فاسلم الناس ، ودخلوا فيما دعاهم اليه فاقام خالد بن الوليد « رضي الله عنه » فيهم يعلمهم الاسلام ، وكتاب الله تبارك وتعالى وسنة نبيه .. وجاء خالد بن الوليد والوفد النجراني الى المصطفى « صلى الله عليه وسلم » كما امره الرسول العظيم « صلى الله عليه وسلم » .

٧ ـ وفاة ابراهيم ابن النبي « صلى الله عليه وسلم » ربيع الاول سنة ١٠ هـ

توفى ابراهيم ابن رسول الله « صلى الله عليه وسلم » في شهر ربيع الأول سنة عشر (يونية سنة ٦٣١م)، وكانت ولادته في شهر ذي الحجة سنة ثمان من الهجرة (ابريل سنة ٦٣٠ م) من السيدة مارية القبطية ، التي كان اهداها له المقوقس عظيم مصر ، فتسراها حتى ولدت له ، فصارت ام ولد ، وانزلها منزلة الازواج .. وقد فرح الرسول بمولده فرحا عظيما ، فلا عجب ان كان حزنه عليه شديدا ، وقد دخل عليه وهو يجود بنفسه ، فصارت عيناه تذرفان بالدموع ، وقال له عبد الرحمن بن عوف : اذا رآك المسلمون

تبكي بكوا ! فلما سريت عنه عبرته قال : انما هذا رحمة وان من لا يرحم لا يُرحم انما ننهي الناس عن النياحة ، وان يندب الرجل بما ليس فيه ! ثم قال صلى الله عليه وسلم : « لولا ان آخرنا لاحق بأولنا لوجدنا عليه وجدا غير هذا ، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون ، تدمع العين ، ويحزن القلب ، ولا نقول ما يسخط الرب » رواه البخاري واحمد وابو داود وأمر النبي « صلى الله عليه وسلم » بدفن ابراهيم في البقيع « مقبرة أهل المدينة ».

وانكسفت الشمس يوم مات ابراهيم ، فأذاع الناس ان الشمس كسفت حزنا على موت ابراهيم ، فقال رسول الله « صلى الله عليه وسلم : « ان الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد من الناس ، ولكنهما آيتان من آيات الله » رواه البخاري ، قال ذلك لأن الناس لما شاهدوا الكسوف قالوا : انكسفت الشمس لموت ابراهيم ، ولو كان النبي « صلى الله عليه وسلم » مخادعا أو كاذباً لاستغل هذه الفرصة السانحة ، وأذاع في طول البلاد وعرضها أن الشمس انما انكسفت لوفاة ابنه وأن هذه احدى معجزات النبوة ، لكنه أبى إلا الصدق وأذاع الحقيقة .

قال مسيو در منجم في كتابه « حياة محمد » بمناسبة هذا الحدث : « ان محمدا كان واسع العقل ، فرد على هذه الخرافة بقوله : « ان الشمس والقمر لا ينكسفان لموت احد » وهذه كلمات لا يقولها مخادع » .

٨ ـ وفاة رسول الله « صلى الله عليه وسلم » في ربيع الأول سنة ١١هـ:

عاش المصطفى « صلى الله عليه وسلم » من مولده الى بعثته أربعين سنة ، ثم بعث بالرسالة على رأس الاربعين ، ومكث الرسول « صلى الله عليه وسلم » بمكة ثلاث عشرة سنة ، وهاجر بأمر ربه الى المدينة ليبني المجتمع الجديد وعاش بها عشر سنوات ، كانت سلسلة من الصراع المتصل بين قاعدة الاسلام في المدينة بقيادته ، وبين العداوات الحاقدة من قريش واليهود والمنافقين .. ولقد جاهد الرسول « صلى الله عليه وسلم » حتى لقى ربه راضيا مرضيا مبلغا للرسالة ومؤديا للأمانة رسالة الاسلام ، النعمة العظمى .. وامر الرسول ابا بكر ان يصلي بالناس فصلى بهم مدة مرضه ، وفي يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الاول لحق الرسول بربه وهو في الثالثة والستين من عمره ، وقد اعلن ابو بكر للصحابة خبر وفاة النبي بطريقة تدل على حكمته وقوة ايمانه ... « أيها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت ، ثم تلا قول الله تعالى : (**وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين**) آل **عمران**/ ١١٤.

البدعة وذكرى

البـدعة في اللغـة ـ وفي لسـان الشرع ـ البدعة والعلوم الحادثة ـ البدعة الحقيقية ـ المعترضون على ذكرى المولد قديما وحديثا ـ فتوى رسمية ـ أدلتها ـ منـاقشتها ـ من أدلة بطلانها قصص القرآن ودلالته ـ الـرسـول راعى منـاسبـات كيـوم عـاشوراء ، ويـوم مولـده ـ ليست الذكرى ابتداعا ولا تشريعا ولا تشبها **بالآخرين** ـ بل قبس من نور السنة والكتاب .

روى الامام مسلم « في صحيحه ـ من باب خطبة الجمعة ـ بسنده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في خطبته :

« أما بعد ، فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدى هدى محمد ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة »

البدعة في اللغة :

والبدعة لغة : هي الأمر المستحدث على غير مثال سابق .

ويقول صاحب فتح البارى : فيشمل لغة ما يحمد ويذم ، ويختص في عرف أهل الشرع بما يذم ، وإن وردت (البدعة) في المحمود فعلى معناها اللغوى (١)

البدعة في الشرع :

والبدعة في الدين : ما أحدث مما يخالف كتابا أو سنة أو أثـرا أو اجمـاعا ـ كمـا نقله النـووى عن البيـهقي ، مـرويـا عـن الامـام الشافعي (٢)

وعرفت البدعة أيضا بأنها : ما عمل من دون أن يسبق له شرعية من كتاب ولا سنة (٣)

وعرفها الشاطبي على رأى من لا يدخل العادات في معنى البدعـة ، وإنما يخصها بالعبادات : بأنها :

طريقة في الدين مخترعـة تضاهي الشرعية ، يقصـد بالسلـوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه . (٤)

ويقول قبل هذا : العمل الذي لا دليل عليه في الشرع بدعة ـ وهو إطلاق أخص منه في اللغة . (٥)

البدعة وهل منها العلوم الحادثة ؟

ولقد حدث في الأمة أمور كثيرة ، وعلوم جمة ، لم تكن بصورتها من قبـل ، قضـت بـهـا المصلحـة ، واستوجبتها ضرورة المحافظة على

مولد الأمين

للأستاذ / كمال احمد محمد عون

الدين ، ولم تكن بطبيعة الحال مخالفة لمقاصده ، فقال عنها كثير من العلماء : إنها بدع حسنة ، وقسموا البدعة على هذا إلى خمسة أقسام ، وبينوا المراد بأمثلة ساقوها : فقالوا : منها :

بدعة واجبة : كحفظ العلوم بالتدوين ، والرد على الملاحدة باقامة الأدلة والبراهين .

وبدعة مندوبة : كبناء المدارس .

ومباحة : كالتوسعة في ألوان الطعام ، والثياب ..

ومكروهة : كالصيام في الشمس قائما ..

ومحرمة : كتحريم بعض الطيبات تدينا .

ويقولون في العبارة النبوية الواردة في الحديث السابق : « وكل بدعة ضلالة » إنها من قبيل العام المخصوص .

وفي هذا يقول الامام النووي في شرحه للحديث من صحيح مسلم :

الحديث من العام المخصوص ، وكذلك كل ما أشبهه من الأحاديث الواردة

ويمضي قائلا : ويؤيد ما قلناه قول عمر رضي الله عنه في التراويح : نعمت البدعة .

ثم يقول : ولا يمنع من كون الحديث عاما مخصوصا ، قوله : وكل بدعة ضلالة ، مؤكدا بكل ، بل يدخله التخصيص مع ذلك : كقوله تعالى : « **تدمر كل شيء بأمر ربها** »(٦) . أي ما أمرت بتدميره

استدراك على الجماعة في التراويح :

وقد استدرك بعض المحققين فقالوا : إن تسمية الجماعة في صلاة التراويح بدعة تسمية لغوية ، فالاجتماع لصلاتها وقع في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ، حيث صلاها ليلة في المسجد ، وصلى بصلاته جمع من الصحابة ، تزايدوا في الليلة الثانية ، والثالثة ، حتى كانت الليلة الرابعة ، كاد المسجد يعجز عن أهله ، فلم يخرج إليهم ، خشية أن تفرض عليهم ، وذلك رحمة بهم ، كما أوضحه لهم في صلاة الصبح من تلك الليلة . (٧)

ورأى عمر رضي الله عنه ، زوال

السبب الذي تخلف النبي صلى الله عليه وسلم من أجله عن صلاتها في جماعة ، فأمر بالاجتماع لها ، تقوية لبعض العزائم فيها .

واستدراك على التقسيم كله :
بل استدركوا على تقسيم البدعة على النحو المذكور ، وقالوا : ليس من البدعة في الدين ما يمكن أن يكون واجبا أو مستحبا ، بل البدعة منهى عنها ، ومردودة ، وهي في حقيقتها ما ليس لها أصل في الدين ، وكانت مخالفة لهديه القويم - والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد[8] » فقوله صلى الله عليه وسلم : « وكل بدعة ضلالة » عام أريد عمومه .

العلوم الحادثة ليست بدعة في الدين :

وما قيل عن العلوم الحادثة في المسلمين بأنها بدعة ، وأنها واجبة قول غير دقيق ، فالعلوم الضرورية لخدمة الدين ، وإن أمكن لغة تسميتها بصورتها الجديدة بدعة أو أمرا مبتدعا ، ليست على الحقيقة بدعة في الدين [9] ، ولا إحداثا في أمر الله ورسوله ما ليس منه .
فالعلم وتقييده ، والاستزادة منه ، وصيانة اللسان عن الخطأ ، كل ذلك مأمور به شرعا .
وجدال المبطلين ، وعرض أقوالهم ، والكر عليها بالإبطال ، كثير في القرآن الكريم ، بل هو من مقاصده ، والله تعالى يقول : « **وجاهدهم به جهادا كبيرا** » (الفرقان ٥٢)

ذكرى المولد :
رأى المعترضين :

يرى فريق من أهل العلم قدامى ومحدثين إنكار الاحتفال بذكرى المولد النبوي ، قائلين : إنها ابتداع من بعض ساسة الدول الاسلامية ، لا أصل له في الدين ، ثم شاع في أوساط كثير من المسلمين .

رأى الشاطبي :

وعلى سبيل المثال يقول الامام الشاطبي في بيان أن البدعة مخالفة للطريقة الشرعية ، ومضادة لها من أوجه متعددة ، **منها** :

وضع الحدود كالناذر للصيام قائما لا يقعد ، ضاحيا لا يستظل ..
ومنها : التزام الكيفيات والهيئات المعينة ، كالذكر بهيئة الاجتماع على صوت واحد ، واتخاذ يوم ولادة النبي صلى الله عليه وسلم عيدا ، وما أشبه ذلك . [10]

فتوى هامة :

وتبسط القول في هذا فتوى شرعية ، على مستوى عال ، تناقلتها الصحف ، وبعض الاذاعات ، وترى :
أنه لا يجوز الاحتفال بمولد النبي صلى الله عليه وسلم ولا غيره .

وتستدل الفتوى لرأيها بما نجمله فيما يلي :

١ ـ الاحتفال لم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا خلفاؤه الراشدون ، ولا غيرهم من الصحابة والتابعين ، وهم أعلم الناس بالسنة ، وأكمل حبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومتابعة لشرعه .

٢ ـ في الحديث الشريف : من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد ـ عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين .. وإياكم ومحدثات الأمور ، فان كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ،

٣ ـ في القرآن الكريم : لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة .

٤ ـ إحداث هذه الموالد يفهم منه أن الله سبحانه لم يكمل الدين .. حتى جاء المتأخرون فأحدثوا في شرع الله ما لم يأذن به الله ، وهذا بلا شك خطر عليهم ، واعتراض على الله سبحانه وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم .

٥ ـ ظن بعض المتأخرين أنها بدعة حسنة ، وبردنا هذه المسألة إلى كتاب الله ، وسنة رسوله لم نجد ما يدل عليها ، فعلمنا أنها بدعة محدثة ، وأنها من التشبه باليهود والنصارى في أعيادهم .

٦ ـ زيادة على ما مر فقد تشتمل على منكرات أخرى ، كاختلاط الرجال بالنساء .. وشرب المسكرات والمخدرات ، وغير ذلك من الشرور .

٧ ـ وأخيرا نصحت للمسلمين بالحذر مما يحدثه الجهال من البدع والخرافات .

مناقشة الفتوى وما استندت إليه :

والفتوى بهذا ـ مع احترامنا وتقديرنا لمن صدرت عنه ، ومعرفتنا بأن فريقا من علماء المسلمين يأخذ بها ، وينحى باللائمة على من يحتفل بهذه المناسبة ـ لا تعدو في نظرنا العلمي بدين الله ، كونها **وجهة نظر ، جهد أصحابها فيما رأوه خيرا للمسلمين ، وهم في هذا القدر مشكورون** .

ولكن من حق أهل العلم بالدين أن يناقشوهم فيما أوردوه ، وبنوا عليه ما بنوا .

ومن واجب أصحاب الفتوى من العلماء أن يفسحوا صدورهم ، لسماع الرأي المقابل ، كي تتضح معالم الحقيقة في هذه المسألة ـ وفي القرآن الكريم « **فبشر عباد . الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه** » (الزمر آية ١٧ و١٨) ، وفيه : « **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين** » (النحل ١٢٥)

أغفلت جوانب هامة :

والفتوى ـ في رأينا ـ **أغفلت جوانب هامة من العلم في دين الله ، ينبغي أن تدخل في الاعتبار ، قبل أن نصدر الأحكام بالجواز وعدم الجواز ، وقبل أن نصف الآخرين بأنهم مبتدعون وجائرون !!**

النبي غني بتكريم الله :

وهنا نحب أن نذكر لمن يحتفل بذكرى المولد ، ومن لا يحتفل به ، ما هو معلوم لكل مسلم ، من جلال التكريم الالهي للنبي العظيم ، بما لا يدانيه أي تكريم ، فقد رفع ذكره ، حتى لا يكون أذان ولا إقامة إلا بالشهادة بأن محمدا رسول الله بعد الشهادة بتوحيد الله ، كما لا يكون تشهد في الصلاة بين يدي الله ، إلا بالسلام على نبي الله سلام حضور وخطاب ، ثم الصلاة عليه وعلى آله ، وعلى أبي الأنبياء وآله ، وعلى أهل طاعة الله أجمعين .

إلى جانب أن الدخول في الاسلام لا يكون إلا بشهادتين لا شهادة واحدة : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله .

من أدلة بطلان الفتوى :

ونشير إلى ما نراه ردا على الفتوى في كلمات ، نتبعها بحول الله سبحانه الأدلة والبراهين :

١ ـ القرآن الكريم قص من أخبار السابقين ما فيه عبرة وذكرى لأولى الألباب .

٢ ـ القرآن الكريم قص من أنباء الرسل ما فيه تثبيت لقلب النبي صلى الله عليه وسلم .

٣ ـ الرسول صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله راعى مناسبات لبعض الانبياء استوجبت شكر الله تعالى ، وتكررت رعاية هذه المناسبات حياته صلى الله عليه وسلم ، وحتى الآن .

٤ ـ الرسول صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله كرم يوم مولده بعبادة شكرا لله .

٥ ـ الصحابة كانوا يحيون وقلوبهم وعيونهم متعلقة برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهم في حضور دائم ، ومع أسوة ماثلة ، ملأت كل حياتهم ، وناهيك بمثل عمر تأخذه الدهشة لسماعه بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فينكر موته ، ويثور ويتوعد من يحدث بموته ، حتى ترده عظة الصديق الخالدة ، وكأنه لم يكن يظن أن الرسول يموت .

٦ ـ ذكرى المولد النبوي تذكير بنعمة الله ، وسيرته الشريفة تطبيق عملي لكتاب الله ووحيه .

٧ ـ ليس الاحتفال تشريعا أو عبادة يكمل بها الدين ، إنما هو حض على التأسي برسول الله .

٨ ـ إحياء ذكرى عالم خدم الاسلام ليس عبادة له ، ولا بدعة في الدين ، بل استنهاض « لهمم العاملين » .

٩ ـ المنكر يجب إنكاره حيثما كان ، ومتى وجد ، والنهي عنه فريضة محكمة إلى يوم الدين .

وإليك أشعة موجزة من البيان :
قصص وأنباء للعبرة والتثبيت :

١ ـ لقد قص القرآن الكريم الكثير من أخبار السابقين ، وقال سبحانه : « **لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب** » يوسف (١١١)
وقال لنبيه صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله :

« **واذكر في الكتاب مريم** .. » (مريم ١٦) - « **واذكر في الكتاب موسى** .. »(مريم ٥١) « **واذكر في الكتاب ادريس** .. »(مريم ٥٦) - « **واذكر عبادنا إبراهيم وإسحق ويعقوب** » (ص ٤٥) - « **واذكر إسماعيل واليسع وذا الكفل وكل من الأخيار** » (ص ٤٨) وقال تعالى ، في سورة الأنعام بعد ذكر ثمانية عشر من الرسل عليهم السلام : « **أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة** .. » الآية ثم قال سبحانه : **أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده قل لا أسألكم عليه أجرا . إن هو إلا ذكرى للعالمين** » (الآيات ٨٣ - ٩٠) - **فأي إشادة بذكرى هؤلاء الكرام أجل وأروع من أن يكون هديهم قرآنا يتلى إلى يوم القيامة ، يؤمر النبي فيه باتباع هداهم** .

٢ : **تثبيت لفؤاد المصطفى** :

وقال تعالى : « **وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك ، وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين** » (هود ١٢٠)

٣ - رعاية المناسبة ليست ابتداعا : « يوم عاشوراء »

فلقد ثبت أن الرسول صلى الله عليه وسلم بعد مقدمه المدينة مهاجرا ، رأى اليهود يصومون يوم عاشوراء ، فلما سئلوا قالوا : هذا يوم نجى الله فيه موسى ومن معه ، فصامه شكرا ، ونحن نصومه .

فقال صلى الله عليه وسلم : نحن أولى بموسى منهم ، وأمر بصيام عاشوراء ، وأرسل من يخبر بأمر رسول الله ، أن من أفطر فليمسك بقية يومه ، ومن لم يكن أفطر فليتم صومه (١١)

وبعد أن فرض صيام رمضان ظلت الحفاوة بيوم عاشوراء ، وقال صلى الله عليه وسلم قبيل لحوقه بالرفيق الأعلى : لئن عشت إلى قابل ، لأصومن التاسع والعاشر .

هذا : وضم يوم إلى عاشوراء قبله أو بعده ، لا ينتقص من تكريم عاشوراء ، إن لم يزده تكريما ، كما لا ينتقص من رعاية المناسبة فيه .

٤ - **ورعاية يوم مولده الشريف** :

ولقد صام صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ويوم الخميس ، وهما يومان ترفع فيهما الأعمال . وجاء في صحيح مسلم في صيام يوم الاثنين أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عنه : فقال : « ذاك يوم ولدت فيه ، ويوم بعثت ، أو أنزل علي فيه »

٥ - **ليس ابتداعا** :

فإذا احتفل فريق من المسلمين بذكرى المولد النبوي الشريف ، فصام يومه من صامه تقربا إلى الله ، واقتداء برسول الله ، وتصدق فيه من تصدق على الفقراء والمساكين ، فليسوا على الحقيقة مبتدعين .

وإذا رأى هذا الفريق العظيم من خيار المسلمين - وقد كثرت الغفلات ،

ورانت على قلوب كثير من المسلمين ـ أن يكون من ذكرى مولد الرسول الكريم مناسبة يستزيدون فيها من سيرته صلى الله عليه وسلم ، ويتذاكرون من عظيم خلقه ، وجليل صبره وثباته ، وموصول جهاده ، وجهاد أصحابه معه ، وتفانيهم في ذلك ، بما يقيم أروع الأمثال أمام الأمة وشبابها ، ويزيد في أنوار قلوبهم فقها ومعرفة ، واقتداء بالنبي العظيم ، وصحبه الكرام ، فهم بذلك لم يخرجوا قط عن هدى القرآن الكريم ، في التذكير والاعتبار ، وتثبيت القلوب على دين الله ، وملء النفوس والأفئدة بأنوار الله ، متمثلة في جهاد الرسول ، وصحبه الأخيار .

مناسبات كريمة :

وكما يحتفلون بمناسبة المولد الشريف ، يحتفلون بذكرى الهجرة النبوية ، وذكرى الاسراء والمعراج ، وغزوة بدر ، وفتح مكة ، ونزول القرآن الكريم في ليلة القدر ، كل ذلك من باب التذكير ، والتحدث بنعمة الله على الأمة الاسلامية ، بمولد رحمة الله تعالى للعالمين ، وما كان من الأمور الجسام ، ذات الأثر الكبير للاسلام والمسلمين ـ وعلى نحو ما كان يقول الصحابي الجليل معاذ بن جبل لصاحبه : اجلس بنا نؤمن ساعة (١٢) ، أي نزدد إيمانا ،

فهذه مناسبات كريمة ، ينتفع المسلمون بذكراها ، والذكرى تنفع المؤمنين .

القرآن والسيرة :

وفي القرآن الكريم الكثير الطيب المبارك من أنباء رسولنا الكريم ، وسيرته وجهاده ، وجهاد أصحابه ، بأسلوب الكتاب المعجز .

وفي السنة من ذلك تفصيل ، وقراءة سيرته صلى الله عليه وسلم قراءة لبعض ما في القرآن الكريم والسنة المطهرة .

كتابة السيرة وقراءتها :

وهذه كتب السيرة النبوية ، وهي بصورتها جديدة وحادثة في الاسلام ، فهل ما كتب فيها عن نسبه صلى الله عليه وسلم ، ونشأته ورسالته وجهاده ، يمكن لمسلم أن يعده بدعة في الدين ، مرفوضة ومردودة على المبتدعين ؟!!

والمحاضرات حولها :

وإذا دعا الداعي إلى من يحاضر في ذلك . ويقرأ طرفا من صحيح ما دون فيه ، يكون مبتدعا ومحدثا في أمر الله ما ليس منه ؟

أو ليس ذلك من قبيل قوله صلى الله عليه وسلم في حديثه المشهور « حدثوا عني ولا حرج »؟

والحديث النبوي كما يعرفه رجاله : ما كان من قول النبي ، أو فعله ، أو تقريره ، وكذلك ما كان عن صفة من صفاته الجسمانية ، أو من خلقه العظيم ، ولقد كان خلقه القرآن .

ليس تشبها بقوم آخرين :

وليس ذلك بحمد الله من التشبه بقوم آخرين ، جعلوا مما سموه أعياد الميلاد عندهم فرصة للهو والعبث ، وإضاءة الأنوار ليلا مختلطين راقصين مخمورين ، حتى إذا اشتعلت الشهوات ، عمدوا إلى الأنوار فأطفأوها ، لتزداد الشهوات الآثمة اشتعالا في مجال الآثام ، مجللة بسواد الليل البهيم .

مخالفات مع الذكريات ومع العبادات :

وبعد :

فإن قيل : نظرت ـ إلى ذكرى المولد النبوي في ضوء السيرة النبوية وقراءتها ، ومدارسة العلم وعمل الصالحات ، مع أن الموالد ـ كما قيل ـ سواء المولد النبوي ، أو ما يعرف بموالد الأولياء ، كثيرا ما يكون فيها المخالفات والمنكرات ؟

والجواب :

كي نكون منصفين ، لا محيد عن وضع الأمور مواضعها ، وتحديدها وعدم الخلط فيها ، فالاحتفال بالمولد النبوي ، وبذكريات الاسلام الكبرى ، على نحو ما يفعله الأخيار من المسلمين ـ وإنهم بحمد الله كثيرون ـ ليس بدعا من هدى القرآن الكريم ، ولا من سنة النبي العظيم ، وليس تشريعا ، أو استكمالا في الدين ، أو اعتراضا على رب العالمين .

أما المنكرات ، إن خالطت عند بعض الناس هذه المناسبة الكريمة ، فلقد خالطت كثيرا غيرها ، مما هو من قواعد الاسلام ، وعباداته الأصلية ، فينبغي أن يقتصر النكير على المنكر ، سواء منها ما صحب العبادات ، أو ما صحب هذه المناسبات ، حتى تخلص هذه المناسبات وغيرها لما أريد منها ، ولما فيها من الخير المحقق والنفع العام للمسلمين .

وبالله تعالى التوفيق ، وهو الهادي إلى أقوم طريق ؟

الهوامش :

(١) شرح فتح الباري على صحيح البخاري ـ كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ـ باب ما يكره من التعمق والتنازع والغلو في الدين .
(٢) تهذيب الأسماء واللغات للنووى ـ مادة بدع .
(٣) الصنعاني في سبل السلام ـ باب الجمعة في شرحه للحديث .
(٤) الاعتصام ـ الباب الأول ـ تعريف البدعة .
(٥) نفس المصدر والباب .

(٦) المعنى مما أمرت بتدميره ـ راجع الموضوع في شرح النووى على مسلم ـ وفي تهذيب الاسماء واللغات مادة بدع للنووى ـ وشرح سبل السلام ـ باب الجمعة ـ للصنعاني .
(٧) أصل الحديث في صحيح البخاري ـ كتاب التهجد ، ورواه غير البخاري

(٨) صحيح البخاري في كتاب الصلح ، وفي كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة .
(٩) راجع الاعتصام للشاطبي ـ تعريف البدعة .
(١٠) المرجع السابق في شرح تعريف البدعة .

(١١) الحديث بعدة روايات في البخاري ـ باب صوم عاشوراء ، وفي بعضها أنه كان يصام في الجاهلية ، كما روى في أبواب أخرى من البخاري ، وغيره .

(١٢) رواه البخاري في أول كتاب الايمان

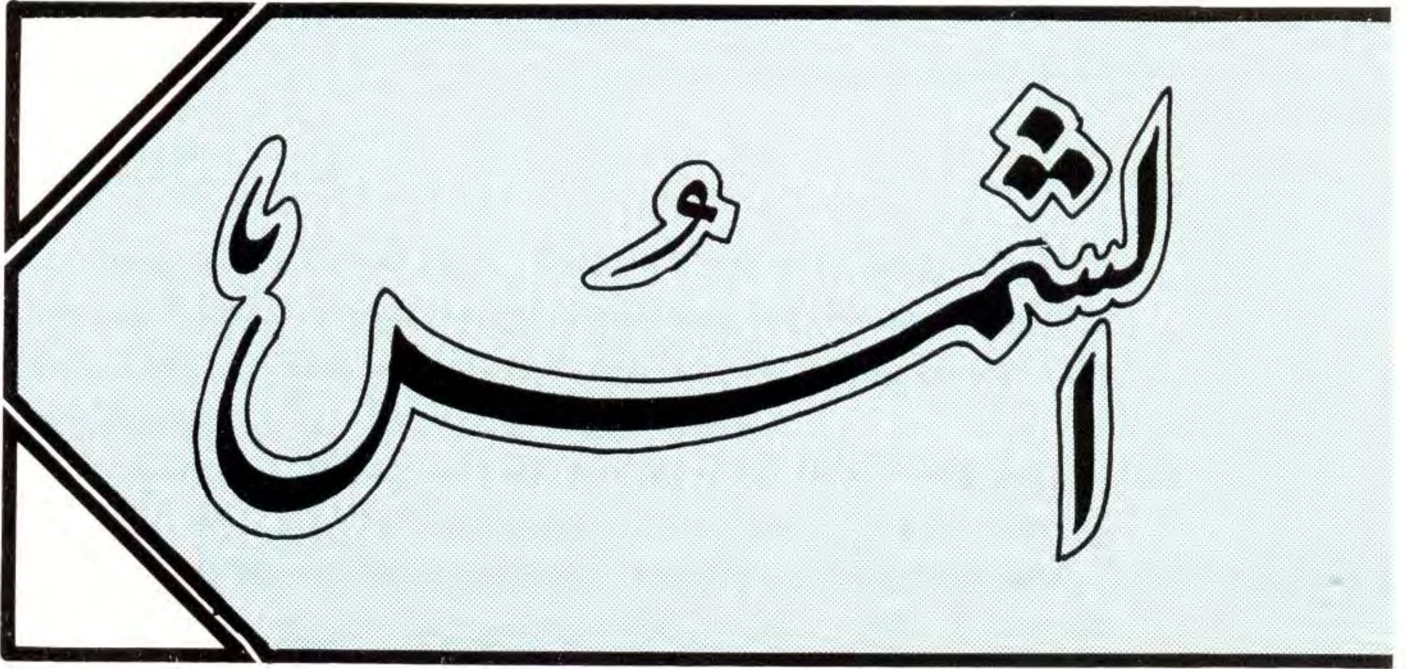


تفاضل الأمكنة والأزمنة :

تتفاضل الأمكنة عند الله تعالى كما تتفاضل الأزمنة ، فمنزلة بيت الله الحرام تفضل سائر بيوت الله في شتى أنحاء المعمورة ، والحج عرفة ... ، كما تتفاضل الشهور فيما بينها ، « **إن عدة الشهور عند الله إثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم** » ٣٦ التوبة . و « **الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج** » البقرة ١٩٧ و « **شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن ..** » ١٨٥ البقرة .

واذ تتفاضل الشهور تتفاضل أيضا الليالي فنجد في شهر رمضان « **ليلة القدر خير من ألف شهر** » ٣ القدر ، وحيث تتفاضل الليالي تتفاضل كذلك الأيام ، فيوم الجمعة هو العيد الأسبوعي للمسلمين حرم صومه الا مسبوقا أو ملحوقا ، فيه ساعة إجابة ، وصلاة الجمعة فيه ليست ككل صلاة ، فجعلت من الجمعة الى الجمعة كفارة ، تؤدى في وقت الظهر بأحكام وشروط مخصوصة ، في مساجد مخصوصة ، من تركها طبع الله على قلبه ، حرم في وقتها الشراء والبيع ، يقول تبارك وتعالى في سورة الجمعة التي سميت بإسمه :

« **يا أيها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون . فإذا قضيت الصلاة**



للاستاذ/عمر الراكشي

فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون » ٩ و ١٠ الجمعة .

ففي هاتين الآيتين يأمر الرحمن جل وعلا المؤمنين به وبرسوله ورسالته بأن يمضوا الى ذكر الله عندما يؤذن لصلاة الجمعة حريصين عليها ، وأن يتركوا من أجلها عروض التجارة بيعا وشراء ، فإن ذكر الله وإقامة الصلاة واجتماع المؤمنين حولها في هذه الساعة أنفع لهم وأجدى من كل كسب من بيع أو شراء إن كانوا يعلمون ، فاذا ما أدوا صلاتهم فقد أمرهم خالقهم بأن يتفرقوا في الأرض لمصالحهم يطلبون من فضله ، وأن يذكروه كثيرا بقلوبهم وألسنتهم لعلهم يفوزون بخيري الدنيا والآخرة ، فانما يطلب رزق الله بطاعته .

حكم صلاة الجمعة :

روى عن عمر رضي الله عنه أنه قال « صلاة الجمعة ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم صلى الله عليه وسلم » رواه أحمد والنسائي وابن ماجه باسناد حسن ، وهي فرض عين على كل مكلف قادر مستكمل لشروطها ، وقد ثبت فرضيتها بالكتاب والسنة والاجماع ، وهي ليست بدلا عن صلاة الظهر ، فمن أدرك الامام في الركعة الثانية فقد أدرك الجمعة وعليه أن يأتي بركعة ثانية ويسلم باتفاق ، أما اذا أدركه في الجلوس الأخير فقط فانه يلزمه أن يصلي الظهر أربع ركعات بعد سلام الامام ولا يكون مدركا للجمعة باتفاق المالكية والشافعية ، أما الحنفية فقالوا من أدرك الامام في أي جزء من صلاته فقد أدرك الجمعة ولو في تشهد سجود السهو وأتمها جمعة

على الصحيح .

متى يحرم البيع :

يجب السعي لصلاة الجمعة على من تجب عليه الجمعة اذا نودي لها بالآذان الذي بين يدي الخطيب . ولم يكن معروفا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم سوى هذا الآذان ، فكان اذا صعد صلى الله عليه وسلم المنبر أذن المؤذن بين يديه ، وقد روى ذلك البخاري وَأبو داود ، و النسائي والترمذي .

وقد زاد عثمان رضي الله عنه نداء قبل هذا عندما كثر الناس ، فقد روى عن السائب بن يزيد قال : كان النداء يوم الجمعة أوله اذا جلس الامام على المنبر على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر ، فلما كان زمن عثمان وكثر الناس ، زاد النداء الثاني على الزوراء ، وفي رواية زاد الأذان الثالث ، ولكن المراد به هنا الأذان ، وانما سماه ثالثا لأن الاقامة تسمى أذانا .

وقد خالف أبو حنيفة الأئمة الثلاثة ، فقال متى سمع الأذان بعد زوال الشمس فان على المسلم أن يسعى الى صلاة الجمعة فالآية التي مر ذكرها في صدر هذا المقال « عامة » فلم تخص أذانا معينا كما ذهب اليه الثلاثة ، وقول أبي حنيفة هو الذي نستريح اليه ، فعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال : كنا نجمع [١] مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا زالت الشمس ، ثم نرجع نتتبع الفيء[٢] .

شروط الجمعة :

ولصلاة الجمعة فوق شروط الصلاة المعتادة شروط أخرى نجملها فيما يلي : الذكورة ، فلا تجب الجمعة على المرأة ولكن إن صلتها مع الجماعة فانها تصح منها ، وتجزئها عن صلاة الظهر . وألا يكون المؤمن شيخا هرما يصعب عليه الانتقال الى الجامع . وأن يكون مبصرا فلا تجب على الأعمى اذا تعذر عليه الحضور بنفسه أو لم يجد قائدا ، وأن يكون مقيما بالبلد الذي تقام فيه الجمعة فلا تنعقد بالمسافر الذي نوى الاقامة ، وحضور اثني عشر غير الامام في رأي المالكية ، وفي الامام اشترطوا أن يكون مقيما أو مسافرا نوى اقامة أربعة أيام وأن يكون هو الخطيب ، وأن يخطب خطبتين ، ولا تصح الجمعة في البيوت ولا في أرض براح مثلا ، ويشترط في الجامع أن يكون مبنيا البناء المعتاد لأهل البلد ، ولو تعددت المساجد في البلد الواحد فلا تصح الجمعة الا في الجامع القديم[٣] .

تخطي الجالسين واختراق الصفوف :

ويستثنى من التخطي المكروه أمور : منها أن يجد المرء فرجة أمامه يريد سدها ، ومنها أن يجلس في الصفوف الأمامية من لا تنعقد بهم الجمعة كالصبيان

ونحوهم ، فانه يجب في هذه الحالة على من تنعقد بهم الجمعة أن يتخطوا الرقاب ، ومنها أيضا أن يكون المتخطي إمام الجمعة ولا يمكنه الوصول الى المنبر إلا بالتخطي .

ومع ذلك نقول إن الاحتراز واجب على الجميع حتى لا يهدم الاستثناء القاعدة الأصلية ويحل محلها فيهدرها مع التوسع فيه .

الظهر بدلا من الجمعة :

من وجبت عليه الجمعة ، وتخلف عن حضورها بغير عذر لا يصح أن يصلي الظهر قبل فراغ الامام من صلاة الجمعة ، فلو صلى الظهر في هذه الحالة لم تنعقد باتفاق الشافعية والحنابلة .

أما من لا تجب عليه الجمعة كالمريض ونحوه فتصح صلاة الظهر منه ولو حال اشتغال الامام بصلاة الجمعة ، ويندب له تأخير الظهر اذا رجا زوال عذره ، أما اذا لم يرج ذلك فيندب له تعجيلها في أول وقتها ولا ينتظر تسليم الامام باتفاق ثلاثة من الأئمة وخالف المالكية(٤) .

فضل يوم الجمعة(٥) :

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة ، فيه خلق آدم ، وفيه أدخل الجنة ، وفيه أخرج منها ، ولا تقوم الساعة الا في يوم الجمعة .رواه مسلم .

ولعل قيام الساعة فيه هو الذي دفع بعض أعداء الدين الى القول بأن فيه ساعة « نحس » ، ولقد جهلوا على أنفسهم وتطاولوا بغير علم ، فيدحض قولهم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي رواه أبو هريرة قال : قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم « إن في الجمعة لساعة لا يوافقها مسلم قائم يصلي ، يسأل الله خيرا إلا أعطاه اياه » وأشار بيده يقللها دلالة على قصر زمن هذه الساعة .

وعن أبي بردة عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما قال : قال لي عبد الله بن عمر : أسمعت أباك يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في شأن ساعة الجمعة ؟ قال : قلت : نعم سمعته يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « هي ما بين أن يجلس الامام الى أن تقضى الصلاة »(٦) .

وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من اغتسل ثم أتى الجمعة فصلى ما قدر له ، ثم أنصت حتى يفرغ من خطبته ، ثم يصلي معه ، غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى ، وفضل ثلاثة أيام » .

ما يقرأ في صلاتي الجمعة وفجرها :

عن ابن عباس رضي الله عنهما : ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة : (**الم تنزيل السجدة**) ، **و** (**هل أتى على الانسان حين من الدهر**) وأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في صلاة الجمعة (**سورة الجمعة**) **و** (**المنافقين**) .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : بينما عمر بن الخطاب رضي الله عنه يخطب الناس يوم الجمعة ، إذ دخل عثمان بن عفان ، فعرض به عمر ، فقال : ما بال رجال يتأخرون بعد النداء ؟! فقال عثمان : يا أمير المؤمنين ما زدت حين سمعت النداء أن توضأت ثم أقبلت . فقال عمر : والوضوء أيضا ؟ ألم تسمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اذا جاء أحدكم الجمعة فليغتسل » .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « غسل يوم الجمعة على كل محتلم ، وسواك ، ويمس من الطيب ما قدر عليه » .

واذا كان القرآن الكريم يقول في الآية ٣١ من سورة الأعراف « **يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد** » فان المطلوب من المسلم يوم الجمعة أن يتوجه مغتسلا الى صلاة الجمعة في أحسن ثيابه وأبهى زينته ، وأفضل الثياب ما كان لونه أبيض ، وأن يقلم أظفاره ويقص شاربه وينتف إبطه ويتطيب . حتى ليبدو المسجد مع جمهرة المسلمين يوم الجمعة وكأنه حقا يوم عيد تحفهم الملائكة ويذكرهم الله فيمن عنده ، يباهي بهم ملائكته لنظافة باطنهم وظاهرهم ، وحسن سمتهم ومظهرهم ، فيجعل الله لهم نورا من كل جانب ومن فوقهم وتحتهم .

فضل التهجير يوم الجمعة :(٧) .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد ملائكة يكتبون الأول فالأول ، فاذا جلس الامام طووا الصحف ، وجاؤوا يستمعون الذكر ، ومثل المهجر كمثل الذي يهدي البدنة ، ثم كالذي يهدي بقرة ، ثم كالذي يهدي الكبش ، ثم كالذي يهدي الدجاجة ، ثم كالذي يهدي البيضة » .

والمعنى أن من بكر في الحضور الى المسجد قبل غيره كان له فضل من يهدي جملا ، والذي يليه في الحضور كان كمن يهدي ناقة ، وهكذا ...

خطبة الجمعة :

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

اذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته ، واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش ، يقول : صبحكم ومساكم ، ويقول : بعثت أنا والساعة كهاتين ، ويقرن بين أصبعيه : السبابة والوسطى ، ويقول : « أما بعد ، فان خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدى هدى محمد ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة ، ثم يقول : « أنا أولى بكل مؤمن[٨] من نفسه ، من ترك مالاً فلأهله ، ومن ترك دينا أو ضياعا[٩] فالي وعلي » .

وعن أبي وائل رضي الله عنه قال : خطبنا عمار رضي الله عنه فأوجز وأبلغ ، فلما نزل قلنا يا أبا اليقظان ، لقد أبلغت وأوجزت ، فلو كنت تنفست ،[١٠] فقال : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنة[١١] من فقهه ، فأطيلوا الصلاة ، وأقصروا الخطبة ، وإن من البيان سحرا » . وعن جابر بن سمرة قال : كنت أصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت صلاته قصدا وخطبته قصدا » أي بين الطول الظاهر والتخفيف الماحق .

وعن أم هشام بنت حارثة بن النعمان قالت : لقد كان تنورنا وتنور رسول الله صلى الله عليه وسلم واحدا سنتين أو سنة وبعض سنة ، ما أخذت **(ق والقرآن المجيد)** الا عن لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها كل جمعة على المنبر اذا خطب الناس » .

وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخطب قائما ثم يجلس ، ثم يقوم فيخطب قائما ، فمن نبأك انه كان يخطب جالسا فقد كذب ، فقد والله صليت معه أكثر من ألفي صلاة .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما : ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يخطب قائما يوم الجمعة ، فجاءت عير[١٢] من الشام ، فانفتل الناس اليها ، حتى لم يبق **إلا اثنا عشر رجلا** فأنزلت هذه الآية التي في الجمعة « **واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين** » الجمعة ١١

حرمة الخطبة :

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اذا قلت لصاحبك أنصت يوم الجمعة والامام يخطب فقد لغوت » .

وقد بلغ من أهمية الخطبة وحرمتها أن حرم الكلام في أثنائها ولو في جلوس الامام بين الخطبتين ، لا فرق في ذلك بين من يسمع الخطبة وغيره ، سواء أكان في رحبة المسجد أو في الطرق المتصلة به ، كما يحرم نهي المتكلم حال الخطبة ورميه بالحصى ليسكت ، بل ويحرم الشرب وتشميت العاطس ورد السلام ، ويندب للحاضر التأمين على دعاء الخطيب ويكره الجهر بذلك ، ويندب سرا التعوذ والاستغفار والصلاة على النبي عليه الصلاة و السلام .

ولا تسقط هذه الحرمة إلا اذا لغا الامام فمدح من لا يجوز مدحه أو ذم من لا يجوز ذمه ، وهذا رأي المالكية اختصارا لسرد كل الآراء .

التغليظ في ترك الجمعة :

عن الحكم بن ميناء أن عبد الله بن عمر ، وأبا هريرة حدثاه أنهما سمعا من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على أعواد منبره : « لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات ، أو ليختمن الله على قلوبهم ، ثم ليكونن من الغافلين » .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقوم يتخلفون عن الجمعة : « لقد هممت أن آمر رجلا يصلي بالناس ثم أحرق على رجال يتخلفون عن الجمعة ، بيوتهم » .

خاتمة :

وبعد ، فهذا خير يوم طلعت عليه الشمس ، يوم أغر ، أعاننا المولى على المواظبة على إحيائه والاحتفاء به ، على الوجه الذي يرضاه ورسوله ، فاجعلنا اللهم نصادف فيه ساعات الاجابة ، واجعله لنا كفارة لما بين الجمعة والجمعة ، واجعلنا اللهم من رواد سوق الجنة يوم الجمعة ، فقد روى عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن في الجنة لسوقا يأتونها كل جمعة ، فتهب ريح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم ، فيزدادون حسنا وجمالا ، فيرجعون الى أهلهم وقد ازدادوا حسنا وجمالا ، فيقول لهم أهلوها : والله لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا ، فيقولون : وأنتم والله ، لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا » ١٣

الهوامش

(١) نجمع : بتشديد الميم المكسورة اي نصلي الجمعة
(٢) حديث رقم ٤٠٧ في مختصر صحيح مسلم للحافظ المنذري . والفيء هو ما بعد الزوال من الظل .
(٣) اقتصرنا في الشروط على رأي المالكية سعيا للايجاز نقلا عن كتاب الفقه على المذاهب الأربعة قسم العبادات لعبد الرحمن الجزيري .
(٤) المرجع السابق
(٥) الأحاديث المسرودة في هذا المقال وردت في مختصر صحيح مسلم للحافظ المنذري بين رقمي ٣٢٦ و ١٩٦٧ .
(٦) هذا من الأحاديث التي انتقدها الامام الدار قطني على « صحيح مسلم » ورجح أن الصواب أنه موقوف على ابي بردة ، ويؤيده انه جاء من حديث جابر وغيره مرفوعا : ان ساعة الاجابة في آخر ساعة من يوم الجمعة .
(٧) التهجير : يعني التبكير والمهجر أي المبكر .
(٨) هذا على عمومه ، لم يطرأ عليه تخصيص اطلاقا ، خلافا لما يظن الناس اليوم ، وما وجد بعده صلى الله عليه وسلم من امور قام الدليل الشرعي على شرعيته ووجوبه فليس من البدعة في شيء ، وتفصيل هذا البحث الهام في كتاب « الاعتصام » للامام الشاطبي رحمه الله تعالى وفي شرح الكتاب ايضا لصديق حسن خان .
(٩) الضياع بفتح الضاد : العيال
(١٠) تنفست : اي أطلت قليلا
(١١) مئنة : علامة
(١٢) العير بالكسر : الابل تحمل الميرة ، ثم غلب على كل قافلة .
(١٣) المرجع السابق للحافظ المنذري في باب الجنة .

بين الدعاة والأدعياء حول قضية التأويل بالهوى

للمستشار/حسين ناجي محمد محيي الدين

أما الدعاة ـ اختصارا ـ فهم ورثة الأنبياء . ترى أحدهم فترى الفضل والفضيلة ممثلين في شخص ، قوله الصدق وبغيته الحق ، يحمل علما يبصر به في الظلمات ، ويدعو الى الله مخلصا له الدين وليس لنفسه نصيب من شغف بالظهور انما يقصد وجه ربه ، كل ذلك مع خشية شديدة لله وخوف عظيم من أن يغضب الله بقول أو فعل أو عمل .

اذا مس المصحف لا يمسه الا طاهرا وان قرأ بعضه كان خاشعا وان أراد الفهم كان متحوطا متحرزا لا يدخل على القرآن ما ليس فيه ولا يؤوله بهواه ولا يتجرأ على مراد الله بشطحات ونزوات . فذلك هو الداعي الى الله حقا .

أما الدعي ، فقد يكون خاويا من علم فيزعم لنفسه نصيبا كبيرا منه ، تميزه في أسلوب دعوته لهواه بهلوانية يغطي بها قصده وتعالم يغطي به جهله وعشق للدعاية لنفسه وحرص على جمع المساندين من أمثاله أصحاب العقول الفارغة والقلوب المريضة .

فالداعي يتحلى بالأصالة فهو النافع الذي يمكث في الأرض والدعي هو الوهج الذي هو الى زوال والزبد الذي هو الى فناء وجفاء .

وبين الداعي والدعي ما بين الحق والباطل وما بين النور والظلمات وما بين الهدى والضلال .

وما من داعي إلا وهمه نصرة الحق وما من دعي إلا وعنده خبيئة ، والخبيئة تغري صاحبها بالأخفاء وتغري صاحبها بالظهور بعكس ما هو عليه وضد ما هو لديه .

وقديما قرأنا تفاسير للقرآن ـ كله أو بعض آية ـ لا يخلو بعضها من اسرائيليات بهدف التأويل الباطل والانحراف بالنصوص تارة انحرافا ظاهرا مرذولا وتارة انحرافا ماهرا خفيا ، بل إن بعضها يخالف الدين ويخرج بصاحبها او مصدقها من ربقته ومن العهد الأزلي الذي بينه وبين ربه ألا يعبد سواه والا يشرك في معرفة ربه هواه . ويجمعها جميعا السخف من حيث أسلوبها والتكلف المرذول ، أما من حيث المقاصد فإرادة التضليل وتحريف كلام الله عن مواضعه . وكان العلماء الأتقياء أولا يفسرون القرآن بالمأثور ثم جاء من بعدهم من حذفوا أسانيده وجعلوه مجردا عنها لتدخل الإسرائيليات في غيبة الأسانيد ويصعب على القارىء تخيل وغربلة ما نسبه أصحاب الميول المنحرفة والمذاهب العقدية (نسبة الى العقيدة) كذبا وزورا الى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أو الى الأئمة من ذريته أو الى صحابته ترويجا لبدعهم ودسا لأباطيلهم . ولسنا بصدد التفصيل فليرجع فيه القارىء الكريم إلى ما كتبه في هذا الشأن اولوا العلم والبصر ، فهو كثير .

وكما كان للإسلام وكتابه أعداء من قديم الزمان فهم اليوم غير منفكين في الكيد حاليا له بأساليب عصرية مدعين التجديد في إظهار وجوه اعجاز للقرآن متخذين من أسماء العلوم والمخترعات تكئات يتأولون بها القرآن ليصلوا الى تحقيق نواياهم السيئة وقصدهم الخاسر .

وهؤلاء المحدثون ، الذين هم بين أظهرنا الآن ، اتخذ بعضهم من أسلوب التضليل بالعلم سبيلا الى الشهرة أو الى القربى بمجامع العلم في أمريكا وأوربا زلفى الى القائمين عليها من مستشرقين حاقدين على الأسلام أو يهود صهاينة هم أشد عداء للأسلام من أهل القتيل لشخص القاتل .

ومن الأسف أن المنبهرين المأخوذين كثيرون لقلة بضاعتهم من العلم المانع لهم من الوقوع في براثن الملحدين والمرتدين ، وكثيرون منهم يغلب حسن ظنه بمن ادعى العلم فلا يتهمه في دينه ولا في قصده ، وبعضهم

المتحالم المتعالم الذي يريد أن يكسو نفسه حلة من رجاحة العقل أو سماحة الدين فيعتذر عن هؤلاء بحقهم في الاجتهاد غافلا عن أن للاجتهاد شروطا بعضها يرجع الى موضوع الاجتهاد . وبعضها يرجع الى أدوات الاجتهاد ، وكل هذه الشروط معدومة فيمن قال ـ ظلما للرقم « ١٩ » ـ انه وصل به الى أن جهنم ليس عليها تسعة عشر ملكا إنما عليها تسعة عشر حرفا هي حروف البسملة ، كما قال إنه بأعمال الأعداد بزعامة الرقم « ١٩ » شارك الله غيب علم الساعة فحدده تحديدا ، مكذبا بالأمرين معا صريح القرآن !!

فليس مجتهدا من انتهى بهذره الى تكذيب القرآن .

وليس حسن النية شريف القصد من عرف أنه انتهى الى تكذيب القرآن فاستمسك بمنهاجه السيء وصار يدافع عنه ويروج له غير عابىء بخطأ لا يغتفر وقع فيه .

واذا كان صدق النتيجة يدل على صدق مقدماتها ووسائل الوصول اليها فإنه أيضا يقال ـ بحق ـ إن خطأ النتيجة يرجع إلى خطأ ما أوصل اليها وأدى اليها .

فلابد إذن أن أدوات التفكير عند هؤلاء كانت عاطلة ولا بد أن أسلوب بحثهم كان خاطئا وأن مقدمات القضية الخاسرة كانت خاطئة ، نقول هذا ويقوله كل من عنده عقل حتى ولو زعموا أن الكمبيوتر هو الذي أوصلهم وأن الكمبيوتر لا يكذب !!

وبعد ، فلن نعرض غثاثة بحث احدهم إلا من خلال كلماته في كتيب له فهذه الكلمات هي التي حددت مسار فكره الخاطىء فلا بد من عرضها بنصها ليعلم القارىء حقائق كانت خافية عنه :

قال ما نصه : « نحن نعلم أن الآية الأولى التي نزل بها سيدنا جبريل عليه السلام على قلب النبي صلى الله عليه وسلم هي من سورة العلق (اقرأ باسم ربك الذي خلق) وسورة العلق تتكون من تسع عشرة آية (١٩) ويأتي ترتيبها إذا بدأنا بتعداد القرآن من الخلف عند الرقم تسعة عشر (١٩) . ثم جاء الوحي بالآيات من سورة القلم (ن . والقلم وما يسطرون) وبعدها تأتي الآيات الأولى من سورة المزمل ، وفي المرة الرابعة وهو الحدث الهام نزل الوحي بالآيات المذكورة في سورة المدثر حتى قوله تعالى (عليها تسعة عشر)، والشيء العجيب حقا أن الوحي الأمين أنزل عقب آية (عليها تسعة عشر) بالضبط سورة الفاتحة بكاملها ، وهي أول سورة كاملة ينزل بها جبريل عليه السلام بإجماع العلماء . فنلاحظ هنا أنه تبع آية (عليها تسعة عشر) مباشرة بسم الله الرحمن الرحيم المكونة من تسعة عشر حرفا » (ص ١٣ من كتيبه) .

ومن قبل ذلك قال في ص ١١ ما نصه : « فماذا يعني بقوله تسعة عشر ؟ هل يعني أن الأنسان الذي يعتقد أن القرآن من قول البشر سيعذب وسيكون

عذابه تحت إشراف تسعة عشر ». وهذا هو التفسير المتفق عليه من قبل العلماء القدماء فالتسعة عشر (عند المفسرين القدماء) هم حراس جهنم ، زبانية جهنم . لكن اذا تابعنا قراءة الآيات التالية نرى في الآية الكريمة السابقة « عليها تسعة عشر » وفي ضوء المعلومات الجديدة التي سنراها أن هناك تفسيرا جديدا لمعنى تسعة عشر وهي عدد حروف الآية القرآنية المفتتح فيها القرآن « بسم الله الرحمن الرحيم ».

ثم يقول في ص ١٢ ما نصه : « إذن فالرقم تسعة عشر ليس هو عدد زبانية جهنم كما كنا نعتقد وكما فسر العلماء القدماء .. هذا ما يظهر في القرآن الكريم من تفسير للرقم (تسعة عشر) ومن الدلائل التي تؤيد هذا التفسير بأن رقم (التسعة عشر) الذي ذكر في القرآن الكريم يقصد به الله سبحانه وتعالى عدد حروف البسملة ما يأتي ...» انتهى .

قصدنا ذكر عباراته بألفاظها ليعلم القارىء ان استدلاله على ما انتهى إليه من إنكار ملائكة على جهنم لا يعتبر عند العقلاء استدلالا بكل مقاييس الاستدلال بل هو شطحة هوى جامح .

ونلاحظ قبل مناقشته الحساب على هذه العبارات أمورا :

١ ـ أوهم القارىء العادي أن الله لم يقطع في القرآن بأن على جهنم تسعة عشر ملكا ، وأن ذلك كان قول واجماع المفسرين القدامى ، فهو في حل من مخالفتهم الرأي لأن عنده من علم الكمبيوتر ما لم يكن عند علماء التفسير القدامى .

٢ ـ استفظع تعذيب الله بنار جهنم من جحدوا القرآن وقالوا إنه من صنع البشر لا من صنع الله ، فهؤلاء عنده لا يستحقون مكانا فيه سعير وشواظ ولهيب وإنما يستحقون مكانا معلقة عليه حروف الرحمة !!

٣ ـ من الواضح أنه لم يستعمل الكمبيوتر في عدِّ آيات سورة العلق ولا في عد حروف البسملة ولا في معرفة كون الفاتحة نزلت بأكملها والبسملة آية منها بعد آية « عليها تسعة عشر » الواردة في سورة المدثر .

ولتفنيد هذا الهراء والرد عليه نقول وبالله التوفيق :ـ

أولا : على فرض صحة نزول الفاتحة بعد آية « عليها تسعة عشر » من سورة المدثر وعلى فرض أن البسملة آية من الفاتحة (وهو موضع خلاف) وعلى فرض أن عدد حروف البسملة تسعة عشر حرفا مع كونها عشرين حرفا بإثبات ألف الرحمن نطقا . نقول على فرض ذلك كله فليس مفاد ذلك ومؤداه أن عدد تسعة عشر يعني به الله حروف البسملة فسياق الآيات يستعصي تماما على أن يؤدي الى هذا الهراء . نقول : « ان حروف البسملة وان كانت تسعة عشر حرفا حسب عد بعضهم ومع كون ملائكة جهنم تسعة عشر ملكا فليس معنى ذلك أن زبانية جهنم هم حروف البسملة لمجرد التشابه في العدد ، فالتسعة عشر رجلا ليسوا هم النساء البالغ عددهن تسع عشرة امرأة لمجرد التوافق في العدد ، وليس البرتقال البالغ عشرين برتقالة هو الباذنجان

البالغ عشرين باذنجانة لمجرد التساوي في العدد ، ومن يقول ذلك فهو ذاهب العقل عديم الإدراك ».

هذا ويمكننا أن نقرر بديهة عقلية لا يتعلق بها شك هي أنه لا ارتباط في المعنى بين جملة وأخرى اذا اقتصر التشابه بينهما على أن عدد حروف الأولى يساوي عدد حروف الثانية فمجرد هذا التوافق في العدد لا يخلق ارتباطا بين الجملتين من حيث المعنى ولا تكمل احداهما الأخرى لمجرد هذا التوافق العددي ولا تفسرها ولا ترتبط بها بأي رباط ان لم يكن ثمة ما يوجب هذا الارتباط نابعا من المعاني . كما أن الروابط بين المعاني لا تتوقف على طول الجمل التي تحمل هذه المعاني ولا على قصرها ، وهذه الروابط لا يمكن استنباطها من مجرد تشابه في عدد الحروف أو عدد الكلمات أو حتى من تشابه في بعض الكلمات المشتركة بين الجملتين .

والمسلم الذي يتمتع بعقل طبيعي لا يقبل أن يكون أي رقم ولو كان الرقم « ١٩ » هاديا له في فهم كتاب رب العالمين والمرشد الى تفسيره وتأويله .

وربما كان من التبسط في الحديث أن نضرب مثلا بجملتين هازلتين نرطب بهما أعصاب القارىء الكريم :

١ ـ الفأر أكل خروفا وقطتين

٢ ـ الحصان انسان عاقل متزن .

فهاتان الجملتان تضم كل منهما تسعة عشر حرفا ، وهذا التوافق لم يجعل بينهما أي ارتباط . واذا انتقلنا من ضرب المثل بالهذر من القول الى المثل بالحق من القول وأوردنا جملتين أخريين جادتين هما :

١ ـ التسعة عشر زبانية جهنم .

٢ ـ الجنة حق والنار كذلك حق .

نرى أن كلا من الجملتين تتكون من تسعة عشر حرفا ، وهذا التوافق لم ينشىء بينهما أي ارتباط في المعنى ولا يتوقف فهم أحداهما على فهم الأخرى وكل جملة من الجمل الأربعة لا يصلها بأخواتها من حيث الأدراك والمفهوم هذا التوافق في عدد الحروف .

ثانيا : وربما نفى احدهم اتخاذه من التوافق والتشابه في العدد دليلا على الزعم الذي سجله وهو انكار ملائكة النار ، ورب قائل ان الدليل عنده هو ترتيب نزول الآيات فإن البسملة التي هي أول آية في الفاتحة والتي هي تسعة عشر حرفا نزلت مباشرة بعد آية « عليها تسعة عشر » التي في سورة المدثر .

وللرد على هذا التلبيس الذي هو من همزات إبليس نقرر أن نزول آية بعد آية لا عبرة له في الربط بينهما وأن العبرة في ذلك بترتيب ورودهما بالمصحف .

وبيان ذلك أن الآيات كانت تنزل بمناسبة حوادث معينة أو إجابة عن

أسئلة موجهة الى الرسول عليه الصلاة والسلام ويؤمر الرسول الكريم بوضعها في سورة معينة ويحدد له جبريل عليه السلام موضعها في هذه السورة أي بعد آية كذا وقبل آية كذا فترتيب الآيات في المصحف كان بأمر من الله وليس من فعل الرسول ، وترتيب الآيات بالمصحف يغاير ترتيبها من حيث نزولها ، فكأن الله يقول لنا بأوضح بيان لا اعتبار في فهم القرآن واستنباط الأحكام وفي تفسيره لترتيب النزول إنما الاعتبار لترتيب المصحف .

فجبريل عليه السلام كان ينزل بمقاطع من القرآن على فترات وبين الفينة والفينة ولا يؤلف بين هذه المقاطع لا عامل السبق ولا عامل اللحوق ، اي أن الآيات لم تكن تنزل حسب ترتيبها عند الله في اللوح المحفوظ ولا حسب ما يراد لها من ترتيب في المصحف بل حسب الدواعي الظاهرة للبشر والدواعي الخفية عن البشر التي هي في علم الله وحده .

فاذا كان الله لم يأمر بترتيب الآيات في المصحف حسب نزولها وأمر بترتيب آخر هو الموجود الآن في المصحف فإن أمر الله هو الأولى بالاتباع ، ومخالفة الله عن أمره في هذا الخصوص عبث أطفال يجب تنزيه المسلم عنه .

وما يقال في الآيات يقال في السور فإن نزول سورة بعد سورة لا علاقة له على الأطلاق بتفسير السورة اللاحقة لمعاني أو مراد السورة السابقة والأمثلة كثيرة بعدد سور القرآن : فسورة الفلق نزلت بعد سورة الفيل وهي لا تفسرها ولا جامع بينهما . وسورة الإخلاص نزلت بعد سورة الناس وهي لا تتصل بها ولا يرتبطان بجامع مشترك بينهما . وسورة الكوثر نزلت بعد سورة العاديات ، وشتان بينهما ، وسورة القدر نزلت بعد سورة عبس ولا اشتراك بينهما في شيء وسورة القارعة نزلت بعد سورة قريش وهي لا تمت لها بصلة ولا تفسرها .

وننبه الى أن تفسير القرآن لا يكون بالهوى ولا بالتخمين .

ثالثا : لم يرد في القرآن كله ما يفيد أن جهنم عليها تسعة عشر حرفا هي حروف البسملة ولم يرد في أقوال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو المبين للقرآن ما يشير من قريب أو من بعيد الى هذا الهراء . فهل ضن علينا رب العالمين وضن على سيد المرسلين بما فتح به على أبليس ـ كما صرح احدهم في احدى المجلات المصرية ونقلت عنها جريدة كويتية ـ فقال ان ابليس هو الذي اكتشف في القرآن إعجاز العدد « ١٩ » وخص به أولياءه وصرف الآخرين أمثالنا عن إدراك عظمة هذا السر المكنون !! ولا حول ولا قوة الا بالله وتعالى عما يصفون .

رابعا : بل الذي ورد في القرآن صريح وقاطع في كون التسعة عشر هي عدة أصحاب النار .

وقد ورد هذا القطع الجازم في آية لاحقة لآية « عليها تسعة عشر » مباشرة هي آية « وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة ».

وبأعمال القاعدة المنطقية والشرعية في تفسير القرآن بمراعاة ترتيب المصحف لا ترتيب النزول يكون أصحاب النار الذين هم ليسوا إلا ملائكة هم المحددين عددا بتسعة عشر .

وفي التأكيد أنهم ملائكة ذوات أرواح وليسوا حروفا ونقوشا وصفهم الله بالحياة حين وصفهم بالغلظة والشدة وأنهم لا يخالفون الله عن امره وأنهم يفعلون ما يؤمرون ، قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون » سورة التحريم .

ورب قائل - إن الله قادر على أن يأمر الحروف فتدب فيها الحياة ثم يأمرها فتطيع فتصير غليظة شديدة على أهل جهنم ، ونقول جوابا :

١ - أما وقد أصبحت هذه الحروف ذات حياة وأصبحت غليظة شديدة فلماذا لا نسميها بتسمية الله إياها ، لماذا لا نسميها ملائكة .

٢ - هذا ، وما الحكمة - على الفرض السابق - في كون الله يخلق حروفا ابتداء ثم يجعلهم ملائكة انتهاء ، أليس بقادر على أن يخلقهم ملائكة ابتداء دون اللجوء الى التصيير والتحويل .

٣ - ثم كيف يرتاح عاقل الى أن حروف الرحمة - وهي حروف البسملة - تنقلب اذا انقلبت الى ملائكة غضب ونقمة ، أما كان الأنسب ان تنقلب الى ملائكة رضوان ورحمة .

ألا فإن لله رحمة ، ومجالي لهذه الرحمة ، هي الجنات بدرجاتها ، ومن خبل المأفونين أن يظنوا أن على هذه المجالي تعلق شعارات الغضب والنقمة ، كما أن لله غضبا ونقمة ومجالي لهما هي السعير وطبقاته ومن خبل المأفونين أن يظنوا أن على هذه المجالي تعلق شعارات الرحمة والرضوان .

فإن كانوا يسخرون من نار الله كما سخر منها قبلهم كفار قريش ومن بعدهم كثيرون من طوائف الباطنية ، أو كانوا يريدون أن يستهزئوا بها وبزبانيتها كما فعل المغيرة وأبو جهل وغيرهما من قادة الكفر والظلمة ، فإن الله يسخر منه ومنهم ويستهزىء به وبهم .

وهكذا فإن ارتياب الكافرين أيام الرسول كما هو ظاهر النصوص كان متعلقا بعدد حراس النار وماهيتهم كما كان متعلقا قبل ذلك بكون القرآن ليس من عند الله وأنه سحر أو هو من قول البشر . وها هم خلف يبذرون بذور الشك والارتياب في نفوس المسلمين متخذين من الرقم الجهنمي وهو شعار البهائية التي تنكر النار هاديا لهم ، وقد صدق الله إذ قال : « وما جعلنا عدتهم (العدد ١٩) إلا فتنة للذين كفروا » .

اللهم اهد الضال منا وحصن المسلمين من الجنوح وارزقنا اجمعين صدق الايمان بك وبغيبك المكنون الذي كشفت لنا عن بعضه تبشيرا وإنذارا واجعلنا دعاة صدق وحق ولا تجعلنا ادعياء ضلال وباطل .

في رحاب الذكرى

الإنسان المثل الأعلى للإنسان

للاستاذ / محمد الخضري عبدالحميد

عاش النبي ، صلوات الله وسلامه عليه ، مثلا أعلى لكل بني البشر ، من شتى الملل والنحل .. في الزهد والقناعة ، في الجود والكرم ، جميعاً .. عاش راضيا هانئا بما قسم الله له .. فقيرا يرقع الثوب ، ويخصف النعل ، ويمشي في الأسواق .. وحتى في الوقت الذي كانت تتدفق فيه إلى رحابه الشريف النزيه : غنائم الحروب .. لا تهتز قواعد دستوره القويم مقدار شعرة .. وإن (عائشة) أم المؤمنين رضوان الله عليها ، لتقول :

ـ « ما شبع ال محمد من خبز الشعير يومين متتالين ، حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم » رواه البخاري ومسلم .

بل إنها ، رضي الله عنها ، عندما خاطبت عروة بن الزبير ، وهو ابن اختها اسماء ذات النطاقين ، قالت :

ـ « والله ياابن اختي .. إنا كنا لننظر إلى الهلال ، ثم الهلال ، ثم الهلال .. ثلاثة أهلة في شهرين .. وما أوقد في أبيات رسول الله عليه الصلاة والسلام : نار »! رواه البخاري ومسلم .



في كل زمان ومكان

أي أن شهرين قمريين ، كانا يمران على زوجات الرسول ـ وهو الذي (لو) شاء لأمسى أغنى ملوك العالم قاطبة ، بغير أن ينقص ذلك من شاهق مكانته .

ـ دون ان يوقد في أبياتهن نار لطهو طعام دسم ، يستلزم إنضاجه : إيقاد النار ..!! ومتى هذا ؟! في الوقت الذي هو فيه قادر على أن يثرى ، لو أن الثراء كان من بين أهدافه . لكنها العفة وشرف النفس ونقاء الجبلة وجلال الرسالة ، وروعة الاستمساك بالمبدأ .

وفي بيت ابنته (فاطمة) ـ رضي الله عنها ـ يتلفت النبي من حوله .. فإذا إبنته مرتدية كساء خشنا ، منسوجا من وبر الابل ، تطحن بالرحا .. ولا يروعه منظرها في شيء . حقا أنه قادر على أن يجعلها ترفل في أبهى الثياب ، وتختال بين أترابها بأثمن وأندر الحلى ، (لو) تخلى قليلا عن صموده ؛ وتمسكه الدقيق بحرفية نهجه ودستوره .. ثم هو لا يجزع حينما تشكو إليه ـ رغم ما ترسف فيه من فاقة مادية ـ أنها : « مالها طعام تأكله » ! إنه لا يزيد على أن يقول لها برفق وحنو :

ـ « تجرعي يافاطمة مرارة الدنيا .. لنعيم الآخرة » .

وعن (عائشة) رضي الله عنها .. « ما رفع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قط غداء لعشاء .. ولا عشاء لغداء ، ولا اتخذ من شيء زوجين ، ولا قميصين ولا رداءين ، ولا إزارين ولا زوجين من النعال » .. وقولها كذلك : « توفي رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وليس عندي شيء يأكله ذو كبد ، إلا شطر شعير في رق لي » رواه البخاري ومسلم والترمذي .

أنعم به من زهد .. وأكرم بها من قناعة .

أنعم وأكرم بهذا كله من (أسلوب حياة) ، يضع (العقيدة) وحدها : فوق كل متطلبات العيش والمعايشة .. وأعظم بها من مدرسة تنجب في الزهد (إماما) مثل (علي) كرم الله وجهه .. يقف في السوق عارضا للبيع سيفه ، وهو يقول : « من يشتري هذا

السيف مني .. فوالذي فلق الحبة لطالما كشفت به الكرب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولو كان عندي ثمن إزار ما بعته » ؟!

وبالقياس إلى ذلك الزهد ، وإلى تلك القناعة والبساطة .. كان النبي في الكرم في مثل هذه الحال : أكبر من وزنه حقا ، وأروع دلالة فعلا على ماهية السجية .

روى أبو ذر الغفاري ، رضوان الله عليه ، فقال : كنت أمش مع النبي ، صلوات الله وسلامه عليه ، في حرة المدينة فاستقبلنا احدا .. فقال عليه الصلاة والسلام : ياأبا ذر . قلت لبيك يارسول الله . قال : ما يسرني ان عندي لي مثل أحد ذهبا تمضي عليه ثالثة وعندي منه دينار إلا شيء أرصده لدين إلا أن أقول في عباد الله هكذا وهكذا وهكذا عن يمينه وعن شماله وعن خلفه ثم سار فقال : إن الأكثرين هم الأقلون يوم القيامة إلا من قال هكذا وهكذا وهكذا عن يمينه ، وعن شماله ، ومن خلفه وقليل ما هم ، ثم قال لي : مكانك لا تبرح حتى آتيك » رواه البخاري واللفظ له ومسلم .

أي جود .. وأي كرم .. قياسا إلى واقع يضج تواضعا وبساطة .. وإزاء (إمكانات) متاحة ، ومغريات رهينة بايماءة من أصبع .. لو شاءها أو بعضها لكان الذهب في حوزة (محمد) أقل المعادن قيمة وأهونها شأنا ، وسط ما يموج لديه من أنفس وأندر الجواهر ، وأشهى وأفخم الأطعمة .. لكنه أراد أن يكون وحسب : (المثل الأعلى) للبشرية جمعاء ، على ما ينبغي أن تكون عليه قوة الخلق ، ومتانة العزم ، أمام كافة البهارج والمشهيات الدنيوية .. بهذا يتحقق التوافق التام بين (طبيعة التعاليم) و : (واقعية السلوك) .

جاء إلى المصطفى رجل بأربع أواق ، وقال :

- « يارسول الله . إن هذه صدقة » .. وكان الرسول قد أجلس ثلاثة رجال جاءوا يسألونه وقال لهم : سيرزقكم الله .. فدعا رسول الله : أول الرجال الثلاثة فأعطاه أوقية ، وكذلك فعل مع الثاني ، ثم الثالث .. وبقيت مع رسول الله أوقية واحدة ، فعرض بها للقوم فما قام أحد .. فلما كان الليل وضعها تحت رأسه وفراشه عباءة ، فجعل لا تأخذه عينه ، ولا يطعم النوم جفنه ، فيرجع فيصلي ، فقالت له عائشة : يارسول الله هل بك شيء ؟ قال : لا . قالت : فجاءك أمر من الله ؟ قال : لا . قالت : إنك صنعت هذه الليلة شيئا لم تكن تفعله .. فأخرجها من تحت وسادته وهو يقول :

- هذه ، هي التي فعلت بي ما ترين . إني خشيت أن يحدث أمر الله ولم أمضها » .

وفي الشجاعة هو : رائد القوة ، وعلم الشجاعة

ما أشجع (محمد) العظيم ، وما أقوى بأسه ، وما أروع بدائع بطولته الرائدة الفريدة ، الباقية ناصعة

مضيئة إلى الأبد .. لم يك مطالبا أن يفعل شيئا من ذلك الهائل الكثير الذي يتطوع لأن يعمله بيديه ، غير راض لنفسه أن يمنح نفسه أية ميزة عن أقل فرد في معسكره . يحتطب ليسهم بينهم في إنضاج طعامهم . يحفر الرجل من الرجال فيعثر على صخرة ضخمة ، ولكي لا يعوق العمل الدءوب الشاق أي عائق ، يهب (محمد) للصخرة ، يهوى عليها بقوته كلها حتى ليتطاير الشرر منها ..

لكم كان سيد الأنام عظيما في قوته ، منذ أشرق على آفاق الكون سنا نوره .. وما كانت تلك القوة والشجاعة شيئا مكتسبا بمران خاص ، أو مستحدثا لمقتضى أحوال معينة .. وإنما هي الجبلة الرفيعة ، والفطرة الثرية السوية ، التي مثلما تجود بالبر ، والحنان ، والود ، والعطف .. فإنها - في ميادين القوة - تسخو في الجود بعطائها المعجز ، المميز ، الفريد .. وكثيرة هي الشواهد المأثورة المبكرة ذات الدلالة .. وهل ينسى إقدامه الجسور على فحل من الابل ، جمح واستشرى خطره ، حتى لقد صار وحشيا يفزع الكبار .. وإذا بـ (محمد) الشجاع في صباه الباكر ، يفعل ما لم يفعله حتى الشجعان الكبار .. يقتحم عليه حلبته ، ويشده بجذبة قاهرة إليه ، فيخضعه ويكبح جماحه ، ولا يدعه إلا بعد أن يذعن أمامه ، ويسلس له قياده ..

إنه (محمد) علم البسالة ، وعنوان الشجاعة ، وقدوة الأقوياء ، والمثل الأعلى والأسمى لذوى البأس وذوى العزة والاباء ..

تكاتف المشركون ضده ، وهم آنذاك قوة رهيبة ، وطاقة ضخمة مضادة يجب أن يعمل لعنف خطرها الحساب .. لكنه لم يكن يعبأ بجهودهم الدائبة في التكتل والتكالب على محاولة إطفاء شعاعات النور الجديد ، التي راح ينشرها بعزم ومضاء .. ويفاجأ الأعداء والمناوئون بأن يروه ، هو بذاته ، يقتحم - وحده - مجلس القوم في مكة ، ليس إلى جواره أي واحد من رجاله .. ويذهل المتآمرون إذ يفاجأون به بينهم هكذا .. واقفا بنفسه على رؤوسهم .. ويرتج على زعيم الطغمة الشريرة - ابي جهل - فلا يتمالك أن يلجأ إلى المراوغة والمداهنة .. يقول : « يامحمد .. ما كنت جهولا » ! .. إنه يبغي أن يعجم عود (محمد) ، لعله أن يعتذر إليه بقول لين ، أو قد يوضح للجالسين الذين يرسمون ويخططون ، أن أبا جهل ليس من (السفهاء الجهلاء) الذين يعنيهم محمد بذلك الوصف .. ربما يلين (محمد) وهو بينهم فينفي عن كبير القوم تلك الصفة السيئة .. لكن محمدا يجيبه على مسمع ومرأى من الملأ ، وبجلاء ووضوح ورأسه الكريم شامخ مرفوع :

- « ياأبا جهل .. أنت منهم » !

إنها القوة الواعية ، الواثقة .. قوة الايمان برسالة سامية عظمى ، جاءت لخير الانسان في كل مكان ، دائما وعلى مر الزمان .

إطلالة

وافى الـربيـع فيـا بـلابـل غـردي
فـالارض نشـوى والقلـوب ظمـاء
ولـد الحبيـب فيـا مـلائـك هلـلي
فـالكـون لحـن والـزمـان غنـاء
واطـل فجـر محمـد فـأضـاءت الـ
دنيـا وتـاهـت بـالـهـدى الجـوزاء
وتبـددت سحب الضـلالـة والهـوى
بمحمـد وانجـابـت الظلمـاء
فـاذا المـلائـك فـرحـة واذا العـوا
لـم بـهجـة ومحبـة وإخـاء
ونبينـا فخـر الـعـوالـم كلـهـا
هـو للقلـوب ولـلـعيـون ضيـاء
من جـاءنـا بـالنـور بعـد ضـلالـة
والنـاس في دنيـا الـعمـاء سـواء
بيـديـه للـدنيـا كتـاب خـالـد
ومـع الكتـاب شـريـعـة سمحـاء
شـهـدت لـه البلـغـاء في إعجـازه
وتبـارت الأدبـاء والشـعـراء

الربيع

للاستاذ / ضياء الدين الصابوني

وتطامنت هام الملوك وطأطأت
لبيانه العلماء والحكماء
وعجائب القرآن في طول المدى
لا تنقضي وجديده وضاء
آياته حكم وهدي بيانه
السحر الحلال ومالها نظراء
هو رحمة وسكينة وهداية
هو للقلوب الموجعات شفاء
من حرر الافكار من اوهامها
فأزيح عنها البغض والشحناء
وهدى القلوب فكان اعظم مصلح
دع عنك ما يتقول السفهاء
لك يا محمد معجزات جمة
وأجلها القرآن والاسراء
يا ليت شعري من يفي بمديحه ؟
والكائنات لسانهن ثناء

عقم الزمان أن يجيء بمثله
أو أن يفي بمديحه البلغاء
ذو المعجزات الباهرات وكلها
صدق وليس لعدها احصاء
الجذع حن وظللته غمامة
ولقد تفجر من يديه الماء
وشكت اليه الشاه من ألم بها
مسح الحبيب فزال عنها الداء
يا يوم ميلاد الرسول تحية
الشعر فيها روضة غناء
انا قد اتيتك مادحاً ومفاخراً
للمادحين شفاعة ورجاء
تتطاول العظماء في تكريمه
وببابه تتصاغر العظماء
حزت الفضائل والمكارم والعلا
وتزينها أخلاقك السمحاء
فإذا طلعت فأي بدر ساطع
واذا سفرت فلا تبين ذكاء
واذا بذلت فأنت اكرم باذل
واذا نطقت فللقلوب غذاء
واذا عفوت فأنت اكرم من عفا
يا أهل مكة (أنتم الطلقاء)
علمتنا الاحسان يا ذا الجود والاحسا
ن منك الفضل والآلاء
يا ماسحاً دمع اليتيم ومالك الـ
قلب الرحيم ، وللعفاة رجاء
كن لي شفيعاً يوم أبعث خائفاً
لي في مديحك بردة حسناء
ورجاؤنا فخر الوجود محمد
عين الكمال ونوره الوضاء
ألهمتني غرر البيان بمدحه
والله يعطي الفضل كيف يشاء
صلى المليك على الحبيب محمد
ما حن قُمريّ” وطاب ثناء

الحب في الإسلام

للاستاذ / محمد عبد الفتاح علم الدين

الحب عاطفة تحمل نفس المحب على الميل لمن يحب ولما يحب ، والانجذاب اليه والارتياح لمشاهدته إن كان يشاهد ، أو لخطورة في الذهن إن كان معنى من المعاني

والحب يبدأ ميلا ، ولكنه ينطوي على فضائل ، وتتولد منه عواطف نبيلة كالايثار والتضحية في سبيله .

ومحبوبات الانسان كثيرة ، على رأسها حب الله تعالى ، وحب رسوله الكريم ثم حب الوالدين والابناء والاقارب والزوجة والاصدقاء ، وابطال التاريخ والعلم والكشف ، ثم حب الوطن وحب العمل ، ثم المشتهيات من الاموال ممثلة في القناطير المقنطرة من الذهب والفضة ، والخيل المسومة والانعام والحرث ، ثم طول العمر مع الصحة وحب الجمال في جميع مخلوقات الله ..

وغير معقول أن يكون حب كل هذه الانواع والمحبوبات على وتيرة واحدة ، وانما الحب في نظري يشبه مادة السكر ، يضاف الى عصير البرتقال فيكون شراب برتقال ، والى عصير المانجو فيكون شراب مانجو .. وهكذا ، وذلك يحتم أن يضاف الى حب الشيء ما يميزه عن حب غيره من صفات تليق به . فحب الله تعالى إجلال وإعظام ورهبة ، وحب الوالدين بر ، وحب الابناء عطف وحنان ، وحب الزوجة مودة ورحمة ، وحب الاصدقاء وفاء ، وحب المال حرص ..

وحب الله تعالى يأتي على رأس قائمة المحبوبات ولكنه حب يمتزج **بالإجلال والإعظام والخشية والرهبة** ، نحبه لنعمه التي لا تعد ولا تحصى ، والتي ابتدأنا بها ، وينوه عن

بعضها خليل الرحمن سيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام حين يقول المولى جل وعلا على لسانه : (**الذي خلقني فهو يهدين. والذي هو يطعمني ويسقين . وإذا مرضت فهو يشفين . والذي يميتني ثم يحيين . والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين**) الشعراء/ ٧٨ ـ ٨٢ ، فأول نعمة الهداية الى الايمان ثم سائر النعم ، كما أن سورة النحل تفيض بنعم الله علينا ، سواء على جسمنا المادي أو الروحي ، فمن حيث الروح يحييها الله بالدين تتنزل به الملائكة على من اصطفاهم من خلقه ليكونوا رسلا لسائر البشر ، ينقذوا به من الظلمات ، والنور رحمة بهم حتى لا يضلوا ويكون مآلهم النار .

ومن حيث الجسم المادي المخلوق من نطفة ينعم الله عليه بنعمة الحيوان : الانعام للحومها والبانها وشعرها ووبرها ودواب الركوب للحمل والاسفار ، والانسان هو الحيوان الوحيد الذي امتن الله عليه بنعمة الركوب والحمل في البر والبحر . وما عداه يمشي على بطنه أو رجليه أو اربع وينعم عليه بنعمة النبات ، والله تعالى يتولى توفير الماء العذب للانسان من التبخير والتكثيف والتبريد والمطر ، ليشرب البشر وسائر الحيوان ، والنبات يجود بمختلف الاثمار ، فأسهل الاشياء من الحرث والبذر والري يعمله البشر وأصعب الاشياء من تكوين الماء العذب وفلق الحب والنوى يصنعه القدر ، وتتابع السورة سرد نعم الله على البشر من الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم ومن البحر السمك والحلى وجريان الفلك ومن جعل الجبال اوتادا حتى لا تميد الارض ، وعلامات يهتدي بها الانسان في البر ، كما يهتدي بالنجوم في البر والبحر ، وتذكر السورة ما من الله به على الانسان من عسل النحل الذي فيه الشفاء للناس ، والالبان التي يفرزها لنا من بين الفرث والدم لبنا خالصا سائغا للشاربين .

ثم نعمة الأسرة والأولاد والأحفاد ، ثم نعمة السكن والايواء والكساء والدروع التي تقي الانسان بأسه رحمة به ، وفي معرض سرد النعم تقول الآية الكريمة :(**وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم**) النحل/ ١٨ ، ومع ذلك فان كثيرا من البشر يجحد نعم الله التي أسبغها عليهم ظاهرة وباطنة :(**يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون**) النحل/ ٨٣ ، وصدق الله العظيم حيث يقول :(**إن الانسان لربه لكنود . وإنه على ذلك لشهيد . وإنه لحب الخير لشديد**) العاديات ٦/ ـ ٨

والله يُحبُ ليس فقط لجلائل نعمه ، وإنما لأنه يقدر ضعف الانسان ، وانه لا محالة سيخطىء ، فيفتح له من رحمته أبواب التوبة من الذنوب ، وقد وعد الله تعالى من تاب بمغفرة ذنوبه مهما عظمت ، شريطة أن تكون التوبة نصوحا صدقا لا رجوع بعدها للذنب ، وأن تكون قبل الاحتضار في صحة الانسان ، مع

الندم والشعور بالتقصير في جانب الغفور الرحيم .

ويقول المولى ذلك في عدة آيات في كتابة الكريم منها :(**قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم**) الزمر/ ٥٣ ويقول :(**والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون . أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين**) آل عمران/ ١٣٥ و ١٣٦

والله رحيم بالناس أبلغ رحمة مالم يسيئوا ويصروا على الاساءة والذنوب والمعاصي والكفر .. انه عندئذ يكون شديد العقاب .

وهو يعجل للناس بعض العقوبات اليسيرة في الدنيا انذارا وتخويفا وردا للعقول الى صوابها والاسراع في العودة الى الله ، فاذا لم يتعظوا لم يبق لهم عذر في العذاب الاخروى الشديد .

ولما كان الله قد استأثر بعلم الغيب ، ولا يعرف إنسان ما خبأه له القدر وما له عند الله وهل هو مقبول وناج أو مرفوض هالك ؟ فان المؤمن يجب أن يكون على حذر وخشية ورهبة ، ولذلك قلنا إن حب الله يجب أن يكون إجلالا مع الشعور بالرهبة والخشية . والله يطلب منا ذلك حيث يقول :(**وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد فإياي فارهبون**) النحل/ ٥١ . وفي وصف عباده المؤمنين :(**والذين هم من عذاب ربهم مشفقون . إن عذاب ربهم غير مأمون**) المعارج/ ٢٧ و ٢٨ ، ويقول :(**إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم**) الانفال/ ٢ ولهذه الخشية التي تصاحب الحب أجر كبير عند الله فهو يقول :(**إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير**) الملك/ ١٢ ، ويقول : (**فأما من تاب وآمن وعمل صالحا فعسى أن يكون من المفلحين**) القصص/ ٦٧

وعجيب بعد هذا أن يقول بعض الناس انهم يعبدون الله محبة فقط ، دون خوف من ناره ودون رغبة في جنته ! وهم بذلك يحكمون على أنفسهم بعدم العلم ، حيث يقول الله تعالى :(**إنما يخشى الله من عباده العلماء**) فاطر/ ٢٨ ، والله تعالى يصف المؤمن ويحصر الايمان في قوم يقول عنهم :(**إنما يؤمن بآياتنا الذين إذ ذكروا بها خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون . تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون**) السجدة/ ١٥ و ١٦

فالخوف من النار ، والطمع في الجنة ، وهكذا يتبين زيف العبادة التي تخلو من الخوف والطمع ، والواقع ان العبادة مزيج من الحب والرجاء والخوف والطمع والذكر والشكر والعمل الصالح : برا بالوالدين وصلة

لـلارحـام ، وإيتــاء ذوى القــربى واليتــامى والمســاكــين حقــوقهم ، والاسهام في الانتاج والاعمار للوطن الاسلامي ، وحمايــة هذا الانتــاج بالقوة الحربية الرادعة والذين لا يفهمـون العبادة عـلى هذا النحـو يقصرون في جانب الاسلام .

هذا وحب الله تعالى يستلزم حب ما يحبه الله ، وهو بعد الايمان به **حب رسوله محمد صلى الله عليه وسلم** واتباع كل ما جاء به . يقول الله تعالى :(**قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنــوبكم واللــه غفــور رحيم**) آل عمران/ ٣١ . وهذا يبـين بكل وضوح أن حب الله ليس حبا كلاميا وإنما هو باتباع النبي صلى الله عليه وسلم في كل ما جاء به ، ولقد جاء بالقرآن الكريم المنزل من ربّ العالمين فيه الايمان الكامل بالله وملائكته ورسله واليوم الاخر ، وفيه العمل الصالح بالعبادات والمعاملات والصبر والجهاد بانـواعهما ، والضـرب في الارض ابتغاء فضل الله وهو الانتاج وحراسة الانتاج ..

ويستلزم من كل مؤمن ان يتصف بصفات من يحبهم الله من المؤمنين كما في قوله تعالى :(**فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلةٍ على المؤمنـين أعـزّة عـلى الكـافـرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم**) المائدة/ ٥٤

ان هذه الآية وحدها تحتاج لوقفة من كل مسلم ليعلم اين هو من **هؤلاء** الاقوام ؟ والذلة على المؤمنين **هي ذلة** الرحمة لهم والاحسان اليهم والعمل على جلب المصالح لهم ودفع الضرر عنهم ، وهي كالذلة التي **عناها الله** عندما قـال في حق الوالـدين :(**واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقـل ربّ ارحمهما كمـا ربيـاني صغيرا**) الأسراء/ ٢٤ . استعارة من رحمة الطائر الذي يكون في جو السماء فإذا أدرك عش أفراخه نزل من عليائه وبسط لهم أجنحته وحنا عليهم حنو المرضعات على الفطيم ، فأطعمهم وسقاهم وحمـاهم ودافع عنهم . هذه هي الذلة المطلوبة نحو المؤمنين ، وكلمة المؤمنين تشمل كل مؤمن أيا كانت جنسيته وأيا كان لونه ، فالايمان لحمة الاخوة :(**إنما المؤمنون إخوة**) الحجرات/ ١٠

والعزة على الكافرين تقتضي التفوق عليهم في العلم والاقتصاد والسلاح الرادع المدافع لا المهاجم ولا المعتدي بحيث يكون المسلمون مثلا عليا في كل النـواحي ، ودعايـة طيبـة عمليـة للاسلام .

ونظرة للعالم الاسلامي هذه الايام توضح مدى الفرق الشاسع بين من يحبهم الله ويحبونه وبيننا ، لقـد عرضنا أجلّ نعمة انعم الله بها علينا بعد الايمان ، وهي نعمة الالفة والمحبة والاخوة بين المسلمين ، وهي النعمة التي امتن الله بها علينا في قوله :(**واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم إعـداءً فألّف بـين قلوبكم**

فأصبحتم بنعمته إخوانا) آل عمران/ ١٠٣
ويقول :(**وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم)** الانفال / ٦٣

اقول لقد عرّضنا هذه النعمة للضياع وصرنا شيعا وأحزابا وكل حزب بما لديهم فرحون ، والله بريء هو ورسوله ممن فرقوا دينهم وكانوا شيعا تحت أسماء ومسميات ما أنزل الله بها ، وقد افترقنا على أكثر من سبعين فرقة مع أن الله يريدنا جمعا واحدا لنا اسم واحد .

ان المسلمين في الاسلام كما قال الله تعالى عنهم :(**والسابقون الاولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم)** التوبة/ ١٠٠

فهم سابقون : مهاجرين وانصارا ، وتابعون لهم باحسان . ونحن لسنا من السابقين وإنما نحن من التابعين ونرجوا أن نكون باحسان ، والتابعون باحسان يقولون ما جاء في القرآن الكريم :(**والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم)** الحشر/ ١٠ . ولكننا بدل أن ندعو لهم جميعا بالمغفرة فهم الآن بين يدي الله يتولى حسابهم ويطلب منا الاستغفار لهم ، يجب أن ننبذ خلافاتنا والا نتعدى ونتصادم ونتقاتل ونغفل عن العدو الحقيقي الواقف لنا بالمرصاد ينتهز فرصة غفلة منا ليميل علينا ميلة واحدة ، مع أن الله تعالى أمرنا أن نأخذ حذرنا ولكننا فرطنا فعوقبنا ولم نأخذ عظة من الدرس القرآني للمسلمين في مثل هذا ، فانه عند مادس اليهود بين الاوس والخزرج من يذكرهم بالحروب التي كانت بينهم ، أهاجم وحرك الاحقاد القديمة وتواعدوا على القتال ، ولكن الرسول الكريم تدارك الأمر بحكمته ونزل في ذلك قوله الله تعالى :(**يأيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين . وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هُدىَ الى صراط مستقيم)** آل عمران/ ١٠٠ و١٠١
ولم يكن كفرهم الا تلاقيهم بالسيف بعد أن جمع الله قلوبهم بالايمان ولقد أحس الفريقان أنهما أجرما باستعادة الخلافات القديمة ، وعادوا للوفاق والعناق ..

وكان حقا علينا أن نعتبر بذلك فلا نسمح باجترار الماضي ، وإعادة الخلافات جذعه وان نكتفي بالوصف الجامع المانع وهو وصف الله لنا **بالتابعين بإحسان** حتى يرضى عنا .

وإذا تتبعنا من يحبهم الله تعالى ، وذكرهم في القرآن الكريم وجدنا الكثير فهو يحب التوابين ويحب المتطهرين ، ويحب المحسنين ويحب الصابرين ويحب المتوكلين ، ويحب المقسطين ،

والأذلة على المؤمنين والأعزة على الكافرين ..
وإذا تتبعنا من لا يحبهم الله وجدناه لا يحب الكافرين : والظالمين والمسرفين وكل مختال فخور ومن يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا ، ومن يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا ، والمفسدين والمعتدين والمستكبرين والفرحين ..

ولو سردنا الآيات التي أوضحت من يحبهم الله ومن لا يحبهم لطال المقام ، وكل تال للقرآن الكريم يمر عليه ذكر ذلك ، ويعلم ان عليه ان يتوب ويتطهر من الذنوب ، ويحسن العمل ويحسن الى الناس ، ويصبر في مواطن الصبر وهي البأساء والضراء وحين البأس ، وإذا عزم توكل على الله فالتوكل يأتي بعد تمحيص الموقف ولو إحتاج الى استشارة حتى لا يندم عند التسرع ، وعليه عند الحكم على الناس أن يقسط في الحكم ، وعليه الا يكون مختالا فخورا ولا خوانا أثيما وقد وصف الله تعالى المختال الفخور بأنه بخيل ويأمر الناس بالبخل ، ويكتم ما آتاه الناس من فضله ، وإذ أنفق فرياء للناس وعدم إيمان . ووصف الخوان الاثيم بأنه يستخفي من الذنب عن الناس ولا يستخفي من الله ، والله معه ومحيط بعمله ، وهذه وأمثالها مكارم أخلاق لا ينبغي للمؤمن إلا أن يتصف بها وعليه أن يكره الكفر كما يكره أن يقذف في النار ومثل الكفر الفسوق والعصيان .

وأشد أنواع الكفر الاشراك بالله ، فهو الظلم العظيم ، وهو الذي لا يقبل فيه صرفا ولا عدلا ونص ذلك في القرآن الكريم حيث يقول :(**إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما**) النساء/ ٤٨

والمسرفون على أنفسهم أنواع : منهم المسرف في الظلم والعلو كفرعون ، الذي كان عاليا من المسرفين وقسم الامة شيعا ، واستضعف طائفة منهم ، يذبح أبناءهم ، ويستحيي نساءهم .
ومنهم المسرف في المعاصي والمسرف في الطعام والشراب ، والمسرف في صرف المال في الملاهى والمحرمات . والمفسدون أنواع ، منهم المستأثر بالخير الذي يحرم الناس حقوقهم في هذا الخير كقارون ، ومنهم الذين يشعلون نار الفتنة بين الناس والحروب كاليهود ، ومنهم الغاشون في الكيل والميزان وسائر الأعمال والمضيعون للثقة بين الناس ..
ونكتفي بهذا القدر ونذكر ان الله تعالى هو القوة الجبارة الهائلة التي لا يعلم قدرها غيره ولا يبلغ الواصفون وصفها ، هو الذي فطر الخلق ، وهو يدبر الامر من السماء الى الارض ، والذي يمتلك ما خلق ، ومنهم البشر ، امتلاك العبيد **بالخلق لا بالشراء** ، وقد احتجب بالنور لتكون عبادته عبادة احرار لا عبيد ، تمهيدا للمسئولية يوم الدين .
هذا الاله الذي نحن مدينون له بكل شيء في حياتنا من القوة الصالحة

والرزق والهداية وجميع النعم الظاهرة والباطنة ، وهو الموجود الدائم الكامل الذي لا حد لكمالة ، والذي فطرنا على الايمان به واللجوء اليه خاصة عند الشدائد ، والذي تطمئن بذكره القلوب ، هذا الاله المنعم المتفضل يستحق منا كل إجلال وتقدير وحب فوق حب الآباء والابناء والنفس وكل غال في الحياة فهو الواهب للجميع - ويجب تبعا لهذا الحب الغالي ان ننفذ كل ما رسمه لنا أمرا ونهيا بحرارة ، لا رسما فقط ، وأن نخضع لقوانينه في الاخلاق والمعاملات : من صدق وأمانة وعدل وإحسان وحسن معاملة وتواد وتناصح .. وأن نكون على المستوى الذي يريده لعباده - الصالحين ، وأنه سيؤتي كل ذي فضل فضله ، ويمتعه متاعا حسنا في الدنيا والآخرة .

وهذا حق لله وواجب علينا ، أن نؤثره على ما سواه ، والله تعالى يقول :(**قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره**) التوبة / ٢٤

حب الوالدين يلي حب الله ورسوله ، فهما السبب المباشر في إخراج الانسان الى حيز الوجود بقدرة الله وإرادته وتصويره ، ولهذا يأمرنا الله تعالى بالاحسان اليهما ، بالكلمة الطيبة والعمل الصالح ، وقد عنى جل جلاله في سورة الاسراء ، فإنه بعد أن أمر بعبادته وعدم الاشراك به أمر بالاحسان إلى الوالدين وعدم الاساءة اليهما .

وقد بين لنا لونا من الكلم الطيب والمعاملة الحسنة ننسج على منوالهما ، كما بين لنا لونا من الاساءة في الكلم والفعل لنبعد عنهما وعما هو أشد منهما .

فقال جل شأنه ناهيا عن القول المزعوم والفعل المكروه :(**فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما**) وقال عن القول الحسن والفعل الحسن ، :(**وقل لهم قولا كريما . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا**) الاسراء/ ٢٣ و ٢٤ فلا عذر لمخلوق بعد هذا البيان في أن لا يعامل والديه باحسان حتى أن كانا كافرين ، فيصاحبهما في الدنيا معروفا ، وإن كان لا يستمع لهما ان جاهداه على الكفر . وقد سمى الله تعالى ذلك برا فقال عن سيدنا يحيى :(**وبرا بوالديه**) مريم/ ١٤ وعن سيدنا عيسى :(**وبرا بوالدتي**) مريم/ ٣٢ .

حب الآباء للابناء . هو إن كان غريزة حتى في الحيوان الذي يحمي اولاده ويطعمهم ويضحي بنفسه في سبيلهم فهو في الانسان أرقى من ذلك أنه حب يقتضي أحسن تربية ، بحيث يتخرج الانسان على والديه وهو مثل عال يشرّف المسلمين ويغيظ الكفار : علوٌ نفس وشهامةٌ وصدقاً وإيثاراً ووفاءً للعهد وسداداً لدين المجتمع

بالعمل في ميادين الانتاج أو حراسة الانتاج مع الامر بالمعروف والنهي عن المنكر : وسبيل ذلك عدم تربية الترف او القهر والاذلال . بل تحبيب الابن في سير أبطال المسلمين من الصحابة كالخلفاء الراشدين وغيرهم من ابطال الصحابة ، ومن التابعين كصلاح الدين ، وعلى الوالدين ان يعلما ان تربية الابناء أمرا من الله لهما بقوله :(**قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة**) التحريم / ٦ وأهل المرء زوجه وأبناؤه ، ولن يقوا أولادهم النار إلا بالايمان والعمل الصالح والتربية على العزة والكرامة .

وليعلم الآباء أن الله تعالى جعل في نفوس الناشئة استعداد للخير ودوافع للسلوك الحميد ، فالاطفال عندهم غريزة التقليد ، فليعرضوا عليهم الأبطال الحق ليكونوا مثالهم ، وليبعدوا عنهم الأبطال الزائفين ، أبطال الجريمة والعنف والجنس حتى لا يكونوا منحرفين وعلى أبائهم الوزر .

وعلى الآباء وأولى الامر من المعلمين ورجال الوعظ والارشاد والاعلام أن يغرسوا في الأبناء حب إيصال الخير للناس ، لوجه الله فهو المجازي ، وحب الوفاء بالوعد والعهد ، وحب العلماء واختيار الاصدقاء ، وأن يرووهم بعد كتاب الله وحديث نبيه من الشعر أعفه ، ومن الحكم اصدقها ، فللمحفوظات أثر في مواقف المرء تدفعه للعلا إن كانت عالية ، وللحضيض إن كانت فاحشة .

وعلى رجال التربية والاعلام ان يكونوا نماذج حية للصدق والوفاء والشرف وقول الحق لا يخشون فيه لومة لائم حتى يكونوا قدوة للجيل الجديد .

حب الكمال والجمال إن الآباء الذين يحبون أبناءهم والاساتذة الذين يحبون تلاميذهم ينشئونهم على حب الكمال والجمال ، وسيجدون من الدين الاسلامي اكبر سند لهم في ذلك .

إنه دين يدعو الى الكمال والاجادة وبذل اقصى الجهد فيهما ويدعو الى استعمال الطاقات والمواهب الى أقصى الحدود ، تحقيقا للخلافة عن الله في أرضه ، والله الذي أتقن كل شيء خلقه يحب من عباده أن يحاكوه ما استطاعوا وما من عبد يعمل عملا وفي استطاعته أن يأتي بأجود منه إلا حوسب على تقصيره . شعار المؤمن في العلم قوله تعالى :(**وفوق كل ذي علم عليم**) يوسف/ ٧٦ فالعلم بحر لا ساحل له ، ومهما اغترف منه الانسان فانه يكون مجاهدا في سبيل الله له أجر المجاهد وجهاد العلم أقوى من جهاد السيف ، يقول الله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام :(**وجاهدهم به جهادا كبيرا**) الفرقان/ ٥٢ ، والضمير في به يعود على القرآن الكريم ، والجهاد به أقوى لأنه يؤثر في الفعل ويعمل على الاقناع .

لا تجعل السيف فوق الرأي تقمعه
وقابل الرأي بالآراء والحجج
فرب مقتنع بالرأي يحرسه
ويفتدي نشره بالمال والمهج

وشعاره في العمل قول الله تعالى : **(إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا)** الكهف/ ٣٠ وقوله : **(الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا)** الملك/ ٢

وشعاره في الاخلاق انه لا نهاية للفضيلة ولا حد للكمال ، وفي الحديث الشريف ان الله يرضي لكم اعالي الامور ويكره لكم سفاسفها .

وشعاره في التقوى :(**فاتقوا الله ما استطعتم)** التغابن/ ١٦

وفي الاعداد للعدو : **(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون)** الانفال/ ٦٠ . وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى أهل الشام ان : « علموا اولادكم السباحة والرماية والفروسية » والدين الاسلامي يكره لابنائه المهانة والذلة والضعة والرضا بالدون وان يعيشوا في الحياة على هامشها ، لا يحس بهم احد ولا يطورونها ، بل يطلب منهم أن يؤثروا فيها آثار خالدة من العلم والعمل وتطوير الحياة إلى أسمى درجاتها والله من فوقهم مطلع على ما يعلمون ومحاسبهم عليه ويقول لهم : **(وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون)** التوبة/ ١٠٥ .

وكما يوجه الله عباده للكمال يوجههم للجمال ، فالاحساس به يحفّز المرء للكمال ولذلك دعاهم إلى النظر في ملكوته وما خلق ، ليدركوا مدى الاتقان ومدى التزيين ثم لا يكتفي بالجمال المرئي المحسوس ، وإنما يدعو أيضا إلى الجمال الروحي والاخلاقي ، ولقد غمرنا جل وعلا بوسائل الاحساس التي تدرك جمال المرئيات من شمس وقمر ونجوم وسحب تملأ النفس رجاء برحمة الله والتي تدرك جمال **المسموعات** من حفيف الاغصان وسجع الطيور وخرير المياه وأصوات المقرئين ، **والملموسات** من نعومة الورد والحرير ، كما غمرنا بما يدرك **الجمال الروحي** كالعقل والقلب والعواطف فانها تدرك فوق هذا الجمال المعنوي والاخلاقي ..

ومن أجمل ما خلق الله الاخلاق الكريمة يتحلى بها الرجل الكريم والمرأة الكريمة في مواقف الاحسان والحنان والشفقة والايثار والتضحية .

وكذلك الكلمة الطيبة توحي بجمال قائلها وتلذ لسامعها والحديث الشريف يقول : « الكلمة اللينة الطيبة صدقة ، ولا تحقرن من المعروف شيئا ، ولو ان تلقى أخاك بوجه طلق» رواه البخاري واحمد ومسلم

والعمل في حد نفسه جمال ، وما أجمل العامل أمام الآلة يديرها ويستخرج من دورانها صنائع غالية ، وما أجمل الفلاح زارعا حاصدا وسارحا بالانعام .

وما أجمل المرأة وهي تحوك الثياب وتطرزها وتنسق بينها ، وتعني بوليدها وتداعبه : وما أجمل الفتى

وهو مستغرق في الاستذكار . وما أجمل العالم في درسه أو معمله أو مكتبته .. كل هذه لوحات من الجمال علينا أن نحرص عليها ونربي ابناءنا عليها .

وبعد : ما أحسب مسلما يجهل أن الاسلام يحض على جمال المظهر والمخبر ، نظافة وعناية بالزي وذوقا وإدراكا للجمال وعيشا في سمو ، وسعيا للكمال والمعيشة اللائقة بالانسان . ولا أحسب مسلما يعيش إلا ويملأ عينيه كل يوم نظرا للشروق والغروب والكواكب والاشجار والثمار والجبال ومساقط المياه .. مما يملأ النفس روعة وجلالا ، ويجعلها تعنو لمولاها ، فتسبح بحمده كما تسبح له كل الكائنات :(**قل انظروا ماذا في السموات والأرض**) يونس/ ١٠١ .

حب الوطن : وحب الوطن هو الوطنية ، ونحب الوطن لأنه أرض الآباء والأجداد ، وبيننا وبينه صلات قوية ونحن منه بمنزلة الغصن من الشجرة ، كون هواؤه وتربته اجسامنا ، وحكمتنا قوانينه وتطبعنا بعاداته ، ونعتز بعزته ، ونحن إليه إن غادرناه ، وحب الوطن طبيعة في الحيوان بله الانسان . يكون حب الوطن في كمون حتى إذا عدا عاد عليه تنبهت المشاعر وظهر حب الوطن والفداء والتضحية بالنفس والنفيس ، ومظاهر حب الوطن كثيرة منها :

الدفاع ضد الأعداء بالسلاح وهي وطنية الجنود ، وقف الحياة على خدمة أغراضه وهي وطنية الساسة ـ أداء الواجب نحوه وهي وطنية سائر الناس ، ومنها أداء الواجب اليومي على أكمل وجه وتعضيد المشروعات النافعة ، وانتخاب خير الناس ، وتشجيع المصنوعات الوطنية ـ الاندماج مع الجماعة في المشروعات العامة وتعضيدها بالمال والمجهود العلمي والأدبي والجسمي ومشاركة الجماعة في الأفراح والأتراح .

وهكذا نرى أن حب الوطن يستلزم حب المواطنين ، والأمر أولا يقتضي ضبط النفس واعتدالها ، بالعفة عن الأموال والأعراض والعزوف عن الشهوات وضبط الفكر عن الجماح وتحصين النفس بالرفقة المؤدبة والوسط الصالح ، فكل ذلك يعينه على أن يكون مواطنا صالحا يحب الخير العام والنفع العام ، بل ويؤثر غيره على نفسه أحيانا ويؤدي دوره في الحياة على أكمل الوجوه .

حب النفس : وغير معقول أن يحب المواطن المواطنين ولا يحب نفسه ، وحب النفس كما قدمنا ينطبق عليه قوله تعالى :(**أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون**) البقرة/ ٤٤ ، حب النفس يقتضي ألا يظلمها صاحبها . وقد جاء ظلم النفس في قوله تعالى : (**ثم أورثنا الكتاب الذين إصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله**) فاطر/ ٣٢ . وقد قيل في التفاسير الكثير عن الظالم والمقتصد والسابق من ذلك : الظالم من انقص حق العبادة ، والمقتصد من اقتصر على الفرائض ، والسابق

بالخيرات من جمع بين الفرائض والسنن .
وقيل : الظالم المصر على المعصية ، والمقتصد التائب منها ، والسابق من لم يعص .
وقيل الظالم من رجحت سيئاته ، والمقتصد من تساوت حسناته وسيئاته ، والسابق من رجحت حسناته ومن ظلم النفس اتباع الهوى والشهوات وشياطين الجن والانس واليأس من روح الله والتفكير في الانتحار ، وليقرأ المسلم قول الله تعالى : (**ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما . ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا**) النساء/ ٢٩و٣٠
١ ـ ان شر ما يصيب الانسان الذي يظلم نفسه أن يفقد التمييز بين الحب العفيف والحب الشهواني ، ويخلط بينهما ، ويزين الشيطان له ان الحب بين رجل وإمرأة كاف في حد ذاته لأن يعاشرها معاشرة الأزواج دون زواج وهذا إغراء الشيطان للانسان ليرتكب الفواحش والفجور ، فشتان بين الزواج على رؤوس الاشهاد والمهر المبذول إعلاء لشأن المرأة وتكوين الأسرة والمسؤلية عن الأولاد والمودة والرحمة ، وبين الاختلاط الذي خلا من كل الكرامات ، إن الاول مقدس والثاني مدنس ..
٢ ـ خير للانسان الذي يظلم نفسه ان يقرأ ويفهم قول الله تعالى : (**هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما**) الاحزاب/ ٤٣ ليعلم منزلته عند الله جل جلاله فيفتح قلبه للنور الالهي ويستضيء به ويشكر الله الرؤوف الرحيم .
٣ ـ وخير لمن يظلم نفسه بعدم الرضا بموقعه من الحياة وسخطه على القدر أن ينظر الى من هو دونه في المال ليرتاح ، ويقنع ويعمل مطمئنا إلى جانب الذي يجعل بعد العسر يسرا ولا ينظر الى من فوقه فذلك يدعو الى ازدراء نعمة الله ، والله تعالى يقول :(**فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين**) الاعراف/ ١٤٤ ويقول : (**لئن شكرتم لأزيدنكم**) ابراهيم/ ٧
٤ ـ واحب أن أختم هذا المقال بقول الصادق الامين سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » متفق عليه فانه لما كان المؤمنون أخوة فمعناها أن يحب الخير لجميع المؤمنين ، ولما كان يحب لنفسه الخير ويكره لها الشر ولا يريد أحدا أن يعتدي على نفسه أو عرضه أو ماله فينبغي أن يعامل الناس بمثل ما يحب أن يعاملوه فلا يعتدي هو على نفس أحد أو عرضه أو ماله .
وهذا الحب لو سار على هذا النحو لكان المجتمع أزكى ما يكون أو أطهر ما يكون وأسعد ما يكون — فهل يتخلق كل مسلم بهذا الخلق الكريم ؟ وهل يحب الخير لسائر المسلمين ؟
يا سعادة من أحب الله ورسوله ووالديه وأولاده وإخوته المؤمنين ندعو الله مخلصين أن يجعلنا من هؤلاء المحبين المخلصين ..

مائدة القارىء

محمد (صلى الله عليه وسلم

قال تعالى : « لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم » .
الآية ١٢٨ من سورة التوبة

اخبرنا عن نفسك ؟

جاء في السيرة لابن هشام ان نفرا من اصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قالوا له : يارسول الله أخبرنا عن نفسك ؟ قال : نعم : انا دعوة أبي ابراهيم ، وبشرى أخي عيسى ، ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نور أضاء لها قصور الشام ، واسترضعت في بني سعد بن بكر ..

ثقل الأمانة

بعد ان بويع عمر بن عبدالعزيز بالخلافة ، خلا في مصلاه يبكى ، فأقبل عليه المسلمون يقولون : يا ابن عبدالعزيز ، ما يبكيك ؟ قال : انني حملت أمانة هذه الأمة ، فأنا أبكي لمن حملت الأمانة عنهم : أبكي للفقير الجائع ، وابن السبيل الضائع ، والمظلوم المقهور ، وذى العيال الكثير ، علمت أني مسؤول عنهم وعن غيرهم من أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - فأشفقت على نفسي ، وبكيت لثقل الأمانة .

حكمة

ان البراطيل تنصر الأباطيل ، هكذا قال حكيم ، ومعنى ذلك : ان البراطيل - جمع برطيل - وهو الرشوة - تستخدم من اجل الوصول الى أهداف غير مشروعة ، وتحقيق مطالب غير مستحقة ،
وأصل البرطيل :

المعول الذي تحفر به الأرض ، ويستخرج به ما في باطنها ، فسميت الرشوة به لأنها كالمعول في تحطيم الفضائل ، والأخلاق ، واستخراج رذائل الطباع .

بخيل

قيل لرجل أما يكسون فلان ؟ فقال : والله لو كان له بيت مملوء برا ، وجاء يعقوب عليه السلام .

ومعه الأنبياء شفعاء ، والملائكة ضمناء ، ليستعير منه إبرة ، ليخيط بها قميص يوسف عليه السلام الذي قد من دبر ، لما أعاره اياها ، فكيف يكسوني .

الدعاء للمريض

اخرج البخاري عن عائشة ـ أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان اذا أتى مريضا ، او اتى به قال : « ذهب الباس ، رب الناس ، اشف وانت الشافي ، لا شفاء الا شفاؤك ، شفاء لا يغادر سقما » .

التقوى

سئل أحد الصالحين عن التقوى . قال : هل سلكت طريقا ذا شوك ؟

قال السائل : نعم .

قال الصالح : فما عملت فيه ؟

قال السائل : تشمرت وحذرت .

فقال الصالح : فذاك التقوى .

الحسد

جاء عن الحسد : انه جرح لا يبرأ .

ولما سئل الحسن البصري : هل يحسد المؤمن ؟ قال : ما انساك بني يعقوب ، نعم ، ولكن غمه في صدرك ، فانه لا يضرك ما لم تعد به يدا ، ولا لسانا .

وقال الشافعي في الحسد :

وداريت كل الناس لكن حاسدي
مداراته عزت وعز منالها
وكيف يدارى المرء حاسد نعمة
اذا كان لا يرضيه الا زوالها

بين العقل والعلم

قال الشاعر :

علم العليم وعقل العاقل اختلفا
من ذا الذي منهما قد احرز الشرفا
فالعلم قال : انا احرزت غايته
والعقل قال : أنا الرحمن بي عرفا
فأفصح العلم افصاحا وقال له
بأينا الله في فرقانه اتصفا
فبان للعقل أن العلم سيده
فقبل العقل رأس العلم وانصرفا

الكون قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم

م مؤذنه

للأستاذ محمود محمد بكر هلال

رأيت الكون يرزح تحت ظلم وطغيان وجهل لا يزول
وكفر بالإله يسود ارضا واوثان يعظمها الجهول
ويصنع ربه من تمر نخل ويأكله لجوع قد يزيل
ملائكة وجناً يصطفيها ولا تَّا ثم عزى يستميل
ويعبد شيخهم قمرا ونجما اليها في الشدائد قد يحيل
ومن اصنامهم صنم كبير عليه الذئب يوما قد يبول
وعباد لنار اوقدوها وتوصف انها الرب الجليل
ووأد للبنات نراه دوما تقرره القبائل لا العقول
فكم من طفلة دفنت بقبر تئن وتستغيث ومن خجول ؟
ولا يدري ابوها ان يوما سيسأل ما جنى هذا القتيل ؟
يخاف العار من ميلاد بنت فلا يبغي البنات ولا يعول
فيقتل ما يشاء من البنات ولا قانون يمنع او يحول
وشرب للخمور بكل واد ويوصف انه الفعل الجميل
ورق قد سرى في كل قطر وان ابن الملوك به ذليل
فكم من ابن انثى بيع ظلما كأن العبد في سجن نزيل
وهذا حاكم شرع الفساد فصار العدل امرا يستحيل

وكان الفحش يبدو والفجور ... علانية كأن الخير غول
شريعة غابة في الكون اضحت ... مطبقة وان وجد البديل
وكان الجن يقعد في السماء ... ليعرف ما هو السر المقول ؟
فكان الكون سجنا لا يطاق ... ويسأل ساكنوه وما السبيل ؟
لنخرج من ظلام الجهل فورا ... لأن النور ماء سلسبيل
فضاق الكون ذرعا بالظلام ... وود الجور عمرا لا يطول
عداء مستمر بين قوم ... وفخر الفرد في الحرب يصول
الم تر كيف ان الله اخزى ... جنودا امها في الركب فيل
لتهدم كعبة كانت مثابا ... وشيدها من القِدَم الخليل
فكان بمولد المحمود نصر ... وسيف البغي ليس لهَ صليل
ونار الفرس اخمدها الاله ... ولم يبق على العرش اصيل
وكسرى قد رأى في النوم حلما ... بأن الملك للفرس خذول
نوافذ قصره باتت تنوح ... وتنعى حظها فغداً تزول
فكان بمولد القرشي فضل ... وفضل الله ليس له عديل
وجاء محمد بالعدل نورا ... بذلك يشتفي الكون العليل
وصار من العصاة هداة دين ... ليخلف بعدهم في الهدى جيل
وحطم كل اصنام الضلال ... ولم يسمح بجرح قد يسيل
وحرم كل ظلم للعباد ... فصار القلب للخير يميل
وساوى بين انسان فقير ... وانسان له الشجر الظليل
وحظر الجرم في قتل الصغار ... لأن الله بالرزق كفيل
وحرر زوجة كانت كإرث ... الى احد الاقارب قد تؤول
وحرم ميتة كانت حلالا ... وازلاما الا بئس الوسيل
فخلف امة تدعو لخير ... وعند الله للخير الجزيل
اراد الله خيرا للجميع ... فجاء الرشد يكنفه الشمول
وسمع الجن قرآنا عظيما ... فآمن منهم النفر القليل
وعم الكون اسلام حنيف ... وحرم الخير انسان رذيل
سماء الكون صارت في امان ... فلا شيطان يسمع ما يجول
زمان الغي قد ولى وجيء ... بمن يهدي ، يدعمه الدليل
اضيء الكون من نور الاله ... وحل بمولد المختار نيل
فتقصده الخلائق من بلاد ... لأن النيل ليس له مثيل
وتغترف الفضائل منه دوما ... وتجعل كل فسق يستقيل
واصبح كل فرد مستقيما ... بنورِ الحق ليس له مثيل



بين مزاعم الطروء الإسرائيلي

مقدمتان :

١ ـ في هذه المرة أقول « الطروء » الاسرائيلي ، ولا أقول « الوجود » الاسرائيلي ، فالوجود الاسرائيلي على الأرض شيء ، والطروء الاسرائيلي على أرض فلسطين شيءٌ آخر ، إذ أن اليهود لم يدخلوا فلسطين الا طارئين ، ولم يأخذوا دورا من تاريخها الا طارئين ، ولم يتواجدوا فيها ـ أبدا ـ كسكان أصليين ، وكان كل نصيبهم من تاريخها أنهم « طرءوا » عليها مرة في الزمن القديم ، دخلوها غزوا وغصبا ثم لم يلبثوا أن أزيلوا على نحو ما سنبين هنا ، وعادوا « ليطرءوا » عليها غزوا وغصبا أيضا في العصر الحاضر ،... وما نشك لحظة في أنهم ـ بأمر الله ـ زائلون منها كما زالوا في ذلك الطروء القديم .

والذي أعنيه عندما تفرض القضية الفلسطينية نفسها على المناقشة ، يجعلني أعتقد أن الدعاية الصهيونية التي عنيت بتشويه الحقيقة وليِّها قسراً لتوافق أطماعها تفوقت مع الأسف على التوعية العربية ، التي أخفقت في توصيل الحقيقة

وأصالة الوجود العربي

للاستاذ/محمد فوزي حمزة

وتأكيد الوعي العربي في أذهان الأجيال الحاضرة ، تفوقت عليها واستطاعت أن تغزو بباطلها طوائف من هذه الأجيال .. ليس فقط لتودع أذهانها كثيرا من مزاعمها حول فلسطين ، ولكن أيضا لكي تجعلهم يعتمدون مزاعمها على أنها حقائق تعلموها ليعتقدوها ويدافعوا عن اعتقادهم فيها .. وهذه الطوائف .. أجد نماذجها قليلة وكثيرة ، قريبة وبعيدة ، صغيرة وكبيرة ، محدودة ومنتشرة ، بالقدر الذي يجعلني أعتقد أن الصهيونية بما زرعته فيها ـ خلال صحافتها وإذاعتها وبقية وسائلها الجهنمية ـ من السطحية في المعرفة ، والتصاغر في الاهتمام ، والغرور في الفكر سواءً في تحصيله أو ابدائه ، استطاعت في غفلة من الوعي العربي والاسلامي أن تتسلل الى هذه النماذج .. فتغزو فكرها .. وتفسد وعيها .. وتتمكن من نواصيها ، حتى أستطاعت في النهاية أن تسخر من بينها

جنودا متطوعين ، او ـ بتعبير البروتوكول الصهيوني ـ وكلاء مغفلين ، يحملون دعايتها .. ويدافعون عنها .. ويثيرون مزاعمها ، بغرورهم وسطحيتهم وفساد وعيهم .. ليس في وجه اعدائهم .. ولكن في وجه من ؟؟ في وجه العرب .. أهلهم .. وشعبهم .. وأمتهم .. التي أفسدوا عليها مع الأسف الشديد .

والمزاعم التاريخية ـ والدينية معا ـ التي تدعيها الصهيونية في فلسطين ، مردودة من جوانبها كافة ، وكذلك الشكوك التي تثيرها الصهيونية حول أصالة الوجود العربي في فلسطين ، مردودة من جوانبها كافة ، والذي أحاوله هنا هو أن أفند أطرافا من هذه المزاعم .. وأزيل صحافا من هذه الشكوك .. ولعلي بهذا المقال المتواضع أستطيع أن أبلغ الحقيقة الى عقول الطوائف التي أعنيها ، والتي سبقتني اليها الصهيونية .. بوسائلها .. ومزاعمها ، وشتان بين جهدها وجهدي ، وشتان بين وسائلها ووسائلي ، ولكن على الله قصد السبيل .

٢ ـ ما كنا نريد أن ندير حجتنا على اليهود الا من شواهدنا التي من عند اليهود أنفسهم ، وهذا لا يعود الى قصور نستشعره في شواهدنا الأخرى ، ولكنه ـ رغبة منا في أن تكون شواهدنا عليهم من عندهم ، لتكون أقوى حجة عليهم وأكثر إلزاما لهم ، ولهذا فقد فضلنا أن نُدير مقالتنا هذه من خلال الرواية اليهودية للتاريخ ، نأخذ مزاعمها زعما فزعما ، ثم نتركها ترد على نفسها بنفسها ، وتكذب نصوصها بنصوصها ، وتنسخ أساطيرها بأساطيرها فلا يستوي لها منطق ، ولا تستقيم لها حجة .

فالاحتجاج ـ إذن ـ بهذه الرواية ، ليس من باب الاعتقاد فيها أو الاعتداد بشيء من أكاذيبها ومزاعمها ، ولكن فقط ، من باب التفنيد والتمحيص لمجموعة غير متناسقة من الكتب الأسطورية ـ لا التاريخية ـ والخزعبلات الفولكلورية ـ لا الدينية ـ سميت في مجموعها باسم « كتب العهد القديم »، وادُّعِي زورا وبهتانا أنها التوراة التي أنزلها الله تعالى من السماوات العُلى ، رأينا أن ننبه إلى ذلك مسبقين لكي لا يحتج علينا أحد من أهلها إذا رحنا نعتد بشيء من نصوصها ، فنحن لم نعتد بنصوصها إلاَّ على نصوصها ، ولم نعتمد أساطيرها إلا على أساطيرها ، وإذ نحن لا نعتقد فيها جميعا ، فإننا ـ فقط ـ رحنا نقرب بين نصوصها المتعارضة ، نقابل بعضها بعضا .. ليهدم بعضها بعضا .

التاريخ المزور .. صعب التحقيق :

أساسنا اذن هو الرواية اليهودية للتاريخ .. ولكن وجدنا التحقيق في هذا التاريخ مهمة بالغة الصعوبة ، وذلك لأسباب متعددة نسوق منها ما يلي :

أولا : أن التاريخ اليهودي تكاد تنحصر مصادره في روايات الكتب المقدسة ، وهي نصوص العهد القديم التي بين أيدينا والمسماة جزافا بالتوراة ، مضافا اليها

شروحها المختلفة ، والتلمود ، وما أضيف الى كل هذا من كتب الايضاح والتفسير .. وهذه جميعا لا تكفي مهما تعددت أوجهها فإنها تنحصر جميعا في مصدر واحد اسمه « الكتب المقدسة »، ولم يوجد فيما عداها ما يمكن مقارنتها به للوقوف على مدى صحتها ، هذا اذا استثنينا المصادر النادرة التي فتحت عليها الأعين معرفة المستشرقين لبعض لغات الشرق ، وهذه أندر من أن تفيد كثيرا على الأقل ، إما لقلتها الشديدة ، أو لما طرأ عليها من آثار التحيز الذي لم تسلم منه كتابات المستشرقين . وكذلك إذا استثنينا ما تعلق من هذا التاريخ بسير مجموعة من الأنبياء أجلتها ـ على حقيقتها ـ آيات القرآن الكريم ، وفيما عدا ذلك ، فإن القدر الأكبر من مساحات التاريخ اليهودي قد أنفردت بروايته هذه الكتب المقدسة ، التي لم يكن من الصعب تفنيد بعضها كما سنرى .

ثانيا : انه تاريخ تختلط فيه الواقعة التاريخية بالأسطورة الخرافية التي تملأ جوانبه على نحو مُكْثر حتى أحاطت بكل واقعة فيه ، حتى كاد يتيقن لنا ألا تكون هذه الوقائع المروية في التاريخ اليهودي الا مادة قصصية استمِدَّت أصولها من خرافات الشعوب البدائية وأساطيرها ، ثم أعيدت صياغتها باستبدال أسماء من بني إسرائيل بأسماء الأبطال الخرافيين لهذه الأساطير ، وهذا أمر لا نستبعده على « مؤلفي » العهد القديم الذين لمسوا في الشعوب ميلا الى تقديس الأسطورة الغيبية والايمان بما يرد في اطارها ، فراحوا يلتمسون كل وسيلة ليلتقطوا من أساطير الشعوب ما يطعمون به كتاباتهم المزورة ، ونحن لسنا بدعا فيما احتملناه في هذا الأمر فان من حسن الحظ أن من الناس من أجتذبت انتباهه الخرافات التي حفلت بها أصحاحات الكتب المقدسة ، فعنوا قبلنا باستجلاء الأساس الأسطوري للمادة القصصية التي صيغت بها هذه الكتب وراح يطابق بينها وبين ما أمدته به عادات الشعوب من مجموعة هائلة من الأساطير والخرافات ووجدها جميعا تشكل الجو الخرافي الذي احيطت به كتابات العهد القديم ، وإنا لنستطيع أن نسوق على ذلك مئات الأدلة ، ولكنا ـ رغبة في الاختصار ـ سنكتفي بالإشارة الى السيل الغزير من شواهد هذا الحال ، الذي ساقه كتاب « الفلولكلور في العهد القديم »، ومن أراد التفصيل فهو هناك .

وعلى هذا فان الباحث في هذا التاريخ يجد نفسه أولا في حاجة الى تنقية الوقائع التاريخية مما حولها من جو أسطوري خرافي سيجد ولا شك عناء كبيرا في أستخلاصها منه الى أن يتمكن من التفرقة بين ما هو واقعة تاريخية ، وما هو أسطورة خرافية ، وانه لن يصل الى هذا المستوى من البحث الا بعد ان يبلغ من أمره إرهاقا كبيرا يتفرغ بعده لموازنة الوقائع التاريخية ودراستها .

ثالثا : ان هذا التاريخ لا تعتمد رواياته على أية نوع من الوثائق المكتوبة ، أو حتى الحفريات او الآثار التي يمكنها ان تقف شاهدة على واقعة بعينها أو مؤيدة خبرا بذاته .. خصوصا تلك الوقائع والأخبار التي كان مسرحها فجر التاريخ ، فإن أقدم الوثائق أو الحفريات أو الآثار التي أمكن التفتيش عنها لا تتعدى بأي حال

القرن الأول قبل الميلاد ، وإلى القرن الأول قبل الميلاد لا يكتسب التاريخ اليهودي أية درجة من التوثيق المؤيَّد ، ذلك إذا استثنينا من حسابنا تلك الفترة التي قضوها في مصر بعد زوال الغزو الهكسوسي ، إذ تنبهت حكومة فرعون الى خطرهم على البلاد إذا ما داهمها غزو أجنبي سرعان ما ينحازون اليه فأصبح فرعون يراقبهم وقدمت سجلاته طرفا من تاريخهم في هذه الفترة ، وفيما عدا ذلك لا ترى التاريخ اليهودي الا مجموعة من المسامرات الفولكلورية وحلقات من القصص المسلية التي أقرها الزمان في أذهان الجماعات البدائية واتخذها « مؤلفو » التوراة أساسا « توثيقيا » لرواية تاريخهم .

رابعا : ان التاريخ اليهودي كما ترويه لنا الكتب المقدسة ، ما هو الا تاريخ من صنع أصحابه ، ليس فقط من صنع أقلامهم ، ولكن أيضا من صنع أهوائهم ، وعندما نقول « من صنع أقلامهم »، فاننا نردد ما هو معروف من أن اليهود بعد أن ثوى أمرهم الى الأسر في أسوار بابل عكف أحْبارهم في هذا السبى البابلي على كتابة الأسفار التي يتألف منها كتاب العهد القديم ، ثم لقنوه لأممهم على أنه التوراة التي أنزلها الله تعالى على موسى ، ولهذا نجد إصحاحات هذا الكتاب قد أتخمتها من مظاهر الضعف والركاكة وسوء السياقة وغير ذلك من أوجه القصور ما لا يعقل أن يتضمنه كتاب مُنَزَّل ، وعندما نقول « من صنع أهوائهم » فإننا نعني أن اليهود هم الأمة الوحيدة التي كتبت تاريخها بنفسها ، فأضافت اليه وحذفت منه وحورت فيه كما شاءت وكانت فرصتها واسعة لتجعله في الإطار السلوكي والإنساني الذي راق لها ، ولكن ، ومع هذا ، فإن كُتَّاب هذا التاريخ لم يستطيعوا أن يجعلوه تاريخا سلسا مقبولا ، وكل الذي استطاعوه هو أنهم شوهوا به كتبهم المقدسة ، إذ أنهم ضموه اليها رغبة منهم في تقديسه وإعلائه على مستوى كل نقاش ، فضموه الى الكتب المقدسة ، وجعلوه مُنزلاً من عند « الرب »، في إصحاحاته ، وبكلمات فمه ، فلا ترى الرب ـ في هذه الكتب ـ الا يروي واقعة مختلقة ، أو يستمد أسطورة غيبية ، أو يفسر عادة بدائية ، أو يرتل أنشودة شعبية .. سبحان الله تعالى عما يصفون .. ومن صنع أحْبار اليهود ، جُعِل التاريخ اليهودي نشازا خرافيا متفرقا متناقضا ، ومن رغبتهم في تقديسه ، أدخلت شواهد القصور الإنساني إلى الكتب المقدسة ، ومن كل هذا ومن كل ذاك ، كان تاريخا صعب التحقيق .

المزاعم التاريخية :

وُفِّق اليهود الى بث الدعوة الصهيونية في أصول الدين اليهودي ، ولكنهم لم يوفقوا في التعمية على الفاصل التاريخي بين دعوة موسى واغتصاب فلسطين ، فراحوا يطلبون اعتماد جذور إسرائيلية أقدم من موسى في سكنى المنطقة وساقوا تاريخها من عهد يعقوب ، ثم لم يوفقوا الى إثبات جذورهم فيها فذهبوا يلتمسون

تاريخها من عهد نوح ، ولم يوفقوا فطفقوا يزعمون أنهم كانوا بداية الخليقة فيها ، وقد كان لنا إزاء كل زعم من هذا ما أعان على هدمه على نحو ما سنرى .

موسى لم يدخل بهم فلسطين .

وقد حرص رواتهم على أن يديروا سيرة موسى من خلال فكرة الغزو اليهودي لفلسطين ، حتى مسخوا شخصيته وافسدوا رسالته وأضاعوا دعوته ، ومن خلال الفكرة ذاتها بلوروا حوله ضروبا من الخرافة والأسطورة وصنوفا من القصص الشعبي حملوها سيرته وساعدهم عليها ما كان لموسى من طفولة مثيرة تبعث على اختراع القصص ، إذ بينما ولد موسى في أسرة متواضعة ، فإنه قد نشأ وتربَّى في قصور الملك ، فجمعت طفولته مرة واحدة بين التواضع « الذي يرضي الذوق السامي العربي » والرقي « الذي يرضي الذوق المصري »، هذه النشأة ذات الوجهين ، فضلا عما كان له من قوة وفتوة وتعلم للحكمة على يد النبي شعيب « أو الكاهن المصري يثرو كما تسميه التوراة »، كل ذلك وجد فيه الرواة اليهود مادة مثيرة وشخصية طريفة راحوا يكيلون لسيرتها من الأساطير الحاضرة والغابرة ومن الصهيونية والعنصرية ما لا تحتمله سيرة نبي ، حتى أن بعض المؤرخين ـ من كثرة ما أثارته الرواية اليهودية حول موسى ـ كان لا يظنه نبيا من عند الله ، ولكن تصورهُ بطلا من طراز آخر غير طراز الأنبياء. «سيجمون فرويد» مثلا كان يظنه ثائرا مصريا خرج بطائفة من شعب مصر ليغزو فلسطين .

وهذا الخلط في فهم شخصية موسى ، اتَّخَذ منه اليهود مدخلاً واسعا لبث الدعوة الصهيونية الى تعاليم الدين اليهودي ، فالمطالع لسفر الخروج يجده لا يدير السيرة إلا من خلال أسطورة الوعد الالهي وخُرافة الأرض الموعودة التي ترمي أولا وأخيرا الى ادعاء نوع زائف من الشرعية يُضْفي على الغزو اليهودي لفلسطين ، ويؤكد على هذه الفكرة في كل مرحلة يتعرض لها من حياة موسى ، فيهيؤه لهذا « الوعد »، ويحصره عنده ، ويحاصر به سمعه أينما حل ، حتى كأننا لسنا بصدد نبي بعثهُ الله ليهدي الى الحق والى صراط مستقيم ، ولكن كأننا بصدد زعيم من دعاة الصهيونية المعروفين في زمننا هذا عاش في العهد القديم .. فهذا الرجل الذي كان من اوائل الدعاة لتحرير الفكر الأنساني من عبودية البشر ، وصاحب رسالة سماوية ودعوة انسانية كبرى للتمرد على الوهية فرعون وتذكيره بأن من فوق الكل ربا ، هو الله رب العالمين ، مسخه اليهود تماما وأعطاه سفر الخروج صورة قميئة على قدر مقاييسهم ، محدودة على قدر ضيق أفقهم ، وحوَّله الى داعية من دعاة الصهيونية المشهورين عند بني اسرائيل .

ولسنا الآن بصدد استعراض النصوص التوراتية التي تصبغ موسى بالصبغة الصهيونية ، وإنما نحن فقط نؤكد على أن البون الشاسع بين حقيقة موسى وحقيقة

الدين اليهودي من جهة ، وبين حقيقة هذا الشعب المشاكس من جهة أخرى ، تجعل من المتعذر الاعتقاد في أنهم عرفوا من موسى شيئا عن الرب أو شيئا عن الدين .

ثم لننظر الى موسى النبي ، أضاعوه تماما ، أضاعوه (وأضاعوا) توراته ، ثم لم يحتفظوا بشيء من ذكراه من بعده ، فأما التوراة فقد تلاشت من أذهانهم تقريبا وهم الذين عاشوا بدوا رحلا لا يعرفون مدرسة ولا تعليماً ، فكان اعتمادهم على الذاكرة الشفهية ـ فضلا عن تعمدهم التحريف ـ سببا رئيسيا من أسباب ضياعها ، ولم يمض على وفاة موسى جيل واحد ، حتى كانت قد نسي أمرها وضاعت ألواحها الى أن كان عهد يوشيا الملك بعد سبعة قرون ، فتقدم له أحد كهان المعبد بعدد من الألواح دفعها اليه زاعما أنها هي « سفر الشريعة »، والله أعلم بما قدم له ولكن المعروف جيدا أنها لم تكن إلا « الكتاب المحرف » الذي عكف أحْبار اليهود على كتابته في أسر « بابل ».

وأما موسى فقد نسوهُ وتلاشى اسمه مع أسفارهم تقريبا منذ كان آخر عهدها به الكتاب الخامس من توراته « التثنية »، الذي ذكر اسمَهُ في نص باهت يذكر ـ بالكاد ـ موته ميتة غامضة لم يعرف بعدها شيء عنه ، ولا حتى موضع قبره من أرض مؤَاب ، وأصبح موسى نسيا منسيا لا يعرفه المتأخرون من « مُؤَلفي » التوراة ، الى أن ذكرهُ « أشعيا » في الكتاب الثالث والعشرين ـ لاحظ طول الفترة ـ من كتب العهد القديم ، وقد ذكرهُ ذكرا يجعلهُ شيئا غابرا قديما مندثرا ، أو مجرد رائحة قديمة من الأيام الغابرة .. أيام موسى وشعبه ».

وإذ جعلنا في خطتنا الا نواجه « الرواية المقدسة » إلا بذات نصوصها ، فإن المهم ـ والمهم جدا ـ أن « الرواية المقدسة » نفسها التي أدارت سيرة موسى من خلال فكرة الغزو اليهودي لفلسطين ، لم تستطع إلا أن تثبت أن موسى لم يدخل بشعبه الى فلسطين ، وان تؤكد على ان موسى أتم مهمته وأدى رسالته وقضى أجله ولقِيَ ربَّه .. دون أن يدخل الى فلسطين ...، وهذه حقيقة احتار أصحاب التلمود ـ فيما بعد ـ في تفسيرها على نحو لا يضر بـدعاة الصهيونية التي تجعل من اغتصاب فلسطين واحدة من تعاليم الدين اليهودي .

وبالحرف الواحد من الرواية اليهودية ، يقول سفر التثنية مخاطبا موسى : « هذه الأرض التي أقسمتُ لابراهيم واسحق ويعقوب قائلا لنسلك أعطيها ، قد أريتك إياها بعينيك ، ولكنك إلى هناك لا تعبر ، ومات موسى »، وإزاء هذه الحقيقة ، تطلب الدعاوة الصهيونية اعتماد جذور أقدم من موسى في سكنى هذه الأرض .

أصول ضائعة :

وإزاء هذه الحقيقة ترجو الدعاوي الصهيونية اعتماد جذور أخرى لهم في

سكنى هذه الأرض أول عهدها بالسكان ، والحق ان الحصول على أصولهم الاولى من حيث هي أصولهم الأولى ـ فضلا عن بحث صلتها بفلسطين ـ مهمة بالغة الصعوبة ، سواء من حيث أصل نشأتهم أو من حيث تسميتهم ، وعندما لجأنا الى الكتاب المقدس ليدلّنا عليها وجدناه تلجلج واضطرب ولم يوفق في نسبتهم الى أحد من الناس ، اذ بينما نسب الى موسى أنه قال إن أباه كان « آراميا تائها » ، عاد ليصرح بلسان أشعيا بأنهم منسوبون الى كنعان ، ثم إمعانا في التخبط يعود الكتاب المقدس فيزدري كنعان ويزيله من نسب اليهود ، وقد أزاله رواة التاريخ اليهودي بأسطورة بدئية أثبتوها على نوح ، قالوا إن نوحا شرب الخمر حتى سكر وتعرَّى وكشف عن عورته فرآها ابنه حام « ابو كنعان »، وعندما صحا نوح من سُكره وعلم بالأمر لعن كنعان وقال انه عبد العبيد ذرية حام ، وطبعا لا يمكن اعتماد هذه الخرافة في الحوادث الحقيقية للزمن القديم ، ولكن واضح أن كتب العهد القديم توردها في حيلة صهيونية قميئة ترمي الى استثناء كنعان من زمرة « الشعب الممتاز »، وهذا موضوع آخر يعنينا منه انهم أوقعوا الرواية المقدسة في اضطراب كبير أضاع أصولهم أن تعرف أو يهتدي اليها احد .. أو يهتدوا اليها هم أنفسهم . وكانوا أولى أن يهتدوا الى أصلهم قبل أن يزعموا أن لهذا الأصل صلة بفلسطين .

بعيداً عن فلسطين :

فاذا ما فرغنا من هذا الاضطراب الشديد ورحنا نبحث عن أصول الجاليات اليهودية المنتشرة في أنحاء الارض كيف نشأت وكيف ولدت أصولها الاولى بعيداً عن فلسطين بآلاف الاميال شرقا وغربا ـ بل وربما بعيدا عن الدين اليهودي نفسه ـ، أوقعتنا الدعاوة الصهيونية على اسطورة أخرى تقول : إن أسباط يهود أُخرجوا من فلسطين وتشبثوا في الأرض فكان منهم هذه السلالات .

الاسرائيلي الاول لم يولد في فلسطين ، ولم يكن أول ساكن لها ، وعاش خارجها دهرا

واقدم جذر يمكن اعتماده لهذا الشعب الذي تسمى بـ « بني اسرائيل »، هو يعقوب عليه السلام فهو بحسب الرواية اليهودية نفسها اول عبري عبر النهر فارا من ارض خاله طالبا رضا أخيه ، وأول من تسمى « اسرائيل »، والحقيقة ان البحث في التسميات التي اطلقت على هذه المجموعة البشرية المحيرة مهمة شاقة نريد ان نُنَجِّي منها هذا المقال المتواضع ، ويكفينا منها ما أورده السفر العجيب

من أسطورة يفسر بها تسمية يعقوب باسم « اسرائيل »، وهي أسطورة نرفضها شكلا وموضوعا ولكن نورد لك ملخصها لتقف منها على خرافتهم حول تسمية « الاسرائيلي الاول » الذي ينتسب اليه بنو اسرائيل ، فاسم « اسرائيل » يعني في اللغة العبرية « قوة الله » ومجمل الاسطورة ان يعقوب استحق هذا الاسم لأنه قابل الرب وقاتله وهزمه ، ولكن كيف ؟، تقول الأسطورة ان الرب استعان بسلم بنته الملائكة وتنزل الى الأرض ليلا ليصارع يعقوب !، فهزمه يعقوب !، وقبض عليه !! ورفض ان يطلقه الى ان طلع الفجر !، فلما توسل اليه الرب الذي كان يخشى ضوء الصباح !!، فرض يعقوب « المنتصر » شروطه ، واضطر الرب ان يباركه ويسميه منذ هذه الحادثة « إسرائيـل » ، اي قوة الله .. وذلـك ـ كالاسطورة ـ لأنه قاتل الله وغلبه .

ولا أظنك إلا مثلي تستغرب هذا الهراء الذي لا يستقيم له منطق ، ولكن المجال هنا ليس لنشرح كيف أننا نرفض هذه الخرافة جملة وتفصيلا ، وإنما الجلي لنا ان يعقوب ـ في الخرافة المقدسة ـ هو الاسرائيلي الاول الذي يُنسب اليه هؤلاء القوم ، وسوف لا يكون صعبا تقويض كل بناء للدعاوة الصهيونية عندما نعرف من الرواية نفسها ان هذا الاسرائيلي الاول لم يولد في فلسطين ، ولم يدخلها إلا غلاما مع ابيه اسحق الذي استأذن ملكها (أبيمالك) وكان على القوم الذين سكنوها من قبل ، ثم أن هذا الغلام لم يلبث ـ بعد ان صار رجلا ـ ان غادر هذه البلاد هاربا من بطش أخيه الذي عزم على الانتقام منه لأنه ـ كالخرافة ـ خدعه وسرق بركته وجرده من ميراث أبيه ، وقد ندَّ يعقوب الى أرض خاله ، وهناك تزوج من ابنتي خاله ، واقام ردحا من عمره أقله عشرون سنة ، إذ تزوج الاولى بعد ان خدم خاله سبع سنين والثانية بعد سبع أخر ، وأقام حتى أنجب من إحداهما ثم أقام الى أن برئت الثانية ـ وكانت عاقرا ـ من عقرها وولدت له ثم أقام مدةً ثم هرب ، ولم تتركه الخرافة المقدسة يغادر أرض خاله إلا بعد أن ألحقت بسيرته فضيحة كبرى تقول : إنه سرق أغنام خاله وخرج قاصدا أخاه ، ثم كأنَّ الرواة اليهود كبر عندهم أن يتركوا أحداً بلا فضيحة ، فقالت روايتهم ان زوجة يعقوب ـ ابنة خاله ـ سرقت أدوات أبيها قبل الرحيل .

ومعلوم بعد ذلك جيدا ان يعقوب ارتحل ببنيه من فلسطين قاصدا مصر عندما استقدمهم يوسف اليه ليعيشوا معه بعد ان استأذن فرعون في استقدامهم .

ماذا كانت صلتهم بفلسطين اذن ؟:

لم تستطع الرواية المقدسة أن تقنعنا بصلة معقولة لهؤلاء الناس بالمنطقة ، ولم تستطع ان تثبت انهم كانوا أصل الخلقة في فلسطين كزعم الدعاوة الصهيونية ، بل على العكس أثبتت أنها من قبل كانت مسكونة بغيرهم ، من قبل إبراهيم نفسه ،

وأكدت بأن ذكرت أسماء القبائل الذين كانوا سكانها قبله ، « الرفائيم والعناقيم والزمزيم والا يميم والزوزيم ـ لاحظ الكثرة »، وزادت تأكيداً بأن قدمت أوصافا لهؤلاء القوم ، فقالت إنهم كانوا مردة عمالقة ، وهنا لا بد من الإشارة الى ضرورة وجود النص الخرافي في الرواية اليهودية ، فلا تحسب هذه الاوصاف الا مستمدة من التصور الأسطوري لأوائل الإنسانية السحيقة على أنهم كانوا بشرا جِساماً ضِخَام البنية .

وقد رأينا كيف استنطقنا الرواة اليهود عن أصولهم الاولى فلم يوفقوا في الإجابة ، وكيف أجابوا بأن الاسرائيلي الاول لم يكن أول ساكن لفلسطين وانه عاش خارجها ردحا من عمره ، وبعد طول جهاد مع اصل اليهود وحقيقة صلتهم بالمنطقة ، كاد يستقر عندنا ان نعتبرهم ـ مع تجاوز كبير ـ شيئا من القبائل السامية التي انفصمت في هذه المنطقة عن جذعها الكبير ، فان هذه القبائل المنخلعة عن أصولها قد ووجهت بمصير مجهول أمام الصراع الفظيع الذي دار حول المنطقة بين ممالك هذا الزمان ، فمنها ما حافظ على أرومته السامية الأولى ، كالعرب ـ ومنها ما صهرته الحوادث في الامبراطوريات الاخرى ، ومنها ـ كاليهود ـ من ظلوا متقوقعين على هوامش هذه الامبراطوريات ، يعيشون عللا على اطراف مجتمعاتها ، يخشون الاتصال بها والانخراط فيها ، فكانت صلاتهم الاولى بالمنطقة وجوداً طفيليا ونتوءات شاذة على هوامش الامم ، ولعل الرابطة التي تجعل بعض المنظرين يلحقونهم بطوائف الغجر وقبائلها ، وجدت مبعثها من ذلك الوجود الطفيلي المتوقع دائما على هوامش الأمم .

دخلوها غصبا .. ثم أزيلوا .. في الزمن القديم :

بالكاد ، من عهد شاؤول الملك ، نستطيع الوقوف على تاريخ لليهود تدل عليه الوثائق والحفائر والآثار ، فالكتابات اليهودية التي اكتشفت لا يزيد عمرها بحال عن الالف الاول قبل الميلاد ، وقد بدا هذا التاريخ الحقيقي ـ لا الخرافي ـ لليهود بتتويج شاؤول ملكا عليهم ، بجهود سياسية بذلها النبي صامويل بعد دخول اليهود الى فلسطين غصبا بالغزو المسلح في عهد يشوع بن نون « وهو نبي او قديس تجعله الرواية اليهودية سفاحاً أسطوريا »، ثم توج شاؤول ملكاً عليهم سنة ١٠٢٠ ق . م ومن بعده كان الملكان الكبيران الوحيدان في تاريخ اليهود ، داوود وسليمان ، ملك أولهما سنة ١٠١٠ ق . م ، وخلفه الثاني ٩٧٠ ق . م ، ودام من بعده اربعين سنة ، فقوام حكمهما في الحرث ـ مضافا اليه حكم شاؤول ـ لم يبلغ قرنا من الزمان ، وهي فترة يسيرة أتت بعد غزو مسلح لا تصلح لتكوين اي نوع من الحقوق ، او لإقامة أي نوع من الحضارة يؤثر في الانسانية ، ولهذا .. تجد كل امة من الناس أقامت حضارة أوكان لها في الانسانية أثرمن نوع ما .. حتى أشد

الأمم امعانا في التخلف .. الا اليهود .. الذين دخلوا الى فلسطين غُصْبا .. وأقاموا اقل من قرن .. ثم أزيلوا .. وكانوا لم يدخلوها إلا غزاة في عصر يوشع وعصور القضاة ، وهي عصور جمعت الى الخرافة والاسطورة وانباء الحرب والسفك قدرا من الرذائل يرى معه أنها كانت عصورا شبيهة الى حد كبير بعصور الصهيونية الحاضرة .

زوال دولتهم بعد سليمان :

ولم تكن لليهود في فلسطين ـ ولا خارجها ـ دولة بالمعنى المفهوم إلا في عهديّ داوود وسليمان ، وقد بينا من قبل أن قوام العهدين معا لم يزد على سبعين سنة ، وبعد هذه الفترة اليسيرة ، اتخذت دولة اليهود طريقها الى الزوال ، وكان الانقسام هو أول هذا الطريق ، إذ انقسمت الى مملكتين ، مملكة الشمال وعاصمتها السامرة ، ومملكة الجنوب وعاصمتها القدس ، فأما مملكة الشمال فقد عاشت حياة وثنية وترف وانحلال كل ذلك بلغ الذروة في عهد الملك « آخاب » الذي بُعث في عهده النبي إيليا وقام يدعو الى الله وسط هذا الجو الموبوء ، فكان طبيعيا أن تذهب دعوته سُدًى الى أن رفع الى السماء ، ولكي يكون للاسطورة الفولكلورية مدخل في كل شيء يهودي ، فان الخرافة المقدسة تقول ان ارتفاع ايليا الى السماء كان بمركبة نارية اختطفته وهو سائر جوار تلميذه اليسع ، كما تجعل الرواية لايليا وجها اسطوريا آخر يشبه ما نعرفه اليوم عن اسطورة « بابا نويل » بوجهه الضاحك وملابسه الحمراء ولحيته البيضاء ونزوله في الاعياد حاملا الهدايا والمنح ، الا أن أسطورة إيليا زيدت عليها الزيادة الصهيونية الخاصة ، وهي قتله أعداء اسرائيل ، المهم أن مملكة الشمال انتهت جملة سنة ٧٢٠ق . م عندما هاجمها « سلما نصر » الآشوري وضمها الى آشور .

واما مملكة الجنوب فقد سجل عليها كل من أرميا واشعيا النبيين كثيرا من مظاهر الوثنية والفسوق والانحلال وذبح الاولاد والذكاء في الشر الى أن انتهت جملة بهجوم بختنصر الكلداني الذي دمرها وجعل السيف في اهلها وسبى من بقي منهم الى بابل وأحرق الهيكل ، وهذه المملكة التي لم تخلف للانسانية شيئا مفيداً ، خلفت رواية عنصرية هي رواية المسيح المخلص ، وقد بينا في مقال سابق تحت عنوان الوجود الاسرائيلي ومطامع القوى الكبرى في الوعي الاسلامي العدد ٢١٤ أن هذا المسيح المخلص هو مسيح عنصري صهيوني مكلف باخضاع العالم تحت اقدام اسرائيل ، وكم كانت هذه الرواية سببا في ظهور كثير من الدجالين ينتحلون صفة المسيح المخلص ، وقلنا انه لما ظهر المسيح الحق .. عارضوه وتآمروا عليه ، وذلك ـ ببساطة ـ لأنه لم يكن صهيونياً ولا عنصرياً وأنه دعا إلى الله الحق والى عالمية الدين .

الزوال الكبير :

وبزوال مملكتي الشمال والجنوب زال تماما النفوذ اليهودي من على فلسطين وكادت تنقطع صلاتهم بها بعد ان ذهبوا أسرى في السبى البابلي ، لولا أن طائفة من يهود السبى استطاعوا في عهد قورش ملك فارس ان يعودوا الى هذه الأرض ليعيشوا فيها ـ لا ليحكموها ـ ثم حصل هؤلاء من قبل اليونان على حقوق سياسية خاصة كانت بداية لتطلعات عنصرية جديدة ، حتى كان الغزو الروماني ، وثار اليهود سنة ٦٦م ثم اخمدت ثورتهم وخمدوا إلى أن قامت لهم حركة تمرد سميت بحركة بوكوكبا نسبة الى قائدها سنة ١٣٢م ، ثم أخمدت وكان من نتيجتها أن حمل الرومان عليهم حملة قتل وتشتيت لم يعرف لها مثيل ، فزال اليهود من فلسطين زوالا كبيرا وأخمد صوتهم في العالم كله ولم تقم لهم قائمة الا في العصر الحديث عندما بدأ هرتزل يجمعهم في موجة صهيونية كبرى لاقامة الدولة اليهودية ، ذلك اذا استثنينا ـ كما بينا في المقال المشار اليه سابقا ـ محاولاتهم الانخراط في الموجات الاستعمارية السابقة على هذه الموجة كالحملة الفرنسية والحملات الصليبية .

أصالة الوجود العربي :

ومنذ زوال النفوذ اليهودي عن فلسطين بعد الغزو الاشوري ، ظلت الأرض يتعاقب عليها الغزاة من فرس ويونان ورومان ، ولكن ظلت فلسطين كما كانت دائما ملتقى عناصر وشعوب شتى ، يغلب عليهم طابع الفلسطينيين الاصليين الذين كانوا هم العنصر السكاني المستمر ، ومنهم عرب كثير ، وقد افصحت الرواية اليهودية نفسها عن وجود هذا العنصر العربي ـ بكثرة ـ مقيما يأكل الطعام وتاجرا يمشي في الأسواق . وبشهادة الرواية نفسها كان العرب جزءاً لا يتجزأ من سكان فلسطين الأصليين قبل ان يفد اليها اليهود بآلاف السنين ، وقد حاول مؤرخ اليهود أن يجور على هذا الوجود العربي ليطفىء كثيرا من تألقه تحت تأثير الطمس والتعمية التي مارسها « لاحظ اننا نركز اهتمامنا على الرواية اليهودية » ولكن ما يزال بالامكان الوقوف على كثير من الشواهد التي فات أمرها على هذا المؤرخ الذي لم يكن أمينا بحال .

والدعاوات الصهيونية تعتمد على مغالطة تاريخية هامة تقول إن عمر بن الخطاب هو الذي أدخل العرب الى فلسطين ، وهذه مغالطة تعْمد الصهيونية الى تكبيرها ، والصحيح أن الذين أدخلهم عمر بن الخطاب الى فلسطين هم « المسلمون » لا « العرب »، الذين كان لهم وجود هناك قبله بآلاف السنين ، والذي فعله عمرُ أنه أخرج من هناك المستعمر الأجنبي ، الذي « بدوره » لم يكن اليهود ، وانما الرومان ، أما اليهود ، فالرومان كانوا قد طردوهم في حملة قتل وتشتيت لم

يعرف لها مثيل ، وكانوا فيها مستعمرين غزاة ولم يكونوا سكانا أصليين .

أما سكان فلسطين الأصليين فهم الكنعانيون ، وهم ليســوا يهودا ولا إسرائيليين ، وقد رأينا كيف أن الرواية اليهودية تعتزل نسبتهم عن الشعب الممتاز ، وإنما هم قبائل سامية نزحت من بلاد العرب قبل الميلاد بثلاثة آلاف سنة ، وقال المؤرخ هيرودوت إنهم أتوا من جنوب البحر الأحمر .

ويجب ان نلاحظ ان الرواية اليهودية نفسها أوضحت ان القِدِّيس « صفنيا » عندما عنى بأن يلعن « اصحاب هذه الأرض » كان يَصُب لعناته على الكنعانيين « لا اليهود » ، كما يجب ان نلاحظ ان منطقة القدس بالذات سكانها الأصليون هم اليبوسيون وهم طوائف من العرب وهم بناتها وكان عليها ملك منهم هو (مالك صادق) « لاحظ عروبة الاسم » وقد حكمها ذلك الملك حكما دينيا وفات مؤرخ اليهود انه ذكره في سفر التكوين قبل أن يفد إبراهيم الى فلسطين ، اي قبل ان يظهرَ الى الوجود يعقوب وبنوه بأكثر من قرن ، وقد ظل هؤلاءاليبوسيون بالقدس الى أيام هاجمها يشوع ، وكان عليها آنذاك « أدوني صادق » الذي تحالف مع ملوك البقاع الفلسطينية الاخرى في تكتل فلسطيني واسع لرد هجوم اليهود ، وعندما انتصر يشوع ودخل القدس ظل اليبوسيون هناك يقاومون إرهابه إلى أن ذكر في السفر الذي تسمى باسمه ـ اي بعد وفاته باجيال ـ أنهم بقوا هناك إلى « ذاك اليوم »، ثم هاجمتها موجة يهودية اخرى هم بنو يهوذا واغتصبوها وضربوها بالسيف وأحرقوها ، وبعدهم هاجمها بنو بنيامين ليمارسوا صنوفا جديدة من الضغط السياسي والفكري والعسكري ، كل ذلك واليبوسيون مقيمون في مدينتهم يقاومون ويأبون مغادرتها الى أن كتب في سفر القضاة أنهم أقاموا هناك إلى « هذا اليوم » الذي كتب فيه السفر ، ذلك السفر الذي قرر أن أورشليم يوم كتب لم يكن يسكنها إسرائيلي واحد واشهد على ذلك رجلاً عبرياً كان يعلم جيدا أنها « مدينة اليبوسيين »..

وفي المفكرين من يأخذ من رحلة ابراهيم الى مكة دليلا على الاتصال العربي بالمنطقة ، منذ عهد إبراهيم ، فان إبراهيم ما كان يتخذ من مكة مهاجَراً لزوجته وابنه بمحض الصدفة ، فهو لا يعقل ان تكون للصدفة يد في تحركات رئيس عشيرة كبير كابراهيم ، وإنما لا بد أنه كانت له صلات بذلك المجتمع العربي .

أما القوافل العربية التي كانت تمر بالمنطقة مطمئنة آمنة فلعل اشهرها القافلة التي التقطت يوسف عليه السلام ، وقد كان ذلك في أواخر أيام يعقوب ، ولكننا نعني أن هذا الطريق كان مألوفا آنذاك للعرب .

ثم في نهاية القراءة التاريخية ننتهي الى أنه ليس في تاريخ اليهود شيء هام من تاريخ فلسطين سوى انهم حكموها مدة من الزمان لم تزد على سبعين سنة في العهد القديم ، وأن بعض أجدادهم سكنوا مناطق منها أو كان لهم صلة بها ، وهذا كله لا يصلح لتكوين اي نوع من الحقوق ، يمكن الاعتداد به ، الا وفق نظرة ضيقة الأفق لا يسعنا ازاءها إلا ان نردد مع القائلين بانه مهما طلب اليهود الاعتداد بها فهي

لاتصلح أساسا لمنحهم فلسطين وترحيل أهلها منها ، والا كان واجبا إعادة النظر في توزيع الشعوب على بقاع العالم ودوله .

المزاعم الدينية :

انتهينا تواً إلى أن بداية اتصال هؤلاء الناس بالمنطقة لا تعتمد على أي وثائق تاريخية ، وجل اعتماد الصهيونية في دعاواها على مجموعة من مسامرات العهد القديم وقصصه المسلية التي أقلها من تراثهم الشعبي واكثرها من تراث الامم سرقوه وضموه الى الرواية المقدسة ، ثم ادعوا أن إله آبائهم قد وعدهم بهذه الارض ليخضِعوا منها العالمَ تحت اقدامهم ويقيموا فيها وطنهم القومي ، ونحن في حيرة من اثر هذا الوطن القومي الذي تسوق له الصهيونية حججاً تاريخية ودينية زائفة ، فاما الحجج التاريخية فقد خضنا فيها ، واما الحجج الدينية فنصوص مزعومة أدخلها الرواة اليهود على التوراة واستغلتها الصهيونية لكي تجعل من اغتصاب فلسطين امرا دينيا ومشيئة الهيئة . واما كيف ؟؟.. فاليك التفصيل ..

ابراهيم .. والوعد :

ملخص هذه النصوص يزعم ان الله اختار هذه الامة الضالة من دون الناس ليَجعلهم شعبه المتميز ويتيح لهم هذه الأرض غَصْبا وطغيانا على ما لغيرهم فيها من حقوق ، ليست فقط حقوقا تاريخية ودينية ، وانما أيضا حقوق مدنية ، هكذا لا تبالي الصهيونية بأن تجعل الرب يساعد على الغصب ويأمر به . وهذا منهم أمر محير يرددون فيه رواياتٍ كثيرة متناقضة ، وصفوة سياقتها أن الرب انعطف على إبراهيم ووعده بان يُوَرِث ذريته هذه الأرض ملكا أبديا ، بشرط أن يؤمنوا به ويخلصوا له ويتخذوه الها أبدياً لهم ، ولا نريد أن نخوض في تفاصيل التشويه والتحريف الذي تعرضت له النصوص التوراتية ، ولكنا نقول انه اذا كان هناك ثمة مجال للاعتداد بهذا الوعد فأنه قد صدر لابراهيم ، وأن قصارى ما نستطيع فهمه هو ان الله يعد أنبياءه بأن يمكن للذين آمنوا في الأرض ويجعلهم الوارثين ، ولا يمكن بأي حال الاقتناع بأن الله اختص اليهود ليساعدهم على اغتصاب فلسطين كما تريد أن تقنعنا الدعاوة الصهيونية ، أو أنه سبحانه وتعالى يقصر وعده على بني اسرائيل من حيث هم « بنو اسرائيل » بصرف النظر عن صلاحهم أو فسادهم ويستثني منه عباده المؤمنين .

والجدير هنا أن ذرية إبراهيم لا تقتصر على بني إسرائيل « بني يعقوب » ولا حتى على بني إسحاق ، وإنما تضم مع بني إسحق إسماعيل وبنيه ، وبنين آخرين

ذكرتهم الرواية المقدسة لامرأة ثالثة اسمها قطورة ، وبين آخرين ذكرتهم الرواية ذاتها لبعض السراري ، وما بنو اسرائيل إلا بطن من بطون اسحق بن ابراهيم .

وحسب الرواية اليهودية ذاتها قد وعد الله ابراهيم بأن يمكن لاسماعيل أيضا في الارض ، ولكن الرواية الصهيونية تجعله يقصر عهده على إسحق الذي تلده سارة ، ونحن نعلم الوعد القرآني الذي قطعه الله لابراهيم اذ قال له : (**إني جاعلك للناس إماما**) فلما سأل ابراهيم : قال (**ومن ذريتي**) قال الحق : (**لا ينال عهدي الظالمين**) اي لا يشملهم ، ونحن لا نريد ان ندير حجتنا من القرآن لأننا تكفينا على اليهود شواهدنا التي من عند اليهود أنفسهم ، ولكنا لم نجد في الرواية اليهودية نفسها ظلما من إسماعيل وبنيه ، وانما رأيناها تنسب الى يعقوب من الكذب والخديعة والسرقة والغش ما كان عليه السلام منه براء ، فضلا عن الخرافة والاسطورة .

اما الشعب الذي تزعم الرواية ان الله تعالى اختصه ليعده بهذه الارض . فان الرواية ذاتها هي التي تنسب اليه من الكذب والسرقة والغش والقتل والزنا والربا والفجور والفسوق والنهب والسلب .. والى اخر ذلك من ألوان الظلم ما ليس مجاله هنا ، ولكن نشير الى انه ينتشر في الرواية اليهودية حتى لا يكاد يخلو منه اصحاح فيها فاستحال الاقتناع بأنه شعب يمكن ان يختصهم الله ليمكن لهم في الارض ويجعلهم الوارثين .

الوعد .. في الطبعة الثانية :

قلنا انه ان كان هناك مجال للاعتداد بالوعد فانه قد صدر لابراهيم ، ولكن الرواية الصهيونية تصر على استثناء ذرية ابراهيم من الوعد عدا إسحاق ، فلا تلبث ان تنتهز فرصة تحول السيرة الى اسحاق حتى تضيف الى النصوص ما يحول الوعد اليه ، تقول الرواية : « وظهر له الرب ـ اي لاسحاق ـ وقال له .. لك ولنسلك اعطى هذه الارض واوفى بالقسم الذي اقسمت لابراهيم أبيك ..» وواضح هنا ان الرواية التي تقول ان الرب اقسم بوعده لابراهيم ، تعود لتجعله يحنث بقسمه وبوعده له ويحوله الى اسحق دون البقية من نسل أبيه .

الوعد في الطبعة الثالثة :

هذا لا يقبله على الله عاقل .. ولكن الرواية تتمادى عندما يتحول الراوي الى يعقوب ، لتذكر ان الرب « بعد ان نزل الى الارض وصارع يعقوب وانهزم أمامه واضطر ان يباركه ويسميه اسرائيل كما ذكرنا في شأن هذه الاسطورة » عاد كما حول وعده لابراهيم امام اسحاق ، ليحول وعده لاسحاق امام يعقوب ، اذ ظهر له

وقال : « .. انا الرب اله ابراهيم ابيك واله اسحق .. الارض التي انت مضطجع عليها اعطيها لك ولنسلك ..»، وهذا الذي نراه جاء في خرافة اسطورية تنزل الرب الى الارض بسلم تبنيه الملائكة ليساعده في النزول ، الا ان الواضح ان الرواية الصهيونية تجعل الرب من على سلمه الاسطوري يخلف وعده الذي سبق ـ في الرواية ذاتها ـ لاسحق ، مستثنيا منه بقية ذريته سوى يعقوب « اسرائيل » وبنيه .

الوعد .. في مهب الريح :

ثم بعد ان نزح ابناء يعقوب الى مصر وارتفع نجمهم هناك في معية يوسف عليه السلام ، لم يلبثوا بعد يوسف ان أصيبوا بنكسة اخرجتهم من مصر مع موسى عليه السلام ، وفيما كانوا فيه ، ظل كل من سفر الخروج وسفر التثنية يخبط بالوعد الالهي خبط عشواء ، لموسى .. ثم يشوع ، ثم يتقلب الى ان يصل الى داود بعد ان استقر لهم الامر في عهده هناك ، وهكذا .. كان وعد صهيون وعداً سياسيا لا يستقر ، وانما يتحول مع الاعصر ويتقلب في الاجيال تبعا للرياح السياسية ، ولا ندري من في ايامنا هذه سيكون صاحب الوعد اذا رأى اليهود يضيفون الى الكتب المقدسة نصوصا اخرى كالتي سبق ان اضافها اجدادهم .

الوعد .. والوطن القومي .. في السبى :

ولابد هنا أن نسجل أن أسطورة الوعد الإلهي كانت قد تعرضت لنكسة كبرى على أيدي اليهود أنفسهم الذين همُّوا بنسيانها تماما وعدم الاحتفال بها منذ أيام السبى البابلي ، وقد قلنا فيما سبق أن بختنصر الكلداني لما هاجم القدس دمرها وجعل السيف في أهلها وأحرق الهيكل وسبى من بقي من اليهود الى بابل ، وأن طائفة من يهود السبى استطاعت أن تعود إلى فلسطين بتصريح من الملك قورش ملك فارس بعد أن غزا بابل وضمها هي ومستعمراتها إلى مستعمراته ، إلا أن هؤلاء الأسرى كانوا قد تعودوا في فترة السبى على ألا يحفلوا كثيرا بفكرة الوعد ولا بفكرة العودة الى سفوح صهيون ، ذلك الجبل الذي كان قمة ما بلغه ابراهيم تحت قمته هو أنه اشترى قبرا هناك ، وقمة ما بلغه يعقوب أنه أتاه مع أبيه ثم هرب من هناك ثم عاد ليعيش فيها بعض أيامه الأخيرة ثم يغادرها الى مصر ، وتضاءلت عندهم فكرة الوطن القومي وانطفأ تألقها في أذهانهم هناك ، وربما كان ذلك تحت تأثير الديانات الفارسية والبابلية التي تعلموها في فترة الأسْر ، « كانوا قد تعلموا في السبى بعض الديانات القديمة ـ راجع العقاد : الصهيونية » أما الذين ظلت الفكرة تلازمهم فكانت فقد فقدت عندهم تماما معناها الديني المزعوم ، واكتسبت

معنىً سياسيا بحتا هو معنى العودة الى المجد المفقود ، ولهذا يستقر في قناعتنا أن هذه الفكرة ليست مبدأ دينيا وإنما هي فكرة صهيونية بحتة ترمي لأهداف سياسية .

لم يعظِّموه :

ويجب ان نعرف أن في اجيالهم السابقة من لم يعظم هذه البقعة ، ولا الهيكل ، ولم يمنحها التوقير المعتاد الذي يُعطي في العادة للمقدسات الدينية ، فقد دمروا القدس وحطموا الهيكل عدة مرات ، وقد رأينا كيف أن بني يهوذا وبني بنيامين دمروها في موجتي غزو متتاليتين ، كما ان احد ملوكهم « هو الملك يهواش » ، سبق أن دمر الهيكل دون أن يثور اليهود أو يغضبوا عليه او حتى يُبدوا سخطهم عليه أو يُضمروه ، وبقي الى ان مات مرضيا عنه غير مغضوب عليه .

ولكن .. لماذا ؟؟:

بقي ان نقول ، ولكن لماذا تصر إسرائيل : « الشعب » على أن الله اختارها من دون الناس ليورثها هذه الأرض ؟؟، وهم يجيبون على هذا التساؤل بأنهم « شعب الله المختار »، وهذه أكذوبة أخرى حرية بأن نفرد لها في غير هذا المقال ، ولكن دعنا الآن مع هذا الوطن القومي لنقول إن مركز بيت المقدس من الديانة اليهودية ـ باعتبارها رسالة سماوية ـ هو كمركزه من كل الديانات ـ باعتباره موضعا مقدسا ـ، وهذا اعتقاد لا شأن له بما تثيره الدعاوة الصهيونية من أنه الوطن الذي وُعِدَ اليهود بالاقامة حوله ليحكموا العالم من هناك ، إلا أن هذه الإثارة الصهيونية تحمل في طياتها عاملا هاما من عوامل فناء الصهيونية نفسها ، وهو أن هذا الوطن ـ إذا نجحت إسرائيل في إقامته وتأمينه ـ سيأتي عليه يوم لا يتسع ليهود الارض المدعوين اليه ، وساعتها لن تستطيع إسرائيل أن ترد عنه المهاجرين الجدد ، وإلا فان الدعوة الصهيونية سوف تنعدم من أساسها ، ولعل الصهاينة شعروا بهذا الخطر الكامن في أساس دعوتهم ، فعمدوا الى التوسع والغزو ، ولن يتوقفوا عن ذلك مادام في الأرض يهود مدعوون الى الوطن القومي ، وطالما كان لهذا الوطن القومي جيران يسهل التوسع في أراضيهم .

فأما متى ستكف إسرائيل عن التوسع ،... فهذا ما لا نظنه بالامر الذي يتحقق من تلقاء نفسه ؟ وأما متى سيكف جيران بيت المقدس عن تمكين إسرائيل من البقاء بينهم فضلا عن الغلبة عليهم والتوسع في أراضيهم ؟ فهذا ما نرجوه ، وندعو الله أن يحققه ، والناس أن يعملوا له .. وهم إذا عملوا له .. فالله لا شك ناصرٌ جُنده ، مُنجزٌ وعده ، مؤيدٌ حقه ..

القصاص في الإسلام

الاستاذ / السيد مصطفى الجرف

القصاص لغة هو الجزاء على الذنب اي يفعل بالفاعل مثل ما فعل او يقتل القاتل بدل القتيل . والقِصاص (بكسر القاف) والقَوَد (بفتح وفتح) بمعنى واحد . ومن المعنى اللغوى جاء المفهوم من القصاص في شريعة الاسلام .
ونورد فيما يلي انواعا ثلاثة للقصاص يندرج تحتها كل احكامه لافتين النظر الى حقيقة باهرة مؤداها ان الامم السابقة لم تكن تسوى بين الدماء في القتل او الجرح وانما كانت تكيل بكيلين فكانت عدالتها متهمة تثير الاحقاد في نفس المجني عليه وتدفع به وهو الاضعف ناصرا في اغلب الاحوال ـ الى مهاوي الاستخذاء والهوان كما سنرى بعد .

اولا : **حد القتل** :

وقد يسمى القصاص في القتلى . وهو عقوبة من يقتل انسانا بغير حق واصله في كتاب الله (**ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون**) الانعام/ ١٥١ وهذا هو تحريم الفعل أو تجريمه . وقوله تعالى : (**ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل إنه كان منصورا**) الاسراء/ ٣٣ وهذا هو القصاص . ويقول ابن تيمية : لا يقتل غير قاتله . والعدوان بالقتل شر انواع العدوان لانه سلب لحياة خلقها الله عز وجل . وقد ورد ذكر القصاص نصا اربع مرات في القرآن الكريم ينذر ولي الدم اذا ما تجاوز حقه فاعتدى على غير القاتل . يقول تعالى : (**يأيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى فمن عُفِيَ له من أخيه شيء فاتّباع بالمعروف واداء اليه باحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم**) البقرة/ ١٧٨

ويتردد هذا النذير للمعتدي ضمن حديث رواه أبو شريح الخزاعي حيث يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من اصيب بدم أو خَبْل (بفتح فسكون ومعناه الجراح) فهو بالخيار بين احدى ثلاث فان اراد الرابعة فخذوا على يديه : ان يقتل او يأخذ الدية او يعفو . فمن فعل شيئا من ذلك فعاد فان له جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا » رواه الدرامي

وهكذا يمقت الاسلام البغي في شتى صوره ويسحقه . ذلك لان الباعث النفسي ـ وهو الذي يرعى جانبه القانون الوضعي المعاصر في الديمقراطيات الغربية وتوابعها من شعوب الامة العربية ـ لو ترك له المجال في مثل جريمة القتل لأهلك الموتور الحرث والنسل . وهكذا تظل دائرة الانتقام والانتقام المضاد تدور بمزيد من الضحايا الأبرياء وهو امر لا يستقيم به شأن مجتمع من المجتمعات فوجب الحسم بالقصاص العدل وكفى . والقصاص عدل في ذاته وحياة .

والقتل ينقسم من حيث هو جريمة الى ثلاث مراتب هي :

١ ـ العمد المحض : او ما نعبر عنه بالمصطلح الجنائي الحديث : القتل العمد .
٢ ـ الخطأ الذي يشبه العمد : وهو ما نطلق عليه الضرب المفضي إلى الموت .
٣ ـ الخطأ المحض : والاصطلاح المقابل له في قانون العقوبات ، القتل الخطأ .

وجرائم القصاص وقد يسميها بعض الأئمة من فقهاء الاسلام بجرائم الدماء تقررت بالكتاب والسنة على سبيل الحصر فلا جريمة ولا عقوبة بغير نص وهكذا سبقت أمة الاسلام دول أوروبا بما يناهز ألفا ومائتين من السنين في تقرير هذا المبدأ الذي هو جماع فخر الثورة الفرنسية وعنوان ما يطلق عليه حقوق الانسان !

وعقوبة النوع الأول (العمد المحض) عند الامام ابن تيمية أن القصاص في تلك

الجريمة واجب على من قتل شخصا بالسيف أو بآلة حديدية أو نحوها ومن شأنها أن تؤدي الى القتل أو بالتحريق والتغريق والالقاء من مكان شاهق والخنق وامساك الخصيتين حتى تخرج الروح وغم الوجه (أي تغطيته) وسقى السموم ويمكن أن نضيف الى ذلك الصعق بالتيار الكهربائي أو دفع شخص فجأة أمام سيارة أو قطار لقتله ونحو ذلك من أفعال .

فهنا يجب تمكين أولياء المقتول من القاتل فان أحبوا قتلوا ، وإن أحبوا عفوا ، وان أحبوا أخذوا الدية (ونلاحظ أن الدولة هي التي تنهض بمهمة تنفيذ القصاص وليس المجني عليه بنفسه أو ولي الدم) . ويفتي الامام أبوحنيفة بأنه لا قصاص في جريمة العمد المحض الا اذا تم القتل (بمحدد ينفذ في الجسم) !! كسيف أو رمح ويمنع القصاص في القتل الذي يقع بآلة ثقيلة من شأنها أن تقتل ولا يمكن أن يقصد بها غير القتل !! ولكنه يوجب تعزير القاتل بهذه الطريقة بأشد أنواع التعزير . وغني عن البيان أن الامام يرى هنا إيجاب الدية على القاتل فضلا عن التعزير . والتعزير عقوبة متروك للدولة تقديرها بما يناسب كل جرم يرتكب أو ايذاء للغير بفعل أو قول أو اشارة فيما لم يرد به نص من الجرائم . والدِّيَة في جريمة القتل العمد المحض مائة من الابل .

والنوع الثاني يحدده حديث الرسول صلى الله عليه وسلم حيث يقول : « ألا ان دية قتيل الخطأ شِبه العمد (بكسر الشين) ما كان بالسوط والعصا مائة من الابل منها أربعون خَلِفَة (بفتح الخاء ثم كسر ففتح) أي حوامل ، في بطونها أولادها » رواه الدارمي والنسائي وابن ماجة وأبوداود عن ابن عمر .. ونلاحظ أن الجرائم العمدية ذات أركان ثلاثة هي : الركن الشرعي أي وجود النص المجرم للفعل والمحدد للعقاب ، والركن المادي وهو صدور الفعل المكون للجريمة ـ من المجرم ايجابا وسلبا (أي أن الجريمة وقعت بفعل صادر عن المجرم أو وقعت لأنه ترك فعل شيء) ، والركن الأدبي وهو مدى توافر مسؤولية المجرم عن الأمر الذي وقع منه من حيث الادراك والارادة . لذلك ففي جرائم النوع الثاني نفتقد الركن الأدبي وهو القصد الى القتل ، فالجاني لم يكن يقصد الا الضرب فوقع القتل رغما عنه وبغير ارادة منه ، وهذا هو القصد المتعدى كما يعبر عنه في فقه القانون الوضعي .

أما النوع الثالث فمشروعيته ثابتة بكتاب الله . قال تعالى : (... **ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى أهله الا أن يصدقوا فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى أهله وتحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليما حكيما**) النساء/٩٢ ..

ومثال تلك الجريمة ، قتل شخص بمقذوف ناري طائش في حفل ما ، أو أن يخطيء سائق السيارة فيقتل انسانا بلا قصد القتل ، وهذه الجرائم ليس فيها قصاص بالقتل وانما فيها الدية وهي مائة من الابل فضلا عن الكفارة كنص الكتاب وسواء كان العبد المحرر ذكرا أو أنثى ، والا فالصوم كما تحدد في الآية الكريمة .

ثانيا : القصاص في الجراح :

وهو ثابت بالكتاب والسنة والاجماع ، بشرط المساواة فاذا فقأ أحد الأشخاص عين شخص آخر كان للأخير أن يفقأ عين المعتدي اذا كان عامدا متعمدا ، وكذلك ان كسر سنا له وجب القصاص بالمثل . وهنا تفصيل لن نلبث عنده الا بما يكفي لبيان الحكم في قصاص الجراح . فنجد الامام القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن يورد في هذا الباب ثلاثين مسألة وهو يستشرف الآية الكريمة التي نزلت بحكم الله في أمر اليهود المختلفين في القصاص وهم بنو النضير وبنو قريظة حيث كان النضيري يأنف أن يساويه القرظي في دمه عند القصاص فنزل قول الله تعالى : **(وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسِّنَّ بالسِّنِ والجروح قصاص فمن تصدَّق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون)** المائدة/ ٤٥ .. وخلاصة ما انتهى اليه الفقهاء أن الامام ابن تيمية يقول بالمساواة ، وكذلك يرى أبوحنيفة والشافعي خاصة فيما لو كانت الجريمة فقء عين وكان المجرم ذا عين واحدة (أي أعور) فحتى في هذه الحالة يرى الامامان وجوب القصَاص أي أن المقتص منه سيصير أعمى ! وأما مالك بن أنس فيقول في هذه الجريمة إن شاء المجني عليه اقتص فتركه أعمى وإن شاء أخذ الدية كاملة والمقصود هنا دية عين الأعور . والحق ان الحديث في هذا الباب أكبر من أن يستقصى في مقال ولكن عمق البحث الذي خلفه كل من الأئمة المجتهدين وتلاميذهم يدلنا على روعة الفكر القانوني عندهم وقدرتهم وذكائهم في استكناه واستنباط الأحكام من الأدلة الشرعية في الكتاب والسنة والله أعدل الحاكمين .

أما في الاعتداء على الأطراف (كالرجلين والأصابع واليدين) فقد اتفق جمهور الفقهاء على أن الاستواء أو المماثلة (أي المساواة) فيها لا يمكن أن يكون مقدرا تقديرا تاما فليس من الميسور غالبا احداث جرح مماثل تماما لجرح آخر ولذلك شاعت عبارة جامعة كأصل شرعي بين الفقهاء وهي قولهم « ان الاعتداء على الأطراف عمده كخطئة في كثير من الأحوال » بمعنى أنه في حالة احداث جرح بشخص ما ، فان حقه ازاء الجاني يقتصر على الدية أو العفو حتى ولو كان هذا الجاني عامدا متعمدا للحكمة التي تلخصها العبارة الآنفة . ولكن هناك حالة واحدة يمكن فيها القصاص في الجراح وهي ما يسمى بالموضحة (بتشديد الضاد مع الكسر) وهو نفوذ الجرح في لحم المجني عليه حتى يمكن رؤية العظم وهنا يمكن للقصاص أن يكون صورة ومعنى أي أن الجرح يكون بجرح مثله وهذه هي الصورة ، أما المعنى فهو ما يسمى بأرش الجناية أو ديتها أي العقوبة المالية بسبب العدوان بالجرح والشج للجسم . ويتفق الفقهاء على أن يضاف التعزير اذا كان المعتدى عليه ممن اشتهر بالتطاول على الناس والتعدي عليهم .

أما اذا كانت الجريمة عبارة عن ضرب باليد او بالعصا او بالسوط ففيه خلاف فيرى البعض القصاص استنادا الى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في واقعة ، وهو يلفت نظر أنس بن مالك حيث أراد الأخير حض المجني عليها على قبول الدية وكانت جارية لعمته « يا أنس : كتاب الله القصد » وكانت عمته قد كسرت لها سنا . ولكن لعدم توافر ركن العمد (أي القصاص المصر) بلغة القانون الوضعي في مثل هذه الجريمة ، يرى البعض الآخر من العلماء المجتهدين أنه لا قصاص بل يجب التعزير لعدم امكان المساواة .

ثالثا : القصاص في الأعراض :

وهو ثابت بدوره ، بالكتاب والسنة والاجماع ،؛ قال تعالى : **(وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين)** الشورى/ ٤٠ ويقضي الرسول العادل الرحيم بحكمه فيقول صلوات الله عليه وسلامه : « المستبان ما قالا فعلى البادىء منهما ما لم يعتد المظلوم » وهو ما يطلق عليه الانتصار نسبة الى ما جاء في محكم آياته عز وجل : **(ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل)** الشورى/ ٤١ .. والقصاص هنا يكون برد الاهانة أو الشتم أو القذف في العرض على ألا تكون بزنا أو لواط فان لذلك حدا معروفا ومقررا هو حد القذف . وأما اذا كان المعتدي قد افترى أي ذكر كلاما غير حقيقي في الشخص المعتدى عليه كأن قال له : يا شيوعي أو ياكافر وهو ليس كذلك فلا يرد عليه ، ويكون للحاكم أن يعزر مثل هذا المعتدي بشرط أن يتقدم بالشكوى من وجه اليه اللفظ المنكر .

خاتمة :

هذا وكل ما ورد في وجوب القصاص انما يكون في الجرائم العمدية أو ما يطلق عليه في الفقه الشرعي العمد المحض أما اذا تخلفت الارادة فلم يكن هناك عمد ـ أي افتقد الركن الأدبي من أركان الجريمة ـ فيحل حق المجني عليه في أحد أمرين لا ثالث لهما : العفو أو الدية كما سبق البيان . هذا ولا يمنع القصاص تعزير الجاني لمنع الفساد في الأرض ، اذا توافرت شروط ذلك .

كذلك فان عفو المعتدى عليه (المجني عليه) عن الجانى لا يمنع الا ايقاع القصاص به ولكنه لا يغل يد الحاكم عن تأديبه وزجره ان كان لذلك مقتض وحكمة . ولئن حبب رسول الله صلى الله عليه وسلم في العفو حيث يقول : « ما زاد عبد بعفو الا عزا » النسائي .. فان ذلة الجاني المعفو عنه ، بين يدي المجني عليه أو ولي دمه ، ربما كانت في بعض الأحوال أشد أيلاما لنفس الجاني من كل عقوبة .

هذا وأستغفر الله لقصور أو تقصير والله تعالى أعلم .

الرسول صلى الله عليه وسلم

اليتيم

للاستاذ / عبد الغني احمد ناجي

شاء الله لقلب الصغير أن يعتصره ألم اليتم ، وشاء له أن يأسى كما يأسى سائر الناس بالرغم من أنه أحب خلقه ومصطفاه ، وكان المتوقع في معايير الناس ومقاييسهم العابرة غير الفاحصة - أن يعيش أحب خلق الله الى الله بمنأى عن الأسى والالتياع ، وأن يحيا حياة مترفة باذخة لا تشوبها شائبة ألم أو شظف ، ولكن ذلك لم يكن ؛ لأن هذا المصطفى من خلق الله سيغدو الرحمة المهداة ، والنعمة المسداة ، والأسوة الحسنة ، والسراج المنير لأمة سيكون من بينها - شأن سائر الأمم - من ستضغط عليهم بأساء الحياة وضراؤها ، وهم في بأسائهم تلك سيتطلعون إلى من يمسح على **قلوبهم** بيد رحيمة حانية ، ولا يفعل ذلك إلا من عاش ظروفهم ، وآسى كما يأسون ، ولقى ما يلقون من كل ما يصيب النفس البشرية عبر حياتها بشيء من الأسى والألم .

وليس آلم لنفس غضة كبرعم صغير - من فقد الوالد أو الوالدين ،



الرحمة المهداة

فبفقدهما يشعر الصغير كأن منافذ الرحمة في الوجود قد أوصدت أمامه :« .. هذان في الدنيا هما الرحماء ». وشاء الله تعالى أن يجمع لديه فقد الأب والأم ، وهو بعد غض نضير ، لا يقوى على تحمل الأسى ، ولا يطيق فؤاده فراق مصادر الرحمة والحنان ، ولكن الله الذي شاء له ذلك كان يهيئه تهيئة جذرية ـ إن صح ذلك التعبير ـ لأجل رسالة ، وأعظم عمل : ليكون هداية ورحمة للعالمين ، فالعمل من الخطورة بحيث يستدعي التهيئة المبكرة ، حتى لكأنه بيتمه في صغره يوضع موضع الرجال ، بحيث يواجه مآسى الحياة من فجر وعيه حتى يستجمع طاقاته الموهوبة ، وحتى يحصر استعانته على الخطوب في الله وحده : « .. وإياك نستعين ». فاليتم المبكر كما أشعره بالأسى ليكون رحمة للعالمين ـ مرنه على أن يتجه في استقامة إلى الله تعالى وحده إذ لا والد ولا والدة منذ نعومة الظفر ، وحتى لا يذكر في كبره عندما يجابه إعراض المعارضين ، وصد الصادين ـ معونة أب أو أم ، فلكم سمعنا ونسمع كبارا يقولون في معترك الحياة ، وعند ضغط الشدائد والخطوب : « أين أبي ؟ وأين أمي ؟!» إن من يقول ذلك ـ ولو كان رجلا كبيرا ـ هو قطعا إنسان عاش في كنف الوالدين ، بين الترف والنعيم والتدليل ، وكان دائما يهرع إلى الوالدين كلما حز به أمر من أمور حياته الصغيرة ، فنشأ لا يعرف ملجأ وملاذا إلا هذين الوالدين . وشاء الله تعالى أن يكون فقد الوالد قبل أن يرى الصغير النور ، ربما ـ والله أعلم ـ ليعيش فجر عمره في كنف ينبوع الرحمة .. في كنف الأم ، إذ أنه يعد ليكون رحيما : (**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**) الانبياء/ ١٠٧

ثم نخطو معه بعض مراحل عمره بما كان فيها من صبر على الشدائد ولجوء إلى الله تعالى ، وانقطاع إليه في إيام تحنثه وتعبده الليالي ذوات

العدد ـ حتى نقف لدى رحمته المنداحة التي تفجرت ينابيعها بصورة لم يعهدها تاريخ البشرية من قبل ؛ لندرك أن مراحله الأولى ـ بما اكتنفها من صنوف الأسى ، وبخاصة اليتم ـ لم تكن إلا تهيئة لتلك الرحمة الشاملة التي لم تدع ذا كبد رطبة إلا عمته في رحابها الفسيحة الندية ، فهو الذي كان يمسح على رأس اليتيم ـ أي يتيم ـ ثم يقول : « أنا وكافل اليتيم كهذين في الجنة » ويشير إلى السبابة والوسطى ، وهو الذي كان يغسل الطفل الصغير بيديه الشريفتين ، ثم يرفعه إلى صدره ويقبله في عطف غامر ، وحنان دافق لا يعدلهما إلا حنان الأم وعطفها ، ثم يقول لمن يعجب من ذلك ـ وهو الأقرع ابن حابس ـ : « من لا يرحم لا يرحم » ، وهو الذي يحس أدنى الألم يصاب به المسلم ، فيألم له ، وينهى عنه ، وكأنه ذاق منه ، فلقد كان أصحابه في سفر معه ، فأخذ بعضهم من أخيه وهو نائم حبلا ، فاستيقظ ففزع ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يحل لمسلم أن يروع مسلما » ، وينظر صلى الله عليه وسلم فيرى نماذج من الناس غير اليتيم والصغير وضعتهم ظروف الحياة في مواضع تستدعي البر والرحمة ، فيفيض عليهم من رحمته توجيها وعملا ، إنهم الخدم الذين تكاد نفوسهم تنفطر ، وقلوبهم تتقطع أسى ولوعة حينما يجدون بشرا مثلهم في قمة الحياة بذخا ونعيما ، وهم دونهم بمراحل ، ولن يسرى عنهم ، أو يرضيهم بمكانتهم إلا يد رحيمة تمسح الأسى من قلوبهم ، وبسمة ندية ترف على ثغر إنسان رحيم يفتح لهم صدره ، ويشعرهم بإنسانيتهم ، اذ ما ذنبهم في وضعهم ؟ وهنا نجد اليتيم الرحيم : محمدا صلى الله عليه وسلم ـ يولي هذه الطوائف من البشر رحمة وعناية ترتفعان بهم إلى مصاف اخوانهم الذين يفوقونهم في حظوظ الحياة ، فعن أبي ذر رضي الله تعالى عنه ـ قال : سابيت رجلا فعيرته بأمه ، فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم : « يا أبا ذر ، أعيرته بأمه ؟! ، إنك امرؤ فيك جاهلية ، إخوانكم خولكم ، جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده ، فليطعمه مما يطعم ، وليلبسه مما يلبس ، ولا تكلفوهم مما يغلبهم ، فإن كلفتموهم فأعينوهم ».

ونجده ـ صلى الله عليه وسلم لا يدع نمطا من البشر يحتاج إلى الرحمة إلا رحمة ، وأوصى برحمته ، والبر به فالنساء قديما قبل الاسلام كن يعاملن في مجتمعهن معاملة تدعو إلى الأسى ، ثم إلى الرحمة التي تنقذهم من الجور والإعنات ، وهن مخلوقات ضعيفات ، فكانت وصاته ـ صلى الله عليه وسلم ـ بهن نداء نديا : « استوصوا بالنساء خيرا » ويقول : « خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلي ».

ورحمته صلى الله عليه وسلم ـ رحمة إنسانية لا تفرق بين جنس

وجنس ، أو لون ولون ، ومن ثم لـم يحرمها أصحاب الديانات الأخرى ، حتى ولو كانوا من الأعداء ، ما داموا في وضع يستدعي العطف والاشفاق ، فلقد كان يوصي جنده بالأسرى خيرا ، حتى لقد كان ينهاهم عن أن يأسروا الأم دون الولد ، أو الولد دون الأم ، حتى لا يسبب لقلبيهما حزنا أو أسى ، فهو القائل في هذا المجال : « من فرق بين والدة وولدها فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة ».

وتنداح رحمته ـ صلى الله عليه وسلم ـ فتبسط جناحيها على كل ذي كبد رطبة ، فالحيوان الأعجم له في رحمته أوفر نصيب ، فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئرا ، فنزل فيها ، فشرب ثم خرج ، فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ بي ، فنزل البئر فملأ خفه ، ثم أمسكه بفيه ، فسقى الكلب ، فشكر الله له ، فغفر له ، قالوا : يا رسول الله : وإن لنا في البهائم أجرا ؟! فقال : نعم ، في كل ذات كبد رطبة أجر » ـ رواه الشيخان ـ

والأم من الطير تهز رحمته فيحس أساها وألمها حينما يعتدي صحابي على فراخها ، فيأمر برد فراخها إليها وكأنه يذكر ألم الفراق بين أشد المخلوقات تعلقا والتصاقا : بين الوالدين والأبناء ، فيستشعر أسى عصفورة خطف فرخاها ، فعن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر ، فانطلقت لحاجتي ، فرأيت حمرة معها فرخان ، فأخذت فرخيها ، فجاءت الحمرة ، فجعلت تعرش ، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم ـ فقال : « من فجع هذه بولدها ؟! ردوا ولدها إليها ».

من هذا التطواف العابر في رياض رحمته صلى الله عليه وسلم ، ومن تذكر تاريخ مولده ، وأحواله في نشأته ـ ندرك أن الله سبحانه وتعالى قد وضع نبيه ومصطفاه في ظروف من الحياة تجعله يحس ـ حينما يقوى على العمل ـ مآسى من وضعوا في ظروفه ، أما كونه ـ صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين من جهة مجيئه بخير دين أضاء ظلام الحياة ـ فهذا أمر معروف من الدين بالضرورة من ناحية ، ومن ناحية أخرى لا يفي بتجليته مقال .

وبعد ، فما أحرانا نحن المسلمين ـ أن نسير على نهج النبي الرحيم في الرحمة الندية ، والأريحية الانسانية ، والمثالية البشرية ، ذاكرين أن التراحم أقوى دعائم السعادة التي كان ينشدها رسول الله صلى عليه وسلم لأمته : (**لقد جاء كم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم**) التوبة / ١٢٨

درس في قصة المرآة

: محمد عبد الرحمن صان الدين

كان شيخنا - رحمه الله - بحر علم زاخر ، وكانت له سبحات في سماوات الفكر والمعاني بأجنحة من صفاء الروح وتقوى القلب ، يرتاد مجاهل النصوص ويجوب منحنياتها ليستخرج من جيوبها أدق الاحكام واروع العبر ، وكان اذا اراد التحدث في موضوع ما ، قدم له مسبقا بارهاصات ومثيرات تشغل افكار تلاميذه ، وتوقظ عقول مريديه ، وتستولي على اهتمامهم وتطلعهم الى المعرفة ، حتى اذا استحكم الظمأ وبلغ الجوى من النفوس مداه أخذ يسكب عليها سلسالا من فيض علمه حتى ترتوي . وكان من بين رواد حلقة الشيخ شخصان ، على طرفي نقيض من أمرهما ، فأحدهما يبالغ في التزين والتأنق في ملبسه ومنطقه وتحركه الى حد يثير الاعجاب عند القلة ، والاشمئزاز عند الكثرة ، والآخر كان مثالا للفوضى والاضطراب في قوله وفعله فضلا عن رثاثة ملبسه وهيئته ، ولكنهما يتفقان في شيء واحد . هو الحضور الى الحلقة متأخرين دائما ، وكأنهما يعرضان علينا كل يوم النقيضين ، فتسمع الهمسات والتعليقات المختلفة الى أن يأخذ كل منهما مكانه القاصي من الحلقة ، ويمضي الشيخ في حديثه فتنصرف الأنظار والعقول اليه حرصا على استيعاب كل ما يتفوه به ، وذات يوم قال الشيخ بعد ان فرغ من الدرس :- أيها الابناء إني أهيب بكل واحد منكم أن يتخذ له

مرآة يجتهد في أن تكون نقية صافية حتى تنعكس عليها صورته الحقيقية وتكشف له عن حاله ، فيصلح من شأنه ويقوم معوجه وينفي شوائبه ، وأحب أن أرى مرآة كل منكم ، لاعرف مدى درايته وحسن اختياره للمرآة التي يرى فيها نفسه . فأخذناالعجب من أمر الشيخ اذ كيف تنال المرآة منه هذا الاهتمام وهو الزاهد الورع الذي يحيا بروحه وحسه في السماء ، وليس لجسمه ولا لقوانين الأرض سلطان عليه إلا بالقدر الضروري للحياة ، فكيف يحثنا على اتخاذ مرايا ، وقد كنا نعدها من لوازم النساء ، ونعد الناظر فيها من الرجال مفتونا ، ولكننا نعلم علم اليقين ان الشيخ لا يهزل ولا يمزح ، وانه لا يصدر الا عن فكر وروية ، وانه يعني ما يقول . فما أن انتهى من الدرس وانفرط عقد الحلقة حتى انصرف كل منا الى السوق يجوب الحوانيت والمتاجر مجتهدا في اختيار مرآة على جانب كبير من الجودة والأناقة علها تحوز رضاء الشيخ واعجابه فيزداد عنده حظوة وتقديرا لخبرته ومهارته .

وجاء اليوم التالي وانتظمت الحلقة وأقبل الشيخ في هالة من نور العلم والتقى ، وجلس على كرسيه في دعة ووقار تحف به القلوب والأبصار ، ونظر فرأى الكل متحفزا وقد وضع كل واحد يده في جيبه أو حقيبته فقال : هل استحضرتم مراياكم ؟ فأجبنا بصوت واحد : نعم نعم يا شيخنا ، ومضى كل منا يعرض مرآته في ثقة وازدهاء فوالله ما التفت الى احداها وما زاد عن قوله : ضعها في جيبك ، ضعها في حقيبتك ، وقد لاحظنا انه كلما عرضت عليه مرآة تغشت وجهه المشرق مسحة من ضباب الامتعاض والأسف فاستحكم عجبنا ، وأخذتنا الحيرة ، وانتهينا من عرض مرايانا غير واحد منا قد اعتذر في حياء بأنه لم يستطع احضار مرآ ته اليوم ووعد باحضارها في الغد فعزونا ذلك الى رقة حاله وضيق ذات يده عن شراء مرآة جيدة ، والتفت الشيخ قائلا : إني محدثكم عن المرآة في الغد ان شاء الله تعالى ، وسار في درسه كالمعتاد حتى انـتهى منه وانصرف وانصرفنا ونحن نتساءل ترى ماذا يقول الشيخ عن المرآة ؟ وماذا يعرف عنها وعن أنواعها وجيدها ورديئها ؟ وما سر اهتمامه بها الى حد أن يخصها بحديث . وجاء الغد ونحن في لهفة بالغة الى ما يقول الشيخ عن المرآة ، توافد الجميع الى الحلقة ولم يتخلف احد ، وما إن أخذ الشيخ مجلسه حتى أشار الى زميلنا الذي لم يحضر مرآ ته بالامس وقال له : هل أحضرت مرآتك يا هذا ؟ فأجاب : أجل يا شيخنا الجليل قال الشيخ : فأرنيها اذا فمد الزميل يده اليمنى ووضعها على كتف شخص بجواره - لم نره من قبل في الحلقة - واشار بسبابة يده اليسرى الى وجهه الذي هو أقرب الى السحمة والدمامة منه الى البياض والوسامة وقال في ثقة واعتزاز : هذا هو مرآتي يا سيدي الشيخ : فضحكنا جميعا لهذه الدعابة الطريفة التي تعودنا مثلها من هذا الزميل المرح ، ولكن سرعان ما تلاشت ضحكاتنا حينما رأينا الشيخ - وقد تهلل وجهه - يضرب بكفه على فخذه

ويقول في نشوة غامرة : فقيه والله ، فطين وربي ، أنت الذي فقه ووعى ، زادك الله يا بني علما وفقها ، وبارك لك في مرآتك ، وبارك له فيك ، فأسقط في أيدينا وبدأنا ندرك ما كان يرمي اليه الشيخ واننا كنا نمر باختبار لقياس الفهم والادراك . ثم اخذ الشيخ يتحدث قائلا بعد ان سمى الله وحمده واثنى عليه : يا أبنائي : طبيعة المرآة ووظيفتها انها تعكس الصور التي تقابلها ، فتكشف للناظر فيها صورته وهيئته فيرى ما خفى عنه ومالا تقع عليه عينه ، وبقدر جودة المرآة ونقائها تكون درجة الكشف من الصدق والصحة والوضوح . والمؤمن في حاجة ماسة الى مرآة جيدة ليرى فيها نفسه ، ويعرف ذاته كما هي ؟ ولكن مرآة المؤمن ليست من البلور وان صفا جوهره وجادت صنعته ، فالبلور لا يكشف الا ما يواجه به ، ولا يعكس الا ظاهرا محسوسا بالعين من الاجرام والأجسام ، ويستوي امامه الانسان وغير الانسان ، والطيب والخبيث ، المؤمن والكافر . وانما هي ـ أي مرآة المؤمن ـ من عنصر آخر اكثر شفافية وأدق تصويرا ، إنها تعكس المعاني الملابسة للمحسوسات ، الصورة وما وراء الصورة ، دون تزويق أو تزوير أو حذف أو اضافة ، فيهتدي الناظر فيها الى ما فيه من محاسن ونقائص حسية او معنوية فيزيد من محاسنه او يحافظ عليها ، ويأخذ في تلافي نقائصه وعلاجها وما هذه المرآة الا الانسان المؤمن . روي ابو داود عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « المؤمن مرآة المؤمن » وأطرق الشيخ قليلا ثم رفع رأسه وعلى شفتيه ابتسامة رقيقة وهو يقول في صوت حالم : أجل « المؤمن مرآة المؤمن » وكأن صورا حية من واقع الحياة طافت بخاطره تقول : صدق رسول الله ، وأجال نظره في الحلقة مستأنفا حديثه السلسال قائلا : انها ـ اي مرآة المؤمن ـ الانسان المؤمن . اذا هي مرآة حساسة مميزة . نقاذة بصيرة ذات فراسة وفطنة . فالمؤمن كيس فطن . وهي لا تعكس الا الصورة النقية الطاهرة الخالية من الأوشاب ، صورة المؤمن الذي يجانسها ويشاركها عنصر الايمان . وارتفع صوت الشيخ في نبرات تهز المشاعر وكأنها اختلاجات قلبه وهو يقول : ان الايمان نور وهل يكون من النور الا الهداية والارشاد ؟ وهل يرى النور الا مبصر ؟! أما غير المؤمن وان حسن مظهره وراق منظره فان صورته لا تنعكس ولا تظهر على مرآتنا هذه ، لانها صورة شائهة يحجبها عن الظهور ضباب الكفران ، وأدران الذنوب ، وأبخرة الشهوات الداكنة ثم انظروا يا ابنائي الى اسرار النطق النبوي وخفاياه الجليلة في ايجاز معجز فقد شبه عليه الصلاة والسلام المؤمن الذي هو في أسمى درجات الانسانية صفاء ونقاء وعنصرا بالمرآة التي لا شك أنها في أعلى درجات البلور صفاء ونقاء وعنصرا ليتطابق وجه الشبه بينهما وهو الكشف الصادق والوضوح الكامل . وارتفع صوت من آخر الحلقة سائلا : ايها الشيخ : قد يصدق شخص في نقد شخص آخر فيقابله بامتعاض أو بنقد

أشد وقد ينتهي الأمر بالملاحاة ثم القطيعة ، لذلك يؤثر أكثر الناس في وقتنا الحاضر كتمان ما يرى ويفضل السكوت عليه ابقاء على الصلات والعلاقات فما التدبير والحالة هكذا ؟ فأجاب الشيخ قائلا : انظر الحديث الشريف انه يقول : « المؤمن مرآة المؤمن » فايمان هنا وايمان هناك وحيث يوجد الايمان توجد المصارحة والصدق من طرف ، ويوجد القبول والإذعان من الطرف الآخر . ولتعلم ـ رعاك الله ـ ان ما مثل المؤمنين في الحديث الشريف الا كجهازي الارسال والاستقبال المرئي (التلفاز) ان اختلا أو اختل أحدهما ، أو تكدر ما بينهما توقف الارسال والاستقبال أو توقف احدهما او ظهرت الصورة مضطربة مرتعشة ، مصغرة او مكبرة او معتمة الجوانب ، وبذلك تخفي الحقيقة أو تلتبس على الرائي ، وفي غيبة الايمان أو اضمحلاله وشحوبه في النفوس فان اكثر الناس اما شانىء حاقد يجحد المحاسن في الآخرين ويواريها ، ويبرز المساوىء والهنات وينشرها مضخمة بدافع الحقد الهادر في الأفئدة ، او بعكس ذلك بدافع الحب الأحمق الكاذب النابع من الكلف بالمنفعة المادية او المعنوية او الخوف او الرجاء ، فهو اذاً ملقٌ ونفاقٌ وتزويرٌ ، وفي الحالين يوردان موارد الهلكة والضياع ، ويؤديان الى البلبلة والفساد ، فالأولى تقف دون أهل المواهب والقدرات الممتازة عن تبوء المكانة التي هم بها جديرون ، وتوسد الامر الذي هم له مؤهلون ، واما الثانية فهي قاصمة الظهور ومصمية الصدور بما تجلب من الاغترار بالنفس واعتقاد وجود ما لا وجود له فيكون السلوك والتصرف وفق ذلك الوهم الخادع ، فيخيل للمرء انه يمسك السماء ان تقع وما يمسك الا غروره وحمقه ، وبذلك يقع الفساد الكبير والبلاء الماحق في الافراد والأمم ، وحينئذ لا يكون ايمان ولا مرآة ، ولا أُمن ولا امان بل لا تكون الا الشكوك والريب ، والهدم والتدمير . وهنا أطرق الشيخ في صمت ، وطال اطراقه وصمته حتى ظننا أن سنة من النوم قد أخذته ، فسرى في الحلقة شيء من اللغط والحركة يهدف ايقاظه وتنبيهه فرفع رأسه وقد تغير وجهه وبرقت في عينيه دمعة وقال بصوت مخفوق حزين : أقول حينما تختفي تلك المرآة مرآة الايمان من المجتمع ـ والعياذ بالله ـ تنطمس معالم الطريق وتتوارى الحقائق ويعبث الحق بالباطل ، فيقف الحليم حيرانا لا يدري ما يمينه وما شماله ولا اين يضع قدميه ولا كيف يسير ، ولا من يسمع ومن يجيب الا من عصم الله وقليل هم ، انها الداهية الدهياء التي تمحق البركة في الأرض وتغتال الهناءة والسكينة في بني الانسان . وقانا الله شرها وطهر مجتمع الاسلام من بوادرها ، وبصرنا سبيل الرشاد والنجاة . وانتهى الشيخ من حديثه وانصرف وانصرفنا وفـي النفوس شحنة هائلة تعمل عملها في العقل والوجدان ، وراح كل منا يفكر في نفسه تارة وفيمن يعايشهم تارة اخرى باحثا عن المرآة .

المجتمع الفاضل

للأستاذ / حسنين نعيم

ليس ثمة شك في ان الاسلام يبني المجتمع على اسس سليمة وقواعد متينة ، تكفل له البقاء شامخا قويا وعزيزا أبيا ، وذلك بما احتوى من مبادىء وأخلاق وبما اشتمل عليه من نظم ومثاليات ولقد رأينا كيف ان مجتمع ما قبل الاسلام بما كان عليه من تفكك وتمزق وانهيار وانحراف وفساد ، قد تحول بالاسلام الى مجتمع فاضل قوي سعيد متماسك ، تسود بين افراده المودة والمحبة ، ولذا

لا نعجب حين نرى المنصفين من المستشـرقين يشيـدون بـالاسـلام ويمجدون تعاليمه معترفين صراحة وضمنا بأنه هو الطريق الوحيد الذي يمكن بواسطته اقامة المجتمع الفاضل السعيد كما انه هو الذي يمكن ان يكفل للانسان حقوقـه وان يحقق للمجتمع نهوضه ، على اسس الاخاء والمسـاواة والعدالـة التي هي من مبادئه السامية ، يقـول المستشرق المجري « عبد الكريم جرمانوس » « كان الذائـع ان فكرة المسـاواة والاخاء والديمقراطية والحرية من ابتكار اوروبا في القرن السابع عشر بينما هي حقيقة من حقائق الاسلام واصوله منـذ نشأ » ويقـول جاك استروي في كتابه « الاسلام امام التطور الاقتصادي »: ان الاسلام يتمتع بامكانيات هائلة وان الشريعة الاسلامية اعدل الشرائع واحكمها فأساسها رعاية المصالح ودرء المفاسد وغايتها اسعـاد الناس في الـدنيا والآخرة وهي بحر زاخر يحوي كل اسباب القوة والرخاء للامم والشعوب وهي الاساس المكين لبناء الحضارة وفيها من الاصول المرنة والقواعد الشاملة ما يجعلها مسايرة لمصلحة الناس في كل زمان ومكان .

ففي التشريع الاسلامي الوفاء كل الوفاء بحاجات المجتمعات الكبيرة والصغيرة وبمطالب الدول في مختلف الاجيال لأن هذا التشريع هو تشريع منزل من احكم الحاكمـين ، ورب العالمين لخير الناس ولمصلحة ورخاء الشعوب ، والمسلمون يملكون بهذا التشريع اعظم المصادر والمقومات الكفيلة ببناء عزة الامم ووحدتهـا وتقـدمها . هـذا وقد عقـد العالم الامريكي هوكنج استاذ الفلسفة في جامعة هارفرد فصلا مستفيضا عن مصير الثقافة الاسلامية في كتابـه « روح السياسة العالمية » حيث تكلم فيـه باسهـاب عن اصـول الفقـه الاسلامي ، وعن المذاهب الاربعة ، وقال ان الاسلام يستطيع توليد افكار جديدة ، واصدار احكام مستقلة ، تتفق وما تتطلبه الحياة العصرية ، وفي نظام الاسلام كل استعداد داخلي للنمو ، بل انه من حيث قابليته للتطور يفضل كثيرا من النظم المماثلة ، والصعوبة لم تكن في وسائل النمو والنهضة في الشرع الاسلامي ، وانما في انعدام الميل نحو استخدامها ، واني اشعر بأني على حق حينما اقرر ان الشريعة الاسلامية تحتوي بوفرة جميع المبادىء اللازمة للنهوض .. ثم قـال « أن سبيل تقـدم الشعـوب الاسلامية ليس في اتخاذ الاساليب الغربية التي تدعي ان الدين ليس له ان يقول شيئا عن حياة الفرد اليومية وعن القانون في النظم السماوية وانما يجب ان يجد المرء في الدين مصدرا للنمو والتقدم واحيانا يتساءل البعض عما اذا كان نظام الاسلام قادرا على الصمـود أمام مشكـلات العصر » واقول : « انه لا يعدل الاسلام في ذلك مذهب من المذاهب » والواقع الذي لا مرية فيه ان الاسلام يشتمل على كل ما يحتاجه المجتمع ليحيا حياة دنيوية

سعيدة واخروية تحظى برضا الله بفضل تعاليمه السمحة التي لم ترق الى مستواها اي تعاليم اخرى ، والتي تجلت في الاخاء والمساواة والعدل والشورى كما دعت من قبل ذلك الى الايمان بوحدانية الله تعالى الى غيرذلك من المحبة والعطاء والبذل والتضحية والفداء فهذه المؤاخاة بين الانصار والمهاجرين كان لها ابعد الاثر في تربية النفوس على المساواة والايثار والمحبة والمودة الأمر الذي رأينا معه الانصار لا يفتحون بيوتهم فقط لاخوانهم المهاجرين بل فتحوا لهم ايضا قلوبهم حيث قدموا لهم اعز ما عندهم عن رضا نفس وسماحة خلق . وهؤلاء هم سادة العرب ومنهم الاقرع بن حابس وعيينة بن حصن يذهبون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون له ان سادة العرب يأتونك فيستحيون من ان يراهم العرب جلوسا مع اصحابك من الارقاء . امثال بلال وعمار وصهيب وخباب وغيرهم ، فاذا جئناك فأقمهم واذا ذهبنا فأجلسهم حيث شئت فأنزل الله قوله : « **ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين** » كما يقول جل وعلا « **واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ، ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا** ».

ولقد رأينا كيف ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما كان حاكما عاما للمسلمين قد وقف يخطب يوما في المسجد واراد ان يحدد مهور النساء لارتفاعها نسبيا حينذاك . فتنبرى له امرأة من آخر الصفوف وتقول : يا عمر . كيف تقول هذا والله تعالى يقول « **وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا** » .

وهنا لا يملك عمر الا ان يرجع عن رأيه ويقول قولته المشهورة « اصابت امرأة واخطأ عمر ».

وان نظرة واحدة الى جميع العبادات الاسلامية ترينا كيف ان الاسلام قد سوى فيها بين الناس جميعا فالصلاة يقف فيها الجميع امام رب العالمين واحكم الحاكمين صفوفا منتظمة لا فرق بين غني وفقير ولا بين خادم وامير والحج يستوى الجميع في اقامة شعائره متجردين من الثياب الا ما يستر العورات وكذا الصوم يمتنع المسلمون عن تناول المفطرات من طلوع الفجر الى غروب الشمس وايضا يستوى المسلمون في القوانين التشريعية روى عن عائشة رضي الله عنها ان قريشا اهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا ومن يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قالوا . ومن يجترىء على ذلك الا اسامة بن زيد حب رسول الله . فكلمه اسامة فقال له الرسول: « اتشفع في حد من حدود الله ثم قال انما اهلك من كان قبلكم انهم كانوا

اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف اقاموا عليه الحد وايم الله لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » البخاري ومسلم .

والاسلام مع هذا دعوة اصلاحية تهذب الفرد وتقومه وتوجهه نحو الخير وتحثه على ان يكون سمحا عفوا كريما مهذبا نبيلا عادلا مع ربه وخالقه ومع روحه ونفسه ومع مجتمعه وبني جنسه يقول تبارك وتعالى « **ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي** » وهذا هو رسول الله صلوات الله عليه وسلامه يطالب الناس بأخذ حقهم منه ان كان لهم حق فعن الفضل بن عباس قال جاءني رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجت اليه فوجدته موعوكا قد عصب رأسه فقال خذ بيدي يافضل فأخذت بيده حتى جلس على المنبر ثم قال : ناد في الناس فناديت فاجتمعوا له . فقال : اما بعد . ايها الناس فاني احمد اليكم الله الذي لا اله الا هو وانه قد دنامني خفوق (غياب) من بين اظهركم فمن كنت جلدت له ظهرا فهذا ظهري فليستقد منه (يقتص) ومن كنت شتمت له عرضا فهذا عرضي فليستقد منه ومن اخذت له ما لا فهذا مالي فليأخذ منه ولا يخشى الشحناء من قبلي فانها ليست من شأني الا وان احبكم الى من اخذ مني حقا ان كان له او حللني فلقيت ربي وانا طيب النفس وقد ارى ان هذا غير مغن عني حتى اقوم فيكم مرارا ».

وحدث ان ابا ذر الغفاري تطاول على بلال الحبشي وقال له يا ابن السوداء فشكاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له الرسول :« أسابيت فلانا قال : نعم ، قال أعيرته بأمه ، قال : نعم عندئذ قال له الرسول انك امرؤ فيك جاهلية ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل الا بالتقوى ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم » البخاري . فقام ابو ذر ووضع خده على الارض وقال لبلال طأ بنعلك على خدي وكأنه اراد بذلك ان يكفر عما بدر منه في حق بلال ولكن بلالا المسلم الذي تربى على يد الرسول صلى الله عليه وسلم واستقى من معينه ضرب المثل الاعلى في العفو والسماحة عملا بقول الله تعالى « **وان تعفوا اقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم** » . وكما طبق رسول الله العدالة والمساواة وسائر الحقوق تطبيقا عمليا تمسك اصحابه صلوات الله عليهم بهذه الحقوق وطبقوها تطبيقا يدل على مدى شعورهم بالمسئولية الملقاة على عاتقهم كحكام مسئولين امام الله وامام رعاياهم . فها هو ذا امير المؤمنين عمر بن الخطاب قد ضرب الأمثال في تطبيق العدالة وفي تحري الدقة في قبول الشهادة فعندما تقدم اليه رجل لاداء الشهادة قال له ائتني بمن يعرفك ، فأتاه برجل اثنى عليه خيرا ، فقال له عمر : هل انت جاره الادنى الذي يعرف مدخله ومخرجه قال لا : قال هل رافقته في السفر الذي يستدل به على مكارم الاخلاق . قال لا قال فهل عاملته

بالدينار والدرهم الذي تستبين منه ورع الرجل قال لا . قال : اظنك رأيته قائما في المسجد يتلو القرآن يخفض رأسه تارة ويرفعه اخرى . قال نعم . قال عمر . اذهب فلست تعرفه وقال للرجل اذهب فائتني بمن يعرفك اجل لقد كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون والمسلمون الاولون يتحرون العدل في احكامهم فقد اهاب الاسلام بكل مسئول ان يتحرى العدل في تقديره للمرءوسين وحكمه عليهم من اجل ان يشعر المجتمع بالامان والاستقرار ويتفرغ افراده للعمل والبناء ومن ثم ضرب قضاة المسلمين المثل الاعلى في العدالة فذلك محمد بن بشير قاضي قرطبة عندما بعث اليه الخليفة عبد الرحمن الناصر بكتاب يشهد فيه لصالح عمه سعيد في قضية كان عمه احد خصومها رد شهادته قائلا لو قبلت شهادة الخليفة فلن يجترىء احد على القدح فيها وبذلك ابخس المشهود عليه حقه وتحقيقا للعدالة التي لا تفرق بين الناس ..

حكم ذات مرة على الخليفة عبدالرحمن الناصر وذلك في قضية رفعها عليه احد الرعية وابلغ الخليفة بالحكم مصحوبا بالاستقالة اذا لم ينفذ الحكم فورا .

وروى صاحب العقد الفريد للملك السعيد قال . قال عمر بن حبيب القاضي : حضرت مجلس الرشيد يوما فجرت مسألة فتنازعها الخصوم وعلت الاصوات فيها فاحتج بعضهم بحديث يرويه ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فدفع بعضهم الحديث وزادت المدافعة والخصام حتى قال قائلون منهم : ابو هريرة متهم فيما يرويه وصرحوا بتكذيبه ورأيت الرشيد قد نحا نحوهم ونصر قولهم . فقلت انا : الحديث صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو هريرة صحيح النقل صدوق فيما يرويه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنظر الى الرشيد نظر مغضب وانصرفت الى منزلي فلم البث ان جاءني غلام فقال اجب امير المؤمنين اجابة مقتول وتحنط وتكفن فقلت اللهم انك تعلم اني دفعت عن صاحب نبيك واجللت نبيك أن يطعن على اصحابه فسلمني منه وادخلت على الرشيد وهو جالس على كرسي وهو حاسر عن ذراعيه بيده السيف وبين يديه النطع فلما بصر بي قال يا عمر بن حبيب ما تلقاني أحد من الدفع والرد لقولي بمثل ما تلقيتني به وتجرأت علي فقلت يا أمير المؤمنين : ان الذي قلته ووافقت عليه وملت اليه وجادلت عنه ازراء على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى ما جاء به : فانه اذا كان اصحابه ورواة حديثه كذابين فالشريعة باطلة والفرائض والاحكام في الصلاة والصيام والنكاح والطلاق والحدود مردودة غير مقبولة فالله الله يا امير المؤمنين ان تظن ذلك او تصغى اليه وانت اولى ان تغار لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الناس كلهم . فلما سمع كلامي رجع الى نفسه ثم قال احييتني يا عمر بن حبيب . احياك الله . احييتني احياك الله . احييتني احياك الله . ولا شك ان هذا كله مستمد من رسول الله عليه الصلاة

والسلام فما كان لعمر ولا لغيره مما اسلفنا من ان يتحرى الدقة في تطبيق العدالة لولا ان تعلم هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولولا ان تربى على يد الرسول الذي يقول : « يؤتي بالولاة يوم القيامة فيقول الله عز وجل انتم كنتم رعاة خليقتي وخزنة ملكي في ارضي ثم يقول لاحدهم لم ضربت عبادي فوق الحد الذي امرت به فيقول يارب لأنهم عصوك وخالفوك . ثم يقول لأحدهم لم عاقبت عبادي اقل من الحد الذي امرت به فيقول يارب اني رحمتهم فيقول تعالى كيف تكون ارحم مني خذوا الذي زاد والذي نقص واحشوا بهما زوايا جهنم » .

بعد فهذا هو الاسلام الذي مكن للمسلمين الأولين من إقامة المجتمع الفاضل حيث كانوا يطبقون تعاليمه تطبيقا عمليا ومن هنا فلم يزل أمرا غريبا بل وغير مستساغ ان يتحاكم المسلمون الى قوانين موضوعة وبينهم كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . هذا مع خلو التشريعات الموضوعة من الجوانب الخلقية والمثاليات الادبية وتجردها من كل ماله مساس بالدين والاخلاق باعتراف مفكري الاوروبيين وفلاسفتهم اذ يقول سبنسر بعد الثورة الفرنسية اخذ المشرعون الاوروبيون في تجريد القوانين من كل ما له مساس بالدين والاخلاق والفضائل الانسانية فاقتصرت رسالة القانون على تنظيم علاقات الافراد المادية وما يمس الامن ونظام الحكم وقد ادى انعدام العنصر الخلقي في القوانين وسيادة المذاهب النفعية والمادية الى افساد الارض واباحة جنسية بشعة واستهتار مجنون بالقيم والمثاليات .

وعلى ضوء هذا يمكن القول بأن الذين بهرت الحضارة الاوروبية اعينهم فلم يبصروا ان هناك حضارة سوى هذه الحضارة الاوروبية بعيدون عن الصواب وهم مع هذا يسجلون على عقولهم طفولة ساذجة بل ان الذين يعلنون ان شريعة الله غير صالحة لهذا الزمان هم قوم جاحدون للحق كما يمكن ان نقول بأن حاجتنا الى الشريعة الاسلامية وتطبيقها حاجة حضارية اذا اردنا اقامة مجتمع فاضل يقول الدكتور جورج سارطون « ان المسلمين يمكن ان يعودوا الى عظمتهم الماضية اذا عادوا الى فهم حقيقة الحياة في الاسلام والعلوم التي حث الاسلام على الأخذ بها ».

ولكن للأسف الشديد رأينا المسلمين قد اطفأوا مصابيح عقولهم وبهرتهم الحضارة الاوروبية وحبست تفكيرهم في نطاقها ومن ثم نسوا شريعتهم وتراثهم الخالد ولا نغالي اذا قلنا فقدوا ذاتيتهم الاسلامية وعاشوا بذاتية اوروبية حتى اصبحوا لا يؤمنون الا بحضارتها وقوانينها فلم يمر بخاطرهم يوما ان هناك انظمة اسلامية شاملة لكل شئون الحياة وقوانين وتشريعات قرآنية تسبق هذه القوانين بل وتفضلها بما فيها من اجلال للروح واكبار للاخلاق وما اشتملت عليه من نور وهدى ورحمة للعالمين .

منهج

الصحوة الإسلامية

بنوك بلا فوائد

تأليف ـ الدكتور/ احمد النجار

عرض الاستاذ : عبد الحميد عبد الفتاح المغربي

يعتبر هذا الكتاب من اهم الكتب التي تعالج موضوع البنوك اللاربوية ، حيث تعرض فيه المؤلف لثلاث نقاط على درجة كبيرة من الاهمية ، تمثل الابواب الثلاثة التي يتكون منها المرجع وهي :

١) التنظيم الاقتصادي في الاسلام .

٢) تجربة البنوك الاسلامية في

مصر .
٣) صور البنوك الاسلامية خارج مصر مع بيان لاعمال وخدمات البنك الاسلامي .

ففي الباب الاول « التنظيم الاقتصادي في الاسلام » يشير الكاتب لشمول منهج الله على التشريع الكامل للحياة بكل جوانبها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية جنبا الى جنب مع الجوانب الاعتقادية والعبادية ، لذا فالجانب الاقتصادي ليس شيئا مستقلا له أحكامه ونظمه ، وانما هو جزء من منهج شامل وتلك هي النقطة الهامة لكي يستقيم الحديث .

فالجانب الاقتصادي مترامي الاطراف من الناحية الاسلامية ، ولا يمكن الاحاطة بكل جوانبه ، ولذا فالحديث سيتركز حول اهم النقاط فيه ، والذي يهمنا في هذا المقام ذلك الخاص بالبنك اللاربوي او البنك الاسلامي ، فهما شيء واحد .

ولذلك فقد اوضح الكاتب لنا مقصده في هذا الركن العظيم الاهمية البالغ الفائدة في الامور التالية :ـ

١ ـ المبادىء الجوهرية للاقتصاد الاسلامي .

٢ ـ الخصائص الرئيسية للبنك الاسلامي .

٣ ـ المدخل للعمليات الرئيسية للبنك الاسلامي .

٤ ـ المنهج الاسلامي وحده .. هو الطريق .

ـ فمن حيث المبادىء الجوهرية للاقتصاد الاسلامي فقد بينها الكاتب بوضوح ونجملها في :

* ان ملكية المال والتعليم التي وضعها الله عندما استخلف البشر في هذه الملكية ، هي دائما نقطة البداية في التفكير ، فالمال مال الله وللبشر حق الإنتفاع به وبذلك فهو يحدد للمال دوره ويرسم له وظيفته التي لا يجب أن يحيد عنها في الحياة ، ويضع الناس شروط وحدود العمل عندما تسند اليهم هذه الملكية عن طريق الاستخلاف أو النيابة .

* ويعتبر المبدأ الثاني من المبادىء الجوهرية للاقتصاد الاسلامي ، قيام ذلك الاقتصاد على أساس من القيم والمعايير الخلقية .

* أما المبدأ الثالث من تلك المبادىء فهو الواقعية في التوجيهات والضمانات في التنفيذ .

ـ ومن حيث الخصائص الرئيسية الأساسية للبنك الاسلامي : فقد بين الكاتب أن النظرة والتصور الذي تنطلق منه البنوك الربوية يختلف تماما عن النظرة والتصور الذي تنطلق منه البنوك اللاربوية حيث قام البنك الاسلامي اللاربوي ليؤدي :

* كل الوظائف التي تقوم بها البنوك الربوية من تمويل وتيسير للمعاملات وجذب للودائع وتحويل وصرف .. ليس فقط ، بل ويتميز عنه :

* بتطبيق الشريعة الاسلامية والسير على مبادئها .

* والالتزام بالاسس الاقتصادية السليمة التي تتفق مع المبادىء الاساسية .

ولذا فالخصائص التي يتميز بها البنك

الاسلامي تتمثل في :
* استبعاد التعامل بالفائدة ، حيث تشكل هذه الخاصية المعلم الرئيسي للبنك وبدونها يصبح البنك شيئا آخر غير كونه بنكا اسلاميا .
* توجيه الجهد نحو التنمية عن طريق الاستثمارات .
* ربط التنمية الاقتصادية بالتنمية الاجتماعية .
- أما من حيث المدخل للعمليات الرئيسية بالبنك الاسلامي . فقد قام الكاتب بتقسيمها إلى جانبين رئيسيين هما :-
أ) الموارد التي يقبسها البنك وتتمثل في إجمالي الموارد التي تأخذ صورة الودائع الادخارية والاستثمارية : ولكي لا يبهم على البعض أو يداخلهم سوء الفهم في القيام بهذه الخدمة في البنوك الربوية فقد بين الكاتب :
* أن البنك الربوي يسعى إلى غرض واحد هو الربح ، والربح فحسب ، أما البنك اللاربوي فتعنيه مصلحة المجتمع ومعه مصلحة كل الافراد الذين يمثلون هذا المجتمع ، وكلما اكتسب البنك عميلا جديدا فقد عمل على توسيع قاعدة المطبقين لتعاليم الاسلام والملتزمين بها . ولذا فحجم الوديعة لا يهم البنك اللاربوي وإنما يهمه جذب الأفراد ليسلكوا سلوكا ادخاريا بما يتفق والشريعة .
* البنك اللاربوي يستهدف غاية تختلف عن تلك التي يستهدفها البنك الربوي ، فهو يعمل على بصيرة ووعي على شد الناس من خلال تحقيق مصالحهم عن طريق الله ، والبنك الربوي يعمل ولا غاية له إلا الربح .
* البنك اللاربوي يرى في نفسه مؤسسة ، هي جزء من كل تنظيم اسلامي عام مهمته خدمة المجتمع الاسلامي بكل مفرداته .
ولذا فيترتب على سياسة البنك اللاربوي في قبول الودائع :
* ترشيد الانفاق ومحاربة الاسراف .
* اتباع تعاليم الدين وبذلك يمكن أن يمضي البنك في خطة التنمية بثقة واطمئنان .
* زيادة عدد الصالحين في المجتمع الاسلامي وبذلك يزيد المجتمع قوة ومنعة وقدرة على تحقيق اعظم معدلات للارباح .
* نمو الملكيات الفردية وتحقيق عمليات التوازن بين الفرد والسلطة .
ب) أما الاستخدامات فقد بينها الكاتب في :
* الاستثمار المباشر من قبل البنك .
* التمويل بالمشاركة ، ويعني مساهمة البنك في رأس مال المشروع الانتاجي مما يترتب عليه أن يصبح البنك شريكا في ملكية المشروع الانتاجي وشريكا في ادارته وتسعيره والاشراف عليه ، كذلك ما ينتج عنه من ربح أو خسارة .
وطالما أن الزكاة وظيفة اقتصادية إجتماعية بالدرجة الأولى ، وأن الفهم الصحيح لها ليس مجرد سد جوع الفقير أو إقالة عثرته بدريهمات ، وإنما هي وظيفة تمكن الفقير من إغناء نفسه بنفسه بحيث يكون له دخل ثابت يغنيه عن طلب المساعدة من غيره .

لذا يقوم البنك الاسلامي بجمع الزكاة وإنفاقها في مصارفها الشرعية وإدارة أموالها في البلاد التي لا يقوم فيها ولي الأمر بهذا العمل .
* قروض بدون فوائد في حالات معينة .
ـ وبالنسبة للنقطة الاخيرة ـ المنهج الاسلامي وحده .. هو الطريق ـ بين الكاتب أن تبنى منهجا مستوردا ثبت نجاحه هنا أو هناك يمكن أن يكون من أسباب تعويق خطواتنا في المنطقة الاسلامية وأن مشكلتنا تعود إلى :
١ ـ ما تركه الاستعمار من آثار ليست استعمارية عسكرية أو تـوطينية ، ولكنها آثار ثقافية أو فكرية بما يساعد على إهدار القيم الاصيلة والتراث والثقافة .
٢ ـ ما كان للغرب من حضارة بهرت أبصار أبناء المنطقـة دون فحص للأسباب الموضوعية التي أدت إليها ، بحيث استقر في الأذهان اللحاق بركب هذه الحضارة وذلك بالتقليد والمحاكاة بنفس الأساليب والوسائل والمناهج . مما أدى إلى عملية أسر فكري لجمع غفير من المثقفين والمتعلمين .
وتطرق الكاتب إلى الأسـاس الذي تكونت على أعمدته هذه الحضارة في أوربا متناولا آراء كثير من العلماء والمؤرخين أمثال أبي الحسن الندوي وما قاله إقبال عما آل إليه حـال المسيحية واليهودية ومدى تطبيقها للدين ومناهجه ، وانتقل إلى ما يتعلق بنظرية دارون المادية وما قاله ماركس عن أسلوب الانتاج ودوره في الحياة المادية وتحديده للعمليات الاجتماعية والسياسية والمعنوية .
وما استتبع ذلك من أفكار لفرويد وما تركته نظريته من آثار سيئة ، وخلص الكـاتب إلى نتيجة هـامة هي أن الحضارة الاوربية « شرقية وغربية » فرضت عليها الظروف الاختيار ما بين الدين أو العقل وقادتها الظـروف الموضوعية والتاريخية أن تختار العقل فحسب وتنصبه إلها يعبد واستبعدت الدين عن الحياة . ولا يصلح لنا في عالمنا الاسلامي الاستفادة من أسلوب طبق في هذه البيئة تطبيقا أعمى بلا دراسة أو تحليل ، وأن أمامنا طريقا واضح المعالم ، هو المنهج الاسلامي ، والبحث فيه عن النظم والبرامج التي تصلح للعالم الاسلامي الحالي ، فهذا هو الطريق الذي لا يصادم المشاعر الظاهرة أو الخفية للقاعدة العريضة من أهل هذه المنطقة ومن ثم فانه يكفل التفاعل الذي هو أساس النجاح .
وفي الباب الثاني « تجربة البنـوك الاسلامية في مصر » يعتبر هذا الجزء من أهم وأوضح ما كتب عن تجربة مصر في مجال البنوك اللاربوية ، فقد تعرض الكاتب لنقاط هامة تجيب على ما يجول بالخاطر حول هذه التجربة مثل :
* كيف نشأ التفكير فيها ؟
* كيف أمكن تطبيقها ؟
* الصعوبات التي واجهتها .
* كيف توقفت التجربة عن الاستمرار ولماذا ؟
* الآثار التي أسفرت عنهـا هذه التجربة .
ولذا فقد عرض الكاتب لثلاث نقاط

جوهرية هي :
١) المناخ العام الذي عاصر تطبيق التجربة .
٢) مراحل التجربة .
٣) مرحلة الانقضاض .
(١) المناخ العام الذي عاصر تطبيق التجربة : لقد كانت هناك عناصر كثيرة لها تأثيرها الكبير على التجربة وتتمثل في :ـ
١ ـ عدم تبلور الذاتية المصرية في المجال الفكري حيث كان الاعتماد على تبني الأفكار المستوردة إلى حد الايمان بها إيمانا يعطل القدرة على الابداع أو التغيير بما يوحي بالتبعية الفكرية آنذاك .
٢ ـ تواجد جيل من المثقفين الببغاوات أو ما يمكن تسميتهم « تجار شنطة » في المجال الفكري ، حيث كثر تواجد مثل هؤلاء للاسف الشديد بشكل مؤلم مرير لدى المنتمين للمجال الاقتصادي .. ولا يستطيع أن يسلم مخلص مستنير بأنه يمكن أن يصلح لمجتمعنا في يوم من الأيام أمثال هؤلاء .
٣ ـ الجمود والخوف من الإقدام على تغيير القوالب القديمة التي فتحنا أعيننا عليها في نظم الاجهزة والمؤسسات .
٤ ـ وجود استعداد رسمي واضح لمحاصرة الحركة الاسلامية والتضييق عليها وإعناتها واتجاه صريح نحو تبني أفكار أخرى لا تركز على معطيات الفكرة الدينية .
٥ ـ الشكلية والمظهرية والعمل على تلميع الواجهة في كل عمل أو مشروع دون أدنى اهتمام بالجوهر ..
٦ ـ مراكز القوى والشلل التابعة لها ، فقد كان ذلك هو الاتجاه الطبيعي لحكم الفرد الذي يعايشه اتباع وحملة مشاعل لتمهيد الطريق ليأخذ الاتجاه الفردي مجراه .
وقد أسفر كل ما تقدم ذكره عن ظاهرة شملت المجتمع كله ، تلك الظاهرة التمزق الذي نتج بالضرورة عن الصراع المحتدم بين سلوك يجد المواطن نفسه مجبرا عليه ، وسلوك آخر تتجه إليه فطرته السليمة بين حرص ـ لا يكاد يفقده مواطن ـ على بلده ومصالحها وبين ما يجده من المسئولين من واقع بعيد كل البعد عن أن يقود الوطن أو أن يصل به وبمصالحه الى المرفأ المنشود .
(٢) مراحل التجربة : وقد عرضها الكاتب كالتالي :
المرحلة الأولى : وفيها تناول الكاتب محاولة سرد دخول فكرة بنوك الادخار المحلية الى مصر ، وذلك في ظل المناخ العام الذي سبق ذكره ، أسوة بما لاقته هذه البنوك من نجاح في المانيا ، مبينا ما تعرض له سيادته من جمود فكري وروتين مميت عند مقابلة المسئولين وعرض الفكرة عليهم ، وذلك حتى بعد موافقة رئيس مؤسسات الادخار الالمانية على تكوين لجنة في أواخر يناير ١٩٦١ لزيارة مصر وبحث التعاون الادخاري لنقل مثل هذه النماذج إليها . وانتهى الكاتب إلى بيان الملامح الأساسية التي تميزت بها هذه المرحلة في :
* وجود الروتين المعطل للاعمال حتى

فيما يتعلق بالمصلحة العامة التي تتصل مباشرة بتنمية المجتمع وتطويره .

* لجوء الجانب الألماني إلى المراوغة والتطويل في بعض الأحيان عندما علموا أن نماذجهم لن تنقل إلى مصر كما هي ، وكان الأمر بالنسبة لهم كسبا دعائيا سياسيا .

* وجود فئة مصرية تعتبر أهلا للثقة والخبرة ، وما دونها يشك في وجود أي دوافع طيبة لديهم .

* عدم وجود سياسات ثابتة لتنمية المجتمع وارتباط السياسات الضرورية بالأشخاص شاغلة المناصب وليس العكس .

* حرص الأجهزة على احتكار العمل والخوف الشديد من أية صورة من صور المنافسة ومقاومة كل جديد .

* الحفاظ على الشكليات حتى وإن ضاعت معه كبريات المصالح العامة .

* تفشى ظاهرة هجرة الخبرة إلى خارج الوطن لعدم قدرتها على اداء دورها أو التأثير أو العطاء أو أن تصبح محل تقدير وثقة .

المرحلة الثانية : وفيها ناقش الكاتب ما يتصل بوضع الخطوات العملية لأول مصرف لاربوي متعرضا للآتي :

* ارسال العاملين الذين تم اختيارهم للعمل إلى المانيا من عدمه والأسباب الداعية والمحبذة لذلك والمحددات التي تقف حيال ذلك .

* إختيار المنطقة المناسبة لبدء العمل فيها والتي انتهى البت فيها باختيار محافظة الدقهلية واختيار مدينة ميت غمر من بين مدن المحافظة التسع .

* وضع النظام الذي تعمل التجربة من خلاله بدون سعر فائدة ودون الاخلال بالمبادىء الاقتصادية السليمة .

* الاختيار الفعلي لمدينة ميت غمر وبيان أهمية المدينة وخصائصها الاقتصادية والاجتماعية .

* بدء النشاط الفعلي للتجربة في ميت غمر تحت إسم مركز الادخار الذي تغير بعد ذلك إلى بنك الادخار المحلي وقد لاقت التجربة نجاحا كبيرا .

وقد خلص الكاتب إلى تحديد ملامح رئيسية للمرحلة الثانية التي تتلخص في :

* تعطش الشعب إلى أن يرتد إلى أصوله الروحية وتراثه ، فقد اندفع الناس إلى هذا النظام والتفوا حوله عندما علموا مدى إتصاله بعقيدتهم وتراثهم الاصيل .

* أن توفر الجانب العقدي لدى العاملين في هذا المجال لا بديل عنه .

المرحلة الثالثة : وبين فيها الكاتب ما يتصل بالغطاء القانوني للمشروع وبيان للصراعات التي دارت حول نظام العمل ، ولذا فقد تناول الحديث هنا :ـ

* صياغة قواعد العمل لاستكمال جوانب التجربة ووضع أركان نظامها موضع التطبيق العملي .

* ما يتعلق ببداية أعمال الاستثمار والمشاركة خاصة في ظل التعامل بدون فائدة آنذاك .

* ما قام د . ريدي ببحثه وكتابته عن التجربة ١٩٦٦ وما نشره تحت عنوان « المجتمع العربي في مرحلة التغيير » .

* التخبط الكبير الذي ساير المؤسسة المصرية العامة للادخار منذ نشأتها وإشرافها على بنوك الادخار المحلية وعدم الاستعداد للمشاركة الايجابية في تنمية أعمال هذه البنوك .
* إدماج المؤسسة المصرية العامة للادخار في المؤسسة المصرية العامة للتأمين لتشتمل المؤسسة الجديدة على قطاعين أحدهما للادخار والآخر للتأمين .

وبين الكاتب ملامح هذه المرحلة في النقاط التالية :
* تواجد فئة من أعداء الاسلام همها ألا تتوافر أسباب النجاح لهذه البنوك والوقوف عائقا دون تطبيق شرع الله ، ووقع بعض أبناء البلد تحت تأثير الاجانب بانبهار أو عن غفلة .
* وجود بطانة سيئة من الرجال تسوق المخلصين إلى البعد عن طريق الحق والصواب .
* روعة مبادىء الاسلام قد يدركها الغرباء عن هذا الدين أكثر مما يدركها أبناؤه ومعتنقوه .
* المسلم يجب أن يتحلى بالفطنة والمرونة ومواصلة الجد والعمل في سبيل الله وألا ينصرف قلبه أو همته عن الأخذ بكل الأسباب وترك الأمر لله .

المرحلة الرابعة : مرحلة التوسع ولقد تعرض الكاتب هنا إلى :
* طبيعة عمل المشروع حتى الآن وقيام بنك ميت غمر بالانشطة المصرفية على نهج الشريعة الاسلامية .
* كسب التجربة للتأييد الشعبي والعمل على استمرار ذلك والحفاظ عليه ، وذلك بكسب مواقع جديدة وإثراء الفكر النظري وتكوين كيان يمكن أن تشكل وحداته فيما بعد إتحادا يحمي هذه الوحدات ويدعمها .
* انشاء تجارب جديدة في مدن الدقهلية .

ووقف الكاتب على أهم ملامح هذه المرحلة وبينها في :-
* تبلور نظام مصرفي بشكل إسلامي بدرجة مناسبة في بنك ميت غمر ، ووضع نظام للعمل ووضوح المعالم والممارسة العملية ، قد ساعد في وضع كثير من التفاصيل .
* كان فهم المسئولين سطحيا لفكرة البنك الذي يعمل بدون فائدة ، بحيث انحصر فكرهم لتلك البنوك على أنها فكرة جديدة تحقق نجاحا في تجميع المدخرات وجذب الناس ، بحيث تمنى أكثرهم تكرار هذه الفكرة على أوسع نطاق ممكن .
* لم يصل مجتمعنا بعد إلى إمكان فصل الهوى عن المصلحة العامة أو فصل المصلحة الخاصة على تقرير الذات وبين ما يحقق مصالح الناس والبلاد .
* التمسك بالمركزية بحيث أدت في كثير من الحالات إلى إخماد أي مبادأة وتجميدها وعجز كثير من الأفراد عن التخلي عنها .

(٣) مرحلة الانقضاض لاحتواء البنوك : في غياب الديمقراطية نجد

وفرة شديدة في عدد المنافقين وتفننا في أساليب النفاق ، وغياب أهل الخبرة واتساع قاعدة المضللين ، ولقد تناول الكاتب هنا ما يتعلق بمرحلة محاربة هذه البنوك صراحة وما يتصل بمراكز القوى حينئذ ودورها الكبير في الاجهاز على المشروع .

ثم انتقل الكاتب الى وضع بنوك الادخار المحلية بعد ذلك لتكون تحت إدارة البنوك الربوية ، بحيث أصبح الهدف الذي يعمل من أجله ، تغيير نظام مشروع بنوك الادخار من نظام إسلامي إلى نظام ربوي .

ويخلص الكاتب إلى الخسائر والانحرافات والتصرفات الأخرى ، التي لحقت بنوك الادخار ، المستمرة من البيانات المقدمة من إدارة الرقابة على البنوك بالبنك المركزي ، ولم تكن الادارة مسئولة منذ ٦٣ وحتى منتصف ١٩٦٧ ولكن المسئول عنها :

* عدم اعطاء الفرصة لبنوك الادخار ومشروعاتها الاستثمارية في نهاية مراحل البداية وتحطيم الخبرات وثقة المتعاملين معها .
* سوء إختيار المشرفين على البنوك منذ منتصف ١٩٦٧ بعد عزل المدير الأول بها .
* عزل الكفايات التي اكتسبت الخبرة في إدارة البنوك منذ « ٦٣ ـ ٦٧ » واعتبار معظمهم عمالة زائدة بالرغم من تخصص بعضهم .
* عدم استقرار الكيان القانوني الذي يحمي هذه التجربة من تعدد جهات الاشراف .
* عدم التزام الحيدة والأمانة في عرض المشاكل ، ونواحي القصور التي تصاحب التجارب الوليدة عادة ، لوضع الأسس السليمة للعلاج في هذا المشروع الحيوي .

وفي الباب الثالث « البنوك الاسلامية خارج مصر ووظائف البنك الاسلامي »

(أ) البنوك الاسلامية خارج مصر ، ألمح الكاتب هنا إلى بعض صور البنوك الاسلامية خارج مصر مثل :

١ ـ البنك الاسلامي للتنمية : فقيام هذا البنك يعتبر أحد آمال الأمة الاسلامية في المجال الاقتصادي ، ويرجع التفكير في هذا البنك إلى الاقتراحين اللذين قدمهما وفدا مصر وباكستان في مؤتمر وزراء الخارجية الاسلامي الثاني ١٩٧٠ ، وبين الكاتب ما تعرض له البنك من صعوبات ومناورات في أول الأمر ، وناقش الصورة الرئيسية لعمل البنك والخدمات التي يمكن أن يقوم بتقديمها .

٢ ـ بنك دبي الاسلامي ـ ١٩٧٥ ، والذي نص في مصدره التشريعي على التزام الشركة بصفة أساسية والقيام بجميع الأعمال طبقا لأحكام الشريعة الاسلامية أخذا وعطاء ، ولا تخرج الاغراض الأساسية للبنك عن أغراض نظائره من البنوك الاسلامية المحلية ، ويقوم بجميع الخدمات والعمليات المصرفية لحسابه أو

حساب الغير ، ويقوم بأعمال الاستثمار المباشر أو بشراء أو تمويل المشروعات .

٣ - بنك الادخار السوداني : الذي بدأ التفكير فيه عام ١٩٦٨ على غرار بنوك الادخار المصرية ، وقد قابله كثير من المشكلات عند صياغة اللوائح والنظم الداخلية ، حيث تعذر النص صراحة على التزامه بالشريعة الاسلامية وخلو معاملاته من المحظورات الشرعية ، وقد افتتح البنك عام ١٩٧٥ تقريبا ويسير على نمط بنوك الادخار الايطالية التي نجحت في الاشتراك مع الجانب السوداني في إعداد لوائح ونظم العمل .

٤ - بنك فيصل الاسلامي : بين الكاتب الدور الكبير الذي يقوم به سمو الأمير محمد الفيصل آل سعود واهتمامه بفكرة البنوك الاسلامية المحلية ، وتم الاتفاق حينئذ مع حكومة مصر والسودان على إنشاء فروع بها لبنك الفيصل الاسلامي ، ورأس سمو الأمير مجموعة من الخبراء لتقوم باعداد دليل للعمل في البنوك الاسلامية ليشمل على تفاصيل التنظيم المحاسبي والاداري والفني والتنظيمي للبنوك الاسلامية .

(ب) مناقشة عملية لشرعية الوظائف التي يقوم بها البنك الاسلامي المحلي :

بين الكاتب في أول الفصل الاركان التي يستند إليها البنك الاسلامي في عمله وهي :

* تقرير العمل كمصدر للكسب بديلا عن إعتبار المال مصدرا وحيدا للكسب .
* تقرير مبدأ المشاركة في الغنم والغرم .
* تصحيح وظيفة رأس المال في المجتمع كخادم للمصلحة وليس سيدا .

ثم بين الكاتب الاعمال التي يقوم بها البنك الاسلامي ممثلة في :

١ - قبول الودائع
- تحت الطلب
- الادخارية
- لأجل

٢ - القروض والسلفيات
٣ - الشيكات
٤ - تحصيل الكمبيالات
٥ - الاعتمادات المستندية
٦ - خطابات الضمان
٧ - التمويل مقابل كمبيالات
٨ - حفظ الأوراق المالية
٩ - عمليات الاكتتاب
١٠ - التحويلات
١١ - بيع وشراء العملات الاجنبية
١٢ - القروض لاغراض استهلاكية .

وناقش الكاتب بعد ذلك إحتمالات إحجام العملاء والرد على ذلك بالحديث عن ضمان الوديعة ثم العائد والربح وذلك بالحديث عن كيفية حساب الارباح في حالة المشاركة وتحديد أنصبة المستثمرين من الربح .

لماذا خلق الله الناس؟

اغتنموا حياتكم قبل موتكم

جاءنا من مجلس المنظمات والجمعيات الاسلاميةبـالاردن ـ هذه الكلمة .. ننشرها تعميما للفائدة :ـ

قال الله تعالى : (**وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون**)

ومعرفة الله وعبادته أشرف الأعمال وأعظمها قدرا وأجلها شأنا فما بال هؤلاء الناس انصرفوا إلى الشؤون الحقيرة والمتع الزائلة والشهوات الفانية ، وعصوا الله وأطاعوا عدوهم الشيطان ؟ ألا يؤمنون باليوم الآخر ؟ ألا يصدقون بيوم الحساب والعقاب ؟

إن الله تعالى يقول : (**يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون**) . والذكر هنا الصلاة . فالله تعالى قد حكم بالخسران على من الهاه ماله وولده عن الصلاة الموقوتة . ويقول : (**إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا**) أي فريضة تؤدى في أوقاتها .

جريمة تارك الصلاة

قال الامام العلامة ابن قيم الجوزية (لا يختلف المسلمون أن ترك الصلاة المفروضة عمدا من أعظم الذنوب وأكبر الكبائر ، وأن أثم تارك الصلاة عند الله أعظم من إثم قتل النفس وأخذ الاموال ، ومن إثم الزنا والسرقة وشرب الخمر ، وإنه متعرض لعقوبة الله وسخطه وخزيه في الدنيا والآخرة) .

وقد افتى مالك بن أنس ، ومحمد بن إدريس الشافعي ، وأحمد بن حنبل وأصحابهم بأن تارك الصلاة يقتل . وأفتى سعيد بن المسيب وعمر بن عبد العزيز وأبو حنيفة بأنه يحبس حتى يموت أو يتوب .

ـ من ترك الصلاة فقد كفر ـ

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (بين الرجل وبين الكفر ترك

الصلاة) . وقال : (العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر) . وقال : (لا تشركوا بالله شيئا ولا تتركوا الصلاة عمدا فمن تركها عمداً متعمدا فقد خرج من الملة) .

وقال (من ترك صلاة مكتوبة متعمدا فقد برئت منه ذمة الله) فمن يرضى لنفسه أن يكون كافرا . وخارجا عن ملة الاسلام ؟

الصلاة أول ما يسأل عنها العبد

جاء في الحديث (لاحَظَّ في الاسلام لمن ترك الصلاة) فكل مستخف بالصلاة مستهين بها فهو مستخف بالاسلام مستهين به ، وإنما حظك من الاسلام على قدر حظك في الصلاة ورغبتك في الاسلام على قدر رغبتك في الصلاة جاء في الحديث الشريف (الصلاة عمود الاسلام) .

وجاء في الحديث : (أول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة عن صلاته ، فان تقبلت تقبل منه سائر عمله ، وإن ردت صلاته رد سائر عمله) . هذا في شأن من يصلي ولكن صلاته سيئة فكيف بمن لا يصلي إطلاقا ؟

والصلاة أول فريضة فرضها الله على المسلمين وهي آخر ما أوصى به النبي صلى الله عليه وسلم أمته وهو على فراش الموت فقال : (الصلاة الصلاة) والصلاة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (آخر وصية كل نبي لأمته وآخر عهده إليهم عند خروجه من الدنيا) فكيف تنكر الوصية وتخون العهد يا تارك الصلاة .

- جزاء تارك الصلاة في جماعة -

وقد هدد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين لا يشهدون الصلاة في جماعة بحرق منازلهم عليهم فقال : (لقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام ثم أخالف إلى قوم في منازلهم لا يشهدون الصلاة في جماعة فاحرقها عليهم) فكيف إذن حال الذين لا يؤدون الصلاة لا في البيوت ولا في المساجد ؟

- ويل لمؤخر الصلاة عن وقتها -

قال تعالى : (**فويل للمصلين . الذين هم عن صلاتهم ساهون**) وقد سئل الرسول صلى الله عليه وسلم عن الذين هم عن صلاتهم ساهون فقال : (هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها) . فكيف حال من لا يصلي ؟ يا هذا لم يفت الأوان ما دمت حيا وباب التوبة مفتوح ، فتدارك نفسك وأبدأ فورا قبل أن يدركك المرض أو الموت وعندئذ لا ينفع الندم .

ـ صلاة العصر ـ

جاء في الحديث الشريف (الذي تفوته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله) أي فكأنما فقد أهله وماله فأصبح بلا أهل ولا مال . هذا لمن ترك صلاة العصر مرة واحدة فكيف شأن الذي لا يصلي إطلاقا لا عصرا ولا غيره ؟

ذلك هو الخسران المبين ، وسوف تظهر له الحقائق بعد الموت فيطلب من الله العودة إلى الدنيا ليعبد الله ويكون من الصالحين ، ولكن هيهات . لا رجوع .

فكيف يصبر على عذاب النار ؟

أيها المسلم :

أنت تعمل ليلا ونهارا لتحوز لنفسك ولأولادك عيشا هنيئا وحياة رغدة طيلة بقائك في الدنيا وهو سنين محدودة يعقبها الموت فلماذا لا تجد وتجتهد لتؤمن لنفسك ولأولادك أمنا وسلاما وحياة سعيدة في الآخرة دائمة أبدية لا انقضاء لها ولا نهاية ؟ أيهما أولى بالسعي والعمل المتواصل الدنيا الفانية أم الحياة الأبدية ؟ والرسول صلى الله عليه وسلم يقول (والذي نفس محمد بيده ما بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار) فاختر لنفسك !

ـ ظن قاتل واعتقاد باطل ـ

فريق من المسلمين يزعمون أنهم مستقيمون في أخلاقهم ، لا يكذبون ، ولا يخدعون ولا يؤذون الناس ، ولا يسرقون ولا يخونون وأنهم يفعلون الخير ويخدمون الناس ويعدلون في أقوالهم وأعمالهم فيتسرب إليهم الوهم الخادع بأنهم وقد توافرت فيهم هذه الآداب ليسوا في حاجة إلى الصلاة ، وأن تلك المزايا أثقل في الميزان من الركوع والسجود . ذلك ظن قاتل واعتقاد باطل وجريمة ذات شقين أحدهما أنه يزكي نفسه ، وأنه معجب بها ، والآخر انه يرفع مقامه فوق مقام الأنبياء والرسل . فلو كانت الأخلاق الحميدة تغني عن الصلاة لما فرضها الله على الانبياء والرسل ولأعفاهم منها . كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بالليل صلاة تطوع حتى تتورم قدماه ، فتسأله ام المؤمنين عائشة لماذا يفعل ذلك وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فيقول : أفلا أكون عبدا شكورا ؟

إن أعرف الناس بالله هم اكثرهم له خشية ، وكان رسول الله أكثر الناس خشية لله فكان أعبدهم لله . وأجهل الناس بالله هم الذين يلهون ويلعبون ويتمنون الأماني الكاذبة ، ويخادعون أنفسهم ويقنعون بالباطل ويحسبون أنهم مهتدون ، ويحسبون أنهم يحسنون صنعا ، وبعد الموت ستنكشف لهم الأمور .



رؤية الله سبحانه

تلقى بريد الوعي هذه الرسالة من الاخت الفاضلة/ ماجدة فوزي احمد العليمي .. تقول إنه دار نقاش بينها وبين أحد أقربائها .. حيث قال :

أنا لا أخشى دخول النار .. لان الله سبحانه وتعالى هو الذي خلقني .. وهو سبحانه يتصرف في كيف يشاء . ولا راد لقضائه .. ولا معقب لحكمه ..

كما أنني لا أفرح بدخول الجنة . لأن هناك ما هو أحلى وأجمل من الجنة ونعيمها ..

إن كل ما أتمناه هو رؤية الاله العظيم . الذي خلق فسوى . وقدر فهدى . الاله الواحد . الفرد . الذي أبدع كل هذا الكون . وسيره بمفرده من مشرقه لمغربه .

هذه هي المتعة الكبرى . عندما أعيش في نشوة محياه .

قلت له :

ولكن العلم الحديث أثبت أن النور لا يرى وترى به الاشياء .. والله سبحانه أخبرنا بأنه « نور السموات والأرض »..

فرد قائلا :

هذا في الدنيا ـ ونعتقد أن هناك في الآخرة غيبيات يجب أن نؤمن بها دون أن نراها . وهذه أعلى مراتب الايمان . لأن هذا معناه التصديق بما أخبرنا به الله على لسان رسوله الكريم صلوات الله وسلامه عليه . والتصديق إذا تمكن بالقلب . وتشبعت به الروح وصل إلى درجة عين اليقين .

في الدنيا نعتقد اعتقادا جازما أن الله سبحانه وتعالى « **ليس كمثله شيء** » ولهذا فقد حذرنا من البحث في ذاته جل شأنه .

أما في الآخرة فطلاقة القدرة لا حدود لها . فالله سبحانه وتعالى في قدرته أن يعطني من القدرة ما يجعلني أتمتع بمحياه »..

وهنا نمسك عن الكلام ..

فما رأي سيادتكم هل حقا سيتحقق **هذا** الأمل . ونرى الله ؟

في انتظار ردكم .. وشكرا .

المحرر : ونقول للاخت الفاضلة مستعينين بالله سبحانه :ـ

يظل المؤمن في الحياة الدنيا يعيش بين الخوف والرجاء .. الخوف من عذاب الله .. فإن الله سبحانه لو

آخذ الناس بما كسبوا ما ترك على ظهر الارض أحدا من البشر ، فكلنا يخطىء .. فالانسان خطاء .. وخير الخطائين التوابون .. من هنا فإن المسلم يخشى عذاب الله .. معتقدا أن من يزحزح عن النار في الآخرة فقد فاز .. هذا هو جانب الخوف بسبب ما نرتكب من ذنوب .. وعندما نضع في اعتبارنا رحمة الله التي وسعت كل شيء ، وأنه كتبها لعباده الذين يخشونه ويتقونه ، وعندما نتذكر أن الله سبحانه لا يغفر أن يشرك به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء .. فإننا نعيش في دائرة الرجاء والأمل .. نرجو رحمة الله ولطفه ، وعفوه وصفحه ، ونأمل في رضوانه ودخول جنته .. فالله سبحانه واسع الفضل .. ويقبل التوبة من عباده ويعفو عن السيئات . وغاية المنى أن ينجينا الله من النار ، ويدخلنا الجنة فننعم بالنعيم الدائم .. وكيف لا نفرح بذلك !! أما رؤيـة الله في الآخرة .. فذاك هو الفضل العظيم منه سبحانه ، وهي غاية السعادة للمؤمنين .. ورؤية الله تعالى في الآخرة ممكنة للمؤمنين .. بدليل قوله تعالى عن الذين يكذبون بيوم الدين : « كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون » فإنه سبحانه لما حجب الكافرين عن رؤيته في الآخرة دل على أنه سبحانه سوف يتجلى لعباده المؤمنين ـ وكما قال الرسول الكريم : « إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر ».. وأيضا قوله تعالى : « وجوه يومئذ ناضرة . إلى ربها ناظرة » ومعنى هذا أن المؤمنين سوف يرون الله سبحانه بأعينهم .. ولكن بلا حدود .. ولا تشبيه .. فالله سبحانه فوق الحد ، وفوق الوصف ، وليس كمثله شيء .. وهذا هو ما ندين به .. والله أعلم .

خشية الله ..

الأخ / ممدوح عدلي ابو هميلة .. من مصر .. يسأل عن معنى قوله تعالى : « **إنما يخشى اللهَ من عبادِهِ العلماءُ** »

ونقول باختصار .. إن الآيات في سورة فاطر (رقم ٢٧ و٢٨) تدعو الى النظر والتأمل في مخلوقات الله ، ومظاهر قدرته ، ليرى الانسان آثار قدرة الله فيزداد علما بعظمة الله الخالق ومعرفة بأسرار أودعها الله في سمائه وأرضه ، في الناس والدواب والأنعام ، وكلما ازداد علماً ازداد خشية من الله تعالى ، وتعظيما له ، فالذين يخشون الله حق خشيته هم العلماء .. لأنهم يدركون عن علم أن المخلوقات كُلَّها من صنع الله القادر ، فتبارك الله أحسن الخالقين .



القدوة والمثل الأعلى

تحت هذا العنوان كتب الصديق الاستاذ / علال البوزيدي ـ المغرب الشقيق يقول :

اذا كان الله جلت قدرته قد خلق الانسان في أحسن تقويم وميزه عن باقي المخلوقات بجميل الصفات :

خلقة وعلما ، وإرادة ومكانة : وملكة وعقلا ، وإدراكا واستعدادا أخلاقيا ، فإن هذا الانسان الذي استحق هذا التكريم الرباني **ولقد كرمنا بني آدم ، واستحق خلافة الله** في الأرض ، لم يكن ذلك عبثا ، بل لغاية وللقيام برسالة وتحمل أمانة في هذا الوجود . ولذلك فلا بد لهذا الانسان من توجيه ، ومن قيادة وقدوة ومثل أعلى ، وهذه الصفات لا تجتمع في عامة البشر ، ولكنها صفات خص الله بها الرسل والأنبياء عليهم السلام .

وإذا نحن بحثنا جوانب من السيرة النبوية ودرسنا بعمق وإمعان الأدب النبوي نجد تجليات ذلك بارزة وواضحة في شخصية نبينا محمد صلى الله عليه وسلم . فقد توافرت فيه صفات :

الصدق ، والالتزام ، والتبليغ ، والعقل السليم .

ونصت كتب السيرة بالاضافة إلى ذلك على التكوين الجسمي للرسول عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام ، فأبرع الواصفون في وصف كمالاته الخلقية وصفاته المثالية الفريدة .

وفي هذا المقام الوصفي للرسول الكريم يقول عبد الله بن رواحة :

لو لم تكن فيه آيات مبينة .

لكان منظره ينبيك بالخبر

وقد دارت كتابات الكتاب الذين اهتموا بالسيرة المحمدية على أنه يمثل عليه الصلاة والسلام القدوة والمثل الأعلى للبشر في مختلف جوانب الحياة لأنه كان في كل جانب في القمة العليا من الكمال والتوفيق ، والتنصيص على هذه الانفرادية تؤكده البشارات كما تؤكده استطاعته عليه الصلاة والسلام الاستمرار بدعوته تبليغا وإقناعا ، وكذا إستيعابه لأسس دعوته نظريا وعمليا ، وتمسكه بها وثقته بانتصارها في وقت كانت البشرية فيه تعيش في ظلمات الجهل والجور والطغيان ونحن نعرف مدى المصاعب الكثيرة التي واجهها في سبيل القيام بنشر دعوة ورسالة الاسلام بين الأنام .

وكانت الدعوة المحمدية عقيدية سياسية وكانت بالتالي وبشهادة التاريخ دعوة ناجحة لم تشاهد مثلها أية أمة من الأمم الأرضية ، ولذلك جاء في حق الأمة الاسلامية : « **كنتم خير أمة أخرجت للناس** » لكونها تأمر بالمعروف ، وتنهى عن المنكر ، وتؤمن بالله . وأمة خصها الله بهذا التكريم لا بد وأن لها قيادة حكيمة ، وبالفعل فإن الحكمة القيادية كانت متوفرة في الرسول عليه الصلاة والسلام ، وتجليات ذلك واضحة في سياسته الموفقة في كل مجالات الحياة وكذا في الكيفية الخارقة التي كان صلى الله عليه وسلم يحل بها المشاكل الخطيرة المعقدة التي كانت تنشأ من حين لآخر ، وما أكثر المشاكل في مجتمعات الجهالة والكفر والشرك بالله ، إلا أن صمود الرسول وتجلده وصبره على طيش وغطرسة المشركين الضالين وطد عزيمته وبلغ به حدا لا مثيل له في تاريخ البشرية من الايمان الراسخ ، والعزم القوي ، وهذه البوادر ظهرت فيه عليه الصلاة والسلام قبل البعثة المحمدية وتضاعفت بعد البعثة ، ولذلك كانت كل خطواته في الحياة موفقة .

الشيء الذي لم يسبق لبشر أن ارتقى إلى مكانته لا في الصفات ولا في السلوك ولا في القيادة والحكمة وبعد النظر كانت استمرارية مسيرة الدعوة المحمدية تعتمد منطلقات فذة لا يديرها إلا عقل عظيم وفكر ثاقب ، وهذه الاستمرارية تواصلت من بداية الدعوة حتى تحقيق النصر ، ثم تواصلت لتطبيق ما كانت تهدف إليه الدعوة وبدأ العهد النبوي المشرق ،

وانطلقت الدولة الاسلامية على أساس إحكام البناء حتى يكون قادرا على الصمود والاستمرار في المستقبل ، ثم وضع أسس النمو والتطور وتحصين الدعوة الاسلامية وتعزيزها بما يكفل لها السير نحو الغد المشرق عبر الأجيال والعصور .

فتميزت مسيرة الأمة الاسلامية في صدر الاسلام بخصائص القدوة المحمدية وتحركت لبناء أمجاد الاسلام ، وهنا برزت الشخصية القيادية العسكرية للرسول فكانت

الفتوحات الاسلامية ، وتواصلت انتصارات الدين الحنيف بقيادة صاحب الرسالة وناشر الدعوة الاسلامية محمد عليه أفضل صلوات الله وسلامه .

وهكذا فإن خصائص القدوة والمثل الأعلى كثيرة جدا فهو رسول الله صادق أمين ، قام بتبليغ دعوة الله حقا وصدقا ، وهو أعقل البشر ، وهو المعلم الأول ، وهو أكمل الخلق في ممارساته ومسؤولياته الأبوية والزوجية والأخلاقية والقيادية ولذلك قال في حقه الله عز وجل : « **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** ، **فهو** صلى الله عليه وسلم بعث للانسانية جمعاء فأخرج الناس من ظلمات الشرك بالله إلى نور الايمان ، وشرع للبشرية بإذن الله ما يصلح أحوال البشر في مجالات الحياة العقيدية والعبادية والاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية والسياسية ، ومجمل القول أن محمدا رسول الله القدوة والمثل الأعلى للانسانية .

الشعر ونظرة الاسلام إليه

تحت هذا العنوان كتب الاخ /رياض عبدالكريم محمد ـ من مصر ـ يقول :

الشعر طبيعة في الانسان ، وهو فن من الفنون الانسانية الجميلة وليس هناك أمة من الامم أو جماعة من الجماعات لم يكن الشعر أداة من أدوات التعبير الجارية على لسانها ، كأن الشعر إدام حياتها في هذه الحياة القاسية المجدبة التي كانت تعيش فيها قبل الاسلام واذا كان الشعر على تلك الصفة في حياة الناس ، وفي حياة العرب بخاصة فان الاسلام بسماحته وانسانيته لا يمكن أن يقيم حظرا على هذا المتنفس الذي تنطلق منه مشاعر الناس وكان هدف الاسلام هو تخليص هذا الفن الجميل مما دخل عليه من تلك الألوان الصارخة من الفحش والهذر واللغو ، حتى تصفو موارده ، ويكون للكلمة الصادقة فيه وزنها وقدرها في تربية النفوس وتقويم الأخلاق اذ كان للثوب الذي تلبسه الكلمة في القالب الشعري تأثير عظيم في كشف مضمونها وتجسيد مستواها حتى لتكاد تتمثل كائنا حيا يعيش في وجدان السامع ويتحرك في كيانه ومن هنا كان موقف الاسلام من الشعر قائما على تقديره له ووزن خطره وأثره في النفوس وسلطانه على القلوب والعقول ، فاذا لم يقم على هذا الفن

حارس من خلق أو دين .. كان قوة من قوى الشر المدمرة التي تأتي على كل صالحة في المجتمع الذي تتحرك فيه شياطين هذا الفن ، ومن هنا نجد شاعرا من أصحاب النفوس الكبيرة كالمتنبي مثلا تحمله نفسه الكبيرة على أن يقف موقف الند مع ممدوحه سيف الدولة أمير الدولة الحمداني ولا يرضى أن يكون حاشية من حواشيه حتى اذا التقى بكافور صاحب مصر نظر اليه من سماء عالية فلم يستطيع أن يكتم ما بنفسه من مشاعر التقدير لذاته والاحقار لكافور فيظهر ذلك في كل شعر قال فيه ، فان المتنبي أبى عليه صدق نفسه أن يلتزم الشعر العربي من مطالع الغزل في كل قصيدة مدحا كانت أو ذما أو رثاء فصرخ من أعماقه تلك الصرخه المدوية التي رمى بها في وجه هذا الغزل المصطنع وقال :

اذا كان مدح فالنسيب المقدم ؟

أكل فصيح قال شعرا متيم

نقول هذا لنصحح هذا الخطأ الذي وقع فيه كثير من الدارسين للأدب العربي الذي نسبوا الي الدعوة الاسلامية أنها أصابت الشعر العربي الصميم في حياته وأنها دمغت الشعراء بهذا الوصف الذي يخرجهم من دائرة الاسلام وينأى بهم بعيدا عن المثل الفاضلة التي يتمثلها الاسلام في أهله أليس القرآن الكريم يقول في الشعراء : « والشعراء يتبعهم الغاوون . ألم تر أنهم في كل واد يهيمون . وأنهم يقولون ما لا يفعلون » .

فأي مسلم حريص على سلامة دينه يرضى لنفسه أن يكون من زمرة الشعراء ؟ وعلى هذا فقد حبس كثير من المسلمين في صدر الاسلام ملكة الشعر التي كانت تغرد الشعر في صدورهم ، من كان منهم شاعرا في الجاهلية أمسك عن قول الشعر في الاسلام والشعر العربي هو مجلي اللغة العربية ، ومظهر بيانها ، و شاهد بلاغتها ، فكيف يجيئون ليقتلوا هذا الشاهد الوحيد الذي ينطق باعجازه ، فاذا مات هذا الشعر العربي أو اختفى من الميدان فمن أين يعرف للقرآن الكريم مكانته ومن أين يؤخذ الدليل على مواقع الاعجاز فيه .

ان المنهى عنه في الشعر هو الشعر القبيح ، فشأن الشعر هو شأن الكلام عامة ، حسنه حسن ، وقبيحة قبيح ، فاذا كان الشعر سامي الهدف شريف القصد ، يدافع عن الحق ، وينتصر للايمان ، فهو سلاح مشروع ، ولذا نرى ختام السورة الكريمة.. « الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون » .

هذا ولقد سجل التاريخ الاسلامي للصحابة رضوان الله عليهم مواقف من الشعر تدل على تقديرهم له ، وحرصهم عليه .

○ سراب السلام

لم تدم طويلا تهويمة التفاؤل بما يدعى السلام والاستقرار في منطقة الشرق الأوسط ، وسرعان ما عادت الأمور إلى ما كانت عليه ، ولكن في صور جديدة تمليها الأوضاع التي نشأت عن الغزو الصهيوني الأخير للبنان . إن خيبة الأمل تبدو واضحة في كثير من الصحف العربية ، بعد أن أظهرت هذه الصحف اهتماما كبيرا بالمساعي الدبلوماسية ، والتحركات السياسية ، والمبادرات السلمية ، بيد أن ذلك كله كان يتلاشى هباء حين يصطدم بالحقيقة العنيدة القاسية : أن لاسلام الا على حساب الضعيف حين تفرض القوة الغاشمة على الجميع منطقا خاصا بها ، وان من طبائع الاشياء في هذا العالم أن تبدأ الحلول السياسية دائما من حيث انتهت طلقات البنادق ، وأن البنادق الخرساء لا تجد في ميدان الحوار السياسي من يجيد التعبير عنها . وهكذا تغدو حمى المبادرات في رأي كثير من الأقلام في الصحافة العربية عملية تخدير محض :

حول هذا الموضوع نشرت « الوطن » في ٢١ من المحرم مقالا جاء فيه :

سكت الجميع .. واصبحوا في حالة استرخاء بعد ان انتقلوا الى عالم الخيال والأوهام .

« الرئيس الاميركي ريغان » اصدر مبادرته « ليخدر » بها « اصحاب القرار العربي » . وهؤلاء بدورهم اصدروا « مبادرتهم » لتخدير « الرأي العام العربي » !!

والاعتداءات التي حدثت مازالت موجودة . فاسرائيل مازالت موجودة في بيروت وكل جنوب لبنان .. وباقي الأراضي العربية القدس والضفة وغزة والجولان لا احد يتحدث عنها .. حتى المجزرة الشهيرة اصاب الاسترخاء ردود الفعل ازاءها وتم للجميع دفن « القتيل » واداة الجريمة وانتهى كل شيء .

ثم يزداد « اخراج » الموقف « حبكة » بالقيام ببعض الزيارات الغامضة ، او بعقد بعض الاجتماعات التي لم تسفر طوال عمرها عن شيء ، او بالقاء تصريح هناك يختلف على تفسيره هنا ، ثم تعديل للتصريح ليرضى عنه البعض ويرفضه البعض الاخر ، ثم اذا احس الرأي العام بالقلق - اي وبالاصطلاح الفني بدأ يسترجع وعيه - تختلق قضايا داخلية او خارجية لتنقله بعيدا عن مركز المشاكل واسبابها !!

البلد الوحيد الذي يعمل - سواء بطريقة صحيحة او مدمرة - هو اسرائيل تختلق المواقف الجديدة حتى تبتلع المكاسب القديمة وحينما تضم « القديم » تختلق مواقف جديدة اخرى حتى تضم « القديم » الذي كان « جديدا » من فترة قصيرة او طويلة حسب المواقف والضغوط !!

إن حالة الاسترخاء والتحركات الدبلوماسية الخائبة يقابلها في الجانب الآخر المعادي سعي تنفيذي حثيث لاستخلاص أقصى ما تتيحه من مكاسب نتائج الغزو الصهيوني الأخير، ولمنع الدبلوماسية الخائبة من أن تحصّل ولو حدا أدنى من الحقوق الضائعة. فاليهود وأعوانهم يجهدون الآن لشراء أكبر قدر ممكن من مساحات الأراضي في الضفة الغربية وقطاع غزة:

حول هذا الموضوع نشرت «الوطن» في ٨ صفر مقالا، تعليقا على خبر، جاء فيه:

كيسنجر يقود الآن حملة في الدول الأوروبية الغربية، وخاصة في بريطانيا وفرنسا، بهدف اقامة وكالة «سرية» مهمتها شراء اكبر عدد ممكن من مساحات الأراضي في الضفة الغربية وقطاع غزة من اصحابها العرب، بهدف منع قيام الدولة الفلسطينية، وقبل نضوج الظروف الدولية والموضوعية لاقامة هذه الدولة.

واغلب الظن ان كيسنجر اليهودي اصلا، لم يبادر الى قيادة هذه الحملة «الشرائية» الا بعد تلقيه الضوء الأخضر من واشنطن، والأمر بالعمل والتنفيذ من تل ابيب.

والحركة الكيسنجرية الجديدة اليوم، هي في الواقع بعث لئيم لتحركات وحركات الوكالة اليهودية وحاضنتها البريطانية منذ العام ١٩١٨ حتى العام ١٩٤٨.. واية ذلك ان وزير الخارجية الاميركي الاسبق، اسرع فركز خلال زيارته الاخيرة لبريطانيا، على بحث هذا الموضوع مع كبار رجال المال اليهود والمؤيدين للصهيونية، وزاد فتعهد لهم بدعم مالي ملحوظ من مصادر اميركية و«شرق اوسطية» لم تحدد طبيعتها، لتوفير ارصدة مالية ضخمة والشروع في شراء اراضي الضفة الغربية والقطاع عبر شركات ومؤسسات، بادارة اسرائيلية صهيونية، لاقتطاعها سلفا من كيان الدولة الفلسطينية التي يقال انها «نضجت» او هي على وشك النضوج.

○ المسلمون: بين الذبح والتهجير

أما أوضاع المسلمين في سائر بقاع العالم الاسلامي فلم تنل ما يضارع خطورتها من اهتمام الاعلام العربي والعالمي. فقد استبدت الزوابع السياسية والعسكرية في منطقة الشرق الأوسط بمعظم وسائل الاعلام، حتى لقد مرت الأحداث الدموية التي تقع في نيجيريا مثلا أو في الهند دون أن يحفل بها الكثيرون.

١ ـ الذبح

ففي خلال شهر المحرم قتل أكثر من (٣٠٠) شخص في اشتباكات بمدينة مايدوغري، ولم تهتم وسائل الاعلام بعرض التفاصيل، بل اكتفت بوصف الاشتباكات أنها طائفية. بيد أن نيجيريا بلد فيه أكثر من (٧٠) مليون مسلم، وهي كذلك من أغنى بلدان افريقية وأقواها، وإذا أضفنا إلى ذلك أنها بلد منتج للنفط، وأنها كذلك أهم سوق للصادرات البريطانية خارج أوربا.. كان من العسير علينا أن نغفل عن الأبعاد السياسية والاقتصادية المحرضة لهذه الأحداث التي يدفع فيها المسلمون دائما ثمنا باهظا من دمائهم وإمكاناتهم. فنيجيريا لم تبرأ بعد من العلل

والأمراض التي زرعها فيها المستعمر قبل أن يغادرها اسميا ، مثلها في ذلك مثل معظم بلدان المسلمين . ولعل بعض الصورة يتضح من دراسة نشرتها القبس عن نيجيريا في ٢٦ من المحرم جاء في الدراسة :

ان المسلمين في نيجيريا يتخطفهم العدو من كل مكان وذلك لاضعاف قوتهم وتشتيتهم ، مع انهم في شوق لنشر الدعوة الاسلامية ، ومجرد رؤيتهم لانسان عربي يحاول ان يعلمهم شيئا من القرآن او بعض الأحكام الشرعية فانهم يتعلقون به أيما تعلق وما ذلك الا لحاجتهم الى الدعوة الاسلامية .

واذا مررت بهم وجدتهم في حقولهم يقرأون القرآن ويعلمونه لأولادهم ، ولهذا الحب الكبير في نفوسهم ، ولقلة الدعاة المسلمين الذين قد الهتهم الدنيا عن كل شيء ظهر كثير من الأدعياء ليفسدوا الاسلام في نفوس المسلمين في نيجيريا وغيرها من بلدان افريقيا .

وتمضي الدراسة في الكشف عن معاول الهدم والفساد في نيجيريا ، فتتحدث عن اعداء ثلاثة للمسلمين هناك : الفرق المارقة ، والحركات التبشيرية المنظمة ، والجمعيات السرية الصهيونية .

عن الفرق المارقة تقول الدراسة :

« واكثر هذه الفرق انتشارا الاحمدية القاديانية والاسماعيلية ، ومما تدعو إليه القاديانية ان على كل مسلم طاعة ولي الأمر حتى ولو كان كافرا .

ولهذا كان المستعمر البريطاني من اكبر المشجعين لهذه الطوائف لانها تضمن بقاءه واستمراره مستعمرا للشعوب واراضيها ، وقد امدها الاستعمار بالتأييد المادي والأدبي في شرق وغرب افريقيا .

ومازالت هذه الطوائف اداة طبيعية بيد أعداء الاسلام يحركونها متى شاؤوا لضرب المسلمين » .

وعن الحركات التبشيرية جاء في الدراسة :

« هذا ومن اسباب الهدم والفساد في نيجيريا حركة التبشير في القارة الافريقية وذلك لهدم الاسلام في تلك المنطقة ، اذ انتشر التبشير بطرق سياسية ودعامة دولية وأموال غزيرة بانشاء المدارس والخدمات الطبية وتعليم اللغة الانكليزية او الفرنسية وبث وتعليم كراهية الاسلام في نفوس الناس واستطاع الاستعمار بقوته ونفوذه أن يجعل الأقلية المسيحية في كثير من المناطق الافريقية هي الطبقة الحاكمة القوية التي لا تنازع ، وعلى أثر ذلك ظهرت الحرب الأهلية في نيجيريا بين الأكثرية المسلمة والأقلية المسيحية التي دعمت من الغرب بقوة طمعا بخيرات البلاد والثروات البترولية ، وعندما أراد الاميركيون أن يوسعوا وجودهم ونفوذهم بالبلاد أنهوا الحكم العسكري ، ولجأوا الى الاسلام واستخدموه سلاحا لهم واستعاضوا عن الحاكم العسكري بلقب الحاج ... واصبح الحجاج اداة طيعة بيد المستعمر الغاشم » .

ويواجه المسلمون في نيجيريا هذه الهجمات الشرسة بدأب وايمان :

عن ذلك تقول الدراسة :

ولكن بالمقابل ظهرت فئات اسلامية قوية لها وزنها السياسي في نيجيريا ، وانتشر رجال الدين في كل بقعة حول ابار النفط الغنية وتغلغلوا في المكاتب الحكومية والمعاهد والجامعات .

وادرك الغرب ان الروح الاسلامية الدينية في نيجيريا لها خطر عظيم ، حتى ان الشباب الجامعي المسلم في « زاريا » وهي من اكبر المدن في شمال نيجيريا

صاروا يهتفون (الاسلام فقط) وقد كتب الدكتور اوارد فان : « ان الحركة الاسلامية سيكون لها شأن كبير في مستقبل نيجيريا السياسي ، وهي اخطر كثيرا من المنظمات الارهابية المتطرفة على النفوذ الغربي والثقافة الغربية » .

أما في الهند فالمسلمون يتعرضون للاجتثاث بالأسلوب نفسه : « اشتباكات طائفية » ، ولولا تقرير ورد في مجلة الدعوة التي تصدر في الهند لكان من الصعب علينا أن نعرف شيئا عن أحوال المسلمين هناك . ومما يلفت النظر ما ذكرته (الدعوة) : ان ٣٤٦ « اضطرابا طائفيا » حدثت في غضون الشهور العشرة الماضية ، سقط فيها ١١٨ قتيلا .

وقد نقلت (الدعوة) بتاريخ ٢٨ من المحرم في تقريرها أجزاء من خطاب أحد أعضاء البرلمان جاء فيه :

ان رجال الشرطة (P.A.C) انتهكوا حرمة النساء وانهم ارتكبوا فاحشة مع بنت اسمها نور فاطمة نظيرة واسم ابيها كريم الدين وانه لظلم صريح ارتكبه رجال الشرطة ، ولنا ان نعترف به ونسعى لايجاد حلول للقضايا . وذلك لان الاحداث لا تزال يتسع نطاقها .

ويظهر ان هناك فئات وأناسا يخالفون الأقلية المسلمة ويريدون القضاء عليها وارجو من الحكومة اخبارنا بهويتهم من هم ؟ وهنا اسأل الحكومة هل تريد اتخاذ اجراءات شديدة ضد الذين يضايقون الاقلية ؟

هذا واريد ان اذكر شيئا آخر .. ان الهنادك يريدون استبقاء شرطة P.A.C في ميرت .

أفلا يظهر بهذا ان هناك شيئا من المؤامرة ؟! إن الشرطة المسلحة للولاية (P.A.C) تغمض عينها عن المشاغبين الذين يشنون الغارة على الأقلية المسلمة وينهبون اموالها . ومن اجل هذا يحبها الهنادك فنظرا الى هذه الأوضاع الراهنة اقدم التماسي الى معالي الوزير لابعاد شرطة P.A.C هذا بعض ما قاله نائب في البرلمان ، ولا ريب في أن صورة ما يحدث أشد قسوة ومرارة بكثير مما يقال عادة في البرلمانات ، حيث تلبس الحقائق الموجعة أقنعة من الابتسام تسمى عادة « لباقة المحافل الدبلوماسية » .

٢ ـ التهجير

ذبح المسلمين واجتثاثهم هو نصف الحقيقة ونصف الصورة التي عليها اوضاع معظم المسلمين في هذا العصر ، اما النصف الثاني من الحقيقة او الصورة فهو مصير الذين كتب لهم أن يظلوا أحياء ، وهو مع ذلك مصير لا يقل بؤسا وإيلاما عن المصير الأول . فمن الملاحظ أن عمليات التهجير الدموية التي يتعرض لها المسلمون تتكرر في غير بلد من بلدانهم : في فلسطين ، ولبنان ، وفي افغانستان ، وفي مناطق أخرى لم تحظ بعد باهتمام كاف من وسائل الاعلام . والظروف التي تحيط بالمسلمين في كلا المصيرين متشابهة : فهناك من جهة ذبح ونهب وهتك للاعراض وقمع .. وهناك من جهة أخرى آلاف مؤلفة من المشردين الذين يعانون من المرض والفقر وقسوة العيش والخوف .. ههنا في لبنان وفلسطين ، وهنالك في افغانستان : عن اللاجئين الأفغان كتبت صحيفة (فرانكفورتر

الغمانية) في أواسط المحرم مقالا جاء فيه :

« إن ما يقرب من مليونين وسبعمائة الف من اللاجئين الأفغان يعيشون الآن في معسكرات بائسة في باكستان . وقد تضاعف عدد اللاجئين الأفغان الذين يصلون باكستان شهريا من اربعة عشر الفا الى ثمانية وعشرين الفا منذ بدء الهجوم السوفياتي في وادي باندشير وتعزيز النشاط القتالي في منطقة كابول . ويخشى ان يؤدي سوء الاحوال الاقتصادية وتناقص المواد الغذائية في افغانستان الى زيادة اعداد المهاجرين الأفغان الى باكستان خلال فصل الشتاء القادم . ومن المحتمل كما يخشى مهاجرون افغان والسلطات الباكستانية ان يزداد تدفق اللاجئين الافغان على معسكرات اللاجئين في باكستان اذا حدثت مجاعة في افغانستان بسبب تلف جزء من المحاصيل الزراعية من جراء العمليات الحربية .

وبوسع المرء ان يتخيل النتائج الوخيمة الناجمة عن ذلك بالنسبة للوضع في الثلاثمائة والتسعة والثلاثين مخيما الموجودة على طول الحدود الافغانية الباكستانية . ولذا فان الحاجة للمساعدة المقدمة من بلدان اخرى ماسة جدا خاصة وان الكثيرين من اللاجئين الجدد يسكنون في خيام لا تقيهم برد الشتاء القارس في تلك المناطق .

وقد اصبح الوضع الصحي في المخيمات سيئا جدا بسبب نقص امكانيات النظافة وسوء التغذية ، وهنالك خطر كبير من انتشار السل على شكل وباء بين اللاجئين . وبينما تبلغ نسبة المصابين بالسل بين الباكستانيين اثنين بالمائة تجدها تصل بين اللاجئين الافغان الى ستة بالمائة مع ميل الى الارتفاع .

وتتمثل المشكلة الصعبة الثانية في تزايد اعداد المصابين في الحرب فنقص الاجهزة الحديثة او الخبرة يحول دون اجراء العديد من العمليات الجراحية وخاصة تلك التي يتطلب اجراؤها قطع الاعصاب او الشرايين . ولذا فان الاطباء المهاجرين الأفغان ، يسعون سعيا حثيثا لتوفير امكانية اجراء عمليات لمثل هؤلاء المصابين في اسرع وقت ممكن قبل فوات الأوان .

وتتشابه ظروف اللاجئين الأفغان من جراء الغزو الروسي مع ظروف اللاجئين الفلسطينيين من جراء الغزو الصهيوني : عن « مدينة الخيام » في عين الحلوة ورد مقال في (النيوزويك) في أواسط المحرم جاء فيه :

بين خرائب مخيم عين الحلوة للاجئين الفلسطينيين في جنوب لبنان ، راقب جمهور غاضب من النساء والأطفال الفلسطينيين فريقا كبيرا تابعا لوكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين وهو يقوم بنصب خيام زيتية اللون لا تتجاوز مساحة الأرض التي تقام عليها الواحدة منها ١٢ قدما مربعا .

وفجأة قام الصغار بهدم الخيمة التي نصبت ثم صبوا عليها الغازولين واشعلوا فيها النار . وصاحوا « لا نريد خيامكم » !

أن ما يقدر بخمسة وستين الفا من الفلسطينيين دمرت بيوتهم في الأيام الأولى للغزو الاسرائيلي للبنان الذي وقع في شهر حزيران الماضي ، وما زالوا بدون مأوى رغم مرور خمسة اشهر على تدمير بيوتهم .

محمد ابو النعاج (٦٣ سنة) من لاجئي عين الحلوة يقول : « كانت اسرتي المؤلفة من ١٣ شخصا تعيش في بيت مؤلف من ٨ غرف . فكيف سنتمكن من النوم والاستحمام وجميعنا في خيمة واحدة » ؟

وتثير زهرة ابو العسل (٣٤ سنة) وهي ام لعشرة اطفال مخاوف اشد عمقا حين تقول :

« اننا نخشى ان تقوم الميليشيات اليمينية او غيرها بحرق خيامنا وخطفنا وقتلنا او طردنا من هذه الأرض . ان الخيمة لا توفر اية حماية لسكانها » .

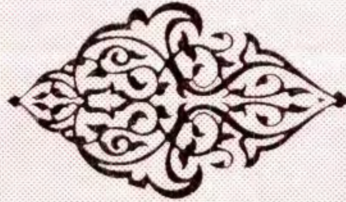
« إلى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بالشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨) بيروت ـ لبنان او بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر : القاهرة ـ مؤسسة الاهرام ـ شارع الجلاء .
السودان : الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص.ب (٣٥٨)
الجزائر : الشركة الوطنية للصحافة ٢٠ شارع الحرية
المغرب : الدار البيضاء ـ سابرس ـ محمد برادة
تونس : الشركة التونسية للتوزيع .
لبنان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨)
الاردن : عمان : وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : (٣٧٥)
السعودية : جدة : مكتبة مكة ـ ص.ب (٤٧٧)
الخبر : مكتبة مكة ـ ص.ب (٦٠)
الرياض : مكتبة مكة ص.ب (٤٥٢)
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء
مسقط : المؤسسة العربية للتوزيع والنشر ـ ص.ب (١٠١١)
صنعاء : دار الفكر
البحرين : دار الهلال
قطر : دار العروبة ص.ب ٦٣٣
ابو ظبي : المؤسسة العامة للطباعة والنشر ـ ص.ب (٦٧٥٨)
دبي : دار الحكمة ص.ب (٢٠٠٧)
الكويت : الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات ت ٤٢١٤٦٨

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة .

محتويات العدد

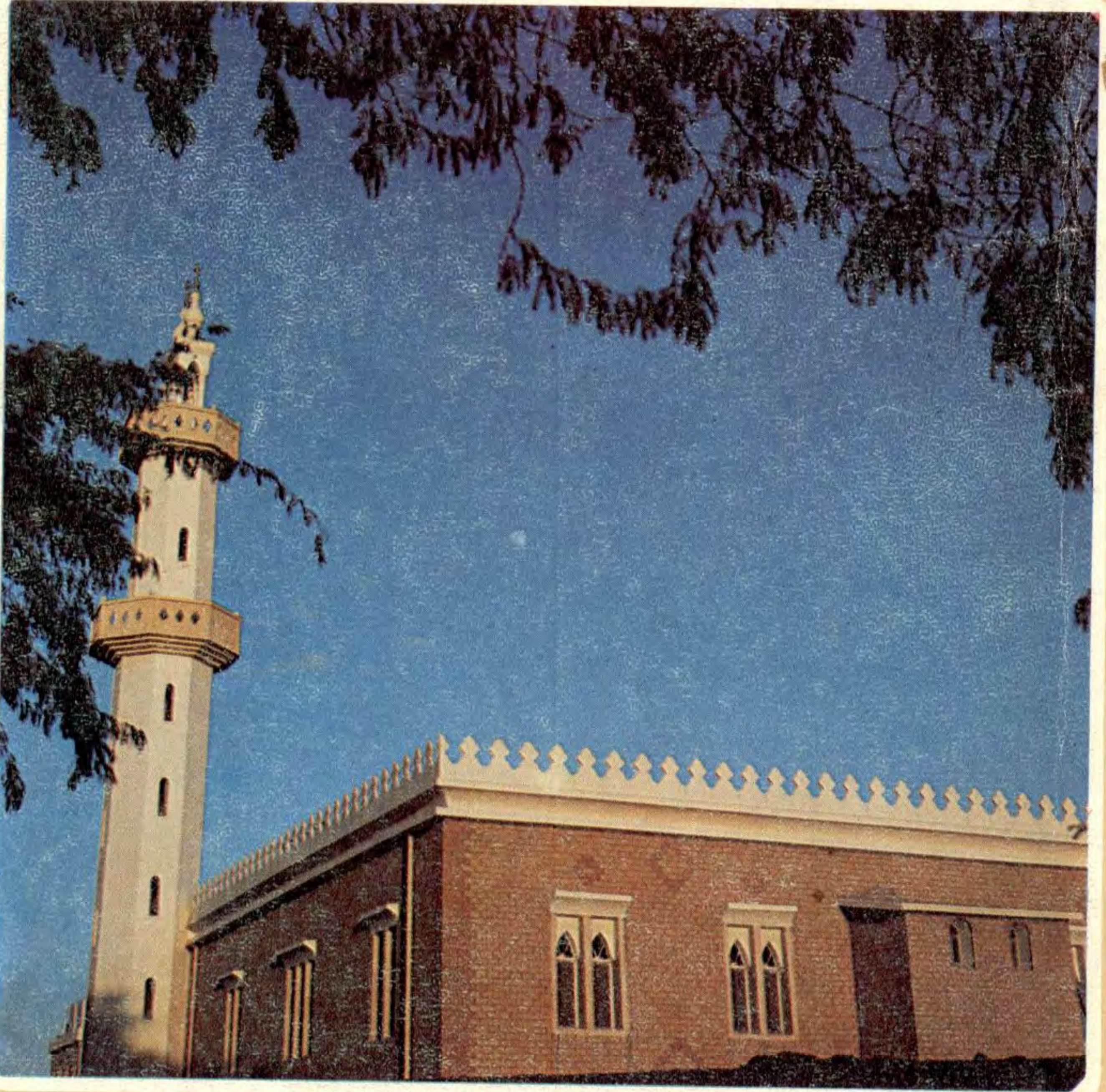


طباعة موسسة دار السياسة - الكويت -

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

العدد ٢٢٠ - ربيع الثاني ١٤٠٣ هـ - يناير / فبراير ١٩٨٣ م



هديتك مع العدد : مجلة براعم الايمان

يَقُولُ تَعَالَىٰ :

إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ
يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ

الوعي الإسلامي

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة التاسعة عشرة

العدد ٢٢٠ - ربيع الثاني ١٤٠٣ هـ - يناير / فبراير ١٩٨٣ م

هدفها

المزيد من الوعي، وايقاظ الروح، بعيداً عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم ٤٢٨٩٣٤-٤٦٦٣٠٠

التوزيع والاشتراكات

الشركة العربية للتوزيع (ش.م.ل)
ص. ب « ٤٢٢٨ » بيروت . لبنان
تلكس ARABCO 23032 LE

التمن

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم
ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي

الذكرى العطرة

كلمة السيد وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية

ادعوا المسلمين الى أن يوحدوا الدماء

احتفلت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالذكرى العطرة لمولد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد عمت الاحتفالات شتى مناطق دولة الكويت ، وقد شارك التلفزيون والاذاعة في نقل الاحتفال من مسجد عبد العزيز المشاري في ضاحية اليرموك ..

ويطيب للوعي الاسلامي أن تسجل هنا نص الكلمة التي ألقاها سعادة الاستاذ / أحمد سعد الجاسر وزير الأوقاف والشئون الاسلامية .

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على نبيه الكريم ، محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه واتبع رضوانه الى يوم الدين .

أيها الاخوة الكرام . لقد شاء الله سبحانه وتعالى ان يجعل في الارض خليفة ، فأخبر بذلك ملائكته ومن قبل خلق ادم ، فقال تعالى « **اني جاعل في الارض خليفة** » ولقد تعهد سبحانه وتعالى ذرية آدم من بعده ، فأرسل رسله مبشرين ومنذرين ، رسلا قد قصصنا عليك ورسلا لم نقصصهم عليك .

وتواتر الرسل على دفعات متتالية يبشرون اقواما وينذرونهم ، ولقد كانت دعوات الرسل عليهم السلام لامم مختلفة ، وفي بقاع من الارض وعلى فترات من الزمن متعددة . حتى اتى الامر الى نهاية الرسالات وخاتم النبوات .. ففي عام شهد حادثة كبيرة سجلها الله سبحانه وتعالى في قوله « **ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل.ألم يجعل كيدهم في تضليل** .

وأرسل عليهم طيرا أبابيل . **ترميهم بحجارة من سجيل** . **فجعلهم**

الأسوة الحسنة تكون بالعمل الصالح

لأنفسهم ويوجهوا السلاح إلى عدوهم..!

كعصف مأكول ». في ذلك العام حينما أراد أبرهة أن يعتدي على رمز العقيدة والتوحيد الذي بناه ابراهيم عليه السلام ، فقد حماه الله سبحانه وتعالى ، حمى هذا الرمز ، حمى البيت الحرام ، الكعبة المشرفة ، بآية من آياته سبحانه وتعالى معجزة ، ويشاء الله سبحانه ان يشهد نفس العام ولادة المصطفى صلى الله عليه وسلم لتكون بدءا لرسالة الاسلام التي اراد سبحانه وتعالى ان تكون خاتم الرسالات وليكون الرسول صلى الله عليه وسلم اخر الأنبياء ، وذلك بعد ان تأهلت الامة العربية لتلقى معجزة القرآن الكريم بلسان عربي مبين ، وبعد ان تعهد الله سبحانه وتعالى بحفظ رسالته ، على مر الاعوام والازمان ، وبعد ان امكن لهذا الكون ان يصل بعضه ببعض . وان تصل كلمة الله الى اطراف الدنيا ، من اقصاها الى اقصاها ، فلم تعد هناك حاجة الى رسل اخر يتلون محمدا صلى الله عليه وسلم . ولم تعد هناك حاجة الى رسالات اخرى ، فدين الله الاسلام هو خاتم الاديان . وهو الشامل لكل زمان ومكان .

قد خاطب الله سبحانه وتعالى امة الاسلام بقوله (**لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الاخر وذكر الله كثيرا**) والاسوة الحسنة انما تكون بالعمل الصالح ، ولو نظرنا إلى واقع المسلمين لوجدنا البون شاسعا فيما بينه وبين الرسول صلى الله عليه وسلم ..

لقد تركنا الرسول صلى الله عليه وسلم على المحجة البيضاء ، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها الا هالك ، ولكن الاهواء والفتن والالحاد والكفر يحاول ان يقتحم علينا حصوننا ، وينال من عقيدتنا . وكم حذرنا الله تعالى فقال (**وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون**) .

لقد وصف الله سبحانه وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم وصحابته الذين معه بأنهم (**أشداء على الكفار رحماء بينهم**) فاذا بواقع المسلمين يقلب الاية رأسا على عقب ، فاذا بنا أشداء على أنفسنا رحماء بأعدائنا ..

وبعد ان كانت بلادنا لا تغيب عنها الشمس ، اخذت تأخذ في النقصان عاما من بعد عام .. وبعد ان كانت سيوفنا موجهة الى اعدائنا اصبحت سيوفنا موجهة الى صدورنا ، واصبح بأسنا بيننا ، ونحن امة واحدة . ربنا واحد وكتابنا واحد ، وقبلتنا واحدة . (وان هذه امتكم امة واحدة وأنا ربكم فاتقون) .

لقد كانت لنا شخصيتنا الاسلامية المستقلة التي تميزها عن بقية الأمم . أمة ذات رسالة ، تحب الخير للناس جميعا ولا تضمر الحقد لأحد .. أمة تعطي أكثر مما تأخذ وتجير ولا تستجير ، وتغيث ولا تستغيث ، وتؤثر في غيرها أكثر مما تتأثر بها ، ويعيش العالم على تراثها ومعارفها . وأصبحنا الآن نستورد كل شيء من أعدائنا وأعداء ديننا . وقد غاب عنا قول الله تبارك وتعالى (**وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا**) .

أيها الاخوة ، إنني أدعو المسلمين أن يكونوا على مستوى القدوة برسول الله صلى الله عليه وسلم علما وعملا ، وأفرادا وجماعات ، وأن يجعلوا من هذه الذكرى الطيبة منطلقا إلى استعادة شخصيتهم المستقلة المتميزة ، وتاريخهم الحافل بالبطولات والأمجاد ، وأمتهم الوسط .

إنني أدعو المسلمين إلى نبذ الخلاف ، وإلقاء السلاح فيما بينهم ، والاعتصام بحبل الله ، وأذكرهم بقوله سبحانه (**إنما المؤمنون إخوة**) ، وبقوله تعالى (**يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين**)

أدعو المسلمين إلى أن يوفروا الدماء لأنفسهم ، ويوجهوا السلاح إلى عدوهم الذي يعمل على إذلالهم ، وابتلاع أرضهم ، وتوهين قواهم .

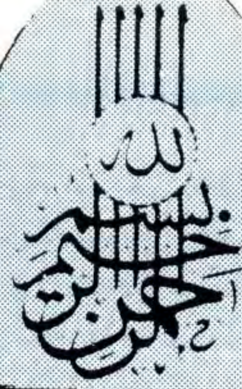
أدعو المسلمين إلى العلم النافع ، والعمل الصالح ، والجهاد الحق ، حتى يتحول ميزان الحياة إلى صالحنا ، ويصحو ضمير العالم بقضيتنا ، ونواجه بكل قوة التحديات التي تريد القضاء علينا .

وعندئذ نكون قد أرضينا ربنا ، وأرضينا رسولنا ، ونكون قد اقتدينا بالحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم .

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يرد المسلمين إلى دينهم ردا جميلا ، وأن يأخذ بنواصيهم إلى الخير ، وأن يحفظ بلادنا من كل سوء .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه أجمعين .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



كلمة الوعي

من أسس الحياة العزيزة

الحرية ، والوحدة ، والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، من الركائز الأساسية التي أقام الاسلام عليها الحياة الكريمة للأمة الاسلامية .

فالحرية للانسان كالغذاء والهواء والماء ، لا يمكن أن يعيش بغيرها ، ولا أن يحيا بدونها! . وهي في الاسلام لا يعني بها اتباع الشهوات ، وانطلاق النزوات دون ضابط ، فهذه بهيمية تحرم الانسان انسانيته ، وتدخله في عالم الحيوان . ولا يعني بها بلبلة الافكار وإثارة

الفتن ، فهذه فوضى تقوض دعائم المجتمع ، وتشرد به عن نطاق السلوك السوي .. ولا حرية في الاسلام للانانيين الذين يحبسون الحق المعلوم الذي فرضه الله في أموالهم للسائل والمحروم ، ولا للمعتدين على الحرمات ولا لدعاة التحلل والاباحية ، ولا لرواد التبعية للأمم غير المسلمة ، فان المجتمع الاسلامي له الحق كل الحق في المحافظة على كيانه ووجوده ، وله الضرب على يد كل من يحاول تدنيسه او الابتعاد به عن طريق الاستغلال والسيادة والطهر والنظافة .

وإنما يعني بالحرية في الاسلام خلاص الانسان من كل سيطرة تتحكم في تفكيره الصائب ، أو وجدانه الطاهر ، أو حركته المشروعة ..

فالانسان - في الاسلام - له الحرية في أن يفكر ويعمل عقله الذي وهبه الله له طريقا للعلم والمعرفة ، وفي أن يعبر عما يجيش في صدره من حق ، او ينتهي اليه تفكيره من صواب ، بالقلم كاتبا ، وباللسان خطيبا او متحدثا ، فقد خلق الله الانسان وعلمه البيان ... وللانسان الحرية في اختيار عقيدته الدينية ، فلا يكره على اتخاذ عقيدة بعينها ، ولا على تغيير دينه بدين آخر ، او العيش بغير دين ، او على تعطيل شعائر دينه ، او غير ذلك مما يقلق الضمير (لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي).. وله حرية الاجتماع بغيره لمناقشة الآراء ، وتبادل الافكار ، وتكوين الهيئة التي تقوم على اساس احترام مبادىء الاسلام ، وصيانة النظام الشرعي لحياة الأمة ، والتعاون على البر والتقوى ..

وله الحرية في كسب عيشه من طريق حلال ليكفي نفسه واهله ، ويعود بالعطاء على قرابته وجيرانه . فلا يجوز ان يغلق عليه باب العمل رأسا ، او يضيق عليه الخناق في تدبير امر رزقه حتى يعمل في غير اختصاصه ، او فيما لا يلائمه .. ولا يجوز ان يفصل من عمله عدوانا وطغيانا .. وله الحرية - داخل مسكنه - فلا يقتحم عليه بغير اذنه ، وله الحق في صيانة نفسه وعرضه وماله ، فلا يجوز ازهاق روحه بغير حق ، ولا يجوز تعذيبه او ايذاؤه الا في عقوبة شرعية قامت ادلتها وانتفت شبهاتها ، ولا يصح العدوان على مال جمعه من حلال ، ولم ينفقه في باطل ، ولم يبخل به على حق .

والوحدة بين المؤمنين على الحق مصدر قوة قاهرة لأعداء الاسلام ، وهي من صنع الله العزيز الحكيم ، قررها القرآن ، واكدها الايمان ،

ونطق بها تاريخ الامة الاسلامية واشتراكها في المصالح والآلام : (إن هذه أمتكم امة واحدة وأنا ربكم فاعبدون) (وإن هذه أمتكم أمة واحدة . وأنا ربكم فاتقون).

والدعوة الى دين الله بالحكمة والموعظة الحسنة دعوة خير ، تنير للانسانية طريق العدل والانصاف والرحمة .. طريق العقيدة الصحيحة والعبادة السليمة والمعاملة الشريفة والاخلاق السامية والهمة العالية التي تأبى الضيم وترفض الذل : (أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين).

وجود هذه الأسس في الامة حية نابضة مطبقة نافذة ، هو من سبيل حياة الامة وعزتها وكرامتها .. ومن ثم كان من واجب المؤمنين ان يصونوها ، وان يحفظوها فاذا ما اعتدى عليها معتد جاهدوا في سبيلها لانها حق مقدس للمسلمين فمن حق المسلمين أن يعيشوا أحرارا لا يستعبدون ، وان يعيشوا مترابطين متوحدين لا يتفككون ولا يتمزقون بيد الأهواء والمطامع ، وان يخلو لهم السبيل في رقعة العالم الفسيحة ليقولوا كلمتهم ، وينشروا رسالتهم ، ويسهموا في تشييد صرح الانسانية على الحق والعدل .

إننا نحن المسلمين بعد الهوان الذي اصابنا على يد الصهيونية والقوى التي تساندها يجب ان تكون لنا من الاحداث عبرة ، وان نعود الى اسلامنا نهتدي بهدايته ونطبق احكامه ، لندرك ادراكا عميقا .. ان الحرية لا يسكت على ضياعها مؤمن مهما بلغ الطغيان .

وان الوحدة يجب ان تقوم بين المسلمين مهما بلغت وسائل الدس والوقيعة وان الدعوة الى الله لا بد ان تمضي الى اهدافها دون توقف ولا تردد .

وانه لا بد من تنفيذ امر الله تعالى (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم) وأن نصر الله للمؤمنين (ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وان الكافرين لا مولى لهم) .. (إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) ونسأل الله تعالى التوفيق والنصر .

رئيس التحرير

محمد الأباصيري

روح اليسر

شرع الله تعالى للناس أنظمة محددة المعالم . مضبوطة القواعد ، واضحة الاهداف وضمنها روح اليسر ، واودع في تضاعيفها معاني التخفيف ورفع الحرج . رحمة بالناس ، ورفقا بهم ، وتسهيلا لرحلة الحياة عليهم ، لانهم اضعف من ان يكابدوها بدون تلطف ، واعجز من ان يتحملوا تكاليفها بدون ترخص او اسماح . ومن أجل ذلك كانت الامور الاجتهادية في اطار الشريعة السمحة لا عقوبة فيها ولا مؤاخذة عليها لو اخطأ المجتهد اصابة هدفه ، او التبس عليه سبيل قصده . مادام قد بذل في اجتهاده غاية وسعه ، ولم يدخر في اصابة الحق طاقته وجهده ، وصار من معالم هذا الدين (**ان من اجتهد فاصاب فله اجران ، ومن اجتهد فأخطأ فله اجر واحد**) اذ ان العلم الحقيقي لوجه الصواب والخطأ من خصائص علام الغيوب . فالمسائل الاجتهادية بالنسبة الى المكلفين ـ امور نسبية . اذ لم يرد في خصوصها نص قاطع او بيان حاسم . فما كان صوابا ومصلحة عند قوم قد يكون مفسدة ومضرة عند آخرين . ويكفي في مجال الاجتهاد ان يتأرجح الصواب والخطأ امام انظار من نثق بعلمهم ، ونطمئن الى احكامهم من ذوي الفقاهة البينة ، والعلم الغزير ، والافق الواسع ثم يترجح بعد طول النظر واحد منهما وهذا ما دعا كثيرا

في الاسلام

للدكتور / محمد محمد الشرقاوي

من الفقهاء الى الخوض في المسائل الاجتهادية بقدم ثابتة وروح وثاب يواكب حركة الحياة المتجددة ، ولا يوقف عجلة الفقه الاسلامي التي يجب الا تتوقف عن دورانها واندفاعها مهما كانت الظروف والملابسات ، ولم يستجيبوا لدعاة التهيب والاحجام خوفا من اتهام شريعة الله الخالدة بالعي والقصور ، والفقر العلمي والافلاس الحركي ، فمثل هؤلاء المتهيبين يجب ان ترد اليهم أراؤهم كما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم مع من نذر ان يصوم لله تعالى قائما ضاحيا تحت وطأة الشمس الحارقة ، وبين لفح الهجير الملتهب . قال مالك رضي الله عنه في هذا الصائم : امره الرسول صلى الله عليه وسلم ان يتم ما كان لله طاعة ، ونهاه عما كان لله معصية ، لان الله تعالى لم يضع تعذيب النفوس وايلامها البالغ سببا للتقرب اليه ، والتحبب له . فالشريعة بجوهرها الاصيل تشتمل على عناصر التسامح والتيسير ، وتزخر بمقومات الخفة والسهولة . بل هي ارفق باهلها من أهلها ، وارحم بأبنائها من أصرة قرباها . كما عبر عن ذلك القرآن الكريم بقوله تعالي : **(واعلموا ان فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم)** الحجرات / ٧ وفي

الحديث الصحيح : (عليكم من الاعمال ما تطيقون فان الله لا يمل حتي تملوا) رواه الطبراني وفي حديث قيام رمضان يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اما بعد فانه لم يخف علي امركم ولكني خشيت ان تفرض عليكم « صلاة الليل » فتعجزوا عنها) رواه البخاري وفي حديث انس رضي الله عنه : « دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد وحبل ممدود بين ساريتين .. فقال : ما هذا ؟ .. قالوا : حبل لزينب تصلي ، فاذا كسلت .. او فترت امسكت به .. فقال : حلوه .. ليصل احدكم نشاطه ، فاذا كسل او فتر قعد » رواه ابن ماجة وفي حديث معاذ رضي الله عنه حين اطال بالناس الصلاة : « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : أفتان انت يا معاذ »؟ رواه احمد . وفي رواية البخاري : « انه قال ذلك ثلاثا لمعاذ .. وقال له : فلولا صليت بسبح اسم ربك الاعلى ، والشمس وضحاها ، والليل اذا يغشى ، فانه يصلي وراءك الكبير والضعيف وذو الحاجة » وكان الشاكي للرسول صلى الله عليه وسلم من معاذ رجلا مغتربا أقبل بناضحين (اي جملين) له ، وقد جنح الليل للمغيب ، فوافق معاذا يصلي ، فترك ناضحيه وانخرط مع معاذ في الصلاة ، فقرأ معاذ سورتي البقرة والنساء ، فلما انصرف الرجل ذهب يشكو وقد روي في هذا الصدد قول الرسول صلى الله عليه وسلم : (ان منكم منفرين .. فأيكم صلى بالناس فليتجوز فان فيهم الضعيف والكبير وذا الحاجة) رواه الدارمي وفي مقام اخر : (نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن الوصال) رواه البخاري . اي الصوم الذي يستغرق فحمة الليل وسحابة النهار بامساكه المتواصل . رحمة ورأفة بأمته . بعد ان بين لهم ان هذا وان كان يليق بذاته الشريفة لانه من خصائصه التي لم يؤذن بالقدوة فيها ولا المشاركة لها .. فانه لا يلائم سائر الامة لما فيه من تحميل النفس فوق وسعها ، والهدف من هذا وامثاله بسط اسباب الراحة والسعة امام المكلفين ليجدوا في جنبات الشريعة وبين اكنافها بغيتهم من اليسر العملي ، والامن النفسي ، والحلول السهلة لمشاكل حياتهم ، وفي حديث عائشة رضي الله عنها عن الرسول صلى الله عليه وسلم : « ان هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق » رواه احمد وفي الحديث الشريف : « اني لاسمع بكاء الصبي فاتجوز في صلاتي » رواه ابن ماجه

والاطار الذي يحدد الشريعة ، ويضم بين جوانبه كل ابعادها واعماقها هو وسع الانسان وطاقته . وما خرج عن هذا الاطار من الحرج والمشقة الزائدة عن المعتاد فهو ساقط غير مطلوب ، شاذ غير مرغوب . ولذا اذنت في تفسير الفاظها ، وتأويل معانيها في ضوء الممكن من الاعمال ، والميسور من الاقوال . ففي قوله تعالى : (**ولا تموتن الا وانتم مسلمون**) ال عمران /١٠٢ لا يتوجه الطلب بالاسلام الى حال الموت

لانه غير ممكن ، وانما الى ما قبل ذلك من فسحة العمر التي تؤدي حتما الى الموت ، والنهي عن الغضب في قول الرسول صلى الله عليه وسلم لمن استوصاه : (لا تغضب) رواه البخاري ليس نهيا عن الغريزة الغضبية في حد ذاتها لانها من الفطرة التي لا فكاك عنها ، وانما نهى عما يستتبعها وما يلابسها من آثار وخيمة واعمال طائشة ، وهكذا صار من شعارات الاسلام (الحرج مرفوع) .. (ولا تكليف الا بما يطاق) ، والقرآن الكريم يؤيد هذا ويزكيه ، ويدعمه بآياته وينميه . بقوله تعالى « **يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر** » **البقرة / ١٨٥ وقوله** : **(وما جعل عليكم في الدين من حرج)** الحج/٧٨ وروت عائشة رضي الله عنها : (ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين امرين الا اختار ايسرهما ، ما لم يكن اثما ، فان كان اثما كان ابعد الناس منه) رواه البخاري وظهر على أفق الشريعة كنتيجة لروح اليسر التي سرت في اوصالها سريان الماء في العود الاخضر ، او سريان الضوء في الشعاع الاحمر ـ الرخص الشرعية التي نصت عليها الشريعة ، والحيل الشرعية التي تمخض عنها فقه الفقهاء ، وهي متعددة الوجوه ، متنوعة الرؤى : فهناك رخصة السلم اي بيع المجهول لان الاصل في شرعية البيع ان يلاقي عينا ، وفي السلم سقط هذا الاعتبار حتى لم يبق قيام المبيع فعلا وقت العقد في السلم مشروعا ولا عزيمة ويكفي تعيين وصفه ومقداره رحمة بالمتعاملين . ومثل ذلك الرخصة في شرب الخمر او اكل الميتة للمضطر الى ذلك ، ومن ذلك الرخصة التي انعم الله بها على امة محمد صلى الله عليه وسلم برفع ما كان واجبا على الامم السابقة وذلك : كقرض موضع النجاسة من الثوب والجلد ، واداء ربع المال زكاة ، وقتل النفس لكفارة الخطيئة ، وجعل القصاص عقوبة للقتل العمد والخطأ ، واحراق الغنائم ، وتحريم اكل العروق التي في اللحم ، وتحريم الصيد في يوم السبت ، وتحريم الطيبات بالذنوب ، واشتراط الماء وحده للطهارة من الجنابة والحدث وكون الصلوات اكثر من خمس ، واشتراط ادائها في خصوص المسجد ، وحرمة الجماع في ليالي الصيام بعد العتمة ، وحرمة الأكل فيها بعد النوم من الليل . كل هذا رفع تيسيرا ورحمة ومن ذلك اباحة الفطر في نهار رمضان للسفر والمرض ، واجراء كلمة الكفر على لسان المكره بالقتل او القطع مع اطمئنان قلبه بالاسلام بالايمان

وهكذا لا تكاد تمر بقطاع من قطاعات الفقه الاسلامي ، ولا حقل من حقول الشريعة المتنوعة الا وجدت به واحة وارفة الظل . طيبة النسيم تمثل جانب اليسر والسماحة في هذا الدين المتين الذي جعل البسملة على رأس كل عمل من اعماله ، وقول من اقواله ومحورها الاساسي الرحمة في وصف الله تعالى بالرحمن الرحيم .

عزة المؤمن

للدكتور / محمود محمد عمارة

اذا كان الاسلام دين الوفاء ودين الاخاء .. واذا كان هو بحق دين المروءة والاخلاص .. فلأنه دين العزة الباعثة على ذلك وعلى أمثاله من فضائل الانسان . هذا الانسان الذي يستمد عزته من شريعة تحرر ارادته من التبعية لغير الله ..

حتى في اللحظة التي يطيع فيها فردا مثله . فانما يطيعه التزاما بأمر الله تعالى .. الذي أكرمه بدين يعمق فيه معنى الاباء بما شرع من آداب وسن من سنن :

بالمساواة .. من غير نظر الى نسب ولا نشب .

بالزكاة عند الفقر حقا مكتسبا .. ومعلوما .. بلا مَنٍّ ولا أذى ..

بتحريم الربا الجانح بالنفوس الى الهوان ..

بسداد الدين عن المدين حقا في عنق الدولة .. تحمي به سمعة الميت في قبره من القيل والقال .. بقدر ما تصون كرامة الورثة أيضا ! وذلك قوله صلى الله عليه وسلم :

« أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم » : فمن مات وعليه دين . ولم يترك وفاء . فعلينا قضاؤه » رواه البخاري . فالمفروض في المسلم أنه عامل .. ليواجه بثمرة عمله مفاجآت المستقبل . فاذا تورط في دين .. فعليه قضاؤه .. وقاية لنفسه من التبعية لغيره .. وابقاء على مشاعر الاعتزاز بالله راسخة في كيانه .. فاذا أعجزته الحيل .. وكانت الظروف أكبر من طاقته . فان الاسلام لا يتخلى عنه .. بل يفرض له « معاشا » فوريا .. لا يصون به البطون من الجوع .. بل

يحمي الكرامة من الضياع أيضا !
ان واديا من الماس .. ومثله معه .. لأهون في تقدير المسلم من أن يبادل عليه بذرة من كرامته ..
وحتى تبقى مشاعر العزة حية متجددة .. شرع الحق تبارك وتعالى الأذان على مدار اليوم كله .. مفتتحا بهذا الشعار الخالد :

الله أكبر ..

لينتزعك به من دوامة الحياة .. وقبل أن تستبد بك أطماع الغنى والجاه .. لتعلم دائما أن الله أكبر من المال .. ومن الناس .. ومن المنصب .. فابق كريما ولا تبع كرامتك .. ولا تساوم عليها في معترك العيش !
والمسلم بهذا المعنى هو ما صوره الشاعر اقبال حين قال :

ليس يدنو الخوف منه أبدا
ليس غير الله يخشى أحدا
لحنه في القلب نارا أشعلا
من قيود الزوج والولد خلا
معرض عما سوى الله الأحد
يضع السكين في حلق الولد

والمسلم هنا كهذا الصقر المحلق في الأجواء العالية .. يرسم للآباء صورة حية :

قلت للصقر وهو في الجو عال
اهبط الأرض فالهواء جديب
قال لي الصقر في جناحي وعزمي
وعنان السماء .. مرعى خصيب !

ان الصقر يعلّم الانسان معنى السمو .. ليعلو بهمته .. فوق الخنوع وجواذب الأرض ..
و .. كل داء في سقوط الهمم !

معنى العزة ومجالاتها :

يقول الدكتور محمد سعاد جلال :
« العزة هي : سلامة النفس من الضعف والمهانة . وامتناع جانبها من الاقتحام والتسلط .
وهي صفة فطرية غالبا . منشؤها المعرفة بكرامة الانسان . وترجيح وزن هذه الكرامة على المنافع المادية . اذا قوبلت بها . وصاحبها إما أن يكون في مركز القوة من السلطة والبأس . أو مركز الضعف من الفقر وانعدام العصبية .
فاذا كان في مركز القوة : تعفف عن الصغار ومحقرات الأمور . ورفض المساومة على الشرف والكرامة .. وكل القيم الشريفة التي تنعكس على مرآتها كرامة الانسان .. وبذل من دون ذلك كل سلطانه وبأسه .
وان كان في مركز الضعف : استعصم بشرف الحق . وشرف الانسان ورفض أن يستجيب لأسباب ضعفه . مهما يحاول الناس أن ينزلوه على حكمها .
واحتمل من دون ذلك كل المظالم . والآلام التي تمثل في احساسه هرما يستوى على قمته ليرى عبدة المنافع في أسفله صغارا .

وأعظم أسباب العزة : التربية

الاسلامية . والعقيدة الاسلامية التي أقنعت العربي المسلم . الذي كان يرقع ثوبه . ويخصف نعله . ويتبلع بالثمرات الجافة .. إنه بالاسلام سيد الأرض ومن عليها .

وصدق الله العظيم اذ يقـول : **(ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون)** المنافقون / ٨ .

أجل لا يعلم المنافقون ذلك .. لأن بـاطنهم الخواء من معـاني الخير أفقدهم حاسة التمييز .. وحـرمهم القلب البصير بعواقب الأمور .. في الوقت الذي يحقق المسلم ذاته بعزته المشتقة من ايمانه بربه وتوكله عليه .. وما يثمره ذلك من بصيرة نافذة الى عمق الناس والاحداث .

وانهم بهذه البصيرة لقادرون على تذوق أدق وأخفى ما في الدنيا من جمال روحي .. هو أغلى من الأرض ومن عليها .. ومهما حاول المنافقون ستر خوائهم الروحي بشارات لها بريق خداع . فانهم ساقطون في الدرك الأسفل في الدنيا قبل أن يحتويهم في الآخرة .

ســاقطون .. في نظـر أنفسهم على الأقل .. « وكم من عزيز في رأى الناس هو في ذاته ذليل ذلة يعرفها هو من نفسه . بما يجد من رهبة أو رغبة . عندما يلقى من يرهبه أو يرجوه . من عدو ينافقه . أو رئيس يمالقه . أو صديق يحابيه » . .

ملامح المنهج الاسلامي :

وللاسلام منهجه الراشد في غرس فضيلة العزة في وجدان المسلم ليستقر ويستمر :

● - فقد فرض الجهاد علينا ثورة دائمة .. لا نمكن بها عدوا من التحكم في رقابنا .

● - بنى كثيرا من أحكامه على تأكيد عزة المؤمن فمنحه بذلك راحة الضمير من ألم الهوان .. بقدر ما يفرض احترامه على من حوله .. فاذا ما اشتد الحرص على العزة قويت روح المقـاومـة في الأمـة فتـأبت عـلى الاستسلام الغاصب .. وسلم لهـا دينها الذي يبقى معها دافعا الى التقدم والازدهار .

ومما ذهب اليه العلماء في هذا الباب : أن المسافر يقبل هبة المـاء .. ولا يتيمم .. اذ لا يمتن بمقدار الوضوء عادة .

وفي نفس الوقت لا يلزمه العلماء بقبول ثمن الماء .. وأجازوا له التيمم .. اذا كان في هبة الثمن منه .. والمنة تورث شيئا من الذلة !

وعن هذا المعنى السامي يقول اقبال :

الارض ميـدان البلابـل للتـرنم والغنـاء
والقبـة الزرقـاء ميداني الى غـير انتهاء
أنا سائر بين الصخور وموطني عرش الهواء
لا يبتنى الشاهين وكرا .. ان موطنه السماء !

وهو الاباء المانع حتى من الشكوى . والذي كان سمة بارزة للأباة الأعزاء يصونون به أنفسهم من مواقف الاستجداء ، وفي ذلك يقول أحدهم :

لست اشكو منك فالشكوى عذاب الأبرياء
وهى قيد ترسف العزة فيه والاباء
انا لا أشكو ففي الشكوى انحناء
وانا نبض عروقي كبرياء

وحين شكا رجل لآخر فاقته قيل له : تشكو من يرحمك الى من لا يرحمك ؟ ! وعندما أعد حاتم الطائي وليمة لأمراء العرب .. ذهب الى البادية فرأى اعرابيا فدعاه الى وليمته - فرفض قائلا :
لا أحمل منة من حاتم !!
هذه المنة الذاهبة بعزة الانسان بما تحمله من خيلاء وتسلط .. والتي تذهب بآثار المعروف بين الناس على نحو ما روى عن أبن سيرين وقد سمع رجلا يحدث عن آخر بأنه فعل له كذا وكذا فقال :

اسكت فلا خير في المعروف إذا أحصى .
إن احصاء المعروف يعني احباط مضمونه الاجتماعي .. فهو دلالة على فرط احساس المعطى بذاته وبجميله .. على صورة لا تسمح بالود والتآخي .. وسوف يكون رد الفعل في قلب الآخذ حقدا أن حرمته الأقدار من فرصة الاعطاء . بقدر ما يشكل نوعا من التسلط يميت الاباء في صدور الآخذين .. وخير من هذا أن تكف يدك .. وصدق الله العظيم اذ يقول :

(قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى) البقرة / ٢٦٣ .

ج - ردم منابع الذلة :

والاسلام - وهو شريعة العليم الخبير - يعلم أن الذلة تأتي من منابع في كيان الانسان .. ومن ثم يحمل الانسان على ردمها .. فرارا من أوضارها .

★ - الخوف من الموت
★ - الخوف على الرزق
★ - الخوف من الغير

أما الخوف من الموت فلا داعي له .. لأن الآجال بيد الله : **(فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون)** النحل / ٦١ .

وفيما يتعلق بالرزق - فلن تموت نفس حتى تستوفي رزقها المقدَّر لها ..
وما على الانسان الا أن يطلبه بعزة النفس . ونقرأ في هذا المعنى قوله تعالى : **(وفي السماء رزقكم وما توعدون . فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون)** الذاريات / ٢٢ و ٢٣ .

ولأهمية القضية يقسم سبحانه وتعالى على حقيتها .. مؤكدا أن الرزق في السماء .. يعنى في مقام أمين .. محفوظا هناك بعيدا عن متناول العابثين به .. المدعين حق التصرف فيه .. واذن .. فمن أذل نفسه من

أجل الرزق يحصل عليه فهو آثم في حق ربه .

يقول صلى الله عليه وسلم : « من تضعضع لغنى . لينال مما في يديه اسخط الله » إن لك رزقا عند مالكه الحقيقي وهو الله سبحانه .. فأطلبه منه .. واذا كان سبحانه قد أجرى الخير على أيدي عباده . فأطلبه ولكن بعزة النفس .. مع العلم بأن رزقك نفســه يطلبـك أنت . ويسعى من ورائك .. مما يطامن من الحاحك في طلبه .

وقال صلى الله عليه وسلم « إن الرزق ليطلب العبد كما يطلبه أجله » رواه الطبراني . فاذا ارتفع المسلم الى هذا المستوى .. كان موحدا حقا .. توحيدا يحرره من التبعية لغيره .. وما تثمره هذه التبعية من هوان .

يقول ابن القيم :

يـا مـن الـوذ بـه فيمـا أؤملـه
ومـن اعـوذ بـه ممـا احـاذره
لا يجبر الناس عظمـا أنت كاسـره
ولا يهيضـون عظمـا أنت جـابـره

وإذن .. فليس هناك سبب للخوف من البشر العاجزين عن أن ينفعوك .. وعن أن يضروك .. الا بما كتب الله لك أو عليك ..(**ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده**) فاطر / ٢ .

من توجيهات النبوة :

وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم ما يؤكد هذا المعنى : عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
« ليس من عمل يقرب من الجنة إلا أمرتكم به . ولا عمل يقرب من النار إلا وقد نهيتكم عنه . فلا يستبطئن أحد منكم رزقه . فإن جبريل ألقى في روعى : أن أحدا منكم لن يخرج من الدنيا حتى يستكمل رزقه :
فاتقوا الله أيها الناس وأجملوا في الطلب . فان استبطأ أحد منكم رزقه فلا يطلبه بمعصية الله . فان الله لا ينال فضله بمعصيته » رواه الحاكم .
أي أن رزقك آت لا ريب فيه .. وقد يتأخر قليلا أو كثيرا واذن .. فلا مانع من طلبه .. شريطة أن تكون متجملا في هذا الطلب .. وإلا .. فإن الابتذال في السؤال .. وإن أكسبك قليلا من المال .. إلا أنه سيكلفك من كرامتك ما لا يسترد أبدا !

وخير من هذا كله أن ترضى .. فان القناعة كنز لا يفنى .. من حيث كانت لونا من الاعتزاز بالنفس يقف بك في مقام أمين عالي الجبهة .. لا تحمل مِنّة من أحد .

د ـ التحذير من المسألة :

وقبـل أن يذل السؤال أعنـاق الرجال .. فإن توجيهـات الاسلام تصونك من الزلل .. بعدأ بك عن مضاعفات المسألة .. ان الاسلام لا

يسمح بالمسألة .. إلا في أضيق الحدود .. وطبق قواعد صارمة ..

وعندما سأل حكيم بن حزام يوما رسول الله صلى الله عليه وسلم .. لفت نظره الى خطورة هذا المسلك على ايمان المسلم ..
وقد وعى حكيم رضى الله عنه الدرس ... وحرم على نفسه السؤال ..
وبلغت حساسيته حدا حمله على رفض أن يأخذ حتى حقه ورعا ! .
مما دعا أبا بكر الى المناداة في الناس أن لحكيم حقا .. لكنه يأبى أن يأخذه ! .

وهذا بشر بن قبيصة بن الخازن يحكي تجربة من تجاربه في هذا المجال فيقول :
تحملت حمالة فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أسأله فيها فقال :
« أقم حتى تأتينا الصدقة . فنأمر لك بها . ثم قال : يا قبيصة : ان المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة : تحمل حمالة . فحلت له المسألة حتى يصيبها . ثم يمسك . ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله . فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش . أو قال سدادا من عيش .
ورجل أصابته فاقة حتى يقول ثلاثة من ذوى الحجى من قومه : لقد أصابت فلان فاقة . فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش » رواه مسلم وأبو داود والنسائي « والحمالة بفتح الحاء : الدية . أو ما يتحمله للصلح بين المتخاصمين » ٧

فأنت ترى رجلا حملته همته ليقف الى جانب مسلم في محنته .. فدفع ثمن هذه الهمة ما له كله أو جله ..
فلما سأل الرسول صلى الله عليه وسلم العوض . لم يخيب أمله .. لكنه عليه الصلاة والسلام يتخذها فرصة يضع فيها النقاط على الحروف فرارا بالمسلم من سوء استغلال السؤال بلا ضوابط . مما يؤدي بالانسان الى الهوان .
وقد ضيق الخناق في هذا المجال فلم يبح السؤال إلا في أضيق الحدود وبهذه الشروط الصارمة :
أن يشهد بأحقيته عدد لا يضيع الحق بينهم . ثم هم أصحاب العقول الراجحة التي لا تخطىء الصواب عادة ..
على أن يكونوا من قومه الواقفين على تطورات حياته .. وحتى اذا شهدوا بأحقيته فان ذلك لا يعطيه حق السؤال باطلاق بل انها الضرورة المقدرة بقدرها .. الى أن يقف على قدميه مرة أخرى ليستأنف نشاطه من جديد .

وما كان للاسلام أن يشجعه ليحصل على ثروة بلا تعب ثم يسمح لكرامته أن تذهب في نفس الوقت .. بينما هي أغلى الثروتين !

وضياع الكرامة نتيجة لاستمراء هذا المسلك السهل . هو ما حذر منه الحديث بشدة في قوله صلى الله عليه وسلم :
« لو يعلمون ما في المسألة ما مشى أحد

الى أحـد يسألـه » رواه النساني والطبراني في الكبير .

والذين يمشون اليها مع هذا . فانما يلتقطون الجمر كما أشار الى ذلك حديث آخر .

ان المال يذهب ويجيء .. والعلم أيضا يذهب ومن السهل أن يعود .

لكن الشـرف اذا ذهب .. فمن العسير أن يعود ! من أجل ذلك يوالي الرسول صلى الله عليه وسلم تحذيره الشديد من المسألة يتجه به الى من يتخذها حرفة .

« لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله تعالى وليس في وجهة مزعة لحــم » رواه البخــاري ومسلــم والنسائي .
قال الخطابي رحمه الله :

يحتمل أن يكون المراد : « يأتي ساقطا لا قدر له . ولا جاه . أو يعذب في وجهه حتى يسقط لحمه . لمشاكلة العقـوبة في مـوضع الجنـاية من الأعضـاء . لكـونـه أذل وجهـه بالسؤال » الترغيب والترهيب .

ولما ضُرب ابن حنبل ضربا لو وقع بالفيل لصرخ ، تجمل في إباء ، وحين عُرض عليه المال قال :

هذا أشد علي من السوط !!

إن الضرب القاسي .. وإن سال به الدم .. لكنه لا ينال من الكرامـة المستقرة في القلب .

أما نظرة الاشفاق .. وامتداد اليد بالاحسان ـ فدونها الموت .. ومن هنا كان الحرص عليها حرصا على الحياة ذاتها .. والاعزاء من الناس يجودون بحياتهم .. لتبقى كرامتهم ..

ولقد باع اعرابي ناقته الأثيرة لديه تحت ضغط الحاجة ولما سئل في ذلك أنشد :

وقـد تخرج الحـاجات يـا ام عامـر
كـرائـم مـن رب بـهـن ضنـين

انه يبيع رأس ماله بَيدَ أنه لا يسأل ..

وقد بلغت حساسيتهم هنا حدا كان سوط أحدهم يقع على الأرض فلا يطلب من زميله مناولته على تفاهة الطلب !!

روى مسلم عن عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة أو ثمـانية أو سبعـة فقال : « ألا تبايعون رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فبسطنا أيدينا ـ وكنا حديثي عهد بالمبايعة ـ فقلنا قد بايعناك يا رسول الله فعلام نبايعك ؟ قال :

« أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا . وتقيموا الصلوات الخمس . وتطيعوا الله » . وأسر كلمة خفية وهي : « ولا تسألوا الناس شيئا » .

قال عبدالرحمن : فرأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم فما يسأل أحدا يناوله اياه » .

وربما اشتد احتياط العلماء فيما يتعلق بسؤال السلاطين فرارا من الضرر المضاعف والمترتب على التردد على أبوابهم . لما يفرضه من استسلام لا يبقى للمروءة بقية .

قال العتابى : « اذا طلبت حاجة الى ذي سلطان . فأجمل في الطلب اليه . واياك والالحاح عليه . فان الحاحك يجرح عرضك . ويريق ماء وجهك .

فلا تأخذ منه عوضا لما يأخذ منك . ولعل الالحاح يجمع عليك إخلاق الوجه . وحرمان النجاح . فانه ربما مل المطلوب اليه حتى يستخف بالطالب » .

في مجال التطبيق :

حفل التراث الاسلامي بصور نادرة في هذا الباب كان الواجدون فيها عند حسن الظن بهم :

فلم تكن القضية عندهم أن يجودوا بمال يمنع الفقر .. بل كانت بالدرجة الأولى مروءة تمنع الذلة أن تأخذ سبيلها الى قلوب الفاقدين .

في نفس الوقت ـ وبنفس القوة ـ يحفل التاريخ بألوان من التعفف المانع من السؤال .. حتى اذا فرضته الضرورة القصوى لم يكن المسلم ليتخلى عن هذه العفة أبدا اعتزازا بها وأزراء بكل شارة دنيوية لا تساوي ازاءها شيئا .

يقول المتنبي :

ومرادا لنفوس أصغر من
أن نتعادى فيه أو نتفانى
غير أن الفتى يلاقي المنايا
كالحات ولا يلاقي الهوانا

ويقول آخر :

لا تطلب الرزق في الدنيا بمنقصة
فالرزق بالذل خير منه حرمان
المال يمضي وتبقى بعده أبدا
على الفتى منه أوساخ وأدران
ما للفتى في الغنى من ذلة .. عوض
وليس في المال للأعراض أثمان

قال بعض رواة الأدب :

وقف علينا اعرابي ونحن برملة اللوء فقال : رحم الله إمرءاً لم تمجج اذناه كلامي . وقدم معاذه من سوء مقامي . فان البلاد مجدبة . والحال مسغبة . والحياء زاجر . يمنع من كلامكم . والفقر عاذر يدعو الى اخباركم . والدعاء أحد الصدقتين .

فرحم الله امرءاً أمر بمير أو دعا بخير .

فقلت :

ممن أنت يرحمك الله !

فقال : اللهم غفرا .. سوء الاكتساب يمنع من الانتساب !

وهذا الحياء المانع من السؤال الصريح الملحف . قد يحمل صاحبه أحيانا على الطلب في جنح الليل صيانة لماء وجهه الذي لا تبين ملامحه في الظلمة الساترة ! .
حدث العسجدى قال : جاء رجل الى أبي اسحاق الكسائى ليلا فقال : ما جاء بك ؟ قال : ركبني دين ، فقال الكسائى : وكم هو ؟ قال : أربعمائة درهم . فأخرج الكسائى كيسا فأعطاه فلما رجع بكى . فقال له أهله : ما يبكيك ؟ فقال : بكائي اني لم أبحث عن حاله التي ألجأته الى الذل !
أي أن واجب الكسائي لم ينته بإعطاء هذا المبلغ الكبير .. وبهذه السرعة .. بل أن واجبه الأكبر والذي فاته ، هو تقصيره في متابعة أمور حياته ، حتى لا يقف مثل هذا الموقف !

إن دوره الوقائي سابق لدوره العلاجي .. الذي جاء على ضخامته بعد فوات الأوان !

وفي اطار الحفاظ على عزة المؤمن حتى لا تورطه الحاجة في مواقف الذل .. وصيانة لماء وجهه لحظة السؤال نقرأ في حياة علي رضي الله عنه هذه القصة : وقف بين يديه أعرابي فقال : ان لى اليك حاجة رفعتها الى الله قبل أن أرفعها اليك . فان أنت قضيتها حمدت الله وشكرتك .
وان أنت لم تقضها حمدت الله تعالى وعذرتك .
فقال علي رضي الله عنه :

« خطَّ حاجتك على الارض . فانى أرى الضر عليك فكتب الاعرابي على الارض : اني فقير .
فقال علي : يا قنبر .. ادفع اليه حلتي الفلانية . فلما أخذها مثل بين يديه فقال :

كسوتني حلة تبلى محاسنها
فسوف اكسوك من حسن الثنا حللا

ان الثناء ليحيى ذكر صاحبه
كالغيث يحيى نداه السهل والجبلا

لا تزهد الدهر في عرف بدات به
فكل عبد سيجزى بالذي فعلا

فقال على :

يا قنبر : اعطه خمسين دينارا : أما الحلة فلمسألتك . وأما الدنانير فلأدبك !

ان نبل الرجل في رجائه لا يساويه

الا نبل علي في تساميه بمشاعر الرجل حين أعفاه أولا من تحـريك فمـه بالسؤال ..وقد كانت هذه عادته رضي الله عنه صيانة لماء الوجه . وقد روى عنه أنه كان يقول لأصحابه :

من كـانت له اليَّ منكم حـاجة فليرفعها في كتاب لأصون وجوهكم عن المسألة ..

وتظهر أبعاد النبـل العلوى في تصنيفه للهبات : حيث كانت اجابة الحاجة هدية عينية لا تجرح كرامة الـرجل . ولم تكن هي الخمسـين دينارا .. وهي صورة مالية ألبق أن تكون جائزة على موهبته الشعرية !!

وقد أخذ بنية بهذا الأدب العالي المقـدر لانسانيـة الانسـان : قيـل للحسين رضي الله عنه : ان فلانا مدين لرجل قاس · يغلظ له القول . ويسيء معاملته من أجل الدين . فلو رأيت أن تريحه منه ؟ !

وبعد قليل . أقبل المدين . وقبل أن يطلب من الحسين شيئا ، أمر الحسين غلامه باحضار المبلغ الذي يسـد الدين .

فقيل للحسين :

هل انتظرت حتى يسألك ؟ فلعله قد قضاه من غيرك .
فقال الامام الحسين :
لو انتظرت حتى يسألني .. لكان قد بذل لي من ماء وجهه ما لا يكفي فيه مال !!

ان شرخا في بناء الكرامة لا يجبر بمال ! ولقد كان رفْقُ الحسين يرجو راحة المدين من الدائن بدفع هذا المال .. ولم يقف الامام الحسين عند هذا السطح .. بل أنه أراح المدين من عـذاب الضمـير .. ووقـاه من شر مستطير حين أنقذ كرامته من براثن غريم ثقيل . وحماه قبل ذلك من ذل السؤال .

وهذه الهمة العالية في تقدير الكرامة الانسانية وقفت ببعض الأعلام موقف التضحية حيث أخذوا نفوسهم بعزائم الامور وقضاء الحاجات الضخمة .. وما رضوا لها أن تشغل بقضاء حوائج تافهة لا تليق بمكانتهم :

جـاء في صيـد الخـاطـر لابن الجوزي :
قيل لاحد فحول الرجال :

لنا اليك حويجة « تصغير حاجة » أي جئنـاك لتقضيها لنـا .. فأبى وقال :: اطلبوا لها رجيلا !!

وبعد :

فلك أن « تعجب من أمة دينها العزة .. ثم تهمله لتصير الى ما صار اليه المسلمون اليوم »
وحاول أن توقظ الرقود قائلا :
اذا لم يكن الايمان مصدر العزَّة .. فماذا يكون ؟ !
وإذا لم يكن المسلم به عزيزا .. فمن يكون ؟ ! .

الشريعة الإسلامية والعلاقات الدولية في السلم والحرب

للمستشار / علي عبداللاه طنطاوي

تعريف :

إن علاقات الدول بعضها ببعض تحكم في النظم الوضعية الحديثة بالقانون الدولي العام والقانون الدولي هو مجموعة القواعد القانونية التي

تحكم علاقة الدول بعضها ببعض ، سواء في وقت السلم أو في وقت الحرب ، وتنظم علاقة الدول من حيث التمثيل الخارجي والمؤتمرات والمعاهدات ، وتنظم طرق فض المنازعات الدولية بالطرق السلمية كالمفاوضات والتحكيم ، كما تنظم علاقة الدول المتحاربة مبينة كيفية إعلان الحرب ووسائلها المشروعة .

أحكام الشريعة الاسلامية في هذا المجال :

نظم الاسلام علاقة الأمة الاسلامية بغيرها من الأمم الأخرى أي الأجنبية عنها ، وقد وردت آيات القرآن الكريم منظمة للمبادىء العامة لهذه القواعد في السلم وفي الحرب ، ونظمت أيضا أحكام المعاهدات ومدى الالتزام بها .

وقد ترك القرآن الكريم تفاصيل هذه المبادىء لاجتهاد العقل البشري مسايرة لظروف الزمان والمكان . هذا وقد أفاض فقهاء الشريعة في كتب السير ، وكتب الجهاد ، وكتب التفسير ، فيما أتى به الاسلام من قواعد تحكم العلاقات بين الدول الاسلامية وغيرها من الدول .

الاسلام دين سلم وحسن الجوار :

زعم بعض المستشرقين أن الاسلام يقوم على القهر والغلبة ، وأن الحرب هي أصل الصلة بين المسلمين وغيرهم ، والسلم لا يكون إلا موقوتا لضرورة قائمة كأن يقوم بالمسلمين ضعف فيتريثوا حتى تجتمع لهم أسباب القوة والغلبة ، فيعاودون الكرة ، أو تكون للمسلمين مصلحة في وقت الحرب لفترة ما [1] .

وغني عن البيان أن هذا القول يجافي الحقيقة ، والواقع ، ذلك أن الدعوة الاسلامية لم تقم على الحديد والنار وإنما سلكت طريقها بالحكمة والموعظة الحسنة ، فقد حرم الاسلام اللجوء إلى القوة لنشر الدين فيقول الحق تبارك **وتعالى (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة)** النحل / ١٢٥ ، ويقول جل شأنه **(لا إكراه في الدين)** البقرة / ٢٥٦ ، ويقول **(ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين)** يونس / ٩٩ ، ويقول عز من قائل **(إن هو إلا ذكر للعالمين . لمن شاء منكم أن يستقيم)** التكوير ٢٧ و ٢٨ ، ويقول جلا وعلا (فذكر إنما أنت مذكر ، لست عليهم بمسيطر) الغاشية / ٢١ و ٢٢ .

وقد سمحت الشريعة الاسلامية للمسلمين بالتعاون مع غيرهم ما لم يحاربوا المسلمين أو يتعرضوا لهم بأذى **(لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم)** الممتحنة / ٨ .والاسلام لا يسمح للمسلمين أن يتدخلوا في شؤون غيرهم من الدول ، فهو يحترم حق كل دولة في الوجود وحقها في السيادة على أراضيها ، ما لم تعتد على المسلمين أو على من يعتنق

الاسلام فيها ، فان تدخل الدولة الاسلامية عندئذ يكون لمنع الفتنة في الدين[٢] .

والسلم في شريعة الاسلام هو أصل العلاقات الدولية ، فيقول عز وجل (**فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا**) النساء / ٩٠ ، ويقول جل شأنه (**وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم**) الأنفال / ٦١ .

ويقول أيضا وهو خير القائلين (**يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين**) البقرة / ٢٠٨ .

واذا كانت الشريعة الاسلامية قد حضت على السلم ودعت اليه إلا أنها أمرت المسلمين بعدم استجدائه من أعدائهم(**فلا تهنوا و تدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم**) محمد /٣٥ ويقول سبحانه : (**هأنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور . إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا إن الله بما يعملون محيط**) آل عمران / ١١٩ - ١٢٠ .

واذا ثبت للمسلمين أن السلم مع أعدائهم زيف وخداع يجب حينئذ المسارعة بانهائه عملا بقوله عز وجل (**وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين . ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا إنهم لا يعجزون**) الأنفال / ٥٨ ، ٥٩ .

أسباب الحرب في الاسلام وأحكامها :

لاشك أن غاية الاسلام باعتباره آخر الشرائع والأديان السماوية هو أن يدخل الناس فيه تحريرا لهم من الشرك والضلال ، ووصولا بهم الى نور الوحدانية وطريق الحق والكمال ، (**آلر كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد**) إبراهيم /١ ، ويقول (**هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو إله واحد**) ابراهيم / ٥٢ .

ومن هنا جاء التكليف من الله عز وجل للمسلمين بدعوة الناس إلى هذا الدين الحنيف ... دعوة لا إكراه فيها ولا تهديد (**إنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد**) آل عمران / ٢٠ ، (**فذكر إنما أنت مذكر . لست عليهم بمسيطر**) الغاشية / ٢١ ، ٢٢ ، ولكن إذا حيل بين المسلمين وبين تبليغ دعوتهم وكانت الحرب هي الوسيلة الوحيدة دون سواها لكي يتم التبليغ فإن الحرب هنا تضحى مشروعة مادامت قد أصبحت هي الوسيلة دون سواها لازالة العوائق من طريق نشر الدعوة .

وهذه الحرب لا تخل ولا توهن من حرية المخاطب بالدعوة فله مطلق الخيار في اعتناق الاسلام ، أو عدم اعتناقه (**فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر**) الكهف / ٢٩ .

كما أن قتال المسلمين دفاعا عن عقيدتهم اذا ما تعرضوا للفتنة فيها هو أمر واجب ومشروع (**وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين**) البقرة / ١٩٣ .

والقتال هنا يعد جهادا في سبيل الله (**أنفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون**) التوبة / ٤١ .

ويقول عز وجل ايضا (**فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا**) الفرقان / ٥٢ ، ويقول جل من قائل (**يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم . تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون**) الصف / ١٠ ، ١١ .

ويقول جل وعلا (**ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم**) التوبة / ١١١ .

واذا كان السلم ـ كما سبق أن بينا ـ هو أصل العلاقات الدولية في الاسلام فان ذلك مشروط بعدم وقوع أي اعتداء على الديار الاسلامية أو فتنة المسلمين في دينهم ، والا فان الحرب هنا تصبح وجوبية دفاعا عن النفس والعقيدة والمال والعرض ، وذلك لقوله عز وجل (**وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين**) البقرة / ١٩٠ .

ونقض العهد من الأعداء أمر مسوغ للقتال (**وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون**) التوبة / ١٢ .

والحرب مشروعة في الاسلام اذا قصد منها إغاثة المسلمين المظلومين ما لم يكن هناك عهد يحول دون ذلك (**والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير**) الانفال / ٧٢ .

ولا يشترط لشرعية الحرب وقوع اعتداء فعلي على المسلمين ، بل قد تكون الحماية من الاعتداء مبررة للحرب ما دام هذا الاعتداء متوقعا وقام الدليل عليه ، فلابد عندئذ من دفع الاعتداء قبل أن يستحيل الدفع ، هذا وقد يتعين الهجوم سبيلا للدفاع[٣] .

وغني عن البيان أن حرب الابادة التي شنتها وتشنها إسرائيل هذه الأيام على المسلمين في لبنان إنما هي اعتداء على النفس والدين والعرض

والمال ، وتوجب على المسلمين في جميع مشارق الأرض ومغاربها أن يهبوا من سباتهم العميق ويقفوا وقفة رجل واحد ، ويسارعوا باتخاذ الاجراءات الحربية اللازمة لوقف هذا العدوان وإزالة أثاره ، وذلك إعمالا لقول الحق تبارك وتعالى (**وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين**) البقرة / ١٩٠ .

وجدير بالذكر أيضا أن الاضطهادات التي تلقاها الأقليات الاسلامية في الهند والحبشة والفلبين وبورما وتايلاند وكمبوديا ، وغيرها من البلاد غير الاسلامية ، توجب على المسلمين حكاما ومحكومين مساعدة هذه الأقليات الاسلامية ونصرتها عملا بقوله عز وجل (**وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا**) النساء / ٧٥ .

وعملا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم (المسلمون تتكافأ دماؤهم وهم يد على من سواهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم) ولقوله أيضا (المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا) .

ولا يفوت قادة المسلمين أن غزوة مؤتة هي أول معارك المسلمين في الشام إنما كانت بسبب اعتداء نصارى الشام على من أسلم منهم مما أدى الى قتل بعضهم ، فجهز الرسول صلى الله عليه وسلم جيشا لنصرتهم أوكل قيادته الى زيد بن حارثة ، ثم جعفر بن أبي طالب ثم عبدالله بن رواحة ، فلما استشهد الثلاثة انتدب المسلمون خالد بن الوليد للقيادة .

واذا وجبت الحرب كان إعلانها والانذار بها وتوضيح أسبابها أمرا واجبا على المسلمين (**وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين**) الأنفال / ٥٨ .

وتجدر الاشارة في هذا المقام إلى أن الاسلام قد سبق بهذا المبدأ جميع الأديان والشرائع السماوية والقوانين الوضعية الحديثة في هذا الشأن .

واذا نشبت الحرب فلا نهب ولا تخريب ولا تدمير طبقا لتعاليم الاسلام ، ولا تعرض بأذى للشيوخ والنساء والأطفال والضعاف عموما ، ويبين ذلك جليا من توصية الرسول صلى الله عليه وسلم لقائد جيشه (تألفوا الناس وتأنوا بهم ، ولا تغيروا عليهم حتى تدعوهم ، فما على الأرض من أهل مدر ووبر إلا أن تأتوني بهم مسلمين أحب إلي من أن تأتوني بأبنائهم ونسائهم وتقتلوا رجالهم ...) .

ولم يكتف الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا التوجيه العام ، وإنما يضع كوابح وموانع إذا نشبت المعركة ، تحول بين جيش المسلمين وحب الانتقام من العدو أو إذلاله ، فيقول لقائد جيشه ، (انطلقوا باسم الله ، وعلى ملة رسول الله ، ولا تقتلوا شيخا فانيا ، ولا طفلا ولا امرأة ولا تغلوا وضموا غنائمكم وأصلحوا

وأحسنوا إن الله يحب المحسنين) .

وعلى هذا المبدأ الرحيم سار المسلمون من بعده عليه الصلاة والسلام ، فها هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه يوصي قائد جيشه قائلا « إني موصيك بعشر : لا تقتلن امرأة ولا صبيا ولا كبيرا هرما ولا تقطعن شجرا مثمرا ولا نخلا ولا تحرقها ، ولا تخربن عامرا ولا تعقرن شاة ولا بقرة إلا لمأكلة ولا تجبن ولا تغلل » .

وكان عمر رضي الله عنه يقول عند عقد اللواء لأمير الجند « بسم الله » على عون الله أمضوا بتأييد الله ولكم النصر بلزوم الحرب والصبر ، قاتلوا ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ، ولا تجبنوا عند اللقاء ولا تمثلوا عند القدرة ولا تسرفوا عند الظهور ، ولا تقتلوا هرما ولا أمرأة ولا وليدا ، وتوقوا قتلهم إذا التقى الفرسان ، وفي شن الغارات نزهوا الجهاد عن عرض الدنيا ، أبشروا بالرباح في البيع الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم .

كما حض الاسلام على حقن دماء أفراد العدو الذين يريدون الخروج من صفوف الحرب ، وأجاز لكل مسلم أن يعطي الأمان ويمنحه ، واذا صدر الأمان من أحد المسلمين حقن دم المحارب ، ولا يعد مستسلما ولا أسيرا وإنما يعد من أهل الذمة ، لقوله صلى الله عليه وسلم « المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم » .

ولا يستطيع الحاكم المسلم أو قائد الجيش أن يلغي عقد الأمان الذي أعطاه أحد تابعيه ، ويروى في هذا الشأن أن أبا عبيدة بن مسعود الثقفي - أمير الجيوش في العراق - حينما هزم جيش فارس في موقعة النمارق أتوا إليه بأحد قادة فارس أسيرا ، فأشار لبعض المسلمين بقتله ، ولكنه أخبر أن هذا الأسير أخذ الأمان بالخدعة ممن أخذه أسيرا ، فقال قائد الجيش إني أخاف الله أن أقتله لأن أحد المسلمين قد أعطى له أمانا .

ويتعين على المسلم الوفاء بما أعطى من عهد أمان حتى لو كان ذلك عن طريق الاشارة ، وفي ذلك يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه « والذي نفسي بيده لو أن أحدكم أشار إلى السماء بأصابعه لمشرك ثم نزل إليه على ذلك فقتله لقتلته به »(٤) .

وقد نظمت الشريعة علاقة المسلمين برعايا الدولة المحاربة المقيمين في الديار الاسلامية ، فأمرت بحمايتهم وصيانة أرواحهم وأموالهم .

وقد أجاز جمهور الفقهاء الاتجار مع رعايا الدولة المحاربة فيما عدا أدوات الحرب والحديد وخالفهم في ذلك الشافعي ، واستند الجمهور في ذلك إلي أن النبي صلى الله عليه وسلم أهدى أبا سفيان تمر عجوة وبعث إليه بخمسمائة دينار ليوزعها على أهل مكة حين تولاهم القحط(٥) .

الاسلام وحق تقرير المصير :

وبعد الانتصار في الحرب منعت الشريعة التحكم في الدول المنهزمة ،

أو انتزاع ممتلكاتها ، فها هو ثاني الخلفاء الراشدين يبقي الأرض الزراعية في أيدي أصحابها ويفرض عليهم ضريبة الخراج .

كما سمحت الشريعة للشعوب بحق تقرير مصيرها ، فقواد المسلمين كانوا يخيرون الدول قبل القتال بين الاسلام أو العهد أو القتال ، فان اختاروا العهد كان الوفاء واجبا ، وإن اختاروا القتال كان بسبب ما اختاروا .

وتقرير المصير كان يثبت ايضا في ميدان القتال وحتى بعد النصر أيضا ، ويروى في هذا الشأن أن قتيبة ابن مسلم الباهلي فتح بعض أقاليم سمرقند من غير أن يخير أهله بين الاسلام أو العهد أو القتال ، فشكا أهل هذا الاقليم إلى عمر بن العزيز رضي الله عنه أن قتيبة قاتلهم قبل أن يخيرهم هذا التخيير ليقرروا مصيرهم ، فأرسل الخليفة إلى القاضي ليستمع إلى هذه الشكوى ويحققها ، فتبين للقاضي صحتها ، فأصدر أمره إلى جند المسلمين بأن يخروجوا من البلد الذي فتحوه ويعودوا إلى ثكناتهم ، ثم خير أهل هذا الاقليم ليقرروا مصيرهم فاختاروا العهد ، ومنهم من اختار الاسلام الذي سمح بهذا التخيير بعد الفتح والانتصار(٦) .

حكم الأسرى في الاسلام وحكم الرسل :

أمر الاسلام بحسن معاملة الأسرى ، والحرص على أرواحهم والمحافظة على كرامتهم ، وجعل من إطعامهم قربة لله « **ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا** » الانسان / ٨ .

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم « استوصوا بالأسارى خيرا » ويقول عليه الصلاة والسلام « ليس منا من انتهب أو سلب أو أشار بالسلب » .

ولقد حرم الاسلام تعذيب الأسرى حتى ولو كان تعذيبا نفسيا ، فقد روي أن بلالا رضي الله عنه وقعت في يده امرأتان يهوديتان أثناء احدى المعارك ، فأسرهما واقتادهما للرسول عليه الصلاة والسلام ، وأثناء سيرهما مرتا على قتيلين من قومهما ، فأجهشت احداهما بالبكاء ، فلما بلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم عاتب بلالا قائلاً « هل نزعت منك الرحمة يا بلال أن تمر بامرأتين على قتلاهما » .

وقد ترك الاسلام للحاكم أمر التصرف في هؤلاء الأسرى ، بما يتفق ومصلحة المسلمين ، فله حق اطلاق سراحهم بفدية مالية ، أو مبادلتهم بأسرى المسلمين (**فإما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها**) محمد / ٤ ، وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن تعذيب الجرحى في الحرب أو تشويه جثث القتلى وإنما أمر بدفنهم ونهى عن إلقائها للوحوش أو الطيور .

هذه هي أحكام الاسلام السمحة

حتى في ميدان القتال ، وقد التزم بها المسلمون على مر العصور ، ففي عهد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه نقض الروم عهدهم مع المسلمين ، وفي يد المسلمين رهائن منهم فامتنع المسلمون عن قتل رهائن الروم ، وأطلقوا سراحهم ، وقالوا « وفاء بغدر خير من غدر بغدر » .

وفيما يسمى بالعصور الوسطى عندما أسر القائد المسلم صلاح الدين الأيوبي عددا ضخما من أفراد الجيوش الصليبية ولم يجد طعاما يكفيهم كان عليه أن يختار بين موتهم جوعا أو إطلاق سراحهم ، فأوحت إليه فضيلة الاسلام بإطلاق سراحهم ، غير أنهم كونوا من بينهم - بعد إطلاق سراحهم - جيشا يقاتله ، فقتلهم في الميدان محاربين وأبت عليه أحكام دينه أن يقتلهم أسرى جائعين ، وكان هذا في الوقت الذي قتل فيه ريتشارد قائد الانجليز في الحروب الصليبية ثلاثة آلاف أسير مسلم سلموا أنفسهم إليه بعد أن أعطاهم عهدا يحقن دماءهم ، مما دفع جوستاف لوبون إلى القول « بأن العالم لم يعرف فاتحا أرحم من المسلمين »(٧) .

ويقول هيشيل دي ثوب أستاذ القانون الدولي بلاهاي « إن إعلان الحرب مبدأ إسلامي ، والرحمة بالمحاربين وتجنيب غير المحاربين من النساء والأطفال والزراع والشيوخ ويلات الحروب وعدم تخريب أملاك العدو ، كل هذه قواعد إسلامية أثرت في القانون الدولي(٨) .

وكما أمر الاسلام بحسن معاملة الأسرى أمر بحسن معاملة الرسل ، وتأمينهم فلا خوف على أنفسهم ولا أموالهم والرسل هم الذين يسمون في لغة العصر الحديث بالدبلوماسيين .

والرسول عليه الصلاة والسلام هو أول من استعان بالرسل في الاسلام ، إذ بعث بهم إلى مصر وفارس وبيزنطة والحبشة وغيرها . وكتب السير تروي لنا أنه صلى الله عليه وسلم بعث بشجاع بن وهب الأسدي إلى شمر ابن الحارث ملك الغساسنة بالشام ، وحاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس حاكم مصر ، وعمرو بن العاص إلى جيفر بن الجلندى بعمان ودحية الكلبي إلى قيصر الروم ، وعمرو بن أمية إلى النجاشي بالحبشة ، وعبدالله ابن حذافة السهمي إلى كسرى ملك الفرس ، والعلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى أمير أهل البحرين .. وقد زود الرسول صلوات الله وسلامه عليه هؤلاء الرسل بكتب تؤيد صحة وفادتهم منه ، كما توضح الغرض منها .

وكان رسل المسلمين يحترمون عادات وتقاليد الدول التي يوفدون لها ، ما لم تتعارض مع أحكام الشريعة الاسلامية كالسجود للملوك مثلا .

ومن جهة أخرى عرف الاسلام منذ بداية إشراقه نظام استقبال السفراء - الرسل - وكان النبي صلى الله عليه وسلم يستقبلهم في مسجده بالمدينة المنورة ، وكان وأصحابه يلبسون أحسن الثياب عند استقبالهم

الوفود والرسل[٩] .

وتأمين الرسل ثابت بالكتاب والسنة ، أما الكتاب فقوله عز وجل **(وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه)** التوبة / ٦ .

وأما السنة فيروى أن مسيلمة الكذاب أرسل للنبي صلى الله عليه وسلم رسولين قال لهما النبي أتشهدان أني رسول الله ؟ فقالا : نشهد أن مسيلمة رسول الله فقال النبي عليه الصلاة و السلام : آمنت بالله ، لو كنت قاتلا رسلا لقتلتكما .

المعاهدات في الاسلام :

حض الاسلام المسلمين على احترام معاهداتهم ومواثيقهم ، ونهى عن الغش في إبرام المعاهدات أو نقضها حتى ولو كان في نقضها نصر للمسلمين فيقول الله عز وجل **(والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق)** الأنفال / ٧٢ ، ويقول **(الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم أحدا فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين)** التوبة / ٤ .

وقد روى أن حذيفة بن اليمان خرج وابو حسيل يريدان الاشتراك في معركة بدر ، فأخذتهم قريش وقالت لهما تريدان محمدا ؟ فقالا : لا نريد سوى المدينة ، فأخذوا عليهما عهدا بألا يقاتلا مع النبي صلى الله عليه وسلم فتوجها للنبي وأخبراه بما حدث فقال عليه الصلاة والسلام « انصرفا نفي بعهودهم ونستعين الله عليهم » .

وحدث أيضا أن اتفق النبي صلى الله عليه وسلم مع قريش في صلح الحديبية أن من يخرج إليه مسلما يرده إليهم ومن يخرج من عند المسلمين مرتدا لا يردوه للمسلمين ، وقد روي أن أبا جندل سهيل بن عمر توجه للنبي صلى الله عليه وسلم مسلما فرده عليه الصلاة والسلام فصار أبو جندل ينادي : يا معشر المسلمين أأرد إلى المشركين يفتنونني عن ديني ؟ فقال له النبي : اصبر يا أبا جندل واحتسب فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا وقد كان حتى طلبت قريش النزول عن هذا الشرط ..

ولم تكتف شريعة الاسلام باحترام العهود والمعاهدات ، وإنما أمرت بالوفاء بها ، **(وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ما تفعلون)** النحل / ٩١ ، ويقول عز وجل **(وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولا)** الاسراء / ٣٤ ، ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم (خياركم الموفون بعهودهم) ويقول (أنا أحق من وفى بعهده) .

والمعاهدة لا تنقض من جانب المسلمين إلا إذا نقضت من الجانب الآخر **(إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم**

فاستقيموا لهم) التوبة / ٧ .

وإذا كانت المعاهدة غير محددة المدة فإن جمهور الفقهاء قال بأنه إذا كانت أسباب إبرامها قائمة ، فالمعاهدة قائمة ، فإن تغيرت الأسباب فللمسلمين نقضها ، ولكنهم لم يبيحوا القتال إلا عند الاعتداء أو مظنته ، لأن النص القرآني يوجب استقامة المسلمين لمن عاهدوهم ماداموا مستقيمين لهم **(فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم)** .

وهذا خلاف ما كان عليه الحال في الدول الأوربية التي ادعى فيها الباباوات لأنفسهم حق إبرام المعاهدات ونقضها ، ولقد حرم اوربان كل الأحلاف والمعاهدات التي تعقد مع أمراء ملحدين أو منفصلين عن الكنيسة الرومانية واعتبر ما عقد منها باطلا ، وأعفى الملوك والأمراء الموالين للكنيسة الكاثوليكية من هذه العهود والأحلاف ، وجعل الحرص على تنفيذها محرما ، كما صرح بولس الثالث بأن جميع المعاهدات التي تعقد مع الملحدين في المستقبل باطلة مهما كانت اليمين التي تؤيدها ، وحتى في عهد الاصلاح الديني الذي دعا اليه مارتن لوثر ، أخلى البابا جول الثاني فردينان الكاثوليكي من معاهدته مع لويس الثاني عشر [١٠] .

وجدير بالذكر الاشارة الى أن المعاهدات التي أمر الاسلام باحترامها والوفاء بها هي تلك المعاهدات التي تتوافر شرائطها الشرعية ، والتي تقوم على اتفاق حربين طرفيها ، ويكون الرضا فيها تاما ، فلا إكراه ولا تهديد ، ولا مكان لسياسة الأمر الواقع ، أو الطرف الضعيف أو المهزوم ، التي تسود الأنظمة الوضعية الحديثة وإذا انعدم الرضا بطلت المعاهدة لانعدام شرط جوهري تقتضيه طبيعة المعاهدة باعتبارها عقدا .

كما يجب أن لا تخالف المعاهدة حكما من أحكام الاسلام ، وذلك لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل شرط ليس في كتاب الله فهو باطل » وعلى ذلك فأي معاهدة تنص على تقييد حق الدولة الاسلامية في التسليح أو في حجم قواتها العسكرية ، إنما هي معاهدة باطلة لمخالفته قول الله عز وجل **(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم)** الأنفال / ٦٠ .

كما يشترط وضوح المعاهدة وعدم غموض نصوصها لأنه قد يتخذ الغموض سبيلا لاخفاء العيوب الواردة بالمعاهدة وهذا أمر منهي عنه ، يقول الله عز وجل **(ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله)** النحل / ٩٤ .

الحياد في الاسلام :

عالجت الشريعة الاسلامية حالة الحياد في الحرب ، ونصت على وجوب منحه لطالبيه من غير المسلمين ، فلو أن دولا غير إسلامية

نشبت بينها الحرب وطلبت إحداها من المسلمين الحياد وجب على المسلمين إجابتهم إلى مطلبهم (**إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق او جاءوكم حصرت صدورهم أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا**) النساء / ٩٠ .

أما إذا كانت إحدى الدول الاسلامية طرفا من أطراف الحرب فلا حياد ، وإنما العون والنصر أخذا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » وقوله عليه السلام « المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم » وقوله « المسلم أخو المسلم لا يسلمه ولا يخذله » .

والحياد لا يكون أيضا إذا كانت إحدى الدول المحاربة حليفة للمسلمين بمقتضى حلف يوجب المساعدة في الحرب فعندئذ يجب على المسلمين نصرتهم ، كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم حين نقضت قريش العهد وأغارت على خزاعة الذين كانوا قد تحالفوا مع المسلمين .

وإذا كانت الحرب بين دولتين مسلمتين ، فإنه يجب على باقي الدول الاسلامية التدخل للصلح ، وفي حالة تعذره فعليهم نصرة الدولة المعتدى عليها (**وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين**) الحجرات / ٩ .

ووفقا لنص الآية الكريمه تجب مراعاة العدل المطلق بين الدولتين ، فلا حيف على الدولة الباغية بسبب بدئها القتال أو التسبب في إزهاق أرواح المسلمين وإتلاف أموالهم ، مادامت قد دفعت تعويضا عادلا للدولة التي بغت عليها .

وإن القارىء لميثاق الأمم المتحدة لا يجد ثمة صعوبة في معرفة أن الآية الكريمة سالفة الذكر ، إنما كانت هدى ونبراسا ومصدرا أساسيا لهذا الميثاق ، الذي تفتق عنه العقل البشري في القرن العشرين ..

١ ـ الشرع الدولي في الاسلام ص ١١٣ للدكتور نجيب ارمنازي .

٢ ـ العلاقات الدولية في الاسلام للمرحوم الشيخ محمد أبو زهرة .

٣ ـ فضيلة الشيخ المرحوم أبو زهرة ص ٥٠ .

٤ ـ حياة الصحابة محمد يوسف الكندهلوي ص ١٠٨ .

٥ ـ الشريعة الاسلامية والقانون الدولي العام للمستشار علي علي منصور والشيخ المرحوم محمد أبو زهرة .

٦ ـ الشيخ محمد أبو زهرة ... المرجع السابق .

٧ ـ كتاب حضارة العرب ص ٤٠٧ ترجمة عادل زعيتر .

٨ ـ كتاب القانون الدولي العام ج ١ ص ٢٩١ .

٩ ـ سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٢٢ .

١٠ ـ الشريعة الاسلامية والقانون الدولي العام ص ٢٨٦ .

وقفة تأمل

المارقون من الدين

○ كثير من الناس يتحدثون في الدين الاسلامي .. في حكمة التشريع .. وفي الحلال والحرام .. والممنوع والمباح .. في العبادات .. والمعاملات .. في الاخلاق والآداب والسلوك .. وفي نظام الاسلام الاقتصادي ..

○ يجيدون فن الحديث ، وطرق العرض ، وشد انتباه المستمعين لهم .. حتى اذا ما نالوا الشهرة .. وذاع صيتهم ، وتداول الناس حديثهم .. دسوا السم في العسل .. وشطح بهم الخيال فسلكوا دروبا ملتوية .. توافق هواهم .. وظنوا أن ما ذهبوا اليه هو الحق .. وما عداه هو الباطل .. ونحجم عن الافصاح عن أسماء تمثل هذا الاتجاه ..

○ وآخرون يركبون الموجة .. ويعزفون على اهواء الناس .. أو بعض الناس .. بزخرف من القول .. ويحملون ابواقهم ليكون حديثهم في الماركسية زمنا .. وعن الرأسمالية حينا .. وعن القومية أحيانا .. وعن الدين لا مانع .. يرتدون مسوح الرهبان .. ويأمون المساجد .. ويتكلمون في جموع العابدين - لا يتجاوز حديثهم حناجرهم ، فهم المارقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ..هكذا عرفنا بهم رسول الانسانية محمد صلى الله عليه وسلم .

○ لم يعد غريبا ان نسمع الطبيب يفسر ايات الله .. والمهندس يقول عن الحديث الصحيح وغير الصحيح ، ورجل التجارة يفتي في الحلال والحرام ، وعالم اللغة الأجنبية يتكلم في الاستحسان والقياس ..
والمرأة المتبرجة تقول عن الحجاب .. وهل هو من الشرع ؟ او من تقاليد وعادات السابقين التي عفا عليها الزمن ؟! وصاحب الفنون يقص علينا ما أحسه من اسرار القرآن وإعجازه ..

هكذا .. صار الكل علماء في الدين .. يفسرون ، ويقعِّدون .. ويستنبطون ، ويفتون الناس في الحلال والحرام .. أما إن يزاول مهنة الطب غير الطبيب ، فذلك جناية يعاقب عليها القانون ، حتى ولو اجاد واصاب .. وهكذا كل مهنة لها نقابة . وعضوية ، وشروط لابد من توافرها في كل متخصص في فرع من فروع المعرفة .. فليس بمهندس من لا يحمل شهادة الهندسة .. وليس بعالم في اللغة من لا يحصل على ليسانس اللغة ..

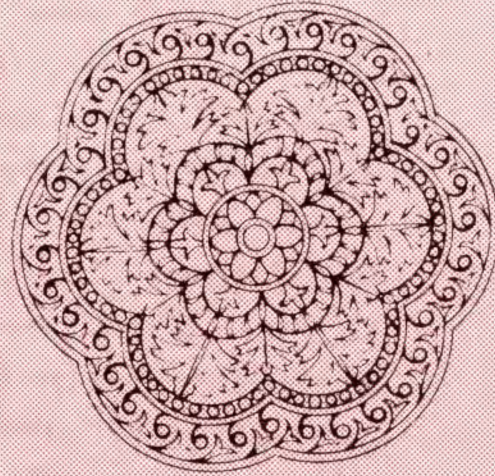
ونحن اذن في عصر التخصصات .. فلم لا نلتزم ذلك في العلم بقضايا الدين وأحكامه ؟؟ فلا يتكلم في الدين ويتصدر الافتاء للناس الا من توافرت فيه شروط الفقيه .. كما حددها العلماء .. أم أن الدين هو « الحيطة الواطية » ؟! .. ام لأنه لا تقف وراء الدين حكومة واحدة تدافع عنه ؟! ومهما يكن من أمر فالله حافظ كتابه ، وناصر دينه ، ومؤيد جنده ، ومدافع عن المؤمنين ، ولو كره الفاسقون والكافرون والظالمون ..

آيات في الخلق محكمات

ترددت كثيرا في كتابة هذه الدراسة على صفحات مجلة « الوعي الاسلامي ».. صحيح انها دراسة جديدة من نوعها ، لكن سبب ترددي يرجع اساسا الى طبيعة الكائن الحي الذي سأقدمه ، لأنه كائن بسيط ، ولأنه يعيش في بيئة تعافها النفوس ، وربما يعتبره البعض حقيرا ، ولا اعتبره كذلك ، اذ احيانا ما تنشأ الافكار العظيمة في الاوساط او البيئات الحقيرة ، ورب كائن « حقير » في عرف الناس ، يحمل من المؤهلات ما يجذب انتباه العلماء ، فيدرسونه دراسة وافية ، وكأنما لسان حالهم يقول « يضع سره في اضعف خلقه »ـ على حسب التعبير العامي الشائع !

لكن الذي شجعني على تقديم هذه الدراسة هنا ، هو توضيح ما انطوى عليه الخلق من صور الابداع ، وروعة الاداء ، واصالة الافكار ، وبحيث يبدو لنا ان الافكار التي نظن انها لنا وحدنا ، او اننا قد ابتدعناها بعقولنا ، انما هو ظن خاطىء ، اذ لو بحثنا في اسرار الكائنات ، لوجدنا انها قد سبقتنا بما نسبناه الى انفسنا ، واعتبرناه من بنات افكارنا .. لكن « لا جديد تحت الشمس »ـ كما يقولون .

ثم ان الذي شجعني على ذلك ايضا ، ان آيات الخلق في القرآن الكريم تشير الينا ان نبحث ونتدبر في اسرار الارض والسماوات ، وفي بدايات المخلوقات ، لأنها ايضا بمثابة آيات ناطقة بجلال : **(الذي خلق فسوى . والذي قدر فهدى)** الاعلى/٢و٣ . حتى ولو كان ذلك في بيئة تعافها النفوس ، ثم ان هذا البحث والتأمل سوف يوضح لنا معنى الآيات التي تعرضت لذلك : **(الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى)** طه/٥٠ : **(صنع الله الذي أتقن كل شيء)** النمل/٨٨ : **(قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق)**



للدكتور/عبد المحسن صالح

العنكبوت/٢٠ : **(وفي الأرض آيات للموقنين)** الذاريات/٢٠ . الى اخر هذه الايات التي توضح ان كل شيء - صغر شأنه او كبر - قد جاء الى الوجود ، وهو يحمل في طياته نظامه المتقن الذي يجعله ميسرا لما جاء له .

قذائف موجهة

فالكائن الحي الذي تعلمنا منه ما لم نكن نعلم ، يعيش على روث البهائم .. شيء تعافه النفوس - لا شك في ذلك ، والكائن نفسه يحتل القاع في سلم المخلوقات ، او هو من المخلوقات الدنيئة او البدائية جدا ، اذ ينطوي تحت مجموعة الكائنات المعروفة باسم الفطريات او العفن ، والعفن لا نرتاح له كثيرا ، فكأنما هذا المخلوق قد جمع السيئتين : احداهما تتمثل في بيئته ، والاخرى في نسبه ، لكن لا يجب علينا ان نتأفف او نسخر ، فرب مخلوقات نسخر منها ، لكنها تقدم لنا درسا مهما .. وكأنما الآية الكريمة : **(بل عجبت ويسخرون)** الصافات/١٢ تنطبق هنا على مقتضى الحال !

وسر العجب هنا ان هذا الكائن الضعيف جدا ، والبدائي جدا ، قد امتلك فكرة القذائف الموجهة ، وعرف مبادىء العدسات والتوجيه والزوايا وغير ذلك من مبادىء هندسية ، ظهرت معه قبل ان يظهر الانسان نفسه على هذا الكوكب بمئات الملايين من السنين ، وبها سار كل هذا العمر الطويل ، لأن الفكرة ذاتها اصيلة ، والمبادىء قويمة ، وبدون افكار رشيدة ومبادىء قويمة ، فلا تنتظر خيرا .. لا على مستوى بشر ، ولا مستوى عفن !

لا زلت اذكر انني درست في السنة النهائية بكلية العلوم هذا الفطر العجيب دراسة عابرة ، لأنه لا يضر ولا ينفع ، ولا فائدة لنا فيه ولا مأرب ، ومع ذلك فقد درسناه في صفحة وبضع صفحة ، لأن دراسة علم تقسيم الفطريات كان يستلزم ذلك ، ولم نعرف وقتها بالتفصيل ما ينطوي عليه هذا الفطر من اسرار ، الى ان وقع بين يدي مجلد من المجلدات الكثيرة التي يطلق عليها « بحوث في الفطريات ».. والفطريات وحدها تضم اكثر من مائة الف نوع ، لكن المجلد السادس من هذه المجموعة من المجلدات قد افسح النصف الاول من صفحاته تقريبا

لكشف اسرار حياة هذا الفطر الغريب ، ولقد قضى معه البروفيسور رينالد بولر - من كندا - سنوات عديدة ، وتوصل الى حقائق مثيرة ، وكشف لنا من الاسرار ، ما يدعو للتأمل والاكبار ، حتى ولو كان ذلك على مستوى كائن لا نجد غضاضة عندما نطؤه بالنعال ، لكن الفطر قد استحوذ على حياة الرجل سنين عديدة ، وكأنما لسان حاله يقول : **(وخلق كل شيء فقدره تقديرا)** الفرقان/ ٢ : **(قد جعل الله لكل شيء قدرا)** الطلاق/ ٣ . ومن هذا المنطلق ، دعنا نتعرض لما ترددنا في تقديمه ، لنعرف كيف قدرت امور الفطر تقديرا .

فلنقدمه اذن باسمه العلمي « بايلوبولاس ».. والكلمة - كما هو واضح - لاتينية ، وتعني حرفيا الشعرة القاذفة ، وان كان البعض يطلقون على هذا الفطر اسم قاذف الكرة او الطبق ، المهم انه قاذف قذائف موجهة ، ولا تهمنا بذلك الاسماء ، بقدر ما تهمنا الاعمال او الاهداف .

بين افكار وافكار

لكن قبل ان نقدم فكرة هذه القذائف الحية ، ثم مقارنتها بما تمخضت عنه افكار الانسان ، كان من الضروري ان نتعرض باختصار شديد لطبيعة هذا الفطر .. فهو يعيش رماما على المادة العضوية التي تنطلق كنفايات على هيئة روث يخرج من الخيل والبغال والحمير ، وحيوانات المرعى عموما ، لكنه يترعرع على روث الدواب ، بحكم طبيعتها الصلبة نسبيا ، الا ان العين لا تستطيع ان تكتشف نموه في الروث الا بصعوبة ، لأن الفطر يتفرع فيها على هيئة خيوط حية دقيقة ، فهو يمتص العناصر الغذائية من الروث ، ويحولها الى مادة حية في نسيجه الفطري ، وبعد ايام قليلة ، تنبثق من هذه الخيوط عشرات او مئات المحاور الدقيقة التي تنتهي بقذائفها ، وهذه تستطيع ان تراها بسهولة ، لأن لون القذيفة ذاته اسود ، وتحتها جهاز حي منتفخ ، وفي هذا الانتفاخ تكمن ميكانيكية التوجيه والانطلاق (شكل ١) .

الفكرة - لا شك - قد تبدو لنا متواضعة ، لكنها مبتكرة وفعالة ، وتحقق الهدف تماما ، وبحيث اثبت بها هذا الكائن انتشاره الواسع في كل ارض ومرعى ، ولكي تتحقق من ذلك ، فمن اليسير جدا ان تجربه بنفسك ، اذا كنت لا تعاف تجارب الروث ، ذلك انك تستطيع ان تحصل على هذه القذائف من اية « بعرة » لجمل او حصان او حمار ، ولا يهم بعد ذلك سلالته او عمره او موطنه ، او ان كان يعيش على عشب طازج او جاف ، لأن الفطر قد احتاط للامر ، وبحيث يحتفظ « بكبسولته » حية لأسابيع او شهور في العشب الجاف .. المهم انك ستجده في اية فضلات ، وهذا يؤكد لك كفاءته الفائقة في سعة الانتشار ، ومن وراء ذلك كفاءته في التوقيت والتوجيه ، واصابة الاهداف !

ان تحقيق ذلك لن يكلفك شيئا ، فما عليك الا ان تحضر وعاء .. اي وعاء تشاء ، حتى ولو كان ذلك علبة فارغة ملقاة في القمامة ، وضع فيها عدة بعرات طازجة ، وندها بقليل من الماء ، واتركها مغطاة في مكان دافيء ، ثم عد اليها بعد عدة ايام ، واكشف الغطاء .. هنا ستجد المئات ، بل الآلاف من القذائف السوداء وهي تتجه الى اعلى ، علها تصيب اهدافها .

لكن لا عليك من كل ذلك ، وان كان البحث في اسرار الكائنات يستحق ذلك ، وعلينا نحن ان نقدم ما هو ضروري في هذا المجال ، فالجهاز الحي يتكون من قاعدة محاطة بعدد من الخيوط الفطرية لتشدها وتثبتها في مكانها ، وفوق القاعدة محور حي سمكه لا يزيد عن النصف ملليمتر ، وطوله يقع ما بين ١ ـ ٢ سنتيمتر ، وفي نهاية المحور تكمن استحكامات توجيه واطلاق القذيفة ، وهي لا تزيد عن تكوين أشبه بالعدسة ، وتحت العدسة عين كيميائية ضوئية وفوقهما تكمن القذيفة والقذيفة بمثابة « كبسولة » تحمل في داخلها آلاف الجراثيم الفطرية ، والفطر بهذه الاستحكامات لا يريد حربا ، ولا يبغي قتلا ، بل يريد ان يعيش وينتشر في سلام ، دون ان يحدث اذى بنبات او حيوان ، كما يفعل بعض ابناء عمومته من الفطريات التي تتطفل على كثير من الكائنات .

مبادىء علمية وتكنولوجية

وطبيعي ان الفطر يطلق قذائفه دون ان يحتاج في ذلك لوقود كما هو الحال في قذائفنا ، وهو ايضا يوجه قذائفه دون الاستعانة بشبكة رادار ، لكنه اتخذ من اشعة الشمس هاديا ومرشدا ، وبها يقدر زاوية الاطلاق ، ويضبط على اساسها التوقيت ، والحق ان الخالق قد اوجد هذه المخلوقات ، لتكون دليلا ناطقا على ما في الخلق من آيات ، فمن اسس علمية بسيطة ، يستطيع الفطر ان يحقق انجازات مثيرة ، وطبيعي انه قد جاء بدون فكر او عقل ، لكنه ـ مع ذلك ـ يتصرف كما يتصرف اصحاب العقول ، اذ ليست له دراية بمبادىء هندسية او تكنولوجية ، لكن الامور قد اوحيت في هذه الكائنات وحيا ، وما الوحي هنا الا وحي نظام في المقام الاول !

لهذا لو اتيت اليه في صباح يوم مشرق ، لوجدت آلاف المحاور وهي موجهة نحو الشمس بزاوية قدرها ٤٥ درجة .. يقول خبراء القذائف انها اكفأ زاوية يمكن ان ترسل القذيفة الى ابعد مدى ، ولقد عرف الفطر ذلك منذ ملايين السنين ، وعرفه الانسان في الوقت الحديث .

واذا كان الفطر يستخدم اشعة الشمس كرادار يوجه بها قذائفه نحوها ، فلأنها هي الوسيلة الوحيدة المتاحة له ، وهو لا يستخدمها فقط للتوجيه ، بل ايضا للتوقيت ، فكأنما هو بدوره قد امتلك ساعة زمنية ليحدد بها موعد الاطلاق ، اذ يبدأ في اطلاق قذائفه ما بين الساعة التاسعة والنصف ، حتى العاشرة والنصف ،

وسر هذا لا يخفى على لبيب ، ففي هذه الساعة بالذات يكون موقع الشمس في الافق مائلا بالنسبة للارض ، وبزاوية تقدر بحوالي ٤٥ درجة بالتقريب ، ولا يهم بضع درجات ناقصة او زائدة عن هذا التقدير ، لأن القذائف في كل الحالات سوف تسلك مسارا يرسلها الى ابعد مدى مستطاع (شكل ٢).

وفي الصباح الباكر يبدأ الفطر عمله استعدادا لعملية الاطلاق ، فتنشط القاعدة الارضية في سحب السوائل من الروث ، وتدفعها بحساب ومقدار عبر المحور الدقيق الى اعلى ، وتتجمع هناك في انتفاخ بيضاوي كبير نسبيا (شكل ٣)، وفي هذا الانتفاخ يحدث ضغط يصل الى ستة ضغوط جوية ، وكأنما هذا الضغط الكبير نسبيا بمثابة الوقود المحرك ، او القوة الدافعة للقذيفة ، وهي نفس الفكرة التي نبني عليها اطلاق مقذوفاتنا وصواريخنا ، لكن لا بد ان يتحول الوقود في عمليات الاحتراق الى غازات ذات ضغط كبير ، وكلما كان الضغط اكبر ، كان اندفاع القذيفة اسرع ، والمسافة التي تقطعها القذيفة اعظم ، لكن الفطر ليس في حاجة الى عمليات احتراق ، لأن الامور قد نظمت له ادق تنظيم ، وبحيث يستفيد من ديناميكية السوائل المسحوبة ، ويرتفع ضغطها شيئا فشيئا ، حتى تصل الى الحدود التي يحدث فيها الانفجار عند قاعدة الكبسولة تماما ، فيدفعها نحو هدفها !

وتأتي الساعة المرتقبة .. وفيها ترى المحاور مشدودة ، والقذائف موجهة بالزاوية المطلوبة ، والضغوط قد وصلت الى حدودها المرسومة ، وفجأة تسمع صوتا خافتا « بلوب »!.. وكأنما هو نبضة قلب واحدة ، وهذا يعني ان اول قذيفة في سلسلة من القذائف المتتابعة قد اندفعت عبر الهواء ، وبسرعة قد تزيد على خمسين كيلو مترا في الساعة ، وهو لا يحتاج الى اكثر من ذلك ، لأن القذائف تنطلق بسرعة اعصار مدمر جامح ، اضف الى ذلك ان هذا التكوين الحي رقيق غاية الرقة ، اي هو ارق واضعف من الشعرة ، ومع ذلك فقد حقق بها طلقة تعتبر بمعايير خبراء الصواريخ انجازا مذهلا فيه حكمة لقوم يتدبرون.

ولو اصخت السمع ، لسمعت أصوات هذه القذائف وهي تنطلق بالمئات والآلاف ، ولو عدت بعد ساعة ، ودققت النظر ، لرأيت المحاور قد التوت وتحطمت من شدة الانطلاق ، ولم يعد لاجهزة الاطلاق الكبيرة نسبيا من وجود ، فلقد حدث فيها التفجير ، وادت بذلك مهمتها خير اداء ، لكنك لا شك واجد ايضا محاور لا زالت قائمة ، فهي لم تستعد بعد ، وسيأتي عليها الدور في حوالي الساعة التاسعة والنصف الى العاشرة والنصف من صباح اليوم التالي ، فيكون كل شيء وقتذاك جاهزا للانطلاق ، وهكذا تسير الامور يوما بعد يوم ، الى ان تفتقر البيئة الى العناصر اللازمة للحياة .. لكنها مستمرة في بيئات اخرى كثيرة وطازجة ، طالما كان هناك فطر يقذف ، وحيوان يرعى ، ونبات يستقبل ثم

يؤكل ، وهكذا تدور الدورة ، كما دارت منذ عشرات الملايين من السنين !

الهدف نبات

لقد ذكرنا منذ لحظة ان هناك نباتا يستقبل ، لأن اتمام حلقات او دورات هذه الاحداث يستلزم نباتا ، ذلك ان الهدف من اطلاق هذه القذائف ان تصيب النباتات التي تنتشر حول الروث بما حمل ، حتى اذا جاء الحيوان ليرعى ، كانت القذائف دائما هناك ، فتسير في امعاء الدواب ، الى ان تخرج مع فضلاتها ، ودون ان تسبب لها اية اضرار .

لكن اصابة الاهداف تحتاج ايضا الى تصميمات واحتياطات ، حتى لا تسقط القذائف من اوراق النباتات ، فكل قذيفة اصغر من رأس الدبوس قليلا ، ومع ذلك ، ففي داخل كل قذيفة ، حوالي مائة الف جرثومة .. الجرثومة بمثابة بذرة تحمل البروجرام الوراثي لهذا الفطر ، حتى اذا نبتت ، تمخضت عن فطر طبق الاصل من اسلافه ، ليعطي بدوره مئات وآلاف القذائف ، التي تحوي بدورها ملايين وبلايين من الجراثيم .

وطبيعي ان انتاج هذه الاعداد الهائلة له ما يبرره ، لأنه يتبع مبدأ علميا معروفا ـ مبدأ الاحتمالات الذي يقوم بدوره على اسس احصائية معروفة ، تحكمها معادلات لها بين العلماء شأن يذكر ، لكن الفطر في غنى عن ورق واقلام وافكار وغير ذلك من امور قد تشقينا وتسعدنا ، ولهذا اتيحت لهذا الكائن كل الفرص التي تساعده على الانتشار ، فأكثر القذائف قد يخيب ، واقلها قد يصيب ، ولهذا كان انتاج الجراثيم ببلايين فوق بلايين ، ليجيء مبدأ الاحتمالات في صالحه ، ، وحتى لو اصاب الهدف ، فلا بد من احتياطات اخرى تثبته على اوراق النباتات ، اذ ان هذه تتحرك مع حركة الرياح والنسمات ، فيؤدي ذلك الى سقوط المقذوفات من سطوحها الى الارض ، ولكنها لا تسقط ، بفضل ميكانيكية عجيبة لا بد من تقديمها هنا ، لندرك كيف دبرت الامور لكل خلق تدبيرا محكما .

ان المقذوف او ذلك الكيس الجرثومي مزود بسطح سفلي مستو ولزج ، اما سطحه العلوي فمحدب واملس ، وعليه قطرة صغيرة من سائل هي بمثابة جهاز يقوم بحركة انقلاب سريعة للغاية في حالة اذا ما حط المقذوف بسطحه الاملس على النبات ، فاذا حدث ذلك ، كان كفيلا بدحرجته وسقوطه .

اي ان شكل المقذوف وتكوينه يهيىءله احد احتمالين لا ثالث لهما ، فاذا اصاب بسطحه المستوى واللزج ، فان اللزوجة تثبته في مكانه ، وهذا غاية المراد ، اما الاحتمال الثاني : ان يضرب المقذوف بسطحه الاملس ، فتقوم قطرة السائل بثقلها بعملية انقلاب سريعة للغاية ، ومطيعة في ذلك لقوانين التوازن ، فيدور المقذوف على سطح النبات حوالي ١٨٠ درجة ، ليحل السطح اللزج محل السطح المحدب الاملس ، فيلتصق ولا

يقع .

وقد يتبادر الى الاذهان تساؤل : ولماذا لم يأت كل سطحه لـزجا ، ليتجنب هذه المناورات او الحركات التي تشبه حركات « الاكروبات » في السيرك ؟

لأن ذلك يرجع الى كون المقذوف يواجه بسطحه العلوي الاملس تيارات الهواء التي تجفف اللزوجة ، وتضيع وظيفتها ، في حين ان السطح الاسفل الملاصق لجهاز القذف لا يتعرض للجفاف ، اضف الى ذلك ان هذا السطح - اي الاسفل - على اتصال مباشر بجهاز القذف ، فيمده بالمادة اللاصقة الرطبة التي تساعده على بلوغ مراده ، فاذا لم يصب بها ، اشتغل الاحتمال الآخر ، ليعدل الوضع الى ما فيه صلاحه !

دقة التصويب :

والعلماء الذين تجـذبهم اسرار الخلق الخافية ، قد يذهبون الى ما هو ابعد من ذلك ، ليضعوا الفكرة موضع التجريب ، ثم التطبيق ، وهم في كل الاحوال يصلون الى نتائج جميلة ، توضح ان كل خلق قد جاء لما هو له ميسر .. عملا لا قولا ، وربما قادتهم البحوث في اصول الخلق الى اهداف تنفعهم في حياتهم ، فاذا لم يتحقق ذلك - وهو نادر - فلا اقل من معرفة تضع لنا النقط فوق الحروف ، وتشير الى ان الخلق لم يأت هكذا اعتباطا ، بل قام على اسس قدرت تقديرا : (**إنا كل شيء خلقناه بقدر**) القمر/ ٤٩ : (**وكـل شيء عنـده بمقـدار**) الرعد/ ٨ . حتى ولو كان ذلك على مستوى ذرة وجزيء وخلية وفطر او ما فوق ذلك .

لقد جهز العلماء لهذا الفطر حلقة صغـير من حلقـات الـرمـايـة ، وتكفي لذلك اسطوانة من الفخـار طولها متر ، وفي قاعها يكمن الفطر ، وفوقها ورقة بيضاء سميكة لتحجب ضوء الشمس ، ولا تسمح بالنفاذ الا لشعاع صغير من خلال ثقب ، وهنا تتوجه المحاور بما حملت من مقذوفات نحو الشعاع الذي يكون لها بمثابة الرادار ، وبعد ان يطلق الفطر قذائفه صوب الفتحة ، تؤخذ اللوحة ، فتبدو عليها نقط سوداء تكون علامات على ان القذائف قد اصابت هنا ، ولقد ظهر ان نتيجة التصـويب رائعة ، فالمسافة التي تفصل بين الفطر ولوحة « النشان » كبيرة بـالنسبة لطـوله وحجمـه ، ولو اردنـا ان نحسبها لانسان يمسك ببندقية ، فعليه ان يصيب الهدف وهو يقف بعيدا عنه بحوالي ١٥٠٠متر !.. فهل منا من يستطيع - بمجهوده الشخصي - ان يصيب هدفا على مثل هـذا البعد الكبير ؟

على أية حال ، فلقد فعلها الفطر على قلة حيلته ، وضعف شأنـه ، وكأنما كل امر هنا بحساب ومقدار .

واخيرا ، فلا تعليق ، الا ان نختم ذلك بآيتين كريمتين : (**ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم**) هود/ ٥٦ . (**وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يـوقنون**) الجـاثية/ ٤ . وفي ذلـك الكفاية لقوم يفقهون .

غزوة تبوك الكبرى

بقلم : محمد عزة دروزة

١ ـ من أحداث السيرة النبوية الشريفة الهامة التي فيها صور مشرفة وطريفة « غزوة تبوك » وهذه الغزوة كانت في السنة التاسعة للهجرة النبوية . وقد قادها النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه . وقد بلغ عدد الجيش الذي قاده رسول الله ثلاثين ألفا . ولعله من أكبر الجيوش التي تحركت في جزيرة العرب . ولها أسباب مباشرة وغير مباشرة .

● فالمباشرة هي أن النبي صلى الله عليه وسلم عَلِمَ أن القبائل النصرانية التي كانت خاضعة للغساسنة والروم تتجمع في جهات تبوك لغزو المدينة المنورة .

● أما الأسباب غير المباشرة فهي أن حالة الحرب كانت قائمة بين المسلمين تحت راية النبي صلى الله عليه وسلم وبين هذه القبائل التي كان أكثرها خاضعا للغساسنة والروم . فقد كان بعضها يعترض السابلة وقوافل التجارة وينهبها . وقد قتل بعضها رسولا لرسول الله . وكان النبي يرسل سرايا دعوة للاسلام فيقابل بعضها بالسلاح والقتل . وكان النبي صلى الله عليه وسلم يرسل سراياه بقيادة أصحابه ويقود احيانا جيوشا لتأديب هذه القبائل والتنكيل بها . وقد وصلت بعض جيوشه الى « دومة الجندل » في منطقة تبوك . وبعضها وصل الى مكان في « مؤتة » في منطقة معان . في البلقاء أي في عقب دار الغساسنة . وكانت هذه الجيوش

والسرايا تشتبك مع هذه القبائل أحيانا وكان بعضها يلوذ بالفرار وبعضها يدخل في الاسلام وبعضها يعقد عهد صلح مع المسلمين ، وقد كانت تقع معارك ضارية احيانا وخاصة وقعت هذه المعارك بين الجيش الذي وصل الى مؤتة وبين القبائل التي جمعتها الغساسنة والروم . وقد قتل فيها قواد ثلاثة عيَّنهم النبي صلى الله عليه وسلم واحداً بعد الآخر . ثم قام القائد الرابع الذي اختاره وكان خالد بن الوليد رضي الله عنه في عملية بارعة أنقذ بها بقية الجيش (انظر تفصيل ذلك في الجزء الثالث من طبقات ابن سعد). والظاهر ان الروم ـ الغساسنة أرادوا أن يقابلوا هذا الجيش الذي وصل الى عقب دارهم بجيش يصل الى عقب دار المسلمين . فأمروا القبائل بالتجمع في منطقة تبوك . فرأى النبي (صلى الله عليه وسلم) أن يبادرها قبل أن تسير نحو المدينة . فكان ذلك هو سبب هذه الغزوة المباشر كما قلنا .

٢ ـ وكانت هذه الغزوة في السنة التاسعة من الهجرة النبوية وبعد فتح مكة بعدة شهور . وقد نزل معظم سورة التوبة في صددها ونزل بعض الآيات على النبي وهو في الرحلة خارج المدينة .

٣ ـ ولقد أراد النبي « صلى الله عليه وسلم » أن يحشد أكبر عدد ممكن لهذه الغزوة التي تكررت فيها الوقائع والتجمعات حتى يرهب أهلها ويحفظ هيبة الاسلام في قلوبهم . وقد كان الوقت صيفا قائظ الحرّ . وكانت السنة شحيحة الموسم فبدا من بعض المخلصين ترددا وتثاقلا فكان موقف الله ورسوله قويا شديدا حاسما تمثله هذه الآيات : **(يا أيها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلَّا قليل. إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شيء قدير . إلَّا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني إثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيَّده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم . انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون)** (رقم ٣٧ ـ ٤١) سورة التوبة .

فتراجع المتثاقلون المخلصون وتابوا واستجابوا وهذا التراجع مثله آية سورة التوبة هذه : **(لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتَّبعوه في ساعة العُسرةِ من بعدما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رؤوف رحيم)** رقم الآية (١١٦ ، ١١٧).

٤ ـ ولقد أقبل المخلصون من اهل المدينة ومن حولهم الذين لا أعذار لهم من فقراء ومرضى أو غير ذلك على الاكتتاب في الغزوة حتى بلغ عددهم ثلاثين ألفا وكان عدد الخيل عشرة

آلاف والجمال أضعافا مضاعفة للركوب وحمل الزاد والماء والأثقال . ولن يكد يتخلف من المسلمين المخلصين القادرين الذين لا أعذار لهم إلَّا نفر بعدد أصابع اليد .

٥ ـ وقد عذر الله سبحانه وتعالى ذوي الاعذار على ما جاء في هذه الآيات من سورة التوبة : (**ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم** ..) (الآية ٩١).

ولقد جاء بعد هذه الآية آية عظيمة تدل على ما كان من شدة رغبة المسلمين المخلصين الفقراء من الانضواء في الجيش النبوي . وتؤيد ما قلناه من أن كلَّ القادرين من المسلمين المخلصين قد استجابوا لله ورسوله ما ورد في هذه الآية (**ولا على الذين إذا ما أتوك لتَحمِلهم قلتَ لا اجد ما أحملُكم عليه تولَّواْ وأعينهم تفيض من الدَّمع حَزَنا ألَّا يجدوا ما ينفقون** ..) الآية ٩٢ سورة التوبة .

ولقد كانت السنة شحيحة الموسم كما قلنا فجمع النبي (صلى الله عليه وسلم) الميسورين من أصحابه وحثهم على التبرع . وقد ذكرت الاحاديث أن عثمان بن عفان قام في موقف فأعلن تبرعه بمائتي بعير وأحلاسها ثم قام في موقف آخر فأعلن تبرعه بثلاثمائة بعير وروى أنه جاء في موقف آخر يحمل في كمه صرة فيها الف دينار فضها في حجر النبي صلى الله عليه وسلم)

فأخذ يقلبها ويقول ماضر عثمان ما فعل بعد ذلك اللهم ارض عنه فأني عنه راض . ولقد روى أن عبد الرحمن بن عوف تبرع بأربعة آلاف درهم . ولم نَطّلع على أسماء متبرعين آخرين من الميسورين . ولا نشك في أنه كان هناك عدد غير يسير منهم تبرعوا وفاتنا الاطلاع على اسمائهم أوقات المسجلين تسجيل اسمائهم . وفي سورة التوبة آية فيها اشارة الى أن حمية التبرع سرت الى غير الميسورين ايضا وتدل على هذه الآية : (**الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم سَخِرَ الله منهم ولهم عذاب أليم**) . (الآية ٧٩). وهذه الآية نزلت في التثريب على المنافقين وفضح مواقفهم ولكنها كما قلنا تتضمن اشارة الى تطوع غير الميسورين ايضا . وقد روى المفسرون أن هؤلاء كان يأتي بعضهم بصاع من التمر أو صاع من الزبيب أو صاع من البر أو الشعير . فاذا كانت حمية التبرع وصلت الى هذه الطبقة فلا شك في أن كثيرًا من الميسورين غير عثمان وعبد الرحمن رضي الله عنهما قد تبرعوا أيضا بمقادير عالية . وبهذا التبرع أمكن حشد هذا الحشد العظيم وأمكن مساعدة كثيرين من الفقراء المخلصين الأصحاء أبدانا العاجزين مالاً مساعدتهم على الانضواء في هذا الحشد .

٦ ـ أما المنافقون فقد تظاهروا في بدء الأمر بالاستجابة ثم أخذوا يستأذنون النبي « صلى الله عليه وسلم »

بالتخلف بأعذار واهية . وقد علم الله ورسوله أنه لو خرجوا لكانوا مفسدين فأذن لهم النبي « صلى الله عليه وسلم » بالتخلف وهذا ما تفيده آيات سورة التوبة هذه : (**لو كان عَرَضاً قريباً وَسَفَراً قاصداً لاتبَّعوك ولكن بعدت عليهم الشُّقَّةُ . وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم إنهم لكاذبون**) . (الآية ٤٢) . وكذلك الآية) : (**ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عُدَّةً ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين . ولو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خَبَالاً ولأ وضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين . لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الأمور حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون**) (الآية ٤٥ ـ ٤٨) . وعدد هؤلاء يقرب المائة .

٧ ـ ولقد أظهر المنافقون فرحهم بإذن رسول الله وتخلفهم فأنزل الله على رسوله وهو في أثناء الرحلة هذا الفصل اللاذع الصاعق بحقهم (الآية ٨١) : (**فرح المُخَلَّفون بمقْعدِهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحَرِّ ، قل نار جهنم أشدُّ حرّاً لو كانوا يفقهون . فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون . فان رَّجَعَكَ الله الى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبداً ولن تقاتلوا معي عدوّاً إنكم رضيتم بالقعود أوّل مرّة فاقعدوا مع الخالفين . ولا تُصلِّ عَلى أحد منهم مات أبداً ولا تقُم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون . ولا تعجبك أموالهم وأولادهم إنما يريد الله أن يُعذّبَهم بها في الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون**) (الآية ٨٥) . وفي هذه السورة آيات كثيرة في مواقف المنافقين السابقة على ما هو متبادر شاعت حكمة التنزيل أن يوحي بها في مناسبة تخلفهم لتزداد فضيحتهم وتظهر جرائمهم وخبث طواياهم . منها (**قل أنفقوا طوعا أو كرها لن يُتَقَبَلَ منكم إنكم كنتم قوما فاسقين . وما منعهم أن تُقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة إلاّ وهم كُسالى ولا ينفقون إلاّ وهم كارهون**) (التوبة ٥٣ ـ ٥٤) و(**ويحلفون بالله إنهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يَفْرَقون لو يجدون ملجأً أو مغارات أو مُدَّخلا لولوا إليه وهم يجمحون . ومنهم من يَلمِزُك في الصدقات فان أُعطوا منها رَضوا وإن لم يُعطوا منها إذا هم يسخطون**) (التوبة ٥٦ ـ ٥٨ من سورة التوبة) .

و (**ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذُنٌ قل أذُنُ خَير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورَحمةٌ للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم**) (التوبه ٦١) . و (**ولئن سألتهم ليقولن إنما كنّا نخوضُ ونلعب قل أبالله و آياته ورسوله كنتم تستهزئون . لا**

تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إن نَعفُ عن طائفة منكم نُعذّبْ طائفة بأنهم كانوا مجرمين . المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون .) (التوبة ٦٥ ـ ٦٧) و (**يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم وهمّوا بما لم ينالوا وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله فإن يتوبوا يكُ خيراً لهم وإن يتولوا يُعَذبهم الله عذابا أليماً في الدّنيا والآخرة وما لهم في الأرض من وليّ ولا نصير . ومنهم من عاهد الله لئن أتانا من فضله لنصَّدَّقَن ولنكوُنَنَّ من الصالحين . فلما أتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون . فأعقبهم نِفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون . ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علاّم الغيوب . الذين يلمزُون المُطَّوِّعين من المؤمنين في الصَّدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم سَخِر الله منهم ولهم عذاب أليم . استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين**) (التوبة ٧٤ ـ ٨٠) .

٨ ـ ولقد اعتذر أيضا بعض أغنياء وزعماء الاعراب المنافقون وطلبوا من رسول الله أن يأذن لهم بالتخلف، أيضا وفي هذا نزلت الآيات التالية منها ما كان قبل الرحلة ومنها ما كان في أثنائها : (**وجاء المعُذِّرون من الأعراب ليؤذَن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم .ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم** . (التوبة ٩٠ ـ ٩١) . (**إنما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخَوَالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون . يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا الله من أخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردّون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون . سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتُعْرضوا عنهم فأعرضوا عنهم إنهم رِجسٌ ومأواهم جهنم جزاءً بما كانوا يكسبون . يحلفون لكم لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين . الأعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله والله عليم حكيم .)** (التوبة من ٩٣ ـ ٩٧ .

٩ ـ ولما اكتمل الجهاز في جيش النبي « صلى الله عليه وسلم)» استخلف في المدينة علياً بن أبي طالب رضي الله عنه وسار على رأس جيشه العظيم الذي

يمكن أن يقال انه كان من أكبر الجيوش التي تحركت في جزيرة العرب عددا وعدة .

وتخلف عن الجيش النبوي نفريعُدون على أصابع اليد الواحدة تكاسلوا في الجهاد حتى تحرك جيش رسول الله وهم من المسلمين المخلصين الذين لا أعذار لهم والقادرين بَدَناً ومالاً وهم أبو حيثمة وأبو ذر الغفاري وكعب بن مالك ومرارة بن ربيع وهلال ابن أمية فأخبروا النبي بتخلفهم فقال دعوهم ومن يكنْ به خير يأتي به الله .

وقد حركت التقوى الاثنين الأولين فلحقا بالنبي « صلى الله عليه وسلم » وهو في الطريق . ومما ذكر عن أبي حيثمة أنه عاد الى بيته بعد سفر النبي « صلى الله عليه وسلم » في يوم قائظ فوجد امرأته قد هيأت له عريشا في طرف بستانه ورشته بالماء وهيأت له حلة ماء بارد وطعاما فلما رأى ذلك قال : ليس هذا بالانصاف رسول الله في الشمس وأبو حيثمة في الظل والى جانبه الطعام الشهي والماء البارد والله لن أدخل ثم هتف بزوجته تحضر له هجينة واغراضه وشيئا من الزاد والماء فركبه وقال أنا لا حق برسول الله . ولما أقبل ورأوا غباره قالوا يا رسول الله هذه أغبار راكب فقال رسول الله كن أبا حيثمة فلما انكشف الغبار قالوا يا رسول الله إنه أبو حيثمة ولما أقبل على رسول الله قال له خيرا ودعا له وكذلك فعل أبو ذر فقد لامَ نفسه وركب ناطحة ولحق بالنبي في الطريق ورأو الغبار فقالو يا رسول الله هذه غبار راكب فقال كن أبا ذر فلما انكشف الغبار قالوا يا رسول الله إنه أبو ذر فقال له خيراً ودعا له . اما الثلاثة الآخرون فقد ظلوا مترددين متكاسلين حتى فاتهم إمكان اللحاق بالنبي فظلوا متخلفين وكان من أمرهم أن النبي « صلى الله عليه وسلم » ولما رجع بجيشه قاطعهم فقاطعهم المسلمون حتى زوجاتهم طلبت منهم الطلاق وقد تجلد كعب فكان لا يأتي للصلاة ويسلم على الناس وعلى النبي فلا يردون عليه وظل متجلدا . أما الاثنان الآخران فقد انهارت أعصابهما فربطا نفسيهما بسواري مسجد رسول الله فكانت زوجاتهما تفكا وثاقهما للطعام وقضاء الحاجة والصلاة وظلوا على ذلك أربعين يوما .

وفي تمام الأربعين خرج رسول الله من بيته وهتف إن الله قد تاب على كعب ورفاقه فبشروهم وحلوا وثاق الموثوقين . وسجل القرآن توبتهم في آية التوبة هذه : (**وعلى الثلاثة الذين خُلِّفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسُهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلاّ إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم .**) (التوبة ١١٨) . وكان هذا الحادث درساً بلغياً وعظة عظيمة للمتخلفين عن الجهاد وهم قادرون عليه . وكما قلنا سابقا أن ذكر الخمسة المتخلفين يُردْ أن جميع القادرين صحة ومالا وجميع من أمكن مساعدتهم من الفقراء القادرين بدنا انضووا الى جيش رسول الله «« صلى الله عليه وسلم » ولم يتخلف عنه إلا

المرضى وذوي الاعذار والعاهات والفقراء الذين لم يمكن مساعدتهم .

١٠ ـ ولقد قطع الجيش النبوي المسافة بين المدينة وتبوك في عشرين يوما أو منزلا . ونزل في تبوك ولم يتجاوزها ولم يجد في طريقه تجمعات عدائية وكذلك وجد التجمعات في منطقة تبوك قد هربت ممتلئة بالرهبة من أخبار الجيش النبوي العظيم . ولقد أرسل رسول الله سرايا الى مختلف أنحاء المنطقة حتى مشارف الشام ولم تلق كثيرا إلاّ ما كان بين سرية قادها خالد بن الوليد رضي الله عنه الى (دومة الجندل) حيث كان ملكها (الاكيدر) النصراني وقد تصدت له حامية القلعة بقيادة اخوي الملك فاشتبك معها في جولة انتصر عليها وقتل أحد الاخوين وأسر الثاني وقتل وأسر عدداً من الحامية وحينئذ نزل الملك عن حكمه فصالحه على ألفي بعير وثلاثمائة رقيق وأربع مائة درع وأخذه معه الى الرسول « صلى الله عليه وسلم » وكان الرسول قد قفل بجيشه الى المدينة بعد أن أقام فيها عشرين يوما واعتبر المنطقة قد دخلت في سلطانه فعين لها أميرا هو (عياد بن بشر) وقد اخذ خالد رضي الله عنه الاكيدرالى المدينة فأقرّ النبي (صلى الله عليه وسلم » الصلح معه ورتب عليه جزية ثم دعاه الى الاسلام فأسلم على ما رواه ابن سعد في طبقاته . وكتب له هذا الكتاب : « بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من محمد رسول الله للأكيدر حين أجاب الى الاسلام وخلع الأنداد والأصنام مع خالد بن الوليد سيف الله في (دومة الجندل) وأكنافها ان له الضاحية من الضحل والبور والمعامي واغفال الأرض والحلقة والسح والحافر والحصين ولكم الضامنة من النخل والمعين من المعمور وبعد الخمس لا تعدل سارحتكم ولا تعدفاددتكم ولا يحظر عليكم النبات ولا يؤخذ منكم إلاّ عشر الثبات . تقيمون الصلاة لوقتها وتؤتون الزكاة بحقها عليكم بذاك العهد والميثاق ولكم بذلك الصدق والوفاء شهد الله ومن حضر من المسلمين » (هذا الفصل منقول من الجزء الثاني من كتاب طبقات بن سعد).

١١ ـ وقد كانت قرى اسرائيلية عديدة منتشرة ما بين تبوك الى مشارف الشام ممن كانوا شردوا من الرومان بعد تدمير اورشليم في أواخر القرن الأول من الميلاد المسيحي وكان أيضا على خليج العقبة ثغر ابله التي كان سكانها نصارى وعلى رأسها اسقف أو أمير اسمه يوحنا بن رؤبة وقد أرسلت هذه القرى وذلك الثغر وفودها الى رسول الله « صلى الله عليه وسلم » حينما بث سراياه ليأخذوا منه عهود أمان ويخضعوا له بايداء الجزية . ومنهم من قَدِمَ عليه في تبوك ومنهم من تأخر فلحق به الى المدينة وهي قرى دومة الجندل ـ اذرح ـ الجرباء . مقنا ـ بنو عريضه ـ بنو عاديا .

١٢ ـ وفي كتاب الطبقات لابن سعد نصوص كتب رواها (أن النبي « صلى الله عليه وسلم » كتبها لأهل هذه القرى وهذا نص الكتاب ان روى

انــه كتبه النبي « صــلى الله عليه وسلم » ليوحنا بن رؤبة وأهل ابله):

« سلم أنتم فاني أحمد اليكم الله الذي لا إله إلا هو فاني لم أكن لأقاتلكم حتى أكتب اليكم فأسلم أو اعط الجزية وأطع الله ورسوله ورسل رسوله وأكرمهم واكسهم كسوة غير كسوة الغزاة واكس زيداً كسوة حسنة فمهما رضيت رسلي فاني قد رضيت وقد علم الجزية فان أردتم أن يأمن البر والبحر فأطع الله ورسوله ويمنع عنكم حق،كان للعرب والعجم إلا حق الله ورسوله وانك إن رددتهم ولم ترضهم لا آخـذ منكم شيئا حتى اقاتلكم فأسبي الصغير وأقتل الكبير فاني رسول الله بالحق أؤمن بالله وكتبه ورسله وبالمسيح بن مريم إنه كلمة الله وإني أؤمن به أنه رسول الله وآت قبل أن يمسكم الشر فإني قد أوصيت رسلي بكم وأعط حرملة ثلاثة أوسق شعير وان حرملة شفع لكم واني لولا الله وذلك لم أراسلكم شيئا حتى ترى الجيش وانكم ن أطعتم رسلي فان الله لكم جار ومحمد ومن يكون منه وان رسلي شرحبيل وأبي حرمله وحريث ابن زيد الطائي فانهم مهما قاضوك عليه فقد رضيته وان لكم ذمة الله وذمة محمد رسول الله والسلام عليكم ان أطعتم وجهزوا أهَل أهلِ مقنا الى أرضهم ».

وهذا نص الكتاب الذي روى ابن سعد قالوا وكتب رسول الله محمد رسول الله « صلى الله عليه وسلم » (بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله لبني عاديا أن لهم الذمة وعليهم الجزية ولا عداء ولا جلاء ، الليل مد والنهار شد).

وهذا نص الكتاب الذي روى ابن سعد أن النبي « صلى الله عليـه وسلم » كتبه لبني عريض قالوا : كتب رسول الله « صلى الله عليه وسلم »: (بسم الله الرحمن الرحيم وهذا كتاب من محمد رسول الله لبني عريض طعمه من رسول الله عشرة أوسق قمح وعشرة أوسق شعير في كل حصاد وخمسين وسقا تمر يوفون كل عام لحينه لا يظلمون شيئا). وبقية الكتب من هذا الباب ونكتفي مما تقدم .

١٣ ـ وهكذا حققت غزوة تبوك الكبرى أهدافا عظيمة ولو لم يقع فيها حرب إلا ما كان حول دومة الجندل . فقد أثبتت هيبــة الاســلام ودولــة المسلمـين وسيادتها تحت راية النبي « صلى الله عليه وسلم » انه قـد توطـدت له السيادة فنصَّب أميراً على المنطقة .

١٤ ـ ولقد ظلت مكة مشركة الى أواخر السنة الثامنة من الهجرة وكانت تحول بشركها بين الدعوة الإسلامية وأنحاء جـزيرة العـرب الأخرى وخـاصة الجنوبية لأنها كانت سادنة الكعبة البيت الحرام ومحجاً لجميع العرب واماما لهم . فلما فتحها الله على يد رسوله في رمضان السنة الثـامنة للهجرة ودانت للاسلام زال الحائل بين الاسلام وسائر انحاء جزيـرة العرب وارسل رسول الله « صلى الله عليه وسلم » سرايا الدعـوة وكتبا كثيرة لزعماء البلدان والقبـائل في مختلف انحاء الجزيرة . وكان فتح مكة ودينونتها بالاسلام داوياً فجعلهم

ذلك يرسلون وفودهم الى رسول الله الى المدينة يبايعونه بالاسلام ويتلقون منه التعليمات في الوصايا ويرسل معهم القراء والقضاة والامراء وجباة الزكاة الذين كان يأمرهم بتوزيع أنصبة الفقراء والمساكين في أهل منطقتها . وهكذا ساد الإسلام والسلطان الإسلامي سائر أنحاء الجزيرة ولا نشك في أن مسيرة الجيش العظيم الى تبوك ما حققه من أهداف عظيمة كان حافزاً شديداً أيضا في تدفق الوفود على رسول الله .

١٥ ـ وحينئذ جاءت اللحظة الحاسمة لضرب الشرك ضربة قاصمة وصيرورة كلمة الله هي العليا في أنحاء جزيرة العرب فأنزل الله أوائل سورة التوبة التي تعلن براءة الله ورسوله من المشركين الغادرين وتأمر بقتالهم بعد انسلاخ الأشهر الحرم بكل مكان ومطاردته وترصدهم حتى يؤمنوا ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وتصفهم بأنهم لا عهد لهم وانهم لا يرقبون في المؤمنين إلاًّ ولا ذمة وانهم المعتدون وأنهم اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا وأنهم الفاسقون مستثنية الثابتين على عهودهم آمرة بالوفاء لهم والاستقامة عليها ما استقاموا عليها وأنزل الله في نفس السورة آية عظيمة الشأن في هذا الصدد حيث حرّمت وجود الشرك والمشركين ودخولهم المسجد الحرام . وهذا التعبير كان يعني على ما تلهمه آيات اخرى منطقة مكة جميعها .

وفي موسم الحج السنة التاسعة التي نزلت بها هذه الأيات أرسل رسول الله « صلى الله عليه وسلم » أبا بكر الصديق رضي الله عنه أميرا للحج وأمره أن يعلق آيات سورة التوبة الأولى المذكورة بشيراً ونذيرا وداعيا الى الله وحده . فكان ذلك حافزا جديدا لتدفق الوفود وسيادة الاسلام وعاملا في انحسار الشرك والمشركين .

١٦ ـ فلما كان موسم حج السنة العاشرة كان رسول الله « صلى الله عليه وسلم » على رأس الحجاج الذين بلغ عددهم نحو مائة ألف ليس فيهم مشرك يهتفون : (لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك ـ ويكبرون : (الله أكبر ـ الله أكبر ـ لا اله الا الله ـ الله أكبر ـ الله أكبر ـ ولله الحمد ـ الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعزّ جنده وهزم الإحزاب وحدَهُ لا إله إلاّ الله ولا نعبد إلاّ إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون).

١٧ ـ وبعد عودة رسول الله من حَجه العظيم نزلت عليه سورة النصر : (**إذا جاء نصر الله والفتح ، ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا**) . والتي قال عنها ابن عباس وغيره رضي الله عنهم انها نَعيٌ لرسول الله ، ولم يلبث الرسول أن مرض والتحق بالرفيق الاعلى قرير العين بما حققه الاسلام من نصر وفتح ووعد تمثله آية سورة التوبة : (**هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون**) .

من عبر الجهاد

حرب التحرير الجزائرية

للدكتور / حسن فتح الباب

تعد حرب التحرير الجزائرية إحدى المنعطفات الكبرى في تاريخ الكفاح الذي خاضته الشعوب العربية والاسلامية لإنتزاع حريتها واستقلالها من براثن اعدائها المستعمرين من بقايا الصليبيين. ويدرجها العلماء والباحثون في صدارة السجل الحافل بالملاحم النضالية في القرن العشرين. حيث ضحى فيها الشعب الجزائري بمليون ونصف من ابنائه، وتتبين جسامة هذه التضحية اذا عرفنا ان تعداد هذا الشعب في عام ١٩٥٤ الذي انطلقت فيه ثورة التحرير كان يتراوح بين ثمانية وتسعة ملايين نسمة، وان الاستعمار الفرنسي الاستيطاني الذي جثم على صدر البلاد مائة وثلاثين عاما قد تركها بعد اندحاره وجلائه عنها سنة ١٩٦٢ قاعا صفصفا من جراء سياسة « الارض المحروقة » التي مارسها طوال الحرب، لبث الرعب واليأس من جدوى المقاومة في انفس المقاتلين في الجبال وفي الريف، اولئك الجنود المؤمنين بدينهم ووطنهم وقوميتهم الذين احتضنهم الشعب بمختلف فئاته دون ان يزحزحه عن موقفه ماصبه عليه الاعداء من شتى صنوف التعذيب والتنكيل.

وقد كان يطلق على هؤلاء الثوار البواسل والمحاربين الاشداء تلك التسمية الجديرة بهم والمستمدة من اصول الشريعة الاسلامية وهي « المجاهدون »، اذ كانت حربهم دفاعا عن العقيدة وعن الأرض والعرض وتحت راية « الله اكبر »، فكانت « جهادا » بمعنى الكلمة، ويكفيهم لاستحقاق تلك المكانة أنهم انتزعوا وطنا عربيا مسلما من براثن أعتى أنواع الاستعمار، وقضوا بذلك على محاولات العدو الغاصب « تنصير » أبنائهم، مستخدما في ذلك طائفة من المبشرين المحترفين على رأسهم الداهية المتعصب « لافيجري »، فجزائر اليوم كلها

مسلمون ، وينص دستورها على أن دين الدولة هو الاسلام . وأن لغتها الرسمية هي العربية . كما قضى أولئك المجاهدون الأحرار على أسطورة « الجزائر فرنسية » التي كان يتشدق بها الاستعمار الفرنسي ، مدعيا ان الجزائر جزء لا يتجزأ من فرنسا التي تمتد حدودها - تبعا لهذه الدعوى الباطلة - من دانكرك في اوروبا شمالا الى تامنراست « محافظة جزائرية » في افريقيا جنوبا .

ومازال يطلق اسم المجاهدين على الجزائريين الذين اشتركوا في حرب التحرير وشهدوا عصر الاستقلال ، وهم يسهمون اليوم في الجهاد الأكبر ، المتمثل في معركة البناء والتنمية الاقتصادية والاجتماعية للبلاد ، ويعتبرون هذا الاسهام رسالة سامية لا يقل اثرها عن دورهم في سنوات الحرب ، اما الذين قضوا نحبهم من ابناء الشعب الجزائري سواء منهم المعروفون او المجهولون ، فما زال المجاهدون الأحياء ينبشون عن رفاتهم لاعادة دفنهم ، اذ تكشف عنه معاول العمال كلما حفروا ارضا لارساء قواعد مصنع او مدرسة او غير ذلك من المنشآت والمؤسسات التي تنص برامج التخطيط التنموي على اقامتها ، « آخر واقعة من هذا القبيل اعادة دفن رفات الشهيدين العقيد عميروش - وسي الحواس اللذين سقطا بجبل « ثامر » بتاريخ ٢٩ مارس سنة ١٩٥٩ ، ورفات ١٢٩ شهيدا بمقبرة الشهداء بقسنطينة ، وذلك صبيحة يوم ٧ مايو ١٩٨٢ الموافق للذكرى السابعة والثلاثين لمذابح ٨ مايو ١٩٤٥ التي سقط فيها ٤٥ الف قتيل على أثر مظاهراتهم ، مطالبين فرنسا بتحقيق وعدها بمنح الجزائر الاستقلال بعد انخراطهم في التجنيد دفاعا عن الغرب ضد النازية والفاشية في منطقة « سطيف وخراطة - وقالمة » .

فما من سنة أو شهر أو أسبوع احيانا الا وتصور وسائل الاعلام منظر توقف الآلة الجارفة على اثر ظهور بقايا اجساد تحمل آثار الاحتراق او التعذيب وجماجم اخترقتها رصاصات غادرة ، وحينئذ ينصرف الرجال عن عملهم ليأخذ كل منهم فرعا من شجيرة يمسح بها التراب عن تلك العظام الطاهرة في رفق ، ثم يجمعون هذه الرفات وهم منحنون كأنهم ساجدون في صلاة لم يستطيعوا أداءها في وقتها منذ عقدين من السنين في أرض سقط فيها شهداء بعيدا عن الأنظار ، : **(وما تدري نفس بأي أرض تموت)** لقمان / ٣٤ صرعى مجندلين بأدوات الفتك الجهنمي للعدو الهمجي ، الذي أفرزته الحضارة الغربية ، - او مقدمين أرواحهم رخيصة دفاعا عن مقدسات الشعب والوطن والحرية .

وهؤلاء الشهداء الذين ظلوا مجهولين تحت التراب أو الوديان او جنادل الصخور في السفوح والجبال في اقصى الجهات بأرض الجزائر الشاسعة هم الذين رفضوا بعزائم قوية كالفولاذ اغتصاب حقوقهم او تقسيم تراب وطنهم ، فحاربوا عدوهم

المدجج بـأعتى الأسلحة وأحـدثها بصدورهم العارية أو ما ملكت ايديهم من سلاح قليل ضئيل ، وما ادخرت نفـوسهم من طاقـات التضحيـة ، فاستطاعوا ان يحطموا صلفه وغروره بقوة ايمانهم الذي لا يقهر ، فمنهم « المسبلون » حاملو الرسـائل بـين المقاتلين في الجبال بعضهم وبعض ، أو بينهم وبين أنصارهم في القرى والمدائن ، وقد حشدوا في معسكرات الموت بعد ان ألقى المجرمون عليهم القبض وهم يقومون بمهامهم النبيلة ، ومنهم المجاهدون الذين كانوا يجوبون الشعـاب والوديـان بـين ظهـراني الشعب ، ليثبتوا إيمانه في التحرير القريب ، ومنهم رجال تلك القوافل التي تحمل السلاح عبر الصحراء دحرا للعدو وشفـاء لصدور قـوم مؤمنين .

ومن ثم اصبحت المدافن الجماعية التي يعثر عليها ومواكب المشيعين لشهدائها بعد مرور عشرين سنة على الطلقات الاخيرة في الحرب التحريرية من الظواهر التي تسترعي النظر ، والتي تنبىء عن عمق الجهاد وبطولة المجاهد في الجزائر ، وتمثـل عبرة للشعوب العربية والاسلامية تستمد منهـا الحـافـز النبيـل عـلى بـذل التضحيات مهما عظمت في سبيل استرداد الحق الضائع ، واستعادة المقدسات التي تطؤها اقدام الأعداء الدنسة ، وتوحيد الجهود تحت راية الجهاد لصد الهجمات التي يشنها المستعمر القديم والجديد ، واثقة انه لا تحرير بغير ايمان بالحق وفداء في سبيله ، وأن النصر لا محالة عقبى المؤمنين المجاهدين .

ويحتل المجاهدون مكانة خاصة في نفوس أبناء جزائر اليـوم والأمس بالنظر الى المناقب المثالية التي كانوا يتسمون بها ، اذ كـانوا يتـركون أطفالهم وبناتهم ونساءهم بلا معيل ، بل عرضة للتنكيل ، ليعيشـوا مع الـوحـوش في مغـاور الجبـال وفي الغـابات ، جـائعين حفـاة عـراة ، مسددين رؤوس بنادقهم الى العدو في معاقله او في أثناء تجوله الارهابي ، حاملين أرواحهم على اكفهم لتقديمها في كل لحظة ذودا عمـا حرم الله انتهاكه ، ومن أجـل جزائـر حرة مستقلـة ذات راية خفـاقـة ورأي مسموع في العالم ومكان كريم تحت الشمس ، فاستحقوا ان ينظر اليهم الشعب الذي جاهدوا لتحريره كأنهم ملائكة مطهرة .

لقد كانوا يؤمنون بالمبادىء المثلى التي أرسـاها المسلمـون الأوائل ، ويقتدون بهم في السلوك القـويم ، فقاموا يدافعون عن المستضعفين في الأرض ، ويردون البغي والعدوان ، ويبنون مجتمعا جديدا على أسس من العدالة الاجتماعية ومنع استغلال الانسان لاخيه الانسان ، ونشر الاخاء والمسـاواة بين النـاس ، والتمكين للديمقراطية الحقة القائمة على حرية الرأي والشورى والأخذ بما تستقر عليه الأغلبية ، ولقـد حرمـوا على أنفسهم أثناء ثورتهم المسلحة طيبات الحيـاة ، منتصرين عـلى الغرائـز والنزوات البشرية ، وبلغ بهم ذلك حد

الاقلاع جميعا عن تدخين التبغ طفرة واحدة ، ضنا بثمنه لان المعركة المقدسة اولى بكل درهم ، وحفظا لصحتهم ، ولخشيتهم أيضا أن يتبين العدو مواقعهم من خلال ومضات لفائف الدخان المشتعلة .

ومن السمات التي تأصلت في نفوس الرعيل الأول من المجاهدين الجزائريين وحدة الصف الى جانب وحدة الهدف ، فكانوا يدا واحدة على أعدائهم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ، اقتداء بالصحابة والصالحين ، وكانت لهم نظم في محاكمة المخالفين منهم لردهم الى جادة الصواب ، كما كانوا يعقدون مجالس للصلح بين المتخاصمين ومكاتب للأحوال المدنية ، ومن ثم كان التلاحم بينهم وبين افراد الشعب وثيقا منذ أول رصاصة أطلقوها ، بل ان الثورة لم تكن لتقوم لولا الاعداد لهذا التلاحم عن طريق تصفية الحزازات التي نجمت عن تعدد الاحزاب السياسية وتفرق الناس بينها .

وقد غالى الناس أفرادا وجماعات في تقدير المجاهدين وتكريمهم من فرط اعجابهم بخلقهم وعملهم حتى كادوا يجاوزون الحد ، فكان اهل القرى عند اندلاع الثورة ينظرون الى المجاهد الذي يمر بهم في طريقه ، ويلبث بينهم حينا او بعض حين ، التماسا للراحة ا، للاختفاء عن أعين العدو المطارد له أو المتربص به ، كأنه من أحفاد الصحابة أو قبس من النور أو فيض من الخير العميم .

وبلغ تعظيم المجاهد أن كان ينسب اليه ما يشبه المعجزات ، ويعتبر خليفة وجنديا من جنود الله ، ولا شك أن ثمة عذرا لأصحاب هذا التصور وتلك المبالغة التي لم يكن يرضى بها المجاهدون المتشبعون بتعاليم الاسلام الحق ، ذلك لأن هؤلاء المبالغين كانوا قوما بسطاء ، فلم يجدوا غير هذا التصور وسيلة للتعبير عما تجيش به نفوسهم من مشاعر الاعجاب والتوقير والاعتراف بالجميل ، أضف الى ذلك أن كثيرا من المجاهدين يرجعون في أصولهم الى العرب الأوائل الذين وفدوا من شبه الجزيرة العربية وخصوصا من اليمن في أثناء الفتوحات الاسلامية ، فهم ينحدرون من أصلاب رجال تجري في عروقهم دماء العروبة والاسلام .

كما تعلل المبالغة في صورة المجاهد في عيون الجماهير المتشوقة للقائه وايوائه ومد يد المساعدة اليه ، مما كان يؤدي احيانا الى احراق العدو قرية كاملة بحرثها ونسلها انتقاما من أهلها ، بأنها كانت رد فعل تلقائيا للوسائل والحملات التضليلية التي كانت السلطة الاستعمارية تسعى جاهدة للتأثير بها في عقلية الشعب الذي وضع ثقته في قادته المناضلين ، عن طريق تشويه صورة المجاهد ، بادعاء تلك السلطة حينا أنه غول له رأس آدمي وجسم جرادة تطير من مكان الى مكان ، وانه يختفي في باطن الارض ثم يخرج من حيث لا يتوقع أحد ، وحينا أنه مجنون او غاز من الخارج لا ينتمي الى الشعب ولا

يسعى لصالحه ، أو خارج على القانون ، وغير ذلك مما يطفح به قاموس الاستعمار والصهيونية اليوم والأمس القريب ، وسوف يطفح به غدا حتى تتخلص من عارهما الشعوب ، ويكفي في هذا السياق نعت اعداء العرب والمسلمين للفلسطينيين المناضلين ولسائر جنود حركات التحرر الوطني وطلاب حق تقرير المصير بالارهابيين .

وثمة اسم آخر هو « الفلاجة » كان يطلقه الاستعماريون الفرنسيون على المجاهدين الجزائريين وقد اندثر بعد الاستقلال ، شأنه شأن الأسماء والنعوت الباغية الأخرى ، وهو صيغة مبالغة لاسم الفاعل المشتق من الفعل فلق أو قطع ، وقد استعاره الفرنسيون من اللغة التونسية الدارجة ، وكانوا يعنون به أن المجاهدين في نظرهم ليسوا الا فريقا من قطاع الطرق الذين يضربون كل من ألقى به سوء الطالع في طريقهم بشاطور على رأسه ، فيفلقونه نصفين ، قاصدين من وصف المجاهدين بهذه الصورة الخرافية البشعة ، تنفير الشعب من المجاهدين والحيلولة دون لحاق الرجال باخوانهم المحاربين بالجبل لمشاركتهم الجهاد ، لعلم المستعمرين أن جماهير الفلاحين هم بمثابة مخزن الثورة او التربة التي تمدها بكل العناصر الحيوية التي تحتاج اليها ، نظرا لأنهم اكثر الفئات عددا واكثرهم اضطهادا من قبل الأعداء ، وأنهم اذا تبنوا الثورة والمجاهدين على طريقها عجزت أية قوة عن الوقوف في سبيلهم .

ومن الأكاذيب التي لم يدخر الاستعمار جهدا في بثها قوله ان المحاربين في الجبال هم من حزب الباديسيين نسبة الى الشيخ المصلح عبد الحميد بن باديس رئيس جمعية العلماء الجزائريين المسلمين الذين يحاربون عبادة الأولياء وتقديم الذبائح قربانا على أضرحتهم ، ويستنكرون « الوعدات » التي سماها الشيخ البشير الابراهيمي رحمه الله « اعراس الشيطان » . وكان المستعمرون يقصدون من وراء ذلك اثارة الفتنة والعداوة بين أبناء الريف وبين المجاهدين ، بدعوى أنهم ضد التقاليد والمعتقدات ، وقد نجح المضللون في تسخير جمع من اعداء العلم والدين عميت بصائرهم واغرتهم السلطة الاستعمارية بالأموال والمناصب لكي يتهموا المصلحين بأنهم جاءوا بدين جديد ، وهم الذين دعوا للعودة الى الينابيع الصافية الاولى والأصول الصحيحة للأسلام ، والى محاربة « الطرقيين » أدعياء التصوف وما جاءوا به من بدع وخرافات وأباطيل .

لقد كانت الجماهير تعي واقعها من شدة معاناتها اليومية ، وبفضل حركة التنوير الجزائرية في أوائل القرن ، وتوقن أنه لابد ان يأتي اليوم الذي تتحرر فيه البلاد ، وتنتظر صابرة مؤمنة ذلك اليوم حين تهب ريح الثورة فتقتلع أوتاد الظلم والظالمين على يد فئة رائدة منها تقودها في سبيل التخلص من الصليبيين الجدد اعداء الأمة والحق ، ومن ثم رد كيد المفترين

الى نحورهم ، وذهبت محاولاتهم عبثا ، اذ كانت أوهى من خيوط العنكبوت مثلها كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف ، فكانت الجماهير تتلقى هذه الدعاية السوداء من افك الأعداء بالسخرية ، وتهزأ من غفلة الجنود الفرنسيين والمرتزقة الذين استعانوا بهم ، ادراكا منها انهم ما كانوا ليعتبروا المجاهدين جرادا أو وحوشا أسطورية أو رجالا مسهم الجنون الا لانهم أذهلوهم بمهارتهم وتفننهم في حرب العصابات .

وكان الشعب يدرك أيضا أن المحاربين في سبيل مبادئه وقيمه إنما هم فتيته الابطال ، والجماهير منذ أقدم العصور تعرف أبناءها الحقيقيين ، ومن ثم سمي الجزائريون الفدائيين منهم « المجاهدين » ، لما اتسم به عملهم من فضائل الجهاد ، إذ كانوا يصارعون القوات المحتلة لطردها من بلد ليس بلدها ويقاتلون عدوا يخالفهم في دينهم وقوميتهم ولغتهم وحضارتهم ، عدوا اتى من وراء البحر وتسلط على ارضهم واعتدى على حرماتهم بشتى اساليب المسخ والتشويه ، كانت الجماهير تعرف ذلك ابان ارتفاع صيحة الجهاد بل قبل اندلاع الثورة ، وهي لم تزل تذكره منذ دنست أقدام أول جندي فرنسي أرض الجزائر العربية المسلمة في ٥ يوليو ١٨٣٠ ، وكيف ينسى ذلك الماضي الأليم وهو مازال حيا متواصلا في الحاضر ، إذ يحتكر « المستعمرون » لأنفسهم أخصب الاراضي ، ويبنون افخر المساكن ، على حين يسكن اصحاب الارض في الأكواخ والخيام ، ويستولي هؤلاء الغاصبون عنوة على كل الخيرات ولا يدعون غير الفتات ؟ وانى يسمع الشعب للأقاويل المغرضة وهو يرى بعينيه ويحس بوجدانه مدى ما حل به من مواجع ومظالم بمصادرة ممتلكاته وحرمانه من سعادته بل تجويعه ، وتجهيله ، واهانته في دينه ، وانتهاك مقدساته .

فلا غرو ان تلقى الريفيون وأهل البوادي نبأ انطلاق الثورة بالفرحة الغامرة ، وانفجرت الشحنات الكامنة في صدورهم عشرات السنين ، فاستجابوا الى دعاة الجهاد ، مدركين ان الحرية لا توهب ، وانما تؤخذ وسط دوي البارود ، وتسابق الشباب الى الانخراط في الثورة ، وباع كثير من الرجال كل ما يملكون وطلقوا زوجاتهم - ليملكن حريتهن - والتحقوا بصف الثوار ، ومن لم يستطع من الشيوخ الحرب قدم ابنه اخا للمجاهدين وهو فخور قرير العين ، وشاركت المرأة أخاها الرجل فيما تستطيع من ضروب الجهاد . وبذلك تحول الشعب كله الى جيش من المقاتلين المؤمنين بقضيتهم والرافعين شعار « الموت او النصر » مستهدفين نيل احدى الحسنيين : قهر العدو وتحرير البلاد والعباد أو الفوز بالجنة ، فانهزمت جيوش الصليبيين الجدد ، وانتصرت ارادة المؤمنين ، لتكون في تلك الهزيمة وذلك النصر عبرة لمن يعتبر .

الصحوة الاسلامية وأثرها في حياتنا اللغوية

للدكتور مصطفى عبدالعزيز السنجرجي

يشهد مطلع القرن الهجري الجديد هذه الصحوة الاسلامية التي تمثلت في مظاهر متعددة ، وسيكون لها بمشيئة الله تعالى أعظم الأثر في الأمة العربية التي تسعى حثيثا ليتبوأ أبناؤها المكانة السامية التي أرادها لهم الله سبحانه ، وذكرها في كتابه العزيز اذ قال عز من قائل : (**كنتم خير أمة أخرجت للناس**) آل عمران
تمثلت هذه الصحوة الاسلامية في عدة مظاهر منها :

أولا : المؤتمرات الاسلامية :

فقد أقيمت عدة مؤتمرات تُذَكِّر المسلمين بماضيهم المجيد ، وما ينبغي أن يفعلوه ليكون لهم الغد الباسم السعيد ، ومن اليسير أن نلاحظ أن هذه المؤتمرات قد تنوعت فكان منها المؤتمرات الخاصة التي تتناول ناحية واحدة من حضارة الاسلام مثل مؤتمر الطب الاسلامي الذي عقد للمرة الأولى بدولة الكويت يوم الاثنين السادس من ربيع الأول عام ألف وأربعمائة وواحد من الهجرة وحضره عدد كبير من الأطباء والعلماء من جميع أنحاء العالم ، وتناولوا بالبحث والدرس تراثنا الاسلامي الشامخ في مجال الطب ، والتعاليم التي تضمنها هذا التراث في مجال العلاج والوقاية تلك التعاليم التي وضعها الرواد الأوائل من علماء المسلمين العظام الذين تدين لهم الحضارة الانسانية أمثال الرازي وابن سينا ، وابن الهيثم وابن النفيس والبيروني وغيرهم ممن ألَّفوا في الطب والعلوم المختلفة وكانت مؤلفاتهم أساسا لحضارة الغربيين ، استمدوا علومهم منها ، ومازالوا يرجعون اليها .

وقد امتد نشاط هذه المؤتمرات من الشرق الى الغرب ، وأذكر على سبيل المثال من هذه المؤتمرات الاسلامية التي عقدت في الغرب مؤتمر الدعوة الاسلامية الذي عقد في مدينة ميونخ بألمانيا الغربية .
وقد تناولت البحوث والمحاضرات فيه موضوع الدعوة الاسلامية في القرن الخامس عشر الهجري ودراسة آفاقها ، واستعراض معوقاتها ، ووضع التخطيط لتنشيطها ثم أصدر المؤتمر توصياته في ختام جلساته ,تناولت الكثير من الجوانب ، وفي مقدمتها اعتراف الحكومة الالمانية بالدين الاسلامي دينا رسميا اعتمادا على أن تعداد المسلمين عندهم يزيد على مليونين ، وهذا الاعتراف يحقق مزايا كثيرة للمسلمين من أهمها حرية انشاء المساجد والمدارس لأبناء المسلمين ، كما أعلن المسئولون في المركز الاسلامي عن نجاح المفاوضات الخاصة بشراء منزل مجاور للمركز لاعداده ليكون دار ضيافة ، ومكتبة اسلامية ، ومطبعة لطباعة المصاحف وكتب التفسير والفقه والتراث لخدمة المراكز الاسلامية ، كما يستعد هذا المركز لتنفيذ أكبر مشروع خاص بانشاء مزرعة لتربية الأبقار والدواجن، ويلحق بها مذبح اسلامي يتم فيه الذبح وفقا للشريعة الاسلامية .

ثانيا : المعاهد الاسلامية :

كذلك من مظاهر الصحوة الاسلامية اقامة المعاهد العلمية التي تعني بالدراسات الاسلامية ، وفي مقدمتها دور القرآن الكريم ، التي تهتم بدراسة أمور الفقه والتفسير و حفظ وتجويد القرآن الكريم .
وفي مجال اقامة المعاهد العلمية التي تعنى بالدراسات الاسلامية نذكر بالاعزاز والفخر أن هذه المعاهد أخذت تنتشر في الغرب أيضا ، وحسبي أن أذكر على سبيل المثال جامعة المشرق والمغرب في الولايات المتحدة الامريكية وهي أول جامعة يؤسسها المسلمون هناك ، وتقوم بتدريس العلوم بشكل عام من وجهة نظر اسلامية ، وتضم ثلاث كليات هي:كلية الهندسة ، وكلية التجارة ، وكلية الآداب والعلوم الانسانية ، بالاضافة الى معهدين أولهما:معهد للدراسات الاسلامية ، وثانيهما: معهد للدراسات الدولية .
وعلى الرغم من أن تأسيس هذه الجامعة لم يمض عليه أكثر من عام فان عدد الطلاب فيها بلغ خمسمائة ، ويتوقعون هناك أن يتضاعف العدد في السنوات القادمة.وبلغ عدد الاساتذة أربعين ويشرف على هذه الجامعة مجلسان احدهما : مجلس أمناء ، والثاني مجلس ادارة ، ويضم مجلس الأمناء نخبة من الشخصيات الاسلامية المعروفة كرئيس جامعة الملك عبدالعزيز ، ومدير جامعة الامارات ، .
ومما هو جدير بالذكر هنا أيضا انشاء معهد لتاريخ العلوم عند العرب والمسلمين بجامعة فرانكفورت ، فقد تبرعت دولة الكويت باقامة مقر هذا المعهد وساهم فيه العديد من الدول العربية ، وأقيمت حفلات افتتاحه في نهاية شهر رجب ومطلع شهر شعبان سنة اثنتين وأربعمائة بعد الألف أيضا .

ثالثا : المؤسسات المالية الاسلامية :

ومن مظاهر هذه الصحوة الاسلامية أيضا انشاء المؤسسات المالية فقد انتشرت هذه المؤسسات مع مطلع هذا القرن الهجري الجديد،وأعلن المؤسسون أنهم يستثمرون الأموال طبقا لما جاء به القرآن الكريم واحتوته السنة المطهرة ، وأقرته الشريعة الغراء ، كما أن التزامهم الديني يحتم عليهم السير على هذا النهج القويم في جميع معاملاتهم المصرفية ، لقد أعلنوا الجهاد في سبيل الله لرفع بلوى الربا عن الأمة الاسلامية ، فقد رأوا ما يتعرض له المسلمون من اغراء خبيث نتيجة للتأثير الضار الذي تقوم به المؤسسات المالية التي تخضع لنظام الربا الذي يتمثل في هذه الانظمة الدخيلة على الأمة الاسلامية ، وبما ان الله جلت قدرته قدمنحهم الرزق الواسع من المال فان واجب الشكر عليهم يقتضيهم ان يحققوا لاخوانهم المسلمين الحماية من الوقوع في الربا وأضراره وذلك بإنشاء هذه المؤسسات المالية الاسلامية .

ان هذه الصحوة الاسلامية التي ظهرت مع بواكير القرن الهجري الجديد جعلت العديد من جمهور المسلمين يعلنون سخطهم على المعاملات المالية التي تخضع لنظام الربا ، وقد وجدوا البديل الحلال في هذه المؤسسات الاسلامية ، ومن ثم أقبلوا عليها لينالوا خير الدنيا والآخرة .

وفي مجال المؤسسات المالية الاسلامية نذكر أيضا بالاعزاز والاكبار مشروع بيت الزكاة الذي إقامته دولة الكويت ليتولى جمع الزكاة ، وصرفها في مصارف الزكاة التي حددها الاسلام ، ولا يخفى ما لهذا المشروع من آثار عظيمة في تقوية ركن من أركان الاسلام وتيسير القيام به على المسلمين .

رابعا : الاعلام الاسلامي :

كذلك من مظاهر هذه الصحوة الاسلامية اهتمام وسائل الاعلام بالأحاديث الدينية ، وأخبار المؤتمرات الاسلامية ، بجانب البرامج والمسلسلات ، والقصص ، والمسرحيات ، وسير الأبطال ، ومشاهير الاسلام ، ولا ننسى في هذا المقام أن نشير الى مؤتمر الاذاعات الاسلامية والدور العظيم الذي يقوم به ممثلو هذه الاذاعات تجاه القضايا والمشاكل التي تعاني منها الشعوب العربية والاسلامية .

خامسا : المؤلفات الاسلامية :

فقد ظهرت عدة مؤلفات وموسوعات اسلامية واذكر منها على سبيل المثال كتاب

الثقافة الاسلامية الذي تخرجه هيئة اليونسكو ويقع في خمسة مجلدات كل مجلد منها يتناول مظهرا من مظاهر الثقافة الاسلامية .

أثر الصحوة الاسلامية :

هذه لمحة خاطفة عن مظاهر هذه الصحوة التي كان من أعظم آثارها أننا رأينا كثيرا من شبابنا قد صححوا مسيرتهم نحو الدين ، وأقبلوا على تفهم أحكامه ، والعمل بتعاليمه وآدابه ، وإنا لنرجو أن تكون هذه المظاهر صادرة عن يقين متين ، وعقيدة ثابتة ، وفهم حقيقي حتى تواصل هذه الصحوة مسيرتها وتحقق الغرض المنشود منها .

ويعنيني من الحديث عن مظاهر هذه الصحوة ان أذكر ما سيكون لها من آثار طيبة في حياتنا اللغوية . ذلك لأن الدعوة الاسلامية حينما أشرق نورها على العالم جاءت وبين يديها كتاب الله العزيز، الذي كان المعجزة الكبرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم،وكان له أعظم الأثر في نفوس العرب فعكفوا على قراءته وتدبر آياته ، وحرصوا على محاكات أسلوبه وكلماته ، وسرعان ما ظهر أثره في اللغة العربية اذ أضفى عليها كثيرا من مظاهر الحسن والبهاء ، كما ضمن لها النماء والبقاء . وقد وضعت كثير من العلوم العربية للمحافظة على هذا الكتاب العزيز ، وأقبل الدارسون على دراستها لتساعدهم على فهم أساليبه ، واستنباط الأحكام من آياته ، ومن هنا كان الارتباط الوثيق بين العربية الفصحى والدين الاسلامي ، فالعربية الفصحى وسيلتنا لفهم القرآن الكريم واستنباط أحكام الشريعة ، وتثبيت العقيدة والحفاظ على القومية العربية ، وتراثها المجيد ، ولهذا كان لزاما على أبنائها أن يرعوها حق رعايتها ، ويتصدوا لمحاربة من ينقصها أو يكيد لها .

وان من دواعي الاسف ان نراها قد تعرضت منذ امد بعيد لتحديات شديدة كان لها اثرها في هذا التدني الذي آلت اليه في عصرنا ، ومن ثم تعالت صيحات ذوي الغيرة عليها تنادي باستعادة مجدها ، ودراسة مشكلاتها ، ومعرفة اسباب ضعفها ، والبحث عن انجع الوسائل للنهوض بها ، والتنديد بالتحديات التي واجهتها ، وكان من اخطر هذه التحديات التي ظهرت في القرن الهجري المنصرم نشاط بعض المثقفين العرب في الدعوة الى العامية ، واللهجات المحلية واتهام الفصحى بالجحود والعجز عن التعبير عن مستحدثات العصر، وانها مثقلة بقواعدها السقيمة التي ترهق كل من يلتزمها ، او يحاول التعبير بها ، وبذلك كانوا يرددون ما ردده المستعمر منذ امد بعيد حين عزَّ عليه ان يرى الامة العربية يربطها رباط متين يحافظ على وحدتها وهو اللغة القومية فأخذ يعمل على تفتيت وحدتها وذلك بالقضاء على هذا الرباط الذي يربط بين اجزائها وخير وسيلة لذلك هو الدعوة

الى العامية ونشر اللهجات المحلية وهكذا نشطت الحرب الاستعمارية ضد اللغة العربية وكان في طليعة الابطال الذين حملوا لواء هذه الحرب الدكتور ﴿ولهلم سبيتا﴾ الذي يعد اول من كتب في العامية المصرية من الاجانب ، وقد الف كتابه « قواعد العربية العامية في مصر » سنة ١٨٨٠م وكان مديرا لدار الكتب المصرية ايام الاحتلال البريطاني » والناظرون في تاريخ هذه الحرب الاستعمارية ضد اللغة العربية يرون ان هذا الكتاب كان من المحاولات الاولى التي اثارت بحق شكوكا حول العربية لا تزال آثارها عالقة بالاذهان الى اليوم ، كما لا تزال القضايا التي حركها نعاني منها ، ونحاول جاهدين القضاء عليها . « واعتقد ان الداعين الى العامية في هذه الايام الاخيرة من المثقفين العرب، متأثرون الى حد كبير بهذه الحملات الاستعمارية ناسين او متناسين ما تجنيه العامية واحياء اللهجات المحلية على وحدة العرب والدول الاسلامية ، وحسبي ان اشير هنا الى هذا القرار المنصف الذي اصدره المستشرقون في مؤتمرهم الذي عقد ببلاد اليونان فقد جاء في هذا القرار « ان اللغة العربية الفصحى هي اللغة التي تصلح للبلاد الاسلامية والعربية للتخاطب والكتابة والتأليف ، وان من واجب الحكومات في هذه البلاد ان تعنى بنشرها بين الطبقات الشعبية لتقضي على اللهجات العامية التي لا تصلح كلغة اساسية لأمم تجمعها جامعة الدين والعادات والاخلاق » .

ومن اليسير ان ندرك ان هذا القرار يشير الى اهمية اللغة العربية الفصحى في البلاد الاسلامية والعربية ، وان واجب الحكومات في هذه البلاد ان تعنى بها عناية فائقة لأنها اللغة التي تصلح للتخاطب ، والكتابة ، والتأليف في هذه البلاد واستطيع ان اضم الى ذلك ان العناية بها توطد العلاقة بين هذه البلاد والقرآن الكريم والتراث العربي الاصيل ، كما ان نشر العامية واحياء اللهجات المحلية يبعدها عن ذلك ، ومن هنا تعالت صيحات بعض البلاد الاسلامية حين استشرى خطر العامية ، وتفاقم خطبها ، واتجه بعض اللغويين الى مناهج واساليب تتفق مع اللغات الاجنبية ولا توائم العربية ومن خير الامثلة التي تصور استياء الامم الاسلامية من هذا الخطر الداهم ما جاء في بيان « جاكرتا » الذي اصدره المؤتمر العالمي الاول للاعلام الاسلامي الذي عقد في الواحد والعشرين من شهر شوال سنة اربعمائة والف للهجرة واستمر ثلاثة ايام فقد اشتمل هذا البيان على التوصية التالية :

« تواجه اللغة العربية الفصحى بوصفها لغة القرآن تحديات خطيرة تستهدف القضاء عليها واعلاء شأن العاميات في البلاد العربية ، واحياء اللهجات واللغات القديمة باستعمالها في وسائل الاعلام من طباعة وصحافة واذاعة وتلفاز ، وذلك للحيلولة دون فهم القرآن الكريم ، والحيلولة دون الاعتزاز بالتراث الاسلامي العربي ، ومن هذه التحديات محاولة اخضاعها لمنهج اللغات الذي وضع اساسا على مقايسة اللغات الاجنبية ، وكذلك محاولة تصويرها بأنها لغة قومية تخص العرب وحدهم ولهم حق تطويرها بينما هي لغة الف مليون مسلم من بينهم العرب ،

ولذلك نأمل العمل على حماية اللغة العربية من هذه الاخطار ، وذلك بنشر الوسائط التي تحقق تعليم الاجيال الجديدة الفصحى لغة القرآن وخاصة في البلاد الاسلامية وتقديم الدعم المادي للمؤسسات التي تقوم بهذا الغرض ، واستعمال جميع الوسائل العصرية في تقديمها الى مختلف الاجيال والاوطان بطريقة مبسطة ومشوقة ».

ولا ريب ان هذه التوصية قد بينت بوضوح هذه الامور الخطيرة التي تعرضت لها اللغة العربية الفصحى في هذه الايام ، وكان من نتيجتها هذا التدني الذي نراه في الاجيال الناشئة ، ومن اخطر هذه الامور انتشار العامية واحياء اللهجات المحلية على الرغم من ظهور كثير من البحوث والمؤلفات التي تعالج هذه المشكلة منذ زمن بعيد ، ومن الباحثين من حاول احصاء هذه البحوث والمؤلفات وتتبعها بالدراسة والبحث .

وقد عرفت العربية منذ القرن الثاني الهجري لونا من التأليف يهدف الى سلامتها وتنقيتها مما بدأ يشوبها من كلام دخيل او مختلف عن سنن العرب في كلامها وعرف هذا اللون باسم لحن العامة وهكذا توالت جهود ائمة اللغة عبر هذه العصور الطويلة وكان لهذه الجهود اثرها الكبير في الحفاظ عليها ، ومن ثم ارى لزاما على ذوي الغيرة على العربية الفصحى ان يضاعفوا جهودهم في التغلب على سيل العامية الجارف ، وان يضعوا نصب اعينهم ارتباط هذه اللغة بالقرآن الكريم ، والتراث العربي والاسلامي فهذا الارتباط هو سبب صمودها وبقائها طوال هذه الاحقاب التي لم تظفر بها اي لغة سواها ، وان من اعظم الاعمال التي يجب ان نكرس لها جهودنا هو العمل على نشر اللغة العربية وتيسير تعلمها لغير الناطقين بها .

حقا لقد ظهر في هذا المجال محاولات جادة ونافعة في هذه الاونة الاخيرة اذكر منها هذه المعاهد التي تعنى بتدريب المعلمين على تعليم اللغة العربية مثل معهد اللغة العربية بجامعة الرياض ، ومعهد الخرطوم الدولي بالسودان ، والجامعة الامريكية بالقاهرة . ومنها مراكز تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها . مثل مركز اللغات بجامعة الكويت ، ومركز اللغات بالجامعة الاردنية ، ومعهد بورقيبة بالجامعة التونسية ، وشعبة تعليم اللغة العربية لغير العرب بالجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة ومركز تعليم اللغة العربية بجامعة ام القرى بمكة المكرمة ، ومركز تعليم اللغة العربية بمدينة البعوث الاسلامية بجامعة الازهر بالقاهرة ، ومعهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها بالجامعة المستنصرية ببغداد .

ولا ننسى في هذا المجال الاشادة بالندوات والمؤتمرات والبحوث والكتب التي أُلفت لنشر هذه الرسالة النبيلة ، وإنا لنتوقع المزيد من هذه الجهود المباركة حتى تسترد هذه اللغة مجدها ، وتعود لها مكانتها وعزتها وسيادتها ، والله الموفق الى سواء السبيل .

مائدة القارىء

من قالها دخل الجنة

الاستغفار عبادة ، وسيد الاستغفار هو ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت ، خلقتنى وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك على ، وأبوء بذنبى فاغفر لى ، فانه لا يغفر الذنوب إلا أنت » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من **قالها موقناً بها حين يمسى فمات من ليلته دخل الجنة ، ومن قالها موقناً بها حين يصبح فمات من يومه دخل الجنة » . أخرجه البخارى .**

يصلحهم العدل والحق

كتب أحد الولاة الى عمر ابن عبدالعزي يقول : إن أهل خراسان قوم ساءت رعيتهم ، وإنه لا يصلحهم إلا السيف والسوط ، فان رأى أمير المؤمنين أن يأذن لى بذلك :

فكتب أمير المؤمنين اليه قائلا : أما بعد فقد بلغنى كتابك ، تذكر أن أهل خراسان قد ساءت رعيتهم ، وأنه لا يصلحهم إلا السيف والسوط ، فقد كذبت ، بل يصلحهم العدل والحق ، فابسط ذلك فيهم ، والسلام .

لا تخدعك المظاهر

قال عمر بن الخطاب - رضى الله عنه : إنى لأرى الرجل منكم وقد لبس فاخر ثيابه ، وتعطر بأغلى العطور ، فيعجبنى شكله وهندامه ، فأقول : هل لهذا الرجل حرفة يقتات منها ، فان قالوا : لا . سقط من عينى .

على رجاء الفلاح

وقالوا توصل بالخضوع الى الغنى
وما علموا أن الخضوع هو الفقر
وبيني وبين المال شيئان حرما
على الغنى : نفسي الأبية ، والدهر
إذا قيل هذا اليسر أبصرت دونه
مواقف ، خير من وقوف بها العسر

فراسة

بينما كان الشافعى ، ومحمد بن الحسن - رضى الله عنهما - ماشيين إذ رأيا رجلا ، فقال الشافعى : إن هذا الرجل نجار ، وقال محمد بن الحسن : إنه حداد . فعندما سئل عن ذلك قال الرجل : كنت نجارا ، والآن اشتغل حدادا .

الأجل

قال حكيم : الموت كسهم مرسل إليك ، وعمرك بقدر سيره إليك .

موعد الغداء

سأل الضيف : متى تتناولون طعام الغداء كل يوم ؟
فأجاب الصغير : فى الساعة الواحدة بعد الظهر ، أما إذا كان لدينا ضيف ، فنتن وله إثر خروجه مباشرة .

على رجاء الفلاح

قال تعالى : « **يايها الذين امنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون . وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج** » الآيات من سورة الحج .

إلى الدعاة

قال الشيخ حسين المرصفى : « إن من نصب نفسه لوظيفة الهدى ، ودعاء الناس الى الخير ، يجب أن يكون أبعدهم عن التصنع ، وأحرصهم على الكمال ، فان أدنى هفوة منه تسقط اعتباره ، وتسهل التهاون به ، فلا يكون لكلامه تأثير في القلوب ، ويصقر مجلسه مسلاة يتلهى الناس بحضوره .

وقالوا : ما أحسنالتاج وهو على رأس الملك أحسن ، وما أحسن الدرة وهي على نحر الفتاة أحسن ، وما أحسن الموعظة وهى من الفاضل التقى أحسن .

القواعد الإسلامية للتخطيط الاجتماعي

محمد مؤذن

للدكتور / زيدان عبد الباقي

التخطيط من الأساليب العلمية التي يمكن استخدامها في مختلف النشاطات الانسانية ، ولا سيما في المجالين الاقتصادي والاجتماعي .

وذلك على أساس أن التخطيط يعتبر بمثابة الركيزة الأساسية للتنمية الاجتماعية والاقتصادية . وعلى ذلك فان تحقيق خطط التنمية الاجتماعية والاقتصادية لكل أهدافها مرهون بمقدار الدقة والموضوعية التي تلازم التخطيط لها .

وهذان النوعان من التخطيط يمكن تقسيم كل منهما الى أقسام فرعية : فالتخطيط الاقتصادي يمكن تقسيمه الى : تخطيط صناعي ، وزراعي ، وتجاري ... والتخطيط الاجتماعي يمكن تقسيمه الى تخطيط تعليمي وصحي وثقافي وترويحي وروحاني واداري وعمراني ... الخ .

والتخطيط الاجتماعي ـ على هذا النحو ـ يعرف بأنه « **عملية تغيير اجتماعي مقصودة ، ووسيلة فعالة لنقل مجتمع ما من مستوى الى مستوى آخر افضل عن طريق تصميم واصدار وتنفيذ مجموعة**

من القرارات المتناسقة والمتكاملة وغير المتعارضة ، بحيث يؤدى تنفيذها الى تحقيق الأهداف التي صدرت من أجلها الخطة ، وبأقل التكاليف الممكنة ، وفي المواعيد المحددة » .

وطبقا لهذا التعريف فان التخطيط ـ في كل المجالات ـ يحتاج ـ أولا وقبل كل شيء ـ الى نوع من التصور الذهني الناجم عن التنبؤ الاجتماعي لما يراد احداثه من تغيرات في البناء الاجتماعي . ومثل هذا التصور الذهني من الأمور المألوفة في حياة الفرد والجماعة ، والمجتمع المحلي ، والمجتمع الدولي ... كما أنه يحتاج الى عودة الى الماضي لاستلهام التجارب السابقة التي ترتبط بالموضوع أو المجال الذي يجرى التخطيط من أجله ، واذا عدنا الى الماضي ، نجد تجربة عريقة في القدم ، يصل عمرها ـ الى أبعد من عمر علم التخطيط ـ بأربعة عشر قرنا من الزمان . وهي التجربة المرتبطة بالغاء الرق في الاسلام ... فما هي أبعاد تلك التجربة الاسلامية الاجتماعية ؟

● الرق والاسلام :

لقد كان الرق سائدا في الجزيرة العربية ـ بل في العالم كله ـ قبل الاسلام . وكانت له وظيفته الاقتصادية بجوار وظيفته الاجتماعية . واستجابة لقوله صلى الله عليه وسلم : **« الناس سواسية كاسنان المشط »** ، وقوله أيضا **« كلكم لآدم ، وآدم من تراب ، لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى »** رواه أحمد في مسنده ، واستجابة للتوجيهات الواردة في القرآن الكريم جاءت الخطة الاسلامية للقضاء على الرق متدرجة ومنسجمة مع الاوضاع الاجتماعية ، وبصورة ساعدت على تجنب الهزات الاجتماعية الضارة بالمجتمع .

كان ذلك قبل معرفة علم التخطيط بأربعة عشر قرنا من الزمان ، فما هي تلك الأسس الاسلامية للتخطيط الاجتماعي ؟

● التخطيط الالهي للقضاء على الرق :

لقد ظهر الاسلام في عصر كان نظام الرق فيه دعامة ترتكز عليها جميع نواحي الحياة الاقتصادية ، كما ترتكز عليه جميع فروع الانتاج في مختلف أمم العالم يومئذ . ومن ثم فانه لم يكن من الاصلاح الاجتماعي في شيء أن يحاول المُشرّع الاسلامي تحريمه تحريما قاطعا وناجزا لأول وهلة . على اعتبار أن محاولة كهذه ، كان من شأنها أن تعرّض أوامر المشرّع للمخالفة والامتهان . كما أنه اذا أتيح لهذا المشرّع من وسائل القوة والقهر ما يمكنه من ارغام الناس على تنفيذ ما أمر به . فانه ـ بذلك ـ يعرّض الحياة الاجتماعية والاقتصادية لهزة عنيفة ، ويؤدي تشريعه الى أضرار بالغة .

لذلك فان التخطيط الالهي ـ من

أجل إلغاء الرِّق ـ اعتمد على إقرار الرِّق . لكن الاسلام الذي أقر الرِّق ، كان إقراره في صورة تؤدى هي نفسها الى القضاء عليه بالتدريج ، وبدون أن يترتب على ذلك أي أثر سيء في نظام المجتمع الانساني ، بل بدون أن يشعر أحد بتغيير مجرى الحياة الاجتماعية .

والوسيلة التي اتخذها هذا التخطيط من أجل تحقيق تلك الغاية من أحكم الوسائل وأبلغها أثرا وأصدقها نتيجة . وهي تتلخص في العمل على تضييق الروافد التي كانت تمد الرِّق وتغذيه وتكفل بقاءه ، مع توسيع المنافذ التي تؤدى الي العتق والتحرير . وبذلك أصبح الرق أشبه شيء بنهر كثرت مصباته وانقطعت عنه منابعه التي يستمد منها الماء . وخليق بنهر هذا شأنه أن يكون مصيره الى الجفاف . وبذلك كفل الاسلام القضاء على الرق في صورة سلمية هادئة . وأتاح للعالَم فترة للانتقال يتخلص فيها شيئا فشيئا من هذا النظام الذي يتعارض مع مبادىء الاسلام .

روافد الرق :

كانت روافد الرق في العصر الذي ظهر فيه الاسلام كثيرة ومتنوعة ، ومن أهمها سبعة روافد هي :

الرافد الأول : هو الحرب بجميع أنواعها ، حيث كان الأسير في حرب أهلية أو خارجية لا يخرج مصيره عن القتل أو الاسترقاق .

والرافد الثاني : هو القرصنة والخطف والسبى . وكان ضحايا هذه الاعتداءات يعاملون معاملة أسرى الحرب ، حيث يفرض عليهم الرق .

والرافد الثالث : هو ارتكاب بعض الجرائم الخطيرة مثل القتل والسرقة والزنا .. وفي هذه الحالات كان يحكم على مرتكب واحدة منها بالرق لمصلحة الدولة ، أو لمصلحة المجني عليه وأسرته .

والرافد الرابع : هو عجز المدين عن دفع دينه ، وبالتالي كان يحكم عليه بالرق لمصلحة دائنه .

والرافد الخامس : هو سلطة الوالد على أبنائه ، إذ كان يباح له أن يبيعهم بيع الأرقاء .

والرافد السادس : هو سلطة الشخص على نفسه ، بمعنى أنه كان يباح للمعوز أن يتنازل عن حريته ، ويبيع نفسه لقاء ثمن معين .

والرافد السابع والأخير : هو تناسل الأرقاء ، فكان ولد الجارية يولد رقيقا ، ولو كان والده حرا .

وكانت هذه الروافد تقذف كل يوم في نهر الرق بآلاف مؤلفة من الأنفس ، حتى أن عدد الأرقاء كان يزيد ـ في كثير من الأمم ـ على عدد الأحرار زيادة كبيرة .

● خطة الاسلام للقضاء على الرق :

جاء الاسلام وروافد الرق على هذه الكثرة والغزارة والقوة ، محرمها جميعا ما عدا رافدين اثنين هما : رِقّ

الوراثة . وهو الرق الذي يفرض على من تلده الأَمَةُ . ورق الحرب وهو الذي يُفرضُ على الأسرى . وعمد الى هذين الرافدين نفسيهما فقيدهما بقيود تكفل نضوب معينهما .

هذا ومن أهم القيود على كل رافد من هذين الرافدين ما يلي :

★ القيود على رافد رق الوراثة :

فمن أهم القيود التي وضعها الدين الاسلامي لرق الوراثة أنه استثنى منه في البداية الجواري من أسيادهن ، حيث قرر أن من تأتي به الجارية من سيدها يولد حرا اذا اعترف به السيد . فمن المعروف أن الاسلام قد أباح ـ للرجل أن يعاشر من ملكت يمينه من الرقيقات مهما بلغ عددهن . ولكن الاسلام لم يُسَمِّ هذه المعاشرة زواجا ، وإنما سماها تسريا ، وإن كان قد رتب عليها كثيرا من الالتزامات والحقوق . ومن هذه الالتزامات أن ولد الرقيقة من سيدها يولد حرا إذا اعترف به السيد . وأن ما تجيء به بعد هذا الاعتراف يعتبر ابنا للسيد ويولد حرا بدون ما حاجة الى اعتراف آخر صريح . كما أن الجارية نفسها تصبح « **أم ولد** » ... ولا يباح « **للسيد** » بعد ذلك أن يتصرف فيها ببيع أو هبة أو بأي عقد آخر ينزع ملكيته لها ، كما أن **هذه الجارية تعتق بعد وفاة سيدها** .

ويبدو أن الاسلام قد أباح هذه المعاشرة بين السيد وجواريه لتيسير العتق وللقضاء على رافد كبير من روافد الرق ، **وهو رق الوراثة** . وكان السيد ملزما فيما بينه وبين ربه ـ وإن لم يكن ملزما قضاء ـ أن يعترف بالولد الذي يجيء من معاشرته لرقيقته . واعترافه هذا يزيل عن الولد وأمه صفة الرق ، ويمنحهما نعمة الحرية . ويدلنا التاريخ على أن المسلمين ـ في بدء الدعوة الاسلامية .. كانوا محافظين على روح دينهم ـ بهذا الصدد ـ كل المحافظة . فكان الاسياد يعترفون وقد تحرر بفضل هذا النظام آلاف الأرقاء والرقيقات .

★ القيود على رافد رق الحرب :

ولعل من أهم القيود على رق الحرب أنه استثنى منه الذين يؤسرون في حرب بين طائفتين من المسلمين . فهؤلاء لا يضرب عليهم الرق سواءأكانوا من الطائفة الباغية أم من الأخرى . واشترط ـ فوق ذلك ـ أن تكون الحرب شرعية ، أي يجيزها الاسلام وتنفذ وفق قوانينه ويعلنها خليفة المسلمين ... ولا يكاد الاسلام يبيح الحرب إلا في ثلاث حالات هي :

١ حالة الدفاع عن النفس والوطن : وذلك استجابة لقوله تعالى : (**وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين**) البقرة / ١٩٠ .

٢ ـ حالة نكث العهد والكيد للدين الاسلامي : وذلك استجابة لقوله تعالي : (**وإن نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا**

أئمة الكفر إنهم لا إيمان لهم لعلهم ينتهون) التوبة / ١٢ .

٣ ـ عندما تتحتم الحرب لاعتبارات تتعلق بسلامة الدولة ، والقضاء على الفتنة استجابة لقوله عز وجل : **(وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين)** البقرة / ١٩٣ .

هذا ولم تتجاوز حروب النبي صلى الله عليه وسلم ، **هذه** الحالات ، سواء في حروبه مع قريش أو مع اليهود أو مع الروم . فاذا لم تكن الحرب مشروعة ، بأن أعلنت في غير الحالات السابقة . أو لم تنفذ وفق الأسس التي وضعها الاسلام ، أو لم تكن معلنة من قبل الخليفة ، فانها لاتؤدى الى رق من يؤسرون فيها . وحتى مع توافر هذه الشروط ، فان الاسلام لا يجعل الرق نتيجة لازمة للأسر . بل يبيح للامام أن يمن على الأسرى بدون مقابل . **أو يطلق سراحهم في نظير فدية أو في نظير أسرى من المسلمين عند العدو ، أو في نظير جزية تفرض على رؤوسهم** . ومما تجدر الاشارة اليه هنا أن القرآن الكريم قد تحاشى أن يذكر الرق بين الأمور التي يباح فيها للإمام أن يعامل بها الأسرى . واقتصر على ذكر المَنّ والفداء لقوله سبحانه وتعالى : **(فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما مَناً بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها)** محمد / ٤ .

ومن هذا يظهر أن الاسلام قد سلك حيال الرق عن طريق الأسر نفس المسلك الذي سلكه حيال الرّق الوراثي ، حيث قيده بقيود تكفل القضاء عليه . فهو لم يجعله نتيجة لازمة للأسر ، بل جعله مسلكا من المسالك التي يصح أن يتخذها الامام لم يحببه اليه ، بل حبب الى غيره وفضله عليه .

تلك هي الوسيلة التخطيطية التي اختطها الاسلام حيال روافد الرق ، والتي قضت عليها جميعا ، ما عدا رافدين اثنين . وهذان الرافدان قيدهما بقيود تكفل نضوب معينهما وأبلغ من هذا كله في الدلالة على حرص الاسلام على مبادىء الحرية هو ما سلكه حيال العتق وتحرير الأرقاء .

★ المنافذ الأخرى للعتق :

كانت منافذ العتق من الرق قبل الاسلام ضيقة كل الضيق . فلم تكن الا سبيل واحدة ، وهي رغبة المولى في تحرير عبده . وبدون هذه الرغبة كان مقضيا على الرقيق أن يظل هو وذريته راسفين في أغلال العبودية أبد الآبدين . هذا الى أن معظم الشرائع كانت تحظر على السيد أن يعتق عبده إلا في حالات خاصة وبشروط قاسية ، وبعد اجراءات قضائية ودينية واجتماعية معقدة كل التعقيد . وبعضها كان يفرض على السيد ـ فضلا عن هذا كله ـ غرامة كبيرة يدفعها للدولة ، لأن العتق كان يعد تضييعا لحق من حقوقها .

جاء الاسلام وتلك حال العتق في

ضيق منافذه وقسوة شروطه ، فحطم كل هذه القيود ، وفتح للأرقاء أبواب الحرية على مصاريعها ، وأتاح لتحريرهم آلافاً من الفرص الميسورة . وتلمس للعتق من الأسباب ما يكفي بعضه للقضاء على نظام الرق نفسه بعد أمد غير طويل ... فجعل الاسلام من أسباب العتق - على سبيل المثال - أن يجرى على لسان « السيد » في أية صورة : **لفظ يدل على عتق عبده** . سواء أكان جادا في النطق بهذا اللفظ أم كان هازلا . وسواء أكان مختارا أم مكرها . وسواء أكان في حالة عادية أم فاقدا لرشده بفعل الخمر وما اليها من المحرمات ، أو بسبب المعاناة من حشرجة الموت ... الخ . ومن هذا يتضح أن الاسلام يتلمس أوهي الأسباب لتحرير الأرقاء .

ومن الأسباب الأخرى - التي اتاحها الاسلام - للعتق ، أن يجرى على لسان السيد في أي صورة « **لفظ يفيد التدبير** » أي لفظ يدل على الوصية بتحرير العبد بعد موت سيده . إذ أن مجرد صدور عبارة عن « السيد » تفيد هذا المعنى ، تصبح الحرية مكفولة للعبد بعد وفاة سيده . وقد اتخذ الاسلام جميع وسائل الحيطة لضمان الحرية لهذا النوع من العبيد . فحظر على « السيد » في أثناء حياته أن يبيع عبده « **المدبر** » أو يرهنه أو يهبه أو يتنازل عنه لآخر ، أو يتصرف فيه أي تصرف ينقل ملكيته الى شخص آخر . واذا كان « **المدبر** » جارية يسرى حكمها على من تلده بعد تدبيرها ، فيعتق معها بعد وفاة سيدها ، أقر بذلك ورثته أو لم يقروه .

ومن أسباب العتق - في الاسلام - كذلك ، أن يأتي « السيد » من جاريته بولد يعترف ببنوته . ففي هذه الحالة يعتبر الولد « حرا » من يوم ولادته - كما ذكرنا ذلك فيما سبق - وتصبح الأم نفسها حرة بعد وفاة سيدها . وقد اتخذ الاسلام لضمان الحرية لهذا النوع من الرقيقات ، الاحتياطات نفسها التي اتخذها حيال النوع السابق .

ومن أسباب العتق الأخرى في الاسلام **ان يكاتب السيد عبده** ، أي يتفق معه على أن يعتقه ، اذا دفع له مبلغا من المال . وقد ذلل الاسلام لهذا النوع من العبيد جميع وسائل الحصول على المال ، في صورة تدل أوضح دلالة على شدة حرصه على الحرية . فقد أباح لهم أن يتصرفوا تصرف الأحرار ، بمعنى أن يبيعوا ويشتروا ويتاجروا ويعقدوا العقود ، حتى يستطيعوا جمع المبالغ المالية التي كوتبوا عليها ، وبالتالي تتحرر رقابهم . ومن أجل ذلك حث الاسلام المسلمين جميعا على مساعدتهم ، والتصدق عليهم ، فقال تعالى : **(وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله والذين يبتغون الكتاب مما ملكت ايمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا وآتوهم من مال الله الذي اتاكم ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ، إن اردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور**

رحيم) النور / ٣٣ .

ولم يكتف الاسلام بهذا كله ، بل جعل سهما من مال الزكاة ـ أي جزءا من موازنة الدولة ـ وقفا على مساعدتهم وتخليصهم من الرق . ويدل ظاهر القرآن الكريم ، على أنه لا يصح للسيد أن يمتنع عن قبول « **المكاتبة** » من أيدي العبد رغبة في تحرير نفسه لقاء مبلغ يدفعه ، وذلك استجابة لما جاء في الآية السابقة من قوله تعالى : (**والذين يبتغون الكتاب مما ملكت ايمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا و آتوهم من مال الله الذي آتاكم**) وقد سأل ابن جريج عطاء بن أبي رباح ، سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ضرورة المكاتبة « **أواجب عليّ اذا طلب مني مملوكي الكتابة أن اكاتبه** ؟ **فاجابه** : عليه الصلاة والسلام بقوله : « **ما أراه إلا واجبا** » ... واستدل بالآية الكريمة السابقة . واذا كان المكاتب « جارية » سرى حكمها على من تلده بعد مكاتبتها ، فيعتق معها بدون « عوض » بمجرد ادائها المبلغ الذي تعاقدت مع سيدها عليه ، سواء أرضى « السيد » بذلك أم لم يرضَ ؟

العتق والتكفير عن الذنوب :

وفضلا عن هذا كله ، فقد عمد الاسلام الى طائفة كبيرة من الجرائم والأخطاء التي يكثر حدوثها بين آونة وأخرى ، وجعل كفارتها تحرير الأرقاء . فقد جعله الاسلام تكفيرا للقتل الناشيء عن خطأ ما ، وما في حكمه ... وللحنث في اليمين ، وللظهار ـ وهو أن يقول الرجل لامرأته : **انت علي كظهر امي** ـ وذلك تلبية لقوله تعالي : (**والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا ، فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ، ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير**) سورة المجادلة / ٣ .. وتكفيرا أيضا للقتل الخطأ ، كما جاء في قوله تعالى : (**وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا الا خطأ ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى اهله الا أن يصدّقوا فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى أهله وتحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليما حكيما**) النساء / ٩٢ . وتكفيرا أيضا عن اليمين اللغو واليمين الغموس لقوله سبحانه وتعالى : (**لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم او كسوتهم أو تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة ايام ذلك كفارة ايمانكم اذا حلفتم واحفظوا ايمانكم كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون**) المائدة / ٨٩ ... الخ . وتقرر الشريعة الغراء أن من وجبت عليه كفارة من هذه الكفارات ، ولم يكن يملك عبدا ، وجب عليه أن

يشتري عبدا ويعتقه متى كان قادرا على ذلك .

تحرير الأرقاء من أكبر القربات :

وبجانب هذا كله حبب الاسلام الى الناس تحرير الأرقاء وجعله من أكبر القربات التي يتقرب بها المؤمن الى الله تعالى . حتى أن النبي صلى الله عليه وسلم ليضرب به المثل في جلال العمل وعظم الأجر ، فيقول « **من فعل كذا ... فكانما أعتق رقبة** » أو « **يكون ثوابه عند الله ثواب من أعتق رقبة** » ... الخ .

ولم يكتف الاسلام بهذا كله ، بل خصص سهما من مال الزكاة ـ أي جزءا من موازنة الدولة ـ ليصرف في الانفاق على تحرير الأرقاء ، أي شرائهم وعتقهم . ومساعدة من يحتاج منهم للمساعدة في سبيل تحريره كالمكاتبين ومن اليهم ، فقال تعالى : (**إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب**) التوبة / ٦٠ . اي فك قيود الرق عن رقاب الأرقاء . والمقصود « بالصدقات » في الآية الكريمة ، الزكاة التي كان يتألف منها أهم جزء من موارد الدولة .

الحرية والحياة العائلية للرقيق :

أما فيما يتعلق بالحياة العائلية أو الاجتماعية للرقيق نفسه ، فإن الاسلام لم يقتصر على ما قرره بصدد « **أم الولد** » وإلحاق نسب أولادها بسيدها ، بل حرص كذلك على أن يكون للرقيق حياة عائلية مستقرة عن سيده ، وعن أسرة سيده . فحث « السيد » أن يزوج أرقاءه ذكورهم وأناثهم زواجا شرعيا كاملا على طريقة التعاقد . فقال سبحانه وتعالى :

(**وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم**) النور / ٣٢ ـ أي زوجوا ـ.

زواج الأرقاء بالأحرار :

ولم يجز الاسلام للأرقاء أن يتزوجوا من أرقاء مثلهم فحسب ، بل أباح لهم أن يتزوجوا من أحرار . ذلك أنه يجوز للمسلم من العبيد ـ في الاسلام ـ أن يتزوج « **حرة** » غير سيدته والأمة « **حرا** » غير سيدها . ولم يجعل الاسلام للسيد أي سلطان على رقيقه ، ولا على جاريته في شئون أسرتهما الخاصة ... فلم يمنحه مثلا الحق في التفرقة بين رقيقه وزوجته ، ولا بين أمته وزوجها . وقد روى ابن ماجة في سننه عن ابن عباس أنه قال : أتى النبي عليه الصلاة والسلام رجل فقال : يا رسول الله ، سيدي زوجني أمته . وهو يريد أن يفرق بيني وبينها ، فصعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر ، فقال « **يا أيها**

الناس ، ما بال أحدكم يزوج عبده أمته ، ثم يريد أن يفرق بينهما ! إنما الطلاق لمن أخذ بالساق » زاد المعاد ص ٢٠٠و ٢٠١ . يقصد بذلك أن حق الطلاق ـ في هذه الحالة ـ لا يكون إلا للزوج نفسه وليس لسيده .

تعقيب :

وهكذا نجد أن الاسلام قد أرشدنا الى الأسس العلمية للتخطيط الاجتماعي بمثال تطبيقي يتعلق بتحقيق قاعدة الحرية الاسلامية لكل المسلمين . فقد حدد الاسلام هدف الخطة وهو « **تحرير الأرقاء بدون إحداث أية هزات اجتماعية** » ثم التزم بالمباديء العلمية للتخطيط مثل : ـ

ـ **مبدأ الواقعية** : حيث راعى الاسلام الدور الاقتصادي والاجتماعي للرقيق . ومن ثم لم يدع الى تحريره مرة واحدة ، وإنما أخذ بمبدأ التدرج الاجتماعي حتى يتقبل المجتمع « **التغير الاجتماعي الايجابي** » الذي جاء به الاسلام . وبالتالي فقد تحققت الحرية للرقيق ، وتحققت المساواة الاسلامية في المجتمع ، مع استمرار المجتمع الاسلامي ـ بعيدا عن الهزات المدمرة ـ في الازدهار والتقدم .

ـ **مبدأ الشمول** : حيث راعت الخطة الاسلامية عدم استثناء أي شخص من الرقيق أو من السادة من الالتزام بكافة أوامر الدين ونواهيه . كما حدد كافة الروافد التي تغذي نهر الرق والغاها جميعها على الفور ، ما عدا اثنين منها وضع لهما من القيود والمنافذ ما يقضي ، ودون نسيان « **رافد** » أو إهمال « **منفذ** » .

ـ **مبدأ المرونة** : حيث أباح الاسلام المكاتبة بين «السيد » وعبده أو أمته ، والزم « السيد » ـ كما ألزم الدولة ـ بمساعدة الرقيق في تحرير أنفسهم ، وكذلك أعطى الحرية للسيد في الاعتراف ببنوة من تلده له أمته . ورتب على هذا الاعتراف حرية المولود ، ثم حرية الوالدة ، بعد وفاة سيدها ، حتى تتحرر رقاب الأرقاء بعيدا عن المصادمات الدموية بينهم وبين سادتهم بما يتفق مع ظروف ذلك الزمان ، والظروف التي كانت سائدة في الجزيرة العربية يومئذ .

ـ **مبدأ التقدمية** : حيث رفض الاسلام **التفرقة العنصرية** بمختلف أشكالها ، وحقق المساواة بين كل المسلمين . وجعل الأفضلية لمن يحوز « التقوى » التي كانت ـ ولا تزال ـ متاحة ـ لمن يريد ـ الحصول عليها بدون معوقات ، ويكون له حينئذ أن يتساوى مع سيده السابق أو يتفوق عليه اذا كانت لديه مبررات التفوق ... وكان ذلك قبل صدور الاعلان العالمي لحقوق الانسان بثلاثة عشر قرنا من الزمان . ذلك الاعلان الذي يتشدق به الأوربيون بالرغم من أن الأخذ به من الأمور الاختيارية . وذلك أبلغ دليل على **تقدمية الاسلام** الذي تنبأ بالصراع الحتمي الذي يمكن أن يقع بين العبيد وسادتهم عندما تتوافر للفريق الأول عناصر القوة على الفريق

الثاني . وبالتالي عمل الاسلام على تجنب ذلك الصراع .

ـ مبدأ الموازنة بين التنمية الاقتصادية وبرامج الخدمات :فقد راعى الاسلام دور الأرقاء في القيام بمختلف الأعمال اليدوية الزراعية والصناعية والتجارية ، عن طريق تحرير الأرقاء على التدريج ، وليس دفعة واحدة . وذلك حتى لا تتوقف المنتجات الزراعية والصناعية والتجارية التي كانت تقوم ـ بصفة كلية ـ على سواعد العبيد . وبالتالي تحدث مجاعة في المجتمع ... ولذلك تميزت الخطة الاجتماعية لتحرير رقاب الأرقاء بالمرونة والتدرج من جانب ، **وبالمواءمة والتنسيق** بين حاجات المجتمع **الاقتصادية وحاجاته** الاجتماعية من جانب آخر .

ـ مبدأ التنسيق : حيث أخذ الاسلام بتحرير الذكور والاناث من الرقيق ، وفتح كافة منافذ العِتق على مصراعيها بطريقة منظمة ومتماشية مع بعضها البعض ، ومع الأوضاع والظروف الاجتماعية لتجنيب المجتمع ويلات الهزات الاجتماعية .

ـ واخيرا مبدأ مراعاة الظروف الداخلية والخارجية : حيث كان ـ ولا يزال ـ الاسلام موضوعيا مع نفسه ومع المجتمع ، بل مع مختلف المجتمعات والأمم التي كان من المتوقع امتداد الاسلام اليها ، باعتباره الدين الخاتم ، أو الدين العام للبشرية كلها ، والذي ليس لبشر أن يتخذ دينا سواه ، ولذلك كانت القواعد التخطيطية الاسلامية ضرورية في كل زمان ومكان داخل الدولة الاسلامية ... ومتاحة لمن يرغب في تطبيقها من مختلف الدول الأخرى غير الاسلامية .

ولذلك ، فكما يعرف التخطيط الاجتماعي الحديث يمكن أن يعرف التخطيط الاجتماعي الاسلامي بأنه **« عملية اجتماعية مستمرة تتناولها جماعات أو قيادات شعبية ، يتعاون فيها علماء دين ، ومهنيون ، وخبراء ، ومتخصصون . وتتضمن دراسة موضوعية ، وروية وتؤدة ، وتدبرا و بصيرة ، وخبرة عملية ونظرية ، وتفكيرا وتنبؤا لتعبئة موارد المجتمع البشرية والمادية واستثمارها في تحقيق أهداف المجتمع »** .

ذلك هو « التخطيط الاجتماعي الاسلامي » وتلك هي قواعده وأهدافه التي أخذ بها الاسلام عندما أشرق نوره على البشرية منذ أربعة عشر قرنا من الزمان ... ومما تجدر الاشارة اليه أنه بالرغم من أسبقية المسلمين الى مثل هذا التخطيط الإلهي العلمي ، فان المسلمين المعاصرين يتهافتون الى قواعده المستوردة بدلا من الغوص في البحار والمحيطات الاسلامية بحثا عن اللآلىء الاسلامية واستخراجها وتجليتها وتقديمها للناس . ولا سيما للأجيال التي تحتاج منا نحن الآباء والمعلمين والأساتذة الى العمل المخلص على « **اسلمة** » العلوم التي تجري تنشئة الأطفال اجتماعيا عليها .

الغيرة بين المشروع والممنوع

للـدكتور
عـز الدين عـلي السيد

خلق الله الانسان بفطرة صافية مستقيمة ، فاذا تلقت هذه الفطرة الصافية ظروف الحياة فتعاملت مع الوسط الاجتماعي والطبيعي حولها ، وتـدرجت في النماء قـوى الجسم ومدارك الوجدان ـ أخذت هذه الفطرة في التأثر بكل ما حولها من وجودها ، الذي لا يمكن ان تستقل عنه ، والذي ما خلقت الا لتحيا فيه ، على درجة ما من الصراع الدائم تغلب وتغلب .

وهذه الفطرة النيرة في الانسان ، مهما تغلفت بالحجب الكثيفة من ظلام الفتن والشهوات والضلال عن الحق ، لا بـد لها في سـاعة من اليقظـة والاشراق ، المنتصر حينا ، او الذي ما يومض حتى ينطفىء حينا آخر .

وقد بين الحق جل علاه بما لا يحتاج الى زيادة ، صفاء تلك الفطرة في أول الخلق ، ومواءمتها لما شرع ، فقال تعالى : **(فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون)** ٣٠ / الروم .

ومن البديهيات ان الفطرة قبل ان تلتاث بما في الحياة من مخالفات للدين ، هي بيضاء نقية نقاء الدين ، لذلك فسر الفطرة في الآية كثير من الصحـابة ومن بعـدهم بالاسـلام الفطري ، الذي يؤكده في مستأنف الحياة إيماننا الشرعي ، فاذا جانبه سقط حينئذ الاعتداد به .

قال القرطبي : والاولى حمل لفظ (الناس) في الآية على العموم من غير فرق بين مسلمهم وكافرهم ، وانهم جميعا يفطرون على ذلك ، لولا عوارض تعرض لهم ، فيبقون ـ لعل الامام القرطبي اراد « فيصيرون » لأنهم كانوا عـلى الفطرة ـ بسببها على الكفر ، كما في حديث ابي هريرة الثابت في الصحيح : « ما من مولود إلا يولد على الفطرة ـ وفي رواية : على هذه الملة ـ ولكن ابـواه يهودانـه وينصرانه ويمجسانه ، كمـا تنتج البهمة بهمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ؟» ثم يقول ابو هريرة :

واقرأوا ان شئتم« **فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله** » ٤/٢٢٤ فتح القدير .

واقول ردا على الواحدي الذي يرى تخصيص لفظ « الناس » في الآية بالذين فطرهم الله على الاسلام ، لأن المشرك ـ في نظره ـ لم يفطر عليه : إن سياق الحديث الصحيح لا يساعده ، لأن « ما من مولود » قد جاءت فيه النكرة في سياق النفي فهي عامة ، ثم اكد نفي العموم قبل الاستثناء بحرف الجرد الزائد « من » ولو كان المراد ما بينه ، لسقطت دلالة الاستدراك في الحديث « ولكن ابواه يهودانه ...» كما تسقط دلالة التمثيل بالبهمة تولد جمعاء حتى تنالها يد البشر فتصبح جدعاء . ذلك فضلا عن طائفة من نصوص السنة تؤكد هذا المدلول ، منها ما ورد عن عياض بن حماد في الحديث القدسي : « واني خلقت عبادي حنفاء كلهم ، وانهم أتتهم الشياطين فاضلتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما احللت لهم » ٤/٢٢٦ فتح القدير .

عودة :

في المقومات الأولى لهذه الفطرة ، ما نسميه بـ « الغيرة » لأنها ترتبط ارتباطا وثيقا بالصحة النفسية والحياة الوجدانية ، التي تحفظ بنموها واعتدالها صحة حياة الفرد وصحة حياة المجموع

ويمكن ـ دون حاجة الى الفلسفة وحدودها ـ ان نكتفي بتفسيرها اللغوي ، وهي في اللغة الحمية والانفة : اي انها حساسية في النفس ينطلق منها صوت الانكار لما تراه حيفا على ما تجب حمايته ، وهذا الصوت النزوعي هو رد الفعل لهذا الحيف ، وقد يتمثل في تغضن الجبين نتيجة الانفعال ، عند عدم القدرة على التعبير بما هو أمثل ، وقد يزيد الى ارتكاب قتل المعتدي عند القدرة ، وتبرير النفس الثائرة لهذا النوع الكبير من رد الفعل .

والذين لا يغارون ـ على الاطلاق ـ قد فسدت عندهم الفطرة ، فهم ادنى في تبلدها من بعض الحيوان ، وانما اقول : « بعض الحيوان » لأننا نرى الكثير من انواع الحيوان يغار ، والمشاهدة المتكررة على اصنافه ـ حتى النازلة ـ تؤيد هذا الحكم .

مشروعية الغيرة :

وأعلى ما تؤيد به الغيرة وتكرم ، انها صفة لله جل علاه ، من اجلها حد الحدود التي عندها يجلد الانسان او يقتل قصاصا ، او يحكم عليه بدخول النار طهرة او خلودا ، حين يحيف على حمى الله الذي يجب ان يحذر ، والذي وضع على رأسه قوله تعالى: **(يا عباد فاتقون)** ١٦/الزمر وقوله : **(ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد)** ٣٠/آل عمران .

وكما ان ذلك كذلك ، يلحقه في التكريم للغيرة انها من خلق النبي صلى الله عليه وسلم ، الذي خلقه القرآن ، فلم تكن انفعالاته الا رد

الفعل لهذه الغيرة ، حين يرى المخالفة لشيء أمر الله به ، او الوقوع في أمر نهى الله عنه .

وقبل الدخول في التفصيل نذكر من الحديث بعض الشواهد ، التي تؤيد الحرص الشديد من رائد الامة وقائدها ومعلمها الرؤوف الرحيم ؛ لتكون هذه الغيرة خلق المؤمن ، الذي يحقق ذاته الايمانية ، ليتحقق به وبأمثاله مجتمع الاسلام العفيف الشريف .

قال ابو هريرة رضي الله عنه : قال سعد بن عبادة : يا رسول الله ، لو وجدت مع اهلي رجلا لم امسه حتى اتى باربعة شهداء ؟ قال : « نعم ». قال : كلا والذي بعثك بالحق إن كنت لأعاجله بالسيف قبل ذلك ! قال النبي صلى الله عليه وسلم : « اسمعوا ما يقول سيدكم ! انه لغيور ! وانا أغير منه ! والله أغير مني !» اخرجه مسلم .

لعلك ترى ان وصف النبي سعدا بالسيادة ، وامره الاصحاب ان يسمعوا ما يقول ، ما هو الا اعجاب بغيرته ، يؤيد ذلك عدم الانكار عليه ، والحاق غيرته بذلك الاستدراك الذي جعل نبيه شريكا له في الغيرة من وجه ، وأفضل من وجه ، ثم رفع هذه الغيرة تصعيدا إلى القمة ، حيث نسبها على وجه التفضيل الى ربه جل علاه !

وما اروع ما جاءت عليه العبارة الاولى من النظم ودقته « إنه لغيور » حيث أكدت بالاسمية ، و « إن » و « اللام » وصيغة المبالغة التي تدل على دوام استصحاب الصفة ، تقريراً لتلك الغيرة الغالية في خلق الصاحب الجليل ، لأن الغيرة سلاح المؤمن الحق الذي يحارب به الرذيلة ويذود به عن الشرف !

« **إن الله تعالى يغار ، وإن المؤمن يغار ، وغيرة الله أن يأتي المؤمن ما حرم عليه** » ١/٣٥٩ ـ الفتح الكبير .

وقد ذم وهدد رسول الله صلى الله عليه وسلم من لا يغار على عرضه اشد الذم والتهديد بقوله : « ثلاثة قد حرم الله عليهم الجنة : مدمن الخمر ، والعاق لوالديه ، والديوث الذي يقر في أهله الخبث » ١/٥٣ ـ الفتح الكبير .

ولغيرة الحق جل علاه على كلمته أوجب القتال لتكون كلمته العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى . ولغيرته على الحقوق والواجبات التي سنها لقيام المجتمع المثالي اوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وجعلهما مع الايمان موجب الوصف بخيرية هذه الأمة اذ قال : (**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله**) ١١٠/آل عمران .

وجعل النبي ادنى انكار المنكر بغضه عند العجز عن كفه ودرئه وذلك أضعف الايمان ، ومثل المجتمع تارة بسفينة في البحر ، لو ترك أهلها لسفيه أن يخرق ما يدعي أنه من حقه فيها ما كان لهم الا ان يغرقوا جميعا ! ومثلهم تارة بالجسم الواحد يصاب بالحمى والسهر لعضو واحد منه أصابه الألم ، وذلك منه صلوات الله وسلامه عليه ايقاظ لوعي أمته ، حتى يبرأ من

جريرة ما تجلب على نفسها من مصائب التساهل والتفريط في جانب الله !

ما يغار عليه :

والذي يستوجب غيرة المؤمن : دينه بكل ما تحت هذا اللفظ من قضايا ، ودمه وماله وعرضه ، وجواره ووطنه وارضه .

وقد حرم الله الاعتداء على ذلك كله ، وأوجب حمايته والحمية له ، ولقد كانت خطبة الوداع التي تحمل أحر ما حملت كلمات النبي صلى الله عليه وسلم قانونا حادا للمؤمنين في ذلك : « كل المسلم على المسلم حرام ؛ دمه وماله وعرضه » رواه مالك والبخاري ومسلم .

كما جعل القتل دون عزيز من هذه الغوالي شهادة تنال بها الجنة : « من قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون دمه فهو شهيد ، ومن قتل دون دينه فهو شهيد ، ومن قتل دون اهله فهو شهيد » ؟ الامام احمد عن سعيد ابن زيد .

وليستقيم حال المجتمع على هذا السمو ، حرم الله ورسوله كل وسيلة تؤدي الى نقض البناء بنقض طهره ، فقال تعالى : (**إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا**) الاسراء/٣٦ في معلمة اوامر ونواه من هذه السورة تنير السبيل وتشفي الغليل ، وقال جل علاه : (**يا ايها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما**) ٥٩/الاحزاب .

كما أمر تعالى بغض البصر واتقاء المحارم ، وكرر رسوله التحذير في صور متعددة منها : « العينان زناهما النظر ، والأذنان زناهما الاستماع ، واللسان زناه الكلام ، واليد زناها البطش ، والرِجْلُ زناها الخطى ، والقلب يهوى ويتمنى ، ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه » متفق عليه : واللفظ لمسلم .

وقد امر صلى الله عليه وسلم نساءه ان يحتجبن امتثالا لأمر الله بالحجاب إذ قدم ابن ام مكتوم كفيف البصر ، قالت ام سلمة الراوية : يا رسول الله ، اليس هو اعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا ؟ فقال منكرا عليها عدم ادراكها لمغزى الأمر بالحجاب : « أفعميا وان أنتما ؟ ألستما تبصرانه ؟» رواه احمد بل نهى ان تنظر المرأة الى عورة المرأة او تفضي اليها في الثوب الواحد ، لأن ذلك مظنة ان تصفها لمن يفتن بها !

وليس أدل على هذه الغيرة الشريفة لديه ، من انه قد هم ان يفقأ عين رجل بمشقص كان في يده ، لأن الرجل قد اقحم عينه من ثغرة في الجدار ينظر ما وراءه . وانه نفي المخنث خارج المدينة لكليمات قالها ، مع علمه ألا إربة له في النساء ، وبعث عليا ليقتل قريبا لأم المؤمنين مارية كان يزورها صلة للرحم ، فلما رأى الرجل السيف لامعا وعليا قاصدا اسرعت به فطنته ليكشف عن نفسه فاذا هو أجب لا شيء له ، فكف عنه وأخبر النبي ما

رأى ! (تاريخ الطبري ٣/١٧٢) .
كما حرم خلوة غير المحارم ، وسئل في الحم فقال : انه الموت ! وحرم ان تخرج المرأة متعطرة ولو كان خروجها الى المسجد وشدد في ذلك ليدرأ عن امته الفتنة . لقى ابو هريرة امرأة وجد منها ريح الطيب ولذيلها اعصار ، فقال : يا أمة الجبار جئت من المسجد ؟ قالت : نعم . قال : اني سمعت حبي أبا القاسم صلى الله عليه وسلم يقول : « لا تقبل صلاة امرأة تطيبت للمسجد حتى تغتسل غسلها من الجنابة » ١/٨١٥ : جمع الفوائد بلفظ ابي داود .

وطن المؤمن :

واما وطن المؤمن فقد اوجب الله القتال غيرة عليه أن ينال ، ودفاعا عنه ان ينتهك ، لأن في البلادة عن حقه انتقاصا لأرض الايمان ، واضعافا لشوكته ، وتضرية للطامع ، وانحطاطا بالنفس عن منزلة حشرات الارض التي لا يسلم من حماتها من يعتدي على جحورها ، ومن اجل ذلك ظل شعور النبي والمهاجرين مشدودا الى مكة التي أخرجوا منها ، حتى عادوا اليها فاتحين منتصرين ، بعد حروب متكررة من حين الى حين ! وقد نهى الله المؤمنين عن بر من اخرجوهم من ديارهم والاقساط اليهم ، تنويها بحق الوطن واغراء ببغض المعتدين عليه ، الى ان تمكن الفرصة لاغتصاب الحق السليب !
قال تعالى : **(واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم)** ١٩١/البقرة .
وقال : **(إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون)** ٩/الممتحنة .

الجوار :

واما الغيرة على الجار فهي غيرة على النفس ، لأن من وصل اذاه الى جارك دون غيرة منك ، فما بقي بينه وبين الوصول اليك من حجاب ، وما زال جبريل يوصي النبي بالجار حتى ظن انه سيورثه !

قال تعالى : **(وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب)** ٣٦/النساء. وقال معلم الناس الخير : « من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليحسن الى جاره » بلفظ مسلم عن ابي شريح .
وقال : « خير الجيران عند الله تعالى خيرهم لجاره » ١٥١ : رياض الصالحين عن ابن عمر .

غيرة الازواج :

وغيرة كل من الزوجين على صاحبه هي وليدة الحب ، وهي غيرة « محمودة » اذا اعتدلت ، لأنها تولد الحدب على حفظ كيان المنزل السعيد ، ولكنها تنتقل من ذلك البرج الرفيع الى

منزلة ادنى كلما تطرفت ، وعندما توهنها الظنة ويطوف عليها خيال الارتياب والشك ، الى ان تصبح خرابا وهدما ، ولم يسلم من الغيرة القائمة على شدة الحب نبي الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت ام المؤمنين عائشة اشد نسائه غيرة من سواها ، وكان بعض نسائه لما يرين من منزلتها لديه تتحرك نفوسهن لذلك ، وقد دفعت غيرة بعضهن من بعض رسول الله الى هجرهن ، حتى رده الوحي اليهن ، وخاطبهن الله في تلك القصة مبينا ان ما صنعت حفصة وصاحبتها امر يستوجب التوبة ، فقال : (**إن تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما وإن تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير**) ٤/التحريم .

وكانت حكمة النبي صلى الله عليه وسلم ازاء هذه الالوان من الغيرة تمام الحكمة وكمال الأناة ، فلم يزد اذ كسرت عائشة قصعة صاحبتها وفيها الطعام على ابتسامة كريمة ، وقوله لاصحابه : « كلوا فقد غارت امكم » رواه البخاري بعد ان ضم بيديه الفلقين على الطعام ، ولما ادركت ام المؤمنين سرعة استجابتها لصوت الغيرة سألته عن كفارة ما اتت قال غير منتهر : اناء باناء وطعام بطعام ! ولو أنه فعل ما نأتي اليوم من الضرب والتسفيه لما كان المثل الاعلى لامته وللناس اجمعين ، وهو القائل : خيركم خيركم لأهله ، وانا خيركم لأهلي » رواه ابن عساكر والموصي بهن في اخر ما ودعت به انفاسه الدنيا ، لما علم من ضعفهن وحاجتهن الى الصبر عليهن وانهن عوان عند الرجال ! ان الاناة والتبين قبل النزوع بالاذى امر فرضه الله ، حتى لا ينفصم عقد الزوجية المحكم بظنة كاذبة او وشاية خائنة حاقدة : (**يا ايها الذين آمنوا إن جاءكم فاسقٌ بنبأ فتبينوا**) ٦/الحجرات .

المذموم من الغيرة :

ولكن الغيرة ـ كما جاء في النص السابق ـ منها المذموم ، الذي لا يرضاه الله ورسوله وهو كل غيرة أدت الى نزوع محرم ، وأول من ارتكب هذا النزوع الآثم ابليس ، الذي أبى أن يطيع أمر ربه بالسجود لآدم ترفعا وحمية آلت الى الحقد والحسد ، فقال يعلن غيرته الآثمة وترفعه المشين : (**لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون**) الحجر/٣٣ . وقد حمله العمى الى أشد الحمق بجرأة التحدي فقال : (**لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا . ولأضلنهم ولأمنينهم ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله**) النساء/١١٨و ١١٩ ، ثم كانت على الأرض غيرة قابيل من هابيل : (**اذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين**) المائدة/٢٧ فلم يلبث أن نزع الى ما سول لنفسه الشيطان : (**فطوعت له نفسه قتل**

أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين) المائدة/ ٣٠ .

وعلى هذا النمط المذموم كانت غيرة أبناء يعقوب من يوسف : **(اذ قالوا ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفي ضلال مبين)** يوسف/ ٨ ، فآل بهم الأمر الى ما هو معروف . وما قص علينا الله في أحسن القصص هذا ومثله الا لنتخذ منه العبرة ، ونهذب السلوك ، ونضبط بزمام العقل في اطار الشرع هذه النفوس أن تنزلق في ركاب الشيطان عدو البشر !

حمية الجاهلية :

والغيرة على القبيلة والأسرة ورابطة الدم بلا حق غير التعصب الأعمى لا يحبها الاسلام ، ولا أدل على بغضها من أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عنها نهياً منفرا منها أشد التنفير ، فقال لأصحابه عندما وقع أمر مبين بين اثنين منهما ، فنادى كل منهما قومه : « دعوها فانها منتنة اذ أنها دعوة جاهلية واحتكام الى نزعة شر أبطل حمقها الاسلام ، لأن فيها سلاح هدم للأسرة الكبرى التي لا يصان صرحها بغير الوئام وصحة العقل والسلامة من الفرقة ، وما أكثر ما جاء في هذا من آيات الله والحكمة ، أمرا بالعفو والصفح وحثا على التحاب والصلح ، واقامة الأحكام على العدل الذي يبرد القلوب ويدرأ الفتنة .

والمؤمن أخو المؤمن عليه أن ينصره في كل حال على سنن العدل غير جائر ، وما أجمل قول النبي صلى الله عليه وسلم : «انصر أخاك ظالما أو مظلوما ! فقال رجل : يا رسول الله ، أنصره اذا كان مظلوما ، أرأيت ان كان ظالما كيف أنصره ؟ قال : تحجزه - أو تمنعه - من الظلم فان ذلك نصره «رواه البخاري عن أنس » .

وقد ندد الحق بحمية الجاهلية ، التي جعلها الكفار في قلوبهم بالباطل ليمنعوا المؤمنين عن العمرة ، فأذلهم الله بالفتح مرغمة أنوفهم - قال تعالى : **(إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها وكان الله بكل شيء عليما)** الفتح/ ٢٦ .

واتقاء لهذه الغيرة المسخوطة هدد النبي صلى الله عليه وسلم أشد التهديد من يحفرون القبور ليعظموا العظم الرميم بالافتخار به والانتساب اليه ، قال :«لينتهين أقوام يفتخرون بآبائهم الذين ماتوا انما هم فحم جهنم أو ليكونن أهون على الله من الجعل الذي يدهده الخراء بأنفه !! ان الله أذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء ، انما هو مؤمن تقي وفاجر شقي ! الناس كلهم بنو آدم ، وآدم خلق من التراب » رواه الترمذي عن أبي هريرة .

الشرف الذليل :

ويلحق بذلك الغيرة على الشرف

الذليل الكاذب والمنصب الخادع والكرامة المدعاة وهي تنزع بالمرء الى الكبرياء التي هي رداء الله من اتصف بها نازع الله رداءه فأذله الله ، وما أروع عدل الاسلام بين من يرى لنفسه الشرف الكاذب وبين من لا يرى له نصيرا الا الله ، الذي أوجب على الحاكم أن يسوى بينهما في الوقوف أمامه ، وأن ينتصف للمظلوم حتى من نفسه !

هكذا أنصف ضعيفا عمر من ابن حاكم مصر عمرو بن العاص ، الذي ضربه قائلا : أنا الابن الأكرمين ، فقال عمر وقد جيء بهما معا : اضرب ابن الأكرمين ! ليعلم الناس احترام قول الله : (**وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به**) النساء/٥٨ .

وما أروعها حين أمر صغيرا من المسلمين أن يلطم جبلة بن الأيهم الأمير المتعظم قصاصا ، اذ لطمه الأمير حمية لكبريائه وقد وطئت قدمه عفوا طرف ردائه ، فما أسف عمر وقد حقق عدل الاسلام لارتداد الأمير عن الاسلام !

ان المثل الأعلى للأمة هو نبيها الأمين ، الذي أقام عدل رسالته على نفسه فأقاد منها ، لتسير أمته على منهاج سنته !

عن أسيد بن حضير أن رجلا من الأنصار كان فيه مزاح ، فبينما هو يحدث القوم يضحكهم ، اذ طعنه النبي صلى اله عليه وسلم في خاصرته بعود كان في يده ، فقال : اصبرني يا رسول الله ، فقال : أصبر ! قال : ان عليك قميصا وليس علي قميص ! فرفع صلى الله عليه وسلم قميصه ، فاحتضنه وجعل يقبل كشحه ، فقال : انما أردت هذا يا رسول الله .. ١/٤٠٤ ـ جمع الفوائد .

وفي سنن الدارمي (١/٣٥) عن رجل من العرب قال : زاحمت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين ، وفي رجلي نعل كثيفة فوطئت بها رجله ، فنفحني نفحة بسوط في يده ، وقال : بسم الله أوجعتني ! فبت لنفسي لائما أقول : أوجعت النبي صلى الله عليه وسلم ، فبت بليلة كما يعلم الله ! فلما أصبحت اذا رجل يقول : أين فلان : قلت : هذا والله الذي كان مني بالأمس ! فانطلقت وأنا متخوف ! فقال لي صلى الله عليه وسلم : انك وطأت بنعلك على رجلي بالأمس فأوجعتني ، فنفحتك نفحة بالسوط ! فهذه ثمانون نعجة فخذها بها ! رجاله رجال الصحيح

وحقا ما قال معلم الناس الكرامة والخير ؟ « ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه ! «رواه الترمذي عن كعب بن مالك » ان الحرص المذموم على المال يذل أعناق الرجال ، والحرص المحموم على الشرف ينبو بالمرء عن صفات الكمال !

الغيرة من الحلال :

ومن الغيرة المقوتة والحمية الحمقى أن يغار ولي للمرأة من زوج تعاشره ، اباء بالكرامة المدعاة أن

تهدر ، فاذا وقع ذلك كان مقهورا عليه مغتما به ، وتلك سيما الجهل بسنة الحياةوشريعة الرسل التي جاؤوا بها من عند ربهم ، لتمتد أعراق البشرية على أساس من الطهر ، ولتقوم خلايا المجتمع على وشائج من القوة والتماسك الأسري والمحبة والتعاون والرحمة وما أحكم ما قيل : « جدع الحلال أنف الغيرة » .

وليس هذا الذي ولد من أبوين بمثل هذا الزواج المشروع ، أشد غيرة من الله ورسوله ، وقد جاءت كتبه تعالى ترغب في هذه السنة وتضع لها الحدود القائمة التي تحفظ الحقوق وتعمر الوجود وتعلي حقيقة الانسان عن انطلاق الحيوان .

مثل هذا الغر المتأبي على عفاف الشريعة وحكمتها ، اما قاتل لمحارمه من النساء بالكبت والحرمان ، وأما قاتل من يمد يده اليهن ليحصنهن ، وأما قاتل نفسه بالغضب عليه والدس له انتقاما منه ؛ لأن الغريزة لا تموت وان علتها الأسوار وقد ضرب الله مثلا شعيبا وموسى عليهما السلام اذ عرض عليه ابنتيه قائلا : **(اني أريد أن أنكحك احدى ابنتي هاتين)** القصص/٢٧ كما ضرب لوطا عليه السلام مثلا اذ قال لقومه : **(يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم)** هود/٧٨ وعرض الولي من ولاه الله عليهن للزواج رغبة في اعفافهن أدنى درجة من أن يطلبهن راغب ، فلو كان فيه وهم العيب ما صنعه نبي مرسل !

وقد نهى الله الأولياء والأزواج المطلقين عن العضل مهما يكن سببه ، فقال تعالى : **(فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن اذا تراضوا بينهم بالمعروف)** وبين ان ذلك موعظة منه للمؤمن الذي يرجو ثوابه ويخشى عقابه لما فيه من الطهر وزكاة الروح من الاسفاف : **(ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ذلكم أزكى لكم وأطهر والله يعلم وأنتم لا تعلمون)** البقرة/٢٣٢ .

وقد زوج رائد الأمة وامامها على تلك الشريعة الغراء بناته الزكيات الطاهرات ، فأعطى عليا فاطمة التي هي بضعة منه ، وأعطى عثمان رقية وأم كلثوم واحدة بعد أخرى ، وهو الذي لا أعلى منه غيرة الا الله ، وقد أوصى أمته أن يفعلوا كما فعل ، وألا يربأوا بأنفسهم عن نفسه . قال صلوات الله وسلامه عليه :

« اذا خطب اليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إن لا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض » ١/٥١٧ جمع الفوائد .

« النكاح سنتي ، فمن لم يعمل بسنتي فليس مني ... » رواه ابن ماجه .

وقد بين الله تعالى ان الرهبانية مبتدعة تعارض سنة الحياة وان الذين ابتدعوها لم يستطيعوا أن يرعوها فكان كثير منهم فاسقين ولو كانت خيرا لكتبها الله على الناس .

ان شريعة الله طاهرة سمحة مواكبة للحياة ، لا تخنق العقل ، ولا تقتل الفطرة ، نزلت من السماء لتزن سلوك الانسان بعنوان أنه انسان ! فمن ترفع بنفسه عن ما شرع له من الخير ربه فهو من الهالكين !!

غيرة العشق :

هذا لون آخر من الغيرة الممقوتة : غيرة العاشق على المعشوق أن يلم به غيره ، تلجئه الى اخفائه من طريقه أو اخفائها هي بارتكاب الجريمة الشنعاء وقد وقع قديما ويقع حديثا ما يعجب له العقل من غريب الأحداث ومما نقل الينا غيرة ديك الجن الشاعر على صاحبته التي قتلها ثم راح يرثيها بأفدح الدمع في أحر الرثاء ؟

روِيتَ من دمها الثرى ولربما
روى الهوى شفتي من شفتيها

حكمت سيفي في مجال خناقها
ومدامعي تجري على خديها

ما كان قتليها لأني لم أكن
أبكي اذا سقط التراب عليها

لكن بخلت على العيون بحسنها
وشفقت من نظر العيون اليها

وما أشقى من أهدر العقل فهام في مسارح الشيطان !

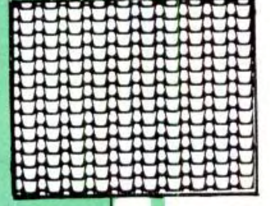
وان من الأسى المعتصر للقلب أن يطالعنا الاعلام ليلا ونهارا في الصحف والاذاعة والتلفاز كدور الملاهي ، بالمئات من قصص تلك الجريمة ، والى أن يأتي الشباب منها مكان العبرة في الخاتمة يكونون قد تشبعوا بالمقدمات الداعرة والأساليب الفاتنة فتذهب العبرة هباء وتسكن الفتنة ، لأنها أعلق بالنفس وأشهى للهوى ، جريا حثيثا وراء اناس جرفهم السيل الى حفائر العفن لا يعنيهم من أمر الآخرة ما يعني المتقين أولى النهى ، الذين علت بالايمان قلوبهم ، وزكت بالخوف من الله أرواحهم ، فرفعوا في الأرض بيوتا اذن الله أن ترفع ، ومحوا من الأرض ظلاما أذن الله أن يمحى ، فعاشوا بعد ذهابهم في ضمير التاريخ خالدين ، وفي جنات النعيم مخلدين **(ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا)** الاسراء/ ١٩ .

خاتمة :

ان الغيرة على الدين فرض واجب ، وان كل غيرة حث عليها الدين فرض واجب ، وان الحال التي عليها المسلمون اليوم في ديارهم من فاحش الأزياء وانطلاق الأهواء ، وان هذه الوسائل الثقافية المنتشرة باسم الترفيه والترشيد ، مما أخرج الشيطان على يد المفتنين في الابتكار والابداع ليحولوا بين المرء وعقله ، وبين المرء وحكمة السلوك الى الخير واعلاء الضمير ـ ان كل ذلك لفي أشد الحاجة الى غضبة لله ، غيرة على قدس ضاع ، وأرض انتهبت ، ودماء أهدرت وشعوب مزقت ،وصلف أعداء في كل بقاع الأرض كانوا أمامنا لا شيء ، فصاروا أمامنا كل شيء وبتنا أمامهم .. لا شيء !

والله غالب على أمره انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون .

الأساليب الدبلوماسية



ما أعظم حضارتنا الاسلامية وما أرفع تراثنا وما أسمى نظمنا الحكيمة وتشريعاتنا الرائدة في مجال القانون والادارة والاقتصاد والدبلوماسية التي كانت قبسا لأوربا ونهجا يقتدى به في تنظيم شئون الحكم على مر الأجيال ، وكانت الخطوة التي فتحت آفاقـا جديدة في ميادين الثقافة في العصور التالية .

وما أن تأسست دولة الاسلام في المدينة حتى قام الرسول النبي العربي بارساء قواعد الحكم على أسس من الكتاب المبين وعلى أساليب لم يألفها العرب من قبل .

واذا تحدثنا عن المجال الدبلوماسي كان لزاما علينا أن نذكر بفخر أول رسالة أو بمعنى أصح أول سفارة الى هرقل ملك الروم تعبر عن سمو في الفكر السياسي الدبلوماسي تقول « من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى .

أما بعد :

فاني أدعوك بدعوة الاسلام ، أسلم تسلم وأسلم يؤتـك الله أجرك مرتين . »

دعوة صريحة الى السلام ، يبعثها نبي يوحي اليه ، ويرسلها لملك الروم الذي وصفه بعظيم الروم يطالبه بأن حسن الجوار أمر مطلوب وأن دعوة الاسلام ما هي إلا دعوة للسلام .

عِندَ العَرب

للأستاذ / محمد الحسيني عبدالعزيز

وكانت هذه الدعوة الرائدة قبسا وهديا للخلفاء الراشدين أولا ولمن أتى بعدهم من الحكام لأن يتخذوا الاسلوب الدبلوماسي في معاملتهم لجيرانهم الروم .

وإذا كان التمثيل السياسي بين دولة الاسلام ودولة الروم لم يتم أو لم يتم تبادل السفراء الا ان الأمر تبدل فيما بعد ، توسعت دولة الاسلام ايام الخليفة عمر بن الخطاب حيث تجاورت املاك الدولتين بعد فتح الشام ومصر ، وزاد توسعها ايام بني أمية فضلا عن اتخاذ دمشق حاضرة للدولة العربية وقربها من بيزنطه عاصمة الروم الشرقيين ووجود استقرار سياسي بعد انتهاء التوسع أو وقوف مد الفتح بعد أيام الخليفة الوليد بن عبدالملك الأموي ، لكن الأمر تطور الى ابعد الدرجات إثر انشاء الدولة العباسية وانفصال الاندلس تحت زعامة امير أموي عن الدولة الأم في بغداد وأصبح التنافس بين بغداد وقرطبة دافعا للتحول الجديد ولمحاولة الخليفة العباسي توطيد علاقته بدولة الفرنجة في فرنسا وعمل خليفه قرطبه على توثيق علاقته ببيزنطه التي تجاور منافسيه العباسيين ، وتبادل الخليفه المهدي السفارة مع الفرنجه ووطدها هارون الرشيد بسفارته المشهورة الى الامبراطور شارلمان وتبادل الهدايا معه .

اغراض الدبلوماسيه

لم يقتصر التمثيل الدبلوماسي بين بغداد والفرنجه أو بين قرطبه وبيزنطه على التمثيل السياسي للسفراء بل شمل اهدافا ثقافية واقتصادية كما هو الحال في النظام الدبلوماسي الذي يسود العلاقات بين بلدين فكانت السفارات ترسل لتحمل التهنئة بالحاكم الجديد أو زواجه أو لأعمال تجارية أو أهداف ثقافية يسعى كل من

الطرفين على تنميتها .

ومن السفارات المشهوره الرسالة التي بعث بها امبراطور الروم ثيوفيل عام ٨٢٩ الى الخليفه العباسي المأمون يعلن فيها موافقته على تبادل الاسرى واعادة الحياه الاقتصادية بين الدولتين .

« قد كتبت اليك داعيا الى المساله راغبا في فضيلة المهادنه لتضع الحرب اوزارها ويكون كل واحد لكل واحد وليا وحزبا مع اتصال المرافق والفسيح في المتاجر وفك المستأسر وأمن الطريق » وكان رد الخليفه المأمون ايجابيا حتى تعود الحياه الطبيعية بين البلدين الجارين ، ويسمح لحاملي الرسائل بزيارة معسكرات الاسرى للتأكد من حسن المعاملة ومعرفة اعدادهم .

اتخاذ الدولة الاسلامية احتياطات لمنع التجسس :

كانت الدوله الاسلامية على دراية تامه بالأصول الدبلوماسيه والأغراض التي ربما يستغلها السفراء والمبعوثون وقد حفظت لنا الوثائق والمخطوطات بيانات مفصله على احوال الدولة البيزنطيه وطرقاتها ومعاقلها ومرافقها الهامة وساعدت هذه التقارير والمعلومات على تبادل التجارة وخدمة الأغراض الحربية .

ويتضح من التعليمات التى اصدرتها الدولة الاسلامية ادراكها للنوايا التي قد يقوم بها البعض من محاولة التجسس على المؤسسات العسكرية وهذا نص يؤكد هذا « يجب أن يعلم أن الملوك بارسالهم السفراء لا يقصدون تسليم رساله أو نقل سفاره فقط بل هناك مئات الاغراض يبغونها فهم في الحقيقة يريدون أن يعلموا حالة الطريق .. ويعلموا اذا كانت معبدة تستطيع أن تمر بها والامكنه التي توجد بها المروج والأعشاب وأن يعلموا قوة الجيش ومؤونته في العدد والعتاد وفي الدفاع والهجوم وأن يعرفوا كيف يعيش الأمير وبمن يجتمع وأن يدركوا تنظيمات بلاطه وعاداته وأخلاقه في عدله وظلمه وسهره ، وكرمه وهل هو متعلم أم جاهل وهل ازدهرت مملكته بالعمران وهل رضى عنه جنده أم هم مغضبون وهل اتباعه من الفقراء أو الاغنياء ، وهل يجد في شئون مملكته أو يهملها ، وهل هو بخيل أو جواد ووزيره قادر أو عاجز وحاشيته من العلماء الاذكياء أم لا ، وماذا يحب وماذا يبغض ؟ وهل يميل الى الحب والى النساء حتى اذا رغبوا في مهاجمة مملكته أو أرادوا نقض خططه كانوا مطّلعين مدركين يضعون المحاسن والمساوىء نصب أعينهم ينهجون بحسبها » .

أليست هذه الرسالة ادراكا عميقا لدور السفراء القادمين من الخارج

او ليست هذه فطنه عسكريه وحنكه سياسيه ومهارة في اسلوب المعاملة ليتسنى لاجهزة الدولة وموظفيها ان يكونوا يقظين واعين مدركين لدور السفراء وخطورة اعمالهم اذا حاولوا أن يعرفوا قوة الجيش وضعفه وعدد قواته وانواع السلاح واماكنها .

السفارات الثقافية :

أعطت الدوله الاسلامية العلاقات الثقافية أهمية خاصه وكانت مهمة المبعوثين الثقافيين أشبه ما تكون بمهمة المستشار الثقافي الآن حيث يعمل على تبادل العلماء والاساتذة والبحوث والابتكارات والمؤلفات والعلوم النادرة كالرياضيات والمخطوطات وزيارة الاماكن الأثرية فقد طلب السفير العربي ببيزنطه أن يزور مدينة أفسس التي يقال ان بها الكهف الذي حُفظت به جثث الشهداء السبعه الذين استشهدوا ايام الامبراطور الروماني « دقلد يانوس » وقد لبى الامبراطور البيزنطي طلبهم وزار المبعوثون المدينه وشاهدوا الكهف وكان من بينهم محمد بن موسى المنجم الذي وصف جثث الشهداء التي كانت محنطه .

اختيار السفراء :

كان الخلفاء هم الذين يقومون بمهمة اختيار السفراء بأنفسهم الذين كان يجب أن يجمعوا بين العلم والنسب العريق والكياسه والحنكه السياسيه والوسامه والفطنه والذكاء والمرونه الى جانب الفصاحه والحلم وبُعد النظر والحزم والبصيرة النافذه والثقافة العامه (ينبغي أن يكون على علم بالفرائض والسنن والأحكام والسير ليحتذى مثال من سلف فيما يورده ويصدره ويعلم أصول الخراج ليناظر كلا بحسب ما يراه من صوابه وخطئه) . ووصف الشاعر يوضح كيف يختار السفير :

ان الرسول مكان رأيك فالتمس ... للرأي آمن من وجدت وأنصحا
تأبى الأمور على الغبي فان سعى ... فيها الذكي فبالحرى أن تصلحا
فاذا توخيت الرسول فلا تكن ... متجوزا في أمره متسمحا

اوراق اعتماد السفير :

حرصت دولة الاسلام على تزويد سفرائها بأوراق اعتماد وجواز سفر وتتضمن أوراق الاعتماد كتابا صادرا على لسان الخليفه به تعريف بالسفير وهدف

رسالته مع طلب باعتماده وتكتب الاوراق بلغة الدولة التي يوفد اليها السفير بخط جميل وعلى ورق خاص مصقول وكان السفراء يعطون الأمان (الحصانه الدبلوماسية) طول مدة اقامتهم كما يحترم حاشية السفير واتباعه على اختلاف درجاتهم .

مراسيم استقبال السفير :

يحاط السفير بالاحترام والحصانه الدبلوماسية والأمان منذ أن تطأ قدمه أرض الدولة الاسلامية لأن السفير يتكلم باسم الدوله التي جاء منها فوجب إكرامه واحترامه ففي هذا تكريم لرئيس دولته ويقدم للسفراء منذ دخولهم حدود الدولة كل ترحيب وأحترام وينزلون في مساكن فخمه تليق بمكانتهم وتقام لهم المآدب والحفلات وبعد أن يصل العاصمة يأخذ قسطا من الراحه ثم يقصد الى الوزير (وزير الخارجية) ويقدم تقريرا عن مهمته وفي اليوم المحدد لاستقباله عند الخليفه يستقبل على باب القصر استقبالا رائعا بين صفوف الجند الذين يصطفون لتحيته حتى يصل الى قاعة العرش ويستقبله الخليفه ويتبادل معه الاحاديث الوديه .

تقارير السفراء :

كان نظام التقارير معروفا ومعمولا به أيام العباسيين الذين احسنوا اختيار سفرائهم ممن يتصفون بالمواصفات المطلوبه للسفير من اللباقه والحنكه السياسيه والمهاره والعلم والخبره ، ومن هؤلاء النخبه المشهوره نصر بن الازهر الذي أوفده الخليفه المتوكل العباسي الى بلاط امبراطور بيزنطه . فدخل قاعة العرش في أبهى حلة يرتدي سيفه وخنجره وقلنسوته وبدأ يقدم نفسه ويعلن مهمته وطلب من المترجم ان يكون دقيقا في الترجمه وأعدت له الدوله البيزنطيه برنامجا حافلا بعد اتمام مراسم استقباله زار فيها ميدان السباق ليشهد المباريات والفنون الشعبية ثم جرت المفاوضات الخاصه بتبادل الاسرى التي تكللت بالنجاح وذلك بعقد معاهدة عدم اعتداء وسجل السفير الاسلامي نصراً دبلوماسيا كبيرا بتحسين العلاقات الدبلوماسيه بين البلدين وعند عودته قدَّم تقريراً مفصلا عما شاهده وعن اسلوب معاملة الاسرى ونسخه من المعاهده التي تم توقيعها .

وهكذا اثبتت دولة الاسلام بنظامها السياسي والدبلوماسي أنها كانت رائدة في هذا الميدان كما كانت رائدة في ميادين الفكر والعلم مما سجلته الاحداث التاريخية والوثائق النادرة التي تؤكد نبوغ رجالنا ممن أسهموا في بناء صرح دولة الاسلام وفق أعرق النظم وأدقها .



ألقاه في اليم مكتوفا

للدكتور / عماد الدين خليل .

جمعتني إحدى المناسبات بصديق قديم .. ورحنا نتجاذب اطراف الحديث ريثما يحين موعد تناول العشاء .. وتذكرنا المناقشات الحامية التي كانت تشتعل بيننا لسبب أو آخر قبل اكثر من عشرين سنة يوم كانت جمرات الصبا والشباب تحرقنا بنارها اللذيذة ، فكان شررها يتطاير في كل ما نقوم به ونمارسه .. وكان لمناقشاتنا نصيب من الشرر المتطاير كرشاش الماء قلت : لا أعتقد أننا الآن سنشعل نارا .. فالفكر الجاد هو الذي يضيء ..

ولكن ..

قال مقاطعا : ولكن ماذا ؟

أجبت : اذا اقتضى الامر فانه يتوجب عليه ان يحرق .. ولن يستطيع احد يومها أن يفصل بين النور والنار ..

قال مبتسما : أرجو الا يصيبني الحريق ، أنا على الاقل .

قلت : لن يصيبك باذن الله ، ما دمت قد انتزعت من نفسك كل ما يمكن أن يكون وقودا للنار ..

ما لبث أن راح ينشد باحثا عن مكان ما من المنضدة يمارس عليه الايقاع بيده :

ألقاه في اليم مكتوفا وقال له   اياك اياك أن تبتل بالماء ..

وأنت تريد أن تخلصني من الحريق .. والوقود قد وضعه الله في كياني مذ أمر بخلقي .

قلت : ها قد عدت الى « بيتك » المفضل القديم .. أتراك لا تزال تعرف عليه ؟

قال : وسأظل حتى أجد البينةً التى تمنحنى القناعة ..

سألته : اتراك قرأت كتاب الله مرة واحدة في حياتك ببصيرتك لا بعينيك ؟! لن انتظر جوابك المعهود فانا متيقن من انك لم تفعل .. وعشرات .. بل مئات غيرك ، لم يفعلوا .. ولذا فهم يترنمون دوما بأبيات كهذه يبررون بها عجزهم وقصورهم .. انك لو قرأت كتاب الله بعقل مفتوح ، فانك ستجد ان معظم آياته تؤكد على الموقف التالي : ان الله سبحانه لا يطبع على قلب انسان ويختم على مصيره بالكفر او الايمان الا بعد علم مسبق بتكوين هذا القلب وطبيعة نبضه كما ونوعا وهذا التكوين المسبق ليس أمرا مجبرا عليه الانسان ، بل هو ثمرة اختياره الحر المتأثر بظروفه البيئية والوراثية .. ومن ثم فان اصرار القرآن على أن يكون المجتمع المسلم خاصة ، أو أي مجتمع مؤمن عامة ، ملتزما ايجابيته العقائدية وموقفه الايماني الحركي الصحيح ، أمرا بالمعروف ونهيا عن المنكر ، واقامة لحكم الله في الارض معناه السعي الجاد لايجاد البيئة والارضية والمناخ التي تتيح لاكبر عدد ممكن من الناس والجماعات ان تتفتح قلوبهم للحب والايمان والخير ، وان تمتلك افئدتهم القدرة على التعامل الفعال مع شريعة الله ، لكي يصوغوا وجودهم ومصيرهم بما يطمح اليه ويتمناه كل انسان .. ألم تقرأ هذه الآيات : (**قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو اهدى سبيلا**) الاسراء / ٨٤ . (**ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى واضل سبيلا**) الاسراء / ٧٢ . (**من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ولا تزروازرةوزر اخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا**) الاسراء/١٥ (**ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون**) الزمر / ٧٠ . (**ولا تكسب كل نفس الا عليها ولا تزر وازرة وزر اخرى**) الأنعام / ١٦٤ . (**إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا**) الانسان / ٣ . (**وان ليس للانسان إلا ما سعى . وأن سعيه سوف يرى . ثم يجزاه الجزاء الأوفى**) النجم / ٣٩ - ٤١ .

رفض للصراع الدون كيشوتي

واذ أنست في انصاته متابعة واهتماما واصلت حديثي قائلا : لقد منحتنا الرؤية القرآنية أفضل مركز في الكون واعطتنا مكان السيادة على العالمين ، وفضلتنا على كثير من خلق الله تفضيلا .. ومن خلال هذا المركز والمكانة والتفضيل منحنا حرية الاختيار والفعل لم تمنح لاحد من العالمين ، وجاءت على درجة من الامتداد والتوغل والانتشار بحيث تغطي تغطية كاملة الوجود البشري الحر لاي واحد منا كانسان فرد ، ولاية جماعة في التاريخ كوحدة تشدها قيم ومباديء واهداف .. ولقد أكد القرآن الكريم في اكثر من موضع ، هذه الحرية ، وقدم عشرات النماذج الواقعية لمجالها الواسع على المستويين الفردي والجماعي .. ولكنه كان ينبهنا دائما ، كي لا يفلت الخيط من ايدينا وتتحول مواقفنا التاريخية الى درامات كلاسيكية مصطنعة وصراع « دون كيشوتي » لا مبرر له ، كان ينبهنا دائما الى ان حريتنا الكاملة

المنطبقة انطباقا هندسيا باهرا مع وجودنا افرادا وجماعات ، ما هي إلا دوائر تعمل بتوازن وتناغم وتداخل ضمن الدائرة الاكبر التي يرسمها علم الله الشامل وتحيط بها إرادته التي لا يصدها شيء .. ويعود فيؤكد لنا مرارا أن النتائج النهائية للفعل البشري ـ الفردي والجماعي ـ تجيء منبثقة ، بمنطق عادل لا يعرف زيفا أو التواء ، عن افعالنا ، تحمل طبيعتها وتكوينها وملامحها وتتغذى بعجينتها التي جبلناها نحن ، وتشرب من شرايينها التي سهرنا على مِدّها بالدماء النقية الحمراء أو الكالحة الزرقاء التي تسوّد وتسوَّد حتى لتكاد تحترق فتكون دخانا ..

ويجب الا يخطر على بالك أن القرآن الكريم يبقى مسألة القدر والحرية في نطاق الانسان الفرد ولا يخرج بها عن دائرة التأويلات والزوايا الفلسفية والنفسية والاخلاقية .
ذلك أننا نلتقي ، الى جانب الآيات التي تحكي عن المستوى الفردي ، بعشرات من الآيات والمقاطع القرآنية التي تنتقل الى المستوى الجماعي وتعرض المسألة في صيغها التاريخية والحضارية .. وهي ـ كعادة المنهج القرآني الذي يرفض التجزئة والانفصالية ـ تربط دوما بين الارض والسماء وتتخذهما مسرحا ذا خشبة واحدة عريضة تتحرك عليها الجماعات البشرية لتؤدي دورها ولتكافأ على هذا الدور بما يوازي حجمه ويتلاءم مع جنسه ، هنا في الارض اولا ، ثم هناك في السماء فيما بعد ..

اكثر المواقف عدلا

قاطعني قائلا : ولكني أريد أن أسمع شيئا من شواهدك القرآنية لكي اطمئن الى صدق استنتاجاتك ..
اجبته : هنالك العديد من النماذج القرآنية تطرح علينا المسألة وفق اكثر الزوايا موضوعية وأشد المواقف عدلا وتماسكا ، واوسع الروءى توغلا في صميم التجربة البشرية ، وهاك بعضا منها : (**وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون . ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون**) النحل / ١١٢ و ١١٣ (**ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون**) الأعراف / ٩٦ .و (**ولو أن اهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيآتهم ولأدخلناهم جنات النعيم . ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم امة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون**) المائدة / ٦٥ و ٦٦ . (**ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة الى قوتكم ولا تتولوا**

مجرمين) هود / ٥٢ . **(والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة اكبر لو كانوا يعلمون)** النحل / ٤١ . **(وان لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا)** الجن / ١٦ . **(إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد)** غافر / ٥١ . **(تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسالون عما كانوا يعملون)** البقرة / ١٣٤ و ١٤١ .

اننا نرى بوضوح من خلال هذه النماذج القرانيه ـ وغيرها كثير ـ كيف أن آية جماعة أو أمة إنما هي مسؤولة عن فعلها فحسب ، إذ ليس من العدل أن تحمل نتائج أفعال غيرها من الجماعات ، يفصلها عنها الزمن أو المكان ، كما نرى كيف تكافأ الجماعة الواحدة بجزاء يستمد عجينته من بنية التجربة التي تمارسها هذه الجماعة ان خيرا أو شرا .. ومن ثم تجيىء رحمة الله أو يجيىء ختمه على القلوب والاسماع والابصار .. ان الله سبحانه يمنح نعمه التي تنزل وفق النواميس الطبيعية بالقسطاس على الامم والشعوب ، الا أن الجماعة التي تسيء التصرف ، وتطغى وتتجبر ويسوقها الطغيان والجبروت الى الكفر والمروق والتمرد على النظام الكوني ومبدعه ، فان العقاب في الانتظار . واننا لنلمح في اكثر من آية موقفا مغايرا تماما لما عودتنا عليه الرؤى الغربية منذ عهد « اسخيلوس » و « سوفوكليس » وحتى « يونسكو » و « كامي » و « ثكت » .. موقفا لتعاطف بين الله والانسان وغفران الله لكل ما من شأنه ان يصدر عن ضعف الانسان وعجلته واخطائه غير المتعمدة ، ونسيانه .. ودعوة الانسان لخالقه الا يحمله في حياته الدنيا اكثر من طاقته .

وفي آيات أخرى نجد تأكيدا دائما على استمرارية الجزاء على الفعل وتواصله في الارض والسماء ، وثمة آيات عديدة تبين لنا ان من يرد « لاحظ فعل الارادة » ثواب الدنيا فله ذلك ومن يرد ثواب الآخرة فلن يصده عن هدفه شيء .. وكثيرا ما تنتهي الآيات القرآنية في هذا المجال بعبارة (بما كانوا يصنعون) كما نلتقي بالافعال البشرية (أذهبتم) (استمتعتم) واضحة في نسبتها الى الارادة الحرة الأمر الذي يجعل الجزاء عادلا ازاء جماعة أذهبت بارادتها طيباتها واستمتعت بها بغير الحق . وما اكثر ما كانت دعوات الانبياء والمرسلين للجماعات البشرية تجيء لكي تناديهم أن (يختاروا) طريق الايمان لكي يحظوا بسعادة الدنيا ونعيم الآخرة ، وما كان لاى من هؤلاء المرسلين ان يلزمهم الزاما بالانتماء الى دعوته إذ **(لا إكراه في الدين)** بعد أن : **(تبين الرشد من الغي)** البقرة / ٢٥٦ .

إن الله سبحانه ما كان ليضرب جماعة ما ، أو أحدا من عباده ، قبل أن يبعث اليهم بالنذير ، ويدلهم على الطريق ، ويعطيهم الفرصة لكي يختاروا بملء ارادتهم أن ينتموا للحق ، أو تسوقهم الشهوات الى التشبث بمواقع الباطل حيث يحق العقاب كجزء من خطة العدل الالهي الشاملة في سياسة الكون كله ..

البرهان في قلوبنا

قال : ان هذا يبدو مغايرا في جوهره للصيغ التي طرحها الغربيون منذ عهد اليونان وحتى القرن العشرين عن العلاقة بين الله وعباده ..

أجبته : بالضبط .. إن القدر في تصورهم ضربة مفاجئة تجيء على حين غفلة لكي تقصم ظهر الانسان ، ودعابة درامية ثقيلة ومحزنة تصور الآلهة وهم يرسمون الخطط الخبيثة لايقاع العباد في الشباك التي نصبت بمهارة .. ان الصورة القرآنية تكتسح في طريقها هذا الغثاء ، لكي تعيد صيغة العلاقة بين الناس واقدارهم الى موقعها الانساني ، المنطقي ، العادل : (**وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين . لو اردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين . بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون**) الأنبياء / ١٦ ـ ١٨ .

هنالك ما هو اكثر من هذا ، أن القرآن الكريم يبين لنا بوضوح أن الله سبحانه وضع الحجة والبرهان في قلب كل واحد منا ، وركز الدلالة اليه في فطرة كل انسان لحظة بعثه الى الحياة ، ومن ثم حمَّله المسؤولية ، وفق هذا الامتداد الباطني ، في ان يختار ـ بارادته ـ الطريق الذي يقوده الى الله ، انسجاما مع تكوينه الذاتي ومعطياته الفطرية الاساسية .. وبهذا يؤكد الاسلام موقفه الانساني المفتوح ورفضه التام للقدرية التراجيدية القائمة على الغشم والمفاجأة .. هذا التأكيد الذي يجيء وفق تحذيرات واشارات تنبثق من داخل كل انسان كشهادة حرة ـ ابتداء ـ ثم تصدر اليه مرة اخرى من الخارج عن طريق رسل الله : (**وإذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين . او تقولوا إنما اشرك اباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم افتهلكنا بما فعل المبطلون**) الأعراف / ١٧٢ و ١٧٣ .

من الشك الى اليقين

ورأيت شيئا غير قليل من ملامح الاقتناع والرضا تكسو وجهه وسمعته يرتل مع نفسه : (**فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ، ولكن اكثر الناس لا يعلمون**) الروم / ٣٠ .

قلت له وأنا اتقدمه الى غرفة الطعام : ها أنت ذا تذكرني بالشاهد الآخر الذي غاب عن ذاكرتي .. وسيجيء اليوم الذي أتعلم فيه منك .. فالذين يرحلون من محطات الشك الى مواقع اليقين يعرفون ـ اكثر ـ كيف يعلمون الآخرين ..

اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير

ألا وحرة في

للدكتور / احمد حسنين القفل

الا موته لله في الحق انفع
فعيش على ضيم فناء ومصرع
الا ان ايماني بربي خالص
اذا مت فالحسنى ودار امتع
اذا حانت الاجال ، هل من مؤجل
لها ساعة ، او ان حذرك ينفع ؟
وهل يمنع المكتوب في اللوح مهرب
وهل حرصنا يحمي ويجدي ويشفع ؟
ومن مات في الهيجا شهيدا مؤمنا
وفي نصرة الاوطان يسعى ويسرع
ففي زمرة الاطهار يحشر خالدا
وفي جنة المأوى يقيم ويرتع
ومن لم يمت بالسيف افناه غيره
تنوعت الاسباب ، فادكروا وعوا
سلام على الدنيا اذا لم تفز بها
بمقعد صدق عند ربك يرفع

***

فجاهد فما اجل يقصره القنا
وليس يطيل العمر ، انك تقبع
اذا صارت الأوطان حلا لغاصب
فكيف تنام الليل او تتمتع ؟
وكيف تلوك الزاد او تطفىء الظما
وفي الدار محتل يجوس ويرتع ؟
الا فاقتل « الافعى » لتأمن سمها
وسارع ، فان بقاءها سيروع
فان جذور الشر فيها تأصلت
ولا بد ان نجتثها ، ذاك انجع
وقالوا : هي الشيطان . كلا ، فانها
أضل من الشيطان نزغا وافظع
فابليس ان يعجز يجد في جرابها
كئوس الهوى حتى الثمالة يجرع

اللّه يا عربُ

فليس لها عهد اذا عاهدنها فيشمتها غدر وزور مبرقع
تصيح : اريد السلم والسلم عندها حراب ، وصاروخ ، وجند ، ومدفع
ودبابة تفري ونار سعيرها يدمر امن الناس ظلما ويفزع

***

ومن سوء حظ العرب ان عدوهم بلا شرعة في ارضهم يتوسع
وما هو جبار ولكن خلفه حليف كوحش الغاب لا يتورع
جزى الله « امريكا » شرورا فانها تصلي لاسرائيل قهرا وتركع
تظاهر اجراما وتحمي عصابة وتسعى الى ظلم الشعوب وتهرع
وتنكر حقا واضحا دون رحمة وتصبو الى نصر الظلوم وتخضع
فذا « مجلس للأمن » يَنْدى جبينه لأحكامه تبكي هوانا وندمع
تخالف « اسرائيل » عمدا نصوصها وها هو من وقر بدا لا يسمع

***

ايا شعبنا العربي في كل بقعة من الارض ، هيا نمحق الظلم ندفع
الم يأن ان نرعى مصيرا موحدا تعالوا على حق لنا نتجمع ؟
الم يأن ان نشفي من الغل صدرنا فنسعى الى سحق العدو ونسرع ؟
نشل يد العدوان ، نصليه بأسنا ونسقيه كأسا بالندامة يترع

ونسكت صوت الافك دوما وسرمدا ونحيي « فلسطين » الحبيبة نرجع
هلموا : فان الوقت حان لتؤمنوا بشورى ورأي بالاصالة يقنع
انقعد صرعى للهواجس بينما عدو لنا في ارضنا يتوسع ؟
انغمض جفنا سادرين عن العدا وجيش لهم في ارضنا يتربع ؟
اليس حراما ان نموت من الظما واعداؤنا من مائنا العذب تجرع
اليس حراما ان نبيت على الطوى وكلب العدا من خبزنا صار يشبع ؟

***

« وامريكة » و « الروس » قرقرارهم على ضربنا سرا . كفانا الادمع
ارى عصرنا عصر القوى ولا ارى لحق على ضعف ظهيرا يرفع
فعدل بلا درع هراء وغفلة وحق بلا جند سراب يخدع
بحقك لن تحظى بحقك كاملا اذا لم يؤيد حقك اليوم مدفع
اذا ثرت في ضعف فحقك ضائع وعدلك في عرف المضلين اضيع
ارى الناس يولون القوى مهابة وصاحب حق هائما يتوجع

***

الا وحدة في الله يا عرب انما اضاع التفرق عزكم فتجمعوا
فشاردة الاغنام للذئب لقمة وعود من العيدان للكسر اطوع
الا هبة يا عرب في وجه غاصب اذ يقوه درسا في التادب يردع
فلستم غثاء ترتضون مهانة لامجادكم في الدهر شان وموصع
ولا بد من يوم يؤمن حقكم اذا لم يكن بالعدل فالسيف اقطع .

***

اذا شاءت الاقدار هذا الذي جرى قليل سيتلوه النهار ويطلع
تراها دروسا يستفاد بضوئها وبالسم قد يشفى المريض ويبرع
ورب شقاء حقق السعد بعده ورب انهزام بعده النصر يتبع

ومن ينصر المولى يجد ان جنده تنزل من فوق السماء وتنبع
الهي رجونا فاستجب لرجائنا فانت النصير اليك وحدك نضرع
الهي دعونا فاستجب لدعائنا فانت القريب تجيب دعوة من دعوا

«صورة قصصية مشرقة من التاريخ الاسلامي العظيم»

العصابة المؤمنة

بقلم : محمد الظاهر

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وهو يشتعل غيظا :

- يا ابا بكر .. ، اليس برسول الله

فأجابه ابو بكر رضي الله عنه ، بهدوئه المعتاد :

- بلى

قال عمر :

- اولسنا مسلمين

قال ابوبكر :

- بلى

قال عمر :

اوليسوا بالمشركين

قال ابوبكر :

- بلى

لم يستطع عمر كتمان غضبه في هذه الحال فصرخ باعلى صوته :

- علام اذن نعطي الدنية في ديننا

لكن ابا بكر ، بقي محافظا على هدوئه فقال :
ـ يا عمر .. الزم امره .. انني اشهد انه رسول الله
هدأ عمر قليلا وقال والحسرة ما تزال تأكل قلبه :
ـ وانا اشهد انه رسول .

حين يغضب ابن الخطاب .. لا يدرى ماذا يفعل .. يشعر ببعض الحيــرة .. ويحتكــم الى السيــف دائما .. لكنه الان في موقف من اشد المواقف واصعبها .. ماذا يفعل ؟ هل يسكت؟هل يستسلم ؟ ابدا عمر بن الخطاب لا يسكت على خطأ حتى ولو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي ارتكب هذا الخطأ .

اندفع عمر الى رسول الله وهو ما يـزال يتفجر غضبـا ودار الحوار السابق بينه وبين ابي بكر :

ما هذه الاجوبة المختصرة . هذه الكلمة التي لم يسمع غيرها من ابي بكر ومن النبي صلى الله عليه وسلم لا تشفى غليل عمر فقال بغضب ظاهر :
ـ علام اذن نعطى الدنية في ديننا ؟
فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام باستسلام المؤمن بقضاء ربه :
ـ انا عبدالله ورسوله ، لن اخالف امره ولن يضيعني .

تـرى هل تكفي هـذه الكلمات القليلة .. هل تكفي قلبا متفجرا كقلب عمر ؟ وعقلا حائرا لا يحتكم لغير السيف .. الله وحده اعلم .

« ٢ »

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه :
ـ اكتب يا علي
قال علي :
ـ ماذا اكتب يا رسول الله
قال صلى الله عليه وسلم :
ـ اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم
هنا تدخل رسول قريش سهيل بن عمر غاضبا وقال :
ـ لا اعرف هذا .. اكتب باسمك اللهم
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
ـ اكتب باسمك اللهم .
فكتبها ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
ـ اكتب :
قال سهيل بن عمر :
ـ ماذا يكتب
قال الرسول صلى الله عليه وسلم :
ـ اكتب : هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمر
لم يستطع سهيل بن عمـر كتمان ضحكته فقال ساخرا :
ـ لو شهدت انـك رسول اللـه لم اقاتلك .. اكتب اسمك واسم ابيك
وكتم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بنفسه وقال :
ـ اكتب : هذا ما صالح عليه محمد بن عبدالله سهيل بن عمر ، اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيهن الناس .. ويكف بعضهم

عن بعض .

وتردد علي بن ابي طالب وهو يكتب السطر التالي .. واحس بانه قد وقع في موقف حرج .. فنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم .. فرأى التصميم في عينيه .. فامسك القلم وكتب :

ـ على انه من اتى محمدا من قريش بغير اذن وليه رده عليهم ، ومن جاء قريشا ممن مع محمد لم يردوه عليه .

تحسس عمر بن الخطاب سيفه مرة ثانية .. واراد ان يقتحم المكان .. لكنه تذكر الكلمات الاخيرة للنبي صلى الله عليه وسلم .. فارتد الى الوراء وهو يكتم غيظا جارفا .

« ٣ »

ولم يكد علي بن ابي طالب يضع قلمه حتى كان ابو جندل سهيل بن عمر يقف امام النبي صلى الله عليه وسلم وهو يرسف بقيوده . فما ان رأى سهيل بن عمر ابنه ابا جندل يقف امامه حتى ثار الدم في عروقه فضربه على وجهه .. ثم اخذ بتلابيبه وهو يقول :

ـ يا محمد .. لقد تمت القضية بيني وبينك قبل ان يأتيك هذا

قال النبي صلى الله عليه وسلم :

ـ صدقت

ثم اخذ يجر ولده المسلم من تلابيبه وابو جندل يصرخ باعلى صوته :

ـ يا معشر المسلمين .. يا معشر المسلمين .. أأرد الى المشركين ليفتنونني في ديني ؟

فقام عمر بن الخطاب وهو يمد يده الى سيفه وانتظر على احر من الجمر ثم تقدم النبي صلى الله عليه وسلم من ابي جندل وقال :

ـ اصبر يا ابا جندل ، اصبر واحتسب .. فان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا واضاف :

ـ لقد عقدنا بيننا وبين القوم صلحا واعطيناهم على ذلك ، واعطونا عهد الله ونحن لن نغدر بهم .

ـ عند ذاك لم يطق ابن الخطاب صبرا فوثب وسار مع ابي جندل جنبا الى جنب وهو يقول :

ـ « اصبر يا ابا جندل .. انما هم المشركون وانما دم احدهم دم كلب » .

واخذ يدني قائم سيفه منه وهو يقول :

ـ خذ هذا السيف فاضرب به رأس ابيك

لكن ابا جندل كان يعرف معنى كلمة الاب .. فمشى امامه صابرا راضيا بقضاء الله .

اما ابن الخطاب فقد ظل عابسا طوال الوقت .

« ٤ »

وعاد النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة .. وعاد معه اصحابه وهم غير قادرين على تصديق ما حدث .. وما كاد النبي صلى الله عليه وسلم

يستقر في المدينة حتى كان ابو بصير عتبة بن اسيد بن جارية يقف امامه وهو يقول :

- « يا رسول الله .. لقد انطلقت من حبس بمكة .. وجئت اليك .. فهل انت مجيرى من ظلم كفار قريش ؟

لم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا .. فقد كان ينظر في كتاب ازهر بن عبد عوف والاخنس بن شريق الثقفي .. وكان احد رجال بني عامر بن لؤى يقف امام رسول الله صلى الله عليه وسلم .. ينتظر الاذن منه باعادة ابي بصير الى مكة حسب شروط المعاهدة وفي الطرف الاخر كان احد الموالي القرشيين يقف منتظرا .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ينظر في العيون المحدقة به :

- يا ابا بصير انا قد اعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت .. ولا يصلح لنا في ديننا الغدر .

ثم تقدم منه وربت على كتفيه واضاف :

- « ان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا قريبا .. انطلق الى قومك »

قال ابو بصير بيأس ظاهر :

- يا رسول الله اتردني الى المشركين يفتنوني في ديني ؟

قال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم :

- يا ابا بصير .. انطلق فان الله تعالى سيجعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا .

ومد ابن الخطاب يده الى سيفه .. وحاول ان يتحرك .. لولا يد ابي بكر التي سارعت لتهدئته . اما ابو بصير فقد انطلق مع رسول قريش .. ومولى قريش حتى اذا كان بذى الحليفة جلس الى جدار وجلس معه صاحباه فقال ابو بصير :

- اصارم سيفك هذا يا اخا بني عامر ؟

قال الرجل :

- نعم .

- هل استطيع ان القي نظرة خاطفة عليه ؟

- انظر ان شئت .

وبلمح البصر كان السيف في يد ابي بصير .. فطوح به في الهواء ثم ضرب به رقبة الرجل .. ما ان رأى المولى ذلك حتى هرب مسرعا حتى اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم طالعا قال :

- ان هذا الرجل قد رأى فزعا

فلما انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

- قتل صاحبكم صاحبي .

ولم يكد يكمل كلمته حتى كان ابو بصير يقف امامهم متوشحا سيفه .. وسار حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

- يا رسول الله وفت ذمتك . وادى الله عنك ، واسلمتني بيد القوم وقد امتنعت بديني ان افتن فيه .

فقال الرسول صلى الله عليه وسلم :

ـ « ويل امه .. مسعر حرب .. لو كان معه رجال »

« ٥ »

كانت هذه الكلمة بمثابة دليل لابي بصير لما يجب عليه فعله .. فودع رسول الله وصحبه ونزل بـ « العيص » من ناحية ذى المروة على ساحل البحر ، بطريق قريش التي كانوا يأخذون عليها الى الشام .

ونظر ابو جندل حوله وهو يرسف في قيود كفار قريش .. فرأى قبسا من الضوء ينير له السبيل .. ومد يده الى اغلاله وقيوده .. فتخلص منها .. واتجه الى « العيص »
وبدأ نهر المسلمين يتدفق على « العيص »
قال سهيل بن عمر :
ـ الويل كل الويل لك يا ابا بصير
وقال سفيان بن حرب :
ـ والله ان هذا لهو السفه .
اما المسلمون المهاجرون من ظلم كفار قريش فقد كانوا يلتفون حول ابي بصير .

« ٦ »

قال ابو بصير :
ـ نحن الآن سبعين رجلا
وقال ابو جندل :
ـ بل سبعون اسدا انطلقت من اسارها وستعلم قريش كيف ننتقم لانفسنا ولاخواننا .

وبدأت حالة الحرب .. بين العصابة المؤمنة الهاربة بدينها .. وبين عصابة الكفار القرشيين .
قال سهيل بن عمر وهو يتميز غيظا :
ـ « ما هذا .. ألا نقدر على سبعين رجلا !
قال ابو سفيان بن حرب :
ـ هذا كثير .. هذا كثير .. انهم يضيقون الخناق علينا
وقال كافر آخر :
ـ ولا يظفرون بأحد الا قتلوه .. ولا تمر بهم عير الا اقتطعوها
وهنا صاح سهيل بن عمر غاضبا
ـ ما العمل اذن ؟
قال ابو سفيان بن حرب باستسلام :
ـ يجب ان نكتب الى محمد ليضم هذه العصابة اليه
وعقب آخر :
ـ اجل لن نطالب بهم ابدا .. المهم ان نتخلص من شرهم .

« ٧ »

في صباح ذلك اليوم كانت المدينة كلها تستقبل هذه العصابة المؤمنة . وكان سيف عمر بن الخطاب يلمع في يده .. تقدم عمر بن الخطاب من الرسول صلى الله عليه وسلم وتمتم بكلمات غير مفهومة .. هل تعرفون ماذا قال ؟ :

« مازلت اتصدق واصوم واصلي واعتق ، من الذى صنعت يومئذ .. مخافة كلامي الذى تكلمت به ، حتى رجوت ان يكون خيرا » .

علوم الدين

● عشت مع هذا الكتاب وقتا طويلا ؛ لأنه قدم لي زادا نافعا للدنيا والآخرة .. وما أشق أن أختار لكم - أيها الاخوة - بعض موضوعاته لأن كل موضوعاته خطير وعميق ومفيد .

إن هذا الكتاب دراسة ميسرة عن العلوم الاسلامية وهي القرآن الكريم والتفسير والسنة المطهرة والفقه والتربية والدعوة وغيرها من المباحث . وقد جمعت هذه الدراسة ما تفرق من أشتات تلك المباحث في بطون الكتب القديمة والحديثة ، وهي تعطي صورة واضحة عن الثقافة الاسلامية بأسلوب العصر . ونقف لنتساءل :

ماذا قال المؤلف **الدكتور/ عبدالله شحاته** ؟ لقد تحدث أولا عن الوحي وهو إعلام الله تعالى من اصطفاه من عباده كل ما أراد اطلاعه عليه من ألوان الهداية والعلم ولكن بطريقة خفية غير معتادة للبشر ، وقد أشار **القرآن الكريم في آية واحدة الى صور ثلاث من صور الوحي هي** : **(وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء إنه علي حكيم)** الشورى ٥١ .

وهذا الوحي الشرعي بكل أنواعه يصاحبه علم من الموحي اليه بأن ما ألقى إليه حق من عند الله ليس من خطرات الأوهام ولا من نزعات الشيطان ، ولا يتولد من مقدمات بل هو من قبيل إدراك الأمور الوجدانية كالجوع والشبع والحب والبغض .

وقد بدأ نزول الوحي على رسول الله في ١٧ من رمضان سنة ١٣ قبل الهجرة النبوية ، واستمر نزول الوحي عليه ٢٣ عاما حتى لقي ربه في ١٣ من ربيع الأول سنة ١١ هـ الموافق ٨ من يونيو ٦٣٣ م وكان عمره ٦٣ عاما .

وقد حظى القرآن الكريم بعناية الأمة خلفا عن سلف لأنه روح الشريعة

الإسلامي

تقديم الأستاذ/ محمد ابراهيم الخطيب

وكتابها الخالد ، وظل وحيا يُتلى ، ونورا يهتدى به ، وهدياً يطبق ، وخلقا عمليا يتحلى به ، وينبغي أن يفهم انه ليس المراد بقراءة القرآن ترتيل ألفاظه فحسب بل المراد امتثال معانيه والتزام أوامره واجتناب نواهيه . وقد روى عثمان بن عفان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه » . البخاري ، وعن أبي ذرٍّ قال :يا رسول الله أوصني ، قال : « عليك بتقوى الله فإنه رأس الأمر كله » ، قلت : يارسول الله زدني ، قال : « عليك بتلاوة القرآن فإنه نور لك في الأرض وذخر لك في السماء » ابن حبان .

ولقد كان القرآن حقا مدرسة خَرَّجت رجالا قادوا الدنيا ، وأرسوا معالم حضارة خالدة ، وصبغوا الحياة بصبغة القرآن وتوجيه الرحمن وهدى محمد عليه الصلاة والسلام .

ثم تحدث المؤلف بعد ذلك عن كتابة القرآن وقال : ان ترتيب الآيات والسور توقيفي ، وتحدث عن حفظ القرآن في عهد الرسول وأبي بكر وعمر وعن أسباب جمع عثمان للمصحف ، وأشار الى القرآن المكي والمدني ، والقرآن المكي يدعو ـ كما يعرف من خصائصه ـ إلى الايمان بالله وتوحيد الخالق ، ويحارب عبادة الأوثان والأصنام ، ويذكِّر الناس بالبعث والجزاء ، ويصف مشاهد القيامة ، ويعرض صور النفخ في الصور والقيام من القبور وتوزيع الصحف ووزن الأعمال ، والمرور على الصراط ودخول المتقين الجنة ودخول الكافرين النار .

وتنزلت الآيات المدنية ، وتناولت فيما تناولت دقائق التشريع وتفاصيل الأحكام وأنواع القوانين المدنية والجنائية والحربية والاجتماعية والدولية والحقوق الشخصية . وسائر ضروب العبادات والمعاملات . وماذا قال المؤلف عن القرآن

والتفسير ؟ لقد أنزل الله القرآن مصدراً للهداية يقول سبحانه : (**قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم**) المائدة/ ١٥ و ١٦ . **وقد جدت في أيامنا عوامل متعددة جعلت الكثيرين يتطلعون إلى حياة أفضل ويتلمسون سبل الاصلاح وميادين التقدم والازدهار** ، ونرى أن نهضة المسلمين لا تكون صحيحة عن تجربة ولا سهلة متيسرة ولا رائعة مدهشة إلا عن طريق الاسترشاد بتعاليم القرآن ونظمه الحكيمة التى رُوعيت فيها جميع عناصر السعادة للنوع البشري ، وبدهي أن العمل بهذه التعاليم لا يكون إلا بعد فهم القرآن وتدبره والوقوف على ما حوي من نصح ورشد ، والإلمام بمبادئه عن طريق تلك القوة الهائلة التي يحملها أسلوبه المعْجز ، وهذا لا يتحقق إلا عن طريق الكشف والبيان لما تدل عليه ألفاظ القرآن الكريم « وهو ما نسميه بعلم التفسير » خصوصا في هذه العصور الأخيرة التي فسدت فيها ملكة البيان العربي ، فالتفسير هو مفتاح هذه الكنوز التي احتواها هذا الكتاب المجيد .

وتحدث المؤلف عن التفسير عبر العصور : عن التفسير في عهد النبي وفي عهد الصحابة ، وفي عهد التابعين ، وفي عهد تابعي التابعين ، وعن تفسير ابن جرير الطبرى وعن التفسير النقلي والعقلي والتفسير بين القديم والحديث وعن منهج الامام « محمد عبده » في التفسير .

ومن المفيد أن نذكر أن كتب التفاسير انقسمت الى نوعين : كتب التفسير بالمأثور ، وكتب التفسير بالمعقول .

وخلاصة ما قيل في مجال التفسير -١ - أن التفسير بدأ بتوضيح النبي صلى الله عليه وسلم لبعض الآيات ، وبذلك يعتبر النبي الأمين أول مفسر للقرآن ، -٢ - اتسع نطاق التفسير كلما بَعُدَ العهد بالنبوة لحاجة الناس إلى التفسير وبعدهم عن ملابسات نزول القرآن . -٣ - لم يكن التفسير لذات التفسير بل نشأ التفسير إجابة عما غمض وتوضيحا لما أشكل ، وتفسيرا لما أبهم . فلم يفسر النبي الأمين جميع القرآن بل فسر آيات منه ، وتعهد أصحابه القرآن قراءة وفهما وتوضيحا فاتسع نطاق التفسير نسبيا ، ولكنه لم يشمل جميع القرآن . - ٤ - أقدم تفسير مطبوع الآن هو تفسير الثورى « ت ١٦١ هـ » وهو تفسير بالمأثور ، وقاصر على تفسير بعض الآيات . - ٥ - وأقدم تفسير كامل للقرآن هو تفسير « مقاتل بن سليمان البلخي » « ت ١٥٠ هـ » . - ٦ - وكثير من التفاسير المبكرة ضاعت ولم تصل إلينا ، ويعتبر تفسير « ابن جرير الطبري » « ت ٣١٠ هـ » أقدم وثيقة تجمع هذه التفاسير . - ٧ - واستمرت عناية المسلمين بالقرآن في جميع العصور الاسلامية فألف حوله من الكتب مالا يحصى . وصدق الله العظيم إذ يقول : (**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**) الحجر/ ٩ . ونأتي الآن إلى الحديث عن السنة فماذا قال المؤلف في مجال السنة ؟ السنة هي المصدر الثاني من مصادر التشريع الاسلامي ، يقول الرسول عليه الصلاة والسلام « : تركت فيكم ما إن

تمسكتم بهما لن تضلوا أبدا كتاب الله وسنتي » رواه الحاكم والبيهقي . وهي في اصطلاح المحدثين تطلق على كل ما أثِرَ عن الرسول صلى الله عليه وسلم من أقوال أو أفعال أو تقرير أو سيرة أو خلق أو شمائل أو أخبار ، وقد يستعمل اسم الحديث أو الخبر أو الأثر حيث يستعمل اسم السنة ، وبذلك يكون الحديث والأثر مراد للسنة بالمعنى العام . وعن تدوين السنة يقول : كان عمر بن عبدالعزيز أول من أمر بتدوينها خوفا عليها من الضياع ، وأكد هذا الأمر أبو جعفر المنصور ، فانتدب لذلك ابن شهاب الزهري إلا أن عمله كان تدوينا مجردا من غير تبويب ولا ترتيب ، وأما الجمع مرتبا على الأبواب فوقع في نصف القرن الثاني الهجري . وعن كتب الحديث يقول : لقد صنفت في الحديث كتب كثيرة وصل إلينا بعضها ولم يصل بعضها الآخر ، ولايزال عدد كبير منها مخطوطا في المكاتب العالمية وقد اصطلح العلماء على تقسيم كتب الحديث بالنسبة إلى الصحة والحسن والضعف إلى طبقات : الطبقة الأولى وتنحصر في صحيحي البخاري ومسلم وموطأ مالك بن أنس ، والطبقة الثانية وفيها جامع الترمذي وسنن أبي داود ومسند أحمد بن حنبل ومجتبي النسائي ، والطبقة الثالثة وهى الكتب التي تكثر فيها أنواع الضعف من شاذ ومنكر ومضطرب مثل كتب البيهقي والطبراني والطحاوي ، ولا يستطيع الاعتماد على هذه الطبقة والاستمداد منها إلا كبار المحدثين الذين أفنوا حياتهم في استكمال هذا العلم ، والطبقة الرابعة بصنفات حياتهم في استكمال هذا العلم ، والطبقة الرابعة مصنفات هزيلة جمعت في العصور المتأخرة من أفواه القصاص والوعاظ وبعض المتصوفة والمؤرخين غير العدول وأصحاب البدع والأهواء كما في تصانيف ابن مردويه وابن شاهين وأبي الشيخ ، وهذه الطبقة لا يعول عليها أحد من الذين لهم إلمام بالحديث النبوي لأنها مصدر الأهواء والبدع ، ثم أشار المؤلف إلى البخاري ومسلم وصحيحيهما ، وإلى كتب السنن الأربعة ، وأصحابها هم أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه رضي الله عنهم ..

وننتقل الآن مع المؤلف إلي الفقه الاسلامي فماذا قال عنه ؟ لقد أرسل الله محمدا عليه الصلاة والسلام وأنزل عليه القرآن مشتملا على ثلاثة أهداف رئيسية هي : ـ١ ـ الدعوة إلى توحيد الله ولفت أنظار الناس إلى الأدلة على وجوده . ـ٢ ـ قصص الأنبياء السابقين وسيرة الخليقة لتكون عظة وعبرة لمن بعدهم . ـ٣ ـ تشريع الأحكام وبيان الحلال والحرام والعبادات والمعاملات . وعرف القسم الأخير فيما بعد باسم الفقه ؛ فالفقه جزء من أجزاء الشريعة ، ومعناه فهم الأحكام الشرعية فهما دقيقا ، قال تعالى : (**فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون**) التوبة / ١٢٢ . والفقه الاسلامي نظام عام يتناول علاقة الانسان بالخالق ، وعلاقة الإنسان مع غيره ، وقد درج الفقهاء القدامى على تقسيم الفقه إلى قسمين رئيسيين : الأول : أحكام العبادات التي يقصد بها التقرب إلى الله وحده ، والثاني : أحكام المعاملات ويقصد بها الأحكام التي تتعلق بجميع أعمال الانسان وتصرفاته وراء قسم

العبادات ، وقد جرى المتأخرون على تقسيم الفقه إلى ستة أقسام هي : ـ١ ـ العبادات ـ٢ ـ الأحوال الشخصية وهي ما يتعلق بنظام الأسرة ـ٣ ـ العقوبات ـ٤ ـ المعاملات وهي التصرفات المالية ـ٥ ـ المرافعات : وهي ما يتعلق بالحكم في القضايا بين الناس ـ٦ ـ المغازي وهي ما يتعلق بالحروب والجهاد ومعاملة الأسرى وعلاقة الدولة الاسلامية بغيرها . وقد مَرَّ الفقه الاسلامي بأدوار مختلفة مر بها الكائن الحي ، وهي : دور النشأة والنمو ، ودور النضج والكمال ، ثم دور التقليد والجمود ، وأخيرا دور اليقظة .

وقد نشأت المذاهب الفقهية المتعددة في دور نضج الفقه الاسلامي واكتماله أي في الفترة التي تبدأ من أوائل القرن الثاني الهجري تقريبا إلى منتصف القرن الرابع الهجري .

وقد أشار المؤلف إلى أشهر المذاهب السنية التي كتب لها البقاء حتى الآن ، وهي المذهب الحنفي ، والمذهب المالكي ، والمذهب الشافعي ، والمذهب الحنبلي .

وننتقل الآن إلى« التربية الإسلامية » وحول هذا العنوان يقرر المؤلف أن القرآن الكريم دعوة هادفة إلى المُثُل العليا والطريق القويم ، وقد عني القرآن بالجانب الخلقي والنفسي والعقائدي والتشريعي فلم يكن قدرا من التعاليم ولكنه كان طاقة مبدعة وروحا جديدا طهَّرَ نفوس المسلمين وغمرها بالخير والفضيلة وبعد أن كان المثل الأعلى للفرد هو السلب والنهب صار هذا المثل للفرد هو الايمان والإحسان والصدق والوفاء والاقتداء بالنبي الأمين .

وقد اهتم الاسلام بتربية الأطفال اهتماما كبيرا لأنهم أملُ المستقبل ، رأيناه يأمر بحسن اختيار الأم ، ويذكر أن من حق الوليد على أبيه أن يحسن اسمه ، وأن يؤذن في أذنه اليمنى عند ولادته ، ويقيم الصلاة في اليسرى .. وذكر المؤلف آراء سديدة لفلاسفة الاسلام في مجال تأديب الصبيان وتهذيبهم ، لقد تحدث عن التربية عند الغزالي وعنها عند ابن خلدون ، وقد اهتم الاسلام بالعلم والتعليم ، ويكفى أن رسول الله كان معلما ومربيا ، وهو في نفس الوقت القدوة العملية للمسلمين ، ولمعاذ بن جبل وصية جليله في وصف العلم جاء فيها :« تعلموا العلم فان تعلمه لله خشية ، وطلبه عبادة ، ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد ، وتعليمه من لا يعلمه صدقة ، وبذله لأهله قربة يرفع الله به أقواما فيجعلهم في الخير قادة سادة هداة يقتدى بهم » .

وللتربية الاسلامية معالمها ، ويخطىء من يقيسها بمقياس التربية في العصر الحديث ؛ ذلك أن التربية نظام اجتماعي ينبع من فلسفة كل أمة ، وهو الذي يطبق هذه الفلسفة أو يبرزها إلى الوجود .

والتربية الاسلامية جهاز اجتماعي يعبر عن روح الفكرة الاسلامية التي تعتمد على الكتاب والسنة ، وقد تميزت عن ألوان التربية الأخرى التي سادت في الشرق الأوسط وقت ظهور الإسلام .

وقد كان حفظ القرآن،او حفظ قدر يسير منه،كافيا في طبع الصبيان على التربية

الاسلامية الصحيحة ، وكلما زاد المسلم للقرآن حفظا زاد للاسلام فقها ، وعندما ترسخ العقيدة في نفس المسلم لا يقف في دائرة العمل عند حد نفسه بل يتجاوز ذلك إلى المجتمع بأسره حسب القاعدة الإسلامية« الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » ، وهكذا يكون جوهر هذه التربية هو الضمير المستمد من مخافة الله ومعرفته حق المعرفة ، ومن مباديء التربية الاسلامية تكافؤ الفرص بالدعوة إلى الحرية والمساواة ، ومن القواعد المقررة في أصول الفقه الاسلامي أنه « لا ضرر ولا ضرار » وفي القرآن نقرأ :

(يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) االبقره / ١٨٥ .

وبهذه الروح السمحة رعى الاسلام مصالح الناس وأن تنقل الحضارة من جيل إلى جيل من أجل نفع الانسانية ، ومصالح العباد .

وقد اهتم الاسلام بتربية الشباب أيما اهتمام ، وقد كفل القرآن والسنة أصول الاصلاح السياسي والاجتماعي والفكري والروحي للشباب وللناس أجمعين .

وتقوم هذه الأصول على : ـ١ ـ الربانية ـ٢ ـ التسامي بالنفس الانسانية ـ٣ ـ تقرير عقيدة الجزاء ـ٤ ـ اعلان الأخوة بين الناس ، ـ٥ ـ النهوض بالرجل والمرأة جميعا والمساواة بينهما ـ٦ ـ تأمين المجتمع بتقرير حق الحياة والملك والعمل والصحة والحرية والعلم والأمن لكل فرد وتحديد موارد الكسب ـ٧ ـ ضبط الغريزتين : غريزة حفظ النفس ، وحفظ النوع ، وتنظيم مطالب الفم والفرج . ـ٨ ـ تأكيد وحدة الامة والقضاء على كل مظاهر الفرقة وأسبابها .

ولاشك أن الالتزام بالاسلام يثمر الخير للفرد والمجتمع ؛ لأن الاسلام ـ كما هو معروف ـ نظام شامل يشمل البيت والمدرسة والمسجد والحياة كلها .

ومن المفيد للرعاية الروحية للشباب التأكيد على العناية بالنشء في الصغر ، وعلى الايمان باهمية القدوة الحسنة ، وعلى الاهتمام بالمدرسة لأن لها دورا فعالا في إعداد النشء والشباب ، وعلى إعادة النظر في قوانين ولوائح ونظم نوادي الشباب ومراكزهم لتأكيد المباديء الدينية والخلقية ، وعلى العناية بالمسجد ، وبوسائل الإعلام لتكون أداة خير ..

ونأتي الآن إلى الحديث عن الدعوة إلى الاسلام .. ونتساءل : ما أهم وسائل نجاح هذه الدعوة ؟ وما ملامح الداعية القادر على القيام بهذا الدور العظيم ؟

ان اهم وسائل نجاح الدعوة أن تكون قائمة على الحكمة والموعظة الحسنة وعلى الجدل بالتي هي أحسن ، وفي هذا نقرأ قول الله تعالى : **(ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين)** النحل/ ١٢٥ **والدعوة الى الاسلام في حاجة الى تفنيد مفتريات العدو وتأكيد قدرة الاسلام الذاتية على العطاء ، ولهذا وجب أن يتوفر لها الداعية المزَوّد بمهارات وخبرات ودراسات مناسبة لما يقوم به .**

ومن هذه الخبرات : **التعمق في معرفة القرآن والسنة وعلوم الشريعة**

والسيرة وأن يجمع الى العلم القديم علما حديثا بالمعارف المختلفة التي توضح العلوم الدينية باسلوب العصر ، وأن يكون متمكنا من لغة القوم الذين يخاطبهم ، وأن يكون خبيرا بطرق التربية والتعليم ، وأن يكون على خلق كريم ، وأن يكون حسن الهيئة وأن يحسن اختيار الموضوع مبتعدا عن اثارة الشبهات وأن يكون قدوة حسنة ، وبهذا ينجح في دعوته التي ينبغي أن يكون سديد الثقة والانفعال بها .

وفي ختام هذا الكتاب القيم يشير الكاتب الى نظام الحكم في الاسلام فماذا قال عن أهداف الحكم وعن حقوق الحاكم وواجباته ...

وعن دعائم الحكم الاسلامي ؟

ان الاسلام دعوة عالمية خالدة تهدف الى خير البشرية ، ومن هنا يجب أن تكون الغاية من نظام الحكم الذي يرضاه غاية شاملة تنتظم أهدافا عديدة منها : -١ - بيان الدين للناس بيانا صحيحا ، -٢ - العمل على وحدة الامة -٣ - حراسة الوطن وحمايته .

ثم انه اذا تم اختيار الحاكم وجبت له الطاعة ، وفي هذا يقول صلى الله عليه وسلم :« على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره الا أن يؤمر بمعصية فاذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » (رياض الصالحين في باب وجوب طاعة ولاة الأمر) .

ووجب تفويض الامور اليه دون اعتراض عليه إلا بالنصيحة عندما تجب ، ليتفرغ لما وكل اليه من وجوه المصالح وتدبير شئون الامة وأعمالها وسائر ما يجب عليه .

والحكم الاسلامي يقوم على ثلاث دعائم لابد منها هي :

- ١ - الشورى فيما يجب المشورة فيه من شئون الامة العامة ، يقول الله تعالى : (وشاورهم في الامر) آل عمران/ ١٥٩ .

- ٢ - العدل من الحاكم الأعلى ومن سائر الحكام ، وكان سلوك النبي عليه الصلاة والسلام وسلوك الخلفاء الراشدين نموذجا للعدالة المطلقة التي شملت المسلمين وغير المسلمين كما شملت الأصدقاء والأعداء .

يقول سبحانه : **(ان الله يأمر بالعدل والاحسان)** النحل / ٩٠

- ٣ - الاستعانة بالاقوياء والأمناء والأكفاء وحسن اختيار الولاة والحكام يقول عليه الصلاة والسلام : « ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاسق لرعيته الا حرم الله عليه الجنة » البخاري ومسلم وبقي ان نقول اذا كانت البشرية قد عرفت كثيرا من الوان النظم والحكومات فإن الاسلام قد وضع الاصول العامة لنظام الحكم ولم يقدم قالبا جامدا لتطبيق هذا النظام بل ترك لكل امة حرية الاختيار مع ما يتناسب مع ظروفها ومصلحتها وهو بهذا نظام متميز ليس له مثيل ..إنه النظام الاسلامي وكفى .. نفعنا الله بالاسلام .. وهدانا الى صراطه المستقيم .

الظواهر المرضية للتدين

للدكتور / محمد مصطفى الزحيلي

وجد الدين في هذه الدنيا منذ أول البشرية في الوقت الذي خرج سيدنا آدم من الجنة ، وحط قدمه على الأرض ، وخاطبه ربه بقوله تعالى : (**قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون**) البقرة / ٣٨ .

والتدين فطرة ذاتية في النفس الانسانية ، ولا يمكن لها العيش السعيد والراحة والطمأنينة والسعادة الا تحت ظله .

وأستمر الدين يرافق البشرية في أطوار حياتها ، ولم يخل مجتمع ولا أمة من ظاهرة التدين ، ولم يمر زمن أو عصر بدون التزام بالدين ، ولم تقم حضارة ، ولا أسست مدنية ، ولا نهضت أمة الا من وراء عقيدة دينية .

وسيبقى الدين مرافقا للبشرية الى يوم الدين ، والى أن تفنى البشرية ، وتقوم الساعة ، ويرث الله الأرض ومن عليها .

ولكن الدين الحق الذي أراده الله تعالى لصلاح عباده في الأرض ، والذي يمتد من أول البشرية ، وينبع من النفس والفطرة ، وسيظل حتى النهاية ، هذا الدين لم يبق على نضارته ونقائه ، ولم يسلم على حاله ، وانما عرضت له ظواهر مرضية كثيرة ، غيرت جوهره ، وعكرت صفوه ، وحالت دون تحقيق الهدف الأصلي منه ، وتعددت هذه الظواهر المرضية هنا وهناك ، على مستوى الأفراد والمجتمع والدول ، والأمثلة على ذلك كثيرة في التاريخ القديم والحديث ، ومن أهم هذه الظواهر المرضية للدين عبر التاريخ ما يلي :

* ضعف الايمان :

تعرض الدين الحنيف للوهن والضعف في النفوس ، وتحركت النزعة المادية في

الانسان ، وطغى الشيطان على اتباعه من الانس والجن للتهرب من أحكام الدين ، والتفلت من زمامه ، والتحايل عليه ، والتلاعب على بعض جوانبه ، وكانت النتيجة سوء الأحوال الخاصة والعامة تحت ستار الدين ، وانتشار الفساد والضلال في الفرد والمجتمع ، وبالتالي فقدت المقاصد الأساسية للدين ، وتعرضت المصالح الحقيقية للضياع .

* المتاجرة بالدين :

وقام بعض حملة الدين باستغلاله والتستر وراءه لتحقيق أغراضهم الشخصية ، ومطامعهم الذاتية ، وميولهم الدنيئة ، وشهواتهم الحيوانية ، واتخذوا الدين سلعة للمتاجرة والمساومة لسلب خيرات الناس ، وابتزاز أموالهم ، والوصول باسم الدين الى المناصب والمراكز ، والتمتع بشهوة السلطة ، وفرض النفوذ على الآخرين ، فكانوا أسوأ مثل لرجال الدين .

* اضفاء الصفة الدينية على الفلسفة والآراء :

وظهر في مناطق متعددة من أرجاء المعمورة ، وفي أحقاب زمنية مختلفة ، ظهر عدد من الفلاسفة والمفكرين ، وأراد هؤلاء الفلاسفة أن ينشروا فلسفتهم وأفكارهم بين الناس ، فأستغلوا مكانة الدين في النفوس ، وأضفوا على فلسفتهم وأفكارهم الصفة الدينية ، وألبسوها رداء الدين ، ليضمنوا الأقتناع بها بسرعة في النفوس ، ويحققوا انتشارها ، وصارت هذه الفلسفات أديانا في التاريخ والمجتمع ، وخاصة الديانات الصينية والهندية القديمة ، ومن هنا ظهرت الأديان الوضعية التي اخترعها الناس افتراء وكذبا وزورا على رب العالمين ، وكانت النتيجة أن تعددت الأديان ، واختلط الحابل بالنابل ، وظهرت الأديان السماوية بجانب الأديان الأرضية ، والأديان المنزلة ازاء الأديان الوضعية ، والأديان الصحيحة معاصرة للأديان الفاسدة المزورة ، ومن ذلك دين مسيلمة الكذاب وغيره من المتنبئين الكاذبين .

* التحريف والتبديل :

وتعرضت الأديان السماوية الصحيحة المنزلة للتحريف والتبديل والتغيير على يد فريق من الناس ، الذين دخلوا الدين بدون ايمان ولا اقتناع ، واعتنقوا الدين نفاقا وتقية ، وأعملوا معاول الهدم والتخريب في الأديان ، فأحلوا الحرام ، وحرموا الحلال ، وافتروا على الله الكذب والزور والبهتان في الاحكام ، حتى صار الرهبان أربابا من دون الله - والعياذ بالله - ، وانقلب التدين من عبودية الله تعالى الى عبودية البشر والطواغيت ، كما نسبوا لله تعالى ما لا يليق به من الأسماء والصفات ، ونسجوا على الأنبياء القصص الوهمية والخرافات ، وافتروا على الله

تعالى الكذب في العقيدة ، وشرعوا الزور والبهتان في الأحكام .

* **شهوة السلطة** :

وظهرت جماعات من المتدينين أرادوا أن يشاركوا الحكام والملوك والسلاطين في السلطة ، وأن يتولوا المناصب والزعامات ، فساروا في ركب الحكام الظالمين ، والطغاة المستبدين ، واستغلوا نفوذهم الديني ، ومركزهم اللاهوتي في مواكبة الظلمة ، ومشاركة الطغاة والجبابرة ، وكانت النتيجة أن يمقتهم الناس ، وأن يديروا لهم الظهور ، وأن يصبوا عليهم اللعنات ، وأن يسعوا للتهرب منهم ، والتخلص من جورهم وظلمهم ، وأن يطالبوا بابعاد الدين الذي كان وسيلتهم في ذلك ، وأن يفصل الدين عن الدولة والمجتمع والحياة .

* **رجال الدين**

وأراد بعض الحكام والطغاة المستبدين ان يركبوا موجة التدين ، وأن يستغلوا الدين لسلطتهم ، فامتطوا بعض ضعاف الايمان من ذوى النفوس الدنيئة ، ممن يعرف « برجال الدين » ويحمل شعار الدين ، ويلبس رداءه ، فقربوهم اليهم ، وفتحوا لهم أبواب السخاء والرفاه ، ثم سخروهم لمطامعهم ، وجعلوهم أبواق دعاية لهم ، يسبحون بحمدهم ، ويسترون عيوبهم ، ويضفون عليهم المساحيق البراقة ، فكانوا أشبه بكلاب الحراسة للسلاطين ، يقفون بجانب الظلمة ، ويدافعون عن الظالمين ، وحصروا الدين في بوتقة صغيرة ، وفتحوا للناس نافذة ضيقة ، وطلبوا منهم الرؤية من خلال المنظار الذي أتيح لهم .

* **الجهل بالدين**

وكان أكبر عون على معاداة الأديان الصحيحة الجهل بها ، لأن الانسان عدو ما يجهل ، وظهرت جماعات كثيرة تجهل الدين السليم ، لكنها لم تتخل عن التمسك به فوجدت حظها بالتقاليد المتوارثة ، والعادات السيئة ، والأعراف الباطلة التي صارت في نظر الناس دينا ينقلونه من الأجداد الى الآباء ، ثم يتوارثونه الى الأبناء والأحفاد ، حتى انقلبت حياتهم « الدينية » الى وثنية سوداء ، وشرك وضيع ، وقد ضل سعيهم في الحياة الدنيا ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، أولئك هم الأخسرون أعمالا .

* **أتباع الشهوات والغرائز**

ولئن كان التدين فطرة في النفوس ، فالنفس البشرية ذات نزعة مادية أيضا ، وأنها تتركب من عدد من الغرائز والشهوات ، ويقوم العقل باقامة التوازن بين الجانب الروحي والجانب المادي في النفس ، فان قصر العقل ، وتخلف عمله ، ترجح جانب المادة ، وتحركت الشهوات والغرائز ، وانطلقت بدون حد ولا قيد ، وسارت في طريق الغواية والشيطان ، وهذا يؤدي الى تجاوز حدود الشرع والعقل ،

وارتكاب المعاصي ، والانغماس في المحرمات ، والغفلة عن أحكام الشرع ، وتجاوز المقدسات الدينية مع الأعتراف بقرارة أنفسهم بالايمان وصحة العقيدة والتقصير في أحكام الدين ، ويسمى هؤلاء بالعصاة والمذنبين ، ولكنهم يشكلون ظاهرة مرضية خطيرة في المجتمع .

* تمزيق الدين :

وظهرت جماعات كثيرة تؤمن بالدين ، ولكنها تأخذ بعضه ، وتهمل بعضه الآخر ، فتطبق بعض أحكامه ، وتتخلى عن بعضها الآخر ، تسلخ من الدين ما تشاء من الفروع بما يتفق مع الأهواء والميول ، فتلتزم به ، وتدير ظهرها لما تشاء منه ، فتمزق الدين شر ممزق ، ثم تلجأ الى أديان أخرى أو فلسفات فكرية أو قوانين وضعية لتستورد منها ما تشاء ، وترقع بها التمزق والثغرات ، بدون تنسيق ولا انسجام ، ليصبح المنظر مقززا ، والثوب مرقعا ، والصورة مخزية ، والهيكل غريبا عن أهله وعن غير أهله .

ولم يقتصر هذا الأمر على الأفراد والجماعات ، بل امتد الى الدول والحكومات ، التي قامت بنفس العمل السابق ، وحاولت الجمع بين هذا وهذا ، فضلت وأضلت ، وأضاعت شخصيتها ، وفقدت هيبتها ، وتعثرت في طريقها ، واضمحل كيانها ، لتصبح تبعا لهذا وذاك .

ويصدق على هذه الظاهرة قوله تعالى : (**أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزى في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون . أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون**) البقرة / ٨٥ و ٨٦ .

* التبشير والاستعمار :

وأتخذت بعض الدول في العصور الحديثة سياسة مزدوجة نحو الدين ، فأعلنت الحرب عليه في الداخل ، وقررت التخلص منه ، واغلاق منافذه ، ومنع تعليمه ، واضطهاد رجاله ، وتشويه سمعته ، والحاق الشبه والأباطيل والمساوىء فيه ، بينما تبنت الدعوة اليه خارج البلاد ، وأرسلت البعثات التبشرية في شرق الأرض وغربها ، وأمدتهم بكل ما يحتاجونه ، فقام هؤلاء بالتبشير بالدين من جهة ، واماطة العقبات أمام الجيوش الزاحفة للاستعمار العسكري والسياسي والفكري والاقتصادي من جهة أخرى .

* الالحاد والعلمانية :

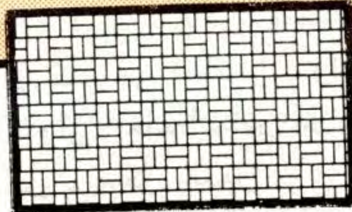
وظهرت في العصور الحديثة دعوات إلحادية كثيرة ، ونجحت بعض هذه

الأفكار الألحادية في استلام السلطة واقامة الدول على أساس الالحاد والعلمانية ، وأخذت على نفسها محاربة الأديان ، بدون تمييز بين دين ودين ، وكونت عن الأديان فكرة قاتمة سوداء وأصدرت عنها شبهات داكنة في مبادئها وأحكامها واستغلت التاريخ الأسود عن بعض حقب التاريخ للأديان ، وأظهرته للناس ، كما نشرت الجانب المظلم للأديان الفاسدة الباطلة الوضعية ، وحملت وزره الى الدين بشكل عام ، ورسمت للدين صورة مصطنعة اصطناعا ، تعلوها الرتـوش الشيطانية ، والهندسية الخالية ، وتحمل شارة الاستيراد من الخارج ، مع كونها صورة بتراء لبعض الأفكار الدينية المحرفة ، أو العصور المظلمة ، وقرنت بهذه الصورة صورة لماعة براقة ، تتجلى في التقدم العلمي ومعطيات الحضارة والانتاج الصناعي الحديث ، والتقنية الفنية ، والمكتشفات العظيمة ، والاختـراعات المتلاحقة ، والوسائل المتعددة التي يسخرها الانسان في حياته ومواصلاته ، وتزيل عنه متاعب الماضي في مختلف اتجاهات الحياة ، مما يخلب الأنظار ، ويشغل الفكر ، ويحجب كثيرا من البسطاء عن كشف الحقيقة ، والتعمق في النظرة ، والبحث عن المتاعب والمشاكل والأمراض النفسية والعقلية والجسمية التي ترافق هذه الصورة ، لكنه قفز الى نفوس كثير من الناس ، وخاصة الشباب والمثقفين ان الدين « موضه » قديمة ، وقد ولى زمانها ، ولم يبق لها فائدة ، وليس للانسان حاجة اليها ، ويمكن بسهولة ويسر الاستغناء عن الدين ، وأعلنت دعوات الالحاد وجوب الاستغناء عن الدين وفصله عن الدولة ، وابعاده عن مجال الحياة ، وتابعوا الشطط فقالوا : ان الدين والتدين ظاهرة سيئة وعلامة على التخلف ، وهو سبب البلاء والتأخر والجمود في كثير من البلدان ، واستدلوا على ذلك بأنهم أصبحوا في عصر المدنية والحضارة ، وأن العلم أساس كل شيء ، ويحقق للانسانية كل شيء ويحل - بل يجب أن يحل - محل الدين .

هذه بعض مظاهر الدين المرضية عبر التاريخ ، وكانت عبارة عن شوائب تركت آثارها السيئة على الحياة الانسانية ، وخلفت وراءها بصمات سوداء في جبين البشرية من جهة ، وعكرت صفحة الدين في النفوس ، وألحقت به العلل والاسقام من جهة أخرى ، واختلفت حالات هذه العلل والأعراض من أمة الى أخرى ، فقد قضت على كثير من الأديان الباطلة ، والأفكار السخيفة ، والطقوس الفارغة ، وقوضت دعائم رجال الدين في الظلم والاستبداد والاستغلال باسم الدين ، ووضعت حدا للشذوذ والانحراف الذي وصل اليه بعض رجال الدين ، وزالت الترهات التي ألصقت بالأديان كذبا وزورا وبهتانا ، بينما كانت هذه الظواهر المرضية دواء ناجعا للصحوة الدينية في أماكن أخرى ، ودفعت الناس للبحث والتفتيش عن الدين الحق ، والقيم الدينية الصحيحة ، وزالت كثير من الشوائب الغريبة عن أحكام الدين ، وظل الدين الحق عند الأفراد والشعوب كوكبا دريا ومصباحا مضيئا ، وأملا ساطعا ، يتطلعون اليه ، ويأملون فيه الخير والبر

من حيل الأعداء

لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل



تدارست لجنة الفتوى بوزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية رسالة بعنوان « فرصة ذهبية » .. وتقول الرسالة : إنه بامكان كل مشترك ان يكسب ما يزيد عن « ٥٠٠٠ » دولار خلال ٣ ـ ٤ اشهر ..

وتمضي « الفرصة الذهبية » في بيان الخطوات المؤدية اليها فتدعو المشترك الى ..

١ ـ شراء قائمة بها أسماء مشتركين والتعليمات الخاصة نظير ١٠ دولارات أو ما يعادلها .

٢ ـ ثم يكتب اسمه وعنوانه بحروف انجليزية واضحة في الخانة المخصصة للمشترك الجديد في اسفل القائمة .

٣ ـ ثم يرسل المشترك القائمة ومعها شيكان قيمة كل منهما عشرة دولارات .. الشيك الأول صادر باسم المشترك رقم (١) والموجود باعلى القائمة .. والثاني باسم ..

ويرسلها الى ...

ثم خلال فترة قصيرة تصله ثلاثة قوائم جديدة .. يظهر اسم المشترك

هذا في كل منها مقرونا بالرقم ٦ .
ثم يقوم ببيع هذه القوائم الثلاثة إلى مشتركين جدد مقابل عشرة دولارات أو ما يعادلها وبذلك يستعيد ما دفعه سابقا ..

وهكذا تستمر اللعبة « الفرصة الذهبية » وفي كل خطوة يرتفع فيها اسم المشترك إلى الرقم الأعلى ليحل محله آخر ، ويختفي اسم المشترك الموجود في أعلى القائمة ..

فعندما يكون المشترك قد باع ثلاثة قوائم يكون في الرقم ٦ .. وكل واحد من الثلاثة يبيع ثلاثة قوائم فتكون مجموع القوائم (٩) والمشترك في الرقم ٥ .. وعندما يبيع كل واحد من التسعة ثلاثة قوائم يكون مجموع القوائم (٢٧) والمشترك في الرقم ٤ ..

وهكذا حتى يصل المشترك الى الرقم (١) وعندها سوف يكون عدد القوائم « ٧٢٩ » يمتلكها ٧٢٩ شخصا .. وكل شخص سوف يحرر شيكا باسم صاحب الرقم (١) بمبلغ (١٠) دولارات ومعنى هذا ان يحصل على « ٧٢٩٠ » دولارا .

وتقول « الفرصة الذهبية » وعلى اية حال .. واذا ما تخلف بعض المشتركين عن الاستمرار « في اللعبة » فانه لن يقل الدخل منها عن « ٥٠٠٠ » دولار .

تلك هي خلاصة « الفرصة الشيطانية » عرضناها بصورة مبسطة حتى يقف على ابعادها القارىء الكريم .. وهي محاولة خبيثة لأكل اموال الناس بالباطل .. وإلهائهم وضياع لوقتهم وأموالهم بلا فائدة .. إنهم الأعداء ـ اعداء الاسلام ـ يحاولون هدم حصوننا من الداخل ، وزعزعة الأسس الاسلامية والتي ستظل راسخة إن شاء الله ، بفضل وعيك أخي القارىء ، وادراكك لمساعي الافاعي اليهود ، ومكرهم ، ولن يحيق المكر السيىء الا بأهله .

ولذا رأت لجنة الفتوى : ان هذا من قبيل اكل اموال الناس بالباطل ، لما فيها من غرر ، وليس هناك مصلحة في نشر هذه القوائم ، لأنها اوراق لا قيمة لها ، ولذلك فهي نوع من القمار ، لاحتواء هذا التصرف على الغرر ، وسينتهي الأمر الى ألا يوجد من يشتري هذه القوائم ، فتتضاعف الخسارة على من ينتهي عليه الأمر ، والواضح ان هذا عمل يهودي غالبا ، يراد به سلب اموال المسلمين بالباطل ، لأنهم يقولون « ليس علينا في الأميين سبيل » .

وتضيف الوعي الاسلامي : ان كل دورة لرأس المال بهذه الطريقة تعتبر دورة باطلة .. حيث لا مصلحة حقيقة وراء انتقال رؤوس الأموال من يد الى اخرى .. ولو كانت بصورة شركات وهمية ، لا وجود لها ، وعلى فرض وجودها فلا فائدة انتاجية منها .. بل مثل ذلك يأتي على الاقتصاد ، ويركز المال في ايدي فئة قليلة ، ويخلف الحسرة والخراب في نفوس وبيوت المساهمين . وقى الله المسلمين من الوقوع في هذه المهاوي .. اللهم آمين .

بريد الوعي الإسلامي



تشكيل الآيات القرآنية

الأخ / نبيه حامد ابراهيم حمزة .. يطلب منا تشكيل الآيات القرآنية الواردة في مقالات وموضوعات « مجلة الوعي الاسلامي » حتى لا يقع القارىء في خطأ عند تلاوتها ويخشى هو من الوقوع في هذا الخطأ .

المحرر : نشكر للأخ نبيه حرصه على قراءة الآيات القرآنية بصورة صحيحة ، وكنا نود أن نحقق له رغبته ورغبة كثير من القراء لولا عدة اعتبارات منها :

أولا : خشيتنا أن يقع خطأ في تشكيل حرف من آية فيؤدي إلى فساد المعنى .

ثانيا : ليست في المطبعة حروف مشكلة .. بل لا بد لفعل ذلك من بذل جهود شاقة .

ثالثا : نحن نقوم بتخريج الآيات القرآنية الكريمة بذكر رقمها واسم السورة الواردة فيها .

حتى اذا ما وقع خطأ مطبعي في احداها أمكن للقارىء الوقوف على صحته برجوعه الى موضعها في المصحف الشريف .

رابعا : لا يكاد يخلو بيت من بيوت المسلمين من نسخة كريمة من القرآن ، ولذا فالامر سهل على أي قارىء كريم .. بأن يفتح كتاب الله ، ويتحقق بنفسه من قراءة الآيات قراءة صحيحة . نفعنا الله بالقرآن الكريم تلاوة وعملا .

قراءة القرآن على الموتى

الاخ / حسن عقار - من المغرب العربي - ارسل يسأل عن حكم قراءة القرآن الكريم على الموتى ، وهل تنفعهم ام لا ؟

المحرر : **يقول الشيخ محمود شلتوت** : **ان استمطار الرحمة على الموتى لا يكون الا بعمل مشروع كالدعاء والصدقة ، بشرط أن يكون خالصا لوجه الله الكريم .. ثم يقول** : **إن رحمة الله للموتى شأن من شئون الله سبحانه الغيبية استأثر بها ، ومنه وحده تعرف سبلها .**

ونقول : **إن آيات القرآن الكريم تدل صراحة على أن الانسان لا ينتفع الا بسعيه وعمله هو ، يقول تعالى** :



الأخ منير عبدالسلام الأشقر أرسل الى بريد الوعي الاسلامي بهذه الكلمة تحت عنوان :

ونسي العرب معقد شرفهم !

معلوم لدينا أن العرب وغير العرب سواء في أنهم خلقوا لعباده الله وأداء حقوقه والاستعداد للقائه ؟

لكن العرب وحدهم أولى الأجناس بمعرفة الله والتزام حدوده ، اذ أن حاجتهم الى الدين تفوق حاجة غيرهم أو فرص التسامي التي تتاح لهم يوم يتقون الله أضعاف الفرص التي تتاح لغيرهم ، ان العرب جنس حاد المشاعر جامح الغرائز ، عندما يطيش يفقد وعيه وعندما يعقل يبلغ الاوج … ولقد تمعنت في رأى ابن خلدون في العرب وترددت في تصديقه ثم انتهيت اخيرا الى أن العرب لا يصلحون الا بدين ، ولا يقوم لهم ملك الا على نبوة ، وأن العالم لا يعترف لهم بميزة الا اذا كانوا حملة وحي ، فاذا انقطعت بالسماء صلتهم ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وغشيهم الذل من كل مكان .

ففي قراءتنا لسير الأنبياء مع أقوامهم نعجب أشد العجب لضياع رسالتهم أمام عواصف التكذيب التي هبت عليهم من كل مكان ! في جنوب الجزيره العربية كانت عاد وسبأ وفي شمالها كانت ثمود ومدين وقرى المؤتفكة .. فتاريخ العرب الأقدمين مع الدين مثار عبرة ! إن الرسل الكرام أعجزتهم الطباع المستكبرة والرذائل

« لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت » ويقول سبحانه : « وأن ليس للانسان إلا ما سعى » . ويقول : « قد أفلح من زكاها . وقد خاب من دساها » . الى غير ذلك من الآيات التي تفيد أن ثواب العمل الصالح عائد على صاحبه فقط .

والأحاديث التي وردت بانتفاع الوالدين بعمل ابنهما الصالح يمكن إرجاعها إلى أن الولد من سعي أبيه ، ومن عمله . ومن هنا فلا تعارض بين الآيات والأحاديث .. ويكون انتفاع الوالدين بعمل أولادهما ، وإهدائهم الثواب إليهما من قبيل انتفاعهما بعملهما . أما قراءة الغير فثوابها للقارىء ، وهو لم يملك ثواب القراءة حتى يهديه لسواه ، وأما القراءة بأجر فهذا ما لم يشرعه الله ولم يأذن به .

الاستمناء

كتب الصديق / مجدي بركات .. حول هذه الآفة الخطيرة التي يتعرض لها الشباب خاصة في هذه الأيام .. ونضيف إلى ما قاله الصديق : إن العلاج يكمن في :

١ ـ شغل أوقات الفراغ لدى الشباب بعمل يعود عليهم بالنفع .. كالأعمال اليدوية ، والاطلاعات المفيدة ، والقراءات المثمرة .

٢ ـ الحياة في جماعة واختيار رفقة صالحة .. تعينه على الخير .. وتبتعد به عن الشر .

٣ ـ إلزام المرء نفسه بطاعة الله ، والابتعاد عما حرمه الله وسد منافذ الشيطان التي يطلع منها على الانسان فيفسد عليه عمله ، ويزين له الباطل فالنظرة الى الأجنبية حرام ، ولمس المرأة الأجنبية من غير حائل لا يقره الاسلام ، والخلو مع امرأة أجنبية نهى عنه ديننا . كل ذلك حتى نسد على الشيطان منافذه فلا نقع فيما يوجب الحد .

٤ ـ الاستعانة بالصوم على كبح جماح الغرائز ، كل ذلك إذا لم يكن ميسورا أن يصل الانسان إلى ما يريد بطريق مشروع .. والاعتماد المطلق على الله في كل حال .. وإذا ما زلت قدم الانسان فليسرع بالنهوض والتوبة الصادقة إلى الله ، وهو الموفق والمعين ، والهادي إلى طريق الفلاح .

الى قرائنا

كثير هم قراؤنا الأفاضل الذين أرسلوا إلينا يسألون عن كتاب « الأفعى اليهودية » للاستاذ / عبد الله التل والذي قدم له وعرضه الأستاذ / معالي عبد الحميد وكيف يمكنهم الحصول على نسخة من الكتاب ؟ ونحن بدورنا قد أرسلنا للأستاذ معالي برغبة قرائنا الأعزاء .. وما زلنا في انتظار إجابة كاتبنا الفاضل .. وعندما يصلنا رد سيادته بما يحقق رغبة القراء ، فسوف ننشره إن شاء الله .

المتمكنة ، فمضت سنن الله تحصد المجرمين وتؤدب العاتين ففي سورة هود التي تعتبر بمثابة نموذج لهذا التاريخ من القرآن الكريم قوله سبحانه « **فلولا كان من القرون من قبلكم أو لو بقية ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا من أنجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين.وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون** »

صدق الله العظيم ، ... وشاء الله أن يتجدد العرب مع الرسالة الخاتمة ، ان الأوائل الذين بادوا في حريق الجحود جاء من بعدهم من أخذ الكتاب بقوة ، وخدم الايمان بعزم ، وانتصب لحرب الجبابرة ببأس شديد !

والواقع ان الجيل الذي رباه محمد صلى الله عليه وسلم كان من طراز فذ . لقد ألان القلوب لله حتى بلّت دموعها المحاريب ، وأخلص النيات فما بقى هوى ولا غش .

وتمهدت الميادين لنصرة الحق ، فاندكت صروح للباطل ما ظن أحد أنها تزول وتلاشت أوهام وخرافات حقرت الانسانية وأزرت بها ونشأت حضارة اسلامية أسهم فيها العرب وغيرهم في ظل اخاء عام وفطرة سليمة .

ولكن العرب نسوا معقد شرفهم وعروة مجدهم ، وظنوا أنهم بغير الاسلام يمكن أن يكونوا شيئا .. ! وقوى هذا الشعور أو ضعف حسب انكماش الايمان وامتداده وجاء دور الهزيمة العامة في تاريخ العرب الأخير ، والعرب يفخرون بأصلهم لابدينهم ويتحدثون عن دمهم لا عن نسبهم الروحي الثاقب .

ولعل أغرب مفارقة في تاريخ الحياة كلها أن يقبل اليهود في موكب تقوده التوراة ، على حين ينسى العرب قرآنهم ، بل تستعجم لغتهم على أفواههم فما يحسنون النطق بها !! وبدهي أن تتلاحق المخازى في شئون العرب السياسية ، الاجتماعية ، وألا يبدو لهم نصر في أفق من الآفاق .

كيف ؟ وقد تيقظت الشهوات ، وصرخت الأثرة وشرع العرب المعاصرون يحيون كما كانت عاد وثمود . يبطشون بطش الجبابرة ولا يروى لهم عطش الى الملذات الحرام .

ان العرب ـ بعيدا عن الاسلام ـ لن يكونوا الا حطب جهنم ! ذاك في الدار الآخرة أما في هذه الدنيا فان العرب ـ بعيدا عن الاسلام ـ سيأكل بعضهم بعضا . ثم يأكل بقيتهم اليهود والنصارى !! اذا كان الدين ضرورة أساسية لرشد الناس ، وقيامهم بحقوق خالقهم ، فان الدين ـ للعرب ـ هو الهواء الذي يبقى حياتهم ، أ الغذاء الذي يمسك كيانهم ، فليرو رأيهم ، ان شاءوا الحياه أو شاءو الممات .

القضاء في الإسلام

وتحت هذا العنوان كتب الأخ / محمد عصمت عبدالرحيم فقال :
قال تعالى : « يا أيها الذين امنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على الا تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون »

القضاء عدالة لها قداستها ، وأمانة لها نزاهتها ، وعبادة لها طهارتها ، وتنفيذ للأحكام يبعث في النفس الثقة والاطمئنان .

فهو يضرب على يد المنحرف حتى يفيء الى رشده ، ويقلع عن غيه ، ويكف عن ايذاء غيره . لقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم ، يتولى القضاء بين الناس بنفسه ، متخذا القرآن مصدر قضائه، فهو القائل لمعاذ حين ولاه على اليمن « كيف تحكم بين الناس » فقال معاذ بن جبل أحكم بكتاب الله . فقال صلى الله عليه وسلم « فان لم تجد » قال : فبسنة رسول الله . فقال صلى الله عليه وسلم « فان لم تجد » قال : اجتهد رأيي ولا آلو .

فقال صلى الله عليه وسلم « الحمدلله الذي هدى رسولَ رسولِ الله الى ما يرضى الله ورسوله »

نهج الخلفاء ، نهج الرسول صلى الله عليه وسلم ، فكانوا يتولون القضاء بين الناس بأنفسهم ، متخذين القرآن والسنه مصدر قضائهم .

ولما اتسعت رقعة الدولة الاسلامية في عهد عمر الفاروق عهد بالقضاء الى صفوة من الصحابة ، وأوصى عمر بن الخطاب الوالى ابا موسى الاشعري « ان آس بين الناس في مجلسك وعدلك ووجهك حتى لا يطمع شريف في حيفك ، ولا يخاف ضعيف من جورك ، ولا يمنعك قضاء قضيته بالامس وراجعت فيه نفسك أن تسترجعه وتسترده ، فان الحق قديم ، وإن الرجوع الى الحق خير من التمادي في الباطل ، وذلك الامام على كرم الله وجهه عندما عين الاشتر النخعي ولاية مصر قال له :

أختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك ،

وأقلهم تبرما بمراجعة الخصم ، ممن لا تشرف نفسه على الطمع ، وممن لا يزد هيه إطراء ولا يستميله اغراء ، ثم افسح له في البذل مما يزيل علته ، وتقل معه حاجته الى الناس ،

وما أجمل نصيحه الحسن البصرى رضي الله عنه لابن هبيرة القاضي حين استشاره

فقال الحسن البصرى :

يا أبن هبيرة لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، فانظر ما كتب اليك فيه يزيد فاعرضه على كتاب الله تعالى فما وافق كتاب الله فأنفذه ، وما خالف كتاب الله فلا تنفذه ، فان الله أولى بك من كتاب يزيد .

فقال له ابن هبيرة : صدقت ورب العالمين .

قال صلى الله عليه وسلم « من ولي القضاء فقد ذبح بدون سكين » لقد كان المسلمون الأوائل يتهيبون القضاء ويرغبون عنه ، اما خوفا من عدم القيام بالتزاماته أو خوفا من أن يحملهم الولاة على اصدار احكام لا تقوم على اساس من الحق ، فمن ولى منهم القضاء ، التزم بكتاب الله وسنة رسوله ليحدد حركاته ومعاملاته على وجه يباعده عن الظلم والجهل ويصعد به لأوج الحق والعدل .

فكانوا يتحرون الحق ، لاقامة موازين العدل ، مدفوعين الى ذلك بروح التقوى ، يخوضون الدنيا للحق حيث كان ، لا يخافون في الحق احدا حتى ولو كثر اتباع الباطل . عاملين بقوله تعالى : « وممن خلقنا يهدون بالحق وبه يعدلون »

اليك قضية أمرأة اشتكت أمرها للقاضي شريك بن عبدالله .

فعندما امتنعت عن بيع بستانها للأمير موسى بن عيسى عم أمير المؤمنين المهدي ، أمر غلمانه ، فأزالوا حدود بستانها ومعالمه ، وخلطوه ببستانه ، فارسل يستدعى الأمير ، لحضور مجلس القضاء ، فأرسل الأمير رئيس الشرطة بالكوفة ليطلب منه العدول عن هذا فما كان من شريك ألا أن حبس رئيس الشرطة ، فلما علم الأمير بذلك أرسل بعض الوسطاء فما كان من القاضي شريك الا أن نهرهم ، قائلا :

ان العداله لا تفرق بين أمير وصغير ، ولما علم الأمير بذلك ، ذهب في ركب من حراسه الى السجن وأخرج المسجونين عنوة . فأعد القاضي نفسه للسفر للقاء الخليفة ، وطلب إعفاءه من القضاء قائلا : والله ما طلبت من بنى العباس



ولايـة القضاء ، وأنمـا هم الذين اكرهونا عليها ، ولقد وعدونا ان نكون أعـزة أحرارا ، نتـوخى العدل في أحكامنا ، أما الآن فلا سبيل للبقاء في مجلس الحكم ما دمنا عاجزين عن آداء الأمانة ، ثم انصرف .
فلحق به الأمير واسترضاه ، فقال القاضي : الحل عندي أن يرد الى السجن من أمرت بحبسهم ، أو أن يحضر الوالى مجلس القضاء مـع المرأه . فنفذ الوالي ، وحكم عليه برد البستان واقامة الحدود والمعالم التي هدمت ، فنفذ الحكم .
هكذا كان القضاء في الاسلام ، يتولاه رجال فقهاء صادقون بكتـاب الله عاملون ، قال تعالى « فـاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله »

النظر في آيات الله « عز وجل »

تحت هذا العنوان كتب الصديق عبدالمنعم توفيق ـ يقول :

تباركت يا من تملك الخلق والأمرا — لك الحمد لا نحصى ثنـاء ولا شكرا
تعامت عقول الخلق عن درك ما ترى — فلم يبصروا في الكون آياتك الكبرى
بسطت عـلى الغبراء للنـاس انعمـا — واطلعت في الخضراء انجمها الزهرا
واجـريت شمسا يستضـاء بنـورهـا — واطلعت للسـارين في ليلهـم بـدرا
فكـان نظـام الكـون اكبـر آيـة — عـلى قـدرة تغنـوا لآثـارهـا قسـرا
الم يخلق الانسـان من أصل نطفـة — ليـذعن للمـولى ويمتثـل الأمـرا ؟
الم ينظـر الانسـان للـزرع نظـرة — فيبصر آثـار الجمـال بـه تتـرى ؟
الم ينظـر الانسـان للغيث هـاميـا — وكيف به قد أصبح الزرع مخضرا ؟
الـم ينظـر الأحيـاء للمـوت آتيـا — الم يبصروا كم في الثرى حفروا قبرا ؟

فيـا شقوة العـاشين عن ذكـر ربهم — عموا عن صراط الحق وانتحلوا عذرا
تبصر وقـم للـه في هـداة الـدجى — تفـز بنعيم الخلد في دارك الأخـرى
وهيـا بنـوا الاسـلام أعلـوا منـاره — وشدوا عراه تكسبوا الفخر والأجرا

أفيقوا بني الاسلام قد طال نـومكم — وقـد يبعث الأعداء من بـات مغترا
اعـدوا لهم من قـوة مـا ستطعتم — ولا تغفلوا عن كيدهم وخذوا الحذرا

تـركنـا كتـاب اللـه لم نَـرع حقـه — ونحن بمـا يحويـه من حكم أدرى
فيـا امـة الـدين الحنيف تمسكـوا — جميعـا بحبل اللـه واتحـدوا طـرا
وسيروا على نهج الهداة واصلحـوا — شؤونكم كي تمنحوا الفوز والنصرا

مع الصحافة

تشغل الصحافة العربية والعالمية في هذه الأيام مسألتان كبريان : مسألة الشرق الأوسط ، ومسألة أفغانستان . والحقيقة أن بين المسألتين وجوها عدة من التشابه ، ولكن التشابه الجوهري الرئيسي بينهما هو أن أعباء كل من المشكلتين تقع على رؤوس المسلمين وحدهم ، وأن التكاليف الباهظة لكل منهما يقوم بدفعها المسلمون وحدهم : دماء زكية ، وعذابات مضينة ، وأموالا مضيعة .. ومع ذلك فان بين المشكلتين في هذه الآونة فرقا جوهريا رئيسيا أيضا : فمشكلة الشرق الأوسط دخلت الآن ـ أو أدخلت عنوة وكيدا ـ في نطاق المساومات الدبلوماسية ، بعد أن تم اطراح الخيار العسكري ، وأصبحت النتائج التي يمكن أن تنجلي عنها المفاوضات شبه واضحة ، أو قل : إنها تسلك سبيلا واحدا لا بديل له : كل خطوة فيه تعني تنازلا جديدا من طرف ، وتعنتا وتشبثا بالشروط من طرف آخر . أما مشكلة أفغانستان فمايزال المسلمون هناك يحملون بنادقهم ، ويتصدون كل يوم للغزاة السوفيات ، وهذا يعني أنهم مايزالون يملكون بين أيديهم الخيـار العسكري ، ويمارسونه أيضا على نحو فعال جدا . ومع ذلك تحاول صحف الغرب أن توحي بأن حلا دبلوماسيا يوشك أن يضع نهاية للصراع في أفغانستان ، وليس من المستبعد أن تكون هناك مساع دولية حثيثة للحل الدبلوماسي ، ولكن المهم أن المجاهدين الافغان مايزالون قادرين على أن يتخذوا قرارهم الذي يكفل مصالح المسلمين هناك وحقوقهم ، ماداموا قادرين على أن يوقعوا بالعدو الغازي ، وماداموا ثابتين تحت راية الجهاد .

ومع ذلك يظل وضع المسلمين في أفغانستان عرضة للخطر . صحيح أن ما تتحدث به صحف الغرب عن الحل الدبلوماسي قد يكون ضربا من التخمين ، دفع اليه موت بريجينيف ومجيء أندروبوف من بعده ، أو ذكرى مرور سنوات ثلاث على الغزو السوفياتي لأفغانستان ، أو بداية عام ميلادي جديد ، أو رغبة السوفيات في التفاهم مع الصين ، أو تصريحات بعض المسؤولين في أمريكا والغرب بأن النية تتجه نحو ايجاد لون من التفاهم بين الكبار ، بعد انقضاء عام ساخن جدا ، حفل بألوان الصراع في عدد من مناطق العالم . ومهما يكن نصيب هذا التخمين من الصحة ، فهو احتمال قائم ، وهو ينطوي على دلالات فيها الكثير من الخطورة التي تحدق بالمجاهدين في أفغانستان . ذلك بأن من الحقائق المؤسية في عالم السياسة

أن قضايا الشعوب ، عندما توضع على موائد المساومات الدولية ، يتفق المساومون الكبار فيها ـ حتى قبل البدء بالحوار ـ على شيء واحد : هو أن الدور الوحيد الذي يسمح للشعب المعني بالقضية أن يلعبه بين الكبار هو أن يقوم بدفع التكاليف التي تضمن مصالح الكبار ، و « تحمي أمنهم » ، وتكفل تحقيق التفاهم فيما بينهم « على قضيته » !

وحين يزمع الكبار أن يبدؤوا بترتيب أسباب التفاهم فيما بينهم يشرعون بالضغط على الشعب صاحب القضية ، ويقومون بحصاره والتضييق عليه .. وتصدر إذ ذاك الأوامر العليا من الكبار الى أتباعهم الصغار بإحكام الطوق على الشعب الضحية ، فتسكت وسائل الاعلام فجأة عن قضيته ، وتنقطع المعونات عنه ، وتغدو الصحافة مشغولة شغلا كاملا بما يتناثر على موائد المساومات الدبلوماسية من شروط وتصريحات وتنازلات ومناورات ..

شيء واحد مايزال يضيء الأمل ويستعصي ـ حتى الآن ـ على سحر الكبار : أن رصاص المجاهدين مايزال يدوي بين أطراف الجبال الداكنة في أفغانستان فيزيد هتافهم « الله أكبر » قوة وحماسة .

○ في الشرق الأوسط : خدع ومكائد .

تعرب معظم الصحف العربية عن يأسها من أن ينال المفاوضون العرب شيئا ذا بال من حقوقهم المسلوبة ، وذلك بسبب ما آلت اليه أوضاع القوى بعد الغزو الصهيوني الأخير للبنان . والصحافة عامة ـ عربية وأجنبية ـ تدرك ادراكا لامرية فيه أن المفاوضين العرب لم يعد لهم صوت مسموع ، بعد أن تم اسقاط الخيار العسكري واستبعاده تماما ، وبعد أن وضح الاستسلام الكامل للنوايا الأمريكية والخطط الأمريكية ، في انتظار ما يمكن أن يسمح به « الكرم الاسرائيلي » من تنازلات . ولما كانت السوابق الأمريكية قد أصبحت معروفة فان التحرك الأمريكي لا يعدو أن يكون مجرد مكيدة أو خدعة كبرى : حول هذا الموضوع كتبت الرأي العام الكويتية في ٧ ربيع الأول افتتاحية جاء فيها :

من الواضح أن الأميركيين يجيدون المخادعة والتدليس ، وصولا الى أهدافهم . ولابد ان هذه المزايا سوف تكون موضع الاعتماد الاقصى في هذه المرحلة ، حيث بدا أن العرب ، بعد ضربة لبنان ، سقطوا يترنحون طائشي الصواب . بل كالثمرة التي « نضجت » يقتلها نضوجها ذاته !

إن السلام المطروح ، لا يتعدى السراب ، وقصاراه أننا نسجل رفع أيدينا بالاستسلام . فلا الولايات المتحدة ، ولا اسرائيل ، يريدان السلام حقا . بل

إنهما تعرفان أن السلام المطروح ليس سلاما . ولقد شكل رفض الشعب المصري للتطبيع برهانا قاطعا على أن هذا السلام ليس سلاما . وبرهن كلام الدولة المصرية ؛ بلسان وزير دفاعها الفريق أبو غزالة ، عن ضرورة إقامة التوازن الستراتيجي بالسلاح ، أن السلام مع اسرائيل هو وهم أميركي كبير ، بل هو الخدعة الكبرى .

وإذن فعن أي سلام يتحدثون ، وأية حقوق ، وأية فرصة ؟ !

أما صحيفة الأنباء الكويتية فقد نشرت في ٨ ربيع الأول مقالة أبرزت ما ينطوي عليه الموقف العربي من تناقضات في المساعي المبذولة في إطار ما يسمى بتسوية القضية الفلسطينية ، في حين أن معظم الظواهر تؤكد على أن العدو اليهودي يتشبث تشبثا عنيدا بمطالبه « التوراتية » فيما يدعيه من حقوق . تقول المقالة :

هناك سؤال يدور حول اطار التسوية . فالاطار الرسمي الاسرائيلي هو الحكم الذاتي حسب اتفاقات كامب ديفيد . والاطار الرسمي الاميركي هو كيان فلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة مرتبط بالاردن ، حسب « مشروع ريغان » . والاطار العلني العربي هو اقامة دولة فلسطينية مستقلة ، حسب « مشروع فاس » . لكن الدول العربية تتصرف عمليا على اساس أن المشروع الواقعي القابل للتنفيذ هو المشروع الاميركي . وهي تدفع الاحداث باتجاه تفاهم فلسطيني - اردني يحل مشكلة من يفاوض ومن يسترجع الارض . وليس سرا ان عددا من قادة منظمة التحرير يقولون في المجالس الخاصة ان اقصى ما نستطيع الحصول عليه هو ما تستطيع اميركا ان تعطينا اياه . وليس سرا ايضا ان احد وزراء الخارجية العرب قال لقادة المنظمة : المطروح أمام الجميع هو استعادة الارض مقابل الاعتراف باسرائيل ، فاذا كنتم تريدون استعادة الارض فتعالوا نفوض الملك حسين صلاحية التفاوض ، واذا كنتم تريدون دولة مستقلة فان هذه لا تأتي بالوسائل الديبلوماسية .

ونحن الآن في مرحلة الضغط الاميركي على العرب من أجل المزيد من الليونة في المواقف ، لا في مرحلة الضغط الاميركي الجدي على اسرائيل .... والفارق بين الدول العربية هو ان بعضها يطلب من السيد ياسر عرفات تفجير قنبلة الاعتراف باسرائيل في قصر الاليزيه في باريس ، في حين ان بعضها الآخر يعتبر ان حديقة البيت الابيض المكان المثالي لمثل هذا التفجير . فالمنطق الذي تحاول ادارة الرئيس ريغان « تسويقه » هو ان من الافضل « محاصرة » مناحيم بيغن بالاعتدال العربي والاميركي من أجل محاصرته في الداخل بخلق نوع من الاعتدال الاسرائيلي في صفوف الرأي العام وحزب

العمل المعارض . لكن الحسابات الاميركية على الورق لا تزال خاطئة على الارض ، الى حد ان وزير الاعلام الاردني عدنان ابو عودة أوجز الوضع بقوله : هناك مشروعان للنقاش هما مشروع ريغان ومشروع فاس ، ومشروع للتطبيق هو مشروع بيغن ، اي ضم الضفة والقطاع .

أما عن المشكلة اللبنانية فتصورات الصحافة عن مستقبل لبنان غامضة ومضطربة . بعض الصحف تعتقد بأن المفاوضات بين الوفدين اللبناني والاسرائيلي هي من قبيل تحصيل الحاصل فاسرائيل ـ كما تقول القبس في ١٥ ربيع الأول :

اسرائيل تقدم مطالبها بالجرافة ، ولبنان يحفر جبل المطالب الاسرائيلية بالابرة . وشاهد الزور الاميركي يلعب دور القرد في الاسطورة ، يأكل من جبنة هذا ، ويقضم من جبنة ذاك حرصا على العدل وقسمة الحق !
واسرائيل تفاوض مسترخية ، وهي تضع قدميها في مياه الليطاني ، كما كانت تفعل عند ضفة السويس . ولبنان يفاوض وهو يضع يديه في النار . وأميركا ترعى المفاوضات وهي تضع عينا على الطعم اللبناني في الصنارة الاسرائيلية ، وعينا أخرى على صيدها الوفير المتوقع في الشرق الاوسط ، والممتد على طول رقعة العالم العربي .

وسحبت اسرائيل حاليا أكثرية جيشها الغازي من الاراضي اللبنانية واعادته الى اسرائيل . وبعد أن وصل عدد القوات الاسرائيلية في لبنان الى حوالي ١٢٠ ألف جندي ، فان عددها الان لا يتجاوز الاربعين ألفا كما يقال . وهذا يعني ان اسرائيل خفضت بنسبة كبيرة جدا مخاطر وجود قواتها في لبنان ، وامتصت نسبة كبيرة من احتجاج أهالي الجنود داخل اسرائيل ، واختصرت نسبة كبيرة جدا من النفقات العسكرية .

بيد أن صحفا أخرى تنظر الى الأمور في لبنان من زاوية أخطر ، فصحيفه « لوموند » ترى ـ في مقال نشرته في أوائل ربيع الأول ـ أن لبنان بات مقسما بالفعل :
تقول « لوموند »

إن تقسيم لبنان بين دمشق وتل أبيب ، وهو أمر يشك كثير من اللبنانيين أن للولايات المتحدة ضلعا فيه ، مسألة قد تحققت بالفعل ، لان سلطات أمين الجميل تقتصر فعاليتها على العاصمة بيروت فقط (وهو الانجاز الوحيد الذي حققه الرجل) .
فالمعارك مستمرة بين المليشيات الاشتراكية والمليشيات الكتائبية في منطقة الشوف .

واندلعت أيضا المعارك في شمال البلاد وفي طرابلس على وجه التحديد . وتسوية المشكلة الاسرائيلية الفلسطينية لم تحرز أي تقدم هي الأخرى .
أما صحيفة الغارديان فتحلل الوضع في لبنان بعد الغزو الصهيوني الأخير في مقال نشرته في أوائل صفر جاء فيه :

لقد اخل الغزو الاسرائيلي للبنان وما تبعه من ضعف للمسلمين وفصائلهم المسلحة ، بالميزان السياسي اللبناني ، وواكب هذا الضعف قوة وسيادة مطلقة للطائفة المسيحية - فأصبحت تلك السيادة كاملة وقانونية بعد انتخاب الرئيس المسيحي للدولة تعززه ميليشياته المسيحية الكتائبية - وعلى الرغم من أن المسلمين في لبنان ما زالوا يشكلون الاغلبية العددية في البلاد ، الا انهم وضعوا في حالة مروعة من اليأس والخذلان ، يأسا املته عليهم حرب اهلية طاحنة طوال سبع سنوات كاملة جنوا تبعاتها ضعفا وهوانا وخذلانا مرده موقف الدول العربية التي كانوا دوما يسندون ظهورهم اليها يتوقون لدعمها ومساندتها والمسيحيون اللبنانيون هم في الحقيقة فصائل مؤتلفة ولكنها مختلفة في الفكر والاتجاه ومستوى التطرف ، فهناك من يطلق عليهم اسم « البشيريون » وهم اتباع بشير الجميل الرئيس اللبناني السابق الذي اغتيل قبل ان يتولى رسميا مهام منصبه ، وهم يمثلون الان اكثر الفصائل المسيحية تطرفا وكأنهم يرون ان التهديد لسيادة لبنان لا يأتي الا من قبل مسلميه على الرغم مما يبدو الان على سطح المسرح السياسي في لبنان من سهولة انقياد المسلمين اللبنانيين في الاتجاه الذي خطط لهم .

○ في أفغانستان : طبخة دولية .

بينما تكثر صحف الغرب من الحديث عن الحل الدبلوماسي الوشيك في أفغانستان يؤكد المجاهدون المسلمون هناك إصرارهم على المضي في طريق الجهاد ، بارادة صلبة ، وايمان عميق ، وثقة كبيرة بنصر الله . ففي محاضرة ألقاها في مسرح جامعة الكويت في اواسط ربيع الأول رئيس الاتحاد الاسلامي للمجاهدين الأفغان المجاهد عبد رب الرسول سياف .. أكد أن المجاهدين الأفغان قاموا خلال السنوات الثلاث الماضية من عمر الجهاد ضد الغزو الروسي بتحرير العديد من المدن والقرى ، وهم يواصلون عملياتهم الفدائية ضد الغزاة في العاصمة كابل .

وهاجم المجاهد سياف الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة ، وقال انهما تشتركان في تنفيذ مهمة تصفية الجسد الاسلامي ووأد الجهاد ومحاصرة الوجود الاسلامي . وخاطب المدعوين بقوله : انني حضرت اليكم مندوبا من مدرسة الجهاد الغالية ، وممثلا عن أولئك الذين يعيشون حلاوة النصر في خنادقهم وهم

يتصدون لمواجهة عدو المسلمين الشرس .. جئت أحمل لكم دماء المجاهدين وصرخاتهم .. الذين تركوا وحدهم يعيشون وسط نيران المدافع ..
ومع ذلك تفوح مما يكتبه صحفيون غربيون رائحة طبخة دبلوماسية ، قد يتواطأ على ترتيبها أطراف دولية كبرى معنية بالمسألة الأفغانية ، ولعل هذا يظهر بوضوح في مقال نشرته مجلة الوطن العربي في عددها ٣٠٦ بتاريخ ٢٤/١٢/٨٢ لأحد الكتاب الفرنسيين المختصين بالشرق الأوسط (فيليب روندو) . وقد جاء في المقالة :

اذا كان من غير الممكن إذا ان ينتصر السوفيات في هذه الحرب أو يتخلوا عنها ، فان البديل هو مفاوضات تؤدي الى تركيز افغانستان محايدة ، ولكن صديقة للاتحاد السوفياتي ، وهي الصيغة التي اعلن الجنرال ضياء الحق رئيس الدولة الباكستانية رغبته فيها خلال زيارته الاخيرة الى بكين . ومن الملفت ان يعلن اندريه غروميكو وزير الخارجية السوفياتي ومندوبه في الأمم المتحدة علنا ، مساندتهما للخطة التي اقرتها الأمم المتحدة في ٢٩ تشرين الثاني (نوفمبر) الماضي وهي خطة قد تم الاتفاق حولها بين افغانستان وباكستان وتقضي بسحب ١٥٠ ألف جندي سوفياتي من افغانستان . كما تلحظ تشكيل حكومة ائتلافية في كابول قد تضم عناصر من « المقاومة » ولكنها تبقي على العلاقات الودية مع الاتحاد السوفياتي . وقد وضع جدول لانسحاب سوفياتي يشرف عليه معا الاتحاد السوفياتي والصين والولايات المتحدة الاميركية ومهمة هؤلاء الفرقاء التأكد من أن أيا من الفريقين لن يقوم بأعمال عسكرية ضد الآخر خلال فترة الانسحاب بالذات . تبقى بالطبع ، برسم الحل ، مشكلة عودة مليونين و ٨٠٠ ألف لاجيء افغاني في باكستان ومليون لاجيء اخر في ايران .

ان يوري اندروبوف قد يكون إذا مستعدا لوضع حد لمغامرة ادت الى تدهور العلاقات السوفياتية مع الغرب والدول الاسلامية ودول عدم الانحياز وكلفت باهظا في المال والضحايا من الجيش الاحمر . رغم ذلك يبقى الخبراء الاميركيون في موقف شك ثابت . هم يرون انها عملية طويلة المدى لأن الكرملين يسقط من حسابه امكانية ان تتولى السلطة في كابول حكومة افغانية معادية للسوفيات في حين ان قرار الامم المتحدة ينص على احترام حق الشعب الافغاني في تقرير شكل الحكم الذي يلائمه . هذا ولا ينبغي ان يتخذ الانسحاب السوفياتي صيغة التراجع وتكون الخيارات بالتالي محدودة جدا .

ومهما يكن من أمر ، فمادام المجاهدون الأفغان يحملون بنادقهم فهم اذن مايزالون يملكون زمام قرارهم ، ومن هنا تبرز مسؤولية المسلمين في سائر أوطانهم عن دعم الجهاد الاسلامي في أفغانستان ، والحفاظ على الراية مرفوعة .

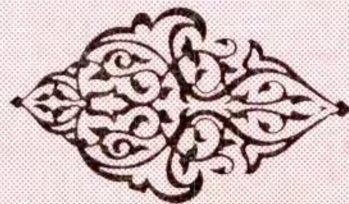
« إلى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بالشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨) بيروت ـ لبنان او بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر : القاهرة ـ مؤسسة الاهرام ـ شارع الجلاء .
السودان : الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص.ب (٣٥٨)
الجزائر : الشركة الوطنية للصحافة ٢٠ شارع الحرية
المغرب : الدار البيضاء ـ سابرس ـ محمد برادة
تونس : الشركة التونسية للتوزيع .
لبنان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨)
الاردن : عمان : وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : (٣٧٥)
السعودية : جدة : مكتبة مكة ـ ص.ب (٤٧٧)
الخبر : مكتبة مكة ـ ص.ب (٦٠)
الرياض : مكتبة مكة ص.ب (٤٥٢)
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء
مسقط : المؤسسة العربية للتوزيع والنشر ـ ص.ب (١٠١١)
صنعاء : دار الفكر
البحرين : دار الهلال
قطر : دار العروبة ص.ب ٦٣٣
ابو ظبي : المؤسسة العامة للطباعة والنشر ـ ص.ب (٦٧٥٨)
دبي : دار الحكمة ص.ب (٢٠٠٧)
الكويت : الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات ت ٤٢١٤٦٨

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة .

محتويات العدد



طباعة مؤسسة دار السياسة - الكويت -

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية
العدد ٢٢١ - جمادى الأولى ١٤٠٣ هـ - فبراير / مارس ١٩٨٣م

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

المسلم أخو المسلم

لا يظلمه ولا يسلمه ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته

قال الله تعالى:

وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ

وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ

سُلْطَانًا نَّصِيرًا

الوعي الإسلامي

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة التاسعة عشرة

العدد ٢٢١ ـ جمادى الاولى ١٤٠٣ هـ ـ فبراير / مارس ١٩٨٣م .

● الثمـــن ●

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطـر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيـا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغـرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم

ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي

هـدفهـا

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيداً عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصـدرهـا

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت

هاتف رقم ٤٢٨٩٣٤-٤٦٦٣٠٠

التوزيع والاشتراكات

الشركة العربية للتوزيع (ش م ل)

ص ب « ٤٢٢٨ » بيروت لبنان

تلكس ARABCO 23032 LE



كلمة الوعي

إعداد العُدّة للأعداء

أهم أسباب الحياة العزيزة للامة ، ان تكون لها قوة مادية تذود عن كيانها ، وتحمي مقدساتها من عدوان المعتدين ، وطغيان الظالمين ، والا كانت نهبا لكل طامع ، ولقمة سائغة لكل آكل .. ولذلك جاء القرآن الكريم يوجه المؤمنين ، ويفرض عليهم ان يعدّوا لاعدائهم ما يستطيعون من قوة مادية ، تتمثل في الأعداد الوفيرة المدربة على احدث فنون القتال ، وفي تشييد

القلاع وبناء الحصون ، وتكوين الاساطيل البرية والبحرية ، والاستحواذ على السلاح البتار المناسب لما في حوزة الاعداء ، في كل زمن وفي كل موقع .. فان تلك القوة من شأنها ان ترهب اعداء الله ، واعداء المؤمنين المعلومين وغير المعلومين . قال تعالى : (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يُوَفّ اليكم وانتم لا تظلمون).

كذلك امر الله المؤمنين ان يعدّوا لاعدائهم قوة معنوية ، تتمثل في التضحية والفداء ، فيقدمون انفسهم واموالهم ، دفاعا عن عزتهم وكرامتهم ، وصيانة لوجودهم ، وحفاظا على قيمهم ، قال تعالى : (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجَنّة يُقاتِلون في سبيل الله فَيَقتُلُون ويُقتلُون وعداً عليه حقاً في التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله ..) وقال . (ما كان لأهل المدينة ومن حولَهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نَصَب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطئون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدّو نيلا إلا كتب لهم به عملٌ صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين . ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا الا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون).

وإنا لنرى في آيات القرآن الكريم آيات تثبت في نفس المؤمن الهمة والعزم والفداء .. تبدأ هذه الآيات بالأمر المنجز بالقتال في سبيل الله (فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة) ثم تبين جزاء المجاهدين في سبيل الله غَلَبوا أو

غُلِبُوا . (ومن يقاتل في سبيل الله فَيُقتَلْ او يَغلِبْ فسوف نؤتيه أجرا عظيما) ثم تستثير أنبل العواطف في النفوس ، وأزكى المشاعر في القلوب ، نحو استنقاذ الاهل والوطن (وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيرا) ثم توضح للمقاتلين المؤمنين شرف غايتهم ، وأنهم يبذلون ثمنا غاليا هو الحياة ، في سلعة غالية تستحقه وتزيد عليه ، وهي رضوان الله ، بينما يقاتل غيرهم في سبيل غايات دنيئة ، ومآرب حقيرة ، هي ظلم الناس ، وسلب حقوقهم ، وإذلالهم ، ومن ثم كان المؤمنون بشرف غايتهم اقوى نفوسا وأثبت قلوبا ، وكان غيرهم بدناءة غايتهم أضعف نفوسا وأخوى قلوبا . (الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا) .

ولما كانت الأمم التي لا تؤمن بالله ولا تستظل بالاسلام ، تقيم مَجْدها على القوة العسكرية ، وقلوبها خالية من القوة المعنوية ، فانها اذا انتصرت كان ثمن النصر عندها إذلال الأمة المغلوبة ، والعدوان على النساء والأطفال والشيوخ .. أما الأمة المسلمة فانها لا تحارب إلا لإزالة العوائق من طريق الدعوة الى الله ، ولرد عدوان المعتدين . (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله) (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) . وثمن النصر عندها حسن الصلة بالله ، باقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ورد الأمور كلها الى الله وحده . (ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز. الذين إن مكّنّاهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور) .

هذا وإن واجب المسلمين اليوم - إزاء الأحداث التي نزلت بهم - أن يستكملوا جميع مقومات الحياة على أسس الاسلام الطاهرة النظيفة ، وأن يأخذوا بأسباب القوة المادية والمعنوية في مواجهة الأعداء ، وان يقفوا صفا واحدا ، مستجيبين لأوامر الله ، مخلصين العمل لما يعزّهم في دنياهم ، ويثيبهم في آخرتهم ، وأن يتوحدوا على معرفة الله ، والحب فيه والاخوة على دينه ، حتى يكونوا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا .

وعلى المسلمين - حين يسمعون من بعض اجهزة الاعلام ان بعض الأمم تجمع لحربهم ، او يسمعون من المنافقين لغة التعويق والتخذيل - ان يتذكروا هداية الله القوي العزيز الغالب على امره ، ليعتصموا بايمانهم بالله وحسن توكلهم عليه ولا يلتفتوا الى دعاية شياطين الانس ، فانه لا يلتفت اليها مؤمن صادق الايمان ، قال تعالى (الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل•فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم•انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين)

نسأل الله أن يسدد على طريق الحق خطى المؤمنين ، وأن يوفقهم الى سبيل العزة والمجد . (وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم).. (والله غالب على أمره ولكن اكثر•الناس لا يعلمون).

رئيس التحرير

محمد الأباصيري



من كتاب الله

للأستاذ / عبد الكريم الخطيب

عطاء لا حدود له :

يقول الله تعالى في وصف كتابه الكريم : (**إنَّه لقرآنٌ كريم . في كتاب مكنونٍ . لا يَمَسَّه إلَّا المطَهَّرون . تَنْزيلٌ من ربِّ العالمين**) (سورة الواقعة) : ٧٧ - ٨٠) ..

والكريم ، صفة من صفات الله سبحانه ، كما يقول جل شأنه : (**يَاأيُّها الانسانُ ما غَرَّك بربك الكريم . الذي خَلَقَكَ فَسَواك فَعَدَلَكَ . في أيِّ صُورة ماشآء ركَّبك**) (سورة الانفطار : ٦ - ٨) وكما يقول تبارك اسمه : (**فَتَعالَى الله المَلِك الحقُّ لَآ إلَه إلا هو رَبُّ العرشِ الكريمِ**) (سورة المؤمنون : ١١٦) وكما يقول جل وعلا : (**ومن شَكَر فإنَّمَا يشكر لنفسه ومَنْ كَفَرَ فإنَّ ربى غَنِي كريم**)(سورة النمل : ٤٠) ..

والقرآن الكريم ، إنما استمد هذه الصفة الجليلة من صفات الله تعالى ، لأنه كلام الله ، وكلام الله صفة من صفاته ، كما يقول سبحانه : (**قُلْ لَوْ كانَ البَحْرُ مِدَادا لكلمات رِبِّي لَنَفِدَ البَحرُ قبْلَ أنْ تَنْفَدَ كلماتُ ربِّي ولو جِئْنَا بمثله مددا** » (سورة الكهف : ١٠٩) وكما يقول جل شأنه : (**ويحِقُ اللهُ الحقَّ بكلماته ولو كره المجرمون**) (سورة يونس : ٨٢) وكما يقول تبارك اسمه : (**وإن أحَدٌ من المشركين استجارَك فأَجِرْه حتَّى يَسْمَعَ كلام الله**) (سورة التوبة/ ٦) ..

ومن هنا كان إعجاز القرآن الكريم ، القائم على الانس والجن إلى يوم القيامة : (**قُلْ لئن اجتمعت الانْس والجنُّ على أنْ يأتوا بِمِثْل هذا القرآن لا يأتون بمِثْلِه ولو كان بعضُهم لبعض ظَهيرا**) (سورة الاسراء : ٨٨) ..

ولقد تحدى الله تعالى العرب جميعا ، خطباءهم ، وشعراءهم ، حيث كانت صناعتهم الكلام ، وكانت مادة القرآن

من لغتهم التي تجري على السنتهم - تحداهم الله أن يأتوا بسورة من مثله ، فعجزوا ، وأفحموا كما يقول سبحانه : (**وإن كُنتم في رَيْب مِمَّا نَزَّلْنَا على عَبْدِنَا فأتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مثْلَهَ وادْعُوا شُهَداءكم مِن دون الله إن كنتم صَادِقين،فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتَّقُوا النَّار التي وَقودُها النّاسُ والحجارة أُعِدَّت للكافرين**) (سورة البقرة : ٢٣ ، ٢٤) ..

علو بعيد بعيد ، وقريب قريب :

ومع هذا العلو السامي ، البعيد البعيد ، للقرآن الكريم عن التحدي فانه قريب قريب ، يدرك بالبصيرة النافذة ، المتصلة بقلب سليم ، وعقل مستنير ، طالب للحق ، خالص النية له .. كما يقول الحق سبحانه : (**ولَقَد يَسَّرْنا القرآنَ للذِّكر فهل من مدكر**) (سورة القمر : الآيات : ١٧ ، ٢٢ ، ٣٢ ، ٤٠) .

فالقرآن الكريم مع انه صفة من صفات المتكلم به ، وهو الله سبحانه ، ميسر قريب لمن يتلوه او يستمع اليه ، خاشعا متدبرا .. انه ليس كتاب العلماء وحدهم ، وليس كتاب الفقهاء وحدهم ، وليس كتاب طبقة من الناس دون الناس ، وانما هو كتاب رب الناس لكل الناس ، كما يقول تعالى لرسوله الكريم : (**كتابٌ أنْزَلْنَاه إليْكَ مُبَارَكٌ لِيدَّبَّروا آياتِه ولِيَتَذَكر أولو الألباب**) (سورة ص : ٢٩) وكما يقول سبحانه : (**أفلا يَتَدَبَّرُون القرآنَ أم على قلوب أقْفالُها**) (سورة محمد : ٢٤) ..

ولكن القرآن الكريم ، مع هذا اليسر ، والقرب من العقول والقلوب ، فانه لا يسمح بخيره ، ولا يجود بعطائه الذي لا ينفد ابدا ، الا لمن كان له قلب حاضر معه ، وأذن واعية له ، حيث يتدبر آياته ، ويخشع لجلاله ، وكان من الذين قال الله فيهم : (**إذا تُتْلَى عليهم آياتُ الرحمن خَرُّوا سُجَّدا وبُكيًا**) (سورة مريم : ٥٨) وكان عند قوله تعالى : (**وإذا قُرِىء القرآن فاستمعوا له وأنصِتُوا لعلكم تُرحَمُون** » (سورة الأعراف : ٢٠٤) يقول الزركشي في كتابه : « البرهان ، في علوم القرآن » :

« فأخرج الله تعالى مخاطباته في محاجة خلقه ، في أجمل صورة تشتمل على أدق دقيق ، ليفهم العامة من جليله ما يقنعهم ويلزمهم الحجة ، وتفهم الخواص من أثنائها ما يوفي على ما ادركه فهم الدهماء .. وعلى هذا حمل الحديث المروي : ان لكل آية ظهرا وبطنا ، ولكل حرف حدا ومطلعا . ومن هذا الوجه ، فان كل من كان حظه من العلوم اوفر ، كان حظه من القرآن اكثر » (من كتاب البرهان ، جزء ٣ ص ٢٥) .

مع آية من كتاب الله :

وهنا قد آن لنا أن نلتقي مع أنوار

آية من كتاب الله ، لنقبس من أنوارها ما وسعنا أن ننال منها ، وان كان لا يعدو ان يكون قطرة من محيط بحرها الزاخر ..

والآية الكريمة التي نقف بين يدي أنوارها ، هي قوله تعالى :

(إليه مَرْجِعُكم جميعا وَعْدَ الله حقًّا إنه يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثم يعُيُده ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون » (سورة يونس : الآية : ٤) ..

ففي هذه الآية الكريمة ، استعراض لبعض قدرة الله القادرة ، التي لا حدود لقدرتها ، حيث بقدرته يرجع الناس جميعا ، بعد ان يبعثوا من قبورهم ، الى موقف الحساب والجزاء ، وذلك وعد حق من الله تعالى : **(كما بدأنا أولَ خَلْقٍ نُعيده وَعْدا علينا إنَّا كُنَّا فاعلين »** (سورة الانبياء : ١٠٤) **(ويقولون مَتَى هذا الوعدُ إن كنتم صادقين.قلْ لكم مِيعَادُ يَوْمٍ لا تَسْتَأْخِرُونَ عنه ساعةً ولا تَسْتَقْدِمُون »** (سورة سبأ : ٢٩ و ٣٠) .

فالبعث أمر حكم الله تعالى به ، حكما قاطعا ، لا مرد له : **(إليه مَرْجِعُكم جميعًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا)** .

ومن حكمة هذا البعث للناس ، ورجعتهم الى الله بعد موتهم ، هي ان يوفي الناس أجورهم ، وينالوا جزاء أعمالهم في الحياة الدنيا .. إن الحياة الدنيا ، دار ابتلاء وعمل ، والحياة الآخرة دار حساب وجزاء .. الدنيا مزرعة الزارعين ، والآخرة حصاد الحاصدين : **(فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّة خيرا يَرَهْ . ومن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّة شَرًّا يَرَهُ »** (سورة الزلزلة : ٧ و ٨) ..

وفي قوله تعالى : **(لِيَجْزِي الذَّين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط)** بيان لما يلقاه المؤمنون الذين عملوا الصالحات في حياتهم الدنيا ، واستقاموا على صراط الله المستقيم ، من احسان الله إليهم ، وفضله عليهم ، حيث يجزيهم الله بما عملوا بالقسط ، أي بالعدل ، ثم بعد أن يستوفوا جزاءهم هذا ، يكون لهم من رحمة الله وإحسانه ، مزيد من الرحمة والاحسان ، كما يقول تعالى : **(لِلذِّين أحْسَنُوا الحُسْنى وزيادة)** (سورة يونس : ٢٦) وكما يقول سبحانه : **(إن الله مع الذين اتَّقَوْا والذين هم مُحْسِنون)** (سورة النحل : ١٢٨) وكما يقول جلَّ شأنه : **(إنَّ رحمةَ اللَّه قريب من المُحسنين »** (سورة الأعراف : ٥٦) ..

وأما الذين كفروا بالله ، وجحدوا نعمه ، ولم يؤمنوا بالبعث والحساب والجزاء ، فإنهم سيلقون بعد البعث حسابا عسيرا ، وجزاء شديدا في نار

جهنم ، حيث يطعمون من شجرة الزقوم : (**إن شَجَرَةَ الزَّقُّوم . طَعَامُ الأثيم . كالمُهْلِ يَغْلِي في البُطون . كَغَلْيِ الحميم**) (سورة الدخان : ٤٣ ـ ٤٦) .. (**إنَّ الذين كفروا بأياتنا سوف نُصْلِيْهِمْ ناراً كلَّما نَضِجَتْ جلودُهم بَدَّلْناهم جلودًا غيرها لِيَذُوقوا العذاب . إنَّ الله كان عزيزا حكيما**) (سورة النساء : ٥٦) .

سؤال وجواب :

وهنا سؤال : وجواب ، نسأل الله الهداية والتوفيق اليه :

والسؤال هو : لماذا جاء قوله تعالى : (**لِيَجْزِيَ الذين آمنوا وعملوا الصالحَات بالقِسْط**) مقيدا فيه الجزاء بأنه جزاء بالقسط ، أي بالعدل ، ولم يرد هذا القيد في جزاء الكافرين ، اذ يقول سبحانه : (**والذين كفروا لَهُمْ شرابٌ من حَميم وعَذاب أليمْ بما كانوا يكفرون**) ؟ وهل يكون جزاء الله للكافرين غير قائم على القسط والعدل ؟ والله تعالى يقول : « **وَنضَع الموازينَ القِسْطَ لِيوم القيامة فلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شيئا وإن كان مِثْقَالَ حبَّة من خَرْدَلً أَتَيْنَا بها وكَفَى بنا حاسبين** » (سورة الأنبياء : ٤٧) ويقول سبحانه : « **لِيَجْزي اللَّه كلَّ نفس ما كَسَبت إنَّ الله سريع الحساب** » (سورة ابراهيم : ٥١) ..

والجواب على هذا ، والله تعالى أعلم :

هو أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وقد كان لهم من أعمالهم الصالحة ، ما يقيم لهم ميزانا ، يجعل لهم حسابا على كفتيه ، كفة الحسنات ، وكفة السيئات ، فما كان لهم من حسنات رأوه في كفة الحسنات ، وما كان لهم من سيئات رأوه في كفة السيئات ، لم تضع مثقال ذرة من اعمالهم هنا او هناك ، فكان حسابهم قائما على القسط والعدل .. ثم كان لهم من فضل الله عليهم لايمانهم به ، أن زادهم من فضله ، فتجاوز عن سيئاتهم ، وزاد في حسناتهم ، كما يقول سبحانه : (**إنَّ الذين يَتْلُون كتابَ اللَّه وأقامُوا الصَّلاة وأنْفَقُوا ممَّا رزقناهم سِرًّا وعلانِيةً يَرْجُونَ تجارة لن تَبُورَ . لِيَوفِيَّهم أجورَهم ويَزِيدهم من فضله إنه غفورٌ شكور**)(سورة فاطر:٢٩و٣٠) .. وكما يقول تبارك اسمه : (**لِلَّذين أحْسَنُوا الحُسنى وزيادة**) (سورة يونس : ٢٦) وكما يقول جل وعلا : « **من جاء بالحسنة فَلَهُ عَشْرُ أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يُجْزَى إلَّا مِثْلَهَا وهم لا يُظلمون** » (سورة الانعام : ١٦٠) ..

إن من تمام العدل ، أنه اذا أخذ المسيء باساءته ، أن يزاد للمحسن في

جزاء احسانه ، لشرف الاحسان في ذاته ، ولقدر العمل الصالح في نفسه ، فيشرف لذلك بالاحسان اهله ، ويكرم بالعمل الصالح ذووه ..

أما الكافرون ، فلا شيء لهم في الاخرة من خير يقام لهم به ميزان ، اذ كانت كل اعمالهم ضلال في ضلال ، لأن أي عمل - مع الكفر - وان كان في باب الصالحات ، هو من الكافر باطل ولا وزن له ، لأنه لم يزكه الايمان بالله ، فكان خبيثا لا يقبله الله ، لأن الله طيب لا يقبل الا طيبا من طيب .

وفي هـذا يقول اللـه تعالى عن الكافرين وأعمالهم : (**وقَدِمْنا إلى ما عَمِلُـوا مِن عمل فَجَعَلْنَـاه هَبَـاء مَنْثُوراً**) (سورة الفرقان : ٢٣) ويقول سبحانه عن الكافرين وأعمالهم أيضا : « **قلْ هل نُنَبئكُمْ بالأخسرين أعْمـالا . الَّذين ضَـلَّ سَعْيهُمْ في الحياة الدنيا وهم يَحْسَبُونَ أنَّهم يُحْسِنُـون صُنْعا . أولئـك الَّذين كَفَروُا بآياتِ رَبِّهم ولقائه فَحَبِطَتْ أعمالهم فَلَا نُقِيْمُ لهم يومَ القيامةِ وَزْنـا** » (سـورة الكهف : ١٠٣ - ١٠٥) ..

وسؤال وجواب أيضا :

وسؤال آخر ، نعرض للجواب عليه هنا ، وهو :

لم كان الموت ؟ ثم لم كان البعث والجزاء ؟ وهلاّ كان الجزاء معجلا في الحياة الدنيا ، حتى يكون أثره ظاهرا في هذه الحياة ، حيث تتمثل فيه العبرة والعظـة ، وحتى يجد المنحـرفـون والضالون فرصتهم كي يستقيموا على طريق الحق ، والهدى ، والخير ؟.. ثم ماذا من وراء ما يلقى الكـافرون والعصاة من عذاب في نار جهنم ؟ هل يكون في هذا العقـاب زجر لهم ، واصـلاح لحالهم ، انهم في النـار خالدين فيها .. ثم ما وراء الجزاء الكـريم الذي يلقـاه المؤمنون من رضوان الله ، ونعيم جناته ؟ هـل يتجاوزهم الى غيرهم من أهل النار ؟ بل ان نعيم اهل الجنة ، هو عذاب إلى ما فيه أهل النار من عذاب ، كما يقول تعـالى : (**ونَادَى أصْحَـابُ النار أصحابَ الجَنَّة أنْ أفِيضُوا علينَاَ من الماء او مِمَّا رزقكم اللَّهُ قالُوا إن اللَّه حَرَّمَهما على الكافرين**) (سورة الأعراف : ٥٠) ..

والجواب على هذه التساؤلات - والله أعلم - هو :

لا شك ان هناك جزاء معجلا في الحيـاة الدنيـا ، لكل عمـل يعمله الانسان من خير أو شر .. اذ أن كل عمل يحمل في كيانه الجزاء الذي يستحقه صاحبه ، على أية صورة من الصور ، وليس من الحتم اللازم ، بل ولا من المطلوب المستحب ، أن يكون الجزاء من جنس العمل ، كما ، وكيفا ونوعا .. فقد يكون العمل - طيبا أو خبيثا - عملا ماديا ، ويكون جزاؤه جزاء نفسيا وروحيا .. وقد يكـون

العمل ـ طيبا أو خبيثا ـ من نوع معين ، فيقع جزاؤه موزعا في أنواع متعددة من الجزاء .. وهكذا .

وفي الحياة الدنيا شواهد كثيرة لهذا من جانب الأعمال الصالحة وفي جانب الأعمال السيئة على السواء .. ونضرب لهذه وتلك مثلا :

فهـذا رجـل من عبـاد اللـه الصالحين ، قد أقام نفسه على طريق الايمان ، والحق والخير ، يؤدي حقوق اللـه ، وحقوق العبـاد ، فيصـلي ، ويصوم ، ويزكي ، ويأمر بالمعروف وينهي عن المنكر ، ويحتمل في سبيل ذلك كل ما يلقاه على طريقه من ضر او اذى ..

هكذا هو في الحياة ، وتلك سيرته مع الناس .. ثم هو يرى مع ذلك في حـال من ضنـك العيش ، وضيق الرزق ، ثم قد يكون مع ذلك مبتلى بآفة في جسده ، أو بعلة في أهله او ولده ..

لاشك أن ظاهر الحال هنا ، يحدث عن أن هذا الانسان شقي في الحياة ، وأنه لم يلق من صلاحه وتقواه ، إلا هذا البلاء الذي يراه الناس واقعا به !!

فأين اذن الجزاء الحسن للعمل الحسن في هذه الحياة الدنيا ؟ وأين هي ثمرة الاحسان التي يجنيها هذا الانسان في دنياه ، وقد زرع الاحسان وغذاه من جهده ، وعرقه ، وسهره ؟

والجواب الذي ينطق به الظاهر المشهود للغافلين انه لم يجن من احسانه غير الشوك والحسك الذي ادمى يديه ، ونزف دمه !!

ولكن الحقيقة الكامنة وراء هذه الظواهر ، التي تقف على حدود ، الابصار الكليلة ، والبصائر المظلمة هي غير هذا ..

ولو ذهب ذاهب ذو بصر حديـد ، وبصيرة نافذة لوجد أن باطن هذا الانسان على خلاف ما يبـدو من ظاهره ، وانه وان بدا في مرأى العين فقيرا ، فانه في واقعه غني ، وانه وإن حسب في عداد الناس شقيا ، فإنه في داخل نفسه سعيد ، وانه وإن حسب في مرأى العيون قزما قميئا ، فانه في حقيقة امره ، عملاق طوال لا يقاس به أطول الرجال ، وأنه إن بدا ضعيفا هزيلا ، فإنه في ذاته أقوى الأقوياء يضع قدميه فوق رؤوس الأقـوياء المتجبرين !!

والمثل الواضح في هذا ، ما كان عليه ، الذين سبقوا الى الاسلام ، من الرقيق ، مثل عمار وأبيه ياسر وأمه سمية ، وبلال ، وصهيب ، الذين كان لهم من ايمانهم وصبرهم على البلاء ، ما أذلوا به سادتهم ، ومالكي رقابهم على أعين الناس ..

ثم أعرفت ـ أيها الأخ المؤمن ـ شيئا من سيرة عمر بن الخطـاب أمير المؤمنـين ، وكيف كان طعـامه من لقيمات جافة من خبز الشعير ، وكان ادامه قطرات من زيت أو خل ، لا يجتمعان معا وكيف كان لباسـه المـرقع الخشن ، وهـو وارث ملك الأباطرة ، وعـرش الأكاسـرة ، ثم

أشهدت - يا أخي المؤمن - أمير المؤمنين ، وهو قائم تحت وهج الشمس يهنأ إبل الصدقة ويعالج جرحاها ؟

ثم أرأيت إلى عمر ، وهو يرد شربة الماء البارد في يوم صائف ، ويرفعها عن شفتيه ، وهو على ظمأ حين وجد نفسه داعية لها ، وترقص طربا لاستقبالها ، ثم يذكر عندئذ قوله تعالى : « **ثُمَّ لتُسألن يومئذ عَنْ النعيم**) (سورة التكاثر : ٨) .. فيحرم نفسه منها ، زهدا فيها ، وتعاليا عليها ؟

وإنه لشتان في موازين الرجال ، بين عمر الذي رد شربة الماء البارد ، وقهر شهوته ، وبين عمر لو شرب هذا الماء واسترضى شهوته .. إنه في الحال الأولى منتصر قاهر ، وفي الحال الثانية ، مهزوم مقهور !!

ومن كلمة حكيمة لسقراط الفيلسوف ، يقول فيها لأحد معاصريه ، ناصحا له :

« يبدو أنك تظن السعادة في الترف ، والإسراف .. أما أنا فأرى أنك لو لم تكن في حاجة إلى شيء ، لكنت شبيها بالآلهة ، وأنك كلما أقللت من حاجتك قدر إستطاعتك كنت أقرب ما تكون إلى الآلهة »!!

ولماذا الجزاء الأخروى إذن ؟

ولسائل أن يسأل بعد هذا : ولماذا الجزاء الأخروى إذن إذا كان الناس في دنياهم - أشرارا وأخيارا - قد وفوا جزاء أعمالهم في الحياة الدنيا ، وجوزوا عليها بالخير خيرا ، وبالشر شرا ؟

ونقول - والله أعلم - : إن الانسان كما شاء الله تعالى له ليس مخلوقا لهذه الحياة الدنيا وحدها ، وليست حياته كحياة الحيوان ، تنتهي على الأرض بانتهاء حياته فيها ، تلك الحياة التي كانت معتقد الكافرين ، والملحدين والمشركين ، الذين يقول الله تعالى عنهم ما نطقت به ألسنتهم : (**إِنْ هِيَ إلا حَيَاتُنَا الدنيا نَمُوتُ ونَحْيَا وما نَحن بِمَبْعوثِين** » (سورة المؤمنون : ٣٧) ..

ومن هنا كان هؤلاء الضالون الذين وقفوا حياتهم على هذه الحياة الدنيا - كانوا أضل سبيلا من الأنعام ، كما يقول الله تعالى فيهم : (**ولقد ذرأنا لِجَهنَّم كثيراً مِنَ الجنِّ والإنس لهم قلوب لا يَفْقَهُونَ بهَا ولهم أعين لا يُبْصِرُونَ بها ولهم آذانٌ لا يَسْمَعُونَ بهَا أولئَك كالأنعام بل هم أضلّ أولئك هم الغافلون** » (سورة الأعراف : ١٧٩) ..

إن الحياة الدنيا ، هي حياة أولى للانسان ، وهي حياة دُنْيَا ، أى سُفْلَى يجرب فيها الانسان ما منحه الله سبحانه من قدرات عقلية وجسدية ، حتى يصعد إلى الحياة الآخرة ، محلقا بجناحين من تقوى الله ، والعمل الصالح ، كما يقول تعالى عن الحياة الآخرة (**وماهذه الحياة الدنيا إلاَّ**

لهو ولعب وإن الدار الآخرة لهي الحَيَوانُ لو كانوا يَعْلَمُون) (سورة العنكبوت : ٦٤) ..

فالحياة الدنيا مهما جد فيها الانسان ومهما عمل ، هي لعب ولهو ، وشغل بمطالب العيش والأهل والولد ، وأما الحياة الآخرة فهي الحيوان ، أي الحياة الكاملة التي لا لعب فيها ولا لهو ..

ونستمع إلى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتلخيصه في هذه الكلمات القليلة الرائعة ، لقصة الحياة ، والموت ، أو بمعنى أصح ، لقصة الحياة ، وما بعد الحياة ..

يقول صلوات الله وسلامه عليه : « **النَّاسُ نِيام ، فإذا ماتُوا انْتَبَهُوا** » (رواه أصحاب السنن) فليست الحياة الدنيا التي يحياها الناس ، إلا أحلاما واضغاث الأحلام ، بالقياس إلى الموت وما بعد الموت ، حيث هناك يجد الناس وجودهم ، وتلبسهم الحياة الحقيقية الكاملة ، وينكشف الغطاء عنهم ، كما يقول تعالى مخاطبا الانسان وما يكون عليه في هذا اليوم العظيم : (**لَقد كُنْت في غَفْلَة من هَذا فَكَشَفْنَا عنك غِطَاءَكَ فَبَصُرُكَ اليومَ حَدِيْدٌ** » (سورة ق : ٢٢) ..

وماذا في الحياة الآخرة :

وإذا كانت هناك حياة آخرة للانسان ، وهو أمر مقطوع به ، فكان من الطبيعي أن ينتقل الانسان إلى هذه الحياة بما حصل في حياته الدنيا ، وما جمع فيها من خير أو شر ، وما عمل من حسن أو قبيح .. إن عمل الانسان في دنياه سوف يصحبه إلى عالمه الجديد ، كمن ينتقل من بيت إلى بيت .. إنه يحمل كل ما في داره الأولى من متاع إلى داره الثانية . وغاية ما في الأمر من فرق هو أنه لا يتكلف لذلك جهدا ، بل سيجد كل ما عمل في دنياه ، قد سبقه إلى داره الجديدة ، وإلى عالمه الجديد - يقول الحق سبحانه : (**ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا**) (سورة الكهف : ٤٩)

يقول الراغب الاصفهاني :

« لم ينكر أمر المعاد والنشأة الأخرى إلا جماعة من الطبيعيين الذين أهملوا أفكارهم وجهلوا أقدارهم وشغلهم عن التفكير في مبدئهم ومنشئهم شغفهم بما زين لهم من حب الشهوات .

« فلو لم يكن غاية له ينتهي إليها غير هذه الحياة الخسيسة المملوءة نصبا وهما وحزنا ، ولا يكون بعدها حال مغبوطة - لكان أخس البهائم أحسن حالا من الانسان ».

وصدق قول الحق سبحانه :

« **إليه مرجعكم جميعا وعد الله حقا إنه يبدأ الخلق ثم يعيده ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون** » . صدق الله العظيم .

القرآن

للدكتور / عجيل النشمي

لا يعتبر القرآن الكريم في نظر المغرضين من المستشرقين مجموعة تشريعية متكاملة وبالتالي فهو لا يجيب على التساؤلات والاحتياجات التشريعية والفقهية ، والأمر الذي اضطر المسلمين إلى تكميله من مصادر أخرى يقول Schacht « لم يكن قصد محمد خلق نظام يضبط به حياة أتباعه لو وضع أصول هذا النظام على الأقل .

ويقول Goldziher : « من الخطأ الخطير أن ننسب الى القرآن اكبر القيم في بيان طابع الاسلام بوجه عام ، كما أننا من باب أولى لا نستطيع أن نؤسس حكمنا على الاسلام مستندين إلى هذا الكتاب وحده المقدس لدى الأمة الاسلامية .

ففي خلال حياة الاسلام التاريخية كلها ظل القرآن في رأى أتباع دين محمد عملا أساسيا محترما باعتباره موحى به ، كما ظل كذلك موضع إعجاب عظيم إلى حد لم يظفر به أي عمل من الأعمال الأدبية العالمية .

ثم يضيف قائلا : بالرغم من أن الاسلام في أطوار نموه التالية قد اتخذ القرآن أساسا ـ وهو أمر طبيعي ـ وبالرغم من أنه كان يوزن به جميع منتجات العصور المتأخرة ، وبالرغم من أن كل شيء قد تصور أنه متفق معه أو حاول تصور ذلك بالرغم من هذا كله ، فاننا لا يمكن لنا أن نتناسى أن

في نظر بعض المستشرقين

القرآن بعيد كل البعد عن أن يكون وحده لمواجهة عقلية الاسلام التاريخية .

إن الرسول نفسه قد اضطر بسبب تطوره الداخلي الخاص ، وبحكم الظروف التي أحاطت به ، إلى تجاوز بعض الوحي القرآني الى وحي جديد في الحقيقة ، وإلى أن يعترف أنه ينسخ بأمر الله ما سبق أن أوحاه الله إليه ».

ثم يقول : « فاذا كان الامر كذلك في عصر النبي صلى الله عليه وسلم ، فمن الاولى أن يكون كذلك ـ بل اكثر من ذلك ـ عندما تجاوز الاسلام حدود البلاد العربية وتأهب لكي يصير قوة دولية .

اننا لا نفهم الاسلام بلا قرآن ، لكن القرآن وحده بعيد عن ان يكفي لمواجهة العقلية الاسلامية في سيرها التاريخي ».

ولقد كان Pearl أكثر إسفافا وتجنيا حين زعم أن القرآن لا يشكل مجموعة قانونية وان ثمانين آية فقط تتكلم عن القانون ، ومع ذلك فان في هذه الآيات ثغرات وشبه ، هذه الشبه هي هل هذه الآيات تدل على أن الأمر جاء على سبيل الفرضية أم على سبيل الاباحة »..

ثم يضيف معللا لعدم إمكانية اعتبار القرآن مجموعة قانونية متكاملة . بأن طبيعة القرآن تجعل من غير الممكن أن يكون مجموعة قانون شاملة لأمرين :

الأول : أن القرآن خاضع للتأويل والذي حدث في العهود اللاحقة .

الثاني : أن الأحكام الشرعية في القرآن إنما أتت لتجيب على أحداث طارئة فأتت لتعالج واقعا لا لتؤصل نظرية Fashion » .

ولم يكتف المستشرقون بهذا بل حاولوا أن يصوروا مرجع التضخم الفقهي العظيم الراقي الذي عرضه الاسلام . إلى عمل التابعين من المسلمين بعدما توسعت الفتوح وأحتك المسلمون بالمصادر الفقهية الأخرى . وعلى هذا فان التطبيق للقرآن كان ضيقا ومحصورا في العهود الأولى فقط .

فيقول Goldziher : « الواقع أن هذا الكتاب لم يحكم الاسلام إلا من خلال العشرين سنة الأولى من نموه ».

ويقول أيضا : القرآن نفسه لم يعط من الأحكام إلا القليل ولا يمكن أن تكون أحكامه شاملة لهذه العلاقات غير المنتظرة كلها مما جاء من الفتوح ، فقد كان مقصورا على حالات العرب الساذجة ، ومعنيا بها ، بحيث لا يكفي لهذا الوضع الجديد .

ويقول في موضع آخر : « القرآن مزيج من الطوابع المختلفة إختلافا جوهريا ، والتي طبعت كلا من العصرين الأولين من عهد طفولة الاسلام ». وأن الاسلام والقرآن لم يتما كل شيء . وكان الاكمال نتيجة لعمل الأجيال اللاحقة ».

ويقول Schacht : « أن التشريع لم يأت مباشرة من القرآن ، ولكنه تطور من عهد بني أمية في العمل الحكومي الاداري ، وهذا العمل غالبا ما يكون مائلا عن المقصود والمعنى الظاهر الواضح من القرآن ». كما « أن العرف أيضا أصبح يعمل دوره في تكميل وسد ثغرات القرآن ».

وهذه النصوص تحمل عدة إتهامات وإيهامات إستشراقية موجهة إلى القرآن الكريم باعتباره مصدر التشريع ، ويمكن حصر هذه الاتهامات في **النقاط التالية** :

- إن القرآن لا يشكل مجموعة تشريعية قانونية .
- وإن آيات التشريع فيه مناسبة للأوضاع البدائية الأولى التي عاشها المسلمون .
- وإن آيات التشريع محدودة وقليلة ومع ذلك فان فيها ثغرات وشبه تسقط إعتبار تلك النصوص محلا للتطبيق الموحد في الأحكام .
- وأن نقص القرآن التشريعي إضطر الصحابة والخلفاء الراشدين ومن بعدهم تكميله بمحض اجتهاداتهم وأهوائهم وأن القرآن على كل الأحوال خاضع للتأويل بمحض الرأي والهوى أيضا .

★ وسنرد على هذه المزاعم تباعا بالطريقة العلمية التي تأتي على دعاواهم بالنقض من أساسها ولا تقوى تلك الدعاوى على الوقوف إلا بدليل علمي صحيح وأنى لهم ذلك : **فنقول** :

القرآن هو الكتاب المنزل على رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم المكتوب في المصاحف المنقول إلينا عنه نقلا متواترا بلا شبهة .

وهو بهذا الاعتبار حجة الله على

الناس يلزم اعتقاده واتباع أحكامه لقطعية ثبوته ، ولذا فقد تلقته الأمة الاسلامية بالقبول واعتبرته المصدر الأول للتشريع منه تستمد الأحكام لما ينزل بالأمة من أحداث ونوازل .

○ أقسام أحكامه :

يتضمن القرآن الكريم احكاما متنوعة شاملة لما يحتاجه الناس في حياتهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وما إلى ذلك .

وعليه فيمكن تقسيم أحكام القرآن إلى **ثلاثة أقسام** :

● القسم **الأول** : الأحكام الاعتقادية ، وهي المتعلقة بما يجب على المكلف اعتقاده كالايمان بالله عز وجل وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر .

● القسم الثاني : الأحكام الأخلاقية ، وهي التي تتعلق بتهذيب الأخلاق والتحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل .

● القسم الثالث : الأحكام العملية ، وهي المتعلقة بما يصدر عن المكلف من أقوال وأفعال .

وهذه الأحكام العملية تنظم نوعين من **الأحكام** :

★ الأول : أحكام العبادات كالصلاة والصيام والزكاة والحج ، ويقصد بهذه الأحكام تنظيم علاقة الانسان المسلم بربه .

★ الثاني : أحكام المعاملات كالعقود والتصرفات والعقوبات ، وبعبارة أخرى كل ما يدخل في نطاق القانون الخاص والقانون العام حسب الاصطلاح القانوني .

ويقصد بهذه الأحكام تنظيم علاقة المكلفين بعضهم ببعض باعتبارهم أفرادا أو جماعة .

وتتنوع أحكام المعاملات بحسب ما يتعلق بها إلى **أنواع** :

١ ـ أحكام الأحوال الشخصية : وهي التي تتعلق بالأسرة من زواج وطلاق وبنوة ونسب وارث وولاية وما إلى ذلك مما تقوم به الأسرة وتستلزمه رابطة الزوجية من حقوق والتزامات على الطرفين . وآيات هذه الأحكام في القرآن الكريم نحو (٧٠) آية .

٢ ـ الأحكام المدنية : وهي التي تتعلق بمعاملات الأفراد المالية من بيع ورهن وإجارة وكفالة ، وكل ما يدخل في نطاق القانون المدني . وآيات هذه الأحكام نحو (٧٠) آية .

٣ ـ الأحكام الجنائية : وهي التي تتعلق بما يصدر عن المكلف من جرائم وما يترتب عليها من عقوبات ، ويقصد بهذه الأحكام حفظ حياة الناس وأعراضهم وأموالهم ، وتحديد علاقة المجني بالمجني عليه وبالمجتمع . وآيات هذه الأحكام في القرآن الكريم نحو (٣٠) آية .

٤ ـ أحكام المرافعات : وهي التي تتعلق بالقضاء والشهادة واليمين ، ويقصد بها تنظيم اجراءات التقاضي لتحقيق العدل بين الناس . وآيات هذه الأحكام في القرآن الكريم نحو (١٣) آية .

٥ ـ الأحكام الدستورية : وهي التي

تتعلق بنظام الحكم وأصوله ، وعلاقة الحاكم بالمحكوم وحقوق وواجبات كل ، وهو ما يسمى بالقانون الدستوري . وآيات هذه الأحكام نحو (١٠) آيات .

٦ - الأحكام الاقتصادية والمالية : وهي التي تتعلق بموارد الدولة المالية ومصارفها ويقصد بها تنظيم العلاقات المالية بين الأغنياء والفقراء ، وبين الدولة والأفراد ، وآيات هذه الأحكام نحو (١٠) آيات .

٧ - الأحكام الدولية : وهي التي تتعلق بمعاملة الدولة الاسلامية لغيرها ، ومدى علاقتها بها ، ونوع هذه العلاقة في السلم والحرب وما يترتب على ذلك من أحكام ، وكذلك بيان علاقة المستأمنين (الأجانب) مع الدولة الاسلامية ، وهذه الأحكام منها ما يدخل في نطاق القانون الدولي العام ومنها ما يدخل في نطاق القانون الدولي الخاص . وآيات هذه الأحكام نحو (٢٥) آية .

والقرآن بمجموع هذه الأنواع من الأحكام يستوعب - بلا شك - كل ما يحتاجه الناس في حياتهم من أحكام أو قوانين تحكم علاقاتهم في كل صورها وتجيب على احتياجاتهم على تنوعها إجتماعية ومالية وسياسية ودولية .

ولقد بين الله في القرآن أن أحكامه شاملة لكل شيء فقال عز من قائل : **(ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء)** النحل/ ٨٩ وقال تعالى : **(ما فرطنا في الكتاب من شيء .)** الانعام/ ٣٨

وشمول الأحكام هذا ينقسم الى **قسمين** :

● الأول : الأحكام التفصيلية : وهي قليلة كالتفصيل فيما يتعلق بالاسرة فقد فصلها بما لم يفصله في غيرها فبين أحكام الزواج والطلاق والعدة والرضاعة والمحرمات واللعان والمواريث وغيرها وقد جعل القرآن هذه الأحكام تعبدية لا دخل للعقل فيها حتى يحفظ على الأسرة والمجتمع المسلم بناءه من الضعف والتغير أو التأثر بنظم الأسرة في المجتمعات الأخرى . ولذا نجد القرآن قد فصل هذا الأمر ، وحذر في الخروج عن تلك الحدود التي حددها في شأن الأسرة على سبيل المثال وقد ختم الأحكام التفصيلية بما يدل على ذلك كقوله تعالى :**(وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه)** الطلاق/ ١ ● وقوله تعالى : **(تلك حدود الله فلا تعتدوها)** البقرة/ ٢٢٩

● القسم الثاني : الأحكام العامة : فقد جاءت كثير من آيات القرآن تقرر المبادىء العامة للتشريع دون الدخول في تفصيلاتها ، وهي طريقة تتناسب وتلك الأمور العامة المقررة والتي تتطور وتتغير فرعياتها بتغير الأزمنة والأمكنة مع بقاء أصلها كمبدأ عام . وصور هذه الأحكام كثيرة منها :

أ - العدالة : وقد قررها القرآن أصلا قائما يحكم علاقة الفرد بالفرد والسلطة بالفرد فقال تعالى : **(يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء)** النساء/ ١٣٥ وقال تعالى : **(ان الله يأمر بالعدل والاحسان**

وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر) النحل/ ٩٠ وقال تعالى : (إن الله يامركم ان تؤدوا الأمانات الى اهلها وإذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل) النساء/ ٥٨ بل جعل القرآن العدل واجبا حتى مع الأعداء قال تعالى : (ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى) المائدة/ ٨

ب ـ الشورى : وقد جعله القرآن اساسا من أسس الحكم في المجتمع الاسلامي فقال تعالى (وشاورهم في الأمر) آل عمران/ ١٥٩ وقال تعالى مادحا المسلمين : (والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وامرهم شورى بينهم) الشورى/ ٣٨

وقد ترك القرآن الكلام عن طريقة الشورى وكيفيتها وتفاصيل تطبيقها لأن ذلك موكول إلى ظروف المسلمين وبيئاتهم وبذلك يتطور ويتغير في تفصيلاته ، لكن أصله وأساسه واحد .

حـ ـ الحرية : فقد جعل الاسلام الحرية بأنواعها الشخصية والفكرية وحرية العقيدة كل ذلك موكول إلى الشخص ذاته . قال تعالى : (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم .) البقرة/ ٢٥٦

وقال تعالى مخاطبا رسوله صلى الله عليه وسلم : (افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين .) يونس/ ٩٩

وعلى غرار ذلك جاءت القواعد العامة والمبادىء الكلية في القرآن الكريم تقرر الأصول تاركة الفروع لملاءمة الظروف والأزمنة .

ومن هذا الباب جاءت الآيات الخاصة بالأحكام المدنية والجنائية والاقتصادية والدستورية والدولية عامة على شكل مبادىء دون تفصيل الا في القليل منها .

اما ما احتاج إلى تفصيل من العبادات وبعض المعاملات فان السنة المطهرة قد بينت تفصيلها والمراد من إجمالها .

وفيما يتعلق بضوابط أصول الأحكام الفرعية من حل وحرمة وكراهة وندب وإباحة فان القرآن دل على المراد منها باستقراء نظم الآيات للدلالة على المراد منها باعتبار أصل الاستعمال في اللغة العربية . فيكون الأمر للوجوب أو الندب إذا جاء بصيغة الأمر المعروفة في اللغة العربية ، أو اقترن بالثواب على فعله والعقاب على تركه بالنسبة للواجب والمدح والثناء دون ترتب عقاب بالنسبة للمندوب .

ويدل النهى على الحرمة أو الكراهة إذا جاء بصيغتها الدالة على ذلك عند العرب ، أو طلب الشارع الابتعاد عن فعل معين ورتب على فعله عقوبة أو وصف فاعله بأوصاف الفسق أو الرجس أو غير ذلك بالنسبة للمحرم ، أو رغب في ترك الفعل ولم يرتب على فعله عقوبة أو غيرها بالنسبة للمكروه .

ويدل على الاباحة إذا ورد اللفظ دالا على ذلك بصيغة الاباحة أو الاذن أو نفي الجرم أو الجناح وما إليه مما محله الكلام على صيغ الحكم الشرعي عند الأصوليين .

★ دلالة القرآن على الأحكام :

نصوص القرآن كلها قطعية من حيث ورودها وثبوتها ونقلها عن النبي صلى الله عليه وسلم فنصوص القرآن منقولة بالتواتر المفيد للعلم اليقيني بصحة النقل .

أما نصوص القرآن من جهة دلالتها على الأحكام فتنقسم الى قسمين :

أ ـ نص قطعي الدلالة وهو : ما دل على معنى لا يحتمل غيره ، ولا يحتمل تأويلا ، فيتعين فهم المعنى المتعين منه . كقوله تعالى : (**ولكم نصف ما ترك أزواجكم ان لم يكن لهن ولد**) النساء/ ١٢ فنص الآية هنا قطعي في دلالته على نصيب الزوج في حال وجود ولد .

وكدلالة لفظ المائة على معناه في قوله تعالى : « **الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة** » فلفظ المائة لا يحتمل غير معناه المراد منه .

ب ـ نص ظني الدلالة وهو : ما دل على معنى ولكن يحتمل اللفظ أكثر من معنى واحد ، فيحتمل التأويل من معنى إلى آخر كقوله تعالى : « **والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء** » فلفظ القرء في اللغة مشترك بين الطهر والحيض ، فاللفظ هنا يحتمل أن يراد به هذا أو هذا ، فدلالة النص هنا غير قطعية .

ومثله قوله تعالى : « **حرمت عليكم الميتة والدم** » فلفظ الميتة عام في كل ميتة ويحتمل تخصيصه بميتة البحر ، فالنص عام ومطلق يحتمل أكثر من معنى .

واللفظ إذا كان ظني الدلالة يكون محلا لاجتهاد المجتهدين في تعيين المعنى المراد منه فيؤول على وجه من الوجوه التي تترجح عند المجتهد .

★ تأويل نصوص القرآن :

وإذا أطلق لفظ التأويل فليس المراد منه ـ كما يفهم بعض المستشرقين ـ حمل اللفظ على معنى لا يحتمله ، أو حمله على غير المعنى الظاهر لمجرد الهوى والرأى . بل التأويل عند الأصوليين خاضع لأصول وقواعد لا يحيد عنها فهو عندهم : إخراج اللفظ عن ظاهر معناه إلى معنى آخر يحتمله ، وليس هو الظاهر فيه .

وشروط هذا التأويل **ثلاثة** :

أولهما : أن يكون اللفظ محتملا ولو عن بعد للمعنى الذي يؤول اليه ، فلا يكون غريبا عنه كل الغرابة .

ثانيهما : أن يكون ثمة موجب للتأويل ، بأن يكون ظاهر النص مخالفا لقاعدة مقررة معلومة من الدين بالضرورة ، أو مخالفا لنص أقوى منه سندا كأن يخالف الحديث قرآنا ،

ويكون الحديث قابلا للتأويل فيؤول بدل أن يرد ، أو يكون النص مخالفا لما هو أقوى منه دلالة ، كأن يكون اللفظ ظاهرا في الموضوع ، والذي يخالفه نص في الموضوع ، أو يكون اللفظ نصا في الموضوع ، والذي يخالفه مفسر ، ففي كل هذه الصور يؤول .

ثالثهما : ألا يكون التأويل من غير سند بل لا بد أن يكون له سند مستمد من الموجبات له .

وينقسم التأويل إلى قسمين :

الأول : في الأحاديث والآيات الموهمة للتشبيه ، كتأويل اليد بمعنى السلطان في قوله تعالى : : (**يد الله فوق أيديهم**) الفتح/ ١٠ وغير ذلك من الآيات الموهمة للتشبيه .

الثاني : تأويل النصوص الخاصة بالأحكام التكليفية ، وهذا التأويل الباعث عليه هو التوفيق بين أحكام الآيات والأحاديث التي يكون ظاهرها اختلاف ، فيكون التأويل لإعمال النصين ، إذ أن من المقرر في تفسير النصوص أن إعمال اللفظ أولى من إهماله ، فكان من مقتضى تلك القاعدة في التفسير أن يؤول أحد النصين ليمكن إعمال النصين معا .

ومن التأويل تخصيص اللفظ العام ، ومنه تقييد المطلق ومن أمثلة تخصيص العام أن الله سبحانه أباح البيع بقوله : (**وأحل الله البيع وحرم الربا**) البقرة/ ٢٧٥ ، ونهى عن بعض البيوع ، فكان بعض البيع حراما بمقتضى هذا النهى فيكون هذا تخصيصا لآية الإباحة .

ومن أمثلة تقييد المطلق قوله تعالى : « **حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به**) المائدة/ ٣ مع قوله تعالى : (**قل لا أجد فيما أوحى إلى محرما على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فانه رجس أو فسقا أهل لغير الله به**) الانعام/ ١٤٥

فان الدم في الآية الأولى ذكر مطلقا ، وفي الثانية ذكر مقيدا بأنه مسفوح وقد اتحد موضوع الحكم فوجب أن يقيد المطلق بالمقيد .

والتأويل على هذا باب من أبواب الاستنباط العقلي قويم ، وهو قد يكون تأويلا صحيحا ، وقد يكون تأويلا فاسدا ، فيكون صحيحا إذا كان مستوفيا للشروط السابقة ويكون فاسدا وباطلا ومردودا إذا لم يكن ثمة موجب له ، أو كان له موجب ولكن لم ينهج فيه منهاج التأويل الشرعي ، أو كان التأويل مناقضا للحقائق الشرعية ومخالفا للنصوص القطعية .

★ القرآن مرجع مصادر التشريع الأخرى :

والقرآن بمجموع ما ذكرنا يعتبر مهيمنا على بقية مصادر التشريع ، بل أن هذه المصادر تستمد اعتبارها أدلة من اعتبار القرآن لها كذلك . ولا تكون كذلك إلا اذا كانت لها صلة بالقرآن الكريم بما قرره من أحكام وقواعد عامة .

وهكذا رأينا كيف شملت أحكام القرآن كل ما يحتاجه البشر في حياتهم فكيف يقال بعد ذلك أن القرآن لا يشكل مجموعة قانونية ، أو أنه جاء للاجابة على أحداث طارئة لا لتأصيل نظرية .

ومن جهة أخرى تهاوت دعواهم ان احكام القرآن الكريم كانت مناسبة فقط للأوضاع البدائية في عهد الاسلام الأول فقد رأينا كيف أن الأحكام الشرعية أنبنت على طريقة علمية دقيقة تجعل تلك الأحكام صالحة للتطبيق في كل زمان ومكان .

فانقسمت الى أحكام تفصيلية وهي قليلة كما رأينا وأحكام هي عبارة عن قواعد عامة ومبادىء أساسية يندرج تحتها ما لا يتناهى من الجزئيات والتي تتطور بدورها داخل هذا الاطار العام حسبما يقتضيه الظرف والزمان والبيئة .

ورأينا كيف كشف Pearl عن جهله حين ادعى أن ثمانين آية في القرآن فقط تتكلم عن القانون ، فأثبتنا أنها بلغت نحو ثمان وعشرين ومائتي آية ، تناولت أنواع الأحكام والقواعد والمبادىء العامة بشكل لم يسبق له مثيل في قوانين سابقة أو لاحقة ، بل أن Schacht يناقض Pearl . كما ناقض نفسه من قبل فيقول يبلغ عدد الآيات المعروفة باسم الآيات الشرعية ما بين خمسمائة وستمائة آية بما فيها الآيات الخاصة بالعبادات العامة والأمور الحربية والسياسية .

وبينما وجه الخطأ في زعم Pearl بأن الثمانين آية فيها شبه وثغرات من حيث عدم القدرة على التفرقة بين المراد بالأمر أن كان على سبيل الفرضية أم الإباحة ، وهذا منتهى الجهل بمبادىء علم أصول الفقه .

واتضح كذلك أن ما ادعاه المستشرقون من أن نقص القرآن قد كمله اللاحقون باجتهادهم وبآرائهم عن طريق ما ابتدعوه من أدلة للاجابة على الأحداث المستجدة ومسايرة التطور التشريعي ، فاتضح أن الصحابة والخلفاء الراشدين ومن بعدهم لم يكونوا يصدرون في إبداء الحكم من عند أنفسهم وبمحض اهوائهم ، وأن كل ما ذكروه واعتمدوا عليه من أدلة الاستنباط مرجعه الى القرآن الكريم .

وأما أن القرآن خاضع للتأويل فقد بينا أن هناك قواعد معينة لا يمكن تجاوزها في استعمال التأويل . وأن ما يحتمل التأويل من الآيات فانه خاضع لتلك القواعد وفي إطارها وحدودها بحيث لا تحمل الآيات أكثر مما تحتمله والا كان تأويلا مردودا .

فالقرآن اذا هو مصدر التشريع الأول وهو مجموعة تشريعية قانونية متكاملة غير منقوصة ، والقرآن الذي حكم دولة الاسلام الأولى هو القرآن الذي حكم دولة الاسلام بعد ذلك ، على اختلاف الظروف والأحوال قرابة عشرة قرون متتالية ذاقت البشرية في ظله السعادة والهناء كما لم تذقها من قبله ولن تذوقها من بعده الا فيه .

والقرآن اليوم هو بأحكامه قادر على حكم البشرية في كل شئون حياتها مهما تعقدت أحوالها وتنوعت احتياجاتها .



للأستاذ / محمد حسن عبدالعزيز

الاسلام هو الدين الذي ارتضاه الله تعالى للبشرية من لدن آدم ... وهذا ما أكده القرآن الكريم وبطريقة حاسمة . وتوحيد الاله المعبود . هو التصور الوحيد الذي جاءت به الاديان السماوية على لسان انبيائها وكتب رسلها .

بعث به الانبياء والرسل خلال تعاقب الازمنة لهداية البشرية الى الطريق القويم بطريقة تلائم ما بلغته البشرية في سلم التقدم الانساني والترقي البشري وموافقة

لاختلاف البيئات والمجتمعات حتى لا يترك الناس هملا يتخبطون في دياجير الظلمات والجهالات . تطمس على عقولهم الاوهام والخرافات ، يساقون كيفما تسوقهم الرياح ، وتعبث بهم الاهواء وتضللهم المطامع . فيهوون في طريق الشيطان الى الدرك الاسفل كالحيوان أو أدنى ..

ولم تكن مهمة الانبياء والرسل سهلة ميسرة ، ولا طريقهم مفروشا بالورود والرياحين . فمهمتهم كانت تتجه الى العقول والقلوب ، فاذا هى محشوة بالاشواك مغلفة بالاباطيل والخرافات .

ومع رحلة النبوة . في طريقها الطويل من المنبع الى المصب جلست الى مائدة الرحمن اتتبع في كتاب ربي عقيدة الاسلام على لسان الانبياء وفي كتب المرسلين .

وها هو ذا نوح عليه السلام يخاطب قومه بما يلائمهم من الدين : (**فإن توليتم فما سألتكم من أجر إن أجرى إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين**) يونس / ٧٢ .

ويستدل هنا على ان الاسلام كان موجودا من قبل . وأن نوحا عليه السلام أمر قومه باتباع احكامه .

وفي زمن لوط عليه السلام : (**فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين . فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين**) الذاريات / ٣٥ و ٣٦ .

وعلى لسان ابراهيم واسماعيل عليهما السلام : (**وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم . ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك**) البقرة / ١٢٧ و ١٢٨ .

وكذلك وصى ابراهيم بنيه ويعقوب عليهم السلام :

(**يا بَنِيَّ إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون . أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحق إلها واحدا ونحن له مسلمون**) البقرة / ١٣٢ و ١٣٣ .

وعلى لسان يوسف عليه السلام :

(**رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السماوات والأرض أنت وليِّ في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين**) يوسف / ١٠١ .

وعلى لسان موسى عليه السلام اذ قال لقومه :

(**يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين**) يونس / ٨٤ .

فقالوا : (**آمنا برب العالمين . رب موسى وهارون . قال فرعون آمنتم به قبل أن آذن لكم إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون . لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ثم لأصلبنكم أجمعين . قالوا إنا إلى ربنا منقلبون . وما تنقم منا إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين**) الأعراف / ١٢١ ـ ١٢٦ .

فلما أدرك فرعون الغرق :
(قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين) يونس / ٩٠ .
وعلى لسان سليمان اذ بعث الى قوم بلقيس يدعوهم للاسلام :
(ألا تعلوا على وأتوني مسلمين) النمل / ٣١ .
ولما خاطب الملأ قال :
(أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين) النمل / ٣٨ .
(فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين) النمل / ٤٢ .
فلما رأت بلقيس تلك الآيات لم تملك أن قالت :
(رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) النمل / ٤٤ .
ولما بعث المسيح عليه السلام : **(قال من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون)** آل عمران / ٥٢ .
(وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون) المائدة / ١١١ .
ومن بعدهم استمرت دعوة الاسلام ويحدثنا القرآن الكريم عن ذلك في قوله تعالى :
(ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون . الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون . وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين) القصص / ٥١ ـ ٥٣ .
ومن الثابت تاريخيا انه كانت توجد جماعة من العرب رفضت عبادة الاصنام واتجهت الى عبادة اله واحد أحد لا شريك له مالك الحياة والموت،ويعتقدون ان الحياة الدنيا ان هي الا ممر لحياة أخرى وان الناس سيبعثون ويحاسبون على ما قدموا في حياتهم الاولى منهم ارباب بن رئاب وبحيرى الراهب وورقة بن نوفل وزيد ابن عمرو بن نفيل وقس بن ساعد الايادى وخالد بن سنان بن غيث .
ومن المعروف ايضا ان من الجن من كان يؤمن بالاسلام من قبل ان ينزل القرآن . فلما بعث النبي عليه الصلاة والسلام واستمعوا الى آيات الذكر الحكيم بشروا قومهم ودعوهم الى الايمان به لأنه مصدق لما قبله من الكتب المنزلة على الرسل السابقين . وانذروهم من عاقبة عدم التصديق .
ويحدثنا القرآن الكريم عن ذلك في قوله تعالى :
(وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين . قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدى إلى الحق وإلى طريق مستقيم . يا قومنا أجيبوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم . ومن لا يجب داعى الله فليس بمعجز في الأرض وليس له من دونه

أولياء أولئك في ضلال مبين) الأحقاف / ٢٩ ـ ٣٢ .

وقد صرح الجن باعتناقهم الاسلام من قبل ان ينزل القرآن على محمد عليه الصلاة والسلام بقولهم : **(وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا)** الجن / ١٤ .

ومع ذلك فقد اطلق الاسلام علَماً على الدين الاخير الذي نزل على نبي الله ورسوله سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام . ونحن نعرف ان الديانة المسيحية اشتقت من تلقيب عيسى عليه السلام بالمسيح ، كما عرف دين بوذا باسم معلمه وبقى الاسلام وحده بهذا التعريف الخاص به فلا يجوز ان نقول المحمدية مثلا .

وقد تبين لنا من سياق الآيات المتقدمة ان الانبياء من لدن آدم قد بعثوا جميعا برسالة الاسلام وبالطريقة التي تلائم المجتمعات المبعوث فيهم كل نبي .

والدين منذ بدء الخليقة عند الله الاسلام : **(إن الدين عند الله الإسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب . فإن حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن أتبعن وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد)** آل عمران / ١٩ و ٢٠ .

* فما هو الاسلام اذن ؟

انه في معناه المجرد منتهى الخضوع ومطلق التسليم والاستسلام والانقياد لله ، ولما جاء به من الشرائع والاحكام باعتباره جل شأنه هو الخالق المبدع بيده الحياة والموت ، الدنيا والاخرة يصرفها وفق مشيئته . يئوب الأحياء اليه في يوم لاشك فيه فيحاسب كل نفس بما قدمت . يدخل المؤمنين الطائعين جنات لهم فيها ما يشتهون . اما الكذابون المعاندون فمثواهم النار هم فيها خالدون .

(ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى وإلى الله عاقبة الأمور) لقمان / ٢٢ .

واذا تتبعنا لفظة اسلام في القرآن الكريم لوجدنا :

* **(إن الدين عند الله الإسلام)** آل عمران / ١٩ .
* **(ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه)** آل عمران / ٨٥ .
* **(اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا)** المائدة / ٣ .
* **(فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام)** الأنعام / ١٢٥ .
* **(أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه)** الزمر / ٢٢ .
* **(ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام والله لا يهدى القوم الظالمين)** الصف / ٧ .

ويعرف الاسلام بالسلم ((بكسر السين)) والسلم ((بفتحها)) ويقول الرازي : ان الاسلام في اصل اللغة يعرف على ثلاثة وجوه :

الاول ـ الدخول في الاسلام انقيادا ومتابعة كما في قوله تعالى : **(ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا)** النساء / ٩٤ .
الثاني ـ من دخل في السلم كقول العرب أسنى واقحط واصل السلم السلامة
الثالث ـ الاخلاص لله في العبادة من قول العرب « سلم الشيء لفلان خلص له »
فالسلام معناه اخلاص الدين والعقيدة لله تعالى .

ويرى البعض ان الاسلام اشتق من معنى الطاعة والخضوع والتسخير لارادة قاهرة ومسيطرة وعليمة وحكيمة وهي اوفى بالمعنى الذي ارتآه النبي عليه الصلاة والسلام لجماعة المؤمنين في علاقاتهم بربهم . فالتسليم والخضوع للقوة القاهرة يستلزم بداهة التبرؤ من كل حول وقوة امام الاله المعبود .

ومن هنا يستقبل المؤمن تعاليم ربه أوامر ونواهي ، وينفذها باندفاع وحماس ارضاء لله ولو لم يسع عقله فهم الحكمة من هذه الاوامر . فالانسان اذا تعشق المعبود اقبل على تكاليفه بقوة حبا للمكلف وارضاء له ثم تأتي الرغبة في الثواب في المرتبة الثانية ، وتلك درجة عليا من درجات المؤمنين .

وقد استعمل العرب كلمة السلم « بكسر السين واللام » بمعنى الحجر الصلب لسلامته من الرخاوة والليونة . والواحدة سلمة والسلم (بفتحتين) شجر عظيم له شوك ، ورقُه يشبه القرظ يستعمل في دباغة الجلود ، سمي كذلك لسلامته من الآفات . ويقال سلَمت الجلد « بفتح اللام » أسلِمه « بكسرها » اذا دبغته بالسلم .

ومن هذه المعانى المادية المحسوسة والملموسة استنبط العرب المعاني المجردة والوضعية مثل :

١ ـ معنى الخلوص من الشوائب الظاهرة او الباطنة وفي المعاجم ان السلم (بفتح فسكون) والسلام والسلامة تكون بمعنى الخلوص من الشوائب الظاهرة او الباطنة .
٢ ـ بمعنى الصلح والامان والموادعة والسلم (بكسر السين وفتحها) لغتان في الصلح يذكران ويؤنثان كالسلام .
٣ ـ معنى الطاعة والانقياد والاذعان .

ويرد اللغويون السلام الذي هو اسم من اسماء الله الحسنى بمعنى التحية والدعاء الى معنى الخلوص والسلامة من المكاره والعيوب .

أما الفعل « اسلم » فيستعمل في اللغة على وجهين :

الاول ـ يستعمل لازما بمعنى الدخول في السلم بمعنى الصلح والطاعة ، ويقول علماء العرب ان صيغة افعل اللازم تأتي بمعنى الدخول في شيء كأصبح بمعنى دخل الصباح وا قحط دخل في القحط واعرق دخل في العراق .

الثاني ـ يستعمل متعديا بصيغة افعل للتعدية وهي تصيير الفاعل قبل دخول الهمزة مفعولا فاسلم الشيء لفلان منقولا بالهمزة عن سلم الشيء لفلان خلص له من غير منازع كسلمه له تسليما المنقول بالتضعيف . وحقيقة معناه اخلصه له

وجعله له سالما .

ولفظ اسلام مصدر اسلم لازما كان او متعديا . وهو اصلح ما يكون للدلالة على كل ما يدل عليه الفعل من المعانى السابق الاشارة اليها .

ويلاحظ ان لفظ اسلام ورد في القرآن الكريم على اعتبار انه مقابل للايمان ومرادف له .

(إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات) الاحزاب / ٣٥ .

(الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين) الزخرف / ٦٩ .

(قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم) الحجرات / ١٤ .

(عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات) التحريم / ٥ .

وورد كذلك ما يدل على ان الاسلام والايمان شيء واحد .

(وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين) يونس / ٨٤ .

(يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا عليّ إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان) الحجرات / ١٧ .

(فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين . فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين) الذاريات / ٣٥ و٣٦ .

فالاسلام هو الاساس المعنوى التصديقي من الدين والجانب الباطني الذي يبث الطاقة الدافعة والقوة المحركة .

وورد ايضا بمعنى دين الله الواحد الذي لا يدخله النسخ ولا يختلف باختلاف الانبياء والمرسلين . ولكن تختلف الاحكام العملية التي تأتي ملائمة للأمم والمجتمعات ، لتوافق احتياجاتهم باختلاف الزمان وتتابع الايام . وعلى ذلك لا تنحرف تلك الاحكام العملية عن الاطار العام للتعاليم الكلية .

(فإن حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا) آل عمران / ٢٠ .

(أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون . قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون) آل عمران / ٨٣ و ٨٤ .

(اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا) المائدة / ٣ .

« وقد نزلت هذه الآية في آخر لقاء للنبي عليه الصلاة والسلام في حجة الوداع وهي آخر آية نزلت .

ووردت ايضا بمعنى الايمان الخالص الذي لا تشوبه شائبة .

(فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون) الأنعام / ١٢٥ .

ووردت في مقابل الكفر .

(ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون) آل عمران / ٨٠ .

(ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين) الحجر / ٢ .

ومن الاستعراض المتقدم لمادة « اسلام » حسب ورودها في القرآن الكريم او حسب استعمالها في لغة العرب . نخلص الى ان القرآن الكريم قد استعمل لفظ اسلام وما اشتق منه بمعنى التوجيه المطلق في عبادة الله تعالى وأخلاص النفس والقلب له ، اخلاصا لا تشوبه شائبه من شك او شرك . وهو نفس المعنى الشرعي المولد من الخلوص والسلامة والخلو من العيوب والشوائب المستعملة في لغة العرب . يقول ابن دريد « واشتقاق المسلم من قولهم اسلمت لله اي سلم له ضميرى » .

وفي تفسير الزمخشري في الكشاف للآية الكريمة **(إن الدين عند الله الإسلام)** آل عمران / ١٩ .

ان الدين واحد عند الله تعالى على لسان جميع الانبياء وهو الايمان بما يجب الايمان به ، وانما تختلف الشرائع اي الاحكام العملية .

ويقول الامام الغزالي في احياء علوم الدين . ان الاسلام يعرف على ثلاثة وجوه :

الاول ـ الاستسلام ظاهرا باللسان والجوارح على اطلاق الايمان على التصديق بالقلب فقط . ومؤدى ذلك اختلاف الاسلام عن الايمان في المعنى .

الثاني ـ التسليم بالقلب والقول فيكون الايمان عبارة عن التصديق بالقلب وهو اخص من الاسلام .

الثالث ـ التسليم بالقلب والظاهر فيكون الاسلام والايمان مترادفين .

وقد سئل النبي عليه الصلاة والسلام عن الاسلام فاجاب بجوامع كلمه الماثور « ان يسلم قلبك لله . ان تستسلم لله بكليتك . ان تسلم وجهك لله » .

تلك رسالة الاسلام تتابع عليها الانبياء والرسل من لدن آدم حتى نبينا عليه الصلاة والسلام . ان الدين عند الله الاسلام . ان الدين عند الله واحد ينبع من نفس النبع . ويصب في ذات المصب . ويتجه الى قبلة الخير والتقوى التي يتساوى امامها العاملون . يحقق الخير في الدنيا والنعيم في الاخرة .

فرسالة الاسلام مصدقة للرسالات السابقة عليها ، والانبياء يكمل بعضهم بعضا ، فلا تناقض ابدا بين نبي ونبي ولا اختلاف بين كتاب وكتاب .

وقد اخذ الله تعالى العهد والميثاق على الانبياء جميعا للايمان بخاتم النبيين والتبشير ببعثه بكلمة الله الاخيرة الى الناس . وبه يكمل الدين وتتم نعمة الله .

(وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول

مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين) آل عمران / ٨١ .

(**قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون**) البقرة / ١٣٦ .

ويقول النبي عليه الصلاة والسلام « مثلى ومثل الانبياء من قبلى **كمثل رجل بنى** بيتا فأحسنه وأجمله الا موضع لبنة من زاوية ، **فجعل الناس يطوفون به** ، ويعجبون له ويقولون : **هلا** وضعت هذه اللبنة ! فانا اللبنة ، **وانا خاتم النبيين** » متفق عليه .

وهكذا جاءت نبوة الاسلام على طريق هداية الله للبشر مكملة ومتممة رسالات السابقين مصححة لما شاب عقائد الاولين . والنبوة الاخيرة آخر لبنة في البناء العظيم لرب الكون ورب العالمين ، ولا يناسب الدين الاخير الا ان يواجه حاجات الناس في تطورهم المستمر وان تشمل هدايته الناس جميعا وان يجعل للعقل منزلة عالية .

وجاءت نبوة الاسلام انسانا كاملا في كل تصرفاته وافعاله وفي شئونه العامة .

ومن هنا كان لابد ان يكون بالنسبة لمن سبقه بمثابة الرأس للجسد والرئيس للمرؤوسين والمتبوع للتابعين الم يكن في سابق علم الله خاتم المرسلين وسيدهم ؟ ورسالته متممة لما سبقها ومكملة توافق العقل وتخلصه مما علق به من الشوائب التي علقت به . فاصابته بالجهل والعمى والضلال وتعيده الى طريق الجادة عبادة وسلوكا . فالاسلام دعوة عالمية للانسانية كافة تتخطى حواجز المكان وتصلح لقيادة الانسان على طول الزمان .

وكل انسان آمن بالنبي المبعوث في زمنه والتزم بما جاء به يعد مسلما كما في قوله تعالى :

(**ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين**) آل عمران / ٨٥ .

فالاسلام دين الله الواحد أولا وابدا جاء مصدقا لما بين يديه بنفس المعنى من حيث هو ايمان باله واحد احد انقيادا ومتابعة واستسلاما لا تشوبه اية شائبة أو شك والالتزام بمنهجه أمرا ونهيا والايمان بالنبيين والملائكة والبعث والحساب .

والفيصل الوحيد بين المسلم وغيره هو التوحيد المطلق المنزه عن المشابهة والحوادث ، وهي القضية الاساسية التي نزلت بها كل الرسالات ولذلك اطلق القرآن الكريم على انصار اديان التوحيد لفظ المسلمين .

فاليهود :(**عندهم التوراة فيها حكم الله**) المائدة / ٤٣ ، و :(**التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار**) المائدة / ٤٤ ، والنصارى :(**وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه**) المائدة / ٤٧ .

والتوحيد لا خلاف عليه في الشرائع التي وردت في هذه الآية :
(إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) البقرة / ٦٢ .

ومحمد عليه الصلاة والسلام اول المسلمين لانه كان كذلك في علم الله :
(قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين . لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين) الأنعام / ١٦٢ و ١٦٣ .

أدبه ربه وهيأه لتلقي الرسالة وحمل الامانة فكان صاحب الخلق العظيم .
كانت صلاته لله وعن طريقها اتصل بربه يناجيه ويعبده ويدعوه فانتظمت علاقته به . كان دائم الوصال حتى انتفخت قدماه فقيل له . اتتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك . قال افلا اكون عبدا شكورا . هكذا وهو الشفيع للناس يوم القيامة .
وكان نسكه لله . والنسك هو التعبد وهو صفة من ابرز صفاته صلى الله عليه وسلم ﷺ عرف بها قبل ان يبعث ينقطع الايام ذوات العدد مختليا في غار حراء يطالع صفحات الوجود ويجهد نفسه في الوصول الى الحقيقة الواحدة . ويزيل عن نفسه الشك وقد رأى الناس امامه قد انكبوا على الاصنام عابدين وهي لا تضرهم ولا تنفعهم وهم صانعوها . كان طالبا للهداية متطلعا للحقيقة راغباً في الدين القيم حتى صفت روحه ، واطمأنت نفسه واصبح مهيّأً لاستقبال الرسالة وتلقى الامانة .
كانت حياته لله صلاة ونسكا وابلاغا للدعوة متحملا مشاقها ومتاعبها . لم يقنط من نصر الله في اشد الاوقات حرجا وادعاها لليأس يدعو ربه ويحمده اذا اتاه بامر يحبه او امر يكرهه . يضع جنبه باسم الله ويرفعه .

هكذا كان قلبه معلقا شغفا بعبادة الله والنسك . يقوم الليل والنهار ويجد في الصلاة قرة عينه . كان اخشى الناس وأتقاهم لربه . كان على استعداد ان يضحى بحياته ولا يفرط في دينه .
ومع ذلك لم ينس حق الدنيا وحق الناس .
كان نبيا هاديا ومبشرا داعيا ، وحاكما منفذا لشرع الله .
ومصلحا يرسي لأمته قواعد الحق والعدل والسلام . لتسطع على الدنيا شمس الاخاء والمساواة والوئام .
وترك دنيانا ولم يكن هناك ما يورثه الا ذلك الكتاب الخالد الذي إن تمسكنا به فلن نضل بعده ابدا .
كان كله خالصا لربه فكان اول المسلمين .
صلاته ونسكه ومحياه ومماته لله رب العالمين .

السنة والحياة

أخذ وعطاء

للشيخ : أحمد حسن الباقوري

غير ذي حاجة إلى بيان أن الانسان محتاج إلى من يأخذ بيده الى حاق الطريق التي تفضي بسالكيها إلى الخير في شئون الدنيا وشئون الدين . والذين يزعمون لأنفسهم أن الانسان غني عن إرشاد مرشد أو توجيه موجه ، انما يضربون في متاهات من الخيال لا يساندها منطق من حقيقة ثابتة أو تاريخ موثوق . والشيخ بالنسبة إلى المريد ، كالاستاذ بالنسبة إلى التلميذ كلاهما معلم للجاهل ومنبه للغافل ، وهاد إلى سواء السبيل .

وهذه الاستاذية ـ في تقاليد المجتمع الانساني ـ تكاد ترقى إلى مصاف القضايا الضرورية التي لا يرقى اليها الريب ولا تختلف عليها الآراء ، فكل إنسان هو تلميذ لاستاذ مهما يكن هذا الاستاذ فردا بين أفراد المجتمع ، أو أبا ، أو أما أو معلما ، أو قانونا يتقيد به الناس ، وينزلون على تعاليمه ، ولا يخرجون على حدوده ، بل ربما يكون الانسان استاذ نفسه ، فهو في هذه الحال أستاذ وتلميذ في آن ، كما أشار إلى ذلك الشاعر الحكيم :

لا ترجع الأنفس عن غيها
ما لم يكن منها لها زاجر

على أن مما ينبغي التنبه له والتنبيه إليه ، أن الاستاذية نوعان : إستاذية غايتها تيسير الطريق إلى المعرفة النظرية ، واستاذية أخرى غايتها حمل التلميذ على القدوة بالاستاذ فيما يأخذ وما يترك في مجالات التصرف والسلوك . ومهما تكن استاذية القدوة أعظم نفعا في شئون الاجتماع ، فانها مرتبطة أشد الارتباط باستاذية المعرفة ، إذ كان من البديهي أنه لا قدوة بغير معرفة . وقد توجد المعرفة بغير قدوة ، وان يكن من الصعب تصور إنفصال القدوة عن المعرفة ، ما دام في المعرفة جانب يستشعر الانسان فيه خيرا فيسعى إلى تحصيله ، أو ضرا فيعمل على تجنبه .

ونضرب لذلك مثلا قول الله جل ثناؤه في سورة المائدة :

« واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين . لئن بسطت إلى يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين . إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين . فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين . فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يوارى سوأة أخيه قال يا ويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوأة أخي فأصبح من النادمين ».

فقد تضمنت هذه الآيات قصة فيها أستاذ وتلميذ ، والتلميذ فيها أبونا « قابيل » ابن آدم عليهما السلام . والاستاذ هو « الغراب » ، فقد قتل قابيل أخاه هابيل نزولا على حكم المنافسة بينهما على امرأة ، ثم حمل القاتل قتيله على ظهره لأنه لم يكن يرى ماذا يصنع به ، وظل على ذلك زمنا ، حتى إذا تغيرت رائحة القتيل ، وسعت رحمة الله قاتل أخيه ، فأرشده الى الطريقة التي يتقي بها الرائحة الكريهة ، وكان الاستاذ المعلم لقابيل هو الغراب الذي إبتعثه الله مع غراب آخر فاقتتلا فقتل أحد الغرابين صاحبه ، ثم راح يبحث الارض بمنقاره حتى صنع حفرة لجثة الغراب المقتول فواراه فيها ثم أهال عليه التراب ، فبذلك يكون الغراب أستاذا ، ويكون قابيل تلميذا لذلك الغراب ، وتكون الاستاذية هنا أستاذية قدوة .

وفي آية أخرى من سورة « النمل » يتلو القارىء لكتاب الله تعالى آيات تشير الى أستاذية أخرى هي أستاذية الهدهد لنبي الله سليمان ، فذلك حيث يقول الله حكاية عنه عليه السلام : « وتفقد الطير فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين . لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين . فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين . إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم . وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون .»

فقد تضمنت هذه الآيات قصة فيها تلميذ وأستاذ ، والفرق بين القصتين أن الأستاذية في سورة المائدة أستاذية قدوة ، وأما الأستاذية في سورة النمل فإنها أستاذية معرفة ، وإذا كان التلميذ في آية المائدة من بني الانسان ، وكان الأستاذ من بني الغربان ، فان التلميذ في سورة النمل هو سيدنا « سليمان » ، والاستاذ من بني الهداهد .. فان سليمان لم يكن يعرف عن جنوب اليمن شيئا ، ولم يكن يعرف عن ملكة سبأ ودينها شيئا كذلك . حتى جاء الهدهد فأعلمه بأن أهل سبأ ملكوا عليهم امرأة هي « بلقيس » ، وانها هي والذين تملكهم يتخذون الشمس الها ، يسجدون لها ويعبدونها من دون الله ، كما أخبره أن بلقيس ملكة اليمن واسعة الثراء سابغة النعمة ، ذات عرش عظيم ، فالاستاذية هنا أستاذية معرفة وليست أستاذية قدوة .

وقد قادت هذه الأستاذية سليمان عليه السلام ، إلى أن يهدي هذه الضالة عن الحق إلى صراط الله المستقيم . فكانت أستاذية الهدهد لسليمان أستاذية طيبة الثمرات مباركة الغدوات والروحات . والذين عنوا بدراسة علم الحيوان ، وتتبعوا تصرفاته الغريزية من فحول العلماء ، نرى منهم فضلاء يتمنى أحدهم لو كان له أن يختار صورة حياته لاختار أن يكون « نملة » ، ونرى بعضهم الآخر يختار أن يكون « نحلة » ، والسبب الذي دعا هذا أو ذاك إلى إيثار هذه الصورة للحياة ، إيمانه القوى بأن في كل من سلوك « النملة » و « النحلة » ما يصلح أن يتخذ منه الانسان خطة في حياته ومنهاجا ، بحيث تكون النملة أو النحلة أستاذا لهذا العالم أو ذاك ، أستاذية معرفة أو أستاذية قدوة .

وإذا كان الحديث يدعو إلى الحديث ويذكر به ، فان مما تتداعى به المعانى ، أنني كنت قد سئلت عن الأستاذ الذي أنتفعت به في باب المعرفة أو في باب القدوة ؛ وقد أذكر أنني قد قلت يومذاك : أن من المستحيل أن أحصى أولئك السادة الذين تتلمذت لهم فأخذت عنهم أو اقتديت بهم . فحسبي من ذلك الاشارة إلى رجال ثلاثة أنزلهم من نفسي أرفع المنازل لأنني تأثرت بهم أعظم التأثر وأكرمه وهم :-

الشيخ محمود خطاب السبكي الذي حضرت عليه في الجامع الأزهر الشريف دروسا في فقه المالكية « في كتاب الشرح الكبير » ودروسا في الحديث النبوي « في كتاب مختصر البخاري بشرح الشيخ الشرقاوي » .

وقد كان هذا الشيخ الجليل ملء العيون مهابة ، وملء الصدور جلالة ، ومرجع ذلك فيه إلى لق رضى لا يكاد يعرف الحقد ، أو يخضع لنزوة من نزوات الغضب ، فهو الرجل الوحيد فيمن رأيت من الشيوخ الذي كان يملك نفسه عند الغضب ، فلا تراه إلا وعلى وجهه إشراقة الرضا والسكينة والاطمئنان ، ولا تسمعه إلا وفي لسانه كلمات الأدب الرفيع الذي يتخذ من رسول الله - أبدا - مثله العالي ، في صمته ، ونطقه ، وأدبه مع الله ، وأدبه مع الناس ، ولقد ظل الشيخ رضى الله عنه - حتى هذه الساعة التي أكتب فيها هذه الكلمات - يتمثل في عيني تمثلا أكاد استحضر به بعض كلمات كان يرددها على مسا معنا ونحن شهود بين يديه نسمع لما يقرر من مسائل الفقه المالكي والسنة النبوية .

ولقد أذكر أنني - حين كنت في وزارة الأوقاف - رغب إلى بعض أحبائه ومريديه في إقامة مسجد في الشارع المعروف اليوم باسم : « شارع الصحافة » . وأحبوا أن تعينهم وزارة الأوقاف ببعض المال ، وفي ظل من حبي للشيخ واحترامي له وإجلالي لذكراه الطيبة ، أجبتهم إلى ما طلبوا ، وبذلت لهم من مال الله في وزارة الأوقاف ما يعينهم على إقامة المسجد ، ولكنني اشترطت عليهم يومئذ أن يسموا ذلك المسجد باسم الشيخ محمود خطاب السبكي ، ولا يزال المسجد إلى اليوم في الشارع المذكور معروفا بهذا الاسم الكريم .

ولست أستطيع أن أزعم لنفسي بأن أستاذية الشيخ الجليل لي كانت أستاذية قدوة به ، أو تقليد له . فان الرجل كان من قوة العزم ، وشدة الحزم ، والحرص على

تحصيل مراضى الله ، بحيث لا يطمع مثلي في أن يرقى اليه ، أو يطمع في القدوة به ، فأستاذيته لي - إذن - أستاذية معرفة ونظر وعلم ، وليست أستاذية قدوة أو تقليد .

ومن الاساتذة الذين انتفعت بهم انتفاع قدوة مثمرة ، ذات نتائج ملموسة في دنيا الناس ، الأستاذ الأكبر « الشيخ محمد مصطفى المراغي » شيخ الجامع الأزهر - رحمه الله - فقد أستطيع أن أزعم لنفسي أنني انتفعت بالرجل في أعز ما يعتز به رجال التربية والتعليم ؛ ذلك أنني إقتديت به رحمه الله في تطوير الجامع الأزهر الشريف إلى « جامعة الأزهر » ، حتى أصبح الطالب الأزهري أشبه بسلفنا الصالح في العهود العربية الاسلامية الزاهرة ، يوم كان الفقيه بكتاب الله وسنة رسوله ، تاجرا أو طبيبا أو مهندسا أو صيدلانيا ، وقد أنشئت في الأزهر اليوم بحمد الله كليات للتجارة والزراعة والطب والهندسة ، ومعهد للغات .. وأدخلت الترجمة الفورية في كليات البنات . والذي وضع أصول تطوير الأزهر القديم إلى الأزهر الحديث هو - بلا ريب - « الشيخ المراغي » ، وقد كان ذلك القانون الذي وضع لتطوير الأزهر - اول ما وضع - سبب الأزمة السياسية الكبرى بين الملك فؤاد والشيخ المراغي عليهما رحمة الله .

وبهذا التقرير أستطيع أن أزعم لنفسي شرف تطوير الأزهر إلى « جامعة الأزهر » التي تنتظم كليات تجريبية حديثة إلى جانب الكليات العلمية النظرية القديمة . ومهما بلغ نقد الناقدين لهذا التطوير ، ونيلهم منه أو تآمرهم عليه ، في مجالسهم الخاصة أو العامة أو على صفحات الصحف والمجلات - فان أحدا لا يستطيع أن يواجه الشعب المصري ، أو الأمة العربية ، أو الأمة الاسلامية ، بمنطق مقبول ، أو معقول ، ينال من هذا التطوير ، أو يغض من شأنه .

وإن من العقوق للحق أن أتغاضى عن ذكر الامام الشهيد حسن البنا في هذا المجال ، فانه الرجل الذي أخذت عنه كما أخذ عنه كثيرون نظرية اجتماعية اسلامية ، تقوم على أن الاسلام دعوة إلى الحق تناصرها الدولة لكي تدفع عنها كيد الكائدين وتربص المتربصين .

ولقد كان الرجل - رضي الله عنه - واسع الأفق في حكمه على مختلف شئون الاجتماع ، بمقدار ما كان فقيها بكتاب الله وسنة رسوله وأنباء السلف الصالح الذين جمع الله تعالى لهم الخير في شئون دنياهم وشئون دينهم ، فهم أحق الناس برضوان الله يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتي الله بقلب سليم .

وجملة العبرة ، أن كل مجتمع صالح للبقاء ، يتألف من أسلاف يعطون وأخلاف يأخذون . فالمجتمع الذي يتنكر لأسلافه في ماضيه الماجد ، لا يستطيع أن يتحرك حركة صالحة للقيام بحق حاضر مجاهد ، ومن ثم لا يكون له قابل يليق بحاضره وماضيه . وبتمثل هذه المعاني ، يكون الدعاة إلى الاعتزاز بالقوميات البائدة هم أعدى أعداء الشعوب والأمم التي تنشد المجادة في دنيا الحرية الشاملة والعدالة الكاملة والسلام العزيز . والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

البحث الفني الجنائي

قدمنا في بحث سابق (الوعي الاسلامي اعداد ١٩٦ ، ١٩٨) نماذج للأدلة الجنائية من القرآن الكريم في كل أنواع الجرائم المختلفة ؛ معنوية كانت أم مادية ، وسواء شملت النفس أو العرض أو المال ثم اتبعنا ذلك باستخراج بعض الأصول العامة لعلم البحث الفني الجنائي من القرآن الكريم وهي تحقيق الشخصية ، وصحائف السوابق ثم طرق الاستدلال عن الجرائم . وموضوعنا اليوم يدور حول سؤال : ماهو الموقف إذا لم يهتد العقل البشري القاصر إلى الدليل المادي الجنائي عند حدوث الجريمة ؟ هنا فإنه ولابد من تدخل السماء برحمتها كي لا يضيع العدل في الأرض ، وكي يظل الحق دائما فوق الباطل مهما طالت الأيام :

(وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين * قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون * قالوا ادع لنا ربك يبين لنا مالونها قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين * قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي إن البقر تشابه علينا وإنا إن شاء الله لمهتدون * قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقي

في القرآن الكريم

محمد مؤذن

للدكتور/محمد عبد الحكم مهدي

الحرث مسلمة لاشية فيها قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون * وإذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون * فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون .)
« البقرة/٦٧ـ٧٣ » .

تخبرنا هذه الآيات الكريمة أنه قد جرت حادثة قتل بين بني إسرائيل في زمن موسى عليه السلام وأخذ بنو اسرائيل في التنازع فيما بينهم كل ينفي التهمة عن نفسه ويلصقها بالآخرين . فلما لم يتمكن موسى النبي من معرفة الجاني جاءه الوحي من ربه بأن يأمر قومه بذبح بقرة . استنكر بنو اسرائيل من موسى أن يدع قضيتهم وأن يأمرهم بذبح البقرة ، وظنوا أن ذلك استهزاء منه بهم مما دعا موسى أن يستعيذ بالله أن يكون ذلك الجاهل الذي لا يشاركهم بلواهم وأن يستهزيء بهم ، ثم يخبرهم أن ذبح البقرة إنما هو أمر الله . لكن بني اسرائيل بدل أن

يمتثلوا للأمر سألوا نبيهم موسى عليه السلام عن حال تلك البقرة فأخبرهم أنها بقرة متوسطة العمر بين البكورة والهرم وأعاد توجيهه لهم بأن ينفذوا ما أمرهم الله به . على أن بني اسرائيل قد عادوا للجاج مرة أخرى فسألوه عن لون البقرة فأخبرهم بأنها بقرة شديدة الاصفرار تعجب الناظرين . ويتكرر السؤال للمرة الثالثة عن حال البقرة لأن البقر ـ كما يدعون ـ قد تشابه عليهم ووعدوا موسى النبي بالهداية والتنفيذ هذه المرة . وأجابهم موسى بأن البقرة المطلوبة للذبح هي بقرة غير مذللة بالاستعمال وهي كذلك تثير غبار الأرض ولا تستعمل في سقاية الزرع ، وبالنسبة لجسمها فليس في جلدها علامة معينة تختلف عن بقية هذا الجسم . فوثقوا في الأمر وأخبروه بأنه قد جاءهم بالحق من الله . ثم حصلوا على بقرة تتوافر فيها هذه الصفات فذبحوها بعد أن قاربوا ألا ينفذوا ما أمروا به . ويرى المفسرون أن الآيات السابقة تدل على تعنت اليهود وأن الله قد شدد عليهم في صفات تلك البقرة لكثرة عنادهم وأسئلتهم .

لكن المفسرين قد اختلفوا في تفسير بقية الآيات السابقة فغالبيتهم يرى أن الله قد أمر بني اسرائيل أن يضربوا القتيل ببعض أجزاء تلك البقرة فأحياه الله بقدرته وأخبرهم عن قاتله . وبهذه الطريقة أراهم الله آية من آياته لعلهم يعقلون ويتدبرون . وكان هذا القتيل ابنا لرجل ثري من بني اسرائيل وقتله ابن عم له ليرثه ثم أبلغ عن قتله مدعيا أن آخرين قد قتلوه . وحينما أحيا الله القتيل بأمره وأخبر عن قاتله كان القاتل هو نفسه المبلغ عن جريمة القتل فاهدر دمه جزاء ما اقترفت يداه .

على أن بعض المفسرين يرون في تفسير الآيتين : (**وإذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون * فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون**) « البقرة/ ٧٢و٧٣» ، أن المقصود بها حادثة قتل أخرى والضرب في هذه الحادثة يكون للمتهم بالقتل وليس للقتيل ويكون ببعض أجزاء جثة القتيل نفسها ، وعليه فسوف ينتاب القاتل رعدة أو رعشة نتيجة تذكره واقعة القتل . ومن ذلك يتبين أن هذه الطريقة للكشف عن المجرم لم يهتد إليها الكثيرون وغابت حتى عن بني اسرائيل أنفسهم . ويذهب أصحاب هذا الرأي من ذلك إلى أن القرآن العظيم قد سبق الحضارة الغربية بآلاف السنين في توجيه الأنظار إلى علم النفس الجنائي واختلاف سلوك المجرم النفسي حينما يرى ضحيته عن سلوك الشخص البريء . كما وأنهم يعددون الأمثلة المختلفة من وقائع الحياة العملية على صدق ما يقولون . ويدلك أصحاب هذا الرأي على صدق ما ذهبوا إليه بأسباب نذكر منها :

(●) ـ أن ما ذهب إليه أغلب المفسرين لم يرد به نص قطعي الثبوت أو الدلالة ، ولم يرد به حديث لاشك في تواتره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وربما تكون هذه

التفسيرات مجرد إسرائيليات أو هي على أحسن الفروض تعبير عن اجتهاد أصحابها لكنها لا تمنع اجتهاد الآخرين .

(●) - أنهم لا يرون فائدة من إخبار القتيل عن اسم قاتله على رواية أغلب المفسرين لأن المعجزة الحقة هي في إعادة الحياة إلى القتيل بأمر من الله سبحانه وتعالى . لكنه بعد أن يحيا يصبح أمره مثل سائر الناس ، وعليه فلا تقبل شهادته وحدها ضد من قتله ولن يقتص منه بناء على الشهادة لأنها شهادة فرد واحد . علاوة على أن القصة على النحو الذي أورده غالبية المفسرين لن تحل مشكلة بني اسرائيل إلا لمرة واحدة هي مرة حدوثها وبعدها تصبح - في رأيهم - بلا فائدة .

(●) - أنهم يرون أن كل القصص المتعلقة ببني إسرائيل في سورة البقرة تبدأ دائما بإذ ، ومعنى ذلك أن الآية (**وإذ قتلتم نفسا**) هي بداية لقصة جديدة لا علاقة لها بسابقتها .

ولقد كان هذا الرأي الذي ينحو لأن يكون تفسير آيات بقرة بني اسرائيل خاصا بحالتي قتل أو قضيتين مختلفتين مثار جدل كبير إذ قوبل بالانتقاد من الوجوه التالية :

(١) انه نتيجة لفهم أصحاب رأي القلة لا يكون للقصة الأولى (قصة البقرة وذبحها) معنى متحصل لأنها لم تبين سبب ذبح البقرة أو فائدته . وقد ردّ أصحاب الرأي المعارض بأن المعنى المقصود هو القطع بعدم إيمان « بنو إسرائيل » برسول الله محمد عليه الصلاة والسلام لأنهم قوم جبلوا على العناد والتعنت كما يفهم من قوله تعالى بعد ذلك : (**أفتطمعون أن يؤمنوا لكم**) « البقرة/ ٧٥ » ، كما أن القصة الأولى تفيد كذلك وسيلة اليهود لابراء ذمتهم من القتل كما هو وارد بالتوراة ، وهي وسيلة تشبه يمين القسامة عند المسلمين .

(٢) - أنه لا يظهر في تفسير القلة ما يقنع بعدم وجود الهزوءوالسخرية الذي نفاه موسى عليه السلام عن نفسه .

(٣)-ان المعنى الذي يفهم من هذا التفسير هو وسيلة لبراءة غير القاتل دون اظهار للقاتل الحقيقي

(٤) - أن الشريعة الاسلامية أو الشريعة اليهودية لا تقيم قصاصا على الجاني

لمجرد الاضطراب النفسي والعصبي الذي يحدث للمتهم عند عرض جثة القتيل عليه أو ضربه ببعضها . لكن أصحاب الرأي المعارض يرون أن الاضطراب النفسي قرينة والقرينة مقبولة شرعا عند التخاصم ويعول عليها .

(٥) - أنهم يرون في أمثال هذه التفسيرات لآيات القرآن الكريم وسيلة لهدم الأسس التي قامت عليها الأديان السابقة وهي المعجزات ومن ثم هدم الأديان نفسها .

وبرغم أن رأي القلة من المفسرين فيه إغراءات كثيرة من ناحية علم الأدلة الجنائية وعلم التحقيق الجنائي وعلم النفس الجنائي إلا أننا نرى أن هذا التفسير به كثير من التجاوز لكنه اجتهاد على كل حال ؛ ومن ثم كان لنا رأي آخر .
فمن الناحية الجنائية :
نحن أمام جريمة قتل والمتهمون فيها جماعة من بني اسرائيل يدفع كل منهم التهمة عن نفسه ويلصقها بالآخرين . وقد أجهد موسى عليه السلام نفسه - بصفته نبيا وبصفته قاضيا - كي يصل إلى الحقيقة . لكن العقل البشري له ظواهر الأمور ، وموسى عليه السلام يبحث عن القاتل في قوم عرف عنهم المكر والخداع والخبث والتعنت ، كما عرف عنهم الصلابة والعناد والإنكار . وكان على عدالة السماء أن تتدخل برحمتها - في رأينا - كي لا يضيع العدل في الأرض ، وكي يظل الحق دائما فوق الباطل مهما طالت الأيام ، من هنا كان لنا منحى آخر في فهم هذه الآيات :

(١) - لقد عرف عن بني إسرائيل إظهار الدقة في معاملاتهم والسؤال عن كل التفاصيل . ويتضح لنا ذلك من أسئلتهم عن حال البقرة المطلوبة للذبح ؛ لكن ذلك - في رأينا - كان أمرا ظاهريا لذر الرماد في العيون ؛ وإلا فكيف غاب عنهم أن يشكوا في المبلغ وصاحب المصلحة الوحيدة في القتل لأنه الوارث ؟ أو أنهم يعلمون القاتل لكنهم مالؤوه وكتموا أمره عن موسى عليه السلام لغرض في نفوسهم .

(٢) - أنه يتضح تواطؤهم في إخفاء الحقيقة في تعبير القرآن الرائع : (**مخرج ما كنتم تكتمون**) والكتمان لا يتأتى بغير الارادة ولا يتأتى عفوا . ومعنى ذلك أنهم أخفوا الحقيقة عن قصد . لذلك فإن الله جلت قدرته قد أكد أمره بذبح البقرة بعد سؤالهم الأول عن حالها : (**عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون**) تأكيدا لعلمه سبحانه بتواطئهم وأنهم لا يريدون الارشاد عن القاتل لغرض في أنفسهم ، ونهيا لهم عن التنطع وإضاعة الوقت هدرا .

(٣) - أننا نفهم من الآيات الكريمة أن الله أراد أن يضرب لهم مثلا بحالهم هذه وبأنهم قوم لا فائدة منهم وبأنهم لايستعملون عقولهم وتفكيرهم وأن مظهرهم لا

يوحي بمخبرهم وحقيقتهم تماما كحال البقرة التي أمرهم الله بذبحها . فالقاريء للآيات يفهم من قوله تعالى : (**لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك**) أنها بقرة متوسطة العمر ، لاهي بالبكر ولا هي بالهرمة ، وتتداعى الصور في مخيلة القاريء رأسا أنها بقرة ذات فائدة خصوصا وأنه أتبع ذلك بقوله تعالى أنها تسر الناظرين ذلك من ناحية المظهر فقط . لكنهم حينما تلكأوا في تنفيذ أمر ربهم وسألوا عن بقية أوصافها إظهارا لدقة مصطنعة أخبرهم الله أنها : (**بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقي الحرث**) وقد فهم بعض المفسرين من ذلك أنها بقرة لا تستعمل في أغراض الزراعة فهي لا تسقي الحرث ولم تذلل بالعمل ؛ لكن المعنى الذي يتبادر الى ذهننا أن حال تلك البقرة كحال بني إسرائيل في حادثة القتل تخالف حقيقتهم ومظهرهم كما أننا فهمنا «لا ذلول » بمعنى أنها غير قابلة للاستئناس نافرة وغير قابلة للتدريب على العمل . ومما يؤيد ما ذهبنا إليه من رأي أن القرآن العظيم قد استعمل في النفي هنا « لا » بدلا من « لم » مما يعني أن النفي للصفة وليس للفعل . من ذلك نقول أن الآيات الكريمة لم تكن تهدف فقط إلى بيان أوصاف بقرة بني اسرائيل أو أنها تهدف فقط إلى بيان تشديد الله عليهم حينما شددوا على أنفسهم بالسؤال ، لكنها تعطي مثالا لحال اليهود في تناقضهم بين ادعاء الدقة وعدم إعمال العقل في البحث عن الجاني ، وكذلك في التناقض بين ما يظهرون و ما يكتمون . وهذا هو شأن بني إسرائيل دائما .

(٤) ـ ان أمر الله بذبح البقرة موجه إلى بني إسرائيل كافة ، كي يجهدوا أنفسهم وعقولهم ، وأن يفكروا في أمر السماء ، لكنهم بطبيعتهم المتشككة ـ والتي كان من الواجب أن تهديهم إلى المبَلِّغ عن واقعة القتل ـ ظنوا أن ذلك استهزاء بهم من نبيهم موسى عليه السلام . أي أن أمر الذبح كان لتعليم بني اسرائيل شيئا ؛ هذا الشيء ، في رأينا ـ هو أنه حينما يقف العقل البشري عاجزا عن إيجاد **الأثر المادي الجنائي** أو التعرف على الجاني ، فإن على المحقق أو القاضي أن يفكر في صاحب المصلحة من وقوع الجريمة ، والذي ثبت في قصتنا أنه هو المبُلِّغ نفسه . وقد يكون ذلك إشارة إلى ما يمكن أن نطلق عليه « **التحري الجنائي** » ولو كان الأمر أن الله قد أراد أن يبين لبني إسرائيل قدرته على إحياء الموتى فحسب لطلب من النبي موسى نفسه أن يذبح البقرة ، ولم يكن هناك مجال إذن للتلكؤ أو التسويف . لكن الله أراد أن يخص قوم موسى بالدرس وليس نبيهم . ويؤكد رأينا هذا أن صيغة توجيه السؤال دائما من بني إسرائيل لموسى كانت :(**قالوا ادع لنا ربك**) وصيغة الجواب دائما كانت : (**قال إنه يقول**) .

(٥) ـ وعلى ذلك فإن هذا الدرس موجه أيضا للعالمين طالما ورد ذكره في القرآن الكريم . وعليه فلم يكن هذا التوجيه وهذه القصة لحل مشكلة وقتية واحدة كما قال بعض المفسرين ، ولو كانت كذلك لألْهَمَ الله موسى عليه السلام باسم القاتل

ولانتهى الأمر . ولكن الدرس لإعمال ملكات التفكير والتدبر والإمعان في كل حادثة مشابهة ، وهو موجه للناس كافة .

(٦) ـ تشير الآيات إلى أن بني اسرائيل بعد أن استنفدوا أسئلتهم : (**قالوا : الآن جئت بالحق**) ويوحي هذا التعبير القرآني الجميل بأن قائله قد سُدت أمامه السبل ولم يجد بديلا عن التسليم . وهذا ما يقول به علم النفس بأن المجادل يسلم فقط حين يصل إلى نقطة اليأس . فعندما يئس بنو اسرائيل من مكرهم وأيقنوا أن مكر الله لابد غالبهم : (**قالوا : الآن جئت بالحق**) وإلا فما معنى إيمانهم بموسى عليه السلام أصلا إن كان ينطق عن الهوى . وما يؤكد قولنا هذا أنهم قالوا قبلها : (**وإنا إن شاء الله لمهتدون**) وهو ما يمكن أن نطلق عليه مرحلة ما قبل اليأس أو آخر ما في جعبتهم من أسئلة وسهام فادّعوا أنهم سوف يهتدون باذن الله . ولم يكن ذلك استثناء منهم بطلب الهداية ، أووعدا بالهداية كما قال المفسرون بل هو تعبير عن حالتهم النفسية التي دفعتهم إلى توجيه سؤالهم الأخير وقد أعيتهم الحيل . لذلك جاءت صيغة سؤالهم هذا بنفس صيغة سؤالهم الأول : (**قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي**) لكنهم أتبعوا ذلك بقولهم : (**إن البقر تشابه علينا**) كي يكون هناك مبرر لاعادة توجيه السؤال مرة أخرى .

من كل ذلك يتضح أننا نفسر آيات بقرة بني اسرائيل كما ذهب إليه غالبية المفسرين ، ولكن بفهم جديد نابع من محاولتنا في استنباط الأدلة الجنائية من القرآن الكريم . أي أن الآيات الكريمة تروى قصة واحدة قدم جزء منها على جزئها الآخر . وقد شاء المولى عز وجل من تقديم أوصاف البقرة وتأخير سرد الحادثة الأصلية ـ حادثة القتل أن يكون ذلك مدعاة إلى التشويق والتفكير والتدبر وهو نموذج ونسق فريد في التصوير الفني والقصص القرآني وبلاغة مطلقة تعجز عن وصفها الأقلام . لذلك فإن المقصود بالضرب هنا هو ضرب القتيل بجزء من البقرة فأحياه الله بقدرته وأخبر عن قاتله ، وكان هو نفس المبلغ عن حادثة القتل . أما ما يقال عن أن كل قصة تبدأ بإذا » فليس ذلك دائما ؛ ولنقرأ قوله تعالى في سورة البقرة للآيات من (٣٠ ـ ٣٤) ، إنها قصة واحدة هي قصة استخلاف آدم في الأرض . ولنقرأ كذلك قوله تعالى من سورة البقرة للآيات (٤٩ و ٥٠) ، إنها قصة واحدة كذلك هي قصة تخليص بني إسرائيل من عذاب فرعون وهروبهم مع موسى من مصر وموت فرعون غرقا .

كما أننا يجب أن نشير أن هذا الفهم يوافق زمان الحادثة ، حيث كان أساس الأديان قائما على المعجزات المادية . ولقد كانت الديانة الموسوية-شأنها شأن الديانات الأخرى-قائمة على المعجزات المادية لأثبات صحة الرسالة السماوية ومدعاة لتصديق الرسل . أما عن فائدة القصة عند تفسيرها على هذا النحو فهو كما قلنا عدم ضياع الحقيقة وبيان لعدالة السماء ودرس للمؤمنين كي يوظفوا ملكاتهم الذهنية في تدبر أمور دنياهم ومنها الناحية الفنية الجنائية .

أهل الصُّفَّة في الاسلام

الدكتور : عبد الفتاح أحمد الفاوي

يعرف هؤلاء النفر من الصحابة الذين لزموا مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانقطعوا فيه للعبادة بعد أن تركوا الدنيا وزهدوا فيها عن رضا وحمد « بأهل الصفة في الاسلام » وكانوا نحوا من أربعمائة صحابي لم يكن لهم بالمدينة سكن ولا عشيرة ، ولا يرجعون فيها الى ندبع ولا الى ضرع ، ولا الى زراعة أو تجارة . لازموا مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم يتعلمون القرآن ويصومون ، ويخرجون في كل غزوة ، كما كانوا يأكلون في المسجد وينامون ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤانسهم ويجلس معهم ويأكل معهم ويحث الناس على اكرامهم ومعرفة فضلهم ، وروى عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف على أصحاب الصفة فرأى فقرهم وجهدهم فطيب قلوبهم فقال : « أبشروا يا أصحاب الصفة فمن لقيني من أمتي على النعت الذي أنتم عليه راضيا بما فيه فانه من رفاقي».

وكان صلى الله عليه وسلم لا يقوم من مجلسه اذا جلس أهل الصفة حوله حتى يقومون ، وكان اذا صافحهم لا ينزع يده من أيديهم قبلهم ، وكان يشعر بحاجتهم ويعيش معهم جوعهم ومخمصتهم ويهتم بأمر طعامهم وشرابهم فإذا لم يجد ما يسد حاجتهم فرقهم على أهل الجدات والسعة كل واحد حسب سعته يبعث مع واحد ثلاثة ومع الآخر أربعة وربما كان ينقلب سعد بن معاذ رضي الله عنه بثمانين منهم الى بيته فيطعمهم .

وبيد ما هم فيه من فقر وجوع فقد كانوا راضين صابرين ملازمين المسجد للعبادة منقطعين فيه للذكر والصلاة ، روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : رأيت سبعين من أهل الصفة يصلون في ثوب منهم من لا يبلغ ركبته فاذا ركع

أحدهم قبض بيديه مخافة أن تبدو عورته . وقال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه كانت تشبه رائحتنا رائحة الشاة من لبس العباء .

وقد كرم سبحانه وتعالى أهل الصفة وأعلى منزلتهم فتحدث عنهم في القرآن بأطيب الحديث ونعتهم بحميد الصفات اقرأ : ـ ان شئت ـ قوله تعالى : (**للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافا وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم**) البقرة / ٢٧٣ .

فقد جمعت هذه الآيات صفات خمس وصفت بها أهل الصفة اشتملت على فضائلهم ونوهت على جميل صنعهم ورضا ربهم عنه وعنهم . وهذه الصفات هي : ـ

* « الاحصار في سبيل الله » والاحصار في اللغة أن يعرض للرجل ما يحول بينه وبين سفره من مرض أو كبر أو عدو أو ذهاب نفقة أو ما يجري مجرى هذه الأشياء . وهؤلاء كانوا قد حصروا أنفسهم ووقفوا على الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أصابتهم الجراحات فصاروا زمنى فأحصرهم المرض والزمانة عن الضرب في الأرض فهم في وقت الجهاد وقفوا أنفسهم على الجهاد وفي وقت السلم اشتغلوا بذكر الله وطاعته وعبوديته وكأن استغراقهم في تلك الطاعة أحصرهم عن الاشتغال بسائر المهمات .

* والصفة الثانية هي قوله تعالى في حقهم : ﴿ **لايستطيعون ضربا في الأرض** ﴾ وعدم استطاعتهم إما أنها ناشئة عن اشتغالهم بصلاح الدين وبأمر الجهاد أو بسبب مرضهم وعجزهم الذي يمنعهم عن الاشتغال بالكسب والتجارة . وأيا ما يكن فقد كانوا في عجزهم أو انشغالهم راضين غير كارهين أو ساخطين .

* والصفة الثالثة : قوله تعالى : ﴿ **يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف** ﴾ والجهل هنا ليس المقصود به الجهل الذي هو ضد العقل وانما الجهل الذي هو ضد الاختبار أي يحسبهم من لم يختبر أمرهم أغنياء من التعفف عن السؤال لاظهارهم التجمل وتركهم المسألة .

واذا كان الاحصار والقعود عن الضرب في الأرض بالنسبة لأهل الصفة صفات اضطرارية لا يستطيعون لها دفعا أو صرفا وانما امتدحهم الله بها لرضاهم بها وعدم تبرمهم منها وصبرهم عليها والصبر نصف الايمان لما جاء في قوله تعالى : ﴿ **وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر** ﴾ العصر/٣ فان هذه الصفة الثالثة وهي ترك المسألة صفة اختيارية بمعنى أنه كان في استطاعتهم أن يتكففوا وأن

يسألوا الا أنهم اذ تركوا ذلك فدينا وايمانا ورضا وقناعة ومن ثم فان هذه الصفة ربما كانت أعظم صفاتهم وأوجبها وأجدرها استحقاقا للتكريم والتقدير أو قل ـ ان شئت ـ انها جماع صفاتهم .

* والصفة الرابعة قوله تعالى : « تعرفهم بسيماهم » والسيما هي العلامة التي يعرف بها الشيء وسيماهم كما قال مجاهد الخشوع والتواضع ، وقال الربيع بل هي أثر الجهد من الفقر والحاجة ، وقال الضحاك هي صفرة ألوانهم من الجوع وقيل هي الرهبة تقع في قلوب الخلق فتجعل كل من يراهم يتأثر منهم ويتواضع لهم . وقيل هي أثر السجود في الصلاة « سيماهم على وجوههم من أثر السجود » .

أما الصفة الخامسة فهي قوله تعالى في حقهم: **(لايسألون الناس إلحافا)** وهي ذات صلة بالصفة الثالثة التي جاء فيها « يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف » عن ابن مسعود رضي الله عنه "إن الله يحب عبده المؤمن الفقير المتعفف وإن الله ليبغض الفاحش البذيء السائل الملحف الذي ان أعطى كثيرا أفرط في المدح وان أعطى قليلا أفرط في الذم" رواه ابن ماجة والترمذي ، وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم :"لا فتح عبد باب مسألة الا فتح الله عليه باب فقر ، ومن يستغن يغنه الله ، ومن يستعفف يعفه الله تعالى لأن يأخذ أحدهم حبلا فيحتطب فيبيع بمد من تمر خير له من أن يسأل الناس" رواه الترمذي ، وليس المقصود من قوله لا يسألون الناس الحافا وصفهم بأنهم يسألون ولكن لا يلحفون وذلك لأنه وصفهم قبل ذلك بأنهم يتعففون عن السؤال بل المراد أنهم لا يسألون البتة وذكر الالحاف هنا لينبه على سوء طريقة من يسأل الناس الحافا .

والاسلام يكره للمرء أن يسأل ويتكفف الناس ويكره أيضا أن يرد السائل محروما ، فهو كما ينهى عن السؤال والتكفف يدعو الأغنياء أن يعطوا من يسألونهم ، وأراد الاسلام من هذا الموقف المزدوج الحفاظ على كرامة الانسان وصون ماء وجهه ، فهو اذ يكره للمرء أن يسأل انما يكره له ذلك لكي يحفظ عليه ماء وجهه وهو اذ يحث المسئول أن يعطي انما يحثه لكي يحفظ على أخيه حياءه وكرامته فالموقف وان كان مختلفا الا أن الغاية واحدة وهي الحفاظ على كرامة الانسان .

وقد رسم الرسول صلى الله عليه وسلم للمسلمين المنهج القويم لمعالجة مثل هذه المواقف ، وبـين ما ينبغي أن يفعله ذوو الحاجة لسد حاجتهم ، وما ينبغي أن يفعل معهم ، عندما جاءه رجل يسأل العطاء فسأله صلى الله عليه وسلم أما في بيتك شيء ، فقال : « بلى حلس نلبس بعضه ونبسط بعضه وقعب نشرب فيه من الماء ، قال : ائتني بهما ، فأتاه بهما ، فأخذهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال :

من يشتري هذين ؟ قال رجل : أنا آخذهما بدرهم ، قال سول الله صلى الله عليه وسلم : من يزيد على درهم ؟ مرتين أو ثلاثا قال رجل : أنا آخذهما بدرهمين ، فأعطاهما إياه وأخذ الدرهمين فأعطاهما الأنصاري ، وقال اشتر باحدهما طعاما فانبذه إلى أهلك واشتر بالآخر قدوما فأتني به فشد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عودا بيده ، ثم قال : اذهب فاحتطب وبع ولا أرينك خمسة عشر يوما ، ففعل فجاء وقد أصاب عشرة دراهم فاشترى ببعضها ثوبا وببعضها طعاما .

فقال صلى الله عليه وسلم ان هذا خير من أن تأتي المسألة نكتة سوداء في وجهك يوم القيامة ، ان المسألة لا تجوز الا لذي فقر مدقع أو لذى غرم مفظع أو لذى دم موجع" رواه الترمذي ، وأراد الرسول صلى الله اليه وسلم بهذا أن يعلمنا أن العمل ولو كان حقيراً أو بسيطا خير من سؤال الناس .

هذا وقد تحدث القرآن الكريم عن أهل الصفة في موضع وعاتب في بعض المواضع - عتاب الحبيب لحبيبه - نبيه بشأنهم في قوله تعالى :**(ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين)**

روي ابن جرير عن ابن مسعود قال : مر الملأ من قريش برسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده صهيب وبلال وعمار وخباب وغيرهم من ضعفاء المسلمين فقالوا يا محمد : أرضيت بهؤلاء من قومك ؟ أهؤلاء الذين من الله عليهم من بيننا ؟ أنحن نصير تبعا لهؤلاء ؟ اطردهم ، فلعلك ان طردتهم نتبعك ، فنزلت هذه الآية : **(ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه).(وكذلك فتنا بعضهم ببعض)إلى آخر الآية** الانعام/٥٢/٥٣ ، وقال ابن أبي حاتم عن خباب في قول الله عز وجل « ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى قال : جاء الأقرع بن حابس التميمي ، وعيينة بن حصن الفزارى فوجدا رسول الله صلى الله عليه وسلم مع صهيب وبلال وعمار وخباب قاعدا في ناس من الضعفاء من المؤمنين ، فلما رأوهم حول النبي صلى الله عليه وسلم حقروهم من نفر في أصحابه فأتوه فخلوا به وقالوا إنا نريد أن نجعل لنا منك مجلسا تعرف لنا به العرب فضلنا فإن وفود العرب تأتيك فنستحي أن ترانا العرب مع هذه الأعبد ، فإذا نحن جئناك فأقمهم عنا ، فإذا نحن فرغنا فا قعد معهم إن شئت ، قال « نعم » ، قالوا : فاكتب لنا عليك كتابا قال : فدعا بصحيفة ودعا عليا ليكتب ونحن قعود في ناحية ، فنزل جبريل فقال « ولا تطرد الذين يدعون ربهم » الآية ، فرمى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصحيفة من يده ، ثم دعانا فأتيناه ، وقال سعد نزلت هذه الآية في ستة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، منهم ابن مسعود قال : تدنى هؤلاء دوننا ، فنزلت : « ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي » رواه الحاكم وقال

على شرط الشيخين وأخرجه ابن حبان في صحيحه .

ونقل أن أولئك الفقراء كلما دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الواقعة كان يقول مرحبا بمن عاتبني ربي فيهم . وهذه القصة شبيهة بقصة نوح عليه السلام اذ قال له قومه : **(قالوا أنؤمن لـك واتبعك الأرذلـون)** الشعراء/ ١١١ ، فأجابهم نوح عليه السلام :**(وقال وما علمي بما كانوا يعملون . إن حسابهم إلا على ربي لو تشعرون)** الشعراء/ ١١٢ و١١٣ ، وعنوا بقولهم الأرذلون الحاكة والمحترفون بالحرف اليدوية .

هذا وينبغي أن يعلم هنا أنه ليس في امتداح القرآن لأهل الصفة أن الاسلام يمتدح الفقر ويدعو اليه بل هو فقط يدعو الى الرضا به والصبر عليه ان وقع وكان لامناص منه ، والا فان الاسلام كثيرا ما حض على العمل وعلى كسب الرزق ودعا الى السعي:**(فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور)** الملك/ ١٥

ولا يظنن ظان أن دعوة الاسلام الى الزهد في الدنيا هي دعوة الى الصيرورة الى الفقر لأن الاسلام لم يدع الى الزهد في الدنيا الا بمقدار ما يحفظ على الانسان دينه وآخرته والا فانه حث على العمل للدنيا وكأن الانسان يعيش فيها أبدا وللآخرة وكأن الانسان يصير اليها غدا .

وكما لم يدع الاسلام الى الصيرورة الى الفقر فانه لم يدع ايضا الى الاستكانة اليه وانما حث المسلمين على التخلص منه بالعمل والسعي ولنا فيما أوردناه من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم آنفا خير مثال وقد روي عن علي رضي الله عنه أنه قال : « لو كان الفقر رجلا لقتلته » .

وأخيرا فكما أن الاسلام لا يدعو الى الفقر ولا يدعو الى الاستكانة اليه فانه أيضا لا يرضي أن تكون وسيلة المرء للخروج من فقره هي التكفف والسؤال . فقد نهى صلى الله عليه وسلم عن السؤال وأخبر أنه مما تسود به الوجوه يوم القيامة . ولم يبح السؤال الا في حالات ثلاث هي الفقر المدقع الذي لا يملك معه الانسان نقيرا ولا قطميرا فله أن يسأل ابقاء على حياته . والغرم المفظع أي الدين الذي يعجز عن أدائه والذي يقول عنه صلى الله عليه وسلم إنه مذلة بالنهار وهم بالليل والذي كثيرا ما كان يستعيذ منه . والدم الموجع وهي أن تكون عليه دية أو أرش ، جناية يعجز عن آدائها فعند ذلك تحل المسألة وتقدر بقدرها .

وفي ختام كلمتنا لا يسعنا الا أن نبشر الفقراء الصابرين بما بشرهم به الرسول صلى الله عليه وسلم فيما روي عنه : أبشروا يا صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل الأغنياء بمقدار خمسين ألف سنة ..



نظرة اقتصادية :

الاسلام : لقد كان الاسلام نظاما فريدا ومتميزا عن غيره ، فلم يكن متطرفا في شيء ، كما فعلت الاشتراكية مثلا في الغائها للدوافع الفطرية لدى بني الانسان ، والرأسمالية في تغاضيها عن الربا والاحتكار ووسائل الكسب غير المشروع .
بل كان نظاما وسطا ومعتدلا فهو على سبيل المثال أعطى الفرد الحق والحرية في الملكية الشخصية الا أنه قيدها بقيود قانونية خارجية رسمية وقوانين أخلاقية داخلية ووظائف اجتماعية لخدمة المجتمع خوفا من طغيانها . الهدف منها عدم احتكار الثروة بيد فئة معينة ومميزة عن الاخرين ، بل لاجل ان يبقى متداولا بين الجميع لخدمة الكل بدون استثناء بغض النظر عن اللون او الجنس أو العرق أو الطبقة .

فنظرة الاسلام الاقتصادية باختصار ، هي الرابطة بين المصلحة الفردية والمصلحة الجماعية ، وثيقة من حيث فطرتها فمن الواجب ان تكون بينها الموافقة والمعاونة لا المزاحمة والمصادمة ... والنظام الاقتصادي في الاسلام يعمل على اسعاد المجتمع بكامله فسعادة الافراد ورفاهيتهم سعادة للجماعة والمجتمع ورفاهيته ، وهناك تناسب متزن وسليم بين أثرة الافراد وايثارهم كما يقول المودودي .

بين الرأسمالية والشيوعية

للاستاذ / محمود قظام

وغاية النظام الاقتصادي في الاسلام ان لا تجتمع الثروة بيد فئة احتكاريه مستغلة متكرشة ، بحيث تحبسها عن أفراد المجتمع المغلوبون على أمرهم ، وبحيث تصبح في غضون أشهر بسيطة من أصحاب الملايين ، والبقية الباقية من المجتمع لا تجد لقمة الخبز تسد بها غائلة الجوع الناجم عن تحكم واستغلال وجشع فئة المحتكرين والمرابين ، الذين لا هم لهم سوى جمع الثروة وتكديسها وخزنها وكنزها وحرمان بقية المجتمع منها وفي المقابل لا يبغي الاسلام من نظامه الاقتصادي ان يقيم مساواة مستحيلة وخيالية ، تقوم على مسرح اليوتوبيا بالقسر والارهاب والعنف رغما عن دوافع الانسان الفطرية وتحديا لسنن الكون وحقيقة التفاوت بين الناس في كل المجتمعات وفي كل الازمان والاوقات .

فالاسلام يحاول ان يتوسط بين الاثنين بين هذا الافراط وذاك التفريط ، ليستوفي الحاجات الاقتصادية لأفراد الجماعة .

فاذا عمل الفرد على اكتساب المال بطرق مشروعة واقتنع باكتسابه لهذا المال ضمن حدوده الفطرية وبدون ان يلحق الضرر بالآخرين مع العمل على مراعاة الاقتصاد والتكافل في انفاقه ، لا يمكن ان يتفشى بالنتيجة الاختلال الاقتصادي الذي يطبع المجتمع الرأسمالي بطابعه المميز والواضح كما نشاهده اليوم في المجتمع الغربي كانتشار البطالة والتضخم والتذبذب في سعر الدولار وفي سعر المارك وجنون الذهب . الى غير ذلك من مظاهر تعبر تعبيرا صادقا عن الاختلال

الاقتصادي في بيوتات الرأسمالية الكبيرة .

الرأسمالية : هي نظام اقتصادي اجتماعي سياسي ، ظهر في المجتمع الغربي وبالتحديد في انجلترا . وتنطلق من مبدأ ينادي بالحرية وبالعمل ـ دعه يعمل او اتركه يعمل ـ وهي تقوم على أساس ان الفرد هو المالك الوحيد لما يكتسب وأحقيته اكثر من غيره في الحرية والتصرف فيما يشاء كما ان من حقه احتكار وسائل **الانتاج لما فيه خيره ومنفعته ومصلحته الشخصية بالدرجة الاولى** .

بمعنى ان الاثرة هي الاساس في الرأسمالية ، فالفرد هنا فوق الجماعة فالمجتمع يضحي بالجماعة لمصلحة الفرد وخدمته ... وكأن الشعار السائد هنا هو لا يضر ان يموت االجميع ويبقى الفرد هو المالك الوحيد لوسائل الانتاج بمعنى ليحترق العالم بمن فيه وأعيش على اشلائه اللهم نفسي وليذهب الآخرون الى الجحيم ... هكذا هي الرأسمالية .

ومن مرتكزات الرأسمالية المنافسة والاحتكار والتعامل بالربا ووسائل الكسب غير المشروع كالرشوة والقمار وغيرها والشركات المساهمة ... والتعامل بنظام التأمين .

ومن ابرز منظري الرأسمالية « آدم سميث » الذي يعتبر من مؤسسيها . وقد نشأت الرأسمالية حسب ما يرى كارل ماركس في نظريته المادية الديا لكتيكية أو الجدلية نتيجة عوامل تاريخية وموضوعية نشأت عن النظام الاقطاعي الذي تمثلت فيه طبقتان متميزتان هما : طبقة الفلاحين أو الخدم ، وطبقة النبلاء .

فالفلاحون في بداية الامر يتعاونون مع الاقطاعيين تعاونا اجباريا بسبب الحاجة للحماية التي يوفرها النبلاء ، والنبلاء بحاجة الى الفلاحين من أجل فلاحة وزراعة الارض ، ولكن في فترة ما يشعر الفلاحون بانهم مستغلون من قبل النبلاء ومن ثم يثورون لتغيير الوضع القائم الى الاحسن . نتيجة لهذا العامل التاريخي والوضع القائم المتمثل في وضع الفلاحين المستغلين تحصل ثورة وحاصل جديد بالنتيجة النظام الرأسمالي وهو نظام ـ أي الرأسمالية ـ اجتماعي يحمل بذور فنائه في طياته كما يرى ماركس .

مأخذ على الرأسمالية :

* يقول سيموندي ان الاقتصاديين أنصار مذهب الحرية قد ضلوا غاية علم الاقتصاد والتي تتوخى في الحقيقة تأمين الرفاهية في تنمية الانتاج وزيادة الثروة فقط كما توهموا ، فهم ينظرون الى استعمال الآلة على أنه حدث اقتصادي سعيد ، يساعد على الاكثار من الانتاج بسعر رخيص ويخفف من تكاليف الطبقة العاملة .
* لم تهتم بمصير الطبقة العاملة التي حلت محلها الآلة ولا بالبؤس الذي يخلفه استعمال الآلة في المجتمع .

* المزاحمة بين المنتجين تلك المزاحمة التي يقول اندرسون بانها تضمن فوز الاصلح وبقاءه ، ويؤكد سيموندي بان المؤسسات التي تخسر معركة المزاحمة ليست حتما بالمؤسسات التي يعجز أصحابها عن ادارتها الحسنة وبشكل اقتصادي ناجح بل ان المؤسسات التي تقضي عليها المزاحمة غالبا ما يكون أفلاسها ناشئا عن ان أصحابها هم من ذوي الضمير الحي أو المتدينين أو ذوي العواطف الانسانية .

* قانون التوازن العفوي الذي لا يتم بصورة عاجلة بيوم وليلة بل لابد من مهلة يبقى العامل خلالها في البطالة والحرمان والقانون العفوي يقول من ان الآلة التي حرمت الفرد من عمله هي التي خلقت له عملا آخر جديدا بدلا عنه .

الاشتراكية : تعتبر الاشتراكية كمرحلة اولى للشيوعية ، هي الوريثة الشرعية والحتمية لمختلف الانظمة الاجتماعية والدينية والاقتصادية والسياسية في العالم . حسب ما يرى ويفسر« حاخاميها » الكبار وهي بتعريف آخر نظام اجتماعي اقتصادي سياسي وايديولوجي ، ظهرت أول ما ظهرت بشكل بارز بعيد الثورة البلشفية في روسيا القيصرية مع ان مؤسسها ومنظرها الاكبر كارل ماركس وجد قبل ذلك بكثير . «

ويؤكد كرادلة الشيوعية على حتميتها من خلال دورة عجلة التاريخ فبعيد انزواء الرأسمالية وهزيمتها عالميا ستكون هناك الاشتراكية وبعد الاشتراكية ستسود الشيوعية حيث يطغى الصراع الطبقي الذي كان موجودا إبان الرأسمالية . وفي ظل هذا النظام يضحى بالفرد في سبيل الجماعة والمجتمع ككل ، بمعنى المصلحة العامة اهم من الخاصة ، وبمعنى أخر لا يضر ان يموت البعض لكي يحيا المجتمع ويعيش . هذا بالطبع اذا أخذنا الفكر والنظرية الاشتراكية التي أبت ان تفارق طيات الكتب الا لماما وشتان ما بين النظرية والتطبيق .

وبالنسبة للموقع الجغرافي للشيوعية فهو يتمثل في الاتحاد السوفيتي ، الصين الشعبية ، وبلدان اوروبا الشرقية وهناك البانيا على الشاطيء الجنوبي لاوروبا وكوبا في عمق الاطلسي ، بالاضافة الى بعض الدول التي تسير في الفلك الشيوعي خصوصا بعض بلدان العالم الثالث .

كيف نشأت الاشتراكية ؟

تعتبر الاشتراكية هي المرحلة اللاحقة للرأسمالية والتي كان فيها طبقتان متميزتان ، أصحاب رؤوس الاموال وهم القلة ، والعمال وهم الاكثرية . والعمال هنا هم المنتجون ولكنهم مستغلون من قبل الرأسمالية ، وهذا في النهاية يقود الى قيام ثورة عندما يتهيأ لها الظرف التاريخي ، وهذه الثورة لمصلحة العمال ، والنتيجة لهذه الثورة الاشتراكية والتي تكون في بدايتها عبارة عن دكتاتورية اشتراكية ، وفي الاشتراكية هنا الواقع يمثل الاكثرية . والنقيض يمثل أقلية .

وينتج عن الصراع في الاشتراكية :

- النقيض .
- الاستغلال .

وعلى هذا الاساس من الاشتراكية تنشأ الشيوعية وشعارها - من كل واحد حسب طاقته ، ولكل واحد حسب حاجته - اذا تم هذا في الشيوعية ولم يعد هناك استغلال فلا ضرورة هنا للسلطة القائمة.اذن السلطة تنتهي في الشيوعية ويبدأ الناس يأخذون حسب حاجاتهم ويقدمون حسب طاقاتهم وماركس يقول : بان هذا الحدث يتم في كل امم الارض ، ولكن الاساس في هذا كله وفي نجاح الطبقة المستغلة هو الشعور بالطبقية ، اي ان كل المستغلين بالرغم من نوع عملهم يشعرون بأنهم طبقة واحدة .

والشيوعية حسب رأي اصحابها تعتبر النظام الاخير للبشرية وهي المؤهلة الوحيدة لاستمرارية الحياة .

مأخذ على الاشتراكية :

* اهمالها للجانب الروحي ، وتركيزها على الجانب المادي فقط . فنجد هنا ان كارل ماركس فيلسوف الاشتراكية ومنظرها الاول يحدد مطالب الانسان الاساسية كما جاءت بالبيان الشيوعي - المنفستو - بأنها « الغذاء والمسكن والجنس » وكأن الحياة أصبحت مقصورة على هذه الامور فقط .

* أعتبار العامل الاقتصادي الوحيد في التغييرات وفي التفسير المادي للتاريخ مع ان هناك عوامل أخرى كالفكر والدين وعوامل سياسية واجتماعية أخرى ذات تأثير مباشر في مجرى التاريخ .

- دكتاتورية البروليتاريا تؤدي الى انتقال المجتمع من ظلم طبقي الى ظلم طبقي آخر . فهي استبدال للاستغلال الموجود باستغلال آخر .

- إصرارها على الحتمية في كل شيء مع ان هناك أمورا انسانية لا حتمية فيها كما هو معروف .

- تحطم ظاهرة الجماعية التي نادت بها الاشتراكية حيث أنها تحطمت بشكل جزئي على يد ستالين .

- اهمالها واغفالها لدوافع الانسان الفطرية في تحريمها للملكية الفردية وفي هذا الصدد يقول العلامة والمؤرخ العربي ابن خلدون في مقدمته ان الانسان يولد وهو مزود بدافعين مهمين هما :

١ - حبه للمال .
٢ - حبه للسلطة .

وهذان الدافعان هما اللذان يقرران علاقة الانسان بالانسان والجماعة بالجماعة .

ـ فشل تنبؤات كرادلة الشيوعية وعلى رأسهم ماركس ، الذي تنبأ بخروج الشيوعية من المجتمع الصناعي كانجلترا مثلا مع أنها حقيقة خرجت من بلد زراعي كالصين وغير ذلك من تنبؤات كثيرة .
ـ التأميم الشامل أدى الى هبوط في الانتاج والى كارثة اقتصادية ، ويقول خروشوف في هذا الصدد !!
« ان البقرة التي يملكها صاحبها تدر من اللبن اكثر من البقرة التي تملكها الدولة » .
كما صرح خروشوف في مارس سنة ١٩٦٤ بأنه لابد من القضاء على فكرة المساواة في الاجور ، وأنه لابد من استغلال الحافز الفردي لزيادة الانتاج وان المزارع الجماعية ضعيفة المحصول .

الملكية : من الوجهة الرأسمالية اعتبرت مباحة وهي بمثابة حق مشروع لأي فرد يكد ويعمل ، وهذا بالطبع بحد ذاته ـ اعترافا صريحا بدوافع الانسان الفطرية ، كما عملت الرأسمالية على ايجاد وسائل عديدة لتكريسهــا وتثبيتها منها : المنافسة والاتجار ، والتعامل بالربا والاحتكار ، اللذان يعتبران الدعامتين الاساسيتين للنظام الرأسمالي ، الذي بهما تطغى الملكية ويحصل التضخم ، ولكن هنا تواجه بنقد وهو أنه قد تجد هنا فئة قليلة متكرشة أصبحت من اصحاب الملايين في فترة بسيطة والاغلبية كادحة ، أما من وجهة نظر الاسلام : فقد نظر اليها نظرة فريدة ومتميزة عن نظرة الاشتراكية والرأسمالية فقد أبقى الاسلام الملكية ولم يلغها واعتبرها حقا مشروعا للافراد ولكن في الوقت نفسه اعتبرها حقا فرديا ذو وظيفة اجتماعية وقيدها بقيود تمنع تضخمها وطغيانها .

ولذلك حرم الربا والاحتكار ووسائل الكسب غير المشروع من قمار ورشوة ، كما حرم كنز الاموال وفرض الزكاة ودعا الى التنمية الشاملة وبهذا الخصوص نجد الاحاديث النبوية تتعرض لهذه الدعوة . يقول النبي صلى الله عليه وسلم : « من أحيا أرضا ميتة فهي له » رواه احمد وابو داود ، كما حارب الاسلام الاقطاع حيث منع عمر بن الخطاب رضي الله عنه توزيع الاراضي على الجند الفاتحين خوفا من ان تتحول الى اقطاعيات واسعة لفئة قليلة ، وأبقاها ملكا للدولة عملا بالآية الكريمة : **(كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم)** الحشر / ٧ ، كما ان الاسلام بايجاده لنظام الارث التفت للملكية الفردية بين مجموعة من الافراد فالاسلام ابقى عليها باعتبارها دافعا فطريا لدى البشر ، ولكنه جعلها لمصلحة المجتمع ، كما ان الثروات العامة هي ملك للدولة حيث يقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم : « الناس شركاء في ثلاث في الماء والكلأ والنار » رواه ابو داود وابن ماجه واحمد .
اما بالنسبة للاشتراكية فالملكية الفردية معدومة وليست موجودة ، فالملكية عامة للدولة وهنا اغفال لدوافع الانسان الفطرية اثباتا لقول ابن خلدون السابق .

فملكية وسائل الانتاج هنا في الاشتراكية للدولة وليس للفرد .

الفرد :

في الرأسمالية : هو الاساس وهو المهم وهو عصب الحياة الرئيسي بالنسبة للمجتمع الرأسمالي ، فالفرد هنا يعيش وتموت الجماعة وقيمة العامل نفسه هنا وما يقدمه من خلال ذاته .

اما في الاشتراكية : فالفرد يذوب وينصهر في بوتقة الجماعة والمجتمع . فالمهم هنا هو الجماعة وليس الفرد وقيمته من خلال الجماعة والمجتمع الذي يعيش فيه .

واما في الاسلام : فقد نظر اليه نظرة متميزة واعتبره خليفة الله في الارض ، وهو الذي كرمه وفضله على العالمين في حين نجده في الرأسمالية مجرد آلة للانتاج وفي الاشتراكية مجرد ترس أو سن في دولاب الانتاج . وقد وازن الاسلام بين حاجات ومتطلبات الفرد المادية وتطلعاته الروحية .

الاسعار :

في الرأسمالية : يحددها ويتحكم بها التجار والمرابون الجشعون والاحتكاريون ، يرفعونها وقتما شاؤوا وحسب اهوائهم ورغباتهم الشخصية ، وليس بسبب أزمة في السوق او نقص في بعض الحاجيات في أغلب الاحيان ، وأحيانا تتدخل الدولة في توجيه حركة الاسعار ، اما عن طريق النقد وفقا لنظرية الكمية النقدية فتكثر او تقل من كمية النقد ليكون لذلك أثره في رفع الاسعار او تنزيلها ، واما عن طريق التأثير في الجهة الثانية من معادلة « فيشر » عن طريق التأثير في الاسعار نفسها ويتجلى هذا التدخل في تثبيت الاسعار وتحديدها بدفعها والنقد الموجه بينما في الاشتراكية : نجد ان الدولة هي التي تتحكم بالاسعار وترفعها وتخفضها وقت الحاجة والضرورة وحسب حاجات ومتطلبات المواطنين وبالطبع لكونها المالكة لوسائل الانتاج .

اما في الاسلام : فنجد الاسعار محددة بقوانين رسمية من الدولة وبقوانين أخلاقية من نفوس الافراد ، وهنا ترفع او تخفض بناء على ظروف وحاجات اضطرارية ولكن يتوخى منها دائما مصلحة المواطنين بالدرجة الاولى . وهذا يعود بالطبع لأخلاقية الاسلام في التعامل ، فالغش معدوم ، والتعامل بالربا غائب فالمثل والاخلاق والامانة هي الاساس في التعامل .

المنافسة :

في الرأسمالية : موجودة بشكل كبير جدا ، فهي احدى الدعامات والمرتكزات الاساسية للرأسمالية ، وهي هنا ليست مقصورة على نوع واحد . كما انه لا تتحقق قوانين العرض والطلب الا في سوق تسودها المنافسة الحرة ، اي في سوق خالية من كل أثر من آثار الاحتكار .

اما في الاشتراكية : فلا توجد منافسة فالكل هنا مؤمن بالحاجات الضرورية

التي حصرها ماركس اذن لا ضرورة لوجود المنافسة وطالما ان الملكية هي للدولة فلا داعي للمنافسة .
اما في الاسلام : فهي موجودة ولكنها مقصورة على المنافسة الشريفة كاحدى الدوافع الاجتماعية والنفسية اللازمة للانسان ، كي يصل الى ما يريد ، ولكن بطرق مشروعة .

التكتلات العمالية والنقابات :

في الرأسمالية نجد منشؤها الاساسي ، وذلك بسبب الحرمان الذي يعاني منه الكثيرون بسبب الاستغلال من قبل فئة قليلة متكرشة تملك الملايين ، بينما الاكثرية الكادحة والمسحوقة والفقيرة معدها خاوية . فالامر هنا طبيعي ان تنشأ للدفاع عن حقوق العمال والسهر على مصالحهم ومتابعة قضاياهم لدى أصحاب رؤوس الاموال .

اما في الاشتراكية : فلا وجود لها لكون كل شيء بيد الدولة والعدالة الاجتماعية والمساواة بين الجميع وبسبب الوعي الطبقي كما يقول منظروا الاشتراكية هو السائد والقائم .
وطالما لا يوجد حرمان اذن لا داعي لوجود مثل هذه التكتلات ، فالدولة هنا هي التي تعمل لهم كل شيء ، وتؤمن مطالبهم وحاجاتهم .

اما في الاسلام : فلا نجد أثرا لمثل هذه التكتلات بسبب العدالة الاجتماعية السائدة ، وتكافؤ الفرص وقلة عدد الفقراء وعدم الاستغلال وانعدام الحرمان والاخوة الاسلامية السائدة بين الجميع : « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد : اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » رواه احمد ومسلم .

الاضطرابات :

في الرأسمالية : نجد ميدانها الرحب والواسع بسبب الحرمان الناتج عن طغيان الملكية الفردية ، الذي يؤدي بالتالي الى اضطهاد بعض العمال مما يسبب الاضطرابات كظاهرة تململ واضطراب تعبيرا عن عدم الرضا والشعور بالحاجة لحل مشكلة ما .

اما في الاشتراكية : فلا توجد اضطرابات ، والسبب ان الدولة هي صاحبة الملكية وهي التي تعمل على توفيرالحاجيات للمجتمع كما تشرف على حالة العمال

ككل ، وبسبب انعدام الحرمان وانعدام الاختلافات بين الفئات العمالية ، فلا حاجة هنا للاضطرابات .

اما في الاسلام : فلا يوجد اضطراب لأن العدالة الاجتماعية محققة ، وقضاؤها على الفقر ومنعها للتضخم والاثراء الحرام على حساب الجياع ، يؤدي بالتالي الى اشباع حاجات الجميع ، مما يؤدي الى انعدام الاضطراب ، الذي ينشب بسبب الظلم والحقد الاجتماعي لدى البعض ، وهذا غير موجود في الاسلام .

التأميم :

كلمة مشتقة من الأمة وتأميم مؤسسة يعني نقل ملكيتها من الافراد الى الأمة .

في الرأسمالية : لا يوجد تأميم بسبب الاهتمام بالمصالح الفردية وشرعية الملكية الفردية ، اما في الاشتراكية : فهو موجود لكونه الاساس الذي تقوم عليه الاشتراكية . أما في الاسلام : فقد جمع بين التأميم والملكية الخاصة ، فهو الوسط لهذين النظامين . فالتأميمفي الاسلام يكون في الثروات العامة ، حيث يقول النبي محمد صلى الله عليه وسلم : « الناس شركاء في ثلاث في الماء والكلأ والنار » .

الدعاية والاعلان :

في الرأسمالية : موجودة لكونها وسيلة أساسية للترويج والربح في ظل تنافس السلع وتواجد الشركات .

اما في الاشتراكية : فهي غير موجودة لكون النظام الاقتصادي هنا مسير من قبل الدولة ، ولا يوجد تنافس ، ولكون الملكية عامة ، فلا مجال للاعلان والدعاية لتحقيق المكاسب والمرابح الذاتية ، وهذا بالطبع على الصعيد الداخلي ، اما الخارجي فتوجد دعاية على أساس نشر الفكر والمبدأ عالميا .

اما في الاسلام : فانه يعتمد على الدقة في العمل والاتقان وعلى المنافسة الشريفة في العمل وفي ترويج السلع والمنتجات .

المخاطرة الاقتصادية :

في الرأسمالية : موجودة بسبب الملكية الفردية غير المضبوطة بقوانين كما ان الاقتصاد هنا معرض للهبوط والارتفاع ، وهذا يعتمد على ما تلعبه هذه الملكية ، وللتوضيح هناك التضخم وانخفاض سعر الدولار في المجتمع الرأسمالي حاليا .

اما في الاشتراكية : فلا توجد بسبب ان البرامج الاقتصادية موضوعة من قبل الدولة المالكة لوسائل الانتاج كبرنامج كامل وغير مجزأ ومنظم من قبلها ، كما أنه لا توجد ملكية فردية حتى يكون هناك خوف عليها ، ولا توجد منافسة حتى تؤدي الى المخاطرة احيانا .

اما في الاسلام : فلا توجد مخاطر اقتصادية لكون الاسلام عمل على تحقيق العدالة الاجتماعية بين الجميع ، ودعا الى المنافسة الشريفة المنظمة بقوانين رسمية من الدولة وأخلاقية من قبل الافراد أنفسهم ، وتحريمه للربا والاحتكار وكنز المال ووسائل الكسب غير المشروع كالقمار والرشوة . وفرضه الزكاة كوسيلة للحيلولة دون حدوث الخلل في التوازن ونظام الصدقات .

التخطيط :

موجود في المذاهب الثلاثة ، ولكن الاختلاف في التطبيق والممارسة ، فالتخطيط موجود في الرأسمالية لدى الفرد في مشاريع معينه ، ويهدف الى الكسب المادي أولا بغض النظر عن الوسيلة المتبعة .

وفي الاشتراكية : موجود من قبل الدولة ويهدف الى رفع المستوى المعيشي للأفراد والجماعات والمجتمع بشكل عام .

اما في الاسلام : فهو موجود على صعيد الفرد والجماعة والمجتمع لاسعاد البشرية عامة . والتخطيط الجماعي بهدف الوصول وبطرق مشروعة الى المراتب العليا .

والافراد هنا ملتزمون بما هو في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة من أجل سعادة الدارين الدنيا والآخرة وهذا نلمسه من خلال ما جاء في الأثر « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا » .

الناتج الصافي :

موجود لدى الكل تقريبا إنما الاختلاف في الاستثمار وطريقتـه ، ففي الرأسمالية : عبارة عن زيادة رصيد لدى الفرد يكنزه ويستثمره لمشاريع جديدة وانتفاع قليل للدولة ولباقي فئات الشعب .

أما في الاشتراكية : فالناتج الصافي يستثمر في رفع المستوى المعيشي لجميع فئات الشعب وفي صرفه لانشاء مشاريع جديدة لقطاع الخدمات العامة .

وأما في الاسلام : فيستثمر لخدمة الفرد والجماعة والمجتمع وللصالح العام . ونظام الزكاة والصدقات أوضح مثال على هذا . كما حرم الاسلام كنز المال ليكون في خدمة المجتمع . قال تعالى : **(والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم)** التوبة / ٣٤ .

مائدة القارئ

هكذا الانسان

قال تعالى : « **ولئن أذقنا الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه انه ليئوس كفور . ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني انه لفرح فخور . الا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير** » الآيات من سورة هود

أقوام

قال النبي - صلى الله عليه وسلم - « **اني فرطكم على الحوض ، من مر علي شرب ، ومن شرب لم يظمأ أبدا ، ليردن علي أقوام أعرفهم ويعرفوني ، ثم يحال بيني وبينهم فأقول : انهم مني ، فقال : انك لا تدري ما أحدثوا بعدك ، فأقول : سحقا ، سحقا ! لمن غير بعدي** »، اخرجه البخاري .

عالم باللغة

يروى ان اعرابيا قدم المدينة المنورة في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسأل عمن يعلمه القرآن . فأقرأه رجل سورة « براءة » وتلا عليه قوله تعالى : « **ان الله بريء من المشركين ورسوله** » بكسر اللام في « رسوله » ، فقال الاعرابي : ان يكن الله بريء من رسوله فانا ابرأ منه !

فبلغ ذلك عمر بن الخطاب فدعا الاعرابي .. وعرف منه القصة فقال عمر : ليس هكذا يا اعرابي .. انما هي « **ان الله بريء من المشركين ورسوله** » .

فقال الاعرابي : وانا والله ابرأ مما برىء الله ورسوله منه .

فأمر عمر رضي الله عنه الا يقرىء الناس الا عالم باللغة . وامر ابا الاسود فوضع النحو .

اخي

يقول الشاعر هارون هاشم رشيد ..

اخي من نحن ان سرنا على الدنيا بلا وطن

وان عشنا على صدقات قاتلنا ، على المنن

وان جار على الاقداس عسف الظالم النتن

وان لم ننتفض للثأر رغم البؤس والمحن

غررت القوم

تزوج رجل قد خضب لحيته من امرأة شابة . وبعد ان تم الزواج ظهر ان الرجل كهل قد اخفى حقيقة سنه بخضاب لحيته ،

فقال أهل المرأة للحاكم : حسبناه شابا !

فأوجعه الحاكم ضربا وقال له : غررت القوم .

دعاء

اللهم لا تدعني في غمرة ، ولا تأخذني على غرة ، ولا تجعلني من الغافلين .

حكمة

المنع الجميل خيرمن الوعد الطويل .

نشر العلم

بعث عمر بن عبد العزيز ، يزيد بن ابي مالك ، والحارث بن محمد الى البادية ان يعلما الناس السنة ، واجرى عليهما الرزق ، فقبل يزيد ، ولم يقبل الحارث ، وقال : ما كنت لاخذ على علم علمنيه الله اجرا .

فذكر ذلك لعمر بن عبد العزيز فقال : لا نعلم بما صنع يزيد بأسا ، واكثر الله فينا مثل الحارث .

قد يكون الصمت افضل

تكلم رجل في مجلس الهيثم بن صالح ، فقال له الهيثم : يا هذا بكلامك رزق الصمت المحبة . وقد احسن الشاعر اذ يقول :

سأهجر ما يخاف علي منه
واترك ما هويت لما خشيت
لسان المرء ينبي عن حجاه
وعي المرء يستره السكوت

الخير والشر وأثرهما في بناء الانسان

للاستاذ / سليمان التهامي

ان الاخلاق هى التي تبني الانسان وتجعله قادرا على نفع ذاته ونفع المجتمع الذي يعيش فيه ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقا ، وخياركم خياركم لاهله » رواه أبو داود والترمذي .

ولكي يتصف الانسان بالاخلاق يجب أن يكون عاقلا مكتمل النضج والمعرفة لذاته ولمجتمعه ، والاديان عامل أساسي لبناء الاخلاق في الانسان ، وقد تدخل عوامل أخرى لتكوين البناء الاخلاقى في الانسان مثل المعرفة عن طريق التجربة في الحياة والاقتداء والتمثل بالفضائل التي يتميز بها الآخرون وكذا التلقين للطفل الصغير في الاسرة والمدرسة .

ولكن الاخلاق منبعها الدين ، فان الاديان لم ترد من الانسان الا ان يكون على خلق عظيم ، وعندئذ سيدرك وجوده ووجود الله ويكون مقتنعا عن طريق العلم بالاوامر التي يأمر بها الدين والنواهي التي ينهى عنها ، ومقتنعا بالحسن عارفا للقبيح .

عندما يتصف الانسان بالخلق القويم ، سيكون كل ما يصدر عنه محببا للآخرين من أبناء عشيرته ومناسبا للدين والشرع ، ولهذا لم يكلف الله الا الانسان العاقل ، لانه قابل للتطور الاخلاقي من القبيح الى الحسن ومن الانانية الذاتية والنرجسية النفسية الى الاتصال بالوجود عن حق وعلم ... وبالتالي التفاعل الايجابي مع الحق والاتجاه للأتصال بالله لمعرفته عن علم بعقله وجوارحه .

ولكن هل التكليف الالهي للانسان متوقف عند العلم بالتكليف دون النظر فيه ؟؟ ... وهل في هذه الحالة يكون الانسان قد قام بالامانة التي القاها الله عليه لعبادته وتعمير الكون ؟ ...

هناك اتجاهات فلسفية كثيرة في الاخلاق تبحث في هذا المجال ، فأحد الاتجاهات يقول : ان التكليف ليس هو العلم بالاوامر والنواهى فقط والا يكون الانسان آلة تنفيذ ليس له اختيار ، وليس له روح يشعر ويتذوق بها ... ولكن التكليف يكون بالنظر والاستدلال والمعرفة العقلية الواعية عن اقتناع ... قال تعالى : **(قل انظروا ماذا في السموات والأرض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون)** يونس / ١٠١ . وعن ابن عباس رضي الله عنه أن قوما تفكروا في الله عز وجل فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق فانكم لا تقدروه قدره » رواه أبو الشيخ .

يعني ذلك أن المشرع يتبع العقل ، فانك عندما تعلم وتستدل بعقلك ما هية الشر وماهية الخير ، وتقتنع أن الخير هو الطريق الامثل فانك ستنفذ الشرع الذي انزله الله عن اقتناع وليس عن خوف من عقاب أو غضب ، لان الله لا يريد أن يشقى الانسان بالفرائض ولا أن يعذب جسده وقلبه بالنواهي والزواجر ولكن الله لا يريد من الانسان الا ان يعرفه ويعلمه ويتجه اليه لانه هو وحده مصدر الخير المطلق والسعادة الابدية ، عن ابي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : قال الله عز وجل « أنا عند ظن عبدى بي وأنا معه حيث يذكرني والله ، لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالفلاة ، ومن تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا ، ومن تقرب الى ذراعا تقربت إليه باعا وإذا اقبل إلى يمشي اقبلت إليه أهرول » رواه مسلم واللفظ له والبخاري .

والله مستغن بذاته عن طاعات البشر قال تعالى : **(يأيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد)** فاطر / ١٥ .

ولكن من منا يسعى الى المعرفة والتعمق والأستدلال سوى قلة محظوظة تجد الطريق الحق !!!

وهل مشاغل الانسان اليومية وانغماسه في الحياة وصراعه الدائم للحصول على الماديات والتمتع بالشهوات تتيح له أن يفكر في التكاليف وماهيتها ومعرفتها معرفة حقة ؟؟

لهذا كانت الاديان اكثر واقعية وعلما وغوصا في حقيقة الانسان لانها صادرة

من خالق عالم بما خلق ، ... ولكن الاتجاهات الفلسفية تكون قاصرة على الادراك العام بالكون والمخلوقات ، ولذا فهى لا تقدم سوى ايضاح لاجلاء الغموض واللبث عنه .

ولكن هل تستطيع الفلسفةالأخلاقية وضع منهج يساير الازمنة المختلفة والاماكن المتعددة والشخصيات المتنافرة ؟؟

ان الله أمرنا أن ننظر ونتفكر ، ولكن قبل ذلك شرع الله لنا الشرائع وأمرنا بالواجبات ونهانا عن المنكرات ، لان الانسان ليس نموذجا واحدا ولكنه مختلف في الشكل والهيئة والعقل ، .. قال تعالى : (**يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساء لون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا**) النساء / ١ .

وقد لا يستطيع الوالد أن يفسر لابنه كل نصائحه وكل نواهيه لان الانسان يتطور بعقله مع السن والتجربة ، والله يعين الانسان على الطريق ، ويأخذ بيده كلما تقدم اليه ، ولكنه سبحانه عز وجل أمرنا أن نبدأ بالفروض والواجبات بعد الاقتناع بوحدانيته .

فقد قال الفلاسفة ان الانسان اذا فعل خيرا دون أن يكون مدركا له يكون غير مستحق للثواب لماذا ؟؟

لان الثواب يكون عن المعرفة والادراك وهذا الرأى يضع حصارا على الانسان ويقيد حركته في الحياة ، فقد أفعل الخير دون أن أدرك أنه خير فلماذا لا أؤوجر عليه بالثواب هذامناف للمنطق، فالانسان يتحرك في الحياة مع الآخرين وبهم وأفعاله تتغير وتختلف ، وقد يفعل الخير دون علم به ولكنه يستحق الثواب ، وقد يقوم الانسان بفعل الشر دون علم به ولا يستحق العقاب لعدم العلم به ، .... ولكن يجب أن يكون له عقاب فان علم الانسان يختلف بين شخص وآخر .

والثواب والعقاب جعلا لتسير الحياة والمعاملات بصورة غير مضطربة ولا مترددة .

ان سعينا نحو الاخلاق هو المبدأ الوحيد الذي ينمي الانسان عقليا وروحيا .

ومن أهم المبادىء التي يلتزم بها الانسان هي العدل كما قال المولى عز وجل : (**وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون**) الأنعام / ١٥٢ .

فالعدل محور ومركز الاخلاق ، والعدل اسمى صفة في الاخلاق ولكن العدل ليس فضيلة شخصية يتميز بها الانسان ، ولكنه فضيلة متعدية الى الغير .

وان كثيرا من الناس يستطيعون أن يكونوا فضلاء في حق أنفسهم ولكنهم غير أهل للفضيلة في حق الآخرين ، وذلك لأن هذه الفئة لا تمتاز بصفة العدل ... ويقول الفلاسفة ان الافكار الاخلاقية كلها متداخلة ولكن فكرة العدالة اصلحها ، لانها تؤثر في الانسان ويظهر أثرها في توازن المجتمع وتناسق الافعال بين الناس . عن معاوية - رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تقدس أمة لا يقضي فيها بالحق ، ولا يأخذ الضعيف حقه من القوى غير متعتع » رواه

الطبراني ورواته ثقات .

وهل نستطيع أن نقول إنّ الشر يحدث ليعقبه الخير ؟؟ وإن انسانا يقاسي في سبيل اسعاد الآخرين وتمتعهم ... هل هذا يكون اخلاقيا ؟؟

نقول ان ذلك ليس عدلا ولهذا لا يكون اخلاقيا ، ولكن العدل الآلهي يختلف ، فان الله له العلم والقدرة والمشيئة وهو يعدل بينهم وذلك ملكه وهو المتصرف فيه والمغير لاحواله ... وقد يخفى علينا أمرا وتحدث الانسان نفسه هل هذا العذاب الذي يقع على الغير عدل الهي ؟؟

نقول ان الله خير محصن لا يعذب ليثيب ولا يثيب ليعذب ، ولكن له حكمة تخفى علينا دائما ، وحكما الهيا لا تدركه العقول ... لان عقل الانسان ، وهو مصدر الاخلاق الاول ، ويتميز بمعرفته بالعدل ، قاصر عن ادراك علم الله وحكمته قال تعالى : **(وأن الله بكل شيء عليم)** المائدة / ٩٧ . ، ولكن لا نسيء الظن فيما نراه من شرور وعذاب دون علمنا بحقيقة الامور ونقول ان الله لا يعدل فالله يرى ما لا نراه ويعلم ما لا نعلمه ويسمع ما لا نسمعه ويعدل بما لا نعقله ، فلا يصح أن ننفي العدل عن الله لجهلنا به وننفي العدل عن انفسنا لعدم ادراكنا الكامل بالحياة ، ولكن علينا أن نعرف أن العدل هو اساس الاخلاق ، وأن هذه حقيقة قد تتأرجح حولها ظنون وشكوك وأوهام كثيرة ، فان العدل هو أنسب الصفات الالهية تعبيرا عن علاقة الله بالانسان ، ولا ننسى ان الله له المشيئة في العقاب والمغفرة ، وذلك لايماننا بوحدانيته وبتفضله بالخلق والحق والعدل .

وليس التفكير العقلاني هو الحل الوحيد للاخلاق وهو المنشيء لها ، ولكن هناك الاحساس القلبي والوجداني والمشاعر العميقة التي لا يدركها الانسان ولا يعرف كنهها ، واذا تمسكنا بالعقل وجعلناه اساس التكليف ، فذلك لان التكليف الالهي يحتاج الى العقل لادراك الحركات والافعال اللازمة للمكلف بالواجبات ، وبدون العقل لن يعي الفرائض ولن يقوم بها ، ولكن ليس العقل وحده هو أساس الاخلاق فبذلك نغفل السر الذي وضعه الله في الانسان وهو الروح .

ففي عصرنا الحديث لا نستطيع تكليف العقل الالكتروني بالصلاة أو بالفرائض الاخرى رغم تفوقه ، وذلك لأن التكليف يتطلب العقل والروح وكل ما أبدعه الله من أسرار لا نعلمها في الانسان .. ولا يمكننا أن نطلب كذلك من العقل الالكتروني أن يكون على خلق عظيم ، فالاخلاق لا تكون الا لمن يعي ويشعر ويحس ، فالتكليف الالهي لا يكون الا لمن يدرك ويعلم بوجود الله والاخلاق لا تكون الا لمن يدرك العدل ويستطيع أن يختار ويقارن ويخطىء ويعود الى الصواب ولهذا انزلت الاديان للانسان لتطوّره الى الخلق العظيم **ولا نقول** ان محمدا عليه الصلاة والسلام لم يصفه الله بالخلق العظيم الا لكونه نزل بآخر الاديان وأعظمها خلقا وعقلا ، لكننا نقول ان الله يعلم أن الرسول عليه الصلاة والسلام ذو خلق عظيم منذ الازل ولهذا كان صاحب رسالة الاسلام التي تريد من الانسان أن يكون على

خلق عظيم .

والاخلاق لا تتعارض مع العقل السوى وكذلك العدل لا يتعارض مع العقل .... اذ الاخلاق هي العدل .... ولكن عدل الله غير عدل البشر لأن الله منزه عن البشر ، وهو خالقهم ولذلك لا يصح أن نشك أو نسأل في عدل الله لأنه فوق مستوى ادراكنا .

ولكن كيف نقيم الانسان وكيف نعرف منزلته ؟

ان الخير الخلقي في الانسان ليس كافيا لمعرفة الانسان وتقديره حق قدره ، لان الانسان غير مرتبط بالحياة البشرية فحسب ، ولكنه جزء من الكون متفاعل معه ، ... اذ يتعذر قيام الخير الخلقي دون وجود الخير الطبيعي أو الفطري الذي يخلق به الانسان .

ولكن الانسان قبل أن يقبل التكليف أو يقبل أن يكون ذا اخلاق عظيمة وأن يكون عادلا يجب أن يعرف ويقتنع بتفسير واضح لوجود الشر في الحياة ... أو بمعنى أوضح لماذا اكون خيرا وكل ما حولي شرير ؟ هذا السؤال قد يطرحه الانسان على نفسه في طريقه الى المعرفة والعدل مع نفسه ومع الكون من حوله .

نحن نرى المرض والموت والدمار والجوع والفقر والقتل والشر والخطيئة يجتاح الحياة من حولنا ، ولا نستطيع صدها عنا ، فلماذا لا نكون كذلك أشرارا وقتلة ومدمرين ؟ .

ولماذا نسعى الى الخير ونقتنع به ونستسلم له مطمئنين ومصدقين ، ونفاسي في سبيل الخير والاخلاق والعدل الكثير ؟؟

ولماذا نكلف بالخير ولا نكلف بالشر ؟؟

ولماذا تحض الأديان جميعها على الخير وترفض الشر ؟؟

اختلف الفلاسفة والاديان في تفسير الشر وضرورته في الحياة ، وهل هو حق أو عبث .. فنجد أن المسيحية قالت ان الشر نتج عن خطيئة آدم الاولى لولا تدارك الله الانسان بنعمته الا وهي افتداء المسيح ، وبذلك حملت المسيحية لبني الانسان خطيئة آدم.

ومن الفلاسفة قوم لم يهتموا بتفسير وجود الشر ومنهم من اعتبره نقصا لازما لوجود الخير .. وقال آخرون ان العناية الالهية تسعى لتحقيق الخير للانسان بالضراء كسعيها لتحقيق الخير بالسراء ... ومن الفلاسفة من قال ان الكون له قوانين تحكمه ، وان الشر الخلقي والطبيعي جزء من قوانين الكون وأن الانسان يريد ان تسير الامور كما يشتهي دائما ... وهذه نظرة ضيقة لان الكون من صنع الله ، والله خير محض ولا يكون الشر جزءا من قوانين الكون بأى حال من الاحوال لان الله هو العدل ، والعدل لا يصدر عنه ضرر أو عبث .

ومن الفلاسفة من قال ان الشر لازم لحدوث الخير فالالم الناشيء عن الجراحة لازم لحدوث الشفاء ولذلك لا يحسن أن نترك الخير العميم من أجل شر قليل عارض .

ومنهم من قال ان الشر ناشىء من الخلقة الاولى وفساد الجوهر فينشأ النقص والتشوه ولا يرجع ذلك الى عقاب او حرمان الخالق مثل الاعمى الذي يولد أعمى ، فذلك ناشىء من فساد جوهره ، ولم يحرمه الله من البصر ، .... ولكن ذلك تفسير ضعيف لوجود الشر ، فنحن نرى كثيرا من العميان في خير وفير ومتعة في الحياة ، ولو كان جوهرهم فاسدا لصدر عنهم الشر والفساد .

وقال أهل السنة ان وجود الشر راجع لحكمة الله الخافية علينا فوجب التسليم بها ، ولكن اصحاب النظر العقلي ومنكرى الاديان لن يقتنعوا أبدا بذلك التفسير .

وهناك من قالوا ان الشر موجود ، ولكن الله لا يريد الشر الخلقي ؛ لان الانسان حر في ارادته أما سائر الشرور فانها لا تتنافى مع العدل ، ولكن الله لا يصيب شيئا بالشر من أجل العبث ، فذلك يتنافى مع حكمته وعدله ، ولكن لخير مستتر لا نعلمه لقصور علمنا ، أما الشر الذي ينتج عن ظلم الناس وأفعالهم الحرة عن أي قيد فذلك ليس من عند الله .

اذا الشر الطبيعي مرماه ليس فسادا من حيث لزومه لخير الانسان أما الشر الخلقي والمعاصي فهي موجودة بفعل الانسان ، أو بمعنى آخر فان الآلام والامراض ليست فسادا وان كانت شرا يصيب الانسان ، واذا كان نفع الامر اكبر مما يصيبنا فيه من ضرر فذلك خير من الله وليس فسادا ولا شرا محضا وان الله لا يفعل الشر لانه خير محض .

وقال آخرون ان ما يصدر عن الله من شر ليس فسادا ولا عبثا بل هو خير محض وليس ظلما للانسان ... وذلك غير جائز لان الله قادر على أن يفعل الخير المحض قال تعالى : (**ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء إنه بعباده خبير بصير**) الشورى / ٢٧ ، تدل الآية على أنه سبحانه ينزل من الرزق بقدر ما يعدلون به عن البغي . فالشر والخير والنقم والنعم تستوى من حيث صلاحها للانسان ذاته كما تستوى الرأفة والحزم من الوالد أيهما أصلح لتأديب ابنه . ولو كان العالم خيرا محضا لفسدت الارض ومن عليها ، وأصبح الناس في غنى عن السعي نحو الكمال والاخلاق والعدل كما يقول الله سبحانه وتعالى : (**ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون . ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون . وزخرفا وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين**) الزخرف / ٣٣ ـ ٣٥ . فدل ذلك على أن الناس لو وجدوا الكفر خيرا من الايمان لاتبعوا الكفر ولذا لا تكون الآلام الواقعة من قبله تعالى ظلما أو عبثا أو فسادا ، بل أنها صلاح للمكلفين ، فالنعم والنقم تدعو الانسان للتذكر والاعتبار .

ولا يعقل أن ينحرف الانسان عن الحق لانه عجز عن الصبر في الفتنة والبلاء ، لان الله لا يحمل الانسان على الطاعة بالقهر ولا يعقل أن يحمله على المعصية حتى يلجأ الى فعلها فذلك اختبار للاخلاق والعدل في نفس الانسان ولا يكون عبثا ، سبحانه انه الحكيم العليم .

مَا يَغْفِرُهُ اللّٰه..

الله سبحانه وتعالى باديء الكون وربه والمهيمن عليه والمدبر لشئونه ، يعلم ما في السماوات وما في الأرض ، ويعلم ما كان وما هو كائن وما سيكون ، ويعلم ما ظهر وما خفى ، لا ينازعه في ملكه أحد ، ولا يستعصى على الخضوع لنواميسه شيء .
فهو إذن يفعل ما يشاء ، ويقضي بما يريد .

والغفران شأن من شئونه ، فهو تعالى يغفر لمن يشاء ، ولا يغفر لمن يشاء ، لأسباب لا يعلمها سواه ، قال تعالى جلت قدرته : يخاطب النبي (صلى الله عليه وسلم) :

« **ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون . ولله ما في السماوات وما في الأرض يغفر لمن يشاء ويعذّب من يشاء والله غفور رحيم** » سورة آل عمران / ١٢٨ ، ١٢٩ .

ولقد وعد ـ ووعده الحق وقوله الصدق ـ بأن يتقبل توبة المذنب اذا ما تاب بعد ارتكاب ذنبه ، لأن ندمه وألمه وخوفه من عقاب الله تعالى دوافع ألزمته هذه التوبة ، فتاب قبل أن تستفحل المعصية ، قال تعالى : « **إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما** » سورة النساء / ١٧ .
وقال سبحانه وتعالى : « **والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا**

وَمَا لَا يَغْفِرُهُ

الأستاذ / حسين محمد مرسي طاحون

الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون . أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين » سورة آل عمران / ١٣٥ و ١٣٦ .

وقال الله تعالى : « ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم » سورة النحل / ١١٩ .

وقال الله تعالى : « والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون » سورة العنكبوت / ٧ .

وقال الله تعالى : « والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر كبير » سورة فاطر / ٧ .

وقال جل وعلا : « إن الحسنات يذهبن السيئات » سورة هود / ١١٤ .

وقال ـ صلى الله عليه وسلم :

« اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها .

وكان حديث علماء مصر لفرعون بعد أن تجلى لهم أن موسى عليه السلام مرسل

من ربه فآمنوا به ـ ناطقا بأملهم العظيم في عفو الله تعالى : « **إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى** » سورة طه /٧٣ .

وقالوا أيضا : « **إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا أول المؤمنين** » سورة الشعراء / ٥١ . كذلك كان حديث الجن المؤمنين في قوله تعالى جل شأنه : « **يا قومنا أجيبوا داعي الله و آمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم** » سورة الأحقاف / ٣١ .

الجريمة الكبرى التي لا يغفرها الله تعالى

وأما الجريمة الكبرى والمعصية القصوى التي لا يغفرها الله تعالى فهي الاشراك به والاصرار عليه ، لأنه أم الكبائر كلها ، ولأن جميع الآثام تتضاءل دونه ، فان المشركين تمادوا في غيهم وضلالهم ومعصية ربهم ، وجحدوا ألوهيته ، وأنكروا فضله عليهم ، وعبدوا من دونه من لا يصح أن يعبد ، وما لا يصح أن يكون إلها ، فهم كما وصفهم القرآن الكريم افتروا على الله اثما عظيما ، وضلوا ضلالا بعيدا ، ولهذا استحقوا عذابا أليما ، ولن يغفر الله تعالى لأي مشرك ولو افتدى نفسه بملء الأرض ذهبا ، ولن يأذن لأحدهم بتقديم معذرة يوم القيامة .

قال سبحانه وتعالى : « **إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما** » سورة النساء / ٤٨ .

وقال تعالى : « **إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا** » سورة النساء / ١١٦ .

وقال سبحانه : « **إن الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم . وأولئك هم الضالون . إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا ولو افتدى به أولئك لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين** » سورة آل عمران ٩٠ و ٩١ .

وقال سبحانه وتعالى : « **إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق** » سورة البروج ـ ١٠ .

وقال عز وجل : « **إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا** » سورة النساء / ١٣٧ .

وقال عز وجل : « **إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم** » سورة محمد / ٣٤ .

وما من شك في أن المشرك الذي مات على شركه ، والمشرك الذي تكرر ارتداده وكفره واصراره عليه ليس من أهل التوبة ولا من أهل المغفرة ، ولا من المستحقين للطف الله تعالى ، وهو الذي جنى على نفسه ، اذ كفر بربه واستمسك بالكفر ، وكان الايمان ميسرا له وسهلا عليه .

وسيجد المشركون أنفسهم منبوذين يوم القيامة ، فلا يطلب منهم أن يعتذروا

عن كفرهم ، ولا يؤذن لهم أن يعتذروا ، لأن عذرهم باطل ، ولأن الآخرة ليست دار توبة ولا عمل ، سيجدون ذلك ويتحققون منه حينما يبعث الله نبي كل أمة ليشهد لها أو عليها بما أجابته في تبليغه عن ربه سبحانه وتعالى .

قال سبحانه وتعالى : « **ويوم نبعث من كل أمة شهيدا ثم لا يؤذن للذين كفروا ولا هم يستعتبون** » سورة النحل / ٨٤ .

وقال تعالى : « **هذا يوم لا ينطقون . ولا يؤذن لهم فيعتذرون** » المرسلات ٣٥ و ٣٦ .

وقال سبحانه وتعالى : « **ويوم يحشر أعداء الله الى النار فهم يوزعون** »

وقال عز وجل : « **فان يصبروا فالنار مثوى لهم وان يستعتبوا فما هم من المعتبين** » سورة فصلت ـ ٢٤ .

وقد ذكر ابن كثير أحاديث كثيرة في أن الله تعالى لا يغفر للمشرك ، منها قوله ـ صلى الله عليه وسلم : « **الظلم ثلاثة : فظلم لا يغفره الله ، وظلم يغفره الله ، وظلم لا يترك الله منه شيئا . فأما الظلم الذي لا يغفره الله فهو الشرك** ، وقال تعالى : « **إن الشرك لظلم عظيم** » سورة لقمان / ١٣ ، وأما الظلم الذي يغفره الله فظلم العباد لأنفسهم فيما بينهم وبين ربهم ، واما الظلم الذي لا يتركه الله فظلم العباد بعضهم بعضا حتى يدير لبعضهم من بعض » رواه الطيالسي وقوله : كل ذنب عسى الله أن يغفره الا الرجل يموت كافرا أو الرجل يقتل مؤمنا متعمدا (تفسير ابن كثير ـ ١ ـ ١/٥٠٨) .

ومن هذا يتبين أن الكفار اذا تابوا وآمنوا واتقوا فان الله تعالى يتقبل توبتهم كما وعد .

لكن توبة المشرك لا تقبل اذا مات على شركه ، ثم شاهد أهوال القيامة فتاب وطلب من الله تعالى أن يعيده الى الحياة ثانية ليصدق برسله ويطيعهم ، وهيهات ، قال تعالى جل شأنه :

« **وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما** » سورة النساء / ١٨ .

وقال سبحانه وتعالى : « **تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون . ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون . قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين . ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون . قال اخسئوا فيها ولا تكلمون** » سورة المؤمنون / ١٠٤ ـ ١٠٨ .

لا يغفر الله تعالى للعاصي الذي تمادى في عصيانه

كذلك لا يقبل الله تعالى توبة العاصي الذي تمادى في عصيانه ، فاذا ما كاد يلفظ

نفسه الأخير ليودع الحياة ندم وتلفظ بالتوبة وود لو تعود اليه الحياة ليؤمن ويتقي ويطيع ، لأن هذه توبة المضطر لا توبة النادم المنيب الى ربه عز وجل ، قال تعالى : **وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن** « سورة النساء / ١٨ .

وقال صلى الله عليه وسلم : « **إن الله ليقبل توبة العبد ما لم يفرغر** » الكشاف ١/٢٥٧ وتفسير ابن كثير ١/٤٦٣ .

وقد سئل الزمخشري هذا السؤال : من المراد بقوله تعالى : « الذين يعملون السيئات ؟ » أهم الفساق من المسلمين أم هم الكفار ؟

وأجاب بقوله : فيه وجهان : أحدهما أن يراد الكفار ، لظاهر قوله « وهم كفار » وأن يراد الفساق ، لأن الكلام انما وقع في الزانيين والاعراض عنهما إن تابا وأصلحا ويكون قوله « وهم كفار » وأرادا على سبيل التلفظ ، كقوله « **ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا** » آل عمران / ٩٧ ، لأن من كان مصدقا ومات وهو لا يحدث نفسه بالتوبة حاله قريبة من حال الكافر .

والرأي الثاني : الذي ذكره الزمخشري أرجح وأقرب ، لأن الآية الكريمة نفت قبول نوعين من التوبة : أحدهما توبة الكافر الذي أصر على الكفر طوال حياته ، ومات كافرا ، ثم حاول أن يتوب يوم البعث .

والآخر توبة المسلم العاصي الذي تمرد على الطاعة ، وقضى حياته مستهترا بشهواته ولذاته ، ورفض أن ينيب الى ربه عز وجل وهو في سعة من الوقت ومقدرة على الانابة ، فلما كانت بينه وبين الموت لحظات نطق بالتوبة .

لهذا كان من رحمته تعالى التي لا تحدها حدود أنه بعد أن نهى العصاة المسرفين في معاصيهم عن اليأس من مغفرته ، وبعد أن أمرهم بالانابة اليه وبطاعته ، بصرهم بما سيحدث منهم حينما يرون العذاب محدقا بهم ، فسيندمون أشد الندم على ما اقترفوا من آثام ، ولن يجديهم ندمهم شيئا ، وسيندمون أشد الندم على سخريتهم بالرسل وبما أنزل الله تعالى عليهم ، وعبثا يندمون ، وسيقول كل منهم لو أن الله تعالى أرشدني لأطعته ، وهو كاذب في قوله هذا ، لأن الله تعالى أرشده وحبب اليه الطاعة وبغض اليه المعصية ، وسيتمنى أن يعيده الله تعالى الى الحياة مرة ثانية ليطيعه ويعبده ، ولن يقع من هذا التمني شيء ، وعندئذ يكذبهم الله تعالى ، بأنه بعث اليهم الرسل ، وأنزل معهم الكتب ، ولكنهم كذبوا الرسل وعاندوهم وكفروا بما دعوهم اليه ، ولا مصير لهم الا جهنم ، على حين أن الطائعين جزاؤهم الجنة .

قال تعالى جل شأنه : « **قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم . وأنيبوا الى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون . واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون . ان تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله وان كنت لمن**

الساخرين . أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين . أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة فأكون من المحسنين. بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين . ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوهم مسودة أليس في جهنم مثوى للمتكبرين . وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون » سورة الزمر / ٥٣ ـ ٦١ .

اقتران الرحمة بالبأس

من صفات المولى عز وجل أنه رحيم ورءوف وعفو غفور ، ولكن من صفاته أيضا أنه قوي وعزيز وجبار ومنتقم وذو عقاب شديد .

لهذا اقتضت حكمته أن تتابع في كثير من الآيات القرآنية الكريمة التبشير برحمته والتحذير من نقمته ، حتى لا يتمادى ضال في غيه طمعا في الرحمة ، ولا يقنط عاص من مغفرة مرتعدا من عقوبة .

قال تعالى جل شأنه : « **اعلموا أن الله شديد العقاب وأن الله غفور رحيم** » سورة المائدة / ٩٨ .

فهو شديد العقاب لمن انتهك محارمه ، وغفور رحيم لمن حافظ عليها .

وخاطب النبي (صلى الله عليه وسلم) بأن يقول للمشركين واليهود ومن كذبوه إن ربكم واسع الرحمة ، ترغيبا لهم في اتباعه وفي ابتغاء رحمة الله ، وبأن يقول لهم إن بأس ربكم محيط بالمجرمين ، ترهيبا لهم من مخالفته وعصيانه ، قال تعالى : « **فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين** » سورة الأنعام / ١٤٧ .

وأنه عز وجل ليأخذ بالعنف والشدة والعقاب الشديد الجبابرة العتاة العصاة ، ويغفر الذنوب لمن تابوا اليه وخضعوا له ، لأنه رءوف رحيم يفعل بعباده الطائعين ما يفعل الودود بأحبابه ، قال عز وجل : « **إن بطش ربك لشديد . إنه هو يبدئ ويعيد . وهو الغفور الودود . ذو العرش المجيد . فعال لما يريد** » سورة البروج ١٢ ـ ١٦ .

وهكذا يقترن عقاب من لم يتوبوا برحمة الله تعالى ان تابوا ، ويقترن عذابه وغفرانه في آيات كثيرة ، كقوله تعالى : « **إن ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم** » سورة الأنعام / ١٦٥ .

للدلالة على سرعة عقابه لمن كفروا نعمته وخالفوا رسله ، وعلى سرعة مغفرته لمن قاموا بشكرها وأطاعوا رسله .

وقوله سبحانه وتعالى : « **وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب** » سورة الرعد / ٦ .

وقوله عز وجل : « **وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان** » سورة الحديد / ٢٠ .

في حب طه



مداح طه علا في مدحه شاني ... ورجح الحب والايمان ميزاني
مـداح طه كفـاني في محبتـه ... أن الطيور تغني فيه ألحاني
وطاوعتني بحور صرت أسبرها ... وبين أغوارها أغرقت شطآني
فأبحرت فوق أمواج الهوى سفنى ... والشوق زادي والاخلاص رباني
من المحبـة مِجْدافي وأدعيتي ... طوق النجاة وعين الله ترعاني
وفي مـدائحه رؤيـا تصاحبني ... ويسهر الحلم في أجفان نعسان

وفي روائحـه لي صحبة عجب ... من الورود بها جمّلت بستاني
وما أخذت بما عنه الزمان روى ... إلاّ اكتفيت بـه ريـا لظمـآن
بـذكره يستمـد القلب بهجته ... وأستعين على صبري وسلواني
وأستحب من الآثـار سيرتـه ... ومن بـلاغتـه اشتق تبيـاني
وأنتقى أسوتي ممن له انتسبوا ... ومن مريديه سماري وخـلاني
وغـير طلاّبـه لم أتبـع أبـدا ... من كان يهواه أهواه ويهواني
وبالصلاة عليه ضاء لي أمـل ... وأشرق الفجر في أعماق وجداني
وفي زيارته مـاء العيون همى ... فطهر التوب آلامي وأحـزاني
وسندس القبة الخضراء ظللني ... حتى حَمَام الحِمى بالشدو حياني
ملأت صدري أنساما معطـرة ... بالمسك فيها شذى عفو واحسان
كبّرت ما بـين مثواه ومنبـره ... فهامت الروح في رَوح وريحان
مددت كفي الى الرحمن أسأله ... فذقت خير الجنا من روضه الداني
أصغرت دنياي أم أكبرت جنته ... لما احتواني عبير منه روحاني
والنور يبهرني والأنس يحضرني ... والصفو يغمرني والحب رباني
يا غافر الذنب إني قد سعيت الى ... دار الشفيع فهل أحظى بغفران
ويا مدينـة هامت فيـك أفئدة ... بالأمس عدت وعاد اليوم تحناني
وفي مخيلتي طاف الخيال على ... نار خبت وعلى أطـلال ايوان
والعهد كان لقوم في ضلالتهم ... وجـاهليتـهـم عُبّـاد أوثـان
والعِرْض منتهك والبغض مشترك ... والأرض من وطئهم تغلى كبركان
وتحت أرجلهم موءودة سئلت ... بأي ذنب عليها قد جنى الجاني
حتى صحوا وابن عبدالله يرفعهم ... الى سـلام وإسـلام وإيمـان
هيهات يا قوم تجديكم حجارتكم ... فوحدوا الله رباً مـا له ثـان
آذوه حتى أراد الله هجرتـه ... وآثر البُعدَ عن أهـل وأوطان
ويـوم عادَ بنصر اللـه أمَّنَهم ... ـ يا للسماحة ـ في دار ابن سفيان
وشيـد المثَـل الأعـلى لأمتـه ... علـى هدى سنـة مثلى وقـرآن
أساسه العدل والتقوى منازله ... لا فرق ما بين أجناس وألوان
والمؤمنـون بـه عـزّت مكانتهم ... في كلّ معترك .. في كل ميدان
اللـه في مُحْكَم الآيات عظّمـه ... تكفي (على خلق) وصفاً لانسان
فان مدحت فاني قد سموت به ... حتى ولو قصُرت في المدح أوزاني
وللحبيب . ومن أرجو شفاعته ... وددت لو أنني أهديت ديواني

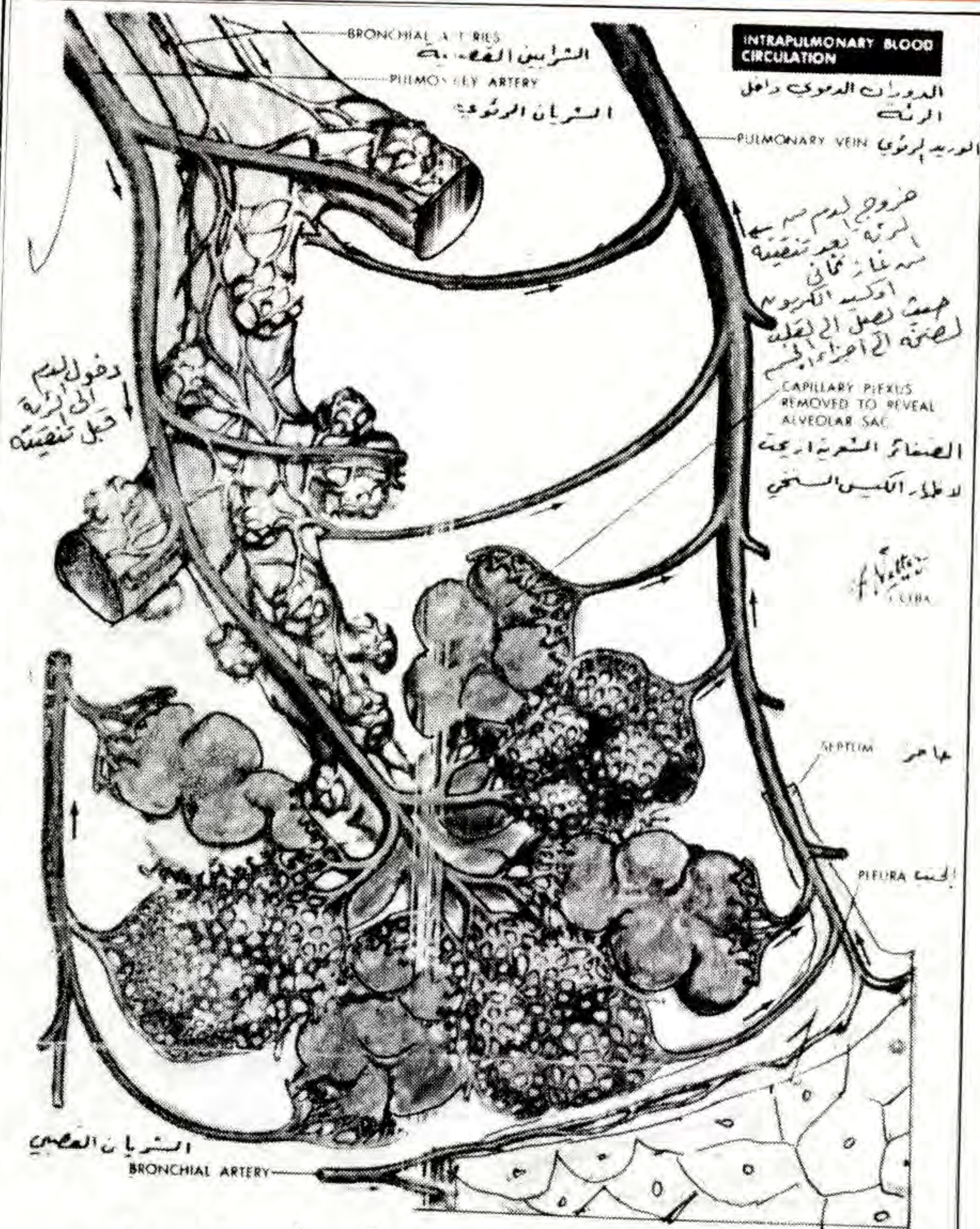
وفي أنفسكم أفلا تبصرون

الجهاز التنفسي

للدكتور / غريب جمعة

لاشك أن من يقرأ بتدبر وخشوع قوله تعالى :
(وفي الأرض آيات للموقنين . وفي أنفسكم أفلا تبصرون) الذاريات / ٢٠ و ٢١ .

يجد من النور ما يهتدى به في تجواله بين آفاق هذا الكون الفسيح وما يفتش به في خفايا الانسان جسما ونفسا باحثا في كل ذلك عن دلائل عظمة الله الباهرة وقدرته القاهرة ، والذي يصنع ذلك يحس كأن روحه تعرج في رحاب هذا النور الأسنى حتى تكون من الحضرة القدسية قاب قوسين أو أدنى ، وهناك تتنزل الرحمة ويتوارد العطاء ، وكأنها تعلم علم اليقين أو ترى رأى العين ما يجعلها تخر ساجدة لصاحب العظمة والقدرة ، ولكنها سجدة خضوع وخشوع ورغبة ورهبة وذلة وانكسار وضعف وافتقار . ولا تنتهي سجدة الا ويتجدد بعدها شوق ، فتعاود الروح العروج في رحاب النور القرآني وهكذا .. سجود يتجدد ولا ينتهي لأن منشأه رغبة في الله لا تبلى ورهبة منه لا تغنى ، وهو سبحانه الأول والآخر والحي الذي لا يموت . وليس كل من يقرأ القرآن يجد ذلك الاحساس المشرق لهذا اختص



الشبكة الشعرية السنخية لتصفية الدم

صورة معبرة عن معنى الشبكة الدموية السنخية حيث يتم تصفية الدم في ٧٥٠ مليون سنخ رئوي تفرش سطحا يصل الى حدود ٢٠٠ متر مربع ، في هذه البالونات الصغيرة يتم تبادل غازي مدهش ما بين طرح غاز الفحم (ثاني اكسيد الكربون) ومنح الاكسجين .

الله به الموقنين وحدهم حينما قال : **وفي الأرض آيات للموقنين** ..

وفي رحاب هذا النور القرآني ننظر الى واحد من أجهزة الجسم البشري ، وهو الجهاز التنفسي لنرى آثار عظمة الله الباهرة ورحمته الغامرة ، عسى أن نرتفع الى مرتبة الموقنين .. اللهم آمين .

التركيب التشريحي :

● - يبدأ الجهاز التنفسي بالأنف وهو يختص بالشم أيضا وله فتحتان خارجيتان « يمنى ويسرى » . يفصل بينهما حاجز غضروفي ، يعرف بالحاجز الأنفي وكلتا الفتحتين توصل الى فتحة الأنف الخلفية من جهة الحلق . وتتصل تجاويف الأنف بما يسمى الجيوب الهوائية . وأهمها : جيوب الجبهة والفك العلوي الجيوب الوتدية . الجيوب الم، فوية . « لا عليك أيها القارىء من هذه الاسماء » .

● - تنتهي فتحة الأنف الخلفية في البلعوم « الحلق » الذي يوصلها بالحنجرة ، وهي مكونة من مجموعة من الغضاريف ، ولها أربطة وعضلات ومبطنة بغشاء مخاطي وبها الأوتار الصوتية التي تكيِّف الصوت . وتقع بالبلعوم أيضا فتحة المرىء التي يمر منها الطعام الى المعدة ، وحتى لا يدخل الطعام الى الحنجرة ومنها الى الرئتين كان من ابداع الله ذلك النسيج الغضروفي الذي يسمى بلسان المزمار « اللهاة » وهو يقع خلف قاعدة اللسان ووظيفته قفل الحنجرة عند مرور الطعام أثناء البلع ، ولك أن تتصور خطورة ما يحدث لو دخل جزء من الطعام أو قطرة من الماء الى الحنجرة ثم الى الرئتين .. انه الهلاك !

● - تأتي القصبة الهوائية في الترتيب بعد الحنجرة ، وهي أنبوبة عضلية غضروفية مبطنة بغشاء مخاطي ذو خلايا لها أهداب ، وحلقات الغضاريف المكونة للقصبة الهوائية مسطحة نوعا ما من جهة الخلف أي من جهة المرىء حتى لا يضغط عليها أثناء مرور الطعام به . وتمر القصبة الهوائية في العنق الى أن تصل الى الصدر ثم تنقسم في محاذاة الفقرة الرابعة الظهرية الى شعبتين واحدة منها لكل رئة ، ثم تنقسم كل شعبة الى شعيبات أصغر فأصغر تنتهي الى شعيبات دقيقه جدا تنتهي كل منها بأكياس هوائية « تسمى أسناخ أيضا » ويوجد منها ٧٥٠ مليون !! كيس هوائي داخل الرئتين ، وتنتشر شبكه كثيفة من الأوعية الدموية الشعرية على سطح الأكياس الهوائية ليحدث التبادل الغازي .

● - عرفنا أن كل شعبة هوائية تدخل واحدة من الرئتين ، وهما تقعان في تجويف الصدر كل رئة في ناحية ، ويقع القلب بينهما ولكل رئة فُرجة تدخل منها الشعبة والأوعية والأعصاب . وتنقسم الرئة اليمنى الى ثلاثة فصوص وهي أكبر قليلا من اليسرى التي تنقسم الى فصين فقط ويحمي الرئة من الخارج غشاء يسمى الغشاء البللّوري وهو مكون من طبقتين تغطي احداهما الرئة وتبطن الأخرى القفص الصدري ويفصلهما تجويف البللورا وبه سائل يسهل احتكاك الطبقتين فلا يشعر

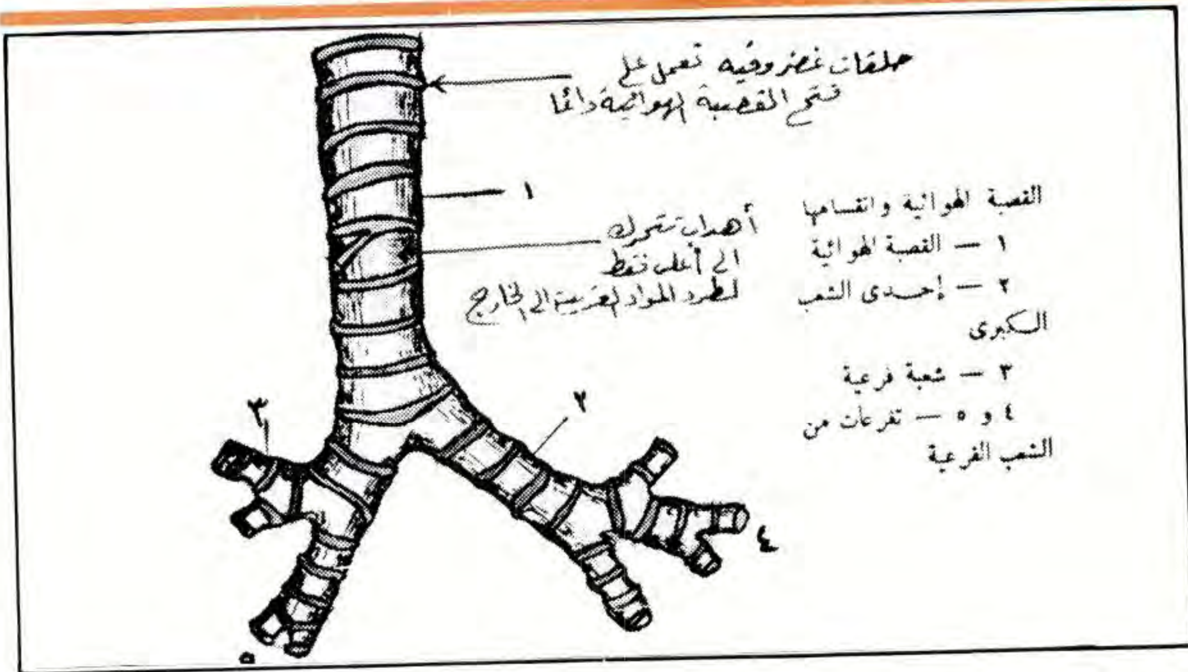
الانسان بأي ألم أثناء عملية التنفس وحينما يحدث التهاب بهذا الغشاء يجد الانسان صعوبة ملحوظة في التنفس .
وبعد هذا الحديث المبسط عن التركيب التشريحي للجهاز التنفسي يحق لنا أن نتساءل :

ما هو التنفس ؟ :

هو عبارة عن ادخال الهواء وبه الأوكسيجين الى الجسم « حركة الشهيق » واخراج ثاني أوكسيد الكربون منه « حركة الزفير » والأوكسجين ضروري للعمليات الحيوية التي تقوم بها جميع خلايا الجسم . وثاني أوكسيد الكربون هو من الفضلات « بل من أكبرها » الناتجة عن هذه العمليات ولهذا فان التنفس مستمر لا ينقطع طالما كان في الجسم حياة بفضل الله .
وتبلغ حاجة الجسم من الأوكسيجين في حالة الراحة الى ٣٣٠ لترا يوميا ! أي أنه في كل دقيقة من النشاط العادي يجب أن ينتقل ربع لتر من الأوكسيجين الى الدم وهذا يحتاج الى أن يدخل الرئتين حوالي خمسة لترات ونصف اللتر من الهواء « لأن الأوكسيجين يبلغ حوالي خمس الهواء الجوي » أما في حالة العدْو فان العدَّاء يحتاج أثناء العدْو الى استنشاق ١٣٢ لترا من الهواء في الدقيقة ! ويجب امداد كل خلية بالجسم دواما بالأوكسيجين في أثناء العدْو والراحة على السواء كما يجب أن تتخلص من ثاني أوكسيد الكربون أيضا .

روعة ما يحدث أثناء التنفس :

يبدأ ذلك بدخول الهواء من الأنف حيث يصير دافئا ويتشبع بالرطوبة ثم يمر بالبلعوم والحنجرة والقصبة الهوائية والشُعَب التي تتفرع في داخل الرئتين حيث تنتهي بالأكياس الهوائية سالفه الذكر . ويجري الدم في الرئتين خلال ما يسمى بالجهاز الدوري الرئوي ، ويتفرع هذا الجهاز في النهاية الى شعيرات دموية ، ويحدث تبادل الغازات بين الهواء والدم خلال الأغشية الرقيقة لشبكات الشعيرات المحيطة بالأكياس فتغادر جزيئات ثاني أوكسيد الكربون كريات الدم الحمراء بالشعيرات الى هواء الأسناخ الموجود بتجاويفها بينما تغادر جزيئات الأوكسيجين هذا الى الكريات الحمراء . وتسير كريات الدم محمَّلة بالأوكسيجين « في تركيب كيماوي سهل التفكك مع الهيموجلوبين الموجود بها » ليمدّ به خلايا الجسم المختلفة لتتم عملية الاحتراق التي تتولد عنها الطاقة اللازمة للجسم وتتخلص الرئتان من ثاني أوكسيد الكربون الناتج كفضلات عن عملية الأحتراق . كل ذلك دون تدخّل أو رقابة من الانسان ولكنها رعاية الله الذي خلق فسوى . والذي قدّر فهدى .



تنظيم التنفس :

٢ ـ يتراوح معدل التنفس السوى في حالة الراحة ما بين حوالي ست عشرة الى عشرين مرة في الدقيقة الواحدة ويجرى تنظيمه في جزء منه تلقائيا وفي الجزء الآخر عن وعي بواسطة الجهاز العصبي ويتكفل بتحقيقه « أي التنفس » الحجاب الحاجز وهو تلك العضلة العريضة الكبيرة التي تقع في قاعدة التجويف الصدري وتفصله عن التجويف البطني وكذلك عضلات ما بين الضلوع التي تتكفل بتحريك الضلوع . وحينما ينخفض الحجاب الحاجز وينسطح ويقترن ذلك برفع الأضلاع الى أعلى والى خارج بواسطة عضلات ما بين الضلوع فان التجويف الصدري يتسع وذلك يساعد الرئتين على أن تتسعا وتستوعبا الهواء الى داخلهما . وعندما تنبسط العضلات تعود الرئتان بصفة طبيعية الى حالتهما غير المتسعه فتطردا الهواء الى الخارج ، : (**ذلك تقدير العزيز العليم**) يس / ٣٨ ، أليس كذلك ؟

وتختلف سرعة التنفس : فقد يكون سريعا وبطيئا ويكون عميقا أو ضحلا ولكنه لا يتوقف لا يقظة ولا مناما كما ذكرنا وانما يتوقف مؤقتا في حالة بلع الطعام ويمكن ضبطه اراديا عند الكلام أو الغناء أو القراءة ويمكن وقفه لمدة ٤٥ ثانية أو أكثر عند التقاط صورة أو تصويب بندقية نحو هدف معين أو السباحة تحت الماء .

٢ ـ الانضباط الذاتي للتنفس :

يتم ذلك عن طريق مراكز عصبية خاصة بالمخ حيث ترسل هذه المراكز دفعاتها العصبية خلال الحبل الشوكي الى أعصاب الحجاب الحاجز وعضلات ما بين الضلوع وهذه المراكز تتأثر كيميائيا وتتأثر أيضا بالأفعال المنعكسة . ويتوقف

التأثير الكيميائي على مستوى غاز ثاني أوكسيد الكربون بالدم واستجابة التنفس لذلك في غاية الحساسية لدرجة أن ارتفاع ثاني أوكسيد الكربون بنسبة : ٢٠٠٠/١ « نسبة ضئيلة بالطبع » ولكنها ترفع كمية هواء التنفس في الدقيقة الى مثليه الى ؛أن يتخلص الدم من ثاني أوكسيد الكربون الزائد وعلى ذلك فان زيادة نسبة ثاني أوكسيد الكربون هي العامل الأصلي في حساسية المراكز العصبية للتنفس . ويتم الانضباط الذاتي ولا يكاد الانسان يشعر به ولكنه تدبير الله ! .

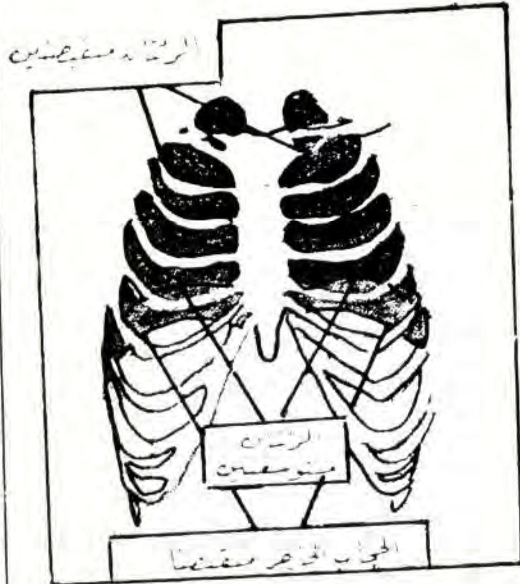
وبالجسم تجهيزات تقيه شر المفاجآت : !

حينما يقوم الانسان برياضة أو أي مجهود بَدَني عنيف فان ذلك يؤدي الى زيادة سرعة التنفس وعمقه ويتم ذلك دون زيادة نسبة ثاني أوكسيد الكربون . ويشاهد ذلك عند صعود الأماكن المرتفعة أو تسلق الجبال التي يبلغ ارتفاعها عشرة آلاف قدم أو أكثر حيث يقل ضغط الهواء وتقل نسبة الأوكسيجين ، ويؤدي ذلك الى الشعور بأعراض مزعجة مثل صعوبة التنفس والاحساس بالغثيان والقيء والهبوط العام ، ولكن من رحمة الله بعباده أن منح الجسم مقدرة على مواجهة هذه الظروف الحرجة ، وذلك بزيادة سرعة التنفس وعمقه ثم بزيادة أعداد كريات الدم الحمراء زيادة هائلة وهي التي تحمل المزيد من الأوكسيجين اللازم للجسم وبذلك يعوض نقصه في الجو . ولهذا السبب نجد زيادة عدد كريات الدم الحمراء في الأشخاص الذين يعيشون في الجبال عن اخوانهم الذين يعيشون قريبا من سطح البحر . وهنا يجب أن نقف وقفة خاشعة أمام قول الله عز وجل :

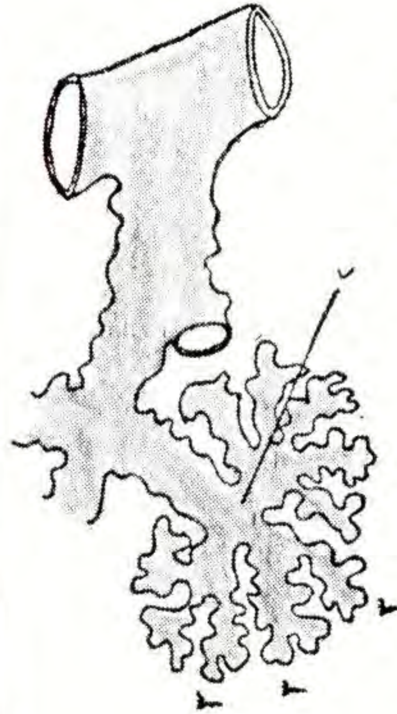
(فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء) الأنعام / ١٢٥ .

ولنسأل أنفسنا : هل يتأتى لبشر عادي أن يحيط علما بهذه الظواهر الفسيولوجية ثم يأتي بمثل هذا القول من غير دراسة لتركيب الدم أو معرفة بنسبة الضغط الجوي في الأرتفاعات المختلفة أو صعود في الفضاء ؟ اللهم لا .

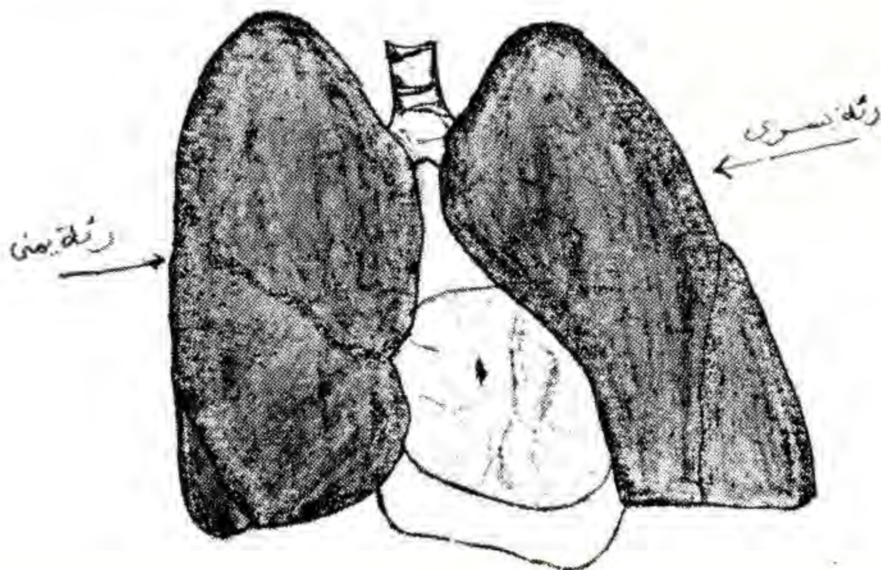
ولكنه يتأتى لرسول الله صلى الله عليه وسلم لأن الذي أنزل عليه القرآن هو الله وحده مكون الأكوان . والقرآن كتاب مسطور والكون كتاب منظور كلما تأملت في أحدهما ازددت يقينا أن منزّل القرآن هو مكون الأكوان : **(الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير)** الملك / ١٤ . ويختلف الأمر اذا قام الانسان بمجهود عنيف من نوع آخر كالعدْو في سباق ، فان الرئتين لا تتمكنان من القيام بامداد الجسم بالأوكسيجين الكافي ، ولا تتمكن كريات الدم من حمل ما يكفي لاحتياج العضلات . وفي مثل هذه الظروف لا يتوقف الجسم وانما تستمر العضلات في عملها ويتكون حمض اللاكتيك « اللبنيك » نتيجة الأيض « التمثيل الغذائي » وعند نهاية السباق يلهث العدَّاء ليدخل الهواء لتكملة دورة الأيض واحراق حمض اللبنيك وهكذا يجتاز الجسم هذه الظروف .



يبين هذا الشكل حركة الرئتين والحجاب الحاجز في عملية التنفس • ففي الشهيق ينقبض الحجاب الحاجز وتتمدد الرئتان ، وفي الزفير ينبسط الحجاب الحاجز وتنقبض الرئتان



١ — شعبة صغيرة وانقسامها إلى أكياس هوائية وحويصلات هوائية
شعبة شعرية ٢ — كيس هوائي ٣ — حويصلات هوائية



الرئتان

وسائل الدفاع لحماية الجسم :

عرفنا أن معدل التنفس في حالة الراحة نحو عشرين مرة في الدقيقة ، أي أن الرئتين تتعرضان للهواء الخارجي عشرين مرة كل دقيقة وفيه ما فيه من الميكروبات والذرات الغريبة وعلى ذلك فقد أوجد الخالق من وسائل الدفاع داخل الجهاز التنفسي ما يحمي الجسم من أخطار هذا التعرض وما يثير الدهشة أيضا اذ لا يمكن أن يكون ذلك من صنع المصادفة العمياء التي يقول بها ملحد مأفون أو عربيد مجنون ، ولكنه صنع الله الذي أتقن كل شيء وهذه الوسائل هي :

أولا :

يوجد شعر كثيف داخل الجزء الأمامي من الأنف يعمل كمصفاة لا تسمح بمرور الأتربة والحشرات الصغيرة داخل الأنف .

ثانيا :

توجد داخل الأنف أيضا مجموعة من الغدد تفرز مخاطا يرطب التجويف الأنفي ويقاوم الميكروبات الداخلة مع الهواء ، كما تصب في الأنف القناة الدمعية الأنفية وهي توصل ما يتجمع في كيس الدموع الى الأنف مما تفرزه الغدد الدمعية .

ثالثا :

يساعد الأنف على تدفئة الهواء وترطيبه قبل وصوله الى الرئتين « أي يقوم بعملية تكييف بلغة العصر » فلا يضرهما ببرودته شتاء ولا بحرارته صيفا .

رابعا :

تقع اللوزتان في البلعوم « الحلق » وهما من نسيج لمفاوي وتقفان كالحارسين على مدخل الجهاز التنفسي والجهاز الهضمي وعندما تحاول مجموعة من الجراثيم الاغارة على أحد هذين الجهازين فانهما تتصديان لها وتدور بينهما معركة طاحنة قد تلتهب اللوزتان وتتضخمان بسببها ، وقد يكون الألتهاب بسيطا أو شديدا يؤدي الى انسداد الممرات الأنفية ، ويضطر المريض الى التنفس من الفم كما يؤدي الى صعوبة في البلع وارتفاع في درجة الحرارة والاحساس بالصداع ، وقد يؤدي الى انسداد قناة « استاكيوس » وهي القناة التي توصل بين الأذن الوسطى والحلق وربما أدى ذلك الى الاحساس بالألم في الأذن . وتعالج الحالة كما يلي :

(١) تعاطي الجرعة المناسبة من المضادات الحيوية مع تجنب البنسلين لذوى الحساسية بالنسبة له .
(٢) غرغرة للفم والحلق أما بغرغرة خاصة لذلك أو باسبرين مذاب في ماء دافيء .
(٣) مسكنات للصداع كالأسبرين ومشتقاته .
(٤) شرب السوائل الدافئة وتجنب المثلجات بصفة عامة .

(٥) الراحة بالفراش حتى تنخفض درجة الحرارة .

وقد تتكرر اغارة الجراثيم على الجسم ، وتتجدد المعارك بينها وبين اللوزتين ، حتى تنهار مقاومتهما نهائيا وتتحولا من قلعة للدفاع الى قلعة للهجوم ، تنطلق منها الجراثيم وتفرز سمومها التي تسري الى بقية الجسم وتخرب فيه كيف تشاء ، وتصبح اللوزتان في هذه الحالة أشبه **بالحارس الخائن** !! الذي يسمح بدخول المعتدين والمخربين واللصوص الى داخل مكان الحراسة ليمارسوا نشاطهم الاجرامي وفي هذه الحالة يجب استئصالهما حماية لأعضاء هامة اخرى هي : القلب ـ الكلية ـ المخ .

خامسا :

توجد أهداب على الغشاء المخاطي المبطن للجهاز التنفسي وهي تشبه الزغب وقد أودعها الله خاصية الحركة في اتجاه واحد فقط أي الاتجاه الى أعلى « جهة الأنف وليس الى أسفل جهة الرئتين » مما يساعدها على طرد المواد الغريبة التي تمسك بها مثل ذرات الغبار ، السناج ، والبكتريا وبذلك تخلص أنسجة الرئة الرقيقة من أذاها ، أما الذرات الكبيرة التي لا تتمكن الأهداب من الامساك بها فانها تسبب سعالا أو عطسا يطردها بقوة الى الخارج . والعطس والسعال أفعال منعكسة نتيجة تنبيه المنتهيات العصبية بالممرات التنفسية ويبدأ تنبيه السعال من الحلق والعطس من الأنف .

ولا يفوتنا ونحن نتحدث عن الجهاز التنفسي أن نتحدث عن ثلاث ظواهر مرتبطة به هي :

(١) التثاؤب .
(٢) التنهد .
(٣) الفُوَاق .

١ ـ التثاؤب :

عبارة عن شهيق طويل بفم مفتوح بالكامل قد يكون نتيجة الحاجة الى بعث النشاط في جسم مثقل بالمتاعب والهموم وذلك بازدياد تبادل الغازات بين الدم والرئتين فينتعش الجسم نتيجة لذلك وقد يكون دليلا على الرغبة في النوم أو اليقظة منه .

٢ ـ التنهد :

عبارة عن زفير طويل وهو نتيجة تنبيه نفس للتفريج عن التنفس بعد كرب أو التخلص من ألم ممض وأحزان مفاجئة . فكأن الاستنشاقة العميقة أو الزفرة

الطويلة تبعث في الجسم الاسترخاء والهدوء

٣ ـ الفُوَاق :

بضم الفاء وفتح الواو يقال : فاق الرجل يفوق فواقا بالضم اذا شخصت الريح من صدره وكذا ما يأخذه عند النزع فُوَاق . والفواق أيضا بضم الفاء وفتحها ما بين الحلبتين من الوقت لأنها تحلب ثم تترك سويعة يرضعها الفصيل . وفي الحديث الشريف « العيادة (زيارة المريض) قدر فُوَاق ناقة » وقوله تعالى : **(ما لها من فواق)** ص / ١٥ يقرأ بالضم والفتح أي ما لها من نظرة وراحة وافاقة .(مختار الصحاح مادة ف و ق) ص ٥١٥ ، والفواق الذي نعنيه « بالضم » Hiccough هو تلك الظاهرة التي تسمى في اللغة الدارجة « **زغطة** » وينشأ الصوت المميزلهذه الظاهرة نتيجة محاولة استنشاق الهواء على حين تكون الممرات الهوائية مستعدة بصورة جزئية **وأسباب الفُوَاق هي** :

(١) الأكل السريع .
(٢) حدوث تهيج في الجهاز الهضمي أو التنفسي أو في الحجاب الحاجز نفسه .
(٣) ضمن مضاعفات العمليات الجراحية .
(٤) قد يحدث نتيجة الأمراض الخطيرة مثل ارتفاع نسبة البولينا في الدم « التسمم البولي » والتهاب الدماغ الوبائي « مرض النوم » .
(٥) الأنفعالات النفسية وهناك بعض الطرق لوقف الفُوَاق مثل :

(١) وقف التنفس .
(٢) بلع قطعة من السكر أو قشرة خبز .
(٣) شد اللسان الى الأمام .
(٤) وضع شىء بارد على القفا .
(٥) مص الماء ببطء .
(٦) التنفس في كيس من الورق .

ويؤدي التنفس في كيس الورق الى زيادة كمية ثاني أوكسيد الكربون في هواء الكيس ومن ثم في الهواء الداخل الى الرئتين وأخيرا في الدم وهذا يؤدي بالتالي الى تنبيه مركز التنفس في المخ فيزداد التنفس قوة وعمقا ويؤدي ذلك غالبا الى زيادة انقباض الحجاب الحاجز فيزول الفُوَاق . أما اذا لم يتوقف بهذه الطرق فلابد من عرض الحالة على الطبيب .

وبعد ...

فهذه نظرة تأمل وتدبر في بعض آيات الله في جهاز من أجهزة الجسم وما أكثر آيات الله !! ولعل مثل هذه النظرة ترفعنا في مراتب اليقين عسى أن نقترب من الموقنين الذين تتكشف أمام بصائرهم وأبصارهم آيات الله .. ولعنة الله على الملحدين الذين يمرون على هذه الآيات وهم عنها معرضون .

استحسان النطق بالنية

لو شئت أن أعرفً الفقه تعريفا مبسطا ، مازدت على قولي : معرفة الحكم الشرعي بدليله .

وما أريد بالحكم الشرعي ما يتصل بالعقيدة ، ولا ما يتصل بشئون الأخلاق ، فهذه كلها ليست من مباحث الفقه ، انما مباحثه هذه الأحكام العملية ، من العبادات ، وشئون الأسرة ، وقضايا التعامل ، والفصل في التخاصم ، واقامة الحدود ، والحلال والحرام ، وما الى ذلك .

ولابد من اقتران كل حكم بدليله ، ليكون في المجموعة الفقهية . فان خلا الحكم من الدليل ، لم يكن فقها ، بل هو عندئذ فتوى ، أو قضاء .

وأدلة الأحكام الشرعية المتفق عليها بين الفقهاء هي : الكتاب والسنة والاجماع والقياس . وينضم اليها عند جمهورهم : الاستحسان ، والاستصحاب ، والمصالح المرسلة ، والعرف ، وقول الصحابة ، وشرع من قبلنا .

والكتاب والسنة ، لم يستوعبا النص على كل الجزئيات والمسائل الفرعية . والقرآن الكريم جاءت نصوصه قاطعة ، وكليّة ، تضع للانسانية أصول الأحكام ، وتقرر المبادىء العامة التي ينبغي أن يهتدى بها المجتهدون ومقررو الأحكام الشرعية .

في العبادة

كتبه : أ . د . محمد فوزي فيض الله

ففي أصول السياسة والحكم ما نص القرآن على أكثر من وجوب التزام الشورى ، والجنوح للسلم ، وقتال البغاة ، وقتال ناكثي العهود ... وقاعدة الشورى مثلا - كانت هي الأصل في نظام الحكم ؛ دون تعرض لوسائله وصوره البرلمانية ، أو الرئاسة ، أو الجمهورية ، أو الملكية ، مادامت في دائرة الشورى التي تستبعد الاستبداد ، وتقرر حكم الأمة ، واتجاهات الأكثرية ، واعتبار رأي أهل الرأي والحل والعقد .

والقياس الشرعي ، وهو الحاق غير المنصوص بالمنصوص في الحكم للاتحاد في الشبه ، مصدر أصلي في الشريعة ، غفل عنه بعض الجامدين ، فضيقوا على أنفسهم وعلى الناس ، واتهموا الشريعة بالجمود ، والانعزال عن حياة الناس . وهو المصدر الثر في الدين ، الذي يغذي الحكم والحكومة والقضاء ، كلما كان استعماله صحيحا ، وفي ضوء شروطه وعلله ، وهو آية المرونة والخصب في شريعة الله ، وهو سبيل التطور والخلود فيها ، لأنه يغطي كل ما يحدث للناس من الوقائع الجديدة ، التي يصح أن تلحق بنظائرها من المسائل في الكتاب والسنة .

فاذا أنكر بعض العلماء - كابن حزم وداود - القياس ، فقد عطل الأحكام ، وضيق شرع الله ، وعوق مسيرة هذا الدين ، وانطلاقاته في

دروب الخلود ؛ ولذلك قدر على مذهب الظاهرية بالموت ، لعدم صلاحيته للحياة والأحياء ، بسبب سرفه في التزمت والتزام النصوص .

وعندما يطرد القياس ، فيكون حرج ، وعندما تلح الضرورة ، وتتحكم المصلحة ، يجيء الاستحسان ، لرفع الحرج ، ودفع الضرورة ، وتحقيق المصلحة ، أو اليسر ، أو مقصد الشرع ، ومنطق الفقه .

والاستحسان عند الحنفية يقابله الاستصلاح عند المالكية .

ومن الأمثلة على مرونة الاستحسان أو الاستصلاح : أن المقرر في الفقه : أن الأمين لا يضمن ما يهلك في يده ، كالوديع والشريك والأجير . وهذا هو القياس في الشرع لكن الفقهاء استحسنوا وفرقوا بين نوعين من الأجراء :

الأول : أجير خاص ، مَلّكَ وقته لمتسأجره ، ولا يعمل لغيره ، كالخادم والسائق . فهذا لا يضمن ما يهلك في يده ، اذا كان من غير تعدٍ ولا تقصير منه ولا مخالفة .

الآخر : أجير مشترك ، يعمل لكل انسان مريد عمله ، كالخياط والصباغ والحداد ، فقرر الفقهاء تضمين هؤلاء ، ما يهلك عندهم من أموال الناس المستصنعين كيلا يستهينوا بالمحافظة عليها ؛ واستندوا الى قولة علي ـ كرم الله وجهه ـ : « لا يصلح الناس الا هذا » .

فالاستحسان يرجع الى الاستثناء من القواعد ، وملاحظة المصلحة ، وضرورة الناس ، وواقعهم ، تشريع ما يسد ذلك كله ، ولا ينافي أحكام الشرع ، ومقاصده .

ومن أمثلته : أن الفقهاء اشترطوا لاثبات القصاص في النفس وفيما دونها ، شهادة رجلين عدلين احتياطا . وأجاز مالك اثبات ما دون النفس من الجراح بشاهد ويمين المجني عليه . فلما كلمه تلميذه ابن القاسم في ذلك ، والجراح العمد ليست بحال ، مثال : « انه شيء استحسناه ، وما سمعت فيه شيئا » .

ومن أمثلته أن الفقهاء قرروا أن الغبن في البيوع ، ولو لحسن ، لا يستوجب فسخ العقد ، ولا يوجد عيبا فيه . ما لم يصحب الغبن غش أو احتيال أو تدليس .

واستثنى مجتهدو الحنفية من هذا الأصل ثلاثة مواطن يمنع فيها الغبن ولو كان مجردا ، وهي : حقوق اليتيم ، والوقف ، وبيت المال .

وواضح أن هذا الاستثناء ، استحسان من الحنفية ، اقتضاه تهاون القائمين على هذه الجهات ، واستوجبته رعاية مصالحها .

والاستحسان أصل مقرر عند الحنفية ، وقد توسعوا فيه ، نظرا للمصلحة ، ومعاملات الناس ، وما يستقيمون عليه ، غير مخالفين لأصول الشريعة وقواعدها ، متبعين ذلك إمامهم الأعظم أبا حنيفة ـ رحمه الله ـ الذي يقول فيه تلميذه محمد بن الحسن :

« كان أبو حنيفة يناظر أصحابه في المقاييس ، فينتصفون منه ،

ويعارضونه ، حتى اذا قال : أستحسن ، لم يلحقه أحد منهم ، لكثرة ما يورد في الاستحسان من المسائل ، فيذعنون جميعا ، ويسلمون له » .

على أن الاستحسانات عند الحنفية وغيرهم ، وكذا الأقيسة ، لم يقتصر الأخذ بها على شئون التعامل ، بل تجاوزها الى شئون العبادة . وليس هنا مجال مناقشة منع القول بالقياس في العبادات ، فان هناك فروعا مقررة فيه . وانما الذي نثبته أن الاستحسان وجد في العبادات ، في الوسائل والمقاصد ، عند الحنفية وعند آخرين غيرهم من الفقهاء .

وعلى سبيل المثال نذكر النطق بالنية في الاحرام بالحج ، استحسنه عامة الفقهاء ، حتى الحنبلية المقتصدون جدا في القياس ، والمنكرون للاستحسان . فقد نص ابن قدامة منهم في المغني على أن « من أراد الاحرام بعمرة فالمستحب أن يقول : اللهم اني أريد العمرة ، فيسرها لي ، وتقبلها مني .. فانه يستحب للانسان النطق بما أحرم به ، ليزول الالتباس ... » .

وأنت ترى أن النطق بالنية في الاحرام ، لم يستدل لاستحبابه ، لا بكتاب ، ولا بسنة ، وانما قرره لزوال الالتباس ، وقطع الشك ، وذلك استحسان .

والحج عبادة ، كالعمرة ، ولا فرق بينهما ؛ والحج عبادة عمليه بدنية شرعت لها النية لفظا استحبابا ، فما الفرق بين الحج وبين الصلاة ، وما الفرق بين الصلاة وبين الصوم ؟ انها كلها عبادات بدنية ، وصرح الفقهاء باستحباب النطق بالنية فيها ، ولا دليل له الا الاستحسان ولا دليل لهذا الاستحسان ، الا ما قرره الفقهاء أنفسهم :

١ ـ من أن فيه ازالة للبس ، ونطقا للوسوسة والشكوك ـ كما قرر الحنبلية ـ .

٢ ـ أن فيه جمعا بين نية القلب وفعل اللسان ؛ كما قرره الحنفية ، وقالوا : « ان نطق بها ليجمع بين فعل القلب واللسان ، استحبه المشايخ » والمراد ـ كما قال الامام الطحطاوي ـ : أنهم استحسنوه لجمعه مع القلب .

٣ ـ ان في النطق بالنية تثبيتا لاتجاه القلب ، وتأكيدا له كما صرح ابن قدامة والمقدسي من الحنبلية ، وليس فيه منافاة له . فلا محل للقول : انه لم يرد في السنة ، ولم يقل به الصحابة ولا التابعون .. فقد قال به من هو أعلم منا ، وأعلم بالسلف ، وأكثر اتباعا لهم ، وتأسيا بهم ، قالوا به وهم يعلمون أنه غير وارد ولا مسموع ، لكنهم استحسنوه ، لما ذكرنا .

٤ ـ كثرت هموم الدنيا ، وثقلت المادة على القلوب . وأصبح في الناس من يصلي ولا تحضره النية المطلوبة المفروضة عند التحريمة بالصلاة ، فمن شأن النطق بها أن يدعوه ذلك الى استحضار النية في القلب ، والمواءمة بينها وبين نطق اللسان .

فأي ابتداع في هذا ، وأي منكر ، وأي خروج عن الدين ؟ أليس النطق

هو المقرر والدال على الذي في القلب .
ان الابتداع أن تدخل على الدين ما يخالف الدين ، ويرفضه ، والنطق بالنية ليس الا هو المنوي في القلب ، المستكن في الضمير ، تعلنه وتثبته وتؤكده وتحصل عزيمته ، وتسمعه بأذنك ، وتسجله لك الحفظة ، وتشهد به لك الملائكة ، وتقطع به دابر الشيطان وتشكيكاته : في الوضوء ، وفي الصلاة على التخصيص ، كما نص عليه الحنبلية وغيرهم ، وفي الصوم ، وفي الحج ، وفي العمرة وقد نقل شيخ الاسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في فتاويه عن الربيع تلميذ الشافعي « ان الجهر بالنية وبالقراءه خلف الامام ليس من السنة بل مكروه » والنطق الذي نحن فيه غير الجهر الذي نقله الشيخ والذي يؤدي الى التشويش على المصلين كما ذكره بعد ذلك . ونقل عن ابن القاسم من المالكية . « النية من اعمال القلوب فالجهر بها بدعة مع مافي ذلك من التشويش على الناس » وإن البدعة في الجهر لا في النطق المجرد بدليل ذكر التشويش وهي مجرد الذكر والنطق والتشويش ونقل عن علاء الدين بن العطار ان رفع الصوت بها مع التشويش حرام . ومع عدمه بدعة قبيحة » ولا شك ان التشويش على المصلين بها وبغيرها ايضا محرم ولو كان من الاذكار وقد نص على هذا الفقهاء المذهبيون ،غير ابن العطار .
لكن نستكثر أن ينقل عنه شيخ الاسلام قوله : « ونسبته الى دين الله ـ اعتقادا ـ كفر ، وغير اعتقاد معصية » فان هذا غير مسلم به ، مع وجود مخالفيه فيه ، من أهل العلم .
ولو كان ما استحسنه العلماء ، مما لم ينص عليه في الكتاب والسنة مما ذكرنا من الأحكام ، كفرا ومعصية ، لا ينبغي أن يسد باب الاجتهاد ، ويمنع العلماء والفقهاء من الكتابة ومن التأليف ، وأن تشل الأيدي ، وتعطل العقول ، وينكسر المد العلمي الاسلامي ، ولا يوضع بين أيدي الحكام والقضاة ، الا الكتاب والسنة . وهل من قاض في الدنيا أو حاكم يزعم لنفسه الاجتهاد والاستنباط المباشر منهما ؟ وهل كل قاض أو حاكم امام ؟
كما نقل شيخ الاسلام أيضا عن الحريري الأنصاري أن من زعم أن هذا (أي النطق بالنية) دين الله ، فقد أدخل في الدين ما ليس منه ، وأنه يستتاب ، والا قتل .
ولعل هذا غلو في الدين ، وتجاوز يعوزه شيء غير قليل من الأناة والتناول الجاد . والمسألة كما قررنا خلافية ، وفيها وجهات نظر ، وما ينبغي التسرع الى التكفير في كل خلافية ، ولا يخرج من الدين الا ما أدخل فيه .
ولعل شيخ الاسلام كان في حال خاصة ، حينما نقل هذه النصوص . وكان من المنتظر أن ينقل أيضا ما يقابلها عن أهل العلم ؛ ولو قد فعل ذلك ، لتغير الحكم الذي طالع به القارئين ، وطلع به على الفقهاء ، فالحق أحق أن يتبع .
هذا ومن الحق أيضا ، أن شيخ الاسلام يعتبر في نظر العلماء من

المرجحين في مذهب الامام أحمد ، ومن كبار الأئمة المقارنين بين المذاهب . لكنه ليس اماما مجتهدا مستقلا مطلقا ، كالأئمة الأربعة - مثلا - وحتى لو كان مجتهدا مستقلا مطلقا ، لا يكون قوله هو الفصل في هذه المسألة ، مع وجود مخالفين له فيها من أهل الفقه والعلم .

ولو أن تلامذته نهضوا به ، وحرروا فتاويه ، وأقواله ، كما حرر تلاميذ الأئمة أقوالهم وفتاويهم ، لكان لأحكامه وآرائه وزن أكبر ، وقيمة علمية أغلب . أما وقد بقيت كتب الشيخ الامام - كما كتبها - غير محررة ، ولا منقحة ، فقد يتطرق اليها الشك من ناحيتين :

الأولى : هل هذه الأحكام والفتاوي ثابتة النقل عنه ، وهل رويت لنا كتب الشيخ الامام ، كما يروي الحديث والسنة والأثر ، وكما رويت لنا كتب الامام أبي حنيفة في ظاهر الرواية ، والشافعي في القديم والجديد ، وحررها تلاميذهما ، وتناقلها علماء المذاهب باتفاق .

إنا لا نقبل الحديث إلا مسندا ، فهل رويت كتب الامام وفتاويه بالسند والرواية ، ومن هم الرواة ، ومن هم النقلة ؟

ولو سلمنا بأن هذا قول الامام وحكمه وفتواه على القطع ، فإنا لا نسلم بالناحية التالية :

الأخرى : ألا يمكن أن يكون شيخ الاسلام ، قد رجع عن بعض فتاويه وأحكامه وآرائه ، كما كان يرجع امامه وامام أهل السنة الامام أحمد - رضي الله عنه - وكما كان يرجع الشافعي وأبو حنيفة ؟ واذا ما يدرينا أنه رجع عن بعضها ، وأنه بدا له دليل ، أو انقدح في ذهنه وجه مخالف ، ولم يسجله ، أو سجله في كتاب لم يصل الينا ؟

ان المسألة شرع الله ، وحكمه ودينه : فما أفتى به ينبغي التثبت منه :

فان وجدناه موافقا للخط الاسلامي ، والفقه الاسلامي ، أخذنا به ؛ وما خالف الخط الذي عليه الفقهاء ، أو جمهورهم ، يجب التريث والتحقيق فيه ، والأخذ بالاحتياط .

ان اعجابي وتقديري لعلم الشيخ الامام ابن تيمية ، وبتلميذه ابن القيم ، قديم متين ، ورصيدهما في القلب راسخ ، منذ نعومة أظفاري ، وكم فكرت أن أفرد لهما في مكتبتي خزانة أو ركنا خاصا . يرحمهما الله ، ويجزيهما عنا وعن الاسلام والمسلمين ، والفقه والفقهاء ، والجهاد في سبيل الله والمجاهدين ، أفضل ما يجزي رب العالمين أحبابه وأولياءه .

لكن شعاري ، من قبل ومن بعد ، حيالهما وحيال سواهما من العلماء ، هو ما قاله تلميذ الشيخ الامام ، وهو الذهبي - رحمه الله - في شيخه شيخ علماء الشام وشيخ العلماء :

« ان شيخ الاسلام ابن تيمية ، حبيب الينا ، ولكن الحق أحب الينا منه » .

وآخر دعوانا : أن الحمد لله رب العالمين .

لغتنا أمام تحديات

من آثار الغزو الفكري لغة المستعمر ، وتشجيع اللهجات العامية في البلاد العربية ، وكتابة الحروف العربية بالحروف اللاتينية ، وهذا يستهدف تمزيق وحدة العرب ، وعزل الدول العربية بعضها عن البعض الآخر ، وإقامة سدود أمام من يريد فهم القرآن الذي لا يفهم الا بالعربية فقط .. وهكذا تنهدم الوحدة الفكرية في العالم العربي ، وتنفصم الصلات بين أجزائه !

ولقد بذل الاستعمار حين سيطر على بلاد المسلمين جهودا جهيدة في محاربة اللغة العربية : ففرض لغته على البلاد التي سيطر عليها أولا ، وصارت المواد العلمية تدرس بلغته ـ هو ـ وقد اتخذت لغة المستعمر وسيلة مهمة من وسائل الغزو الفكري ، وأدخلت في مجالات الحياة كلها من المدرسة والمحكمة والمعمل والسوق ، وطاردت لغة المستعمر العربية بشدة وضراوة ، وأحتلت مكانة واسعة في ثقافات الأمة الأسلامية ، حتى صار كثير من مثقفي الجزائر وسواها محتاجا الى اللفظ بمصطلحات فرنسية ، لتساعده في التعبير عن آرائه ! واذا علمنا أن اللغة ليست أداة فقط ، وليست أسماء وأفعالا وحروفا فحسب بل هي فكر وروح ، تحمل بين جنبيها مقومات الأمة كلها ، أدركنا عظم الخطب الذي يترتب على ذيوع لغة المستعمر !

وجاءت ـ بعد ذلك ـ الخطوة الثانية : وهي تشجيع العامية والأهتمام بها

العربية

والغزو الفكري

للأستاذ / أبراهيم النعمة

،هتماما بالغا في المسرح والإذاعة والقصص ... وظهرت دعوات في مصر ، تدعو الى جمع الكلمات العامية المصرية ، التي لها أصل قبطي ! ، ودعوا الى العودة الى اللغة القبطية ، ونبذ العربية الفصحى ، بعد أن أضفوا على اللهجة العامية المصرية أوصاف المدح والثناء ، وقالوا : بأنها لغة مستقلة ! ووصل الأمر بحقد هؤلاء على العربية حداً كبيرا حتى قالوا : أن اللغة العربية لغة أجنبية ، وأن مصر اذا أرادت أن تحلق في سماء التقدم والتمدن والرقي ، فلابد لها من العودة الى لغتها القديمة !!

وباشر المستعمرون في محاربة الفصحى منذ وقت طويل يرجع الى الاحتلال الأنكليزي لمصر . ففي أوائل سنة ١٨٨٣ م رفع الوزير البريطاني (لورد دوفرين) تقريرا الى وزير الخارجية البريطانية ، دعا فيه الى ضرورة محاربة العربية الفصحى والاهتمام باللهجات العامية ، وعمل كثير من المستشرقين – بعد ذلك – على السير في النهج نفسه في محاربة الفصحى مثل (وليم ويلككس) ١٨٩٣ و (سبيتا) ١٩٠٢ و (ويلمور) ١٩١٠ و (وليم تمبل جردنر) ١٩١٧ ...

وكانت أعمال هؤلاء جميعا مقدمات لحركات الاستشراق التي صارت ترعى هذه البذرة الخبيثة التي بذرتها في بلاد المسلمين : فقد دعا الى هذه الدعوة من المستشرقين لويس ماسينيون وكولان وكارل بروكلمان ...

ولقد استطاع هؤلاء المستشرقون أن يؤثروا بتوجيه قسم من المحسوبين على العرب من الذين ينطقون بالعربية ، لأنهم أدركوا أهمية ما وصاهم به القس زويمر ، من أن الشجرة يجب أن يقطعها أحد أغصانها ، فحل في محل المستشرقين في محاربة العربية الفصحى قسم من الناطقين بها ، من المحسوبين على العرب ، وصاروا يرفعون أصواتهم عالية في كل مكان يستطيعون الكلام فيه . وما كان يردده هؤلاء المحسوبون على العرب :

- أن اللغة ملك لنا وليست ملكا بيد (رجال الدين) ؛ فمن حقنا أن نتصرف بها كيف نشاء !

- أن في العربية لغة كلام ولغة كتابة ، فلماذا لا نستعمل العامية التي تعبر عن مشاعر الشعب بسهولة ؟ !

- أن اللغة العربية صعبة ، وإن خطها المليء بالعقد يحول دون تعلم الناس لها ، فلماذا لا نبدل الخط العربي باللاتيني ؟ !

وبعد الحرب العالمية الأولى ، ارتفعت أصوات عدد من المعروفين بعداوتهم للأمة الاسلامية ، فصاروا يدعون الى ذلك مثل : (سلامه موسى) الذي دعا الى أستعمال العامية المصرية ، وله كتاب فيه من السموم ما فيه ، وعنوانه : هو (البلاغة العصرية واللغة العربية) و (الخوري مارون غصن) الذي دعا الى العامية ونشر كتابه (بستان السلوى) عام ١٩١١ ، ونشر كتابه الآخر (درس ومطالعة) الذي تحدث فيه عن حياة اللغة العربية وموتها ، ودعا فيه الى أدخال علامات الوقف على آخر الكلمات ، وصدر الكتاب سنة ١٩٢٤ . وفي عام ١٩٢٦ أصدر كتابه (حياة اللغة وموتها : اللغة العامية) وهذا الكتاب هو توسعة لكتابه (درس ومطالعة) .

وجاءت بعد ذلك كتابات (أنيس الخوري فريحة) الذي دعا الى العامية - أيضا - وكتابتها بالحرف اللاتيني ، وكتب كتابه (معجم الألفاظ العامية) - في اللهجة اللبنانية - سنة ١٩٤٧ . وقد نشر كتابه (تبسيط قواعد اللغة العربية) سنة ١٩٥٢ ، وهاجم العربية هجوما عنيفا في كتابه (نحو عربية ميسرة) . أما سعيد عقل ، فقد دعا الى لغة جديدة تحل محل العربية : وهي عبارة عن اللهجة العامية مكتوبة بالحرف اللاتيني ، وأصدر كتابه (ياره) الذي سماه شعرا بالحرف اللاتيني ، وطبع سنة ١٩٦١ .

وحارب (لويس عوض) الفصحى ، ودعا الى العامية في كتابه (بلو تولانو) الذي طبعه سنة ١٩٤٧ .

وقد تناولت صيحات المستشرقين والمحسوبين على العرب على حد سواء ، الدعوة في أصلاح الألفاظ والتراكيب والأساليب اللغوية ، واصلاح قواعد الصرف والنحو والبلاغة .

أما في الهند ، فقد حدثت محاولات كثيرة لايقاف أنتشار لغة القرآن ، والحيلولة بين المسلمين واللغة العربية في شبه القارة الهندية . وقاد هذه الحملة (غاندي) الذى قال :

« أن من الخير لسكان الهند أن لايلجأوا الى اللغة الأوردية ؛ لأنها تكتب بأحرف القرآن ، وهو كتاب المسلمين وحدهم ، وعلينا أن نختار اللغة المحفوظة عن الأمهات فقط ، وهي اللغة السنسكريتية » .

وفي مدينة (كلكتا) شكل الأنكليز كلية (فورت) في سنة ١٨٠٠ وعملت منذ أيامها الأولى في محاربة اللغة العربية ، في الوقت الذي ترك المجال فسيحا واسعا أمام اللغة الأنكليزية ؛ لتكون اللغة الأولى بين المسلمين والهندوس .

أما دولة باكستان ، حين تكونت عام ١٩٤٨ ، فقد ظهر فيها من يدعو الى الأهتمام باللغة العربية ، وأعادة الحروف العربية الى اللغة البنغالية ، وتشكلت لهذا الغرض جمعية أطلق عليها أسم (جمعية حروف القرآن الثقافية) .

على أن أعداء العربية ظلوا يبذلون جهودا جهيدة في محاربة لغتنا ، فدعوا الى كتابة اللغة الأوردية بالحروف اللاتينية بدلا من الحروف العربية .

ولقد قام كثير من دعاة الاسلام وعلمائه بالدعوة الى اللغة العربية في الهند ، واعادتها الى مكانها المرموق السامي ، فكانت النتيجة أن صدر قرار من المؤتمر الاسلامي في كراتشي ، أتخذ فيه العربية لغة دولية في العالم الاسلامي .

على أن مؤامرة كبيرة خطيرة على الاسلام والمسلمين تمت في تركيا ، حين أقصى الحكام الذين ساروا في ركاب الماسونية الحروف العربية ، فصارت كتابة اللغة التركية بالحروف اللاتينية ، وقام بتلك المؤامرة الخطيرة مصطفى كمال اتاتورك . ووقع الحرب على العربية بين سني ١٩٠٩ ـ ١٩١٨ عندما سيطر على الحكم جماعة الأتحاد والترقي الذين كانوا مرتبطين بالماسونية والصهيونية . وقد الغيت العربية من تركيا عام ١٩٢٣ . وليس ذلك فحسب ، بل أجريت تصفية للغة التركية من الكلمات العربية ، فعقدت المؤتمرات لهذا الغرض ، وأخرجوا من اللغة التركية ١٣٦٥٠ كلمة عربية ، وأحلوا محلها كلمات تركية ، وأعتبروا تلك الكلمات العربية كلمات أجنبية .

وهكذا فقد الأتراك تراثا ضخما شاده الآباء والأجداد في أكثر من ألف ومائتي سنة ، حين أقدم مصطفى كمال على هذه الفعلة الشنعاء النكراء !

وكانت هذه الهجمات على العربية متفاوتة من بلد الى آخر ؛ لأختلاف ميادين الصراع ، وتفاوت الأسلحة المستخدمة في ذلك . ففي الشرق أستطاعت العربية أن تصمد ، لكنها لم تتخلص من عقابيل الغزو الفكري . أما في المغرب ، فكانت

جهود المستعمر كبيرة جدا في محاربة العربية ، وبذلك أستطاع أن يعزل المغرب الاسلامي عن ماضيه حين عزله عن لغته العربية التي دونت بها عقيدته وشريعته وحضارته وثقافته !

أن الأمة التي تبتلى باحتلال أرضها ، تستطيع أن تطرد المحتل بعد فترة طويلة أو قصيرة ، لكنها حين تمتحن بسرقة لغتها تضيع ، لأن ذاتيتها تكون قد ضاعت ، ولا تستطيع أن ترتبط بمقوماتها وحضارتها ؛ فتظل متأثرة بأفكار المستعمر الذي فرض لغته حتى بعد خروجه من البلاد :تتزود من مكتبته وثقافته ونمط حياته وفكره وأدبه ! وهكذا يتحول ولاء المسلم الى عدوه الذي كان يحاربه بالأمس من غير أن يشعر !

واذا كان غزو لغتنا العربية عنيفا جدا في تونس والمغرب ، فأن عنف ذلك الغزو ، وضراوة تلك المعارك ، كانت في الجزائر أشد .. ولم يتأثر قطر من الأقطار العربية بهذا الغزو مثلما تأثر هذا البلد الجريح الذي بلغت المعارك ذروتها فيه !

ومن أساليب هذا الغزو على لغتنا تبديل الخط العربي ، وتطوير البلاغة العربية ، وقواعد الصرف على أسلوبهم ـ هم ـ محاولين أن يطبقوا علم اللغات الأوربية الحديثه على اللغة العربية ! وهذا لا يمكن أن يكون أبدا ؛ لأختلاف تاريخ كل منهما ، حيث أن اللغات الأوربية مشتقة من اللغات اللاتينية وغيرها . وما يردده من تأثر بالغزو الفكري : أن من حقنا أن نتصرف بلغتنا ؛ لأنها ملك لنا قول خطير ومردود بالنسبة للعربية ، وربما كان فيه شيء من الصحة بالنسبة للغات الأوربية ، ذلك أن العربية هي لغة المسلمين جميعا : هي لغة عقيدتهم وفكرهم وثقافتهم .. ولقد كتب بالحروف العربية كثير من شعوب العالم ، فكتبت بها اللغات الفارسية والكردية والافغانية والبربرية والمغولية والسودانية ، كما كتبت بها اللغة التركية قبل سنة ١٩٢٦ .

وبعد :

فأن نتائج هذه الدعوات في اصلاح قواعد اللغة في النحو والصرف واضحة بينة لكل متأمل ؛ اذ ستحدث لغة بعيدة عن لغة القرآن والحديث والشعر العربي والنثر ... واذا كانت أمتنا قد كونت ثقافة عملاقة في قرون متطاولة ، فأن التخلي عن قواعد لغتنا معناه التخلي عن ذلك التراث الضخم العملاق الذي ساهم في انشائه وأرساء قواعده عشرات الملايين من أجدادنا !

على أن العقيدة والشريعة الاسلامية ـ فوق ذلك ـ فهمت وطبقت وعمل بها وفق ما فهمه الناس من لغة العرب ؛ فأن القرآن الكريم لا يفهم فهما دقيقا الا بالعربية ، وكذلك الحديث الشريف ، فأن القول بأصلاح اللغة المزعوم يؤدي حتما الى ضياع العقيده والشريعة الاسلامية معا .

أنها مؤامرة خطيرة ، أرادت أن تنال من لغتنا ، ففضحها الله على رؤوس الاشهاد ، ورد كيدهم الى نحورهم ، وكانوا كما قال الشاعر :

كناطح صخرة يوما ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

رسالة المساجد في الإسلام

للدكتور/ عبد الفتاح محمد سلامة

المساجد بيوت الله في الأرض ، ومهابط رحمته فيها ، وهي كذلك منتديات المؤمنين ، وحلبات الموحدين ، ومهوى أفئدة المتقين ، جعلها رب العِزّة - تبارك وجَلّ في عُلاه - ساحات طيبة ، تشع بالنور والصفاء ، وتفجر في القلوب معاني الحب والاخاء .. وما بالك بأماكن يذكر فيها اسم الله الكبير المتعال ، ويسبح له فيها بالغدو والآصال ؟

★ **(رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار)** النور/ ٣٧

وما بالك بها - أيضا - وقد أصبحت عَرَصات لتلك الجموع الحاشدة الزاخرة ، التي أقبلت يدفعها شوق عارم ، قد ملك جوانحها ، لتصف أقدامها ، وتحنى أصلابها ، لمن تعنو له الوجوه :

(وعنت الوجوه للحى القيوم) طه/ ١١١

وأذكرك يا أخا الاسلام بحقيقة هامة : هي أن دينك العالمي الخالد الذي ارتضاه ربك للبشرية منهج حياة ، وشريعة بقاء : لم يرض لأتباعه أن يؤدوا صلواتهم في عزلة عن المجتمع الذي يحيون فيه ، ولكنه دعاهم دعوة قوية صادعة إلى أدائها في

جماعة ، وبخاصة في المسجد ، حتى يمثلوا في حلل العزة والجلال والبهاء والوقار ، تظللهم روح المودة والالف ، فيكونوا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ..

روى مسلم عن ابن مسعود قال : « من سره أن يلقى الله غدا مسلما فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادي بهن ، فإن الله تعالى شرع لنبيكم سنن الهدى ، وإنهن من سنن الهدى ، وإنكم لو صليتم في بيوتكم ، كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم ، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم ، وما من رجل يتطهر فيحسن الطهور ، ثم يعمد إلى مسجد من هذه المساجد ، إلا كتب الله له بكل خطوة يخطوها حسنة ، ويرفعه بها درجة ، ويحط عنه بها سيئة ، ولقد رأيتنا يوما ، وما يتخلف عنها ـ أي صلاة الجماعة ـ إلا منافق معلوم النفاق ، ولقد كان الرجل يؤتي به يتهادى بين الرجلين يسندانه لمرضه حتى يقام في الصف .. »

ثم تأتي صلاة الجمعة التي لا تؤدى بطبيعتها إلا في المساجد العامة ، فتأخذ تجمعات المسلمين صورة متألقة وضيئة ، تهز النفوس من أعطافها ، وتملك عليها مشاعرها وأحاسيسها ، وتثير فيها أجمل القيم وأقدسها .. وتحضرني في هذا الموطن عبارة نطق بها الفيلسوف الفرنسي « رينان » .. وهي تصور مدى انبهاره بما يراه وما يحسه ، وهو واقف أمام الصفوف الاسلامية المستغرقة في صلواتها .. يقول : « ما دخلت مسجدا قط من مساجد المسلمين ورأيت تجمعاتهم في الصلاة ، إلا وانتابني شعور بالحزن العميق لأنني لم أولد مسلما »

وصلاة الجمعة هذه فريضة أسبوعية ، بل عيد أصغر : أوجب الله فيه الجماعة إيجابا مؤكدا لا هوادة فيه .. قال جل وعز :

(يا أيها الذين آمنوا إذا نوديَ للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون) الجمعة/ ٩ ..

ولقد شدد الرسول النكير على من يتركون صلاة الجمعة في المسجد بدون عذر .. روى ابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من ترك ثلاث جمع تهاونا بها طبع الله على قلبه .. » وروى مسلم في صحيحه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لينتهين قوم عن ودعهم ، أي تركهم ، الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين .. »

وفي هذا الاجتماع الاسبوعي تعليم وتوجيه ، وتجديد للبيعة ، وإحياء لعاطفة الأخوة ، وترسيخ للوحدة ، وإظهار للقوة ... وتلك مقومات تجدد للاسلام شبابه ، وتحفظ لأبنائه قوتهم وشوكتهم ، وتبقى لهم مكانتهم وهيبتهم ..

وبأداء صلاة الجماعة في المسجد خمس مرات في اليوم ، وصلاة الجمعة مرة كل أسبوع : أصبح للمسجد مكانة هامة في الاسلام وفي حياة المسلمين ، فليس هو ديرا للرهبنة ، ولا زاوية للمتعطلين ، ولا تكية للدراويش ، لأنه لا رهبانية في الاسلام ، والاسلام بطابعه الحركي الأصيل ، وفي جوهره النقي ، ينفر من حياة التبلد ، ويرفض الاتكالية والانهزامية ، بل إنه ليدمغ الانسحاب والفرار من ميادين الحياة ، ويدمدم على من يقبعون في جحورهم كما تقبع الثعالب

والجرذان ..
يقول الله تعالى : (**إن الذين توفّاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيمَ كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا . إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان**) النساء/ ٩٧ و ٩٨
ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي ذر : « عليك بالجهاد فإنه رهبانية أمتي .. » رواه ابن حبان والحاكم ..

رسالة المسجد في الحياة عامة شاملة :

ورضى الله عن عمر بن الخطاب حين وجد جماعة في المسجد تلبثوا بعد صلاة الجمعة بدعوى التوكل على الله ، فعلاهم بدرته ، وقال كلمته المأثورة : « لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقني وقد علم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة ».. ان الله يقول : (**فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله**) الجمعة/ ١٠
وناهيك ـ أيها القارىء الحصيف ـ بدور المسجد في مجال الحياة العامة بكل جوانبها : الفكرية والسياسية والاجتماعية ، فهو قلعة شامخة لتبادل الرأي ؛ وبرلمان حر أصيل ، تتفجر بين جوانبه طاقات النقد المبدع ، الذي يحدو قافلة المجتمع ، ويصحح لها المسار ..
أجل !! إنه برلمان وأي برلمان .. ولكن نوابه ليسوا من أولئك الذين تحركهم ميول سياسية ، أو تدفعهم نوازع طائفية أو جنسية أو عنصرية ، من تلكم النعرات الجوفاء الهوجاء .. التي طالما أماتت حقوقا وأحيت أباطيل .. والتي نرى أمثلة لها على مسرح ما يسمى : « بالأمم المتحدة » .. وإن شئت فقل : « الأمم المختلفة » .. حيث تنتهك الحرمات ، وتضيع الكرامات ، وتهدر الدماء ، ويباد الأطفال والنساء ، وتشرد الشعوب من أوطانها ، ويمارس معها نوع من الرق والعبودية ، لم تعرف البشرية أحط منه في تاريخها الطويل ..
نقول : إن المسجد في الاسلام برلمان نظيف تطرح فيه الآراء ، وتناقش الأمور في إخلاص وتجرد وحب لله ورسوله .. ذلك لأن أعضاءه الذين يحضرون جلساته هم الذين نعتهم القرآن حين قال :
(**التائبون العابدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله**) التوبة/ ١١٢ ..
وهل سمعنا خطبة سياسية جامعة موجزة لرئيس دولة : كتلك التي ألقاها الصديق أبو بكر عليه رضوان الله يوم وليّ الخلافة ؟ وأين ألقاها ؟ إنه ألقاها في رحاب المسجد النبوي ، أول جامعة إسلامية في التاريخ ، وهى الجامعة التي بددت حنادس الجهالة ، وأعلت قيمة الحياة ، وعمرت جوانبها بالحق والخير والجمال

والفضيلة .. وماذا قال الصديق العظيم في خطبته ؟ .. لقد قال :
« أيها الناس .. لقد وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنت فأعينوني ، وإن أسأت فقوموني ، ألا إن أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ الحق له ، وإن أضعفكم عندي القوى حتى آخذ الحق منه ، أطيعوني ما أطعت الله فيكم ، فإذا عصيته فلا طاعة لي عليكم .. »..

ولا يزال التاريخ يردد في فخار قول عمر وهو على منبر رسول الله : « من وجد في اعوجاجا فليقومه : فنهض اليه أعرابي وقال : والله - يا ابن الخطاب - لو وجدنا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا .. » فقال عمر : الحمد لله الذي جعل في أمة محمد من يقوم اعوجاج عمر بالسيف ».

ولقد سجل الزمان في صحائف من نور : تلك المعارضة الجريئة من امرأة عجوز لأمير المؤمنين عمر حين أراد تخفيض المهور : مستدلة بقوله تعالى : **(وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا)** النساء/ ٢٠ .. فما زاد ابن الخطاب على أن قال : « أصابت المرأة وأخطأ عمر .. »

ذلكم هو المسجد : برلمان دائم ، يعقد جلساته كل يوم خمس مرات .. ولا يغلق بابه في عطلة أو اجازة أو أي ظرف من الظروف .. فهل رأى الناس في حياتهم برلمانا مثله ؟

★ **(قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خيرٌ مما يجمعون** يونس/ ٥٨ ومن آداب دخول المسجد أن يقدم المسلم قدمه اليمنى ثم يقول : « **وأن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحدا** .. اللهم أنا عبدك وزائرك وعلى كل مزور حق ، وأنت خير مزور ، فأسألك برحمتك أن تفك رقبتي من النار .. » وإذا خرج قدم رجله اليسرى وقال : « اللهم صب الخير صبا ولا تنزع عني صالح ما أعطيتني أبدا .. » رواه أصحاب السنن ..

المسجد قلعة شامخة للمساواة :

وإذا انتقلنا إلى المسجد ودوره في ترسيخ دعائم المساواة ، فإننا سنرى لذلك صورا لا تملك البشرية إلا أن تحنى هامتها تقديرا لها وإجلالا .. ولقد أتت هذه المساواة المسجدية ترجمة صادقة ، وتطبيقا حيا ، لما قرره الاسلام من مساواة مطلقة بين بني البشر في أصل الخلقة ، وذلك في وقت كان فيه العالم يتخبط بين نظريات هزيلة ، حول ابن آدم والأصل الذي انبثق منه ، وهي برمتها لا تمت إلى الحقيقة بسبب .. أما الاسلام الخالد فقد كان منطقه في قضية المساواة حازما وقاطعا :
(يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفسٍ واحدةٍ وخلق منها زوجَها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء) النساء/ ١
نقول : إن المساجد تعكس صور المساواة ، وتبرزها في إطار من المهابة فريد .. وأي

مساواة أوضح من تلك التي نراها في الصفوف المتراصة ؟؟ الأمير إلى جانب الخفير ، والغنى بجوار الفقير ، والسيد ملاصق للخادم .. وهكذا .. فليس للمسجد لائحة تؤثر الوزراء بالصف الأول ، والنواب بالصف الثاني ، والمديرين وموظفي الدرجة الأولى بالصف الثالث .. وإنما الجميع سواسية كأسنان المشط الواحد .. فمن بكر في الذهاب إلى المسجد احتل مكانته بين الصفوف أيا كانت منزلته وعمله في الناس ..

معنى ذلك أن الذي يأتي متأخرا ليس من حقه أن يضايق الناس ، ويتخطى رقابهم في صورة تزعجهم ، وتعكر عليهم صفو العبادة ولذة المناجاة .. وهذا خطأ يقع فيه كثير من الناس حيث يحضرون إلى المساجد متأخرين ، ويريدون الصلاة في الصفوف الأولى .. وهو سلوك مخالف للسنة .. فقد رأى رسول الله صلى عليه وسلم رجلا يتخطى رقاب المسلمين فقال له : « اجلس فقد آذيت .. » رواه احمد وأبو داود .

تلك المساواة الباهرة والتي نبصرها في جموع المصلين ، إنما ينمو غرسها ، ويبسق فرعها في بيوت الله .. وأكاد أقول : إن هذه الظاهرة لا توجد في شعائر أي ملة ، ولا طقوس أي دين .. وكفى الاسلام بذلك منقبة وفخرا ومجدا ..

يقول الفيلسوف المسلم « **محمد إقبال** » : « إن اختيار قبلة واحدة لصلاة المسلمين أريد به أن يكفل وحدة الشعور للجماعة ، وإن هيئتها على العموم تحقق الاحساس بالمساواة الاجتماعية ، وتقوى أواصره ، بقدر ما تتجه إلى القضاء على الشعور بالطبقات أو تفوق جنس على جنس .. وعلى هذا فإن صلاة الجماعة في الاسلام إلى جانب مالها من قيمة فكرية تشير إلى الأمل في تحقيق الوحدة الضرورية للبشر ، كحقيقة من حقائق الحياة ، وذلك بالقضاء على جميع الفوارق التي ميزت بين الانسان وأخيه الانسان .. »

هكذا المسجد في لغة الاسلام ، يتلاحم مع الحياة ، ويتفاعل معها في حركة بناءة هادفة ، فمنه تنبثق التوجيهات ، وفيه تتفجر القيم ، وعلى ساحته تتحول النظريات إلى تطبيق .. وإن جيل محمد صلى الله عليه وسلم لم يتخرج من جامعة أكاديمية كجامعات اليوم .. وإنما صُنِعَ هذا الجيل المبارك ، ورُبيَّ وصُقِلَ ، بين جنبات مسجد بناه أستاذ المعلمين ، وقائد الغر المحجلين نبينا صلوات الله وسلامه عليه .. ولكنه كان معقلا مقدسا ، يجمع بين الدين والدنيا ، تعقد فيه المؤتمرات ، وتستقبل فيه الوفود ، وتتحرك منه الكتائب المجاهدة ، وتنطلق منه السرايا الكاشفة ، وتدار فيه رحى العلم ، وتعقد فيه ندوات الفقه ، وتصف فيه الاقدام للعبادة ..

فهل من عودة إلى رسالة المسجد العامة التي تتحرك بالحياة نحو خيرها ورشدها بعد أن أصبحت وظيفة المسجد رتيبة خاوية ، تتمثل في إقامة الصلوات ، وممارسة الأذكار والدعوات ؟؟

تلك أمنية نرجو تحقيقها .. والله من وراء القصد .

القرابة والقربة

في الجاهلية ثم الاسلام

للاستاذ
الغزالي حرب

القرابة لحم ودم ، والقربة نفس وروح ..!!

ولاشك في ان الادب العربي القديم ولا سيما الادب الجاهلي قد عني بقرابة اللحم والدم اكثر مما عني بقربة النفس والروح ، على حين ان التراث الاسلامي ، قد عني بكلتيهما مع إيثار القربة على القرابة ، ولم ينكر على الادب الجاهلي ! الا عصبيته لقرابة اللحم والدم على حساب القربة من الله ورسوله ، ولم يفته ان يشيد في القرآن الكريم نفسه بمن ضحوا بالقرابة في سبيل القربة ، كما صنع أبو بكر حينما هم بمبارزة ابنه المشرك في غزوة بدر ، وكما صنع عمر بن الخطاب حينما استشاره

الرسول في أسرى بدر ، فأشار عليه اشارة عمرية حاسمة صريحة ، هدفها الاول ان يعلم اعداء الاسلام ، انه ليست في قلوب المسلمين حينذاك ادنى مودة لاقاربهم المشركين ، وكما صنع ابو عبيدة عامر بن الجراح ، بقتله أباه الجراح في غزوة بدر بيديه ، وكما صنع عبد الله بن عبد الله بن ابي بن سلول ، بعرضه على الرسول أن يأتيه برأس زعيم المنافقين ، وان كان هذا الزعيم أباه ابن سلول ، لأنه لا يعرف له أبا غير الاسلام ، مصداقا لقول الشاعر الاسلامي الخالص :

أبـي الاســلام لا أبَ لي ســواه   اذا افتخــروا بقيس او تميــم !!

ومن الآيات القرآنية الكريمة الملائمة لهذا المقام ، قوله ـ تعالى ـ (**لا تجدُ قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادُّون من حادَّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيدَّهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون**) المجادلة / ٢٢

ومن عجيب أمر العرب في الجاهلية ، انهم ـ وان عرفوا بالعصبية للقرابة ـ لم تتورع بعض قبائلهم عن وأد العربي منهم بنته في التراب عقب ولادتها ، وهي فلذة كبده ، وأقرب الناس اليه ، وإنصافا هنا للحقيقة والتاريخ نقرر ما يأتي : (**لِيَهْلِكَ من هَلَكَ عن بيّنة ويحيا من حيّ عن بينة وإن الله لسميع عليم**) الأنفال / ٤٢

أ) لم يكن وأد البنات عاما شائعا في القبائل العربية كلها ، وإنما كان مقصورا على بعض البطون العربية المنحطة من « تميم » و« اسد » ، وقد أنكره أشراف بني تميم وحاربوه وفي مقدمة هؤلاء الآباء الأشراف : ابن ناجية التميمي ، وزيد ابن عمر وابن نفيل/ العقد الفريد ٣ : ٢٧٢ ، وغالب بن صعصعة جَدُّ الفرزدق الشاعر الأموي المشهور ، وإشادتنا بفضل الاسلام على الأمة العربية بعامة والمرأة العربية بخاصة ـ وانه لفضل عظيم ـ لا تقتضي العدوان على الحقيقة والتاريخ ، قدر ما تقتضي انصاف الحقيقة والتاريخ ، بالاسلوب العلمي الموضوعي الهادىء الرزين من طراز قول المرحوم الاستاذ الدكتور محمد حسين هيكل في كتابه المشهور : « حياة محمد » ص ٣١٦ : « لم يحترم أحدٌ المرأة ، كما احترمها محمد بن عبد الله ، ولم يسمُ بها أحد الى المكان اللائق بها ، كما سما بها محمد بن عبد الله » عليه افضل الصلاة ، وازكي السلام .

ب) ان هذه البطون العربية المنحطة ، ما كانت تتنكر لقرابتها ، وتئد الوليدة من بناتها دون ذكورها ، الا لأنها كانت تعتقد ان البنات رجس من خلق الشيطان لا من خلق آلهتهم ـ كما رجح ذلك بعض المحققين المحدثين/ الاسرة والمجتمع د . علي عبد الواحد وافي : ١١٩ وما بعدها .

جـ) أن التاريخ كما عرف عن بعض العرب ارتكابهم جريمة وأد الانثى .. عرف هذه الجريمة بل أبشع منها عن غير العرب ايضا من القدامى ، ومنهم : الفينيقيون ، والاسرائيليون والرومانيون ، والصينيون .. ممن كانوا اقسى من العرب على اولادهم ذكورا واناثا وقد سجل عليهم المؤرخون ما سجلوا هنا من جرائم الإحراق او الإغراق او القتل لفلذات الاكباد !!

وكان طبيعيا ان يَحمل القرآن الكريم حملته على هذه الجريمة النكراء ، في سورة النحل الاية : ٥٧ و٥٨ وسورة الزخرف الآية : ١٧ ، وسورة التكوير الآية : ٨ ، وان يبدل هؤلاء الجاهليين القساة ، من غدرهم بقرابتهم الحميمة ، مودة لها ، وابقاء عليها ، وحفاوة بها ، كما تنطق بذلك عشرات الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، والآثار الاسلامية .

وكان منطقيا أن يقرّ الاسلام العرب في مواقفهم المحمودة بين القرابة والقربة ولا يقرهم في مواقفهم الأخرى ، التي ينحرفون فيها عن سواء السبيل ، بالإفراط او التفريط وكلاهما بعيد عن الوسطية الاسلامية ، التي أدَّبت المسلمين فأحسنت تأديبهم ، وجعلتهم جديرين بقول القرآن الكريم فيهم : (**كنتم خير امة أخرجت للناس**) ..آل عمران / ١١٠ : (**وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس**) البقرة / ١٤٣ .

فمما باركه الاسلام من احوالهم وشئونهم في ظلال القرابة والقربة :

اولا : استجابتهم لداعي القرابة ، بايثار المحبة على الكراهية ، للبنات ، ومن هن بمنزلة البنات ، والتعبير عن هذه المحبة احيانا بالتدليل السمح الكريم ، ومن الأشعار الجاهلية هنا ، قول حسان بن الغدير :

رأيت رجالا يكرهون بناتهم ... وهنَّ البواكي والجيوب النواصح

وقول الشاعر المخضرم : معن بن أوس :

رأيت رجالا يكرهون بناتهم ... وفيهن - لا نكذب - نساءٌ صوالح
وفيهن والأيام يعثرن بالفتى ... عوائد لا يمللنه ونوائح

وقول امرىء القيس يحدثنا عن تدليل احدى البنات السعيدات ، بالملابس الجميلة ، واللعب المسلية ، والعرائس الطريفة ، قائلا :

وهـــي اذ ذاك عليـــهـــا مئـــزر ولـــهـــا بيت جـــوارٍ مـــن لُـعَـب

وقد بارك الاسلام السمح الكريم ، هذا التدليل اللطيف ، بعد ذلك الحب والاعزاز ، بالقول والعمل ، من رسول الاسلام نفسه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ ، فقد كان يأذن لعائشة أم المؤمنين ، حتى عقب زفافها اليه ، في اللعب مع زميلاتها ببعض التماثيل واللعب الصغار ومنها فرس له جناحان ، وقد سألها مرة متعجبا مداعبا ـ وكأنها إحدى بناته لا إحدى زوجاته :ـ يا عائشة ، أفرس له جناحان ؟ فقالت له في دلال محبب : أما سمعت أن سليمان بن داود كانت لخيله أجنحة ؟ فضحك الرسول الانسان الاعظم ، حتى بدت نواجذه (سنن ابي داود٢ : ١٩٧ ـ ٢٠١) ، وكان ـ صلى الله عليه وسلم ـ يصلي وهو يحمل على عاتقه أمامة بنت ابي العاص زوج ابنته زينب ، وكثيرا ما قَبّل ابنته السيدة فاطمة الزهراء ، بعد قدومه من سفره ، وكنّاها بأمه في حبه لها ، واعجابه بها (الاصابة : ٨ :١٥٧) وبهذه الروح الاسلامية الانسانية ، في الاستجابة لداعي القرابة تشبع الشعراء الاسلاميون ، في التعبير الطبيعي عن مشاعر حبهم العميق لبناتهم ، وحسبنا هنا ما قاله حطان بن المعلي الذي يكفينا قوله :

وانـــمـــا اولادنـــا بيننـــا أكبـادنـــا تمشـــي علـى الارض

وما قاله الزبير بن عبد المطلب ، وقد دخلت عليه ابنته « ام الحكم » فهتف من اعماقه :

يـــا حبـــذا أم الحكـــم كـأنـــهـــا ريـــم أجـــم
يـــا بـــعلـــهـــا مـــاذا يشـــم ســاهـــم فيـــهـــا فَسُــهِـــم

وفي غمرة هذه المحبة الودود ، والاستجابة التلقائية ، للقرابة الحنون ، لا قيمة لما نراه بعد الاسلام من أشعار اخرى لها طابع جاهلي ، والاسلام السمح منها براء ، من طراز قول عبد الله بن طاهر ـ عفواً ومعذرةً ـ فانما هي رواسب جاهلية :

لكـــل ابي بنت يُـــرَجّى بقـــاؤهـــا ثلاثة أصهـــار اذا ذكر الصِّهْـــر
فبيت يغطيهـــا ، وبعـــل يصـــونهـــا وقبـــر يـــواريهـــا ، وخيْـرُهُم القَبْـــرُ

ثانيا : ارتياحهم الأبوي الى الكناية عنهم بأسماء بناتهم ، وذلك ما يأنف منه بعضنا نحن حتى اليوم : فالنابغة الذبياني كنيته : أبو أمامة ، وحاتم الطائي ، كنيته : أبو سفانة ، وربيعة بن رباح والد الشاعر زهير بن أبي سلمى ، كنيته : أبو سلمى ، ووالد حنظلة الطائي كنيته : أبو عفراء ، الى آخر ما هنالك من الكنايات العربية الكثيرة بأسماء البنات «الاغاني ٩ : ٩٨ ، ١٣٩ ، ١٥٤» وذلك ما باركه الأدب الاسلامي ، تأسيا برسول الله الذي كُنِيَ عنه بأبي الزهراء ، كما كُنِيَ عنه بأبي القاسم ، وكُنِيَ عن أحد أصحابه الأجلاّء بأبي أمامة ، رضي الله عنه وأرضاه .

ثالثا : توهج تعبيرهم بالشعر او النثر ، عن العلاقات الانسانية الحميمة ، التي ملأت كل فراغ عاطفي بينهم وبين اولادهم ، بعشرات التهاني او التحيات ؛ او

الوصايا ، او التعازي ، او الاقوال والحكم المأثورة ، التي يكفينا منها مثلا ما قاله هوذة بن علي الحنفي ، الذي وفد على كسرى ، فسأله عن بنيه ، فسمى له عددا منهم ، ولما سأله : ايهم احب اليك ؟ اجابه هذا الجواب الرائع الملهم : احب اولادي اليَّ الصغير حتى يكبر ، والغائب حتى يرجع ، والمريض حتى يفيق (العقد الفريد تحقيق سعيد العريان ٢ /١٠٣) !! وقد بارك الادب الاسلامي هذه العلاقات الانسانية التي توثق الصلات ، بين الاباء والابناء والبنات ، ثم أضاف اليها ما اضاف من تنظيم وتنسيق ، الحقوق والواجبات ، المتبادلة بين هؤلاء وأولئك ، قائلا للجميع في ايجاز بليغ : « كلكم راع وكلكم مسئول » (رواه البخاري ومسلم) ، والمسئولية الاولى للآباء ، مسئوليتهم عن تأديب أولادهم بأدب النفس ، وأدب الدرس ؛ أسوة بلقمان الحكيم فيما قاله لابنه في سورة « لقمان » ، وأسوة بالمربي الاعظم ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو القائل : « ما نحل والد ولده من نحلة افضل من أدب حَسَن » رواه الترمذي والحاكم ، وبهذا الهدى المحمدي الخالد ، تشبعً الأدباء والشعراء والمؤلفون ، منذ ظهور الاسلام حتى اليوم ، ويكفينا من مأثوراتهم هنا ، قول الأحنف بن قيس لمعاوية بن ابي سفيان ، حينما سأله : يا ابا بحر ، ما تقول في الولد ؟ فقال : يا امير المؤمنين ، هم عماد ظهورنا ، وثمرة قلوبنا ، وقرة أعيننا ، بهم نصول على اعدائنا ، وهم الخلف منا بعدنا ، فكن لهم ارضا ذليلة ، وسماء ظليلة ، ان سألوك فأعطهم ، وان استعتبوك فأعتبهم ، ولا تمنعهم رفدك فيملوا قربك ، ويستثقلوا جنابك ، ويتمنوا وفاتك ..!! فقال له معاوية : يا ابا بحر .. هم ـ كما قلت/زهر الاداب تحقيق د . زكي مبارك ٣ : ٦٣ ، والى جانب مسئولية الاباء عن تأديب اولادهم ، تأتي مسئوليتهم عن المساواة التامة ، والعدالة الكاملة ، حتىتتوثق الصلة بينهم ، ـ كما ينبغي ـ مشدودين جميعا الى الأبوة العادلة ، بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها مادامت هذه الابوة ، تهتدي بالهدى المحمدي التربوي ، الذي يكفينا منه الاحاديث الآتية ـ وهي غيض من فيض ـ : روى الطبراني انه ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « اعدلوا بين اولادكم في النحل (العطايا) ، كما تحبون ان يعدلوا بينكم في البر والعطف « وقال : « اتقوا الله واعدلوا بين اولادكم ، ولو في القُبلة » وقال : « ساووا بين اولادكم في العطيَّة ، فلو كنت مفضلا احدا ، لفضلت النساء»

وحينما اراد النعمان بن بشير ، ان يفضل ابنه من عمرة بنت رواحة على اخوته ، أبت عليه زوجه المسلمة هذه المحاباة لولدها ، قائلة له : لا ارضى حتى تشهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على ذلك .. فسأله الرسول : أكل اولادك يبرونك مثل هذا ؟ قال : نعم .. قال . « اذهب فاني لا اشهد على جَوْر » (صحيح البخاري) وهكذا حرص المربي الاعظم ـ صلى الله عليه وسلم ـ على اعلاء شأن القربة من الله ورسوله ، على شأن قرابة اللحم والدم .. واين الجسد من الروح ؟ واين الثرى من الثريا ؟ واين الدنيا وزينتها من الباقيات الصالحات . « **والباقيات الصالحات خيرٌ عند ربّك ثواباً وخيرٌ أملا**) الكهف / ٤٦ (**والباقياتُ الصالحاتُ خيرٌ عند**

ربّك ثواباً وخير مردّا) مريم / ٧٦

ومما عارضه الاسلام وقاومه : **ثم هذبه وقومه من مواقفهم بين القربة والقرابة ، الموقف الآتي من رابطة الأخوة الظالمة او المظلومة :**

لقد كان لرابطة الأخوة في الجاهلية ، أثرها وخطرها في دعم روابط الأسرة أو القبيلة ، التي كان شعارها المقدس : انصر اخاك ظالما او مظلوما ، وأول عربي أرسل هذه الصرخة تحت وطأة العصبية الجاهلية : أنصر أخاك ظالما أو مظلوما - كما روي المفضل - هو جندب بن العنبر (مجمع الامثال للميداني ٢ : ٢٩٦) من تميم ، ولما جاء الاسلام بتربيته السماوية العليا ، بارك - من حيث المبدأ - صلة الرحم ، ونصرة المظلوم ، كائنا من كان ، ولكنه تسامى بهذه النصرة ، وتلك الصلة فوق العصبية الجاهلية الغاشمة ، فأجاز للأخ أن ينصر اخاه ، وللقريب ان ينجد قريبه ، ولكن بالحق لا بالباطل ، وبالعدل لا بالظلم ، وبالقربة من الله ورسوله ، لا بالقرابة النسبية الى فلان او علان ، ومن هنا روى البخاري ومسلم ان الرسول - صلى الله عليه وسلم - قال : انصر اخاك ظالما او مظلوما .. قالوا : يا رسول الله ، هذا ننصره مظلوماً فكيف ننصره ظالما ؟ فأجابهم المربي الأعظم - صلى الله عليه وسلم - : ترده عن الظلم .. قال العلامة ابن حجر العسقلاني ، في « فتح الباري » بعد ان اتم شرح هذا الحديث الصحيح ، واورد طرقه واختلاف رواياته ، وأسماء رواته من رجال الحديث ما خلاصته : ذكر المفضل الضبي في كتابه الفاخر : « ان اول من قال : انصر اخاك ظالما او مظلوما ، جندب بن العنبر بن عمرو بن تميم واراد بذلك ظاهره ، وهو ما اعتادوه من حمية الجاهلية ، لا على ما فسره النبي - صلى الله عليه وسلم - وفي ذلك يقول شاعرهم :

اذا انا لم انصر اخي - وهو ظالم على القوم لم أنصر أخي وهو يُظلَمَ !!

ولقد كان النبي - صلوات الله وسلامه عليه ، يتكلم بما للعرب من امثال ، فلا يلبث الرواة ان يصيروه حديثا ، ويتلقاه الناس على ذلك«فتح الباري : ٥ / ٧٥

فعبارة : « انصر اخاك ظالما او مظلوما » ، اصلها جاهلي ، غير ان رسول الاسلام صلوات الله وسلامه عليه - جرى بها لسانه الطاهر ، ليدخل عليها في استدراج تربوي حكيم هذا التفسير الجديد المجيد ، الذي يقضي على العصبية الجاهلية الرعناء ، ويتسامى بصلة الرحم من الارض الى السماء ، ومن قرابة اللحم والدم ، الى قربة النفس والروح ، ومن معترك الأهواء والنزوات ، الى حيث جعلها معلقة بعرش الرحمن ، تقول : من وصلني وصله الله ، ومن قطعني قطعه الله - على حد تعبير الحديث النبوي الشريف الصحيح»وواضح ان الوصل المطلوب ليس قطعا لما امر الله به ان يوصل من رعاية الحقوق وتحقيق العدالة والمساواة ، دون ادنى تأثر بعصبية القرابة واللحم والدم (**إلا تفعلوه تكن فتنةٌ في الارض وفسادٌ كبيرٌ) الانفال / ٧٣** . (**ربنا لا تجعلنا فتنةً للقوم الظالمين)** يونس / ٨٥ .

لو كان معه رجال

قصة العدد

للأستاذ / شوقي محمود حسين

استيقظ الرجل وهو يشعر بكثير من الراحة ، مع أن التورم الذي أصاب قدميه منذ يومين قد ضيق من خطوه ، ولكن لا ضير فقد طوى الشوط الاكبر من المسافة .. إنه يسير منذ سبعة أيام ولم تبق إلا ساعات قلائل على دخوله المدينة .. وتهادى إلى مسمعه من بين أغصان الشجرة التي يقيل تحتها أصوات زغب تصفق بأجنحتها الصغيرة وهي تعالج ما تقدمه لها أمها من طعام .. وفكر أن يتسلق الشجرة إلى هذه الأفراخ يستعين بها على غائلة الجوع ، ولكنه عدل عن هذا الخاطر فما كان له وهو في طريقه إلى الأمان أن يزعج طيرا في عشه ، وتناول تمرات من صرة صغيرة شارف ما فيها على الانتهاء وأكل بعضا منها وشرب قليلا من ماء وحمد الله وجعل يتمتم ببعض الدعوات ، ثم انطلق يوسع الخطى .

منذ متى لم تكتحل عيناه بمرأى الوجه الكريم ؟.. منذ ست سنوات أو يزيد ، وإنه ليحس في نفسه وخز الندم لتأخيره إعلان إسلامه إذ فاته شرف الاشتراك في المواقف الجليلة وشرف المبايعة تحت شجرة الرضوان ، ولكنه يحمد الله على أية حال فقد استطاع الهروب من محبسه والافلات من قبضة هؤلاء الزبانية الذين يسومون المسلمين في مكة سوء العذاب ... ولكن .. وأراد أن يطرد الخاطر الذي اقتحم عليه تفكيره .. إنه لا يتصور أن يعود مرة أخرى إلى قريش لكي يلقاه الأخنس بن شريق وأزهر بن عوف ... وتحسس خطوطا بارزة في ظهره وجنبيه .. لقد نسيها طوال الرحلة فخفف الله عنه آلامها ، ولكنه عندما تحسسها فكأنما أيقظ الألم من سباته ، فأحس كأن سياط ازهر بن عوف لا تزال تهوى على ظهره وابو بصير يردد ما قال حويطب بن عبد العزي لمكرز بن حفص أثناء مفاوضات الحديبية .. « لن نأخذ من محمد نصفا

بعد اليوم حتى يدخلها عنوة » ولشد ما أحس بالسرور يملأ أقطار نفسه وهو يسمع في محبسه ابن عمه عروة بن مسعود الثقفي الجافي ، غليظ الطبع وقد أرسلته قريش إلى محمد صلى الله عليه وسلم في الحديبية فعاد يقول : « ياقوم .. لقد وفدت على كسرى في ملكه وهرقل في ملكه والنجاشي في ملكه وإني والله ما رأيت ملكا قط أطوع فيمن هو بين ظهرانيهم من محمد في أصحابه » .

كانت هذه الأنباء وغيرها تنزل بردا وسلاما على أبي بصير ورفاقه من المسلمين المحبوسين في مكة ولم يكن أبو بصير بقادر على إخفاء مشاعر الشماتة وإن كان هذا يزيده من المشركين عذابا على ما يلقاه من عذاب .

لقد كان يلقى الحفاوة كل الحفاوة والاكرام كل الاكرام في قريش قبل أن يعلن إسلامه فهوا بن أختهم سالمة بنت عبد بن يزيد بن هاشم بن عبد المطلب ، ويربطه حلف ببني زهرة ، ولكنه الران على قلوب المشركين يصم آذانهم عن دعاء الرحم والقرابة والحلف ، كما صم آذانهم عن دعوة الحق .

كانت مثل هذه الخواطر تدور برأس أبي بصير بينما هو يوسع الخطى مغذا السير ليبلغ المدينة قبل اختفاء الشمس ليتمكن من أداء صلاة المغرب خلف النبي صلى الله عليه وسلم ، ويجلس إليه يستمع منه وحي السماء ويأخذ عنه النهج الذي ينظم صلة العبد بخالقه والانسان بمن حوله وما حوله ، وكيف يسلك الصراط المستقيم متجنبا السبل التي تفرق بالانسان عن سبيل الله .. إنها الأمنية التي لم تبارح تفكيره منذ سمع بمقدم الرسول صلى الله عليه وسلم محرما بالعمرة ، ونزل بالحديبية وحدث ما كان من أمر الصلح الذي اشترط فيه سهيل ابن عمرو : « على أنه من أتى محمدا من قريش بغير إذن وليه رده عليهم ومن جاء قريشا من عند محمد لم يردوه عليه » فأحس كثير من المسلمين أنهم أعطوا الدنية في دينهم مع قوتهم التي يستطيعون بها أن يدخلوا مكة عنوة ، ولكنه أمر الرسول الذي يتلقى الوحي من السماء يجب أن يطاع ، وقد أسماها الوحي بعد ذلك فتحا مبينا .

كان أبو بصير يسير وحيدا في الشعب المفضي إلى المدينة والحصي ينغرز في قدميه فلا يزيده الألم إلا إصرارا على بلوغ المدينة قبل المغيب ، وإنه ليتخيل المسافة القصيرة الباقية تمتد طويلة أمام قدميه وقد كان يظن عند خروجه من مكة أنه سيطوى الطريق في ساعات قصار ، ومع هذا فهو يستعذب كل مشقة وألم مادامت تفضي به إلى أرض يقيم فيها النبي الحبيب .

لم يسأل أبو بصير عن أي من دور أصدقائه أو أقاربه بالمدينة ، فليس هناك من هو أحق باللقاء من المصطفى صلى الله عليه وسلم ،

وتنفس أبو بصير الصعداء ، وجلس بعد الصلاة مع المتحلقين في صمت وخشوع يصيخون بأسماعهم الى الذي لا ينطق عن الهوى : ولكنها فرحة لم تتم وأوقات السرور القصار كأنها تنتزع من براثن المنغصات لتستردها مرة أخرى .

افتقد أزهر بن عوف بين المحبوسين المغلوبين على دينهم ذلك الثقفي الجريء الذي ما إن يرى رأسا من رؤوس الشرك حتى يسفه أحلامهم ويسخر من صغار عقولهم التي تجعلهم يوفضون إلى تلكم التماثيل الشوهاء خاشعين مقدمين النذور والقرابين .

انطلق أزهر بن عوف مسرعا إلى صديقه الأخنس بن شريق الذي كان قد توعد أبا بصير بأفانين من العذاب لقاء ما فعله معه أول أمس اذ استخلص أبو بصير يده من وثاقه وشد زنمة الأخنس فأكبه على وجهه صارخا ولم يقتصر الضحك على المسلمين المحبوسين ولكنه تعالى من المشركين الذي شاركوا المسلمين السخرية من احمرار هذه الزنمة المدلاة من عنق الأخنس حتى قال صبي منهم : « إنه يحتاج إلى زنمة أخرى ليصبح تيسا » .

حز في نفس الأخنس بن شريق انه لم يستطع التشفي من أبي بصير : ولم يطل به التفكير وأمسك لحية أزهر بن عوف وصاح فيه :

- عجل بإرسال رجال أشداء ليأتوا بأبي بصير وكن سخيا في الكراء ، وخذ من إبلي رواحل لهم ، ثم دفع اليه صرة فيها مال واستحثه في التعجيل .

لم يبت أبو بصير غير ليلة واحدة في المدينة حتى قدم مبكرا خنيس ابن جابر من بني عامر ومعه مولى له اسمه كوثر بكتاب من الأخنس بن شريق وأزهر بن عوف الزهري الى النبي صلى الله عليه وسلم وقرأ أبي ابن كعب الكتاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا فيه :

« قد عرفت ما شارطناك عليه ، وأشهدنا بيننا وبينك من رد من قدم عليك من أصحابنا .. فابعث الينا بصاحبنا » .

نظر أبو بصير الى النبي صلى الله عليه وسلم نظرة تقطر حزنا ورجاء وقال في صوت مختنق :

- يارسول الله : أتردني الى المشركين يفتنونني في ديني ؟!

وترقرقت الدموع في أعين الصحابة المحيطين به ، وقد أثار أبو بصير كوامن الشجن إذ أضاف حزنا الى حزنهم على أبي جندل بن سهيل بن عمرو وهو يردد نفس العبارة « يا معشر المسلمين أأرد الى المشركين يفتنونني في ديني ؟! بينما أبوه يضرب وجهه بغصن ملء بالشوك ويشده عنوة الى معسكر المشركين تنفيذا للشرط المجحف والدماء تغلي

في عروق المسلمين ويتعالى صياح الكثير منهم « لم نرضى الدنية في ديننا ؟!
قال احد المسلمين بتأثر شديد :
- يا رسول الله الرجل يكون خيرا من ألف رجل !!
وتحشرج صوته ولم يتم كلامه . قال النبي صلى الله عليه وسلم في حزم وثقة ويقين لأبي بصير :
- إناقد أعطينا هؤلاء القوم ما علمت ، ولا يصلح لنا في ديننا الغدر ، وإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا .
وغامت الدنيا في عيني الرجل وقد قبض العامري في قسوة على يده ومشي المولى خلفهما ، ولكن ما عتم أن رفع أبو بصير رأسه في تصميم وقد تردد في نفسه صدى صوت الرسول صلى الله عليه وسلم :
« إن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا » .
تحركت الشمس نحو كبد السماء تحكم تصويب أشعتها الملتهبة الى الرؤوس والأعناق الثلاثة ، ولم يعد بهم طاقة على تحمل المزيد من هذا الهجير ، كما أن االسير قد أجهدهم بعد أن بعدوا عن المدينة ستة أميال دون راحة في الطريق .أذ كان العامري والمولى في شوق إلى بلوغ مكة لصرف المكافأة السخية من أزهر بن عوف ، والأخنس بن شريق وليتحدث الناس عن شجاعتهما في استقدام أول مهاجر إلى المدينة بعد صلح الحديبية تنفيذا للاتفاق المبرم بين الفريقين .. ونبه المولى سيده إلى شجرة وارفة الظلال من أشجار ذي الحليفة فاتجهوا نحوها .
كان العامري والمولى يأكلون كسرهم في شهية بالغة ، ولو أن بالزاد وفرة لالتهموا أضعاف ما طعموا ، وازدرد أبو بصير لقيمات وحسا حسوات من ماء وجلس يسمع إلى ذلك العامري المغرور وقد استل سيفه وجعل يهزه في الهواء قائلا :
- لأضربن بسيفي هذا في الأوس والخزرج إلى الليل .
وأحس أبو بصيرانه قاب قوسين أو أدنى من تنفيذ ما يدور في رأسه .. فقال للعامري :
- أوصارم سيفك هذا يا أخا بني عامر ؟
- نعم .
- ناولنيه أنظر اليه إن شئت .
وما إن استمكنت كف أبي بصير من مقبض السيف حتى علا العامري به وجعل يضربه حتى جعله في الغابرين .
وأذهلت المفاجأة المولى كوثرا ولكن خوف الموت خف به إلى ظهر راحلته يستحثها في العودة إلى المدينة وما إن فرغ أبو بصير من سلب

العامري حتى كاد المولى أن يغيب عن نظره فوثب على بعير العامري يجد في إثر المولى في مطاردة خيم عليها شبح الموت . وما إن بلغ العامري مداخل المدينة حتى قفز عن الراحلة وانطلق يعدو إلى المسجد والحصى يطن تحت قدميه .

نظر الصحابة في دهشة الى ذلك القادم يعدو نحوهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم :

- لقد رأى هذا فزعا .

وأقبل المولى يلهث والخوف يطل من عينيه وقال بصوت مرتجف :

- لقد قتل صاحبكم صاحبي وأفلت منه ولم أكد ، وإني لمقتول .

واستغاث برسول الله صلى الله عليه وسلم فأمنه .

وقدم أبو بصير وأناخ بعير العامري بباب المسجد وعلى وجهه مشاعر متباينة من الاعتزاز بالنفس والخوف والرجاء ، وشغله الموقف عن إفشاء السلام فابتدر الرسول صلى الله عليه وسلم قائلا :

-- يارسول الله : وفت ذمتك وأدى الله عنك .. أسلمتني بيد القوم وامتنعت بديني أن أفتن فيه فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم :

- اذهب حيث شئت .

- يا رسول الله هذا سلب العامري .. رحله وسيفه ، فخمسه .

- إذا خمسته لم أوف بالذي عاهدتهم عليه ، ولكن شأنك وسلب صاحبك . واذهب حيث شئت .

خرج أبو بصير من مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ليلتف حوله خمسة الرجال الذين قدموا مهاجرين من مكة ، ولم يرسل في طلبهم أحد بعد ، وفي أعينهم تساؤل عن المصير المجهول . وقبل أن يبدأ أي منهم بحديث ترامى اليهم صوت النبي صلى الله عليه وسلم عن أبى بصير :

- ويل أمه مشعل حرب لو كان معه رجال .

ودون أن ينبس أحد ببنت شفة سار الرجال الخمسة خلف أبي بصير .

استقر المقام بالرجال بين العيص وذي المروة من أرض جهينة على طريق قوافل قريش مما يلي سيف البحر . وبلغ أبا جندل بن سهيل بن عمرو والمحبوسين بمكة ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم عن أبي بصير : « ويل امه مشعل حرب لو كان معه رجال » فجعل أبو جندل يزين لأصحابه المحبوسين بمكة الانفلات إلى أبي بصير .. وماأن أسدل الليل ستوره حتى كان سبعون من الرجال يطوون الارض تحت جنح الظلام إلى سيف البحر .

لم يخلص إلى ابي بصير هؤلاء الفارون من بطش قريش وحدهم بل تسامع المغلوبون على دينهم من غفار وأسلم وجهينة وطوائف من

الناس فخفوا إلى ذي المروة فكانوا ثلاثمائة فدائي أو يزيد وتنحى أبو بصير عن القيادةوالامامة لأبي جندل الذي عرف كيف يزعج قوافل قريش حتى وصلت العير القادمة من الشام والتي أودعت فيها قريش أموالها فلم يبق من بين بطونها أو أفخاذها إلا وله مال أو فلذة كبد في هذه العير .. وأحس الفدائيون أن في هذه العير ما يعوضهم عن أموالهم التي تركوها بمكة وعن نفيهم بعيدا عن الاهل والأرض الحبيبة . انقض الرجال على القافلة انقضاض الأسود الكاسرة فلم يمض وقت طويل حتى كانت العير أنفالا والحراس في عالم الغيب إلا من أبقوا على حياتهم ليحملوا إلى قريش نبأ الكارثة .

طال انتظار اصحاب الأموال في مكة وساورهم الهم والقلق وكلهم يخشى أن يصرح بما يدور في خاطره من شكوك حتى ظهر رجال امتد بهم حبل الأجل فافلتوا من مخالب الموت ولكن صفرته لازالت ترسم وجوههم وفي أعينهم ما يغني عن التفصيل . وتقدم أبو سفيان من الرجال وهو لا يريد أن يصدق ما يرى وقد دفع الغيظ الدماء في عروقه حتى برزت أوداجه فقال : ماذا أصاب العير ؟

فراح رجل ينشد ما قال أبو جندل :

أبلغ قريشا عن أبي جندل — أنا بذي المروة بالساحل
في معشر تخفق راياتهم — بالبيض فيها والقنا الذبل
يأبون أن تبقى لهم رفقة — من بعد إسلامهم الواصل
أو يجعل الله لهم مخرجا — والحق لا يغلب بالباطل
فيسلم المرء بإسلامه — أو يقتل المرء ولم يأتل

ولم يخل بيت من بيوت مكة دون أن يخيم عليه الحزن على قتيل لا يودي أو مال لا يسترد ولم يجد غضب أبي سفيان على سهيل بن عمرو الذي اشتط في اشتراطه على الرسول صلى الله عليه وسلم أن يعيد إلى قريش من ذهب منها إليه فلولا هذا الشرط ولولا حبسه لابنه أبي جندل ما حلت بهم النكبات .

ولم يكن امام أبي سفيان خيار في الأمر فلابد أن يتوجه بنفسه إلى محمد صلى الله عليه وسلم ويطلب منه إلغاء هذا الشرط الذي كان في ظاهره إجحاف بالمسلمين فإذا به يرسل تباشيرالفتح .. وقدم أبو جندل إلى أبي بصيركتاب النبي صلى الله غليه وسلم الذي يخبرهم فيه بإلغاء الشرط ويطلب إليهم القدوم إلى المدينة .. ورفع ابو بصير عينين واهنتين الى الكتاب يقرؤه فاطمانت نفسه وحمد الله قبل أن يسلم الروح إلى بارئها .

الدين والدولة في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم

نشرت جريدة « الوطن » الكويتية سلسلة موضوعات تدور حول طابع الدولة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم . وهل كان الاسلام موجودا كدولة بكل أبعاد الدولة ؟.. ينظم العلاقة بين الأفراد ، وبين الشعوب ، ويرسم طريقة للحكم ، ومنهجا للسياسة ، والقضاء ، وقواعد لاستنباط الأحكام ، وتصورا لما يناسب حالة السلم والحرب ، وتحديدا للدول الصديقة ، والدول المعادية ، وكيفية التعامل معها ، وإعداد الجيوش .. إلى غير ذلك .

نرى أن الاسلام ، وهو دين الله الخالد ـ نظم كل جوانب الحياة ووضع الأصول الثابتة للبنيان الاسلامي الشامخ .

وفي عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، كان الوحي الالهي ينطق على لسان محمد أفضل رسل الله . « وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحي يوحى » .

ومن هنا نرى أن أقوال الرسول الكريم وافعاله وتقريراته ـ بصفته مبلغا عن الله ـ هي تشريع إلهي لايعتريه الخطأ . حتى وإن اجتهد الرسول صلى الله عليه وسلم في حكم ولم ينزل فيه نص إلهي فهو تشريع يرضي عنه الله سبحانه .. وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا . لأنه لا يقر على خطأ ، على افتراض وقوعه . وإذا لم تكن هناك مصطلحات العصر الحاضر في تحديد مفهوم الدولة ، أو السياسة ، فهذا لاينفي أنها كانت موجودة في الواقع على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وإن لم تحمل أسماءها أو عناوينها الحالية .

ولقد ذهب الأستاذ البهنساوي إلى أن الاسلام كان موجودا كدولة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم . وذهب الدكتور خلف الله إلى غير ذلك ، وامتد الحوار بين الأستاذين وتشعب ، ويبدو لنا انهما لم يحددا بوضوح معاني المصطلحات التي يتناقشان حولها ، كالسياسة و« الحكم» ولو أنهما فعلا لكان من السهل تحديد نقاط الخلاف ، وإذا

كان أبسط معاني السياسة وأشملها : انها فن حكم الشعوب أو المجتمعات . فإن ما كان في العهد النبوي وما تلاه هو من صميم معنى السياسة والحكم ، ولو لجأ الاستاذان إلى الأسلوب الموضوعي ، وبعدا عن الاستطراد في غير موضوع الحديث لكان أجدى وأنفع مع الاخذ في الاعتبار أن الرسول بوصفه رسول الله له موضع خاص . ولكن يبدو أن الدكتور خلف الله وضع نفسه أسير فكرة معينة ، فحاول أن يطوع الألفاظ لخدمتها ..

وعلى أية حال فإن « الوطن » نشرت أخيرا للأستاذ / أبو المعاطي سليمان مصطفى .. مقالا تحت عنوان : « الدين والدولة في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم » ونظرا لفائدتـه تنشره الـوعي الاسلامي » يقول الكاتب :

ـ احب ان اقول ان الدكتور خلف الله اراد ان يجذب القارىء فاتخذ من جزالة الالفاظ وجرس العبارات معاني غير محددة مثل « ان نقول ان الله احسن الحاكمين ولا نقول ان الله احسن حكومة » .

كما أنه وضع مقدمات لقضاياه هي من وجهة نظري الخاصة خطأ وبنى عليها حكمه فخرجت النتيجة خطأ كذلك كقوله « ان التشريع حين يكون من عند الله يكون دينا وحين يكون من عند غير الله يكون تشريعا وضعيا » ونسى ان تشريع الرسول دين ايضا .

وأحب كذلك ان احصل من الدكتور خلف الله على اجابات محددة ودقيقة لعلامات الاستفهام التي اضعها بين يديه دون الدخول في متاهات اللغة .

أولهـا : ما مصـادر التشريـع الاسلامي ، هل القرآن الكريم فقط ام الكتاب والسنة معا ؟

ثانيها : هل النصوص الدينية سواء من القرآن او السنة تعطينا صورة واضحة على ان الاسلام دين ودولة بكل مقومات الدولة العصرية ام لا ؟

ثالثها : هل اضافت السنة أحكاما جديدة في الدين لم تذكر في القرآن أم أن الكتـاب الكريم يشمـل جميع الاحكام ؟

ان الموضوع الذي نحن بصدده لا يمكن فهمه ولا معرفة تفاصيله بمعزل عن الظروف التي احاطت بالعرب قبل تكوين الدولة الاسلامية الناشئة .

فلقد قامت بجوار الجزيرة العربية ـ منبت الاسلام ـ دولتان كبيرتان هما الفرس والروم ، وكان لكل دولة منهما شكلها الخاص ، من حيث القانون ، والحكومة ، وعلاقتها بالشعب ، وقد خلت الدساتـير الوضعيـة لهاتـين الـدولتـين من الجـانب الـروحي ، وانغمستا في الجانب المادي مما أذن برحيلهما فيما بعد .

وكان العرب في تلك الحقبة قبائل متناثرة لا تعرف الصورة المنظمـة لشكل الدولة وكيانها ولم يكن العرب اقـل حظا من الفـرس والروم في الانغماس في تيار الالحاد والمادية كما

أخبر بذلك جعفرُ بن ابي طالب النجاشيَّ . وكانت قبائلهم بحاجة الى قيادة تجمع هذا الشتات على امر واحد وتشكل نظاما جديدا للدولة .

وكان هذا القائد كما اراد الله هو محمدا صلى الله عليه وسلم .

ولكني احب ان اقول سلفا إنه لم يتم اختياره من القبائل ولكنه فرض عليهم من السماء لاصلاح شأنهم على ان يكونوا مركز انطلاق الدعوة الى المجتمعات الأخرى .

واذا كنا نتصور ان الرسول وهو النواة الاولى للتغيير سينقل للدولة الاسلامية الناشئة دستور الحكم من الفرس او الروم فإننا بهذا نخطىء كثيرا .

لأن عمل الرسول حينئذ لن يمتد الى تغيير الانظمة الفاسدة التي جاء أساسا لتقويضها والحصول على دستور جديد تأتي مواده من السماء حسب مقتضيات الاحوال .

ولو كان في استطاعة البشر العاديين اصلاح الفاسد ما كان لاختيار السماء للرسول اي فائدة .

ولما كان صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى . فقد كان الدستور الجديد متمثلا في القرآن والسنة .

وكان التغيير لشكل الدولة ونظامها على يد محمد صلى الله عليه وسلم المتمثلة في سلطة الرئيس وعلى يد اصحابه رضوان الله عليهم المتمثلة في سلطة الحكومة .

لكني ـ والحق اقول ـ ان سلطة الرئيس الجديد لم تستمد سلطانها من الشعب وانما استمدت سلطانها من السماء .

وهذا ـ والتشبيه مع الفارق ـ اشبه بمن يقوم بانقلاب يحقق له السيادة على الدولة وتغيير نظمها دون رغبة من الجماهير .

وعندما يعرف الناس خيره وعدله يمدونه بوسائل القوة ويكونون أعوانا له .

وانتقل بعد ذلك الى سوق الادلة من القرآن والسنة التي تؤيد مفهوم الحكم بمعنى الحكومة .

ولكننا نقرر سلفا ان القرآن الكريم يضع الخطوط العريضة للامور ولا يتعرض للتفاصيل الدقيقة والا لما كان هناك داع لسنة الرسول صلى الله عليه وسلم . من حيث التفصيل والبيان والاضافة ونعرف ايضا ان الرسول عليه السلام قال « انما اوتيت القرآن ومثله معه » ، فالاستدلال من السنة انئذ يقف على قدم المساواة مع القرآن الكريم ومن هنا ذهب فريق من علماء المسلمين الى الرأى بجواز نسخ القرآن بالسنة .

واذا نظرنا الى أي دولة ناشئة نجد انها تتكون من وطن وشعب وحكومة تتولى ادارة هذا الشعب وكان على رأس هذه الحكومة محمد عليه السلام الذي اختارته السماء .

أما بقية التشكيل الحكومي فكان منه عليه السلام دون الرجوع الى امر السماء في شيء من ذلك .

غير ان الدستور الذي سارت عليه الدولة لم تشترك في وضعه هيئات الشعب لأنه ثورة على كل ما هو قائم في

العالم في هذا العصر ومن هنا كانت مهمة الرسول كرسول تلقى الخبر من السماء وتبليغه الى الارض « يأيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته » .

وفي مكة كانت البداية للانقلاب الهائل الذي دوى في الآفاق وتكونت حكومة الظل التي تتسلم العمل عند سقوط الحكومة القائمة وظهر التخطيط والترتيب محكمين في أسلوبها .

وعندما انتقل الرسول الى المدينة ظهر دوره في تشكيل الدولة بصورة واضحة .

وأطرح عدة اسئلة هي في حقيقة الأمر من واجب كل حكومة في كل مكان وزمان - واقول :

هل بعث النبي الكتب وأرسل الرسل الى ملوك ورؤساء العالم ؟ نعم لقد ثبت ذلك عنه بالدليل القطعي مما لا يستطيع ان ينكره احد .. واسأل : هل كان اختيار الرسل وصيغة الكتب بأمر من السماء ام باجتهاد منه شخصيا ؟ وهل ذلك من أمر الدين أم يتعلق بأمر الدنيا ؟ .

ونقول مرة أخرى : هل أعد الرسول الجيوش ونظمها وخاض الحروب ؟ وهل أمر على اجنحة الجيش والويته اصحاب الخبرة في هذا الشأن ؟ وهل ولى على المدينة ومكة واليمن وسائر الامصار الامراء ؟ وهل عزل بعض الولاة ممن سلطوا سيف الحياء على الناس ؟ وهل ارسل العيون واستخدم الحيلة مع الاعداء ؟ وهل سلك سبيل الحيطة والسرية في غزواته ؟ وهل استشار اصحابه من اولى الرأي ونفذ ما انتهى الأمر اليه ؟ هل كان ذلك كله بأمر السماء أم باجتهاده صلى الله عليه وسلم ؟ وهل هذا في أمر الدين أم في أمر الدنيا ؟

واذا أردنا الاجابة على هذه التساؤلات فاننا نجد انه عليه السلام جهز الجيوش وخاض الحروب ولقى النصر والهزيمة وولى اسامة بن زيد امارة جيش موجه الى الروم وفي القوم شيوخ الصحابة .

بل يحق لنا ان نقول انه ارسل السرايا فبعث خالد بن الوليد الى اكيدر دومة وكان ملكا عليها .

وارسل حمزة بن عبدالمطلب الى سيف البحر وعبد الله بن جحش الى نخلة يرصد بها قريشا والزبير بن العوام الى ماء بدر يلتمس الخبر عليه وكانت تلك العيون لاستطلاع امر العدو ورصد امكاناته . وسلك سبيل الحيطة والحذر فكان كلما اراد غزوة ورى بغيرها ولقد بعث عبيدة بن الحارث في ثمانين راكبا فبلغوا ماء بأسفل ثنية المرة ووجدوا جمعا عظيما من قريش فانتزعوا النصر منهم وعادوا به الى الرسول فهل تدخلت السماء في اختيار القواد وتحديد مهامهم ووجهتهم ام كان ذلك من منطق رئيس الحكومة .

وهل كان ذلك في أمر الدين أم أمر الدنيا .

لقد أمر الرسول على المدينة مرة عليا بن ابي طالب يوم سار الى غزوة تبوك كما استعمل عليها زيد بن حارثة

حين خرج الرسول لملاقاة كرز بن جابر القهري . وولى عليها ايضا ابا رهم الغفاري وعثمان بن عفان وغيرهم .

واستعمل على مكة عتاب بن اسيد حين خرج الى هوازن وارسل عليه السلام معاذ بن جبل الى اليمن وسأله عن منهج الحكم فقال له بالكتاب فان لم اجد فبالسنة فان لم اجد فبرأيي فلم يعترض الرسول على ذلك بل اجازه .

فهل كان ذلك بامر السماء ام باجتهاده كبشر ؟ وهل ذلك كله من امور الدين ام من امور الدنيا ؟ لقد انب الرسول عليه السلام ابن اللتبية حين اخذ بسيف الحياء ما لا يحل اخذه من الهدايا لأي مسؤول وقال له ايجلس احدكم في بيت ابيه وامه فينظر ايهدى اليه ام لا، واستخدم الرسول الحيلة في الحرب وقال الحرب خدعة وامر نعيما بن مسعود الغطفاني ان يستعملها ليخلص المسلمين من حصار قريش وحلفائها .

فهل كان ذلك بامر علوي من السماء ام بأمره وهل كان هذا في امور الدين ام الدنيا ؟

واما الشورى فقد كانت ذات قاعدة عريضة عند رسول الله لأن الأمر بها كان من السماء .

على اننا يجب ان ندرك اولا انها لم تحدد الأمور التي يستشار فيها اولو الرأي .

وندرك ثانيا ان ذلك لم يكن لعجز الرسول عن اتخاذ القرار فيما اشكل وانما لترسيخ مبدأ يجب ان يبقى بعد رسول الله .

فقد ثبت ان الرسول استشار اصحابه في اسارى بدر وجاء امر السماء معارضا وجهة رسول الله ومؤيدا قول عمر « ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الأرض »

وفي صلح الحديبية ، صالح الرسول قريشا وكتب بذلك عهدا كان محل اعتراض من اصحابه على بنوده القاسية التي تنص على ان من اتي الى دين محمد يرده محمد ومن ارتد من اصحاب محمد الى دين قريش لا ترده .

وكتب الرسول صلى الله عليه وسلم معاهدة ايضا بينه وبين اليهود في المدينة اعطاهم فيها الأمن والاستقرار .

فهل هذا من امر الدين ام من امر الدنيا ؟

وهل كان ذلك بعلم من السماء ام باجتهاد الانسان المسؤول عن الأمة ؟

حقيقة ان الرسول لم يكن المسؤول عن دخول الناس في الدين ولكنه كان يتحسر على عنادهم ومن هنا قال له المولى سبحانه « لست عليهم بمصيطر » وفهمي لذلك ان الرسول ليس المسؤول عن هدايتهم بل الله يهدي من يشاء .

وعندما يدخل واحد في حوزة هذا الدين مقتنعا به فان الرسول عليه السلام يهيمن عليه ، ومن هنا كان قتل المرتد واقامة الحد على من خالف من المسلمين كما فعل الرسول مع ماعز والغامدية .

فهل كان الرسول غير مسؤول عن

امته ؟

وهل ما فعله عليه السلام كان في امر الدين ام امر الدنيا ؟

لقد اجتهد الصحابة في عهده ايضا كما حدث مع ابي الدرداء وسلمان وكان اقرار الرسول اجازة لهذا النوع من الاجتهاد والفتيا .

وعندما قال الرسول لاصحابه لا يصلين احدكم العصر الا في بني قريظة ادركهم الوقت في الطريق واجتهد الصحابة ما بين مؤد للفرض في الطريق ومرجيء لاداء الفرض حتى يصل وعندما عادوا للرسول اجاز عمل الفريقين ولم يحجر على عقولهم .

ولقد انقطع ابو هريرة للعلم والتبليغ عن رسول الله اليس ذلك ما يسمى في العصر الحاضر بجهاز الاعلام مع فارق في الاسلوب ؟ حقا جاء الصحابة الى الرسول شاوروه في تأبير النخل فأشار عليهم رأيه وعندما شاص التمر جاءوا اليه يسألون . « فقال لهم انتم اعلم بشؤون دنياكم » .

وهذا يؤيد ما نذهب اليه من ان الشورى كانت في امر الدين لا امر الدنيا لأن سنته هي المكملة للكتاب الذي نزل حسب مقتضيات الاحوال .

ومن هذا كله نعلم ان الاسلام كوجهي عملة احدها الدين وثانيها الدولة ولا غناء لاحدهما عن الآخر .

وكان الاسلام بهذه الصورة في عهد الرسول وامتد الى عصر الصحابة الذي كان النظام فيه صورة متشابهة تماما من الحكم في عهد رسول الله ولا ادري بعد ذلك هل يطلب الدكتور خلف الله نصا صريحا من القرآن على ان الاسلام دولة كما هو دين ونطرح الاستدلال بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم جانبا ؟

على اننا نرى فوق هذا كله ان الاستاذ البهنساوي قدم الدليل من القرآن على ان الاسلام دولة في عهد الرسول بكل ما تحمل الكلمة من معنى واستشهد بقوله تعالى في سورة الحديد « لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وانزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس » .

واورد الآية ٦٠ من سورة النساء « الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به » .

وكلتا الآيتين توجه الحديث الى افراد لهم سلطان الدولة ويمثلون مؤسساتها الدستورية ، لأن القرآن كما قرر العلماء لا يحكم بذاته بل يحكم به اولو الأمر من القضاة والأمراء .

لكن الدكتور خلف الله ينكر على العلماء فهمهم الجماعي لآيات الكتاب ولا يعترف الا بفهمه الخاص الذي لم يشاركه فيه احد ويصر على ان الاسلام كان دينا وليس دولة .

ولا ادري لماذا يروق لكثير من الباحثين محاولة تشويه الصورة المتكاملة لهذا الدين الحنيف ؟

وفي الختام اقول : من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ؟..



تفسير آيات

الأخ / أحمد معوض خلان - من مصر - كتب يقول : أثناء تلاوتي في كتاب الله الحكيم صعب عليَّ فهم قوله تعالى : « **حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير** ... » الى آخر الآية الكريمة في سورة المائدة .

كما لم أستطع فهم قوله تعالى : « **إنما النسيء زيادة في الكفر** ... » الآية في سورة التوبة .

وطلب تفسيرها .

المحرر : ندعو الله لنا ذلك - أخي الفاضل - بأن يبصِّرنا بأمور ديننا ، ويجعل القرآن ربيع قلوبنا ، ويوفقنا للفهم الصحيح لكتابه ، والعمل بأحكامه .

ونستعين الله فنقول :

يقول الله تعالى:﴿حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ماذكيتم وماذُبِحَ على النُصُب وأن تستقسموا بالأزلام ذلكُم فسق﴾.

كان أهل الجاهلية يأكلون ما ذكر في الآية ويذكرون أسم غير الله على الذبيحة ويذبحون على النُصُب ويستقسمون بالأزلام فحرم الله هذه الأمور كلها بالآية الكريمة .

والميتة هي ما مات حتف أنفه أي بدون عمل من الانسان أو غيره والحكمة في تحريمها يرجع الى أمور منها :

١ - ان الطبع السليم يعافها ويستقذرها والعقلاء يعدُّون أكلها مهانة تنافي الكرامة الانسانية وقد حُرِّمت في الملل السابقة .

٢ - ان ما مات حتف أنفه يغلب ان يكون به عِلّة أو مات من أكل نبات سام ومثل ذلك لا يؤمن الضرر من تناوله .

٢ - ان يحرص الانسان على ما يملكه فلا يدعه فريسة للمرض بل عليه أن يسارع الى علاجه أو يعجل بذبحه .

والدم هو الدم المسفوح لقوله تعالى في سورة الأنعام﴿أودما مسفوحا﴾ والمسفوح هو السائل سواء أُخذ من الحيوان أثناء الذبح أو أُخذ من حيوان حي وكانوا يفعلون ذلك في الجاهلية والحكمة في تحريمه أنه مستقذر ومظنة للضرر وفيه إضعاف للديوان إذا أُخذ منه حيا .

والخنزير هو الحيوان المعروف وهو يعيش على القاذورات والنجاسات والطبع السليم يستخبثه وأثبت الطب أن أكله ضار في جميع المناطق وبخاصة في الأماكن الحارة وثبت

أيضا بالتجارب العلمية أن أكله يسبب الدودة الوحيدة القتّاله (الشريطيه) وغيرها من الديدان وقال بعض العلماء أن أكله يسبب فقد الغيْرة على الشرف والعِرض .

وما أُهِلّ لغير الله به ماذبح وذكر عليه اسم غير الله تعالى سواء كان انسانا أو صنما والحكمة في تحريمه حماية التوحيد وتطهير العقيدة من الشرك والوثنية .

المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ماذكيتم :

هي أنواع من الميتة ماتت بسبب فالمنخنقة ماتت بسبب التفاف الوثاق حول عنقها والموقوذة بسبب الضرب بعصا أو غيرها والمتردية هي التي وقعت من مكان عال فماتت او تردّت في بئر والنطيحة هي التي نطحتها أُخرى حتى ماتت .

والحكمة في تحريمها أن الطِباع السليمه تَعافها وتستقذرها والله سبحانه وتعالى يعلّمنا المحافظة على الحيوان والرأفة به واذا علم الانسان أن الحيوان اذا مات بهذه الطريقة تَلَفَ عليه وضاع منه فلابد أنه لا يعرِّضه للخنق أو الوقذ أو التردي أو النطح وكذلك الحال فيما أكل السبع جزءا منه ، وهذه الخمس اذا أدركها الانسان وفيها حياة فذبحها حلّ أكلها لقوله تعالى(إلا ماذكيتم) أي إلا ما أدركتم منها وفيه حياة فذبحتموه وهذه الحياة بأن يحرك بعد الذبح رِجْلاً أو ذَنَباً واذا لم يحرك شيئا فلا يحل أكله وهو ميتة .

وما ذبح على النصب : النُصُب هو الشيء المنصوب من حجارة أو أصنام تقام امارة للطاغوت وهو كل ما عُبِدَ من دون الله وكانت حول الكعبة ويذبحون عندها بقصد التقرب الى الآلهة والحكمة في تحريمه حماية التوحيد .

وأن تستقسموا بالأزلام : وهي قداح كانت في الكعبة كتب على بعضها أفْعَل وبعضها لا تَفعَل وبعضها خلو فاذا أراد الانسان منهم أن يقوم بعمل مهم حرك هذه القِداح فإن خرج أفْعَل سار في طريقه وإن خرج لا تَفْعل ترك ما يعزم عليه وإن خرج الأخير أعادوا القداح حتى يخرج له أفعل أو لا تفعل قال تعالى بعد ذكر هذه الأشياء ذلكم فسق أي تعاطي هذه الأشياء وفعلها خروج عن طاعة الله وغي وضلال .

هذا وقد استثنى الشارع من الميته السمك والجراد لقول الرسول صلى الله عليه وسلم أُحلت لنا ميتتان وَدَمان أما الميتان فالسمك والجراد والدمان الكبد والطحال وكذلك أباح الانتفاع بجلود الميتة لقوله صلى الله عليه وسلم وقد رأى شاة ميتة فقال هلا انتفعتم باهابها (الجلد) فقالوا يا رسول الله انها ميتة فقال إنما حُرِّم أكلها .

هذا عن آية المائدة ..

أما آية التوبة حيث يقول تعالى(إنما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زيّنَ لهم سوء أعمالهم فقد جعل الله سبحانه وتعالى السنة أثنى عشر شهرا في كتابه أي في اللوح

المحفوظ كما ذكر في الآية السابقة (**ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم**) والأشهر الحرم الأربعة منها ثلاثة متوالية ذو القعدة وذو الحجة والمُحرَّم وشهر فرد هو رجب وتوارث العرب هذا التحريم منذ عهد ابراهيم واسماعيل فكانوا يعظّمون هذه الأشهر ويحرّمون القتال فيها حتى أحدثوا النسيء .والنسيء هو تأخير حرمة القتال في شهر منها الى شهر آخر ليس منها فمثلا كانوا اذا أرادوا القتال في المحرم أباحوا القتال فيه وحرموا بَدَلَه شهر صفر وهو ليس منها وفي العام التالي يرجعون الى تحريم القتال في المحرم وإباحته في صفر وهذا معنى قوله تعالى يحلونه عاما ويحرمونه عاما ومعنى ليواطئوا عدة ما حرم الله أي أنهم يحرمون أربعة أشهر على حسب اهوائهم ليكون العدد موافقا لما توارثوه وجهلوا ان الحرمة مخصصة بأربعة أشهر معينة وهم بهذا العمل يحلون ما حرمه الله .

زُيِّن لهم سوءُ أعمالهم زَين لهم الشيطان قبيح صنعهم .

الى القراء

وكما وعدناهم جاءنا رد الأستاذ محمود زيدان السفاريني حول نشر قصيدة بعنوان « جزاء الخيانة » منسوبة اليه ، بينما هي للشاعر المعروف - أمير الشعراء - أحمد شوقي .. وهي في ديوانه الرابع « سليمان والحمامة » ..

وكتب الأستاذ / محمود زيدان السفاريني - مدير العمل الخيري التطوعي بالأردن - يقول في تبرير ذلك :

ما نصه : -

كان في النّفْسِ ميل" عظيم" لم أستطع التعبير عنه بالكلمات أو هكذا شعرت - نحو أستاذي الشاعر المرحوم أحمد عشائر السفاريني الذي علّمنا من الكلام الجميل الشيء الكثير ، ولو كنت متأكدا أن تلك الكلمات المشار اليها هي من شعره لنسبتها اليه ، ولكن خشيتي ألاّ تكون كذلك ولعدم معرفتي لمن تنسب ، ولأهميتها وجمال اسلوبها وعميق معناها آثرت ألا أحبسها عن النشر ورأيت أن أرسلها دون أن أنسبها الى نفسي ، كما أفعل في كل مرة أرسل فيها من شعري المحفوظ لديكم والمرفق بعض النسخ عنه والتي أذكر فيها عادة (من شعر محمود زيدان السفاريني) بل اكتفيت في هذه المرة اياها بذكر أسمي على أني مرسلها كما ترون من النسخة المطابقة لها المحفوظة لديّ ، ولعدم حبّي في الاستئثار بمعرفتها أنا ومن يحفظها أرسلتها ودون ذكر العبارة المألوفة التي اعتدت أن أنوّه بها

عندما تكـــون من شعري ، وإني هنا إذ أذكر من علمنيّها بالخير والعرفان فانها لمناسبة سارة ـ ولا يمكن أن تفوتني ـ أن تجد آخرين جديرين بهذا الشكر والعرفان لأنهم عرّفوني لمن تكون هذه الكلمات الجميلة والى من تنسب ومن هو قائلها رحمه الله .

فان كان هناك غموض أو لبس أدّى الى عدم معرفة الناشر لهذه الحقيقة فإني أعذره ، ولا شك أن نيته ونيتنا ـ والحمد لله ـ سليمة مع تكرار الشكر والعرفان للجميع ، والســلام عليكم ورحمــة اللــه وبركاته .

ومن قبلُ أرسل يطلب مكافأته المالية عن نشر القصيدة حيث قال ما نصه :

*** نشرتم لي حديثا قصيدة بعنوان « جزاء الخيانة » في مجلة الوعي الاسلامي ، ولكنني لم أستلم المبلغ الذي تخصصونه عادة لمثل هذه القصائد والمقالات . وخوفا من أن تكونوا قد أرسلتم وفُقد ما أرسلتم في البريد فأردت أن أُعلمكم للتلطف باجراء اللازم وإعلامي النتيجة لطفا .**

التعقيب :

أولا : جرت عادة الكتّاب ـ منذ عرفت الكتابة ـ أن يكتفوا بذكر أسمائهم في نهاية ما يسطرون دلالة على نسبة الكلام إليهم .

ثانيا : لم يشر مدير العمل الخيري التطوعي أن الأبيات الشعرية قد أعجبته وأنه سمعها من الغير ، أو أنها من محفوظاته .

ثالثا : طالب الأستاذ السفـاريني بالمكافأة المالية وهي لا تصرف إلا للكاتب لا للناقل أو المعُجَب .

رابعا : يكفي أن نقف عند قـوله « نشرتم لي حديثا قصيدة » فنسب القصيدة الى نفسه .

هذا ويبدو أن ذَنْبَنَا كناشرين أننا وثقنا في مدير العمل التطوعي ، فكان جزاؤنا منه أتهامنا بالغفلة فمعذرة .

موقف كريم

نشر في عدد ربيع الأول ١٤٠٣ هـ ـ قصيدة بعنوان « الكون قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم » ونسبت للأستاذ الفاضل / محمود محمد بكر هلال .. وبعد النشر جاءنا من الأستـاذ الفاضـل يقول : إن القصيدة ليست له ..

وتبين لنا أنه وقع خطأ غير مقصود .. وأن القصيــدة هي لــلأستــاذ / **عبدالرحمن الناصر محمد محمد** فمعذرة للمؤلف .. وشكرا للأستاذ **محمود هلال** .

مع الصحافة

الأحداث الكثيرة التي ازدحم بها الشهر الماضي توحي في جلاء بأن عددا من الزلازل السياسية والاقتصادية والعسكرية توشك أن تعصف بهذه المنطقة الحساسة من العالم الاسلامي التي يسمونها (الشرق الأوسط) . فأزمة (الأوبك) تهدد بنشوب حرب نفطية بين أعضائها ، هي الوجه الآخر للحرب السياسية القائمة منذ مدة ، ومن الصعب التكهن بالآثار التي يمكن أن تنجم عن حرب النفط هذه . وأحداث لبنان الأخيرة تدفع بلبنان دفعا حثيثا نحو التقسيم ، وبخاصة في طرابلس التي استعرت فيها حرب كانت نارها تعسعس منذ فترة .

وبينما ترتب اسرائيل أمورها على أن تستثمر كل نتائج غزوها الأخير للبنان استثمارا كاملا يقوم الفدائيون في فلسطين وفي لبنان المحتلين بعدد من الهجمات الفعالة التي تعتبر « الفعل » الوحيد الموجع للعدو الصهيوني . ثم برزت في وسط المعمعان معركة من طراز قديم اعلن عنها البيان الذي أصدرته بعض دول (الصمود والتصدي) ، تندد فيه بموقف الدول (المعتدلة) . اما صواريخ سام (٥) فقد أضفت على اجواء المفاوضات وتنقلات المبعوثين الامريكيين لونا من « الاثارة » لم تكن صورة الأحداث الدائرة مفتقرة اليها .

المخاطر اذن كبيرة ووشيكة ايضا ، وظواهر الأحداث واضحة في دلالتها على ذلك ، والصحافة العربية والعالمية متفقة على امر واحد هو التشاؤم من المستقبل ، والخوف من مخبآته التي قد تكون مروعة جدا .

● لبنان على السندان الدامي

١ ـ **مسلسل المفاوضات** : صحيفة (لوماتان) الفرنسية لا تعبأ كثيرا بصورة المفاوضات المعلنة ، ولكنها تلفت النظر الى « دبلوماسية سرية » تجري من وراء الجلسات العلنية .

تقول الصحيفة في مقال نشر في اواخر ربيع الأول :

على هامش المفاوضات الرسمية تجري « اتصالات مباشرة » مع مسؤولين كتائبيين باستمرار كما يقول الاسرائيليون الذين لا يكترثون بتأكيدات بيروت الرسمية بعدم وجود اية اتصالات خارج اطار المفاوضات الرسمية .

وهكذا ففي ٣٠ ديسمبر الماضي جاء موفد لبناني الى اسرائيل ليؤكد للجنرال شارون ان الرئاسة اللبنانية ما تزال عند وعودها ولكن من الضروري عدم تسريع الامور . ذلك انه رغم المظاهر فان اللبنانيين والاسرائيليين لا يريدون تسريع المفاوضات . فكلما طالت فترة التفاوض اثبت الرئيس امين الجميل للدول العربية انه لم يخضع للضغوط الاسرائيلية بسهولة . وبالنسبة للولايات المتحدة فكلما تعقدت المفاوضات برز الدور الاميركي ضروريا ولا مجال لاستبداله بأي دور . فعند وصول المفاوضات الى طريق مسدود يمكن لفيليب حبيب ان يخرج من تحت قبعته ارنبا جديدا يفاجىء به الجميع . اما شارون فمزيد من الوقت قد يسمح له بالخروج معافى من المغامرة العسكرية التي قام بها في لبنان .

اما صحيفة « الانترناشنال هيرالدتريبيون » فتشير الى مخاوف المسلمين على مستقبلهم ومصيرهم بعد انفراد حزب الكتائب بالسيطرة العسكرية على الساحة اللبنانية : جاء في الصحيفة في مقال نشر في اواخر ربيع الأول ما يلي :

في الوقت الذي تبدأ فيه المفاوضات بين الحكومة اللبنانية واسرائيل يسود القلق في اوساط المسلمين اللبنانيين على مصيرهم ومستقبلهم في حالة توصل الجانبين لاتفاق من شأنه سحب القوات الاجنبية من لبنان ومن بينها القوات الدولية .. فبعض قادة المسلمين هناك يطالبون باصرار بنزع سلاح الميليشيات الكتائبية وهم يرون ان هذا هو السبيل الوحيد الذي يمكن اتباعه لتفادي اندلاع حرب اهلية اخرى في لبنان .

وهناك سؤالان رددهما زعماء مسلمون لبنانيون حتى قبل مباحثات خلدا وهما :
١ ـ كيف يتسنى للسلطة الرسمية في لبنان تكوين جيشها اللبناني ؟
٢ ـ ما هو مستقبل ومصير القوات الكتائبية المسلحة في لبنان ؟

ان المسلمين يريدون ان ينزع سلاح هذه القوات ويتخوفون اعظم الخوف من استيعابها داخل قوات الجيش النظامي اللبناني ـ اذ ان مثل هذا الدمج سيخل بأي توازن في الجيش بين المسلمين والمسيحيين ـ ذلك لان عدد افراد الجيش اللبناني لا يتعدى ٢٦,٠٠٠ جندي . وتماثل قوات الميليشيات الكتائبية هذا العدد .

وتؤكد هذه المخاوف صحيفة « الغارديان » البريطانية في مقال نشر في اواسط ربيع الأول فتقول :

بعد مرور اكثر من ثلاثة اشهر على الجريمة النكراء التي هزت ضمير العالم ، لازال الجناة الذين قادوا هذه العملية وخططوا للمذابح التي اودت بحياة مئات الرجال والنساء والاطفال في مخيمي صبرا وشاتيلا الفلسطينيين في جنوب بيروت طلقاء يمارسون انشطتهم القذرة دونما حساب او عقاب . ويبدو ان حكومة الرئيس امين الجميل لا تريد ان تفعل شيئا حيالهم ، بل ان الدبلوماسيين الغربيين في بيروت يقولون ان هناك ادلة على

ان الجميل قد عقد في الواقع اتفاقا ضمنيا مع هؤلاء يتيح لهم الاستمرار في انشطتهم بمنأى عن القانون لتحقيق اهدافهم التي يتصورونها لجعل لبنان مكانا آمنا للمسيحية التي يدينون بها .

ولازالت القوات اللبنانية (الكتائبية) تعمل بصورة مستقلة ولا تخضع الا لقادتها .

ومنذ الغزو الاسرائيلي للبنان وجلاء مقاتلي منظمة التحرير الفلسطينية اصبحت هذه القوات اقوى . ومن غير الواضح تماما بعد ما هي العلاقة بين الرئيس امين الجميل والميليشيات الكتائبية . ولكن المعروف ان الرئيس لم يحاول تجريد هذه الميليشيات التي تنافس الجيش الوطني الذي يقول انه سيبنيه من اسلحتها . وتدور احاديث في الأونة الأخيرة مفادها ان هناك تفاهما بين الجميل وفادي افرام قائد القوات اللبنانية الكتائبية الذي عينه بشير في هذا المنصب قبل مصرعه بيومين .

٢ ـ مخاطر التقسيم :

حذر عدد من السياسيين اللبنانيين من التقسيم ، ولاحظوا في السنوات الأخيرة ان هناك طبخة جديدة ـ قديمة تعد لتنفيذه ، بيد ان الحديث عن تقسيم لبنان اصبح شائعا جدا بعد الغزو الصهيوني الأخير ، نظرا لاختلال ما يسمى بالتوازن في القوى بين المسيحيين والمسلمين هناك ، اذ اصبحت القوى المسيحية هي المسيطرة ، مدعومة بالتأييد الاسرائيلي العلني ، يضاف الى ذلك ان اكثر من دولة تجد لها على الساحة اللبنانية مصالح سياسية وامنية ، ولما كان من الصعب ان تتنازل دولة عن شيء من مصالحها الا مضطرة ، غدا لبنان وحده هو الذي سيدفع الثمن للتراضي بين تلك الدول . وتذكر في مسألة التقسيم مشروعات عدة ، نجد تلخيصا لبعضها في مقابلة نشرتها مجلة المستقبل في عددها (٣٠٧) اجرتها مع كمال شاتيلا احد السياسيين اللبنانيين . جاء فيها :

لو تتبعنا احاديث ودراسات وابحاث المؤتمرات الصهيونية العالمية والجامع المشترك الذي يلتقي عليه حكام اسرائيل الحاليون ومعارضوهم ، بالاضافة الى ما تعمل عليه مراكز الدراسات الاميركية الموالية للصهيونية ، فاننا نرى ان هناك عدة مشاريع لاقتسام وتقسيم لبنان جاهزة للتطبيق وكل مشروع له بديل معدل تبعا للظروف والامكانات والمتغيرات العربية والدولية .

واذا كان بالامكان القاء نظرة سريعة على بعض هذه المشاريع نقول منها :
المشروع الأول : وقد حدثني عنه الرئيس الياس سركيس في احد ايام عام ١٩٨٠ وقال لي ان الاسرائيليين يخططون من اجل تنفيذه وهو ينص في خطوطه العريضة على :
اولا : ترحيل المسلمين السنة من لبنان الى الأردن .

ثانيا : جعل الأغلبية في الجنوب مسيحية عبر عملية تهجير جماعية وتحويله الى منطقة حكم ذاتي تحت السيادة الاسرائيلية .
ثالثا : تكوين منطقة حكم ذاتي (لطائفة اسلامية) في البقاع تحت السيادة السورية

رابعا : اقامة دويلة درزية من الشوف الى الجولان .
خامسا : انشاء دولة مارونية من منطقة الأرز الى بيروت الغربية .

اما المشروع الثاني فقد ظهرت ملامحه ابان الاجتياح الاسرائيلي للبنان . ففي اليوم السابق للاجتياح كتب هنري كيسنجر وزير خارجية اميركا الاسبق مقالة جاء فيها : « ينبغي مراعاة الأمن الاسرائيلي في جنوبي لبنان والأمن السوري في البقاع والشمال كفصل أول لحل المسألة اللبنانية » .

ومقالة كيسنجر هذه تلتقي بشكل جوهري مع مقالة نشرها رافائيل ايتان رئيس اركان جيش اسرائيل في مجلة الجيش الاسرائيلي تحدث فيها عن اجتياح لبنان فقال : « .. هذه الحرب هي معركة ارض اسرائيل » . وتتوافق ايضا مع ما اعلنه « اموس ارموتر » مدير مكتب الدراسات لدى مناحيم بيغن الذي وضع مشروعا يطالب باعادة لبنان الصغير الى « تحالف ماروني - درزي » بارجحية مارونية واقتسام الجنوب والبقاع ما بين سوريا واسرائيل ..

ولم تختلف المعارضة الاسرائيلية بزعامة شيمون بيريز في جوهر هذا الطرح . اذ ان بيريز اعلن في اخر زيارة له الى اميركا « ان حل مشكلة لبنان هي بعودته كما كان قبل الحرب العالمية الأولى اي الى نظام القائمقاميتين » .
وهناك مشروع ثالث يتحدث عن وطن قومي مسيحي تحت الحماية الاسرائيلية تابعة لسيطرته كيانات طائفية لبنانية .

وقد جاءت اسرائيل اليوم ونبشت هذا المشروع وتعمل على احيائه . مع انه مشروع كان المطران مبارك طالب به بوثيقة مقدمة الى مؤتمر فرساي عام ١٩١٨ ونرى اليوم ادوار حنين وفؤاد افرام البستاني من الجبهة اللبنانية وفريقا من الكسليك ومن القوات اللبنانية والأب بطرس ضو مدرس الحقوق في الجامعة اللبنانية (الفرع الثاني) يتطلعون الى تحقيق هذا المشروع .

ويزيد الأمر وضوحا ما ورد في تقرير لصحيفة القبس بتاريخ ٧ ربيع الثاني عما يدور في اوساط المسؤولين الامريكيين حول موضوع التقسيم . ويذكر التقرير ان جورج شولتز وزير الخارجية الاميركية :

اعرب امام رؤساء الجمعيات اليهودية الاميركية في جلسة مغلقة (عن تخوفه) بشأن احتمال تقسيم لبنان بين سوريا واسرائيل .

ويضيف التقرير موضحا :

يتحدث المسؤولون الاميركيون عن خيارات محتملة اخرى ، حددوها من الناحية النظرية بثلاثة احتمالات لصفقة سورية اسرائيلية :
١ - ان تقبل سوريا بأن يطبع لبنان علاقاته مع اسرائيل مقابل تنازلات اسرائيلية في الجولان والضفة الغربية وغزة .
٢ - ان توافق سوريا واسرائيل على سحب قواتهما من الشوف وعالية والمتن ، اي من كل

محافظة جبل لبنان . وان ترابط القوات السورية في مناطق استراتيجية في البقاع والشمال وان تبسط اسرائيل مقابل ذلك نفوذها في الجنوب .

٣ ـ ان توافق اسرائيل وسوريا على انسحاب متزامن من جميع انحاء لبنان مقابل حصول سوريا واسرائيل على « امتيازات امنية » في مناطق نفوذها الاستراتيجية .

وتعتبر حرب طرابلس التي اندلعت في الشهر الماضي ذات صلة مباشرة ، بمسألة التقسيم وبخاصة حين تنشب في مثل هذه الأجواء . وقد ذكرت التقارير ان عدد القتلى في الأسبوع الأول فقط للمعارك تجاوز (٢١١) شخصا ، وعدد الجرحى اكثر من (٦٠٠) واما المهجرون خوفا من لهب الحرب فبلغوا (٢٥) الفا ..

● الأوبك على حافة الخطر

الخلافات في منظمة الأوبك ليست جديدة ، ولا شك في ان جانبا كبيرا منها يعود الى الخلافات السياسية بين دولها ، فمن المعروف ان لهذه السلعة الخطرة (النفط) قيمة سياسية على الصعيد الدولي ، وأن مسألة الفصل بين النفط والسياسة لا تعدو ان تكون حكاية خرافية ، تثبت الوان الصراع الدولي بطلانها بين حين واخر . بيد أن الأزمة اليوم في الأوبك تستمد خطورتها من امرين : الأول استفحال النزاع بين دول المنظمة الى الحد الذي يهدد بانفراط عقدها ، والثاني : استفحال الأزمة الاقتصادية العالمية . والصورة التي يتوقعها الخبراء لتطور ازمة الأوبك تتركز في انخفاض اسعار النفط ، او في تدهورها على نحو يصعب تحديده ، نتيجة لما يمكن ان يبلغه الصراع بين اعضاء المنظمة في ميدان الأسعار . وهذا في الحقيقة امر خطير سوف تنعكس آثاره على دول المنظمة من جهة ، وعلى اوضاع العالم الاقتصادية من جهة اخرى .

ويمكن تلخيص الأزمة الاقتصادية العالمية من عدد من التقارير التي تناولت هذا الموضوع ، على النحو التالي :

ففي العالم الصناعي المتقدم يعترف المسؤولون بأن الأزمة الاقتصادية باتت عصية على الحل ، كما يعترف المنظرون الاقتصاديون ـ بلسان كيسنجر ـ : انه « ليس هناك نظرية سابقة قادرة على تفسير الأزمة الحالية للاقتصاد العالمي » ـ النيوزويك الاسبوع الثاني من كانون الثاني ـ .

وتتجسد الأزمة في دول العالم الصناعي : بتوقف حركة النمو الاقتصادي وهبوط الانتاج الصناعي ، وارتفاع معدلات البطالة والتضخم ، واختلال التوازن المالي الذي وضح في عجز الموازين التجارية ، وموازين المدفوعات ، وعجز الماليات

العامة ، وانظمة الضمان الاجتماعي . وتعاني حركة التجارة العالمية من الركود ، ويسود الشك منذ أمد في مبدأ التبادل التجاري الحر ، حتى بدأت تظهر قوانين متشددة للحماية الجمركية ، وصار من المسلم به ان السياسات التي انتهجتها معظم حكومات العالم الصناعي اخفقت في حل الأزمة .

اما في العالم الثالث فتتلخص الأزمه في ان دوله غدت تنوء بأعباء الديون الباهظة التي تعجز عن سدادها ، وان موادها الأولية تنخفض اسعارها باطراد ، وان مشروعاتها للتنمية فقدت القدرة على الاستمرار . اما ظروف المعيشة العسيرة التي تعاني منها معظم شعوب العالم الثالث ـ وهذا امر لا تحفل به تقارير الخبراء الدوليين عادة ـ فلا ريب في انها ادنى مما يليق بآدمي .

وهكذا تحتل ازمة الأوبك موقعا حساسا من اهتمامات السياسيين والاقتصاديين الدوليين . ويبدأ معظمهم في تصور المشكلة بمحاولة الاجابة عن السؤال التالي : ماذا يمكن ان يحدث لو تدهورت اسعار النفط ؟

مجلة (الايكونومست) تستفزها الرغبة في سقوط منظمة الأوبك ، فتنشر مقالا في الاسبوع الأول من ربيع الثاني تقول فيه :

ان سقوط الأوبك ، سيوفر للغرب نفطا رخيصا .. وان امتناع البنوك العالمية الكبرى عن السداد للدول النفطية اذا حاولت سحب جزء من اموالها سيؤدي الى افلاس تلك البنوك ، ولكنه في نفس الوقت سيقضي بجرة قلم على جزء كبير من احتياطيات الدول النفطية ، ان لم يؤد ذلك الى سحق الاحتياطيات كلها .

اذ ان زوال تلك الاحتياطيات سيؤدي الى اضعاف قدرة البلاد النفطية على مقاومة انخفاض الاسعار عن طريق تحديد الانتاج النفطي وسيقود الى سباق محموم بينها لاعادة ملء خزائنها .. عن طريق زيادة الانتاج النفطي والذي سيؤدي بدوره الى مزيد من الانخفاض في الاسعار .. وهلم جرا ..

وتمضي (الايكونومست) في تقديراتها فتقول :

ان اموال الاحتياطي لدى الدول النفطية ، والتي اودعتها تلك الدول في البنوك العالمية الكبرى تحسبا لمثل هذا اليوم الذي تنخفض فيه الاسعار ، قد ذهبت على شكل قروض ميتة للدول النامية .. ولا بأس في ان تمتنع هذه البنوك او تعجز عن السداد للدول النفطية اذا حاولت هذه ان تلجأ للاستعانة باحتياطياتها ، لتعويض نقص مواردها في حالة انخفاض الاسعار ، وهذا سيؤدي الى اعلان سقوط وافلاس بعض البنوك العالمية الكبرى .

ويذهب بعض الخبراء الى ان انخفاض اسعار النفط سيؤدي الى عجز الدول المصدرة عن زيادة دخلها ، وسيزيد في حدة المشكلات الاقتصادية والسياسية فيها ، وسوف يؤدي كذلك الى خسارة الاستثمارات النفطية في العالمين الصناعي

والثالث معا ، وسوف يتيح للدول الصناعية المستهلكة وفرا كبيرا يعينها على خفض نسبة التضخم ، واستعادة نشاطها الاقتصادي .

بيد ان هؤلاء الخبراء انفسهم يبدون كثيرا من التوجس تجاه المشكلة ، لان تقديراتهم ـ كما يصرحون ـ مبنية على انخفاض اسعار النفط انخفاضا منتظما لا ينقص عن (٢٥) دولارا للبرميل تقريبا ، ولكن ماذا لو انخفضت الاسعار على نحو غير منتظم ؟

فهنا يظهر القلق واضحا في اسواق المال العالمية التي لا تحتمل بنيتها حدوث هزات متتابعة . وقد عرضت صحيفة (وول سترايت جورنال) في اواسط ربيع الثاني تحليلا لهذه العلاقة بين النفط واسواق المال جاء فيه :

هناك ارتباط لافت للنظر بين انخفاض اسعار البترول في الوقت الراهن وبين الارتفاع الذي شهدته الاسعار في الفترة ما بين ١٩٧٥ و١٩٧٨ اذ بين الصدمتين لم يحصل ان تدنت اسعار البترول .

وفي الحقيقة فان اثار الصدمة البترولية الأولى امكن استيعابها من خلال تدوير الدولار البترولي داخل دائرة الاقتصاد الغربي ، فقد امتصت المصارف الغربية الدولارات التي اخذتها دول الأوبيك من جيوب الغرب والزائدة عن حاجاتها . وقامت هذه المصارف بدورها باقراض جزء منها لدول الكتلة الشرقية واميركا اللاتينية والدول المستوردة للنفط اينما كان موقعها .

ولعبة تدوير الاموال النفطية تلقت ضربة قاضية الان بسبب بروز معدلات الفائدة الحقيقية والركود الشديد الذي حصل بعد الصدمة البترولية الثانية وفوق ذلك فان الدول النامية لم تعد قادرة على تسديد ديونها لانها كانت تنفق ما لديها على تسديد فواتير النفط المتصاعدة القيمة بعد ان كانت تشتري بها سلع الدول الصناعية .

وفي الوقت نفسه فان دولا رئيسية من الاقطار المصدرة للنفط تراكمت عليها الديون التي اخذتها للوفاء بالتزاماتها التنموية وتطوير اقتصادها . والتضخم الذي كان له آثار سلبية بسبب ارتفاع معدلات الفائدة على قروض دول العالم الثالث ، زاد من الاعباء المتراكمة عليها بنفس الطريقة التي ساهم فيها الثبات الرسمي لاسعار النفط ، والان اصبحت المصارف تواجه تهديدا حقيقيا بسبب تدني اسعار النفط المتوقع ، وذلك راجع بالدرجة الأولى الى ان العديد من زبائن هذه المصارف استثمروا اموالهم في مشاريع يعتمد نجاحها على بقاء اسعار البترول مرتفعة ، وثانيا لان دولا مقترضة مثل المكسيك ونيجيريا وفنزويلا ستنخفض عوائدها وتتقلص قدرتها على الوفاء بسداد ديونها .

ومهما يكن ـ والظاهر ان ما سوف يكون خطير جدا ـ فان من المرجح ان تتمكن الدول الصناعية من تخفيف الصدمة على اوضاعها الاقتصادية ـ او على الأصح ـ من استثمار ازمة الأوبك على نحو يعينها على التخفيف من ازماتها ، وذلك بسبب سيطرتها على اسواق المال العالمية من جهة ، وبسبب ما لها من نفوذ لدى عدد من دول الأوبك من جهة اخرى . اما دول العالم الثالث ـ او شعوبها على نحو ادق ـ فعليها ان تستعد لتدفع « فواتير » الرفاه الغربي والتنافس الغربي والجشع الغربي .

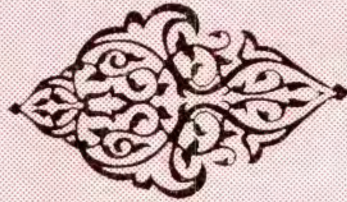
« إلى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بالشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨) بيروت ـ لبنان او بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر	:	القاهرة ـ مؤسسة الاهرام ـ شارع الجلاء .
السودان	:	الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص.ب (٣٥٨)
الجزائر	:	الشركة الوطنية للصحافة ٢٠ شارع الحرية
المغرب	:	الدار البيضاء ـ سابرس ـ محمد برادة
تونس	:	الشركة التونسية للتوزيع .
لبنان	:	بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨)
الاردن	:	عمان : وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : (٣٧٥)
السعودية	:	جدة : مكتبة مكة ـ ص.ب (٤٧٧)
		الخبر : مكتبة مكة ـ ص.ب (٦٠)
		الرياض : مكتبة مكة ص.ب (٤٥٢)
		المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء
مسقط	:	المؤسسة العربية للتوزيع والنشر ـ ص.ب (١٠١١)
صنعاء	:	دار الفكر
البحرين	:	دار الهلال
قطر	:	دار العروبة ص.ب ٦٣٣
ابو ظبي	:	المؤسسة العامة للطباعة والنشر ـ ص.ب (٦٧٥٨)
دبي	:	دار الحكمة ص.ب (٢٠٠٧)
الكويت	:	الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات ت ٤٢١٤٦٨

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة .

محتويات العدد



الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

العدد ٢٢٢/ جمادي الآخرة ١٤٠٣ هـ مارس / ابريل ١٩٨٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا

صدق الله العظيم

هديتك مع العدد : مجلة براعم الايمان

كل المسلم على المسلم حرام

دمه وماله وعرضه

حديث شريف

الوعي الإسلامي

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة التاسعة عشرة

العدد ٢٢٢ - جمادى الآخرة ١٤٠٣هـ - مارس / ابريل ١٩٨٣ م .

هدفها

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيداً عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها

وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم ٤٢٨٩٣٤-٤٦٦٣٠٠

التوزيع والاشتراكات

الشركة العربية للتوزيع (ش م ل)
ص ب ٤٢٢٨ بيروت لبنان
تلكس ARABCO 23032 LE

● الثمن ●

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي



كلمة الوعي

الإسلام دعوة ربانية

أما أنها ربانية ، فلأنها وحي من الله تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم بما يهدي الناس ويرشدهم إلى الحق . كما قال تعالى مخاطبا رسوله : (نزل به الروح الأمين.على قلبك لتكون من المنذرين.بلسان عربي مبين) .. ومهمة رسول الله فيما يوحي إليه هي تلقيه والعمل به ، وتبليغه للناس ، ولا دخل للنبي فيما أوحى الله به إليه من حكم شرعي أو غيره . فعلم الغيب لا يجيء اكتسابا ، وإنما الله تعالى هو الذي يطلع على غيبه من يختار من رسله . يقول تعالى : (وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء) . ويقول جل شأنه : (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا.إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا.ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عددا)

ومن ثم كان الأساس الذي تعتمد عليه دعوة الاسلام أن يتعرف الناس إلى ربهم ، وأن يكونوا على صلة به سبحانه ، وأن يستمدوا من هذا التعرف وتلك الصلة روحانية كريمة تزكي أنفسهم ، وتسمو بها عن جمود المادة وجحودها إلى طهر الأنسانية الفاضلة وجمالها:(يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون) .. (يأيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور)

وأما أنها إنسانية ، فلأنها موجهة إلى الناس جميعا . (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا) .. (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) .. (قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا) .

والناس بينهم أخوة عادلة رحيمة أصلهم واحد ، وأبوهم واحد ، ونسبهم واحد ، لا يتفاضلون إلا بالتقوى وبما يقدم أحدهم للمجموع من خير وبر:(يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا) .. وفي الحديث الشريف الذي يرويه المختار صلى الله عليه وسلم عن ربه ما معناه ، « يقول الله تبارك وتعالى يوم القيامة : يا بني آدم جعلت نسبا وجعلتم نسبا فقلتم فلان بن فلان ، وقلت : إن أكرمكم عند الله أتقاكم فاليوم أرفع نسبي وأضع نسبكم »

ولهذا فضل السلف الصالح أن يرفعوا نسبتهم إلى الله تعالى ، ويجعلوا أساس صلاتهم ومحور أعمالهم تحقيق هذه النسبة الشريفة فيجيب أحدهم من يسأله عن أبيه أتميمي هو أم قيسي ؟

أبي الاسلام لا أب لي سواه   إذا افتخروا بقيس أو تميم

وإذا كان من بين زعماء الغرب من يقسم الجنس البشري إلى مبتكرين ومحافظين ومخربين .. ويعتبر فريقا من الغربيين

مبتكرين وفريقا آخر محافظين ، ويعتبرنا نحن الشرقيين وما إلينا عدا هذين مخربين ومدمرين فهذا التقسيم باطل وظالم . إذ أن الجنس البشري كله مرده إلى دم واحد ، وطينة واحدة ، وإن اختلفت البيئات والأوساط والمدارك والثقافات ، وإذا هذب الانسان استطاع أن يرتقى بقدر ما يصل إليه من تهذيب ، وليس هناك جنس من بني آدم يتعذر إصلاحه أو تستحيل تربيته في حدود ظروفه وبيئته الخاصة به .. على أن الشرق الذي وضعوه في صف المخربين والمدمرين منه انبعثت المدنيات ، وأشرقت الحضارات والرسالات ، وهو الذي أفاض ذلك على الغرب . لا ينكر ذلك الا الجاحدون المكابرون . ومثل هذه المزاعم الباطلة ما هي إلا نزوات من غرور الانسان ، وطيش الوجدان . لا يمكن أن تقوم على أساسها نهضات سليمة ؛ أو تستقر على قاعدتها مدنيات نظيفة .. وما دام في الناس من يشعر بمثل هذا الشعور الخاطىء نحو أخيه الانسان فلا أمن ولا سلام ولا اطمئنان .

وطريق الأمن والسلام والاطمئنان هو عودة الناس إلى علم الأخوة يرفعونه خفاقا ، ويستظلون بظله الوارف الأمين ، ولن يجدوا سبيلا معبدة إلى ذلك إلا سبيل الاسلام الذي يقول كتابه : (يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير) ويقول رسوله صلى الله عليه وسلم : « ليس منا من دعا إلى عصبية ، وليس منا من مات على عصبية »

إن من واجب الأمة التي اختارها الله لحمل رسالته أن تقيم الأخوة فيما بينها على الأساس الذي رسمه الله ، وأن تربط العالم برباط تلك الأخوة ليدرك قدر النور الذي أشرقت به الرسالة الانسانية الخالدة : (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم) . وبذلك يكون الأمن والطمأنينة والسلام .

رئيس التحرير

محمد الأباصيري

تأملات في كتاب الله

تعاقب الليل والنهار

للدكتور/ حامد صادق قينبي

■ الليل هو زمان غياب الشمس من حين غروبها واستتارها الى طلوعها وظهورها وهذا هو الليل الطبيعي . والنهار هو الزمان بين طلوع نصف قرص الشمس من المشرق الى غيابه في المغرب .

والليل والنهار من نعم الله التي لا تعد ولا تحصى ، ولولاهما لعدمت الحياة على الأرض ، وأصبح نصفها المواجه للشمس مستعرا من الحرارة ، ونصفها الآخر متجمدا من البرودة .

قال تعالى : (**الله الذي جعل الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون**) غافر / ٦١ .

فالليل والنهار من آيات الله الدالة على وجوده وعظمته وقدرته . قال تعالى :

(**ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر**) فصلت / ٣٧ ، وقال أيضا : (**إن في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والأرض لآيات لقوم يتقون**) يونس / ٦ ، وقال أيضا : (**إن في خلق السموات والأرض وأختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب**) آل عمران / ١٩٠ ، وقال أيضا : (**والله يقدر الليل والنهار**) المزمل / ٢٠ .

فالله سبحانه وتعالى هو الذي قدر الليل والنهار ، أي جعل لكل منهما قدرا معينا ، وحدا محدودا : لا يتجاوزانه مهما اختلفا وتعاقبا : (**لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار**) يس / ٤٠ ، وقد دبر ذلك على حسب مصالح البشر ، ويقدر ما يحتاجون اليه من سكون ليلهم للنوم والراحة ، وحركة نهارهم للسعي وطلب المعاش ، ولو تحولت تلك المقادير الى غير ما قدره الله ودبره في خلق الليل والنهار لاختل أمر البشر ، أو كان لهم نظام غير ما هم عليه الآن ، فالواجب عليهم إذن أن يرضوا بما قدره لهم ودبره : من نواميس عالمهم هذا ويطيعوه فيما رسم من الحدود والأحكام ، تفسير جزء تبارك ص ١٨٨ .

ومعنى أختلاف الليل والنهار « أن يجيء أحدهما فيذهب الآخر ، ويطول هذا فيقصر ذاك ، وكل ذلك بحسبان مطرد في جميع الأقطار والبلدان ، ومثله أختلاف الفصول بأختلاف مواقع العرض والطول » تفسير المنار ٢/٥٨ .

فالله سبحانه وتعالى يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل . قال تعالى : (**تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب**) آل عمران / ٢٧ .

- (**يقلب الله الليل والنهار إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار**) النور / ٤٤ .
- (**وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا**) الفرقان / ٦٢ .
- (**ألم تر أن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري إلى أجل مسمى وأن الله بما تعملون خبير**) لقمان / ٢٩ .
- (**يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور**) الحديد / ٦ .

ومعنى يولج يدخل . فالله سبحانه يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل ، أي يدخل الظلام في مكان النور كما يدخل النور في مكان الظلام ، فهما يتبادلان المكان لدوران الأرض حثيثا حول نفسها .

ومن المشاهدات التي أدلى بها رجل الفضاء الروسي « جاجارين » ، بعد دورانه حول الأرض : أنه شاهد « تعاقبا سريعا » للظلام والنور على سطح الأرض بسبب دورانها المحوري حول الشمس .

وفي تعاقب الليل والنهار من دوران الأرض حول نفسها عجيبة باهرة ، فلولا هذه الدورة لظل النهار نهارا والليل ليلا ، وما كانت حياة أبدا ، بل فناء دائم . وصدق

الله العظيم : **(قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون . قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون . ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون)** القصص / ٧١ ـ ٧٣ .

ويزحف الظلام على مكان النور حينما يزحف النور على مكان الظلام فيدور كلاهما على سطح الأرض ويجري كلاهما وراء الآخر مستديرا يطلبه حثيثا كما وصفه الله تعالى : **(يقلب الله الليل والنهار إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار)** النور / ٤٤ .

ولأن الليل والنهار وما فيهما من مشاهد الفجر والعصر أقسم الله بهما آيتين عظيمتين ، وقد التفت « ابن قيم الجوزية » الى اختلاف أحوال الليل والنهار في أقسام القرآن ، وتأوله بأن الله سبحانه يقسم بالليل في جميع أحواله ، اذ هو من آياته الدالة عليه-انظر التبيان في أقسام القرآن ص ٥ لابن قيم الجوزية تحقيق طه شاهين ـ قال تعالى : **(والشمس وضحاها . والقمر إذا تلاها . والنهار إذا جلاها . والليل إذا يغشاها)** الشمس / ١ ـ ٤ .

ـ **(والليل إذا يغشى . والنهار إذا تجلى)** الليل / ١ و ٢ .

والملاحظ أن القسم بالليل قد تكرر مرات عديدة ، إما مع النهار ، أو مع الفجر أو الصبح أو الضحى ، وإما مع الشمس أو القمر . أو بعبارة أخرى مع كل ما يدل على الوضوح والظهور من مشاهد الكون فمن ذلك قوله تعالى : **(كلا والقمر . والليل إذ أدبر . والصبح إذا أسفر)** المدثر / ٣٢ ـ ٣٤ .

ـ **(والليل وما وسق . والقمر إذا اتسق)** الانشقاق / ١٧ و ١٨ .

ـ **(والفجر . وليال عشر . والشفع والوتر . والليل إذا يسر)** الفجر / ١ـ ٤

ـ **(والضحى. والليل إذا سجى)** الضحى / ١ و ٢ .

ـ **(فلا أقسم بالخنس . الجوار الكنس . والليل إذا عسعس . والصبح إذا تنفس)** التكوير / ١٥ ـ ١٨ .

وفي اختلاف الليل والنهار تحقيق منافع ومصالح للخلائق . قال الفخر الرازي : « اعلم أنه تعالى أقسم بالليل الذي يأوى فيه كل حيوان الى مأواه ، ويسكن الخلق عن الاضطراب ويغشاهم النوم الذي جعله الله تعالى راحة لأبدانهم وغذاء لروحهم ، ثم أقسم بالنهار اذا تجلى لأن النهار اذا جاء انكشف بضوئه ما كان في الدنيا من الظلمة وجاء الوقت الذي يتحرك فيه الناس لمعاشهم وتتحرك الطير من أوكارها والهوام من مكامنها ، فلو كان الدهر كله ليلا لتعذر المعاش ، ولو كان نهارا كله لبطلت الراحة ، لكن المصلحة في تعاقبهما » التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) للإمام الفخر الرازي ٣١/٢٠٧ .

ومن مظاهر رحمة الله أن قسم حياة الانسان بين العمل والراحة أو بين الحركة والسكون ، اذ لو كانت حياة الانسان عملا خالصا لانتقصت قواه ، وما أستطاع

أن يمضي في حياته وعمله ، وما تقتضيه شئون عيشه من حركة . فمن بر الله به ورحمته ، أن جعل له النهار معاشا ، والليل سكنا ، ولو كانت حياته نهارا محضا لضعفت قوته ، ولما أتيح له من الاستطاعة والطاقة ما مكنه من الرقي بالحياة الانسانية وإحداث ما هيأ لها من حضارة ومدنية ، ولو كانت حياته ليلا صرفا ما تبين له شيء في الوجود ، ولبطلت حركته وبطلت معها حياته ، وصار موجودا كالعدم وحيا كميت . واقرأ معي آيات سورة القصص من ٧١ ـ ٧٣ .

فالله تعالى شأنه جعل للانسان النهار ليلتمس فيه معاشه مبتغيا من فضل ربه ما يحفظ له وجوده ويصونه ، وما يدفعه الى الرقي والنهوض ، مسخرا له كل شيء في الوجود من الكواكب ، وغير الكواكب ، كي يرقى بحياته مراتب الرقي والكمال ، وكي يصعد بهما في منازل السمو التي يريدها . ولما كان ذلك يحتاج منه الى تعب وعناء ، وكان لابد للمتعب من سكون تهدأ فيه حركته ، ويكون راحة له وجماما من تعبه وعنائه ، خلق الله الليل حتى يريح جسده فيه من الحركة ، وجعل له النوم فيه ، حتى يسكن جسده سكونا تاما وتسكن روحه ويسكن فكره ، فاذا كل ما فيه ظاهرا وباطنا قد سكنت حركته ، حتى ليغيب عن كل ما حوله ، بل حتى ليغيب عما يمسك بيده ، فاذا كان فيها شيء ونام استرخت يده ، وانفتحت أصابعه وباينها ما كانت تمسكه .

وتتضح حاجة الإنسان الى النوم اذا سهر ليلة ، فانه في الليلة الثانية يغلبه النوم ، ويقهره ولا يستطيع مقاومته ، مما يدل على حاجة الإنسان اليه بأشد مما يحتاج الى الدواء لعلله وأمراضه . وفي ذلك ما يصور نعمة الله على الانسان ، إذ جعل له النهار للحركة وطلب العيش والليل للراحة والنوم ، وجعلهما متعاقبين ليتوالى العمل والراحة ، فينشط للعمل بعد الراحة وما حقق لنفسه من الجمام ، ويلتذ الراحة بعد العمل وما اقتضاه من التعب . أنظر سورة الرحمن وسوراً قصاراً ، ص ٣٢٥ ـ ٣٢٧ شوقي ضيف .

ويقول تعالى : (**وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا**) النبأ / ٩ ـ ١١ ، « والسبات بضم السين الموت ، والمسبوت الميت ، من السبت وهو القطع ، والنوم أحد الموتتين ، ونعمة الله فيه كبيرة ، فان موت بضع ساعات في اليوم يريح القوى من تعبها ، وينشطها من كسلها ، ويعيد اليها ما فقد منها ، ولو لم يكن النوم موتا واليقظة بعثا ، لم يتم هذا التجديد للقوى ، وتشبيه الليل باللباس بجامع الستر ، لأن الليل يستر الأشخاص بظلمته ، وللناس في هذا الستر فوائد ، والمعاش الحياة ، فكما جعل النوم موتا جعل اليقظة حياة ، والنهار زمن هذه الحياة ، أي جعل النهار وقت معاش يستيقظون فيه ويتقلبون في حوائجهم ومكاسبهم » تفسير جزء عم ص ٦ .

فالليل سكينة وقرار ، والنهار نشاط وعمل ، وهما من مشاهد الكون وتدبير الخالق العزيز واختياره . ولكن الناس لطول ما اعتادوا من كر الجديدين ينسون

جدتهما المتكررة التي لا تبلى ، ولا يهزهم طلوع النهار ، وإقبال الليل الا نادرا ، ولا يتدبرون ما في تواليهما من رحمة بهم ، وانقاذ من البلى والدمار ، أو التعطل والبوار ، أو الملل والهمود .

والقرآن الكريم يوقظ الناس من همود الإلف والعادة ، ويدعو الى تملي الكون ومشاهده العظيمة .

ولعل من تمام المقال هنا أن نعرض لظاهرة النوم التي فطر الإنسان عليها . والنوم أشبه بالموت ، والأستيقاظ منه أشبه بالبعث ، قال تعالى : **(ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون)** الروم / ٢٣ .

نعم ، إن النوم من آيات الله سبحانه ، فهو ضرورة للحياة ، ونعمة ، كما أنه راحة ورحمة ، وقد وضع القرآن النوم شرطا أساسيا لكل حي ، كما أكد الطب أن النوم ناشيء عن تغييرات كيميائية في الأنسجة البدنية تحدث من الحركة ، فانه اذا ما أستمرت هذه التغييرات ومنع الإنسان النوم قهرا صاحبها أو تلاها الموت حتما . ذلك أن النوم يرجع هذه التغييرات الكيميائية الى ما كانت عليه قبل الحركة ، وذلك ما يشير اليه قوله تعالى : **(وأبتغاؤكم من فضله)** أي العمل والتفكير ، والنشاط والحركة في سبيل الكسب ، بعد النوم بالليل والنهار ، فلولا النوم بالليل والنهار ، ما ابتغى من فضل الله حي من انسان أو حيوان ، اذ في النوم ليلا أو نهارا يسترد الحي ما بذله من قوى وما فقده من بدنه في سبيل العمل والسعي .

فما النوم إذن الا تجديد يعيد الى الجسم نشاطه وقوته ، كما يعيد الى عقل الإنسان صفاءه وقدرته ، فكل حي لا يحتمل أستمرار الحياة بلا راحة منها ، بل لأبد له أن يكفَّ عنها حينا بالموت الوقتي وهو النوم ، ليستطيع أن يحيا ويعمل ويفكر ثانيا ، وذلك دليل على ضعف الأحياء واحتياج كل حي الى الراحة والى ترك الحياة بالنوم من وقت لآخر . معجزة القرآن ـ نعمت صدقي ص ٢١٢ و ٢١٣ .

وفي الآية أشارة الى أن النوم والسعي للراحة والرزق ، قد يقعان في الزمنين بالاختيار ، فيمن يتساوى عندهم الليل والنهار أو يقربان من التساوي . أما الذين لا يستويان عندهم ـ وهم من يسكنون طرفي الأرض عند القطبين ـ فإنهم ينامون في أنهرهم وأليلهم بقدر الحاجة والاضطرار ، لأن الليل والنهار يمتدان عندهم الى شهور حين يتعاقبان ، فلم يهمل القرآن في هذه الآية حكما عاما للنور والظلمة ، وما يصنعان على الأرض من أختلاف قياسهما فيقع النوم واليقظة فيهما جميعا . كذلك أمتدت نظرة الآية وحسابها الى عصور الكهرباء حين أضافت مدنيتها من أجزاء الليل الى النهار ، أوردت الليل الداجي كله نهارا مضيئا ، وجعلت النوم طريدا من ضجيج الآلات والدواليب ، وألقته على عمالها قهرا وجبرا حيثما أتفق لهم في ليل أو نهار . أنظر أشارات العلوم في القرآن الكريم ـ عبدالعزيز سيد الأهل ص ١٥٤ وما بعدها .

حول مدلول «الساعة»

الساعة أصلها جزء من الليل والنهار لا يلحظ فيه التحديد ، وأطلقت الساعة معرفة في القرآن الكريم على يوم القيامة .

ساعة

وردت الساعة بالمعنى الأول في الآية ٣٤ من سورة الأعراف : « **ولكل أمة أجل فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون** » ، والآية ١١٧ من سورة التوبة : « **لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم رؤوف رحيم** » ، والآيتين ٤٥ ، ٤٩ من سورة يونس : « **ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا الا ساعة من النهار يتعارفون بينهم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين** » « **قل لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا الا ما شاء الله لكل أمة أجل ، إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون** » والآية ٦١ من سورة النحل : « **ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة ، ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون** » والآية ٥٥ من سورة الروم : « **ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون** » والآية ٣٥ من سورة الأحقاف : « **فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا**

في القرآن الكريم

الدكتور محمد سعد حسن فشوان

ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك الا القوم الفاسقون » (راجع مادة س و ع – معجم ألفاظ القرآن الكريم ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة) .

ولم ترد « ساعة » منكرة في القرآن الكريم في غير ذلك من الآيات المتقدمة وهذه نظرة طائرة للآيات نقف من خلالها على ما تضمنته من العظات والعبر وما اشتملت عليه من القضايا التي تهم المسلم في يومه وغده ان شاء الله .

ورد في « الجامع لأحكام القرآن » لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي في تفسير آية الأعراف : « ساعة » ولا أقل من ساعة الا أن الساعة خصت بالذكر لأنها أقل أسماء الأوقات .

وقوله تعالى : « **ولا يستقدمون** » يدل على أن المقتول انما يقتل بأجله ، وأجل الموت هو وقت الموت ، كما أن أجل الدين هو وقت حلوله ، وكل شيء وقت به شيء فهو أجل له .

قال كثير من المعتزلة الا من شذ منهم : ان المقتول مات بغير أجله الذي ضرب

له ، وأنه لو لم يقتل لحيى ، وهذا غلط ؛ لأن المقتول لم يمت من أجل قتل غيره له ، بل من أجل ما فعله الله من ازهاق نفسه عند الضرب له .

فان قيل : فان مات بأجله فلم تقتلون ضاربه وتقتصون منه ؟ قيل : نقتله لتعديه وتصرفه فيما ليس له أن يتصرف فيه ، لا لموته وخروج الروح ، اذ ليس ذلك من فعله ، ولو ترك الناس والتعدى من غير قصاص لأدى ذلك الى الفساد ودمار العباد ، وهذا واضح . (حـ ٧/ ٢٠٢ نشر دار الكاتب العربي ١٣٧٨ هـ/ ١٩٦٧ م) .

وفي آيتي سورة يونس : « **ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا** » أي في قبورهم ، « **الا ساعة** » استقصروا طول مقامهم في القبور لهول ما يرونه من البعث ، دليله « **قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم** » الآية ١٩ من سورة الكهف .

وقيل : انما قصرت مدة لبثهم في الدنيا من هول ما استقبلوا لامدة كونهم في القبر ، وقال ابن عباس : رأوا أن طول أعمارهم في مقابلة الخلود كساعة .

أما قوله « **يتعارفون بينهم** » **فمعناه كما قال الكلبي : يعرف بعضهم بعضا كمعرفتهم في الدنيا ، اذا خرجوا من قبورهم ، وهذا التعارف تعارف توبيخ وافتضاح ، يقول بعضهم لبعض : أنت أضللتني وأغويتني وحملتني على الكفر ، وليس تعارف شفقة ورأفة وعطف ، ثم تنقطع المعرفة اذا عاينوا أهوال يوم القيامة كما قال** « **ولا يسأل حميم حميما** » الآية ١٠ من سورة المعارج . وقيل : يبقى تعارف التوبيخ وهو الصحيح لقوله تعالى : « **ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم** ــ الى قوله : **وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا** » سبأ / من ٣١ الى ٣٣ . وقوله : « **كلما دخلت أمة لعنت أختها** » الاعراف / الآية / ٣٨ . وقوله : « **وقالوا ربنا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا** » الاحزاب / الآية ٦٧ . فأما قوله : « **ولا يسأل حميم حميما** » المعارج / ١٠ ، وقوله : « **فاذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم** » المؤمنون / ١٠١ ، فمعناه : لا يسأله سؤال رحمة وشفقة والله أعلم ، وقيل : القيامة مواطن ، وقيل : معنى يتعارفون يتساءلون ، أي يتساءلون : كم لبثتم ؟ كما قال : « **وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون** » الصافات / ٢٧ والطور ٢٥ ، وقال الضحاك هو تعارف تعاطف المؤمنين ، والكافرون لا تعاطف عليهم كما قال : « **فلا أنساب بينهم** » **والأول أظهر والله أعلم . (حـ ٨/٣٤٧ من الجامع لأحكام القرآن للقرطبي) .**

وفي الآية الثانية من السورة بيان لحالة المشركين حين أستعجلوا النبي صلى الله عليه وسلم بالعذاب فقال الله تعالى له : قل لهم يا محمد « **لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا الا ما شاء الله** » أن أملكه وأقدر عليه اذ ليس ذلك لي ولا لغيري فكيف أقدر أن أملك ما أستعجلتم فلا تستعجلوا ، « **لكل أمة أجل فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون** » .

وفي آية سورة النحل : « **ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم** .. » أقوال منها : أن

المراد بالآية العموم أي لو آخذ الله الخلق بما كسبوا ما ترك على ظهر هذه الأرض من دابة ، من نبي ولا غيره ، وهذا قول الحسن ، وقال ابن مسعود : وقد قرأ هذه الآية : لو آخذ الله الخلائق بذنوب المذنبين لأصاب العذاب جميع الخلق حتى الجعلان (دابة سوداء من دواب الأرض جمع جعل) في جحرها ، ولأمسك الأمطار من السماء والنبات من الأرض فمات الدواب ، ولكن الله يأخذ بالعفو والفضل كما قال : « **ويعفو عن كثير** » .

فان قيل : فكيف يعم بالهلاك مع أن فيهم مؤمنا ليس بظالم؟ قيل يجعل هلاك الظالم انتقاما وجزاء ، وهلاك المؤمن معوضا بثواب الآخرة .

وفي صحيح مسلم عن عبدالله بن عمر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : اذا أراد الله بقوم عذابا أصاب العذاب من كان فيهم ثم بعثوا على نياتهم . (حـ ١٠/١١٩ ، ١٢٠ من الجامع لأحكام القرآن للقرطبي) وفي صحيح مسلم : (على أعمالهم) .

نعم . لو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك على ظهر الأرض من دابة « **ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون** » .

وفي آية سورة الروم : « **ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة** » ليس ردا لعذاب القبر اذ كان قد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم من غير طريق أنه تعوذ منه وأمر أن يتعوذ منه فمن ذلك ما رواه عبدالله بن مسعود قال : سمع النبي صلى الله عليه وسلم أم حبيبة وهي تقول : اللهم متعني بزوجي رسول الله وبأبي أبي سفيان وبأخي معاوية ، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم :"لقد سألت الله لآجال مضروبة ، وأرزاق مقسومة ، ولكن سليه أن يعيذك من عذاب جهنم وعذاب القبر » من أحاديث مشهورة خرجها مسلم والبخاري وغيرهما .

ومعنى « **ما لبثوا غير ساعة** » قولان : أحدهما : أنه لابد من خمدة قبل يوم القيامة فعلى هذا قالوا : ما لبثنا غير ساعة ، والقول الآخر : أنهم يعنون في الدنيا لزوالها وانقطاعها كما قال تعالى : « **كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية أو ضحاها** » « **كأن لم يلبثوا الا ساعة من نهار** » الاحقاف/ ٣٥ ، وان كانوا قد أقسموا على غيب وعلى غير ما يدرون . (حـ ١٤/٤٧ ، ٤٨ من الجامع لأحكام القرآن للقرطبي) .

وفي آية سورة سبأ : « **قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون** » سبأ / ٣٠ ، الخطاب في « قل » لمحمد عليه الصلاة والسلام ، **وفي** « **لكم** » للمشركين ، ولذا قيل : أراد بهذا اليوم يوم بدر ، لأن ذلك اليوم كان ميعاد عذابهم في الدنيا في حكم الله تعالى . (جـ ١٤/ ٣٠٠/ ٣٠١ من المصدر السابق) .

وفي آية سورة الأحقاف « **فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا**

تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار » الأحقاف / ٣٥ ، حث لرسول الله صلى الله عليه وسلم على أن يصبر صبر أولي العزم من الرسول ، قال مجاهد : هم خمسة : نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام وهم أصحاب الشرائع ، وهناك أقوال أخرى راجعها في المصدر السابق (حـ ١٦/ ٢٢٠) .

وقوله « **ولا تستعجل** » أي بالدعاء عليهم كما قال مقاتل ، وقيل : في احلال العذاب بهم ، فان أبعد غاياتهم يوم القيامة .

وقوله « **الا ساعة من نهار** » يعنى في جنب يوم القيامة ، وقيل : نساهم هول ما عاينوا من العذاب طول لبثهم في الدنيا .

وكل الآيات السابقات التي ذكرت فيها لفظة (ساعة) مكية ما عدا الآية الأخيرة فمدنية ومثلها آية سورة التوبة .

وقوله تعالى : « **الذين اتبعوه في ساعة العسرة** » التوبة / ١١٧ ، أي في وقت العسرة ، والمراد جميع أوقات غزوة بدر ، ولم يرد ساعة بعينها ، وقيل : ساعة العسرة أشد الساعات التي مرت بهم في تلك الغزاة ، والعسرة صعوبة الأمر ، قال جابر رضي الله عنه : اجتمع عليهم عسرة الظهر وعسرة الزاد وعسرة الماء .

وقال عمر رضي الله عنه وقد سئل عن ساعة العسرة : خرجنا في قيظ شديد فنزلنا منزلا أصابنا فيه عطش شديد حتى ظننا أن رقابنا ستنقطع من العطش وحتى ان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ، ويجعل ما بقى على كبده ، فقال أبو بكر : يا رسول الله : ان الله قد عودك في الدعاء خيرا فادع لنا ، قال : أتحب ذلك ؟ قال : نعم ، فرفع يديه فلم يرجعهما حتى أظلت السماء ثم سكبت فملأوا ما معهم ، ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر .

وقال ابن عرفة : سمى جيش تبوك جيش العسرة لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ندب الناس الى الغزو في حمارة القيظ فغلظ عليهم وعسر ، وكان إبان ابتياع الثمرة .

قال : وانما ضرب المثل بجيش العسرة لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يغزُ قبله في عدد مثله ، لأن اصحابه كانوا في بدر ثلاثمائة وبضعة عشر ، ويوم أحد سبعمائة ، ويوم خيبر ألفا وخمسمائة ، ويوم الفتح عشرة آلاف ، ويوم حنين اثنى عشر ألفا ، وكان جيشه في تبوك ثلاثين ألفا وزيادة ، وهي آخر مغازيه صلى الله عليه وسلم .

واذا كنا قد أدركنا أن طول الأعمار في مقابلة الخلود كساعة فعلينا أن نضاعف من عمل الصالحات في الدنيا ، وأن نعمل لما بعد الموت ، وأن يأخذ العبد من نفسه لنفسه ـ كما يقول صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه ـ ، ومن غناه لفقره ، ومن صحته لسقمه ، ومن الشباب قبل الهرم ، ومن الحياة قبل الممات ، فما بعد الموت من مستعتب ، وما بعد الدنيا من دار الا الجنة أو النار .

الساعة

أطلقت الساعة معرفة في القرآن الكريم على يوم القيامة ، وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم في ستة وثلاثين موضعا ، موزعة في ثلاث وثلاثين آية .

فقد ورد ذكرها في الآية ٣١ من سورة الأنعام : « **قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ألا ساء ما يزرون** » .

وفي الآية ٤٠ من الأنعام أيضا : « **قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين** » .

وفي الآية ١٨٧ من سورة الأعراف : « **يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند الله لا يجليها لوقتها الا هو ثقلت في السموات والأرض لا تأتيكم الا بغتة يسألونك كأنك حفي عنها قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون** » .

وفي الآية ١٠٧ من سورة يوسف : « **أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله أو تأتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون** » .

وفي الآية ٨٥ من سورة الحجر : « **وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما الا بالحق وإن الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل** » .

وفي الآية ٧٧ من سورة النحل : « **ولله غيب السموات والأرض وما أمر الساعة الا كلمح البصر أو هو أقرب إن الله على كل شيء قدير** » .

وفي الآيتين ٢١ ، ٣٦ من سورة الكهف : « **وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها** .. » « **وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا** » .

وفي الآية ٧٥ من سورة مريم : « **قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا حتى اذا رأوا مايوعدون إما العذاب وإما الساعة فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جندا** » .

وفي الآية ١٥ من سورة طه : « **إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى** » .

وفي الآية ٤٩ من سورة الأنبياء : « **الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون** » .

وفي الآيات : ١ ، ٧ ، ٥٥ من سورة الحج : « **يأيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم** » « **وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور** » « **ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة أو يأتيهم عذاب يوم عقيم** » .

وفي الآية ١١ من سورة الفرقان : « **بل كذبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا** » .

وفي الآية ٥٥ من سورة الروم : « **ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة ..** » .

وفي الآية ٣٤ من سورة لقمان : « **إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير** » .

وفي الآية ٦٣ من سورة الأحزاب : « **يسألك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا** » .

وفي الآية ٣ من سورة سبأ : « **وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا في كتاب مبين** » .

وفي الآيتين ٤٦ ، ٥٩ من سورة غافر : « **النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب** » « **إن الساعة لآتية لا ريب فيها ولكن أكثر الناس لا يؤمنون** » .

وفي الآيتين ٤٧ ، ٥٠ من سورة فصلت : « **اليه يرد علم الساعة وما تخرج من ثمرات من أكمامها وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه ويوم يناديهم أين شركائي قالوا آذناك ما منا من شهيد** » « **ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت الي ربي إن لي عنده للحسنى فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ** » .

وفي الآيتين ١٧ ، ١٨ من سورة الشورى : « **الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان وما يدريك لعل الساعة قريب . يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق ألا إن الذين يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد** » .

وفي الآيتين ٦٦ ، ٨٥ من سورة الزخرف : « **هل ينظرون الا الساعة أن تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون** » « **وتبارك الذي له ملك السموات والأرض وما بينهما وعنده علم الساعة واليه ترجعون** » .

وفي الآيتين ٢٧ ، ٣٢ من سورة الجاثية : « **ولله ملك السموات والأرض ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون** » « **وإذا قيل إن وعد الله حق والساعة لا ريب فيها قلتم ما ندري ما الساعة إن نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين** » .

وفي الآية ١٨ من سورة محمد : « **فهل ينظرون الا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم** » .
وفي الآيتين ١ ، ٤٦ من سورة القمر : « **اقتربت الساعة وانشق القمر** » « **بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر** » .
وفي الآية ٤٢ من سورة النازعات : « **يسألونك عن الساعة أيان مرساها** »[١] .

* * *

وهذه الآيات كلها مكية ما عدا الآيات : ١ ، ٧ من سورة الحج وآية سورة الأحزاب ، وآية سورة محمد ، والآية ٤٦ من سورة القمر ، أما الآية ٥٥ من سورة الحج فبين مكة والمدينة .

ونزول معظم تلك الآيات التي تتحدث عن الساعة في مكة دليل على طبيعة المرحلة ، وهي المرحلة التي بدأ النبي صلى الله عليه وسلم فيها بتبليغ الدعوة سرا ثم جهرا الى الناس ، وكان من الطبيعي أن يكثر الحجاج واللجاج بين الرسول ومشركي مكة ، وبخاصة في هذا الأمر الغيبي أو السمعي الذي صدق به المؤمنون وكذب به غيرهم من منكري الرسالة .

ولقد جاءت الآية ٤٠ من سورة الأنعام في محاجة المشركين ممن اعترف أن له صانعا ، فبينت الآية أن هؤلاء يرجعون الى الله عند الشدائد ، وسيرجعون اليه يوم القيامة أيضا فلم يصرون على الشرك في حال الرفاهية ، ويدعون الله في صرف العذاب حال عبادتهم الأصنام ؟ !
(انظر : القرطبي حـ ٦/٤٢٢/٤٢٣) .

وقد بينت آيات : الأعراف والأحزاب والنازعات صراحة ، وغيرها ضمنا كيف أن اليهود والمشركين لجوا في سؤالهم النبي صلى الله عليه وسلم عن الساعة ، فقال اليهود : إن كنت نبيا فأخبرنا عن الساعة متى تقوم وكذلك قال المشركون لفرط إنكارهم ذلك (انظر القرطبي جـ ٧/٣٣٥/٣٣٦) هؤلاء المؤذون لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما توعدوا بالعذاب سألوا عن الساعة استبعادا وتكذيبا موهمين أنها لا تكون ، وقد أمر الله نبيه أن يقول لهم : علمها عند الله ، وليس في إخفاء وقتها عني ما يبطل نبوتي ، إذ ليس من شرط النبي أن يعلم الغيب بغير تعليم من الله عز وجل (انظر القرطبي حـ ١٤/٢٤٨) .

قال عروة بن الزبير : لم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يسأل عن الساعة حتى نزل قوله تعالى : « **فيم أنت من ذكراها . الى ربك منتهاها** » (القرطبي حـ ١٩/٢٠٩ ، ٢١٠) والمعنى : في أي شيء أنت يا محمد من ذكر القيامة والسؤال

عنها ؟ وليس لك السؤال ؟ ! .

وقد بينت آية الشورى أن الذين لا يؤمنون بالساعة يستعجلون بها عن طريق الاستهزاء ظنا منهم أنها غير آتية ، أو ايهاما للضعفة أنها لا تكون (القرطبي حـ ١٦/١٦)

وقد بينت آية النحل أن أمر الساعة ما هو « **الا كلمح البصر أو هو أقرب** » وقد اختلف في معنى ـ لمح البصر ـ فقيل : هو تمثيل للقرب ، كما يقول القائل : ما السنة الا لحظة ، وشبهه. وقيل : المعنى هو عند الله كذلك لا عند المخلوقين ، دليله قوله تعالى : « إنهم يرونه بعيدا ونراه قريبا » و « أو هو أقرب » ليس « أو » للشك ، بل للتمثيل بأيهما أراد الممثل ، وقيل : دخلت لشك المخاطب ، وقيل : أو بمنزلة بل (انظر القرطبي حـ ١٠/١٤٩ ، ١٥٠) .

كما بينت آيات : الأنعام ، والأعراف ، ويوسف ، و ٥٥ الحج ، والزخرف ، ومحمد أن الساعة لا تأتي الا بغتة ، أي فجأة ، وهو تنبيه للناس على ما يحل بهم من الحسرة ، قال ابن عباس : تصيح الصيحة بالناس وهم في أسواقهم ومواضعهم ، كما قال : « تأخذهم وهم يخصمون » (القرطبي جـ ٧/٢٧٣) .

وأكدت آية الأعراف أن أمر الساعة ثقيل في السموات والأرض ، بمعنى أن علمها خفى على أهل السموات والأرض ، وكل ما خفى فهو ثقيل على الفؤاد أو أن مجيئها كبر على أهل السموات والأرض ، أو أن المعنى : لا تطيقها السموات والأرض لعظمها ، لأن السماء تنشق ، والنجوم تتناثر ، والبحار تنضب (القرطبي حـ ٧/٣٣٥/٣٣٦) .

وإذا كان الله قد أخفى أمرها عنا فما معنى قوله في سورة طه : « **إن الساعة آتية أكاد أخفيها** » ؟ روى عن سعيد بن جبير أنه قرأ « أخفيها » بفتح الهمزة ، قال : أظهرها « لتجزي » أي الاظهار للجزاء ، وقال الفراء : معنى « أخفيها » بفتح الهمزة أظهرها من خفيت الشيء : أظهرته ، وأنشد لامرىء القيس :

فان تدفنوا الداء لا نخفه وإن تبعثوا الحرب لا نقعد أراد : لا نظهره . وقال بعض اللغويين : يجوز أن يكون أخفيها بضم الهمزة معناه أظهرها ، لأنه يقال : أخفيت الشيء وخفيته اذا أظهرته . فأخفيته من حروف الأضداد يقع على الستر والاظهار .

وقال الأنباري : وتفسير للآية آخر « إن الساعة آتية أكاد » انقطع الكلام على أكاد وبعده مضمر أكاد آتي بها ، والابتداء « أخفيها لتجزي كل نفس بما تسعى » قال ضابىء البرجمي :

هممت ولم أفعل وكدت وليتني تركت على عثمان تبكى حلائله

أراد وكدت أفعل ، فأضمر مع كدت فعلا كالفعل المضمر معه في القرآن . وقد

ظاهره النحاس في ذلك (راجع القرطبي حـ ١١/١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥) .
وقد بينت آية لقمان أن هناك خمسا لا يعلمهن الا الله : « إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث .. الآية » قال ابن عباس : هذه الخمسة لا يعلمها الا الله تعالى ، ولا يعلمها ملك مقرب ولا نبي مرسل فمن ادعى أنه يعلم شيئا منها فقد كفر بالقرآن ؛ لأنه خالفه (انظر القرطبي حـ ١٤/٨٢ ، ٨٣) .

وقد بينت آيتا الأنبياء والشورى أن المؤمنين يشفقون من الساعة ، هؤلاء الذين يخشون ربهم بالغيب ، أي غائبين ، لأنهم لم يروا الله تعالى ، بل عرفوا بالنظر والاستدلال أن لهم ربا قادرا يجازي على الاعمال ، فهم يخشونه في سرائرهم وخلواتهم التي يغيبون فيها عن الناس ، وهم على خوف ووجل من قيام الساعة قبل التوبة (انظر القرطبي حـ ١١/٢٩٥) .

وتؤكد آية سورة محمد أن للساعة أشراطا ، أي علامات وأمارات ، وعلى رأس تلك العلامات ظهور النبي الخاتم ، فقد قرأوا في كتبهم أن محمدا صلى الله عليه وسلم آخر الأنبياء فبعثه من أشراط الساعة وأدلتها ، وقيل : أشراط الساعة أسبابها التي هي دون معظمها ، ومنه يقال للدون من الناس : الشرط ، وقيل : يعني علامات الساعة انشقاق القمر والدخان ، قاله الحسن ، وعن الكلبي : كثرة المال والتجارة وشهادة الزور ، وقطع الأرحام ، وقلة الكرام ، وكثرة اللئام . (انظر القرطبي حـ ١٦/٢٤٠ ، ٢٤١) .

وقيل : إن الزلزلة هي احدى أشراط الساعة ، وتكون في الدنيا ، قال تعالى : « يأيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم » .

وقيل : أنزلت هذه الآية والرسول في سفر فقال : أتدرون أي يوم ذلك ؟ فقالوا : الله ورسوله أعلم . قال : ذاك يوم يقول الله لآدم ابعث بعث النار ، قال : يارب : وما بعث النار ؟ قال : تسعمائة وتسعة وتسعون الى النار وواحد الى الجنة ، فأنشأ المسلمون يبكون ، فقال صلى الله عليه وسلم : « قاربوا وسددوا فانه لم تكن نبوة قط الا كان بين يديها جاهلية ، قال : فيؤخذ العدد من الجاهلية فان تمت والا كملت من المنافقين ، وما مثلكم ومثل الأمم الا كمثل الرقمة في ذراع الدابة ، أو كالشامة في جنب البعير ، ثم قال : إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة فكبروا ، ثم قال : إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة فكبروا . قال راوي الحديث : لا أدري أقال الثلثين أم لا ؟

أما حديث جبريل الذي سأل الرسول فيه عن الساعة فبين له الرسول بعض علاماتها ورواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فهو من الاشتهار بحيث نكتفي بالاشارة اليه فقط في هذا المقام .

عقيدة حياة

إن العقيدة - أي عقيد ء كانت هي مجموعة القضايا اليقينة التي آمن بها الفرد . واقتنع بها قناعة رسخت مضمون هذا المعتقد . واحتوت الانسان وأصبحت قواما له .

والعقيدة الاسلامية . هي الأمور القطعية اليقينية التي ارتضاها المسلم وجزم بصحتها عن دليل . واطمأن الى مضمونها طمانينة قلبية . بحيث أصبح الشك والريب محجوزا بحاجز الصدق واليقين . من أن يتطرق اليها أو يغشاها أو يكدر صفاءها وهذا هو المعنى العام للعقيدة . أي هو ما عقد عليه الانسان في قلبه . وهي بهذا المعنى لابد أن تكون من العمق والتمكن من نفس صاحبها . بحيث تمتزج به امتزاجا كاملا . وتصبح قطعة منه ويصبح هو جزءا منها . تباشر شغاف قلبه .

وتسري في ضلوعه وجوانحه . والعقيدة لا تثبت في نفس حاملها . الا اذا كانت من الصلابة بدرجة لا تقبل الليونة والانصهار فالمسلم يحرص على عقيدته كحرصه على الحياة . بل يجعل العقيدة هي الحياة وهي الأمل،هي عنوان حركته وتحركه .

المسلم قدوة

للشيخ / بدر الهلالي

ومحور سيره وسيرته . يلتزم بخطها التزاما قويا متخطيا بصلابتها ومضائها كل المعوقات والسدود .

فالعقيدة والمسلم وحدة لا تنفصم . وكتلة متحدة يستحيل فك ارتباطها – لأن العقيدة اذا سقطت انفرطت مسيرة المسلم . واذا فقدها المسلم فقد هداه وانكشفت للمؤثرات والعوارض . لأدنى لمسه . ويتارجح لأخف هبة ريح فيجب ان تكون عقيدة المسلم صلبة فولاذية لا تهن ولا تلين . ولا يعرف الضعف اليها طريقا . فيرى كل ثمن في مقابلها رخيصا . وكل منال دون منالها تافها وخسيسا فلا تؤثر فيه المغريات . ولا تجرفه المغيرات . وتكون الدنيا بكل مكاسبها المادية لا قيمة لها ولا مقدار . فلو أجريت له الأنهار ذهبا على أن يفرِّط بعقيدته أو يتهاون في صلابتها . فهو يرفضها ويمقتها . لأن العقيدة هي ثروته وملكيته التي يتعامل بها ومعها .

فالمسلم ليس شأنه شأن الآخرين . إن أعطوا من الدنيا رضوا وإن لم يعطوا

منها اذا هم يسخطون . لأن المسلم يرفض كل أشكال الترضية والإقناعات المادية وغيرها من مخالفيه في العقيدة . ولو غمروه بالمال وأغدقوا عليه من خزائنهم فضة وذهبا . فلا يحابيهم أو يدانيهم أو يتعامل معهم ويصير لهم عبدا وخادما ما داموا يخالفونه في العقيدة . ولنا في هذا المقام وقفة مع المصطفى - صلوات ربي وسلامه عليه في بدء دعوته . حينما جاءته العروض والعطاءات تطرح بين يديه . فقال له عتبة بن ربيعة (يا ابن أخي . إن كنت تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا . وإن كنت تريد به شرفا سوّدناك علينا (أي جعلناك سيدا علينا) حتى لا نقطع أمرا دونك وإن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا) فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم -) (أفرغت يا أبا الوليد ؟ قال نعم : قال : فاسمع مني . **ثم قال (بسم الله الرحمن الرحيم) (حم . تنزيل من الرحمن الرحيم . كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون . بشيرا ونذيرا فأعرض اكثرهم فهم لا يسمعون)** فصلت / ١ - ٤ ثم إن اشراف قريش جاءوا الى الرسول - صلى الله عليه وسلم وعرضوا عليه الزعامة والمال . وعرضوا عليه الطب إن كان هذا الذي يأتيه من الجان فقال لهم عليه الصلاة والسلام (ما بي ما تقولون ما جئت بما جئتكم به أطلب أموالكم ولا الشرف منكم ولا الملك عليكم . ولكل الله بعثني رسولا وأنزل عليّ كتابا . وأمرني أن أكون بشيرا ونذيرا - فبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم . فان تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة . وان تردوه عليَّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم) ثم قال لعمه : قولته المشهورة (والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه) بهذه العزيمة المضاء . جاء رد الرسول - صلى الله عليه وسلم - فكان جوابا صارما وموقفا حدا . وفيصلا فارقا لا تهاون فيه ولا بأس ولا استسلام كانت وقفته وقفة الواثق المتوثب . والمجاهد الطموح . كانت كل المغريات والمكاسب في نظره كعود ثقاب وحفنة من تراب . فكان في الصلابة غاية ونهاية . مصمما يحدوه اليقين واثقا متذرعا باقصى درجات العزم والحرص على تحقيق الهدف . جاء صلوات الله وسلامه عليه الى العالم برسالته متحديا موقنا بالحق الذي يدعو اليه صارخا في وجه الضلال . دون أن يأخذ في اعتباره أي شيء في الدنيا سوى العقيدة التي ينادي بها فقد بدأ قريشا بذكر آلهتهم وعابها . وتحداهم في معتقداتهم وسفهها . ولم يأبه بعادات العرب ومعتقداتهم لأنه إنما جاء لهدم تلك العادات والأضاليل . وهو في هذا الصراع المتأزم لم يكن ليتخذ من الغاية مبررا للطريقة التي يسلكها لانجاح دعوته . الا اذا كانت تلك الوسيلة من جنس الغاية التي يحملها . فقد حاولت قريش اقناعه بأن يعبد آلهتهم يوما ويعبدوا ربه يوما فرفض هذا الترقيع . ثم قرأ عليهم قول ربه عز وجل **(قل يا أيها الكافرون . لا أعبد ما تعبدون . ولا أنتم عابدون ما أعبد . ولا أنا عابد ما عبدتم . ولا أنتم عابدون ما أعبد . لكم دينكم ولي دين)** الكافرون .

وهكذا يجب أن يكون المسلم في رفض لكل اشكال التبعية لغير عقيدته وأفكاره ولكن أعداء العقيدة يحاولون أن يغيروا المقاييس ويسيئوا التفسير قصدا فراحوا يصفون المسلمين المتمسكين بعقيدتهم الملتفين حولها . بأنهم متعصبون ومتحجرون . فصار من يحكم بما تمليه عليه العقيدة . متخلفا وانطوائيا وجامدا على القديم ثم حاول بعضهم انضاج مفهوم (الغاية تبرر الواسطة) في أذهان المسلمين وصولا الى اخراج المسلم من عقيدته . وفك تواصلها منه . ليسلم لهم ويقدم التنازلات من عقيدته . فهؤلاء المناكيد يستخدمون الدين أحيانا ليس حبا فيه واعتقادا به . وإنما لسحقه وتفتيته وتعطيل المفاهيم التي يقوم عليها يقول (ميكافيلي) صاحب هذا المفهوم في كتابه المسمى (الأمير) يقول (إن الدين ضروري لا لخدمة الفضيلة ولكن للتمكين من السيطرة على الناس واخضاعهم . وأنه من المفيد للأمير أن يظهر بمظهر الورع والايمان . وأنه من الواجب للأمير أحيانا أن يساند دينا ولو كان يعتقد بفساده) إن الكفار اعداءنا استغلوا الدين لغرض تقويضه وضربه . فلبسوا للمسلمين وشاح التدين والاصلاح . ولكنهم من تحت هذه العباءة ينفثون السموم . فعمقوا في نفوس العرب في عهد الدولة العثمانية النعرة القومية وصوروا لهم أن الأتراك اغتصبوا الخلافة منهم فعليهم أن ينتزعوها . فانساق العرب وراءهم . وانطلت عليهم أحابيلهم فأخذوا ينازعون المسلمين الأتراك على أن الخلافة يجب أن تكون للعرب فقاموا باعلان الثورة عليهم . حتى تمزقت أوصال الأمة . فنشط الاستعمار والخونة في القضاء نهائيا على دولة المسلمين ومعقل قوتهم . ففرح المجرمون الصليبيون من أمثال اليازجي الذي كان ينشد لهم آنذاك من حنجرته المتقرِّحة قائلا :

تنبهوا واستفيقوا أيها العرب … فقد طغى الخطب حتى غاصت الركب
فيم التعلل بالآمال تخدعكم … وأنتم بين راحات القنا سلب
كم تظلمون ولستم تشتكون وكم … تستغضبون فلا يبدو لكم غضب
أقداركم في عيون الترك نازلة … وحقكم بين أيدي الترك مغتصب

إن على المسلم في ظروف الأزمة العقائدية . أن يقوم بالتعريف والتوعية لعقيدته بجلاء حقيقتها وبيان أهدافها . لكي يؤكد قيمة عقيدته وجدارتها وصدقها . وألا تؤثر فيه الأضاليل والأقاويل . متمسكا بعقيدته مهما نعته الناعتون والدساسون . ثابتا على الحق المبين . ماضيا الى غاياته لا تهدمه مطارق الضاربين . حياته عقيدته . فكرته المهجع ، يركن اليه . يسير مع الإسلام حيثما سارت ركائبه . يؤثر ولا يتأثر . متواضعا للحق . متكبرا على الباطل والضلال والمنطق المعلول . مستنيرا بقول ربه جل جلاله (**قل الله أعبد مخلصا له ديني . فاعبدوا ما شئتم من دونه قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين**) الزمر ١٤ ـ ١٥ .

إن مسلمي عصرنا . قد تساهلوا كثيرا في عقيدتهم حتى أصابها الضعف ففقدت شخصيتها وطابعها المميز . فلقد هان الاسلام على أتباعه الى درجة أنهم أصبحوا في شك من كل ما يتصف بالاسلام . ويحمل علامته . وبهذا تداخلت عقيدة المسلم في غيرها من العقائد حتى طغت تلك العقائد على عقيدته . فشوهت تصورات المسلم ونظرته الى الحياة . فمن المسلمين من هو مسلم في مشاعره . ولكنه غير مسلم في تفكيره . فهو يتألف من شخصيتين مزدوجتين . وليس له من المفاهيم الاسلامية ما يتناسب مع مستوى تفكيره كمسلم له طريقته الخاصة في التفكير وكانسان له طراز خاص من العيش ـ وقد أدى هذا الازدواج والتناقض وبفعل الأزمة الفكرية الى ظهور محاولات التوفيق والمطابقة والمقارنة بين الاسلام والمذاهب الأخرى . فكان الخلط وادخال الظواهر الغريبة على الاسلام . والتي ليست من مفاهيمه واحكامه وتقنيناته . لذلك يجب على المسلم أن يصحح طريقته في التفكير فيجعل العقيدة الاسلامية وما يصدر عنها من احكام هي اساس حياته ـ وعلى اساسها يفسر كل الظواهر التي تلوح له حتى يتسنى له أخذ الاسلام صافيا خالصا من كل ما يشوبه ويعكر نقاءه . لأن هذه الظاهرة . إما أن تكون من الاسلام أو لا تكون . ودليل كونها من الاسلام انبثاقها عن العقيدة الاسلامية . ومن هنا توضع الفواصل الجذرية بين ما هو اسلامي وغير اسلامي .

لذلك يتحتم على المسلمين أن يحددوا موقعهم من الاسلام بدقة ووضوح فهم أما أن يكونوا في صف الاسلام . واما ان يقفوا في صف الكفار . قضية فاصلة محدده . لا مهادنة فيها ولا تعايش ولا افتراض . لأنها قضية كفر وايمان . وعلى هذا يصبح لزاما على المسلم أن يجعل العقيدة الاسلامية مسيرته . ومن موقعها ينطلق في فهم الأمور وتفسير الظواهر . جاعلا احاسيسه وتفكيره مرتبطا بعقيدته ونابعا عنها . فلا يحمل الولاء والتابعية الا لعقيدته التي آمن بها طريقا في الحياة . **(يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور)** الممتحنة / ١٣ .

إن عقيدتنا تقوم على أساس التوحيد وإفراد الخالق بالعبادة . لأنه هو وحده الذي يستحق التقديس والتعظيم . والتوحيد تجمعه كلمة ذات محتوي عقائدي وهي (لا إله الا الله محمد رسول الله) فهذه الكلمة هي القاعدة الاساسية التي تنبثق عنها الفكرة الكلية عن هذا الوجود فلا إله الا الله هي الأساس . ومحمد رسول الله هو الداعي لها . ومن هنا ينطلق المسلم في فهمه وفي تصوره وفي سيره في هذه الحياة . لكي تتضح أمامه الصورة بشكلها وأبعادها ومضمونها ونريد أن نسلط الضوء على العقيدة الاسلامية من حيث تصورها للحياة الدنيا .

فما غاية هذه الحياة في نظر عقيدتنا ؟

وهذا السؤال عن تصور الحياة على درجة من الأهمية . له تأثير بالغ في كل أعمال الانسان . وبتغير هذا التصور تتغير نوعية هذه العقيدة .

والسؤال الثاني الذي له علاقة وثيقة بتصور الحياة . ماغاية الانسان في هذه الدنيا ولأي غرض يا ترى كل هذا النضال والصراع وهذا الجهد والكدح والتعب ؟ وما هو الشيء المنشود الذي على الانسان أن يطمح اليه ببصره ؟ وما هي النهاية التي على الانسان ألا يغفل عنها طرفة عين في كل عمل من أعماله ؟ بل في كل لحظة من لحظات حياته .

وهذا السؤال عن غاية الحياة . هو الذي يعين وجهة حياة الانسان العملية وسيرها . وعلى ضوئه يسلك الانسان ما يسلك في حياته من طرق للعمل . ووسائل للتوفيق والنجاح . أما عن تصورنا للحياة الدنيا . فان الاسلام يعتبرها بأنها مرحلة زمنية موقوتة بأجل . هو يوم القيامة يوم يحشر الناس لرب العالمين . ليجزي كل عامل بما عمل . وتوفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون (**والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون . ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون**) الأعراف / ٨ ، ٩ فالذي جاء الاسلام بايضاحه للخلق . أن هذه الحياة ليست مستقرا ثابتا للانسان . وأن وراء هذه الحياة حياة أخرى . وأن الدنيا دار العمل والجهد والسعي . وأن الآخرة هي دار القرار والجزاء . فالانسان قد أمهل في هذه الدنيا ليعمل الى ساعة موته . وأنه لن ينال بعدها مهلة للعمل .

فيجب على الانسان ان يكون على شعور تام بالتبعة والمسئولية . وأنه مكلف باحكام ومرتبط بقوانين . يجب أن ينضبط بها سلوكه . ومما يزيد هذا الشعور بالتبعة أوضح الاسلام . أن كل فرد من أفراد البشرية عليه تبعة كل عمل من أعماله بصفته الشخصية . فليس لأحد أن ينقذه من عواقب أعماله (**وكلهم آتيه يوم القيامة فردا**) مريم / ٩٥ وأوضح الاسلام كذلك أن الحياة الدنيا ليست متاعا يجب نبذه وقذفه والاعراض عنه وأنه ليس للانسان ان يترك الدنيا ظنا منه بأنها شيء يجب الاحتراز منه . وليس له أن يحرم على نفسه زينتها ونعيمها . فالدنيا بطبيعتها إنما هي للانتفاع والاستخدام . والانسان من حقه أن ينتفع بها ويستخدمها ولكن مع رعاية الامتياز بين الصحيح والفاسد . والمناسب وغير المناسب ومع رعاية التوجيه والبيان من الله عز وجل خالق الحياة . فاذا كانت الدنيا منفعة ومتعة . وللانسان أن ينتفع بها . فعليه أن يأخذ منها على الوجه الذي أوصت به الشريعة الغراء (**يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين**) البقرة / ١٦٨ (**يا أيها الذين آمنوا لا تحرِّموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين**) المائدة / ٨٧ كما اوضح الاسلام حقيقة أخرى بالنسبة للحياة الدنيا وهي أن الحياة ما خلقت ملهاة للانسان لتشغله بمفاتنها ومباهجها عن الغاية الحقيقيةالتي وراء الحياة الدنيا . وليعلم الانسان أن هذه الدنيا . وهذه الاموال والملذات . كلها ظل زائل . فالاستمتاع بالحياة إذن . يجب أن يكون بالقدر الذي لا يتعارض والغاية الأساسية الكامنة وراء الحياة الدنيا . أي أن يكون تصرف

الانسان وانتفاعه من الحياة على ضوء التوجيه التشريعي من الله عز وجل . وبهذا يتضح الجواب الذي يطرحه الاسلام . لبيان غاية الحياة . ويعطي وجه العلاقة بين الحياة الدنيا والحياة الآخرة . فينظر للحياة على أنها وحده مركبة من المادة والروح . وهما ممتزجتان امتزاجا كليا لا يقبل الانفصال . بسبب أن طبيعتها قابلة للاتصال بل محتمة له . ولهذا كانت نظرة عقيدتنا أنه يوجد قبل الحياة ما يجب الايمان به وهو الله عز وجل . ويوجد بعد الحياة ما يجب الايمان به وهو يوم القيامة وكان حتما أن تتصل هذه الحياة بما قبلها وبما بعدها اتصالا وثيقا وبهذا يتبين أن أعمال الانسان مضبوطةَ بما قبل الحياة . وهي أوامر الله ونواهيه ومربوطة نتائجها بما بعد الحياة . وهو يوم القيامة . فكأن رضوان الله هو المثل الأعلى . وهو غاية الأعمال التي يجب أن تسيرٍّ الانسان وهذا التصور الاسلامي للحياة وغايتها . على النقيض من التصور الرأسمالي للحياة . فان الرأسمالية ترى أن الحياة مكونة من مادة وروح . إلا أن طبيعة الروح التي هي الصلة بين الانسان وربه منفصلة عن المادة . ولذلك يجب أن تفصل المادة عن الروح أنفصالا تاما . ولهذا كانت المادة عند الرأسماليين هي التي تسير الحياة فقط . وأن الروح يكفيها أن تتمثل في الفرد . يؤدي عبادته لخالقه بصورة فردية . ولهذا كان وجودها فرديا أو نظريا فهم يعتبرون أن الحياة لا صلة لها بما قبلها ولا بما بعدها . فكانت حياتهم حياة مادية بحته . وهي موجهة بالمادة وقياساتها النفعية . وكذلك النظرة الشيوعية للحياة تناقض التصور الاسلامي للحياة وغايتها . فهي ترى أن الحياة مادة فقط . ولا يوجد وراء هذا الكون شيء مطلقا . ولذلك ينكرون الروح . وعلى هذا فهم ينكرون ما قبل الحياة وما بعدها . ويعتبرون موت الانسان فناء له . ومادام سيموت ويفنى فعليه أن يأخذ اكبر قسط مادي يقدر عليه من الحياة . لذلك كان قياس الحياة عندهم بالنفعية فقط . وإزاء هاتين النظرتين الخاطئتين لكل من الرأسمالية والشيوعية واللتين تناقضان الفطرة والأصل . وهو مزج الروح بالمادة إزاء هذه فان الاسلام يطرح الجواب الشافي . حينما يربط الحياة الدنيا بما قبلها وبما بعدها . ومن هذا التصور السليم المتفق مع الفطرة . نشأت عند المسلم عقيدة الآخرة . وبموجبها تتحدد مواقف الانسان من الحياة والأفعال ماذا يأخذ وماذا يدع ؟ مسيرا أعماله بالأحكام الشرعية التي شرعها الله خالق الحياة والانسان .

أما بالنسبة للسؤال الأخير الذي يتعلق بمنزلة الانسان في هذا الكون . أي ما الموقع الذي يحتله الانسان في هذه الحياة ؟ وما هي نظرة عقيدتنا للانسان وما هو مركزه الذي تعينه العقيدة الاسلامية فيه . لقد كان الانسان ومايزال مأخوذا بسوء الفهم عن نفسه . يميل الى جانب الافراط حينا . فيرى أنه أكبر وأعظم قوة في العالم . يمتلىء انانية وغطرسة وكبرياء . ولا يرضى بأن يرى أية قوة أخرى في العالم ندا لنفسه . فضلا عن أن يراها فوقه . وهنا ينادي (**أنا ربكم الأعلى**) النازعات / ٢٤ وينادي (**من أشد منا قوة**) فصلت / ١٥ .

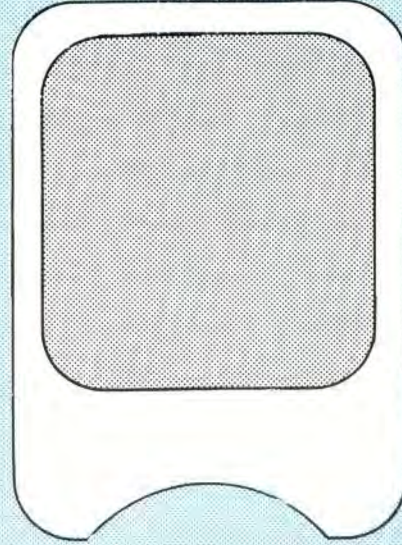
ويربأ بنفسه أن يعتقد أنه مسئول أمام أحد . وأن عليه نوعا من التبعة .

ويتحول الى آلة للقهر والجبروت والبطش والظلم . ويميل الى جانب التفريط حينا آخر ، فيظن أنه أدنى وأرذل كائن في العالم فيطاطىء رأسه أمام حجر وشجر . ولا يرى لنفسه السلامة إلا في أن يسجد للشمس والقمر . وما اليهما من الموجودات التي يرى فيها شيئا من القوة أو القدرة على ضرره أو نفعه . بل طالما يتخذ آلهة أناسا من أمثاله عندما يرى فيهم نوعا من القوة والجبروت والغلبة . ولا يتحرج عن عبادتهم وعبوديته لهم ، أما الاسلام . فهو يبطل هذين التصورين المتطرفين . ويعرض الانسان على حقيقته. ويضعه في الموضع المناسب له كانسان له ادراك واحساس أما بالنسبة للنظرة الاولى فينقضها الاسلام بقوة . (**فلينظر الانسان مم خلق . خلق من ماءٍ دافق . يخرج من بين الصلب والترائب**) الطارق / ٥ ـ ٧ فهذا القول يحقّر النظرة التي ترى أن الانسان هو القوة التي لا تقهر . والسلطان الذي لا يغلب . فيذكر الانسان بأصله لكيلا يشمخ بأنفه . ويدفع بصدره ويرى لنفسه العزة والجبروت المطلق . هذا من جانب . ومن جانب آخر . فان الاسلام بيَّن للانسان أنه ليس من الذلة والمهانة والابتذال كما يزعم نفسه . وفي ذلك يقول ربنا عز وجل (**ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا**) الاسراء ـ ٧٠ فالانسان ليس من علوِّ المكانة وارتفاع المنزلة حيث يحسب نفسه عندما يميل الى جانب الافراط . ولا هو من الدناءة والرذالة حيث يضع نفسه عندما يميل الى جانب التفريط .

فالاسلامينظر للانسان على أنه مخلوق سوي مكرم في غير استعلاء مطلق . ولا مهانة مُذِلة . فهو خليفة جعله الله عز وجل في أرضه ليقوم بالحق والميزان . وقد أعطى الله للانسان من القوة الجسمانية والعقلية ما يؤهله للقيام بهذه الوظيفة العليا (**وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم**) الانعام ـ ١٦٥ فالانسان خليفة في الأرض وما هو بمالك حقيقي وان كل شيء يستخدمه الانسان ويتصرف فيه وينتفع به في هذه الدنيا ليس ملكا له . وانما الملك لله وحده وهو صاحب السيادة المطلقة . والآمر النافذ فليس من حق الانسان أن يتصرف فيه كأنه هو مالكه . ولا أن يستخدمه فيما يشاء وتشاء أهواؤه . بل إن دائرة صلاحياته محدودة بأن يتبع هدى الله . ولا يتصرف في شيء في هذه الدنيا الا حسب أوامر الله وأحكامه وتشريعاته . وإنه لمن الضلال والبغي والعدوان والتجاوز أن يتبع هواه . أو يتخذ من نفسه إلاها . أو يتخذ أحدا غير الله مالكا وحاكما لنفسه يتعدى حدود دائرة صلاحياته .

وإنما الأمر كله لله (**قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير**) آل عمران / ٢٦ .

ومن هذه النظرة الموزونة الرائعة تتحقق السعادة للانسان . ويعيش في خير وكرامة على أرض الله .



الشريعة الإسلامية

« الشريعة الاسلامية واجبة التطبي

« تقنين احكام الشريعة واجب منعا لاختلاف الاحكام في المســ

« الدعوة الى تقنين الشريعة بدأت منذ القرن الثالث الهجري عندما اتسعت البلاد الاسلامية واختلفت الاحكام في القضية الواحدة »

نص الدستور المصري (لعام ١٩٧١م)ـ بالمادة ٢ ـ على ان « مبادىء الشريعة الاسلامية المصدر الرئيسي للتشريع » ويرى بعض شراح القانون الوضعي ان احكام الشريعة الاسلامية اصبحت واجبة التطبيق في ظل الدستور الجديد وان اي قاض يستطيع الآن ان يرفض الحكم بأي قانون يخالف الشريعة لأنه في ظل القانون القائم يعتبر غير دستوري .

ويرى البعض الاخران نص الدستور المشار اليه لم يسبغ على احكام الشريعة قوة الزامية ذاتية ولذلك فان احكامها ما زالت بعد النص المشار كما كانت قبله مجرد قواعد دينية ولا تكتسب هذه الاحكام قوة الالزام التي تحظى بها قواعد القانون الا اذا تدخل المشرع فقننها وفي هذه الحالة تصبح تلك الاحكام ملزمة بتقريرها تشريعيا لا بذاتها ، اي بسلطان الدولة لا بسلطان الدين والدليل على ذلك ان الخطاب في النص الدستوري المشار اليه موجه الى المشرع لا الى الكافة ولا الى القضاء (راجع للدكتور عوض محمد دراسات في الفقه الجنائي الاسلامي)

والمواد الجنائية

للاستاذ/صالح محمد عبد الله

بحكم نفسها لا بحكم الدستور

المتشابهة ومنعا للحكم استنادا الى الآراء المنحرفة »

« احكام الشريعة الاسلامية ملزمة بحكم نفسها لا بحكم الدستور »

وان كان الرأي الثاني يبدو صحيحا من وجهة نظر القانون الا انه من وجهة نظر الشريعة هو قول باطل بطلانا مطلقا فالحق ان احكام الشريعة الاسلامية الغراء واجبة التطبيق بحكم نفسها لا بحكم الدستور . وملزمة للمسلمين منذ ان نزل بها الوحي على الرسول صلى الله عليه وسلم حتى يرث الله الارض ومن عليها ، فالشريعة الاسلامية هي الدستور الاساسي للمسلمين وكل ما يوافق هذا الدستور فهو صحيح وكل ما يخالفه فهو باطل فقد عرف الاصوليون الحكم الشرعي بأنه « **خطاب الله تعالى المتعلق بأفعال المكلفين اقتضاء او تخييرًا او وضعا** » ومع هذا التعريف يظهر ان اركان الحكم الشرعي ثلاثة :ـ الحاكم والمحكوم فيه والمحكوم عليه .

وقد اجمع الاصوليون على ان الحاكم بمعنى منشىء الحكم ومشرعه هو الله تعالى بدليل قوله عز وجل « **إن الحكم الا لله** » وقوله تعالى « **ما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم** » ٣٦ من سورة الاحزاب واما الرسول عليه الصلاة والسلام فمبلغ عن الله حكمه . قال تعالى « **يا**

أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته » ٦٧ المائدة .

« القوانين الوضعية هي التي تستمد قوة الالزام من الشريعة الاسلامية »

فاحكام الشريعة هي احكام سماوية من عند الله سبحانه وتعالى فلا تستمد قوة الالزام من قوانين البشر فالحق ان القوانين الوضعية هي التي تستمد قوتها من الشريعة الاسلامية فولي الامر يستمد حق الطاعة من نصوص الشريعة قال تعالى **(يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير واحسن تأويلا)** النساء ٥٩ ويتبين من نص الاية الكريمة ان الله سبحانه وتعالى قد كرر لفظ الطاعة بالنسبة للرسول صلى الله عليه وسلم وهذا يعني ان طاعة الرسول تجب له استقلالا اي ان اوامره ونواهيه لها قوة الالزام وان لم يرد بشأنها نص في القرآن الكريم لأنه صلى الله عليه وسلم اوتي الكتاب ومثله معه ـ **(وما ينطق عن الهوى . ان هو الا وحي يوحى)** ٣و٤ النجم . وحذف فعل الطاعة عند ذكر اولي الامر دليل على ان طاعة اولي الامر لا تجب لهم استقلالا كطاعة الرسول وانما تجب في حدود اوامر الشرع ونواهيه فان كانت اوامرهم « القوانين الوضعية » تتفق مع احكام الشريعة وجبت لها الطاعة وكانت لها قوة ملزمة للمسلمين اما ان كانت تشريعاتهم مخالفة لنص من الكتاب او السنة او لاجماع المسلمين كانت باطلة بطلانا مطلقا غير ملزمة للمسلمين . ويتبين من ذلك ان الشريعة الاسلامية هي التي تمنح التشريعات الوضعية « اوامر اولي الامر » قوة الالزام ولا تستمد هي قوة الالزام منها .

« الأدلة على بطلان القوانين الوضعية المخالفة للشريعة الاسلامية »

وبطلان القوانين الوضعية المخالفة لاحكام الشريعة الاسلامية لا يرجع الى مخالفتها لنص الدستور وانما يرجع الى مخالفتها لنصوص الشريعة نفسها :ـ
١ ـ فنصوص القرآن الكريم قد وردت قاطعة في تحريم كل ما يخالف الشريعة واعتبرت العامل بغير الشريعة متبعا هواه منقادا الى الضلال كافرا بما انزل الله « راجع للاستاذ عبد القادر عودة التشريع الجنائي الاسلامي مقارنا بالقانون الوضعي » قال تعالى **(فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون اهواءهم ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله)** القصص ٥٠ وقال جل شأنه **(يا**

داوود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله) من سورة ص ٢٦ وقال جل شأنه موجها الخطاب الى محمد صلى الله عليه وسلم (**ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون**) الجاثية ١٨ .
٢ ـ ان الله سبحانه وتعالى قد امر ان يكون الحكم طبقا لما انزل (**وان احكم بينهم بما انزل الله**) المائدة ٤٩ وجعل من لم يحكم بما انزل الله كافرا وظالما وفاسقا (**ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون**)المائدة ٤٤ ، (**ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الظالمون**) المائدة ٤٥ ،) **ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الفاسقون**) المائدة ٤٧ .

« تقنين الشريعة واجب وذلك لمنع اختلاف الأحكام وليس لمنحها صفة الالزام »

وتقنين احكام الشريعة قد اصبح واجبا محتما في هذا العصر والتقنين ليس القصد منه اضفاء صفة الالزام على احكام الشريعة فهي ملزمة بحكم نفسها كما بينا وانما هو مطلوب حتى لا تتناقض الاحكام في المسألة الواحدة وحتى لا يقضي صاحب هوى برأي فقهي منحرف من الاراء المدسوسة على الفقه الاسلامي .

اما عن اختلاف الاحكام في القضية الواحدة فانه من المعروف ان فقهاء الشريعة قد اختلفوا في الاحكام التي وردت بشأنها نصوص ظنية الثبوت او الدلالة . الامر الذي يتحتم معه اصدار تشريع قائم على اختيار الاراء التي تحقق العدل ومصلحة الامة فيكون التشريع ملزما للقاضي فلا يحكم بغيره وذلك حتى لا تختلف الاحكام في المسألة الواحدة او في القضايا المتشابهة فنضرب مثلا لاختلاف الفقهاء في قضية من قضايا الحدود وهي مسألة اشتراط النصاب في المال المسروق الذي يوجب القطع فقد اختلفوا حول هذا الشرط من وجهين :-

١ ـ **الوجه الاول** : انهم اختلفوا في شرط النصاب نفسه بمعنى هل يشترط لاقامة حد السرقة ان يبلغ المال المسروق نصابا محددا ام ان القطع واجب ايا كانت قيمة المال المسروق . فجمهور الفقهاء يشترطون النصاب لوجوب القطع ودليلهم على ذلك احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم فقد روى عنه انه قطع في مجن ثمنه ثلاثة دراهم رواه مسلم واحمد وروى عن عائشة رضي الله عنها انها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقطع في ربع دينار ـ رواه النسائي « عبد القادر عودة التشريع الجنائي الاسلامي ».

اما الرأي الثاني فهو ما روى عن الحسن البصري وداود وما عرف عن الخوارج من وجوب القطع في سرقة القليل والكثير وحجتهم اطلاق قوله تعالى (**والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله**) ٣٨ المائدة كما استدلوا بحديث ابي هريرة « لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع

يده ويسرق الحبل فتقطع يده » متفق عليه « المرجع السابق » ولكن الجمهور يرون ان اطلاق الآية مقيد باحاديث الرسول التي سبق ذكرها وان حديث ابي هريرة اريد به تحقير شأن السارق والتنفير من السرقة .

٢ ـ **الوجه الثاني** : ان الجمهور بعد ان اشترطوا النصاب في القطع اختلفوا في تحديد مقدار النصاب فيرى مالك ان القطع يجب في ثلاثة دراهم من الفضة وربع دينار من الذهب ويرى ابو حنيفة ان النصاب الذي يوجب القطع هو عشرة دراهم تساوي دينارا فلا قطع عنده في اقل من ذلك « التشريع الجنائي وبداية المجتهد لابن رشد ».

ففي ظل هذا الاختلاف اذا عرضت واقعة سرقة على القاضي وكان المال لا يبلغ ربع دينار فقد يقضي بالقطع استنادا الى رأي الخوارج ومن تبعهم بينما لو عرضت واقعة مشابهة على قاض آخر ربما قضى بعقوبة تعزيرية عملا برأى الجمهور . واذا عرضت قضية وكان المال المسروق يزيد على ربع دينار ولكنه لا يبلغ دينارا كاملا فقد يقضي بالقطع عملا برأي المالكية بينما لو عرضت قضية مماثلة على قاض اخر فقد يقضي بعقوبة تعزيرية ولا يحكم بالقطع اخذاً برأي الاحناف وفي ذلك خروج على مبدأ المساواة في تطبيق احكام الشريعة وكذلك قد يحكم القاضي بالقطع فيستأنف المتهم الحكم فتلغيه المحكمة الاستئنافية وتقضي بعقوبة تعزيرية كالحبس بدلا من القطع عملا برأي فقهي يخالف الرأي الذي اخذت به محكمة الدرجة الاولى ومن هنا تتناقض الاحكام في القضايا المتشابهة كما تختلف في القضية الواحدة ومن هنا كانت الحاجة الى تقنين احكام الشريعة في صورة مواد قانونية ملزمة ومختارة من اراء الفقهاء ولم تكن هناك حاجة الى التقنين في العصور الاولى للاسلام لأن الوالي على كل بلد كان هو قاضيها ولا يقوم بالقضاء غيره « فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استعمل رجلا نائبا على مدينة كان نائبه هو الذي يصلي بهم ويقيم فيهم الحدود (اي يقوم بالقضاء) وغيرها مما يفعله امير الحرب فقد استعمل عتاب بن اسيد على مكة وعثمان بن ابي العاص على الطائف وعليا ومعاذا وابا موسى على اليمن وعمرو بن حزم علي نجران » « السياسة الشرعية لابن تيمية ».

« الدعوة الى التقنين قد بدأت منذ القرن الثالث الهجري »

اما بعد ان اتسعت البلاد الاسلامية واصبح الوالي لا يقوم بأعباء القضاء وانما يقوم بها نواب عنه هم القضاة ، الامر الذي تحتم معه تقنين احكام الشريعة حتى لا تختلف الاحكام كما بينا وحتى لا يقضي قاضٍ برأي منحرف ومدسوس على الشريعة . لذلك فان الدعوة الى التقنين قد بدأت منذ القرن الثالث الهجري في العصر العباسي فقد كتب ابن المقفع الى الخليفة ابي جعفر المنصور رسالة دعاه فيها الى وضع قانون عام لجميع الامصار يؤخذ من الكتاب والسنة وعند عدم

النص يؤخذ من الرأي ما يقتضيه العدل ومصلحة الامة . وذلك لما لاحظه من تباين في الاراء واختلاف في الحكم في المسألة الواحدة وفي هذه الرسالة يقول « مما ينظر فيه امير المؤمنين من امر هذين المصرين وغيرهما من الامصار والنواحي . اختلاف هذه الاحكام المتناقضة التي قد بلغ اختلافها امرا عظيما . فلو رأى امير المؤمنين ان يأمر بهذه الاقضية المختلفة فترفع اليه في كتاب ، ويرفع معها ما يحتج به كل قوم من سنة او قياس ، ثم نظر امير المؤمنين في ذلك وامضى في كل اقضية رأيه ونهى عن القضاء بخلافه ، فكتب بذلك كتابا جامعا رجونا ان يجعل الله هذه الاحكام المختلطة الصواب بالخطأ حكما واحدا صوابا .. راجع تاريخ القضاء في الاسلام لعرنوس « غير ان هذه الدعوة لم تجد قبولا في ذلك الوقت لرفض الفقهاء ان يتحملوا تبعة اجبار الناس على تقليدهم كما انهم تورعوا وخافوا ان يكون في اجتهادهم خطأ . وبقى الامر على ما هو عليه الى ان ظهرت الفكرة الى حيز الوجود عندما قامت الحكومة العثمانية في اواخر القرن الهجري الماضي - وكانت تمثل الخلافة في الاسلام باخراج قانون للمعاملات المدنية يقتبس من الفقه الاسلامي عرف بقانون مجلة الاحكام العدلية » وبلغت مواده ١٨٥١ مادة .

« دعوى صعوبة التقنين باطلة بطلانا مطلقا »

ويدعي البعض ان تقنين احكام الشريعة فيه مشقة كبيرة ويحتاج الى وقت وجهد كبيرين لأن المطلوب في نظرهم هو ان تصاغ من الفقه الاسلامي مواد للقانون المدني والتجاري والدستوري والبحري والجنائي الى اخر ما هنالك من فروع القانون ومواد هذه القوانين تعد بالالاف وكما ان ذلك سوف يؤدي الى نقض البناء القانوني المستتب في الدولة .

والحق ان هذه الدعوى باطلة ولا يقول بها الا من يجهل احكام الشريعة او من عميت قلوبهم عما فيها من حق وخير وعدل وصلاح للامة التي ساءت احوالها بعد ان تخلت عن شريعة ربها جريا وراء التشريعات الغربية الفاسدة المفسدة فلو علم اصحاب هذه الدعوة ان تقنين الشريعة في المجال الجنائي مثلا لن يترتب عليه سوى الغاء مادتين او ثلاثة من قانون العقوبات المصري الذي تبلغ مواده ٣٩٥ مادة واضافة ١٤٤ مادة تقريبا اليه هي مواد جرائم الحدود والقصاص والديات وقل مثل ذلك بالنسبة لباقي فروع القانون الاخرى .

وبعد فانه لن يصلح آخر هذه الامة الا بما صلح به اولها وقد كانت احكام الشريعة سببا في توحيد هذه الامة من اجناس مختلفة وبسط سلطانها على جزء كبير من العالم وكانت خير امة اخرجت للناس .

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم « تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدي ابدا كتاب الله وسنتي » رواه الحاكم عن ابي هريرة . صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حول الاستقلال

للاستاذ

محمد هاني اسماعيل محمـود

دار الجدل منذ زمن ، وما يزال ، حول نص في قانون الأحوال الشخصية - بمصر - يقول : أن « للمُطلَّقة الحاضنة الاستقلال مع صغيرها بمسكن الزوجية المؤجر ما لم يهيء المطلِّق مسكنا آخر مناسباً ... » .

وقد عللت المذكرة الايضاحية وضع هذا النص وأفصحت عن حكمته وأساسه فقالت أنه جاء استنادا الى قول الفقهاء .. « أن من لها إمساك الولد وليس لها مسكن فإن على الأب سكناهما جميعا » . وما ذهبت اليه المذكرة الايضاحية في هذا لا يصلح سندا لتبرير اصدار هذا النص القانوني الجديد الذي جاء مخالفا لمبادىء الشريعة الاسلاميـة ونصوص الدستور .

أقوال الفقهاء لا تبرر

فالقول الفقهي الذي استندت اليه المذكرة الايضاحية سالفة الذكر قد ورد في كتب الفقه في معرض حديث الفقهاء عن حضانة الصغار ومدى

المطلقة والصغير بالمسكن

التزام الأب بأجر الحضانة ، وافترضوا أن الحاضنة قد تكون مقيمة مع غيرها فتحتاج الى مسكن آخر لتحضن فيه الصغير .. فمن يلتزم بأجر هذا المسكن .. هي .. أم الاب .. ؟ . أجاب الفقهاء عن ذلك بأن الأب هو الذي يلتزم بأجر هذا المسكن الذي اتخذته الحاضنة لحضانة الصغير فيه ، باعتبار أن التزامه بذلك هو جزء من التزامه بالنفقه على أولاده ومتفرع عنه .

وقد اشترط الفقيه الذي قال بهذا وهو « ابو حفص » بألا يكون للحاضنه مسكن أصلا ، أما اذا كان لها مسكن سواء ملك أو إيجار أو عارية فلا يلتزم الأب في هذه الحالة بأجر ذلك المسكن « يراجع في تفصيل ذلك حاشية ابن عابدين ـ الجزء الثاني ـ باب الحضانة ـ مطلب في لزوم أجرة الحضانه ص ٦٩٢ » .

القانون تجاوز

هذه هي حدود القول الفقهي الذي استندت إليه المذكرة

الإيضاحية ، لكن القانون الجديد تجاوز هذه الحدود وأسرف فلم يكتف بإلزام الأب بأجر مسكن الحضانة فقط حسبما قال الفقهاء وإنما زاد عليه إلزامه بتوفير هذا المسكن وتهيئته عينا .

كذلك لم يشترط القانون ما اشترط الفقهاء من أن الأب لا يلتزم بأجر مسكن الحضانة إلا إذا كانت الحاضنة ليس لها مسكن .. وجاء بصيغة مطلقة ولم يفرّق بين حالة وأخرى وألزم الأب بتهيئة مسكن الحضانة في جميع الأحوال حتى ولو ثبت أن الحاضنة لها مسكن تستطيع حضانة الصغير فيه .

النص الجديد فيه تكليف فوق الطاقه

إن قول الفقهاء « ان من لها ! إمساك الولد وليس لها مسكن فإن على الأب سكناهما جميعا » هذا القول جاء مبنيا على التزام الأب الشرعي بالنفقه على أولاده ومتفرعا عن ذلك الالتزام والأصل في وجوب هذا الالتزام قول الله سبحانه وتعالى :
« وعلى المولودِ له رزقُهُنّ وكِسوتُهُنّ بالمعروفِ لا تُكَلَّفُ نفسٌ إلا وسعَها » (سورة البقره : ٢٣٣) .
وقول الرسول صلى الله عليه وسلم لهند زوجة أبي سفيان : « خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف » .
والقاعدة الشرعية الأصولية في نفقة الفروع أنها تقدر بقدر كفاية الولد اذا كان الأب معسرا وإلا فإنها تقدر بحسب يسار الأب وعلى قدر طاقته وما وجد السبيل إليه كما قال تعالى « لا تُكَلَّفُ نفسٌ إلا وسعَها » (البقره : ٢٣٣) .
وقوله تعالى « ليُنفقْ ذو سَعَةٍ من سعته وَمَن قُدِرَ عليه رزقُهُ فلينْفِقْ مما أتاه الله لا يكلفُ الله نفساً إلا ما أتاها » (الطلاق : ٧) .

فاذا جاء النص القانوني الجديد وألزم الأب بنفقة مسكن أولاده وحاضنتهم وجعلها في صورة تكليفه وإلزامه بتوفير مسكن خاص مستقل ومناسب لهن في زمان اشتدت فيه أزمة المساكن وأصبح من قبيل العلم الشائع أن الحصول على مسكن هو أمر بالغ الصعوبه وفيه مشقة كبيرة على أكثر الناس بل وعلى القادرين منهم ماديا ، فانه بذلك يكون قد كلف الأب بما لا يستطاع ربما لا طاقة له به .. بل هو تكليف بالمستحيل أقرب بالنظر الى عرف الناس في هذا العصر ويكون قد خالف الآيات

الكريمه التي أمرت بفرض النفقة بقدر الطاقة والمستطاع .

وفيه اضرار للوالد بولده

اذا عجز الأب عن توفير مسكن مناسب لمطلقته الحاضنة فان القانون الجديد فرض عليه في هذه الحاله التزاما بديلا وهو أن يترك مسكنه الذي استأجره وكان يقيم به ويسكنه أثناء العلاقة الزوجية ويخرج منه لتستقل مطلقته وأولاده بالاقامة فيه دونه ، ولا مراء أنه في هذه الحاله سيلحق الأب ضرر فادح مادي وأدبي نتيجة إخراجه من مسكنه وطرده من مأواه .. وفي ظل أزمة المساكن الشديده في هذا العصر فإن الضرر سيكون أعظم وأشد وقد لحق هذا الضرر بالأب بسبب الولد ، إذ لولا وجود الولد ما أُجْبِرَ الأب على ترك مسكنه وما أُخرِجَ منه ليستقل به ولده وحاضنته من دونه .

وبذلك يكون القانون الجديد قد جعل الأبن سببا مباشرا في إلحاق الضرر بأبيه وخالف ما نهى الله سبحانه وتعالى عنه بقوله :

« لا تضار والدة بولدها ، ولا مولود له بولده » (البقره : ٢٣٣) .

وقد قال المفسرون في هذه الآيه أنه لا ينبغي أن يكون الولد سببا في الحاق الضرر والأذى بأبيه بأن يكلف فوق طاقته . كما لا يجوز لأي من أبوي المولود مضارة الآخر بسبب الولد وحرام عليها ذلك باجماع المسلمين .

« يراجع في التفسير : تفسير الطبري ، تفسير الجلالين ، تفسير المنتخب الصادر عن المجلس الأعلى للشئون الإسلاميه »

ولا يقال أنه في الحالة العكسية اذا أُخْرِجَت المطلّقة من مسكن الزوجية بعد الطلاق سيكون هذا اضرارا لها بِولدها ، لا يجوز هذا القول لأن إخراج الزوجة من مسكن زوجها بعد الطلاق لم يكن الأبن سببا فيه وإنما سبب إخراجها من المسكن هو انفصام عرى الزوجية ووقوع الفرقه بينها وبين زوجها صاحب الحق في سكن الدار وهو ليس ملزما شرعا باسكانها إلا في حالة قيام الزوجية بينهما وأثناء فترة العدة كما قال الله سبحانه وتعالى :

« لا تخرجوهنَّ من بيوتهنَّ ولا يخرجْنَ إلا أن يأتينَ بفاحشةٍ مبينة » (الطلاق : ١) .

ثم يقول سبحانه « اسكنوهنَّ من حيث سكنتم من وجْدِكُم ولا تضاروهنَّ لتضيقوا عليهنَّ » (الطلاق : ٦) .

أما بعد الطلاق وانتهاء فترة العدة فلا إلزام عليه شرعا باسكانها ، ولا نجد في كتاب الله تعالى أو سنة رسوله عليه الصلاة والسلام ثمة نص

يفرض عليه هذا الالتزام .

مخالفة نص الدستور

ينص الدستور في مادته التاسعة على أن « الأسرة أساس المجتمع . قوامها الدّين والاخلاق والوطنية . وتحرص الدولة على الحفاظ على الطابع الأصيل للأسرة المصرية وما يتمثل فيه من قيم وتقاليد ... » . والنص القانوني الجديد خالف ذلك إذ لم يراع قواعد الدين التي تكفلت بتنظيم المسائل التي سلف بيانها في النفقة وعدم اضرار الوالد بولده وهي لاشك قواعد تتعلق بكيان الأسرة وقوامها الديني .

التطبيق العملي للنص الجديد

كما لوحظ من التطبيق العملي لهذا القانون أنه لم يجلب نفعا وإنما جرَّ ضررا كبيرا على أخلاق الأسرة المصرية وعلى قيمها وتقاليدها الأصيلة التي حرص الدستور على كفالة التزام الدولة بالحفاظ عليها في مادته التاسعة .

فقد أدى ببعض الزوجات المسيئات الى التمادي في الاساءة لأزواجهن والتمرد عليهم اعتمادا منهنَّ على أن الزوج تحت وطأة هذا القانون لن يقدم على إيقاع الطلاق مهما بلغت إساءة زوجته له ، لأنه إذا فعل فسوف يفقد المسكن والمأوى ويطرد من بيته وهو صاحبه وتفوز هي بالانفراد بالمسكن كمنحة قانونية جزاء لعصيانها وتمردها .
كما أدى ببعضهنَّ الى الإعتقاد خطأ بأنهنَّ أصبحنَ بمقتضى هذا النص الجديد صاحبات الحق الأصيل في مسكن الزوجية وأن اقامة الزوج به هي اقامة تابعة لهُنَّ ، ولوّحْنَ لأزواجِهنَّ لدى أي خلاف بهذا الإعتقاد الخاطىء ، فجرحنَ بذلك كرامتهم وثار بينهم التنازع على المسكن حتى أثناء قيام العلاقة الزوجية ففسدت بينهم العواطف وتولدت الشحناء والبغضاء فزالت المودة والرحمة وانهارت الأسرة وتشرد الصغير الذي [illegible] جانبه .

لذلك كله فإنه يجدر بالمشرّع أن يعيد النظر في أمر هذا التشريع في ضوء ما أحدثه تطبيقه من خلل في نظام الأسرة المصرية وحتى يعود اليها ما فقدته من هدوء وسكينة وما غاب عنها من قيم وتقاليد في بعض الأسر .

وَقفة تأمُّل

روجيه جارودي

● رجل له مكانته في الفكر العالمي، فقد شارك في صنع السياسة الأوروبية، فهو سياسي ..

● وقد درس الفلسفة لتلاميذه في باريس في الثلاثينات، فهو فيلسوف.

● وقد دفع ثمن مواقفه الوطنية، فقضى سنوات في السجن، فهو وطني ..

● ثم كان قطبا من أقطاب الحزب الشيوعي في فرنسا .. فهو اذن كان شيوعيا.

● وهو صاحب كتاب «حرار الحضارات» .. فهو كاتب حضاري.

● وأخيرا فهو مفكر وفيلسوف ووطني، وكاتب، ومسلم.

● ولاشك أنه بهذه الصفات يعتبر كسبا للاسلام وللمسلمين في عصرنا هذا الذي طغت فيه المصالح الشخصية، والماديات، على الفكر الحر، وتشوه فيه وجه الحق بأباطيل الواقع.

● نحن لا نشك في أن جارودي المسلم خير من جارودي الشيوعي .. وجارودي السياسي، وجارودي الوطني، وجارودي الفيلسوف، وجارودي الكاتب بلا اسلام.

● فاذا كان مسلما ومفكرا ووطنيا وفيلسوفا وكاتبا .. فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

● ونحن لا نطعن في ايمان جارودي، فالرجل قد شهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله، والرجل قد أعلن اسلامه بعد اعمال فكر، وبلا تأثير من شخص .. وبلا شراء لضميره، وبلا رغبة في أموال، ولا حب في شهرة، ولا انجذاب الى واقع مثالي يعيش عالمنا الاسلامي. إنه دين الله، بقوته الذاتية ينتشر .. بلا رجال كهنوت، وبلا مؤسسات تنفق على الدعاية له، فقط لأنه الدين الذي يحل مشكلة الانسان في الحياة وبعد الموت، هكذا قال جارودي

● رجل قرأ في الأديان، وتربى في المسيحية، ولجأ الى الشيوعية، فلم يجد لديهما حلا لمشكلة الانسان المعاصر .. فنظر في الاسلام فرأى الوسطية، والتعامل مع الواقع في محاولة للنهوض به الى المستوى الأفضل.

● نعم للرجل تعبيرات خاصة به، وآراء فيها من الفكر غير الاسلامي قليل أو كثير، فربما لم تتضح الصورة الاسلامية كاملة في ذهنه كما ينبغي .. وربما فهم فهما يظنه صحيحا وهو غير ذلك .. وفي هذه الحالة يجب أن نقف وقفة تأمل فيما يقول .. ونصحح له إن أخطأ .. ونشد على يده اذا أصاب .. فلا تحملنا مكانته على التسليم له بكل ما يعرض من فكر، لأن الرجال يعرفون بالحق، ولا يعرف الحق بالرجال.

فهو ـ مهما اختلف الباحثون في سبب ايمانه ـ صوت للاسلام قوي .. نرجو أن ينفع الله به المسلمين في دنياهم التي تعج بالفتن في الداخل والخارج.



للأستاذ / حسين ناجي محمد محي الدين

بسم الله ، والحمد لله باريء النسم الذي علم الانسان مالم يعلم وقسم بين البشر حظوظهم من الفقه والفهم كما قسم بينهم حظوظهم من المال والجاه وسائر النعم ، ونصلي ونسلم على النبي الرسول الأكرم الذي لم يحجر على مسلم فهمه وأجاز الفهمين المتعارضين ما داما في طاعة الله والتزام أمر الرسول وامتثال الأدب .

وبعـــد ،،

فقد كان لي بمجلة الوعي الاسلامي مقالة بعنوان « الاجتهاد في غيب وسمعيات القرآن باطل » نشرت بالعدد [illegible] شوال ١٤٠٢ ـ أغسطس ١٩٨٢ . وقد نشرت المجلة في عددها ٢١٨ صفر [illegible] هـ نوفمبر/ ديسمبر ١٩٨٢ لفضيلة الأستاذ الشيخ / عبدالحميد السايح مقالا بعنوان « بماذا تثبت العقيدة ؟ » قال في صدره : « إن ما تضمنه المقال القيم للمستشار حسين ناجي محي الدين ... من نقد لمن تخيل الأعجاز في الرقم ١٩ وما ترتب عليه هو في محله غير أن المقال تضمن

وعلم دراستها من وضع البشر

أمورا ذات علاقة في إثبات العقيدة لا يصح السكوت عليها ولا المرور بها من غير تمحيص ولا تدقيق خصوصا أن غير الأستاذ ذهب إلى ما يعارض تلك الأمور ويناقضها ... والذي ذهب اليه الكاتب الكريم يتفق مع رأي بعض العلماء الأعلام ويقتضيه تعريف علم العقائد بأنه العلم بالعقائد الدينية المكتسب من الأدلة اليقينية ... وذهب آخرون الى أن العقيدة تثبت بحديث الآحاد إذا كان صحيحا وهو ما يقتضيه تعريف علم العقيدة بأنه علم يقتدر منه على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشبه ... وذلك ما ذهب اليه الاستاذ محمد ناصر الألباني ... ورأى أن القول بأن العقيدة لا تثبت الا بالدليل القطعي وهو القرآن الكريم والحديث المتواتر قول مبتدع لا أصل له في الشريعة الغراء ولم يعرفه السلف الصالح ولم ينقل عن أحد منهم .. الخ ، وإزاء هذين الاتجاهين المتضاربين رأيت أن أحقق الموضوع من جميع أطرافه ...»

مقالتي وموضوعها أن الاجتهاد في غيب وسمعيات القرآن باطل شغلت من المجلة ثماني صفحات ، ومقال الأستاذ الأكرم الشيخ السايح شغل ست صفحات ليس في هذه الصفحات الستة ما يمس موضوع مقالي بالتأييد الا سطورا قلائل كانت في صالح المقال ، وشكرا له .

وإذن فمقال فضيلة الشيخ السايح لم يخصصه ردا على موضوع مقالي وإنما كان مقالي مناسبة وجدها فضيلته متاحة ليكتب مقالا في موضوع مستقل تماما عن موضوع مقالي . ولا بأس لكن أرى أن الأستاذ الفاضل مهد لتحقيقه لموضوع اثبات العقيدة ـ كما قال ـ من جميع أطرافه بصيحة زاجرة أزعجتني حين قال إن مقالي تضمن أمورا ذات علاقة في اثبات العقيدة لا يصح السكوت عليها ولا المرور بها من غير تمحيص ولا تدقيق ، هكذا قال ، ولو أن فضيلته قال : إنه يريد أن يفصل بتحقيقه بين ما ظن أني ذهبت إليه ، وما ذهب اليه الأستاذ الألباني لكان قوله أقوم وأقسط وذلك لأنه قرر أن ما فهمه من رأيي هو ما قال به من قبلي بعض العلماء الأعلام ، فلم يكن والحال هكذا من داع لاشعار القاريء أنني أتحدث في طرق إثبات العقيدة بما لم يقل به أحد من العلماء .

هذا وقبل أن آخذ في الحديث في سبيل وضع الأشياء وضعها الصحيح أبين أن مقالي مقال يحذر من فتنة عارمة يؤججها الكائدون للاسلام وينبه العلماء الأفاضل الى ان ما ذهب اليه البهائيون وأعوانهم ومساندوهم من اثبات اعجاز للرقم ١٩ الذي جعلوه قوام القرآن الكريم في بنيته ونظامه وآياته والفاظه وحروفه ترويجا لتقديس هذا الرقم الذي هو شعارهم والذي قامت عليه غالب تشريعاتهم وطقوسهم ، أو مقال يستعرض خلافا فقهيا صرفا لا يدفع فتنة ولا ينصر كتاب الله . تقييم المقال ليس من حقه مع العلم كما هو ظاهر من مقالي أنني اخترت جانبا من جوانب المكيدة وهو الترويج بين الناس عامتهم وخاصتهم بأن الاجتهاد الموصل الى انكار ما ثبت بالقرآن محمود وإن اخطأ المجتهد ، وكان مقالي كله في دفع هذا التلبيس عن المسلمين وتنبيههم الى أن الاجتهاد لا يجوز مع نص صريح قاطع الدلالة ورد بالقرآن الكريم .

كان بودي أن يساندني أستاذنا الكريم بمقالات لا بمقال .

وكان بودي أن يدلى بدلوه في الكشف عن مكر الكائدين للقرآن وأن يدعو ، وله الكلمة المسموعة ، القادرين من العلماء ليجندوا أنفسهم للدفاع عن كتاب الله وعن غيبياته وسمعياته . والحق أن قواعد استنباط الأحكام من الكتاب والسنة وضعها البشر واختلفوا في تقييمها ، وهذه الصناعة هي صناعة الفقهاء المجتهدين ولكل منهم منهاج وسبيل ، فهي قاصرة عليهم وحدهم لا تتعدى جدواها الى غيرهم ولو كانوا من العلماء ، فلا غناء لعامة المسلمين وخاصتهم بها في غرض تثبيت العقائد بدفع الغوائل عنها وعن مقررات الدين .

أقول ذلك لأن الذين قرءوا مقال الاستاذ الفاضل الذي نشر بعد فترة هي مظنة النسيان قد تصيبهم بمقالي الظنون أو تقلل لديهم أهميته وأثره ، وقد يظنون أنني وصلت الى القول ببطلان الاجتهاد الباطل بمقدمات وأدلة تخالف قواعد استخراج الاحكام العامة ، وهذا هو التشويش الذي لم يكن يقصده فضيلة الشيخ السايح .

ولا أغار على نفسي لكن أغار على حقيقة يعلمها الله ورسوله والمؤمنون الصادقون

ويجهلها أو يتجاهلها الذين يختانون أنفسهم ، فأجازوا الاجتهاد الموصل الى أنكار غيب القرآن وقالوا تشجيعا لمدعيه على عبثه بمقررات القرآن اليقينية أن له عند الله أجرا وأن له عند الناس يدا ومعروفا وتقديرا ووزنا .

كذبوا ، وضلوا ، وأضلوا .

وقبل أن أدخل في التعقيب الموضوعي على ما كتبه الشيخ السايح أود أن أوجه له الثناء الطيب على إخلاصه المشهود لعلم الفقهاء والشكر الحق على ما تفضل به علينا وعلى القراء من ثمرة دراسته وعلمه ، وقد أفاد ، كما أنني أعلنه على رؤوس الأشهاد بحبنا له وتقديرنا لعلمه وفضله .

وبعد فأدخل في التعقيب على مقال فضيلته موضوعيا فأقول إن همي في مقالي منصرف الى الجزم بأن الاجتهاد في غيب وسمعيات القرآن باطل ، وهذا العنوان ينصرف الى موضوع نفي غيب القرآن وانكاره والتحريف فيه ، ولا ينصرف الى اثباته فإن القرآن تكفل بإثباته ، ثم إن المقال لا يخص أيضا من قريب أو من بعيد الغيب والسمعيات التي جاءت في السنة المطهرة وأخبرنا بها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم . فموضوع مقالي محصور بين أمرين ولا يناقش إلا في خصوصهما : القرآن وجحود ما فيه من الغيبيات ، فخرج من هذا التحديد السنة المطهرة كما خرج أيضا أفراد العقيدة الأخرى غير الغيبيات والسمعيات وربما كان العود الى تسجيل بعض جمل وعبارات مقالي أعون للقاريء على استعادة ثقته بمقررات المقال وهي مقررات لا تشوبها شبهة ولا يقدح فيها محال . قلت في صدر مقالي :

((يا أهل العلم تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نخوض في القرآن بغير علم وألا نؤوله بالهوى والمزاج وألا نقتحم غيب القرآن بتكذيب أو إنكار أو تحريف بزعم حقنا في الاجتهاد فإن الاجتهاد في مورد النص لا يجوز ، والاجتهاد مع النص قطعي الدلالة بدعة ، والجرأة على غيب القرآن بحجة الحق في الاجتهاد ضلال وإضلال))

وقلت ما نصه : « ... وغابت عنهم أشياء فخلطوا بين اجتهاد في فروع التشريعات لصلاح الدنيا وجرأة على الله بلغت الالحاد في كلامه عن غيبه وتحريفه عن مواضعه ظنا منهم أن الاجتهاد يتسع لهذا العبث والتلاعب بتقريرات الله في خصوص غيبه » .

ثم قلت ما نصه ... ويتجرأ على الله وعلى علمه فيقول بغيب لم يقله الله فما بالنا لو قال بغيب خلاف ما قاله الله ومعرضا له ».

ثم قلت : « وسواء ورد الخبر القطعي مكتفيا بالاشارة أو به شيء من البيان والتفصيل فإنه ليس لبشر كائنا من كان أن يورد من عنده ما يناقضه او ينافيه أو يعد له أو يغير فيه ، ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه وأساء الى غيره وخرج على نهج الاسلام وجعل من نفسه ـ وحاشا لله وجلت عظمته ـ ندا لله في علم غيبه وهذا هو الافك العظيم والخسران المبين ».

وقلت بعد ذلك : « وهكذا يرى القارىء الفاضل أن المتدخل في الغيبيات اثباتا بغير دليلها المخصص لها وهو الخبر القطعي اليقيني أو المتدخل فيها تأويلا بغير نفس دليل ثبوتها فقد ظلم نفسه »، وغني عن البيان أن الخبر القطعي اليقيني نقصد به ما ورد بالقرآن الكريم أو السنة الصحيحة المتواترة قطعية الدلالة.

ثم قلت : « فاذا قال الفاقه لدينه أن الجرأة على الله بتكذيب خبره الوارد في كتبه المنزلة انما هو تكذيب لله فهو فسوق ومروق وردة فليسمع له الجميع وليعلموا انه لا اجتهاد لصاحب دين سماوي في خبر الله فضلا عن أن يكون انكارا له ».

ثم انتقلت من التعميم الى التخصيص فقلت ما نصه : « أريد أن أقول إن كان كبيرهم المنتهي من اكذوبة الاعجاز للرقم « ١٩ » الى انكار ملائكة النار والى تحديد وقت الساعة ، ان كان يفقه شيئا ولو يسيرا في علم الأصول ومباحث الأدلة أو شيئا يسيرا في كيفية تناول العقيدة الثابتة بالقرآن أو السنة المتواترة فانه بهذا القليل اليسير يعلم تماما أن العقيدة الثابتة بالقرآن لا مجال فيها للاجتهاد خاصة اذا وصل هذا الاجتهاد الى انكار مفهوم ظاهر النص ، فهو بهذا العلم وان كان يسيرا يكون سجل على نفسه سوء نيته وسوء قصده نحو القرآن وأهله ، فلا يجوز أن يحتج له عاذر بالاجتهاد ، ولا يقبل منه اجتهاده ..... ومن جهة أخرى فان اجتهاده لا يقبل لأن موضوعه عقيدة ثابتة في الدين بالنص القطعي اليقيني ، وكل بحوثه وجهوده مرفوضة لأنها انتهت الى انكار العقيدة» وغني عن البيان أيضا أن لفظ العقيدة هنا مراد به الغيبيات والسمعيات .

نكتفي بهذه العبارات التي سجلناها بحذافيرها لنصحح مسار الفهم لمقالي ونخرج منها بما يأتي :

١- أن الموضوع خاص بغيبيات وسمعيات القرآن .

٢- أن الموضوع خاص بشجب ورفض الاجتهاد في انكار وجحود ما هو ثابت من الغيبيات والسمعيات .

اذن فنحن تناولنا عنصرين : احدهما : الغيبيات ، وثانيهما : انكارها لا اثباتها كما ظن الشيخ السايح .

والآن أريد أن أسأل الشيخ السايح هل لفضيلته اعتراض على أن نفي غيبيات وسمعيات القرآن لا يجوز ولا ينهض به اجتهاد وأن النص القرآني قطعي الدلالة « وهو أيضا قطعي الورود » ، لا يمكن أن يكون مجالا للاجتهاد ولا يجوز أن نعالجه بتحريف أو تزوير أو تزييف أو انكار وأننا اذا أردنا أن نثبت نسخه فلا يكون ذلك الا بناسخ في قوته يكون قطعي الورود قطعي الدلالة ولا تتوفر هذه الأوصاف الا في نص قرآني آخر أو في حديث صحيح متواتر ، ومع العلم أننا لا نعلم وما أظن أن غيرنا يعلم أن غيبا قرآنيا حصل أن نسخه نص قرآني أو نص حديثي .

فاذا قلنا ـ بمجرد الفرض النظري ـ أن الغيب الثابت بالقرآن أو بالحديث مهما كانت درجته لا يمكن نسخه ولا نفيه ولا انكاره الا بنص مماثل في القوة أو أقوى

وأعلى منه درجة فما نكون قد تعدينا الصواب فانه ليس لبشر كائنا من كان ان ينفي أو يعدل أو يغير أو يناقض خبرا غيبيا قطعي الثبوت والدلالة الا اذا قدم الدليل على أن خبرا غيبيا قطعيا صدر ناسخا للأول بأي وجه من وجوه النسخ ، وهو ما لم يحصل مطلقا .

ونحن نقرر من حيث الاثبات ـ لا من حيث النفي ـ أن الحديث ولو كان من الآحاد يصلح لبعض أفراد العقيدة ، كما نقرر أنه غير غائب عنا أن الحديث المتواتر على قسمين أحدهما ما رواه جماعة موثوقة عن جماعة موثوقة الى أن تصل الجماعات الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا القسم قليل ، والثاني حديث الآحاد الذي هو في حكم المتواتر بكونه عن ثقة ثبت عدل ، وقد حاز القبول عند الأمة وصدقته أو عملت به . وأن المتواتر بقسميه يصلح لاثبات العقيدة لا لنفيها .

ولو أحسن فضيلته الظن بنا ولم يتعجل علينا لأحسنه فيما ورد في مقالنا متضمنا وصف التواتر أو ما في معناه أو كان من لوازمه مثل القطع واليقين .

ونحن نعالج ما بقي من اللبس بنفس الطريقة التي عالجنا بها فيما سبق ، فنذكر بعض عبارات مقالنا بنصها ، فنسجل وبالله التوفيق ما يأتي :

قلنا ما نصه : « ... أما العقيدة فلا يقررها الا القرآن أو الدليل القطعي والا الحديث الموافق تماما والمطابق لنص القرآن او الحديث المتواتر قطعي الثبوت وقطعي الدلالة ، والقرآن لم يترك عقيدة مطلوب من المسلم الايمان بها الا قررها فأية عقيدة تكون زائدة عما ورد في القرآن فانه لا يؤبه لها ولا يؤخذ بها ، ونتحوط فنقرر أن كلا منا هذا خاص بالعقيدة في شأن الغيبيات .. » ويعلم الله اننا نقصد بكلمة زائدة أنها طارئة على الدين .

وفحوى هذه العبارة أن الغيبيات التي وردت في القرآن او في الحديث الموافق للقرآن « ولو كان حديث آحاد » أو في الحديث المتواتر قطعي الثبوت « مثل حديث الآحاد المشهور » قطعي الدلالة لا يمكن تبديلها والزيادة عليها من عند انفسنا .

فهل يرى فضيلته خلافا بيننا وبينه في تقرير هذا الأصل من اصول الايمان .

وقلت : « فالغيب لا يؤخذ العلم به بالظن ولا بالاجتهاد ولا بالقياس » .

ومن قبل ذلك قلت في صدر المقالة ان أصدق القائلين قال : « **ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا)** الاسراء / ٣٦ ، وقال : (**وما يتبع اكثرهم إلا ظنا إن الظن لا يغني من الحق شيئا إن الله عليم بما يفعلون)** يونس / ٣٦ فالظن هنا ليس هو الوصف الذي يوصف به الخبر من كونه ظني الثبوت أو ظني الدلالة انما هو القول بغير علم . فهل أجد من أحد مخالفة لي في ذلك .

وقد سجلنا في العبارة الآتية أن السمعيات حصل لنا العلم بها من القرآن ومن الرسول ، قلنا ما نصه : « فالسمعيات أو التي نسميها الغيبيات التي لم يتصل بنا علمها الا عن طريق السماع من رب العالمين قرآنا نزل على سيدنا محمد صلى الله

عليه وسلم أو وحيا تكلم به سيدنا محمد بالفاظ من عنده ، هذه السمعيات نمثل لها بالساعة « القيامة الكبرى » والجنة والنار والجن والملائكة والبعث والنشور والحساب والجزاء الخ ».

كما أثبتنا للحديث الشريف انه المصدر الثاني لعلمنا بالغيبيات قلنا ما نصه : « فان علم المسلمين في جانبه الديني اعتمد الدليل المستمد من الخبر حيث كان القرآن والسنة هما المنهلين الرئيسيين والمصدرين المعتبرين لعلم العبادات ، والتشريعات ، فضلا عن علم الغيبيات ».

وقلنا تأكيدا لما سبق ما نصه : « ... وبعبارة أخرى فان النص اليقيني القطعي سواء من القرآن أو السنة غير قابل دائما للتأويل او التفسير والاجتهاد خاصة اذا كان متعلقا بالسمعيات وهي المغيبات فان الله يأمرنا الا نتعقب أو نقفو ما ليس لنا به علم ».

والآن وقد ظهرت لفضيلة الاستاذ الفاضل مقاصدنا بجلاء ووضوح نصل الى العبارة التي سجلها علينا والتي كانت مبعث مقاله القيم ، وسنعيد تسجيلها لتكون تحت نظره مرة أخرى بعد الذي قدمناه ، ونؤكد أن سيادته كان تفهمها على عجل فلم يسمح له الوقت بتدبرها ، قلنا : «ومن المسلم الذي لا خلاف عليه بين علماء وأئمة المسلمين بل عليه الاجماع في كل العصور أن الخبر اذا كان متعلقا بالعقيدة « وقد قيدناها في مقالنا بأنها التي تتصل بالسمعيات » فانه يجب ان يكون يقينيا يعني متواترا فهذا الخبر اليقيني هو وحده الدليل القطعي في شأن العقائد ، ولا يؤخذ فيها بأي خبر آخر ولو كان صحيحا فضلا عن أن يكون ضعيفا أو موضوعا ، وذلك بخلاف الأحكام الشرعية فانه يكفي لتقريرها الخبر الصحيح الظني وهو خبر الآحاد .

ونود أن نوضح عبارتنا ونؤيدها بعبارة في مقالة فضيلة الشيخ السايح ، قال: « وخبر الواحد اذا تلقته الأمة بالقبول عملا به وتصديقا له يفيد العلم اليقيني عند جماهير الأمة ، وهو أحد قسمي المتواتر ولم يكن بين سلف الأمة في ذلك نزاع ».

وما قاله فضيلته مما هو معلوم له ولنا ولغيرنا من الدارسين لا يزيد عما قلناه ولا يدحضه ولا ينقص منه . فنحن اشترطنا في الخبر ـ الحديث ـ إفادته العلم اليقيني ، والعلم اليقيني يفيده الحديث المتواتر كما يفيده حديث الآحاد المشهور الذي صدقته الأمة واعتقدت فيه وهو يلحق بالمتواتر في الحكم نعني في إفادة اليقين . فما هو الخلاف إذن بيننا وبين الشيخ السايح ، من وجهة نظرنا لا نجد خلافا خاصة وأنه قد نقل في مقاله القيم عن شرح كتاب مسلم الثبوت « ووصفه بأنه من كتب أصول الفقه المعتبرة » ان الأكثر من أهل الأصول ومنهم الأئمة الثلاثة أبو حنيفة ومالك والشافعي على أن خبر الواحد ان لم يكن المخبر معصوما نبيا لا يفيد العلم مطلقا ، ثم قال الاستاذ السايح ان العلم هنا يقصد به وجوب الاعتقاد . فخبر الواحد « غير المتواتر بقسميه » لا يحتج به في العقيدة اثباتا ومن باب أولى نفيا عند الأئمة الثلاثة أبو حنيفة ومالك والشافعي . وما عدوت ما قاله

وأجمع عليه جمهور الأئمة . بل ان الشيخ السايح نقل في مقاله عن فتاوي شيخ الاسلام ابن تيمية أنه يجب العمل بالأحاديث الصحيحة قطعية السند والدلالة ، التي يتفق المسلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قالها وأنه أراد بها الصورة التي وردت عليها ، وأن هذه الأحاديث يحتج بها في العقيدة . بل انه نقل عن فتاوي الشيخ ان خبر الآحاد الذي تلقته الأمة بالقبول والاتفاق أو الذي اتفقت على العمل به « وهو المشهور وهو أحد قسمي المتواتر » ذهب طوائف من المتكلمين أنه لا يفيد العلم يعني لا يحتج به في العقيدة وان كان عامة الفقهاء واكثر المتكلمين قالوا بأنه يفيد العلم . واستشهد فضيلة الشيخ السايح بالامام الحافظ ابن عبد البر الأندلسي الذي قال ان اكثر أهل العلم وجمهور أهل الفقه والنظر وعلى رأسهم الشافعي أن خبر الواحد العدل لا يفيد العلم بمعني لا يحتج به في العقيدة .

وانتهى الشيخ السايح الى اثبات رأي استاذنا المرحوم الاستاذ ابو زهرة وهو أن الأصل في اثبات العقائد لا يكون الا بالكتاب الذي لا يقبل التأويل ، والسنة المتواترة التي تثبت العلم الضروري ، وأما خبر الواحد فانه لا يثبت العقائد اثباتا قطعيا وأما الخبر الذي يرويه الواحد الثقة العدل عما يكون في آخر الزمان من مثل أخبار الدجال ونزول المسيح فانه يكون مقبولا .

وبعد ، وعلى فرض أننا كنا نقصد طريق اثبات الغيبيات لا طريق انكارها فهل يرى القارىء أن ما قلناه كان مخالفا لجمهور العلماء والأئمة والمتكلمين وأنه كان من المخالفة بحيث ينبغي عدم السكوت عليه ولا المرور به دون تمحيص كما قال الشيخ عبد الحميد .

والآن أريد أن أحتكم الى الشيخ السايح نفسه والى ما نقله في مقاله والى ما سماه خلاصة ورأيا ممحصا ، فهل لا يزال فضيلته عند قوله : « والذي ذهب اليه الكاتب الكريم يتفق مع رأي بعض العلماء الأعلام ..؟ » لقد قرأنا له هو نفسه ما نقله من كون أئمة الفقه الثلاثة من الأربعة المشهورين : أبو حنيفة ومالك والشافعي يقولون بما قلناه ، فهل الأكثرية العددية توصف بالبعضية أو توصف بأنها الجمهور ؟؟ وهل كتاب مسلم الثبوت وشرحه الذي وصفه بأنه من أمهات كتب الأصول وفتاوى الامام ابن تيمية من البعض أو انهما يضافان الى الأكثرية والى الجمهور ؟

ولا تبقى الا مسألة فرعية ليس الشيخ الفاضل مسئولا عنها فقد نبه في أحد المواقع من تلخيصه كما نقل تنبيه الآخرين محذرا تكفير المسلم فيما يصح به الاجتهاد . ربما ظن الظانون أن الشيخ ـ حفظه الله ـ يقصدني ويعنيني ، وهذا الظن في غير محله لأسباب على رأسها أنني لم اذكر كلمة الكفر في مقالي بطوله ، وعندما وصفت شخصا بالظلم لنفسه ، فقد عنيت كل من خرج وتمرد على قول الله في كتابه الكريم فأنكره أو جحده ، ولم ألزم أحدا من الناس بأن يتبنى رأيي أو رأيا بذاته والا كان كافرا ، إنما قلت وأقول وأكرر أن الذي يكذب كلام الله بصريح اللفظ أو بمداورته ولفه وخبثه واحتياله في الاجتهاد فانه مارق من الدين كافر بما

أنزل على اشرف الخلق وخاتم النبيين صلى الله عليه وسلم .

وأود قبل أن اختتم تعقيبي الذي تعمدت اختزاله وقصره على المراد فأقول ان كان الذي حرك الشيخ هو فقط قطعي وجزمي باجماع العلماء وأئمة المسلمين في كل العصور ، فقد أثبت بمقاله هو نفسه أن الجمهور في كل العصور من علماء وأئمة قالوا بالرأي الذي اخترته ، والمسافة بين الاجماع والأكثرية الغالبة مسافة بسيطة ، هذا على فرض أنني كنت أقصد اثبات احدى العقائد على اطلاقها ، لكني قصدت دحض وتفنيد تسويغ نفي احدى العقائد الثابتة بالخبر اليقيني الثبوت قطعي الدلالة بل كنت أخص خبر القرآن بالذات ، وشتان بين اثبات حصول ووجود ، واثبات نفي وعدم ، وان كان شيخنا قد درس ودرس اثبات العقائد فتأثر بما وضعه العلماء والأئمة من قيود واعتبارات في سبيل هذا الاثبات الا أن الأمر يختلف في حالة اثبات النفي والعدم فما صلح لاثبات الحصول قد لا يصلح في اثبات النفي ولنضرب للشيخ مثلا فمن أراد أن يثبت للمسلم أن الله احد تلا عليه قوله تعالى : « **قل هو الله أحد** » في سورة الاخلاص أو أي حديث ولو كان من الآحاد يتضمن هذا التقرير ، لكن الذي يريد أن يثبت للمسلم أن الله غير أحد فانه لا يقبل منه حديث ولو كان صحيحا ولو كان متواترا في نفي أحدية الله .

والغيبيات والسمعيات يختلف بعضها عن بعض من حيث الاثبات ومن حيث النفي ، ولأضرب لذلك مثلين أحدهما الموكلون بجهنم فقد قرر الله في قرآنه أنهم ملائكة فلا يجوز أن نلقى السمع الى حديث صحيح ولا متواتر ينفي تقرير الله . والآخر ما ورد في الكرسي (الذي ذكره الله في آية الكرسي » فعن ابن عباس أنه هو العلم ، وفي الطبري عن أبي ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « ما الكرسي في العرش الا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض » وهو حديث صحيح . فأولا نقول ان الحديثين معا لم ينكرا ولم يجحدا أن لله كرسيا فهما بعدم انكارهما صادقان من هذه الناحية ، لكن أحدهما صحيح ويوحي أن الكرسي ليس شيئا معنويا والآخر أقل درجة ويقول بأن الكرسي هو العلم ، ففي هذه الحالة نحن مخيرون بين الحديثين أيهما شئنا صدقناه وأخذنا به لأن كلا منهما لا يمس العقيدة إنكارا ، بل نستطيع أن نوفق بينهما بأي لون من ألوان التوفيق العقلي . وهكذا أمكننا أن نأخذ بالمروى عن ابن عباس ولم يصل في درجته الى الصحة وأمكننا أن نأخذ بحديث ابي ذر أو أن نطرحه رغم صحته ، ذلك كله بسبب :

(١) أن الأمر يخص من العقيدة بعض أفرادها وهي السمعيات.
(٢) وأنه يخصها اثباتا على وجه من الوجوه .
(٣) وانه لا يتصل بجحودها وانكارها .

ولنضرب مثلا آخر بالقلم ، فعن عبادة بن الصامت كما ورد في سنن أبي داود قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب ، قال يارب وماذا أكتب ، قال اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم

الساعة ». ومع ذلك ففي شرح العقيدة الطحاوية أن العلماء اختلفوا هل القلم كان أول المخلوقات أو العرش ، وذلك لما ثبت في الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم قال : « كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ، قال وعرشه على الماء رواه مسلم والترمذي ، فاختلاف العلماء بين حديث صحيح وحديث أقل منه رتبة لا يقدح في فهم كل منهم فالذين قالوا في حديث عبادة بن الصامت أن كلمة أول الواردة في أول الحديث تنطق بفتح اللام قالـوا ان الحـديث لا يتعارض مع الحديث الصحيح . أما اذا كانت كلمة أول مرفوعة على الابتداء وكلمة القلم مرفوعة لأنها خبر المبتدأ فان الحديث يفيد أن القلم مخلوق قبل أي شيء آخر . ومع ذلك فلا يتحتم أن يغلب الحديث الصحيح الحديث الأقل درجة، وذلك لأن الحديثين يجتمعان في اثبات وجود القلم وان كانا يختلفان في أولوية القلم أو العرش أيهما أول . ومثل ثالث فقد اتفق أهل السنة والجماعة ومن بينهم ابن حزم أن الميت في قبره يكون في نعيم أو عذاب فقد ورد في الحديث ان الميت ليسمع خفق نعال مشيعيه عند انصرافهم بعد دفنه وأن الملكين يقعدانه لسؤاله ، لكن ابن حزم من دون الجماعة قال ان العذاب والنعيم يكون للروح وحدها وخالف الجماعة التي تقول ان الاقعاد من الملكين للميت لا يكون الا لجسمه وليس لروحه وأن اختلاف الضلوع من شدة ضمة القبر تكون للجسم لا للروح .

وهكذا نرى أنه يجوز أن نختلف مادام الاختلاف لا يكون على اصل الاثبات أما اذا كان الاختلاف على النفي بأن يدعي مدعي النفي فانه لا يقبل منه دليل على مدعاه الا بحديث أقوى درجة وأصح نسبة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وما أرى داعيا لأن نبسط القول في هذه البديهيات التماسا للايجاز المفيد .

لكن أعود الى مولانا الشيخ السايح بمجرد استفسار عما جابه به الاستاذ الشيخ الألباني حيث ذهب الى ان حديث الآحاد يؤخذ به على اطلاقه في العقائد وأن القول بوجوب ثبوتها بالدليل القطعي وهو القرآن والحديث المتواتر قول مبتدع لا أصل له في الشريعة الغراء ولم يعرفه السلف الصالح ولم ينقل عن أحد منهم الى آخر ما قال في رسالتيه « الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام »، « ووجوب الأخذ بحديث الآحاد في العقيدة » لقد انتهى فضيلة الاستاذ السايح في مقاله القيم الى معارضة هذا القول وأثبت عدم صحته وتعارضه مع ما نقله فضيلته عن الامام الشافعي وعن شيخ الاسلام ابن تيمية وعن الحافظ ابن عبد البر الأندلسي ، ما أعلم أن الشيخ السايح سبق له اظهار جزعه من رأي الألباني مع كونه على خلاف الجمهور ولا أعلم له كتابا في الرد عليه ولا مقالا في تخطيئه ، ولم يصف قول الألباني بأنه مما لا يمكن السكوت عليه بل كل ما قال فيه أنه غير صحيح وأنه يتعارض مع ما نقله من أقوال الفقهاء والأئمة ، وعدم الصحة والتعارض وصفان نسبيان فقد يكون الشيء متعارضا وغير صحيح في نظر المعارض لكنه صحيح في ذاته . لكن عدم جواز السكوت وعدم جواز المرور من غير تمحيص أو تحقيق أوجع كثيرا من عدم الصحة فالصحة كما قلنا نسبية أما ما لا يجوز السكوت عليه فهو

المنكر الذي لا وجه للدفاع عنه أو الخطأ الفاحش الذي يمس عقيدة مثلا ، وأطمئن الشيخ السايح أن ملتمس علمه وفضله كاتب هذا التعقيب سلخ من عمره خمسين سنة في قراءة دينه ومحاولة استيعاب ما أفاء الله على أئمتنا وفقهائنا وعلمائنا من فهم في كتاب الله وتصريف لحديث رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم . ومعلوم أنني لم أكن أكتب فيما تثبت به العقيدة ولكن كنت اكتب في عدم جواز نفي العقيدة فان كانت في كتاب الله فلا يجوز اطلاقا وان كانت في الحديث وحده فلا يجوز الا بحديث أقوى درجة وأعلى مرتبة .

ويطيب لي أن أنهي هذا التعقيب الموجز بأن أشير الى أن كلمة الاثبات وما في معناها في مقالي قصدت بها - كما ينطق الحال - في كثير من المواضع محاولة المارقين اثبات نفي ما هو ثابت بالقرآن أو السنة المطهرة ، وليس العكس ، كما أن كلمة العقيدة تكررت لكن القرائن تشير الى أني قصدت بها في مواضع كثيرة قسما معينا من أقسام العقيدة وهو المغيبات والسمعيات .

وأعيد ذكر النص الذي كان موضوع اعتراض الشيخ السايح بعد هذا البيان والتوضيح ، قلت « ومن المسلم الذي لا خلاف عليه بين علماء وأئمة المسلمين بل عليه الاجماع في كل العصور أن الخبر اذا كان متعلقا بالعقيدة فانه يجب أن يكون يقينيا يعني متواترا فهذا الخبر اليقيني هو وحده الدليل القطعي في شأن العقائد ولا يؤخذ فيها بأي خبر آخر ولو كان صحيحا فضلا عن أن يكون ضعيفا أو موضوعا . الخ» والتعلق المشار اليه قد يكون بالاثبات كما يكون بالنفي ، وان كنا قد دللنا بأثر من نص وعبارة على أن التعلق المشار اليه انما هو من جهة النفي لا من جهة الاثبات .

وبعد هذا التوضيح يمكننا أن نعيد نفس النص بنفس المعنى الذي قصدناه وبنفس القيود التي أشرنا اليها فيصير : « ومن المسلم الذي لا خلاف عليه بين علماء وأئمة المسلمين بل عليه الاجماع في كل العصور أن الخبر اذا كان متعلقا بنفي خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في شأن السمعيات فانه يجب أن يكون يقينيا يعني متواترا أو خبر آحاد استفاضت شهرته وصدقته الأمة ، فهذا الخبر **اليقيني** وحده هو الدليل القطعي في شأن نفي ما سبق ثبوته ولا يؤخذ في هذا النفي بأي خبر آخر ولو كان صحيحا فضلا عن ان يكون ضعيفا أو موضوعا ....» .

وإضافة الى ما سبق ومن باب التزيد يطيب لنا أن ننقل ما قرره المرحوم استاذنا محمد أبو زهرة كما أورده فضيلة الشيخ السايح في مقاله وكان نصه : ..« وعلى منهاج الشافعي نسير والأصل في اثبات العقائد لا يكون الا بالكتاب الذي لا يقبل التأويل والسنة المتواترة التي تثبت العلم الضروري ، وأما خبر الواحد فأنا نرى مع وجوب منع رده ووجوب قبوله لا يثبت العقائد اثباتا قطعيا فاذا كان قد ذكر بالسنة غير المتواترة أمور اعتقادية كبعض الأخبار عما يكون يوم القيامة وعما يكون في الجنات من نعيم مقيم ، وعما يكون في آخر الزمان من أخبار الدجال ونزول

المسيح عليه السلام وغير ذلك مما ذكر في أخبار الآحاد التي يرويها الثقات العدول، فاننا نقبله ولا نرده ، ولكن لأن التكفير أمره خطير واعتبار المسلم مرتدا مع احتمال الغلط في أخبار الآحاد يمنع من اعتباره قطعيا في السند ، وكذلك ما يكون متواترا يحتمل التأويل غير المتكلف فانه يقبل النص ولكن لا يعتبر مرتدا . الخ ».

وواضح من هذا التقرير أن السمعيات والغيبيات ليست كلها سواء في وجوب التصديق بسندها من السنة فهي درجات من حيث قبولها فمنها ما يثبت بالقرآن الذي لا يقبل التأويل بمعنى أن يكون قطعي الدلالة ومنها السنة المتواترة التي تثبت العلم الضروري وبعضها يمكن اثباته بخبر الواحد المشهور المصدق من الأمة والذي حظى بقبولها وبعضها يمكن اثباته بخبر الواحد الثقة العدل ولو لم يستفض ويأخذ نصيب غيره من الشهرة بل ان بعضها يعول في اثباته على الحديث الضعيف . ولو استقرأنا مفردات العقائد السائدة بين جمهور المسلمين ما وجدناها خرجت في ثبوتها عن ذلك ، وهذا أمر معقول للغاية بسبب أن العقائد مختلفة من حيث أهميتها وخطورتها واتصالها بالتوحيد الخالص وأثرها في يقين المسلم بربه ورسوله وكتابه ودرجتها من حيث وجوب التصديق بها أو جوازه أو الوقوف عند عدم انكارها ، وهكذا والأمر لا يحتاج الى مزيد ايضاح لكن لا مانع من ضرب الأمثلة فان الايمان بالجنة والنار والملائكة والبعث والنشور أعلى درجة وأكبر خطورة من الايمان بأوصاف النار التي لم يذكرها القرآن ، أو وصف الصراط أو سعة جهنم طولا وعرضا أو كونها تسجر كل يوم نصف النهار ، أو أوصاف جبالها وأوديتها وعيونها وأنهارها . وقول الله تعالى : « **عليها ملائكة غلاظ شداد** » التحريم/٦ ، لا يستوي في وجوب الايمان به ايمانا جازما مع التصديق بأن جسر جهنم أدق من الشعرة وأحد من السيف ، فان هذا الأخير أقل مرتبة .

هذا من حيث الاثبات والثبوت ودرجات التصديق من وجوب وجواز وتوقف ، أما من حيث النفي ومعارضة ما جاء في نصوص الاثبات فكيف يتصور عاقل أن خبرا غيبيا قطعي الدلالة ورد في القرآن يلغيه أو ينفيه خبر عن الرسول . أو كيف يتصور عاقل أن خبرا من الرسول صحيحا متواترا قطعي الدلالة ينفيه خبر آحاد عن الرسول لم يستفض وان كان صحيحا . ونكرر أننا بسبيل موضوع الغيبيات والسمعيات لا بسبيل موضوع آخر .

ومن هنا قلنا ما قلناه ، ونعيد تأكيده بأن « المتدخل في الغيبيات اثباتا من عند نفسه بغير دليلها المخصص لها وهو الخبر القطعي اليقيني أو المتدخل فيها تأويلا بغير نفس دليل ثبوتها فقد ظلم نفسه وافترى على الله وادعى لنفسه ما ليس لها ، هذا فضلا عن أن ينحرف الى التكذيب والانكار والتحريف والتزوير ....» ومعلوم أن المتدخل هنا وصف لانسان يريد أن يأتي من عندياته بجديد فخرج بذلك أن يكون هو الرسول بدليل أن عبارة الخبر القطعي اليقيني تشمل القرآن والحديث ومن هنا طالبنا هذا المتدخل أن يأتينا بخبر قطعي يقيني يؤيد به نفيه للخبر الثابت بهذا

الطريق فان لم يفعل فقد ظلم نفسه وافترى على الله الكذب وادعى لنفسه ما ليس لها .

وواضح أننا كنا ـ ولا زلنا ـ نعني بمقالنا من تجرأ على الله وكتابه ورسوله فنفى أن يكون على جهنم تسعة عشر ملكا غلاظا شدادا لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، وقال إن عليها حروف البسملة مع كون الذي قرر هذه الحقيقة هو القرآن في موضعين من سورتين ، والقرآن خبره قطعي يقيني فكيف نقبل من هذا المارق ـ اثباتا لنفيه ـ خبرا يكون أقل درجة من خبر القرآن من حيث الثبوت وقطعية الدلالة فضلا عن كونه لجأ الى التحريف والتزوير وتزييف القول . ثم هو نفسه الذي حاج المسلمين بحديث موضوع أسند فيه الى سيدنا رسول الله موافقته لليهود في المدينة على أن قيام الساعة يحددها عمر رسالته وأن عمر رسالته يحددها جمل الحروف المقطعة التي في أوائل السور ، ومن أسف أن البيضاوي هو الذي أورد هذا الحديث في تفسيره الف لام ميم من سورة البقرة ، فكان لا بد أن نقرر القاعدة التي لا تخطيء وهو أن خبر الله في قرآنه لا ينفيه الا قرآن مثله ـ وهيهات أن يعارض القرآن القرآن في اخبار الغيب ـ وأن ما يثبت بالقرآن من كون علم الساعة عند الله وحده وأنه لا يطلع على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول ، كما ثبت عن الرسول أنه لا يدري ما الساعة ، لا يمكن معارضته ونفيه بحديث ولو كان في أعلى درجات الصحة ولو كان متواترا ، فضلا عن أن يكون ضعيفا أو موضوعا ، ولو كان الامام البيضاوي رحمه الله أخذ بمقاييسنا ما كان تورط بذكر حديث آحاد ضعيف أو موضوع كان تكأة لزعم الدجالين علم الساعة .

وبعد ، فاننا نقدر للشيخ السايح علمه ، ونحمد له غيرته على تراث السلف من أصوليين وفقهاء ، وان كنا نحب له ولأنفسنا أن يكون منبعنا الغزير الفائض ما ارتاح له واضع علم الأصول ومقعد قواعده الشافعي رحمه الله تعالى ، ونسأل الله للشيخ السايح طول العمر وندعو أن يشرح الله صدره لأن يدلي بدلوه في مشكلات العصر وما ورد على المسلمين من سموم المستشرقين وكيد الكائدين ، ونود أن نقرأ له كثيرا في الرد على الجديد المستحدث من فنون مكر الزائفين وخداع الكارهين لدين الله المحاربين الله في كتابه ورسوله في سنته ، وأذكره وأفكر نفسي أن ممن ينتسبون الى علوم الدين الحنيف قائمون الآن لا يفترون في وصف الرسول بالمجتهد الذي يخطيء ويصيب مما لا يلزمهم مع تغير العصور والأزمان اتباعه ، كما قالوا ـ فض الله افواههم ـ إن في القرآن نصوصا معطلة وينبغي أن تبقى معطلة لتطور الزمان قالوا ذلك في الصحف والندوات العامة .

والله يتولانا بفضله ولطفه ويمدنا بعونه ومدده .

وقفة تأمل أخرى

المروق من الدين

للأستاذ / أحمد العناني

اثارت هيئة تحرير مجلة الوعي الاسلامي في المقال الموجز الذي ضمنته العدد العشرين بعد المئتين الصادر في ربيع الثاني ١٤٠٣ يناير / فبراير ١٩٨٣ قضية غاية في الأهمية ، تحت عنوان « المارقون من الدين » ، ومع أن المقال كتب بعناية مدققة ، واحساس واضح بالمسئولية الا انني اعتقد بأن اغلاق الباب في هذا الأمر عند مجرد ما ورد في المقال المذكور جدير بالا يكون مقبولا بحال من الأحوال ، والواقع انني احسست احساسا عميقا بانني مخاطب لأن أعقب على هذا المقال بالذات لأنني أعتقد بأن تركه بالاجمال الذي ورد عليه ، والايجاز الذي كان لابد أن يتغاضى معه عن بعض الغموض ربما يؤدي الى سوء الفهم عنه ، ولقد كنت اتمنى لو استطاعت هيئة التحرير الموقرة ان تكتب بشيء أكثر من التفصيل فلقد كانت في تصوري تحسن بذلك ولا تسيء ابدا ...

المروق أفضل من عبارة المارقين :

انني افضل الحديث عن « المروق من الدين » دون الكلام عن « المارقين من الدين » مادام الكلام تعميما لا يشير الى شخص بالذات ، اذ لاشك أن المروق من الدين أمر فادح ومن حق كل مسلم أن يقاومه ما وسعته المقاومة ... لكنك حين تتحدث عن مارقين بعينهم فانني أرى أن من حق القارىء أن تعين هؤلاء له بصراحة حيثما كانوا لئلا يختلط الأمر ويحسب بعض المخلصين من دعاة الدين و اهل الفضل بانهم ربما كانوا مستهدفين بالمقال لمجرد أن شيئا مما لا ترضاه هيئة التحرير في متحدث عن الدين ينطبق عليهم بينما هو غير مقصود في كلمة التحرير ابدا ...

الحديث في الدين .... من يتولاه ؟

ليس هناك شك في ان العلوم الاسلامية من تفسير وحديث وفقه وعلوم اللغة من بلاغة و ادب ونحو هي دراسات تقتضي التخصص ممن يريدون فهمها فهما سليما وافيا بالغاية ، كافيا لشئون الافتاء في الحلال والحرام وتفسير آي الذكر الحكيم ، وبيان الوجه الدقيق للقدوة

برسول الله صلى الله عليه وسلم ومعرفة مصطلح الحديث وتاريخ تدوينه وكيفية التثبت من درجة الحديث من حيث صحته أو ضعفه وسائر ما يتعلق باسناده ورواته ومدى موثوقيتهم.

هذه أمور لا مجال فيها لشك أو نقاش ، إن أحدا لا يتصدى للكلام في الحلال والحرام الا بعد أن يكون الدهر قد جب سنامه جبا شديدا بمجاهدة الكتب ، والسهر المضني في ظلام الليل ، وبعد تأهيل معقد المراحل يواكبه تزكية العلماء الآجلة الأبرار من أهل الفهم والتبحر والاخلاص . ولقد كان علماؤنا المتخصصون يتهيبون الكلام في التفسير والحديث ، والافتاء بالتحليل والتحريم تهيبا ما بعده تهيب ، ويرتجفون لو حملوا عليه ارتجافا شديدا ، ويتحاشون ما وسعهم الجهد وظائف الافتاء ، ولقد يبكي بعضهم بكاء صادقا اذا ما ساقته الظروف سوقا للجلوس للناس في بيوت الله أو دور العلم للحديث في مثل تلك الموضوعات الخطيرة ..

ولا تكاد قصص رجالات العلم المسلمين حيال هذا الأمر تستكشف وتروى هذه الأيام ، فهناك أئمة أفاضل ضربوا وعذبوا القبول وظيفة أو الموافقة على مقولة لا يؤمنون بها ولا يرون صوابها ، وهناك آخرون امتنعوا اطلاقا عن الكلام في التفسير أو تصنيف الأحاديث النبوية الشريفة تهيبا من المسئولية أمام الله تعالى ومحاذرة من الوقوع في التباس أو تزكية رأي غير صواب .

وعلى العموم كانت للعلم هيبته وكانت له كرامته ، ويتمثل ذلك تمثلا رائعا في مسلك الامام أبي حامد الغزالي أرضاه الله حين جيء به ليتولى التدريس في مكان أستاذ له توفاه الله وذلك بالجامعة النظامية ببغداد ، وتسامع الناس بأن أبا حامد يباشر التدريس ذلك اليوم فتقاطروا من كل صوب ... حتى اذا جلس يواجه الناس أطرق إطراقة طال وقتها حتى رماه بعض الحاضرين بالضعف والعجز وحين رفع رأسه أخيرا اذا الدمع قد بلل عارضيه واذا هو يقول في ذلك الموقف المهيب :

خلت الديار فسدت غير مسود ... ومن البلاء تفردي بالسؤدد

وهكذا فاني مع هيئة التحرير في انه لا ينبغي كلام في العلوم التخصصية الا لمتخصص متبحر ما تعلق الأمر بحلال أو حرام أو كان الكلام في موضوعات فقهية محضة ليست من اختصاص مرتجل ولا متأمل مهما يبلغ من الذكاء وصفاء النية وحسن الخلق ، كالناسخ والمنسوخ والحلال والحرام ... هذا أمر لا خلاف عليه ولا جدال فيه ...

أخلاق العلم وأعداء الاسلام :

وانا مع هيئة تحرير الوعي في الحملة الشديدة على كل متنطع يتحدث في الاسلام ويدعي الغيرة عليه ، والعلم به ، وهو رجل مبتلى بكل ما يخالف عن أوامر الاسلام ونواهيه ، مبتلى بالمنكرات ... كما أنه رجل زنديق متستر يتشبث بكلمة الحق يريد بها الباطل ، وفي هذا الصدد أود أن أصرح بما لم تبده هيئة التحرير علنا وهو أن للأحزاب الشيوعية مخططا قديما مدروسا للعمل الحزبي في صفوف المسلمين يقتضيهم الأختلاط بالجماهير والتحدث بأسم الدين ، وتبني قضايا الناس ، والزعم بأن الشيوعية هي مجرد نظام أقتصادي يراد به تحقيق أكبر مغانم للشعب وليست موقفا لاضد [illegible]ين ولا معه .. وبطبيعة الحال فهذا كله افتراء منكر ، فان رسالة لينين عن الدين وهي جزء من كتاب الشيوعيين المقدس تعلن صراحة أن الألحاد شرط أساسي لكل عضو في الحزب الشيوعي .

وفي هذه المناسبة فان تطفل الحزبيين الآخرين من أشباه الشيوعيين من القوميين على الاسلام شيء فظيع .. أنهم أناس لا صلة لهم بالقرآن ولا بالسنة ولا بتاريخ الرسول ولا تاريخ الاسلام ومع ذلك يعتمدون على كلمات متطايرة من هنا وهناك ، وقد يعدها لاقناعهم بشيء ما جماعة من غير المسلمين فيرددونها كالببغاوات ...

هؤلاء الناس جزء من طفح الشر والفساد اللذين أستشريا في أمتنا منذ الخمسينيات من هذا القرن وهم فعلا كارثة ، وقد كانوا وكانت أفعالهم بالأمة كوارث متلاحقة .. ولهيئة تحرير الوعي الاسلامي كل الحق في الشكوى منهم ...

ان شرط العلم النافع من العالم الحق أن يحمله صاحبه باخلاص المؤمن الصادق وأخلاقه وشرف مسئوليته وأين ذلك من هؤلاء الأنتهازيين المدفوعين أمامن الأجانب أو بأحلام مغرورة مغررة غير مبررة ..

الطبيب والمهندس والاسلام :

غير أني رأيت في حديث التحرير عن أشتغال بعض المهنيين والعلماء بالاسلام كالأطباء والمهندسين تعميما يبلغ حد التجني لا على أفراد بالذات أحسب أن محرري الوعي الاسلامي يعنونهم مثلا ، ولكن أرى تجنيا على حق أي صاحب مهنة في أن يصبح فقيها ، وتلك واحدة من أعظم وأجل مزايا الاسلام مما لا ينبغي للسادة العلماء في مجلة الوعي الاسلامي أن يتجنوا عليها بحال من الأحوال ! ومتى كان في الاسلام احتكار للمعرفة بكل جوانبها ؟

أليس الله جل جلاله يخاطب كل أهل الألباب أن يتفكروا في خلق السماوات والأرض ؟ أليس الله جل جلاله يكلف الناس بأن يتدبروا القرآن ويفهموا معانيه ويعيشوا بوحي ذلك الفهم ؟

أليس هو الذي يعيب على من سبقونا ممن هجروا التوراة وتركوا العمل بها بأنهم كالحمير تحمل أسفارا ؟

أليس كل مسلم مطالبا بالمشاركة في عملية الفهم العام المسماة بالثقافة الاسلامية ؟ وماذا كان عمل أبي حنيفة رضي الله عنه ؟ ألم يكن بزازا تاجرا فلو أن الاسلام جعل لرجل العلم مواصفات مادية محددة ونوعا من المهن مبينه ألم نكن نخسر ألوفا من أجل وأشرف رجالات العلم في التاريخ الاسلامي ؟

إن امتهان مهنة للحياة والمعيشة أمر لا يحجب حق المسلم في دراسة العلوم الاسلامية والتبحر فيها واذا استطاع طبيب أن يستكمل مؤهلات العالم الحق فهل نقول له قف لا تتكلم لأنك طبيب ؟

فلو قالت هيئة التحرير ان ثمة أطباء يتحدثون في أمور متخصصة من الدين فيما هم لم يحصلوا على شيء من التأهيل في العلوم الاسلامية فاننا نقول معكم يا هيئة التحرير حق .. ولكنكم فيما تقولونه تتركون الأمر مطلقا ؟

ومع ذلك فهذا رأي في التفسير :

لست أعتقد بأنني وحدي في الدعوة الى قيام مؤسسة اسلامية عالمية مركزية لتفسير القرآن الكريم ... ويجب أن تشمل اللجنة اناسا من أهل الاسلام من ذوي الأهلية والرغبة والأصالة ، فضلا عن تبحرهم في علومهم لكي يساهم كل واحد في توضيح ظلال المفردات

والتراكيب الطبية والهندسية والبيولوجية والفلكية في القرآن الكريم ، ولكي لا ينفرد احد براي ، ولكي يرى المتبحرون في العلوم الدينية المحضة كيف يمكن تنسيق هذه الأفكار العلمية مع الأطار العام لفلسفة النص الاسلامي والتدبر في كل منطوى من منطويات الفكرة الجديدة قبل الحديث عنها او تعميمها ...

المرحوم سيد قطب .. الناقد الأدبي :

الم يكن المرحوم الشهيد البر الأستاذ سيد قطب ناقدا ادبيا من الدرجة الأولى ؟ وإن حسن فهمه للنصوص وحسن تقييمه لها ، ودقة ذوقه في مقارنتها ، واسلوبه الفذ في استقراء الكلمات والتراكيب اسرارها ، واحساسه برفيف حروفها ، وظلال معانيها كان مما أفاد شباب المسلمين حين وضع مؤلفه الكبير « في ظلال القرآن » ..

لم يقل سيد قطب رحمة الله عليه انه يكتب تفسيرا للقرآن ولم يقل انسان متواضع ككاتب هذه السطور انه يقدم تفسيرا للقرآن ، لكنه تكلم حول القرآن في اكثر من مئتي حديث في اذاعة الكويت ... والكلام حول القرآن او في ظلاله شيء والتفسير شيء آخر .

ولماذا نضيق ذرعا بمحبي الدين الذين يخلصون في خدمته والدعوة له .

لقد كنت منذ عشر سنوات في اسطنبول قرب دار الولاية حين رأيت « طابورا » طويلا جدا من الشباب المتزاحم عند مكتبة هناك فلما سالت ما الحكاية ؟ ..قيل يصدر اليوم جزء جديد من الترجمة التركية لظلال القرآن لسيد قطب وهؤلاء الشباب يتزاحمون ليؤمن كل نسخته ؟؟

فهل أساء سيد قطب للأسلام ؟

ولكن هذه الظاهرة سوف تنتهي ؟

لم تبق مؤسسة للمسلمين لتخريج العلماء الافذاذ على المستوى الذي نحياه ...هذه هي الحقيقة التي نتج عنها فراغ جعل الناس في لهفة بالغة لسماع من يخاطبونهم بلغة العصر واسلوب العصر ، وسرعة العصر ، وموسوعية عالم العصر ، والحس الاعلامي لعالم العصر .

الم يكن العلماء المسلمون ، ايام عزة الاسلام ، في مستوى عصورهم وكانوا بذلك قادة كل معارضة لجبروت الطغاة وخطل المفترين على الدين ؟

ثم إن العلم الاسلامي لم يكن مهنة ؟ ابدا ما كان في يوم من الأيام فنطالب بنقابة للعلماء تحفظ حقوقهم كما يطالب الأطباء ؟ لكن القول بشروط الفقيه كلام حق ويجب أن يمنح كل محقق لهذه الشروط إجازة للكلام في قضايا الدين بغض النظر عن مهنته ما تكون !

وفي الوقت نفسه يجب أن نحرص كل الحرص على فتح الأبواب امام كل واحد في الأمة للتفقه على قدر ما يستطيع في دينه ، حتى يظل كل مسلم ومسلمة خفيرا ضد كل من يحاول التلاعب بافكار المسلمين وعقائد المسلمين ....

واخيرا فان كل متقن للكتابة على الآجر يتالق كالشمس كما قال السومريون قبل خمسة الاف سنة ...

والعالم الحق تشع انواره ولا يحتاج الى نقابة تحميه من تفقه الكثيرين في دينهم .

هذا وللسادة الاجلاء هيئة تحرير الوعي الاسلامي غاية تقديري وحبذا لو فتح هذا الموضوع لآراء اخرى تكون لوجه الله تعالى ... وهو عز شانه ولي التوفيق .

تعقيب

نشرنا وقفة التأمل للأخ الأستاذ / أحمد العناني .. كاملة ، شاكرين له حسن ظنه بنا ، ومقدرين غيرته على العلم والعلماء .. ونحن بدورنا نرجو أن تكون للعلم هيبته وللعلماء مكانتهم . ونقول :

○ جعلنا عنوان وقفتنا المارقون من الدين» .. لأننا نقصد هؤلاء الدخلاء والأدعياء والذين يتحدثون في الدين بأهوائهم ، وبلا وازع من ايمان صادق ، ويخدعون الناس . ولفظ « المارقون » جاء به الحديث الشريف ، فهو صحيح .. ولسنا نقصد « المروق » بذاته ، فلا أفضلية هنا .

○ نعم لم نصرح بأسماء من نعنيهم ، وهذا أدب اسلامي تعلمناه ، فقد كان رسولنا صلى الله عليه وسلم يقول : « ما بال أقوام يقولون كذا وكذا » مع انه كان يعرفهم بأسمائهم ، لأن المهم هو المعنى المقصود لا الأشخاص بذواتهم ، أما انه قد يظن شخص بنفسه ظنا غير حسن .. فهذا تماما هو ما قصدنا اليه ، أن يناقش المتحدثون في الدين أنفسهم في دوافعهم وأسرارهم ، فمن خلصت نيته ، وتوافرت فيه شروط العالم ، وقال حقا فقد أحسن .. ومن أساء فعلى نفسه جنى ..

○ وقلنا : إننا في عصر التخصصات ، ودعونا الى أن نلتزم بذلك في العلم بقضايا الدين وأحكامه فلا يتكلم في الدين ويتصدر للافتاء الا من توافرت فيه شروط الفقيه ، وهذا هو الذي نقصده تماما .. فمن كان عالما بالدين حقا فله حق الافتاء ، بصرف النظر عن كونه طبيبا ، أو نجارا ، أو مهندسا ، أو فلاحا .

○ أما الطبيب غير العالم بالدين ، والمهندس غير العارف بعلوم الحديث ، والتاجر الذي يعرف حساب الربح والخسارة فقط ، فلا شأن لهم بالحديث في أمور هي من اختصاص الفقهاء ، وهذا هو الذي نعني ألم نقل : والمرأة المتبرجة التي تفتي في مسألة الحجاب . فالقصد واضح يا أستاذنا .

○ وقد دعونا الى نقابة للعلماء ، يصدر هنا رأي جماعي ، يستأنس بخبرة الطبيب ، وثقافة المهندس ، وعلم الفلكي ، بما يخدم الاجتهاد الاسلامي ، ويمنع الدخلاء والمتنطعين من بث سمومهم ، وخبثهم في أذهان الناس ، ونصون للعلماء مكانتهم ، وللعلم قدسيته .

○ ونقول لأستاذنا العناني ، وقد حاول احراجنا مع « أبي حنيفة » شيخ الأئمة ، و"سيد قطب » شهيد الاسلام : إن أبا حنيفة ـ رضي الله عنه ـ كتب ما كتب وكان إمام مذهب فقهي عظيم ، بصفته بحرا في العلوم ، وموسوعة في المعرفة ، لا بوصفه بزازا أو تاجرا فقد عرفنا أبا حنيفة الفقيه العالم التقي الورع الصادق في معاملته وتجارته ، واشتهر بعلمه ، وليس بتجارته .

وأما سيد قطب عليه رحمة الله ، فلم يخرج عن حدود علمه واختصاصه حينما كتب « في ظلال القرآن » بل كتب ما كتب بروحه الاسلامي ، وحسه المرهف ، وذوقه الأدبي ، وموهبته الدعوية ، فهو لم يخرج عن دائرة اختصاصه ، ومن قديم كان هناك تفسير يغلب عليه طابع استنباط الأحكام ، وتفسير يغلب عليه طابع بيان أوجه الاعجاز في القرآن الكريم ، وتفسير يغلب عليه الطابع اللغوي ، فليكن طابع « في ظلال القرآن » طابعا أدبيا دعويا وهو كذلك فقد كان سيد رحمه الله داعيا الى الله .

○ أترانا بعد هذا قد أسأنا الى أحد ، أو تعرضنا للعالم المخلص ولو بالتلميح !! .. فقط قصدنا هؤلاء المارقين من الدين .. ولن نسميهم

ضَرَاعَةُ

خفقاتُ قلبي ، والقلوبِ مُوزّعاتٍ في العوالمْ
في أضلعي أجتمعت وأجّت كالجُذى ، غُصَصٌ توائمْ
شَوكٌ بحنجرتي ، صُداعٌ كالرّحى للرأسِ قاضمْ
يالائمي في الهمِّ ، قَرَّحَ مُقْلتي مُقَلٌ سَواجمْ
أبصرتُها بمشاعري ، بالرّوح ، تَنْزِفُ في مآتمْ
تبكي وتشكو بَثّها للّهِ ، مِنْ كُرَبٍ جَواثمْ
أخذت بخانقةِ العبادِ يَسُومُها الطُغيانُ غاشِمْ
وأنا المُكبَّلُ هاهُنا ، والوسْعُ ضاقَ ، ولا مُدَاعمْ
في خافقي ، الغُرُّ الشّبابُ عليهُم أنقضّتْ أراقمْ
وبمسمعي ، رَغْمَ المَدى النائي ، استغاثاتٌ عظائمْ
قَرَعَتْ ببُحّتها السماءَ ، تلوذُ من فتكِ مُداهمْ
باللّه ، تصرخُ .. تَستَجير من الخنى لِحَق الكرائمْ
مَنْ لِلحرائِرِ يا غيورُ ، ولِلأُباةِ ذوي الشّكائِمْ
يا رِبُّ أنتَ المُرتجى ، ما مِنْكَ حينَ تَشاءُ عاصِمْ

المضطرّ

للأستاذ / عمر بهاء الدين الاميري

في شَهْرِ مولد مُصطفاكَ أبي المَراحِمِ والملاحِمْ
وقلوبُ كلِّ المسلمينَ لِطَلْعَةِ الذّكرى بَواسِمْ
المُبْتَلَوْنَ الصّابرونَ، وعَزْمُهُمْ فاقَ العَزَائمْ
يتضرّعونَ .. ويجأرونَ .. فَقَدْ تفاقمتِ المَظالِمْ
شَهَرَ البُغاةُ الكافِرونَ على رِقابهمُ صَوارِمْ
والمؤمنونَ على يقينٍ أن يوم الفتح قادمْ
لكنّهمْ يتضوّرون من العَذاب .. مِنَ الجرائمْ
وزفيرُهُمْ بضراعةِ المُضطرِّ حَشْرَجَ في الحلاقمْ
يا ربُّ، هِجّيراهُمُ يا ربُّ، يا ربَّ العوالم[1]
بَلَغَ الزُّبى سَيْلُ المكائِدِ والمآسي والمآثمْ
ولأنْتَ، يا رحمانُ بالضُّرِّ الّذي يَشْتَدُّ عالمْ
ولأنت جبّارُ الجبابِرِ، مُمْطِرُ الحُمَمِ القواصمْ
ولأنتَ كاشِفُها، اذا ما قُلْتَ «كن» كانَتْ حواسمْ
عَجِّلْ بما يَختارُ فَضْلُكَ، أنتَ في الأكوانِ حاكمْ

(١) هجيراهم : عادتهم ، اي عادة المضطرين أن يضرعوا إليك يا رب فاستجب دعاءهم .

النمل والقرضة

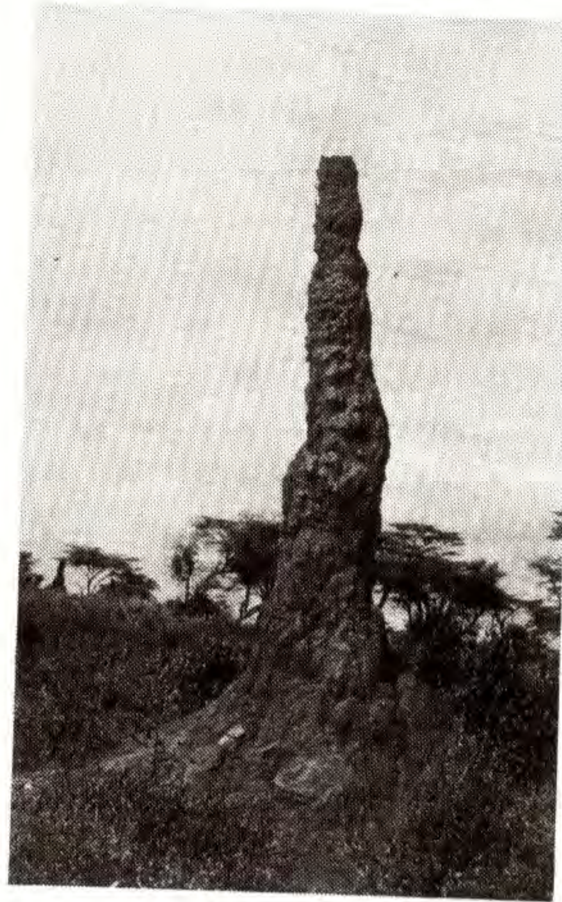
محمد فوزي

اختلاف وتشابه وإعجاز في الخلق

للدكتور / ابراهيم سليمان عيسى

في دنيا الحشرات نجد النمل الحقيقي والقرضة وهي ما يطلق عليها النمل الأبيض وفي الحقيقة فان القرضة « أو النمل الأبيض » ليست من نوع النمل ، ولا حتى بيضاء اللون غير أن لونها باهت وتشبه النمل في معظم العادات والطباع والسلوك بيد أنهما مختلفان في الأصل والتركيب وتتجلى فيهما قدرة الخالق وإعجازه عندما نتأمل قرى النمل ووديـانه

وطباعه وسلوكه وتشتهر القرضة بأنها بناء ماهر . والقرآن الكريم يوجه الأنظار إلى تلك المخلوقات وما فيها من أسرار وطباع وما لها من لغة تتواصل أفرادها بتلك اللغة . وقد أطلق اسم النمل على سورة من سور القرآن الكريم وفي الآية (١٨) من هذه السورة يقول الله تعالى : (**حتى إذا أتوا على واد النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون**)



ليست هذه « مسلة » او احد معالم بلدمن البلدان .
لكنه احد عشوش النمل الأبيض التي يبنيها في الأحراش . إرتفاع ومتانة وروعة وهندسة وإعجاز ، سبحان الخالق .

ويصل العلم بعد أربعة عشر قرنا من الزمان ويتأكد أن للنمل لغة مسموعة يتخاطب بها كما يقرر العلم أن للنمل مستعمراته ولكل مستعمرة قلاعها ومساكنها ، وأن النملة تعتبر من أسخى وأجود الكائنات الحية . وانها دائما حسنة الظن حتى بأعدائها . وللنمل كيس يشبه المعدة يوجد فوقها يطلق عليه الكيس الاجتماعي تملؤه بالغذاء المهضوم لتمد به كل من تلقاه من نمل جائع . ويثبت العلم حسن الظن عند النمل ، لهذا فقد أحسنت النملة الظن بسليمان عليه السلام وجنوده إذ لو حطموا النمل ء فليس ذلك عن قصد بل وهم لا يشعرون .

وفي هذا المقال سوف استعرض أوجه التشابه والاختلاف بين النمل والنمل الأبيض « القرضة » حيث نرى الاعجاز والابداع وتهيئة هذه المخلوقات وتيسيرها لما خلقت من أجله .

أولا ـ **النمل الأبيض** : يطلق عليه أيضا القرضة . ويتبع رتبة حشرية تسمى متساوية الاجنحة ويطلق عليها علميا اسم order: Isoptera وهي حشرات صغيرة أو متوسطة الحجم أجزاء فمها من النوع القارض ، يوجد لها زوجان من العيون المركبة والبسيطة كما أن لبعض أنواعها فتحة لغدة أمامية تستعمل إفرازاتها في الدفاع عنها . ويوجد من هذه الحشرات أفراد ذات أجنحة طويلة ، وأفراد ذات أجنحة عادية ، وأخرى

عديمة الأجنحة ، وعندما توجد الاجنحة تكون متساوية في الشكل والحجم وتفوق البطن كثيرا في الطول ومن هنا أخذت اسم الرتبة متساوية الاجنحة . يوجد عند قاعدة الجناح درز او عرق يتقصف عنده الجناح بعد تأدية وظيفته ، وتبقى قاعدة الجناح المتقصف متصلة بالصدر يتكون بطن النمل الابيض من عشر حلقات واضحة ، والرسغ مكون من ٤ عقل بالاضافة إلى الكثير من المميزات والتحورات التركيبية وزوائد الجسم وتحورات تلك الزوائد . مما يحق لنا أن نقول أن النمل الابيض حشرات يسرها الله سبحانه وتعالى لما خلقت له . وتنتشر هذه الحشرات إنتشارا كبيرا في مختلف البيئات والمواطن .

تعيش هذه الحشرات معيشة اجتماعية في مستعمرات آية في الروعة والجمال ، ومحصنة من الأعداء تحت الأرض أو داخل الأخشاب بعيدة عن الضوء وكثيرا ما تشاهد مختفية « داخل العشوش » التي تقوم



النمل الحقيقي من الحشرات غشائية الأجنحة .



« **بعض أنواع النمل محارب مستميت** »

ببنائها . والقرضة معروفه بمهارتها في إعداد مساكنها وقلاعها ففي أحراش بعض البلاد توجد أبنية مرتفعة عجيبة ، يبلغ طولها اثنى عشر قدما أو أكثر ، والبناء متين مدهش عجيب وإذا طالعت هذه الأبنية فأنت أمام قرية للحشرات « القرضة » أمهر بناء في دنيا الحشرات . وقد قدر بعض الباحثين عدد سكان عش حشرة القرضة « النمل الأبيض » بثلاثة ملايين من هذه المخلوقات العجيبة ، وهو عدد يقارب تعداد معظم المدن الكبيرة . وأفراد النمل الأبيض المختبئة يغلب عليها اللون الأصفر الباهت ، أما الأفراد التي تحتم عليها وظيفتها كثرة الخروج من العش فلونها عادة يكون أسمر أو مائلا للسمرة .

دورة حياة النمل الابيض :

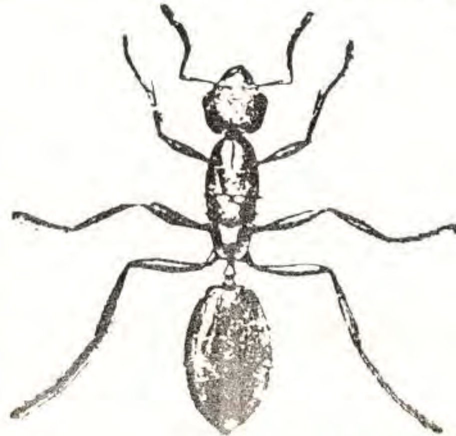
تتميز هذه الحشرات بوجود أفراد خصبة وهما الذكر والانثى « **الملك والملكة** » وأفراد عقيمة هي الشغالات والجنود « العساكر » ولكل فرد في المستعمرة أو العش عمل معين يؤديه

بجد ونشاط ومهيأ لاداء هذا العمل من تركيب جسمه وتكوين أعضائه وخلافها .

الأفراد الخصبة : الذكر يكون أصغر من الانثى « **الملكة** » التي يتضخم بطنها كثيرا لامتلائه بالبيض . الملكة تضع مليون بيضة في العام ، وتعيش أكثر من خمس سنوات ، والملكة عندما يتضخم وزنها تبلغ حوالي أربع بوصات طولا ، وتكون أكبر من الذكر في هذه الحالة ١٥٠ مرة ، ولو أن حجمه أكبر في الواقع من معظم أفراد القرضة الأخرى ، وقدر بعض الدارسين أن ملكة النمل تضع خلال حياتها ما يقرب من عشرة ملايين بيضة ، وأن مدة حياتها قد تصل في بعض الأنواع إلى أكثر من ثلاثين عاما . ويفقس بعض البيض إلى عساكر وذكور وإناث وشغالات ، وحتى الآن غير معروف سر التوجيه لأن الفقس يتم بنسب غير ثابتة ، إنها قدرة الله « **الذي خلق فسوى** » والجدير بالذكر أن الملكات والملوك الحديثة تترك المستعمرة في أسراب للتزاوج ، ثم يكون كل زوج من ذكر وأنثى مستعمرة جديدة ، وتتقصف أجنحة الذكور والاناث « الملوك والملكات » بعد التزاوج ولا يبقى من الأجنحة سوى جزء صغير يتصل بمنطقة الصدر من الحشرة .

والغريب أن التكاثر بواسطة الذكور والاناث هو الطبيعي لكن أحيانا تتزاوج بعض الشغالات أو الحوريات الكبيرة أثناء وجودها في العش ، وتعرف مثل هذه الحالات بأنها أفراد تناسلية إضافية وهذه تعاون الملكة في بناء المستعمرة . وتتميز بأن أجنحتها قصيرة وصفاتها تكون وسطا بين الأفراد الخصبة « ذكور وإناث » وبين الأفراد العقيمة « شغالات وجنود » ويحدث عدة تغيرات بعد التلقيح في جسم الملكة منها اضمحلال عضلات الاجنحة وعضلات الفكوك وتتغير طبيعة نوع غذائها .

فبعد أن كانت تتغذى على الخشب ، تصبح بعد التلقيح تتغذى على لعاب الشغالات أو على هيفات الفطر ، حيث نجد أن بعض أنواع النمل الأبيض

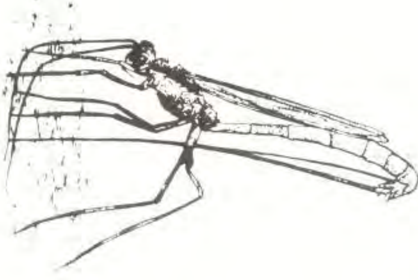


الملكة (نمل حقيقي)



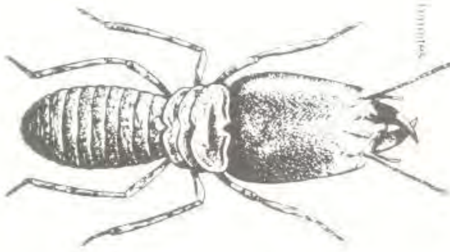
الشغالة (نمل حقيقي)

يزرع الفطر في عشوشه ليتم التغذية على هيفات الفطر . ويتغير تبعا لذلك مكونات وأعضاء الجهاز الهضمي لديها . ويشمل هذا التغير اختفاء واضمحلال الأمعاء الخلفية وفي نفس الوقت تزداد أنابيب ملبيجي في الطول « **الجهاز الاخراجي** » كما يزداد حجم وطول الحبل العصبي والقلب زيادة كبيرة .



نمل حقيقي

الأفــراد العقيمــة : وتشمــل الشغـالات والجنـود ، والشغـالات « Workers » عبارة عن حشرات عقيمة ذكورا وإناثا باهتة اللون عـديمة الأجنحة ووظيفتها جمـع الغذاء ، وإطعام الملكات والجنود ، والصغار تتغذى على المواد النباتية كالأخشاب ومنتجاتها وتطعم الأفراد الأخرى على سائل تفرزه من فمها وعلى الأفراد الميتة وجلود الانسلاخ ، وتقوم بمعظم الأعمال داخل المستعمرة . أما الجنود « العساكر » Soldoers فهي ذكـور عقيمة أكبر حجما من الشغالات ؛ رأسها متضخمة وفكوكها العلـوية كبيرة ، تهاجم الأفراد الغريبة التي تدخل المستعمرة ، كما تسد برءوسها الثقوب الموجودة في جدر الممـرات والطـرق ، وتساعـد عـلى نظـافـة المستعمرة وتأكل الميت من صغار النمل . ومن المدهش أن الشغالات الصغيرة تكون عادة عمياء ، تتلمس طريقها في الحيـاة بأعضـاء حس دقيقة ، توجد على قرون استشعارها وعـلى أرجلها وأجـزاء أخرى من الجسم . وتتجاوب هذه الأعضاء مع



نمل أبيض (أو قرضة)

التذبذبات كما يحدث في جهاز المذياع « الـراديو » ويقـال أن القـرضـة تستطيع التخاطب بطريقة لاسلكية خاصة بها لم يتوصل العلم إلى إماطة اللثام عنها . والشغالات تبنى قراها بواسطة جمع حبات الرمل أو ذرات التراب ، وتخلطها بلعابها وتلصقها معا فتصبح كالاسمنت ، وتقيم بهذه الطريقة مسـاكنها ، التي تتخللهـا الحجرات والانفاق مثل شوارع المدن الكبيرة .

والنمل الأبيض شديد الضرر ، حيث يتغذى أساسا على الأخشاب

وتصيب جذوع الأشجار والأعمدة والأثاث والأرضيات والسقوف والأبواب والمنافذ المصنوعة من الخشب ، وتحدث أضرارا بالغة للحبوب والمواد المخزونة الأخرى كالبلح الجاف ، وتكون سببا في هدم منازل قرى بأكملها ، كما تتلف الكتب والأقمشة والأبسطة ، وكل ما هو مصنع من الخشب ، ومن جهة أخرى يتغذى على النمل الأبيض الكثير من الحشرات الأخرى والحيوانات المتعددة ، وبالجملة فان النمل الأبيض وإن كان أمهر البنائين فهو أمهر المخربين ، والخسارة الناتجة عن هذه الحشرات تقدر بمئات الملايين من الدولارات في أنحاء العالم .

ثانيا ـ النمل الحقيقي : ويتبع رتبة حشرية يطلق عليها غشائية الأجنحة order hymenoptera وهي حشرات داخلية الأجنحة وتعيش معيشة اجتماعية وشكلها مميز نظرا

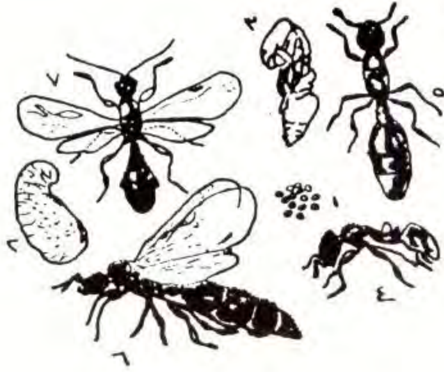


يزرع النمل الأبيض الفطريات لتتغذى على هيفاته الملكة بعد التلقيح .

لوضوح تركيب الجسم ورأسها قد تصل إلى أحجام كبيرة في بعض الأنواع ، والنمل ذو براعة وذكاء وحب للادخار ويبني قراه ويحفر الأنفاق وله مدينة غريبة وقد يعلن الحرب ويأخذ المنتصر أسرى من النمل الضعيف ، تعيش شغالة النمل الحقيقي حوالي سبعة أعوام ، والملكة إلى ما يقرب ـ كما قدر بعض الحشريين ـ من ثمانية عشر عاما ، ويأكل هذا النمل كل أنواع الطعام وتتشابه عاداته وطباعه وسلوكه مع النمل الأبيض مع اختلاف الشكل والتبدل ، وفي مستعمرة النمل الحقيقي توجد الملكة وتتميز بكبر الحجم وبنمو الأجهزة التناسلية ، كما توجد الشغالات وهي إناث ضامرة التكوين أي أن الأعضاء التناسلية فيها مضمحلة ، وتقوم بجميع الأعمال في المستعمرة ، ويوجد الذكر أيضا ، وفي المستعمرة نجد الذكور والملكة والشغالات مختلفة في الشكل والتركيب العام للجسم ، ويطلق العلماء على هذه الظاهرة تعدد الأشكال Polymorphism ولا وجود للجنود في النمل الحقيقي ، وتتعدد أنواع النمل وأحجامه ، فهناك النمل المنزلي ونمل الاشجار والنمل الكبير « **حرامي الحلة** » وتسبب أضرارا كبيرة للمخازن والمواد السكرية خاصة ، كما يعتبر النمل من أشد الأعداء للنحل (نحل العسل) رغم تقاربهما في العادات والسلوك وتبعيتهما لرتبة حشرية واحدة . كما يتلف النمل النباتات المجففة واللحوم المجففة والمعدة للتغذية .

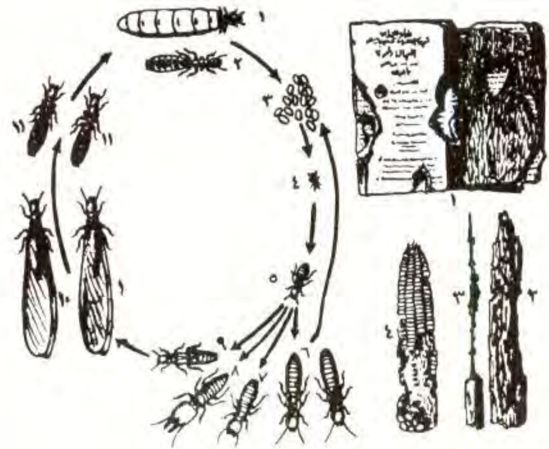
معظم أنواع النمل تعيش تحت الأرض . ولكن بعض الأنواع ويطلق عليها النمل النجار يقيم مساكنه في الأشجار الميتة وأخشاب المنازل القديمة .

وترتفع مساكن النمل الحقيقي بضعة أقدام ويبلغ عرضها عدة أقدام . وتبلغ ملكة بعض أنواع النمل حجما قدر حجم الشغالة مائة مرة . وتأخذ الشغالة في النمل الحقيقي أشكالا متعددة وصف بعض العلماء أكثر من عشرين صنفا وشكلا للشغالة ، وأغرب الأشكال تلك الشغالات التي أصبحت بمثابة براميل حية لخزن الرحيق وعصارة بعض الأشجار والنباتات ، وهي تمتلىء بهذا السائل الحلو حتى تنتفخ معدتها كالبالون الصغير ، وتتعلق في سقف العش عاما بعد عام وتملؤها الشغالات الاخرى بالرحيق .



اطوار نوع من النمل الحقيقي .

١ ـ البيض
٢ ـ اليرقة
٣ ـ العذراء
٤ ـ شغالة (انثى عقيمة)
٥ ـ انثى خصبة غير مجنحة .
٦ ـ أنثى خصبة مجنحة .
٧ ـ ذكر خصب مجنح .



دورة حياة النمل الأبيض (القرضة) ومظهر الاصابة به في الخشب والمطبوعات وغيرها .

والسؤال يا عزيزي القارىء هل توجد تضحية بالنفس تماثل هذه التضحية في اي مجتمع آخر . وللنمل اعداء كثيرة كالخنافس والسحالي والضفادع . والغريب أن هناك بعض الشعوب تأكل النمل ، ويقال أن طعم النمل المحمر يشبه طعم الجوز المحمص . ويحتوي لعاب النمل على حامض الفورميك الذي يسبب الالم من عضة النمل ولسعه ، وقد يصل حجم بعض أنواع النمل الحقيقي الى ما يقرب من البوصة وهناك أنواع كثيرة من النمل غريبة ومتباينة الطباع والسلوك ، وتختلف في كل شيء إلا أنها جميعا مظهر لقدرة الله وحكمته وإبداعه . والمتتبع لحياة النمل وسلوكه يرى العجب العجاب . هذا خلق الله . سبحانه وتعالى .

آداب النوم والاستيقاظ في الإسلام

للأستاذ / عبدالرحمن البر

نعمة النوم :

يعتبر النوم نعمة كبرى من النعم التي أنعم الله بها على عباده، وبخاصة الانسان، وقد منّ سبحانه على عباده بهذه النعمة وذكرهم بها في غير آية . فقال تعالى :

(ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) النمل / ٨٦ . وقال سبحانه : **(ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله إن في**

ذلك لآيات لقوم يسمعون) الروم / ٢٣ . وقال جل ثناؤه : **(وهو الذي جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا)** الفرقان / ٤٧ .

ويذكر سبحانه وتعالى حكمته في خلق الليل والنهار فيقول :
(قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا الي يوم القيامة مَنْ إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون . قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة مَنْ إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون . ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون) القصص / ٧١ - ٧٣ ... الى آخر الآيات التي تبين أن النوم نعمة من الله ومنة تفضل بها على عباده . ذلك أن النوم يريح الجسم من التعب ، ويزيل الاعباء والكلل ، ويخلص الجسم من السموم المتراكمة ، ويساعد على بناء أنسجة الجسم التالفة ، ويساعد على الهضم ، ويريح القلب ، ويساعد في علاج بعض الأمراض خاصة العصبية ، كما أن النوم علاج ناجع للقلق .

وليس من شك في أن الانسان - كغيره من الحيوانات - يحتاج فطريا للنوم ، وذلك من أجل إمكان الاستمرار في تأدية وظيفة الخلافة في الأرض والسعي فيها .

وسنورد هنا بعض الآداب التي طلب الاسلام مراعاتها عند النوم :

كيفية النوم وحكمتها :

يستحب أن ينام الانسان على طهارة ، وأن يضطجع على شقه الأيمن وأن يضع يده اليمنى تحت خده .
فعن البراء بن عازب - رضي الله عنه - قال : قال لى رسول الله - صلى الله عليه وسلم :
(إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ، ثم أضطجع على شقك الأيمن وقل : اللهم أسلمت نفسي اليك ... الخ الحديث) متفق عليه .
وروى الترمذي وقال : حديث حسن صحيح عن حذيفة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان اذا أراد أن يرقد وضع يده اليمني تحت خده .. الحديث .
وقد ذكر الأطباء حِكَماً شتى للنوم على الشق الأيمن منها :
أن النوم على الجانب الأيمن يمنع ضغط الكبد على المعدة ويساعدها على تفريغ محتوياتها ، كما يمنع ضغط المعدة والحجاب الحاجز على القلب مما يسهل عمله .
أما النوم على الشق الأيسر فانه يسبب ضيق النفس حيث تضغط المعدة والكبد على القلب وعلى الرئة اليمنى .
أما النوم على البطن والصدر فيلزم منه أن يلوى الانسان عنقه الى أحد الجانبين حتى يتنفس ، وهذه ضجعة مبغوضة - فقد روى أبو داود بإسناد صحيح عن يعيش بن طفخة الغفارى قال : قال أبي : بينما أنا مضطجع في

المسجد على بطنى اذا رجل يحركني فقال « إن هذه ضجعة يبغضها الله » قال : فنظرت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد ورد جواز الأستلقاء على القفا فعن عبدالله بن يزيد - رضي الله عنه - أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم - مستلقيا واضعا احدى رجليه على الأخرى . (متفق عليه) .

ولكن اذا كان الانسان قد تناول طعاما فان النوم حينئذ على الظهر يكون رديئا ومزعجا ، حيث أن أمتلاء المعدة بالطعام يجعلها تضغط على الشرايين والأوردة ، فتعرقل وصول الدم منها الى القلب ، فتقل بذلك كمية الدم التي تصل الى المخ ، وهذا يؤدي الى كثرة الأحلام المزعجة .

كذلك عند النوم على الظهر ترفع الأحشاء الحجاب الحاجز الذي يضغط بدوره على القفص الصدري ، فيحس النائم بالضيق ويكثر انزعاجه .

تلاوة القرآن عند النوم :

يستحب للانسان تلاوة القرآن عند النوم . وقد وردت الأحاديث ببعض الآيات والسور التي يستحب قراءتها عند النوم . من ذلك تلاوة المعوذات ، وآية الكرسي ، وخواتيم سورة البقرة ، وسورة الاسراء ، والزمر ، والواقعة ، والمسبحات ، والكافرون .

فعن عائشة - رضي الله عنها - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان اذا أوى الى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما وقرأ فيهما « قل هو الله أحد » و « قل أعوذ برب الفلق » و « قل أعوذ برب الناس » ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده ، يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده ، يفعل ذلك ثلاث مرات . (رواه البخاري وأصحاب السنن)

والنفث : النفخ اللطيف بلا ريق .

وفي حديث أبي هريرة - المروى في البخاري - أن الجنى قال له « إذا أويت الى فراشك فأقرأ آية الكرسي لن يزال معك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح » فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - لأبي هريرة : « صدقك وهو كذوب - ذاك شيطان » .

وفي الصحيحين عن أبي مسعود الأنصاري - رضي الله عنه قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : (الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأ بهما في ليلته كفتاه) أي : كفتاه من قيام الليل ، أو كفتاه من الآفات في ليلته .

وروى الامام أحمد عن الحارث بن جبلة - رضي الله عنه - قال : قلت : يا رسول الله علّمني شيئا أقوله عند منامي . قال « إذا أخذت مضجعك من الليل فاقرأ : قل يا أيها الكافرون ، فانها براءة من الشرك » . وكذا روى مثله عن فروة بن نوفل عن أبيه .

وروى أبو داود وأحمد والترمذي وقال : حديث حسن غريب ، عن العرباض بن سارية - رضي الله عنه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يقرأ المسبحات قبل أن

يرقد . (والمسبحات هي السور التي تبدأ بالتسبيح وهي سور : الحديد ، والحشر ، والصف ، والجمعة ، والتغابن) .

وروى النسائي وأحمد عن عائشة - رضي الله عنها - قالت « .. وكان (أي النبي - عليه الصلاة والسلام) يقرأ في كل ليلة بني اسرائيل والزمر » (بني اسرائيل هي سورة الاسراء) وروى الترمذي مثله عن عائشة أيضا .

وذكر ابن كثير في تفسيره أن ابن مسعود قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : (من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا) .

وروى أبو بكر بن السني في « عمل اليوم والليلة » عن أنس - رضي الله عنه أن النبي - صلى الله عليه وسلم - أوصى رجلا اذا أخذ مضجعه أن يقرأ سورة الحشر وقال « إن مت مت شهيدا » أو قال « من أهل الجنة » .

ذكر الله عند النوم :

ينبغي للانسان أن يذكر ربه عند النوم ، ويكره له أن يترك ذكر الله تعالى . فقد روى أبو داود باسناد حسن عن أبي هريرة - رضى الله عنه - عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : (من قعد مقعدا لا يذكر الله تعالى فيه كانت عليه من الله ترة . ومن أضطجع مضجعا لا يذكر الله تعالى فيه كانت عليه من الله تِرَة) .

وروى ابن السني عن أبي أمامة - رضي الله عنه - قال : سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول : (من أوى الى فراشه طاهرا وذكر الله عز وجل حتى يدركه النعاس لم يتقلب ساعة من الليل يسأل الله عز وجل خيرا من خير الدنيا والآخرة إلا أعطاه اياه) .

وروى ابن السني أيضا عن جابر - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال :
(إن الرجل اذا أوى الى فراشه ابتدره ملك وشيطان ، فقال الملك : اللهم اختم بخير ، فقال الشيطان : اختم بشر ، فان ذكر الله تعالى ثم نام بات يكلؤه الملك) .

الأذكار الواردة عند النوم :

وردت عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أذكار كثيرة عند النوم ينبغي للانسان أن يتلوها لينام مطمئن النفس مستريح الفؤاد .

- منها حديث البراء بن عازب السابق وفيه أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال له :
(اذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ، ثم اضطجع على شقك الأيمن وقل : اللهم أسلمت نفسي اليك ، وفوضت أمري اليك ، وألجأت ظهري اليك ، رغبة ورهبة اليك ، لا ملجأ ولا منجي منك الا اليك ، آمنت بكتابك الذي أنزلت ، ونبيك الذي أرسلت ، فان مت من ليلتك فأنت على الفطرة ، واجعلهن آخر ما تتكلم به) (متفق عليه وهذه رواية البخاري) .

- ومنها حديث حذيفة السابق وفيه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان اذا أراد أن يرقد وضع يده اليمنى تحت خده ثم يقول (اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك) (رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح . ورواه أبو داود عن حفصة وفيه أنه كان يقول ذلك ثلاثا) .

- ومنها ما رواه البخاري عن حذيفة وأبي ذر - رضي الله عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان اذا أوى الى فراشه قال (باسمك اللهم أحيا وأموت) .

- ومنها ما روى في الصحيحين عن علي - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال له ولفاطمة :

(اذا أويتما الى فراشكما - أو اذا أخذتما مضاجعكما - فكبرا ثلاثا وثلاثين ، وسبحا ثلاثا وثلاثين ، واحمدا ثلاثا وثلاثين) .

- ومنها ما رواه مسلموأبو داود والترمذي وقال : حديث حسن صحيح عن أنس - رضى الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان اذا أوى الى فراشه قال (الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا فكم ممن لا كافي له ولا مؤوى)

- ومن هذه الأذكار ما روى في الصحيحين عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : (اذا أوى أحدكم الى فراشه فلينفضه بداخله ازاره فانه لا يدري ما خلفه عليه ثم يقول : باسمك ربي وضعت جنبي ، وبك أرفعه ، ان أمسكت نفسي فارحمها ، وان أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين) .

- ومنها ما رواه مسلم وأحمد وأصحاب السنن عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه كان يقول اذا أوى الى فراشه (اللهم رب السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم ، ربنا ورب كل شيء فالق الحب والنوى ، ومنزل التوراة والأنجيل والفرقان ، أعوذ بك من شر كل ذي شر أنت آخذ بناصيته ، اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء ، وأنت الآخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء ، اقض عنا الدين ، وأغننا من الفقر) .

- ومنها ما رواه أبو داود والنسائي باسناد صحيح عن علي - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يقول عند مضجعه : (اللهم اني أعوذ بوجهك الكريم وكلماتك التامة من شر ما أنت آخذ بناصيته - اللهم أنت تكشف المغرم والمأثم - اللهم لا يهزم جندك ، سبحانك اللهم وبحمدك) .

- ومنها ما رواه الترمذي عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : (من قال حين يأوى الى فراشه : أستغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم وأتوب اليه : ثلاث مرات ، غفر الله تعالى له ذنوبه وان كانت مثل زبد البحر ، وان كانت عدد النجوم ، وان كانت عدد رمل عالج ، وان كانت عدد

أيام الدنيا) (عالج : اسم واد كثير الرمل) .

- ومنها ما رواه أبو داود والترمذي وقال : حديث حسن صحيح عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن أبا بكر الصديق - رضي الله عنه - قال : يا رسول الله : مرني بكلمات أقولهن اذا أصبحت واذا أمسيت . قال (قل : اللهم فاطر السموات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، رب كل شيء ومليكه ، أشهد أن لا اله الا أنت ، أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه ، قلها اذا أصبحت واذا أمسيت واذا أضطجعت) .

وفي هذا القدر كفاية .

فينبغي للمسلم أن يتلو من هذه الأذكار ما استطاع عند النوم ، ويستحب تلاوتها جميعا ، لكن اذا لم يستطع فليأت بما استطاع ولا حرج .

علاج الأرق في النوم :

اذا أرق الانسان في نومه ولم يستطع الأستغراق فيه تلا ما جاء في الحديثين الآتيين أو في أحدهما :

روى ابن السني عن زيد بن ثابت - رضي الله عنه - قال : شكوت الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أرقا أصابني فقال (قل اللهم غارت النجوم وهدأت العيون ، وأنت حي قيوم لا تأخذك سنة ولا نوم يا حي يا قيوم : أهدىء ليلي وأنم عيني) فقلتها فأذهب الله عني ما كنت أجد .

وروى الترمذي وضعَّفه ، وكذا الطبراني في الكبير والأوسط باسناد جيد : أن خالد بن الوليد شكا الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أرقا أصابه ، فقال له النبي - صلى الله عليه وسلم :

(اذا أويت الى فراشك فقل : اللهم رب السموات السبع وما أظلت ، ورب الأرضين وما أقلت ، ورب انشياطين وما أضلت كن لي جارا من شر خلقك كلهم جميعا أن يفرط على أحد منهم أو أن يبغي على ، عز جارك وجل ثناؤك ولا اله غيرك ، أو لا إله الا أنت) .

علاج الفزع في النوم :

اذا فزع الانسان في نومه فليقل « أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون » فقد روى أبو داود والترمذي وقال : حديث حسن عن عبدالله بن عمرو - رضي الله عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يعلمهم من الفزع كلمات :

(أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون) قال - أي الراوي - وكان عبدالله بن عمرو يعلمهن من عقل من بنيه ، ومن لم يعقل كتبه فعلقه عليه .

وروى ابن السني أن رجلا جاء الى النبي - صلى الله عليه وسلم - فشكا أنه يفزع في منامه . فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم :

(اذا أويت الى فراشك فقل : أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن

يحضرون) فقالها فذهب عنه .

اذا رأى في منامه ما يحب أو يكره :

اذا رأى الانسان في منامه ما يحب فليحمد الله عليها ، ولا يحدث بها الا من يحب ، لأن الحبيب ان عرف خيرا قاله وان جهل سكت .

أما اذا رأى ما يكره فليتعوذ بالله من شرها وليتفل عن يساره ثلاثا وليتحول عن جنبه الذي كان عليه ، ولا يحدث بها أحدا لأنها لن تضره .

فقد روى البخاري عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أنه سمع النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول : (اذا رأى أحدكم رؤيا يحبها فانما هي من الله فليحمد الله عليها ، وليحدث بها - وفي رواية « ولا يحدث بها الا من يحب » - واذا رأى غير ذلك مما يكره فانما هي من الشيطان فليستعذ من شرها ولا يذكرها فانها لا تضره) .

وروى البخاري عن أبي سلمة - رضي الله عنه قال : لقد كنت أرى الرؤيا فتمرضني حتى سمعت أبا قتادة - رضي الله عنه - يقول : وأنا كنت أرى الرؤيا تمرضني حتى سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : (الرؤيا الحسنة من الله ، فاذا رأى أحدكم ما يحب فلا يحدّث به الا من يحب ، واذا رأى ما يكره فليتعوذ بالله من شرها ومن شر الشيطان ، وليتفل ثلاثا ، ولا يحدث بها أحدا فانها لن تضره) .

وروى مسلم عن جابر - رضي الله عنه - عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : (اذا رأى أحدكم الرؤيا يكرهها فليبصق عن يساره ثلاثا ، وليستعذ بالله من الشيطان ثلاثا ، وليتحول عن جنبه الذي كان عليه) .

اذا استيقظ من الليل وأراد النوم بعده :

اذا استيقظ الانسان من الليل وأراد النوم بعد ذلك تلا ما استطاع من الأذكار الواردة عند ابتداء النوم . وثمة أذكار أخرى ينبغي الحرص عليها . منها ما رواه البخاري عن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : (من تعار (استيقظ) من الليل فقال : لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، والحمد لله ،وسبحان الله ، ولا اله الا الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة الا بالله ، ثم قال : اللهم اغفر لي ، أو دعا استجيب له فان توضأ وصلى قبلت صلاته) .

ومن ذلك ما رواه أبو داود عن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان اذا استيقظ من الليل قال (لا اله الا أنت سبحانك ، اللهم أستغفرك لذنبي وأسألك رحمتك ، اللهم زدني علما ولا تزغ قلبي بعد اذ هديتني وهب لي من لدنك رحمة انك أنت الوهاب) .

استحباب الذكر والدعاء والاستغفار في الليل :

يستحب الدعاء في الليل رجاء أن يصادف ساعة الاجابة ، فقد روى مسلم عن جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنه ـ قال : سمعت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول :
(إن في الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله تعالى خيرا من أمر الدنيا والآخرة الا أعطاه الله إياه ، وذلك كل ليلة) .

كذلك يستحب الذكر في جوف الليل الأخير ، فقد روى أبو داود والترمذي وقال : حديث حسن صحيح عن عمرو بن عبسة ـ رضي الله عنه ـ أنه سمع النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول :
(أقرب ما يكون العبد من الرب في جوف الليل الآخر ، فان استطعت أن تكون ممن يذكر الله تعالى في تلك الساعة فكن) .

كما يستحب الأستغفار في هذا الوقت فقد روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال :
(ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول : من يدعوني فأستجيب له ، ومن يسألني فأعطيه ، ومن يستغفرني فأغفر له) .

استحباب الأضطجاع بعد ركعتي الفجر :

يستحب للانسان أن يضطجع على شقه الأيمن بعد أن يصلي ركعتي الفجر .

فقد روى البخاري عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت « كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ اذا صلى ركعتي الفجر اضطجع على شقه الأيمن »

وروى مسلم من حديث عائشة « ... فاذا سكت المؤذن من صلاة الفجر وتبين له وجاء المؤذن قام فركع ركعتين خفيفتين ثم اضطجع على شقه الأيمن هكذا حتى يأتيه المؤذن للاقامة » .

وروى أبو داود والترمذي وقال : حديث حسن صحيح عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم :
(اذا صلى أحدكم ركعتي الفجر فليضطجع عن يمينه)

استحباب تلاوة خواتيم آل عمران عند القيام من الليل

يستحب عند القيام من الليل تلاوة الآيات العشر الأخر من سورة آل عمران .

فقد روى البخاري عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال : بت عند خالتي ميمونة فتحدث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مع أهله ساعة ثم رقد ، فلما كان ثلث الليل الآخر قعد فنظر الى السماء فقال (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب ... الآيات) ثم قام فتوضأ واستن ثم صلى احدى عشرة ركعة ، ثم أذن بلال فصلى ركعتين ثم

خرج فصلى بالناس الصبح .
وروى مسلم مثله عن ابن عباس أيضا .

ذكر الله عند الأستيقاظ :

ينبغي ذكر الله تعالى عند الأستيقاظ من النوم ويكره ترك ذلك .
فقد روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : (يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم اذا هو نام ثلاث عقد ، يضرب على كل عقدة مكانها عليك ليل طويل فارقد ، فان استيقظ فذكر الله تعالى انحلت عقدة ، فان توضأ انحلت عقدة ، فان صلى انحلت عقدة كلها فأصبح نشيطا طيب النفس ، والا أصبح خبيث النفس كسلان) هذالفظ البخاري (قافية الرأس : هي المؤخرة) .

الأذكار الواردة عند الأستيقاظ :

وردت عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أذكار كثيرة عند الأستيقاظ .
ـ منها ما رواه البخاري عن حذيفة وأبي ذر ـ رضي الله عنهما ـ قالا : كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ اذا أوى الى فراشه قال : (باسمك اللهم أحيا وأموت) واذا استيقظ قال (الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا واليه النشور)

ـ ومنها ما رواه أبو داود عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان اذا هب (استيقظ) من الليل كبر عشرا وحمد عشرا وقال (سبحان الله وبحمده) عشرا وقال (سبحان القدوس) عشرا . واستغفر الله عشرا ، ثم قال (اللهم اني أعوذ بك من ضيق الدنيا وضيق يوم القيامة) عشرا ثم يفتتح الصلاة .
ـ ومنها ما رواه ابن السني باسناد صحيح عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال :
(اذا استيقظ أحدكم فليقل : الحمد لله الذي رد على روحي وعافاني في جسدي وأذن لى بذكره) .
ـ ومنها ما رواه ابن السني عن أبي هريرة أيضا قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم :
(ما من رجل ينتبه من نومه فيقول : الحمد لله الذي خلق النوم واليقظة ، الحمد لله الذي بعثني سالما سويا ، أشهد أن الله يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير ؛ الا قال تعالى : صدق عبدي) .

وهكذا يستقبل الانسان يومه مزودا بتقوى الله ، مطمئنة نفسه ، مستريحا فؤاده .

والله نسأل أن يوفقنا للصدق في القول والعمل

والى لقاء مع هدى نبوي كريم .

مائدة القارئ

الظل والفيء

في كتاب أدب الكاتب : يذهب الناس إلى أن الظل والفيء واحد ، وليس كذلك ، لأن الظل يكون من أول النهار إلى آخره ، ومعنى الظل الستر ، والفيء لا يكون إلا بعد الزوال ، ولا يقال لما كان قبل الزوال فيء ، وإنما سمي فيئا لأنه ظل فاء من جانب إلى جانب ، أي رجع من جانب الغرب إلى جانب الشرق ، والفيء : الرجوع ، قال تعالى « حتى تفيء إلى أمر الله » أي ترجع .

الصابر والشاكر

نظرت امرأة في المرآة ، وكانت حسنة الصورة ، وكان زوجها دميم الهيئة ، فقالت له - والمرآة في يدها - : إني لأرجو أن ندخل الجنة أنا وأنت

فقال : وكيف ذلك ؟ فقالت : أما أنا فلأني ابتليت بك فصبرت ، وأما أنت فلأن الله تعالى قد أنعم عليك بي فشكرت ، والصابر والشاكر في الجنة .

سبحانك

قالت اعرابية : سبحانك ما أشق الطريق على من لم تكن دليله ، وأوحشه على من لم تكن أنيسه .

ذات معنى

قال حكيم : عشيرتك : من أحسن عشرتك ، وعمك : من عمّك خيره ، وقريبك : من قرب منك نفعه .

الإخلاص لله

قال تعالى : « ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذاً من الظالمين . وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا رادّ لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم »
١٠٦ و ١٠٧ من سورة يونس

تحذير

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **لا ترجعوا بعدى كفارا . يضرب بعضكم وجوه بعض** ».

موعظة

قال الحسن البصري لرجل حضر جنازة : أتراه لو رجع إلى الدنيا لعمل صالحا ؟ قال : نعم . قال : فإن لم يكن هو فكن أنت .

إلى العمل

قال حكيم لرجل يستكثر من العلم ولا يعمل به : يا هذا ، إذا أفنيت عمرك في جمع السلاح فمتى تقاتل ؟

هكذا الحال

قال الشاعر :

أرى الناس في الدنيا كراعٍ تنكرت
مراعيه حتى ليس فيهن مرتع
فماء بلا مرعى ومرعى بغير ماء
وحيث ترى ماءً ومرعى فمسبع

حياء من الله

حج هشام بن عبد الملك ـ وهو خليفة ـ فدخل الكعبة ، فرأى فيها سالم ابن عبد الله بن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنهم ـ فقال الخليفة : يا سالم ، سلنى حاجة . فقال سالم : إنى لأستحي من الله أن أسأل في بيته غيره . فلما خرج سالم من الكعبة خرج هشام في إثره ، وقال له : الآن خرجت من بيت الله ، فسلني حاجة .
فقال سالم : من حوائج الدنيا أم من حوائج الآخرة ؟ قال هشام : من حوائج الدنيا .
فقال سالم : إني ما سألت الدنيا من يملكها ، فكيف أسألها من لايملكها !!

المصالح المرسلة في فقه الإمام مالك

للدكتور/محمد محمد الشرقاوي

تشتمل أصول الشريعة الاسلامية السمحة على أدلة فقهية متنوعة ، دل عليها أجتهاد الفقهاء ، وفقه العلماء .. مما جعلها مصدرا من مصادر الأحكام الشرعية العملية .. بالاضافة الى الموارد الأربعة المتفق عليها بين الأئمة الأربعة وهي : الكتاب والسنة والاجماع والقياس .. فهناك : الأستحسان والاستصحاب وسد الذرائع والبراءة الأصلية ، والمصالح المرسلة ، والأستدلال الشامل لشرع من قبلنا ، والتلازم ووجود السبب ، ووجود المانع ، وفقدان الشرط .. وكلها تعطيك صورة واضحة الملامح لحيوية التشريع الاسلامي ، وملاءمته للزمان والمكان ، ومرونته الذاتية ، وقابليته للتطور والمسايرة لما يجد في الحياة من حوادث لم يسبق بها الزمان ، ولم يسمع بها الأئمة الأعلام فيما مضى من الأوان .. وسنعرض اليوم لدليل المصالح المرسلة .. لأنها في فقه الامام مالك رضي الله عنه تحتل جانبا كبيرا .. بل إن غير المالكية قد لجأوا اليها من حيث دروا .. ومن حيث لم يدروا .. وذلك مثل إمام الحرمين والغزالي

وهما غير مالكية .. فالأول له كتاب « الغياثي » والثاني له كتاب « شفاء الغليل » وكلاهما مشحون بأحكام شرعية من وحي المصالح .. مع أنهم عابوا على المالكية استكثارهم من القول بالمصالح المرسلة ..

.. والمصالح المرسلة .. أي المطلقة من نص معين في القرآن والسنة باعتبارها .. أو بالغائها .. ولذا سميت مرسلة .. أي متروكة بلا إذن فيها .. وبلا منع عنها .. ولكن تشهد لها أصول عامة وقواعد كلية منثورة ضمن الشريعة بحيث تمثل هذه المصلحة الخاصة واحدة من جزئيات هذه الأصول والقواعد العامة .. وهي لون من ألوان النظر الذي هو باب من أبواب الأجتهاد الملائم لقواعد الشريعة ، وقد قرر الشاطبي في الموافقات حـ ٢/٣٤٢ أن كل ما أحدثه السلف الصالح إنما هو من هذا القبيل .. لا يتخلف عنه بوجه .. وليس من المخالف لمقصد الشريعة أصلا ، لما روى أحمد والبزار موقوفا : (ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن) .. ولحديث « إن أمتي لا تجتمع على ضلالة » رواه ابن ماجه .

فثبت أن هذا المجمع عليه موافق لقصد الشارع ، وسماه في الأعتصام جـ ٢/١١٣ : المعنى المناسب الذي يرتبط به الحكم ، وسكتت عنه الشواهد الخاصة فلم تشهد لا بأعتباره ، ولا بالغائه ، ولكنه ملائم لتصرفات الشرع .. من حيث إنه يوجد معناه في جنس عام أعتبره الشارع في الجملة بغير دليل معين وقد ضرب له عشرة أمثلة منها :

(١) أتفاق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على جمع المصحف وكتابته على الصورة التي وصل الينا من غير نص سابق معين على جمعه وكتابته .. بل إن بعض الصحابة اعترض بادىء ذي بدء وقال : كيف نفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ وقد حدث ذلك مرتين : مرة باشارة أبي بكر استماعا لمشورة عمر .. فجمع زيد بن ثابت رضي الله عنه القرآن كله من الرقاع والعسب (جريد النخل) واللخاف (حجارة بيض رقاق) ومن صدور الرجال وسميت هذه الجمعة (الصحف) ووضعت عند أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها ، والثانية : جمعها أيضا زيد بن ثابت مع ثلاثة من قريش هم : عبدالله بن الزبير ، وسعيد بن العاصي ، وعبدالرحمن ابن الحارث بن هشام بأمر من عثمان رضي الله عنه ، وأمرهم عند الخلاف أن يحكموا لغة قريش لأنه نزل بلسانهم ، وذلك حينما .. استشعر حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قائد جيوش الاسلام في فتح أرمينية وأذربيجان الخوف على القرآن ، وكان يغازي أهل الشام وأهل العراق .. فسمع اختلافهم في القران ، وقول بعضهم

لبعض : قرآني خير من قرآنك .. فذهب لعثمان وقال له : يا أمير المؤمنين . أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب .. كما أختلفت اليهود والنصارى » فأرسل عثمان الى حفصة رضي الله عنهما : أرسلي الى بالصحف ننسخها في المصاحف .. ثم نردها اليك .. فنسخت ثم بعث عثمان الى كل أفق من آفاق البلدان المفتوحة بمصحف من تلك المصاحف .. ثم أمر بما سوى ذلك ، بحرق كل صحيفة أو مصحف غير هذا المصحف الأخير ولم يخالف في ذلك الا ابن مسعود رضي الله عنه .. ومعروف في أصول الفقه أن خلاف واحد أو أثنين لا يقدح في صحة الاجماع على الراجح .. هذا عمل لم يرد فيه نص من كتاب أو سنة لكن الصحابة رضوان الله عليهم رأوا فيه مصلحة محققة لحماية مصدر الاسلام الأول ، من الصدع والتشقق .. مع ما يتبع ذلك من تمزق الأمة ، وتعدد فرقها كما حدث في الأمم السابقة وهو ما نهى عنه القرآن عموما في قوله تعالى : (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء) الأنعام / ١٥٩ . فهي مصلحة تناسب الشرع قطعا ، وهذا العمل له ما يشفع له .. فقد كتب القرآن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم متفرقا غير مجموع ولا مرتب .

(٢) اتفق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على حد شارب الخمر ثمانين جلدة .. ومستندهم في ذلك هذه المصالح المرسلة التي لم يرد في خصوصها نص معين ، ولا رأي محدد .. إذ لم يكن في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم حد مقدر لا بأربعين ولا بثمانين .. وإنما كان الأمر أشبه بالتعزير والتأديب حسبما يرى الحاكم .. فلما آل الأمر الى أبي بكر الصديق رضي الله عنه نظر في الأمر حتى جعل الحد أربعين جلدة لكل شارب .. ولكن الناس استهانوا بهذا التقدير ، وهان عليهم احتماله .. واندفعوا غير مبالين .. لأنه في طوق الأحتمال .. الى أن أنتهى الأمر الى عثمان بن عفان رضي الله عنه . فجمع الصحابة .. بعد أن هاله ما رأى من اندفاع الناس ، وترديهم في هذا الداء العياء ، واستشارهم .. فمما قيل .. ما روى عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : من سكر هذى ، ومن هذى افترى .. فأرى عليه حد المفترى (أي حد القذف وهو ثمانون جلدة) فأخذوا بهذا الرأي بدافع المصلحة التي تلائم مقاصد الشرع ، وتستهدف أغراضه العليا .. من دون أن يكون فيها نص معين ، وانعقد بذلك الاجماع ، لأن أحكام الشريعة الكلية تتضمن ، هذا فقد أقيمت الأسباب مقام المسببات ، والمظنة مقام التحقق ، فمثلا : جعل الايلاج كالانزال في وجوب الغسل ، وجعل حافر البئر كالمعتدي بالنسبة لمن ألقى بنفسه

في البئر ، وحرمت الخلوة بالأجنبية حتى لا تصير ذريعة الى الفساد .. وهنا كذلك رأوا أن الشرب ذريعة الى الأفتراء الذي تقتضيه كثرة الهذيان ، فانه أول مبادرات الشارب ، وهو يدل على إسناد الأحكام الشرعية الى المعاني الكلية .. اذا لم يوجد أصل معين .

(٣) أتفق الصحابة كذلك على تضمين الصناع حيث قال علي كرم الله وجهه : « لا يصلح الناس الا ذاك » ووجه المصلحة هنا : حاجة الناس الى الصناع ، ومشقة الأستغناء عن الصناعة بالكلية .. مع عدم الاحتياط الكامل للحفظ من جانب الصناع نظرا لكثرة أعمالهم وتعرضهم لأختلاط الغير بهم .. وهذا يؤدي الى التراخي والتفريط في وسائل الحفظ اللازمة .. فلو لم نضمنهم ثمن ما ضيعوه ، وما أتلفوه .. لأدى ذلك الى فتح أبواب أخرى للاضاعة والاتلاف كالخيانة والمغالطة وغير ذلك .. وهذا وإن كان فيه مفسدة من جهة أن الصانع قد يكون بريئا ، وقد يتلف المال عنده على الرغم منه ، الا أنا نعتبر هذه المفسدة في مقابل مصلحة أخرى راجحة عليها .. وهي أن الغالب في ضياع الأموال ليس التلف السماوي .. وإنما التفريط الانساني .. وما من أمر من الأمور التي تعرض لها الأحكام الا وفيه مفسدة من جانب ومصلحة من جانب ، والعبرة بالراجح منهما في نظر المجتهد الذي له دربة ومران على المقارنة ، والترجيح .. وفي الحديث الشريف : (لا ضرر ولا ضرار) وفيه النهي عن تلقي الركبان بالبيع حتى يهبط البائعون بسلعهم في الأسواق منعا للاحتكار الذي يعم ضرره في مقابلة الربح الخاص بمن يتلقى الركبان .

(٤) اختلفوا في جواز ضرب المتهم وسجنه بلا بينة لحمله على الاقرار .. أو إزالة الغموض في التهمة الموجهة اليه .. فالشافعي لا يقول بذلك لما فيه من فتح باب تعذيب البرىء ، ولأن إقراره في هذه الحال لا يقبل لأنه مكره عليه ، والاكراه يزيل الأختيار وهو شرط لقبول الاقرار .. ولكن مالكا رضي الله عنه جريا على نظرته في المصالح المرسلة يرى أن هذه المفسدة تقابلها مفسدة أشد ، وهي تعذر استخلاص الأموال من أيدي مغتصبيها ، لأن البينة قد لا تتيسر ، مع وجود قرائن مريبة تلقى ظلالا من التهمة على المتهم .. إذ لا يعقل عادة أن تشير أصابع الأتهام لأي رجل أو لأية امرأة بدون سابق ريبة .. أو لمجرد الدعوى .. بل لابد من اقتران قرينة تحيك في النفس ، وتحدث في القلب نوعا من الشك نحو شخص بعينه .. فغالبا لا يصادف التعذيب والضرب والحبس بريئا .. ، وإن أمكن ذلك فهو مغتفر .. لأن العبرة بأغلب الأحوال .. فكانت المصلحة في التعذيب وسيلة الى التحصيل والاقرار .

الحجاب فرضيّته ودفع الشبهات عنه

للأستاذ : طارق محمد الحسيني سرحان

مع انبلاج فجر الصحوة الاسلامية المباركة اشتغل الناس اكثر ما اشتغلوا باصلاح أنفسهم وتصويب أفعالهم وترشيد عاداتهم وأنماط حياتهم لتصبح موافقة لدين الله القويم كما جاء بكتابه الحكيم وسنة رسوله الكريم وقد كان طبيعيا أن تنضح هذه الشحنة الايمانية التي ملأت القلوب لدرجة لم يعد معها كتمانها محتملا فظهر نورها على سمات الرجال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه كما علت هذه الانوار الايمانية - التي ظلت طيلة ما يربو على نصف قرن خلت حبيسة الصدور - غرر الحرائر من نساء المؤمنين فاذا هن قد اختمرن وتحجبن ، بل سارعت كثيرات منهن وقد غلبتهن قوة ايمانهن وشدة حيائهن فانتقبن غير عابئات ولا مكترثات بما يشن عليهن من حملات للتشهير بهن حقدا عليهن من أخريات سافرات جحدن دين الله وكرهته أنفسهن فياويلهن ما لم يتبن ويتوبَ الله عليهن .

وقضية حجاب المرأة ومحاربة سفورها تعتبر من القضايا الهامة بل والرئيسية التي إن نجح الدعاة في كسبها فانهم يكونون قد ساهموا بطريقة ايجابية في سد أبواب غواية وفتنة عدها رسول الله صلى الله عليه وسلم من أفتك الفتن ألا وهى فتنة النساء . كما أن الدعاة بنجاحهم هذا يصلون الى السيطرة على أهم عوامل إفساد مجهوداتهم في نواحي الدعوة الأخرى التي خارت فيها عزائمهم من كثرة ما قد بحت حناجرهم مع أناس قد تسبب السفور والتبرج في زيغ أبصارهم وتغليف قلوبهم بران استحال معه أن يكون في قلوبهم طاقة وشحنة ايمانية تقودهم إلى اقام الصلاة وايتاء الزكاة وسائر العبادات ناهيك عن الجهاد الذي ماتت حميته في القلوب وسئمت من سيرته النفوس وقد ساهم كل ذلك بطريقة فعالة في جرويلات كثيرة دمرت مجتمعاتنا خلقيا وأوشكت معها العقيدة أن تجتث اجتثاثا .

ان العمل على نشر الحجاب لمن أهم المسائل التي يجب التركيز عليها لكي نصل بالمسلمين الى المجتمع الاسلامي في مظهره وجوهره ، وهو المجتمع الفاضل . الذي تبدو فيه الفضيلة وتختفي فيه الرذيلة ويؤمر فيه بالمعروف وينهى فيه عن المنكر .

فالحجاب من المظاهر الايمانية للمجتمعات الاسلامية الفاضلة . وهو من الظواهر الصحية التي تدل على سلامة العقيدة وقوة الايمان بالله واليوم الآخر والخوف من النار والطمع في رحمة الله والفوز بالجنة . وعلى العكس من ذلك تماما نجد أن السفور والتبرج انحلال وانحطاط ما بعده انحطاط وهو من الظواهر المرضية التي تدل - بالجملة - على فساد العقيدة وضعف الايمان بل وتنم - بالاصرار والتحدي - على تعمد مبارزة الله بالعظائم من الذنوب وتحدي ارادة الله في بلاد الاسلام وربما عدم يقين بالله واليوم الآخر والاستهتار بوعيد الله ووعده وربما الكفر في بعض حالات انكار فرضية الحجاب من الله ورسوله بعد العلم بفرضيته . ولنا أن نتخيل مجتمعا مريضا كهذا قد نم مظهره على قبح جوهره ! فأنى لجهود الدعاة في الدعوة الى الصلاة والصيام والحج - ناهيك عن الجهاد المقدس - أن يثمر في رجاله ؟؟ !!

وأنى للتقوى أن تزدحم بها صدور المسلمين وقد ساهمت هذه المظاهر القبيحة بكل ما تحمله من معاني التبجح ومعاداة الله ورسوله في انهزام القوى الايمانية النورانية التي فطر الله عليها سائر خلقه ؟؟

لقد ساهمت كل هذه العوامل في دخول الوهن قلوب الرجال المخنثين فاستحبوا الدنيا على الآخرة واستحبوا العمى على الهدى !! **فياويلهم ! وانني بيقين لا أكون متجنيا على النساء اذا أرجعت كل ما أدى الى تمزق الأمة الاسلامية ووهنها الى التبرج والسفور . واذا كان ذلك كذلك فلا عودة الى العزة والكرامة والنصر على الأعداء ، الا على أيدي رجال قد اشتد عزمهم وقوى ايمانهم بالله في مجتمع فاضل كريم سليم خال من كل ما يسبب خور العزائم وفتور القوى وانعدام الرجولة .**

التعريف بالحجاب :

الحجاب لغة هو : الستر ويقال حجب الشىء بالشىء أي ستره فلم يظهر منه أي جزء . فمثلا يقال : حجبت السحب قرص الشمس . أي اختفت الشمس تماما فهى محتجبة . أما شرعا : فهو اللباس الذي تستر به المرأة جسدها كله ما عدا وجهها وكفيها وكذا ابتعادها عن مخالطة الرجال .

وأدلة ذلك ما روى عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله لأسماء : « يا أسماء ان المرأة اذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها الا هذا وهذا . وأشار الى وجهه وكفيه » رواه أبو داود .

وعن ابتعاد المرأة واحتجابها عن مخالطة الرجال فدليله ما روى عن أم سلمة رضى الله عنها أنها كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وميمونة ، قالت : فبينما نحن عنده أقبل ابن أم مكتوم فدخل عليه وذلك بعدما أمرنا ـ بضم الألف ـ بالحجاب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « احتجبا منه » فقلت يا رسول الله أليس هو أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أوعمياوان أنتما ؟ ألستما تبصرانه ؟ » أخرجه أبو داود والترمذي وقال الترمذي حديث حسن صحيح .

والمرأة في الاسلام باجماع الفقهاء جسدها كله عورة ، وما فرض الحجاب في القرآن والسنة الا لستر هذه العورة وقمع الفتنة وسد أبواب الغواية وقطع دابر الشيطان وتزكية النفوس .

وقد قال الله عز وجل : (**وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الاربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون**) النور / ٣١ .

فأين المرأة الآن من حدود الله ؟؟ إنها قد انفلت زمامها وانقلب أمرها رأسا على عقب ، فلا تراها أمام من أباح الله لها إبداء زينتها لهم بغير حرج إلا في ثياب مسدلة على جسدها قبيحة في مظهرها نتنة رائحتها ! حتى إذا ما عزمت على الخروج اجتهدت في التزين وتصفيف الشعور وابراز النهود والأرداف وكشف السواعد والسيقان والتعطر وتغيير الخلقة بالمساحيق !! كل ذلك لأنها ستخرج على من حرم الله عليهم مشاهدتها !! فأي عصيان لله بعد ذلك ؟؟ وأي انسلاخ من ربقة الاسلام يفوق هذا العبث بمشاعر الرجال وتحدي ارادة الله ومبارزة ما دعى اليه من فضائل بهذا القبح البين والسلوك الشيطاني !! ؟؟ .

وفي آية الحجاب الثانية يقول الله تبارك وتعالى : (**يا أيها النبي قل**

لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما) الاحزاب / ٥٩ .

ومعنى ضرب الخمار في آية سورة النور تغطية الرأس والعنق وفتحة الصدر كما أن الجلابيب لابد أن تكون دانية على جسد المرأة كله بما يستره كله .

وبامعان النظر في الآيتين الكريمتين نجد الخطاب فيهما (للمؤمنات ونساء النبي وبناته ونساء المؤمنين) لذلك كان الأمر بالحجاب مبنيا على عقيدة وايمان . وهذه نقطة في غاية الأهمية إذ الأصل في العمل الاعتقاد .

ان ايمان المرأة بالله واليوم الآخر هو الأساس الذي ينبنى عليه مطالبتها بالحجاب . ومن ثم فانك ترى صحيحات الاسلام يسارعن في لبس الحجاب بينما ناقصات الايمان يتباطأن ويسقن الحجج الواهية .

ولو أيقنت هذه الرافضة للحجاب أنها لا تدخل الجنة ولا تجد ريحها ، ولو علمت علم اليقين أن سفورها سيقودها الى نار حرها لظى ، نزاعة للشوى ، تدعو من غلبها الشيطان والهوى ، لأسرعت مهرولة تمزق ملابس التبرج والسفور لتستبدل بها ملابس العفة والاحتشام طاعة لله ورسوله خوفا من الجحيم وطمعا في جنة النعيم .

في صفة الحجاب وشروطه :

لكي تمتنع الفتنة بارتداء النساء للحجاب لابد أن تكون الثياب فضفاضة غير ضيقة حتى لا تبرز عضلات جسمها ، كما يجب أن يكون لباس الحجاب من القماش السميك الذي لا يشف ما تحته من ملابس داخلية ، فلو كانت ملابس المرأة شفافة « من النايلون والشيفون » فان المرأة لا تزال سافرة ولو غطى الثوب بدنها كله وكان فضفاضا . وهى بهذه المراوغة تخادع الله والذين آمنوا وما تخدع الا نفسها ، ومن ثم لا تفلت من عذاب الله الاليم ولن تدخل الجنة لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « صنفان من أهل النار **من أمتي** لم أرهما بعد : نساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤسهن كأسنمة البخت لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ، ورجال معهم سياط مثل أذناب البقر يضربون بها عباد الله » رواه مسلم .

ثم لندقق ونمعن النظر ونعمل كل عقولنا في قوله عليه الصلاة والسلام : « من أمتي » يعنى مسلمات بل مصليات صائمات بل وحاجات ومزكيات متصدقات ، لكنهن من أهل النار لسفورهن وتبرجهن وتعمدهن فتنة الرجال والهائهم عن عبادة الله والجهاد في سبيله . وقد فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله « كاسيات عاريات » بأن المرأة تكتسي ما لا يسترها فهى كاسية وفي الحقيقة عارية ، مثل من تكتسي الثوب الذي يصف بشرتها أو يبدي تقاطيع جسدها .

ومن صفات الحجاب الصحيح وشروطه فضلا عما تقدم ألا يكون مزركشا ألوانه معصفرة « فاقعة » تجذب الأنظار . كما يجب ألا يكون مطيبا « معطرا »

وقد روى عن أبي موسى الأشعري أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أيما امرأة استعطرت ثم خرجت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهي زانية » رواه أحمد والنسائي والحاكم وفي رواية حتى تعود وتغتسل . وفي رواية فهى ملعونة . وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أيما امرأة أصابت بخورا فلا تشهد معنا العشاء الآخرة » رواه مسلم وأحمد . واذا كان التشديد في الأحاديث الشريفة قد خص مريدة المسجد !! فكيف بالمائلات اللواتي يرتدن الاسواق أو يذهبن الى العمل ، وقد بالغن في التعطر الشذي الذي تفوح رائحته لمسيرة عشرات الأمتار !!

وأخيرا يجب ألا يشبه الحجاب لباس الكافرات مثل ارتداء المرأة البنطلون أو البدلة ولو كان البدن قد تغطى كله وذلك لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من تشبه بقوم فهو منهم » رواه أبو داود والطبراني .

رد شبهات أعداء الحجاب :

لما كان الحجاب مظهرا إيمانيا لمجتمع مسلم ذي عقيدة راسخة فقد كان طبيعيا أن تثور حوله الشبهات وتروج ضده الشائعات التي يحيكها أعداء الاسلام من خارجه وهم معروفون ، ومن داخله وهم كثيرون !! فلا أقل من ٧٠٪ من المسلمين بالانتماء لا يعرفون عن الاسلام الا اسمه ومن القرآن الا رسمه وهم يمثلون عددا كبيرا فيما بينهم يشكل خطرا داهما على العقيدة الاسلامية ، انهم الملحدون والشيوعيون والبهائيون والماسونيون والعلمانيون ، الذين يدعون الاسلام لمجرد الانتماء !! فلا غرابة اذن أن يشن هؤلاء حملة هوجاء حمقاء ضد العفيفات الطاهرات القانتات لله والملتزمات بالحجاب . ولا عجب أن يشهر بهن حقدا عليهن من السافرات المتبرجات .. من ذلك مثلا زعم السافرات أنهن رغم سفورهن فهن عفيفات شريفات أخلاقهن سامية وثقتهن في أنفسهن تجعلهن في غنى عن لبس الحجاب الذي تتخذه المحجبات ستارا لفجورهن !!

وهذه شبهة من أفتك الشبهات التي يروج لها أعداء الاسلام من الكفار والمنافقين لاضعاف عزيمة الاخوات المحجبات لعلهن يرتددن الى السفور والتبرج ، هذا من ناحية . ومحاولة غرس روح الكراهية لدين الله وللحجاب في نفوس الناشئة ولصرف الفتيات اللاتي يردن التحجب الى السفور والانحلال الخلقي والاباحية الجنسية والشيوعية والالحاد من ناحية أخرى .

وأود أن أسترعى انتباه القارىء الفطن الى أن ادعاء السافرات بأنهن عفيفات هو في حقيقته ادعاء متناقض مع طبيعة السفور ، فالسفور لغة معناه : الكشف ، يقال سفرت المرأة اذا كشفت عن وجهها فهى سافر . والمعنى المرادف للسفور « التبرج » وهو اظهار المرأة زينتها ومحاسنها للرجال وقد عده معظم الفقهاء من أعظم الكبائر بعد الشرك بالله . أما العفة فمعناها : الاستعلاء والترفع عن الدنايا والخسة ومجاهدة النفس لحملها على ما يسمو بها على نزواتها . فيقال

امرأة عفيفة عفة اذا هي ترفعت وسمت عن عرض نفسها على الرجال للزواج اذا مات عنها زوجها مثلا . وكذلك الحال اذا عفت الفتاة عن طلب الزواج . وهذا هو ما أفهمه ويفهمه كل الناس وتفهمه السافرات عن العفة .

واذا كان ذلك كذلك . ففي أيهما العفة حقا ؟؟ في ملابس تستر جسد المرأة وتحجب كل مفاتنها عن أعين الرجال لتكون عالية سامية ؟؟ أم في عرض هذه المفاتن غثة رخيصة يراها العلي والوضيع والخلوق والصعلوك ؟؟ ثم أين العفة في تعمد السافرات عرض السيقان والقوام والنهود والأرداف والشعر ؟؟ !! أم أن السافرات يقصدن بالعفة التعالي على صنف من الرجال دون الآخر ؟ فهن مترفعات على الفقير طالبات ـ بعرض أجسادهن ـ لفتى الاحلام ؟؟ ثم المرأة وقد تزوجت بل وأنجبت فلمن تعرض مفاتنها ؟؟ ولماذا ؟؟ !! أين العفة ؟؟ في أي شيء من أجسادهن بقيت عفتهن ؟؟ انني أرى فن التبرج والسفور بكل ما يعنيه من كشف واظهار للمحاسن والمفاتن أمام الرجال ـ سواء عن قصد أو غير قصد ـ خسة وضعة . وانعدام عفة .

وما تدعيه السافرات بأنهن على درجة عالية من الاخلاق رغم سفورهن فمردود عليه بأن العفة من الخلق . والحياء من الايمان وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الحياء والايمان قرنا جميعا ، فاذا رفع أحدهما رفع الآخر » رواه الحاكم والبيهقي .

فاذا انعدم الحياء انعدم الايمان واذا انعدمت العفة انعدم الخلق أو ربما انحط ولم ينعدم ! وحتى اذا بقي شيء من الخلق لدى السافرات فما الذي يمنع من اكتمال الخلق بارتداء الحجاب ؟؟

أما الزعم بأن كثيرات من المحجبات يستترن وراء الحجاب لاخفاء حقيقة أمرهن ، فمردود عليه ـ بأن التحجب مظهر اسلامي اجتماعي ، وسلوك فردي عقائدي قائم على عقيدة إيمانية . ونود التأكيد على أن الدعوة الى الحجاب ليست عصا سحرية يعول عليها في انهاء كل نواحي الفساد والفجور اذ التبرج أحد المظاهر الاجتماعية ذات المسلك الفردي التي لا يملك الداعية ـ في ظل حكم غير اسلامي ـ مواجهتها الا من زاوية فردية ليصل بها شيئا فشيئا الى مظهر اسلامي جماعي . وان سقطت امرأة محجبة في زلة فانا نحمد لها ـ وقد سترها الله ـ أن كان وزرها على نفسها فقط ، وقد كان في امكانها هي بذاتها أن تقترف وزرها من غير حجابها لو ظلت على سفورها ، ولكنها بحجابها قد سلم منها المظهر الاسلامي الاجتماعي ما بقيت في ستر الله عليها . وهي ليست بقبح زلتها المستورة قدحا في الحجاب كسلوك فردي عقائدي ولا كمظهر اجتماعي اسلامي .

وأخيرا زعم مدعو التقدمية أن الحجاب لا يناسب ظروف العصر ، ويلومون عليه أن كان عائقا للمرأة عن مواكبة التقدم الحضاري !! ونحن نقول لهؤلاء

الشياطين اتركوا المرأة لتكون أمة لله ولتتحرر من عبوديتها لنزواتكم ، ولتنطلق من ربقة أسركم لها ألعوبة تصلون بها الى شيوعيتكم والحادكم . وهى ان صارت أمة لله حرة بين الناس فان ثمن حريتها هو التزامها بمنهج الله كما أمرها الله ورسوله . وليست مواكبة التقدم الحضاري أيها المارقون عن دينكم ثمنا كافيا لتفتدى به المرأة عذاب الجحيم وخسرانها جنة النعيم .

ثم بالله نسأل في دهشة : أي تقدم حضاري هذا الذي يستوجب من المرأة كشف ساقيها لكي تواكبه ؟؟ !! وأي عمل هذا الذي يتعطل وتقل فيه كفاءة وفعالية المحجبات بسبب حجابهن لا غير ؟؟ !! لقد رأيناهن بين الطبيبات والمدرسات والعاملات الناجحات . وكلنا يعلم بأن الحجاب ساد مجتمعات اسلامية ذات حضارة يشهد التاريخ أنها سحقت امبراطوريتي الروم والفرس على سفور نسائهم ودعارتهن ، كما ويشهد التاريخ بانهيار حضارات ما قبل الميلاد بسبب المجون والرقاعة وخلاعة النساء !! أليس كذلك ؟؟ فأين التقدمية اذن ؟؟ !

من المسئول أمام الله ؟ :

يظن الكثيرون عند طرح قضية الحجاب أن المسئول بين يدي الله عن عرى النساء وسفور المجتمع هو الحاكم الذي بيده امكانية تعزير كل خارج عن دين الله ، وان كان هذا الظن في محله لمسئولية الحاكم عن رعيته أمام الله فان تراخيه وتهاونه في مسئوليته لا يعفى الرعية بدورهم من المسئولية أمام الله . فرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ... والرجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيته .. الخ » متفق عليه .

والذين يلقون بالتبعية على الحكام سيكونون ممن قال الله فيهم : (**يوم تقلب وجوههم في النار يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا . وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا . ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا**) الأحزاب / ٦٦ ـ ٦٨ .

فالرجل مسئول عن زوجته وابنته ، وليس مسئولا عن الحاكم ، والحاكم مسئول عن الرعية كلها . وقد تبين من حديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لأسماء أن الحجاب مفروض على البنت متى بلغت المحيض ، وفي ذلك رد على ما يروجه السفهاء من الناس بتأجيل الحجاب لما بعد زواج البنت .

وقد أعطى الله حق القوامة للرجل ليكون قيما على بيته بما أمر الله ورسوله .وقد اعطاه الله حق الموعظة ثم هجر الزوجة الناشز ثم الضرب . ثم أخيرا وان كان الطلاق بغيضا الى الله فان الكفر أبغض ، و للرجل اذا أيس من زوجته التي تحادد الله ورسوله وتصر على سفورها بعد نصحها وهجرها وضربها لعام

كامل مثلا أن يلجأ الى الطلاق ، لأنه قد أصبح أمام امرأة ناشز عن طاعته في الله ، قد آثرت هوى نفسها على دين الله ، وأصرت بعناد على سفورها واستكبرت عن آيات الله بعد امهالها وهى بذلك تكون قد ارتضت لنفسها التمرد على دين الله .

أما أن يتراخى الزوج أو الأب في قوامته على زوجته وابنته بدين الله فانه يكون بتراخيه وتهاونه قد عطل حقا خوله الله اياه ليكون رجلا ، لا ليكون عاصيا أو فاسقا بارتضائه ما يستوجب غضب الله وسخطه . فياويله اذا لم ينصح أهله وذويه لله .. ويا ويله اذا لم يغر على عرضه وقد قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مثل هذا : « ما من عبد استرعاه الله رعية فلم يحطها بنصيحة الا لم يجد رائحة الجنة » أخرجه البخاري وليقرأ هذا الحديث الشريف بعين الخشية والاعتبار أزواج حاربوا زوجاتهم اللاتي يردن الالتزام بالحجاب !! وقد سمعنا كثيرا عن خلافات بين زوج يأمر أهله بالتبرج والسفور !! وهم يرغبون في طاعة الله !! وقد انتهت بعض هذه الحالات بالطلاق !! واذا كان ذلك كذلك ؟ أفلا يكون الرجل رجلا ؟ وهلا يسرع الرجال بتحمل مسئولياتهم قبل أن يقفوا بين يدي الله وما لهم من حميم ولا شفيع يطاع ؟؟

وبعد ...

فهذا هو القول الفصل في قضية الحجاب ، وماذاك الا لأنه مأمور به من الله ورسوله : (**وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا**) الأحزاب / ٣٦ .

فشيمة المؤمن والمؤمنة السمع والطاعة لله ورسوله بلا جدال بالباطل ، انما الجدال بالباطل صفة من صفات المنافقين والكافرين : (**ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا**) غافر / ٤ .

ولا يكون النقاش بقصد التعجيز في آيات الله ، ولكن بقصد استجلاء الحقيقة ودفع الشبهات . والله سبحانه وتعالى يقول : (**إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون**) النور / ٥١ .

وليتذكر كل من يريد التوبة أن ما من ذنب ـ وان عظم ـ الا وله توبة . والله سبحانه وتعالى يقول : (**قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم**) الزمر / ٥٣ .

ألا هل بلغت اللهم فاشهد واكتبني مع الشاهدين .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ..

الخوارزمي

للأستاذ / منذر شعار

يحمل لقب الخوارزمي أكثر من علم في تاريخنا ، ولكن أجلّهم قدرا عند الغربيين هو « محمد بن موسى » أبو عبد الله ، الخوارزمي ، العالم الفلكي والرياضي الذي كان منقطعا إلى خزانة الحكمة ببغداد أيام الخليفة المأمون ، وتوفي ما بين سنتي ٢٢٠ و ٢٣٠ للهجرة ، حسب رأي (سوتر H. Suter) ، وبعد سنة ٢٣٢ حسب رأي (نللينو Nallino فهو قد عاش ـ على هذا ـ الى ما بعد خلافة الواثق بالله ، ويرجح علماء الغرب أنه اشترك في حساب ميل الشمس ، ومحيط الأرض ، اللذين أجريا في عهد المأمون ، وهذا يعطي فكرة أن الخوارزمي بدأ حياته عالما من علماء **الهيأة** :

وعلم الهيأة : **هو علم يبحث عن احوال الأجرام البسيطة العلوية والسفلية من حيث الكمية والوضع والحركة اللازمة لها وما يلزم منها ، ويبحث في أعداد الأفلاك ومقادير الأجرام والأبعاد ، وفي اليوم و أجزائه ، وفي الأجسام الفلكية ولونها وضوئها وقربها وبعدها ، وحيلولة الأرض بين النيرين ، (فهو علم الفلك)** . // وقال ابن النديم في الفهرست عنه : « وكان

مُعَلِّم أوروبا الحِسَاب

الناس قبل الرصد وبعده ـ يعولون على زيجيه الأول والثاني ويعرفان بالسند هند ».

وعلم الفلك هذا يحتاج إلى بصر أي بصر بـالحساب ، وكـل فلكي فهو رياضي ، ولكن الخوارزمي أبا عبد الله برع براعة هائلة في الحساب فأتى بما يستفيد منه العالم كله من زمنه . إلى هذا اليوم .

وإن أغلب كتب الخوارزمي مفقودة بالعربية ، موجود بعضها باللاتينية ، فـان الخوارزمي من الـذين شُدِه بعلمهم الأوربيون ، فتلقفوا كتبه ، ونشروها ، ودرسوها ، واعتنقوا ما فيهـا ، وإن أكثر مـا نعرفـه عن الخـوارزمي ، نحن قـومـه ، وعن رياضياته وفلكه إنما هو عن طريقهم .

وقـد عـدد كـل من تـرجمـوا للخوارزمي من المسلمين كتبه التي ألّفها ، كابن النديم في (الفهرست) وحاجي زادة في (كشف الظنون) ، والقفطي في (إخبار العلماء بأخبار الحكمـاء وقد اختصـره الزوزني ، وسمي المختصر (تاريخ الحكماء) وطبعه في ليـبزيغ .

وهذه الكتب هي :

١ ـ كتاب التاريخ ، فلذلك يَعُدّ العلماء الخوارزمي مؤرخا ، وذكر هذا الكتاب المسعودي في (مروج الذهب) وقال إنه من مصادره .

٢ ـ الجبرو المقابلة .

٣ ـ الزيج ، جزءان . وهو فرع من الفلك ، وهو أحوال حركات الكواكب ، من كسوف وخسوف وظهور وخروج واختفاء .

٤ ـ كتاب الرخامة

٥ ـ كتـاب العمـل بـالاسطـرلاب والاسطرلاب : كلمة يونانية الأصل ؛ اطلقت على عدة آلات فلكية تنحصر في ثلاثة أنواع رئيسية بحسب ما إذا كانت تمثل مسقط الكرة السماوية على سطح مستو ، أو مسقط هذا المسقط على خط مستقيم ، أو الكرة ذاتها بلا أي مسقط ، ويستفاد منه في الرصد ، ويعلم به إرتفاع نجم ما ، ومقدار ما انقضى من ساعات النهار والليل ،

ويمهد إلى حل جميع مسائل علم الفلك ، وقد زاد عليه العرب ، ولا سيما العالم الأندلسي : الزرقالي ، ونصير الدين الطوسي حتى قيل (الاسطرلاب الطوسي) . « عن كشاف اصطلاحات الفنون »
٦ ـ كتاب عمل الاسطرلاب
٧ ـ المجسطي وهي كلمة يونانية معناها الترتيب ، اطلقها الفلكي اليوناني (بطليموس الفلوزي على كتاب ألفه في الفلك يعد الأم في هذا العلم ، ومنه استخرجت سائر الكتب عَرَّبه حنين بن اسحق وحرره ثابت بن قرة ـ تلميذ الخوارزمي ـ ولخصه الأبهري وترجمه ايضا الطوسي وسمى الخوارزمي به كتابه في علم الفلك لان (المجسطي) خرجت عند العرب عن الخصوصية الى العمومية . « عن كشف الظنون » ج٢ ص ١٥٩٤
٨ ـ الدهر الداهر
٩ ـ الجمع والتفريق
١٠ ـ الجداول .
١١ ـ صورة الأرض من المدن والجبال .

وجاء في الموسوعة الاسلامية ان الخوارزمي ألّف كتبه قبل العصر الذي ازدهرت فيه الترجمة عن اليونانية ، وكان اعتماده على الهندوس والفرس ومدرسة جند يسابور .
وكانت اليونان في المرتبة الثانية .

كتاب الخوارزمي (الجبر والمقابلة) اعظم كتبه انتشارا في الغرب ، وقالت الموسوعة العربية الميسرة ان هذا الكتاب كان أول كتاب دخل أوربة ، فبحسبنا أن أول كتاب دخل أوربة يحمل علماً وفوائد جليلة رفعتهم ونشلتهم .. كان عربيا .

وفي رأي العالم (رسكا)Ruska ان هذا الكتاب يحوي عمليات في حساب التفاضل والتكامل وليس كتاب جبر محض بالمعنى الصحيح لهذه الكلمة ، وقد عرض (رسكا) محتويات كتاب الجبر والمقابلة فقال ان فيه .
١) عمليات في التفاضل والتكامل في أبسط صورها
٢ ـ المساحة ، والأخطاء فيها .
٣ ـ قواعد في تقسيم المواريث في الوصية .

ولكن الأستاذ فارسا الخوري في مقالة له في مجلة المقتطف المصرية (بشهر أيار ١٩٠٣ المجلد ٢٨) يرى ان محتويات كتاب الجبر والمقابلة للخوارزمي هي :
١ ـ جمع وطرح وضرب للكميات الحاوية مجهولا واحدا او جذر المجهول او مربعه .
٢ ـ طرائق الجمع والطرح والضرب موضحة بخطوة يعبر بها عن القيم .
٣ ـ بعض امثلة على المعادلة المفردة من الدرجة الثانية محلولة بعد ايضاحات طويلة مبهمة .
٤ ـ باب عن التجذير والترقية لكميات معينة .

والاستاذ فارس الخوري بعد ان استعرض مراحل نشوء علم الجبر عالميا من قديم بدءا باليونان ومرورا بالهنود يرى ان الخوارزمي هو المعدود انه وضع علم الجبر عربيا واصطلاحيا وعنه ـ لا عن غيره ـ

شُهِرَ الجبر وعُرِفَ في العالم بأسره ، معَ اعترافه أن العلماء الهنود ، قبل الخوارزمي ، كانوا يلمون بما عند العرب من علم الجبر مما يدل على أن المسلمين لهم قَدَمٌ قديمة ، في هذا العلم .

أما الموسوعة العربية الميسرة فنصت على ان الخوارزمي هو الذي أنشأ علم الجبر علما مستقلا منفصلا عن الحساب ، وأنه هو المعدود ـ عالميا الآن ـ أنه أسسه .

وتقول الموسوعة العربية الميسرة ان الذي ترجم كتاب الجبر والمقابلة الى اللاتينية هو (إدلا البائي) ، بينما تعزو الموسوعة الاسلامية ذلك إلى العالِمَين (ج الكرموني ، والشستري) ، وغيرهما وتضيف أن ثمة إشارات إلى شروح عربية على هذا الكتاب كتبها « سنان بن فتح » وعبد الله بن السيدناني وأبو الوفاء **البوزجاني مخترع المماس في المثلثات** كما قال العالم « سوتر » ،ويزيد العالم (روزن Rosen)شرحاآخر لرجل يدعى المزيهفي .

وقد فشا الكتاب عند العرب فشوا عريضا وتتردد الأمثلة التي أستخدمها مثل : س^{٢} + ١٠ س = ٣٩ باستمرار في مؤلفات علماء مثل أبي الكامل شجاع ابن أسلم ، والكرخي ، وعمر الخيام .

لكن الذي تأثر بالخوارزمي عميقا هو العالم (ليوناردو البيزي) ، الذي كان مع أبيه في الجزائر ، وفقه كتاب الجبر والمقابلة ، وهو الذي لما عاد إلى أوربة نشره علميا نشرا كبيرا ، وليوناردو البيزي من أعظم علماء الغرب في عصر نهضتهم المعروفة وإليه يُعزي كل شامخ من أبنية مجدهم العلمي .

أما الدكتورة (زيغريد هونكة) فقد فصّلت الأمر بوضوح أكثر في كتابها النبيل الذي نشر في العربية باسم (شمس العرب تسطع على الغرب) فبينت أن مجد الخوارزمي الأكبر هو اختراعه الأرقام الحسابية التسعة المستعملة الآن ـ وإلى أن يشاء الله ـ في كل العالم ـ واختراعه الأرقام أدى عنده إلى اختراعه طريقة الحساب العشري ذي الخانات السحرية ، ثم قالت : إن الخوارزمي ، في زمن المأمون ، صنّف الأرقام الحسابية في سلسلتين : سادت الأولى في الشرق حتى هذا اليوم ، وانتقلت الثانية ، وتسمى الأرقام الغبارية ، إلى الأندلس ومنها إلى أوربة وهي المستعملة عندهم حتى اليوم .

أما السلسلة الأولى ـ وهي المستعملة عندنا ـ اليوم ، فأصلها هندي ، ولكن الدكتورة زيغريد هونكة بينت أن الهنود وضعوها بشكل أصعب مما هي عليه اليوم ، وذكر العلامة : أبو الريحان البيروني أن الأرقام الهندية هذه اختلفت لدى الهنود أنفسهم ، فلم تكن موحدة ، ولما اطلع عليها العرب قديما حسّنوها وابتكروا عليها ومنها شكل ارقامنا اليوم ، فلا يصح أن يقال لأرقامنا اليوم انها أرقام هندية ؛ لكنها أرقام عربية مبنية على أصول هندية . وقالت الدكتورة زيغريد هونكة ان العالم

السوري القديم (سايروس سابوخت) هو أول من وقعت إليه الأرقام الهندية التسعة ، وكان صاحب دير ومدرسة على نهر الفرات ، وكان ذلك سنة ٦٢٢ للميلاد ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد هاجر يومئذ الى المدينة المنورة ، ثم إن تلك الأرقام ضمرت بموت سايروس فلم يسمع بها أحد إلا عالم آثار منقبا ، ولم يتعلم استعمالها مخلوق ، لاعتزال سايروس الناس ، ولسبب جذري آخر ، وهو أنه لم يقع لسايروس مع الأرقام التسعة الرقم العاشر السحري : الصفر . وإنما الذي تناول الأرقام الهندية ، إما عن طريق سايروس ، وإما عن طريق العالم الهندي (كانكا) الذي وفد على أبي جعفر المنصور بحساب الهند ، فصممها وحلاها وابتكر شكلها العربي هذا ، وزاد فيها الصفر ، هو العلامة محمد بن موسى الخوارزمي ثم صنف - مخترعا لأول مرة - أرقاما تسعة مع الصفر بشكل جديد ، عربي ، محض ، استنباطا من الدائرة هي الأرقام العربية الغبارية : 5,4,3,2,1 .. مع الصفر العتيد 0 ثم نظم طريقة الحساب ، ونقلها من ان تكون بأيدي العلماء فقط إلى أن تكون بأيدي الناس قاطبة .

وقد قالت الدكتورة زيغريد هونكة : إنه لما نقل ليورنارد والبيزي أرقام العرب التسعة ، مع صفرهم ، إلى أوروبة ، وشاعت فيهم الطريقة الحسابية العربية ؛ وعرف الناس هناك الصفر العجيب ، طاروا به اعجابا ، وتقول الدكتورة : إنه وجد نص لاتيني قديم ، هو مشهد تمثيلي ، يبين الصفر نفسه بشكل رجل على المسرح ، وبمظهر عجيب ، ينشد ويخاطب الجمهور بما عنده من قوة سحرية عجيبة ، وقد نظمت أنا تلك الترجمة ، بشعر عربي سهل هذا هو :

انتبه لي يا صديق
إنني الصفر الطليق
ليس بي نطق ولكن
أنا في العلم عميق
مستدير متكامل
لصلاح المتعامل
عن يمين أنا هائل
ويسار أنا خامل
ليس من دوني حساب
لا ولا العدّ الصواب
أنا لا شيء وشيء
فانظر الأمر العجاب

وقد بينت الدكتورة زيغريد أيضا أن العالم الغربي حربرت الذي درس في الأندلس ثم رقِيَ عرش البابوية باسم (سلفستر الثاني) هو الذي نشر الحساب العربي الخوارزمي أيضا حتى بات يقال في أوربة بعجب : (البابا يحسب بالعربية) .

واتفق جميع علماء الغرب ، من قديم وحديث ، على أن كلمة (اللوغاريتم) المستعملة الآن بكثرة ، ويعرفها طلاب المدارس ، هذه (اللوغاريتم) انما هي تحريف لاسم (الخوارزمي) ، وقد مرت على أوربة عصور وكلمة (الغورتمي) تعني عندهم الحساب أو قاعدة منه ، وقد صدر بذلك قرار رسمي عن مجمع

علمي عقد في أوربة عام ١٨٤٥ لوضع اصطلاحات بعض العلوم وشرحها ، وبين العلامة (هنري فيكتور رينو) في ذلك الاجتماع أن الغورتمي واللوغاريتم هو النطق الأجنبي لاسم الخوارزمي ، العالم العربي الكبير ، ورينو هو صاحب قانون رينو للحرارة النوعية ، الذي يعرفه كل طالب علم في هذا العصر .

أما كتابا الخوارزمي عن الزيج وكتاب الرخامة فلم يذكرهما أحد في هذا العصر .

وأما كتاباه : العمل بالاسطرلاب ، وعمل الاسطرلاب فذكرت الموسوعة الاسلامية أنهما لم يصلا إلينا لا بالعربية ولا باللاتينية ، لكن ؛ في مكتبة برلين الآن مخطوط في الفهرس رقم ٥٧٩٠ لكتاب اسمه « في صفة الاسطرلاب » بالهندسة « للفرغاني ، فيه عدة مسائل فلكية حُلّت بالاستعانة بالاسطرلاب ويبدأ هذا الكتاب بالعبارة الآتية :

« يقول محمد بن موسى الخوارزمي » .

وأما كتابه « المجسطي » وكتابه : « الدهر الداهر » فلا نعرف عنهما شيئا ، وأما كتاب « الجمع والتفريق » فتوجد منه الآن نسخة باللاتينية نشرها العالم « بونكومباني » Bon-compani ـ ١٨٥٧ م كما يقول (رسكا) ، لكن الدكتورة زيغريد هونكة تقول : « وألّف الخوارزمي كتابا ثانيا تعليميا في الحساب ترجم في أوربة إلى اللاتينية في القرن الثاني عشر ومنه نسخة محفوظة إلى الآن في مكتبة البلاط **بفيينا** ، ونسخة أخرى بدير سالم ثم نقلت إلى هايدلبرغ » .

فأغلب الظن أنها تعني كتاب الجمع والتفريق .

أما كتاب الجداول فتقول الموسوعة الاسلامية إن الخوارزمي صنعه تدرجا من كتابيه عن (الزيج) الذي سمي (السند هند) وفيه جداول تعتمد على حساب المثلثات وترد فيه كلمة (جيب) ، وقد ذكر ابن أبي أصيبعة أن (مسلمة المجريطي) نقح كتاب الجداول للخوارزمي ، وإنه عن هذا التنقيح أخذت الترجمات اللاتينية للكتاب .

أما كتاب (صورة الأرض من المدن والجبال) فهو الذي يسميه (أبو الفداء) ، **ملك** حماة ، كتاب الربع المعمور ، ومنه الآن نسخة في ستراسبورغ ، وقد نشره نللينو مترجما إلى اللاتينية ، وبحث مادته الجغرافية فيه بحثا مستفيضا ، وقارنها بمعلومات بطليموس ثم تناول العالم فون مزيك H. Von. Mzhihs هذا الكتاب بالبحث الشامل ، وترجمه ونشره ، و**علق** على الجزء الخاص بافريقية وأعد ـ إلى ذلك ـ صورة كالخريطة تعتمد على ما ذكره الخوارزمي .

ذلك عالم من علمائنا ، ونجم من نجوم حضارتنا ، الذي كلما ذكر رقم حسابي ، او كتب في الشرق والغرب قام له في القلب والذهن احتفال ، وماذا صنعت أرقامه الحسابية في الحضارات ، وماذا فعل نظامه العشري ، وصفره الضخم ، في الاختراعات وعلم الفضاء !!؟؟

صوت من أعماق التاريخ

الصهيونية تحفر قبرها

للأستاذ / محمد لبيب البوهي

الحركة الذاتية للأشياء :

حين نتأمل الأشياء ونحاول النفاذ الى ما وراء الظاهر ، نجد حتما أنه وراء كل ظاهر طبيعة باطنة ، هي منبعه التي منها يأخذ ، وتنعكس طبيعتها عليه .. ذلك أنه ما من شيء قد خلق عبثا فلكل شيء خصائصه الذاتية لحكمة لا يعلمها الا الله ... (**ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى**) ٥٠ / طه ... فكل ما خلق الله سبحانه وضع له قانونا يحكمه ـ فهو يسير في طريق موزون تدفعه اليه خصائصه .. ولنضرب لذلك مثلا لتقريب الأمر ، فلننظر الى الذبابة مثلا فهي منذ

اللحظة التي تخرج فيها الى الحياة تدرك على الفور أن الانسان هو عدوها ، فلا تأمن له أبداً ولا تستكين على يده لحظة يهشها ، وما من أحد قد علّمها ذلك وما من تجربة خاضتها من قبل ، وانما هي الخصائص المركوزة في طبيعتها ، والكامنة في أعماقها كمونا ذاتيا مثل كمون الحياة في حبة القمح ، ولقد وجدت كميات من القمح في قبور قدماء المصريين مضى عليها آلاف السنين ولم تغيّر من طبيعتها ، فما أن زرعت حتى انبتت كأنما هي من حصيد الأمس ، ذلك لأن خصائصها الكامنة فيها تخضع لقانون ثابت بالنسبة لنوعها . وعلى عكس مثل الذبابة الذي ذكرناه آنفا فان القط المستأنس في البيت ما ان تشير اليه حتى يهرع مطمئنا تحت يدك .. وعلى هذا القياس . فما هي خصائص الصهيونية الكامنة فيها ؟

من خصائص الصهيونية :

ينبغي لنا حتى لا نكون ظالمين ، أن نوضح أن من بني اسرائيل من قد يهتدي فتستقيم معه الأمور اذا ثاب الى الرشد لممارسة الحياة على وجه سليم ، بدليل أن منهم من قد آمن بموسى عليه السلام ، ولكن الذين يتولون أمورهم منهم ، هم كما اثبت التاريخ من الكثرة التي طبع على قلوبها وآثرت العنف والشر والعدوان ، ممن تعاهدوا على ذلك في أوكار جبل صهيون والذين استمدوا صفة اسم الصهيونية منه .. ولعله علينا ان نذكر ما فعلت كثرتهم الكاثرة بيوسف وأخيه فالجميع أبناء يعقوب : « اسرائيل » ـ فلقد يكون للانسان منا ابناء منهم الصالح ومنهم الشقي فتلك طبيعة الحياة ، وتتغلب صفات خاصة على بعض الأسر فيتوارثونها في الأعم الأغلب من ابنائهم وفي مرآة التاريخ قد نرى صورة النشأة الأولى لأكثر ابناء اسرائيل .

مما يرويه التاريخ عن بني اسرائيل :

نعلم أن بني اسرائيل هم أولاد يعقوب بن اسحق بن ابراهيم الخليل ، وقد ولدوا لنبي الله يعقوب عليه السلام من أربع زوجات ، وكان عددهم اثنى عشر ولدا ، وفي البداية تمكن الشر من اكثرهم وهم الذين غدروا بيوسف وأخيه ، وكذبوا على أبيهم ، ولم تأخذهم به رحمة ، ولا همٌّ ولا ندم ، الا بعد أن ذاقوا وبال أمرهم ، بل انهم مع شرهم رموا أباهم بانه في ضلال قديم ... ولما انكشف أمرهم واحيط بهم أعادتهم الظروف قسرا الى سواء الطريق .. ترى هل هذه هي طبيعتهم في كل ظرف وكل حال وكل حين ؟ ولسوف تستمر هذه الخصائص كما تقول آيات الله حتى يرث سبحانه الأرض ومن عليها : (**لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داوود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون**) ٧٨/ المائدة .
ولقد روت احداث التاريخ عن بنى اسرائيل انهم كلما آنسوا فرصة للغدر

غدروا ، فاذا احيط بهم رفعوا أيديهم وخروا امام الاحداث ساجدين ربما في استسلام لانتهاز فرصة اخرى لغدر جديد ، وهم على استعداد دائما عندما يحاط بهم بقوة وبأس شديد ان يحفروا قبورا يختفون فيها الى حين ، مما يوجب على الذين يبتلون بهم ان يكونوا على بينة بهذه الحقائق ، وان يعدوا دائما لذلك كل عدة .. ولتكن العبرة مما فعلوه بيوسف دائما في الاذهان ، لقد مكن الله ليوسف عليه السلام بعد غدرهم به ، حتى صار مشرفا في ارض مصر على خزائن الحبوب في عهد حكومة الهكسوس الذين حكموا فترة من التاريخ ارض مصر ، وكانت مخازن التوزيع التي يشرف عليها يوسف في الوجه البحري من أرض مصر في مكان قريب من الصحراء الشرقية من سيناء فكان اقرب مكان لبلاد مدين التي عاشوا فيها حتى أصابهم القحط الشديد ، وهكذا قضت الحكمة التي جاءت بعصبة الشر لالتماس المعونة عند أخيهم أمير الخير ، وهم يجهلون أمره ، حتى ينتهي الأمر بأن يخروا لمن غدروا به ساجدين .

لماذا يميلون الى العزلة والتجمع الشرير ؟

قد نلمس هذا عندما تكاثر عددهم الى الوف كثيرة بأرض مصر فقد كانت البلاد يحكمها غاصب لا يرعى لأهل البلاد حقا ولا ذمة ، ولما كان الحاكم غريبا عن بلاد مصر ، ويحكمها بطغيان كبير ، ولكي ينال بنو اسرائيل الحظوة عنده انضموا اليه ، وصار أكثرهم عيونا وجواسيس على أهل الأرض التي آوتهم ، ورفعت العقرب كما تعودت دائما ذنبها ، ولعدم اطمئنان الغريب المدبِّر للشر في المكان الذي آواه ، آثروا العزلة عن المجتمع ، خيفة من أن ينال منهم عندما يكشف أمرهم ، فاتخذوا لأنفسهم مساكن منعزلة متجاورة ، واستمر ذلك دأبهم حتى عصرنا الحالي ، فهم يتخذون في كل دولة تجمعا يعرف باسمهم ، مما صار عرفا في هذه الاماكن المختلفة باسم « حارات اليهود » ثم ركزوا جهدهم على الثراء ، وجمع المال من أي سبيل .. ، ولنرجع الى شأنهم الذي كان هكذا في أرض مصر حتى بلغ تعدادهم زهاء نصف مليون بعد ان كانوا مجرد سبعين نفسا عندما جاءوا بأهلهم في عهد يوسف عليه السلام ، ولما كثر عددهم واشتد خطرهم في ارض مصر ، وحازوا اكثر ثرواتها في أيديهم ، حدث النزاع الذي أشار اليه القرآن الكريم مع فرعون مصر .

الخروج من أرض مصر :

كان ذلك عندما أمر الله تعالى موسى وهارون ان يذهبا الى فرعون لدعوته الى دين الله ، وليهتدى الى طريق قويم تصلح به الأمور ، وذلك بعد ان اشتد بأس فرعون عليهم ، حتى فاض طغيانه معهم كل حد ، فأذاقهم العذاب ألوانا ، فاقتضت رحمة

الله انقاذهم منه ويبدو هنا سؤال يطرح نفسه : لماذا ينقذ الله قوما يغلب على طبيعتهم الشر ؟ ولكن الله تعالى لا يرضى بالظلم حتى للذين يحيدون عن طريقه وكان فرعون ظالما بلغ به الشأن ان أمرهم بعبادته من دون الله فكان أمر الله بانقاذهم من عبودية فرعون .

ولقد جاء في اكثر الاقوال ترجيحا ان هذا الفرعون هو رمسيس الثاني ، وقيل انه هو فرعون الاضطهاد ، أما فرعون الخروج فهو ابنه منفتاح في حوالي عام ١٢١٣ قبل الميلاد .

سرقة ذهب مصر قبل الخروج :

وقد تآمروا فيما بينهم على سرقة ذهب مصر قبل خروجهم بحيل خبيثة من ذات الخصائص المتأصلة فيهم ، فقد تواصوا ان تذهب كل امرأة الى جارة لها من اهل مصر وتزعم لها انها ترغب في اقتراض زينتها الذهبية لتحضر حفلا ما ، وفي ذلك يقول سفر الخروج في الاصحاح الثاني عشر ما نصه : « انكم لا تمضون فارغين بل تطلب كل امرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها امتعة فضة وذهب فتسلبون المصريين » ومن هذه الحلى صنعوا الصنم لعبادته ، بعد أن نجاهم الله وقد صنعوا ذلك بمجرد وصولهم الى الشاطىء الآخر وفي ذلك تقول آيات الله : (**ولكنا حُمّلنا أوزارا من زينة القوم فقذفناها فكذلك ألقى السامرى . فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا إلهكم واله موسى**) طه / ٨٧ و ٨٨ .

الطبع الشرير والعقاب :

قد نعجب كثيرا حين نتأمل عنف هذا الطبع الذي لازمهم في وقت كان الأجدر بهم شكرا لله على نعمة انقاذهم ، بل سرعان ما تنكروا لفضل الله عليهم ، فما ان تركهم موسى عليه السلام لميقات ربه فأصروا في غيابه القصير ان يكون لهم عجل من ذهب يعبدونه من دون الله ، وقد صنعوا العجل من الذهب المسروق من نساء أهل مصر ، ولذلك لم يدخلوا أرض كنعان في فلسطين الا بعد ان عوقبوا بأن تاهوا في صحراء سيناء أربعين سنة لا يعرفون لهم منها مخرجا حتى فنى الجيل الذي عبد الصنم ونشأ منهم جيل جديد .

مذبحة قديمة أقاموها لأهل البلاد التي آوتهم :

وهي تشبه المذبحة الأخيرة التي كانت منهم في أرض لبنان منذ شهور قليلة انسياقا مع الطبع الكامن فيهم كلما لاحت لهم فرصة غدر بالأيادي التي تمتد اليهم بخير ...

والمذبحة التي نشير اليها بعد موت هارون ثم موت موسى عليهما السلام ، ودخولهم تحت قيادة يوشع بن نون ويقول المؤرخ (وول ديورانت) في الجزء الثاني من كتابه عن تاريخ حياتهم صفحة ٣٢٦ : « استولوا على احدى المدن واحرقوها بعد أن قتلوا من أهلها اثنى عشر الفا وذبحوا حاكمها » .

هذا قول المؤرخ ديورانت الذي استمر يقول : « ولسنا نعرف في تاريخ البشرية ما هو افظع من هذه المذابح » .

الا ترى أن تاريخهم دائما يكرر ويعيد نفسه !! لقد عاشوا بعد دخولهم أرض كنعان في صراع ومذابح مع جيرانهم حتى استطاعوا تكوين مملكة لهم ، ثم انقلبوا على أنفسهم فانقسمت مملكتهم الصغيرة الى مملكتين ، وكسنة الله تعالى في خلقه حيث يمهل الظالم ولا يهمله حتى اذا أخذه لم يفلته ـ وكما تجلب عليهم طباعهم تلك دائما من يسومهم سوء العذاب ويدفعهم الى حفر قبورهم بايديهم ـ فانه لما اشتدت جرائمهم وجاء أمر الله أسرع اليهم بختنصر البابلي عام ٥٨٦ قبل الميلاد فشتت شملهم وهدم بنيانهم ، وطارد فلولهم ثم ساقهم أسرى .. وانقذ ارض فلسطين من شرهم ، بعد ان كانوا قد اقاموا مملكة تسمى اسرائيل لم تعش الا فترة يسيرة من زمن التاريخ .

وصف المؤرخ ويلز لحقيقة اسرائيل :

وتلك شهادة مؤرخ غير مسلم حتى يتهم بالتحيز أو العصبية ، انه يقول : « انه بعد ان أنزل بهم بختنصر ما كانوا يستحقون من عقاب عام ٥٨٦ قبل الميلاد ظلوا في شتات حتى أعادهم قورش الى أرض كنعان ، وأباح لهم شيئا من الحرية تحت زعامة عزير الذي يسمونه عذرا فأقاموا دولة صغيرة في جزء من أرض فلسطين ، ولكن تصرفاتهم عادت بعد ذلك لتكون في اكثر الاحيان مع جيرانهم ملطخة بالعار » ثم يقول هذا المؤرخ « ان حكامهم ، في أغلب الأمور ، مجموعات من الهمج لا يرتبطون بعهد ولا ذمة ولا قانون » فما لبثوا مرة بعد مرة ان حفروا قبورهم باعمالهم ، فقطع الله دابر حكمهم بعد فترة لا تعد في أيام الحياة شيئا مذكورا ، فلم يزد عمر دولتهم تلك عن خمسة وعشرين عاما وبعث الله عليهم من شتت شملهم مرة اخرى وفي ذلك يقول الحق سبحانه : **(وإذ تأذّن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب)** ١٦٧/ الاعراف .

مسئوليتنا أمام التاريخ ..

ان كيد اسرائيل لم ولن ينتهي حتى تقوم الساعة ـ وانه لكيد ضعيف أمام قوتنا وبأسنا وانه لكيد مريع امام ضعفنا .. وهذا هو تاريخهم خير شاهد ، فما من مرة احيط بهم بسبب خصائصهم العدوانية الا ذاقوا وبال امرهم وحفروا قبورهم بقبح

أفعالهم .. ان مثلهم كمثل العقرب التي اذا احيط بها لدغت نفسها .

اننا مطالبون امام الله - وامام الضمير الانساني .. وامام الاجيال القادمة بجمع الشمل وتقوية البأس وتغيير ما صارت اكثر أمورنا اليه وذلك : (**إن الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**) ١١/ الرعد .

ما من نكبة اصابت الامة من بعد عهد كيدهم في المدينة المنورة الا كانوا وراءها ، ولن تكون نكبة فلسطين ولا التدبير الاجرامي **وراء القضاء على الخلافة لن يكون ذلك** آخر العهد بتدبيرهم .

وقد يتساءل كل مخلص منا ماذا عليه ان يعمل ؟ يظن ان الآخرين يجب ان يعملوا ، ويقف هو موقف المتأسف أو المتألم بقلبه .. ان كل فرد مكلف بالأمانة العظمى بتحقيق ايمانه بالحب .. ان يضع لبنة حب في بناء المجتمع الاسلامي العام .. فما يصح ابدا ان يسترسل اي فرد مع شعار النعامة التي كانت لسذاجتها تظن ان دفن رأسها في الرمال يكفيها شر الخطر الواثب نحوها .. ان الغفلة هي رمال النعامة واحلام اليقظة وان العمل الجاد هو السبيل فان الصهيونية ضعيفة الشأن تافهة المقدار بالقياس الى حجمها ، ولكنها تستمد عنفها وعدوانها من أعدائنا الذين يطيب لهم في أحيان كثيرة ان يداهنوا ويضعوا السم في الدسم - انهم جميعا يخشون اية يقظة من جانبنا وهناك تخطيط شيطاني ذكي لوأد كل يقظة في مهدها ، واعظم ما يعتمدون عليه هو ان يعملوا من بعيد على ان نتمزق شيعا من داخل أنفسنا .. ان قوة الأشياء في تجمعها ، ولننظر الى البحر الاعظم ، انه لم يصبح بحرا الا بتجمع الملايين من قطرات الماء - ولو تفرقت هذه القطرات قطرة قطرة في بقاع الأرض لامتصتها الرمال ولم يعد للبحر وجود ولا شأن ، إن السلاح الاول والاخير والسلاح الذي لا شيء اقوى منه هو الحب ، ولا يتحقق الايمان إلا به ... ولا يتحقق ذلك الا أن يبدأ على مستوى كل فرد حين يفتح قلبه لأخيه فتصبح قلوب المائة مليون على قلب رجل واحد - أمام قوة الحب العربي المتكامل سوف تبدو الصهيونية كالحصاة اوكعودمن هشيم امام الجبل المتسامق القوى المتماسك .. إنه لمن العار ان يظل اعوان اسرائيل يتخذون منها خنجرا موجها الى قلب أشرف أمة .. وانه لمن العار ان ندع اسرائيل تفخر دائما أو يزعم لها صانعوها بان لها اليد الطولى التي تستطيع ان تضرب بها حيث شاءت .. لقد نام الأسد فاستأسدت الارانب .. فلنضع عبر التاريخ امام عيوننا ولنبدأ بالحب من الفرد الى الملايين ذاكرين قول الحق سبحانه : (**واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها**) ١٠٣/ آل عمران .

اما بعد - فان المسئولية عامة تبدأ على مستوى الفرد بسلاح الحب والتجمع .. وانه لذكر لنا ولسوف نسأل ، وفي يدنا سلاح الوحدة والحب والتجمع ان نجعل الصهيونية تحفر قبرها ...

آراء وحقائق في قصة

العقدة

للأستاذ / محمد عبد الرحمن صان الدين

ها هو ذا صديقنا (س) قد نال ما كان يصبو إليه ، وتحقق له أكثر ما كان ينشده ، فأصبح من ذوي القصور الشامخة ، والضياع الشاسعة ، والسيارات الفارهة ، والأرصدة في أكثر من مصرف . فقد عرفناه منذ فجر العمر متطلعا إلى الثراء ، مفتوناً بالاثرياء ، يخطف بصره منهم بريق الزينة ، وتأسر لبه مظاهر الرفاهة والابهة ، وكان من رأيه أن المال يخلق السعادة والهناءة في الحياة ، ويظل النفس بظلال الوداعة والسكينة ، ويبني للمرء حصن الأمن والأمان من طوارق الحدثين ، وكان يرى أن القانع الراضي باليسير من الرزق كليل الفكر خائر العزيمة خامد الشعور قليل الحيلة . ومن هذه الفلسفة وذلك المنطلق كان ينبعث سلوكه وتعامله فهو كز النفس مغلول اليدين يتحلب ريقه عند مظنة الكسب ، وتذهب نفسه حسرات عند فوات ربح كان يمكن الظفر به ، وكلما ارتفعت أرقام أرصدته في المصارف ازدادت نهمته واستحكم الحرص في نفسه . وعلى الرغم من هذا كله فقد كنا نحبه ونأنس به في مجلسنا ونهش له ، ونصغى لحديثه . فقد كان مرحا حلو الدعابة سريع البديهة ، يحفظ كثيرا من الطرائف والملح ، ويجيد القاءها بصوت منغم معبر ، وإشارات رشيقة لطيفة مما جعلنا نغضي عن صفاته الأخرى ، فلنا فيه ما يروقنا وله في نفسه ما يروقها ، والناس أخياف مذ كانوا ، كل يغني على ليلاه سواء أكانت ليلاه المال أو الجاه والسلطان أو العلم والمعرفة ، ولولا أن هناك قدرا كامنا من التجاذب بين الناس لتنافروا تنافر الضدين ، وتعاقروا تعاقر ذوات

الأنياب والظفر . فقد بدأ
لم تدم موالاة سميرنا (س) طويلا بعد أن نال الكثير مما كان يؤمل فيه . فقد بدأ يتخلف عن مجلسنا كثيرا ثم أصبح لا يعرج إلا لماما ، وقد غاضت بشاشته وشحبت طلاوة حديثه وطال صمته وشروده ، يقضي لحظات جلوسه معنا في تثاؤب ينم عن الضيق والضجر فلم يعد مجلسنا يستهويه وليس بيننا من يتخذه مطية لمآربه ثم انقطع عن المجلس تماما ، ومضت شهور بل أعوام لم نك نلتقي به فيها إلا صدفة في طريق فنتبادل تحية عابرة ويمضي كل في سبيله . وقد عزونا سلوكه هذا إلى انصرافه إلى حياته الجديدة ، وركونه الى الاستمتاع بضروب النعيم التي أتاحها له الثراء . وقد حاولنا باديء ذي بدء جاهدين اجتذابه إلى مجلسنا بكل وسيلة ممكنة فلم نفلح ، فانصرفنا عنه ، واسقطناه من زمرتنا آسفين عليه ، وهل لنا غير ذلك من سبيل ؟ فنحن نعرف أن للمال في نفوس المفتونين به ضراوة شديدة ، وأسرا لا فكاك منه إلا بالرحيل عن هذه الحياة .

غاب ذكر صديقنا القديم (س) عن البال وكادت تمحو صورته الليالي من الخواطر وهل يبقى مع الهجران ود ، ومع التنائي ذكر ؟! وهل الحياة إلا كصفحة الخضم تتابع أمواجها متجددة ، مفترسا بعضها بعضا ، متلاشية في سواها وهكذا إلى أن يشاء الله الحكيم الخبير .

وذات يوم عند الاصيل طرق باب داري طارق لم يكن إلا هو صديقنا القديم (س) فاستقبلته هاشا باشا محييا بكل عبارات التحية فكان رده خافتا مقتضبا وكأن شيئا في نفسه مني وقد بدا شاحبا مقطب الجبين شارد النظرات ، تزيد الابتسامة المتكلفة وجهه وحشة وغرابة ، فهالنى الأمر وعقد لساني عن الكلام ، فجلس وجلست في صمت وإطراق تذهب بي الظنون كل مذهب ، ثم هتكت حجاب الصمت قائلا : وقى الله صديقنا السوء ورفع عنه البأس وحفظه من وسواس الجن والانس . فما بالك أيها الصديق على غير ما عهدناك أيام كنت تواصلنا ؟ ؟ أبك من ضر ؟ أحدث لك مكروه ولم نعلم به ؟ أم نقل إليك واش عنا زورا وبهتانا ؟ أم ... وهنا قاطعني في ضجر قائلا : كلا كلا لا هذا ولا ذاك فالامر بعيد عما تظن وتتصور . وسكت برهة كانت القهوة قد أحضرت فقدمت إليه قدحا وأنا أنتظر منه الكلام في لهفة ؛ ليكشف عن نفسي ما خيم عليها من هم وظن ، فرفع رأسه قائلا في صوت متهدج مرتعش : يا فلان هل أنا جبان رعديد ؟! قلت حاشاك يا صديقي أنت أبعد الناس عن هذه الصفة قال : هل أنا منعزل منطو عن الناس ؟ قلت كلا ولا هذه إلى آخر عهدنا بك قال : فهل بي مس من الخبال والجنون ؟ قلت - وقد نفد صبري : ما هذا يا رجل ؟ أفصح وأبن ما عهدناك إلا شجاعا صريحا ولا ننسى أن نحتسى القهوة قبل أن تذهب حرارتها ونكهتها المحببة لديك قال - ولم يعر القهوة اهتماما - : أنا ما جئت إلا لأتحدث إليك بدخيلة نفسي ، وأبوح لك بسر كتمته عن الناس جميعا لعلي أجد لديك ما يسرى عني أو ترشدني إلى من يخلصني مما أعاني منه وإلا فإني هالك قلت حفظك الله وابعد عنك البأس واليأس ، هات ما عندك فإني

مصغ إليك وإلا فما الصداقة ؟ وما الصديق ؟ قال : فأغلق باب الحجرة ولا يدخل علينا أحد قلت لك ذلك . وأغلقت الباب وأوثقت رتاجه ثم جلست منه عن كثب وأعطيته سمعي وبصري وفكري فقال : وقد تندى جفناه بعبرة ـ: يا صديقي إنني منذ أعوام وطوال مدة انقطاعي عن مجلسكم الحافل الموفق بكل ضروب المعرفة والآداب وأنا أعاني من أحاسيس غريبة على ، وليست من طبيعتي : فقد اعتراني في أول الأمر شعور من التطير والتشاؤم إلى حد أني كنت إذا رأيت بعض الحيوانات أو الطيور أو الناس في غدوى لشأني في الصباح أرتد عائدا إلى البيت فلا أخرج طول يومي . قلت : إيه ثم ماذا ؟ قال : غمرني إحساس بأن الناس أقرباء وأباعد طامعون فيما عندي ، يترقبون الفرص للانقضاض على وأن الحياة قد أصبحت غابة تصخب بالزئير والعواء والضجيج ، قلت : وماذا بعد ؟ قال : تملكني الرعب والهلع ، فأنا دائما مرتاع الفؤاد مرتعد الفرائص أشك حتى في بنيَّ وأهل بيتي ، أخاف من طلوع النهار بضوضائه وصخبه ، وأفرق من هجمة الليل بظلامه ووحشته ، فأنا أفر من الليل إلى النهار ، وأهرب من النهار إلى الليل دون أن أجد في كليهما راحة لنفسي أو انسا لقلبي ، وكرهت لقاء الناس ورأيت في ابتسامتهم تكشير السباع لفرائسها الضعيفة . ثم أردف قائلا في ارتجاف ومذلة وخضوع : فبماذا تشير على ؟! أرشدني أرشدك الله وأخرج منديله يكفكف به دموعه المنهلة من عينيه ، فامتلأ قلبي إشفاقا وغمر نفسي فيض جارف من الحنو والرثاء ، فأخذت أربت كتفه قائلا : هون عليك يا صديقي العزيز فالأمر أيسر مما تتوهم ، فهذا عارض يعتري كثيرا من الناس ـ في عصرنا هذا ـ ممن أركضتهم الحياة ورغاب النفس ثم يتلاشى كما تتلاشى السحابة الداكنة تحت أشعة الشمس ، وتعود النفس إلى صفائها وإشراقها ، ولم أشأ أن أذكره بفلسفته في الحياة وتعامله معها وأن ما يعانيه إنما هو ثمرة غرسه وحصاد بذره حتى لا أنكأ جرحه وأزيد في محنته بل مضيت قائلا : ألم تلجأ إلى دار للاستشفاء أو تعرض أمرك على الأطباء ؟ قال : لا أنكرك يا صديقي أني فعلت الكثير فكم استحضرت من أشخاص قالوا أنهم يشتغلون بالعلم الروحاني ، وسافرت إلى بلدان وقرى كثيرة قيل لي إن فيها رجالا لهم قدرة خارقة على استخدام الجن السفلى والجن الطيار و ..و ... ولكني لم أعد من ذلك العناء إلا باستفحال الداء وتبديد الأموال الطائلة فقلت له : لقد أخطأت الطريق وسلكت وعرا ومتاهات موبقة ، ولكني أدلك على النهج الأمثل والعلاج الأنجع ، فمن حسن الحظ أن علم النفس قد تقدم في عصرنا هذا وبلغ شاوا بعيدا ، فأصبحت له عيادات يؤمها المرضى ويقوم عليها أطباء متخصصون مهرة ، خبراء بأدواء النفوس ودوائها ، يغوصون إلى أعماقها ، ويجوبون شعابها وكهوفها ، ويضعون أيديهم على ما قد يكون من علل خفية ويصفون لها الدواء الناجع ، فما عليك إلا أن تذهب إلى عيادة من تلك العيادات وليصحبك قريب أو صديق مستنير ، وكنت أود أن أصحبك لولا أني مسافر إلى الخارج في صباح الغد في عمل وظيفي . فقال : سأفعل وهب واقفا مستأذنا بالانصراف فودعته داعيا له

بالشفاء وأنا أفكر في أمره . إن داء الجسم مهما كان عضالا فهو في متناول الحواس والمجاهير يمكن تلمسه والوصول إلى معرفته بوسيلة أو بأخرى ، أما داء النفوس فشيء معنوي مجهول لا يقع تحت طائلة الحواس التي نحكم بها على الأشياء ، وما أحسب ما يصاغ ويدبج في شأن النفس إلا ظنا وتخمينا من الفكر البشري المحدود والعلم القاصر مهما نما واتسعت آفاقه ، وما مثل الطبيب النفسي إلا كالصياد يرمي شبكته في لجة الماء الزاخر ثم يجذبها فيجد فيها صيدا أو لا يجد مهما كان متمرسا بطرق الصيد خبيرا بمواطن السمك وتكاثره والأمر بالنسبة لصديقي (س) لا يعدو محاولة قد يتدخل فيها الحظ فتنجح التجربة في تهدئة مشاعره وتسكين نفسه ولو بتأثير الايحاء الذي يعمل عمله في كثير من العقول والنفوس .

وفي مساء اليوم التالي كنت في بلاد أخرى لا عهد لي بها من قبل أتلمس طريقي وأتحسس مواقع خطوي ثم رحت في دوامة العمل ، وظروف الغربة ، ومحاولة التأقلم والتفاعل مع المناخ الجديد ، فلم أفق إلا وأنا في طريق العودة إلى الوطن حيث الأهل والأتراب والأصدقاء بعد غيبة استغرقت من العمر عامين وكان من أوائل من خطر في ذهني وتاقت إلى مرآه نفسي هو ذلك الصديق (س) وجاشت في خاطري ، التساؤلات : ترى كيف هو ؟ ماذا تم في أمره ؟ أهو على قيد الحياة ؟ أم .. وهل وهل .

قضيت أياما بعد وصولي إلى منزلي في استجمام واستقبال للزائرين وكل همي أن أسمع شيئا من أخبار صديقنا المبتلى بما لا يعلم عاقبته إلا الله العليم الخبير ولكن عز من يأتي بما يشفي الغليل ويكشف ليل الظنون . وطرق الباب طارق في صباح يوم بهي مشرق ولا تزال أنسام الصباح الندية تصافح الوجوه المتفتحة بالأمل ، ولم يكن الطارق إلا هو . إنه هو صديقنا (س) بعينه بادرني بالعناق والقبل مهللا ضاحكا بصوته الجهوري وقد عادت إليه بشاشته وقفشاته ومرحه فبهرني هذا المنظر وخالطني مزيج من الدهش والشعور بالغبطة ، وقبل أن يستقر في جلوسه على المقعد بادرته قائلا : ها أنت ذا قد عدت ترفل في حلل العافية بل إني لألمح في محياك إشعاعا جديدا من الوداعة والسكينة . فقال بلهجة تفيض خشوعا وشكرا لله تعالى : نعم نعم ولله الفضل والمنة إنني أكثر عافية وأقوى روحا وأصفى نفسا مما كنت عليه في كل مراحل عمري . قلت له : يقينا قد ذهبت إلى الطبيب كما اتفقنا قبل سفري . فقال : نعم . قلت وتم لك على يديه الشفاء ، ألم أقل لك إن علم النفس قد تقدم وارتقى إلى حد بعيد ؟! فقال وعلى شفتيه ابتسامة ذات معنى آخر : ولكن لم يكن شفائي عند واحد من هؤلاء ، بل كان عند طبيب من نوع آخر لا يفطن إليه كثير من الناس بل لا يحفلون به ولا يقبلون عليه . قلت الذي يعنيني أنك شفيت ، فما قصتك ؟ لقد شوقتني وأثرت شهيتي . فقال ـ وهو يضحك في سرور وسعادة : ولكن القهوة الشهية لم تقدم لي بعد ، ولست بمحدثك بما تتوق إلى معرفته حتى أرتشف قهوتي . فضحكنا وأحضرت القهوة وأخذ يرشفها مستطيبا عبقها ونكهتها وبدا يتحدث قائلا : صحبت قريبا لى مستنيرا إلى عيادة نفسية لطبيب

قال : إنه عليم بما ينتاب النفوس خبير بما يعتورها نفاذ البصيرة لماح الفكر ، سرعان ما يضع يده على الداء ويمنح بدوائه الشفاء . فسررت واملت أن تكون نهاية ما أعاني قد حانت . وبعد إجراءات لا داعي لذكرها برز من وراء ستار شخص معتدل القامة ، أنيق الهندام ، رشيق الحركة مسدل الشعر على منكبيه . ظننت لأول وهلة أنه الطبيب ، فأشار إلى قائلا : تفضل . فقمت إليه ومعي صاحبي فاعتذر في لطف قائلا (بردون) المريض فقط حسب التعليمات ، وقادني في ممر طويل إلى حجرة وقف عند بابها ، فانفرج الباب عن غادة حسناء هيفاء ذات زينة وبهاء فحيت بانحناءة رشيقة ، وقالت بصوت حالم : تفضل يا (إكسلنس) وسارت تخطر أمامي في قاعة فسيحة الأرجاء غصت جدرانها بلوحات وتصاوير مختلفة الألوان والأغراض ، وقد صفت على جانبيها المناضد والأخونة التي غصت بالتحف والتماثيل والأجهزة حتى وصلت إلى مكتب في صدر القاعة فخم ضخم له قاعدة ترتفع عن أرض الحجرة ، وقد تكدست على جانبيه الأسفار والأضابير ، وأجلستني في رفق ورقة على مقعد وثير أمام المكتب وتركتني وانصرفت ، ونظرت فلم أجد جالسا إلى المكتب وبعد برهة تغير لون الاضاءة في القاعة وانفرج ستار خلف المكتب برز منه رجل يخطو كأنه ملك من ملوك الأساطير وجلس إلى المكتب على كرسي مرتفع بحيث يكون مشرفا من أعلى دون أن يتكلم وفتح دفترا أمامه ونظر إلى قائلا : ما اسمك أيها السيد ؟ وما سنك ؟ وما عملك ؟ وأين تقيم ؟ وسجل إجاباتي ثم قال : بم تشكو ؟ فقصصت عليه أمري كما حدثتك قبل سفرك وكان يسجل من حين لآخر بعض الملاحظات حتى فرغت فقال : متى بدأت تلك الحالة ؟ قلت من اكثر من خمس سنوات . فقال مستنكرا : أتظل خمس سنوات بدون علاج يا رجل ؟! ألم يعترك هذا الشعور في مرحلة من مراحل عمرك ؟ كلا .. كلا . قال : هل تشكو من أمراض باطنية في المعدة ـ القولون ـ الكبد ـ الصدر ـ سكر ـ ضغط ؟ قلت كلا إني سليم من كل ذلك ، وسكت قليلا ثم قال : من الآن حتى الغد تحاول أن تتذكر وتسترجع كل ما مر بك في مراحل حياتك من أحداث بارزة ومواقف عنيفة لتحدثني بها مفصلة في مثل هذا الموعد ووقف واختفى وراء ستار فبرزت من حيث لا أدري حسناء أخرى سوى التي استقبلتني أكثر امتشاقا وسحرا وقالت بصوت كرنين الأوتار : قد انتهت الجلسة فإلى الغد وشيعتني بابتسامة وانحناءة أودعت فيهما كل ما لدى المرأة من ضروب الاغراء والفتنة ولكنها وزميلتها كانتا كمن يطرق في حديد بارد فهما في واد وأنا في واد آخر . واستقبلني قريبي الذي كان ينتظرني وذكرت له ما كان وما رأيت وما سمعت فقال سترى من معجزات هذا العلم ما يشبه السحر ، وانصرفت إلى داري استحث الفكر وأقلب صفحات الذاكرة مستعرضا أحداث الماضي البعيد استعدادا لسردها في جلسة الغد . قال صديقي (س) : وجاء الغد وذهبت إلى العيادة وبمثل إجراءات الأمس كنت على مقعدي أمام مكتب الطبيب الذي كان في انتظار القادم ، وقال : فلنبدأ من الطفولة . ومضيت أقص عليه وهو صامت يرسم بالقلم على الأوراق إشارات ورموزا ودوائر حتى فرغت ثم

قلت له في لهفة : ترى ماذا بي ؟ هل يمكن شفائي ؟ فتبسم ضاحكا وقال : لا تتعجل فليس الأمر بهذه البساطة ، إنني سجلت بدقة ملاحظات وانعكاسات للأحداث في النفس اقتنصتها مما قصصت على ، وستأخذ دورها في طور التحليل السيكولوجي الدقيق ثم تصنف حسب المقاييس العلمية ، وتنسب إلى نوع من أنواع الأمراض ، وهذا العمل يحتاج إلى وقت لا يقل عن أسبوع ، فإلى مثل هذا اليوم من الأسبوع القادم ، فودعته وانصرفت ، وعدت بعد أسبوع ودخلت على الطبيب بنفس الاجراءات ، فحييت وجلست فظل صامتا يقلب في دفتره فشققت حجاب الصمت قائلا : لعل نتيجة التحليل تبعث في نفسي الاطمئنان والأمل . فخلع نظارته ونظر ثم عبس وبسر فقال : إنها العقدة .. نعم العقدة لا شك وسيتضح نوعها ، ومدى عمقها فيما سنجريه عليك من فحوص واختبارات في الجلسات القادمة قلت : وهل ثمة جلسات أخرى ، قال نعم : ان اردت الشفاء . قلت فما مدلول العقدة ؟ إنني أسمع هذه الكلمة تتردد في أفواه الخاصة والعامة في مواقف مختلفة دون أن أعرف لها معنى واضحا محددا ، فهل أظفر منكم بتحديد مدلولها ؟ ففي ذلك راحة لنفسي وتنوير لعقلي ، فقال – وقد انبسطت أساريره ومال إلى الأمام مقتربا مني – : سأبسط لك المطوى واكشف المستور متجنبا رموز العلم واصطلاحاته التي لا يستوعبها ويعرف مضامينها إلا أطباء النفس ، فأصغ إلى مركزا انتباهك فيما أقول ، إن حادثا ما وقع لك في مرحلة ما من مراحل عمرك وترك أثرا وهذا الأثر سقط في منطقة اللاشعور ، واستقر في الأعماق ونسيته تماما ، ولكنه ظل يعمل عمله ، فتنبعث منه إشعاعات سوداء وأبخرة قاتمة يتسبب عنها ما ينتابك من الأحاسيس والمشاعر التي تشكو منها ، وتنغص عليك عيشك دون أن تعرف لها مصدرا أو سببا . فقلت مبهوتا متحيرا شبه ذاهل : يا ألطاف الله !! وكيف بالله يا دكتور نعثر على هذا الشيء الذي سقط في تلك الأعماق وقد تحصن بمجاهيل أربعة : الزمان والمكان والصفة والسبب ؟!! فنظر الطبيب في عيني نظرة متفرسة مرتابة كأنه يستوثق من أني جاد لا أسخر ، وأنني آخذ أقواله مسلمة بلا ريب ، وقبل أن يتكلم بادرته قائلا : في صوت خافت حزين : وهل يمكن شفائي إني لأرجو على يديك البرء والعافية فانبسطت أساريره واطمأن ، وانطلق يقول في ابتسامة الواثق المتمكن : أما شفاؤك فهو أمر مقطوع به مؤكد ، وأما كيف فذلك شأن الطب النفسي فإن لدينا نحن الأطباء الأساليب والوسائل التي نغوص بها إلى أعماق النفس ونجوب شعابها ، ونجوس خلال منعرجاتها ، ونتحسس الداء في مكمنه الخفي فنزعجه ونهيجه فيطفو على سطح اللاشعور فننقله بوسائلنا إلى بؤرة الشعور ، وحينئذ يظهر لنا واضح المعالم فنقضي عليه . ثم أردف قائلا : ولكن هذا يتطلب زمنا وصبرا وتضحية فهل أنت على استعداد لذلك ؟ قلت : نعم نعم ، وإني طوع أمرك ، ورهن إشارتك ألست الذي سيأخذ بيدي إلى بر الشفاء والعافية ؟ فقال – وقد بدا عليه الارتياح – اتفقنا فإلى أولى جلسات الاختبار ثم العلاج ابتداء من الغد .

قال (س) وبدأت - يا صديقي - رحلة الفحص والعلاج يواكبها استنزاف ما في الخزانة والجيب ، وقد استكنت للطبيب ، وركنت إليه ألتمس الشفاء منه وأنظر إليه نظرة العابد لصنمه المعبود ، ومرت أسابيع فشهور رأيت خلالها ألوانا من أساليب الاثارة والتهدئة ، والاغراء والصد ، والاباحة والمنع . والحق أقول : إنه قد بذل جهودا جبارة ، واستنفد معي كل طاقاته وما لديه من أساليب وحيل مبتكرة وغير مبتكرة ، ولكني ظللت كما أنا بل ازددت قلقا وهما . وكان آخر جلسة لي عنده تلك التي قال قبلها : ستكون جلسة اليوم شاعرية المناظر ، فردوسية الجمال ، بابلية السحر ، وقادني إلى شرفة شاسعة تطل على حديقة ذات أشجار وأزهار متباينة الأشكال والألوان ، وقد وضع لي كرسي وثير بجانب منضدة صفت عليها أقداح وقوارير ملأى بمختلف الشراب المجلوب من بلاد النور والعلم - كما يقولون - ولست أدري ما نوعها وما تحتوي عليه وقد وقفت حوريتان من حوريات الدنيا على أهبة للمسامرة وتقديم الخدمات التي قد أطلبها ثم قال الطبيب : ستسمع في هذه الجلسة الموفقة ألوانا من الموسيقى تجعلك تسبح في آفاق لا حدود لها من السحر والجمال ، وتهدهد مشاعرك بأجنحتها الوردية ، وتروي وجدانك من قطرها المنهل من سماء الفن العبقري .

وانصرف الطبيب وقد انطلقت الموسيقى من مكان غير منظور ، وملت أنا على أحد جانبي الكرسي واضعا رأسي على مجمع قبضتي مرتكزا على ساعدي ورحت في بحار مائجة من التفكير القاتم العنيف ، ذاهلا عما حولي ، وطالت الجلسة حتى غمرني الملل وملأ الضيق صدري ، واستبد بي القلق . وبعد فترة أقبل الطبيب باسما يتهادي ولكن سرعان ما تلاشت منه الابتسامة عندما رآني مجهم الوجه قلقا متحفزا فقال في دهش : ألم تطربك الموسيقى ؟ ألم تستمع الى وقع المطر وحفيف الشجر ، وهمس النسائم ، وهديل الحمائم و.... فقاطعته قائلا في ضجر : كلا كلا لم أسمع إلا صفيرا وصخبا وضجيجا أضجرني وصدع رأسي فقال وهو يهز رأسه في استياء - إنها سيمفونيات بيتهوفن رقم ... وموزار رقم ... و ... فقلت لا شأن لي بذلك ، ولا أرب لي فيه فقال وهو يضرب كفا بكف دعنا .. دعنا لقد حرت في أمرك يا رجل فمن أي طينة أنت ؟! قلت بنبرة التهكم ولهجة التحدي : من طينة الانسان .. ألا تراني كذلك ؟! فقال - وقد أدرك أني صدفت عنه ونفضت يدي منه - : فلنوقف العلاج ريثما تستريح وليكن ذلك في إحدى قرى الفلاحين التي تلائم حالتك ، وفهمت ما يرمي إليه ولم أجبه وخرجت من عيادته بلا وداع ، وعلى صدري مثل الجبال من الهم ، وفي فكري قطع من سواد الليل البهيم ، وفي أعصابي شعل من لهب الجحيم ، وضاقت بي الأرض بما رحبت فما فيها لنفسي مستراض ولا ملجأ ، فانطلقت في الطرقات هائما على وجهي لا ألوي على شيء وكأني أركض فريدا في غابة موحشة في ليلة من ليالي المحاق ، فلا أعي ولا أسمع إلا زمجرة وحشرجة ، ولم أدر من أنا وإلى أين ، وبينما أنا في تلك الدوامة الداوية والغمرة العاتية إذا بصوت ملائكي حنون ينبعث من فوق بناء بسيط متواضع

ويساقط في أذني ذلك النشيد الخالد : الله أكبر .. الله أكبر ، فانتفضت منتبها من غمرتي وذهولي إنه صوت المؤذن لصلاة المغرب ، فاندفعت إلى باب المسجد لائذا بحماه كالحمل الذي تطارده السباع الضارية أو العصفور الذي احتوشته الصقور الجائعة ، وجلست أتوضأ فكنت كلما اسبغت الماء على عضو من أعضائي أنطفأت شعلة من الشعل المتضرمة في كياني حتى انتهيت وقد أحسست بشيء من الراحة ، وأقيمت الصلاة فوقفت في الصف ، وأقبل الامام بخطوات وئيدة خاشعة ، فكان مره بردا في قلبي وسلاما ، إنه رجل في الخمسين من عمره يقل أو يزيد قليلا نحيل الجسم خفيف شعر العارضين قد برقت في لحيته المهيبة نجوم الشيب ، يلبس قفطانا من النسيج الأبيض البسيط ، ويضع على رأسه عمامة بيضاء أين منها جلال التيجان على رءوس الأكاسرة والقياصرة . وأحرم بالصلاة وأحرمنا ، وأخذ - ياصاحبي يتلو كلام الله فما دريت ساعتها أبشر ذلك الذي يقرأ أم أنه ملك كريم ، وهذا الصوت أينبعث من الأرض أم يتنزل من السماء ، وكأني بالكلمات القرآنية تنطلق من فيه طيورا نورانية غردة لها أجنحة ترف في سماء المسجد ، وكان لقراءته وقع في النفوس كوقع قطرات الغيث في الأرض الجدباء ، فهي به مرتوية ظامئة إلى المزيد وخلت أن المسجد قد ماج بصفوف الملائكة وبها ما بنا من طرب وإيناس . قال (س) - وأنا أصغي إليه مأخوذا بما يقول -: وكان مما قرأ في صلاتنا هذه قول الله تبارك وتعالى (**الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب**)

وقضيت الصلاة ، وانصرف المصلون إلى شئونهم وبقي الامام وبقيت أنا مشدودا إلى المسجد مستشعرا برد الراحة كاللائذ بالواحة الشجراء في متاهات الصحراء من وهج القيظ ولذع الرمضاء ، وعزمت على البقاء لصلاة العشاء ، وظللت منجذبا إلى الشيخ الامام - نضر الله وجهه - ألاحقه بنظرات الحب والاجلال وقد قام يمشي بخطوات وئيدة إلى خزانة في جدار ، وأخرج منها لفافة وجاء إلى حيث كنت أجلس في مواجهة نافذة التماسا للهواء - فقد كان الجو حارا - وقرب قلة ماء كانت في النافذة ، وجلس مني عن كثب ثم نشر اللفافة قائلا : يا أخا الاسلام هل لك في طعام فتدنو لتصيب من رزق الله ، فإني كنت صائما والوقت لا يتسع للذهاب إلى البيت والعودة قبل العشاء ، فشكرت واعتذرت بأني شبع لا حاجة بي إلى طعام ، وكنت صادقا فما مس قلبي من ابتهاج كفيل بإشباع الجائع فما الحال بمن هو شبع ، وأخذ الشيخ يأكل في تؤدة ووداعة ، وكان طعامه كسرة من الخبز وقطعة من الجبن وبضع تمرات ، يالله أهذا طعام من خفقت لقراءته القلوب وهفت النفوس بعد صيام يوم من أيام الصيف ؟! ولكنها تقوى القلب الذي يبيت عند ربه فيطعمه ويسقيه ، ، وليس الطعام غاية الانسان في الحياة ولكنه وسيلة إلى هدف أسمى بالقدر اللازم لحفظ الكيان الجسدي لا بغية اكتناز اللحم والشحم اللذين يثقلان المرء ويقعدان به عن السمو والقيام بعظائم الأمور . وفرغ الرجل من طعامه وشرابه رافعا أكف الحمد والشكر لله الذي أنعم وأفاض ، وقام وجدد وضوءه ،

وصلى ركعتين تنفلا ثم جلس أمام المحراب على كرسي من الخشب المجرد ، وراح يسبح في تفكير عميق - وقد أطرق إلى الأرض قابضا على لحيته . وفي منتصف الوقت بين المغرب والعشاء أخذ المصلون يتوافدون ويأخذون أماكنهم أمام الشيخ ، فهذا موعد الدرس الذي يحرصون على تلقيه بلهفة وشغف كما تجلى في وجوههم ونظراتهم إلى الامام ، وانتظمت الحلقة أو قاربت وقد أخذت أنا مكاني منها ، وأخذ الشيخ يتحدث فسمى الله وحمده وصلى وسلم على رسوله الكريم ثم قال : صدق الله العظيم حيث يقول : (**وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين**) كنت قد أعددت سورتين من قصار المفصل لقراءتهما في ركعتي المغرب الجهريتين ، وما أن انتهيت من قراءة الفاتحة في الركعة الأولى حتى أنطق الله لساني بالآيات التي سمعتموها مني والتي منها قول الحق تبارك وتعالى (**الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم** ...) ولا ريب أن ما جرى إنما كان لحكمة بالغة في علمه هو جل شأنه فوق العقول والافهام ، ووفق ما يريد لا ما نريد فعزمت على أن يكون درسنا الليلة تجوالاً بين ظلال تلك الآية الكريمة . وانطلق الشيخ يتحدث بكلام مشرق مضيء صادر من نفس مشرقة مضيئة ينسكب في النفوس انسكاب الألحان ، ويستقر في العقل والوجدان نابضا حيا يعمل فيها عمله . وكان مما قال في حديثه ووعته ذاكرتي قوله : هذا الوجود الرحب الفسيح الذي لا يعلم له حدوداً إلا فاطره ، والذي يموج ويصخب بالكائنات الحية ، والظواهر والمتغيرات ، المليء بالأسرار الغاص بالأخطار يعيش الانسان فيه على الأرض أعزل لا حول له ولا قوة بالقياس إلى غيره من المخلوقات ، فهو بطبيعة مادته وتكوينه هش ضعيف سرعان ما يتهافت وينهار متهشماً ، ومع غروره وصلفه فإن بعوضة تقلقه ونملة تزعجه ، وحشرة تؤذيه ، وفيروساً يرديه . أما عقله الذي يتميز به فإنه قاصر عن أن يحيط بكل الظروف المحيطة به ، كليل عن إدراك الخفايا والملابسات البعيدة عن مدى حواسه وإشعاع عقله إنما يحيا على الأرض ، ويضرب في مناكبها بين الأخطار والأهوال بمدد من السماء ، وحماية من الخالق القوي العظيم ، وتقدير من الحكيم العليم ، وإلهام منه إلى تسخير بعض ما في الطبيعة من قوى كامنة مذخورة مرهونة بمشيئته سبحانه وتعالى ، ويظل الانسان في الحياة متوازنا متناسقا معها أخذا وعطاء ما دام موصولا بالسماء بالاسباب التي مدتها بينها وبينه ، فإذا انْبتَّ ما بينها وبينه من أسباب انقطع مددها عنه وصار موكولا إلى نفسه ، راكنا إلى أسباب الأرض والتراب ، اختل توازنه ، واضطربت مقاييسه ، فغدا سقيم العقل والوجدان ، تعصف به الأوهام وتتخطفه مخالب الأحزان وتملأ نفسه الوحشة ، ويسكن قلبه الرعب والقلق ، ولو كان يخطر على بسط النعيم والجاه في حمى الأجناد والحراس ، ويمتلك خزائن الأرض من الذهب والفضة ، وأوديتها من الأنعام والحرث . إنه يكون كالقصر المنيف الذي هجره سكانه وانفض سماره وانقطع عنه التيار الكهربي ؛ فانطفأت مصابيحه وصار غارقا في ظلمات بعضها فوق بعض ، تخيم فيه الوحشة ، وتركض الأشباح ، وترتع الأفاعي ، ولا ينبعث

منه إلا صياح البوم ونعيب الغربان ، فهو خرب الباطن وإن كان مزخرف الظاهر . وكم نقلت إلينا وسائل الاعلام من بلاد الالحاد والكفران أنباء الانتحار ممن ركنوا إلى المادة وأخلدوا إلى الأرض ، وقطعوا حبال الصلة بينهم وبين خالقهم مع أنهم يتمتعون بالثراء ، ويتقلبون في صنوف النعيم المبتكرة ، وألوان الرفاهية المتجددة التي ابتدعها وأخرجها العلم المجرد عن روحانية السماء ونفحات خالق الوجود . ولكن ما الاسباب التي تربط الانسان بالرحمن ، وما تلك الخيوط التي يصل عبرها التيار الذي ينير الأفئدة ، ويشيع فيها السكينة والاطمئنان ، ويكشف لها الطريق في ظلماء الوجود بين المزالق والعقبات الكؤود . إنها – يا إخوة الاسلام ذكر الله تبارك وتعالى ، إنه الموجات التي تحمل التوجيه والالهام الالهي للانسان ليسلك طريق السلامة والنجاة في رحلة الحياة ، وما الغافل عن ذكر الله المعرض عنه إلا كالتائه الذاهل عن مصدر غذائه الحقيقي ، ومنبع ريه الذي لا ينضب ، ومنطلق الهواء الذي يتنسمه ويتردد في صدره ، إنه يعيش مبهورا ، متلاحق الأنفاس ، ضيق الصدر كأنما يصعد في السماء **(ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ..)** وهو أيضا سيء الظن جافي الطبع لا يفكر في خير ولا يسعى في مكرمة **(ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين)** إنه شقي منكود وإن بدا للأغرار سعيدا مجدودا ، ومضى الشيخ قائلا : أيها الاخوة ، وعلى درب الحياة الوادعة الهانئة أزيدكم نهلة من ينابيع الذكر الحكيم ، وألفتكم إلى ومضة من نوره الذي لا يخبو قال تعالى : **(الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون)** قال الشيخ : وكم في كتاب الله من آيات بينات تلفتنا إلى أسباب الشفاء ، وتدلنا على ينابيع الدواء ، وكم نسمعها من قراء بل ويحفظها ويرددها الكثير منا ولكنهم يمرون عليها غافلين دون أن يفطنوا إلى ما تزخر به من كنوز :

كالعيس في البيداء يقتلها الظما … والماء فوق ظهورها محمول

ويروحون يلتمسون الدواء عند من هم في حاجة الى دواء أو يحسبون البرء والابلال فيما هو سقم ووبال . قال الصديق (س) وهنا أدركت أنني كنت طوال حياتي كمن يركض في البيداء يلتمس الرواء من السراب الخداع ، وكنت مع المال كمدمن الخمر فهي داؤه ودواؤه ، وما استفحال دائه إلا من دوائه ، وأحسست أني كنت كالنائم الذي جثم على صدره كابوس المزعجات الرهيبة حتى كاد أن يختنق فهب فزعا مرتاعا ليجد أمامه ملاك الرحمة المتمثل في الشيخ يوقفه على منبع الدواء ومبعث الضياء . وصلينا العشاء ، وخرجت من المسجد وكأني خرجت من الحمام مغتسلا نقي النفس صافي الروح ، وسرت في طريقي إلى البيت وكأني أسير على أقدام مجنحة تطير في الهواء ، وقد غمرني فيض من الشعور بالبهجة لا عهد لي به من قبل ، وكأني لم أولد إلا اليوم . فقلت صدق الله العظيم **(ألا بذكر الله تطمئن القلوب)**.

من أمراض الحضارة الحديثة

القلق

○ ما المقصود بالقلق ؟

يقصد بالقلق : الانفعال الشديد بمواقف أو اشياء او اشخاص بغير سبب يدعو الى هذا الانفعال ـ وقد يقصد به الخوف المستمر من خطر أو ألم أو عقاب يحتمل أن يحدث وهو انفعال مركب من الخوف والألم وتوقع الشر .

والقلق ـ في الحالات الشديدة ـ يبعث على التمزق والخوف ـ وهو يحول حياة صاحبه الى حياة عاجزة ـ ويشل قدرته على التفاعل الاجتماعي والتكيف البناء ـ ذلك لان الانسان لا يستطيع ان يخرج من دائرة سلطانه عليه ـ فيصبح القلق ملحا عليه في حركاته وسكناته ـ في عمله وبيته ـ في ليله ونهاره ـ ويكون مانعا له من التركيز في التفكير ومن التخطيط ومن العمل على حل مشكلاته ـ ذلك لانه يشمل جوانب الانسان الوجدانية والسلوكية والفكرية فضلا عن تفاعلاته الاجتماعية .

فهو من **الناحية الوجدانية** : يسيطر على الشخص فتظهر عليه مشاعر الخوف والاكتئاب والشعور بالعجز عن اتخاذ قرارات حاسمة او السرعة في اتخاذ قرارات لا تنفذ .

ومن **الناحية الفكرية** : قد تحدث اضطرابات في التفكير ـ تظهر في تبني اتجاهات وافكار غير منطقية .

ومن **الناحية السلوكية** : قد يحدث التورط او الانغماس في سلوك ظاهر من

وَأثرُه في المجتَمعَات الحَديثة

للأستاذ / علي القاضي

الخوف والتوتر عند اتخاذ قرارات او عند اختيار موضوعات القلق .
والناس في المجتمعات الغربية - وبخاصة الشباب - يتحدثون عن القلق كظاهرة شائعة ونحن نرى الشاب - في الحالات الشديدة من القلق - تأتي اليه تغيرات فسيولوجية دون ان يدري لذلك سببا - جسمه يعبر عن القلق - حركات يديه تعبر عن القلق - قلبه في خفقان دائم وهو بذلك يعبر عن القلق وحين يتنفس فان تنفسه يكون سريعا وضغطه يكون مرتفعا - كما ان غدده الصماء يزداد افرازها - والى جانب هذا كله فقد ينتابه الشعور بالهبوط في المعدة - ويحس بالعرق البارد - الى غير ذلك من مظاهر القلق الشديد - وقد يتوقع الشاب - مع هذا كله الشر من كل شيء - وبذلك تصبح حياته جحيما لا يطاق .

على ان هناك قلقا عاديا ينتاب اكثر الناس ويحسون به عند حدوث شيء او توقع حدوث شيء - وهو في الظروف الطبيعية مفيد - لأنه يدفع الى التفكير والى التخطيط والى العمل حتى يصل الى شيء فيستقر ويهدأ .

والقلق المرضي - قد يكون فرديا - يقتصر خطره على الفرد - وقد يكون ظاهرة عامة في المجتمع - وحينئذ يكون خطرا على الافراد والجماعات - لأنه يفقدها السعادة الفردية والاجتماعية - وتكلف المجتمعات اموالا طائلة في العلاج - وفي الوقت نفسه ينقص الكثير من دخلها من جراء عدم استطاعة المرضى الانتاج بصفة جزئية او بصفة كلية .

ولو اخذنا مثالا للمجتمعات الغربية الحديثة - المجتمع السويدي - وهو من

المجتمعات التي يطلق عليها المجتمعات السعيدة - لأنها تجد كفايتها المادية من جميع النواحي - لوجدنا ان حوالي ٧٥٪ من المجتمع - في عمر التلاميذ ومن هم اكبر من ذلك يحتاجون الى تعاطي المواد الطبية المهدئة للاعصاب والحبوب المساعدة على النوم ، وان مستشفيات الامراض النفسية يدخلها في كل عام ١١٠ الف شخص - من بينهم ٢٢ الفا يحولون الى مستشفيات الامراض العقلية لحالتهم الخطيرة على حياة الناس - وان الذين ينجحون في الانتحار كل عام الفا شخص ، وان ٣٠٠ الف في السويد يدمنون الخمر حسب الاحصاءات الرسمية - وهؤلاء لا يصلحون لأي عمل في بلادهم - لذا احيلوا الى التقاعد المبكر .. ويبلغ شعب السويد ٨ ملايين نسمة - وعدد المتقاعد من الموظفين يبلغ المليون شخص - ونسبة الطلاق سنة ١٩٧٧ بلغت ٥٠٪ من نسبة الزواج - وحالات الاجهاض كانت عام ١٩٦٦ ٢٥٠ و٧٥ حالة .

ولو اخذنا المجتمع الامريكي مثالا آخر - وهو من المجتمعات الغنية - في دراسة مسحية أجريت على خمسة آلاف امريكي لوجدنا ان النتيجة كانت كالآتي :

- ٤٪ من العينة يعانون من الاضطرابات المزمنة .
- ١١٪ من العينة يشعرون بالاكتئاب وعدم السعادة
- ١٩٪ من العينة تتملكهم مخاوف من الانهيار العصبي بين لحظة واخرى .
- ٢٣٪ من العينة صادفتهم مشكلات احتاجت لتدخل اخصائيين نفسانيين او اجتماعيين وان النساء كن اكثر عرضة للاصابة بالامراض النفسية من الرجال وان كبار السن يتميزون في جوانب معينة بالاضطرابات العصبية كالاكتئاب

لقد انتشر **القلق** في المجتمعات الغربية المعاصرة وكان من نتائجه المباشرة :-

أ - الامراض الجلدية :

فقد اثبت العلماء ان القلق والتوتر الشديد من الاسباب الرئيسة التي تؤثر على حياة الانسان النفسية ، والتي تنعكس بعد ذلك على شكل امراض عضوية تؤثر على مختلف اجهزة الجسم - فتظهر على الجهاز التنفسي مثلا في صورة تنهدات متكررة او نهجان او سرعة في التنفس - وتظهر على شكل آلام في الصدر فوق منطقة القلب تماما ، او تسبب ازديادا في سرعة دقات القلب ، او ارتفاعا في ضغط الدم ، كما قد تصيب الجهاز الهضمي - فيصاب المريض بسوء الهضم او الغثيان ، او يجد صعوبة في البلع ، او يصاب بالاسهال او الامساك - وقد تظهر آثار ذلك على الجهاز البولي في صورة تبول او احتباس بول - ويظهر تأثيرها واضحا في الأمراض الجلدية يقول الدكتور محسن سليمان الاستاذ المساعد للامراض الجلدية بكلية طب قصر العيني « ان معظم الامراض الجلدية تتأثر الى حد كبير بالحالة النفسية للمريض فتزداد شدتها ومن امثلة ذلك **الثعلبة والبهاق والصدفية** وبعض تقرجات الفم والاكزيما والارتكاريا والتهاب البشرة الدهنية .

ب ـ **المخدرات** : ويهرب القلقون ايضا بوساطة تعاطي المخدرات ـ واذا اخذنا مجتمعا غنيا متحضرا ـ كمجتمع الولايات المتحدة الامريكية ـ فاننا نلاحظ ـ حسب الدراسات التي اجرتها مؤسسة مكافحة المخدرات الامريكية ان عدد المدمنين بلغ ١٩,٣٠٠ مليون امريكي ـ وبلغ عدد الذين يتعاطونها ٣٤ مليون امريكي ومجلة هاي تايمز وصفحاتها ١٧٨ تتخصص كلها في المخدرات وتوزع ٧٢٥ الف نسخة ، و٤٠٪ من صفحاتها مخصصة للاعلان عن اجود انواع المخدرات وافضلها .. وقال السناتور جيمس ايسلاند : رئيس جمعية الأمن الداخلي « ان اكبر كارثة تهدد الشعب الامريكي حاليا تتجلى في وباء التحشيش الذي يجتاحنا ـ ان الشعب الامريكي اليوم اصبح شعبا معتوها » .

وقد نشر مكتب التحقيقات الفيدرالي احصاءات تدل على سبب انتشار هذا الوباء .. ففي عام ١٩٧٠ اوقف ٤١٦ الف امريكي بتهمة حيازة المخدرات وفي عام ١٩٧٤ اوقف ٦٤٣ الف امريكي بالتهمة نفسها ، ٥٢٪ منهم لا يتجاوز عمرهم الحادية والعشرين .

وقالت استاذة امريكية : ان من الظواهر الاجتماعية المقلقة التي تنمو بسرعة داخل الاسرة الامريكية تزايد شعور الآباء والأمهات بأن ابناءهم لا يقدرون فضلهم ، وتزايد شعور الابناء بأن اباءهم وامهاتهم لا يفعلون شيئا يذكر .. وان الاسرة الامريكية بدأ يتسلل اليها هذا الشعار : « لا تعط الا القليل ، ولا تنتظر الا القليل » .

وقالت الاستاذة الامريكية : لابد من ادخال الاجيال المقبلة في نطاق حماية حقوق الانسان وهذه الضرورة لها مصدران رئيسـان :ـ

١ ـ القيم المطلقة الراسخة من الأديان السماوية .

٢ ـ انعكاسات الثورة العلمية والتكنولوجية .

ج ـ **الانتحار** : بل ان القلق احيانا يدفع الانسان الى الانتحار حتى يتخلص من الحاحه عليه ـ واذا اخذنا المجتمع الامريكي ايضا مثالا لذلك ـ فان الدكتور ميتشيل بك : طبيب رعاية الشباب في مركز مقاومة الانتحار في لوس انجلوس يقول « ان ما يقرب من خمسة آلاف امريكي دون الرابعة والعشرين من العمر انتحروا عام ١٩٧٧ ـ وقد حاول مائة الف اخرون ان يفعلوا ذلك ، بينما فكر ثلاثمائة الف في الانتحار » .

وقد ارتفعت نسبة الانتحار بين الشباب ثلاثة اضعافها في العشرين سنة الأخيرة .. والخبراء يدرجون الأسباب في النقاط الآتية :ـ

● الشعور بالخيبة والقصور في الوصول الى ما يأمله الآباء والأصدقاء وبخاصة مع وجود الضغوط والمحرضين على النجاح .
● الشعور بعدم الاستقرار الناتج عن كثرة تحركات وتنقلات الاسرة .
● مشكلة الطلاق في العائلة .

● القلق الناتج عن التفكير الدائم في احتمال عدم الحصول على عمل بعد الدراسة .

● شعور الشباب بأنه ليس هناك من يفهم مشكلاتهم على حقيقتها .

● الاسباب الخاصة كفقد صديق او صديقة ، او الرسوب في الدراسة ، او السقوط في امتحان قيادة السيارات .

ويرى الدكتور سوانسون : ان الحرية المفرطة المعطاة لهؤلاء الشباب هي سبب الانتحار . فيقول : « انا لا اريد ان ابدو بصورة الرجل الرجعي - ولكن اقولها بصراحة : ان هذا الشباب بحاجة الى من يرعاه ويشعره بأن هناك من يريده ويحتاج اليه » .

○ اسباب القلق :

ولكي نعالج القلق المرضي فلابد ان نعرف اسبابه حتى يمكن ان نتلافاها قبل وقوع المرض وان نعالجها بعد وقوعه والاسباب الاساسية للقلق في المجتمعات المعاصرة هي :-

★ فقدان الايمان :

في المجتمعات المعاصرة فلسفات متعددة - بعضها مادي إلحادي يرى ان المادة هي كل شيء وينظر الى العقل الانساني باعتباره أسمى انتاج في المادة - وهناك فلسفات تنتهي الى الالحاد - اذ انها لا ترى لحياة الانسان معنى ولا ترى لوجوده غاية ، وتؤكد على أن حياة الانسان مأساة - وهذه المعاني تشيع في الكتابات الأدبية في اوروبا وهي فلسفات تشاؤمية - كالفلسفة الوجودية - فهي تشيع في نفس الانسان التشاؤم وتجعل حياته بلا معنى - والوجودي يرى ان الانتحار فعل وجودي ممتاز لأنه يخلصه من الحياة التي لا فائدة منها ولا اهمية لها - ومثل الفلسفات التي تعتد بالعلوم والمنهج العلمي وحده وتنكر الغيبيات - وهذه الفلسفات منتشرة في مجتمعاتنا المعاصرة فاذا ما شاعت في مجتمع ما احدثت قلقا مؤلما في نفس الانسان - ذلك لان الانسان الماركسي مثلا يعيش مطحونا من الناحية النفسية لانه يستشعر القلق والحزن مهما بدا عليه في الظاهر من تكلف ورضا بالنظام او الفلسفة التي ينتمي اليها - وقد يرى ان الحزب هو كل شيء فيتعامل معه وكأنه إله - وهو إله لا يحس نحوه بالمحبة او التعاطف - بل انه يستشعر دائما - مع وجوده معه - الخوف والقلق المستمر .

« وفرويد » ينظر الى الانسان نظرة غير طبيعية - ويرى ان حياة الانسان ضياع وان الانسان مشروع فاشل - وهذه الأفكار تسرب بعضها الى عالمنا

الاسلامي وبخاصة بين طوائف الشباب التي اصبح بعضها يعاني من التمزق النفسي .

★ صراعات الحياة :

تشاهد المدنية الغربية الوانا من الطلبات المادية والوانا من التطلعات التي لا تتلاءم مع الامكانات المتنوعة والوانا من الصراعات بين الناس بعضهم وبعض - بل واحيانا بين الانسان ونفسه - وهذه الاشياء تفقد الانسان توازنه وتجعله في قلق مستمر ، وهذا هو الذي جعل العالم النفسي « كارل جونج » يترك المدينة وينتقل الى بيت ريفي في « بولنجن » بسويسرا ليس فيه شيء من مظاهر المدنية الحديثة - ولكن فيه الهدوء المطلوب والبعد عن الصراعات فيقول : « اني اعيش هنا بلا كهرباء واشعل الموقد والمدفأة بنفسي وفي المساء اضيء المصابيح القديمة - كما انه لا توجد مياه جارية - ولهذا استخدم المضخة لاخراج الماء من البئر واقطع الاخشاب لكي اطهو الطعام - وهذه الأعمال البسيطة تجعل الانسان بسيطا - وما اصعب ان يكون الانسان بسيطا من يدري لعل هذا هو سر العباقرة » .

وقد نشأ عن هذا تعبير الغربة « وهو تعبير عن حالة منتشرة في المجتمعات التي تعيش في رفاهية المادية - وسبب ذلك الحياة المصطنعة التي يحياها الانسان في المدن .. ومن الغربة الضيق الاجتماعي والثقافي الذي يؤثر حتى على الذين يشعرون بانسحاق فرديتهم كالمقاييس الجماعية التي لا تسمح لهم بابراز شخصيتهم وتوكيد ذاتيتهم وهويتهم .

وقد تنبه الى هذا الاستاذ الامريكي « رينيه دولو » الحائز على جائزة نوبل - فقال في كتابه انسانية الانسان « تحت عنوان عصر القلق : « ان المنجزات التكنولوجية والاجتماعية نشرت الرفاهية والاقتصادية وزادت الرخاء - ولكنها لم تزد كثيرا في السعادة وفي معنى الحياة - ومن التناقض ان يكون عصر التكنولوجيا هو عصر الامراض المزمنة والقلق واليأس واكبر مشكلة جادة في الحياة المعاصرة - هي في الغالب شعور الانسان ان الحياة فقدت معناها - والانسان العصري قلق لأن عالم التكنولوجيا الذي يشكل محيطه المباشر والذي فصله عن عالم الطبيعة - فشل في توفير حاجات الانسان الاساسية التي لم تتغير ولم تتبدل ، - ويشبه انسان العصر - من نواح كثيرة - الحيوان البري الذي يقضي حياته في حديقة الحيوان فهو محروم من المثيرات الطبيعية الاساسية للعديد من وظائفه الفكرية والجسمية ، وانسان اليوم معزول ايضا عن اعماق ذاته - والرجل المطلق الذي يتمثله المتأملون هو شبه انسان - فهو محروم من صفاته الانسانية ومن المنبهات اللازمة لسلامته الجسمية والعقلية » .

ولذلك فان المشاعر الدينية والتقاليد الاجتماعية القديمة تنخرها المعلومات العلمية ونتيجة لذلك انتشر تعبير « مات الاله » والاله كان يرمز لوحدة الكون

بمجموعه الخالق والمخلوقات - وبذلك اصبح الانسان كسفينة بلا مرساة .

○ العلاج

ترى ما علاج القلق ؟

ان علاج **القلق** يكمن في **عودة الايمان الى النفوس** - الايمان بالله الواحد الأحد الذي يجعل القلب متعلقا بخالقه - فيحس معنى الحياة - فالله خلقه والله كفل له الرزق والله جعله خليفة له في الأرض والله رسم له الاسلوب الذي يسير عليه في الأرض والله هو القوة الكبرى التي يلجأ اليها الانسان في كل وقت - وبذلك يحس بالأمن كما يحس بالسعادة والراحة والهدوء - فالايمان بالله تعالى وقاية من القلق وعاصم من الحيرة - والمؤمن يستشعر التوافق النفسي بينه وبين نفسه وبينه وبين ربه : (**الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب**) الرعد / ٢٨ .

والايمان يعصم الانسان من ان ينظر الى الحياة على انها نعيم فقط فيستكثر من اسباب النعيم التي يراها - فيتعلق قلبه بهذه الاشياء - بل انه يرى - ان الحياة الدنيا امرها هين وان الجزاء الأوفى في الآخرة لأنها دار الخلود .

والتمسك بالقيم الدينية يبعث في النفس البشرية الحب للكون كله ما فيه ومن فيه - فالحب البشري وسيلة لاكتساب الكنز الذي وضعه الله داخل الانسان - ويتمثل في مواهب الانسان ورقته وهي باقة الزهور التي تولد من دموع الفرح الجميل النابع من الحب ؛ قال فان جوخ : « ان الحب يشبه تماما المصباح الذي يشع منه الضوء - ولقد كان المصباح موجودا قبل اشعاله - ولكنه لم يكن يضيء - وها هوذا الضوء ينبعث منه الان - وهذا هو الشأن في الحب يكون الانسان منطفئا من الداخل - فاذا احب اضاء بالاف المعاني الجديدة وتغيرت شخصيته وتحول من حال الى حال ...

★ فاذا كان جبانا صار شجاعا ..
★ واذا كان كسولا اسرع اليه النشاط .
★ واذا كان مهموما ملأ الفرح قلبه .
★ واذا كان فقيرا احس بأنه اغنى الناس .

★ الحب يظهر المواهب الرقيقة في المخلوق .
★ ويضيء قلبه فيهتدي الانسان بنور البصيرة .

فالتدين الواعي - هو الذي يرتبط فيه الانسان بربه برباط وثيق ، ويتفق عمله مع هذا الايمان فيمتلىء قلبه بالحب لهذا الكون ما فيه ومن فيه - وبذلك لا يجد الانسان في نفسه قلقا ولا حيرة - بل يعيش هادىء النفس قرير العين سعيدا في كل لحظة من لحظاته مؤديا لواجبه منتظرا الجزاء من ربه .

وثيقة

البرنامج السياسي الفلسطيني

اختتم المجلس الوطني الفلسطيني مساء ٢٢ / ٢ /٨٣ في العاصمة الجزائرية اعمال دورته السادسة عشرة بإصدار الاعلان السياسي الذي يشكل برنامج عمل الثورة الفلسطينية للمرحلة المقبلة ، وتضمن الاعلان الصادر عن المجلس القرارات التالية :

على الصعيد الفلسطيني :

الوحدة الوطنية الفلسطينية :

جسدت معركة الصمود والبطولة في لبنان وبيروت الوحدة الوطنية الفلسطينية بأروع صورها وانطلاقا من هذه الخبرة النضالية الفلسطينية الرائدة :

يؤكد المجلس الوطني الفلسطيني على تعزيز الوحدة الوطنية بين فصائل الثورة في اطار م . ت . ف . والعمل على الارتقاء بصيغ العلاقات التنظيمية في جميع مؤسسات وهيئات المنظمة على قاعدة العمل الجبهوي والقيادة الجماعية وعلى اساس البرنامج التنظيمي والسياسي الذي اقرته الدورة الرابعة عشرة للمجلس الوطني الفلسطيني .

القرار الوطني المستقل :

يؤكد المجلس الوطني الفلسطيني على استمرار التمسك بالقرار الوطني الفلسطيني المستقل وصيانته ومقاومة الضغوط التي تستهدف النيل من هذه الاستقلالية من أي جهة أتت .

الكفاح المسلح الفلسطيني :

يؤكد المجلس الوطني الفلسطيني على ضرورة تطوير وتصعيد الكفاح المسلح ضد العدو الصهيوني وحق قوات الثورة الفلسطينية بممارسة العمل العسكري ضد العدو الصهيوني من جميع الجبهات العربية .

كما يؤكد على ضرورة توحيد قوات الثورة الفلسطينية في اطار جيش تحرير وطني موحد .

الوطن المحتل :

١ ـ يحيي المجلس الوطني جماهيرنا الصامدة في الارض المحتلة في وجه الاحتلال والاستيطان والاقتلاع ويحيي اجماعها الوطني الشامل والتفافها الكامل من حول م . ت ف . الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني في الداخل والخارج .

٢ ـ ان المجلس الوطني الفلسطيني يدين ويشجب جميع المحاولات الاسرائيلية والاميركية المشبوهة الرامية الى ضرب الاجماع الوطني الفلسطيني ويدعو جماهير شعبنا الى مقاومتها والتصدي لها .

٣ ـ يؤكد المجلس الوطني الفلسطيني على تعزيز وحدة المؤسسات الوطنية والاجتماعية والنقابية والجماهيرية وعلى ضرورة العمل لبناء الجبهة الوطنية في الداخل وتطويرها .

٤ ـ يؤكد المجلس الوطني الفلسطيني على ضرورة مضاعفة الجهود من أجل تعزيز صمود شعبنا في داخل الوطن المحتل .

وتقديم كافة مستلزمات هذا الصمود لوضع حد للتهجير والحفاظ على الأرض وتطوير الاقتصاد الوطني .

٥ ـ يحيي المجلس الوطني صمود شعبنا داخل المناطق المحتلة من أجل تأكيد هويته الوطنية باعتباره جزءا لا يتجزأ من الشعب الفلسطيني كما يؤكد المجلس على ضرورة توفير كل سبل الدعم له وتعزيز ووحدة هيئاته الوطنية .

٦ ـ يوجه المجلس تحية التقدير والاعتزاز الى الأسرى والمعتقلين في سجون العدو داخل الوطن المحتل وفي الجنوب اللبناني .

شعبنا في الشتات :

يؤكد المجلس الوطني على ضرورة تعبئة طاقات شعبنا في جميع مناطق تواجده خارج أرضنا المحتلة وتعزيز التفافه حول منظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي وحيد لشعبنا ويوصي اللجنة التنفيذية بالعمل على المحافظة على مصالحهم الاجتماعية والاقتصادية والدفاع عن حقوقهم المكتسبة وحرياتهم الاساسية وامنهم تأكيدا للقرار رقم ١٤ من الاعلان السياسي الصادر عن المجلس الوطني الفلسطيني في دورته الثالثة عشرة المنعقدة بتاريخ ١٢ ـ ٣ ـ ٧٧ ويدعو المجلس الوطني الفلسطيني اللجنة التنفيذية لدراسة التحرك في هذا الاطار بما يتلاءم ومصلحة قضية فلسطين والنضال الوطني الفلسطيني .

على الصعيد العربي :

- أولا ، العلاقات العربية :

١ ـ تعميق التلاحم بين الثورة الفلسطينية وحركة التحرر الوطني العربية في الوطن العربي بأكمله وذلك من أجل التصدي الفعال للمؤامرات الامبريالية والصهيونية والمشاريع التصفوية وخاصة اتفاقيات كمب دايفيد وانهاء الاحتلال للأراضي العربية المحتلة .

٢ ـ تقوم العلاقات بين منظمة التحرير الفلسطينية والدول العربية على الاسس التالية :

١ ـ الالتزام بقضايا النضال العربي وفي طليعتها قضية فلسطين والنضال من أجلها .

٢ ـ التمسك بحقوق الشعب الفلسطيني بما فيها حقه في العودة وتقرير المصير واقامة دولته المستقلة بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية وهى الحقوق التي أكدتها قرارات القمم العربية .

٣ ـ الحرص على وحدانية التمثيل والوحدة الوطنية واحترام القرار الفلسطيني المستقل .

٤ ـ رفض كافة المشاريع الرامية الى المساس بحق منظمة التحرير الفلسطينية في التمثيل الوحيد للشعب الفلسطيني وعبر أية صيغة كالتفويض والانابة أو المشاريع في حق التمثيل .

٥ ـ يدعو المجلس الوطني الفلسطيني الى تعزيز التضامن العربي على قاعدة قرارات مؤتمرات القمة العربية وعلى ضوء الاسس السابق ذكرها .

ثانيا : مقررات قمة فاس :

المشروع العربي للسلام

١ ـ يعتبر المجلس الوطني الفلسطيني مقررات قمة فاس الحد الادنى للتحرك السياسي للدول العربية الذي يجب أن يتكامل مع العمل العسكري بكل مستلزماته من أجل تعديل ميزان القوى لصالح النضال والحقوق الفلسطينية العربية .

ويؤكد المجلس ان فهمه لهذه القرارات لا يتناقض مع الالتزام بالبرنامج السياسي وقرارات المجلس الوطني .

ثالثا : الاردن :

أ ـ التأكيد على العلاقات الخاصة والمميزة التي تربط بين الشعبين الاردني والفلسطيني وضرورة العمل على تطويرها بما يلزم والمصلحة القومية للشعبين والامة العربية في سبيل احقاق الحقوق الثابتة للشعب الفلسطيني بما فيها حق العودة وتقرير المصير واقامة الدولة الفلسطينية المستقلة .

ب ـ التمسك بقرارات المجلس الوطني الخاصة بالعلاقات مع الاردن والانطلاق من أن منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني داخل الأرض المحتلة وخارجها ويرى المجلس الوطني الفلسطيني أن تقوم العلاقة المستقبلية مع الاردن على أسس كونفدرالية بين دولتين مستقلتين .

رابعا : لبنان ..

١ - تعميق العلاقات مع الشعب اللبناني وقواه الوطنية وتقديم الدعم والاسناد لها في نضالها الباسل لمقاومة الاحتلال الصهيوني وأدواته .

٢ - تكون في مقدمة المهمات الراهنة للثورة الفلسطينية المساهمة مع الجماهير اللبنانية وقواها الوطنية والديمقراطية لمحاربة الاحتلال الصهيوني .

٣ - يدعو المجلس اللجنة التنفيذية للعمل من أجل اجراء المباحثات بين منظمة التحرير الفلسطينية والحكومة اللبنانية لتحقيق أمن وسلامة المواطنين الفلسطينيين المقيمين في لبنان .وضمان حقوقهم في الاقامة والتنقل والعمل السياسي والاجتماعي .

٤ - العمل على ايقاف الاعتقالات الكيفية الجماعية والفردية القائمة على أساس سياسي والافراج عن المعتقلين في سجون السلطة اللبنانية .

خامسا : العلاقة مع سوريا ..

تقوم العلاقة مع سوريا الشقيقة انطلاقا من قرارات المجلس الوطني في دوراته الختامية التي تؤكد أهمية العلاقة الاستراتيجية بين منظمة التحرير الفلسطينية وسوريا لخدمة الاهداف النضالية والقومية ولمواجهة العدو الامبريالي والصهيوني بأعتبار أن منظمة التحرير الفلسطينية وسوريا خط المواجهة الامامي أمام الخطر المشترك .

سادسا : جبهة الصمود والتصدي

يكلف المجلس الوطني الفلسطيني اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية بعقد مباحثات بين أطراف الجبهة القومية للصمود والتصدي لبحث كيفية احيائها على أسس سليمة واضحة وفعالة أنطلاقا من أن الجبهة لم تكن بمستوى المهمات المطلوبة منها اثناء الغزو الصهيوني للبنان .

سابعا : مصر ..

يؤكد المجلس الوطني الفلسطيني رفضه لاتفاقيات كمب دايفيد وما يرتبط بها من مشاريع الحكم الذاتي والادارة المدنية .

وانطلاقا من الايمان الراسخ بدور مصر وشعبها العظيم في النضال العربي فان المجلس يؤكد على الوقوف بجانب نضال الشعب المصري وقواه الوطنية لانهاء سياسة كمب دايفيد حتى تعود مصر الى موقعها النضالي في قلب امتنا العربية ويدعو المجلس اللجنة التنفيذية الى تطوير علاقات منظمة التحرير الفلسطينية مع القوى الوطنية الديمقراطية والشعبية المصرية التي تكافح ضد التطبيع والعلاقات مع العدوان الصهيوني بمختلف اشكالها باعتبار ذلك يعبر عن المصالح الاساسية للامة العربية ويدعم نضال شعبنا الفلسطيني وحقوقه الوطنية ويدعو المجلس اللجنة التنفيذية الى تحديد العلاقة مع النظام المصري على أساس تخليها عن سياسة كمب دايفيد .

ثامنا : الحرب العراقية - الايرانية

يقدر المجلس الوطني الفلسطيني الجهود التي بذلتها اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية لانهاء الحرب العراقية - الايرانية من خلال لجنتي دول عدم الانحياز والدول الاسلامية ويدعو المجلس اللجنة التنفيذية لمواصلة الجهود لانهاء هذه الحرب بعد أن أعلن العراق سحب قواته من الاراضي الايرانية استجابة لنداء الثورة الفلسطينية ولحشد كل الطاقات لتحرير فلسطين .

عن جريدة القبس الكويتية

مع الصحافة

أغلب الظن أن عام ١٩٨٣ سيكون عاما شديد الوطأة على الشعوب الضعيفة . فبداياته توحي بأن المعضلات التي تعاني منها هذه الشعوب تزداد عسرا ، وبأن الحلول التي تستدرج اليها هذه الشعوب ليست إلا ألوانا من التخدير ، هدفها أن تتعود هذه الشعوب تحمل الضربات وتسمي ذلك ضبطا للنفس ، وتتعود التراجع عن حقوقها شيئا فشيئا وتسمي ذلك كياسة ، وتألف تقبيل السكين التي تذبحها وتزعم ذلك حذقا وسياسة !

ومن سوء حظ المسلمين أنهم « مصنفون » في عداد الشعوب الضعيفة ، وعلى ذلك ، إذا استمر العام ٨٣ على هذا المنوال ، فلن يكون عجبا أن تمتلىء الصحف ووسائل الاعلام الأخرى بأخبارهم : من مذابح جماعية يباد فيها الآلاف منهم ، وهجرات جماعية يهرب فيها الناجون بما تبقى من أرواحهم ، ونكبات اقتصادية يتحملون فيها تبعات الجشع المسعور في أمريكا والغرب ، وتهديدات أمنية تحشرهم فيها صراعات القوى العظمى .. إلى ألوان أخرى من البلاء كثيرة .

وما نحسب أحدا ممن يتابعون الأخبار أو يقرؤون الصحف العربية والعالمية يمكن أن يصف كلامنا هذا بالتشاؤم أو المبالغة . ففي الأسابيع القليلة الماضية احتلت عناوين الصحف أخبار المذابح المروعة في إقليم آسام بالهند حيث لقي الآلاف من المسلمين مصارعهم ، وشرد عشرات الآلاف . وبدأت نذر حرب الأسعار بين الدول المنتجة للنفط وأخذت القوتان العظميان في استعراض العضلات على أراضي المسلمين وفي مياههم ، فأعادت صواريخ سام ٥ ذكرى أزمة مشابهة للصواريخ في البقاع منذ عامين . واستمرت إسرائيل في حملات القمع الوحشي ضد المسلمين في جنوبي لبنان وفي فلسطين المحتلين ... والحقيقة أن من الصعب أن نقوم بجولة في بلدان المسلمين دون أن تستوقفنا هناك ضروب من القهر والعسف والارهاب ، مما يعسر إحصاؤه في مثل هذه الأسطر القليلة .

مذابح آسام ○

لم يتمكن المراسلون الصحفيون من تحديد دقيق لعدد الضحايا المذبوحين من المسلمين ، ولكنهم يجمعون على أن العدد بالآلاف ، وأن معظمهم من النساء والأطفال ، وأن حوالي « ٥٠ » قرية مسلمة - رواية النيوزويك في الأسبوع الثالث من جمادى الأولى - قد تم إحراقها .

ولقد بدأت هذه الهجمات الوحشية على المسلمين في يوم الجمعة ٥ جمادى الأولى واستمرت أكثر من ثلاثة أسابيع .

وقد عرضت المجلة المشار اليها وصفا موجزا للحدث جاء فيه :

« الهندوس يصطادون المسلمين كالأرانب في آسام . في ولاية اسام الواقعة في شمال شرقي الهند حمل عشرة الاف هندوسي بنادقهم واقواسهم ورماحهم واجتاحوا خمسين قرية مسلمة ، واحرقوا الاكواخ ، وطاردوا القرويين داخل حقول الذرة ، واصطادوهم مثل

الارانب ، وقتلوا على الاغلب النساء والاطفال . واستمرت العملية ثماني ساعات . عندما وصلت الشرطة اخيرا في المساء وجدت نسورا سمينة جاثمة بين الاشجار وقلة من الناجين المصابين بالدوار ممن وجدوا اماكن اختبأوا فيها . وبلغ مجموع القتلى ثلاثة الاف تقريبا ، وما يزال العدد يرتفع بمعدل ٣٠ عملية قتل يوميا وارغم المحرضون ٢٤ ألف بنغالي على النزوح الى الولايات المجاورة . »

وفي مرحلة مبكرة من الأحداث ذكرت تقارير عدة لوكالات الأنباء تفاصيل أخرى تزيد الصورة المفجعة وضوحا . تقول التقارير :

ذكرت الأنباء ان ما يصل الى ١٠٠٠ شخص من المهاجرين المسلمين بصفة رئيسية الذين ينحدرون من اصل بنغالي قد ذبحوا خلال نهاية الاسبوع الحالي وجاء في محصلة غير رسمية ان عدد القتلى في هذه المذبحة قد يصل الى اربعة الاف شخص .

وقد وصلت السيدة غاندي الى اسام بينما مازال يجري تجميع الجثث التي خلفها اسبوع من حوادث القتل من اجل دفنها .

وقد تم يوم الجمعة وحده قتل اكثر من ٥٠٠ مهاجر مسلم معظمهم من النساء والاطفال في منطقة ناوجونج الوعرة في وسط اسام . غير ان انباء صحفية قالت ان ما يصل الى ١,٠٠٠ شخص قد قتلهم رجال القبائل مستخدمين الفؤوس والرماح والاقواس والسهام والبنادق القديمة . وقد ارسلت قوات اضافية الى المنطقة حيث يتلقى مئات الجرحى والمشردين الرعاية في معسكرات اغاثة خاصة .

وقد جرت اعمال القتل التي خلفت عددا من الجثث المبتورة الرأس والمقطعة إربا إربا و ١٦ قرية محترقة في منطقة ناوجونج اثناء انتخابات دامت اسبوعا من اجل اختيار جمعية تشريعية محلية مؤلفة من ٣٦ مقعدا .

وصرح مسؤول عن عمليات الانقاذ لوكالة فرانس بريس اننا نكتشف جثثا في كل القرى ولا نعلم متى ولا اين سننتهي من احصاء العدد . ومازال المسؤولون بعد ثلاثة ايام من المذبحة يرفضون اصدار بيان محدد بشأن عدد الضحايا . وتحمل الجثث الموضوعة على جوانب الطريق على سيارات نقل وتنقل الى قبور جماعية . وقد اتضح حجم المذبحة التي ارتكبها يومي الجمعة والسبت الماضيين اعضاء القبائل ضد القرى التي يسكنها المهاجرون المسلمون ذوو الاصل البنغالي مع وصول الصحفيين وفرق الانقاذ .

وقد لاحظ أحد مراسلي وكالة فرانس بريس الذي زار هذه المناطق ان المسؤولين عن الانقاذ لم يستطيعوا الوصول سوى الى نصف القرى التي ارتكبت فيها المذابح .

ويرى المسؤولون ان تكوين فكرة نهائية عن اهوال المذبحة لن يتم قبل ثلاثة ايام .

والسبب الظاهري الذي رددته معظم الصحف التي نقلت أنباء المجزرة هو أن الحكومة الهندية لم تحذف من قوائم انتخابات المجلس التشريعي لولاية آسام أسماء المهاجرين المسلمين من بنغلادش الذين استوطنوا منذ حوالي أربعين عاما في آسام ، وذلك لأن حزب انديرا غاندي المتهمين على الحكومة الحالية يتوقع أن يكسب أصوات كثير من الناخبين المسلمين . بيد أن عنف المجازر ووحشيتها ومداها العريض يعزز رأي المحللين الذين أكدوا على أن السبب يعود الى جذور حضارية دينية .

أما عن موقف المسؤولين في الحكومة الهندية فقد نشرت صحيفة النيويورك تايمز في الأسبوع الثاني من جمادى الأولى مقالا جاء فيه :

الملاحظ ، انه لم يقم حكم جدي على هذه الاحداث ، اذ لم تجر تحقيقات قضائية فيها ، ولا طرحت المعارضة هناك طلبا بوجوب استقالة حكومة انديرا غاندي . في الحقيقة ، قال المراسلون الذين تم الاتصال بهم هاتفيا في عاصمة الولاية - غوهاتي - ان كل الاطراف المنخرطة في النزاع ، حاولوا تحاشي المسؤولية ، كما توقفوا عن توجيه اللوم بعضهم الى بعض ازاء موجة العنف الشديد التي استمرت اكثر من ثلاثة أسابيع . ولعل إحجام المعارضة عن توجيه النقد العنيف لحكومة غاندي والتزامها بضبط الاعصاب ، خلال الايام الاخيرة ، مرده ، كما قال احد الديبلوماسيين من دولة اسيوية بأن جميع الايدي ، حول احداث اسام ، ملطخة بالدم . واوضح رأيه هذا بالقول ، انه اذا كان إصرار السيدة غاندي على اجراء الانتخابات خطوة مثيرة للغضب ، فان اصرار المعارضة على تأييد ودعم الحركة بقيادة الطلاب ادى بدوره ، ولو بصورة غير مباشرة ، الى هذه المجازر .

وعن أوضاع المسلمين في آسام نشرت صحيفة وول سترايت جورنال مقالا في الأسبوع الثاني من جمادى الأولى جاء فيه :

هؤلاء المهاجرون الذين غالبا ما عملوا في الاعمال التي تتطلب جهدا ومشقة ، واسلافهم البنغاليون الذين جاءوا من المناطق التي باتت تعرف حديثا بدولة بنغلادش وولاية البنغال الغربي الهندية ، انتشروا في منطقة واسعة على جانبي وادي اسام . واشتغلوا كعمال زراعة في البداية الى ان تمكنوا من الحصول على مناطق خاصة بهم فاستقروا فيها وأصبحوا يشكلون جزءا مهما في الحياة الاقتصادية للمنطقة .

والتقارير الاحصائية تشير الى أن ما يقارب المليون مهاجر قد جاءوا الى هذه الولاية من البنغال ما بين عامي ١٩١١ و ١٩٤١ حين كانت البنغال ولاية واحدة . واستقر هؤلاء المهاجرون في المناطق غير المأهولة أو غير المستثمرة . وحولوها الى مناطق تنتج الارز بكميات وفيرة . ونتيجة لذلك تمكنوا من شراء الأراضي من ملاكها الاساميين .

وتزايد ثروة المسلمين في اسام الناجم عن تقدمهم في مجال زراعة الارز اعطاهم قوة سياسية ، وانتخب عدد منهم في المجلس التشريعي للولاية ، ويقدر عدد سكان ولاية اسام رسميا بحوالي عشرين مليون نسمة . وحسب اخر احصاء فان في الولاية حوالي ٣,٥ مليون مسلم معظمهم من المهاجرين .

○ اجتماع المجلس الوطني الفلسطيني ○

واجه المجلس الوطنى الفلسطيني في دورته السادسة عشرة التي عقدت في الجزائر في شباط الماضي - واجه وضعا حرجا ، نظرا للتطورات الأخيرة التي نجمت عن الغزوالصهيوني للبنان على الصعد العسكرية والسياسية . وعبرت عن هذا الموقف الحرج لفظة « لعم » التي أطلقها ياسر عرفات جمعا بين لا ونعم . وقد صورت صعوبة الموقف الفلسطيني صحيفة التايمز البريطانية في مقال لها قبيل انعقاد المؤتمر جاء فيه :

ان مشكلة عرفات في النهاية ذات حدين . فاذا رفض عرفات التسوية فان امكانية الحصول على وطن فلسطيني تصبح ابعد من ذي قبل . واذا وافق بدون الحصول على تأييد كل منظمة التحرير الفلسطينية ، فانه لن يتمكن من الوفاء بالوعود التي ربما

يقطعها على نفسه ، ولا يمكن لا لاسرائيل ولا للولايات المتحدة ، ولا حتى للاردن ان تعتبره بعد ذلك زعيما مطلقا للمنظمة .

وقد وصفت القرارات التي صدرت عن دورة المجلس بأنها مواربة ، إذ حاولت الجمع بين عدد من الأضداد ، والحفاظ على أكبر قدر ممكن من عوامل التوازن الحرج والانسجام بين جملة من المتغايرات ، وقد عبر عن ذلك بترك الباب مواربا : لا مغلقا ولا مفتوحا ! ولقد تناول المجلس الوطني الفلسطيني في دورته عددا من القضايا الراهنة : على الصعيد الفلسطيني والعربي والدولي ، وشملت مناقشاته مشروع ريغان والعلاقة مع الأردن . ونكتفي بالاشارة الى نص المقررات الصادرة عن المجلس ، المنشورة في هذا العدد من « الوعي الاسلامي » ، فهي (واضحة) في دلالاتها على ما وصف بأنه (غموض) في الموقف الفلسطيني . والملاحظ أن عددا من الصحف العربية والعالمية عنيت بالملابسات التي أحاطت بدورة المجلس ، وبصعوبة الموقف الفلسطيني ، عندما عمدت إلى تحليل المقررات الصادرة عن المجلس .

كتبت صحيفة الوطن الكويتية في ٣٠ ربيع الثاني مقالا بعنوان (هموم فلسطينية) جاء فيه :

لابد ان يستوقفنا الشعار الذي اختير لاجتماع المجلس الوطني الفلسطيني ، وهو : « دورة القرار الفلسطيني المستقل » . وهذا الشعار الذي يبدو واضحا في اكثر من بند على جدول الاعمال جاء لمعالجة علاقة القرار الفلسطيني بالانظمة العربية . والشعار تعبير مخفف عن احد مآزق الثورة الفلسطينية ، التي تتمثل في محاولة الانظمة العربية التدخل في السياسات الفلسطينية ، وفرض سياساتها من خلال اساليب ضغط وتأثير متنوعة .

وربما توقع البعض ان يكون الهم الفلسطيني الاول في هذه المرحلة الدقيقة هو صيغة المواجهة مع العدو الاسرائيلي ، في ظل الاوضاع التي استجدت بعد غزو لبنان وتشتيت المناضلين الفلسطينيين في اطراف العالم العربي واقاصيه . ولكن التجربة الفلسطينية المرة طرحت اولويات اخرى ، حتى باتت مواجهة الضغوط العربية هي الهم الفلسطيني الأول ، في اول مجلس وطني يعقد بعد الشتات الرابع !

○ حرب الأسعار النفطية

في الوقت الذي بدأت فيه أسعار النفط في الانخفاض بقرارات مباشرة من بعض الدول المنتجة للنفط سرت في أسواق المال العالمية نوبة من القلق ، بينما بدأت الدوائر الغربية في حساب ما سوف تجنيه من مكاسب بسبب انخفاض الأسعار . من ذلك مقال نشرته صحيفة التايم في أوائل جمادى الأولى جاء فيه :

ان اكثر الاقتصاديين يعتقدون ان منافع هبوط الاسعار اكثر من مضارها . وهناك جدل كبير حول المنافع التي يحدثها انخفاض السعر ولكن العقول الالكترونية في بنك اكسبرس الاميركي ، تقدر ان الانتاج العام في أربع وعشرين من الدول الصناعية سيرتفع بمقدار ٢,٢٥ بالمائة بدلا من ١,٥ بالمائة التقدير السابق ، ومثل هذا الارتفاع يعني انتاج بضائع تساوي قيمتها ٥٥ ألف مليون دولار . كما أن التضخم سوف ينخفض من ٦,٢٥ بالمائة الى ٥,٧٥ بالمائة .

على حين تناول عدد من الصحف العربية المسألة من زاوية أخرى ، فصحيفة القبس الكويتية نشرت مقالا في ١٧ جمادى الأولى تحت عنوان (قضية حصار لا قضية أسعار) جاء فيه :

ليست قضية « اوبيك » وتخفيض اسعار نفط ... بل هى قضية محاصرة العالم العربي ونزع سلاحه واخضاعه . والعملية تقودها الولايات المتحدة وتنفذها بواسطة حلفائها في أوروبا واسيا .

الحصار الذي ضربته اميركا على العالم العربي ، شبيه بالحصار الذي ضربته اسرائيل على بيروت . وكما انتزعت اسرائيل البندقية من يد المقاومة الفلسطينية في لبنان على الاقل ، تسعى اميركا الى انتزاع بندقية النفط من اليد العربية وتعطيل دورها في مجموعة اوبيك على الاقل .

العالم الصناعي بزعامة اميركا بدا في ضرب حصاره على نفط « اوبيك » في مؤتمر قمة طوكيو الذي عقد في يونيو سنة ١٩٧٩ ، وحضره زعماء الولايات المتحدة واليابان والمانيا الغربية وفرنسا وبريطانيا وايطاليا وكندا .

ومنذ قمة طوكيو لم توضع خطة مقابلة شاملة في الاوبيك لما خططه زعماء الغرب الصناعي ، أو على الاقل لم تكن خطط الاوبيك فعالة بما فيه الكفاية . ولدى الاوبيك ما تفعله ويكون أكثر أهمية من الصراخ وتبادل التهديدات بتخفيض الاسعار ، وهو محاولة فك الحصار بأساليب أكثر جدوى على المدى الطويل .

ويعتقد بعض خبراء النفط العرب أن دول مجلس التعاون الخليجي ليست مضطرة إلى تخفيض أسعار النفط . وقد وردت جملة من الحقائق عن هذه الفكرة في مقال نشرته جريدة الوطن الكويتية في ٢٠ جمادى الأولى جاء فيه :

والجدير بالذكر ان سعر « نفط الاشارة » والبالغ اليوم ٣٤ دولارا اقل بمقدار عشرين دولارا على الاقل من السعر الواجب ان يكون عليه لو ترك موضوع تحديده اساسا الى عوامل العرض والطلب ، ولم يستقر هذا الرقم على ما هو عليه الا بسبب سياسات تجميد الاسعار واغراق السوق النفطي بالانتاج الزائد والتي انتهجتها بعض الدول المنتجة للنفط داخل منظمة الاوبك ، بل ان سعر ٣٤ دولارا سيكون اقل من ذلك الرقم لو اخضعناه الى مقاييس التضخم العالمي الذي اصاب موارد دول الاوبك جميعها ، والخلاصة في هذه النقطة بالذات ان سعر « نفط الاشارة » الحالي يشكل رقما اقل من الرقم « العادل » الذي يجب ان تتقاضاه الدول المنتجة للنفط ثمنا لهذه المادة ، ومن ناحية اخرى فان علينا ان نقرر حقيقة اخرى الا وهى الاحتياج العالمي لنفط دول الاوبك ، والذي بلغ في ادنى مستوياته سبعة عشر مليون برميل يوميا ، ويخص دول مجلس التعاون اكثر من نصف هذه الكمية ، ولا يمكن للعالم الصناعي ان يستغنى عن نفط دول مجلس التعاون ، ولا تستطيع دول الاوبك الاخرى ان تغطي هذه الكمية مهما حاولت زيادة انتاجها .

ان هذه الحقائق المبدئية تجعل دول مجلس التعاون في وضع يمكنها من الدفاع عن السعر والمحافظة عليه ، ولذلك تصبح الدعوة لترتيب تخفيض على اسعار نفط دول مجلس التعاون بحدود اربعة الى سبعة دولارات بادرة خطيرة في حد ذاتها ، وخطوة لا ضرورة لها ، وسيتبع ذلك ان تقوم الدول الاخرى بالاوبك باجراء تخفيض مماثل او اكثر مما يشكل الدخول في حرب علنية للاسعار في ما بينها ، ومما يؤدي الى عواقب وخيمة تصيب جميع الاطراف بضرر بالغ لا يمكن تفاديه .

الى السادة كتاب المجلة

يرجى التفضل بمراعاة الآتي عند ارسال مقالاتكم وانتاجكم الينا :

○ كتابة الاسماء والعناوين كاملة وواضحة في ختام كل مقالة او بحث او اسم البنك ورقم الحساب وذلك تسهيلا لارسال المكافأة .

○ موضوعات المناسبات الدينية ترسل قبل موعدها بثلاثة اشهر على الأقل حتى يتسنى نشرها في حينها .

○ المقال او البحث المرسل لا يقل عن سبع صفحات فلسكاب مكتوب بالآلة الكاتبة ولا يزيد عن عشر صفحات .

○ ترقيم جميع الآيات القرآنية وتخريج الأحاديث النبوية الواردة .

○ لا تقبل البحوث المسلسلة او المقالات المجزأة .

○ يجب ان يكون الانتاج المرسل خاصا للمجلة وألا يكون قد سبق نشره او ارساله الى جهة اخرى للنشر .

○ النشر في المجلة يخضع لاعتبارات فنية في المقال ذاته دون نظر الى كاتبه . والاخطار بوصول المقال لا علاقة له بالصلاحية .

○ ذكر المراجع حتي يمكن التحقق مما جاء في المقال عند الضرورة .

○ البعد عن الخلافات المذهبية والسياسية حرصا على الوحدة الاسلامية .

○ لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر .

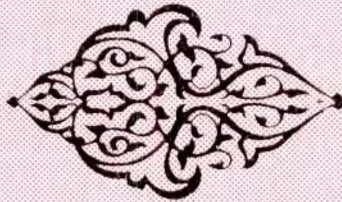
« إلى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بالشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨) بيروت ـ لبنان او بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر	:	القاهرة ـ مؤسسة الاهرام ـ شارع الجلاء .
السودان	:	الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص.ب (٣٥٨)
الجزائر	:	الشركة الوطنية للصحافة ٢٠ شارع الحرية
المغرب	:	الدار البيضاء ـ الشركة الشريفية
تونس	:	الشركة التونسية للتوزيع .
لبنان	:	بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨)
الاردن	:	عمان : وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : (٣٧٥)
السعودية	:	جدة : مكتبة مكة ـ ص.ب (٤٧٧)
		الخبر : مكتبة مكة ـ ص.ب (٦٠)
		الرياض : مكتبة مكة ص.ب (٤٥٢)
		المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء
مسقط	:	المؤسسة العربية للتوزيع والنشر ـ ص.ب (١٠١١)
صنعاء	:	دار الفكر
البحرين	:	دار الهلال
قطر	:	دار العروبة ص.ب ٦٣٣
ابو ظبي	:	المؤسسة العامة للطباعة والنشر ـ ص.ب (٦٧٥٨)
دبي	:	دار الحكمة ص.ب (٢٠٠٧)
الكويت	:	الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات ت ٤٢١٤٦٨

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة .

محتويات العدد



طباعة مؤسسة دار السياسة - الكويت -

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

العدد ٢٢٣ / رجب ١٤٠٣ هـ - إبريل / مايوم ٨٣



هديتك مع العدد : مجلة براعم الايمان

قال الله تعالى:

إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم

الإسراء

الوعي الاسلامي

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة التاسعة عشرة

العدد ٢٢٣ ـ رجب ١٤٠٣ هـ ـ ابريل/ مايو ١٩٨٣ م

هدفها

المزيد من الوعي، وايقاظ الروح، بعيداً عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها

وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم ٤٦٦٣٠٠-٤٢٨٩٣٤

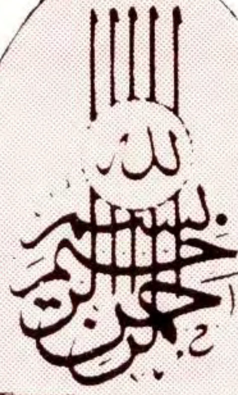
التوزيع والاشتراكات

الشركة العربية للتوزيع (ش م ل)
ص ب ٤٢٢٨ بيروت لبنان
تلكس ARABCO 23032 LE

● الثمن ●

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم
ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي



كلمة الوعي

التثاقل عن الجهاد مجلبة للذل والهوان !

في السنة التاسعة من الهجرة ، وبعد رجوع النبي (صلى الله عليه وسلم) والمسلمين من غزوة حنين ، بلغ رسول الله أن الروم وبعض قبائل العرب أعدوا جيشا كثيفا ، وتهيؤوا لغزو المدينة . فاستنفر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) المسلمين لرد العدوان في عقر

داره ، وكان عليه الصلاة والسلام دائما يخفي الجهة التي يقصدها لقتال الاعداء ويُوَرِّي بغيرها تعمية عليهم ، ولكنه في هذه الغزوة المسماة بغزوة (تبوك) أعلن الجهة ، بسبب بعد الشقة وشدة الزمان ،إذ كان المسلمون في عسر وضيق ، وقد حان قطاف الثمر عندهم ... ودأبُ المؤمنين الصادقين في إيمانهم إذا دعوا للجهاد أن يلبوا مسرعين . **(إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون)** .

استنفر رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين لغزوة (تبوك) فلبى أقوياء الايمان وهم الأكثرية ، وتثاقل عن الخروج مع النبي فئة قليلة ، حملها على التثاقل شدة الحر وانتظار قطاف الثمر ، وبعد الشقة ، وتخذيل المنافقين ، وفي هذه الفئة نزل العتاب الشديد .

(يأيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل) .. وعقّب ـ جل شأنه ـ على هذا العتاب بالتهديد بسوء عاقبة المتثاقل عن الجهاد ورد العدوان ، فللمتثاقلين عذاب أليم موجع ، ويستبدل الله قوما غيرهم ، يطيعون الله ورسوله ، ويحبهم الله ويحبونه أذلة على المؤمنين ، أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم . وذلك قوله تعالى : **(إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شيء قدير)** .

نعم إن القاعدين عن الجهاد في سبيل الله لن يضروا الله شيئا ، فإن أحدا لا يستطيع أن يبلغ ضره أو نفعه ، لأنه القدير الذي لايعجزه شيء في الأرض ولا في السماء .. وإنما يضرون أنفسهم ، ويجلبون لها المذلة والهوان . روي الطبراني في الكبير والبيهقي في شعب الايمان وأحمد عن عبد الله بن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم **قال** :

« إذا ضن الناس بالدينار والدرهم وتبايعوا بالعينة وتبعوا أذناب البقر وتركوا الجهاد في سبيل الله ، أدخل الله تعالى عليهم ذلاً لا يرفعه عنهم حتى يراجعوا دينهم » .

وقد سجل القرآن الكريم تأييد الله ونصره لرسوله والمؤمنين معه . ففي غزوة بدر أنزل الله ملائكته تقاتل مع المؤمنين حتى تحقق نصرهم ـ مع قلتهم ـ على جيش كبير العدة والعتاد قال تعالى : (ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون) .. وفي غزوة الأحزاب بدد شمل المشركين ، ولم تغن عنهم كثرتهم شيئا وارسل الله عليهم ريحًا قلعت خيامهم وكفأت قدورهم ، وأرسل جنودا لم يرها أحد أفزعت قلوبهم ، فلاذوا بالفرار . قال تعالى : (يأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا) .. الى قوله سبحانه : (ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا . وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا . وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطؤوها وكان الله على كل شيء قديرا) .

وفي غزوة حنين أنزل الله جنودا تقاتل مع المؤمنين ، وكان بها نصرهم على الكافرين (ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين . ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين) .

وما زال ذلك النصر الآلهي قائما للمؤمنين الصادقين الذين يسارعون إلى الجهاد وكفاح المعتدين ، مادامت الحياة .. وفي ظل هذه الحقيقة يدعو الله المؤمنين إلى النفرة العامة في كل حال من شباب وكبر ، وغنى وفقر ، وقلة وكثرة ، وأن يجاهدوا بأنفسهم وأموالهم ،

مبينا لهم أن استجابتهم لأمر الله فيها الخير كل الخير لهم . قال تعالى : (**انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون**) .

سمع المؤمنون المخلصون هذا الأمر الآلهي ، وأدركوا الخير المترتب على طاعته فلبوا والعوائق في طريقهم ، والأعذار محيطة بهم ، ففتح الله عليهم القلوب وأعزبهم الاسلام ، وأعزهم بالاسلام ، وحقق على أيديهم ما يعد أمرا خارقا في تاريخ الفتوح .

وإذا كان الله تعالى وجه الخطاب بالعتاب والتهديد لقوم معينين ، هم الذين تثاقلوا عن النفرة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لغزوة (تبوك) ، فإن الخطاب عام في مدلوله لكل مؤمن يقعد عن الجهاد إلى يوم القيامة .. والعذاب الأليم الذي هدد الله به ليس عذاب الآخرة وحده ، بل عذاب الدنيا كذلك ، وهو عذاب عناصره الذلة التي تصيب القاعدين الراضين بالهوان ، وغلبة الأعداء التي تقهر الأبدان والنفوس ، والحرمان من الأرض والمقدسات ... ومع هذا فالامة التي تتخلف عن الجهاد تخسر من النفوس أضعاف ما يستشهد منها في القتال والدفاع ، وتقدم على مذبح المهانة والعار أضعاف ما تتطلبه منها الكرامة من فداء .. وما من أمة عزفت عن الجهاد إلا استعبدت وقدمت مرغمة صاغرة أضعاف أضعاف ما كان يتطلبه الكفاح .

علينا أن نستجيب لأمر الله ، نادمين على التقصير في حق أنفسنا ، معتبرين بما حاق بنا من عدوان صارخ ، وأن نكون الأمة التي تجاهد في سبيل عزتها وكرامتها ومقدساتها ، ليهدينا الله سبيله ، ويمنحنا عونه وتأييده ونصره . قال تعالى : (**والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين**) .

رئيس التحرير

محمد الناصري

علم وبيان

الآيتان ٢٧ و ٢٨

يقول قرآن ربنا العظيم فى نصه الحكيم :

(ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود . ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء ان الله عزيز غفور) سورة فاطر / ٢٧ ـ ٢٨ .

وتقرر الآيات الشريفة الوسيلة التى بها يهتدى الانسان الى الايمان الكامل واليقين الشامل .. ألا وهى الايمان بالله عن طريق العقل .. لا عن طريق النقل .. وان طريق العقل لهو العلم .. الذى يربط الأسباب بالمسببات .. ويصل الى الحق عن طريق القياس والدراسات .. ويستخلص الهدف مما يرى من شاهدات .. أو يستمع الى الآيات .. كما تبين العلوم التى بدراستها والاهتمام بها تتولد فى نفوس العلماء فيها خشية الله بما يرونه منها . ويعرفونه عنها ـ ويلمسونه فيها .

وأول هذه العلوم كما جاء فى ترتيبها بالآيات الشريفة هو علم انزال الماء من السماء وما يتصل به أو يتفرع منه أو يرتبط معه من علوم تسمى بالفلك والجغرافيا والطبيعة والرى وغيرها وتكشف هذه العلوم عن حقائق علمية .. لا خلاف عليها ..

ولاشك فيها . ولا جدل حولها لأنها تقوم على القياسات العملية .. والفحوص المعملية والتجارب المادية .. والاستقراءات التسجيلية .. فالماء الذى ينزله الله

من آيات القرآن

من سورة فاطر

محمد فوزن

للأستاذ / عبدالرزاق نوفل

سبحانه وتعالى من السماء .. انما مصدره المسطحات المائية المنتشرة على سطح الأرض وهى البحار والمحيطات وهذه تكون ٩٨ في المائة من مياه الأرض حسبما اثبتت عمليات مسح وقياس هذه المسطحات .. ومياهها ملحة كما يتبين ذلك لكل انسان عن طريق الاختبار بالطعم والتذوق .. وانواع الاملاح الموجودة فى مياه البحار والمحيطات أمكن للعلم عن طريق التحاليل الكيماوية المعملية معرفتها وتحديد أنواعها والوقوف على درجة تراكيزها ولوجود هذه الاملاح بها فانها لا تصلح لقضاء حاجات الانسان . كما أنها لا تصلح لرى النباتات ولا لسقى الحيوانات .

ولاشك أن البعض قد فكر .. وتمنى .. لو لم تكن هذه المياه ملحة وكانت عذبة حتى تحقق كل حاجات الاحياء وتزيد وتفيض .. ولا تشح ولا تغيض .. ويرد العلم بما اثبته فى حقائقه بأن الملح فى هذه المياه هو أنسب مادة حافظة له .. فان مياه البحار والمحيطات تعتبر مقفولة لا تجرى ولا تنساب وانما هى فى مكانها المحدد لها والمحدود بها .. ولذلك لابد من أن يصيبها العفن والعطب ويسرع اليها الفساد .. فنحن نرى أن أية كمية من ماء تخلفت لسبب ما ... حتى وان كانت فى وعاء بالبراد بدب فيها التلف بعد بضعة أيام .. فيتغير لون الماء وطعمه ورائحته .. والمثل

الواضح هو فيما نشاهده من برك ومستنقعات يحاول الانسان دائما ردمها .. وتسرع الحكومات الى ازالتها لأنها بما فيها مصدر للأمراض وأول أسباب الوباء .. فلو كانت مياه البحار والمحيطات عذبة .. لأصبحت بين يوم وليلة . شأنها كالبرك والمستنقعات .. ولا يمكن ردمها لا لأنها اربعة أخماس اليابسة .. فقط . بل لأنها مصدر الماء ولا مصدر له غيرها .. ولا تقوم الحياة-أى حياة-الا بالماء ومن الماء ، هكذا أثبت العلم . وهكذا قال القرآن الكريم من قبل بالنص الحكيم : (**وجعلنا من الماء كل شىء حى**) سورة الانبياء / ٣٠ .

فالله سبحانه وتعالى قد وضع الملح بالنسب المقدرة والمقررة .. التى تحفظ الماء من أى تلوث والتى يمكن أن تدوم مادامت المياه .. وتبخر الشمس منها ما يصعد الى طبقات الجو فى السماء من بخار ماء عذب لا أثر للملوحة فيه .. ويعود الى الارض ليروى النبات والحيوان ويقضى حاجة الانسان ... والارض تروى من ماء المطر مباشرة .. أو من الترع والقنوات والأنهار وما مياهها الا ومصدرها المطر .. هطلت فى مكان فاندفعت لتكون الأنهار .. حتى مياه الينابيع والآبار .. هى ايضا من مياه المطر . فأيا كانت وسيلة الرى . فهى من الماء الذى انزله الله من السماء .

ويرى الانسان الموج فى البحار والمحيطات - ويقرر العلم عن طريق قياساته أن هذه الأمواج دائمة ودائبة .. وأن الله جل شأنه خلق الموج مع البحر .. ومنه ما هو ضخم وكبير يرتفع الى أعلى والى مسافات تجعله كالجبل .. وصدق قول ربنا العظيم فى نصه الكريم : (**وهى تجرى بهم فى موج كالجبال**) سورة هود / ٤٢ .

ومنه ما قد لا يحس به الانسان ولا يراه ولكن قياسات الاجهزة العلمية تحدده وتسجله والانسان يرى الموج يتكسر على الشاطىء امامه .. بينما يراه الموجود على الشاطىء المقابل وهو يتكسر كذلك عنده .. فيا ترى هل ينقسم الموج الى اتجاهين .. ومن أى نقطة فى البحر يكون الانقسام .. لا يعلم العلم شيئا . ولكن يعلم أن هذا الموج من ضمن أهدافه دوام اذابة الاملاح فى المياه وحتى لا تترسب - فهى كعملية تقليب دائم للمياه .. وسبحان الله الذى خلق للانسان النعم .. وخلق دقائقها وما يحافظ عليها ..

ومن معجزات الخلق فى مياه الأنهار والبحار .. أن الأولى تصب فى الثانية .. وأن مياه الأنهار عذبة . فهى مياه الأمطار .. ومياه البحار ملحة .. وأنه حتى فى مكان اتصال النهر بالبحر . لا يعتدى أحدهما على الآخر .. فكأن بينهما سدا يحول بين اختلاط المياه شديدة العذوبة . بالمياه شديدة الملوحة .. واذا وقف الانسان عند مكان الالتقاء . لأخذ بيمينه ماء عذبا حيث النهر يصب وبيساره من نفس المنطقة ماء مالحا حيث البحر يعسب .. صدق ربنا العظيم فى قوله الكريم : (**وهو الذى مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح اجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا**) سورة الفرقان / ٥٣ .

هذا بعض ما عرفه علماء علم المياه وما يتصل به .. وكل حقيقة فيه .. ينضوى تحتها من الأسرار والمعجزات ما يجعلهم يوقنون بأن الله سبحانه وتعالى انما هو فى

كل شيء .. بل وقبل الشيء وبعده . وأن عينه لا تغفل ولا تنام .. عن أية شاردة أو واردة وقعت أو حتى لم تقع فهو يعلم سبحانه وتعالى .. خائنة الأعين وما تخفى الصدور .. صدق ربنا وتعالى القائل بالحق فى الحق : (**يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور**) سورة غافر / ١٩ .

والعلم الذى أوردته الآية الشريفة بعد هذا العلم .. هو علم النبات بكل ما يتصل به من علوم الزراعة المختلفة .. والعلماء فيه يرون بمشاهداتهم البصرية .. ويفسرون بأجهزتهم العلمية بعض المعانى التى يهدف اليها النص الحكيم فى القول الكريم : (**أفرأيتم ما تحرثون . أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون**) سورة الواقعة / ٦٣ ـ ٦٤ .

انهم يضعون الحب والنوى وهذه من المواد الصلبة التى تستعصى على قدراتهم وطاقاتهم أن يحطموها أو يفلقوها .. تحت التراب .. فلا يدفنونها فى العمق .. ولا يجعلونها على السطح .. انما مجرد أن يستروها عن العين . حتى لا ترى ما يحدث منها .. ولا فيها ولا لها .. فلا تلبث برهة حتى نجدها قد فلقت .. استجابة لأمر الله . لا لشيء آخر .. وأى قول غيره .. فهو كالتبرير أو التفسير .. ولكن الحق هو ما كان .. وما قاله ربنا العظيم فى كتابه الحكيم بالنص الكريم : (**إن الله فالق الحب والنوى**) سورة الانعام / ٩٥ .

هذه الحبوب والنوى توضع فى أرض واحدة .. أيا كان شكلها .. أو مكانها . أو طبيعتها .. ومهما اختلفت تراكيز مكوناتها وتباينت خواصها .. فهى واحدة .. تتكون أصلا من عناصر التراب كما اثبتت التحاليل الكيماوية القاطعة .. وتروى من ماء واحد .. أيا كان مصدره .. فتخرج بنظام موحد .. وطريقة واحدة .. ينبت منها الجذر الذى يندفع الى أسفل بعيدا عن الشمس والهواء .. والساق التى ترتفع الى أعلى ضد جاذبية الأرض بظاهرة يقال عنها الانتحاء .. هكذا فى نبتة صغيرة لا تكاد ترى .. نجد الشيء وعكسه .. والقانون وضده .. ان كل ذلك لا اجابة له الا ان الله شاء فكان .. وبالرغم من هذه الوحدة والتشابه فى كل الظروف التى تحيط بالنبات فانه يخرج من الأرض الواحدة والماء الواحد .. العديد من الأصناف والمتعدد من الأنواع وكل نبات يختلف عن غيره فى الشكل والطعم والرائحة .. بداية من خلية لا ترى،هى الفطر الى الشجرة الباسقة التى ترتفع الى السماء وكأنها ناطحة سحاب . وبين الفطر وهذه الشجرة تتدرج آلاف الأطوال والأحجام .. وتنبت شجرة البرتقال وبجوارها شجرة اليوسفى .. وهما من الحمضيات وما أبعد الفارق بين طعميهما .. بل ورائحتهما .. وهذا نجده فى الخضر والحبوب والبقول والثمار والمحاصيل والفاكهة والزهور .. حقا وصدقا فمن يخرج من ماء السماء وتراب الأرض هذه النباتات والثمار مختلفة الألوان غير الله .. واللون انما يشمل اللون الطيفى .. والحجم .. والشكل .. والطعم .. والرائحة .. ما نعرفه وما لا نعرفه من صفات وأوصاف .. ولأن علماء الزراعة والنبات يعيشون مع هذه الكائنات التى تعرض روائع آيات الله ووحدانيته وهيمنته .. وعلمه .. بما

كان . وبما لا يكون .. فانهم أشد خشية لله من غيرهم ...

واذا كان ما على سطح الأرض من نبات مختلف الألوان رغم وحدة العناصر التى يتكون منها ووحدة الظروف التى ينبت منها ويعيش فيها . فان ما على سطح الأرض غير النبات .. وأبرزه واضخمه وأوضحه الجبال .. فانها أيضا رغم أنها تتكون من مادة واحدة متجانسة التركيب الا أنها كما تقرر الآية الكريمة مختلفة الألوان ... اذ ان هذه المادة عندما تخرج الى سطح الأرض من الأعماق المختلفة . فانه يحدث فيها بعض التفاعلات الكيماوية بملامستها للهواء فتظهر بالألوان المختلفة . فاذا كانت الطبقة الظاهرة من الجبل يغلب عليها التكوينات الجيولوجية الجيرية ظهرت بلون ابيض .. واذا كانت من عنصر الحديد .. او المنجنيز ظهرت حمراء مختلفة التراكيز حسب العنصر ودرجة تركيزه وتأكسده بالجو ، أما اذا كان العنصر هو الكربون أى الفحم ظهر الجبل بلون أسود تختلف كذلك درجة قتامته بقدر كمية الفحم ونقائه وكلما تعمق علماء الجيولوجيا أو علم طبقات الأرض فى ابحاثهم وجدوا الآيات التى تظهر بعض آثار قدرة الله فى الخلق .. وابداعه فى التكوين .. فتزداد خشيتهم لله .. وايمانهم به .. واعتمادهم عليه ..

أما علماء علوم خلق الانسان .. وما يتصل بها من دراسات فانهم يجدون الآيات الكبرى والشاهدات العظمى .. امامهم وبين ايديهم .. بل وفى انفسهم .. وليس أقرب للانسان من نفسه .. وصدق ربنا العظيم الذى يقول فى نص كريم : **(وفى انفسكم افلا تبصرون)** سورة الذاريات / ٢١ .

ولعل أروع آيات خلق الانسان هى فيما يبدو عليه من فردية مطلقة بحيث لا يتكرر مع غيره أبدا فى كثير من الوجوه .. وفى عديد من الأمور .. وكل تقدم فى علم خلق الانسان انما يقدم الجديد فى الانسان الذى يختلف به وفيه عن غيره .. فحقا وصدقا كما تقرر الآية الشريفة .. أن الله سبحانه وتعالى قد خلق الناس مختلفة الألوان .. واطلاق لفظ الألوان انما لتشمل كل نواحى الانسان .. ولقد كرر القرآن الكريم هذا الاختلاف فى ألوان الانسان تأكيدا على ما فى ذلك من آيات قاطعة .. وشاهدات اكيدة على وجود الله ووحدانيته .. وعلى قدرته وعظمته وبالغ حكمته .. اذ يقول النص الكريم : **(ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ان فى ذلك لآيات للعالمين)** سورة الروم / ٢٢ .

وكما تقرر الآية الكريمة ان فى هذا الاختلاف فى اللون آيات لأهل العلم كما قررت الآيات الاولى أن علماءه انما يخشون الله بما وصلوا اليه فى علمهم ..

وان أول ما يراه الانسان فى اختلاف الانسان عن غيره .. هو فى ملامح وجهه .. هذه المساحة التى لا تزيد عن مساحة الكف وكل الاعضاء فى كل الوجوه موجودة فى نفس مكانها .. ولكن لم يحدث ان تطابق أى وجه لانسان مع غيره .. وهذا يشير الى انه يوجد حاليا ملايين الوجوه .. كيف تختلف هذه الوجوه وفى أى شىء . إنه أمر لا يفسره الا القول الحق .. صنع الله .. سبحانه لا اله الا هو .. وذلك بالاضافة الى عدد من خلقوا فى العهود الماضية ومن سيخلقون فى الاجيال

القادمة .. ألا يدل ذلك على قدرة الله .. والا يؤكد ذلك على وحدانية الخالق . اذ لم يتكرر أبدا طوال حياة البشر وجه انسان عن غيره .. وهناك ما هو أدق .. وفى آية أرق .. انها آية بصمة الأصبع .. فلكل أصبع بصمته وهذه البصمة ان هى الا خط لا أول له ولا آخر .. يلتف على صفحة البنان بشكل بيضاوى . فلا يتطابق مع غيره .. فى باقى الأصابع .. ولا من أصبع لأى انسان آخر . اى أنه يوجد حاليا ملايين البصمات فى اصابع اليد للناس .. ومثلها فى أقدامهم وكم عدد من سبق .. وكم عدد من سيلحق .. ولم تتكرر بصمة مع اخرى أبدا واطلاقا .. فهل يمكن تخيل عدد هذه البصمات .. وليس فيها أبدا ما يجعل الواحدة تختلف عن الاخرى .. ولكنها تختلف وتتأكد من ذلك بصورتها .. بل واستخدمت فى تحقيق شخصية الانسان .. وهل غير الله الواحد القادر من يفعل ذلك .. انه العليم الحكيم . القادر العظيم . وبصمة الصوت التى يتفرد بها الانسان عن غيره .ولم يحدث أن تماثل فرد مع غيره .. ونحن نميز بين الناس ونتعرف على الواحد منهم بصوته .. وبصمة الرائحة .. فان لكل انسان رائحته التى يختلف بها وفيها عن غيره .. وعن طريق حاسة الشم عند الكلاب . أمكن التأكد من هذه الفردية فى الرائحة .. ويصل العلم فى أيامنا القليلة الأخيرة الى أن شبكة العين .. تختلف تماما من فرد الى آخر .. وما لم يكشفه العلم بعد .. اكثر واضخم وأعمق مما كشف عنه . ولذلك فإن علماء خلق الانسان .. وقد عرفوا بما شاهدوا . وتأكدوا بما عاينوا .. أن الله جلت قدرته .. لا يعجزه أمر . ولا يشغله شأن . وانه سبحانه وتعالى الواحد الأحد . الذى لا يخفى عليه شىء فى الارض ولا فى السماء . هم من ضمن من يخشون الله من العلماء .

اما علماء علم الحيوان - والذين يجدون أن عدد أنواعها والتى بلغت المليون نوعا - انما هى اقل من الحقيقة - فانهم لازالوا يكتشفون الجديد منها . فهؤلاء يعلمون عن طريق علمهم مدى اختلاف هذه الأنواع .. هذا الاختلاف الذى يشير الى بعض قدرة الله وحكمته .. واذا كانت أول صفحة فى كتاب ملاحظة الحيوان . تدل على أن النبتة الخضراء تأكلها دودة القز فتخرج حريرا والنحلة فتنتج عسلا .. والبقرة تكون منها لبنا . والثور يحولها الى طاقة .. وغيرها تصنع منها الصوف والشعر والوبر .. وتبيض منها الدجاجة .. وحيوانات تحولها الى زيت ومسك وغيره .. بل والانتاج الواحد يختلف باختلاف النوع . فاللبن البقرى غير الجاموسى وغير لبن الناقة . أو لبن الماعز أو لبن الضأن . أو لبن الغزال . أو لبن الفرس .. ولذلك فان علماء علم الحيوان وما يتصل به .. انما يخشون الله بما يدل عليه علمهم ..

هكذا حددت الآيات الشريفة العلوم التى بدراستها والاجتهاد فيها يصل اصحابها الى درجة الخشية من الله .. تلك الدرجة التى يغفر الله جل شأنه بها لأصحابها . وقد أعد الله لهم الأجر الكبير . فقد قال الله وهو أصدق القائلين : (**إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير**) سورة الملك / ١٢ .

التفسير

بين النقل والعقل

للأستاذ / محمد الدراجيلي

أولا : معناه

التفسير مأخوذ من الفَسْر ، وهو البيان والكشف ، ومن المألوف في هذا المقام ما يسميه البعض بالتأويل ، مع أن لكل من الكلمتين معنى متغايرا ، ومنهجا متميزا عند البعض ، فاذا كان التفسير من الفسر بيانا ، فان التأويل من الأول رجوع بالآية إلى ما تحتمله من المعاني ، ويرى أبو عبيدة وطائفة معه أنهما بمعنى ، وقد أنكر عليه ذلك آخرون ، حتى بالغ ابن حبيب النيسابوري ، فقال قد نبغ في زماننا مفسرون ولو سئلوا عن الفرق بين التفسير والتأويل ما اهتدوا إليه .

وقال الراغب التفسير أعم من التأويل ، وأكثر استعماله في الألفاظ ومفرداتها ، وأكثر استعمال التأويل في المعاني والجمل ، وقال غيره التفسير بيان لفظ لا يحتمل إلا وجها واحدا والتأويل توجيه لفظ متوجه إلى معان مختلفة إلى واحد منها بما ظهر من الأدلة .

ولعل الأقرب إلى الفهم ، ما قاله الأصبهاني في تفسيره : اعلم أن التفسير في عرف العلماء كشف معاني القرآن ، وبيان المراد أعم من أن يكون بحسب اللفظ المشكل وغيره أو بحسب المعنى الظاهر وغيره ، والتأويل أكثره في الجمل ، والتفسير إما أن يستعمل في غريب الألفاظ نحو البحيرة ، والسائبة ،

والـوصيلة ، أو في وجيـز تبييناً لشرح ، وإما في كـلام متضمن لقصـة لا يمكن تصـويـره إلا بمعرفتها كقوله سبحانه : (**إنما النسيء زيادة في الكفر**) وقوله : (**وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها**) وأما التأويل فانه يستعمل مرة عاما ومرة خاصا نحو الكفر المستعمل تارة في الجحود المطلق ، وتارة في جحود البارى عزّ وجلّ خاصة ، والايمان المستعمل تارة في التصديق المطلق وأخرى في تصـديق الحق ، وإمـا في لفظ مشترك بين معان مختلفة نحو لفظ وجـد المستعمـل في الجـدة ، والوجد ، والوجود ، وفي الذي ذهب إليه أبو عبيدة من أنهما بمعنى واحد ، خير ، وبعد عن متاهات الخلاف في الشكل لا الجوهر .

ومع تعدد هذه الآراء ، وحشد كل فريق من الأدلة ما يعضد وجهة نظره ، فان من الآراء ما برز وسط ساحة الخلاف ، واستطاع بدقته وتحقيقه ، أن يزيـل الغبار عن الساحة ، وأن يمسـح الضباب الذي اكتنفها ، وأن يضع التفسير عـلى قدم المسـاواة مع العلـوم المتخصصة ، ذات الاصطلاحات المؤصلـة ، والحـدود المقعـدة ، والتفريع والتنويع مما يستوجب على من استأهل له ان يتعرف على هذه الاصول ويستجمع أدواتها العلميـة ، ويكون ذا بصر بكـل المعارف التي يحتاجـها كل من استـرغب من نفسه ، وعقلـه ، وفكـره ، اهتمامـا بهذا العلم ، وقدرة على النهوض بمسئولياته ، نهوضا يخشى الله فيه ، ويطمع في رضاه .

من هذا الذي نعنيه ، ونحب أن نلفت إليه ، ما قاله البعض من أن التفسير في الاصطلاح علم نزول الآيات ، وشؤونها ، وأقاصيصها ، والأسباب النازلة فيها ، ثم ترتيب مكيهـاومـدنيهـا ، ومحكمـهـا ومتشابهها ، وناسخها ومنسوخها وخاصها وعامها ومطلقها ومقيدها ومجملهـا ومفصلها ، وحـلالهـا وحرامها ، ووعدها ووعيدها وأمرها ونهيها ، وعبرها وأمثالها وأدق آراء هذا البعض ، وأوضحها ما قاله أبو حيان ، من أن التفسير : علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامهـا الافراديـة والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حالـة التركيب ، وتتمـات لذلك ، قال فقولنـا علم :جنس ، وقولنا يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن :هو علم القراءة ، وقولنا ومدلولاتها :أي مدلولات تلك الألفاظ وهذا من علم اللغة الذي يحتاج إليه في هذا العلم ، وقولنا وأحكامهما الافرادية والتـركيبية يشمـل علم التصريف والبيـان والبديع وقولنا ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب يشمل ما دلالته الحقيقة ، وما دلالته المجاز ، وقولنا وتتمات لذلـك هو مثـل معرفـة النسخ ، وسبب النزول ، وقصة توضح بعض ما أُبْهِمَ .

ثانيا : تدوين علم التفسير :

ابتدأ التدوين لهذا العلم في عصر التابعين وأول كتاب ظهر في التفسير كان لسعيد بن جبير بن هشام الكوفي الأسدي المتوفي سنة ٩٥ هـ ، وكان أعلم التابعين في التفسير ، كما نسب تدوين التفسير إلى مجاهد ، قال ابن أبي مليكة رأيت مجاهدا يسأل ابن عباس عن تفسير القرآن ومعه ألواحه فيقول ابن عباس : اكتب قال : حتى سأله عن التفسير كله وتميزت في عصر التابعين ثلاث مدارس في التفسير :

(١) **مدرسة مكة** ، وأصحابها تلاميذ ابن عباس رضى الله عنهم .

(٢) **ومدرسة العراق** ، وأصحابها تلاميذ ابن مسعود .

(٣) **ومدرسة المدينة** ، وأصحابها تلاميذ أبي بن كعب .

وفي عهد تابعي التابعين اتجهت الهمم إلى جمع ما أثر من التفسير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن صحابته وعن التابعين بدون تفرقة وصارت كتبهم أجمع للعلم من الكتب السابقة وأشتهر من بينهم مقاتل بن سليمان المتوفي سنة ١٥٠ هـ ، وقد ضاع أكثر التفاسير ولم يبق منها إلا تفسير سفيان الثوري ، وقد طبع حديثا بالهند ، وتفسير مقاتل بن سليمان وإذا كانت معظم التفاسير لم تصل إلينا فان مضمون ما فيها قد نقله إلينا محمد بن جرير الطبرى ، صاحب التفسير الكبير المتداول بين الناس الآن . قال النووي اجمعت الأمة على أنه لم يصنف في التفسير مثل تفسير الطبرى :

ومما يتفرد به هذا التفسير على التفاسير المعاصرة لـه تعرضـه لصحيح الأقوال ، وترجيح بعضها علـى بـعض ، والاعـراب ، والاستنباط .

ثالثا : الحاجة إلى التفسير :

من المعلوم أن الله جل وعلا خاطب خلقه بما يفهمونه ، ولذلك أرسل كل رسول بلسان قومه وأنزل كتابه على لغتهم ، والقرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين في زمن أفصح العرب ، وكانوا يعلمـون ظواهره وأحكامه ، أما دقائق باطنه فانما كان يظهر لهم بعد البحث والنظر مع سؤالهم النبي صلى الله عليه وسلم في الأكثر كسؤالهم لما نزل قوله سبحانه : **(ولم يلبسوا إيمانهم بظلم)** .

فقالوا ، وأينـا لم يظلم نفسه ، ففسره النبي بالشرك ، واستدل عليه بقول الله تعالى : **(إن الشرك لظلم عظيم)** ، ونحن محتاجون إلى ما كانوا يحتاجون إليه وزيادة على ذلك مما لم يحتاجوا إليه من أحكام الظواهر ، لقصورنـا عن مدارك أحكام اللغة ، فنحن أشد الناس احتياجا إلى التفسير ، قال الخـويني ، علم التفسير عسـير يسير ، أما عسـره فظاهـر من

وجوه . أظهرها أن القرآن كلام متكلم لم تصل الناس إلى مراده بالسماع منه ولا بامكان الوصول إليه بخلاف الأمثال والأشعار فان الانسان يمكن علمه منه إذا تكلم بأن يسمع منه أو ممن سمع منه ، والحكمة من التفسير أن الله تعالى أراد أن يتفكر عباده في كتابه ، فلم يأمر نبيه بالتنصيص على المراد في جميع آياته .

رابعا : مكانة هذا العلم :

أما فضل هذا العلم وشرفه فلا يخفى على ذوى الألباب ، وأصحاب البصر والبصيرة نلحظ ذلك ، من قول الحق سبحانه : **(يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا)** ، جاء عن ابن عباس رضى الله عنه في معنى قول الله يؤتى الحكمة - قال المراد المعرفة بالقرآن ناسخه ومنسوخه ، ومحكمه ومتشابهه ، ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه ، ومن الآثار الصحيحة ما ورد عن أبي بكر الصديق قال « لأن أعرب آية من القرآن أحب إلى من حفظ آية » وورد عن عمر رضى الله عنه قوله « من قرأ القرآن فأعربه كان له عند الله أجر شهيد » ، والمراد بالاعراب هنا البيان والايضاح لأن الاعراب الاصطلاحي ، لم يكن معروفا عندهم ، وكانوا بسليقتهم لا يحتاجون إليه ، وقد أجمع العلماء على أن التفسير من فروض الكفايات ، وأجل العلوم قال الأصبهاني أشرف صناعة يتعاطاها الانسان تفسير القرآن ، بيان ذلك أن شرف الصناعة إما بشرف موضوعها مثل الصياغة فانها أشرف من الحدادة لأن موضوع الصياغة . الذهب وهو أشرف من موضوع الحدادة الذي هو الحديد ، وإما بشرف غرضها مثل صناعة الطب فانها أشرف من صناعة الكناسة مثلا لأن غرض الطب حفظ الانسان من الهلاك ، وغرض الكناسة قد يكون تنظيف المستراح ، إذا عرفت ذلك فان بالامكان القول بأن ، صناعة التفسير قد حازت الشرف من جهة الموضوع لأنه كلام الخالق البارىء ، هو القرآن العربي غير ذي عوج ، ينبوع كل حكمة ، ورافد كل فضيلة ، فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم ، ولا تنقضى عجائبه ، كما أمسك بعنان الشرف من جهة الغرض ، لأن الغرض منه هو الأعتصام بالعروة الوثقى ، والوصول إلى السعادة الحقيقية .

خامسا : شروط المفسر وآدابه :

قال العلماء : من أراد تفسير الكتاب العزيز طلبه أولا من القرآن مما أجمل منه في مكان فقد فسر في موضع آخر ، وما اختصر في مكان

فقد بسط في موضع آخر ، فان أعياه ذلك طلبه من السنة فانها شارحة له وموضحة قال تعالى : **(وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس)** وقال صلى الله عليه وسلم « ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه يعني السنة فان لم يجده في السنة رجع إلى أقوال الصحابة ، فانهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرائن والأحوال عند نزوله . قال الامام الطبرى في أوائل تفسيره القول في آداب المفسر : اعلم أن من شرطه صحة الاعتقاد أولا ، ولزوم سنة الدين ، فان كان مطعونا عليه في دينه لا يؤتمن على الدنيا فكيف على الدين ، ومن شروطه صحة المقصد فيما يقول ليلقى التسديد فقد قال سبحانه : **(والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا)** ، وإنما تخلص له القصد اذا زهد في الدنيا ، لأنه إذا رغب فيها لم يؤمن أن يتوسل به إلى غرض يصده عن صواب قصده ويفسد عليه صحة عمله .

سادسا : التفسير بالرأي :

يرى فريق من العلماء أنه لا يجوز تفسير القرآن بمجرد الرأى والاجتهاد من غير أصل قال تعالى : **(ولا تقف ما ليس لك به علم)** وقال صلى الله عليه وسلم « من تكلم في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ » أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي . وقال « من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار » قال البيهقي في الحديث الأول إن صح فالمراد والله أعلم هو الرأى من غير دليل يقوم عليه ، وأما الذي يؤيده البرهان فالقول به جائز - وقال الماوردي حمل بعض المتورعة هذا الحديث على ظاهره وامتنع من أن يستنبط معاني القرآن من اجتهاده ، ولو صحبها الشواهد ، ولم يعارض شواهدها نص صريح ، وهذا عدول عما تعبدنا بمعرفته من النظر في القرآن واستنباط الأحكام كما قال سبحانه **(لعلمه الذين يستنبطونه منهم)** .

وقال بعض العلماء اختلف الناس في تفسير القرآن هل يجوز لكل أحد الخوض فيه فقال قوم لا يجوز لأحد أن يتعاطى تفسير شيء من القرآن وإن كان عالما أديبا متسعا في معرفة الأدلة والفقه والنحو والأخبار والآثار ، وليس له إلا أن ينتهى إلى ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك ، ومنهم من قال يجوز تفسيره لمن كان جامعا للعلوم التي يحتاج المفسر إليها ، وهى خمسة عشر علما .

أحدها اللغة :

لأن بها يُعرَف شرح مفردات الألفاظ ، ودلالتها بحسب الوضع قال مجاهد لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالما بلغة العرب لا يكفى في حقه معرفة اليسير منها .

الثاني النحو :

لأن المعنى يتغير ويختلف باختلاف الاعراب ـ سئل الحسن عن الرجل يتعلم العربية يلتمس بها حسن المنطق ، ويقيم بها قراءته فقال حسن فتعلمها فان الرجل يقرأ الآية فيعيى بوجهها فيهلك فيها .

الثالث التصريف :

لأن به تعرف الأبنية والصيغ ، فتصريف الكلمة يوضح مبهمها قال الزمخشري من بدع التفسير قول من قال إن « الامام » في قوله تعالى : (**يوم ندعو كل أناس بامامهم**) جمع أم . وأن الناس بناء على ذلك يدعون يوم القيامة بأمهاتهم ، وهذا خطأ ، أوجبه الجهل بالتصريف لأن أُمًّا لا تجمع على إمام .

الرابع الأشتقاق :

لأن الاسم إذا كان اشتقاقه من مادتين مختلفتين أختلف باختلافهما كالمسيح هل هو من المسح أو من السياحة .

الخامس ، والسادس ، والسابع :

المعاني ، والبيان ، والبديع : لأنه يعرف بالأول خواص تراكيب من جهة المعنى ، وبالثاني خواصها من حيث وضوح الدلالة وخفائها ، وبالثالث وجوه تحسين الكلام ، وهذه العلوم من أعظم أركان المفسر لأنه لابد له من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز قال بعض أهل الذكر ، معرفة هذه الصناعة بأوضاعها هى عمدة التفسير المطلع على عجائب كلام الله تعالى وهى قاعدة الفصاحة وواسطة عقد البلاغة .

الثامن : علم القراءات :

لأن به يعرف كيفية النطق بالقرآن وبالقراءات يترجح بعض الوجوه على بعض .

التاسع : علم الأصول للدين :

فالأصولي يستطيع ، الاستدلال على ما يستحيل وما يجبوما يجوز .

العاشر : علم أصول الفقه :

إذ به يعرف وجه الاستدلال على الأحكام والاستنباط .

الحادي عشر :

أسباب النزول والقصص إذ بسبب النزول يعرف معنى الآية بحسب ما أنزلت فيه .

الثاني عشر : الناسخ والمنسوخ :

ليعلم المحكم من غيره .

الثالث عشر الفقه .

الرابع عشر :

الأحاديث المبينة لتفسير المجمل والمبهم .

الخامس عشر : علم الموهبة :

وهو علم يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم ، وإليه الاشارة بحديث « من عمل بما علم وَرَّثَهُ الله علم ما لم يعلم » .
قال ابن أبي الدنيا وعلوم القرآن وما تستنبط منه بحر لا ساحل له فهذه العلوم التي هى كالآلة للمفسر لا يكون مفسرا إلا بتحصيلها فمن فسر بدونها كان مفسرا بالرأى المنهى عنه ـ ولعل قائلا يقول : إن علم الموهبة ليس في قدرة الانسان وليس الأمر كذلك ، لأن الطريق إلى تحصيله هو العمل والزهد قال تعالى : (**واتقوا الله ويعلمكم الله**) .
قال أهل العلم : إنه لا يحصل للناظر فهم معاني الوحي ولا يظهر له أسراره وفي قلبه بدعة ، أو كبر ، أو هوى ، أو حب الدنيا ، أو وهو مصر على ذنب أو غير متحقق بالايمان ، فهذه كلها حجب وموانع لفيض الله وعطائه على عبده .

وفي هذا المعنى يقول تعالى : (**سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق**) قال سفيان بن عيينة المراد أنزع عنهم فهم القرآن .

ما يجب على المفسر :

قال العلماء يجب على المفسر أن يتحرى في التفسير مطابقة المفسر ، وأن يتحرز في ذلك من نقص لما يحتاج إليه في إيضاح المعنى ، أو زيادة لا تليق بالغرض ، ومن كون المُفسَّر فيه زيغ عن المعنى ، وعدول عن طريقه ، وعليه بمراعاة المعنى الحقيقي والمجازى ، ومراعاة التأليف والغرض الذي سيق له الكلام ، وأن يؤاخى بين المفردات ، ويجب عليه البداءة بالعلوم اللفظية ، وأول ما يجب البداءة به منها تحقيق الألفاظ المفردة فيتكلم عليها من جهة اللغة ثم التصريف ثم الاشتقاق ثم يتكلم عليها بحسب التركيب فيبدأ بالاعراب ، ثم بما يتعلق بالمعاني ، ثم البيان ثم البديع ثم يبين المعنى المراد . ثم الاستنباط ثم الاشارة .
وقال الزركشي : جرت عادة المفسرين أن يبدؤوا بذكر سبب النزول قال والتحقيق ، هو التفصيل بين أن يكون وجه المناسبة متوقفا على سبب النزول ، كآية : (**إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها**) فهذا ينبغي فيه تقديم ذكر السبب لأنه حينئذ

من باب تقديم الوسائل على المقاصد ، وإن لم يتوقف على ذلك فالأولى تقديم وجه المناسبة ، وقال في موضع آخر ، جرت عادة المفسرين ممن ذكر فضائل القرآن أن يذكرها في أول كل سورة لما فيها من الترغيب والحث على حفظها إلا الزمخشرى فانه يذكرها في أواخرها ، وقد سأل بعضهم الزمخشرى عن العلة في ذلك فقال لأنها صفات لها والصفة تستدعى تقديم الموصوف .

ولا يليق بالمفسر أن يقول حكى الله كذا لأن الحكاية هى الاتيان بمثل الشيء وليس لكلامه مثل كما أن التساهل في إطلاق المسميات غير المناسبة لا ينبغي ، كما في إطلاق الزائد على بعض الحروف ، كذلك ينبغي على المفسر أن يتجنب ادعاء التكرار ما أمكنه .

وقال أبو حيان كثيرا ما يشحن المفسرون تفاسيرهم عند ذكر الإعراب بعلل النحو ، ودلائل مسائل أصول الفقه ، ودلائل مسائل الفقه ودلائل أصول الدين وكل ذلك مقرر في تأليف هذه العلوم ، وإنما يؤخذ ذلك مسلما في علم التفسير دون استدلال عليه ، وكذلك أيضا ذكروا ما لا يصح من أسباب النزول وأحاديث في الفضائل وحكايات لا تناسب وتواريخ إسرائيلية لا ينبغي ذكرها في علم التفسير .

ويجب أن يوقن المفسر أنه أمام فيض الله وعطائه ، وأنه مهما أوتى لا يقدر على الاحاطة بمراده ، أو الحصر لآياته ، لأن عطاء الله لا ينفد ، ومدده لا يتوقف : **(قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا)** قال ابن أبي جمرة عن علي رضى الله عنه أنه قال « لو شئت أن أوقر سبعين بعيرا من تفسير أم القرآن لفعلت » وبيان ذلك أنه إذا قال الحمد لله رب العالمين يحتاج تبيين معنى الحمد وما يتعلق به الاسم الجليل الذي هو الله ، وما يليق به من التنزيه ، ثم يحتاج إلى بيان العالم وكيفيته على جميع أنواعه وأعداده ، وهى ألف عالم أربعمائة في البر وستمائة في البحر ، فيحتاج إلى بيان ذلك كله ، وهذه آية واحدة ويضيق المقام عن ذكر ما قاله الامام رضى الله عنه في باقي آيات أم القرآن : **(والله يرزق من يشاء بغير حساب)** .

طبقات المفسرين :

اشتهر بالتفسير من الصحابة عشرة ، الخلفاء الأربعة وابن مسعود وابن عباس وأبي بن كعب وزيد بن ثابت ، وأبو موسى الأشعري ، وعبدالله بن الزبير ، أما الخلفاء فأكثر من روى عنه منهم علي بن أبي طالب ، والرواية عن الثلاثة نزرة جدا وكان السبب في ذلك تقدم وفاتهم ، وهؤلاء قدماء المفسرين ثم بعد هذه الطبقة ألفت

تفاسير تجمع أقوال الصحابة والتابعين كتفسير سفيان بن عيينة ووكيع بن الجراح وآخرين .

وبعدهم ابن جرير الطبرى وكتابه أجل التفاسير وأعظمها ، ثم ابن أبي حاتم وابن ماجة وغيرهم وكلها مسندة إلى الصحابة والتابعين وأتباعهم ، وليس فيها غير ذلك إلا ابن جرير فانه يتعرض لتوجيه الأقوال وترجيح بعضها على بعض والإعراب والاستنباط ، فهو يفوقها بذلك ، ثم ألف في التفسير خلائق ، فأختصروا الأسانيد ونقلوا الأقوال تترى ، واشتغل به من الناس من ليسوا أهلا لذلك ، بل ربما كان منهم أصحاب هوى وغرض فدخل من هنا الدخيل والتبس الصحيح بالعليل ، ثم صار كل من يسنح له قول يورده ، ومن يخطر بباله شيء يعتمده ، ثم ينقل ذلك عنه من يجيء بعده ظانا أن له أصلا غير ملتفت إلى تحرير ما ورد عن السلف الصالح ومن يرجع إليهم في التفسير .

وهنا يجب الاشارة إلى أن إقحام من لا يملك أدوات التفسير نفسه في هذا المضمار بسبب أضرارا لا تحمد عواقبها كشرع الله ودينه ، فليتقوا الله ما استطاعوا وليشغل كل منهم ففسر بما تخصص له ، فان ذلك أجدى على الاسلام وأنفع ، رحم الله امر أ عرف قدر نفسه ، والاسلام لا يحب أن يحقر المسلم عمله ولكن يحب أن يتقنه « إن الله يحب اذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه » .

ثم صنف بعد ذلك قوم برعوا في علوم فكان كل منهم يقتصر في تفسيره على الفن الذي يغلب عليه فالنحوى تراه ليس له هم إلا الإعراب ، كالزَجَّاج في البسيط وأبى حيان في البحر . والإخبارى ليس له شغل إلا بالقصص والاخبار عمن سلف ، سواء كانت صحيحة أم باطلة ، والفقيه يسرد أحكام الفقه وعللها مما لا تتعلق به الآية كالقرطبي وأصحاب العلوم العقلية خصوصا الإمام فخر الدين ، فقد ملأ تفسيره بأقوال الحكماء والفلاسفة وخرج من شيء إلى شيء .

عن حذيفة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن في أمتي قوما يقرؤون القرآن ينثرونه نثر الدقل يتأولونه على غير تأويله » .

ولعل المنهى عنه في هذا الحديث هو المقصود الأسمى في هذا المقام ، ومن كذب على الله أو ادعى علم ما لم يعلم فليتبوأ مقعده من النار .

التفسير بالنقل والتفسير بالعقل :

كان جمهور الصحابة والتابعين وتابعهم يتحرون التفسير بالمأثور ، بل كان منهم من يفضل المشى في النار على القول في القرآن بالرأى .

ويعتبر ابن جرير الطبرى ممن جمع بين النوعين .

وقد كثر التفسير النقلي عن

الصحابة والتابعين ، ثم نشأت طبقة جمعت المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وتابعيهم ومنهم من أضاف إلى التفسير رأيه واجتهاده ومنهم من جمع التفسير النقلي ثم فسر الآيات التي لم يرد فيها تفسير بالمأثور تفسيرا اجتهاديا عقليا ، معتمدا على ما عرف من لغة العرب وأساليبها وما ورد من التاريخ في الأحداث التي حدثت في عصر النبي صلى الله عليه وسلم .

وقد وقف العلماء في ذلك موقفين ، فقوم تشددوا في التفسير فلم يروا أن يجرؤوا على تفسير شيء من القرآن ، ما لم يرد فيه قول للنبي صلى الله عليه وسلم أو للصحابة كالذي روى عن عبدالله بن عمر أنه قال : « لقد أدركت فقهاء المدينة وأنهم ليعظمون القول في التفسير » .

ومن هؤلاء المتورعين مع كلام الله الأصمعي ، فهو مع علمه الواسع باللغة كان شديد الاحتراز في تفسير الكتاب والسنة فاذا سئل عن شيء منها قال العرب نقول معنى هذا كذا ولا أعلم المراد منه في الكتاب والسنة .

وقال الشعبي ثلاث لا أقول فيهن حتى أموت : القرآن ، والروح ، والرأى وأمثال هؤلاء حملوا على المفسرين بالرأى ، ورووا حديث « من تكلم في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ » .

وفريق آخر لم يجدوا بأسا ولا حرجا من تفسير القرآن باجتهادهم معتمدين على درايتهم باللغة وأساليبها ، وما يتصل بذلك من العلم بأسباب النزول والناسخ والمنسوخ ومعرفتهم بالعلوم التي تكون ملكة التفسير ، وتقدر العالم على امتلاك أدواته والتي تحدثنا عنها تحت عنوان التفسير بالرأى .

قال الماوردي : حمل بعض المتورعين أحاديث التحذير من التفسير بالرأى على ظاهرها وامتنع من أن تستنبط معاني القرآن باجتهاده ولو صحبها الشواهد ، ولم يعارض شواهدها نص صريح ، وهذا عدول عما تعبدنا بمعرفته من النظر في القرآن واستنباط الأحكام كما قال تعالى : (**لعلمه الذين يستنبطونه منهم**) ولو صح ما ذهبوا إليه لم يعلم شيء من التفسير ولما فهم الأكثر من كتاب الله ، وإن صح الحديث فتأويله « من تكلم في القرآن (بمجرد) رأيه فقد أخطأ » .

وقد كان أكثر من قام بالتفسير العقلي علماء العراق أصحاب مدرسة الرأى في التشريع وتلاميذ ابن مسعود أصحاب الرأى .

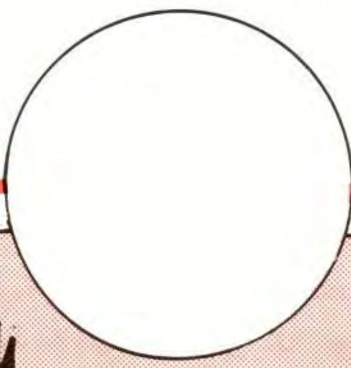
هذا وقد أنقسمت كتب التفاسير إلى هذين النوعين : كتب التفسير بالمأثور وكتب التفسير بالمعقول .

استهداء النص القرآني :

عند تناول النص القرآني ينبغي

لكل مسلم له قلب ، أو ألقى السمع أن يتلبس بعدة أمور :
١ - إخلاص القلب ونقاء السريرة ، وصدق النية في استكشاف معاني القرآن سئل علي رضي الله عنه ، هل خصكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء ؟ قال : لا ، إلا فهما يؤتيه الله تعالى لرجل في القرآن .
وصدق الله : **(واتقوا الله ويعلمكم الله)** .
٢ - معرفة أسباب النزول وقصة الآيات وموقع الآيات من السورة ، فان لكل سورة من سور القرآن روحا يسري في آياتها . يقول الواحدي : « لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها » .
٣ - معرفة تاريخ الدعوة الاسلامية في مكة والمدينة ، أو الجو الاجتماعي والسياسي الذي نزل خلاله النص القرآني ، فالقرآن الكريم كتاب الحياة يصحح أوضاعها ويرشدها إلى القيم الفاضلة .

يقول الامام محمد عبده : « يجب على المفسر أن يعرف ما كان عليه الناس في عصر النبوة من العرب وغيرهم . إذ كيف يفهم المفسر ما قبحته الآيات من عاداتهم ما لم يكن عارفا بها على وجه الحقيقة كما في تفسير قوله تعالى **(وإذا بُشّرَ أحدهمبالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم . يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون)** .»
٤ - علم أحوال البشر فقد أنزل الله هذا الكتاب وجعله آخر الكتب وبين فيه ما لم يبينه في غيره كما بين فيه كثيرا من أحوال الخلق وطبائعه وسننه الالهية في البشر وقص علينا أحسن القصص عن الأمم وسيرها الموافقة لسننه فيها فلابد للناظر في القرآن من النظر في أحوال البشر وأطوارهم .
٥ - معرفة الأساليب الرفيعة وممارسة الكلام البليغ ، ومزاولته مع التفطن لنكته ومحاسنه ، والوقوف على مراد المتكلم منه .
٦ - ذكر العلماء طائفة من العلوم والمعارف ينبغي على من استرغب معرفة التفسير أن يحيط بها ، وهي علم أصول الفقه ، وعلم التوحيد ، وعلم اللغة ، والناسخ والمنسوخ والأحاديث المبينة للمجمل والمبهم ...
يقول د . عبدالله شحاته ، وأرى أن الاحاطة بهذه العلوم ! فما هو مقصود لتحقيق أعلى مراتب التفسير ، أما مجرد الفهم للقرآن وإدراك المعاني العامة للآيات فهو قدر يكاد يكون مشتركا بين عامة الناس .
ومع تقديرنا للأخ القائل ، إلا أننا مع الأخذ بقول الحق سبحانه : **(فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون)** تحوطا ، وأمنا من الوقوع في الهوى ، أو الانزلاق في طريق الخطأ ، والله أعلم .



وقائع مقدسية

الأستاذ / محمد فوزي حمزة

عنوان أقصد من ورائه جملة من الوقائع التي لها صلة ببيت المقدس ، ذلك الموضع المقدَّس في كافة الرسالات السماوية والرسالة الاسلامية خاصة ، فان نظرة ملية في تاريخ القدس لتفتح العين - والقلب - على أحداث يختلف وقعها بين حال وحال ، بين فرحة وحزن ، وبهجة واكتئاب ، وشروق وغروب ، وبزوغ وأفول ، وهكذا من النقيض إلى النقيض إلى أن تقع في النهاية على الصفحات الحزينة من تاريخ القدس ومن تاريخنا .

أقول من تاريخها وتاريخنا لأن ثمة أرتباطا دائما بين ازدهار أمتنا وازدهار الأحداث في تاريخ القدس الى قمة المجد ، وبين انحدار أمتنا وانحدار القدس إلى أغوار الأسر ، منذ الفتح الاسلامي وأحوال القدس تتقلب صعودا وهبوطا مع أحوال هذه الأمة ، لم يمض وقت قويت فيه شوكتها إلا وذادت الأعداء عن حياضها وخصوصا حياض القدس ، ولم يمض زمن ضاعت فيه عزتها إلا وتكالبت الأعداء على حياضها وخصوصا حياض القدس ، وكأن القدس هى المؤشر الذي به تقاس عزة هذه الأمة أو ذلتها ، قل لي كيف كان حال القدس في أي زمن شئت أقل لك كيف كان حال الأمة ، ازدهارا أو انحدارا ، رفعة أو ذلة ، قوة أو ضعفا .

أول الصور المشرقة ..

وأول الصور المشرقة في تاريخ القدس ـ وتاريخنا ـ صورة الاسراء والمعراج ، قصة هذه الليلة الخالدة التي طالما أحتفلنا بها من غير أن نعمل لاستخلاص القدس التي كانت مسرحها ودون أن نعمل لفك الأسر عن المسجد الذي كان أرضا لكثير من وقائعها ، لا أقول وقائعها الهامة .. ولكن أقول وقائعها المقدسة ، تلك الليلة التي خلدها القرآن الكريم في قوله تعالى **سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير ـ** الأسراء ١ إذ جند الله سبحانه وتعالى جبريل عليه السلام ليحمل النبي صلى الله عليه وسلم على البراق وينقله في غمضة عين من المسجد الحرام إلى بيت المقدس ، حيث جمع له هنالك الرسل ليصلوا وراءه إماما لهم فيبرهن على منزلته الرفيعة ومنزلة أمته التي يجب أن تعمل لكي تكون رفيعة المنزلة ، ولسنا في حاجة إلى بيان قدسية المسجد الأقصى ولكنا نؤكد أن هذه « الواقعة المقدسية » بهرت مشركي قريش وأطارت ألبابهم حتى وقفوا يتساءلون : « أنضرب أكباد الإبل شهرين إلى بيت المقدس ويزعم أنه أتاه الليلة ؟ » وكذبوه فصوره له الله وقرب إليه صورة مجسدة له ينظر إليها ويصف المسجد ، فانه قال صلى الله عليه وسلم : « لما كذبتني قريش قمت من الحجر فجلا الله لي بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه ـ رواه البخاري »(١) .

وقائع من عهد سليمان :

ومن الوقائع المقدسية أن سليمان تمنى على ربه أن يهبه الملك والحكمة وأن ينعم بالغفران لمن صلى في بيت المقدس ، أبان عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديثه الشريف إذ قال : « لما فرغ سليمان بن داوود من بناء بيت المقدس سأل الله ثلاثا : حكما يصادف حكمه ـ أي التوفيق إلى الصواب ـ وملكا لا ينبغي لأحد من بعده ، وألا يأتي هذا المسجد أحد لا يريد إلا الصلاة فيه إلا خرج من

ذنوبه كيوم ولدته أمه » ثم قال صلى الله عليه وسلم : « فأما اثنتان فقد أعطيهما وأرجو أن يكون أعطى الثالثة » رواه ابن ماجة[٢] .

ثالث الحرمين :

فأما الحرمان فالبيت الحرام في مكة ومسجد النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة ، وثالثهما في مقدساتنا المسجد الأقصى ، ومما يتصل بهذا أن أبا ذر سأل النبي صلى الله عليه وسلم « قال يا رسول الله أي مسجد وضع أول ؟ قال المسجد الحرام ، قال قلت ثم أي ؟ قال المسجد الأقصى . قلت كم بينهما ؟ قال أربعون عاما ثم الأرض لكمصلى فصل حيثما أدركتك الصلاة » ـ رواه البخاري وابن ماجة وأحمد[٣] ـ ، ومما يتصل أيضا في الحديث الشريف أنه صلى الله عليه وسلم قال : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ، المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى » ـ رواه الستة إلا مسلم والنسائي ورواه أحمد[٤] ـ ، وقال « من أهل بحجة أو عمرة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وأوجبت له الجنة » ـ رواه أبو داوود[٥] ـ وأما الصلاة في المسجد الأقصى فانها « بخمسين ألف صلاة » ـ فيما روى ابن ماجة ـ ، لهذا كان بعض المسلمين ينذر أن يصلي فيه وكان صلى الله عليه وسلم لا ينهاهم عن الوفاء بنذرهم إلا أنه كان يبيح العدول عنه لمن يشق عليه ، فقد روى أن رجلا قام يوم الفتح فقال : « يا رسول الله إني نذرت لله إن فتح عليك مكة أن أصلي في بيت المقدس ركعتين . قال : صل ها هنا . ثم أعاد عليه فقال : صل ها هنا . ثم أعاد عليه فقال : شأنك إذن » ـ رواه أبو داوود والدارمي .

وأولى القبلتين :

وعندما شرعت الصلاة كانت القبلة شطر المسجد الأقصى ولهذا عرف بأنه « أولى القبلتين » إلى أن نزل قوله تعالى (**قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون**) البقرة ١٤٤ . وكان ذلك على الأرجح في « نصف شهر رجب من السنة الثانية على الصحيح وبه جزم الجمهور » ، وقد جاء فيما روى ابن ماجة : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى إلى بيت المقدس أكثر تقلب وجهه في السماء وعلم الله من قلب نبيه صلى الله عليه وسلم أنه يهوى الكعبة فصعد جبريل فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبعه بصره وهو يصعد بين السماء والأرض ينظر ما يأتيه به فأنزل الله تعالى : (**قد نرى تقلب وجهك في السماء** ..)الآية .

ومن غير شك كانت هذه « الواقعة المقدسية » سببا سال له لعاب أعداء

الدعوة من المنافقين واليهود في المدينة فجعلوا يتندّرون على السبب الذي دعا المسلمين ليغيروا قبلتهم ، ولكن الجواب الحاسم جاء من السماء : « **سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم** » البقرة ١٤٢ .

الأرض المقدسة :

وعندما ذكر القرآن المسجد الأقصى أكد على طهارة الأرض التي أقيم عليها والمنطقة التي أقيم فيها ، قال تعالى (**سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله**) الاسراء / ١ ، وفي خبر صحيح أن موسى عليه السلام عندما دنا أجله سأل ربه أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر[٦] ، أي مقدار رمية بحجر ، ووصفها نبينا صلى الله عليه وسلم في حديثه الشريف بأنها « أرض المحشر والمنشر »[٧] ـ مما روى ، روى ابن ماجة ـ تلك هى الأرض المقدسة التي يدنسها اليهود اليوم بما يمارسون فيها من مباذلهم التي لا يستحون من المجاهرة بها .

الفتح المقدسي :

ومن الوقائع المقدسية المشرقة ، الفتح الاسلامي للقدس في سنة ١٥ من الهجرة ، حيث كانت جيوش المسلمين قد انتهت من تحقيق النصر في واقعة اليرموك وأرسل قائدها أبو عبيدة بن الجراح يستشير الخليفة في الوجهة التي يسير بجيشه إليها فأتاه بريد المدينة أن « توجه إلى بيت المقدس فان الله يفتحها على يديك » فتوجه اليها أبو عبيدة وأحكم حصارها ثم أرسل إلى بطاركتها أن « سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله وبالرسول ، أما بعد فإنا ندعوكم إلى شهادة لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور فان شهدتم بذلك حرمت علينا دماؤكم وأموالكم وذراريكم وكنتم لنا إخوانا ، وإن أبيتم فأقروا لنا بالجزية وأنتم صاغرون ، وإن أنتم أبيتم سرت اليكم بجنود هم أشد حبا للموت منكم لشرب الخمر وأكل لحم الخنزير ، ثم لا أرجع عنكم إن شاء الله حتى أقتل مقاتليكم وأسبى ذراريكم » . ثم دارت معركة قصيرة بعدها أرسل بطاركة إيلياء ـ وكان هذا هو اسم القدس ـ يطلبون لقاء أمير المؤمنين ، وحضر عمر من المدينة ليشهد فتح القدس ، وأمن أهلها وسكانها ومنحها عهدة بأن يأمنوا ويستأمنوا على نحو ما جاء في العهدة العمرية ، وكان مما جاء فيها : « بسم الله الرحمن الرحيم .. هذا ما أعطاه عبدالله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان ، أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر

ملتها .. أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيزها ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم .. » .

صلاح الدين .. مخلص القدس :

وبعد الفتح الاسلامي ظلت القدس في حوزة الاسلام ثلاثة عشر قرناً تتعاقب عليها الدول الاسلامية أبتداء بالدولة الأموية ـ بعد دولة الخلفاء الراشدين ـ وأنتهاء بالدولة العثمانية ، وكل دولة منها تضع نصب عينيها حماية القدس من أي عاد أو مغير ، لم يتخلل هذه الحقبة الطويلة خروج للقدس من حوزة المسلمين إلا فترة الغزو الصليبي ، وقد كانت وقائع هذه الفترة من « الوقائع المقدسية » المحزنة حيث تمكنت الجيوش الصليبية من مهاجمتها وانتزاعها في فترة من فترات الركود والانحدار في تاريخ الأمة الاسلامية ، ومما يذكر هنا أن الجيوش الصليبية لم تستطع أن تدخل القدس إلا من الحي اليهودي

ـ إلا أن الأمة لم تلبث أن واتتها موجة عالية من الازدهار عندما صعد على رأسها صلاح الدين الأيوبي وعمل دائبا على تقويتها ولم تنم له عين حتى أسترد القدس ، وقد دعا صلاح الدين ملوك الصليبيين إلى الخروج منها بسلام قبل أن يدهمهم بجيشه ولكنهم أبوا الخروج فأقسم ألا يخرجوا منها إلا أذلة ، فلما هاجم حصونها وطوقها ورأوا أنه لم يكن لهم طاقة بجهاده عادوا يذكرونه بدعوته إياهم إلى الخروج سلما ، ولكنه كان قد أقسم ألا يخرجوا منها إلا أذلة وأبى إلا أن يبر بقسمه وقال : « لا تخرجوا إلا تحت سيفي » ، ورضخوا لما أمرهم به وخرجوا أذلة وسيوف صلاح الدين مشهرة عليهم ، ومنذ ذلك الحين والقدس في حوزة المسلمين لا تنام عنها عين .

بداية الوقائع المحزنة :

إلى أن تزايدت عوامل الضعف على الدولة الاسلامية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجري ، وتزايدت على الجانب الآخر مؤامرات الأعداء عليها فوقعت فريسة لضعفها ولأعدائها معا ، ولم تكد الحرب العالمية الأولى تضع أوزارها حتى كانت الأمة الاسلامية برمتها قد أصبحت مطمعا سهلا للدول الاستعمارية ، ثم لم تكد الحرب العالمية الثانية تبدأ ثم تنتهي إلا وكانت الأقطار الاسلامية قد وقعت بأكملها تقريبا ـ باستثناء السعودية وأفغانستان ـ في حوزة الدول المستعمرة ، ذلك في الوقت الذي كانت فيه الموجة الصهيونية آخذة في الامتداد من جديد وكانت من قبل قد وقع اختيارها على فلسطين لتقيم فيها وطنا قوميا ، ـ

ـ أخذت الصهيونية تدعم صلاتها بقوى الأستعمار حتى مكنتها من

اغتصاب نواح متعددة من أرض فلسطين على نحو ما هو معروف قبيل حرب ١٩٤٨ .

وقائع مقدسية .. في حرب فلسطين :

وفي أثناء حرب فلسطين كاد المسجد الأقصى أن يقع في أيدي اليهود إذ تذرع الانجليز بقرار التقسيم وأجلوا المقاتلين العرب عن القدس الغربية ، ثم سهلوا تسلل التنظيمات العسكرية الصهيونية إلى القدس الشرقية التي لم تلبث أن توغلت في بعض أحيائها هذه التنظيمات التي كانت قد أتمت احتلال القدس الغربية ، وكادت القدس القديمة هى الأخرى تسقط في الأسر ، لولا أن تداركتها القوات العربية ! ذهبت الكتيبة السادسة الأردنية بقيادة عبدالله التل إلى إنقاذها واستطاع التعاون المثمر بين « قوات الجهاد المقدس » وبين « كتيبة الفيلق العربي » أن يحقق نتائج جيدة إذ تمكنت هذه القوات من أحتلال مداخل القدس القديمة والطرق المؤدية إليها ومنع التنظيمات الصهيونية من دخولها ، وفي نفس الوقت كانت « قوات الجهاد المقدس » تحاصر الحي اليهودي بالقدس وتمنع أتصاله بالقوات الصهيونية إلى أن استسلم الحي اليهودي وأخذت جنوده أسرى وكان هذا انتصارا هاما للجانب العربي ، وقد بلغت خسائر الصهيونية في هذه المعركة ثلاثمائة قتيل وثمانين جريحا وأربعين أسيرا .

أسوأ الوقائع المقدسية :

ثم كانت حرب ١٩٦٧ فسقطت القدس القديمة مع ما سقط من الأراضي العربية ، وأخذت تتوالى أسوأ الوقائع المقدسية ، وخرجت القدس من الادارة العربية إلى إدارة الاحتلال الذي أخذ يؤكد سلطانه عليها باقامة النقاط العسكرية والادارية وتطبيق القوانين العرفية ونشر المستوطنات حولها تمهيدا لتهويدها ، ثم كانت الفرصة سانحة للاحتلال الصهيوني لكي يطلق يده في تخريب المقدسات الاسلامية ، ابتداء من أعمال الحفر حول أساسات المسجد الأقصى تحت زعم البحث عن هيكل سليمان ، وانتهاء بمؤامرة إحراقه في ٢١ أغسطس ١٩٦٩ .

ليس أخيرا :

وأخيرا أعلن اليهود ضم القدس واعتبارها عاصمة أبدية لاسرائيل ، ونحن لا أقول نقف ساكنين ، ولكن نقف عاجزين ، جيوشنا عاجزة عن إنقاذها وشعوبنا لاهية عن أمرها ، الذين ذهبوا لاستخلاصها بالصلح أبلغهم العدو بأن « كل شيء

قابل للتفاوض إلا القدس » ، والعدو وحده مع الأسف هو الطرف الذي يتفاوض من قوة ، والذين أيقنوا ألا بديل عن الحرب لاسترداد القدس كانوا على حق في هذا اليقين إلا أنهم ذهبوا يحاربون بعضهم بعضا وتركوا العدو آمنا من قوتهم ، ولهذا أقدم على ضم القدس وهو مطمئن آمن ، .. ولكن لن يكون هذا هو المشهد الأخير فلابد أن الله سيبعث جيلا يعمل لتخليصها ، ولابد أن يأتي يوم فيه يبدل الله أرضا غير الأرض وقوما غير القوم يقودون الأمة إلى موجة جديدة من الازدهار تعيد القدس إلى ظلال الاسلام .

نهايتهم هناك .. ونهاية الدجال :

ومهما حقق اليهود على هذه الأرض فان مصيرا أسود ينتظرهم فيها ، ينتظرهم وينتظر الدجال معهم ، حيث هناك يقتل الدجال ويقتل اليهود وتستريح الأرض منهم ، فان مما روى ابن ماجة عن فتنة الدجال أن أم شريك سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا رسول الله فأين العرب يومئذ ؟ قال : هم يومئذ قليل وجلهم في بيت المقدس ، وإمامهم رجل صالح ، فبينما إمامهم تقدم ليصلي بهم الصبح إذ نزل عليهم عيسى ابن مريم فيرجع ذلك الامام ويمشي القهقرى ليتقدم عيسى فيصلي بالناس فيضع عيسى يده بين كتفيه ثم يقول له تقدم فصل فانها لك أقيمت ، فيصلي بهم إمامهم فاذا انصرف قال عيسى عليه السلام : إفتحوا الباب ، فيفتح ووراءه الدجال ومعه سبعون ألف يهودي كلهم ذو سيف محلى وساج[(٨)] ، فاذا نظر إليه الدجال ذاب كما يذوب الملح في الماء وينطلق هاربا ويقول عيسى عليه السلام : إن لي فيك ضربة لن تسبقني بها ، فيدركه عند باب اللد الشرقي فيقتله ، فيهزم اليهود فلا يبقى شيء مما خلق الله يتوارى به يهودي إلا أنطق الله ذلك الشيء لا حجر ولا شجر ولا حائط ولا دابة إلا قال : يا عبدالله المسلم ، هذا يهودي فتعال اقتله »[(٩)] من سنن ابن ماجه .

---

(١) البخاري باب حديث الأسراء .
(٢) ابن ماجة ـ إقامة ـ باب ١٩٦
(٣) البخاري ـ أنبياء ٤٠ ، ابن ماجة مساجد ٧ ، أحمد ٥ : ١٥٠ .
(٤) البخاري ـ باب مسجد مكة ١ ، ٦ ، أبو داوود ـ مناسك ٩٤ وهو لفظه ، الترمذي ـ مواقيت ١٢٦ ، ابن ماجة ـ اقامة ١٩٦ ، أحمد ٢ : ٥٠١
(٥) أبو داوود ـ مناسك ٥ .

(٦) البخاري ـ جنائز ـ باب ٦٩
(٧) سنن ابن ماجة ـ اقامة ـ باب ١٩٦ .

(٨) نوع من الرداء .
(٩) سنن ابن ماجة ـ كتاب الفتن ـ باب ٣٣ .

في رحاب

الإسراء والمعراج

للأستاذ : عمر حافظ سليم عاصي

ان الذي يتأمل في الظروف والأحداث التي سبقت رحلة الاسراء والمعراج يجد أن تلك الرحلة المباركة كانت بالنسبة لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بمثابة العبور من المحنة إلى المنحة .

فلقد اشتد إيذاء المشركين له خاصة بعد أن فقد أهم الأسباب لحمايته داخليا وخارجيا : زوجه خديجة وعمه أبا طالب ، فقدهما في السنة العاشرة من البعثة ، تلك السنة التي تسمى بـ « عام الحزن » .

ولقد كانت آخر حلقة من حلقات الايذاء والتعذيب تلكم التي شهدتها أرض « الطائف » على مقربة من مكة التي شهدت الكثير والكثير من حلقات الايذاء والمعاناة .

لقد خرج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يدعو قبيلة « ثقيف » إلى عبادة الله الواحد القهار ونبذ عبادة الأصنام والأوثان .

فما كان من أهل الطائف إلا أن سلطوا عليه سفهاءهم وأغروا به صبيانهم ، فخرجوا وراءه يرمونه بالحجارة حتى سال الدم من قدميه

الشريفتين .
وعندئذ - وكما هى عادته دائما - رفع أكف الضراعة إلى مولاه يدعوه :
« اللهم إليك أشكو ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس ، يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين وأنت ربي ، إلى من تكلني ؟ إلى بعيد يتجهمني ؟ أم إلى عدو ملكته أمري ؟ إن لم يكن بك على غضب فلا أبالي ، ولكن عافيتك هى أوسع لي أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك أو يحل على سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك » .

وعلى حين فترة من تفاقم الأحداث واشتداد الأذى تمتد يد العناية الالهية إلى محمد بن عبدالله فيكرمه الله تعالى برحلة الاسراء والمعراج التي شهدت أروع وأعظم تكريم لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - حيث صلى إماما بجميع الأنبياء فكان ذلك دليلا على أنه خير خلق الله في أرض الله - وحيث صعد إلى سدرة المنتهى وإلى مستوى يسمع فيه صريف الأقلام ولم يسبق لأحد قط أن ارتقى إلى تلك المنزلة حيث كلمه الله سبحانه وتعالى .
ورحم الله الامام البوصيري إذ يقول معبرا عن ذلك :

سريت من حرم ليلا إلى حرم ... كما سرى البدر في داج من الظلم
وبت ترقى إلى أن نلت منزلة ... من قاب قوسين لم تدرك ولم ترم
وقدمتك جميع الأنبياء بها ... والرسل تقديم مخدوم على خدم
وأنت تخترق السبع الطباق بهم ... في موكب كنت فيه صاحب العلم
حتى إذا لم تدع شأوا لمستبق ... من الدنو ولا مرقى لمستنم
خفضت كل مقام بالاضافة إذ ... نوديت بالرفع مثل المفرد العلم

وفي تلك الذكرى العطرة التي تحتل من نفوس المسلمين مكانة سامية أود أن أتعرض - بشيء من التفصيل - لكل من الاسراء والمعراج وما حدث فيهما من أسرار عظيمة كانت بمثابة مدرسة جامعة مازال المسلمون يستفيدون من ثمارها وسيظلون إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

أولا : الاسراء :

هو الذهاب برسول الله - صلى الله عليه وسلم - من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى بالقدس وعن ذلك يقول الله تعالى في محكم تنزيله :
« سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير) ١/ الاسراء .
قال ابن كثير في تفسيره لهذه الآية إن المراد بالمسجد الأقصى : بيت المقدس الذي بايلياء معدن الأنبياء من لدن إبراهيم الخليل عليه السلام ، ولهذا جمعوا له هناك كلهم فأمهم في محلتهم ودارهم فدل على أنه هو الامام

الأعظم والرئيس المقدم ـ صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين . أ . هـ
ومن ذلك نرى أن السر في اختيار بيت المقدس مسرى لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يكمن في أن هذا الرسول لم يبعث لقومه خاصة وإنما بعث للناس عامة ، وأن دينه هو الدين المهيمن وأن كل المقدسات داخلة في مقدسات هذا الدين .

ونترك الحديث الآن لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يحدثنا عن تفاصيل تلك الرحلة الأرضية في حديث يرويه لنا أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ حيث قال ـ صلى الله عليه وسلم :

« أتيت بالبراق وهو دابة بيضاء فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه فركبته فسار بي حتى أتيت بيت المقدس فربطت الدابة في الحلقة التي يربط فيها الأنبياء ثم دخلت فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فأتاني جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل : أصبت الفطرة » رواه أحمد في مسنده .

قال النووي : المراد بالفطرة هنا الاسلام والاستقامة .

ولاشك في أن الاسلام هو دين الفطرة ، فالرسول صلى الله عليه وسلم قد أصاب الفطرة التي يولد عليها كل مخلوق كما جاء في حديثه الشريف : « ما من مولود يولد إلا على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء » رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة .

ولقد كان اختيار رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لإناء اللبن إلهاما من عند الله سبحانه وتعالى فلقد جاء في رواية أخرى أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « فسمعت قائلا يقول حين عرضت على : إن أخذ الماء غرق وغرقت أمته ، وإن أخذ الخمر غوى وغوت أمته ، وإن أخذ اللبن هدى وهديت أمته ، قال : فأخذت إناء اللبن فشربت منه ، فقال لي جبريل عليه السلام : « هديت وهديت أمتك يا محمد » رواه ابن اسحاق عن عبدالله بن مسعود .

ثانيا : المعراج :

وهو صعوده ـ صلى الله عليه وسلم ـ من المسجد الأقصى إلى ما فوق السموات السبع إلى سدرة المنتهى حيث أوحى الله إليه ..

وعن ذلك يقول الله تعالى : (والنجم إذا هوى . ما ضل صاحبكم وما غوى . وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحي يوحى . علمه شديد القوى . ذو مرة فاستوى . وهو بالأفق الأعلى . ثم دنا فتدلى . فكان قاب قوسين أو أدنى . فأوحى إلى عبده ما

أوحى . ما كذب الفؤاد ما رأى . أفتما رونه على ما يرى . ولقد رآه نزلة أخرى . عند سدرة المنتهى . عندها جنة المأوى . إذ يغشى السدرة ما يغشى . ما زاغ البصر وما طغى . لقد رأى من آيات ربه الكبرى) . **النجم ١/١٨ .**

ولعل أهم حدث من أحداث تلك الرحلة يتمثل في فرضية الصلاة على رسول الله وعلى أمته يقول صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عنه أنس بن مالك ـ رضى الله عنه :

« ثم ذهبت إلى سدرة المنتهى فاذا أوراقها كآذان الفيلة وإذا ثمرها كالقلال ، فلما غشيها من أمر الله ما غشيها ، فما أحد من خلق الله يستطيع أن يصفها من حسنها ، قال : فأوحى الله إلى ما أوحى ، وقد فرض على في كل يوم وليلة خمسين صلاة .

قال : فلم أزل أرجع بين ربي وبين موسى ويحط عني خمسا خمسا حتى قال : يا محمد هن خمس صلوات في كل يوم وليلة بكل صلاة عشر فتلك خمسون صلاة » رواه أحمد ومسلم .

وفرضية الصلاة من فوق سبع سموات دليل على أنها خير العبادات إذ أن غيرها فرض والرسول على وجه الأرض أما هى فقد فرضت والرسول يخاطب ربه حيث يراه(نور على نور). وذلك يؤكد أن الصلاة هى عماد الدين الذي لا يقوم بنيان الاسلام الا به كما أن هذا جدير بأن يكون حافزا على الأهتمام بها وأدائها على خير وجه في وقتها إذ أنها هى أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة فان صلحت صلح سائر عمله ، وإن فسدت فسد سائر عمله .

أصداء الخبر :

لقد استقبل أكثر الناس خبر الاسراء والمعراج بكل غرابة واستعجاب فقالوا مستبعدين ذلك : هذا والله الأمر البين : والله إن العير لتطرد شهرا من مكة إلى الشام مدبرة وشهرا مقبلة أفيذهب ذلك محمد في ليلة واحدة ويرجع إلى مكة ؟ بل لقد ارتد كثير ممن كان قد أسلم . وفي مقابل ذلك كان هناك من تلقى الخبر بكل تصديق وتسليم ، وفي مقدمتهم أبو بكر الصديق ـ رضى الله تعالى عنه ـ

يروى الحسن قصة ذلك فيقول : « وذهب الناس إلى أبي بكر فقالوا له : هل لك يا أبا بكر في صاحبك يزعم أنه قد جاء هذه الليلة بيت المقدس ، وصلى فيه ورجع إلى مكة . قال : فقال أبو بكر : إنكم تكذبون عليه ؟ فقالوا : بلى ، ها هو ذاك في المسجد يحدث به الناس ، فقال أبو بكر : والله لئن كان قاله لقد صدق ، فما يعجبكم من ذلك ! فوالله إنه ليخبرني أن الخبر ليأتيه من السماء إلى الأرض في ساعة من ليل أو نهار فأصدقه ، فهذا أبعد مما تعجبون منه »

من سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٥٠ .

أدلة صدق الخبر :

إن كل مؤمن رضى بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا في غنى تام عن معرفة دليل أو برهان على صدق رحلة الاسراء والمعراج إذ أنه يسلم بكل ما جاء عن الله ورسوله ويصدق بذلك تصديقا لا يقبل جدالا ولا مناقشة .
وإنما نسوق تلك الأدلة على صدق خبر الاسراء والمعراج للذين ضلوا سبيل الحق وسلكوا سبل الشيطان وتخبطوا في متاهات الضلال ، فنقول لهم :
١ - إن من حقكم أن تستبعدوا حدوث ذلك لو كان محمد - صلى الله عليه وسلم - زعم أنه قد أتى بتلك المعجزة من تلقاء نفسه ، أما إن محمدا لم يزعم ذلك إطلاقا ، والدليل على ذلك أنه يقول في كثير من أحاديثه عن الاسراء والمعراج : « مررت ليلة أسرى بي » ، أو « رأيت ليلة أسرى بي » أو « أتيت بالبراق » فهو قد وقع عليه الفعل ولم يقع منه ، والذي فعل الفعل قدرته تفوق كل القدرات ولا تخضع لأي مقياس من مقاييس البشر ، وصدق الله العظيم إذ يقول : (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير) ١/ الأسراء .
٢ - إن محمدا - صلى الله عليه وسلم - حينما طلب منهالقوم وصف البيت حدثت معجزة كبيرة فلقد رفع البيت أمامه فجعل الرسول ينظر إليه ويصفه لقومه كما ورد في الأخبار الصحيحة .
٣ - ولم يكتف الرسول بمجرد الوصف وإنما حدث القوم عن أشياء مر بها في الطريق وحدثت له فيه ولما خرجوا لمقابلتها كانت كما وصفها الرسول تماما .

الحال التي كان عليها رسول الله وقت الاسراء :

من الناس من يتعب نفسه ويكلفها ما لا طاقة لها به فيسلك طريق التأويل زاعما أن الاسراء والمعراج حدثا لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - في المنام فهما مجرد رؤيا فقط . ويستدلون على ذلك بقول الله تعالى : (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس) الاسراء /٦٠ .
ويرون أن « الرؤيا » مصدر « رأى » الحلمية ، وأن « الرؤية » مصدر « رأى » البصرية إلا أن الرأي السديد الذي عليه الجمهور أن الاسراء والمعراج تما يقظة بواسطة الروح والجسد معا وذلك للأدلة الآتية :
١ - أن ظواهر الأخبار الصحيحة تؤيد ذلك فلا يصح العدول عنه ، إذ ليس في

العقل ما يحيله حتى يحتاج إلى تأويل .
٢ ـ أنه قد ورد عن العرب استعمال « الرؤيا » مصدرا لـ « رأى » البصرية ونستأنس لذلك بقول المتنبى: (ورؤياك في العينين أحلى من الغمض) .
٣ ـ أن كلمة بعبده في قول الله تعالى : (سبحان الذي أسرى بعبده) تطلق على الروح والجسد معا ، فلا يقال على الروح وحدها « عبد » ولا يقال على الجسد وحده « عبد » .
٤ ـ وقد أخرج البخاري في صحيحه عن ابن عباس في قول الله تعالى : (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس) قال : هى رؤيا عين أريها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليلة أسرى به .
كما أخرج الطبراني في الأوسط بسند صحيح عن ابن عباس أنه كان يقول : « إن محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ رأى ربه مرتين : مرة ببصره ، ومرة بفؤاده » .
٥ ـ أنه لو حدث ذلك لرسول الله مناما لما واجه المشركون الخبر بالانكار والتكذيب .
٦ ـ ولقد كان أمير الشعراء أحمد شوقي صادقا حين قال :

يتساءلون وأنت أطهر هيكل ... بالروح أم بالهيكل الاسراء
بهما سموت مطهرا وكلاهما ... نور وروحانية وبهاء

صور ومشاهد

لقد رأى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في تلك الليلة المباركة مشاهد كثيرة تعطى للمتأمل فيها العبرة والعظة فهى تبين ثواب أناس فعلوا الخير وعقاب أناس ارتكبوا الشر فهى بمثابة الترغيب والترهيب ، ومنها ما يأتي :

١ ـ المجاهدون في سبيل الله

جاء في رواية أبي هريرة ـ رضى الله عنه ـ : « أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ سار ومعه جبريل عليه السلام ، فأتى على قوم يزرعون في يوم ويحصدون في يوم كلما حصدوا عاد كما كان فقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ « يا جبريل ما هذا ؟ » قال : هؤلاء المجاهدون في سبيل الله تضاعف لهم الحسنة بسبعمائة ضعف (وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين) سبأ / ٣٩ .

٢ ـ المغتابون والنمامون

عن أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :
« لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم ، فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم » .

رواه أحمد وأبوداود

٣ ـ خطباء الفتنة

وعن أنس بن مالك أيضا قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :
« ليلة أسرى بي مررت بقوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار ، كلما قرضت عادت فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء خطباء أمتك يقولون ما لا يفعلون » .

رواه ابن مردويه .

٤ ـ أكلة الربا

عن سمرة بن جندب قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ
« رأيت ليلة أسرى بي رجلا يسبح في نهر يلقم بالحجارة ، فسألت من هذا ؟ فقيل : هذا آكل الربا »

رواه ابن مردويه .

٥ ـ أكلة أموال اليتامى ظلما

عن أبي سعيد الخدري ـ رضى الله عنه ـ « أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مر بقوم مشافرهم كالابل يلتقمون جمرا فيخرج من أسفلهم ، وأن جبريل قال : « هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامي ظلما » رواه البيهقي .

٦ ـ تاركو الصلاة

روى الطبراني والبزار أنه عليه الصلاة والسلام مر على قوم ترضخ رءوسهم بالصخر كلما رضخت عادت كما كانت ولا يفتر عنهم من ذلك شيء ،

فقال : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين تتثاقل رءوسهم عن الصلاة المكتوبة » .

٧ ـ مانعو الزكاة

روى الطبراني والبزار أيضا : « أنه عليه الصلاة والسلام أتى على قوم على أقبالهم رقاع وعلى أدبارهم رقاع يسرحون كما تسرح الأنعام يأكلون الضريع والزقوم ورضف جهنم . فقال : ما هؤلاء ؟
قال : هؤلاء الذين لا يؤدون زكاة أموالهم وما ظلمهم الله ، وما ربك بظلام للعبيد .

٨ ـ الزناة

وكذلك روى الطبراني والبزار : أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أتى على قوم بين أيديهم لحم نضيج في قدر ولحم نيء خبيث ، فجعلوا يأكلون من النيء الخبيث ويدعون النضيج ، فقال : ما هؤلاء يا جبريل ؟ قال جبريل : هذا الرجل من أمتك تكون عنده المرأة الحلال الطيب ، فيأتي امرأة خبيثة فيبيت عندها حتى يصبح ، والمرأة تقوم من عند زوجها حلالا طيبا فتأتي رجلا خبيثا فتبيت عنده حتى تصبح » .

وبعد :

فهذه النماذج التي قدمتها هي قليل من كثير مما رآه المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ سقتها لنعتبر بها ونتعظ ومن أراد المزيد من ذلك فليقرأ الروايات الصحيحة من الأحاديث الواردة في ذلك .

وختاما :

فان الألم يحز في النفس والحزن يسيطر على القلب حينما تأتي ذكرى الاسراء والمعراج كل عام والمسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين ومسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ أسير ولسان حاله يقول :
من يعيد مجد صلاح الدين فيفك أسرى ؟
أسأل الله تعالى أن يعيد للمسجد الأقصى حريته وأن يرد عنه كيد أعداء الدين .

المؤتمر الثاني للمصرف الإسلامي

وزير الأوقاف يقول :
*** الحاجة ملحة لأن ينتقل العمل العربي والاسلامي من ردود الأفعال الى التخطيط العلمي الشامل .**

الصحوة الاسلامية :

كان الاسلام في أزهى عصوره يوجه مسار الحياة الى المستوى اللائق الكريم ، يزرع في النفس الانسانية معاني الفضيلة والشرف ، ويرسى قواعد الأخوة والتعاون ، (انما المؤمنون اخوة) .

ويحارب في النفس البشرية الاستغلال والجشع ، وأكل أموال الناس بالباطل ، ليعيش المجتمع المسلم الايثار الكريم ، (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) .

ثم تمثلت الأخلاق الفاضلة في واقع ملموس ، وفي حركة دائبة نشطة في مجال العبادات ، والمعاملات ، والآداب ..



واليوم نشاهد عودة مباركة ، وبعثا جديدا ، وصحوة إسلامية ، تخرج الاسلام من دائرة ضربت حوله بجدران المساجد .. ليكون قوة فاعلة في دنيا الناس .

ومن هنا جاء هذا «المؤتمر الثاني للمصرف الاسلامي » الذي انعقد في الكويت العربي المسلم في الفترة الواقعة بين ٢١ - ١٩٨٣/٣/٢٣م .

جاء هذا المؤتمر ليقول للعالم : أفسحوا الطريق أمام الاسلام ليريكم صورا من المعاملات هى أسمى وأكرم من كل ما عرفتموه ، أفسحوا الطريق أمام الاسلام لتعلموا أن له أسلوبه الخاص في الحكم ، والسياسة ، والاقتصاد ، وشتى دروب الحياة ، أفسحوا الطريق أمام الاسلام لتسعدوا في الدنيا قبل الآخرة ..

برعاية سمو ولي العهد

واليوم تعيش الكويت احتفالاتها بنجاح المصارف الاسلامية في توجيه السياسة الاقتصادية حيث أراد الله .. وتحت رعاية سمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء الشيخ سعد العبدالله السالم افتتح المؤتمر يوم ١٩٨٣/٣/٢١م . بحضور نخبة ممتازة من علماء الاسلام الذين توافدوا من كل قطر عربي اسلامي .

وبدأ حفل الافتتاح بتلاوة مباركة من آي الذكر الحكيم ، ثم ألقى وزير الأوقاف والشئون الاسلامية الأستاذ / أحمد سعد الجاسر الكلمة التالية ، وهذا نصها :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .
ايها الأخوة الافاضل ..
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

يسرني ويشرفني ان انوب عن سمو ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء بافتتاح مؤتمركم الكريم ، المؤتمر الثاني للمصرف الاسلامي داعيا المولى القدير ان يوفق جهودكم لما فيه خير وطننا وأمتنا الاسلامية .

قال تعالى :

وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين .

ان انشاء المصارف الاسلامية كان أملا منشودًا ، فأصبح بحمد الله واقعا مشهورًا وانجازا رائدا في حياة أمتنا الاسلامية .

واننا لننظر بعين التقدير والاكبار للمستوى الذي بلغته هذه المؤسسات العالية .

وان الكويت التي احتضنت الفكرة منذ بدايتها ليسعدها أن ينعقد مؤتمركم الكريم على أرضها وانها لتدعم كل جهد مخلص لوضع صيغ التعامل اليومي في مجال المال والاقتصاد على هدى من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

وكما قال صاحب السمو أمير البلاد حفظه الله في مناسبة سابقة :
« انها دعوة ومسؤولية يحملها كل من عنده قدرة على ايجاد صيغة تبدأ من الواقع الذي نحياه صاعدة الى المستقبل الذي نرجوه في حدود امكاناتنا الحقيقية ومحاولة ينتقل بها العمل العربي الاسلامي من مستوى ردود الأفعال إلى مستوى التخطيط العلمي الشامل وصناعة الغد على هدى وبصيرة .

لقد ظلت مسيرة الحياة سنين طويلة ينفصل فيها العلم الشرعي عن العمل التطبيقي ويبتعد فيها فقهاء الشريعة عن مجريات الحياة اليومية في الوقت الذي يعيش فيه رجال المال والاقتصاد معترك الحياة دون المام بمبادىء الشريعة الاسلامية السمحاء التي أنزلها الله سبحانه وتعالى لتحكم مسيرتنا وأسلوب تعاملنا جميعا وفي شتى المجالات .

وان هذا الجمع الحاشد الذي يلتقي فيه المختصون في علوم الدين والشريعة مع رجال المال والاقتصاد لفرصة لتبادل الرأي والمشورة في مجالات أختصاصهم وتحقيق التقارب فيما بينهم ، سعيا لوضع الدراسات والبحوث التي تلتقي فيها النظرية مع التطبيق .

إن ما حدث من فجوة في الصيغ والأساليب وضع على عاتق القادرين واجبا فوريا هو إعادة عرض المبادىء الشرعية وتجديد الصلة بين النظريات والواقع لا لغرض البحث المجرد وحده ، ولكن بهدف التطبيق العلمي وهو مطلب لا يستكمل مقومات نجاحه الا باسهام عام يشترك فيه أصحاب الاختصاص كل بما يتقنه . ولا شك



أن مثل هذه المؤتمرات توجه أنظار المتخصصين في الشريعة والاقتصاد لمواصلة البحث في مجالات تفتقر الساحة إلى اعطائها حقها من المعالجة في ظل التطبيق العملي الرشيد حيث لا تزال الجهود المبذولة فردية وغير مواكبة لمتطلبات الحاجات العصرية القائمة .

وإذا كان العالم مشغولا في هذه الفترة بالبحث عن نظام اقتصادي جديد ، فان العالم الاسلامي على وجه الخصوص ليتطلع إلى مثل مؤتمركم لوضع الحلول الناجعة لمشكلاته الاقتصادية على ضوء من عقيدته ومبادئه الاسلامية بما يحقق تضامن المسلمين وتكافلهم وينشر الخير والرخاء في ربوع المعمورة .

وفقكم الله وسدد خطاكم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

ثم ألقى رئيس اللجنة التحضيرية رئيس مجلس إدارة بيت التمويل الكويتي السيد أحمد بزيع الياسين كلمة قال فيها :

إن هذا الاهتمام بمسيرة البنوك الاسلامية ينبع من حرص القائمين عليها والمهتمين من فقهاء المسلمين وأساتذتهم بتوفير البديل اللاربوى للمعاملات المالية السائدة .

ووصف الاقتصاد الذي يبنى على أساس الفوائد الربوية بأنه أقتصاد معرض للأزمات المالية ، وأن نسبة



الفوائد الثابتة غير المرتبطة بمؤشرات الانتاجية والربحية تثقل كاهل المنتجين ، ومن ثم المستهلكين ، حيث ترتفع الأسعار وتزيد معها نسبة التضخم ، ويتبعها انخفاض في الطلب والانتاج ، ومن ثم زيادة العاطلين عن العمل .

ودعا إلى بذل الجهود والتعاون في سبيل دعم أسس الاقتصاد الاسلامي وفقا لما أملته علينا الشريعة الاسلامية الغراء ، حتى نرضى الله سبحانه ونتجنب ما يمر به الغرب اليوم من أزمات أقتصادية واجتماعية وننير الطريق للسائرين فيه .

ووصف المؤتمر بأنه خطوة في هذا الطريق الذي تم اختيار موضوعاته بما يحقق بحث الأمور الملحة التي تتعلق بالبنوك الاسلامية بصفة خاصة والاقتصاد الاسلامي بصفة عامة .

وختم كلمته بشكر صاحب السمو أمير البلاد وسمو ولي العهد والمسئولين على ما قدموه من رعاية ودعم لمسيرة المصارف الاسلامية .

هذا وقد واصل المؤتمر الثاني للمصرف الاسلامي أعماله في جلسات عمل صباحية ومسائية ، حتى اختتم أعماله يوم ١٩٨٣/٣/٢٣ بعد أن استعرض الباحثون البحوث التالية :

البحث الأول ـ الربا وأثره على المجتمع الانساني ـ د . عمر الأشقر .

البحث الثاني ـ منهج الدعوة الى مفاهيم المصارف الاسلامية ـ د . حسن شحاته .

البحث الثالث ـ أسلوب المضاربة الشرعية وتطبيقاته المعاصرة ـ د . عبدالستار أبو غده .

البحث الرابع ـ أعمال الصرف وتبادل العملات ـ د . سامي حمود .

البحث الخامس ـ البيوع في الشريعة الاسلامية ـ الشيخ عبدالحميد السائح .

البحث السادس ـ التعامل في أسواق السلع والأسهم ـ د . معبد الجارحي .

والوعي الاسلامي تأمل في أعدادها القادمة أن تنشر هذه البحوث تباعا تعميما لفائدتها .

والله ولي التوفيق

وقفة تأمل

حِـزبُ الله

○ يعيش عالمنا العربي والإسلامي حالة من الفوضى الفكرية لا مثيل لها ـ فكم من جماعات نشأت باسم الدين .. وحملت راية الإسلام .. وطالبت بالعودة اليه .. وبعضها يرمي البعض الآخر بالانحراف ذات اليمين .. وذات الشمال ، واتهم بعضها بعضا بالفسوق أو الضلال .. ونظر بعض المسلمين ـ عفا الله عنهم ـ الى الغير على أنهم كافرون ..

○ وفي المقابل نشأت أحزاب ـ غير دينية ـ انطلقت من التعصب لعرق ـ أو لوطن ـ أو لقومية ـ أو لمذهب سياسي ـ أو انطلقت من فكر اقتصادي معين .. بعضها وضع الدين على قائمة انتظار .. يأتي دوره بعد ترسيخ مبادىء أهم في نظر أصحابها .. وبعضها يرفض الدين رفضا كاملا .

○ وإذا كان الاختلاف بين الناس في الفكر والفهم والمذهب شيئا طبيعيا كاختلافهم في اللون ، والجنس ، والوطن ، واللغة واللسان .. فإنه ما ينبغي أن يكون هذا الاختلاف مِعوَل هدم يعمل عمله في بناء الخير ، ويأتي على غرس الفضيلة ، ويجعل الناس متنافرين ـ كيف ذلك والله يقول : « **يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا** »

○ وإذا كان الكفر خروجا عن الفطرة التي فطر الله الناس عليها .. وإذا كان الشياطين ـ من الأنس ـ يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا .. فإننا مدعوون لمحاربة الكفر ، ولمقاومة الشياطين ، حتى يسلم البنيان الانساني .. وتلك سنة الله في خلقه .. أن يظل الخير والشر في صراع والغلبة للخير .

○ وإذا كان مطلوبا من المؤمنين أن يقفوا جميعا في خندق واحد .. في مواجهة الهجمة الشرسة على حرمات الله ، وقيم الانسان .. فما بال الأحزاب الدينية تتصارع فيما بينها ـ ولمصلحة من ؟ وهل العيب في الأفراد أم في القيادة ؟.. وكيف ندعو إلى تطبيق شرع الله .. وكل جماعة تتهم غيرها ..؟

يا قومنا .. ويا أحبابنا .. ندعوكم أن تقفوا وقفة المتأمل فيما نحن عليه الآن .. وأن يكون اختلافكم في الرأي إثراء للفكر الاسلامي .. والحمد لله فأصول الاسلام ثابتة لا يختلف عليها اثنان .. والاختلاف في الفروع يأتي لمواجهة الأحداث المعاصرة .. وهذه سمة من سمات الاسلام التي جعلته صالحا لكل زمان ومكان .. ألا فليكن المسلمون جميعا أعضاء في حزب الله .. وإن تعددت اجتهاداتهم .. « ألا إن حزب الله هم المفلحون » .. ويوم تتوحد صفوفنا في ظلال الكتاب والسنة .. يقيض الله للاسلام والمسلمين من يحبهم ويحبونه .. وبالله التوفيق ..

المسلمون .. والسلاح

للاستاذ / معالي عبدالحميد حمودة

عندما يواجه المجنى عليه الجانى فمن ابسط قواعد الدفاع عن النفس ان يتسلح المجنى عليه ضد الجانى بالسلاح الذى يستطيع به أن يدافع عن نفسه وان يواجه هذا الجانى .

هذا تعريف بسيط للغاية يوضح أبسط صور الدفاع عن النفس فاذا نحن وضعنا هذا التعريف البسيط على أمتنا وهى تواجه أعداء الاسلام فاننا نعترف بكل شجاعة اننا منذ عام ١٩٤٨ حتى ساعة كتابة هذه السطور مازلنا في حالة « المجنى عليه » واننا لم نتسلح بالسلاح المفروض ان نتسلح به واننا حتى لا ندافع عن أنفسنا ضد هذا الجانى الاثيم الذى تواطأ العالم كله ضدنا وجلب الينا هذه العصابات الآثمة التى وضعت لنفسها لافتة مزيفة اسمها : اسرائيل .

وعندما نتعرض للحديث عن هذا الصراع الدموى الذى مازال مستمرا

واليهود .. الغائب

منذ عام ١٩٤٨ حتى الآن فان التعرض لهذا الصراع يجب ألا يغفل ان نكون صرحاء ومن ضمن هذه الصراحة اننا نواجه العصابات الصهيونية بدون السلاح الفعلى وبدون اللغة الوحيدة التى تفهمها هذه العصابات .

والسلاح هنا ليس المقصود به ـ فحسب ـ المدرعات والطائرات والمدمرات وغير ذلك من انواع الاسلحة ، ولكن المقصود كذلك ان نعترف بان السلاح الغائب هو ما ارشدنا اليه القرآن الكريم ، وهو يوضح لنا الوسائل التى يمكن بها مقاومة هؤلاء النازيين الجدد الذين يطيحون يمينا ويسارا بكل شيء في العالم العربى الاسلامي .

اليهود كما كشف القرآن الكريم عن نفسيتهم طراز خاص من البشر .. طراز حاقد مجرم عنصري لا يستقيم مطلقا الا بالردع .. هذا الطراز العنصري ان لم يتم ردعه فإنه انما يهدف الى تدمير البشرية كلها من أجل

تحقيق أحلامهم الشيطانية ..

ودور اليهود في هذه البشرية دور دنس وفاسق ومنحرف عن جادة الحق .. ولقد وضّح لنا القرآن الكريم أدق صفات اليهود وطرقهم ووسائلهم وأهدافهم ومخططاتهم وكلها تهدف الى تدمير الإسلام والمسلمين كما وضح لنا الله عز وجل .

السلاح الوحيد ـ وهو الغائب في مواجهتنا لليهود ـ الذى به ودون غيره نستطيع ان نحقق مواجهة هذا الاخطبوط اليهودي العنصري الدنس الذى لا يعرف في هذا الكون الا مهاجمة الاسلام وابادة المسلمين .. السلاح الوحيد هو أن نعرف اليهود .. ولن نستطيع ان نعرف اليهود إلا إذا طالعنا القرآن الكريم ..

الله عز وجل يوضح الهدف الأساسي الذى يسعى اليه اليهود والنصارى من أجل تدمير الاسلام والمسلمين ومع ذلك فنحن ـ للأسف ـ لا نقيم لهذا الهدف أيّ اهتمام أو لا نعطيه الاهتمام الواضح العملى .. قال تعالى : **(ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذى جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا نصير)** البقرة / ١٢٠ .

حرب دائمة منذ ان جاء محمد صلى الله عليه وسلم والى أن تقوم الساعة ومع ذلك مازلنا نصدق ان اليهود اصحاب سلام وانهم يريدون العيش في سلام مع « جيرانهم » .

واليهود هم العدو الأول للمسلمين بنص قول الله عز وجل وهو سبحانه أصدق القائلين : **(لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا)** المائدة / ٨٢ .

واليهود قوم قاموا بتزييف النصوص الدينية التى أوحى بها الله عز وجل لنبيهم موسى عليه السلام ليصلح امور حياتهم ويرشدهم الى جادة الحق .. فهل نحسب انفسنا أعزّ من الله ـ تعالى ـ عند اليهود حتى يقوموا بتنفيذ معاهدة من المعاهدات او عهد من العهود ؟

(فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما

يكسبون) البقرة / ٧٩ .

وليس هناك أجرم من اليهود فقد ارتكبوا افظع الجرائم في حق رسل الله عليهم السلام : **(أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون)** البقرة / ٨٧ .

واليهود حقت عليهم لعنة الله بكفرهم : **(بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون)** البقرة / ٨٨ .

واليهود تركوا عبادة الله عز وجل وتعاليمه وعبدوا العجل : **(ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون)** البقرة / ٩٢ .

واليهود أهل اجرام وسفك دماء : **(إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم)** آل عمران / ٢١ .

هذه صفات محددة انتقيناها من القرآن الكريم توضح لنا هذه الصفات أن اليهود هم العدو الأول والرئيسى للاسلام والمسلمين ، واليهود زيفوا النصوص الدينية حتى يستطيعوا ان يعيشوا حياتهم وفقا للهوى والاجرام .. واليهود ارتكبوا الجرائم في حق الله وحق الرسل والانبياء وفي حق البشرية كلها .. واليهود كفروا بالله وعبدوا العجل وغير ذلك من الصفات الشائنة والتصرفات القبيحة .

هذه الصفات للاسف تغيب عنا ونحن نواجه مخططات اليهود واجرامهم الممتد المتطاول فنعتقد ـ مثلا ـ ان اليهود لا يحملون لنا العداء ونظن ان لهم شرفا يمكن ان يلتزموا به ، أو نظن انهم اصحاب ديانة سماوية .

واليهود برغم هذه الصفات كلها ، إلا أنهم يفهمون لغة واحدة ، هذه اللغة هى السلاح الغائب الذى لم نستخدمه مطلقا فى صراعنا ضد الطغمة النازية الجديدة .. السلاح الغائب هو أننا يجب أن نعرف اليهود حق المعرفة ، فاذا عرفناهم تحقق لنا أول الخطوات الصحيحة لمواجهة هذا الشتات الدموى المسمى بالعصابات الاسرائيلية .

من إذن الذى يوضح لنا طبيعة هذه الطغمة العدوانية ؟ ليس إلا الخالق سبحانه فرغم كل ما أوردناه من صفات ـ جاءت في القرآن الكريم ـ إلا أنه

ينبغى علينا ألا نسقط فى هاوية التهويل من عدونا او التهوين من شأنه ، ولكن علينا ان نعرف الامور كما جاءت ، ذلك انه بالرغم من تلك الصفات الاجرامية كلها إلا أن اليهود جبناء ورغم انهم جبناء الا انهم نجحوا ـ عندما ابتعدنا عن الاسلام ـ فى تصوير قطيعهم انه قطيع اسطورى « لا يعرف الهزيمة » الى باقى عبوات الخداع الإعلامي التى صدروها لنا من أجل إخافتنا وإرهابنا وبعث الذعر بين صفوفنا ..

يخبرنا الله تعالى عن جبن اليهود : (**قالوا يا موسى إن فيها قوما جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون**) المائدة / ٢٢ .

والجبناء يجب ان يكونوا سفلة فتلك هى طبيعة الاشياء : (**قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبدا ماداموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون**) المائدة / ٢٤ .

ورغم ان القرآن الكريم بين ايدينا الا اننا فى خلال الانفعال غير المحسوب يغيب عنا الكثير من الاسرار التى وضعها لنا القرآن كاشفا لنا عن الاعداء فالتحالف الدنس بين اليهود وباقى الكافرين ليس شيئا جديدا ، ولم يكن غريبا ان اليهود فى كل عصر وكل زمان وكل مكان « يحسنون » اختيار حلفائهم وعندما يكون الاسلام هو الهدف فانه من الطبيعى ان يتحالف اليهود مع الكافرين بل مع القوة الغاشمة الكافرة : (**ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفى العذاب هم خالدون**) المائدة / ٨٠ .

لب السلاح الذى لم نستخدمه ضد اليهود : « كيفية استخدام الاسلام في المواجهة » لان هذه الكيفية هى التى سترد «قطيع اليهود»، وهذه الكيفية تكمن اجمالا وتخصيصا فى ان نكون كما طلب الله منا ان نكون .. حتى يحقق لنا الله ما نريد .

ان طبيعة اليهود هى الجبن ولكن الجبن يتحول الى « دعاية هوجاء » عندما يغيب سلاح المواجهة مع اليهود والا فماذا نقول بشأن قول الله تبارك وتعالى : (**لن يضروكم إلا أذى وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون**) آل عمران / ١١١ .

والله لن ينتصر اليهود ولن تقوم لهم قائمة مادمنا نواجههم كما أمرنا

الله ، ومادمنا نحن نكون كما أمرنا الله تعالى ان نكون .

عندما نحسن استخدام ما بأيدينا ، فان اليهود لن تقوم لهم قائمة ، ولن ينتصروا علينا مطلقا ، ذلك ان الصراع بيننا وبين اليهود لا يحسمه نتيجة حرب أو جولة من الجولات ، ولكن العبرة اننا عندما نستعيد السلاح الغائب فلن يقف أمامنا اليهود مطلقا ، ولا طابور الكفرة الذى يساندهم مساندة تتجاوز ما يحدث بين الديوث والداعرة ..

ان اليهود « شعب » منحط لا يتورع عن سلوك شتى السبل ، لينفِّذ مخططاته ، ومن ثم فان مواجهة هذا الإجرام والفسق لا يمكن ان تنشأ من فراغ ولكن المواجهة تحتاج الى :

١ ـ معرفة شاملة تامة ومؤسسة على اسس ايمانية وعلمية باليهود .
٢ ـ اعداد القوة الروحية « الايمانية » لتلك المواجهة .
٣ ـ اعداد القوة المادية المتنوعة والمختلفة والمتطورة لمواجهة الطغمة النازية الجديدة الوحشية .
٤ ـ تهيئة الشعوب الاسلامية لتلك المواجهة بكل وسائل التهيئة .
٥ ـ التعرف الصحيح لاسباب العداء بيننا وبين اليهود ، وتبنى الإعلام الاسلامى هذا الدور . ذلك ان الصراع بيننا وبين اليهود ، ليس قوامه قطعة أرض أو هضبة من الهضاب أو قناة من القنوات ، ولكن الصراع بيننا وبين اليهود عقائدى ومن ثم لا يفل الحديد إلا الحديد ، خاصة وان عقيدتنا هى العقيدة المؤمنة الصحيحة الموجودة فوق سطح الكرة الأرضية .
٦ ـ ان تُحكم المجتمعات المسلمة بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .
٧ ـ ان تقوم الامة الاسلامية بتحديد العدو من الصديق من هؤلاء الذين يمدون اسرائيل بكل وسائل التأييد .

بقى القول الفصل فى مواجهتنا للطغمة الصهيونية النازية الجديدة .. القول الفصل هو قول الله تعالى : (**فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم**) البقرة / ١٩٤ .

هذه الآية الكريمة توضح تماما غياب السلاح الوحيد الذى يجب ان نستعمله ونحن نواجه عدوان اليهود المتكرر ..

إن ردّ الاعتداء على اليهود يجب ان يكون مطابقا تماما لما يقومون به ضدنا وفى هذا قمة العدل دون شك ، فاذا اعتدى اليهود علينا والحقوا بنا ـ

او بأى قطر اسلامى عربى ـ خسائر فى الارواح فيجب ان يفقد اليهود مقابلاً معادلاً ومساويا لهذه الارواح التى قتلوها .. واذا دمر اليهود منشآتنا وبيوتنا ومصادر مواردنا الاقتصادية فيجب ان يتم تدمير منشآت القطيع وبيوته ، واذا قام اليهود بقتل اطفالنا الابرياء فيجب ان يدفع الثمن ـ بالقصاص العادل ـ الاطفال اليهود الابرياء .. واذا قام اليهود بتشريد فتياتنا ونسائنا فيجب ان يتم تشريد فتيات ونساء الكيان الصهيونى .. واذا قام اليهود بقتل الكهول المسلمين فانه يجب على الصهاينة العجائز والمسنين ان يدفعوا الثمن ..

اننا منذ عام ١٩٤٨ حتى اليوم لم نطبق هذا القانون الالهى فى مواجهة عدوان اليهود علينا ، ولو طبقناه مرة واحدة لتحقق لنا تماما النصر على هذا القطيع العدوانى الغادر .

ان العنصر البشرى اليهودى ضئيل وشحيح .. وهذه الضآلة البشرية ستوجع قلوب الصهاينة اليهود ، فعندما يجدون ـ طبقا للقصاص العادل الذى ارشدنا اليه الله رب العالمين ـ ان العنصر البشرى الصهيونى يتناقص يوما بعد يوم عقب كل عدوان تقوم به حكومة العصابات ، ان اليهودي عندما يموت فى تل ابيب ـ أو حتى فى المجتمعات الغربية ـ فان الحزن كله يعم أرجاء الكيان الصهيونى ، ولذا فان نقل المعركة داخل الجدار النازى الصهيونى أمر تحتمه الظروف الحالية فى مواجهتنا ضد اليهود .

بقى الطرف الآخر فى معادلة « الداعرة والديوث » وهذا الديوث لن يرجع عما يقوم به من مناصرة الداعرة اسرائيل إلا اذا شعر الديوث أننا نواجهه اسلاميا .. واسألوا التاريخ الحديث .. بل وعلى الشعوب المسلمة ان تعرف ان الديوث الصليبى أغرقنا فى دوامة من الجبن والخوف .. هذا الديوث الصليبى لم ينتصر مرة واحدة فى حرب واحدة بل ان الشيوعيين فى فيتنام الشمالية اذاقوا هذا الديوث الصليبى مرارة الهزيمة .. وحتى فى معركة « خليج الخنازير » يومها جَبُنَ الديوث الصليبى عن مواجهة الشيوعية .. ولكن لان الديوث الصليبى يعادى الاسلام فانه يقف وراء العصابات الصهيونية ، يمدها بكل شىء من اجل ان تواصل عدوانها علينا ، وليت حكامنا يجعلون الشعوب المسلمة تواجه زعيمة الصليبية العالمية فى العصر الحديث ، جربوا يا ولاة امورنا وسوف ترون ..

ان الله عز وجل اقوى واكبر .. وان اخافتنا بالولايات المتحدة الامريكية وغيرها من المجتمعات الصليبية أمر مرفوض تماما لا يقبله كل مسلم ، لان

عقيدتنا تؤكد ان الله عز وجل هو القوى الأوحد ، وهو سبحانه بيده كل شيء وهو عز وجل له جنود ، وما يعرف جنود ربك إلا هو ، فلنكن مع الله ولنتوكل عليه سبحانه ، وهو تعالى سيقدم لنا من الآيات المذهلة في اعدائنا كلهم عن بكرة ابيهم .

وختاما :

لقد جربنا مسميات ومذاهب كثرة ونحن نواجه اليهود ـ المعتدين علينا دائما ـ فلم نحقق شيئا .. جربنا القومية العربية وفشلنا .. جربنا ان نتحالف مع الملاحدة وفشلنا .. جربنا ان نصادق زعيمة الصليبية فى العالم وفشلنا فشلا ذريعا .. جربنا ان نخاطب المجموعة الاوربية ونسينا ان المجموعة الاوربية كلها صليبية .. جربنا سلاح العبارات الرنانة والتهديدات الجوفاء وفشلنا .. جربنا كل شيء الا ان نواجه اليهود تحت عقيدة الاسلام .

الدليل التام على اننا مازلنا لم نستخدم السلاح الغائب في المعركة ، هو فشل كل التجارب لاى مذهب من تلك المذاهب التى لم تحقق لنا أى شيء ولن تحقق ، لان فاقد الشيء لا يعطيه ، فتحت ظل تلك التجارب قامت العصابات بتأسيس « دويلة » لها ، وتحت ظل هذه التجارب أخذت الارض الفلسطينية تضيع يوما بعد يوم وتحت ظل هذه التجارب ضاعت منا الاراضى والارواح والابناء وتحت ظل هذه التجارب القدس أسيرة فى أيدى أقذر مخلوقات البشرية ، وتحت ظل هذه التجارب وقعت الفرقة الخطيرة ـ التى لم تقع من قبلُ ـ بين المسلمين فى كل مكان ، وتحت ظل هذه التجارب سادت الفوضى أمور حياة المسلمين ، وتحت ظل هذه التجارب انطلقت العصابات الصهيونية تضرب وتبطش بنا والعالم كله يتفرج علينا في شماتة وسخرية .

إننا لن نردع هذه العصابات إلا بالإسلام ، فعندما نكون مسلمين حقا ، وعندما نعود الى الله عز وجل .. وعندما نعامل المعتدى بالقصاص الإلهى الذى أمر به العلى الكريم ، وقتها لن يكون هناك الا النصر المبين من عند الله .

قال تعالى : (**يأيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم.والذين كفروا فتعسا لهم وأضل أعمالهم.ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم.أفلم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها**) محمد / ٧-١٠ .

مِنْ وحي الإسراء

للشاعر : محمود عبدالغفار دياب

أعوذ بالله من عجز ومن سقَمِ
وأبدأ القول باسم الله ذي النعم
الأولِ ، الآخرِ ، الباري نسبحُه
ونستجير به من حالك الظُّلَم
صَمَدٌ تَوَحَّدَ لم يولد ولم يلد
أحد تنزَّه عن شرك ، وعن عدم
هو المصوِّرُ في الارحام ما عجزت
عن مثله من قديم ريشة الفهِم
هو البصيرُ ، الودود ، الحقُّ نشكره
هو الرحيمُ ، الغفورُ ، الحيُّ ذو الحُرَم
هو اللطيفُ ، الخبيرُ ، الفردُ نعبده
حق العبادة ، رحمن ، وذو نقم
ذو العرشِ ، واللوح ، والجناتِ وحدَّه
كل الخلائق ، والاكوان من قدم
يمينه أبدعت ما جل عن صفة
عجائبَ الخلق ، والاكوان والنعم
تبارك الله صورها فابدعها
بالكاف والنون أمرٌ نافذ الكلم
شهادة بجلال الله ناطقة
دلت على الخالقِ المنَّانِ ذي الكرمِ

****

ما الناس إلا ترابُ الأرض خلَّقَه
ربُّ البرية أمشاجا بذي رحم
من الترائب والأصلاب دفقَّهم
نطفا تُخلَّق في الأرحام والظُّلَمِ
مضغٌ تحوُلُ عظاما جل بارؤها
كُسيت بلحمٍ غذاه دافق بدم

هنـاك صـوّرهـم في خـير صـورتـهـم
وبـعـدهـا نفـخَ الأرواحَ في الـعـدم
اللـه أكبـر .. ذا الانسـانُ أبـدعـه
ربُّ الـوجـودِ كمـالا ثـابـت القـدم

****

لـم يُخلَـق النـاسُ فـوضى أو بـلا هـدف
وانمـا خُلقـوا لـعبـادةِ الحكـم
الخـالـقِ ، الـرازق ، المـعبـودِ تبصـره
مَـهـجُ القلـوب ضيـاء سـاطـع الحكـم
قـد أرسـل الـرُّسْـلَ بـالتـوحيـد هـاديـةً
كـلَّ الـعـبـاد صـراطَ الحـق والحـرم
واهـاً على النـاس .. كم ضلـوا وكم كفـروا
عميـت قلـوبـهمـو بـالشـرك والصَّمَـم
عبـدوا هـواهـم فضلـوا عـن عبـادتـه
كـلٌّ لـه صنـمٌ يـهـواه كـالصنـم
كـم كـذبـوا الـرُّسْـل والآيـاتُ شـاهـدة
نـورَ الحقيقـة لا ينكـره غـيرُ عـم
قـد أنكـروا البعثَ بعـد المـوت عن سفـه
لـم تعجـزوا اللـه بَـدْءاً ، كيف بـالـرِّمَم
مـن أنشـأ الخلقَ مـن لا شيءَ يبـعثُهـم
يـومُ الحسـاب ، غـداةَ الـهـولِ والنـدم

****

لـهُـمَّ صـلِّ عـلى الـهـادي وعتـرتـه
وتمِّـمِ الفضـل بـالتسليـم والنـعـم
(طـه) المبشِّرِ بـالجنّـات خـالـدةً
الـعـاطـر الـذكـر بـالفـرقـان كـالـعلـم
(المصطفـى) خـيرِ رُسْـلِ اللّـه قـاطبـةً
هـو البشـيرُ النـذيـرُ الفـاضـلُ الشِيَـم
(محمـد) خـاتـمُ الـهـاديـن مـن رسـل
أدى الـرسـالـةَ رغـم الكفـرِ والتُّـهَـم
هـو الأمـينُ الصـدوقُ الـوعـدِ قـد شهـدت
لـه السمـاءُ نبيـا غـيرَ متَّـهـم
قـد حـرّر النـاسَ بـالتـوحيـد مـن ظُلَـم
وقـاد أمتَـه بـالحـق للقِمَـم

رسالةٌ أشرقت كالشمس ساطعةً
منارةٌ الخير في الدارين للأمم
****

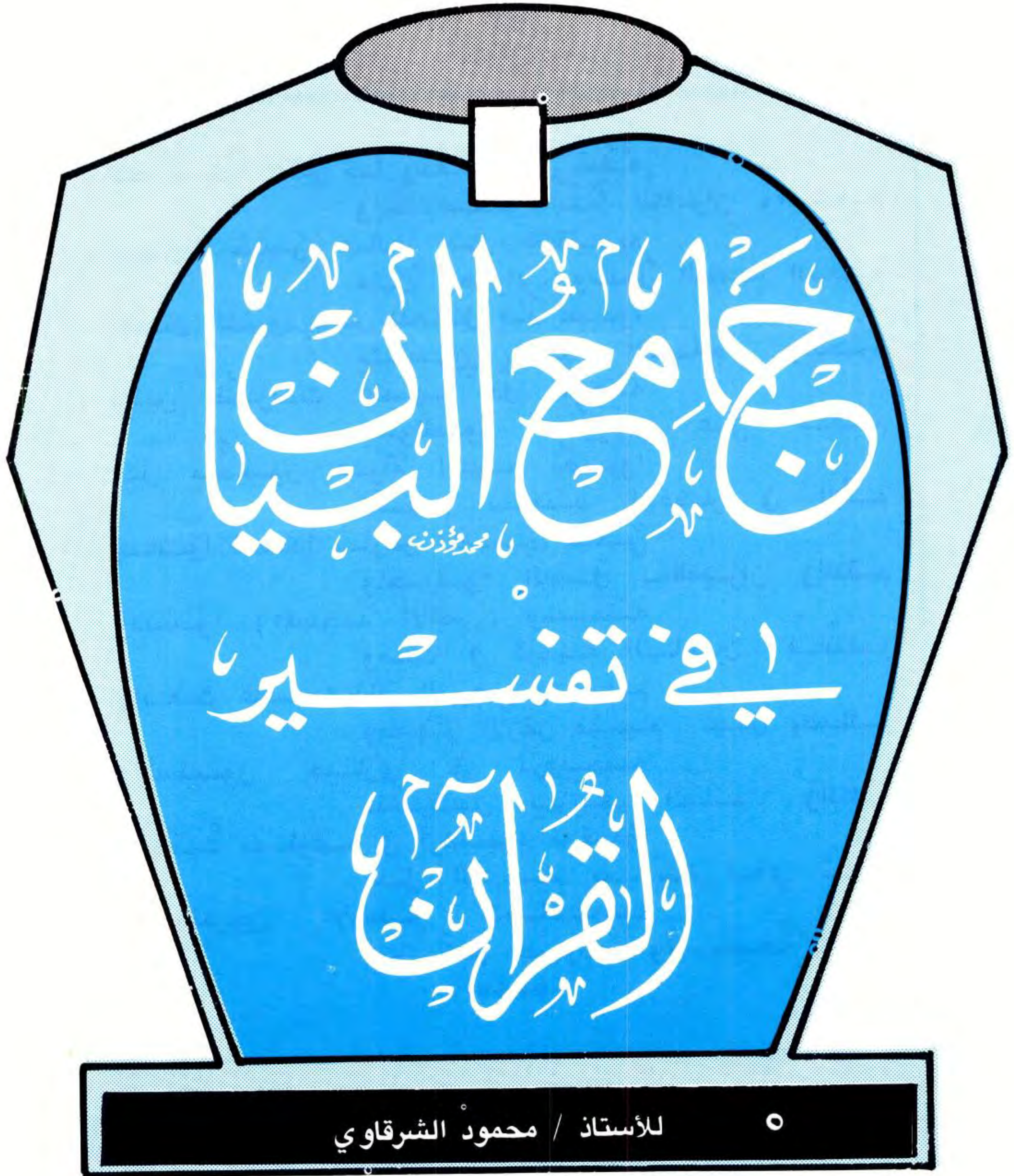
سبحان من أسرى بمحمدٍ ليلا
من (كعبة الروح) للأقصى بلا قدم
جسدا وروحا معاً إسراءَ معجزة
شهد الكتابُ بها - يقظانً لم ينم
أسرى البراقُ به في موكبٍ لجبٍ
تحفّه رُسُلٌ الرحمن كالحشم
صلى إماماً برسل اللهِ مبتهلا
تحيةُ الشكرِ للغفارِ ذي النعم
وبعدها عَرَجَ الهادي الى أفُقٍ
ما جازه قبله ملكٌ ولم يحم
يطوى السماواتِ طيا خاشعا وَجِلاً
وقف الزمانُ لهَ وانجاب كالدِّيَم
برازخُ البعدِ تعظيماً له قربت
بل قلْ تلاشت كطيفٍ لاح بالحلم
وسدرةٌ عن يمين العرش قد غشيَت
يوم استواء أمين الوحي للعلم
وعندها جنةُ المأوى وقد فُتحَت
أبوابُها لحبيب اللهِ يغتنم
ما زاغ للمصطفى بصرٌ ولا نسيت
عينُ البصيرة ما يُوحَى لمحتشم
هناك أبصرَ آياتٍ محجبةً
لم تجلَ قبلُ لمخلوقٍ من النَّسَم
تبارك اللهُ إذ أوْلاك مكرمةً
وهى الصلاةُ غذاءُ الروح والهِمَم
وقاب قوسين بل أدنى حبيتَ بما
مَنَّ الرحيم ، وربُّ العرشِ والقلم
المنكرون لإسراءٍ ومعجزةٍ
كفروا فظلوا بلا عقلٍ ولا ذِمَم
ما شاء ربك في الاكوان أنفذه
طوعا وكرها ، فلا تسأل عن الحكم
****

قد مسنا الضرُّ يا رحمن عن سَفَهٍ
واستأسدت أممُ الكفرانِ والعجم
يهودُ خيبرَ عادوا من تشتتهم
مثلَ الجرادِ ، وسيلُ النقمة العرم
نسل القرود ومن للعجل قد عبدوا
يتآمرون على الاسلام ، والحرم
ومن ضُربت عليهم ذلّ مسكنة
يتواثبون كذؤبانٍ على الغنم
بل يدَّعون هراءً انهم نُصِروا
لأنهم شعبُكَ المختارُ في الأمم
عاثوا فسادا بأرض المسلمين ضُحىً
وأحرقوا النسلَ بالنيران والنقم
ودنسوا (المسجدَ الأقصى) وحرمتَه
وبات في قبضة الباغين ، فانتقِم
وابعث عليم عذابَ الرجزِ يمحقهم
وطهِّر الأرض منهم ، عدلَ مصطلم
والمسلمون حيارى في دروبِهمو
متفرقون بزيفِ السِّلم ، والكلِم
رَخُصَتْ دماؤهم في أرضهم فغدَوْا
مثلَ الطعام بمأدُبَةٍ لذي نَهِم
مستسلمون لأخطار تحاصرهم
من كل صوب ، ولا سيفٌ لمنتقم

****

أدعوك يا ربنا فرجْ مصيبتنَا
يا كاشف الضر فاضَ الكيلُ بالغُمَم
يارب وحِّدْ صفوفَ المسلمين على
دربِ الهدى أمةً خفاقةَ العلم
لَهُمَّ وانصر جهادَ الصادقين كما
نصرتَ قبلُ دعاةَ الحقِ في الأمم
وأَخْتِمُ القولَ بالتسبيح مبتهلا
لَهُمَّ صلِّ على المختارِ من قدم

****



○ للأستاذ / محمودْ الشرقاوي

الكاتـــب :

ولد أبو جعفر محمد بن جرير الطبـري بآمـل في طبرستـان عام ٢٢٤ هـ وقد وقع الشك في تاريخ ولادته غير ان هذا التاريخ هو المذكور في اغلب المراجع .

وتحدث ابن جرير عن حداثته فقال : حفظت القرآن ولي سبع سنين وصليت بـالناس وأنـا ابن ثماني

سنين ، وكتبت الحديث وأنا ابن تسع » .

كما قال : « ورأى لي ابي في النوم اني بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت معي مخلاة مملوءة حجارة ، وأنا أرمي بين يديه ، فقال له المعبّر : ان كبر نصح في دينه ، وذبَّ عن شريعته ، فحرص أبي على معونتي في طلب العلم وأنا حينئذ صبي صغير » .

وصدقت الرؤيا ، وغدا محمد بن جرير الطبري إماما من أئمة التفسير والتاريخ ، وناضل عن السنّة ، وحارب الابتداع ، وكان ابوه ورعا تقيا ، الى يسار يعيش فيه ، وضيعة واسعة يملكها بطبرستان ، وما أن أحس من ابي جعفر يقظة في فؤاده ورجاحة في عقله . ونزوعا الى العلم ورغبة في لقاء العلماء حتى دفعه الى الرحلة في سبيل العلم حيث كان ، فرحل الى مدينة الري وما جاورها من

الاصقاع ، وأخذ عن أقطابها وفقهائها ، ودرس فقه العراق على ابي مقاتل ، وكتب عن احمد بن حماد الدولابي كتاب المبتدأ وأخذ مغازى ابن اسحق عن سلمة بن الفضل ، وعليه بنى تاريخه فيما بعد ، ثم اختص بابن حميد الرازي .

ورحل الى بغداد حيث كان في نيته التلمذة على الامام أحمد بن حنبل غير أن أنباء وفاة ابن حنبل وصلته قبل مقدمه الى بغداد ، فحزن حزنا شديدا على وفاته ، واتجه صوب البصرة ، حيث اتصل بمحمد بن موسى الحرشي وعمار بن موسى القزاز ، ومحمد بن عبد الاعلى الصنعائي ، وبشر ابن معاذ وغيرهم من العلماء وذوي الرأي . واتجه صوب الكوفة حيث اتصل بهناد بن خلاد الكلمى ، وأخذ عنه القراءات ، وقابل ابا كريب محمد بن العلاء الهمذاني ، وكان من ائمة العلماء في هذه الفترة .

وذهب الى بيروت حيث اتصل بالعباس بن الوليد البيروني المقرىء ، والى الفسطاط حيث التقى بأبي الحسن السراج المصري ، وكان أديبا متصرفا في فنون الكلام .

وكان الناس يأتون الى الطبرى يسألونه عن فنون الفقه والحديث واللغة والنحو والشعر فيجيبهم اجابة وافية شافية .

كان الطبرى زاهدا عازفا عن الدنيا ، مترفعا عن التماسها ، امينا تقيا ، بلغ الغاية في شرف النفس ، وكمال العفة ، ونظافة الملبس والاعضاء ، وحلاوة المعاشرة ، وحسن التفقد لاخوانه ، وجمال الرعاية لهم رقيق حواشي الكلام ، مع دعابة وظرف ورقة .

وعزم على ان ينقطع للدرس والتأليف ، وأن يمتنع عن كل ما يصرفه عنهما . ذكر ابن عساكر انه لما تقلد الخاقاني الوزارة وجه الى أبي

جعفر الطبرى مالا كثيرا فامتنع فعاتبه اصحابه وقالوا له : لك في هذا ثواب ، وتحيى سنة قد درست وطمعوا في قبوله المظالم ، وباكروه ، ليركب معهم لقبول ذلك فانتهرهم وقال :

« لقد كنت اظن لو رغبت في ذلك لنهيتموني عنه » .

وذكر ياقوت في معجمه انه قيل في شأنه : كان كالقارىء الذي لا يعرف الا القرآن وكالمحدث الذي لا يعرف الا الحديث ، وكالفقيه الذي لا يعرف الا الفقه ، والنحوى الذي لا يعرف الا النحو ، وكالحاسب الذي لا يعرف الا الحساب ، وكان عالما بالعبادات جامعا للعلوم » .

صنف الطبري في علم الحديث كتاب « تهذيب الآثار » ووصفه ابن عساكر بأنه من عجائب كتبه

والّف الطبري كتاب « أدب المناسك » ويتناول الاعمال التي يقوم بها الحاج منذ خروجه حتى انقضاء حَجه .

وكتاب « آداب النفوس » وكتاب « بسيط القول في أحكام وشرائع الاسلام » وكتاب « اختلاف علماء الامصار » وكتاب « الخفيف في الفقه » وكتاب « البصير في معالم الدين » وغير ذلك من الكتب .

أما كتاب « تاريخ الرسل والملوك » فيعد من أشهر مؤلفات الطبري بعد تفسيره ، ويظهر أنه ألفه بعد التفسير ، وقد بدأه بتاريخ آدم ومن جاء بعده من الانبياء والرسل على ترتيب ذكرهم في التوراة مع تعرض للاحداث التي جرت في هذه الايام ، مفسرا ما ورد في القرآن الكريم بشأنهم وأورد أخبار الملوك الذين عاصروهم مع ذكر الامم التي جاءت بعد الانبياء حتى مبعث الرسول صلى الله عليه وسلم .

أما القسم الاسلامي فقد رتبه على الحوادث من عام الهجرة ، حتى سنة ثلاثمائة واثنتين ، وذكر في كل سنة ما وقع فيها من الأحداث الهامة والايام المشهورة وجرى الطبري في تاريخه على المنهج الذي اتخذه المحدثون وذلك بأن يذكر الحوادث مروية بمقدار ما عنده من الطرق ، ويذكر السند حتى يتصل بصاحبه وقد توفى الطبري سنة ٣١٠ هـ .

الكتاب :

يتراءى في كتاب « جامع البيان في تفسير القرآن » ولع الطبري بعلم التفسير وتفننه في توضيح مكنونات البلاغة والبيان وروائع الحكم والاسرار في القرآن المجيد .

وكان الطبري يقول : « اني لأعجب ممن قرأ القرآن ولم يعلم تأويله كيف يلتذ بقراءته » .

وقد أجمعت المراجع على عظم

مكانة « جامع البيان في تفسير القرآن » يقول السيوطي في « الاتقان في علوم القرآن » أجمع العلماء المعتدّون على أنه لم يؤلف في التفسير مثله .

ويقول أبو حامد الاسفرايني الفقيه « لو سافر رجل الى الصين حتى يحصل على كتاب تفسير محمد بن جرير لم يكن ذلك كثيرا » .

ويقول ابن تيمية في الفتاوي : وأما التفاسير التي في أيدي الناس فأصلحها تفسير محمد بن جرير الطبري . فانه يذكر مقالات السلف بالاسانيد الثابتة وليس فيه بدعة » .

يقول الطبري : « استخرت الله تعالى في عمل كتاب التفسير وسألته العون على ما نويته ثلاث سنين ، قبل أن أعمله فأعانني جعله ثلاثين جزءا بعدد أجزاء القرآن .

ويقول : واعلموا عباد الله رحمكم الله أن أحق ما صرفت الى علمه العناية بلغت في معرفته الغاية - ما كان لله في العلم به رضا ، وللعالِم به الى سبيل الرشاد هدى ، وأن أجمع ذلك لباغيه كتاب الله الذي لا ريب فيه وتنزيله الذي لا مِريَة فيه ، الفائز بجزيل الذخر وسنى الأجر تاليه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه : « **تنزيل من حكيم حميد** » فصلت /٤٢ .

ونحن في شرح تأويله وبيان ما فيه من معانيه منشئون ان شاء الله ذلك كتابا مستوعبا لكل ما بالناس اليه الحاجة ، من علمه جامعا ومن سائر الكتب غيره في ذلك كافيا ، ومخبرون في كل ذلك بما انتهى الينا من اتفاق الحجة فيما اتفقت عليه منه واختلافها فيما اختلفت فيه منه . ومبينون علل كل مذهب من مذاهبهم وموضحون الصحيح لدينا من ذلك بأوجز ما أمكن من الإيجاز في ذلك ، وأخصر ما أمكن من الاختصار فيه » .

وقد وضح الطبري في مطلع تفسيره القول في البيان عن اتفاق آي القرآن ، ومعانى منطق من نزل بلسانه من وجه البيان والدلالة على ان ذلك من الله تعالى ذكره هو الحكمة البالغة مع الإبانة عن فضل المعنى الذي به باين القرآن سائر الكتب .

وأوضح منزلة العرب في البيان والبلاغة وقدرتهم على الاتيان بروائع الفصاحة . وقال : « انه لا بيان أبين ، ولا حكمة أبلغ ، ولا منطق أعلى ، ولا كلام أشرق من بيان ومنطق تُحدى به امرؤ مسوق في زمان هم فيه رؤساء الخطب والبلاغة وقول الشعر والفصاحة ، والسجع والكهانة تحدى كل خطيب منهم وبليغ . وشاعر وفصيح وكل ذي سجع وكهانة ، فسفه أحلامهم ، وقصر بعقولهم ، وتبرأ من ربهم ، وأخبرهم أن دلالته على صدق مقالته وحُجته على حقيقة نبوته ما آتاهم به من البيان ، والحكمة

والفرقان ، بلسان مثل السنتهم ، ومنطق توافق معانيه معاني منطقهم .

ثم أتاهم جميعهم أنهم عن أن يأتوا بمثل بعضه عَجَزَة، ومن القدوة عليه نَقَصَة، فأقروا جميعهم بالعجز ، وأذعنوا له بالتصديق ، وشهدوا على أنفسهم بالنقص إلا من تجاهل منهم وتعامى ، واستكبر وتعاشى » .

وقال الطبري: إن الله تعالى أنزل القرآن عربيا ، لأنه جلَّ ثناؤه أرسله بلسان من أرسله اليهم . قال تعالى :

« **وإنه لتنزيل رب العالمين . نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربي مبين** » . (الشعراء / ١٩٢ ـ ١٩٥) .

وقد أوضح الطبري المنهج الذي التزمه في التفسير مستهديا بما جاء في القرآن المجيد ، فهو يرى أن تأويل القرآن على أوجه ثلاثة ؛ فمما أنزل الله تعالى من القرآن على رسوله صلى الله عليه وسلم مالا يوصل الى علم تأويله إلا ببيان الرسول . يقول الله تعالى : (**وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون**) (النحل / ٤٤ ويقول : (**وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه . وهدى ورحمة لقوم يؤمنون** (النحل / ٦٤ .

وهذا الوجه لا يجوز لأحد القول فيه إلا ببيان رسول الله صلى الله عليه وسلم له بتأويله بنص منه عليه ، أو بدلالة قد نصبها دالة أمته على تأويله .

• ومن القرآن مالا يعلم تأويله الا الله قال تعالى : (**هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذّكر إلا أولو الألباب**) آل عمران / ٧ ـ وذلك ما فيه من الخبر عن آجال حادثة ، وأوقات آتية ، كوقت قيام الساعة كذلك من القرآن ما يعلم تأويله كل ذي علم باللسان الذي نزل به القرآن ـ .

• وعلى اساس هذا التقسيم حدد الطبري موقفه من آيات القرآن . فما كان من متشابه القرآن تركه ، لان علم ذلك عند الله وحده ، وما كان مما امر الرسول بتبيينه ، حشد له الطبري ضروب الروايات بأسانيدها ، مستعينا في تمييز ذلك بتبحره في التاريخ وعلم الأسانيد وما كان يعتمد في فهمه على فقه اللغة ، والعلم بأساليبها شرحه واورد عليه الشواهد من مأثور كلام العرب .

فهو ـ مثلا ـ في تفسير قول الله تعالى : (**اهدنا الصراط المستقيم**) يورد الروايات المأثورة في الموضوع ثم يقول : « قال أبو جعفر : أجمعت الامة من أهل التأويل جميعا على أن الصراط المستقيم هو الطريق الواضح الدلالة الذي لا اعوجاج فيه ، وكذلك في لغة جميع العرب ، فمن ذلك قول

جرير بن عطية الخطفي .

أمير المؤمنين على صراط
اذا اعوجّ الموارد مستقيم

يريد على طريق الحق ، ومنه قول الهذلي أبي ذؤيب :

صبحنا أرضهم بالخيل حتى
تركناهـا أدق من الصراط

ومنه قول الراجز : « قصته عن نهج الصراط القاسط » . والشواهد على ذلك أكثر من أن تحصى . وفيما ذكرنا غنى عما تركنا ، ثم تستعير العرب الصراط فتستعمله في كل قول وعمل وُصف باستقامة او اعوجاج فتصف المستقيم باستقامته والمعوج باعوجاجه ، والذي هو أولى بتأويل هذه الآية عندي ، أعنى » اهدنـا الصراط المستقيم . أن يكون معنيا به ، وفقنا للثبات ما ارتضيته ، ووفقت له من أُنعمت عليه من عبادك من قول وعمـل ، ذلك هـو اهدنـا الصراط المستقيم لان من وفق لما وفق له من أنعم الله عليه من النبيين والصديقين والشهداء فقد وُفِقَ للاسلام وتصديق الرسل والتمسك بالكتاب ، والعمل بما أمر الله به ، والانزجار عما زجره عنه . وقد اختلفت تراجمة القرآن في المعنى بـالصراط المستقيم يشمـل معاني جميعهم في ذلك ما اخترنا من التأويل فيه » .

وقد مكنّه علمه باللغة واساليب استعمالها ان يفضل معنى للكلمة على معنى اخر تحتمله . فقال في قوله تعالى « **وأرسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل**) الفيل ٣ و٤ .

ان الابابيل المتفرقة يتبع بعضها بعضا من نواح شتى أو هي الكثيرة المتتابعة .

وذكر الأراء في معنى « سجيل » اهو الطين في حجارة ام الطين ، ام الكلمة فارسية معناها حجر وطين ، واصلها « سنك وكل » ثم قال : وقال آخرون : إن معنى سجيل السماء الدنيا .

وعلق على ذلك بقوله : وهذا القول لا نعرف لصحته وجها في خبر ولا عقل ولا لغة ، واسماء الاشياء لا تدرك الا من لغة سائرة ، او خبر من الله تعالى .

ويعطي الطبري الدلالات اللغوية للالفاظ أهمية في تفسيره ، فيفهم النص القرآني في ضوء هذه الدلالات على عصر النبوة ، وعلى ما هو معروف من كلام العرب ، وهو يقرر « ان تكون معاني كتاب الله المنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لمعاني كلام العرب موافقة ، وظاهرة لظاهر كلامها ملائما « كما يقرر ان الله تعالى خاطب العرب بما يتعارفونه ويتحاورونه بينهم في كلامهم .

يقول في تأويل قوله تعالى : (**فيه سكينة من ربكم**) البقرة/٢٤٨ .

وأولى هذه الأقوال بالحق في معنى السكينة ما قاله عطاء بن ابي رباح من الشيء تسكن اليه النفوس من الآيات التي تعرفونها ، وذلك ان السكينة في كلام العرب الفعيلة من قول القائل سكن فلان الى كذا او كذا اذا اطمأن اليه وهو آت عنده نفسه .

ويأخذ الطبري بمذهب السلف في

تفسير آيات الصفات ، فيقول فيها بالظاهر مع رفض مبدأ التجسيم . يقول في تفسير قوله تعالى :

(وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء) المائدة/ ٦٤ .

يعنون ان خير الله ممسك وعطاءه محبوس عن الاتساع عليهم ، كما قال تعالى : **(ولا تجل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط)** الاسراء/ ٢٩ وانما وصف تعالى اليد بذلك والمعنى العطاء ، لان عطاء الناس وبذل معروفهم الغالب ان يكون بأيديهم ، فجرى الاستعمال في الوصف بالجود او - بالبخل بالاضافة الى اليد ، كما قال الاعشى في المدح :

يداه يدا مجد فكف مقيدة
وكف اذا ماضن بالزاد تنفق

ومثل ذلك في كلام العرب واشعارها اكثر من ان يحصى ، فخاطبهم الله بما يتعارفونه ويتحاورونه بينهم في كلامهم ، فقال ان اليهود قالوا ان الله يبخل علينا ، ويمنعنا فضله ، فلا يفضل ، كالمغلولة يده الذي لا يقدر ان يبسطها بعطاء ، ولا بذل معروف . تعالى الله عما قال اعداؤه علوا كبيرا .

فقال الله يكذبهم ويخبرهم بسخطه عليهم « غلت ايديهم » اي امسكت ايديهم عن الخيرات ، وقبضت عن الانبساط بالعطيات ، ولعنوا بما قالوا ، بل يداه مبسوطتان بالبذل والعطاء ، وارزاق العباد .

وبمثل الذي قلنا في ذلك قال اهل التأويل .

وبعد ان ذكر آراءهم المتفقة مع هذا التأويل شرع يناقش المتكلمين ، فقال : واختلف اهل الجدل في تأويل قوله « بل يداه مبسوطتان » قال بعضهم عُني بذلك نعمتاه مبسوطتان ، بمعنى يد الله على خلقه ونعمه عليهم ، لان ، العرب تقول لك عندي يد ، يعنون بذلك النعمة .

وقال آخرون : عني بذلك القوة

وقال آخرون منهم : بل يده ملكه

وقال آخرون منهم : يد الله صفة من صفاته ، هي يد ، غير انها ليست بجارحة كجوارح بني أدم » .

ولا يرتضى الطبري من هذه الأقوال كلها الا قول من قال « ان يد الله هي له صفة ، وبذلك تظاهرت الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال به العلماء واهل التأويل » .

وعندما يعرض الطبري لآية تتعلق بالأحكام ، فانه يفصّل الكلام فيها ويورد الاقوال التي تتصل بها ، ثم يصدر عن ذات نفسه مؤيدا رأيه بالادلة والبراهين .

يقول في تأويل قوله تعالى : **(كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقا على المتقين)** البقرة/ ١٨٠ . « اختلف اهل العلم في حكم هذه الآية ، فقال بعضهم : لم ينسخ الله شيئا من حكمها ، وانما هي آية ظاهرها ظاهر عموم في كل والد ووالدة والقريب والمراد بها في الحكم البعض منهم دون الجميع وهو من لا يرث منهم الميت دون من يرث .. وقال اخرون بل هي

آية قد كان الحكم بها واجبا ، وعمل بها برهة ، ثم نسخ الله منها بآية المواريث الوصية لوالدي الموصى واقربائه الذين يرثونه ، واقر فرض الوصية لمن كان منهم لا يرثه . وقال آخرون بل نسخ الله ذلك كله ، وفرض الفرائض والمواريث ، فلا وصية تجب لاحد على احد قريب ولا بعيد ، اما عن المال الذي اذا تركه الرجل كان ممن لزمه حكم هذه الآية فقال بعضهم ذلك ألف درهم ، وقال بعضهم الوصية واجبة من قليل المال وكثيرة . وهنا يروى الطبري بسنده عن الزهري قال : جعل الله الوصية حقا مما قلّ منه أو كثر . ثم يعقب على ذلك بقوله « واولى هذه الأقوال بالصواب ما قاله الزهري ، ويعلل ذلك بأن قليل المال وكثيره يقع عليه خير ، ولم يحد الله ذلك بحد ، ولا خص منه شيئا ، فيجوز أن يحال ظاهر الى باطن ، فكل من حضرته منيته وعنده مال قل ذلك او كثر ، فواجب عليه ان يوصي منه لمن لا يرثه من آبائه وامهاته واقربائه الذين لا يرثونه بمعروف كما قال الله جل ذكره وامر به » .

واذا كان دأب الطبري ان يلتزم المعنى الظاهر للنص القرآني فإنه ينحي هذه القاعدة ، ويتحلل من هذا الالتزام حين يكون بين يديه خبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم او الصحابة او التابعين .

يقول في تفسير قوله تعالى : **(فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان)** البقرة/ ٢٢٩ .

قال بعضهم عنى الله بذلك الدلالة على اللازم للازواج المطلقات اثنتين بعد مراجعتهم اياهن من التطليقة الثانية من عشرتهن بالمعروف او فراقهن بطلاق . وقال آخرون ان معنى الكلام : الطلاق مرتان فامساك في كل واحدة منها لهن بمعروف او تسريح لهن باحسان ، وهذا مذهب مما يحتمله ظاهر التنزيل لولا الحد الذي ذكره ابو رزين ، قال : أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال : يارسول الله أرأيت قوله تعالى : **(الطلاق مرتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان)** فاين الثالثة ؟.. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : امساك بمعروف او تسريح باحسان هي الثالثة ، فان اتباع الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اولى بنا من غيره » .

وقد عرض الطبري وجوه القراءات ، ورجح ما ارتضاه ، لانه كان عالما بالقراءات مؤلفا فيها . قال ياقوت في معجم الادباء : « وله في القراءات كتاب جليل كبير رأيته في ثماني عشرة مجلدة الا انه كان بخطوط كبار ، ذكر فيه جميع القراءات من المشهور والشواذ ، وعلل ذلك وشرحه ، واختار منها قراءة لم يخرج بها عن المشهور » .

من هذا ما ذكره في قوله تعالى : **(ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول ألا إنها قربة لهم سيدخلهم الله في رحمته إن الله غفور رحيم . والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار**

والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم) التوبة/ ٩٩ و ١٠٠ .

روى عن عمر في ذلك ما حدثني به احمد بن يوسف قال : حدثنا القاسم قال : حدثنا حجاج بن هارون عن حبيب بن الشهيد وعن ابن عامر الانصاري أن عمر بن الخطاب قرأ : (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار الذين اتبعوهم بإحسان « فرفع الانصار ولم يلحق الواو في الذين . فقال له زيد ابن ثابت : **(والذين اتبعوهم باحسان) فرفع الانصار ، فقال عمر : (الذين اتبعوهم باحسان)** فقال زيد : امير المؤمنين اعلم . فقال عمر : ائتوني بأبي بن كعب ، فأتاه ، فسأله عن ذلك فقال ابي : **(والذين اتبعوهم باحسان)** فقال عمر : اذا نتابع أبيا .

والقراءة على خفض الأنصار عطفا بهم على المهاجرين .

وقد ذكر عن الحسن البصري أنه كان يقرأ الانصار بالرفع عطفا بهم على « السابقون » .

والقراءة التي لا استجيز غيرها الخفض في الأنصار ، لإجماع الحجة من القراء عليه ، وان السابق كان من الفريقين جميعا من المهاجرين والانصار ، وانما قصد الخبر عن السابق من الفريقين دون الخبر عن الجميع ، وإلحاق الواو في : **(الذين اتبعوهم باحسان)** لان ذلك كذلك في مصاحف المسلمين جميعا .

على ان التابعين باحسان غير المهاجرين والانصار ، واما السابقون فانهم مرفوعون بالعائد من ذكرهم في قوله : **(رضى الله عنهم ورضوا عنه)** وقد قلل الطبري من ذكر الأسرائيليات والاساطير لانها كما قال مرات لا قيمة لها .

قال في تفسير قوله تعالى في سورة البقرة/ ٧٣ :

(فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيى الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون) .

اختلف العلماء في البعض الذي ضُرب به القتيل من البقرة ، وأي عضو كان ذلك منها ؟

فقال بعضهم : إنه الفخذ ، وقال بعضهم انه البضعة التي بين الكتفين وقال غيرهم انه عظم من عظامها .

وعلق بقوله : والصواب ان الله امرهم ان يضربوا القتيل ببعض **البقرة ليحيا المضروب ولا دلالة في** الآية ولا خبر تقوم به حجة على ان أي - ابعاضها أمر القوم ان يضربوا القتيل به .

ولا يضر الجهل بأي ذلك ضربوا القتيل ، ولا ينفع العلم به ، مع الإقرار بأن القوم قد ضربوا القتيل ببعض البقرة بعد ذبحها فأحياه الله » .

لقد كان كتاب « جامع البيان في تأويل القرآن » برواياته الدينية والتاريخية ، وشروحه الأدبية اللغوية ، ومسائله النحوية والبيانية ، وما تضمنه من القراءات والأحكام هو الموسوعة العلمية الأولى في تفسير وتأويل القرآن الكريم .

الإسراء والمعراج

دروس وعبر

للأستاذ / راتب السعود

تمهيد :

كانت حادثة الاسراء والمعراج بمثابة منعطف خطير في تاريخ الدعوة الاسلامية لما حَمَلَتْهُ من شحذ لهمة الرسول الكريم عليه أفضل الصلوات وأتم التسليم ، وتجديد لعزيمته ، وذلك بعد أن تحجرت قلوب أهل مكه فأعرضوا عن قبول الحق .

فعلى مدار اثنتي عشرة سنة من العمل الدؤوب المتواصل واجه النبي صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا معه شتى أنواع العذاب والهوان والحرمان فضلا عن النهي والنأى من أولئك الذين صمّوا آذانهم عن سماع الحق . وتوالت الاحداث ، وكأنها على ميعاد بعد موت زوجه خديجة وعمه ابي طالب ، وهما العنصران المتينان في حياته الاجتماعية ، وقد كان لكل منهما دوره المهم في تمكين الدعوة .

وكان آخر المطاف في آلام الدعوة ومشاقها ، رحلة ثقيف وما ترتب عليها من سلبيات وجهالة حيث استبدلوا بحس القرى وكرم الضيافة اغراء العبيد والصبيان بالسخرية من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقذفه بالحجارة وقبيح الكلام ، مما اضطره للعودة الى مكة حاملا اللوعة والأسى من مشاق تلك الرحلة ، وبلغت المأساة ذروتها حين أوصدت مكة أبوابها دونه ، فلم يدخلها إلا في جوار مشرك هو مطعم بن عدى .

في ظل هذه الظروف القاسية والمعاناة المريرة التي عايشها الرسول صلى الله عليه وسلم ، امتدت اليه يد العناية الإلهية لتمسح عن قلبه الطاهر

ما علق به من أدران الحياة وهمومها ، فكان الإسراء من المسجد الحرام ـ أول بيت وضع للناس مباركا وهدى للعالمين في مكة المكرمة ـ الى المسجد الاقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين في القدس في ارض فلسطين . ثم تلا ذلك معراجه صلى الله عليه وسلم من المسجد الاقصى الى السموات السبع الى ما بعدها الى مكان لم يجزه غيره من سكان الارض أو السماء .

وكأن لسان حال تلك الرحلة يقول : يا محمد إذا ضاق بك أهل مكة والطائف ورفضوك فهيا لترى محبيك والمتشرفين للقائك من صفوة خَلْقِنا وأمناء شرائعنا ممن سبقوك من الأنبياء ، وإذا ضاق بك أهل الأرض فهيا لترى حفاوة أهل السماء بقدومك ، وهيا لترى من آيات الله الكبرى ليتسنى لك الجمع بين إيمان الغيب وإيمان المشاهدة وعِلْمِ العقل وعِلْمِ التجربة ، فينشرح صدرك وتستعيد الثقة بنفسك وتزداد اتصالا بربك .

الدروس والعبر المستفادة من حادثة الاسراء :

هذه باختصار حادثة الاسراء والمعراج ، وقد آمنا بها نحن المسلمين منذ جاء بها الكتاب الكريم وتحدثت عنها السنّة المطهّرة ولابد لنا اليوم أن نقف على ما فيها من عبر ، وما تحمله الينا من توجيهات ، وما كانت حادثة الاسراء والمعراج قصة تتلى أو حكاية تذاع على موجات الإذاعات أو شاشات التلفزة ، يستمع الناس اليها ليقضوا وقتا أو ليمتعوا أسماعهم بقصة تحكى عليهم . إنما هي قصة مليئة بالعبر والعظات ولابد من ربطها بواقعنا الذي نعيشه اليوم ، ومن تلك العبر :

اولا :

قوله تعالى : (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير) الاسراء / ١ .

تعلمنا هذه الآية القرآنية الكريمة درساً في « الجغرافية الإسلامية » ، إذ يضع الله تبارك وتعالى مكة في جزيرة العرب على حدود فلسطين في بلاد الشام ، وبأن مكة بلد مواجهة مع العدو الذي يحتل فلسطين في ديار الاسلام ، درسا في الجغرافية الاسلامية يقول لنا إن اهل مكة واهل القدس واهل بغداد واهل الرباط ، بل إن كل بقعة من ديار الاسلام لابد أن تحس وتشعر وتتصرف بناءً على ذلك الحس والشعور على أنها دولة مواجهة مع العدو الصهيوني الذي يحتل فلسطين المباركة ، ولا يجوز بحال أن يكون أحد بلدان المسلمين بلد مواجهة ، ولا أن تسمي الدول نفسها مرة دول صمود

وتصدٍ وأخرى دول رفض وصمود أو غير ذلك . وعليه فكل من يسكت على مكوث العدو في بلاد الاسلام ، ولا يفكر بطردهم أو تطهير ساحات الاقصى من رجسهم إنما يأثم إثما كبيرا ويموت على شعبة من شعب النفاق .

ثانيا :

ان النبي صلى الله عليه وسلم عندما عاد متألما من الطائف ، إذ لم يستجب اليه أحد من أهلها فحسب ، بل ضربوه بالحجارة حتى أدميت قدماه الطاهرتان وطاردوه مطاردة بشعة ما كان لينحدر اليها صعاليك الآدميين وذئاب البشر ، استند صلى الله عليه وسلم الى جدار وقال : « اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي وقِلّةَ حيلتي وهواني على الناس يا ارحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين وأنت ربي الى من تكلني الى بعيد يتجهمني أم الى عدو ملّكته أمري ، إن لم يكن بك غضب عليَّ فلا أبالي ، ولكن عافيتك هي أوسع لي ، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن ينزل بي غضبك ، أو يحل عليَّ سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك » سيرة ابن هشام .

هذا الحديث الشريف الذي تحدث به محمد صلى الله عليه وسلم مخاطبا الله تبارك وتعالى مستغيثا به ، مستعيذا من ضعفه وحوله ، بحول الله وقوته يدلنا على أنه صلى الله عليه وسلم يبحث عن رضوان الله ، فالدم الزكي يسيل من جسمه صلى الله عليه وسلم لا يبالي به ، وسوء الاستقبال من أهل الطائف لم يُعِرْ له بالاً ، وكل هذا العذاب والمعاناة ليست ذات بال في نظره صلى الله على وسلم إن كان الله راضيا عنه : « إن لم يكن بك عليَّ غضب فلا أبُالي ... لك العتبى حتى ترضى » . دَرْسٌ في التمسّك بالمبادىء السامية وعدم التزحزح عنها لأدنى أذىً أو أشدّ عذاب .

ثالثا :

وبعد هذا الموقف القاسي من أهل الطائف يعود صلى الله عليه وسلم الى مكة ليجد قوى الشر تقف في وجهه مانعةً له من الدخول ، ولم يدخلها إلا في جوار مشرك هو ـ مطعم بن عدى ـ ، وفي ظل هذا الجو العاصف الملبّد بالأخطار تمتد إليه يد الله سبحانه بالعون ، فيسري به من مكة الى القدس ثم يعرج به الى السموات السبع ، ويعود ، ويحب أن يحمل النبأ الى الناس ولكن المنافقين كُثُرٌ والمشركين حوله يريدون أن يشيعوا قالة السوء ، فقالوا : « أسمعتم بالرجل الذي يدّعي النبوة والعقل ماذا يقول ؟

لقد ذهب الى القدس وهي البلاد التي نضرب لها أكباد الإبل أياما

وأياما ، بأنه قد مضى اليها في ليلة ثم عاد » .

ويشفق على رسول الله صلى الله عليه وسلم المقرّبون منه ، والمحبّون له ، الذين ارادوا في بادىء الأمر أن يُحكّموا العقل والمنطق بعيداً عن مقاييس السماء ، يقولون : يا رسول الله : أو تُحدّثُ الناس بذلك ؟ أتريد أن تخبرهم بأمر لا تستوعبه عقول البشر بأنك قد مضيت الى القدس بالأمس في ليلة ثم عدت الى مكة في الليلة نفسها ؟ .

هنا تبدو الثقة بالنفس ، مدعومةً بالإيمان بقدرة الله تبارك وتعالى والتوكل عليه والاطمئنان إليه ، فيقول عليه الصلاة والسلام : « والله لأُحدِثَنَّ الناس بأمر الله » ..... ويرجوه القوم ويتوسلون إليه عليه الصلاة والسلام أن يؤجل إخبار الناس بالأمر ، ولكنه يصرُّ على ذلك ويقف الى الكعبة ويخبر الناس بأنه قد بلغ القدس ووصل إليها . هذا الموقف لرسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم يُعلمّنا درساً في الثقة بالنفس ، انه مظهر فريد للجرأة في تبليغ الحق والتضحية في سبيل الإيمان ، والبعد عن الجُبن أو كتمان ما أمر به من تبليغ . رغم أنه كان صلى الله عليه وسلم يَعْلَمُ حقَ العِلم بأنه في إخباره للمشركين بهذا الأمر إنما يرميهم بما لا قِبلَ لهم باحتماله ، وان هذا الحديث الغريب سيوحد صفوفهم فيرمونه بالكذب عن قوس واحدة .

رابعا :

وينبرى الناس لأبي بكر الصديق رضي الله عنه يقولون له : يا أبا بكر أسمعت ما يقوله صاحبك ؟ إنه يقول بأنه ذهب في ليلة الى بيت المقدس ثم عاد .

وهنا يعطي أبو بكر رضي الله عنه كلمة الفصل ، التي لا نقاش فيها ولا استفسار ولا عجب ولا غرابة ، فيقول رضي الله عنه لمخاطبيه : « إن كان قال فقد صَدَقَ » ويومها سميَّ صديقا لانه قال قبلها ، وقال بعدها ، كما في هذا اليوم ايضاً كلما سمع رسول الله يُحَدِّث ، « صدقت يا رسول الله » .

هذا الموقف الشهم النبيل للصحابي الجليل ابي بكر الصديق رضي الله عنه يُعَلِّمُنا درساً في الصِّدق والإخلاص والاعتقاد الراسخ المبني على قواعد صلبة متينة في صدق القائد والزعيم . والثقة الأكيدة المطلقة في حُسْنِ نوايا الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، فلا شك في الأمر ولا مناقشة له ، أما إن كان قال شيئا صلى الله عليه وسلم فقد صَدَقَ . ولعل هذا الموقف يتطلب من كافة القيادات والزعامات أن تعمل جاهدة على غرس الثقة المتينة القوية بينها وبين شعوبها ، لتكون هذه الشعوب صادقة مُخْلِصَةً في التعامل مع قياداتها .

خامسا :

لقد جاءت حادثة الاسراء والمعراج إبان ظروف قاسية ومعاناة مريرة ، تَحَمَّلَ فيها الرسول صلى الله عليه وسلم العذاب والهوان من الناس ، وبذل آخر مجهود سلمي يستطيع أن يبذله بشر . ومن هذه الاجواء الغاصة بالألم انبثق الأمل وصعد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماء ، فأشاعت هذه الحادثة في نفس الرسول عليه الصلاة والسلام الأنس والأمل والرضى ، وكأن لسان حال هذه الحادثة يقول للرسول عليه الصلاة والسلام يا محمد اذا هنت على الناس ، ، وصدّك الجميع وودّعك سندك وعضدك عمك أبو طالب بوفاته ، وودّعتك ظلك وسكنك زوجك خديجة بوفاتها ، فاعلم أن الله معك : (ما ودعك ربك وما قلى . وللآخرة خير لك من الأولى . ولسوف يعطيك ربك فترضى) الضحى /٣ ـ ٥ .

ولعل في هذا درساً آخر لنا وعبرة في هذا الزمان الذي نرى فيه بلاد المسلمين تُنهشُ من الأعداء كاللحم بين الذئاب ، ألا نيأس من رحمة الله ولا نقنط ، فلئن رأينا اليهود يحتلون فلسطين المباركة والشيوعيون يحتلون افغانستان المسلمة ، فان علينا أن نعلم جيدا أن الغلبة في آخر المطاف للمسلمين ، وأن عودة الشعب المسلم والأمة المسلمة الى دينها أمر بات حتميا ، يرعب الأعداء ويبشر الأصدقاء ، وأن المستقبل سيكون لهذا الدين وحده ، وعلى أيدي المسلمين الطاهرة وسواعدهم المتوضئة سيشع النور الذي سيضيء ظلام الغرب ، الغرب الذي يحترق بالجنس والقِمار والدمار والانحراف والقتل والرعب وسفك الدماء .

خاتمة :

هذه باقتضاب ، حادثة الاسراء والمعراج ، وما صاحَبها من ظروف ومشاق ، فلقد كانت أكبر نعمة وأعظم فضل من الله سبحانه وتعالى على نبيه ، استرد بها النبي صلى الله عليه وسلم نفسه ، وأستأنف جهاده وهزم قوى الشر في كل مكان ، وأسس دعوة الحق والإيمان .

وهي كما أسلفت أبعد من أن تكون مجرد قصة تتلى أو حديث يذاع . ان في الاسراء والمعراج عِبرة .

أن نعود الى الله .....

أن نشحذ هممنا من جديد لطاعة الله ....

أن ينبثق في نفوسنا الأمل الكبير من الألم الكبير الذي نحس ....

أن نغرس في نفوسنا الصدق والإخلاص لهذا الدين .

أن نُعَلِّمَ أنفسنا ونعودها على الجراه في تبليغ الحق ، التضحية في سبيل الايمان ، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

يارب

قال تعالى معلما عباده كيف يدعونه :
« رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليَّ وعلى والديَّ وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لي في ذريتي إنى تبت إليك وإنى من المسلمين » ١٥ / الأحقاف .

أعلام

قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :
« أرحم أمتى بأمتى أبوبكر ، وأشدهم في أمر الله عمر ، وأصدقهم حياء عثمان ، وأقرؤهم لكتاب الله أبى بن كعب ، وأفرضهم زيد ابن ثابت ، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل ، ولكل أمة أمين ، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح » .

مقاومة الشر

قال شوقي ـ أمير الشعراء ـ مخاطبا الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ في قصيدته « نهج البردة » :

قالوا : غزوت ، ورسل الله ما بعثوا
لقتل نفس ، ولا جاءوا لسفك دم
جهل ، وتضليل أحلام ، وسفسطة
فتحت بالسيف بعد الفتح بالقلم
لما أتى لك عفوا كل ذى حسب
تكفل السيف بالجهال والعمم
والشر إن تلقه بالخير ضقت به
ذرعا ، وإن تلقه بالشر ينحسم

الى المسرفين

سمع عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ : أن أحد أولاده اتخذ خاتما واشترى له فصّاً بألف درهم ، فكتب إليه يؤنبه ويؤدبه : بلغني أنك اشتريت فصّا بألف درهم فبعه ، وأشبع به ألف جائع ، واتخذ خاتما من حديد ، واكتب عليه : (رحم الله امرأً عرف قدر نفسه) .

من أسرار اللغة

تقول العرب :
للحجـر العظيم : « صخرة » .
وللجيش العظيم : « فيلق » .
وللشجرة العظيمة : « دوحة » .
وللفأس العظيمة : « معول » .
وللموقعة العظيمة : « ملحمة » .

ذكاء وبخل

في كتاب « البخلاء » للجاحظ :
قال رجل لثمامة بن أشرس : إن لى إليك حاجة .
قال : وأ نا لي إليك حاجة .
قال : وما حاجتك إليّ ؟
قال : لا أذكرها حتى تضمن قضاءها .
قال : قد فعلت .
قال : فان حاجتى إليك ، ألا تسألنى حاجة .
فانصرف الرجل عنه .

مشروعية

لابد لنا ونحن نكتب عن (مشروعية القتال) ان نعرض لقول القائلين ان الاسلام قد انتشر بالسيف . وفرض على معتنقيه بالقوة . فأما انه قد فرض على معتنقيه بالقوة . فذلك ما ترد عليه الآية الكريمة (لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم) . ٢٥٦ / البقرة واما انه قد انتشر بالسيف فذلك ما تتكفل بالرد عليه تلك السيرة الكريمة الرحيمة التي سلكها النبي صلى الله عليه وسلم في تبليغ دعوته . وهذا التحمل الكثير المرير ، الذي تحمله عليه الصلاة والسلام من اذى قومه وعشيرته . وهذه الكتب المتوالية المترادفة التي بعث بها رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الملوك والامراء يدعوهم فيها الى الله وشريعته .

قالوا غزوت ورسل الله ما بعثوا
لقتل نفس ولا جاءوا لسفك دم

القتال

جهل وتضليل احلام وسفسطة
فتحت بالسيف بعد الفتح بالقلم

والسيرة النبوية الكريمة مليئة بغدوات النبي صلى الله عليه وسلم وروحاته . وهو يجوس خلال مكة ويمشي بين وديانها وشعابها . ثلاثة عشر عاما يخاطب فيها الأسماع والأبصار ويناجي المشاعر والقلوب وينادي البصائر والعقول . وكلما زاد في حلمه زادوا في اذاه وكلما اشتد به الاذى رفع شكواه الى الله .

للأستاذ / عبد الرحمن البنا

ها هو ذا عائد من ثقيف تدمى قدماه .. تميد الارض تحت قدمه الدامى وتئط السماء من دمعه الهامى . وهو يشكو الى ربه ما لاقاه (اللهم اليك اشكو ضعف قوتي . وقلة حيلتي . وهواني على الناس يا أرحم الراحمين . انت رب المستضعفين وانت ربي . الى من تكلني الى بعيد يتجهمني او الى عدو ملكته امري . ان لم يكن بك على غضب

فلا ابالي ولنن عافيتك اوسع لي . اعوذ بنور وجهك الذي اشرقت له الظلمات . وصلح عليه امر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك . او تحل على سخطك لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك) .

ويجتمع عليه الوافدون في العقبة فيبايعونه فاذا وثقوا العهد واتموا البيعة ورأوا قريشا تتجسس عليه في موقفه وتندد به في دعوته وتنبه اليه في بيعته قالوا له جميعا والله الذي بعثك بالحق إن شئت لنميلن على اهل منى غدا باسيافنا . فيردهم عن ذلك ويحقن الدماء ان تسيل ويلتزم خطة السلم ويقول « لم نؤمر بذلك » .

ويشتد عليه الأذى فيأمره الله بالهجرة . فيخرج من داره وأهله ويرحل عن ارضه ووطنه وهو ينظر الى مكة ويقول (والله إنك لاحب أرض الله إليَّ .. وانك لاحب ارض الله الى الله . ولولا أن اهلك أخرجوني ما خرجت منك) .

ويدخل المدينة فيدخلها وادعا رحيما . مسالما كريما يروى عبدالله بن سلام قال اول ما قدم رسول الله المدينة انجفل الناس اليه (اي اسرعوا) فكنت فيمن جاءه فلما تأملت وجهه واستثبته . علمت ان وجهه ليس بوجه كذاب قال وكان اول ما سمعت من كلامه ان قال (ايها الناس افشوا السلام (اي اذيعوه بينكم) واطعموا الطعام وصَلّوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام) .

كانت هذه أول وصاة وصى به . وأول دعوة دعا اليها .. انها دعوة الى السلام لا حرب معه والى البر لا قطيعة معه . والى العبادة لا كفر معها والسلام والبر والعبادة تهدى جميعا الى الجنة .

ولكن ما يفعل السلام وقد جبل الناس على العدوان وما يفيد البر مع قوم لا يصلون الأرحام . وما تجدى العبادة جباها خرت ساجدة لعبادة الاصنام .

لابد من اعداد لحماية العقيدة ولابد من أخذ السبل على المعتدين والجائرين ولابد من حماية المظلومين . وكذلك اذن الله للمؤمنين ان يردوا عن انفسهم العدوان وشرع لهم القتال بعد أن صبروا طويلا على الاذى والهوان . وكانوا يجيئون الى النبي صلى الله عليه وسلم في مكة بين مضروب ومشجوج يشكون اليه عدوان قريش

واذاها وهو يأمرهم بالصبر ويقول لهم اصبروا فاني لم اومر بقتال . حتى كانت الهجرة ونزلت اول آية تؤذن بالقتال بالمدينة (اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير . الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله) الحج ٣٩ و٤٠ .

وعلى هذا الأسلوب الكريم الحكيم توالت الآيات في مشروعية القتال (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) الآية ١٩٠ ـ البقرة .

وعلى هذا النمط ايضا كانت وصايا النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه . فكان دائما يحبب اليهم السلم ويصرفهم عن القتال الا ان يضطروا اليه . وذلك قوله عليه الصلاة والسلام (لا تتمنوا لقاء العدو ولكن اذا لقيتموهم فاثبتوا) .

وكان صلى الله عليه وسلم اذا أمَّر أميرا على جيش او سريه أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا . ثم قال . اغزوا بالله في سبيل الله . قاتلوا من كفر بالله . اغزوا ولا تغلوا ولا تعتدوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا وقال ابن عباس في معنى (ولا تعتدوا) اي لا تقتلوا النساء والصبيان والشيوخ والرهبان . ولا من ألقى اليكم السلام .

هذا هو الاسلوب الذي لجأ اليه الاسلام في مشروعية القتال . وهذا هو النسق الذي سار عليه في حماية العقيدة ورد العدوان . وهذا هو الذي جذب في عصرنا الحديث الفيلسوف والمفكر الفرنسي (روجيه جارودى) حيث ذكرت الصحف انه بدأ منذ شبابه يهتم بالاسلام عندما كان يناضل في الحرب العالمية الثانية في المقاومة السرية ضد الالمان . واعتقله النازيون وكان معهم في ذلك الوقت جيش فرنسا التابع لحكومة فيشى وسلمه الالمان لجندي جزائري في الجيش الفرنسي ليذهب به الى مكان بعيد ثم يقتله بالرصاص . وبعد أن انفرد به الجندي الجزائري في مكان ناء قال له اسمع انا لن اقتلك ولكني سأطلق سراحك على ان تختفي في مكان بعيد . فانا رجل مسلم ، ولا اقتل اعزل .

هزت هذه العبارة كيانه وحركت مشاعره وفتحت له آفاق الاسلام فدرسه وعشقه ودخله (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام) .

أينَ نحنُ؟

سُؤالٌ يَفرضُهُ مَسارَنا

للأستاذ / عز الدين علي السيد

ابنِي أخِي صاحبِي عمي الذي هانا — ميّتا أناديك أَم حيًّا ويقظانا ؟
وكيف والنارُ يَرعي الدارَ جاحمُها — ولا أراك حزينَ القلب ولهانا ؟
تُغيِر كالنار نحو النار توقفُها — تَشْوِي بها طاغِياً يختال نشوانا
بكَ استبدَّ .! فما يألوك نائبةً — إذْ أنت لم تألُه دمعا وخذلانا
والدمعُ يغريه .. والخذلانُ يكسبه — عزماً حديداً يزيد النارَ طغيانا !
المسلمون عرَي الإسلام تجعلُهم — كالجسم رُوحاً ، وإحساساً ، ووجدانا
إذا اشتكى منه عُضوٌ نال سائرَه — سهدٌ .. وحمّي تُبيت الجسمَ سهرانا
فما له اليوم مشلولاً .. إذا بُترتْ — أعضاؤه لا يبالي أيها كانا ؟
إلا حديثا معادًا زادَه غُصَصاً — أو عَبْرةً لوّحت لم تشف حرّانا
غثاءَ سيل غدونا .. رغم كثرتنا — يجري بنا السيل صخّابا لمر دانا
معربدا .. ليس فينا من يقاومه — وقد رآنا فرادي الهمِّ وحدانا
قد هان من أمرنا ما كان يرهبه — جبابرُ الأرض .. ياللمجد قد هانا !
رأي العدوُّ من الاسلام نابتةً — فاضتْ على الكرة الجدباء طوفانا
طوفانَ نورٍ .. غزا ، فاجتثّ ، فانفتحت — له العواصم اقطارا وأوطانا

فِي رُبع قرنٍ طوى الدنيا ليبعثَها ... أسنى من الشمس إشراقا وإيمانا
فِي الشرق والغربِ .. لم تتركْ أشعتُه ... مُلكًا لطاغ .. ولم تستبقِ تيجانا
بالكتْب والرسْل يَغزوهم فيسبقُه ... رعبُ العزيز عِلا بالحقِ سلطانا
فمن أطاع نجا بالحق معتصماً ... ومن عصى الحقَّ لاقى النارَ عِصْيانا !
رأى العدوُّ من الاسلام نابتةً ... عاشت على البرِ والمعروفِ أعَوانا !
من الرقيقِ وأرقى سيدٍ حسباً ... تجمعتْ فاستوتْ عدلاً وإحسانا
فلا الرقيقُ مهيناً في سَياستها ... ولا الحسيبُ أسيرُ الكبْرِ منانا
وأبيضُ الجِلْد فيهم مثلُ أسودِه ... لم يدخلِ الدينُ في الحسبانَ ألوانا
والأعجميَ بهم لم يفترقْ شرفا ... عمن يرى جده في الفضل عدنانا
أعطتْ صهيباً من التكريمِ ما حرمَتْ ... عم النبي .. كما اعتزت بسلمانا !
ونال فيها بلالُ ثأرَ عزته ... من العرانين .. في الأحشاء طعانا
لاينظرُ الله من أجسامِنا صوراً ... ولا يفضل بالأنساب إنساناَ
هي القلوبُ .. فأتقي الناس أكرمُهم ... وقد يكونون للأشراف عُبدانا
أما ترى عمرَ الفاروقَ يرسلُها ... صوتاً يجلجلُ في التاريخ . رننا
بلالُ سيدُنا .! أعفاه سيِدُنا ... من رقه ! يالها دينًا وعرفانا
هي المساواةُ .. دين الحقّ قررها ... عاشوا بها في حمى الإسلامِ إخوانا !
رأى العدوُّ من الاسلام نابتةً ... يشتد في ظلها الأسلامَ أركانا
تحكمَ الدينَ في أمر الحياة صفتْ ... بالعلم روحا .. وبالآيات أذهانا
كتابُها القوةُ الكبرى لعزتها ... تزدادُ من درسه فهما وإمعانا
وسنةٌ أشرقت كالشمس باهرةً ... جاءت لأسراره شرحاً وتبيانا
غيظَ العدوُّ .. فَدانيَ الخَطوَ في مَهلٍ ... يحتال للنصرِ بالشيطان شيطانا
فَكان من نصحه : فرِّقْ جماعتهم ... بالمغريات تَسُدْ .. واجنحْ لمن دانا
أظهرْ له الحبَّ آنا .. وابك في أسف ... على الضعيفِ تُقوى ركنه آنا
وانثرْ لهم دون آياتِ الهَدى فتناً ... يغدونَ منها عن الأنوارِ عُميانا
بريقُها الفاتنُ الكذابُ يسحرهمْ ... واملأ بها ساحةَ الاعلامَ إعلانا
حتى تراهم أسارى بدعةٍ ذهبتْ ... بدينهم .. فعدوْا للذبح قطعانا !
إلا شعاراً رقيقاً يخدعون به ... يظل لابسُه المخدوعُ عريانا
من ظاهر الدين أسماءً ملفقةً ... على قلوبٍ يراها الدينُ أشجانا
تمجّ أقلامُها سماً وألسنُها ... مسحَّرَ الوجه للأغرار فتانا
فيحتسي الجيلُ ما يفنى عقيدتَه ... ولايرى الدينَ في كفيْه شبانا
وهم عمادُ الهدى والنصرِ إن صدقوا ... يستعذبون الردى في الحقِ شجعانا
هنا .. سنملك بعد المجد ماملكوا ... شبراً فشبرا وتحيا العمرَ فرحانا
وَعَى .. فنفذَ .. فانفكتْ روابطُنا ! ... فطأطأ الرأسَ للشيطان شكرانا

وكان ما كان : ضاعتْ أمسِ أندلسٌ   وانهال للدين دمعٌ ظل هتانا
وانهار صرحٌ بناه الشامخون على   رأس الحضارة بالأمجاد مزدانا
والدمع ما كان يوما في يديْ بطل   سلاحَ نصرٍ به يرتد ما بانا !
تفرقت أمةُ الاسلامِ في أممٍ   يؤمها الهمّ .. تقضي الدهرَ أحزانا
لكل قومٍ حليفٌ ليس يرحمُهم   يزيدهم باختلاق الشر أضغانا
وكلما ماتت الأضغانُ يبعثها   حرباً ضروساً نرى فيها منايانا
يعطي السلاحَ بِأدهي مكره نفرا   ليقتلوا نفراً إثماً وعدوانا
كم عاهدوا الله أن يصْفوا ويتحدوا   صفا .. وكم نكثوا لله أيمانا !
من أين تأتي على الأعداءِ نصرتُنا ؟   من أين تشرقُ في الأرجاء بُشرانا ؟
وكان ما كان .. ضاعتْ مثل أندلس   منا فلسطينُ .. فارتعنا لبلوانا
بحفنة من يهودِ الأرض ملّكهم   (بلفورُ) أرضاً لنا .. ما كان أخزانا
لما عجزنا وقد ثُرْنا لنَرجعَها   عن رد من باتَ في الباقين طمعانا !
تعدو على مصر .. لا بركانَ يدفعها   يوماً إذا فُجِّرت في مصر بركانا
وتقصف الشام .. ما في الشام رادعةٌ   تعيد للشرفِ المغلوبِ (جولانا)
جنوبُ (لبنان) يَصلى النار حاميةً   فما كوى حرُّها أحبابَ (لبنانا)
وفي (الفلبين) كم جلتْ مذابحنا   وكم بكينا الضحايا في (بكستانا)
والمسلمون (بكمبوديا) تمزقهم   براثنُ الكفر أرواحا وأبدانا
وكم أذاقتْ بني (الصومال) قسوتَها   واليومَ عانى بها (الأفغان) ما عانى
وكارث الكرْب لو شئنا حكايتَه   لسجّل الهمّ ديوانا وديوانا !
وكلل الخطبُ رأسَ الكرْب كارثةٌ   بين العراق ـ غلت نارا ـ وإيرانا
أمجلسُ الأمنِ يحمينا وينصفنا   ونحن في الله ما صحّتْ نوايانا ؟
وملة الكفرُ أعلتْها مبادئنا   واركستْنا مخازيها وملهانا !
هل نحن حقا ـ بني الاسلامِ ـ نعرفُه ؟   هل نعرفُ اللهَ قهاراً وديانا ؟
فلو نصرناه لا نجابتْ مخاوفنا   وارتاع أعداؤنا وارتاح موتانا !
ولو نصرناه ما هُنّا .. وما نزلتْ   بنا الرزايا وهدّ الحزن مأوانا !
هل يُرجع الله منا أمةً وسطاً   يهدون بالحق .. لا يعثون خسرانا ؟
هل يُرجع الله منا أمة وثبت   كالشمس في الكون تهدي الكون حيرانا ؟
والله ما في الورى ما يستضاءُ به   في حلكة العيشِ مهما حلّ عمرانا
وحلقتْ في العلى أقمارُه عجبا   واسكنتِ أهلَه الأفكارُ كيوانا
مالم نعدْ لكتابِ اللهِ يأمرُنا   وسنةٌ لرسول الله تنهانا !
يارب إنا ضرعنا .. فامحُ ضلتنا   وطهرْ القلبَ مما فوقه رانا
واجمعْ شتاتَ بني الاسلامِ واسمُ بهم   عن فتنةٍ لم تدعْ للحق خلانا
ندعوكَ يارب والأبصارُ خاشعةٌ   إلى رضاك وأنت اللهُ رحمانا !
فامنحْ هداك قلوبا عنك قد لَهيتْ   وهبْ عبيدَك للزلاتِ غفرانا !

الخرافة في أذهان الشباب العربي

للـدكتور / عبـد الرحمن العيسوي

* هل يبدد التعليم ظلام الخرافة ؟
* أيهما أكثر خرافة الرجل أم المرأة ؟
* السحر والشعوذة ما زالتا تداعبان أذهان شباب الجامعة .
* العلم والشعوذة يلتقيان ؟!
* إلى أي مدى تنتشر الخرافة بين الشباب المعاصر ؟

للاجابة على هـذه الاسئلة أجـرى الكاتب دراسة ميدانية ضخمة حول هذه الموضوعات الحيوية ، وذلك من

منطلق اهتمام المجتمع المعاصر في وطننا العربي الكبير بقضايا الشباب ، وضرورة توفير الرعاية المتكاملة لهم حماية وإشباعا لحاجاتهم بالطرق المشروعة وتوجيههم توجيها وطنيا وقوميا وروحيا على قيم الحق والخير والجمال والصفاء والنقاء والطهر والطهارة والعدل والجدية وتحمل المسئولية والشعور بالانتماء لأرض الوطن الكبير وتحريرهم مما يكبل طاقاتهم بالاغلال والقيود وحل مشكلاتهم ورفع المعاناة عنهم وفتح الافاق الواسعة أمامهم ليأخذوا حظهم العادل في العمل والانتاج والقيادة . ولذلك طرحت الدراسة الحالية سؤالا هاما حول :

كيف يمكن تحرير وتطهير أذهان الشباب من الرواسب الخرافية وكيف يمكن تنمية قدرتهم على الخلق والابداع والابتكار وعلى التفكير العلمي الموضوعي - والاستدلال المنطقي الصائب ؟

استعرضت الدراسة في إطارها النظري ، معنى الخرافة وكيف تتكون ، ثم تابعت الدراسة مراحل تطور الفكر البشري من التفكير البدائي الى التفكير اللاهوتي الى التفكير الفلسفي ثم في نهاية المطاف الى التفكير العلمي الموضوعي الدقيق ، كما تحدثت الدراسة عن أنواع الخرافات في المجتمعات القديمة والمجتمعات المعاصرة ، كما تناولت خصائص التفكير الابتكاري والابداعي وعقدت المقارنة بين التفكير العلمي والتفكير الخرافي ، واتضح من القسم النظري من هذه الدراسة أن الخرافة لا يقتصر انتشارها على بلادنا بل أنها تنتشر في أرقى البلدان الاوروبية كالمجتمع الامريكي وغيره حيث تسود بعض مظاهر الخرافة كالسحر واستطلاع البخت وقراءة الكف والفنجان ولعب الورق واستخدام الخرافة في جلب الحب والزواج والحظ والسعادة والكسب والانتصار والانجاب بل وفي الحرب والسلام .

أهداف الدراسة الحقلية :-

استهدفت التعرف على الخرافات المنتشرة في احدى الدول العربية ، ومقارنتها بمثيلاتها في المجتمعات الاوروبية ، وتناولت موضوعات كثيرة ، كتحضير الارواح ، والسحر ، والحسد ، والمندل ، والزار ، والفأل ، والحظ ، والبخت ، واستطلاعهما في الصحف والمجلات ، وقراءة الكف والفنجان ، ودور الأحجبة والتعاويذ والتمائم واطلاق البخور والشعور بالتشاؤم والتفاؤل من بعض الأرقام ومن بعض الحيوانات كالبوما والغراب والكلاب والقطط والايمان بوجود الأرواح والشياطين أو الجن وكذلك مدى الايمان والاعتقاد . بالامثلة الشعبية الخرافية وبالحظ والصدفة والعين الشريرة .. الخ .

وكذلك استهدفت الدراسة الحالية التعرف على العلاقة بين التحصيل العلمي والأيمان بالخرافة ، وكذلك أثر عامل السن في الأيمان بالخرافة ، كما

تساءلت الدراسة عن أي الجنسين أكثر تأثرا بالمعتقدات الخرافية وأخيرا هل ترتبط الخرافة بسمات شخصية الشاب كالانطواء والانبساط أو الصحة والمرض ؟

مناهج الدراسة وأدواتها :

للقيام بهذه الدراسة صمم الباحث ، بعد إجراء العديد من المقابلات الشخصية مع عدد كبير من الشباب ، صمم اختبارا مكونا من ٤٥ سؤالا إلى جانب سؤال - مفتوح النهاية لمعرفة آراء الشباب في موضوع الخرافة واقتراحاتهم لتخليص أذهان الشباب منها ورفض سيطرتها عليهم ، ثم كيفية تدريب الشباب على المنهج العلمي الذي يتسم بالدقة والموضوعية ويعتمد على الملاحظة والتجربة وجمع الحقائق - والبيانات والأدلة والشواهد والاعتماد على الاستقراء العلمي السليم دون قفز أو شطحات ودون الوقوع في إصدار الأحكام العامة من مجرد حالات فردية بسيطة .

الدراسة الحقلية :-

تناولت الدراسة لاحدى الدول العربية عددا كبيرا جدا من الأفراد بلغ ٢٢١٠ منها ٩٤٠ من الذكور و ١٢٧٠ من الاناث من بين طلاب المدارس الاعدادية والثانوية والجامعات والمعاهد العليا .. الخ .

ولقد تبين أن الأيمان بخرافة ما يختلف باختلاف محتواها إذ تتراوح نسبة الاعتقاد في الخرافات المختلفة ما بين ٨٪ و ٦٩٪ **وكانت أكثر الخرافات انتشارا هي :**

النسبة

١ - معظم العباقرة يعانون من بعض « الهفات » العقلية ٦٩٪
٢ - إن الحسد يؤثر في حياة الناس في وقتنا الحاضر ٦٨٪
٣ - أعتقد أن هناك أرواحا طيبة وأخرى شريرة ٥٤٪

أما أقل الخرافات انتشارا فكانت :

١ - يفيد السحر في حدوث الحمل في حالات عقم النساء ٨٪
٢ - من الممكن أن تعرف بختك عن طريق العرافات وضاربات الودع ٨٪
٣ - قراءة الفنجان تكشف عن المستقبل ١٠٪
٤ - أن الاحجبة تساعد الفرد على قضاء حاجاته ١٠٪
٥ - أنا أؤمن بصدق الحظ الذي أطالعه في الصحف ١١٪
٦ - الذي يدخل المرحاض في الظلام تلبسه الأسياد ١١٪
٧ - يفيد السحر في علاج بعض الأمراض العصبية ١٢٪
٨ - يفيد السحر في علاج بعض الأمراض الجسمية الصعبة ١٢٪

وفيما يلي عرض لاستجابات الموافقة لدى العينة مرتبة حسب مقدار انتشارها :

نسبة الموافقة عليها

١ ـ معظم العباقرة يعانون من بعض « الهفات » العقلية ٦٩٪
٢ ـ الحسد يؤثر في حياة الناس في وقتنا الحاضر ٦٨٪
٣ ـ أعتقد أن هناك أرواحا طيبة وأخرى شريرة ٥٤٪
٤ ـ إن الدين يعترف بوجود السحر ٥١٪
٥ ـ للحظ والصدفة أثر أكبر في حياة الانسان عن الكفاح ٤٧٪
٦ ـ من الممكن أن يصيب الانسان مس من الجن ٤٥٪
٧ ـ هناك بعض الأماكن التي يسكنها الشياطين ٤٣٪
٨ ـ قد يتسبب السحر في حدوث الكره والطلاق ٤١٪
٩ ـ يستطيع بعض الناس تحضير الأرواح ٣٩٪
١٠ ـ السحر كان موجودا في القديم ولكنه غير موجود الآن ٣٩٪
١١ ـ الانسان عندما يضحك لا بد من أن يحدث له في النهاية مكروه ٣٧٪
١٢ ـ بعض الناس يستطيعون أن يتنبأوا بوقوع بعض الأحداث السياسية والاجتماعية ٣٦٪
١٣ ـ إن السحر يؤثر في أمور الحب والزواج ٣٥٪
١٤ ـ لا شك أن الأرواح موجودة في عالمنا هذا ٣٥٪
١٥ ـ يكشف « المندل » عن أماكن الأشياء المسروقة ٣٥٪
١٦ ـ الأرواح كانت قديما تؤثر في الانسان ولكنها لا تؤثر فيه الآن ٣٤٪
١٧ ـ أنا أعتقد في صحة الفأل ٣٠٪
١٨ ـ يمكن استخدام السحر لايذاء أعدائي ٢٩٪
١٩ ـ كل شخص له زميل أو زميلة من أهل الجن ٢٨٪
٢٠ ـ أنا أتشاءم من سماع نباح الكلاب ٢٨٪
٢١ ـ يوم الجمعة ضروري فيه ساعة نحس ٢٥٪
٢٢ ـ أنا أتشاءم وأتفاءل من بعض الأرقام ٢٣٪
٢٣ ـ وضع التمائم والأحجبة على الطفل الصغير يمنع عنه عين الحسود ٢٩٪
٢٤ ـ لا شك أن كل « طويل هابيل وكل قصير مكير » ٢١٪
٢٥ ـ يفيد السحر في علاج الأمراض النفسية ٢٠٪
٢٦ ـ إن الأحجبة يمكن أن تحمي الفرد من بعض الأذى ٢٠٪
٢٧ ـ الزار يفيد في علاج بعض الأمراض المستعصية ٢٠٪
٢٨ ـ أنا أتشاءم من رؤية الغراب ١٩٪
٢٩ ـ يستطيع بعض الناس استخدام الأرواح لتحقيق أغراضهم ١٨٪
٣٠ ـ إن إطلاق البخور يجلب حسن الحظ ١٧٪
٣١ : إن الأرواح إذا لمست شخصا ما فأنها تجعله يعرف الغيب ١٦٪
٣٢ ـ قراءة الكف قد تصدق في التنبؤ بمستقبل الفرد ١٥٪
٣٣ ـ إن دخول شخص حليق الذقن على امرأة وضعت حديثا يسبب إصابتها بالعقم ١٥٪

٣٤ ـ يفيد السحر في علاج بعض الأمراض العصبية ١٢٪
٣٥ ـ يفيد السحر في علاج بعض الأمراض الجسمية الصعبة ١٢٪
٣٦ ـ وضع حدوة حصان على المنزل تمنع الشر ١٢٪
٣٧ ـ اللى يدخل المرحاض في الظلمة تلبسه الأسياد ١١٪
٣٨ ـ يفيد السحر في علاج بعض الأمراض العقلية ١١٪
٣٩ ـ أنا أؤمن بصدق الحظ الذي أطالعه في الصحف ١١٪
٤٠ ـ قراءة الفنجان يمكن أن تكشف عن المستقبل ١٠٪
٤١ ـ إن الأحجبة تساعد الفرد على قضاء حاجاته ١٠٪
٤٢ ـ إذا خطت المرأة العاقر فوق الدم فإنها تنجب أطفالا ٩٪
٤٣ ـ يفيد السحر في حدوث الحمل في حالات عقم النساء ٨٪
٤٤ ـ أعتقد أنه في إمكان الساحر في المجتمعات البدائية أن يجعل الأمطار تنزل ٨٪
٤٥ ـ من الممكن أن تعرف بختك عن طريق العرافات وضاربات الودع ٨٪

أسفرت هذه الدراسة الميدانية عن انتشار أنواع متعددة من الخرافة بين الشباب كما أوضحت أن هذه الخرافات تناولت جميع جوانب حياة الفرد كالحب والزواج وتكون الأسرة والنجاح والفشل . ومن الغريب أن هناك ٤٥٪ من مجموع أفراد العينة يؤمنون أنه من الممكن أن يصيب الانسان مس من الجن بينما هناك ٤٣٪ يعتقدون أن بعض الأماكن يسكنها الشياطين كالأماكن المهجورة والقريبة من المقابر .

وهناك ٤١٪ يعتقدون أن السحر يتسبب في حدوث الكره والطلاق بين الأزواج ، أما مشكلة تحضير الأرواح وهي من المسائل التي تجذب انتباه الشباب في وقتنا الحاضر ، فلقد وجد أن هناك ٣٩٪ يعتقدون أن بعض الناس يستطيعون تحضير الأرواح .

ومن بين الخرافات المتعلقة بسلوك الانسان في حياته اليومية الاعتقاد « بأن الانسان عندما يضحك لا بد أن يحدث له في النهاية مكروه » ٣٧٪ ـ أما بالنسبة للقدرة على التنبؤ بوقوع الأحداث السياسية والاجتماعية فيعتقد في صحتها ٣٦٪ من مجموع العينة . أما دور السحر في أمور الحب والزواج فيقرره ٣٥٪ أما الأيمان بوجود الأرواح في عالمنا هذا فنسبته ٣٥٪ ومثله الاعتقاد بأن المندل يكشف عن أماكن الأشياء المسروقة بنسبة انتشار ٣٥٪ والحقيقة أن الانسان يلجأ إلى الخرافة والشعوذة عندما يعجز عن تفسير الظواهر أو حل المشكلات التي تواجهه حلا علميا وموضوعيا مثل هذا التفسير حتى وإن كان خرافيا فانه يريح الانسان ويخفض عنده حالة التوتر عندما يقف عاجزا عن تفسير ظواهر الموت والمرض والزلازل والبراكين أو الفقر أو العوز .

أيهما أكثر خرافة الذكر أم الأنثى ؟

لقد كشفت هذه الدراسة عن

تساوي أفراد الجنسين في كثير من الظواهر الخرافية التي شملتها الدراسة ويفسر ذلك بوجود تقارب فكري وثقافي وتعليمي بين الجنسين ، فكلاهما يتلقى ضروبا واحدة من التعليم ، ويتعرض لنفس المؤثرات الثقافية ، ويخوض كل منهما نفس الأنشطة تقريبا . ولقد تراوحت الفروق بين الجنسين ما بين صفر و ١٤٪ ومع ذلك فإن الأناث كن أكثر اعتقادا عن الذكور في أمور مثل حدوث شيء سيء للفرد بعد الضحك وتأثير الحسد في حياة الناس في الوقت الحاضر والاعتقاد في صحة الفأل **والمخاواة** من أهل الجن وفكرة أن دخول الشخص حليق الذقن على المرأة يصيبها بالعقم . وقد ترجع هذه الفروق إلى ارتباط مسائل الحسد والجن والعقم بالمرأة أكثر من ارتباطها بالرجل .

أما الذكور فكانوا أكثر اعتقادا في أمور مثل :ـ

١ ـ إن الأرواح موجودة في عالمنا هذا .

٢ ـ هناك بعض الأماكن التي يسكنها الشياطين .

٣ ـ من الممكن أن يصيب الانسان مس من الجن .

٤ ـ يمكن استخدام السحر لايذاء أعدائي .

٥ ـ إن الدين يعترف بوجود السحر .

٦ ـ أعتقد أن هناك أرواحا شريرة وأخرى طيبة .

٧ ـ للحظ والصدفة أثر أكبر في حياة الفرد عن الكفاح وكلها تدور تقريبا حول إيمان الذكور بالأرواح والشياطين والسحر والحظ واعتراف الدين بالسحر .

هذا بالنسبة لمفردات الخرافة كل مفردة على حدة أما الصورة العامة للفرق بين الجنسين فتدل أن الأناث أكثر خرافة من الذكور وذلك في ضوء المتوسط الحسابي الذي حصل عليه كل من الذكور والأناث حيث كان متوسط الذكور ١١,٧٤ ومتوسط الأناث ١٢,٢٣ كذلك فلقد وجد أن الجامعيين في مستوى الدراسة الجامعية كذلك كشفت الدراسة الحالية أن النزعات الخرافية تقل لدى المتفوقين دراسيا أي الذين يحصلون على تقديرات علمية عالية في المواد الدراسية أما الفرق الذي يرجع إلى السن فلم يصل إلى حد الدلالة الاحصائية مما يدل على أن إيمان الفرد بالخرافة لا يتأثر بمرور الزمن أو نضوج الفرد .

ومن النتائج المثيرة للدهشة والجديرة بالملاحظة إيمان نسبة كبيرة من أفراد العينة قدرها ٤٧٪ بأن للحظ والصدفة أثرا أكبر في حياة الانسان عن الكفاح .

ولمثل هذا الاعتقاد خطورته من الناحية التربوية والمهنية ومن ناحية تأثيره على طموح الفرد ونضاله من أجل تحقيق أهدافه وأهداف المجتمع الذي يعيش في كنفه في التقدم والرخاء والرقي .

ومن النتائج المثيرة للانتباه أن ٣٩٪ من مجموع أفراد العينة ما يزالون

يؤمنون أنه في استطاعة بعض الناس تحضير الأرواح .
كما أن هناك أكثر من ثلث العينة (٣٥٪) ما زالت تؤمن بأن السحر يؤثر في أمور الحب والزواج ، وأكثر من ربع العينة (٢٨٪) تؤمن بأن كل شخص له زميل أو زميلة من أهل الجن . بل إن من النتائج الغريبة وغير المتوقعة أن يؤمن ٨٪ من هؤلاء الطلاب أنه باستطاعة الساحر في المجتمعات البدائية أن يجعل الأمطار تنزل . وتصبح هذه النتيجة غريبة في ضوء التفسير العلمي المعروف لهطول الأمطار نتيجة لعوامل البرودة والبخر وتكثيف البخار . الأمر الذي يعكس ضعف تأثير التعليم في أذهان الشباب وعدم قدرة التعليم بصورته الراهنة على محو الأفكار الخرافية وإزالتها في أذهان الطلاب الأمر الذي يلقي ظلالا من الشكوك في جدوى طرائق التدريس الحالية التي تدرس بها العلوم . والرياضيات والمنطق وما إلى ذلك من العلوم التي ينبغي أن يؤدي تدريسها إلى تطهير الأذهان من الرواسب الخرافية .

الخلاصة وآفاق البحث المقبلة :

تعرضنا في هذه الدراسة الحقلية للظواهر الخرافية التي تبدو في الحياة اليومية لدى عدد كبير من أفراد المجتمع المصري من مختلف الأعمار والمستويات الاجتماعية والاقتصادية .. المختلفة .

وقد أظهرت النتائج أن الأيمان بالخرافة يختلف باختلاف مضمونها (الأرواح - السحر - الحسد) وكشفت معالجة المقياس ككل أن نزعة الأناث أكثر من الذكور نحو الخرافة وإن كان الفرق الملاحظ لا يصل إلى حد الدلالة الاحصائية وكذلك تبين أن الجامعيين أقل خرافة من غير الجامعيين ، وأن الطلاب المتفوقين دراسيا أقل خرافة من غير المتفوقين وقد يرجع ذلك إلى تأثير التعليم أو الذكاء .. أما بقية العوامل التجريبية فلم تصل إلى حد الدلالة الاحصائية وتثير هذه الدراسة آفاقا واسعة للبحث النفسي الميداني ، فيمكن دراسة أثر طرق التدريس المختلفة في محو الأفكار الخرافية . كذلك تدريس موضوعات مثل التفكير والاستدلال والملاحظة والتجربة الموضوعية والاستقراء ومعرفة أثر تدريسها على التفكير الخرافي . ومن الممكن إجراء دراسة حقلية على الظواهر الخرافية لدى طوائف مختلفة من المرضى النفسيين والعقليين للتعرف على نوعية الخرافات المنتشرة بينهم وكمها ، وكذلك إجراء دراسات حقلية على الخرافة في الريف والحضر وفي غير ذلك من مجالات الحياة العصرية وفي المؤسسات الاجتماعية والتربوية والعسكرية المختلفة كالجيش والمصانع والشركات في البيئة العربية وعلى كل حال تقترح الدراسة الحالية علاجا لانتشار الخرافة ، نشر الوعي العلمي واعادة النظر في طرائق التدريس الحالية .

مراجعة الحق

في مقالي ((هو من عند الله)) المنشور بهذه المجلة الغراء في عددها رقم ٢١١ (رجب ١٤٠٢) لمست من بعيد قانون الأحوال الشخصية الذي صدر في مصر برقم ٤٤ لسنة ١٩٧٩م .
وهأنذا أعود إلى تفصيل ما أجملت والى بيان اهم أوجه البطلان التي تتقحم أدق وأخص ما يعني أربعين مليون مسلما ومسلمة في حياتهم فيعانون من ويلات وفساد هذا القانون داخل مخادعهم وفي قاعات المحاكم على السواء .
وحرى بنا أن نعود الى الظروف التشريعية لاصدار هذا القانون الباطل لنعلم أن هذا القانون صدر بقرار جمهوري قبل انعقاد المجلس النيابي المنتخب بثمان وأربعين ساعة ودون أن تدعو ((ضرورة)) إلى اصداره بهذه الصورة على نحو مخالف للدستور ، ودون أن يعرض

خير من التمادي في الباطل

للأستاذ/ عمر الراكشي

على المجالس الاسلامية المتخصصة وأساتذة الشريعة في الجامعات والأزهر الشريف ، وعرض ذلك القانون في الجلسة الرابعة من انعقاد المجلس النيابي عرضا شكليا لاجازته ، وهو ليس جهة فقهية وليس مجمعا للبحوث الاسلامية ، فاعترض عليه في المجلس عدد من رجال الدين ، ولكن السلطة كانت أقوى ، فأجيز القانون الباطل ووضع موضع التطبيق في منتصف عام ١٩٧٩م .

ولقد لقى هذا القانون إبان صدوره على هذه الصورة المستفزة معارضة شديدة من الرأي العام والصحافة وطوائف الأمة ، ومازال يلقى هذه المعارضة حتى الآن في الصحف ، وأقيمت عدة طعون دستورية في هذا القانون أمام المحكمة الدستورية العليا لمخالفته للشريعة الاسلامية من عدة وجوه .

ولما كان التطبيق العملي أثبت بالاضافة إلى ما تقدم فساد هذا القانون حتى أنه في بعض تطبيقاته يحل الزنا وأولاد السفاح ، فقد انبرى له عدد من رجال الشريعة وأساتذتها الأجلّاء يبينون للحاكم والناس مناحي فساده وبطلانه ويطلبون وقف العمل به والعودة إلى شريعة الله .

وكلنا يذكر أن الدوائر الحكومية وقت صدور ذلك القانون ، استشعارا منها بهذه الروح المعارضة للقانون ، لجأت في تبريره الى عدة وسائل ، منها ظهور شيخ الجامع الأزهر ووزير الأوقاف ومفتي الديار مجتمعين وهم يمثلون - من أسف - أكبر ثلاثة من رجال الدين في مصر في التلفزيون مدافعين مايستطيعون عن هذا القانون الذي لو كان حقا مستندا الى صحيح حكم الشريعة ما احتاجوا الى حشد الأدلة الواهية للتدليل على صحته .

وبعد هذه الفذلكة الواجبة نعود الى إبراز أهم أوجه البطلان والفساد في هذا القانون وأسبابها . لأن الساكت عن الحق شيطان أخرس .

وليس أفضل من أن نذكر هنا نص ما

قاله بعض فقهائنا في هذا الشأن :

أولا : راي الأستاذ الدكتور موسى شاهين لاشين :

قال **الاستاذ الدكتور موسى شاهين لاشين** - رئيس قسم الحديث بجامعة الأزهر **توجد ثلاث مواد من مواد القانون لا تستند الى نص شرعي من كتاب أو سنة أو راى إمام من أئمة الفقه بل ولا رأي اضعف الفقهاء ، بل لم نجده في ورقة أو قصاصة ملقاة في الطريق ، فهي مخالفة ومعارضة لنصوص الكتاب والسنة** . وأحذر نساء الأمة من أن يعملن بالقانون الجديد ، **فلن المراة لو تزوج زوجها باخرى ورفعت الأمر الى القضاء فحكم لها القاضي بالطلاق كان حكمه باطلا** ، ولو ظلت في عصمة زوجها ، أما لو تزوجت بعد العدة رجلا آخر كان زواجها الثاني غير صحيح ، ان الاضرار التي توقعناها من هذا القانون باعتبار انه قانون وضعي يخالف قانون السماء وهو الأصلح للعباد في كل زمان ومكان فنقيضه لا يصلح للعباد في أي زمان ولا أي مكان .

الرأي الضعيف

وقال الدكتور موسى شاهين الرأي الضعيف إن لم يكن له دليل في الكتاب والسنة فلا يعتد به ولا يعتمد عليه لا في ضرر ولا في حاجة ، أما إذا كان لوجهة نظر في الكتاب والسنة فلا مانع عند الحاجة أن نستند اليه . وقد قلت في ردي على قانون الأحوال الشخصية إنني أتحدى واضعي القانون أن يأتوا بقول ضعيف لأي فقيه يقول بما قالوا في النقاط الثلاث وهي :-

١- الزواج بالأخرى إضرار .

٢- خروج المرأة بغير إذن زوجها لا يسقط متعتها .

٣- لاتترتب آثار الطلاق إلا باعلان الزوجة على يد محضر

استندوا الى أن المالكية يجيزون التطليق بسبب تضرر الزوجة ، وعليه القانون المصري ، ولكنهم لم يكملوا كلام المالكية لأنهم حينما أجازوا التطليق للإضرار قالوا بعدها مباشرة وليس من الإضرار زواجه بأخرى لأنه مأذون فيه والإضرار فعل غير المأذون فيه .

طعن في الاسلام

وردا على من يقول ، لو أن واحدا من الأخوة الذين هاجموا وثاروا على المادة التي تعبر عن هذه الحقيقة وهي أن الزواج بثانية يعتبر اضرارا بالأولى لو انهم تعرضوا أو تعرضت بناتهم أو اخواتهم لهذه التجربة لتوقفوا فجأة عن الكلام والهجوم لو كانوا صادقين مع أنفسهم .

● قال الدكتور موسى شاهين لاشين : هذا الكلام طعن في الاسلام نفسه ، لأن الإضرار بالأولى من وجهة نظر الأولى مصلحة للثانية وكل تكليف شرعي قد يكون فيه إضرار صوري بالنسبة لشخص ما ، فمثلا الخروج للحج فيه اضرار للأهل المخلفين بنقص المال وتعطل مصالحه . فالنظر

من زاوية تضرره للأولى دون النظر لبقية الزوايا قصور . وهل كانت الزوجات في عهد الرسول وفي عهد الصحابة والتابعين لا تتضرر الأولى منه ؟!! ألم يصبح لها نصف الرجل بعد أن كان لها رجل كامل ؟!! ألم تصبح لها نصف الليالي بعد أن كانت لها الليالي كلها ، لو كثر عدد النساء عن الرجال، كما هو الحال في كثير من البلاد ، فأي الأمرين يفضل للمجتمع . لا لصالح ابنتي أو ابنته . انترك الزائدات عوانس بدون زواج يتسكعن في الطرقات وينحرفن ، أم تربطهن برجل أو نصف رجل ؟! إذن النظرة إما أن تكون نظرة انانية كما يتصور الكاتب من الزاوية الشخصية وإما أن يكون بافق أوسع الى المجتمع كمجتمع ، والاسلام يطلب الثانية .

ثانيا : رأي الاستاذ الدكتور محمد بلتاجي :

كتاب للرد على القانون

وعن المأخذ على هذا القانون قال الدكتور محمد بلتاجي رئيس قسم الشريعة الاسلامية بكلية دار العلوم جامعة القاهرة والذي وضع كتابا رد فيه على هذا القانون .

١- بعض ما في هذا القانون لا يمكن قبوله في نطاق أي اجتهاد إسلامي صحيح ، وأوضح مثل على ذلك **ما جاء النص به من اعتبار اقتران الزوج بأخرى إضرارا من النوع** الذي يعطيها حق التفريق بما يتضمنه ذلك ضرورة من أن الله تعالى قد أباح الضرر ومعه نبيه صلى الله عليه وسلم وما يحتويه من ضرب النصوص الشرعية بعضها ببعض .

ومن الأمثلة على ذلك أيضا سلب الزوج حقه الشرعي في القوامة على الأسرة وطاعة الزوجة له في الاحتباس الكامل لبيت الزوجية في حالات أعطي حق الفصل فيها للقاضي حينما تخرج الزوجة للعمل على خلاف رغبة الزوج .

- لم يكن التقنين صادقا في نسبته بعض الآراء الى مذاهب الفقه الاسلامي ، وهذا أوضح ما يكون في اتخاذه مذهب الامام احمد وقواعد فقه أهل المدينة مستندا لما قرره في قضية الزواج بأخرى . **ومن الأمثلة على ذلك أيضا ما استحدثه في المادة (٧ من شروط الحكمين ونسبته الى مذهب الامام مالك مقتضاه الواضح عدم اشتراط المذكورة في الحكمين)** .

٣- بعض ما استنبطه التقنين من بعض نصوص الفقه الاسلامي التي رجع اليها لم يكن دقيقا أو حكيما كما ينبغي وهذا أوضح ما يكون في استناده الى نصوص الفقه الحنفي في اطلاقه القول بأن آثار الطلاق تترتب بالنسبة للزوجة من تاريخ علمها به ، ثم حصره طرق علمها المعتبرة في طريقين مع أن هناك فروقا جوهرية بين ما أتى به التقنين وما تضمنه مجموع الفقه الحنفي .

● **وردا على من يقول إن الراي الضعيف الذي قال به فقيه يمكن أن**

نأخذ به الآن لأن الرأي الضعيف يحقق المصلحة ويظهر يسر الشريعة . فهل هذا الأمر يؤخذ على اعنته بهذه الصورة ؟

قال الدكتور بلتاجي : إن الجوانب التي هي موضع الملاحظة في هذا التقنين من وجهة ما انتهى اليه بحثي لا تستند على أي رأي فقهي يمكن قبوله في دائرة الاجتهاد الاسلامي الصحيح ولم يسبق الى القول به أي فقيه ذي رأي معتبر في مجموع التراث الفقهي الاسلامي .

● وردا على من يقول : إن المعارضين لهذا القانون يعارضون من أجل الرغبة الجامحة في المعارضة السياسية فهي التي دفعتهم لهذا الموقف . فما تعليقكم ؟

فقال الدكتور محمد بلتاجي : فيما يتصل بي - رأيت أنه من الواجب عليَّ بحكم تخصصي وعملي أن اتناول كل ما أتى به التقنين في دراسة مفصَّلة (جاءت في ٣٨٠ صفحة) لم أرد منها إلا استجلاء وجه الحق بصورة منهجية موضوعية لا صلة لها بأي اعتبار آخر يخرج عن ذلك .

وقال الدكتور بلتاجي : إن هذه الدعوة هي سمة المؤيدين للقانون لا المعارضين .

وعن تعليقه على القانون قال الدكتور بلتاجي : كانت هناك ملاحظات على التقنين ، ومن الواجب دائما مراجعة ما بني على اجتهاد الرأي بالنظر الى اعتبارين هما :

قوة الدليل الشرعي وتحقيق مصالح الناس في اطار مقاصد الشريعة - ونصوصها - وفي ضوء متغيرات الحياة في المجتمع والملاحظات على التقنين تنبع من الاقتناع بأنه لم يراع الاعتبارين السابقين كما ينبغي وقد فصّلت القول في ذلك كله في كتابي المشار اليه آنفا .

ثالثا : رأي فضيلة الشيخ صلاح أبو اسماعيل :

ويلخص فضيلة الشيخ صلاح أبو اسماعيل .. عضو مجلس الشعب ومن علماء الأزهر ، المآخذ على القانون في عدة نقاط هي :

(أ) : ان هذا القانون يشهد بأن الحاكم عطل النص الشرعي بالرأي الشخصي بحجة ان للحاكم الحق في تقييد المباح ، ونسي الوزير الذي زعم ذلك أو تناسى وقد ذكرته دون جدوى أن المباح ينقسم الى قسمين :

١ - مباح منصوص على إباحته مثل قوله تعالى : (**فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا**) النساء/٣ ، أي لا تجوروا . ومثل هذا التعدد المباح بهذا النص وهذا الشرط ليس لأحد من خلق الله مهما علا منصبه أن يدَّعي أن له الحق في تقييده بحجة أنه ولي

الأمر لأن النبي صلى الله عليه وسلم حينما حرَّم مارية على نفسه وهو من نوع المباح المنصوص على اباحته ، بقول الله تعالى : (**والذين هم لفروجهم حافظون . إلا على أزواجهم أو ما ملكت ايمانهم فإنهم غير ملومين**) المؤمنون/ ٥و٦ . وكان النبي صلى الله عليه وسلم حرمها على نفسه استرضاء لعائشة وحفصة عاتبه الله بقوله :

(**يا أيها النبي لم تحرّم ما أحل الله لك تبتغي مرضاة أزواجك والله غفور رحيم . قد فرض الله لكم تحلّة أيمانكم والله مولاكم وهو العليم الحكيم**) التحريم/ ١ و ٢.

فتعدد الزوجات من نوع المباح المنصوص اباحته بقيوده وشروطه ومن رحمة الله انه رفع عنا في مقام المؤاخذة على تقسيم العواطف والميل القلبي (**ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم**) ثم رتب على نفي الاستطاعة النهي عن الميل الظاهري اذا عجزنا عن ضبط الميل الباطني (**فلا تميلوا كل الميل**) النساء/ ١٢٩ و لم يقل فإياكم والتعدد وهذا المباح المنصوص على اباحته باشره النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الأكرمون ، فدلت الآيات على حكمته ودلت التطبيقات على إباحته ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه ويقول بعد أن يتحرى العدالة .. (**اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا أملك**) ويعني بذلك الميل القلبي .

٢ـ وأما المباح بالأصل في الأشياء ـ الأصل في الاشياء الاباحة ـ كتحديد ثمن التذكرة في القطار والسيارات وتحديد مجموع الدرجات للدخول في كلية من الكليات فهذا هو المباح الذي يتدخل في ضبطه ولي الأمر الشرعي المكلف أن يطيع الله ورسوله اذا كان يستهدف بتدخله هذا الصالح العام .

(ب): مأخذ آخر في القانون يسيء الى النبي والذين آمنوا معه ، مخالفا القاعدة التي تقول (ان كنت ناقلا فالصحة وان كنت مدعيا فالدليل) فقد زعم القانون ان كتب المالكية نصّت على انه (يعتبر إضرارا بالزوجة الأولى اقتران زوجها بأخرى)، وحقيقة النص الصحيح انه (لايعتبر اضرارا بالأولى اقتران زوجها بأخرى) فسقطت منه (لا النافية) فانقلب المعنى رأسا على عقب واسند الى أئمة الفقه المالكي نقيض ما يقصدون على أنه لو قال فقهاء الأرض إن الاقتران بالأخرى إضرار بالأولى على وجه الاطلاق لكان في ذلك وصمة للنبي المعصوم من الخطأ بأن سنته العملية ناقضت سنته القولية فقد قال عليه الصلاة والسلام (لاضرر ولا ضرار) انما يحرم على الانسان ما يضر نفسه وكل ما يضر غيره فاذا اعتبر الاقتران بأخرى إضرارا للأولى وقد فعله النبي صلى الله عليه وسلم فان معنى ذلك أنه قد ناقض فعله قوله وتلك اساءة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ننزهه عنها تمام التنزيه . على أن هذه الاساءة تمتد الى القرآن الكريم امتدادا منطقيا على فرض

التسليم بها . فاننا يمكن أن نضع قياسا منطقيا يقول .. تعدد الزوجات ضرر وكل ضرر حرام . اذن فتعدد الزوجات حرام . فاذا استقام هذا المنطق وهو غير مستقيم فانه يأتي منافيا لقوله تعالى :
(فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت ايمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا) النساء/٣.
ومعنى ذلك ايضا أن الرسول وقع في الحرام .. وصحابته اقتدوا به في الحرام . وهذا باطل وزور وزعم ماله من سند إلا الزعم (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) الشعراء/٢٢٧.
(ج) : **مأخذ ثالث على القانون انه جعل من حق الزوجة الأولى أن تطلب الطلاق خلال عام من اقتران زوجها بأخرى.**
ـ فلنفرض أن زوجة طلبت الطلاق من زوجها لهذا السبب فأبى زوجها أن يطلقها فرفعت أمرها للقاضي فأعمل القاضي هذا القانون الجائر فطلقها فانها تكون طالقا قانونا لا دينا ثم تخرج من عدة هذا الطلاق القانوني غير الشرعي لتحل للأزواج قانونا لا شرعا ثم تتزوج بآخر فتكون قد جمعت بين الأزواج بقانون يحرم ما أحله الله من تعدد الزوجات .
(د): مأخذ رابع هو أن القانون فرض عقوبات على الرجل الذي يكتم عن الأولى نبأ زواجه من الأخرى . ولقد ذكرت في مجلس الشعب مثلا واقعيا.. فقلت أن النزغات الانسانية قد تفرض على الرجل أن يكتم الزواج الثاني على المرأة الأولى وذكرت نبأ رجل مفضال زوجته طريحة الفراش وهو بحاجة الى زوجة تعفه وتقوم بشأنه فتزوج بأخرى وأسكنها في مسكن شرعي بعيد عن مسكن الأولى واكتفى بشاهدي العدل على عقد الزواج الثاني وتكتم نبأ هذا الزواج كي لا تعلم الزوجة الأولى فتزيد علتها وينعكس آثار ذلك على اولاده منها وكان في تكتم هذا النبأ مستهديا بما رواه مسلم من أن الكذب على الزوجة لارضائها كالكذب بين المتخاصمين لاصلاحهما ومثل الكذب في الحرب والحرب خدعة .. وأن هذه النماذج الثلاثة من الكذب أباحها الاسلام واعتبر ما عداها محظورا.
(هـ) : مأخذ خامس وهو أن القانون فرض للمطلقة متعة أقلها أن ينفق عليها سنتين دون أن ينص القانون على الحد الأعلى للمتعة وقد نص على حدها الأدنى ولم يفرِّق بين موسع ومقتر **وألزم الرجل المطلق أن يظل ينفق على المرأة وإن خرجت من عدتها وحلت للأزواج وصارت اجنبية عنه شرعا** ولم يلزم ذويها بالانفاق عليها ولم يلزم وزارة الشئون الاجتماعية بالإنفاق عليها ولم يفصِّل في ايجاب الانفاق بين مطلقة لنشوزها ومطلقة لنشوز الرجل لهذا وغيره رفضت القانون وقد اسعدني أن اساتذتنا الأكرمين مثل استاذنا الدكتور موسى شاهين لاشين واساتذة الشريعة الاسلامية بكليات الحقوق

ودار العلوم كان رأيهم متفقا مع رأيي المتواضع **كما أن المحكمة الدستورية العليا قد تلقت طعونا بعدم دستورية هذا القانون لمخالفته للاسلام ،** كما فصلنا والدستور ينص على ان الشريعة الاسلامية هي المصدر الرئيسي للتشريع ولمخالفته للدستور من حيث موعد اصداره بعد انتخاب المجلس وقبل اجتماعه ودون ان تقضي بذلك ضرورة .

رابعا : رأينا في المتعة

ولقد سعدت أيما سعادة عندما طالعت آراء كبار فقهائنا وعلمائنا من أساتذة الشريعة في جامعاتنا ومعاهدنا العلمية ، تلك الآراء التي بينت في جلاء مدى مخالفة نصوص ذلك القانون الجائر للشريعة الاسلامية ومدى فداحة آثار تطبيقه .

لكنني لاحظت أن نص المادة ١٨ مكررا من ذلك القانون لم ينل حظه من التمحيص الذي يبرز أوجه مخالفته للشريعة ، الأمر الذي دفعني الى أن أدلي بدلوى بحكم تخصصي كمحام وكرجل قانون درس الشريعة واستوعب فقهها وأحكامها .

ويجري نص هذه المادة على النحو التالي :

(الزوجة المدخول بها في زواج صحيح اذا طلقها زوجها بدون رضاها ، ولا بسبب من قبلها تستحق فوق نفقة عدتها متعة تقدر بنفقة سنتين على الأقل وبمراعاة حال المطلق يسرا وعسرا وظروف الطلاق ومدة الزوجية ويجوز أن يرخص للمطلق في سداد هذه المتعة على اقساط .)

وتقضي المادة الثانية من الباب الأول من دستور جمهورية مصر العربية الدائم المعدلة بقرار مجلس الشعب بتعديل الدستور بجلسته المنعقدة في ١٩٨٠/٤/٣٠ بالآتي :

الاسلام دين الدولة ، واللغة العربية لغتها الرسمية ، ومباديء الشريعة الاسلامية المصدر الرئيسي للتشريع .

ولما كان المشرّع الوضعي قد أوضح مراده من اصدار المادة ١٨ مكررا المطعون في دستوريتها بقوله في المذكرة التفسيرية للقانون رقم ٤٤ لسنة ١٩٧٩ الذي مر ذكره :

ولما كان الأصل في تشريع المتعة هو جبر خاطر المطلّقة وكانت مواساتها من المروءة التي تتطلبها الشريعة وكان من أسس تقريرها قول الله تعالى : **﴿ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره﴾** من الآية ٢٣٦ من سورة البقرة ، وكان ايجاب المتعة هو مذهب الشافعي الجديد حيث أوجبها للمطلقة بعد الدخول إن لم تكن الفرقة منها أو بسببها .

ومن حيث تعين الرجوع بهذه النصوص الى التفاسير القرآنية الصحاح لاستجلاء معنى الآية ٢٣٦ من سورة البقرة التي اتخذها المشرّع الأرضي تُكأة للمتعة ولأسس تقريرها وتقديرها في نص المادة المطعون في

دستـــوريتهـــا ، ولتحـــديـــد نطـــاق سريانها .
ومنعا من استطرادنا في التفاسير حول هذه الآية وكلها مجمعة فيها على رؤية واحدة ، فقد رأينا الاكتفاء بنموذجين من هذه التفاسير : الأول فردي لمحمد فريد وجدي ، والثاني جماعي منسوب لوزارة الأوقاف في مصر ، وعلى وجه التحـديد للجنـة القـرآن والسنـة بالمجلس الأعلى للشؤون الاسلامية .

التفسير الأول :

المصحف المفسر ـ محمـد فـريـد وجدي ـ الطبعة الثامنة ص ٤٨ الآية ٢٣٦ من سورة البقرة ونصـها :
« لاجناح عليكم ان طلقتم النساء مالم تمسوهن أو تفـرضوا لهُنَّ فريضة ومتعوهُنَّ على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف حقا على المحسنين ».

التفسير :

لا ذنب عليكم إن طلقتم النساء من قبل أن تمسوهن ومن قبل ان تفرضوا لهن مهرا فان حدث ذلك من احدكم فليمتع المرأة بعطية كل عـلى قدر طاقته .

التفسير الثاني :

المنتخب في تفسير القرآن الكريم للجنة القرآن والسنة بالمجلس الأعلى للشؤون الاسلامية بوزارة الأوقاف ، الطبـعة السابعة ، ص ٥٦ .

تفسير الآية ٢٣٦ من سورة البقرة:

ولا اثم عليكم أيها الأزواج ولا مهر اذا طلقتم زوجاتكم قبل الدخول بهنّ وقبل أن تقدروا لهُنَّ مهرا ، ولكن أعطوهن عطية من المال يتمتعن بها لتخفيف آلام نفوسهن ولتكن عن رضا وطيب خاطر ، وليدفعها الغني بقدر وسعه ، والفقير بقدر حاله وهذه العطية من أعمال البر التي يلتزمها ذوو المروءات وأهل الخير والإحسان .
ومن استعراض التفسير لتلك الآية الكريمة من كتاب الله التي اتخذها المشرِّع الأرضي الوضعي سندا في مذكرته التفسيرية لتبرير حكم المتعة كما قرره هو لا كما قرره الشارع الحكيم ، نقول من واقع التفسيرات الصحاح من الكتب الصحاح : ان تشريع المتعة في هذه الآية الكريمة لم يقرر الا في حالة مفردة وردت بذاتها في الآية محددة وهي : (حالة الطلاق قبل الدخول وقبل تحديد المهر وسداده كله أو بعضه)، أو قل إنها حالة (المعقود عليها غير المدخول بها ولم يتقرر لها مهر ولم تقبض منه شيئا) ومن هنا فقد قرر الشارع الحكيم عطية لمثل هذه المطلقة ولعلة بينتها التفاسير . ولذلك فان تعمد المشرّع الارضي الوضعي سحب هذا الحكم وتعميمه على سائر حالات الطلاق خطأ فـادح ومخالفـة جائـرة للشريعـة الاسلامية ، فالآية الكريمة قـررت الجعل أو العطية للمعقود عليها غير

المدخول بها في حالة اذا لم يكن متفق معها أو مع وليها على كم المهر وقدره فجعل القرآن لها جعلا أو عطية ، بدليل أن المعقود عليها غير المدخول بها وقد تقرر لها مهر اذا طلقت فلها نصفه بموجب حكم الآية التالية مباشرة رقم ٢٣٧ من سورة البقرة ونصها :

(وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم إلا أن يعفون أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح وأن تعفوا أقرب للتقوى) البقرة/٢٣٧ .

فالآية رقم ٢٣٧ مكملة لحكم الآية ٢٣٦ التي قننت لحكم المعقود عليها غير المدخول بها **غير المقرر لها مَهْرٌ** ، و٢٣٧ قننت لحكم المعقود عليها غير المدخول بها **المقرر لها مهر** ، فجعل للأولى عطية تقديرية للمطلق بحسب وسعه ، وللثانية نصف المهر المقرر لها .

ولذلك فان المطلقة المدخول بها التي قبضت كامل مهرها ليس لها متعة وتخرج من نطاق سريان كل من حكم الآيتين ٢٣٦و٢٣٧ .

وعلى هذا النحو فان تعميم حكم الآية ٢٣٦ على سائر حالات الطلاق هو عدم فهم واضح لحكم الآية ٢٣٦ و٢٣٧ المكملتين لبعضهما البعض وخروج فاضح على أحكام الشريعة الاسلامية ، وينطوي على تنكب لعلة الحكم الشرعي ومقتضاه ، وإهدار لما قصد إليه الشارع الحكيم وتوخاه ، وسقطة من المشرع الأرضي الوضعي ما كان ينبغي أن يقع فيها ، ولكن الظروف المصاحبة لاصدار القانون رقم ٤٤ لسنة ١٩٧٩ تبين بجلاء أنه لم يقع فيها عفوا .

خاتمة

ولعل القارئ الكريم - بعد أن استعرضنا معه أقوال كبار فقهائنا يتساءل اذا كان القانون ، محل هذه الدراسة ، يحتوى كل هذه المخالفات الشرعية والدستورية ، وصدر بطريقة مشبوهة .. فلماذا استمر منذ منتصف عام ١٩٧٩م حتى تاريخ نشر هذه المقالة ؟ وما القوة التي تحميه ؟

لذلك فليس من سبيل إلا أن نهيب بجميع دوائر محاكم الأحوال الشخصية أن تستعمل حقها المنصوص عليه في قانون المحكمة الدستورية في أن تحيل الى المحكمة الدستورية العليا النصوص المخالفة للشريعة الاسلامية الواردة في القانون رقم ٤٤ لسنة ١٩٧٩ التي قطع أساتذة الشريعة بمخالفتها للشريعة والتي يترتب عليها مخالفة شرع الله والفساد في المجتمع حتى تتخذ قرارا بالغائها مع تكليف جهات التشريع في مصر باصدار قانون يوضح أحكام الشريعة الاسلامية في مواد الزواج والطلاق والنفقات والحضانة والولاية على النفس وتنفيذ أحكامها ، قانون يعيد النظر في قوانين الأحوال الشخصية برمتها .. قانون موحد يجمع شتات قوانينها المتفرقة .

شخصية العدد

أنس بن مالك

لقبه :

هو أنس بن مالك الأنصاري من بني النجار من قبيلة الخزرج وكنيته أبو حمزة . أمه الصحابية الجليلة أم سليم بنت ملحان ... وخالته الصحابية الشهيدة أم حرام بنت ملحان ...

حياته :

ولد أنس بن مالك بالمدينة سنة عشر قبل الهجرة . وقد أسلمت أمه أم سليم ، وكان زوجها مالك غائبا في سفرة له بالشام ... فلما عاد وعلم بالأمر غضب عليها وقال : أصبأت .. قالت ما صبأت ، ولكني آمنت بهذا الرجل

مِن علماء الإسلام

١٠ ق هـ ـ ٩٥ هـ ـ ٦١٢م ـ ٧١٥م
خادم الرسول ـ وراوى الحديث
وصاحب الدعوة المستجابه

للدكتور/أحمد شوقي الفنجري

ولن يمنعني أحد من ذلك .. وسمعها تلقن أنسا الاسلام وتقول له : قل لا اله الا الله ... قل أشهد أن محمدا رسول الله ... فقال لها : لا تفسدي علي ولدي ... قالت : اني لا أفسده ... ثم خرج مالك في سفرة إلى الشام فلقيه عدو له فقتله ... فنذرت أن تتفرغ لتربية أنس ... وقالت لا أفطم أنسا حتى يدع الثدى ولا أتزوج حتى يجلس في المجالس ويأمرني . فكان أنس يقول عنها .. جزى الله أمي عني خيرا لقد أحسنت ولايتي ... ثم جاءها الخطاب ... فقال لها أهلها : قد وفيت بنذرك .. فقد جلس الطفل وتكلم في المجالس ...

وكانت أم سليم بنت ملحان امرأة حكيمة قوية الشخصية . فلما جاءها أبو طلحة يخطبها وكان مشركا أخذت تجادله في دينه وعقيدته وقالت له : علم الله أني فيك راغبة .. وما مثلك يرد ولكنك كافر وأنا امرأة مسلمة فان تسلم تزوجتك ولا أطلب منك مهرا الا اسلامك ولا أسألك غيره ... فلما

رأت منه ترددا قالت له : « أما ترى يا أبا طلحة أن الهك هذا الذي تعبده شجرة تنبت في الأرض فيأخذها الحطاب إلى فلان النجار الحبشي فينحتها لك فتخر لها ساجدا ولو أشعلت فيها النار . لاحترقت ... فالهك خشب .. فانصرف عنها وقد وقع هذا القول في قلبه موقعا .. ثم جعل لا يجيئها يوما إلا وتقول له : ألا تستحي أن تسجد لخشبة ... حتى جاءها يوما وقال : إني أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله .. فهشت له ونادت طفلها أنسا وقالت له : يا أنس قم فزوج أبا طلحة ...

وهكذا بفضل هذه المرأة الحكيمة اكتسب الاسلام أبـا طلحة الأنصاري الذي أصبح فيما بعد من أشد أنصار رسول الله ﷺ فقها بالدين وجهادا في سبيل الله وقد حضر بيعة العقبة قبل الهجرة ... وعندما هاجر الرسول إلى المدينة جاءته أم سلمة مصطحبة ولدها أنسا وكان طفلا في العاشرة من عمره فقالت : « يا رسول الله ... هذا ولدي أنس خويدم لبيب ... كاتب (أي يعرف الكتابة) وقد نذرته لخدمتك !!!

ومنذ تلك اللحظة ظل أنس يخدم رسول الله لا يفارقه طوال عشر سنين حتى توفى الرسول وأنس في العشرين من عمره .

جهاده في سبيل الله :

لاشك أن خدمة الرسول وصحبته في غدواته وروحاته هى نوع من الجهاد العظيم في سبيل الله ... وقد سئل أنس في آخر أيام حياته وقد كان يقال عنه أنه مستجاب الدعوة فقيل له : أي عمل في حياتك ترجو به رضي الله عنك . فقال : لقد خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين وكفى ... وقد شهد مع الرسول المغازي كلها ... وفي « أحد » كانت أمه أم سليم وزوجها أبو طلحة يحيطان برسول الله ﷺ عندما تخلى عنه الكثيرون فكان أبو طلحة يتطاول بصدره ليحمي صدر رسول الله ويقول : « نحرى دون نحرك ونفسي دون نفسك يا رسول الله » ... وكانت أم أنس هى الأخرى في ميدان القتال تسقى العطشى وتسعف الجرحى .. فلما اشتد القتال أخذت سيفا من أحد القتلى ودافعت به مع زوجها عن رسول الله ...

وقد سئل أنس إذا كان ممن حضروا بدرا ... فغضب لهذا السؤال غضبا شديدا ... وقال لسائله لا أم لك ؟ وأين غبت عن بدر ... ؟ والظاهر أن رواة السيرة النبوية لم يعدوه بين المقاتلين في بدر لأنه كان غلاما في العاشرة من عمره . وقد صحب رسول الله في الحرب والسلم ولم يفارقه حتى لحظة وفاته .. فعندما حضرت الوفاة رسول الله جاءه أنس وقال له ... « يا رسول الله ... أنا خويدمك أنيس فادع الله لي » فدعا له الرسول « اللهم أكثر

ما له وولده وأدخله الجنة » وقد استجاب الله لدعوة نبيه . فكثر مال أنس حتى أصبحت له في البصرة أربعة قصور و كانت حدائقه تثمر في السنة مرتين ، وكثر أولاده وأحفاده حتى بلغوا مائة وستة بين ذكور وإناث ... وقد توفى سنة ٩٥ هـ وعمره مائة وسبع سنوات ودفن بالبصرة فكان آخر من توفى ممن صحبوا رسول الله ...

علمه وفضله :

يكفي أن يقال عن أنس بن مالك أن الذي علمه وأدبه ورباه هو معلم الانسانية كلها رسول الله ... وليس من الصدف أن يلتحق أنس بخدمة الرسول وهو في سن العاشرة حتى سن العشرين ... بل لعل هذا اختيار من الله سبحانه وتعالى ... في هذه المرحلة يكون الانسان أكثر قابلية للدرس والحفظ والاستيعاب ... ونقل العلم بأمانة .. ولعل هذا ما حدث للسيدة عائشة أيضا ... فقد تزوجها رسول الله ﷺ وهى في سن العاشرة وتوفى وهى في سن العشرين تقريبا ...

وقد بلغ ما نقله الرواة عن أنس من أحاديث الرسول ٢٢٨٦ حديثا في حين بلغ ما نقلوه عن السيدة عائشة ٢٢١٠ حديثا فهما من أكثر رواة الحديث وأوثقهم .

وقد جاء في سيرته أن رسول الله ﷺ كان يداعبه بقوله . ياذا الأذنين ... وقد فسرها بعضهم بأنه كانت له ذؤابة في وجهه وفسرها آخرون بأنه كانت له أذنان كبيرتان ... وهذا قطعا تفسير خاطىء ... فليس من خلق الرسول ولا من شيمته أن يدعو أحدا أو يناديه بأي عيب خلقي ... ولو كان من باب الدعابة ... والأرجح عندي أنه لقبه « ذو الأذنين » لحسن سمعه واستيعابه ... وحفظه للحديث .. وكما نقول « ذو أذن واعية » ..

وقد بلغ من علم أنس رضى الله عنه أن علماء الحديث قالوا عنه « كان الرجل من أهل الأهواء ... إذا خالفنا في الرأي قلنا له تعال إلى من سمع من النبي ﷺ ووعى نحتكم عنده » .

وكان أنس يقول لعلماء الحديث « خذوا عني فلن تجدوا أوثق مني » وعندما مات أنس قال الرواة عنه « ذهب نصف العلم » .

وصفه وصفاته :

كان أنس بن مالك حكيما مهيبا ... وقد جاء في وصفه أنه ضخم الجسم له ذؤابة في وجهه ... وكان يلبس عمامة كبيرة سوداء أو بيضاء

ويضع في أصبعه خاتما نقش عليه رسم أسد رابض ... وكان يصبغ لحيته بالصفرة . وقد ظل محتفظا بصحته وصفاء ذهنه وذاكرته حتى جاوز المائة عام ... ولم يعجز عن الصلاة في المسجد أو الصوم إلا في السنة الأخيرة من عمره فقد أفطر وأطعم ثلاثين مسكينا .

وقد وصف أصحاب رسول الله صلاته بقولهم « ما رأينا صلاة أشبه بصلاة رسول الله من صلاة ابن أم سليم » ... وكان الولاة والعلماء يأتونه يسألونه « هل لمست كفك كف رسول الله فيقول : نعم !! فيقولون له : أعطنا يدك نقبلها : ، وقد اشتهر عنه أنه مبارك ومجاب الدعوة ... جاء إليه جماعة من البادية ، وقالوا له : يا أبا حمزة جفت أرضنا وعطشت ... فخرج إليهم وصلى ركعتين ودعا ربه فتجمع السحاب والتأم نظمه ثم أمطرت حتى ملأت البطاح ...

من هى خالته :

هى أم حرام بنت ملحان ... وكانت قد تزوجت من عبادة بن الصامت وكان رسول الله يقيل عندها وتولم له طعامه ...

وذات يوم وهو ﷺ نائم في بيتهم ... إذ استيقظ ضاحكا قالت ماذا يضحك يا رسول الله ... ؟

قال : عرض علي أناس من أمتي يركبون ظهر هذا البحر الأخضر كالملوك على الأسرة ... قالت : يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم ... قال : فأنت منهم ... ثم حدثت غزوة قبرص في عهد معاوية بن أبي سفيان ... فخرجت أم حرام مع زوجات الصحابة ... وقد استشهدت في تلك الغزوة ودفنت في قبرص سنة ٢٧ هـ . وما يزال قبرها هناك حتى يومنا هذا ...



أضواء على بعض قضايا الإسلام

للاستاذ: أبو المعاطي سليمان عطاالله

يروق اليوم لكثير من الباحثين النيل من الدين الاسلامي وتشويه صورته الناصعة . وكأنهم بما نالوا من درجات علمية قد أخذوا رخصة لهدم صرح هذا الدين ، وكان المتوقع أن يكونوا أدوات بناء لا معاول هدم .

وقد واكبت حركتهم الصيحة المدوية بتطبيق الشريعة الاسلامية فاتخذوا من منطق السفسطة قضايا وطرحوا معطيات خاطئة لم يسلم بها أحد وتمادوا في استنباط النتائج التي خرجت خطأ في النهاية ولا أدري هل هذا رأيهم أم رأي الدين ؟

فاذا كان ذلك رأيهم فنحن في غنى عنه ، وإن كان رأي الدين فهو أوضح من أن تناله أقلام مشبوهة نعرف مسبقا مدى ما تبيته لهذا الدين من كيد بدعوى الادراك الواعي والفهم المستنير .

واليوم يدور الحديث حول بعض الآراء التي طرحها الدكتور محمد خلف الله في جريدة الوطن الكويتية .

وحتى تتضح الحقيقة أمام كل مسلم سأعيد على سمع القراء عرض تلك الآراء ثم أتناول كل رأي بتقديم الأدلة الكافية على بطلانه وقبل أن أنتقل إلى تفنيد تلك الآراء أحب أن أوجه إلى الدكتور خلف الله عدة أسئلة :

أولها : هل الاحتكام إلى الكتاب والسنة في كل ما يعن من مشكلات أمر شرعي أم بدعة محدثة ؟

ثانيها : هل تعطيل النص القرآني القطعي الدلالة من حق المخلوق أم من حق الخالق ؟
ثالثها : هل آراء المجتهدين في وجود النص أم عند غيابه وهل هدفهم رفعة الدين أم ضياعه ؟
رابعها : هل الاسلام صالح لكل زمان ومكان أم انتهت الفترة التي كان مناسبا لها ؟

وأعود إلى تناول تلك الآراء بشيء من التجرد وأعرضها على الكتاب والسنة لنتبين جميعا ما فيها من قرب أو شطط .

أولا : يرى الدكتور أن المد الاسلامي الذي أخذ يتزايد حتى عم جميع الأقطار الاسلامية ومطالبة الشباب بتطبيق الشريعة الاسلامية ليست صحوة وإنما هى انتكاسة .

لأن الصحوة حسب زعمه هى التي تأخذ بكل ظروف العصر وتراعي أساليبه ومتطلباته .

وهذه دعوى غريبة وخطيرة .

غريبة : لأنه لم يقل بها مفكر إسلامي من قبل درس أحكام دينه وعرف تفاصيله ودقائقه .

وخطيرة : لأنها تحمل في طياتها معاول الهدم لهذا الدين فاذا نفذنا إلى داخل هذا الرأي بشيء من العقل نتبين ما ينطوي عليه من داء يفتك بالأمة الاسلامية لو استشرى بين طبقات المجتمع ، لأنه دعوة إلى التحلل ونبذ الدين وكأنه يريد أن يقول بصراحة إن الدين الاسلامي لا يصلح لكل زمان ومكان وقد انتهت الفترة التي كان مناسبا لها ولم يعد صالحا الآن .

فالمطالبة بتطبيق الشريعة الاسلامية والعمل بها من وجهة نظر الدكتور تخلف وردة وكأن رجوع الأمة إلى المنبع تنهل منه جريمة لا تغتفر ونسى قول الرسول صلى الله عليه وسلم « خير النـــاس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » متفق عليه

وعرف الرسول فضل الأجيال المتعاقبة من المسلمين فقال « سيأتي قوم للعامل فيهم أجر خمسين منكم لأنكم تجدون على الخير أعوانا وهم لا يجدون على الخير أعوانا »

ونحن نرى وسائل الاعلام في كل يوم تطالعنا بمؤامرات تشنها الصليبية والماسونية والشيوعية والوثنية متعاونة على الاسلام وأنصاره وصدق الله إذ يقول « والذين كفروا بعضهم أولياء بعض » .

ومن هنا ترتفع أصوات الطلائع الشابة بالعودة إلى الاسلام .

وإذا كانت الجماعات الاسلامية تتعدد وتختلف فيما بينها من تهاون وتشدد فانني أعتبر ذلك ظاهرة صحية واحتكاكا يوصل في النهاية إلى الرأي السديد .

علما بأنها جميعا أقتربت أو بعدت تدور في نطاق الدين . وما تعانيه أي جماعة من حيرة ومغالاة هو بسبب خلو الساحة من القادة الموجهين وما يرونه من التناقض بين القول والعمل .

والحقيقة التي أريد أن أؤكد عليها هى أن الخالق سبحانه أعلم بما يصلح أمور الخليقة قال تعالى « ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير »

وعلم الله . صفة انكشاف به يعلم ما كان وما يكون وما هو كائن .

ولو كان صلاح الناس بغير ذلك من أحكام وشرائع لقررها المولى سبحانه أو أرسل بها رسولا ولم يجعل محمدا خاتم الأنبياء .

على أن العودة إلى العمل بالشريعة الاسلامية واجب ديني دعت إليه النصوص القرآنية في قوله تعالى:(**فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر**) النساء / ٥٩ .

والرد إلى الله سبحانه يكون بالعمل بكتابه والرد إلى الرسول يكون بالعمل بسنته وأكد الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك بقوله « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد » رواه مسلم ..

ونلمس بعد ذلك بوضوح أن الاسلام هو الصالح للتطبيق في كل عصر وعلى المجتمع أن يخضع لأحكام الدين ولا يجوز لكائن من كان أن يخضع أحكام الدين لظروف الشعوب والأمم لذلك قال تعالى (**ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين**) آل عمران / ٨٥ .

وما أصاب المسلمين من تخلف وتخبط في الحياة هو بسبب جهلهم بالدين أو بعدهم عن تطبيقه .

ولنا في بني أمية عبرة : فعندما ابتعدوا عن الدين وأخذوا بمقتضيات العصر انحرفوا.

وعندما تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة ورجع بالناس إلى ما كان عليه الحكم في عهد رسول الله وأصحابه استقام حال الناس وصلح أمرهم وصدق الله إذ يقول (**ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى**) طه / ١٢٤ .

ولعل العالم رأى وسمع الآن ما قاله المفكر الفرنسي المسلم « روجيه جارودى » عن حضارة الاسلام ومستقبله بين شعوب العالم .

ثانيا : يقول الدكتور إن النصوص القرآنية إذا تعارضت مع مقتضيات العصر وظروفه يجب تعطيل النصوص وعدم العمل بها .

واستدل بأسرى الحرب والغنائم . وقال إن العالم كله يرفض السبى ولذلك يجب تعطيل النص .

وكانت الغنائم توزع على المسلمين حينما كانوا يقومون بتجهيز أدوات القتال للحرب أما الآن فالدولة هى التي تجهز الجيش ومن هنا يجب تعطيل النص .

ولقد نسى الدكتور في نشوة الحديث أن الشرع ما شرعه الله ولا يحق لمخلوق

أن يعطل نصا صريحا من كتاب الله أو يحرفه عن مواضعه لأننا لا نرى خطورة على الدين أشد من ذلك .
وإنما تعطيل النص من حق الخالق وحده عن طريق النسخ .

وأعود إلى الكتاب والسنة أستمد منهما الدليل على بطلان ما ذهب إليه الدكتور .

لقد أذن القرآن الكريم بالأكل من الغنيمة حين قال :(**فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا**) الأنفال / ٦٩ ، وبين الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك بقوله « أحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي » رواه البخاري .

ووضح عليه السلام السبب في حلها لهذه الأمة حين قال :« إن الله تبارك وتعالى رأى ضعفنا وعجزنا فطيبها لنا » رواه البخاري ومسلم .

وحدد القرآن الكريم كيفية تقسيم الغنائم في قوله تعالى :(**واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل**) الأنفال / ٤١ ، فالخمس يوزع على من سبق ذكرهم في الآية وسهم الله ورسوله ينفق منه على شراء السلاح وتجهيز الجنود .

لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :« لا يحل لي من غنائمكم إلا الخمس والخمس مردود فيكم » رواه ابو داود والنسائي .

وأما الباقي من الغنيمة بعد الخمس فيوزع على المقاتلين للراجل سهم وللفارس ثلاثة أسهم .

وأما الأسارى فقد خير القرآن الكريم الحاكم أن يفعل بالرجال البالغين ما هو الأنفع للمسلمين . من القتل . أو الفداء . أو المن . فقال سبحانه :(**فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما منا بعد وإما فداء**) محمد / ٤ .

على أنه يجوز للحاكم بعد انتهاء الحرب أن يقتل الأسير إذا كانت المصلحة تقتضي قتله .

فقد قتل الرسول « النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط يوم بدر وقتل أبا عزة الجمحي يوم أحد » .

وقد عاتب الله رسوله حينما وافق على فداء الأسرى في بدر والمسلمون يومئذ قلة ولم يرض بقتلهم فقال :(**ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة**) الأنفال / ٦٧ .

وأما بقية الأسرى من النساء والصبيان فتقسم على المسلمين . علما بأن الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم استرقوا أسرى الأعداء . على قاعدة المعاملة بالمثل . ومن اقتدى برأيهم فقد هدى إلى الصراط المستقيم . فقه السنة .

وأضع بين يدي الدكتور غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم ، وما حدث فيها دليل كاف على صحة ما قلناه .

ففي بدر كان بين الأسرى « سهيل بن عمرو وأبو العاص بن الربيع زوج زينب بنت رسول الله والمطلب بن حنطب وصيفى بن أبي رفاعة وأبو عزة عمرو بن عبدالله » وقد منّ الرسول عليهم وقبل فداء باقي الأسرى .

أما الأموال فقد وزعها على المقاتلين كل حسب سهمه وأجره وحين حاصر المسلمون بني قريظة طلبوا من الرسول أن يحكم فيهم سعد بن معاذ فوافق الرسول عليه السلام وحكم سعد بقتل رجالهم وسبى نسائهم وذراريهم وتقسيم أموالهم فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم « حكمت بحكم الله يا سعد » .

وأرسل الرسول سعد بن زيد الأنصاري بسبايا منهم إلى نجد فابتاع بها خيلا وسلاحا . واصطفى الرسول لنفسه من نسائهم ريحانة بنت عمرو فكانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى توفى عنها وهى في ملكه .

وقسم الرسول أيضا سبايا بني المصطلق على المسلمين وكانت جويرية بنت الحارث لثابت بن قيس . فكاتبته على نفسها . وقد قضى الرسول عنها فتزوجت برسول الله عليه السلام .

وأصاب الرسول سبيا من هوازن بلغ ستة آلاف من الذراري والنساء ومن الابل والشاة ما لا عدد له . ولكنه صلى الله عليه وسلم . تكرم ورد عليهم نساءهم وأبناءهم . وقسم أموالهم على المسلمين . وأعطى المؤلفة قلوبهم « كأبي سفيان وابنه معاوية ومخرمة بن نوفل وعمير بن وهب وهشام بن عمر والعباس بن مرداس » .

وإذا كان العالم الآن لا يجيز توزيع الأسرى باتفاقية دولية فليس فعل الدول حجة على الله مهما كثر المؤيدون لأن الكثرة ليست مبررا للجواز وقد بين لنا ذلك القرآن الكريم حيث يقول (**وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله**) الأنعام / ١٦٦ .

وإذا كان المسلمون اليوم ضعافا ويخافون من السبى فليس هذا أيضا مبررا لتعطيل النص لأن ضعفهم ناشيء من بعدهم عن تطبيق شريعتهم وكان المسلمون على قلتهم سابقا قوة ضاربة تمكنت من هزيمة الفرس والروم .

وإذا كان الدكتور يرى أن ما يتعلق بالعقائد والعبادات من أحكام فانما هو مسئولية فردية وأن ما يتعارض من أحكام المعاملات مع المصلحة العامة يجب تعطيله .

فبالله ماذا بقى لنا من أحكام الاسلام لينفذ ؟ .

على أننا نرى أن الربا من أحكام المعاملات وقد حرمه الله بقوله (**وأحل الله البيع وحرم الربا**) البقرة / ٢٧٥ .

وجميع المصارف في العالم الآن تعمل بالنظام الربوي لأنه يتفق مع السياسة المالية من وجهة نظرهم .

فهل يجب تعطيل النص لأنه لا يتمشى مع المصلحة العامة وظروف العصر الحديث .

وأسأل الدكتور أين نضع الزكاة من التقسيمات الثلاثة السابقة فاذا كانت من العبادات وهى مسؤولية فردية . فلماذا يحارب أبو بكر المرتدين الذين امتنعوا عن إخراج الزكاة ؟

ويقول « والله لو منعوني عقال بعير كانوا يؤدونها لرسول الله لقاتلتهم عليه » عبقرية الصديق.وقد ناقشه في ذلك عمر رضي الله عنه .

وإذا كان المسلمون لا يجهزون الأسلحة اللازمة للحرب فلأن الدولة احتفظت لنفسها بجميع التصرفات في السلم والحرب ولم تعد تطالب أحدا باعداد السلاح .

على أننا نرى أن الطاقة أساس التكليف وبوسع الناس على اختلاف قدرتهم المالية أن يجهزوا بندقية ورشاشا وقنبلة ، أو قل طائرة وبارجة ودبابة ولدينا من الأثرياء في عصرنا من يملك مثل ذلك .

فحينما يسيطر الايمان على النفوس يجود الناس بما لهم ومن هنا نجد عثمان بن عفان جهز جيش العسرة ، وجاد عبد الرحمن بن عوف بما له كله وتبرع أبو بكر بجميع ما يملك ولم يترك لأولاده سوى الله ورسوله .

على أن القول بتعطيل نص لم ندرك الحكمة منه يتيح لكل ذي رأي مغرض المطالبة بتعطيل أي حكم كالصلاة والصوم وغيرهما

ويمكننا بعد ذلك أن ندرك أن الحاكم إذا نفذ وجها من الوجوه السابقة التي فعلها رسول الله لم يكن معطلا للنص لأن الدليل على تصرفه موجود في عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومن هنا نرفض ما يدعو إليه الدكتور من تعطيل النص لأنه قاصر عن مواكبة الحياة ونقف دون كل محاولة تهدم صرح الدين . قال تعالى (**ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن**) المؤمنون / ٧١ .

ثالثا : يرفض الدكتور آراء المجتهدين وأقوالهم كابن تيمية وابن القيم والمو دودي وغيرهم . لأن آراءهم ليست شرعا وبالتالي ليست حجة على أحد . ونحن نتفق معه على ذلك .

لأننا نؤمن بالقاعدة الأصولية التي تقول « لا اجتهاد مع النص » فعند ما يغيب النص أو يوجه وقد خفى منه وجه الاستدلال ولم نجد بيانا له من سنة الرسول أو من عمل الصحابة فاننا نلجأ إلى الاجتهاد .

وعندما تتعارض آراء المجتهدين ما بين مؤيد للحكم ومعارض له فان الأمر يخرج من دائرة المحكم إلى المتشابه ومن ثم وجب علينا أن نبتعد عن مواطن الشبهة لأن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول « فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه » رواه البخاري ومسلم .

أو نعمل على رد المتشابه إلى المحكم ـ ولم يكن القرآن كله محكما لما في المتشابه من الأبتلاء به والتمييز بين الثابت على الحق والمتزلزل فيه ، ولما فيه من شحذ القرائح في استخراج معانيه ورده إلى المحكم . قال تعالى (**هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب و آخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله**) آل عمران / ٧ .

ونسوق على ذلك مثالا من كتاب الله حيث تقول الآية ٤٤ من سورة المائدة « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » ولقد اجتهد الصحابة والتابعون في محاولة لفهم الآية :

فقال ابن عباس « من لم يحكم بما أنزل الله جاحدا فهو كافر »

وقال ابن مسعود « هو عام في اليهود . وغيرهم من الحكام »

وقال الزمخشري « من لم يحكم بما أنزل الله مستهينا فهو كافر »

وقال عطاء « هو كفر دون كفر » الصحوة الاسلامية بين الجحود والتطرف/ د يوسف القرضاوي .

ويرى قتادة والضحاك أنها في أهل الكتاب تتحدث عن مناسبة خاصة وموقف معين . ومن ثم لا يجب تعميمها . وهذا بعيد .

بينما يرى آخرون تعميم مفهوم الآية ومنهم أبو حيان . وحسبهم في ذلك قول الأصوليين « العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب » أصول الفقه الاسلامي .

وقد أخذ بهذا الرأي ابن تيمية فقال :

« إن اعتقد الحاكم أن الحكم بما أنزل الله غير واجب وأنه مخير فيه مع تيقنه أنه حكم الله فهذا كفر أكبر » .

وعليه يجوز قتل الحاكم لأنه أنكر أمرا معلوما من الدينبالضرورة فصار في حكم المرتد .

ولعل ما يؤيد هذا الرأى أن أحد الصحابة جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال له « يا رسول الله أرأيت إن جاء إلى رجل يأخذ مالي قال لا تعطه . قال فان قاتلني قال قاتله . قال فان قتلني قال فأنت شهيد . قال فان قتلته قال فهو في النار » رواه مسلم والنسائي . وهنا نجد الرسول عليه السلام أجاز قتل الغاصب لمال غيره لأنه مخالف لقوله تعالى :

(**يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم**) النساء / ٢٩ .

فما بالنا بمن يهمل جميع الأحكام ولا يسمح للمجتمع بتطبيق الشريعة الاسلامية والعمل بها .

ومع كل ذلك فلم يقل أحد إن عقول المجتهدين قادرة على معرفة الغيب ولكن آراءهم من قبيل البعد عن مواطن الشبهة أو من قبيل رد المتشابه إلى المحكم البين الدلالة .

على أننا نرى أن الدكتور أجاز لنفسه أن يجتهد في أعوص القضايا وأن يفتي فيها بما يلوح له من رأي ، ولكنه لا يجيز لغيره ما أباحه لنفسه .

وإذا كان الدكتور بعد ذلك كله يرفض الأجتهاد .

فلماذا لم يرفض الرسول صلى الله عليه وسلم الأجتهاد من معاذ بن جبل حينما قال للرسول وهو يسأله عن نظام الحكم في اليمن فأجاب « بالكتاب» فإن لم أجد فبالسنة، فان لم أجد، أجتهد رأيي ولا آلو » رواه البخاري .

أرجو ألا نتصور أنناأنضج عقلاً وأكثر فهما لواقع الحياة ومستقبلها من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

رابعا : يقول إن الحكومة التي أتت بعد رسول الله وقام بها الخلفاء الراشدون لم تكن حكومة دينية .

لأن الرسول كان يتلقى من السماء وقد انقطع الوحي بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأعود فأسأل هل كانت الحكومة في عصر الخلفاء الراشدين من نوع الحكومة في أمريكا أم من نوع الحكومة في روسيا .

وهل ابتعدت عن تطبيق دستور السماء الذي سارت عليه الدولة في عهد الرسول وقامت بتنفيذ تعاليم اليمين أو اليسار .

على أننا لا نرى خلافا بين الحكومة في عهد الرسول والحكومة في عهد الصحابة سوى اختيار السماء للرسول واختيار المجتمع للخليفة إن صح هذا التعبير ..

فكلتا الحكومتين كانت حكومة دينية تسعى جاهدة إلى العمل بحكم الله وقد وجدت حكومة الخلفاء الدستور السماوي كاملا قد انتهت السماء من إعداده للبشرية بينما كانت الحكومة في عهد الرسول تتلقى الأحكام أولا بأول حسب مقتضيات الأحوال . وقبل أن يلحق الرسول صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى نزل قوله تعالى (**اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا**) المائدة / ٣ .

لقد كان الرسول يتلقى الوحي من السماء فهل انتهى الدين بموت الرسول عليه السلام .

إن الدين باق ما بقيت السماء والأرض لأنه متعلق بحياة الناس ولم يكن الدين طقوسا معزولة عن المجتمع والدولة كما حدث لأوربة المسيحية في العصور الوسطى أيام مارتن لوثر . فقد كان معزولا في الكنيسة قابعا في واد وحياة الناس في واد آخر .

ويقول الدكتور « إن الرسول ليس بملك لأن القرآن لم يقل بذلك بينما نص على أن كلا من داود وسليمان كانا ملكين »

ونحن في البداية نقول بذلك . لأنه عليه السلام قال « **يا هذا هون عليك فاني لست بملك** » . رواه ابن ماجة .

وأراد بذلك أن يمحو من العقول الصورة القاتمة عن ظلم الملوك وأن يطبع في الأذهان صورة جديدة خالية من الهالة التي يحاط بها الملوك والرؤساء في ذلك العهد .

ولا يمنع هذا من كونه الحاكم العادل المتواضع لأمته واذا كان الدكتور يرى أن ما في التوراة والانجيل من أحكام خاصة باليهود أو النصارى .

فاننا نرى غير ذلك لأن الشرائع السماوية متفقة في الأصول قال تعالى (**قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله**) آل عمران / ٦٤ ، والصلاة مثلا واردة في جميع الشرائع لكن صورة الأداء عند أهل الكتاب غيرها عند المسلمين .

ويرى الدكتور أيضا أن القرآن لا يوجد فيه ما يدل على الحكومة بسلطاتها في عهد الرسول عليه السلام .

ونحن نرى أن السنة علاوة عن بيانها لأحكام القرآن الكريم أضافت أحكاما جديدة للدين . أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر « ميراث الجدة ـ وتحريم الجمع بين المرأة وعمتها والمرأة وخالتها في الزواج » الزواج والطلاق د.أبو العينين بدران .

وقد ثبت لنا عن طريق السنة بما لا يدع مجالا للشك أن عتاب بن أسيد كان والي مكة وأميرها حتى وفاة النبي صلى الله عليه وسلم فهل كان المسلمون في مكة يحتكمون إلى النبي وهو في المدينة أم كان النبي ينتقل إلى مكة لينظر في أمرهم .

بالقطع لم يحدث شيء من ذلك كله ، وهذا دليل كاف على وجود الحكومة بجميع سلطاتها في عهد الرسول .

على أن الدارس الواعي لكتاب الله يستطيع أن يقدم منه الدليل فالآية ٣٣ من المائدة « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض » . إلى من يتوجه الخطاب فيها ؟ ومن المسئول عن إصدار الحكم ؟ ومن المكلف بتنفيذه ؟ أليس ذلك من اختصاص الحكومة بجميع سلطاتها ؟ .

والآية ١٧٨ من سورة البقرة « يأيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد . والانثى بالأنثى . » ..

من المسئول عن اللحاق بالقاتل ؟ ومن الذي يقوم بالقضاء عليه ومن الذي ينفذ الحكم ؟ إن حق الادعاء أولا لولى الدم . إن شاء طلب القود وإن شاء عفا .

وحق الفصل في النزاع للسلطان أو نائبه بعد ذلك .

وفي غيبة ولي الدم يصير مسئولا عن الادعاء ـ والقصاص لأن « السلطان ولي من لا ولي له » رواه الترمذي وابن ماجه .

واختتم مقالي بقول الرسول صلى الله عليه وسلم « من يرد الله خيرا يفقهه في الدين » رواه البخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه .



وثيقة الفلاح

الأخ الصديق/ رمضان عبد الحميد عبد الله - من جامعة طنطا بمصر - كتب إلينا يسأل عن معنى الآيات الأولى في سورة « **المؤمنون** ».

ونجيب الأخ الكريم - راجين أن يجعل الله القرآن ربيع قلوبنا ودستور حياتنا - قائلين : إن الله تعالى جلت قدرته قد وعد المؤمنين - ووعد الله حق - « وعد الله لا يخلف الله وعده » وعدهم بالفوز والفلاح في الدنيا والآخرة .. وأعلنهم بهذا .. وكتب لهم هذه الوثيقة - وثيقة الخلود في النعيم الدائم .

فمن هم هؤلاء المؤمنون ؟.. وما أوصافهم ؟ وما قيمة هذه الأوصاف في حياة الفرد والجماعة والانسانية ؟

جاءت الآيات الكريمة لتجيب عن هذه الاستفهامات ..

فهم هؤلاء المتصفون :

أولا : بالخشوع في صلاتهم .. فإذا قاموا لمناجاة الله طرحوا كل شيء وراء ظهورهم ، فلم يشغلهم شاغل ، ولم يقربهم وسواس ، خلصت قلوبهم لله ، فوقفوا في صلاتهم خاشعين - وقد انعكس هذا الخشوع القلبي على جوارحهم فسكنت عن الحركة ، الا في طاعة الله ، ومن هنا كانت الصلاة راحة لهم من مطالب الحياة ، واتصالا بينهم وبين الخالق العظيم « وما أصدق قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - أرحنا بها يا بلال ».

ثانيا : وهم المعرضون عن الباطل ، فلا يشركون بالله أحدا ، ويتجنبون المعاصي ، ولا يشغلون أنفسهم بما لا فائدة فيه من لغو الكلام والأفعال .. فهم في دائرة المباح دائما .. وفي ساحة الرضوان على كل حال .

ثالثا : وهم الذين يطهرون أنفسهم وأموالهم بالزكاة . فيزكون أنفسهم بالطاعات وتنقيتها من الدنس والفحش ، والبعد بها عن مهاوى الرذيلة ، ويزكون أموالهم بالصدقة ، والانفاق في سبيل الخير والنفع العام .. ليبارك الله لهم في المال الحلال .

رابعا : وهم الذين صانوا فروجهم عن الحرام ، فلم يقعوا في جرائم العرض ، ولا كشفوا عوراتهم إلا في زواج مشروع أحله الله ، أو على ما ملكت أيمانهم من السراري ، ومن لم يخرج عن ذلك فلا لوم عليه ولا حرج ، بل اللوم كل اللوم على المعتدين الذين يتجاوزون الحدود .

ومن هنا استدل الامام الشافعي ومن وافقه على تحريم الاستمناء باليد ، وقال : فهذا الصنيع خارج عن هذين القسمين ، وقد قال تعالى : « **فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون** ».

خامسا : وهم الذين ائتمنوا لم يخونوا ، فلا خانوا الله في أماناتهم ، ولا خانوا أحدا ، فهم لأماناتهم مؤدون ، وعلى

عهودهم محافظون وبعقودهم أوفياء مخلصون .

سادسا : وفي الختام هم الذين يحافظون على صلاتهم بشروطها وأركانها ، وأدائها في أوقاتها ، لا يصرفهم عنها صارف .

ونلاحظ أن هذه الصفات الست بدأت بذكر الصلاة - حيث الخشوع فيها - واختتم بذكرها أيضا حيث المحافظة عليها والحرص على أدائها في أوقاتها ، وفي هذا دليل على مكانتها الخاصة في الاسلام .

وبهذه الصفات يرتفع الانسان الفرد إلى قمة الانسانية ، وتسعد الجماعة المؤمنة ، فالصلاة مدرسة تدعو إلى التكاتف والتعاون والمحبة ، والوقوف صفا واحدا في ساحة اللقاء مع الله سبحانه .

وبالاعراض عن اللغو .. تنتفى الشحناء والبغضاء والاساءات في المجتمع المسلم ، وبالزكاة تطهر بواطن الناس ، وتسلم أموالهم ، فلا شح مطاع ، ولا بخل ينتج عنه هلاك الفقير من الحاجة والعوز ، وموت الغني من التخمة والترف .

وبالمحافظة على الأعراض ، يسلم الشرف والنسب ، ويقوم البيت الاسلامي في جو صحي ، وتتكاتف بيوت المسلمين ليكون البناء الشامخ « دولة الاسلام ».

ودليل الحياة الفاضلة أداء الأمانات ، والمحافظة على العهود ، والوفاء بالالتزامات .

وبهذا كله تستحق الجماعة المؤمنة النصر والفوز والفلاح في الدنيا والآخرة ، وهم الوارثون للفردوس - أعلى الجنان وأوسطها حيث تنبع أنهار الجنة - وهم في النعيم الدائم خالدون .

هذا منكر

نشرت جريدة الثورة السورية بتاريخ ١٨/٣/١٩٨٣ إعلانا يمنع بموجبه دخول طلاب وطالبات جامعة دمشق الحرم الجامعي وقاعات التدريس إلا بارتداء اللباس الجامعي الموحد اعتبارا من ١٥/٣/١٩٨٣م .

وتعليقا على هذا الاعلان الذي حدد « زيا » غير مناسب إسلاميا للفتاة المسلمة نقول :

إن الاسلام حدد شروطا في الزي الذي ينبغي للفتاة المسلمة أن تخرج به من بيتها ..

من ذلك : أن يكون ساترا لجميع بدنها ما عدا الوجه والكفين .

على طالبات وط...
جامعة دمشق
إرتداء
اللباس الجامعي
الموحد
يمنع الدخول إلى الحرم الجامعي
وقاعات التدريس لمن لا يرتديه
اعتبارا من ١٩٨٣/٣/١٥

وأن يكون سميكا لا يشف عما تحته .
وأن يكون فضفاضا حتى لا يصور الجسم .
وأن يكون غير معطر .. حتى لا يلفت الأنظار إليها .
وأوجب الاسلام على ولي الأمر الخاص والعام إلزامها بارتداء هذا الزي بهذه الشروط صيانة لها من العابثين ، وابتعادا بها عن الفتنة ، وحفظا لأخلاق المجتمع المسلم .. قال تعالى : « **يأيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين** » . وقال سبحانه « **وليضربن بخمرهن على جيوبهن** » ذاك واجب ولي الأمر ، وواجب من يملكون إصدار القرار ، حيث وضع القدر في أيديهم القوة التي يستطيعون بها فرض إرادتهم .. وإذا كان الأمر كذلك ـ وهو كذلك ـ فما بالنا نجد إعلانا مثل

إن من يستبيح السفور للمرأة المسلمة ينكر معلوما من الدين بالضرورة ، وهو « الحجاب » . ويلحق الضرر الفادح بالمجتمع المسلم ، وأقل ما يمكن أن نقول : اتقوا الله أيها المسئولون ، وراعوا حرمات الله واحترموا عهدكم معه وكفانا ما نحن فيه ، فهذا منكر ، وإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، فارجعوا عن هذا القرار ، وكونوا مع الله يكن الله معكم ، وإلا فويل للمعتدين على حرمات الله .

هذا في صرح جامعي يفترض فيه أنه يؤمن بالفضيلة ، ويدعو إلى المعروف ، في دولة هى من دول المسلمين .. ما بالنا نجد هذا الاعلان يقر المنكر ، ويدعو إليه بالزام الطالبات المسلمات بارتداء زي يكشف عما حرم الله كشفه ، وأوجب ستره .

الأخ / فائز عبدالاله .. من المغرب العربي :

ليس من مصارف الزكاة الشرعية أن تشتري عددا من المجلات الاسلامية ، ثم تقوم بتوزيعها على المصلين .. ولأن المجلة يستفيد منها غير المحتاج ماديا .

ومصارف الزكاة هى : **الفقراء** ، **والمساكين** ، **والعاملون عليها** ـ وهم الذين يقومون بجمعها ، وحفظها ، ورعايتها والكتبة لديوانها ـ **والمؤلفة قلوبهم** ـ وهم الذين يراد جمع قلوبهم على الاسلام لضعف إيمانهم ، أو لكف شرهم ـ **وفي الرقاب** ـ فيشترى بها العبيد ثم يعتقون لوجه الله ـ **والغارمون** الذين تحملوا الديون ، وتعذر عليهم أداؤها ، **وفي سبيل الله** ـ والمراد به الغزو عند جمهور العلماء ويصرف هذا السهم للمتطوعين من الغزاة ، والذين لا يتقاضون راتبا من الدولة ، وكذلك يشترى به آلات الحرب ، ويشمل أيضا إعداد الدعاة إلى الاسلام في بلاد الكفر . أو يقام بها مستشفيات ومدارس في بلاد الكفر أيضا ، **وابن السبيل** وهو المسافر الذي نفد ماله وأصبح في حاجة « **إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم** » .

حاكمية الله

بين

علمانية الدكتور خلف الله

وبابوية الدكتور عمارة

للأستاذ / سالم البهنساوي

نشر الدكتور محمد عمارة كتابه الاسلام والسلطة الدينية ، وهو ما نقلت عنه جريدة الوطن مقالين تضمنا رأيه في الحكم الاسلامي ويخلص في الآتي :

١ ـ اذا قلنا إن السلطة لله كانت دينا ووحيا ومن ثم كانت سلطة دينية وكان متوليها حاكما بالحق الالهي المقدس ونائبا عن الله .

٢ ـ ان السلطة التي يزعم أربابها ان الحاكم في السياسة والاقتصاد هو الله ، تحدد بأنها تحكم باسم الله ونيابة عنه لا عن الناس .

٣ ـ ان آيات الحكم في القرآن والسنة النبوية تعني القضاء والفصل بين الخصومات وليس نظام الحكم او السياسة .

بين الصهيونية والمغالطات الدينية

لم يكن الدكتور عمارة أول من يغالط الناس في أمر الحكم الاسلامي فمن قبله أصدر الشيخ خالد محمد خالد كتابه « من هنا نبدأ » عام ١٩٥٠ وردد اقوال

اليهود الذين اسقطوا الخلافة الاسلامية بيد كمال اتاتورك وحزبه الماسوني ، وهى الأقوال التي تبناها الشيخ علي عبد الرازق في كتابه « الاسلام واصول الحكم » .

غير أن خالد محمد خالد قد عدل عن هذا التيار بعد أن ايقن هذا الخطأ وهذا الارتباط بالاعداء وعلى رأسهم اليهود ونشر ذلك في كتاب صدر عام ١٩٨٢ باسم الدولة في الاسلام فكان مما قاله « لعل أول خطأ تغشى منهجي كان تأثري الشديد بما قرأته عن الحكومات الدينية التي قامت في أوروبا وابتكروا وسائل التعذيب التي لا تخطر للشيطان نفسه ببال والاسلام حتى في فترات استغلاله من بعض الخلفاء لم يمنح اياهم سلطة بابوية كهنوتية » ص ٩ و ١٢ .

ولكن محمد عمارة ومن قبله محمد خلف الله يصران على حمل هذه الرسالة التي قال عنها صاحبهما انها رسالة الشيطان حيث يزعمان ان الحكم الاسلامي هو حكومة دينية مثل حكومة الكهنوت في أوروبا وإذا جاز للرجلين ان يحملا ما يريدان من الفكر اليهودي او العلماني او غير ذلك .

ولكن ليس لهما ان يزعما ان الحكم الاسلامي هو حكم الكهنوت . وليس لهما ان يظهرا نفسيهما في هذه المقالات بمظهر المدافع عن الاسلام وان يظهرا من خالف هذا الخلط والتخبط في مظهر المتطرف الذي يسيء الى الاسلام ويضر بالمسلمين ، كما جاء في الوطن بتاريخ ١٩/١١/١٩٨٢ و ١٨/٣/١٩٨٣ .

الوقائع بين الحقيقة والخيال

اذا كان الدكتور محمد خلف الله قد ارتدى مسوح الرهبان في مقالته بالوطن وبمجلة العربي وتظاهر بالدفاع عن الاسلام فان اقواله ومذكراته في الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية ، تظهر حقيقته، الأمر الذي لا يقبل منه ان يتحدث عن الاسلام او باسمه كعالم ومفسر .

لقد نشر هذا المركز كتابا باسم القومية العربية والاسلامية ،صدر عام ١٩٨١ ، يظهر هذه الحقيقة ، فقد جاءت فيه اقوال للدكتور محمد خلف الله تعقيبا على من يربط القومية العربية بالاسلام ومنها قوله :

١ ـ ان هذا يؤدي إلى ان يتنازل اصحاب القومية العربية عن استقلالهم عن الاسلام وهذا الأمر لا يمكن التنازل عنه وإلا أضاع القوميون الجزء الأكبر والهام من مقومات القومية وهما اللغة والتاريخ . وهذا القول يفيد حتمية استقلال القومية العربية عن الاسلام فلا يلتزم اصحابها باخلاقه وتشريعه واحكامه .

٢ ـ وقال كما يطلب منهم للربط بين الاسلام والقومية العربية ان يتنازلوا عن العلمانية وهو الآخر لا يمكن ان تتخلى عنه القومية العربية .

ثم يقول الدكتور خلف الله ان ممارسة الحياة على اساس من العلمانية « أي اللادينية » تمنح المجتمع حرية وانطلاقا في تحقيق الصالح العام على

اساس من الحضارة العلمية اكثر مما يمنحه الاسلام ، ص ٥٥ من الكتاب المذكور .

عمارة والتقرب لليهود

اما الدكتور محمد عمارة في كتابه الاسلام والوحدة الوطنية الصادر عن دار الهلال ١٩٧٩ فيقول إن اليهود والنصارى في الجنة بموجب احكام القرآن في زعمه وفهمه المريض ويرى ان الفارق بين المسلمين واليهود كالفارق بين العاملين بالكتاب والسنة والمبتدعين ص ١١٣ ، ١١٤ .

وقد تجرأ ونسب الى الطبري والقرطبي وغيرهما ما يظن انه يؤيد رأيه بعد ان نقل شطرا من كلام المفسرين وحذف الباقي . وقد فصلت الرد على هذا الضلال في كتابي (السنة المفترى عليها) بالفصل السابع والتاسع .لهذا فليس غريبا عليه أن يزعم أن آيات الحكم في القرآن التي نحن بصدد الحديث عنها قد اجمع أئمة المسلمين وعلماء تفسير القرآن الكريم على انها نزلت في اهل الكتاب وفي اليهود على وجه التحديد .

لا جدال في ان قول الله تعالى: **﴿ فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم .. الى قوله** : وكيف يحكمونك وعندهم **التوراة فيها حكم الله ﴾** .

قد نزلت في يهود ارتكبوا جريمة الزنا ثم تآمروا على سؤال النبي صلى الله عليه وسلم على عقوبة ذلك لأنهم كانوا قد بدلوا حكم التوراة ووضعوا حكما آخر للزنا غير الرجم فنزلت هذه الآيات ، ولكن ليس صحيحا ان باقي هذه الآيات خاص باليهود فقول الله تعالى: **﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾** وقوله تعالى : **﴿ وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق ﴾** وقوله عز وجل : **﴿ أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون ﴾** كل هذه الآيات الحكم فيها عام وليس خاصا بفئة من الناس .

ان كل صبي من صبيان العلماء يدرك ان الآيات تعني ان القرآن مهيمن على الكتب السابقة وأنه قد نزل للحكم به سواء فيما بين المسلمين أو على اليهود وغيرهم إن تحاكموا الى محاكم المسلمين او كانوا من رعايا الدولة الاسلامية . والقاعدة أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

انحرافات عمارة

ان اهم انحرافات الدكتور عمارة في بحثه المنشور بالوطن هى :

١ ـ غالط فخلط بين التشريع الاسلامي الذي هو من عند الله ، والسلطة السياسية التي يتولاها الحكام فزعم ان من ينادي بحاكمية الله يريد حكومة دينية الحاكم فيها معين من الله ويحلل ويحرم كما يشاء ولا يملك الناس ان يعزلوه او يحاسبوه كما كان الحال في ظل حكومة الكهنوت في اوروبا .

٢ ـ غالط فزعم ان مفهوم الحاكمية لله يعني الحكومة الدينية سالفة الذكر وهو يعلم ان الحاكمية في المفهوم الاسلامي هى التشريع والقضاء وانه لا كهنوت في الاسلام .

٣ ـ غالط فزعم ان من ينادي باحتكام الناس للاسلام في السياسة والاقتصاد انما ينادي بالحكومة الدينية في اوروبا ، وهو يعلم ان هذه الحكومة لا وجود لها في التشريع الاسلامي ولا بين المسلمين ، ويعلم ان العلماء المعاصرين الذين نقل عنهم مثل المودودي وسيد قطب قد صرحوا في كتبهم ان الحاكم يعين من الناس بالاختيار وهم يملكون حق عزله ومحاسبته خلافا لحكومة الكهنوت في اوروبا .

٤ ـ غالط فادعى ان آيات الحكم في القرآن والسنة تفيد القضاء والفصل بين الناس في الخصومات ولا تتضمن السلطة السياسية وهو لا يجهل امورا منها :

أ ـ ان آيات الحكم منها ما يتعلق بالقضاء ومنها ما يتعلق بالتشريع ففي التشريع قال الله تعالى : **﴿ أفحكم الجاهلية يبغون ﴾** . ويقول : **﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾** .

ب ـ ان الاحكام الواردة في القرآن والمخاطب بها الانبياء لم تنزل اليهم بصفتهم قضاة في غير سلطة سياسية او قضاة في سلطة جاهلية ، بل نزلت اليهم بصفتهم حكاما بين الناس في الدولة التي اقاموها ، قال الله تعالى : **﴿ يا داوود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى ﴾** .

ج ـ ان النبي قد حكم بين الناس بصفته رئيسا للدولة وصاحب السلطة السياسية وليس بصفته حكما مختارا من نفر أو قبيلة قال الله تعالى : **﴿ إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ﴾** وقال : **﴿ خذ من أموالهم صدقة ﴾** وقال لنبيه : **﴿ جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ﴾** .

د ـ ان السنة النبوية تفصح عن هذه السلطة فالنبي عندما بعث معاذ بن جبل الى اليمن قال له بم تحكم قال بكتاب الله ، ، قال فان لم تجد ، قال بسنة رسول الله ، قال ان لم تجد ، قال اجتهد برأيي ..

فكان معاذ مبعوثا قاضيا من قبل النبي بصفته رئيسا للدولة التي تضم من بين اوطانها اقليم اليمن ، والحديث النبوي يحدد مصادر التشريع والأحكام ، ولكن من قال ان اليهود بمثابة فرقة من المسلمين ، لا يصعب عليه ان يكمل هذه الرسالة .

عن جريدة الوطن الكويتية بتاريخ ١٩٨٣/٣/٢٥ .

إنها أحاديث مقصودة

تحت هذا العنوان نشرت جريدة الأنباء الكويتية في عددها الصادر بتاريخ ١٩٨٣/٤/٤ كلمة للدكتور / ابراهيم مكي .... جاءت تعقيبا على ما نشره توفيق الحكيم في جريدة الأهرام المصرية من أحاديث صور له شيطانه أنه يتحدث فيها مع الله .... و« للوعي الاسلامي » تعقيبها الخاص على أحاديث حكيم زمانه ... سننشره في عددنا القادم إن شاء الله ...

والآن مع ما كتبه الدكتور مكي .... يقول : -

كثيرون علقوا على احاديث توفيق الحكيم مع الله (نستغفر الله) التي نشرتها له الاهرام ودافعت بعد ذلك عن نشرها بحجة حرية الفكر واحترام الكلمة . البعض قال إنه - اي الحكيم - قد (هلوس) بعد ان تجاوز الثمانين وبعضهم قالوا هذا ما ينضح به اناء المنحرفين في الفكر عن مبادىء امتهم . ويعتقد البعض - والعبد لله منهم - ان الحكيم مازال واعيا جيدا لواقعه ولاقواله وان احاديثه موجهة تماما ، ويشهد الواقع العربي المعاصر ، على امثلة كثيرة من قبيل احاديث الحكيم حيث يتم بواسطتها لفت انظار الجماهير عن واقع مؤلم الى صراع دون دون كيشوتي مع طواحين الهواء ! الشعب المصري معروف بتدينه الاصيل وبمشاعره الدينية العميقة .... فافضل وسيلة لكي نبعد انتباهه عن مآسي الوضع الاقتصادي السيىء والتردي السياسي الذي مازال مخيما على وادي النيل ، وننسيه محاكمات الشباب بحجة التطرف الديني ، وتكبيل حرية الرأي بحجة تنظيم مهنة المحاماة ، نقول للوصول الى كل ذلك فلنطلق بوقا من ابواق الثقافة الغربية الاستعمارية المتعفنة ليرفع الكلفة مع الخالق ويتحدث اليه - جل جلاله - بتلك الصفاقة التي ما بعدها صفاقة وحينئذ سيرد العلماء ويثور الاولياء ويتوسط الرؤساء ويمر الاهم الذي يريدون والناس مشغولة بالغم الذي يطلقون .... مشكلة الشعوب غير الواعية ان الخبثاء يحركونها حينما يريدون ويفجرون حماسها فيما يبتغون .... ولو ان الامة ارتقت فكريا لتغدت بهؤلاء المأجورين قبل ان يتعشوا بها .



مكانة المرأة في الاسلام

تحت هـذا العنـوان كتب الأخ الاستاذ/ عبد الفتاح العيسوي يقول :

يظن بعض الناس أن الاسلام هضم المرأة حقها .

حيث أعطاها نصف نصيب الرجل من الميراث .

وجعل الرجل يتزوج بـأكثر من واحدة .

وجعل الطلاق بيد الرجل .

فاذا نظرنـا الى وضع المـرأة في العصور القديمة والوسطى عند اليونان والرومان وغيرهم لوجدنا أن المرأة كانت كالمتاع فلم يكن لها الحق في التملك عن أي طريق ، ولم يكن لها ميراث أصلا ولم يكن لها حظ من التعليم .

أما الاسلام فقد أوجب العلم على كل مسلم ومسلمة . كما أوجب على أمهات المؤمنين تلاوة القرآن الكريم وتعليم العلم . قال تعالى :

(واذكرْنَ ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة) .

ولقد اشتهرت عائشة أم المؤمنين بالإلمام بالرواية والفقه ومعـرفة التاريـخ .

وقـد اشتركت المـرأة في عصور الاسلام الزاهرة في كثير من المواقع الحربية ، وكان لها دور بارز في أكثر من ميدان ، كانت تضمد الجراح ، وتسقي الجرحى ، وتدفع في صدور الأعداء ، وتشارك في رسم سياسة الدولة .

وينسى الأعـداء أن الاسلام قـد ساوى بين المرأة والرجل في جميع الحقوق تقريبـا . وقد يعتـرض البعض على قسمة الميراث التي جـعلت للمـرأة نصـف نصيـب

الـرجـل ، وأن ذلـك إجحـاف بحقوقها . وإنما الحقيقة أن حظها يزيد إذا عرفنا أن المرأة مكفولة بالرجل في معظم أدوار حياتها ، وأنه يجب عليه شرعا أن ينفق عليها .

وأنها في كثير من حالات الميراث يتساوى نصيبها بنصيب الرجل مع تساويهما في درجة اتصالهما بالمتوفي ، كنصيب الأم والأب في بعض مسائل الميراث ، وقد يزيد نصيب المرأة عن نصيب الرجل كزيادة نصيب البنت عن نصيب الأب مثلا .

أما مسألـة الطلاق فقـد اباحـه الاسلام . وقال عنه الرسول إنه أبغض الحلال الى الله . كما اتفق فقهاء المسلمين على النهي عنه ، وجعل الاسلام الطلاق بيد الرجل ، لأنه هو المسئول عن الأسرة وتدبير معاشها وتربية أبنائها ، وربـاط الزوجية هو أساس هذا كله ،

ولما كانت المرأة ـ بحكم ما فطرها الله عليه معروفة بسرعة الانفعال والتـأثير بـأوهى الأسباب فلـو وُضِعَتْ العصمة في يدها لتعرضت الحياة الأسرية للخطر عند حدوث أقـل المؤثرات علمـا بأن الـدين الاسلامي الحنيف قد وضع قيودا من شأنها أن تحول بين الرجل والعبث برباط الزوجية والتخلص منه لسبب غير معقول ، فكلفه أن يدفع للمرأة صداقا ، ومنعه أن يأخذ من ذلك الصداق شيئا عند الفراق حتى يكون في هذه الخسارة المالية ما يحول بينه وبين الطلاق ، وما سوف يحتاج إلى إنفاقه على الزوجة الجديدة ، كما يعرض ما بينه وبينها من خلاف على حكمين من أهله وأهلها . بغية التوفيق الودي بين الزوجين .

وبالنسبة للمرأة فقد أمر الاسلام الرجل بإحسان معاملتها ورعايتها .

وقد أخذ مشرعو أوربا اليوم بما عـابوه عـلى الاسـلام بـالأمس ، فشرعوا الطلاق بعد أن ألجأتهم الى تشـريعـه الحـاجـة والضـرورة القصوى ، وبعد أن ظهرت لهم حكمته ووجهة نظـر الاسلام في تشريعه . وتحريم الطلاق بما فيه من ضرر يشبه تحريم الجراحة لأن

الجراح يضطر الى بتر بعض أعضاء المريض الفاسدة حتى لا تفسد عليه حياته كلها ، على أنه ليس ثمة خطر من شرعية الطلاق ، إذ ليس الطلاق هو الذي يفسد الحياة الزوجية ويفك عراها المقدسة ، وإنما هو سر التفاهم الذي يقع بين الزوجين ويعوق أحكام هذه العروة ويدك صرحها .

والطلاق وحده هو الذي يضع حدا لما عسى أن ينشأ بين الزوجين من نفور قد يستفحل ويصبح شرا مستطيرا على المجتمع .

أما أن للرجل أن يتزوج بأكثر من واحدة فله فوائد ، كما يحدث في المجتمعات التي تحتاج إلى زيادة النسل ، وتوفير الأيدي العاملة في الحرب والسلم ، وهناك حالات قهرية أخرى يلزم فيها الزواج بأخرى ، من ذلك عقر المرأة أو مرضها . ولكن مصلحتها تقتضي بقاءها مع زوجها على أن الاسلام وإن أجاز التزوج بأكثر من واحدة لكن بشرط ليس من اليسير تحقيقه على أكمل وجه . وهو العدل بين الزوجات .

ليس قوامة الرجل على المرأة تسلطا أو طغيانا

كتب الأخ/ **احمد سيف الاسلام عطية** ـ من الكويت ـ تحت هذا العنوان يقول :

فقد جعل الله تبارك وتعالى الزواج صلة مشروعة من أيام آدم عليه السلام لأن الزواج هو السبيل الوحيد لبقاء الانسان ، واستمرار الحياة والأساس لقيام الأسرة والمجتمع فإن نشأت الأسرة قوية اللبنات نشأ المجتمع القوي العظيم لهذا اهتم الاسلام بالأسرة إذ يقول الله سبحانه وتعالى :

(ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة) الروم/٢١ . اذن فالأساس الذي يبنى عليه الزواج هو المودة والرحمة حتى تنشأ الأسرة القوية وقد أوجب الأسلام إلزام الزوج بالإنفاق على زوجته كما ورد في الكتاب والسنة . والنفقة واجبة للزوجة من حين العقد الصحيح ، فإذا امتنع الزوج عن الإنفاق كان للزوجة أن تطلب أمام القاضي تطليقها لعدم الانفاق لأن النفقة حقها على الزوج ، منحها الله إياها بقوله تعالى **(لينفق ذو سعة من سعته ومن قَدِرَ عليه رزقه فلينفق مما أتاه الله لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها)** الطلاق/٧.

وكثيرا ما يمتنع الأزواج عن الإنفاق على زوجاتهم ، ومـا أكثرهم هـذه الأيام ، فهم بذلك ينكرون حقا قد فرضه الله عليهم نحو زوجاتهم ، فمنهم من يهجر زوجته داخل البلاد أو بالسفر خارج البلاد والغياب مدة طويلة تتراوح بين عامين وأكثر دون إنفاق فلس واحد على زوجته اعتقادا من بعضهم بأنهم بذلك قد يصلحون أمرا ، ولكنهم في الحقيقة مخطئون في اعتقادهم هذا لأنهم يفسـدون كل شيء ، ويهدمون أسرهم ، وينكرون حق الله الذي فرضه عليهم ، ومن

ينكر ذلك فهو آثم قلبه ولا يستحق أن يكون ربّاً لأسرة .

ومن الأمور الواجبة على الزوج أيضا ، حسن العشرة ، وهو أمر أكد عليه الإسلام . والمرأة أيضا مطالبة به حتى تسـود المودة والـرحمة بـين الأسرة ، ولكن نرى هذه الأيام بعض الأزواج يرى قوامته في البيت فرض هيمنتـه بالتسلط والأوامـر والقهر والتهديد والايذاء ، وعدم احتـرام شريكة حياته ، وهذه الأعمال تهدم الاسرة ولا تبني ولا توفر السعادة والهناء ، وكثيرا ما تلقي الزوجة من الذل والهوان الشيء الكثير وكأنها سجينة تتلقى شتى أنواع التعذيب على يد الزوج الظالم الطاغي ، الآمر الناهي ، وتضيع شخصيتها وكرامتها وإنسانيتها ، ويتناسى الزوج أن التي أمامه إنسانة كرّمها الله ، وسن لها حقوقا على الزوج ، وعلى الزوج ألا ينسى أن له أختا هي كزوجه ، وله ابنة سوف تكون زوجة وله أيضا أم في عصمة أبيه ، وبالطبع يحرص على أن يكنّ سعيدات في أسـرهنّ ، ومـع أزواجـهن وأن يـعشن في سـلام اجتمـاعي يسوده العـدل والمـودة والمحبة .

إذن يجب عليه أولا أن يطبق هذا في أسرته ومع زوجته قبل أن ينادي به لأقاربه ولكن قد تتحجر قلوب البعض من الأزواج ، ولا يستجيبون لقول الله تعالى : (**وعاشروهن بالمعـروف**) النساء/ ١٩ .

وقول الرسول عليه الصلاة والسلام ((**استوصوا بالنساء خيرا**)) .

ومع شدة وتكرار الايذاء والقسوة في المعاملة لا تجد المرأة سبيلا أمامها من التخلص من هذا الجحيم إلا المطالبة بالطلاق بعد أن يستحيل الصلـح والإصلاح من قبل الأهل وأصحاب الخير والمعروف ، فعندما تطلب المرأة من زوجها أن يطلقها وتقول له علنا : إنها لا تريده ، ولا تريد العيش معه ، يقابل هذا الطلب بكل برود ، ويتمادى في ظلمه وقهره ، وكأنها طلبت شيئا مستحيـلا ، أو أقامت الـدنيا ولم تقعدها ويبدأ باستخـدام جبروتـه بالطرق القضائية ، وذلك بطلبها في بيت الطاعة وخلاف ذلك متظاهرا أمام القضاء والناس بأنه الرجل المثالي الذي لا مثيل له في هذه الدنيا ، وأنه يحسن عشرتها ولا ينقصها أي حق

من حقـوقها عليـه ، ويتمـادى في ادعاءات كاذبة يبرر بها موقفه أمام الناس وقد نسى أن ربّ الناس هو الذي يعرف كل شيء وسوف يحاسبه يوم تقوم الساعة .

فبـالله عليكم أيهـا الأزواج أيهـا المسلمون كيف تبني هذه الأسرة من جديد ؟ بعد أن تفككت ووصلت إلى هذا الحد من الذل والاهانة واستحالة العيش ، فلو فكر قليلا هذا الزوج الأمبراطور بأن تعيش معه امـرأة تلفظه وتكرهه ولا تريده بعد أن أذلها وأهانها وأفقدها احترامها له وفقد احترامه لها . فلم يعد للاسرة أي أمان بعد هذا الهوان ، ولم يعـد للأسرة أي استقرار وسكينة بعد الإهـانــة . يقـول اللـه تعـالى : (**فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف**) البقرة/٢٣١.

فبالرغم من أن الطلاق هو أبغض الحلال عند الله إلا أن الله شرعه عندما يكون هو الحل الوحيد بعد استحالة العشرة واستحالة الحلول العرفية . يقول الله تعـالى (**وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته**) النساء/ ١٣٠

إذن الحكم ببقاء العشرة وتحريم الطلاق في مثل هذه الحال على الزوجين حكم ظالم لكليهما لأن الطلاق شرع كعلاج لاضطراب الحياة الزوجية ، وقد يشذ الرجل ويمعن في إساءته للمرأة فلا يطلّقها ولا يمس عشرتها وذلك حرصا على المال الذي سوف يدفعه بعد الطلاق (مؤخر صداق ونفقة وعدة) فهو بهذا رجل مادي حاقد وما أكثرهم هذه الأيام ، فهم بذلك ينكرون حدود الله ، ومن ينكر حدود الله فهو مُعتدٍ أثيم . ويظل يتمادى في الإساءة للمرأة متعمدا حتى تشتري حريتها وراحتها باعطائه شيئا من المال يتراضيان عليه ويسمى هذا بالخلع وهنا نقول : إن الرجل يستغل الحق الذي منحه الله تعالى إياه ، وهو القوامة في غير مكانها الصحيح ، وفيما منح من أجلها ..

فقد منح الرجل هذا الحق وهذه المنزلة للإسعاد وليس للإفساد ، ولإعطاء الحقـوق وليس لضيـاع الحقــوق ومنعها ، فكثيرا ما يستغلها الرجال ضعـاف النفوس وضعـاف الـدين والحاقدون المنكرون لعطاء الاسلام وعطاء الله ، يقول تعالى :
(**وللمطلّقات متاع بالمعروف حقا على المتقين**) البقرة/٢٤١ ، وهذا يدل على حرص الاسلام وعنـايته بتكـريم المرأة حتى عنـد تطليقها وترضيتها وتعـويضها وتـرك لمسة معروف ووفاء في نهاية هذه العلاقة ومن ينكر هذا ويتناساه فهو مكابر وجاحد وظالم وآثم قلبه ، اللهم اهدنا إلى الصراط المستقيم واجعلنا من الـذين يستمعون القـول فيتبعـون أحسنه واجعلنا مسلمين في أعمالنا ومعــامــلاتنــا حتى نسلم وتسلم مجتمعاتنا وأمتنا من الضلال والفساد اللهم آمين .

مع الصحافة

تقارير الصحافة ومقالاتها في هذه الأيام توحي للقارىء بما يشبه أن يكون إعلان حالة الطوارىء على الصعيد العالمي . فالتطور السريع للأحداث لا يكاد يتيح للصحافة أن تستوعب تتابع الأحداث ، أو تحيط بملابساتها إحاطة كافية ، فضلا عن تناولها بالدراسة المفصلة الدقيقة .

ومع ذلك يمكننا أن نكون انطباعا ، على جانب من الوضوح ، عن الخطوط العامة للأحداث . فعلى الصعيد الدولي تمضي الولايات المتحدة الأمريكية مضيا حثيثا في إحكام هيمنتها على عدد من مناطق النفوذ في العالم ، مستخدمة في ذلك عددا من حلفائها ، سالكة في ذلك أساليب متنوعة : عسكرية وسياسية واقتصادية . على حين يسعى الاتحاد السوفياتي الى أستعادة مكانته ونفوذه الدوليين ، على نحو لافت للنظر ، بعد ظهور « أندروبوف » . واذا كان هذا التزاحم بين الكبيرين لا يمكن أن يؤدي ـ في أغلب الظن ـ إلى حرب عالمية ثالثة ، فانه لن يمر دون أن يترك آثارا قد تكون خطيرة ، ولكن خطورتها سوف تشمل بالدرجة الأولى حلفاء الكبيرين ، وليس الحلفاء الأقوياء طبعا ، بل أولئك الذين يمكنهم أن يدفعوا الثمن وهم ساكتون : من أرواح الشعوب المقهورة ، وأموالها ، وسيادتها ، وسائر مصالحها .

وعلى الصعيد الاقليمي ، تدفعنا هذه الملاحظات إلى أن نتوقع حدوث عدد من الانفجارات الاقليمية في بعض مناطق الاحتكاك بين نفوذ الكبيرين . وربما كان الشرق الأوسط أكثر المناطق قابلية للانفجار ، وهذا ما تشير إليه جملة من الأحداث السريعة التي تجري الآن .

وتضيف الأزمة الاقتصادية العالمية ملامح أخرى ، تزيد هذه الصورة القاتمة تعقيدا وتشاؤما ، وهذا ما توضحه اهتمامات الصحافة العربية والعالمية في هذه الآونة . ولعل أبرز ما يسعنا عرضه في هذا المجال : آخر تطورات أزمة الأوبك ، وأحتمالات أزمة الصواريخ سام ٥ ، وحملة الارهاب الصهيونية ضد الفلسطينيين في جنوبي لبنان ، والعدوان اليهودي الجديد على المسجد الأقصى ، ولا يمكننا أن نغفل الاشارة إلى مؤتمر قمة دول عدم الانحياز .

○ حرب النفط هل خمدت ؟

انجلت أزمة منظمة الأوبك عن تخفيض أسعار النفط « ٥ » دولارات للبرميل . وقدر بعض الخبراء أن خسارة دول الأوبك ستبلغ « ٣٠ » بليون دولار على أساس تحديد الانتاج بـ ١٧,٥ مليون برميل يوميا . أما توزيع حصص الانتاج بين دول الأوبك ، وهو موضوع الخلاف ، فلم يطرأ عليه ما يعتبر تغيرا جوهريا ، ولذلك يعرب بعض الخبراء عن عدم اطمئنانهم إلى استقرار التسوية الأخيرة .

كتبت صحيفة الأنباء الكويتية في ٢٨ جمادى الأولى مقالا يوضح بعض ملابسات الصراع في الميدان النفطي جاء فيه :

يقول الخبراء ان نجاح « الاوبيك » في تحديد سعر الاشارة لن يحصنها ضد تخفيض اخر ستضطر بريطانيا الى اعلانه قريبا . وهذا معناه ان نيجيريا ستخفض سعرها مرة ثانية لكي يظل ـ كما وعدت ـ ادنى من مستوى سعر النفط البريطاني . وقد ينتهي التدهور الى الانفلات من جميع الضوابط والقيود ويصبح النفط سلعة معروضة في سوق المنافسة الحرة مثلها مثل السلع الأخرى .

ويتساءل المراقبون بخوف عن الوضع الاقتصادي الذي سينشأ عن حرب الأسعار ، وكيف أن التمرد على الصيغة الجديدة سيحمل بين طياته كل اسباب زعزعة النظام المصرفي العالمي . وهم يؤكدون أن تخفيضا طفيفا في أسعار النفط يمكن أن يساعد على تخفيض مستوى الأسعار العالمية وتحريك الانتاج . أما التخفيض المرحلي الكبير فمن شأنه أن يخلق أزمة للنظام المصرفي يصعب تقدير عواقبها . ذلك أن دول « الأوبيك » نفسها ستضطر إلى أجراء سحوبات ضخمة من حساباتها لتمويل المشاريع والالتزامات والواردات التي ستعجز قطعا عن تسديد اثمانها من عائدات النفط ويقدر أحد المصرفيين في الخليج أن الالتزامات المادية بالنسبة لصفقات الأسلحة ومشاريع الاعمار فقط يزيد حجمها على عشرين مليار دولار . ناهيك عن أغراض التنمية الأخرى والاستحقاقات والاحتياجات القصيرة الآجل .

ويؤكد معظم الذين تناولوا الموضوع في الصحافة العربية على أن أزمة الأوبك مخطط لها من قبل الدول الصناعية المستهلكة للنفط ، لأهداف أقتصادية وسياسية ، جاء في المقال المذكور آنفا إيضاح لجانب من هذه المسألة كما يلي :

● يستدل من مراجعة المواقف السياسية والأقتصادية لجميع الدول وخاصة الدول الغربية المستهلكة ، أن الحرب ضد منظمة الأقطار المصدرة للنفط « اوبيك » لم تنفجر في شهر شباط الماضي . أي أن قرار الاتحاد السوفياتي بتخفيض سعر برميل نفط الأورال دولارين ، وقرار بريطانيا بتخفيض ثلاثة دولارات ونصف لسعر برميل نفط بحر الشمال مع ما تبعهما من قرارات مفاجئة قامت بها نيجيريا بتخفيض سعر نفطها حتى الثلاثين دولارا لسعر البرميل ، هذه كلها كانت مؤشرات واضحة لحرب الأسعار ضمن خطة لم يباشر بتنفيذها الا بعد ما انتهت اميركا من جميع مخزونها من النفط الاستراتيجي وبعدما شحن الرأي العام ضد هذه المنظمة التي صورت بأنها مسؤولة عن التضخم والبطالة والكساد وأكثر الأزمات الاقتصادية في العالم .

وكتبت صحيفة القبس الكويتية حول هذه الناحية مقالا في ٣٠ جمادى الأولى تحت عنوان « استعانوا علينا بأنفسنا » جاء فيه :

... وكان استخدام النفط كسلاح في عام ١٩٧٣ « الشاردة » التي نامت بعدها الدول المنتجة للنفط ، وسهر الغرب بعدها لا ليختصم ولكن ليفكر ويدبر ويخطط ، ولنتعرف على هذه الأفكار والتدابير والخطط علينا أن نعود بذاكراتنا إلى أهم التصريحات الصادرة عن الادارة الاميركية والتي لخصها كيسنجر في مقابلة مع « النيوزويك » في يناير ١٩٧٥ ، وأهم ما ورد في تلك المقابلة :

« يعتقد كيسنجر ان سياسة الطاقة التي طورتها الولايات المتحدة تعتبر افضل المنجزات الدائمة بعد معاهدة الحد من الأسلحة النووية ، وأن الاجراءات التي بدأت الولايات المتحدة باتخاذها في ذلك الوقت (١٩٧٤) يمكن أن تمثل بداية لأعادة بناء العلاقات بين الدول المتقدمة صناعيا وأن تكون جسرا يوصل هذه الدول إلى الأقطار المنتجة للنفط ، وأضاف كيسنجر بأنه عندما فشل الغرب في حملته لتخفيض الأسعار بدأ يبذل كل امكاناته لمجابهة ارتفاع الأسعار

وكلا الأمرين مرتبط بالآخر ، وذلك باستعمال وسائل وقائية فعالة وتطوير موارد بديلة للطاقة واكتشاف موارد جديدة للنفط ، كل هذا سيؤدي إلى تغيير التوازن بين العرض والطلب . » .

ثم تقول الصحيفة :

ان الدول الصناعية وعلى رأسها الولايات المتحدة قد استعانت علينا بأنفسنا في تنفيذ خططها خلال السنوات العشر الماضية فأوجدت ثم دعمت جانبا في الأوبيك نادى بتخفيض الأسعار المقرون بزيادة الانتاج زيادة تفوق الحاجات الفعلية للعالم من الطاقة وتفوق مقدرة هذا الجانب الاستيعابية ، موهمة اياه بأنه يعمل من أجل صالح الاقتصاد العالمي والبشرية جمعاء والدول المصدرة للنفط ، ولكنه في واقع الحال يبدد ثروة ناضبة ويحولها إلى استثمارات نقدية في الدول الصناعية تدار بمعرفتها ولصالحها في معظم الأحيان ، ويأكل التضخم جزءا كبيرا منها ، ويستهلك الباقي على الانفاق الاستهلاكي غير المنتج .

○ بعد ان تذوب ثلوج البقاع ..

لخص أحد السياسيين اللبنانيين ـ غير الرسميين ـ أزمة صواريخ سام ٥ في مقابلة أجرتها معه مجلة الحوادث اللبنانية (العدد ١٣٧٥) جاء فيها قوله :

المعلومات المتوافرة حتى الآن تشير إلى أن الصواريخ الجديدة الآتية من الاتحاد السوفياتي قد وضعت على أرض سورية ربما كي لا تقوم اسرائيل على قصفها كما فعلت مع صواريخ « سام ـ ٦ » في البقاع ، ولكن اذا ما وضعت هذه الصواريخ الجديدة والتي يبلغ مداها ٣٠٠ كيلو متر ، في البقاع فان اسرائيل ستعمل على قصفها أو تعطيل دورها ، والمعروف أن الاتحاد السوفياتي لن يتدخل في مثل هذه الحال ، لأن موسكو تتعهد بالمساعدة في حال تعرضها لاعتداء ضمن الأجواء السورية .. أو على الأراضي السورية ، ولكن السؤال المطروح هو التالي : هل ان اسرائيل ستضرب هذه الصواريخ الجديدة ذات الطابع العسكري الخطير حتى ولو وضعتها سوريا على ارضها ؟ ربما أقدمت اسرائيل على ذلك لأنها تعمل دائما على خوض « الحروب الوقائية » واذا حدث ذلك فإننا نكون عشية وقوع الحرب الثالثة اذا قرر الاتحاد السوفياتي العمل بموجب المادتين السادسة والعاشرة حيث يصعب عليه التهرب من ذلك .

وكتبت صحيفة الغارديان البريطانية مقالا في الأسبوع الأخير من جمادى الأولى حللت فيه الوضع العسكري في البقاع ، وناقشت بعض الفروض المتوقعة لتطور الأحداث ، جاء فيه :

تنتشر الفرقة السورية المدرعة الأولى في وسط الوادي وخلفها مباشرة تتخذ الفرقة المدرعة الثالثة مراكزها لحماية الطريق الى دمشق التي تبعد عنها ٢٥ ميلا .

ويقول الاسرائيليون أن هاتين الفرقتين اللتين تعتبران طليعة القوات السورية تملكان ٥٠٠ دبابة سوفيتية حديثة كما أن هناك عددا مماثلا من الدبابات ، عبر الحدود يمكن استدعاؤه خلال دقائق . **وهناك اسباب قوية جعلت سوريا تحشد مثل هذه القوة في ارض مكشوفة لا توفر المجال اللازم للمناورات .**

فبعد أن شق الاسرائيليون طريقهم الى الوادي خلال غزوهم للبنان في الصيف الماضي أنتشر الجيش الاسرائيلي في الطريق المؤدية إلى قلب الأراضي السورية فأصبحت دمشق في مرمى مدافعهم .

والسؤال المطروح الآن هو : ماذا سيفعل السوريون حيال هذا الوجود الذي يهدد بيتهم عندما يذيب الربيع الثلج وتبدأ الأرض بالجفاف في غضون بضعة أسابيع .

ضابط اسرائيلي يقول إن الانتشار السوري دفاعي بطبيعته ولكن الوحدات السورية المتواجدة في البقاع مجهزة تجهيزا جيدا بالمدفعية والمدرعات ، لذلك بامكانهم أن يشنوا حربا

بالمدفعية في الربيع ، ولكننا لن نلعب معهم هذه اللعبة .

إن احتمال قيام سوريا بمحاولة استنزاف القوات الاسرائيلية في لبنان من خلال التراشق المدفعي البعيد المدى ونشاط مقاتلي منظمة التحرير الفلسطينية في الربيع يثير مخاوف لها ما يبررها في واشنطن ، ومن المؤكد أن وزير الدفاع الاسرائيلي الجديد موشيه ارينز سيرد على السوريين بقصف جوي قوي وهجمات برية قوية في وادي البقاع ، ومما لا ريب فيه أن استئناف القتال سيمتد إلى سوريا التي يتواجد فيها ٢٠٠٠ مستشار سوفيتي جديد ، وصلوا إلى سوريا في اواخر العام الماضي ، بالاضافة إلى وجود صواريخ سام ٥ السوفيتية الصنع .

أضف الى ذلك أن هناك أسبابا قوية تدفع سوريا للبقاء في لبنان .

○ لم تنته « صبرا وشاتيلا » بعد .

ما يزال الفلسطينيون يتعرضون لصنوف من القمع والارهاب في لبنان وفي فلسطين المحتلين ، وتشير التقارير الصحفية الواردة من جنوبي لبنان إلى أن ثمة مخاوف كبيرة من أن يتعرضوا لعمليات إبادة شبيهة بما حدث في صبرا وشاتيلا وقد حدث بجرائم التسميم الجماعي داخل الاراضي المحتلة .

كتبت صحيفة نيويورك تايمز مقالا في أواخر جمادى الأولى ، صورت فيه جانبا من أوضاع الفلسطينيين هناك جاء فيه :

بدأت في الشهر الماضي حملة مدروسة من الارهاب والتهديد والتخويف ضد الفلسطينيين المقيمين في لبنان . هذا ما أكدته مصادر الأمم المتحدة وغيرها .

الفلسطينيون المدنيون وخاصة اولئك الذين يعيشون قرب صيدا - وكذلك عدد من مسؤولي وكالة غوث اللاجئين - يؤكدون ان اللاجئين قد تعرضوا لهجمات بالقنابل ولعمليات قتل واختطاف واقتحام لمساكنهم خلال الليل اضافة الى توزيع منشورات تهديد تهدف كلها الى بث الرعب في نفوس الفلسطينيين لاقناعهم بالعودة الى مخيمات اللاجئين المكتظة .. أو مغادرة لبنان كله .

ويقول الفلسطينيون إن تأخر الحكومة اللبنانية في اجراء التحقيق اللازم في ظروف المذبحة « صبرا وشاتيلا » قد عزز مخاوفهم من أن اولئك الذين يقومون بأعمال العنف ضدهم لن يتعرضوا لأي عقاب .

○ « تطبيع العلاقات » بين اليهود والمسجد الأقصى !

أشارت بعض تقارير وكالات الأنباء إلى أن هناك مخططا يستهدف تدمير المسجد الأقصى لاجتثاث أي صلة للمسلمين به ، وأن هذا المخطط تقوم بتنفيذه منظمة (صندوق جبل المعبد) . وأن المنظمة يمولها أغنياء من اليهود والمسيحيين في الولايات المتحدة . ورد هذا في رسالة بعث بها وزير الدولة لشؤون الأرض المحتلة إلى السكرتير العام للأمم المتحدة ، ونقلها السفير الأردني .

ولعل ما قام به عدد من اليهود في ٢٥ جمادى الأولى في المسجد الأقصى خطوة لتنفيذ المخطط المذكور .

ولقد كتبت صحيفة ليبراسيون الفرنسية مقالا في أواخر جمادى الأولى صورت فيه جانبا من الحدث . وقبل أن نورد بعض ما جاء في المقال ينبغي أن نشير إلى أن الحكومة الاسرائيلية تمهد عادة ، لما تنوي أن تنفذه من أهداف ، بعمليات استفزاز يقوم بها يهود منظمون ومسلحون أيضا . وواضح في المقال المذكور أن موقف الحكومة الاسرائيلية يؤكد هذه الحقيقة . جاء في مقال (الليبراسيون) :

تدهور الوضع كثيرا خلال الايام الاخيرة في الضفة الغربية حيث تتزايد الحوادث يوما بعد يوم وتزداد خطورة باطراد بين المستوطنين الصهاينة والمقيمين العرب .

وقد توصلت قوات الأمن الاسرائيلية إلى تجنب استفزاز كبير للمشاعر الدينية للمسلمين عندما اوقفت ليلة الجمعة الماضي ٤٥ متطرفا صهيونيا حاولوا دخول ساحة المسجد الأقصى وقبة الصخرة في القدس المحتلة . ويعتبر ذلك المكان ثالث مكان مقدس في الاسلام الا أن اليهود يعتبرونه بدورهم المكان الذي يوجد فيه معبد سليمان الذي بقي منه « حائط المبكي » .

وقد أعترف ناطق رسمي باسم الشرطة الاسرائيلية أنه لو نفذ المتطرفون جريمتهم لقامت صدامات دامية بين المسلمين واليهود خاصة أن حدة التوتر زادت بسبب استفزازات المستوطنين الصهاينة ، والقاء الشباب الفلسطيني للحجارة عليهم وعلى الشرطة ، وقيام مظاهرات احتجاج عارمة ضد زيارة الرئيس الأميركي السابق جيمي كارتر إلى المنطقة مما أدى إلى إعلان السلطات الصهيونية عن منع التجول في معظم المخيمات الفلسطينية .

وقد قام بعض المستوطنين بنهب منزل أحد المواطنين العرب وأطلق آخرون النار على بعض المنازل لادخال الرعب في نفوس ساكنيها .

ولم تتخذ السلطات الاسرائيلية أية اجراءات لاعادة الهدوء رغم أنها تظاهرت بالتنديد بتصرفات المستوطنين . بل بالعكس اكد آرنز وزير الحرب الاسرائيلي هذا الاسبوع أنه لن يتم استرداد الاسلحة من المستوطنين وبالمقابل أعلن عن اتخاذ اجراءات قمعية ضد الفلسطينيين الذين رموا الحجارة على الشرطة واليهود .

وأعلنت السلطات الاسرائيلية من ناحية اخرى وفي ذلك الجو المتوتر أنها ستبني مستوطنة جديدة قرب نابلس المدينة العربية الموجودة شمال الضفة الغربية والتي تعتبر من أكثر المدن مقاومة للاحتلال الصهيوني .

○ قمة عدم الانحياز

لا يجد المراقبون السياسيون فيما بينهم كبير اختلاف حين يعلقون على أوضاع مؤتمر عدم الانحياز الأخير . ومن الأمور ذات الدلالة أن تعليقاتهم كانت مقتضبة ، وبعضهم جعلها مبطنة بابتسامة ذات مغزى ، وآخرون أظهروا أن تعليقهم مجرد واجب صحفي .

كتبت صحيفة القبس الكويتية مقالا بعنوان « الطربوش الكبير في قمة عدم الانحياز » في ٢١ جمادى الأولى ، جاء فيه :

جلبة المهرجان الكبير في نيودلهي بدأت تتجاوب أصداؤها في عواصم العالم ... « موزاييك » من الدول الصغيرة والكبيرة ، تتراوح عقائدها وايديولوجياتها وسياساتها بين أقصى اليمين وأقصى اليسار ، وتضع كلها على رأسها طربوشا واحدا هائلا اسمه « عدم الانحياز » .

والتسمية فضفاضة ، بل لعلها غير واقعية أيضا . والغالبية العظمى من دول العالم منحازة بصورة ما إلى واحد من المعسكرين الغربي والاشتراكي .

وهذا يعني أن الدولتين الوحيدتين غير المنحازتين في العالم هما عمليا : الولايات المتحدة الأميركية والاتحاد السوفيتي إذ تنحاز إلى إحداهما الدول الأخرى ، كبيرها ومتوسطها وصغيرها ! وكل الاجتهادات المطروحة حول القضايا المعروضة في جدول أعمال قمة عدم الانحياز في نيودلهي ، هى عمليا اجتهادات تصب في هذا الاتجاه أو ذاك ، من قضية كمبوديا ، الى آخر قضية طارئة قد تفرض نفسها على المؤتمر أو في ردهاته .

الى السادة كتاب المجلة

يرجى التفضل بمراعاة الآتي عند ارسال مقالاتكم وانتاجكم الينا :

○ كتابة الاسماء والعناوين كاملة وواضحة في ختام كل مقالة او بحث او اسم البنك ورقم الحساب وذلك تسهيلا لارسال المكافأة .

○ موضوعات المناسبات الدينية ترسل قبل موعدها بثلاثة اشهر على الأقل حتى يتسنى نشرها في حينها .

○ المقال او البحث المرسل لا يقل عن سبع صفحات فلسكاب مكتوب بالآلة الكاتبة ولا يزيد عن عشر صفحات .

○ ترقيم جميع الآيات القرآنية وتخريج الأحاديث النبوية الواردة .

○ لا تقبل البحوث المسلسلة او المقالات المجزأة .

○ يجب ان يكون الانتاج المرسل خاصا للمجلة وألا يكون قد سبق نشره او ارساله الى جهة اخرى للنشر .

○ النشر في المجلة يخضع لاعتبارات فنية في المقال ذاته دون نظر الى كاتبه . والاخطار بوصول المقال لا علاقة له بالصلاحية .

○ ذكر المراجع حتى يمكن التحقق مما جاء في المقال عند الضرورة .

○ البعد عن الخلافات المذهبية والسياسية حرصا على الوحدة الاسلامية .

○ لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر .

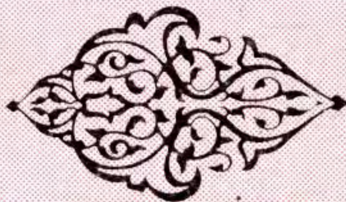
« إلى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بالشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨) بيروت ـ لبنان او بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر	القاهرة ـ مؤسسة الاهرام ـ شارع الجلاء .
السودان	الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص.ب (٣٥٨)
الجزائر	الشركة الوطنية للصحافة ٢٠ شارع الحرية
المغرب	الدار البيضاء ـ الشركة الشريفية
تونس	الشركة التونسية للتوزيع
لبنان	بيروت الشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨)
الاردن	عمان وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : (٣٧٥)
السعودية	جدة مكتبة مكة ـ ص.ب (٤٧٧)
	الخبر مكتبة مكة ـ ص.ب (٦٠)
	الرياض مكتبة مكة ص.ب (٤٥٢)
	المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء
مسقط	مكتبة العائلة ـ روى ـ ص.ب : ٣٣٧٦
صنعاء	دار القلم للتوزيع والنشر والاعلان ـ ص.ب : ١١٠٧
البحرين	دار الهلال
قطر	دار العروبة ص.ب ٦٣٣
ابو ظبي	المؤسسة العامة للطباعة والنشر ـ ص.ب (٦٧٥٨)
دبي	دار الحكمة ص.ب (٢٠٠٧)
الكويت	الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات ت ٤٢١٤٦٨

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة .

محتويات العدد



طباعة مؤسسة دار السياسة ـ الكويت

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

العدد ٢٢٤ / شعبان ١٤٠٣ هـ . مايو / يونيو ١٩٨٣ م

عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال :
قلت يا رسول الله لم أرك تصوم من الشهور
ما تصوم من شعبان ؛ قال :
ذاك شهر يغفل الناس عنه
بين رجب ورمضان ، وهو شهر
ترفع فيه الأعمال إلى رب
العالمين ، وأحب أن يرفع عملي
وأنا صائم

رواه مسلم

هديتك مع العدد : مجلة براعم الايمان

قَالَ اللهُ سُبحَانَهُ وَتَعَالَىٰ :

مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ
فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ
أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ

الآيَة ٩٧ مِن سُورَة النَّحل

الوعي الاسلامي

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة التاسعة عشرة

العدد ٢٢٤ - شعبان ١٤٠٣ هـ - مايو / يونيو ١٩٨٣ م

هدفها

المزيد من الوعي، وايقاظ الروح، بعيداً عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها

وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت

هاتف رقم ٤٢٨٩٣٤-٤٦٦٣٠٠

التوزيع والاشتراكات

الشركة العربية للتوزيع (ش م ل)

ص ب ٤٢٢٨ بيروت لبنان

تلكس ARABCO 23032 LE

الثمن

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم

ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي



كلمة الوعي

من خان ميثاق الله فليس بمؤمن

لقد اخذ الله الميثاق المؤكد على النبيين عامة ، وعلى النبي محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ واولي العزم من الرسل خاصة ان يحملوا رسالة الله ويستقيموا عليها ويبلغوها للناس : (**وإذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا**)

والوصية التي أخذ الله عليهم الميثاق بتبليغها هي التي أشار الله اليها في قوله : (**شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما**

وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه)

وقد خص الله الأنبياء المذكورين في الآية لأنهم أكابر الأنبياء ، وكل واحد منهم له شريعة مطلوب منه أن يبلغها، وأما من عداهم فكان يبعث بتبليغ شرع من قبله .. والرسالة الخاتمة - رسالة الاسلام - جمعت جميع الشرائع المتقدمة في أصول الاعتقاد وأصول الأحكام ، وزادت عليها ولهذا كانت الوصية جعلها قائمة مستمرة محفوظة من غير خلاف فيها ولا اضطراب :(**ان أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه)** .. واذا كان الدين الذي جاءت به جميع الرسل الذين سبقوا رسالة الاسلام هو عبادة الله وحده لا شريك له كما قال عز وجل لرسوله :(**وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي اليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون)** الانبياء / ٢٥ فالرسالة الاسلامية قد جاءت بذلك ، واشتملت على كل علم نافع وكل حلال وحرام ، وعلى ما يحتاج الناس اليه في أمر دنياهم ودينهم ومعاشهم ومعادهم ، وعلى ما يهدي القلوب ، وعلى الرحمة والبشرى للمسلمين قال تعالى:(**ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين)** سورة النحل/ ٨٩

ويوم القيامة يسأل الله تعالى رسله عن تبليغهم مع علمه سبحانه بصدقهم ، ليكون ذلك توبيخا وتبكيتا للكفار الذين تولوا وأعرضوا عن هداية الله ، فكان لهم العذاب الأليم : (**ليسأل الصادقين عن صدقهم وأعد للكافرين عذابا أليما)** الاحزاب /٨

ومن ذلك سؤاله - جل شأنه - لعيسى عليه الصلاة والسلام:(**وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله)** وهو سبحانه يعلم أن عيسى ما قال هذا وإنما قال لهم التوحيد الذي أمره الله به :(**قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب . ما قلت لهم الا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد)**

و أرسل الله رسله مبشرين ومنذرين ، وأخذ عليهم الميثاق بالتبليغ لتقوم حجته على الناس ، فيكونوا مسئولين عنده عن إيمانهم وكفرهم ، وطاعتهم وعصيانهم ، ولتقطع حجة من يقول : لو أرسل الي رسول لآمنت وأطعت قال تعالى : (**رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله**

حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما) النساء / ١١٥

وبين الله تعالى أنه لا يصلح في عدله وشرعه أن يعذب قوما على عمل دون أن يبعث إليهم رسولا يبصرهم وينير الطريق أمامهم . فقال : **(وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا)**الاسراء / ١٥

ولكي يكون تبليغ الرسالة على أكمل وجه وأحسنه بعث الله كل رسول بلغة قومه ليبين لهم شرع الله بيانا واضحا ، ويفهمهم أصول رسالته وأحكامها بيسر وسهولة .. أما أمر هداية الناس وإيمانهم فذلك بيد الله وحده ، وليس من وظيفة الرسل عليهم الصلاة والسلام . قال تعالى : **(وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم)** ابراهيم / ٤

وكما أخذ الله الميثاق على النبيين بتبليغ الرسالة أخذ عليهم موثقا جليلا أن يؤمنوا بكل رسول يأتي مصدقا لما معهم ، وينصروه ، ويتبعوا شريعته وذلك قوله تعالى : **(وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين)**آل عمران / ٨١

وهكذا يسير موكب رسل الله متساندا ، كل يسلم الأمانة لمن بعده ، ويؤمن به .. فالله سبحانه هو الذي ينقل خطى دعوته بين أجيال البشر ، ويقود مسيرتها حتى الرسالة الخاتمة التي بعث بها محمدا الى الناس كافة

وفي ظل هذه الحقيقة يخلص دين الله لله وحده ، فلا عصبية من رسول لشخصه ولا لقومه ، ولا عصبية من أتباع رسول لأنفسهم أو قوميتهم

وفي ظل هذه الحقيقة يبدو الذين يتخلفون من أهل الكتاب عن الإيمان برسول الله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ تعصبا لأنفسهم في صورة التعصب لدياناتهم خارجين عن تعاليم أنبيائهم التي دعتهم إلى الإيمان به ونصرته ، خارجين عن النظام الذي وضعه الله وطلب من البشرية أن تستقيم عليه قال تعالى : **(فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون . أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون)** . آل عمران / ٨٢ و ٨٣

وقد ذكر الله في كتابه الكريم أنه أخذ الميثاق على أهل الكتاب أن يبينوا ما في التوارة ولا يكتموا الحق الذي يعلمونه فيها من نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - وأنهم نبذوا العهد وراء ظهورهم ليحدثوا الشك في مفهوم الدين وفي صحة الاسلام ، واختاروا أن يتعوضوا عما وعدوا به من خير الدنيا والآخرة بالحظوظ الدنيوية الخسيسة . قال تعالى : (**وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون**)آل عمران/١٨٧

ويشترك في الكفر والعذاب المهين يوم القيامة من لم يؤمنوا بالله ورسله ومن آمنوا بالله ولم يؤمنوا برسله ، ومن آمنوا ببعض الأنبياء دون بعض

(إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا . أولئك هم الكافرون حقا وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا)

وقد فرق اليهود بين الرسل في الايمان فآمنوا بالأنبياء وكفروا بعيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام .. وكذلك فعل النصارى فآمنوا بالأنبياء وكفروا بخاتمهم محمد - صلى الله عليه وسلم -

أما المؤمنون بالله وبجميع رسله فلهم من الله الأجر والمغفرة والرحمة كما قال سبحانه (**والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفورا رحيما**) النساء /١٥٢

ولا عجب ان يكون الايمان بجميع رسل الله شأن المؤمنين برسالة الاسلام فان من قواعد تلك الرسالة الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله دون تفريق بين رسول ورسول كما قال جل شأنه : (**آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير**)

وإذا كان اكثر اهل الكتاب كفارا فان فريقا منهم آمن بالاسلام وخشع لله ولم تفتنه زخارف الحياة عن الحق . وذلك قوله تعالى :

(وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا أولئك لهم أجرهم عند ربهم إن الله سريع الحساب)آل عمران/١٩٩

وبعد ان قال الله في شأن اليهود (**وأعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما**)

النساء / ١٦١ قال في شأن من امن منهم بالاسلام :(**لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنؤتيهم أجرا عظيما**) النساء / ١٦٢

ومن كل ما تقدم يتبين أن رسل الله جميعا تعاهدوا على تبليغ دين الله والاستقامة عليه ، وأخذوا على أممهم الميثاق الذي أخذه الله عليهم أن يؤمنوا بكل رسول يأتي مصدقا لما معهم ويتبعوا شريعته ..

وأن من تولى عن الشريعة الخاتمة من أهل الكتاب فقد تولى عن دين الله كله ، ووصف الكفر لازم له ما دام على ذلك اذ الاسلام هو دين الناس كافة ، وهو الواجب الطاعة من كل حي في هذا الوجود (**ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين**) آل عمران /٨٥ (**ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين**) المائدة / ٥

وأن القرآن الكريم الذي أوحى الله به الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو الكتاب الأخير للبشرية وهو مصدق لما بين يديه من الكتاب ومهيمن عليه ، وإليه تنتهي شريعة الله التي ارتضاها لعباده إلى يوم الدين .

وأن ما أقرته الشريعة الاسلامية من شرائع أهل الكتاب قبلها فهو من شرع الله ، وما نسخته فقد انتهى العمل به :(**وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه**) المائدة /٤٨

وأن الله بانزال الشريعة الاسلامية قد أكمل الدين وأتم النعمة ورضي الاسلام دينا للناس كافة :(**اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا**) المائدة /٣

وأن منهج الاسلام هو المنهج الذي يتناسق مع النظام الكوني الذي خلقه الله ، ومع الفطرة التي فطر الناس عليها .. ومن ثم كانت سعادة الانسان وراحة فؤاده وطمأنينة نفسه في اتباع هذا المنهج . ولذلك دعا الله الانسان لاتباعه فقال : (**فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون**) الروم / ٣٠

رئيس التحرير

محمد الأباصيري

القرآن المدني

في نظر المستشرقين

للدكتور عجيل النشمي

ان نظـرة المستشرقـين للقرآن المدني في عمومه نظرة مـوغلة في التجنـي وتكـاد آراء وتصـورات المغرضين من المستشرقين تتوحد في ذلك ، ويعبر Goldziher عن فكرتهم فيقول : « وفي المدينة استمر الرسول (صلى الله عليه وسلم) يظهر انه موحى له بواسطة الروح الالهي كما أن الجانب الأكبر من القرآن نراه يحمل طابع وطنه الجديد .

ولكن اذا كان محمد (صلى الله عليه وسلم) في حالته الجديدة قد استمر في الشعور برسالته وبوجوب تأديتها ، فإن تبشيره قد اتخذ الى جانب هذا اتجاها جديدا ، فلم يصبح حديثه حديث من استولت عليه الرؤى المشبعة بالدار الآخرة وما يكون فيها . بل إن تلك الحالة الجديدة جعلت منه ايضا مجاهدا وغازيا ورجل دولة ومنظم جماعة جديدة اصبحت تتسع وتنمو شيئا فشيئا . عندئـذ اتخذ الاسـلام باعتبـاره نظامـا شكلـه النهائي ، وعندئذ ظهرت البذور الأولى لنظـامــه الاجتمـاعـي والفقـهـي والسياسي .

ثم يضيف قائلا : وفي المدينة صار الرجل الذي كان بـالأمس ضحية صابرة ، والذي كان يدعو في وسط فريق صغير من أتباعه والذي شرد عن الوسط الذي كان يسوده اشراف مكة ، والذي كان خاضعا مسلما ، صار هذا الرجل - وتلك كانت حالته - ينظم اعمالا حديثة ، كما ينظم طريقة توزيع الغنائم والاسلاب ، ويضـع القوانين لتنظيم الأموال والمواريث ، بعد أن كان زاهدا في المال وجمعه ، نعم إنه استمر في التحدث عن باطل هذه الحياة وأمورها ومتاعها ، لكنه مع

هذا أصبح يملي القوانين ، ويضع الترتيب لأمور الدين العملية وأهم احتياجات الحياة الاجتماعية .

ويقول أيضا : إن العصر المدني قد أدخل تعديلا جوهريا حتى في الفكرة التي كونها محمد (صلى الله عليه وسلم) عن طابعه الخاص ، ففي مكة كان يشعر أنه نبي يتمم برسالته سلسلة رسل التوراة ، وأن لهذا عليه ـ مثل أولئك الرسل ـ أن يقوم بإنذار أمثاله في الانسانية وإنقاذهم من الضلال .

أما في المدينة ، وقد تغيرت الظروف الخارجية ، فقد تغيرت مقاصده وخططه واتجهت اتجاها آخر كذلك بحكم الظروف الخارجية ، ولا غرو : فقد وجد في بيئة تختلف عن بيئة مكة ، فكان هذا مما جعله يرفع إلى المقام الأول مظاهر أخرى من مظاهر رسالته النبوية » « العقيدة والشريعة ص ١٦ وما بعدها » .

ويلخص مستشرق آخر فكرة المستشرقين تلك ، فيقول : « وقد أكد الكتاب الأوربيون مرارا أن النبي (صلى الله عليه وسلم) سلك مسلكا جديدا تمام الجدة منذ هاجر إلى المدينة ومنذ أن تغيرت ظروف حياته هناك ، وإنه لم يعد بعد ذلك البشير النذير المرسل إلى الناس الذين كانوا قد أقنعهم بالحجة بصدق الدين الذي أوحى إليه ، وإنما ظهر الآن أقرب الى أن يكون متعصبا مندفعا يستغل كل ما في سلطته من قوة ومهارة سياسية في فرض نفسه وفرض آرائه «الدعوة إلى الاسلام السير أرنولد » .

ويريد المستشرقون من مقالتهم تلك التوصل إلى أن القرآن ومنهج النبي محمد صلى الله عليه وسلم قد تغير في المدينة عنه في مكة لتغير الظروف المحيطة بالدعوة .

ويهمنا في الرد هنا مناقشة مدى تغير القرآن الكريم كمصدر تشريعي .

فان عملية الفصل بين القرآن النازل في مكة والنازل في المدينة عملية خاطئة من أساسها فإن القرآن وحدة واحدة متكاملة ، فأساسات البناء الاجتماعي والتشريعي في المدينة بنيت في مكة ـ كما سبق ـ فمقولة أن البذور الأولى للنظام الاجتماعي والفقهي والسياسي ظهرت في المدينة قول غير صحيح في جملته ، صحيح أن اكتمال البناء والنظام الاجتماعي والفقهي والسياسي قد تم وتكامل في المدينة ، لكن هذا لا يستلزم قطع صلته بجذوره في مكة لا من حيث ألفاظه ورسمه اللغوى والبلاغي ولا من حيث مضمون آياته وتوجيهاته فمضمون الآيات ومنهج القرآن واحد لم يتغير ، فاذا كانت آيات الأحكام والتشريع تنزلت بكثرة وتكاملت في المدينة فلأن مرحلة الجماعة المسلمة أو الدولة المسلمة تستدعيها .

وفي نفس الوقت فقد كانت آيات الأحكام والتشريع موجودة أيضا في مكة لكنها كانت قليلة يسيرة متناسبة وأوضاع النشأة الاولى

فإذا تكامل التشريع بتنامي الجماعة المسلمة فهذا لا يعني البتة

تغير الوحي أو القرآن أو المنهج والخطة ، بل يعني التكامل والنضج . حتى الجهاد الذي فرض في المدينة

لا يعني تغير الخطة والمنهج الدعوى ، فقد كان مبدأ الجهاد مقررا في مكة ، وكان فيها من الجهاد ما يتناسب ودور الجماعة المسلمة ، لقد كان هناك جهاد النفس وجهاد الصبر على ترك التصورات والعادات والأعراف الجاهلية والصبر على أذى المشركين .

لقد كان المبدأ العام هو الصفح والعفو عن المسيئين .

وهذا المبدأ ليس فيه تعارض ومبدأ الجهاد والحرب ، فالى جانب تشريع الجهاد ووجوب حرب كفار قريش ومن والاهم فإن مبدأ العفو والصفح ظل يعمل عمله وظل ا لقرآن المدني يذكر به النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين فيقول تبارك وتعالى في سورة البقرة وهي مدنية : (**ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره**) ١٠٩ وقال تعالى عن اليهود : (**ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين**) المائدة/ ١٣ وقوله تعالى : (**من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا**) النساء/ ٨٠

وحتى الصفح والعفو المأمور به في مكة كان القرآن ينتقل منه أحيانا إلى درجة توعد المشركين بالمواجهة القريبه في الدنيا أو في الآخرة ، كقوله تعالى : (**كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية . ناصية كاذبة خاطئة**) العلق/ ١٥ ، ١٦ وقوله : (**ذرني والمكذبين أولى النعمة ومهلهم قليلا**) المزمل/ ١١ وقوله : (**إنهم يكيدون كيدا . وأكيد كيدا . فمهل الكافرين أمهلهم رويدا**) الطارق/ ١٥ ـ ١٧

فكل ما كان من جديد في المدينة لا يخرج عن كونه تكميلا وتكاملا يتناسب والتصورات الواحدة في مكةوالمدينة من جهة ومن جهة أخرى يتفق والمراحل المتنامية للجماعة والدولة المسلمة .

وأما دعوى أن النبي صلى الله عليه وسلم قد غير خطته فهذا أيضا من الهراء المزعوم ، فإن المبدأ الذي أعلنه في مكة وربى الصحابة عليه مبدأ الإيمان بالله وحده وتمثل الوحدانية والشهادة لله ورسوله .

هو هو لم يتغير ، وتفويض الأمر والحكم لله هو هو ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والدعوة بالتي هي أحسن ثم الجهاد في سبيل الله ، كل ذلك بتناسب وتكامل لا تعارض ولا تضاد فيه ، لم يظلم النبي صلى الله عليه وسلم ولم يأمر بظلم في حال ضعف المسلمين وقوتهم لم ينتهك حرمة ، لم يحرم حلالا أو يحل حراما من عند نفسه . فلم تغير الظروف من خطته ولم تفرض عليه مسلكا في منهج الدعوة لا يرتضيه التصور الاسلامي في البناء التشريعي أو الفكري .

نظرات في

والله متم نوره

تقديم :

القرآن الكريم ، دستور الرسالة الاسلامية ، وهو نور من الله تعالى : **(قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور بإذنه ويهديهم الى صراط مستقيم)** (سورة المائدة : ١٥ ـ ١٦) ..

وقد سمى الله تعالى كتابه نورا ، لانه نور من نور الله ، لا يخبو ابدا ، بل يبقى مشرقا ينير البصائر ، فتهتدي به الى الله ، وتتعرف به على شريعة الله ، وتستقيم به على صراط الله المستقيم .. كما يقول الله تعالى لرسوله الكريم : « **وكذلك اوحينا إليك روحا من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي الى صراط مستقيم** » (سورة الشورى : ٥٢) ..

وقد وصف الله تعالى رسوله محمدا صلوات الله وسلامه عليه بالسراج

كتاب الله..

ولو كره الكافرون

للاستاذ عبد الكريم الخطيب

المنير فقال تعالى : « **يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيرا وداعيا الى الله بإذنه وسراجا منيرا** » (سورة الأحزاب : ٤٥ ـ ٤٦) ..

وفي وصف الرسول الكريم من ربه سبحانه بانه سراج منير ، اشارة الى انه صلى الله عليه وسلم انما يستمد نوره ، من نور كتاب الله ، كما يستمد المصباح نوره من الزيت الذي يوقد فيه .

فمن نور القرآن الكريم ، استمد النبي صلى الله عليه وسلم النور الذي انار به البصائر الى نور الله تعالى ، **فرأت الحق ، وآمنت به** ..

ومن نور القرآن الكريم أخذ كل مؤمن حظه من هذا النور ، على قدر طاقته ، وعلى حسب ما انكشف لبصيرته ، كما يشير الى ذلك قوله تعالى : « **يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم** » (سورة الحديد : ٢٨) ..

وهذا النور الذي استمده المؤمنون من نور القرآن الكريم ، ومن هدى الرسول ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ هو الذي يقودهم الى الجنة ، ويكشف لهم الطريق اليها يوم القيامة ، كما يقول تعالى : « **يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم** » (سورة الحديد : ٢٣) ..

وكما يقول سبحانه : « **يوم لا يخزى الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين ايديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير** » (سورة التحريم : ٨) .

نور القرآن ، ونور الكتب السابقة :

لقد انزل الله على رسله صحفا وكتبا، كما انزل على محمد صلى الله عليه وسلم كتابا ، هو القرآن الكريم ..

ولكن هل كلها على درجة واحدة فيما حملت من النور ؟

وننظر في الكتب السماوية التي لا تزال باقية الى اليوم ، وهي التوراة ، والانجيل والقرآن ، لنرى الوصف الذي وصف الله تعالى به كل كتاب منها ..

فعن التوراة التي انزلها الله تعالى على موسى ـ عليه السلام ـ يقول الله تعالى : « **إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور** » (سورة المائدة : ٤٤)

.. ففي قوله تعالى : « **فيها هدى ونور** » اشارة الى ان التوراة انما تحمل شيئا من الهدى والنور ، لا كل الهدى والنور ، اذ الهدى والنور واردان عليها ، وداخلان فيها ..

يقول الله تعالى عن الانجيل الذى انزله على عيسى ـ عليه السلام : « **وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين** » (سورة المائدة : ٤٦) ..

ففي قوله تعالى عن الانجيل : « فيه هدى ونور » ـ اشارة الى ان الانجيل كالتوراة ، فيه بعض الهدى والنور ، وان الهدى والنور واردان عليه ، وداخلان فيه ، ومضافان الى اصله ..

وهذا لا شك من حكمة الحكيم العليم رب العالمين ، حيث ان التوراة والانجيل ليسا كتابين باقيين على الزمن الى انتهاء الحياة الانسانية على هذا الكوكب الارضي ، بل انهما سيأتي من بعدهما كتاب ، هو القرآن الكريم ، سيخلفهما في الدعوة الى الله ، دعوة عامة للناس جميعا ، لا تختص بقوم ، ولا تنحصر في زمان او مكان ، بل تتخطى حدود الزمان الى يوم النفخة الاولى في الصور ، كما تتخطى حدود المكان الى حيث يكون للناس مكان ..

ومن أجل هذا وصف الحق سبحانه القرآن الكريم بأنه نور ، لا

بأن فيه نورا ، وهذا يعنى أن نور القرآن الكريم نور ذاتي ، في كل كلمة من كلماته ، وفي كل آية من آياته ، وليس نوره نورا عرضيا داخلا عليه ، كما هو شأن النور الكائن في كل من التوراة والانجيل ..

ولهذا أضاف الله تعالى نور القرآن الكريم إلى ذاته سبحانه ، فقال تعالى في أهل الضلال والعناد الذين يكفرون بالله ، وبرسوله ، وبكتابه : (**يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون . هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون**) سورة التوبة / ٣٢ ـ ٣٣ .. وقال سبحانه في أهل الضلال أيضا : (**يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون . هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون**) سورة الصف : ٨ ـ ٩ .. ونور الله تعالى هو القرآن الكريم ، وما يحمل من نور وهدى للعالمين ، في كل زمان ومكان .

إنه الوعد الحق :

ففي قوله تعالى : **ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون** ـ حكم من الله تعالى بأن دين الحق ـ وهو الاسلام ـ هو الدين الذي سيرث الأديان كلها ، سواء ما كان منها دينا سماويا سبق نزول القرآن ، أو كان دين شرك قذف به الشيطان في قلوب أوليائه .

أما الأديان السماوية التي سبقت نزول القرآن الكريم ، فلم تعدصالحة بعد نزول القرآن ، وذلك لأمور ، منها :

أولا : أنها أديان موقوتة بحياة الرسول الذي حملها إلى قومه ، كما أنها محصورة في هؤلاء القوم ، لا تتعداهم إلى غيرهم ..

وثانيا : أنها قد تغيرت بفعل الزمن ، وبما أدخله عليها أهلها من تبديل وتحريف ، مما كان لرجال الدين دور كبير فيه ، كما يشير إلى ذلك قوله تعالى : « **يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم** » سورة المائدة : ١٥ ـ ١٦ .

وثالثا : أن الله تعالى قد تولى بذاته الكريمة حفظ القرآن الكريم من أى تحريف أو تبديل ، وفى هذا يقول سبحانه : « **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** » سورة الحجر : ٩ .. وإنه لمستحيل استحالة مطلقة أن يمس القرآن بتغيير حرف منه ، وهو في حفظ الله جل وعلا ..

أما الكتب السماوية غير القرآن ، فقد وكل الله تعالى إلى الربانيين والأحبار حفظ هذه الكتب ، ومن هنا أمكن أن يدخل عليها التحريف

والتبديل ، وذلك في قوله تعالى : « **إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء** » سورة المائدة / ٤٤ ..

وفي أهل الكتاب يقول الله تعالى أيضا : « **يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير** » سورة المائدة / ١٥ .. ويقول سبحانه فيهم أيضا : « **ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون** » سورة المائدة / ١٤ .. وقد توعد الله علماء اليهود بقوله سبحانه : « **فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون** » سورة البقرة / ٧٩ ..

وإذن فقد جاء القرآن الكريم ، ليصحح ما دخل على التوراة والانجيل من تغيير وتبديل وتحريف ، وهو المحفوظ من الله تعالى ، لا من البشر ، من أن يطوف به أي طائف من هذا الذي حدث للكتب السماوية السابقة ، من صور التحريف والتبديل .

وإذن فليكن القرآن الكريم ، هو الحامل لدين الله ، وهو الاسلام ، إلى آخر الزمان .. فمن آمن به ، وبالرسول الذي أنزله الله تعالى عليه ، كان مؤمنا ، ومن لم يؤمن به ، وبالرسول ، كان على غير الايمان ، كما يقول تعالى : « **إن الدين عند الله الاسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب . فان حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم فان أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد** » سورة آل عمران : ١٩ - ٢٠ .. ويقول الحق سبحانه : « **ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين** » سورة آل عمران : ٨٥ ..

ثم ماذا بعد هذا ؟

إنه لابد بعد هذا من أن يتحقق وعد الله باظهار دين الله ، وهو الاسلام ، على الأديان كلها ، سماوية كانت أو غير سماوية ، وأن يكون هو الدين القائم على الانسانية كلها ، لأنه دين الله ، والجامع لما جاء به أنبياء الله جميعا من دين إلى أقوامهم ، حيث كمل بنزول القرآن الدين الذي رضيه الله تعالى دينا للانسانية كلها على امتداد الزمان والمكان ، الى آخر يوم للناس على هذا الكوكب الأرضي ، كما يقول تعالى مخاطبا أمة الاسلام ، ذاكرا فضله عليها : « **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا** » المائدة / ٣ .. ويقول سبحانه :

« **ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين** » سورة آل عمران / ٨٥ ..

وهل تحقق هذا الوعد ؟

وإنا اذا نظرنا إلى المجتمع الانساني ، منذ قامت دعوة الاسلام على يد خاتم النبيين ، محمد صلوات الله وسلامه عليه ـ فانا نجد أكثر الناس على غير دين الاسلام ، وأن أعدادهم أضعاف أعداد المسلمين .. بل إن الذين لا يدينون بدين سماوي أكثر من الذين يدينون بدين سماوي ، من المسلمين ، واليهود ، والنصارى ..

ولكن إذا تجاوزنا النظر إلى الكم ، ونظرنا إلى الكيف ، رأينا أن مؤمنا واحدا بالله ترجح كفته جميع الذين لا يؤمنون بالله ، ولو كانت أعدادهم ألوف الملايين ..

وهنا سؤال ، وهو : هل يمكن أن يحمل قوله تعالى : « **هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون** » ـ هل يمكن أن يحمل كلام الله هذا على هذا المعنى الذي أشرنا اليه ، من اعتبار الكيف دون الكم ؟ وبأنه لو كان هناك مسلم واحد ، كان ذلك إظهارا لدين الله على الأديان كلها ؟ ونقول : لا ، إنه لابد من حمل إظهار دين الله على الكثرة في العدد ، بمعنى أن يدين الناس في غالبيتهم بالاسلام .

ومتى يتحقق هذا ؟

من المقطوع به أن وعد الله لابد أن يتحقق ، بحيث يدخل الناس في دين الله أفواجا ، وأن تكون كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا السفلى !

أما متى يكون هذا ؟ ومتى تدين الانسانية كلها بالاسلام ؟ فذلك علمه عند ربى .. وإن كانت هناك تباشير تلوح في الأفق بمطلع فجر هذا اليوم الموعود عن قريب .

من ظلمات الليل ينبثق الفجر :

إن العالم اليوم ، قد طغت عليه ظلمات المادية ، فحجبت عنه كل مشاعر الانسانية ، من رحمة ، ومودة ، وحب وإخاء ، حتى لقد انقطعت تلك المشاعر بين الأب وأبنائه ، وبين الأبناء وآبائهم ، فعاش كل انسان ـ إذا صح أن نسميه إنسانا ـ عاش لذاته ، في دائرة نفسه مع شهواتها ولذاتها ، غير ناظر إلى غير ذاته .

ولاشك أن الانسان في هذه الحياة على تلك الصورة ، هو في وحشة قاتلة ، وهو في هذا السجن المطبق عليه ، لا يجد فيه متنفسا لآماله وأحلامه ، ولا لآلامه وأحزانه ..

تلك هى السمة الغالبة لهذا العصر الذي نعيش فيه .. وحدة ، وقلق ، واضطراب ، واحتراق لكل ما في الانسان من معالم الانسانية ..

ألم يقــل الفيلســوف الألمــاني (نيتشــه) الــذي يتغــذى العــالم الأوروبي اليوم من فلسفته ، ألم يقل بصريح القول :

« إن الـرحمــة ، والتـعــاون ، والحب ، وكافة الفضائل المسيحية ، هى مجموعة من الدجل والخرافات ، تستهدف رعاية الغوغاء ، الدهماء والقطعـان .. وهؤلاء جميعـا ، من فقراء ، ومرضى ، وضعفاء ، يعوقون التطور الانساني ، في حين أننا يجب أن نخلص لنوعنا البشري ، بألا نبقى إلا على الأقوياء في الذهن ، والجسم ، والـروح ، وأن نعمـل عـلى إفنـاء الآخرين ، حتى نحصل في النهاية على (الســوبــرمــان) أي الـرجــل الكامل ! » .. ذلك هو دين الغرب اليوم ، إلى جانب الشيوعية ، التي تنكرت لكل خلق ، أو دين ، حتى أعلنت الحرب على الله ، وقالت : إنه لا وجود له !

فهل تصبر الانسانية طويلا على هذا الجفاف الروحي ؟ وهل يمكن أن يظل الانسان على مربط الحيوانات جيلا بعد جيل ، دون أن تتحرك فيه شرارة من روح الانسانية ؟

إن العلم قد بلغ بالانسان اليوم ما مكن له من ركوب متن الكـواكب والأقمار ، وهذا لاشك مما يزيد في طغيان الجسد على الروح ، الأمر الذي يوقظ الروح ، ويحملها على أن تثبت وجودها ، وتحتفظ بمكانها من الانسان .. والشيء ـ كما يقولون ـ إذا زاد عن حده ، انقلب إلى ضده .

وهنا تستدعى الانسانية العقل إلى أن يمدها بالغذاء المناسب لها ..

وإنه إذ يبحث العقل عن هذا الغذاء المناسب للروح ، فلا يجد بين يديه مما يرضيه ، إلا الدين ، غذاء للروح ، وسكنا للقلب ..

وإن هذا العقل الذي بلغ من العلم ما بلغ ، إذا نظر في الأديان القائمة اليوم ، لا يجد ما يقبله ، ويستقيم معه على منطق الحق ، ومقطع الحجة ، إلا دين الاسلام ، الذي يتعامل مع أهل العقل ، والعلم ، من أدنى المستويات إلى أعلاها ..

إن العلم الذي بلغته الانسانية في هذا العصر ، هو الرسول الذي يقوم في الناس اليوم ، مبشرا بالاســلام ، داعيا إليه ، كاشفا عن حجته ..

يقول المرحوم الأستاذ محمد فريد وجدي في كتابه « الاسلام في عصر العلم » مستدلا على أن هذا العصر ، هو الاسلام ، الذي يتحقق له فيه وعد الله ، باظهاره على الدين كله ـ يقول محمد فريد وجدي :

« إن تأثير النبي ، صلى الله عليه وسلم في المجتمع الاسلامي كان على مرحلتين : مرحلة ما قبل الهجرة ، وهى ثلاثة عشر عاما ، وهذه المرحلة كانت أشبه بارتياد الطـريق ، إلى المعـركة الفـاصلة ، بـين الايمـان والإلحاد .. وأما المرحلة الثانية ، وهى مـا بعد الهجـرة ، ومـدتهـا عشر سنوات ، فقد كانت بدء الانتصارات الحقيقيـة للاســلام ، وقد تـوجت بالفتح ، ودخول الناس في دين الله أفواجا ..

ثم يمضي المرحوم وجدي قائلا :

« ويستشف من هذا ، أن القرون الثلاثة عشر التي أنسلخت من عمر الاسلام إلى الآن ، هى أشبه بالثلاث عشرة سنة التي قضاها الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - في مكة ، وأن عشرة القرون المقبلة ستكون بدء تحرك الاسلام إلى الأمام ، ودخول الناس فيه أفواجا ، قرنا بعد قرن ، حيث لا ينتهي القرن الثالث والعشرون من الهجرة ، إلا وتكون الانسانية كلها قد دانت بهذا الدين » .. !!

وإذا كان المرحوم محمد فريد وجدي قد بنى استنتاجاته تلك على اجتهاد شخصي ، فان هذا الأستنتاج يستند أساسا على وعد من الله تعالى في قوله سبحانه : « **يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون . هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون** » سورة التوبة : ٣٢ - ٣٣ ..

فهذا الوعد الكريم من الله تعالى برد كيد الكائدين لدين الله ، ومحاولتهم إطفاء نوره بما يخرج من أفواههم من زور وبهتان ، وبأنه سبحانه سيعلي هذا الدين على كل دين ، ويقيم سلطانه على الأديان كلها - نقول إن هذا الوعد الكريم من الله تعالى ، وإن لم يحدد زمان تحقيقه ، فان بشائر تحقيق هذا الوعد تبدو لائحة في الأفق ، بما أشرنا إليه من انتكاس الحياة في العالم ، ووقوع الناس صرعى تحت سلطان المادة التي اغتالت معالم الانسانية فيهم ، مصاحبا هذا ما بلغ العقل الانساني من تمكن لا مثيل له من العلم والمعرفة ، الأمر الذي من شأنه أن يعيد للانسان توازنه ، واسترداد الروح التي انتزعتها المادة منه ..

وهكذا يعمل العقل على صياغة الانسان ، صياغة جديدة ، تتوازن فيها المادة مع الروح .

وإنه ليس أمام هذا العقل الذي أذهله العلم عن مطالب القلب ، إلا أن يفيء إلى شاطىء الأمان ، الذي شرد عنه ، وأن يعود إلى استرداد روحه ، التي ضل عنها ، والتي لا سبيل له إليها إلا إذا دعاها إلى الدين الحق الذي يقوم بسلطانه عليه ، فلا يملك له دفعا ..

وهذا الدين الذي يكون له هذا السلطان المتمكن من العقل ، هو دين الاسلام ، الذي يهتف بالعقول أن تتوارد عليه ، وتختبر به معارفها وعلومها ، وتتلقى منه أصدق المعارف والعلوم ، حيث نجد أنها بين يديه أشبه بالتلميذ المبتدىء بين يدى أستاذ عالم حكيم قد جمع العلوم والمعارف كلها ..

* * *

وإذا كان هناك كثيرون من علماء الغرب ، وحكمائه ، وفلاسفته ، قد عرفوا للاسلام قدره ومكانته ، فدخلوا في دين الله سرا ، وجهرا ، فانه لقريب ذلك اليوم الذي يدخل فيه الناس جميعا في دين الله أفواجا ..

« **والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون** » سورة يوسف : ٢١ - صدق الله العظيم .

وفد

نصارى نجران..

للأستاذ / محمد عزة دروزه

في كتب سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم القديمة صور أخاذة وطريفة ومشوقة ربما لم يطلع عليها كثير من القراء ، ويحسن ان تعرض ليكون لهم فيها الذكرى والعبرة ، ومن تلك الصور صورة وفادة وفد نصارى نجران اليمن على النبي صلى الله عليه وسلم وخبر هذا الوفد مذكور في سيرة ابن هشام المروية عن ابن اسحاق ، وكذلك في طبقات ابن سعد وهما من اقدم الكتب التي وصلت الينا عن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم .

١ ـ وخبر الوفد في سيرة ابن هشام المذكورة وارد قبل خبر وقعة احد وبعد وقعة بدر ، ووقعة احد كانت في اوائل السنة الثالثة من الهجرة النبوية الشريفة ، ووقعة بدر كانت في اواسط السنة الثانية من الهجرة المذكورة ، وقد ذكر ابن هشام ان الصدر الاول من سورة آل عمران قد نزل في صدد وفادة وفد نصارى نجران على النبي صلى الله عليه وسلم والمفسرون متفقون على ذلك ايضا . وهذا الصدر في سورة آل عمران سابق قليلا للفصل الطويل الذي فيه صور ومشاهد ونتائج وقعة احد ، وهذا التوقيت في التسجيل والاتفاق قد يفيد أن وفد نجران حسب رواية ابن هشام قد وفد على النبي صلى الله عليه وسلم بعد وقعة بدر وقبل وقعة احد .

٢ ـ اما خبر وفادة وفد نصارى نجران على النبي صلى الله عليه وسلم في طبقات ابن سعد فقد ورد في سلسلة خبر وفود العرب من كل ناحية من انحاء الجزيرة العربية على النبي صلى الله عليه وسلم في السنة التاسعة من الهجرة النبوية الشريفة . فقد فتح الله للنبي عليه الصلاة والسلام مكة المكرمة في الشهر الثامن من السنة الثامنة من الهجرة فانهدم الجدار الذي كان يحول بين انحاء جزيرة العرب ودار هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وخاصة انحاءها الجنوبية وأرسل النبي عليه الصلاة والسلام سرايا للدعوة للاسلام الى الانحاء الجنوبية وغيرها واوصاهم الا يقاتلوا الا من قاتلهم وارسل مع هذه السرايا

كتبا الى كثير من زعماء القبائل والبلدان ومنها الى نصارى نجران يدعوهم فيها الى الاسلام .
فحرك هذا وذاك قبائل العرب في كل ناحية من انحاء الجزيرة وخاصة جنوبها وجعلها ترسل وفودها الى النبي في المدينة المنورة لمبايعته او لتتلقى منه التعليمات والفتاوي والتوصيات ، وكان من جملتهم وفد من نصارى نجران اليمن ، ونذكر فيما يلي خلاصة وافية عما ذكره ابن هشام وابن سعد عن وفادة وفد نصارى نجران العربية .
٣ ـ **أولا** : مما جاء عن هذا الوفد في سيرة ابن هشام قال عن ابن اسحاق : قدم على رسول الله وفد نصارى نجران ستون راكبا منهم اربعة عشر رجلا من اشرافهم . في الاربعة عشر منهم ثلاثة نفر اليهم يؤول امرهم ، العاقب : امير القوم وذو رأيهم وصاحب مشورتهم والذي لا يصدرون الا عن رأيه ، واسمه عبدالمسيح ، والسيد : ثمالهم وصاحب رحلهم ومجتمعهم واسمه الايهم ، وابو حارثة بن علقمة احد بني بكر بن وائل اسقفهم وحبرهم وإمامهم وصاحب مدارسهم .
ومما ذكره ابن هشام من صورهم ايضا انهم لما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فدخلوا عليه مسجده حين صلى العصر ، عليهم ثياب الحبرات جبب وأردية في جمال رجال بني الحارث بن كعب قال : يقول بعض من رآهم من اصحاب النبي يومئذ : ما رأينا بعدهم وفدا مثلهم وقد حانت صلاتهم ، فقاموا الى المسجد يصلون ، فقال رسول الله دعوهم ، فصلوا الى المشرق .
٤ ـ وفي كتاب ابن هشام سياق طويل عما جرى بين الوفد او بالاحرى بين رجال العلم والمشورة منهم و رسول الله صلى الله عليه وسلم من مبادرة في صدد عقيدتهم بعيسى عليه السلام والالوهية ونبوته وفي عقيدة التثليث ، وحذرهم من الغلو في هذه العقائد وبعدها عن الحق والحقيقة وتنزه الله عن الشرك والولد ، وقرأ عليهم ما نزل في القرآن في صدد ذلك ولكنهم كابروا ولم يرعووا وحينئذ دعاهم الى الابتهال الى الله بلعنة الكاذبين من الفريقين حسبما جاء في آيات سورة آل عمران ٥٨ ـ ٦٤ قال تعالى : (**ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم . إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون . الحق من ربك فلا تكن من الممترين . فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين . إن هذا لهو القصص الحق وما من إله إلا الله وإن الله لهو العزيز الحكيم . فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين . قل يأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون**) .

فقالوا له يا ابا القاسم دعنا ننظر في امرنا ثم نأتيك بما نريد ان نفعل فيما دعوتنا اليه . فانصرفوا عنه ثم خلوا بالعاقب وكان ذا رأيهم فقالوا : يا عبد المسيح ماذا ترى ؟ فقال : والله يامعشر النصارى لقد عرفتم ان محمدا لنبي مرسل . ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم ولقد علمتم ما لاعن قوم نبيا قط فبقى كبيرهم ولا نبت صغيرهم ، فان كنتم قد أبيتم الا إلف دينكم والاقامة على ما انتم عليه من القول في صاحبكم فوادعوا الرجل ثم انصرفوا الى بلادكم .

فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا :

يا ابا القاسم قد رأينا الا نلاعنك وان نتركك على دينك ونرجع على ديننا ، ولكن ابعث معنا رجلا من اصحابك ترضاه لنا ، يحكم بيننا في اشياء اختلفنا فيها من اموالنا فانكم عندنا رضا ، فلم يزل يتلمس ببصره حتى رأى ابا عبيدة بن الجراح فقال : أرسل معكم الرجل الامين القوى ثم دعاه فقال : اخرج معهم ، فاقض بينهم بالحق فيما اختلفوا فيه .

٥ - ومن طريف ما ذكره ابن هشام عن هذا الوفد قال ابن اسحاق لما وجهوا الى رسول الله جلس ابو الحارثة على بغلته والى جانبه اخ له اسمه كرز فعثرت بغلة ابي حارثة فقال كرز تعس الأبعد يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو حارثة - بل انت تعست فقال : ولم يا أخي ؟ قال : والله انه للنبي الذي كنا ننتظر فقال كرز : ما يمنعك منه وانت تعلم هذا ؟ قال : ما صنع بنا هؤلاء القوم ، شرفونا ومولونا واكرمونا وقد أبوا إلا خلافه فلو فعلت . نزعوا منا كل ما ترى ، فأضمر عليها منه اخوه كرز حتى اسلم واتجه بناقته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أعلن اسلامه أمام رسول الله .

والمتبادر ان كرز ذكر بعد اسلامه ما جرى بينه وبين اخيه لبعض اصحاب رسول الله فتبادلته الالسن حتى رواه عنه ابن اسحاق ورواه عنه ابن هشام .

وقد ذكر ابن هشام خبرا آخر عن اهل نجران قال : بلغني ان رؤساء نجران كانوا يتوارثون كتبا عندهم فكلما مات رئيس منهم فأفضت الرياسة الى غيره ختم على تلك الكتب خاتما من الخواتم التي كانت قبله ولم يكسرها ، فخرج الرئيس الذي كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم يمشي فعثر فقال ابنه تعس الأبعد يريد النبي فقال له أبوه : لا تفعل فانه نبي واسمه في الوضائع « يعني الكتب » فلما مات لم تكن لابنه همة الا ان شد فكسر الخواتم ، فوجد فيها ذكر النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم وحسن اسلامه وحج وانشد قائلا :

اليك تعدو قلقا وضينها
معترضا في بطنها جنينها
مخالفا دين النصارى دينها

٦ - **ثانيا** : ومما جاء في طبقات ابن سعد عن هذا الوفد انه رجع الحديث الى حديث علي بن محمد القرشي قالوا : وكتب رسول الله صلى الله عليه

وسلم الى اهل نجران فخرج اليه وفدهم اربعة عشر رجلا من اشرافهم نصارى وفيهم العاقب وهو عبد المسيح رجل من كندة وابو حارث بن علقمة رجل من بني ربيعة واخوه كرز والسيد وأوس ابنا الحارث وزيد بن قيس وشيبة وخويلد وخالد وعمرو وعبيدة الله وفيهم ثلاثة نفر يتولون امورهم : العاقب وهو اميرهم وصاحب مشورتهم والذي يصدرون عن رأيه ، وابو الحارث اسقفهم وحبرهم وامامهم وصاحب مدارسهم ، والسيد وهو صاحب رحلهم فتقدمهم كرز اخو ابي الحارث فدخلوا المسجد عليهم ثياب الحبرة واردية مكفوفة بالحرير فقاموا يصلون في المسجد نحو الشرق فقال رسول الله « دعوهم » ثم اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فاعرض عنهم ولم يكلمهم ، فقال لهم عثمان ذلك من اجل زيكم هذا فانصرفوا يومهم ذلك ، ثم غدوا عليه بزى الرهبان فسلموا عليه فرد عليهم ودعاهم الى الاسلام فابوا وكثر الكلام والحجاج بينهم وتلا عليهم القرآن وقال رسول الله : « ان انكرتم ما اقول فهلم اباهلكم » فانصرفوا على ذلك ، فغدا عبد المسيح ورجلان من ذوى رأيهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : قد بدا لنا ألا نباهلك فاحكم علينا بما احببت نعطك ونصالحك فصالحهم على الفي حلة ، الف في رجب والف في صفر أو قيمة كل حلة من الاواقي وعلى عارية ثلاثين درعا وثلاثين رمحا وثلاثين بعيرا وثلاثين فرسا ان كان باليمن كيد ولنجران وحاشيتهم جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله على انفسهم وملتهم وارضهم واموالهم وغائبهم وشاهدهم وبيعهم لا يغير اسقف عن سقيفاه ولا راهب عن رهبانيته ولا واقف عن وقفانيته واشهد على ذلك شهودا منهم : ابو سفيان بن حرب والاقرع بن حابس والمغيرة بن شعبة فرجعوا الى بلادهم فلم يلبث السيد والعاقب إلا يسيرا حتى رجعا الى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأسلما وانزلهما دار ابي ايوب الانصارى واقام اهل نجران على ما كتب لهم به النبي صلى الله عليه وسلم .

٧ ـ وفي كتاب الخراج للامام القاضي ابي يوسف وهو اقدم من كتابي ابن هشام وابن سعد بوصفه قاضي قضاة الخليفة العباسي هارون الرشيد فيه عهود رسول الله صلى الله عليه وسلم وما كتبه رسول الله الى نصارى نجران فلم نر إيرادها تفاديا من التطويل وهى مطابقة تطابقا روحيا مع ما جاء في طبقات ابن سعد عن كتاب العهد الذي كتبه نصارى نجران .

٨ ـ ولم يكن نصارى نجران وحدهم من اخذ عهدا من النبي من الكتابيين فقد وفد عليه رؤساء مستوطنات اسرائيلية ونصرانية متعددة كانت منتشرة في طريق الحجاز ـ الشام وطلبوا منه ان يدخلوا في ذمته وعهده مقابل مرتبات سنوية اتفقوا عليها ، منهم رئيس مدينة « أيله » وهذا مسجل في كتاب طبقات ابن سعد ولم نر ضرورة لتسجيله مفصلا تفاديا من التطويل ايضا .

٩ - وقد تبادر لنا من التباين بين خبر ابن هشام وخبر ابن سعد سواء في توقيت التسجيل ام في نتيجة الوفد ومصيره ان نصارى نجران قد ارسلوا وفدهم الى النبي صلى الله عليه وسلم مرتين ، مرة بعد وقعة بدر الكبرى التي انتصر فيها النبي والمسلمون على قريش وكانت قريش اكثر منهم عددا واقوى عدة فدوى الخبر دويا جعل نصارى نجران يرسلون وفدا لاستطلاع النبأ العظيم وكان من امر هذا الوفد ما ذكره ابن هشام حيث ابى وفد النصارى الاستجابة الى المباهلة وقالوا : نبقى على حالنا وننصرف بسلام واخذوا معهم ابا عبيدة رضي الله عنه ليكون حكما بينهم فيما اختلفوا فيه ، وفي المرة الثانية بعد فتح مكة وقد طلبوا في النهاية من النبي صلى الله عليه وسلم ان يكتب لهم عهد امان مقابل مرتبات معينة اتفقوا عليها سنويا والله اعلم .

١٠ - وفي كتاب طبقات ابن سعد والخراج وكتاب فتوح البلدان للبلاذرى وهو ايضا من الكتب القديمة المعتبرة كلام في صدد مصير نصارى نجران رأينا من المفيد ان نذكره كتتمة للكلام عن هذا الوفد فمما جاء فيه : انه لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ولي ابو بكر كتب لهم هذا الكتاب عبدالله ابن ابي بكر رضي الله عنه : « بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما كتب به عبدالله ابو بكر خليفة محمد النبي عليه الصلاة والسلام لأهل نجران اجارهم بجوار الله وذمة محمد النبي رسول الله على انفسهم وارضهم وملتهم واموالهم وحاشيتهم وعبادتهم وغائبهم وشاهدهم واساقفتهم ورهبانهم وبيعهم وكل ما تحت ايديهم من قليل او كثير لا يخسرون ولا يفسدون ولا يغير اسقف من اسقفيته ولا راهب من رهبانيته وفاء لهم بكل ما كتب لهم محمد النبي عليه الصلاة والسلام وعلى ما في هذه الصحيفة جوار الله وذمة محمد عليه الصلاة والسلام أبدا وعليهم النصح والاصلاح فيما عليهم من الحق ولما استخلف عمر رضي الله عنه قرر اجلاءهم عن نجران وخيرهم في اتخاذ موطن جديد لهم في الشام او العراق لانهم تعاطوا الربا وخافهم على المسلمين فكتب لهم : هذا ما كتب عمر امير المؤمنين لنجران : من سار منهم فانه آمن بأمان الله لا يضرهم احد من المسلمين وفاء لهم بما كتب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر ، اما بعد فمن مروا به من امراء الشام وامراء العراق فليوسقهم في حرث الارض مما اعتملوا في ذلك فهو لهم صدقة لوجه الله وعقبة لهم بمكان ارضهم لا سبيل عليهم فيه لا حد ولا مغرم . اما بعد فمن حضرهم من رجل مسلم فلينصرهم على من ظلمهم فانهم اقوام لهم الذمة وجزيتهم صنيعهم البر غير مظلومين ولا معتدى عليهم . فوقع ناس منهم بالعراق فنزلوا النجرانية التي في ناحية الكوفة فلما قبض عمر رضي الله عنه واستخلف عثمان اتوه الى المدينة فكتب لهم الوليد ابن عقبة وهو عامله « بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عثمان

امير المؤمنين الى الوليد بن عقبة : سلام الله عليك فاني احمد الله الذي لا اله الا هو اما بعد فان الاسقف والعاقب وسراة اهل نجران الذين بالعراق اتوني فشكوا الي وأروني شرط عمر لهم وقد علمت ما اصابهم من المسلمين واني قد خففت عنهم ثلاثين حلة من جزيتهم تركتها لوجه الله تعالى ، واني وفيت لهم بكل ارضهم التي تصدق عليهم عمر عقبي مكان ارضهم باليمن فاستوص بهم خيرا فانهم اقوام لهم ذمة وكان بيني وبينهم معرفة ، انظر صحيفة كان عمر كتبها لهم فأوفهم ما فيها واذا قرأت صحيفتهم فارددها لهم والسلام .

فلما استخلف علي رضوان الله عليه وقدم العراق اتوه فحدثني الاعمش عن سالم بن ابي الجعد قال : اتى اسقف نجران عليا رضي الله عنه ومعه كتاب في اديم احمر قال : اسألك يا امير المؤمنين خط يدك وشفاعة لسانك يعني لما رددتنا الى بلادنا قال : فابى علي رضي الله عنه ان يردهم وقال ويحك ان عمر كان رشيد الامر وكان عمر رضي الله عنه اجلاهم لانه خافهم على المسلمين وقد كانوا اتخذوا الخيل والسلاح في بلادهم فاجلاهم عن نجران اليمن واسكنهم نجران العراق ، وكانوا يرون ان عليا لو كان مخالفا لسيرة عمر لردهم ثم كتب لهم علي رضي الله عنه « بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من عبدالله علي بن ابي طالب امير المؤمنين لأهل النجرانية » اتيتموني بكتاب من نبي الله صلى الله عليه وسلم فيه شرط على انفسكم واموالكم واني وفيت لكم بما كتب لكم محمد صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر فمن اتى عليهم من المسلمين فليف لهم ولا يضاموا ولا يظلموا ولا ينقص حق من حقوقهم .

١١ ـ ومما جاء في كتاب البلاذرى زيادة على ذلك : انهم جاءوا الى معاوية وشكوا له نقصهم وضعفهم فوضع عنهم مائتي حلة في كل موسم اي اربعمائة حلة فلما ولي الحجاج وخرج ابن الاسقف عليه اتهمهم بموالاته فردهم الى الف وثمانمائة حلة . فلما ولي عمر بن عبدالعزيز جاءوا وتكلموا فامر باحصائهم فظهر انهم نقصوا الى عشر عدتهم الاولى ، فقال : اني ارى هذا الصلح جزية على رؤوسهم وليس صلحا عن ارض ، وجزية الميت والمسلم ساقطة ، فألزمهم مائتي حلة فقط اى عشر ما كان عليهم ، ولما ولي يوسف بن عمر العراق اعادهم الى ما كانوا عليه في زمن الحجاج فلما تولى ابو العباس الخليفة العباسي الاول تقربوا إليه ونثروا الرياحين في دربه ، فردهم الى ما كانوا عليه زمن عمر بن عبدالعزيز وقد ذكر ابن سعد باقتضاب مراجعتهم لابي بكر وكتابه لهم واجلاء عمر اياهم لانهم اصابوا ربا ، وقد تكون الروايات غير وثيقة وغير موثقة وقد يرد على الخاطر شك في ما في النصوص ولكن من شأن تواتر الخبر في الكتب القديمة ان يسوغ قبول الصورة العامة عن ذلك .

والحمد لله رب العالمين ..

خلق الله الكون

الترابط بين الاسلام وبدء الخليقة : إذا نظرنا الى القرآن الكريم ، وهو المصدر الاول والأساسي للتشريع الاسلامي ، نجد أن الله سبحانه وتعالى يحدثنا كثيرا عن بدء الخليقة في مراحلها المتعددة ، وفي صورها المختلفة ، ومن ذلك قوله تعالى : « **إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكّرون** » يونس / ٣ فهذا الترابط الواضح في هذه الآية بين خلق السماوات والأرض والأمر بالعبادة ، الموجه لنا في قوله تعالى « فاعبدوه » ، يؤكده الله لنا في الآية التي تليها : « **إليه مرجعكم جميعا وعد الله حقا إنه يبدأ الخلق ثم يعيده ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون** » **يونس/٤** حيث أكد الله تعالى وجوب عبادته وطاعته ما دام الرجوع اليه أمرا محققا ، ثم بين لنا بصريح العبارة انه أنشأ الخلق والكون كله ، وبدأه ليوجد الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وتعطى لهم الفرصة في الدنيا ليعبدوه ويقيموا شعائره ، قال تعالى : « **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** »الذاريات / ٥٦

وعندما تنتهي الحياة على الأرض ، بعد الانتهاء من أداء مهمتها التي خلقت من أجلها ، يعيد الله الخلق ، ويرجع الناس اليه بالبعث في الآخرة ، ليثيب ويكافىء الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وأطاعوا الله ، وأطاعوا رسله ، ويتم كل ذلك بالعدل والفضل من الله .

ليُثيبَ عِبادَهُ

للدكتور / محمد طموم

ويجب أن يعلم أن الفضل من الله هو أساس معاملة عباده المؤمنين الصالحين ، بدليل أنه خلق الكون وبدأه ثم يعيده ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، فالمقصود من بدء الخلق واعادته هو الثواب ، كما هو ظاهر من قوله تعالى : « **إنه يبدأ الخلق ثم يعيده ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط** » يونس / ٤

أما العقاب في الآخرة ، فلم يكن مقصودا أصليا من خلق الدنيا ثم البعث في الآخرة ، وإنما هو جزاء عدم الطاعة لأوامر الله ، ومعصيته والكفر بأنعمه ، وذلك واضح من قوله تعالى : « **والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون** » يونس / ٤ ومما يقرب هذا الى اذهاننا ، ويبسطه لادراكنا ـ مع الفارق ـ ما يحدث في إنشاء المدارس المتنوعة ، والمعاهد والجامعات الكبيرة ، وما يلحق بها من خدمات وهيئة تدريسية وغير ذلك ، حيث ان المقصود من هذا كله هو تعليم وتربية وتهذيب طلاب العلم ، وإتاحة الفرصة لمن عنده القدرة على الاستيعاب والجد ، ثم مكافأة المجتهد بالنجاح والتخرج ، والحصول على الدرجات العلمية العالية . أما عقاب من تخلف عن الركب فالرسوب في الامتحان ، فهو جزاء تقصيره في أداء واجباته ، ولم يكن هذا العقاب أبدا مقصودا أو هدفا من انشاء هذه المعاهد العلمية الشامخة ، وإنما المقصود هو مكافأة المجتهد ، وإتاحة الفرصة ليثبت جدارته ، حتى يمكن التفريق بين المجتهد والمقصر بالعدل

والقسطاس المستقيم . قال تعالى : « **وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار . أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار . كتاب أنزلناه اليك مباركٌ ليدَّبَّروا آياته وليتذكَّر أولو الألباب** » ص / ٢٧ ـ ٢٩

ويبين الله تعالى أنه لم يخلق الانسان ليلعب ويعبث في الأرض ، وأنه تعالى لما كرمه سيتركه دون تكليف وتشريع ينظم حياته الى أن يبعث للجزاء . قال تعالى : « **أيحسب الإنسان أن يترك سدى . ألم يك نطفة من مني يمنى . ثم كان علقة فخلق فسوى . فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى . أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى** » القيامة / ٣٦ ـ ٤٠

سبحانك اللهم بلى

خلق الانسان

حدثنا القرآن الكريم عن خلق الانسان ، وتطور هذا الخلق وكيف نشأ الانسان في مراحله المتعددة ، وفي صوره المختلفة ، قال تعالى : « **ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون. والجان خلقناه من قبلُ من نار السموم** » الحجر/ ٢٦ ، ٢٧

وقال تعالى :« **خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج يخلقكم في بطون أمهاتكم خَلْقاً من بعد خَلْقٍ في ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك لا إله إلا هو فأنى تُصْرَفُونَ** » الزمر /٦

فنجد أن القرآن الكريم يحدثنا عن المادة التي خلق منها الانسان الأول ، آدم عليه السلام ، مع بيان المادة التي خلق منها الجان ، ليظهر الفرق بينهما في التكوين ، مع توضيح أن هناك فرقا زمنيا بينهما في الخلق ، حيث لم يخلقا في وقت واحد .

اما قوله تعالى : « **خلقكم من نفس واحدة** » الآية ، فقد بينت كيف خلق باقي البشر من هذه النفس الواحدة ، وكيف تنوع الخلق للانسان بعد ذلك ، للدلالة على قدرة الله تعالى ، حيث خلق حواء من آدم ، ثم بين كيفية خلق بقية البشر ، وأن هذا الخلق يتم في بطون الأمهات ، ويكون خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث .

وفي هذا بيان لكيفية خلق الانسان بجميع صوره العقلية الأربعة ، وهي :

١ ـ انسان من غير أب وأم ، وهو آدم عليه السلام .

٢ ـ انسان من أب فقط من غير أم ، وهي حواء .

٣ ـ انسان من أم فقط من غير أب ، وهو عيسى عليه السلام ، قال جل جلاله :« **إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون** » آل عمران/ ٥٩

٤ ـ انسان من أب وأم ، وهم بقية البشر .

فالصورتان الأخيرتان تندرجان تحت قوله تعالى : « **يخلقكم في بطون أمهاتكم** » .

فالله تعالى ـ جلّت قدرته ـ بعد هذا البيان الواضح لقدرته وإعجازه في خلق الانسان الأول ، ثم خلق جميع البشر ـ مع تعدد كيفية الخلق وتنوعه ـ من هذه النفس الواحدة الأولى ، نجده في الآية التالية مباشرة ، يوجه الانذار الشديد الينا ـ أتباع محمد صلى الله عليه وسلم ، خاتم الأنبياء والرسل ، فيقول جل جلاله : « **إن تكفروا فان الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم ولا تزر وازرة وزر اخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون إنه عليم بذات الصدور** » الزمر/٧

الخلافة

في الاخبار بمهمة الانسان في الارض قال تعالى : « **وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يُفْسِدُ فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون** » البقرة / ٣٠

والمعنى : يخلفني في تنفيذ أحكامي وأوامري ، والمقصود بالخليفة في هذه الآية هو آدم عليه السلام لأمور منها :

اولا : أن سياق الكلام كان عن اخبار الله الملائكة والكون بخلق آدم ، أول انسان خلق .

ثانيا : أن آدم عليه السلام كان أول نبي ورسول الى الأرض ، فكان بذلك أول خليفة لله في إمضاء أحكامه ، وتنفيذ أوامره ، وتبليغ رسالته الى ذريته وأحفاده ، وقد ورد في حديث أبي ذر ما يفيد ذلك ، حيث قال : قلت : يا رسول الله أنبيا كان مرسلا ؟ قال : « نعم »

ثالثا : ان ذلك قول ابن مسعود وابن عباس ـ رضي الله عنهم ـ وجميع المفسرين وأهل التأويل .

والحكمة من اختيار الله أن يكون له خليفة في الأرض ينفذ أحكامه وأوامره ، ويقيم شعائره ، هي رحمة الله بعباده ، حيث أرسل لهم الرسل من البشر مثلهم ، يتلقون عن طريقهم شرائعه السماوية ، لأن الأفراد ـ من غير الرسل ـ لا يمكنهم التلقي المباشر من الله تعالى ، لعظم الأمر ، وخطورة الشأن ، ولا يقدر على ذلك الا من اختاره الله لتحمل رسالته ، وأهله لهذا الأمر الخطير ، ، ومع كون الرسل من المختارين كان الأمر عظيما عليهم ، وشديدا على حواسهم وأجسادهم البشرية ، ولذلك نجد ذلك واضحا في مخاطبة الله تعالى لرسولنا ، حيث قال : « **يا أيها المزمل . قم الليل إلا قليلا . نصفه أو انقص منه قليلا . أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا . إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا** »المزمل/١ ـ٥

وقال تعالى :« **يا أيها المدثر . قم فأنذر . وربك فكبر . وثيابك فطهر . والرجز فاهجر . ولا تمنن تستكثر . ولربك فاصبر** »المدثر /١ ـ ٧ واذا كان هذا أمر المختارين ، فما بال بقية الأفراد من البشر ، اذن لا بد من وجود واسطة بين الله

وعباده في تلقي أوامره ونواهيه .

ومن رحمة الله بعباده أن تكون هذه الواسطة من جنس البشر ، ولم تكن من غير جنسهم مثل : الملك أو الجان ، وذلك لاختلاف الطبيعة البشرية عنهم في كثير من الأمور ، مما يؤدي الى المشقة على ذرية آدم وبقية البشر في التلقي عنهم .

واذا نظرنا الى قوله تعالى :« **إني جاعل في الارض خليفة** » البقرة / ٣٠نجد انها جاءت للإخبار عما حدث عند بدء خلق الانسان الأول ، لكن ورودها في القرآن الكريم يجعل لها ترابطا قويا مع التشريع الاسلامي ، حيث أن هذا الايراد لم يكن مجرد إخبار عما حدث ، وإنما يحمل في طياته التوجيه والارشاد للمسلمين ، ولذلك كانت هذه الآية دليلا قويا على ضرورة تنصيب إمام وخليفة وحاكم ، يكون له السمع والطاعة من قومه ، وتكون له السلطة التي تمكنه من تنفيذ الأحكام والأوامر التي وردت في الشريعة الاسلامية ، خاتمة الشرائع السماوية .

بل اعتبر البعض هذه الآية أصل في وجوب نصب الخليفة ، قال القرطبي : (هذه الآية اصل في نصب إمام وخليفة يسمع له ويطاع ، لتجتمع به الكلمة ، وتنفذ به أحكام الخليفة ، ولا خلاف في وجوب ذلك بين الأمة ، ولا بين الأئمة ، إلا ماروي عن الأصم من كبار المعتزلة واسمه أبو بكر - وكل من قال بقوله واتبعه على رأيه ومذهبه ، قال : انها غير واجبة في الدين ، بل يسوغ ذلك ، وأن الأمة متى أقاموا حجهم وجهادهم ، وتناصفوا فيما بينهم ، وبذلوا الحق من أنفسهم ، وقسموا الغنائم والفيء والصدقات على أهلها ، وأقاموا الحدود على من وجبت عليه ، أجز أهم ذلك ، ولا يجب عليهم أن ينصبوا إماما يتولى ذلك) الجامع لأحكام القرآن/جـ١ ص ٢٦٤ .

وقد استدل الجمهور بقوله تعالى : « **إني جاعل في الأرض خليفـة** » البقرة / ٣٠ .

ويقول الله عز وجل :« **يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب** » ص/ ٢٦ .

وبقوله جل شأنه :« **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا** » النور / ٥٥ .

واستدلوا أيضا باجماع الصحابة - رضي الله عنهم - على وجوب وجود خليفة ، يتولى شئون المسلمين ، ويرعى مصالحهم ، ويقوم بتنفيذ أحكام الله وأوامره ، وذلك بعد موت الرسول صلى الله عليه وسلم ، وانتقاله الى الرفيق الأعلى ، واستمر هذا الاجماع على وجوب وجود الخليفة ، من غير نكير من احد منهم ، وان اختلف اسلوب اختيار كل خليفة من الخلفاء الراشدين ، ولكن في النهاية كانت البيعة للخليفة ، ولم يقل احد منهم : نحن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا حاجة لنا الى وجود خليفة ، ليقودنا ويتولى أقامة حدود الله ، وينفذ احكامه .

أما الخلاف في كون الامامة بالسمع أم بالعقل ، والنص على الامام من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم ، أم من جهة اختيار أهل الحل والعقد له ، أم بكمال خصال الأئمة فيه ؟ وما هي شرائط الامام والخليفة ؟ وغير ذلك مما يتعلق بهذا الموضوع ، فليس هنا مجال البحث فيه وفي تفاصيله .

والحقيقة اننا إذا نظرنا إلى بقية الآية : « **قالوا أتجعل فيها من يُفْسِدُ فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون** » نجد أن الخليفة في قوله تعالى « **إني جاعل في الأرض خليفة** » البقرة/ ٣٠ ـ ليس قاصرا على الرسل فقط ، أو على آدم فقط ثم يمتد إلى بقية الرسل ، وإنما يشمل آدم ويمتد لجميع الأنبياء والرسل عليهم السلام ، ويستوعب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، لقوله تعالى :« **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا** » النور/ ٥٥

ثم يدخل تحت قوله تعالى :« **خليفة** » كل حاكم وامام وخليفة من غير من سبق ذكره ، وذلك بدليل قوله تعالى ـ على لسان الملائكة : « **قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء** » فهذا القول صادق على بعض الحكام والملوك وغيرهم ممن يتولون رعاية شئون المسلمين أو غيرهم من البشر ، كما ورد ذلك في قوله تعالى:« **قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزّة أهلها أذلّة وكذلك يفعلون . وإني مرسلة إليهم بهدية فناظرة بِمَ يرجع المرسلون** » النمل/ ٣٤ ، ٣٥ فكانت نظرة الملائكة قاصرة على هذا الصنف من الخلفاء ، ثم عمموا الحكم على الجميع .

وقد ورد ذكر لمثل هؤلاء الخلفاء ، قال تعالى : « **أو عجبتم أن جاءكم ذِكْرٌ من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون** » الأعراف/٦٩ . وقال تعالى : « **واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين** » الاعراف/ ٧٤ وقال عز جلاله : « **أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلا ما تَذَكّرون** » النمل/ ٦٢

فلما كان قول الملائكة قاصرا على هذه النوعية ، وغير عام كما ذكروا ، رد الله سبحانه وتعالى عليهم بقوله : « **قال إني أعلم ما لا تعلمون** » مشيرا بذلك إلى أن الخلافة ليست منحصرة في النوع الذي ذكرتموه ، وإنما يوجد من الخلفاء الرسل والأنبياء والصالحون ، ممن يهتدي بهديهم ، وينيرون الطريق لغيرهم ، ويخرجونهم من الظلمات الى النور ، قال قتادة : لما قالت الملائكة : « **اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء** » وقد علم الله أن فيمن يستخلف في الأرض أنبياء وفضلاء واهل طاعة قال لهم : « انى اعلم مالا تعلمون » البقرة/ ٣٠ .

للمستشار / محمد عزت الطهطاوي

عقيدة النصرانية أو المسيحية كما دعيت بعد ذلك في أساسها كانت قائمة على توحيد الله بالعبادة وأن المسيح عليه السلام بشر رسول بعثه الله إلى بني اسرائيل مصدقا لما بين يديه من التوراة التي هي كتاب اليهود المقدس الذي أنزله الله على نبيه موسى عليه السلام فنصحهم بتقوى الله وطاعته .

وفي نصوص الكتب المقدسة المتداولة بين النصارى ما يشير الى ذلك وهذا في قوله « وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الاله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته » انجيل يوحنا في الاصحاح السابع عشر عدد ٣ ، ٤ .

الا أن النصارى أو المسيحيين وهو ما غلب على تسميتهم يؤمنون في عقيدتهم التي ورثوها عن أسلافهم بأن المسيح عليه السلام (هو صورة الله) أي أن فيه طبيعة لاهوتيه ومادام كذلك فهو الله متجسدا ويستندون في ذلك الى النصوص الآتية والمنسوبة الى بولس مشيرا بها الى

كيف يعتقد النصارى أنه يتجسد؟

المسيح عليه السلام .

١ ـ (هذا الفكر الذي في المسيح يسوع أيضا الذي اذ كان في صورة الله)[١] .

٢ ـ (الذي هو صورة الله غير المنظور بكر كل خليقة)[٢] .

٣ ـ (إنارة إنجيل مجد المسيح الذي هو صورة الله)[٣] .

والرد على ذلك سهل يسير :

١ ـ فالقول بكون المسيح هو صورة الله يعني أن المسيح هو غير الله سبحانه وتعالى لان كون شيء على صورة شيء لا يقتضي أنه هو بل بالعكس يفيد أنه غيره فمثلا صورة الآلهة المعبودة من دون الله هي بالقطع ليست عين الاله المعبود وبناء على هذا المثال فان القول بأن المسيح (هو صورة الله) يفيد بلا شك أنه غيره لا عينه .

٢ ـ ان كون المسيح (هو صورة) الله حدده بولس نفسه صاحب النصوص . السابق الاشارة اليها في رسالته الاولى الى أهل كورنثوس في قوله (فان الرجل لا ينبغي أن يغطي رأسه لكونه صورة الله ومجده وأما المرأة فهي مجد الرجل)[٤] مما يعني ان الله جعل المسيح نائبا عنه في ابلاغ شريعته الى من أرسل اليهم مثل ما أن الله جعل الرجل نائبا عنه في سلطانه على امرأته ومقتضى هذا السلطان الا يغطي الرجل رأسه بخلاف المرأة[٥] .

٣ ـ أن الله خلق آدم كما خلق المسيح فلا مزية للمسيح في هذا المعنى فقد ورد في سفر التكوين عن آدم قوله (لان الله على صورته عمل الانسان)[٦] ، ولم يقل أحد من الناس قديما أو حديثا أن في آدم طبيعة لا هوتية أو أنه الله متجسدا .

كيف كانت العلاقة بين الانسان وخالقه في بشارات المسيح :

إن العلاقة بين الانسان وخالقه كما بينتها أقوال المسيح عليه السلام هى العلاقة بين الروح ومصدرها وبين الحياة وينبوعها بين المكفول وكافله

وبين الرعية وراعيها[٧] .

ويتضح ذلك من صلاته التي علمها لتلاميذه وذلك في قوله (متى صليتم فقولوا أبانا الذي في السماوات ليتقدس اسمك ليأت ملكوتك لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الارض خبزنا كفافنا أعطنا كل يوم واغفر لنا خطايانا لاننا نحن أيضا نغفر لكل من يذنب الينا ولا تدخلنا في تجربة لكن نجنا من الشرير)[٨] .

اذا كيف انحرف مفهوم الصورة عند النصرانية الى مفهوم الحقيقة :

يبدو أن ذلك الانحراف في معنى الصورة جاء نتيجة تأثر النصرانية فيما بعد عصر المسيح وعصر الحواريين بالفلسفات التي كانت سائدة في منطقة البحر الابيض المتوسط والتي منها فلسفة أرسطو .

فالصورة في مذهب أرسطو هي حقيقة الشيء وماهيته التي يقوم بها وجوده فليست هي شكله البادي للعين أو تمثاله الملموس باليدين .

فصورة العصفور هي حقيقته التي يكون بها عصفورا وصورة الدرهم هي جوهره الذي يميزه من سائر قطع الفضة وسائر قطع النقد ويجعله درهما وتزول عنه الدرهمية اذا زال ولا يخلو موجود في العالم من الصورة فكل موجود فهو صورة ومادة او صورة وهيولى لان المادة كانت تسمى بالهيولى .

وطبيعي أن ما سارت عليه النصرانية كان خطأ في مفهومها لمعنى (كون المسيح هو صورة الله متجسدا) وذلك أن أرسطو نفسه في فلسفته يقرر أن اعلى الموجودات هو الله لا تشوبه المادة ومعنى مجرد لا يقوم في جسد .[٩]

أسفار اهل الكتاب نفسها تقرر أن الله لا يكون انسانا :

ان الله لا يكون انسانا مطلقا لان صفة الالوهية يستحيل عليها ان تجتمع في انسان مطلقا وهذا بصريح اسفار اهل الكتاب المقدسة عندهم طبقا لما يلي :

اولا : ورد بسفر هوشع قوله عن الله (لانى الله لا إنسان)[١٠] .

ثانيا : ورد بسفر أيوب قوله عن الله (لانه ليس هو انسانا مثلي فأجاوبه فتأتى جميعا الى المحاكمة[١١] .

ثالثا : جاء في سفر صموئيل الأول قوله عن الله (لانه ليس انسانا ليندم)[١٢] .

رابعا : جاء في سفر العدد (ليس الله إنسانا فيكذب ولا ابن انسان فيندم)[١٣] .

خامسا : جاء في سفر الخروج قول الله لموسى عليه السلام لما طلب رؤيته (وقال لا تقدر أن ترى وجهي لان الانسان لا يراني ويعيش)[١٤] .

سادسا : يقول يوحنا في رسالته الأولى عن الله (أيها الأحياء إن كان الله قد أحبنا هكذا ينبغي لنا أيضا أن يحب

بعضنا بعضا ، الله لم ينظره أحد قط[١٥] .

رجال اللاهوت النصارى يرفضون عقيدة التجسد في المسيح في زماننا المعاصر :

لفتت عقيدة تجسد الله في المسيح لغرابتها وشذوذها تفكير رجال الدين في أوربا مما حدا بهم الى البحث عن جذورها ومصادرها التي تسربت منها الى عقيدة النصرانية النقية عقيدة المسيح عليه السلام التي هى براء من أفكار تجسد الله في المسيح أو تأليهه وقد انبرى بعض رجال اللاهوت البريطانيين لمناقشتها حيث انتهوا فيها مجتمعين الى القول بأن الوقت قد حان لترك هذه الاسطورة الدخيلة على دعوة المسيح عليه السلام ، وأن المؤمنين بالنصرانية مقتنعون بأن الاعتقاد المتأخر :

١ ـ بأن المسيح هو الله في صورة إنسان .

٢ ـ والشخص الثاني في الثالوث المقدس الذي يحيا حياة بشرية .

هذا الاعتقاد ما هو الا أسلوب أسطوري أو شاعري للتعبير عن أهمية المسيح وعلينا أن نقول هنا أن أملنا هو أن نحرر الحديث عن الله وعن يسوع من الخلط والتشويش محررين بذلك الناس لخدمة الله في الطريق المسيحي بكمال اكبر ـ لان المسيحية لا تستطيع البقاء كايمان يمكن الاقتناع به الا اذا كانت متفتحة باستمرار على الحقيقة[١٦] .

ملاحظة : كلمة يسوع تعني المسيح .

هل من الممكن وجود النصرانية بدون عقيدة التجسد :

اولا : يقول القس (موريس وايلز) رئيس لجنة المعتقدات في كنيسة انجلترا وأستاذ الالهيات في جامعة اكسفورد ـ أن المسيحية توصف غالبا بأنها عقيدة التجسد أي تجسد الله في الفرد المعين يسوع الناصري فهل من الممكن وجود المسيحية بدون تجسد بهذا المعنى ؟ (أي بدون هذه الاسطورة) .

ولقد انتهى في اجابته الى القول بأن الكثيرين يعترضون الآن على استعمال الاسطورة في اللاهوت سواء كانت الأسطورة تاريخية او فلسفية أو شعرية فالرأي السائد في فهمها هو أنها خرافية وليست حقيقية[١٧] .

ثانيا : ماذا تقول المحاضرة اللاهوتية (فرنسيس يونغ ؟) هذه المحاضرة تقرر :

١ ـ أن الافكار والالقاب التي أضفيت على المسيح كانت موجودة قبل أن يتبناها المسيحيون الاوائل ويمكن الاطلاع عليها في وثائق غير مسيحية وبتفسيرات غير مسيحية فلها أصول آرامية وخلفيات فلسطينية ويهودية وهللينية ويونانية .

٢ ـ ولقد نسبُت هذه الافكار والألقاب

الى المسيح ولم يدعيها المسيح لنفسه .
٣ ـ ومن المسح لدراسة المسيح في كتب العهد الجديد يمكن قول الآتي :
أ ـ أن الاناجيل لا توفر معلومات مباشرة من الوحي عن ألوهية المسيح .
ب ـ وفكرة التجسد بمعناها المقبول تقليديا لم توجد في رسائل بولس ، بل في أذهان قراء هذه الرسائل الذين فسروها على هذا النحو ، ويمكن تطبيق نفس هذا الجدل على بقية الأناجيل .
جـ ـ أن عملية التأليه للمسيح مستلهمة كليا من الوثنية .
د ـ وان امتداد الكنيسة في العالم غير اليهودي هو سبب ظهور فكرة دخول عبيل فوق مستوى البشر على شخص المسيح[١٨] .

ثالثا : ويقرر (دون كوبيت) عميد كلية عمانوئيل بجامعة كمبردج :

أن يوحنا الدمشقي الذي عاش الفترة من (٦٧٥م ـ ٧٤٩) وهو عالم شرقي من علماء اللاهوت أقر بأن كتب النصرانية المقدسة خالية من التثليث وثنائية الطبيعة للمسيح والتجسد وهذه الافكار انتقلت الى النصارى من أباء الكنيسة وينتهي (دون كوبيت) الى القول بأنه اذا كان الأمر في التجسد هو أن الله نفسه اتخذ بصورة دائمة طبيعة بشرية أمكن وصفه أنه إله في شكل إنسان ويمكن إذن إدراك الالوهية بهيئة تركيب بشرى وتعود هكذا فكرة الوثنيين عن الاله على أنه شخص ذو جنس معين فوق مستوى البشر وهذا ما حدث فعلا مع الوقت بمساعدة الصور التقليدية للأب والابن مما يقتضي ألا تصبح دراسة شخصية المسيح نوعا من مذهب عبادة الانسان للانسان بل يجب التركيز على الله وليس على المسيح[١٩] . ويعلق على ذلك الدكتور / محمد البهى بأن المسيحية الرومانية يوم غلب عليها الاتجاه المادي جسمت الالوهية فنقلت الى (ألوهية المسيحية) مادية الوثنية الرومانية والاغريقية قبلها وأنزلت السماء الى الارض وحولت الانسان عليها الى إله أو شبه إله في قداسته واحترامه والطاعة له[٢٠] .

الاسلام في عقيدته يرفض فكرة المشبهة والمجسمة للذات الالهية :

ففي الوقت الذي أضفي القرآن الكريم على حقيقة الذات الالهية من الصفات وأضاف اليها من النعوت ما يميزها عن سائر الموجودات ويجعلها في متناول الادراكات الانسانية وفي دائرة ما يعرف بالعقل والوجدان بل ويجعلها أجلى ما يعرف واسمى وأجل ما يعلم لذوى الفطر السليمة والعقول المستقيمة يرفض القرآن الكريم أيضا فكرة المشبهة والمجسمة كلية .
فالإله لا حاجة له أن يلبس جسد البشر كما وأنه منزّه عن صفات البشر وأخصها التجسد .

ويشير القرآن الكريم في سورة الاخلاص الى جانب التنزيه بقوله **(قل هو الله أحد)** فهذه الأحدية تقتضي التفرد والتنزيه عن المشابهة والماثلة للحوادث كما يشير الى جانب الكمال والتأثير بقوله **(الله الصمد)** وهو المقصود للناس جميعا فهذه الصمدية تقتضي اتصافه عز وجل بكل صفات التأثير التي هي صفات الكمال ، ولم يكن أحد مكافئا ومماثلا له في شيء من صفاته كما يشير اليه قوله تعالى **(ولم يكن له كفوا أحد)** .

فالله في عقيدة الاسلام ليس الا الموجود الاسمى المنفرد بكل صفات الكمال الحائز لكل معاني العزة والجلال المهيمن على كل ما سواه ومن عداه اليه تستند وجودات الاشياء ومنه تنبثق ما فيها من قوة وحياة وعنه وبارادته تصدر كل ما فيها من حركات وكل ما يلحقها من تغيرات ، وهو القاهر للخلق جميعا بما له من مطلق الأمر والنهي .

قال تعالى **(ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)** سورة الشورى ١١ .

ويقول جل شأنه « **قل هو الله أحد· الله الصمد·لم يلد ولم يولد·ولم يكن له كفوا أحد** » سورة الإخلاص .

المراجع :

(١) رسالة بولس الى اهل فيليبي في الاصحاح ٢ عدد ٥ ، ٦ من العهد الجديد بالكتاب المقدس .

(٢) رسالة بولس الى كولوسي في الاصحاح ١ عدد ١٥ من العهد الجديد بالكتاب المقدس .

(٣) رسالة بولس الثانية الى اهل كورنثوس في الاصحاح ٤ عدد ٤ من العهد الجديد بالكتاب المقدس .

(٤) رسالة بولس الاولى الى اهل كونثوس في الاصحاح ١١ عدد ٧ من المرجع السابق .

(٥) كتاب سلاسل للناظرة الاسلامية النصرانية للاستاذ / عبدالله العلمي الغزي الدمشقي استاذ دروس تفسير القرآن في الجامع الاموي بدمشق سابقا .

(٦) سفر التكوين في الاصحاح ٩ عدد ٦ من العهد القديم من الكتاب المقدس .

(٧) كتاب (الله) نشاة العقيدة الالهية للمرحوم عباس العقاد .

(٨) انجيل لوقا في الاصحاح الحادي عشر عدد ٣ ـ ٤ من العهد الجديد بالكتاب المقدس .

(٩) كتاب (الله) نشاة العقيدة الالهية للمرحوم عباس العقاد .

(١٠) سفر هوشع في الاصحاح ١١ عدد ٩ من العهد القديم بالكتاب المقدس .

(١١) سفر ايوب في الاصحاح ٩ عدد ٣٢ من العهد القديم بالكتاب المقدس .

(١٢) سفر صموئيل الاول في الاصحاح ١٥ عدد ٢٩ من المرجع السابق .

(١٣) سفر العدد في الاصحاح ٢٣ عدد ١٩ من المرجع السابق .

(١٤) سفر الخروج في الاصحاح ٣٣ عدد ٢٠ من المرجع السابق .

(١٥) رسالة يوحنا الرسول الاولى في الاصحاح الرابع عدد ١١ ـ ١٢ من العهد الجديد من الكتاب المقدس .

(١٦) كتاب اسطورة تجسد الله في المسيح تاليف البروفيسور جون هوك استاذ اللاهوت بجامعة برمنجهام في بريطانيا .

(١٧) المرجع السابق

(١٧) المرجع السابق .

(١٨) المرجع السابق .

(١٩) كتاب الدين والدولة للدكتور / محمد البهي .

(٢٠) كتاب العقيدة والاخلاق للدكتور محمد بيصار شيخ الازهر السابق .

إيمان المنفعة كما يصوره القرآن

للأستاذ / توفيق محمد سبع

منهج القرآن في تصوير الأخلاق :

من روائع المنهج القرآني ... أنه عندما يعرض صور الأخلاق الكريمة وآثارها في المجتمع ، أو الأخلاق الذميمة وأضرارها في البيئة .. يعمد إلى تجسيدها في شخص ، أو تحريكها في قصة ، أو تجسيمها في سلوك .. وبخاصة إذا كانت تلك الأخلاق تعبر عن اتجاه نفسي ، أو أمر معنوي .. فيكون ذلك أدعى إلى تمثلها ، والتعرف عليها ، والتماس القدوة منها واستيعاب الدروس المستفادة لها من غير عناء ولا مشقة !! يضاف إلى ذلك ما يتجلى في هذا المنهج من روح الواقعية التي تجعله أليفا إلى النفس أنيسا للقلب ، بما يلمح فيه من نتائج ترتبط بالأسباب ، وآثار تنشأ عن السلوك ، متمثلة في أشخاص يتحركون على أرض المجتمع ، ويمشون بين الناس .. وهذه الآثار وتلك النتائج لا تقتصر على نماذجها الخاصة ـ وإنما تتكرر في كل زمان ومكان ... وتتجدد في كل عصر وبيئة .. لأن آفات البشرية واحدة .. وفضائلها النفسية واحدة ... وما حدث في قديم التاريخ يحدث في حياتنا

الماثلة وظروفنا الحاصلة .. لأن تاريخ البشرية درس متكرر !!

والصور الأخلاقية التي يعرضها القرآن نماذج للقدوة ، لا تفقد واقعيتها على مر الأيام وكر العصور .. وإنما تظل على جدتها وجاذبيتها كأنما نراها اليوم بأعيننا ونلمسها بأيدينا .. لأنها تصوير العليم الخبير .... الذي خلق فسوى وقدر فهدى ...

والمنهج المقابل لذلك - الذي يرفضه القرآن - هو منهج العرض التقريري على شكل بحث منظم ... تصطنع له المقدمات .. وتساق الأدلة .. وتستخلص النتائج .. ويراعى فيه الترتيب ، والنظام .. ومثل ذلك المنهج لا يحرك النفس ، ولا يبعث الشوق ، ولا ينشىء الجاذبية .. بل هو لا يترك الأثر في النفس الانسانية ، لأنه مجرد كلام لا أكثر ولا أقل !! على أنه من قبل ومن بعد تجريد للمعاني لا يكاد يفهمه أو ينفذ إلى أعماقه إلا القلة من الناس !!

أما منهج التجسيد :

فانه يريك النتائج متمثلة في أشخاص ، سواء أكانت نتائج سارة أو سيئة - فتجد قلبك ينبض بالعاطفة ، ويجيش بالشعور تعاطفا مع أولئك الأشخاص وتأثرا بما يحدث لهم ..

والقرآن يتوخى هذه الغاية ما في ذلك ريب .. لأنه كتاب هداية يؤثر أن تنفعل النفوس من أعماقها بصور الخير لتتمثله .. وبصور الشر لتتجنبه .. وتلك هى القدوة في صورتها الواقعية !!

ويوم تصبح الأخلاق نظرية للبحث والدراسة تتحول إلى مقالات وخطب - ويكون حظ المجتمع منها بلاغة لفظية ، وفتنة كلامية ، إن أثرت في العقل والفكر .. فانها لا تؤثر في الشعور والوجدان !!

وويل لأمة تبتلى بكثرة الكلام .. وتحرم من ثمرة العمل .. ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤثر بفعاله أكثر مما يؤثر بكلامه .. ولهذا ربى أجيالا عملية تفعل أكثر مما تقول ، وتطبق أكثر مما تدرس !!

ولقد صعد عثمان بن عفان المنبر يوما .. فتعذر عليه القول ، وأرتج عليه وأخيرا فتح الله عليه بكلمات هن فصل الخطاب فقال : (أيها الناس : سيجعل الله بعد عسر يسرا ، وبعد ضيق فرجا وأنتم إلى إمام فعال أحوج منكم إلى إمام قوال) فما سمعت خطبة في موضوعها أبلغ منها .. لأنها أعتمدت الأفعال منهاجا للحياة ورفضت الثرثرة والكلام .. وصيغت في أوجز عبارة وأحلى بيان !!

على أنه لا ثمرة لعقيدة لا تدفع إلى عبادة ولا لعبادة لا تنشىء مكارم الأخلاق وخير للفضائل أن تمارس ... وتصبح سلوكا يصطبغ به المجتمع من

أن تصبح شعارات وخطبا ودراسات . وإن ممارسة واحدة لفضيلة الصدق خير ألف مرة من قراءة ألف كتاب فيه ، وسماع ألف خطبة لأن ذلك لا يعدو أن يكون كلاما .

أمثلة خاطفة لهذاالمنهج :

عندما أراد القرآن أن يحدثنا عن آفة السطو على الناس في منازلهم في غير أوقات الزيارة وبدون استئذان ومن غير رعاية لحرماتهم ومكانتهم الاجتماعية .. ويحذرنا من تلك الأخلاق السيئة ذكر قصة واقعية .. تحرك أشخاصها على أرض الوجود وتحركت معهم أخلاقهم الجافية الغليظة فأحدثت آثارها السيئة ، وانفعلت بها القلوب والمشاعر .. بل امتلأت سخطا على أولئك الجفاة الغلاظ ولم يذكر أسماء أولئك الاشخاص في ذلك المجال النقدي رعاية لجانب التربية الآلهية التي لا تشهر بالناس بقدر ما تتجه إلى إصلاحهم ، وعلاج أمراضهم الخلقية .. نجد ذلك ماثلا في قوله سبحانه : « إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون . ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم » الآيتان ٤ ، ٥ من سورة الحجرات .

لقد عالجت الآية مشكلة اجتماعية هى الجفوة والسطو على أوقات الناس وقلة الذوق في مخاطبة الرسول الكريم ومن كرمهم الله فعمدت إلى تصويرها في قصة واقعية تمثلت في وفد تميم .. فكان ذلك أدعى إلى الاتعاظ والانتفاع بثمراتها ..

وهذا النموذج الجافي الغليظ من الناس يتكرر عبر الازمنة المختلفة والأمكنة المتباينة .. ومن ثم فان القصة الواقعية تظل على عطائها المتجدد في كل بيئة وعصر وتلك خصائص رفيعة للنماذج القرآنية يبلى الزمن ولا تنفد جدتها .

وتستطيع كذلك أن تلمح هذا المنهج في العرض التصويري لصور الأخلاق في حديث الافك حيث قال جل جلاله : « إن الذين جاءوا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم » . آية ١١ من سورة النور .

لقد حدثنا القرآن عن أشخاص تحركوا بالافك ، فأرانا الأخلاق السيئة متحركة نابضة في صورة عملية مؤثرة .. تنفر مما ارتكبوا ، وترغب في الصدق وتحرى الحق .

وخذ مثلا في تصوير آثار الصدق وبيان ثمراته .. إن القرآن لم يعطنا بحثا في تعريف الصدق وإقامة الأدلة على قيمته .. واستخلاص النتائج النافعة .. وإنما عمد إلى تجسيده في شخص وتجسيمه في سلوك وتحريكه في

قصة فقال : « والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المفلحون » **إنه يربطنا بالصادقين من أمثال أبي بكر الصديق رضى الله عنه ـ وليس بالصدق المجرد .. ويعطينا ثمرة الصدق متمثلة في الأشخاص فيقول** : « أولئك هم المفلحون » .

ومن هنا ندرك أن المنهج القرآني في تصوير الأخلاق منهج واقعي سواء في الجوانب السلبية أو الايجابية من الأخلاق وهذا درس ينبغي أن ينتفع به المربون والوعاظ والكتاب والخطباء . حتى تبرز فضائل السلوك في صورة عملية صالحة للقدوة والتأسي !!

إيمان المنفعة :

بعد أن سقنا طريقة القرآن ومنهجه في عرض الصور الاخلاقية .. وعززنا ذلك ببعض النماذج القرآنية .. نخلص إلى موضوع مقالنا وهو (إيمان المنفعة) ونبسط القول فيه والحديث عنه مستندين إلى ما مر من عرض سريع خاطف .

وسأقف عند هذا النموذج القرآني « إيمان المنفعة » وقفة خاصة أحلل بواعثه ـ وأحدد أهدافه وأوضح خطره على الفرد والجماعة ..

وهو نموذج لا يخرج عن النماذج السابقة في التجسيد .. لا في التقرير ..

يقول الله عز وجل في ذكر هذا النموذج النفعي .. (ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمأن به وان أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين) الآية رقم ١١ من سورة الحج

فقد عمد القرآن إلى طريقته الفذة في تصوير العقيدة التي يبتغى بها أصحابها جذب المنافع إليهم ... واجتناء الثمرات من ورائها .. دون أن يكلفهم ذلك عناء ولا مشقة .. أبرز القرآن ذلك في صورة حسية نابضة بالحياة والحس والحركة تتألق فيها معالم القدوة وتتجلى آثار الشر .. فهذا الفريق قلق في روحه مضطرب في ضميره ... منتهز للفرص التي تجر إليه المنفعة ... وتجلب له الخير .. إنه كمن يقف على طرف جبل أو نشز من الأرض يترقب المنفعة ويترصد الغنيمة وهو في وقفته تلك مضطرب النفس بأسباب الهوى ، قلق الوجدان بانتهاز الفرص معرض للسقوط في الهاوية والهبوط في الوادي السحيق ولهذا التصوير أثره الفذ في تشخيص البواعث ، واستبطان الدخائل ، والتعرف على روح الأنانية التي تحكم هذا الطراز من الناس ..

وإذا كان هذا النموذج قديما .. قد وجد في أول عصر الدعوة وواجه

بأطماعه الدفينة النفعية عقيدة الايمان .. فانه نموذج متكرر متجدد نلمحه في حياتنا الماثلة على شكل أناس يجعلون من العقيدة سلعة مادية إن جرت إليهم نفعا رضوا بها وعبدوا الله .. وإن أصابهم ضر صدفوا عنها ونسوا الله .. وهم بذلك يزنون الايمان بميزان المكسب والخسارة كأنه سلعة تباع وتشترى ..

ولا شك أن هذا التصوير أفعل في النفس مما لو جيىء به على شكل بحث تقريري يحدثنا عن النفعية والاتجار بالعقيدة ..

★ فيمن نزلت هذه الآية ؟ :

جاء في تفسير القرطبي : قال أبو سعيد الخدري إن الآية نزلت في رجل من اليهود أسلم فذهب بصره وماله فتشاءم بالاسلام فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أقلني !! « أي اعفني من الاسلام » فقال له رسول الله : إن الاسلام لا يقال منه فقال اليهودي : إني لم أصب في ديني هذا خيرا .. ذهب بصرى ومالى وولدي فقال الرسول : يا يهودى : إن الاسلام يسبك الرجال كما تسبك النار خبث الحديد والفضة والذهب » .

لقد اتخذ اليهودى من العقيدة مغنما يعود عليه بالربح الوفير والمال الكثير ومادرى أنها قبل كل شىء تبعات ومسئوليات وابتلاء فمن أدى وصبر فله الأجر ومن تراجع ونكص فعليه الوزر .. وقد وضح له الرسول الكريم أن عقيدة الايمان تصهر الرجال .. فتنفى عنهم الشوائب وتزيل الأدران .. وتصقل معادنهم النفسية صقلا تتوهج منه الفضائل وتتألق المزايا والملكات بالضبط كما تصقل النار الذهب فيزداد بريقا ونفاسة وتألقا !!

وروى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في سبب نزول الآية الكريمة (ومن الناس من يعبد الله على حرف ... الخ) قال : كان الرجل يقدم المدينة فان ولدت امرأته غلاما ونتجت خيله وزاد ربحه قال : هذا دين صالح فان لم يظفر بشىء من المغانم قال : هذا دين سوء !!

لقد غدا الدين عند هذا الفريق تجارة .. أو عملية استثمار ... إن جاء بالخير العاجل والمال الكثير .. وربح الربح الوفير فهو دين صالح وإلا فهو دين سوء فأية نظرة هذه ؟ إنها الأنتهازية الطامعة ، والأنانية المرذولة ، والمتاع الرخيص .

وقال المفسرون : نزلت في أعراب كانوا يقدمون على النبي فيسلمون فان نالوا رخاء أقاموا وان نالتهم شدة ارتدوا .. وكانوا يمنون على النبي بايمانهم ونسوا أن المنة لله وحده .. (بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان) (ولكن الله حبب إليكم الايمان وزينه في قلوبكم) . آية ١٧ آية ٧ سورة الحجرات .

فالعقيدة ذات جوهر نفيس .. وهى فضل وكرم من الله يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ، ويهديهم إلى صراط مستقيم .

وقيل : ان شيبة بن ربيعة قال للنبي قبل أن يظهر أمره : ادع لي ربك أن يرزقني مالا وإبلا وغنما وولدا حتى أومن بك وأعدل إلى دينك .. فدعا له الرسول فرزقه الله عز وجل ما تمنى .. ثم أراد الله عز وجل فتنته واختباره ـ وهو أعلم به ـ فأخذ منه ما كان رزقه به بعد أن أسلم فارتد عن الاسلام فنزلت الآية . فكأنما هذا الرجل أسلم على شرط ... أي على (حرف) فلما زال المشروط عليه رجع إلى الكفر وإن الله لغنى عن إيمان نفعى كهذا ... !!

وقال الزمخشري في الكشاف :

هذا مثل لكونهم على قلق واضطراب في دينهم (وهو يشمل كل الفئات النفعية) لا على سكون وطمأنينة ـ كالذي يكون على حرف من العسكر فان أحس بظفر وغنيمة قر واطمأن ـ والا فر وطار ... !!

تحليل الموضوع :

هذا الذي سقناه من أسباب نزول هذه الآية يفسر لنا ما كان يختلج في نفوس أولئك النفعيين الطامعين من أغراض هابطة ، واهداف خسيسة فالمفروض أن العقيدة ثبات واطمئنان لا قلق واضطراب .. وهى نور في الضمائر يجعل أصحابها يرون الحق حقا والباطل باطلا .. فكيف عميت عليهم السبل إلى هذا الحد فصاروا لا يرون فيها إلا تجارة في سوق المساومات ؟ وهى سكينة وسلام .. فكيف تحولت الى أطماع تزعزع النفس وترهق الضمير ... « الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم[1] بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب » آية ٢٨ سورة الرعد .

وهى ملاذ وحمى .. مهما عصفت نوازع المادة وهبت رياح الشهوات ..

نعم : ما تزال العقيدة هى المعتصم القوى الذي تلوذ به الأفراد والجماعات فيجدون في حماها الأمن والانس . وراحة الضمير ..

الذين ينظرون إلى العالم من المؤمنين يدركون حقيقة ما أنعم الله به عليهم من نعمة الايمان حين يرون الحيارى والمتخبطين من أصحاب العقائد المادية تتحيفهم النظم وتتخطفهم المذاهب ، وتتقاذفهم الفتن والزوابع ،

وتستبد بهم الحيرة ، ويضنيهم القلق ـ مهما عاشوا في المتاع المادي الرخيص ـ (ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق) . آية ٣١ من سورة الحج .

بل إن نفوسهم لتحترق من الداخل لحرمانهم من العقيدة التي ترطب جفاف القلوب برشحات من الايمان إلندى الطهور .

ولابد أن يدرك أولئك الذين أعمى الله قلوبهم من تجار العقيدة .. أنها ابتلاء وامتحان قبل أن تكون عرضا قريبا أو غنى مأمولا (أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون . ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) **بل ان الابتلاء بالمحن والأرزاء سبيل عودة إلى الله وليس سبب تنصل من الايمان وتبعاته ولقد كان السلف الصالح يجدون في المحن والارزاء مصدرا لرضى الله عنهم لأن الابتلاء أساس التمحيص والتصفية من النقائص والعيوب ومن يرد الله به الخير يصب منه في الدنيا حتى ينقله إليه وما عليه خطيئة !!**

ولقد حدثتنا كتب السيرة أن أعرابيا قريب عهد بالاسلام كان قد بايع رسول الله صلى الله على الجهاد والبذل في ذاته .. وقد حضر احدى الغزوات .. التى ربح فيها المسلمون غنائم كثيرة .. وأخذ رسول الله بعد أن عاد المسلمون يوزع الغنائم على أصحابها ... وإنه ليعطى ذلك الأعرابي نصيبه من الغنيمة فيتعجب الأعرابي .. كيف يتقاضى ثمنا أجرا على عقيدته ؟ وقد دخل الاسلام ليدفع روحه لا ليأخذ مالا أو عرضا زائلا .. ويقول لرسول الله : ما هذا يا رسول الله ؟ . ويرد عليه الرسول هذا نصيبك من الغنيمة فيقول الأعرابي كلا يا رسول الله فما على هذا اتبعتك ؟ إنما أمنت بك على أن أجاهد في سبيل الله فأرمى بسهم هنا وأشار إلى نحره ـ فأقتل فأدخل الجنة .

وأمام إصرار الأعرابي على رفض الغنيمة وافق رسول الله .

فلما كانت الغزوة المقبلة قاتل الأعرابي فيها فأصيب بسهم حيث أشار فلما رآه رسول الله بين القتلى ونظر إلى مكان السهم فوجده ، حيث أشار الأعرابي عرفه ثم قال : « صدق الله فصدقه » !!

فهذا موقف البذل والفداء ـ ورفض أي ثمن على العقيدة ـ وليس موقف التربص للكسب التافه والمتاع الرخيص .. وهكذا العقيدة لا يؤخذ عليها أجر ـ ولا ينتظر عليها ربح ـ إنما تعتنق لذاتها . لأنها في ذاتها أكرم ثواب وأعظم جزاء فهى الحمى والسند ، وهى الملاذ والأمن ، يعيش صاحبها مطمئن القلب ، هادىء البال رضى النفس ثابت القدم موصولا بربه .. واجدا في ذلك الأنس والعز والخير كله وهى لا تكون صفقة تجارية فتقاس بمقياس الكسب والخسارة فهذه عقيدة التجار وأصحاب المنافع والشهوات من الذين

أضلهم الله وأعمى أبصارهم .

يقول عز وجل : (ومن الناس من يعبد الله على حرف) فيبين أن بعض الناس يدخل في الايمان بهذا الشعور الخسيس .. ينتهز فرص الكسب ويترصد للمغانم .. فهو قلق مضطرب .. يؤدي العبادة لأهداف مادية إن تحققت له ثبت وأطمأن - وإن نفرت عنه فزع واضطرب ... إنه كالواقف على حرف جبل يقلب نظره هنا وهناك ، ليرى المغانم والاطماع ... فما يلبث أن يهوى في قرار سحيق .. فهذا قوله سبحانه : (فإن أصابه خير اطمأن به) أي أن جنى من وراء عبادته وفرة المال وكثرة المتاع وربح التجارة وصحة الجسم فرح واستبشر .. وتمكن من موقفه مطمئنا ، وتشبث به ملتصقا .. (وان أصابته فتنة) من مرض أو كساد أو فاقة أو أي بلاء عارض .. (انقلب على وجهه) بالتخلص من العقيدة ، والنكوص عن الدين ، والكف عن العبادة أو أخذ يتهم القدر ، ويسيء الظن بالله فيكون بذلك قد (خسر الدنيا) بضياع ما كان يترصده من المتاع الرخيص - وخسر (الآخرة) بحرمانه من ثواب الايمان وثمرة العقيدة .

ان الدرس المستفاد من هذا الموضوع هو أن نخلص إيماننا لله ، وأن نثق في العقيدة التي شرح الله بها صدورنا ، وأن نرتفع بها فوق المطامع والشهوات .. وأن نتقبل البلاء الوافد بنفوس راضية ، نزداد به صدقا ويقينا واستمساكا بالعقيدة . وأن ننعم بثمرات هذه العقيدة من رضى القلب واطمئنان النفس غير ناظرين إلى الأطماع والشهوات فتلك هى النظرة التجارية التي تهبط بالعقيدة الى درك السلعة الرخيصة المعروضة في الاسواق - وتأبى العقيدة الا أن ترتفع على مغريات الحياة ومطامع المال والجاه والمادة وانه لجدير بالمربين والكتاب والوعاظ أن يلجأوا في تصوير الرذائل وآثارها الوخيمة إلى تمثلها في أفراد ، أو تحركها في قصة ، أو تحققها في مجتمع - فذاك أدعى إلى تعرف عواقبها الوخيمة .. والابتعاد عن آثارها السيئة .

ولنا في القرآن أسوة حسنة .. فاننا مهما بالغنا في وصف آثار النفعية وما تتركه من آثار سيئة في الافراد والمجتمعات فلن نبلغ من ذلك بعض ما بلغه التصوير القرآني الذي مثل لنا المستشرف الى المنفعة عن طريق عقيدته بمن يقف على (حرف) جبل مثلا يترصد للمغنم ، ويترقب للكسب فهو زائغ البصر مختل الحركة قلق الشعور - فان لمح بارقة خير استقر في موقفه واطمأن ، وإلا اختل توازنه وسقط من حالق ... وذلك هو الخسران المبين .. الذي يسلب صاحبه الأمان - ويفقده مجد الدنيا ونعيم الآخرة .

(ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب »

* معركة وادي المخازن أنهت أسطورة البرتغال الاستعمارية وا...
* وحدة القوى الاسلامية رجحت كفة المسلمين على المحتلين الصليبيين
* الصراع بين البرتغال والأسبان لاحتلال المغرب من عوامل قيام الدو...

معارك

من انتصارات الإسلام

الاحتلال البرتغالي لجزر الكناريا في المحيط الاطلسي سنة ٦٩٥ هـ كان فاتحة لالتهام الثغور والمدن المغربية على المحيط الاطلسي وسواحل البحر المتوسط الغربية ، وقد استطاعت البرتغال في أقل من قرن أن تحتل معظم الثغور المغربية الشمالية والجنوبية وبعض سواحله ..

والحقيقة اذا تتبعنا جميع عمليات الاحتلال البرتغالي والاسباني ودوافعها ومؤثراتها على البلاد المغربية وشعوبها وقادتها لتبين لنا أن وجود البرتغاليين والاسبان بالمغرب كان من أبرز عوامل ظهور القيادة السعدية ، وكان طبيعيا أن يكون من أهم أهداف السعديين هو تحرير الموانىء المغربية والسواحل المحتلة من

افلاس الحملات الصليبية ..

* نتائج المعركة أعطت للمغرب ثقلا دوليا وبعدا سياسيا وازدهارا حضاريا

السعدية ..

وادي المخازن

للاستاذ / عسر عسران أحمد طه

نير الاستعمار الصليبي ، وقد نجح الأمير القائم بأمر الله وابناه أحمد الاعرج ومحمد الشيخ في هذا الاتجاه نجاحا كبيرا وهذا الأمر هو الذي ثبّت أقدام الدولة الناشئة وأتاح لها الفرصة في ممارسة القيادة على بلاد المغرب الاقصى وتوحيد مناطقه تحت حكم السعديين .

ولقد استطاع محمد المهدي مؤسس الدولة السعدية الحقيقي الاجهاز على مطامع البرتغاليين وتحرير الغالبية العظمى من المراسي البرتغالية ، حتى لم يبق في نهاية عهد المهدي إلا سبتة وطنجة ومازكان بأيدي البرتغاليين ، ولقد حاول جان الثالث ملك البرتغال الاستنجاد بالامبراطور شارل الخامس ملك أسبانيا في ايقاف هجمات السعديين ، ولكن الملك الاسباني لم ينجده نتيجة انشغاله بالحرب مع

ممتلكاته بالأراضي المنخفضة .

وبعد أن قضى السعديون على حكم بني وطاس وخلص لهم أمر المغرب آخذت الدولة السعدية الجديدة تميل الى شيء من الاستقرار والعناية بمتطلبات الملك وفي مقدمتها الاهتمام بالعلاقات مع الدول المجاورة .. وبظهور العثمانيين بالمغرب الاوسط ومضايقتهم للسعديين بدأت تنتكس أهداف السعديين وهم لا يزالون في عهد مؤسس دولتهم في القضاء على قواعد الاحتلال الاجنبي بالبلاد بل انهم اتجهوا الى محالفة الصليبيين وفي مقدمتهم الاسبان .

واذا كنا نعلم أن المناطق الاسبانية المحتلة في شمال المغرب لم تمسسها يد التحرير فان المهدي في نفس الوقت كان لا يزال طامعا في الاستيلاء على كل الثغور المغربية الواقعة تحت الاحتلال البرتغالي ، وربما كان ذلك لان البرتغاليين هم أول من احتك السعديون بهم من القوى الصليبية وان كانت أهداف المهدي قد تأثرت بعد ذلك بالسياسة الجديدة ازاء القوى المسيحية .

وقد اندفع الغالب بالله بن المهدي في سياسة مهادنة المسيحيين الى أبعد الحدود ، وفي محاولة منه لتهدئة المشاعر المغربية الثائرة على سياسته تلك فقد هبت جيوشه لتحرير البريجة على ساحل المحيط الاطلسي ، وقد استطاع قائده ابن تودة أن يجعل البرتغاليين يقررون الرحيل من هذا الميناء الى أن تلقى القائد المغربي من الخليفة السعدي الأوامر بترك المحتلين حيث كانوا . وقد ذكر أن الغالب قد تقاضى في ذلك هدية جميلة وأموالا عظيمة الامر الذي يوحي وكأنه باع البريجة للبرتغاليين .

ولعل الغالب أراد بذلك أن يؤكد للبرتغاليين أنه بامكانه تحرير موانىء المغرب منهم الا أنه يفضل الاحتفاظ بصداقتهم ، خاصة وهو يواجه الدولة العثمانية ومن يسير في ركابها من الجزائريين ورجال الجهاد البحري .

ولعله من المناسب أن نذكر أن سياسة الغالب مع المسيحيين قد أثارت السخط عليه من طوائف الشعب المغربي ، حتى ان بعض المؤرخين وفي مقدمتهم صاحب تاريخ الدولة السعدية . يصب جام غضبه على الحاكم السعدي ويتهمه بالتواطؤ مع « الكفرة » وبخاصة بعد اعادته البريجة للبرتغاليين والتنازل عن ميناء بادس للاسبان وتخليه عن مساعدة الموريسكوس إبان ثورتهم على ملك أسبانيا والوشاية بهم عند فيليب الثاني .

ويعلق اليفرني على ما حدث من تقارب الغالب مع المسيحيين فيقول : « وهذه أمور شنيعة إن صح أنه فعلها ـ ولست أدخل في عهدتها لأني أنا رأيتها في أوراق مجهولة المؤلف اشتملت على ذم هذه الدولة السعدية ، وظني أنها من صنع

أعدائهم لحظة من قدرهم واخراجه اياهم من النسب الشريف ووصف دولتهم بالدولة الخبيثة » . ثم يضيف اليفرني : « الا أن الملوك لا يستغرب في حقهم أن يهدموا أساس الشريعة ليبنوا منار رياستهم ، ويستهينوا عظائم الأمور .. كيف لا وشراع افئدتهم تلعب به رايات الشهوات فتلقي سفينة قلوبهم على ساحل بحر القنوط من رحمة الله تعالى ، والله يسامح الجميع ويتجاوز عن عصاة هذه الأمة بمنه وفضله .

ولم تختلف سياسة المتوكل عن سياسة أبيه الغالب في التقارب مع المسيحيين ومعاداة الاتراك العثمانيين ، ولم تشهد سنوات حكمه القليلة أية بادرة لتحرير ما تبقى من الموانىء المحتلة بالبرتغاليين والاسبان ، وقد دخلت جيوش الاتراك الى المغرب الاقصى مع عمّه عبد الملك لإقصائه عن العرش . ومما هو جدير بالذكر أن الملك البرتغالي دون سبستيان قد ألحّ مرارا على فيليب الثاني ملك أسبانيا للتدخل في شئون المغرب والحيلولة دون احتلال العثمانيين له ، وفي بعض الرسائل اقترح دون سبستيان تكوين حملة مشتركة من أسبانيا والبرتغال للاستيلاء على بلاد المغرب مستغلا في ذلك اضطراب الاحوال الداخلية بالمغرب ، ولكن الملك الاسباني شغلته حروبه الدينية وممتلكاته الاوروبية عن الاستجابة لاقتراح الملك البرتغالي .

غير أن طموح الملك البرتغالي الشاب لم تتوقف وشراهته نحو الاستيلاء على المغرب لم تتراجع حتى . بعد أن استتب الأمر لعبد الملك المعتصم ، وقد كان ذلك ايذانا بقيام معركة من أخطر المعارك بين المغرب والبرتغال أثّرت الى حد كبير على سير العلاقات البرتغالية المغربية ، وعلى الأوضاع الدولية في شبه جزيرة ايبريا والشمال الافريقي وهي معركة وادي المخازن التي حدثت نتيجة للحملة البرتغالية على بلاد المغرب . وسنحاول فيما يلي أن نفصّل الحديث عن أسبابها ونتائجها وآثارها البعيدة على المعسكرين الاسلامي والمسيحي .

ومما يؤسف له أن الصراع بين الأجنحة والقوى الاسلامية تسبب في مهادنة المسيحيين وكان لذلك تأثيره الخطير على الجبهة الاسلامية .

* الحملة البرتغالية على بلاد المغرب :

بعد أن أُقصي المتوكل عن عرش المغرب حاول عن طريق أنصاره والقبائل المغربية استعادة عرشه ، ولكن باءت كل محاولاته بالفشل ، ولم تنصر له راية أمام جيوش عَمّيه عبد الملك المعتصم وأبي العباس أحمد الذي طارده وهزمه في مواقع كثيرة . فاتجه المتوكل الى شمال المغرب ووصل الى طنجة محاولا الاستعانة بحلفائه القدامى ، وقد حاول ذلك مع الاسبان أولا وقد امتنع فيليب الثاني عن مساعدته بسبب مشاغله وحروبه المتعددة ، وربما فضل ملك أسبانيا صداقة الجالس على العرش المغربي على مساعدة هذا الشريد الذي سوف يكلف تأييده جهدا كبيرا مع أن نتائج هذا التأييد غير مضمونة ، ثم طرح محمد المتوكل الأمر على دون

سبستيان الملك البرتغالي الطموح وكانت تلك فرصة العمر أمام ذلك الملك الذي أراد أن يستعيد هيبة البرتغال ببلاد المغرب . وكان سبستيان شابا في الثالثة والعشرين من عمره تربى في كنف اليسوعيين وكانت تجري في عروقه روح صليبية متعصبة .

ووجد دون سبستيان من طلب المساعدة الذي تقدم به المتوكل ضد عمه الخليفة مقابل التنازل للبرتغال عن سائر السواحل المغربية ، كما وجد أيضا في التجاء عبدالكريم بن تودة صهر المتوكل الى طنجة وتنازل البرتغال عن أصيلا سببين كافيين لأن يتدخل الملك البرتغالي في المغرب سعيا وراء أمنيته القديمة الغالية .

ويضاف إلى ما تقدم من أسباب ما ذكره صاحب تاريخ الدولة السعدية من أن البرتغاليين لما رأوا أن عبدالملك بدأ يهتم ببناء السفن خاصة بعد ما لمسه من قوة الأتراك البحرية ، فخشى البرتغاليون من أن يفكر المعتصم في العبور إلى أرض الأندلس ومساعدة الموريسكيين وتحرير شبه جزيرة ايبريا من القوى الصليبية ، ولذلك صمموا على الخروج إلى المغرب لأحتواء ثغوره وسواحله ومهاجمة المعتصم في أرضه .

ويذكر السلاوي أنه من المتواتر في تواريخ الافرنج أن كبار دولة سبستيان حذروه عاقبة خطته الرامية إلى غزو المغرب بدعوى مساعدة المتوكل لأن هذا توريط للبرتغال في بلاد المغرب ، ولكنه صَمّ أذنيه عن سماع أقوالهم وألح في رأيه الذي ملك الطمع قلبه وأبى الا الخروج .

غير أن تمادى ملك البرتغال في تصميمه على احتلال المغرب وحرصه على اغتنام الفرصة ، جعلت فيليب الثاني الذي كان مشغولا بأحداث أوروبا الغربية والنزاع مع انجلترا يبعث برسائله الى قريبه دون سبستيان مع عدد من السفراء محذرا له مغبة تصرفاته وأعماله ، ومن السفارات التي بعثها فيليب إلى لشبونة سفيرا فوق العادة في مارس سنة ١٥٧٧ ، هذا في نفس الوقت الذي تقدم عبدالملك بمشروع المعاهدة المغربية الاسبانية ، وقد باءت كل محاولات الملك الاسباني بالفشل ازاء أصرار ملك البرتغال الطموح للتدخل في المغرب وأستعادة نفوذ البرتغال به .

ويروى أن المعتصم وجّه رسالة إلى لشبونة يذكر فيها الملك البرتغالي بأن الحرب التي يسعى إليها غير عادلة ، وأنه يرمي من ورائها إلى أحتلال المغرب وليست بسبب تأييد مغربي ضد آخر ، ويؤكد المعتصم أن ذلك سوف يُعرّض الملك البرتغالي نفسه وجيشه للخطر ، وينبهه إلى أن دعوى المتوكل في العرش السعدي لا قيمة لها ، ولأن هذا الأخير أشد عداوة للمسيحيين ، ويعرض في رسالته أستعداده للتنازل عن منطقة تمتد ١٣ كيلو مترا وراء جميع المراكز البرتغالية ، وفي الختام يذكر المعتصم ملك البرتغالبأنه يجب ألا ينسى أن عبدالملك صديق حميم للسلطان العثماني .

خط سير الحملة :

تقدم دون سبستيان على رأس حملة كبيرة من بلاده في طريقه إلى المغرب ، ويروى السلاوي أن ملك أسبانيا قد أمد سبستيان بعشرين ألفا من الجنود ، كما أن الملك البرتغالي قد ساق معه اثني عشر ألفا من البرتغاليين ، وثلاثة آلاف من الايطاليين ومثلهم من الألمان ومن متطوعي اسبانيا وانجلترا ، كما بعث اليه البابا صاحب روما بأربعة آلاف أخرى وبألف وخمسمائة من الخيل واثني عشر مدفعا ، وجمع سبستيان نحو ألف مركب ، وفي هذا الجيش ظهر تعاون المسيحيين مع بعضهم البعض للهجوم على المسلمين وبهذا اكتملت معالم الغزوة الصليبية على بلاد المغرب .

تقدم سبستيان إلى المغرب ، ونزل طنجة وأنضم إليه المتوكل في حوالي ثلاثمائة من جنده ، وأخذت خيل البرتغال في الإغارة على أطراف البلاد فلجأ أصحابها إلى الجبال ، وكتب أصحابها إلى خليفة مراكش الذي كان على أهبة من ذلك الأمر ، ثم تحولت جيوش البرتغال إلى أصيلا حيث وصلتها في ١٢ يوليو سنة ١٥٧٨ وعسكرت بضواحيها وبقيت بها حتى يوم ٢٨ منه قبل أن تزحف إلى داخل البلاد المغربية ثم لتعسكر على الضفة اليسرى المطلة على وادي المخازن يوم ٣/٨ .

وبلغت أخبار نزول الحملة البرتغالية على المغرب إلى المولى عبدالملك فاستعد للجهاد وأرسل إلى كل البلاد والقبائل المغربية وإلى قواده لكي يتهيؤوا بالعتاد والمئونة وأن يتجهوا إلى القصر الكبير ويلحقوا بالجيش المغربي في سلا ، كما أرسل إلى أخيه أبي العباس أحمد ـ واليه على فاس ـ للخروج بجيش فاس وأحوازها ، وأن يتهيأ بمن معه للقتال ولملاقاة العدو البرتغالي .

واستجابت القبائل المغربية لنداءات خليفة السعديين المعتصم بعد تذمرهم منه لاستعانته بالأتراك على خلع السلطان الشرعي بالبلاد ، ولكن قلوبهم جميعا عادت وتعلقت به حينما ترامى إلى أسماعهم أن المتوكل المخلوع قد ارتمى في احضان الأعداء الصليبيين ، وكانت هذه القبائل تكره سبستيان كراهية شديدة بعد أن بلوا أساليبه القاسية في القتال الذي خاضه ضدهم في طنجة .

وهكذا لم يتخلف عن نداء الجهاد في سبيل الله أحد ممن يقدر عليه أمام هذه الغزوة الصليبية الشرسة ، وساهمت في هذا الجهاد جميع طوائف الشعب وفي مقدمتهم الشيخ أبو المحاسن الفاسي الذي شجع الناس على البقاء في بلادهم ومواجهة المغيرين ، وساهم أيضا في المعركة مع المغاربة بعض جنود الأتراك والجزائريين الذين أرسلهم باشا الجزائر لكي ينضموا إلى جيش عبدالملك .

ولم يكن من السهل تحديد أعداد القوات المغربية لأنها كانت تضم أعدادا كبيرة من الجماهير ، بالاضافة الى الجنود النظاميين وقوات الجزائر ، وان كان صاحب تاريخ الدولة السعدية يُقدّر عدد المسلمين بست وثلاثين ألفا والنصارى

مثلهم مرتين أو أكثر .

وغادر الخليفة السعدي عبد الملك مراكش حيث وصل سلا ، ثم اتجه بمن معه إلى القصر الكبير حيث اجتمعت عليه القبائل ، ثم عسكر في منطقة تسمى سوق الخميس على بعد ستة أميال جنوبي وادي المخازن .

معركة وادي المخازن :

ولما لم يكن بد من القتال والمناجزة بين جيوش الصليبيين بقيادة دون سبستيان مع ما انضم إليه من رجال المتوكل - وبين جيوش المغرب بقيادة المعتصم مع ما أنضم إليه من القوى الاسلامية وأبرزها قوة العثمانيين من الجزائريين والأتراك ، وقد حاول الخليفة السعدي أن يستثير خصمه أو يلقى الرعب في فؤاده فكتب إليه أولا : ان سطوتك قد ظهرت في خروجك من أرضك وجوازك البحر إلى العدوة ، فإن ثَبَتَّ إلى أن نقدم عليك فأنت نصراني حقيقي شجاع ، وان رحلت إلى بلادك قبل أن يقاتلك أمير مثلك فأنت كلب ابن كلب ..

فلما وصل الكتاب إلى سبستيان غضب لذلك وشاور أصحابه هل يبقى إلى أن يلحق به من خلفه من أصحابه ؟ أو يتقدم ويملك تطوان والقصر والعرائش ويتقوى بما فيها من الذخائر ، وأعجب الرأي الأخير أصحابه من أهل الديوان ، وكان ذلك رأي المتوكل خليفة السعدي ، ومع ذلك فان الملك البرتغالي لم يعجبه هذا الإقتراح وظل في مكانه .

ولما اكتملت عدة عبد الملك على المواجهة العسكرية بعث مرة أخرى إلى غريمه سبستيان : « إني رحلت إليك ست عشرة مرحلة ، أما ترحل إلى واحدة » .. فرحل الملك البرتغالي من موضع يقال له تهدارت ، ونزل على وادي المخازن بمقربة من منطقة قصر كتامة ، ولعل رسالة الخليفة المغربي الأخيرة كانت مكيدة منه حتى يستطيع محاصرة الجيوش البرتغالية .

وقامت الجيوش البرتغالية بعبور جسر الوادي فأمر أبو مروان بهدم القنطرة ، ووجه إليها كتيبة من أربعة آلاف من الخيل بقيادة أخيه المولى أحمد ومعه أهل منطقة الفحص حاملين فؤوسهم ومعاولهم فهدمت القنطرة ليلا ، وغدا وادي المخازن كله أجراف ومهاوى ولا طريق فيه من جميع الجهات سوى القنطرة ، وقد أكد عبد الملك المعتصم خطته البارعة تلك قائلا : إن النصارى اذا هزموا لم ينج منهم أحد . فكان الأمر كما قدر خليفة مراكش .

ولما غادر أبو مروان عبد الملك وادي وارور ونزل بأعلى وادي المخازن وصار النهر على يمين المسلمين يشربون منه نشبت المعركة بين الفريقين وحمى وطيسها ، غير أن عبد الملك توفى عند الصدمة الأولى في المعركة وكان مريضا في محفته ، ومن حسن حظ المغاربة أنه لم يطلع على وفاة الخليفة السعدي سوى حاجبه رضوان العلج الذي كتم موته وصار يتردد على خباء عبد الملك فيعلن أن الأمير يأمر فلانا أن

يذهب إلى موضع كذا ، وفلانا أن يلزم الراية ... الخ ، كما علم بموته أيضا أخوه أحمد فكتم ذلك أيضا ، ولم يزل الأمر كذلك والناس في النزال والقتال إلى أن هبت ريح النصر على معسكر المسلمين وأرتفعت راياتهم بالظفر فولى البرتغاليون الأدبار .

وانجلت المعركة عن مصرع سبستيان حيث وجد غريقا في الوادي ، وقصد الصليبيون المنهزمون للقنطرة فلم يجدوا لها أثرا فكان ذلك أكبر الأسباب في هلاكهم واقتناصهم وأكتمال النصر للمغاربة ، ولم ينج من القوة الصليبية غير عدد قليل ، وبحث أيضا في القتلى عن المتوكل فوجد غريقا في وادي لكس فاستخرجه الغطاسون ، وأمر المولى أحمد المنصور ـ الذي خلف المعتصم ـ بسلخ جلده وحشى تبنا وطيف به في مراكش وغيرها من البلاد المغربية .

وهكذا لم تخلف المعركة ظن أبى مروان حينما أمر بهدم قنطرة وادي المخازن فقتل من قتل وغرق من غرق وأسر من أسر ولم ينج من الصليبيين أو يفلت منهم أحد .

ومن العجيب أن هذه المعركة قد أسفرت عن موت الملوك الثلاثة الذين أشتركوا فيها . فعبد الملك مات مسموما أول المعركة ولما يجن ثمرة جهوده وتخطيطه وراح ضحية أعدائه الأتراك كما يروى عنه أنه مات مسموما بدسيسة من غريمه المتوكل ، الذي كان يهدف إلى اعلان موته قبل بداية المعركة ، فيفت في عضد المغاربة ويبعث الأضطراب في نفوسهم ، كما أسفرت المعركة عن مصرع الملك المغامر سبستيان ، الذي لقى مع جنده عاقبة حمقه وتسرعه ، ولم يفلت من هذه المعركة محمد بن عبدالله المتوكل المسلوخ الذي مات غريقا ، فانتهت حياته بهذه الخيانة المخزية من جراء انضمامه لأعداء الاسلام ، ولقى عاقبة ذلك القتل والخسران .

وكان تاريخ التقاء القوتين الاسلامية والصليبية يوم الأثنين آخر جمادى أول سنة ٩٨٦ هـ ، ٤ أغسطس سنة ١٥٧٨م .

نتائج معركة وادي المخازن :

كانت معركة « وادي المخازن » أو « القصر الكبير » أو « الملوك الثلاثة » بالنسبة للمسلمين في المغرب وفي أفريقية بمثابة معركة بواتيه أو بلاط الشهداء في أوروبا ، وهى أيضا كمعركتي عين جالوت وحطين في المشرق ، ولقد أسفرت المعركة عن نتائج مباشرة وأخرى عميقة الأثر سوف نعرض لها فيما يلي :

فمن الناحية العسكرية :

لم تكن هناك ظروف محيطة بالملك دون سبستيان تدعو إلى الفشل الا وهى

متوفرة ، ولكن عظم النكبة فاق كل الاحتمالات ، ففي مدى ست ساعات في يوم من أيام أغسطس الحارة أبيدت قوة برتغالية بلغت ستة وعشرين ألف رجل بين قتيل ومفقود وأسير ، ولم ينج من الموت أو الأسر الا أقل من مائة .

وفي تقدير المؤرخ المغربي المعاصر أبي فارس عبدالعزيز الفشتالي أن عدد قتلى المعركة وأسراها يبلغ نحو ثمانين ألفا ، ويذكر ذلك بقوله : « ناهيك عن يوم أجلي عن ثمانين ألفا من المشركين بين قتيل وأسير ، ويكفي دلالة على ذلك أن كل مغربي قد عاد ومع كل منهم أسير أو أسيران ، فأكثر ومعظم هؤلاء الأسرى من أكابر دولتهم » .

وأنهت معركة وادي المخازن أسطورة دولة البرتغال القوية وأبرزت افلاس الحملات الصليبية التي كان البرتغاليون يقومون بها في بلاد المغرب وغيرها من البلاد .

وأدت هذه المعركة إلى تدهور مكانة البرتغال كدولة كان لها وزنها الدولي في مجال الاستعمار وقهر الشعوب ، لترتد إلى حضيض الدول الصغرى بحجمها الذي تعرف به الآن بعد أن فقدت مستعمراتها في الخارج ، ولم يعد لها شأن دولي ثم لتتقلص داخل حدودها الحالية . ولا شك أن الفضل في ذلك يرجع إلى السعديين الذين حفظوا للاسلام هيبته وللعالم العربي كيانه وللمغرب قوته ، كما كان الفضل لعبدالملك المعتصم بحسن تخطيطه وفي تحييده لموقف أسبانيا التي سبق أن قدم لها مشروعا للتحالف ، ولكن ملك أسبانيا فيليب الثاني لم ينفذ هذا التحالف انتظارا لما يؤول إليه أمر المعركة بين القوى المسيحية والاسلامية في المغرب .

ومن الناحية السياسية :

لم تكن مصيبة البرتغال في فقد زهرة شبابها وجيشها الكبير المسلح بأحدث أنواع العتاد ، بل انها فقدت بعد قليل سيادتها وكيانها السياسي ، وانتقلت دولتها وأمبراطوريتها الضخمة إلى اسبانيا ومليكها فيليب الثاني لتظل هذه التبعية حوالي ستين عاما من سنة ١٥٨٠ إلى ١٦٤٠م .

ومن جهة أخرى فلقد وطدت المعركة سياسيا دعائم حكم السعديين ، وقوت شعبيتهم في المغرب ، وأبرزت أكثر من ذي قبل القيادة الشعبية للسعديين ، الذين يحرصون على وحدة البلاد واستقلالها ، كما أظهرتهم المعركة كحكام أقوياء يمكن الاعتماد عليهم وعلى تحالفهم ، مما جعل للمغرب دورا هاما في السياسة الخارجية وفي حفظ التوازن بين قوى الشرق والغرب من جهة وبين القوى الكاثوليكية والبروتستانتية من جهة أخرى ، ولقد عادت المعركة على المنصور بالدرجة الأولى بالغنى والشهرة والمجد في الداخل والخارج ، فاستغل ذلك في تأسيس أمبراطوريته بغربي أفريقية لتنافس أكبر أمبراطوريتين معاصرتين له في أستنبول ومدريد .

وقفة تأمل

اول من هبط على القمر

○ قدمنا في زاويتنا تلك « روجيه جارودي » أو « رجاء جارودي » المسلم ، والذي تقاذفته أمواج الفكر البشري حتى رسا على الجانب الآمن في ظل الدين الخالد ..

○ واليوم مع نجم آخر شاء الله له أن يتلألأ في سماء الاسلام ، ليؤكد أن المسيرة مباركة وأن الله سبحانه يتولى حفظ دينه ونشره برجال لهم شهرتهم في دنيا الناس ، فهم إعلاميون وأصوات عالية تحكي خلود الدين الاسلامي على مرّ الزمن .. رغم الغربة التي يعيشها المسلمون في أوطانهم .

○ بلا حكومات تنفق على الدعوة إلى الله ، وبلا هيئة عالمية تعمل على نشره ، وبلا جمعيات تبشيرية .. يحقق الاسلام انتصارا يعجز عن تحقيق مثله المبشرون والكهنة

○ أعلن نيل أرمسترونغ - أول من هبط على سطح القمر - إسلامه في ماليزيا .. وهذا في حدّ ذاته أمر نسعد به ونسر ! وقد أراد الله بصاحبنا خيرا حيث شرح صدره للاسلام .

○ وقد قال رائد الفضاء الأمريكي : « **لقد فقدت وظيفتي .. ولكني وجدت الله** » .

وهكذا الغرب الذي يدعي الحرية ، ويؤمن بأنها حق مطلق لكل إنسان .. إنه يؤمن بالحرية إلى درجة الفوضى .. إلا أن تؤدي هذه الحرية إلى اعتناق الاسلام ، عندها يظهر الاضطهاد في أبشع صوره ، يطرد المسلم الجديد من وظيفته ، ويلجأ إلى الزوايا المظلمة

○ ولم يكتف الغرب بطرده من وظيفته بل لجأ إلى النيل منه وتشويه صورته أمام الرأي العام حيث قالت صحافة الغرب عنه : زار نيل أرمسترونغ القاهرة وتجول في أحياء مصر القديمة وسمع الأذان .. **فاصابه مسّ** من الذهول ، فسأله مرافقوه عن **الحالة التي اصابته** ، فقال **ودقات قلبه تتسارع** : **لقد سمعت هذا الصوت فوق سطح القمر** .

○ وهكذا يصورون الرجل بأنه أصابه مسّ ، وأن حالة أصابته ، وأن دقات قلبه تسارعت ، وأنه سمع الأذان فوق سطح القمر ، وهذه العبارات توحي بأنه لم يعد في حالته الطبيعية ، وهذا هو هدف الحاقدين على المسلم الجديد . والرجل باختصار :

○ شاهد ما لم يشاهده الانسان العادي فامن بأن لهذا الكون خالقا عظيما .

○ وأعاد دراسته للأديان ، فآمن بالاسلام دينا ، ولا دين سواه ؛ وأعلن إسلامه

○ فطرده مركز الفضاء الامريكي من عمله . فقال : « لقد فقدت وظيفتي .. ولكني وجدت الله » .

○ ومن نتائج إيمانه : أداؤه الصلاة في أوقاتها ، نبذه تعاطي الخمور ، دراسته للدين الاسلامي ولقضاياه ، وكما يقول أصدقاؤه : أصبح إنسانا آخر غير الذي كنا نعرفه .

○ أفبعد هذا تنشر صحافتنا : أنه أصابه مسّ ، وحالة أصابته ، وسمع صوتا فوق القمر هو الأذان .

يجب أن ندقق تماما فيما نقرأ لنميز الخبيث من الطيب ، وهذا يتطلب منا وقفة تأمل ..

الخطابة اليوم

حبذا لو فكر الدعاة الى الله بين الوقت والآخر في تقويم الجهود المبدوله في هذا الطريق الشاق الطويل ليتعرفوا على الثغرات تعرفا مباشرا ، وليتسنى لهم استدراكها في قادمات الأيام . وليس من شك أن الخطابة سلاح من أسلحتهم الحية التي تستحق منهم المراجعة والحوار حول ما يدفع بها لتحقيق أغراضها التي يرتجيها كل مخلص غيور . فاذا عكفنا على دراسة الخطابة اليوم وما يعتريها من ضعف وفتور وتأثير قريب لا يدنو الى شغاف القلوب فيستميلها وينتزعها من وهدتها واخلادها الى الأرض لتتحرك وفق ما يرسمه الخطيب ، اذا عكفنا على ذلك التقويم الهادف تبين لنا أنها لا تحقق ما نرنو اليه وذلك في رأينا للأسباب التالية :

١ - يقف خطيب اليوم ليبدأ خطبته بقوله : « والله لا أدري ماذا أقول لكم » « خطر ببالي وأنا أصعد المنبر » ولم يخطر بباله أن يخصص ساعتين من وقته ليحضر مراحل الخطبة والوثائق التي ينبغي أن يدعم خطبته بها

بين الواقع والواجب

للدكتور / أحمد محمد الخراط

حين قرر الارتجال أو الكتابة أو الجمع بينهما لم يفكر في بيته تفكيرا جادا : كيف يبدأ موضوعه ، وكيف يعرضه وما عناصره ، وكيف ينتقل الى الفقرة الثانية ، ومتى يظهر انفعاله ، ومتى يروض نفسه على العبارة الهادئة ؟ ان كتاب كذا يفيده فلماذا لا يطلع عليه قبل الخطبة ويفيد منه ؟ إن الرجال الذين يجلسون من حوله قدموا عليه من كل حدب وصوب ، وإنها لمناسبة طيبة أن يجتمع بهم ، لعله لا يلقاهم بعد أسبوع أو شهر أو سنة فلماذا لا يعي دوره ؟ إنه بذلك يعمق الفكرة الشائعة التي تقول : إن لقاءنا بالخطيب تقليدي رتيب وينبغي أن أخلد الى غفوة في أثناء الخطبة أستريح بها من عناء يومي حتى ينتهي خطيبنا ، أو هي فرصة سانحة لأحاور نفسي فيما صح عزمي عليه ، أما اذا كان الخطيب قد احترم نفسه ووثق بدوره ودور هذا السلاح الماضي وأعد للأمر عدته فقدم مادة مرتبة أشبعها نقاشا علميا لا انشائيا فان لسان الحال والمقال سيضع الحق في نصابه في الحكم على التأثر

والتأثير .

٢ ـ خطيب اليوم قد يذكر خمسة موضوعات في خطبته ، انه لا يمس موضوعا منها الا مسا رفيقا ، كيف يدرس موضوعا معينا دراسة عميقة وهو الذي يذكر للجمهور كل ما يخطر بباله من شتات ، انه يبدو لنا وكأن الخطبة مجال له لكي يعرفنا أنه اطلع على كذا وكذا من المعارف والقصص ، فيخرج أحدنا من الخطبة وقد سأل نفسه : ما موضوع الخطبة الذي حضرنا للاستماع اليه ، ما الفائدة المركزة التي خرجنا بها ؟ فلا يعرف اجابة عن هذه الأسئلة ، وذلك لأن صاحبنا تنقل كالطائر من حقل الى حقل ومن غصن الى غصن ، ولم يمكث في دوحة واحدة مدة كافية ليقف بنا على حقائق صلة الدين بالحياة أرأيت لو أن خطيبنا اكتفى بموضوع واحد فأعطاه حقه من الدراسة والحوار والعرض ، ودعمه بوثائق واستشهادات ، وأحسن في الأداء لكان الجمهور المسلم قد أصبح جمهورا مثقفا ، وذلك لكثرة من يلتقي بهم من خطباء ومناقشين وعلماء . ان مثل الخطيب صاحب الخطبة المجملة مثل الطبيب الذي يخطب في قواعد الصحة العامة أمام مريض بالرمد ، فكلامه هذا لا يلمس مواضع الألم عند المريض ، أرأيت لو أنه تحدث في خطبته عن الرمد نفسه ألا تكون الفائدة أوقع من إجماله ؟

٣ ـ خطيب اليوم لا يراعي مقتضى الحال وما ينفع الناس في الأرض ليمكث ، انه قبل أن يختار الموضوع ينبغي أن يركز اختياره حول مشكلات الجمهور من حوله ، ومشكلات المجتمع الذي ينطلقون منه . يروي الدكتور عبد الجليل شلبي أنه استمع في احدى القرى المصرية الى خطبة شيخ عن مضار الخمر وأخطارها ، وهذه القرية لا تعرف الخمر لا من قريب ولا من بعيد ، وانما تعرف التدخين والمخدرات ، أرأيت لو أن الرجل ناقش حال هؤلاء الذين أزعجه سعالهم من جراء ادمانهم هذه السموم ، ويروي لي أحد الفضلاء أنه استمع في قرية تقع شمال سوريا الى خطبة يقرأ فيها الخطيب من كتاب قديم فيوصي مستمعيه ألا يركبوا في نهر النيل لأن عائلة كذا غرقت أمس . إن الخطيب اليوم وهو لا يراعي مشكلات مجتمعه يفقد الخطبة هدفها الأساسي ، لله دره هل انتهت قضايا عصرنا وهل خلت أسرنا ومدارسنا من موضوعات مناسبة للخطبة ؟

٤ ـ النفس الانسانية غالبا تتوق الى الجديد وتمل من التكرار الذي استمعت اليه ، ويلجأ بعض الخطباء الى القراءة في خطبة كانوا قد ألقوها منذ شهور على المنبر نفسه ، إن جمهورهم في هذه الحالة سوف ينصرفون عن

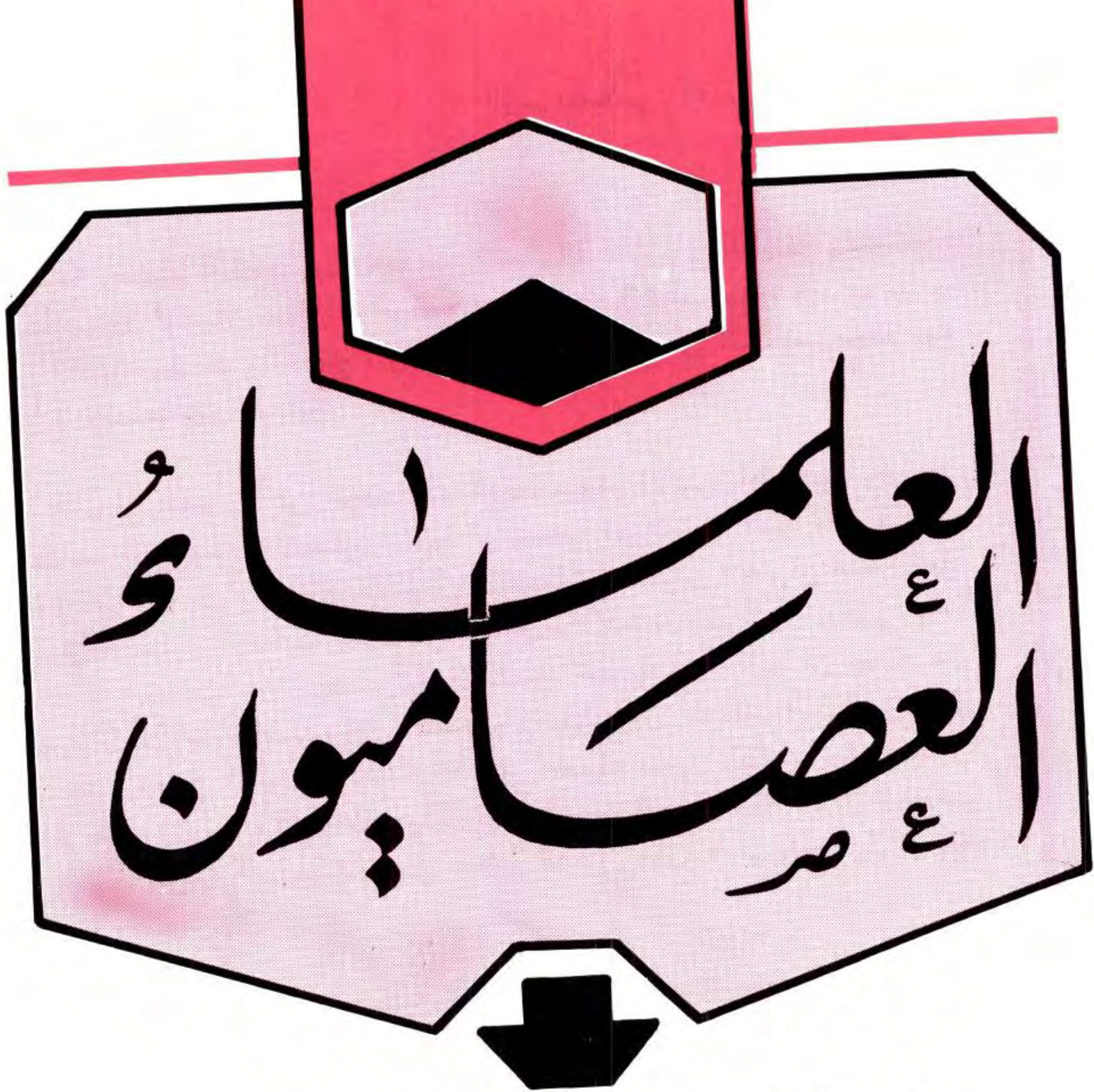
المتابعة ، فيفقد الخطيب بذلك عنصر الاستمالة اللازم في الخطبة ، يستطيع الخطيب ان أراد أن يعود الى الموضوع أن يعيده في قالب جديد وبدعم جديد من الاستشهادات والحجج ، وذلك ليحس المستمع أن الخطيب مهتم بهم مراع لاستماعهم السابق .

٥ ـ ان الحديث عن الزهد وذم الدنيا ونعيم الآخرة أمر طيب وهو من العناصر التي ينبغي للخطيب دائما أن يسعى الى التنبيه اليها فان الذكرى تنفع المؤمنين ، وإن معظم بلائنا من اخلادنا الى الأرض ، غير أن هذه المقولة ينبغي ألا تجعل الخطيب غافلا عن موضوعات الحياة التي تهم الناس ، واذا أراد أن يتحدث عن الزهد والحياة الدنيا الفانية فان عليه أن يختار من العبارات اللفظ المناسب ومن القصص ما يؤثر ومن المواقف الحية ما يجعل حديثه واقعا في القلوب ، أما اذا اختار لحديثه تعبيرا تقليديا رتيباً مكرراً طالما طرق الاسماع لفظه فانه بذلك يضعف من قيمة حديثه ، وإن للخطيب من كتب السنة الصحيحة ومن اختياراته من مقروئه ما ينفعه في تجديد الروح وضمان التأثير .

٦ ـ القائمون على الخطابة اليوم لا يهتمون بتجديد معارفهم واغناء خطبهم بما يجعل عنصر التشويق واردا في خطبهم ، ناهيك عن جهل كثير منهم بالعلوم الشرعية الضرورية ، إن الخطيب اليوم على ثغرة كبيرة فلا يظن أن مستمعيه على بساطة وجهل فلا بأس عليه إن حدثهم بما يخطر بباله ، إن أمامه من المثقفين والمطلعين ، وان أمامه من لا يملك وضوح الرؤية ، فحمل في ذهنه أخطاء في التصور وأخطاء في العقيدة والمنهج ، وقد يكون أمام الخطيب من يعيشون انحرافا ما في بيوتهم أو أدمغتهم فماذا أعد لهذا الركام ؟، واذا كان قد أعد عبارة انشائية وصوتا جهوريا ومعلومات مكررة قريبة فليتق الله في هذا الخير الذي يمكنه أن يحمله وفي هذه الأمانة التي هو عليها مهيمن ، والا فان سلاح الخطابة سيكون أقرب الى مباشرة الشكل والصورة من غير روح وحياة .

هذه هي أهم أسباب تعثر الدور الذي تقوم به الخطابة اليوم واذا أردنا أن نعالج الأمر باخلاص وجدية كان علينا أن نلحظ هذه الأسباب ونتلافاها حتى لا يكون خطباؤنا في واد مثالي وبرج عاجي رفيع في حين يمضي المسلمون من حولهم في طريق أخرى .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين



العلماء العصاميون

للأستاذ / عبدالحفيظ فرغلي علي القرني

تطلق كلمة العصامي على معنى بعيد جدا عن مدلولها اللغوي ، فالعصام في اللغة ما تعصم به القربة من حبل ونحوه ، يقال : عصم القربة شدها بالعصام ، أما المعنى الذي اعتاده الناس من كلمة عصامي فهو الانسان الذي يشرف بنفسه لا بآبائه .

وأصل هذا المعنى مثل يضرب وأوردته كتب الأدب واللغة مرده الى عصام حاجب النعمان وقالوا في ذلك : كن عصاميا ولا تكن عظاميا اي كن مثل عصام حاجب النعمان بن المنذر والذي سود نفسه بنفسه حتى صار ملكا دون ان يكون أحد في آبائه وأجداده ورثه وانشدوا في هذا المعنى .

نفس عصام سودت عصاما
وعلمته الكر والاقداما
وصيرته ملكا هماما

ونقيض العصامي العظامي وهو الذي ورث الشرف عن أسلافه ، نسبة الى العظام اي عظام اجداده .

ولاشك ان الذي يشرف بنفسه ويعظم بهمته اجل من الذي وجد له سلما من الآباء يرتقى به ومجدا من الاسلاف ينتمي اليه ، وقد لا يكون في نفسه ما يؤهله لذلك او يوصله الى المنزلة التي صار اليها ، اما الذي سمت به مواهبه وارتفعت به همته فهو اولى بان يستحق ما نال وان يحافظ على ما اكتسب .

أثر البيئة :

والبيئة تترك أثرا في ابنائها ما من شك في ذلك ، وقد ورد في الامثال ، الانسان ابن بيئته ، والناشىء يتأثر بما حوله وبمن حوله ، واذا درج الطفل في بيت علم الف رؤية الكتاب وحببه ذلك في تقليبه والاطلاع عليه ، واكتسب حب العلم من والده وورث ذلك منه ـ هذا في الغالب ـ وكثيرا ما رأينا العلم يتوارث كابرا عن كابر ، والمثل في ذلك اللقب (الشحنة) الذي يطلق على عبدالبر بن محمد بن الشحنة المتوفي سنة ٩٢١ هـ وهو فقيه حنفي ولد وتوفى في حلب ، وتعلم في القاهرة وولى قضاءها ، وكان مقربا من السلطان الغوري ، ومن تآليفه الذخائر الأشرفية في ألغاز الحنفية » .

كما يطلق على جده محب الدين ابي الوليد المتوفي سنة ٨١٥ هـ وكان قاضي قضاة الحنفية في حلب ودمشق ومصر والشام ولد وتوفى في حلب وله « روضة الناظر في أخبار الأوائل والأواخر » .
ويطلق على أخيه أحمد بن محمد المتوفى سنة ٨٨٢ هـ وهو فقيه حنفى ولد في حلب وتولى قضاءها وتوفى شابا ومن مؤلفاته « لسان الحكام في معرفة الأحكام » .
ويطلق على أبيه أبي الفضل محمد بن الشحنة المتوفي سنة ٨٩٠ هـ ، وقد عرف بابن الشحنة الصغير . وكان قاضيا حنفيا نشأ في حلب وقدم الى القاهرة حيث عمل في كتابة سر السلطنة ، وينسب اليه كتاب « الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب » .
فهذا مثال يتحدث عن أن العلم يتوارثه الصغير عن الكبير . يجيء ذلك من تأثير البيئة في أبنائها ويساعد عليه ... الاستعداد والطبع ؛ وتصقله الهمة القوية والعزيمة الصادقة والتشجيع المستمر .
والأمثلة على ذلك كثيرة ، فابن تيمية الجد هو الذي ورث ابن تيمية الحفيد حب العلم والاقبال عليه ، والجد هو عبدالسلام مجد الدين المتوفى سنة ٦٥٢ هـ وكان عالما حنبليا ولد بحران وتوفى فيها ومن مؤلفاته « الوصية الجامعة لخير الدين والآخرة » والمنتقى من احاديث الاحكام » .
أما الحفيد فهو تقي الدين أحمد المتوفي سنة ٧٢٨ هـ ، وقد جدد المذهب الحنبلي وتعرض لكثير من المحن وبز جده في التأليف .
ولابد ان يبز اللاحق السابق مادام قد وهبه الله النبوغ والغيرة والحماس ، ومادامت الظروف المواتية قد تهيأت له ، فهو يأخذ الخبرة ويضيف اليها ببحوثه

ودراساته واطلاعاته واجتهاداته ، وقديما قالوا (رب فرع فاق الأصل) . واذا كنا قد ضربنا المثل بابناء القرون الماضية فان الحاضر المشاهد يصدق ذلك ولا يكذبه ، فالأسرة تتوارث ما تتعاطاه من علم أو صناعة وقد تكون الصناعة علما دقيقا له أسراره وخباياه ، فيصبح ذلك وقفا على أبناء هذه الأسرة التي تتقنها ، وكم من صناعات دقيقة بادت أو كادت تبيد ـ بكل أسف ـ لأن العلم بها ظل مضنونا به على غير الأبناء ، وانقرض الكبار الملقنون وضاق به ذرعا الأبناء المحدثون .

ويدخل في مجال العلم الأدب الذي يتلقن الاقبال عليه الصغير من الكبير ، ففي القديم كانت اسرة زهير ... الشاعر يروي بعضهم عن بعض فكان زهير راوية لخاله بشامة بن الغدير ولزوج أمه أوس بن حجر وأخذ عنه ابناه كعب وبجير ، وكان عبدالرحمن بن حسان وارثا لشاعرية أبيه حسان بن ثابت الأنصارى ، وهؤلاء كلهم شعراء مجيدون .. وتسير العصور تلو العصور على هذا المنوال ، والشاهد على ذلك في العصر الحديث الأسرة التيمورية التي بدأت مع نهاية القرن السابق ومطلع هذا القرن نشاطا أدبيا علميا ملحوظا بدأه أحمد بن اسماعيل تيمور ١٨٧١ ـ ١٩٣٠ م صاحب الخزانة التيمورية الشهيرة بمحتوياتها المطبوعة والمخطوطة وقد أهداها قبيل وفاته لدار الكتب المصرية ، وكان له نتاج علمي وأدبي قيم أهمه « تصحيح لسان العرب » « وتصحيح القاموس المحيط وناهيك بهذا العمل الضخم الذي يدل على احاطة واسعة باللغة العربية ومعرفة كبيرة بدقائقها ، أما الكتاب الذي يدل على دقة ملاحظته واحكام نقده وقدرته على التمييز بين المعاني وعلى السليقة الأدبية الممتازة فهو كتاب « أوهام شعراء العرب في المعاني » . لقد ورث عنهم هذه الحاسة الأدبية أبناؤه من بعده فكان ابنه محمد ١٨٩٢ ـ ١٩٢١ م أديبا اتجه بنتاجه الأدبي نحو المسرح ، ووقف ابنه محمود ١٨٩٤ ـ ١٩٧٣ م جهوده على القصة الأدبية الحديثة حتى أطلق عليه لقب عميد القصة العربية .

البيئة العامة :

وفي كل هذه الأمثلة السابقة عرض للتأثير المباشر من البيئة القريبة التي تظهر في الأسرة الواحدة ، ولاشك أن تأثير ذلك واضح ملحوظ ، ولكن البيئة العامة لها تأثيرها أيضا في أبنائها ، ولا ينكر منكر أن أبناء العصر الجاهلي كانوا مصبوغين بصبغته مفطورين بفطرته ، وحظهم من العلم هو ذلك العلم الذي كان منتشرا في ذلك العصر ومستفادا من فطرتهم القريبة وتجربتهم المختلفة ويكاد ينحصر عند بعضهم في الفراسة القيافة والكهانة والزجر وكانت لهم حكم وأمثال من وحي التجارب . يصدق بعضها ويتأثر بعضها بما يدينون به من عادات وتقاليد . فلما جاء الاسلام دان الناس به واذطبعوا بما فيه من مثل عليا ومبادىء كريمة ،

وظهر أثر ذلك واضحا في تفكير المسلمين وسلوكهم ، لقد نشر الدين رواقه على الجميع وأصبحت البيئة كلها اسلامية خالصة وكان للقرآن الكريم ودعوته الصريحة للعلم أثر كبير في توجه الناس الى الانتفاع بثمرةالعقل ونعمة التفكير . ومع تقدم العصر بالأمة الأسلامية واتساع أرضها وتقارب أبنائها على اختلاف أجناسهم ونضـج العقلية العربية ازدهرت العلوم واتسعت آفاق المعرفة ودانت قطوفها للجميع . أقبل الناس على العلم وأنواعه والأدب وفنونه حتى اصبح من لا يأخذ بحظ من الادب أو العلم أو الفن فاسد القريحة سيىء الطبع بليد الفهم ، ومن أجل ذلك . رأينا العلماء والأدباء يكثرون ويجلون عن الحصر ، وتعددت منافذ العلم وروافده ففي كل مسجد مدرسة وفي كل قصر من قصور الخلفاء والأمراء والأعيان مجلس معقود للعلم والأدب وبدأت المدارس المنتظمة تعرف طريقها الى الظهور وينتظم فيها الطلاب والمدرسون .

كان الخلفاء في العصور الاسلامية الزاهية حماة للعلم وكانت قصورهم منتديات له تشع النور والعرفان وتحلق العلماء حول الخلفاء والأمراء يفيدون ويستفيدون ، وأصبح العلم وسيلة يتقرب بها الناس الى الخلفاء والولاة وينالون بذلك سنى الجوائز وأعظم الصلات ، ولقد بلغ من ذلك ان العالم كان يحصل بكلمة واحدة ما تشرئب له الأعناق وما يرسم الطريق نحو التنافس في تحصيل العلم لينالوا به ما نال ، ومثل واحد يغني عن كثير فقد أورد الرواة أن المأمون نطق في مجلس فيه النضر بن شميل كلمة سداد بالفتح في الحديث الشريف الذي رواه ابن عباس « أيما رجل تزوج امرأة لدينها وجمالها كان ذلك سدادا من عوز « فقال له النضر بل سداد بالكسر فقال المأمون هل معك شاهد من ذلك ؟ قال أجل قول العرجي الشاعر .

اضـاعـوني وأي فتى اضـاعـوا ليـوم كـريـهـة وسـداد ثـغـر

وبين له الفرق بين سداد وسداد فقال : السداد بالفتح القصد في الدين والسبيل والطريق ، وبالكسر السداد للثلمة وكل ما سددت به فهو بالكسر ، فأثنى عليه المأمون وأجازه بخمسين ألف درهم وقال : قبح الله من لا أدب له .

ليس غريبا أن ينتج مثل هذا العصر أئمة اللغة والدين والأدب والعلم من أمثال أبي حنيفة ومالك والشافعي وابن حنبل ومن أمثلة الكسائي سيبويه والخليل بن أحمد والمبرد وثعلب وابن المقفع والجاحظ وابن قتيبة والحسن بن الهيثم وجابر بن حيان ومئات غيرهم ممن عاصرهم وسبقهم وجاء بعدهم ممن طبقوا الأرض علما وأدبا وشعرا وفنا .

فقد تأثر العلماء المجيدون بالبيئة العامة المزدهرة ، وتأثر الناس بهؤلاء العلماء الذين ازدانت بهم الحياة وأصبحت هناك مدائن عامرة مشهورة بالعلم في مختلف

الأقطار .
فالمدينة بمسجدها النبوي وبغداد بقصور خلفائها وأمرائها ودور كتبها وبيت الحكمة فيها والقاهرة بمدارسها ومساجدها الجامعة كجامع عمرو والجامع الأزهر ودار الحكمة فيها والموصل ودمشق والقيروان والمغرب وقرطبة والأندلس وصنعاء وزبيد في اليمن وغيرها ، كل هذه العواصم والمدن كانت عامرة بالعلم والعلماء تستقبل الوافدين من كل صوب لينهلوا من العلم ويتخرجوا علماء أجلاء .
ليس غريبا بعد ذلك ان نسمع نسبة كثير من العلماء الى مكان واحد بعينه مع افتقاد صلة النسب بينهم ، فالاصفهاني مثلا نجده لقبا لعشرات من العلماء ، والأزهري أيضا والبغدادي والقيرواني والجرجاني والطبري كذلك وهكذا ، ما ذلك الا لأن المنسوب اليه في ذلك كله كان منبعا فياضا من منابع العلم تخرج في ظله الكثيرون واقتطف من ثماره العديد من العلماء المشهورين .

التأثر بالبيئة أمر طبيعي ولكن يمكن الخروج عليه :

والتأثر بالبيئة أمر طبيعي يتمشى مع منطق الحياة وفطرتها ، ولكنه ليس من الحتم أن تؤثر البيئة في الانسان فقد ينشق الانسان على بيئته ويخرج عليها ، وقد ينشق على أسرته ويضيق بها ، وليس من الحتم أن ابن العالم يكون عالما او ابن الجاهل جاهلا وعلى ذلك فقول الشاعر .

وهــل ينبـت الخطيّ الا وشيجــه　　　وتنبت الا في منــابتهــا النخــل ؟

ان صدق في كثير من الاحيان فقد يتخلف في بعض الأحيان .
وعلى هذا الفهم رفض الدكتور عبد الحليم محمود رحمه الله أن يتحدث عن البيئة في التعريف ببعض من ترجم لهم من الأعلام الفضلاء ، لأنه رأى أن البيئة ليست هي كل شيء في حياة الأعلام ، قد يكون للموجهين أثر ولكنه الى حد ما ، والنابغة في فنه وعلمه له شخصيته المتميزة الفريدة والا كان صورة طبق الأصل من موجهه ، وقال في مقدمة كتابه عن أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه « ومن أجل ما تقدم لم أكتب عن مصادر أبي الحسن واذا كنت قد كتبت عن سيدي عبد السلام بن مشيش فانما كتبت عنه كموجه فقط ، والموجه ليس هو الموحي وليس هو الملهم » .
ان مهمة الموجه كما يرى هي أن يدل تلميذه على الطريق فاذا عرفها التلميذ انطلق في قدم ثابتة الى غايته لا يلوى على شيء .
والذي يستطيع أن يشق طريقه بين الصخور بعزم صادق هو العصامي ، وهو الذي يعنينا في هذه السطور التي تتحدث عن العلماء العصاميين الذين لم تكن هناك بيئة قريبة أو بعيدة يتأثرون بها .
أو كانت هناك بيئة ولكنهم خرجوا على نظامها المتبع الى التحليق في أجواء أخرى برزوا فيها وأثبتوا فيها قدرتهم الفائقة وشخصيتهم المتميزة .

أو كانت هناك ظروف معوقة ولكنهم استطاعوا أن يطوعوها أو يخضعوها وينتصروا عليها .

والتاريخ العلمي للعرب يمتلىء بصفحات مشرقة من هذه الشخصيات . التي استطاعت أن تقدم الكثير من المبتكرات والمؤلفات والأعمال العظيمة وأن تجبر التاريخ أن يحني لها قامته اجلالا واعظاما .

صور مشرقة من العصاميين :

والأمثلة التي نقدمها من هؤلاء ليست هي كل شيء في تاريخ العلماء ، ولكنها نماذج فقط يستطيع القارىء أن يأخذ منها جوانب مختلفة من العبرة والعظة والقدوة الحسنة التي يمكنه الانتفاع بها في حياته وسلوكه .

ففقدان البصر كثيرا ما يقف عقبة في طريق من امتحنهم الله بذلك ، وهي عاهة كفيلة عند الانسان العادي بأن تعوقه ، وقد رفع الله عن الأعمى مئونة الجهاد مثلا وقال في محكم كتابه « **ليس على الأعمى حرج** ... » سورة الفتح (الآية ١٧) . ولكن هذا الشعور بالنقص قد يولد الكمال عند من وهبهم الله الشعور بلذة الكفاح والانتصار على المعوقات ، فلا يجد هؤلاء في هذه العاهة عائقا بقدر ما يجدون فيها حافزا على بلوغ القمة ، وقد رسم الله امام هؤلاء ـ الطريق بقوله تعالى : « **فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور** » سورة الحج ـ الآية ٤٦ . كأنه يريد أن يقول لنا ان العاهات ليست نقمة ولكنها نعمة ، وقد أبت حكمة الله العليا الا أن تعوض المصاب بما هو خير ، فهو ان كان قد أخذ البصر فقد منح البصيرة .

ونجتزىء عن كثير من الأمثلة في ذلك بالأعلام الآتية .

السهيلي :

حسبك من السهيلي أنه مؤلف كتاب « الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام » وقد جلى كثيرا من مواقفها وأبان مزيدا من أسرارها .

والسهيلي هو عبدالرحمن بن عبدالله المتوفي سنة ٥٨١ هـ ، ونبغ في كثير من فنون العلم ، نبغ في التاريخ ، والحديث واللغة . وتميز في روايته للحديث بالحفظ والاجادة .

ولد السهيلي في الأندلس . في قرية سهيل القريبة من اقليم مالقة ، وهي مرفأ في جنوب آسبانيا على البحر المتوسط .

وابتلى السهيلي بفقد بصره مبكرا ولكن ذلك لم يعقه عن تلقي العلم والنبوغ فيه حتى شهد له بالتفوق ، وقارىء كتاب الروض الأنف يؤخذ بما فيه من جمال

الأسلوب وغزارة العلم وسعة الأفق وكثرة الرواية ودقتها ، وله الى جانب ذلك مؤلفات أخرى منها التعريف والاعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام .

الانطاكي :

وداوود الانطاكي ـ المنسوب الى انطاكية الشهيرة وقد ولد بها ، ثم هاجر منها الى مصر حيث أقام بالقاهرة وتوفر على طلب العلم ولم يعقه فقد بصره عن ذلك وظل يطلب العلم راحلا في سبيله وانتهى به المطاف في مكة حيث توفى بها سنة ١٥٩٩ م = ٩٤٩ هـ تقريبا .

وعبقرية الانطاكي تظهر في براعته في الطب وتفوقه فيه الى درجة أنه وضع في ذلك كتابا مشهورا وله كتاب في الأدب والجامع للعجب العجاب وهو معروف بتذكرة داوود ـ وله كتاب في الأدب اسمه « تزيين الأسواق » .

المعري :

والمعري هو ابو العلاء ، الذي ولد في معرة النعمان . وقد فقد بصره في الرابعة من عمره ـ ولكن هذا كان حافزا له على تعويضه بالدرس والتحصيل ، فأقبل على ذلك متنقلا بين حلب وطرابلس وانطاكية وبغداد وعاد الى المعرة زاهدا راضيا بالكفاف . وأطلق عليه رهين المحبسين العمى والمنزل وقد وهبه الله شاعرية ملهمة أملت عليه ديوانين من الشعر هما « سقط الزند واللزوميات ضمنهما فلسفته وآراء في الحياة ، كما أملى رسالة الغفران وهي رسالة طريفة انتقادية تعرض فيها لكثير من الشعراء والادباء ، و شبيهة بها الكوميديا الألهية للشاعر الايطالي « دانتي » .

العكبري

ومن العلماء المكفوفين الذين تحدوا العمى عبدالله بن الحسن العكبري المتوفي في حدود العقد السابع من القرن السادس الهجري ، وحياته صورة مثالية للتحدي واجتياز العقبات ، فعلى الرغم من كف بصره برع في النحو براعة فائقة حتى لقب بالنحوي ، ولم يعقه توفره على تعلم النحو الذي تلقاه على ابن الخشاب من أن يقبل على غيره من فنون العلم والأدب ، فقد ترك من بعده كتابا في التفسير هو « التبيان في إيضاح القرآن » وكتابا في الأدب لا يشق له غبار وهو شرح ديوان المتنبي ، وحسبك بهذا العمل الأدبي دليلا على ألمعية هذا الرجل ومقدرته في النقد .

معوقات أخرى :

واليتم من أكبر المعوقات عن الوصول ، ولكن كثيرا من العلماء استطاعوا ان يرتفعوا فوق مستوى الشعور به وأن يحولوا الاحساس الأليم بفقد الأب أو الأم الى قوة دافعة نحو الكمال وتمكنوا من أن يجدوا في حمى العلم وحمايته ما يعوضهم عن حمى الأب ورعايته .

وكأن الله جلت حكمته يعلمنا بأن رحمته التي وسعت كل شيء لا تعجز عن أن تبسط لليتيم أكف الرعاية وتفتح أمامه أبواب الأمل وتسكب في نفسه دوافع العمل حتى يوقن بأن حماية الله فوق كل حماية ورعايته تفوق كل رعاية ، وما كان الوالدان الا سببا من أسباب الحياة وفوق هذا السبب بل فوقه مسبب الأسباب ، واليتم لو أمعنا الفكر نجده نعمة لمن تولاهم الله برحمته فقد قطعهم من كل سبب الا منه ، ومن قطعه الله عن غيره ليوصله به فقد بلغ منزلة لا تدانيها منزلة ، والقدوة في ذلك نبي الهدى صلى الله عليه وسلم الذي يمن الله عليه بقوله « **ألم يجدك يتيما فآوى** » ثم يوصيه بعد ذلك باليتيم فيقول له « **وأما اليتيم فلا تقهر** » سورة الضحى .

السيوطي :

وأمامنا أمثلة ممن لم يقف اليتم عقبة في طريق طموحهم ، نقدم منها السيوطي الملقب بجلال الدين وهو عبدالرحمن ابن أبي بكر ، ولد بالقاهرة وتوفي فيها سنة ٩١١ هـ ، ولعل نسبة السيوطي جاءته من أسرته التي كانت تعيش في أسيوط احدى عواصم الصعيد في مصر .

ونشأ السيوطي يتيما ولكن ذلك لم يحل بينه وبين الاقبال على العلم والتزود منه بأقصى ما يمكنه في مختلف الأقطار فرحل اليه في جميع مظانه ، ولم يترك عاصمة عربية دون أن يحط رحاله فيها مستفيدا من علمائها ، بل رحل الى الهند حينما بدا له أن فيها علماء أجلاء يمكن أن يستفيد منهم وتفرغ للتأليف حينما بلغ الأربعين من عمره وضمن كتبه المفيدة ثمار علمه ، وستظل هذه الكتب كما كانت منبعا فياضا بالعلم والمعرفة وقد زادت مؤلفاته على خمسمائة كتاب تنوعت بين التاريخ والفقه والتفسير والحديث واللغة وغيرها ، ومن مؤلفاته التي ذاعت واشتهرت « الاتقان في علوم القرآن ، والدر المنثور في التفسير الماثور ، وبغية الوعاة في طبقات النحاة ، وحسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة والمزهر في فلسفة اللغة » .

الشعراني :

والشعراني من العلماء الذين ذاقوا اليتم صغارا ، وهو أبو المواهب عبد الوهاب الشعراني المتوفي ٩٧٣ هـ وهو منسوب الى ساقيه ابي شعره من أعمال المنوفية في مصر ، فقد والده وهو دون العاشرة من عمره ولكن ذلك لم يحل بينه وبين التوجه الى القاهرة ليلتحق بالأزهر صابرا على شظف العيش وقسوة الحياة ، وعلى الرغم من ذلك فقد رزقه الله عفة منقطعة النظير ، يحدث عن نفسه قائلا . كنت اذا جعت ولم أستطع الصبر على مغالبة الجوع أيمم وجهي نحو شاطىء بولاق وألتقط من النهر ما يتبقى من أوراق الخضر التي يتركها الباعة بعد غسلها وأسد بها رمقي .

فانظر الى غلام في مثل هذه الحالة من الفقر ومع ذلك يستطيع أن يقهر هذا المعوق الشديد ويثابر على طلب العلم حتى يصل الى أعلى درجة في الاجتهاد وحتى تربو مؤلفاته على الثلاثمائة .

ويكفي في ذلك أنه أول من فكر من العلماء في التوفيق بين المذاهب المختلفة بكتابه المشهور الميزان . وفي التوفيق بين علماء الظاهر والباطن بكتابه كشف الغمة عن هذه الأمة ..

وقد تناولت مؤلفاته فنونا شتى من التاريخ والفقه والطب والتصوف وغيرها ، وقد ارتفعت منزلة الشعراني في عصره حتى كان يقصده الولاة ـ وكان الى جانب علمه وعمله مصلحا اجتماعيا لا يبارى .

الغزالي :

ولعلنا لا نغفل في هذا المجال عن حجة الاسلام الغزالي المتوفي سنة ٥٠٥ هـ ، تركه ابوه وأخاه يتيمين ، وأقبلا معا على تلقي العلم حتى نبغا فيه . ولكن حجة الاسلام ابا حامد ما كان يقف عند حد في الطلب فلم يقنعه ما اقنع أخاه فيه ولكنه ظل مثابرا راحلا في طلبه . لا يعبأ بما يعترضه في طريقه من مشقات يروى عن نفسه أنه في أثناء عودته من احدى رحلاته في طلب للعلم وقد علق تعليقات كثيرة وضعها في مخلاة خاصة به ، قطع اللصوص الطريق على القافلة التي كان فيها وأخذوا أمتعة المسافرين ومن بينها مخلاة الغزالي فأقبل الغزالي على زعيم العصابة يناشده أن يرد اليه مخلاته فقط ولا يطلب شيئا من أمتعته سواها . فقال له الزعيم ماذا في هذه المخلاة ؟ فقال له : انها أوراق فيها تعليقات سمعتها من العلماء

سافرت من أجل تحصيلها فضحك اللص ساخرا وقال في تهكم : متعلم يزعم أنه فقد علمه الذي قيده في تعليقاته وقد أخذناها منه فأصبح الآن متجردا من علمه .

قال الغزالي : هذا ناطق أنطقه الله ليعلمني ، فعزمت من هذه اللحظة ألا أقيد شيئا حتى أحفظه وأستظهره . فاذا فقدت أوراقي لا أفقد علمي .

هذه همة عصامية لاشك فيها تشهد بالكفاح والصدق في الطلب ، ولقد أثمرت ثمارا يانعة من العلم والمعرفة وترك الغزالي مؤلفات لا تكاد تحصى ، يكفي أن يكون منها احياء علوم الدين الذي جمع فيه بين الفقه والتربية والاجتماع والتصوف ، ان كثيرا من العلماء يعتبرونه من السابقين في وضع أصول علم التربية وعلم النفس الذي يباهي المحدثون بمعرفتهما ويزعمون أن مبتكرهما علماء الغرب .

وشبيه باليتّم عدم الرعاية للابن وقصور الأب أو الأم أو كليهما معا عن التوجيه السليم ، وذلك القصور قد يكون فطريا أو ناشئا من استعباد العادات والتقاليد السيئة للمجتمع وقد أحسن شوقي في تصوير ذلك اليتم بقوله .

ليس اليتيم من انتهى أبــواه من ... هـم الحيــاة وخلفــاه ذليــلا
ان اليتيـم هــو الــذي تلقى لــه ... أمــا تخلــت أو أبــا مشــغـولا

وتحدى الناشىء لهذه الظروف عصامية لاشك فيها .
ويمكن ضرب المثل في ذلك بجرير الشاعر الأموى المشهور ، فقد استطاع أن يتبوأ مكانه في عالم الشعر والأدب وان ينتزع اعجاب الخلفاء والأمراء في عصره دون أن يكون له ما يؤهله لذلك من نسب مرموق .

ولقد سئل مرة من أشعر الناس ؟ فقال لسائله : قم معي حتى أريك ، واقتاده الى خباء فيه شيخ يرضع عنزا ، ثم قال له : أتدري من هذا الشيخ ؟ قال لا . قال : انه أبي . أتدري لم يصنع ذلك ؟ قال السائل : لا . ، قال جرير : انه يصنع ذلك حتى لا يسمع جاره صوت الحلب فيطلب منه اللبن ، أتدري من هو أشعر الناس بعد ذلك ؟ ان أشعر الناس من يفاخر بهذا الأب ثمانين شاعرا فيخملهم .
لقد أدرك جرير أن المجد يمكن أن يصنعه صاحبه بنفسه دون اتكال على الآباء والأجداد . وكذلك كان ..

وأراد المتنبي أن يتحدى شانئيه الذين عيروه بالافتقار الى النسب فقال لهم : -

أنا ابن من بعضه يفوق أبا البا ... حث والنجل بعض من نجله
وانمــا يــذكــر الجــدود لــهــم ... مــن نفــروه وأنفــدوا حيلــه

كما يقول لهم :

لا بقومي شرفت بـل شرفـوا بي وبنفسي فخــرت لا بجـدودي
وبهم فخـر كـل من نطق الضـاد وعــوذ الجـاني وغـوث الطـريـد

انه يفخر بنفسه وعمله وينتسب الى معنى بعضه يغني عن كل غيره . بل انه يقول : ان قومه هم الذين يشرفون به وان كانوا هم مثار شرف العرب اجمعين . ان العصامية هي التي جعلت المتنبي الذي ثار شك الناس في نسبه ملء سمع الزمن وبصره .

الفضيل بن عياض :

ومن الأمثلة الحيه لعصامية العلماء ما ترويه كتب التاريخ والطبقات عن الفضيل بن عياض .

وهو من علماء العصر العباسي كان معاصرا لهارون الرشيد الذي كان يقصده للانتفاع بعلمه .
كيف كانت حياة الفضيل في أول أمره ؟

كان قاطع طريق بين أبيورد (من أقاليم خراسان) وسرخس (على الحدود الايرانية الروسية وكان يتعشق جارية . وبينما هو في الطريق اليها ذات يوم اذا به يسمع قارئا يقرأ قوله تعالى (**ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله**) وأخذ القول بمجامع قلبه وسد عليه منافذ الطريق فهتف صارخا : قد آن يارب ..

قد آن يارب ويكر عائدا ادراجه حتى آوته خربة للمبيت ، فوجد فيها رفقة قد لجأوا اليها حتى الصباح خوفا من الفضيل .. فأمنهم على أنفسهم ، وعزم على سلوك طريق التوبة ، الخالصة ، وأراد أن ييمم شطر مكة المكرمة ، ولكنه أراد أن يهيىء نفسه أولا لضيافة الله ، لابد لجوار الكعبة من زاد وهذا الزاد هو العلم ، لأن العلم هو أعظم وسيلة للمعرفة فولى وجهه شطر الكوفة وعكف هناك على علمائها يرتوى من مناهلهم الثرة ، أعانه على ذلك قريحة وقادة وذهن متفتح وعزيمة صادقة ورغبة جامحة في التكفير عما سلف وشوق جارف الى المعرفة .

وظل على هذه الحال فترة طويلة حتى أصبح علما من الأعلام يشار اليه بالبنان لقد برع في شتى الفنون العلمية ولا سيما الحديث الذي حفظه ورواه وعلم طرقه وأسانيده وأعلامه ورواته . وحين أنس من نفسه الصلاحية لجوار بيت الله المحرم

توجه الى مكة حيث أقام بها بقية حياته رضي الله عنه .

رفاعة الطهطاوي :

وإذا اردنا ان نقدم نموذجا للعالم العصامي في العصر الحديث فأمامنا رفاعة رافع الطهطاوي الأزهري الذي قاد نهضة الأمة العربية الحديثة ، فقد اختير اماما ومرشدا لأول بعثة تعليمية مصرية الى فرنسا ، ولم يكن دوره بالنسبة لها يتعدى الاشراف وامامة الصلاة ، ولكنه تجاوز بنفسه هذا الدور وأبت عليه همته الا أن يتعلم الفرنسية على حسابه الخاص ، ومهر فيها وقام بترجمة عدة مؤلفات فرنسية ، وضمن خلاصة تجربته في فرنسا كتابا طريفا أسماه « تخليص الابريز في تلخيص باريس » وحين عاد الى القاهرة بعد خمس سنوات أنشأ مدرسة الألسن التي كان ثمار جهودها ما ينيف على ألف كتاب مترجم يتناول مختلف التخصصات وأشرف على تحرير الوقائع المصرية ، وعلى يديه تخرج الأدباء والعلماء الذين قادوا حركة التقدم في مصر والبلاد العربية .

العقاد :

ولعلنا لا نغفل في حديثنا عن العقاد عملاق القرن العشرين في العلم والأدب وسائر فنون المعرفة وكتبه ناطقة بفضله وأدبه ، والعهد قريب على وفاته ولا أحد ينسى أنه صنع نفسه ووصل الى منزلة لا يدانيها غيره ممن أتيحت لهم الفرص المهيأة والتوجيهات السديدة والحوافز المختلفة .

ميراث العلم وحده لا يكفي :

هذه امثلة من عصامية العلماء الناجحين ، ولكن لا يفوتنا أن ندرك أن العلماء النافعين جميعهم عصاميون ، سواء منهم من تأثر ببيئة أو لم يتأثر فان ميراث العلم غير ميراث المال وغير ميراث السلطان ، ميراث العلم لا يكون للوارث الا اذا أقبل عليه بهمة نفس وشغف قلب ليستوعب ويفهم ويجدد ولا يمكن أن يطلق على من يرث كتب ابيه انه عالم ، فالعالم له مقوماته وخصائصه من اقبال النفس وتفريغ القلب وبذل الهمة في الموازنة والاستنتاج . وغير ذلك من الأدوات ، والذي يفعل ذلك من أبناء العلماء يضيف شرفا الى شرف وجاها الى جاه ، والذي لا يفعل ذلك انما هو ميت أشبه بالأحياء ويحق لمورثه أن يرثى نفسه كما رثاها حفني ناصف بقوله .

أتقضي معي إن حان حيني تجاربي وما حصلتها الا بطول عناء ؟

ربنا

قال تعالى واصفا أولى الألباب بأنهم الذين يقولون : « ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي للايمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار . ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد » آل عمران .

دعاء

كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يدعو ربه سبحانه بهذا الدعاء : « اللهم إني أسألك الجنة ، وما قرّب إليها من قول أو عمل ، وأعوذ بك من النار ، وما قرّب إليها من قول أو عمل ، وأسألك أن تجعل كل قضاء قضيته لي خيرا » .

واخوان حسبتهم دروعا
فكانوها ..... ولكن للأعادي
وخلتهم سهاما صائبات
فكانوها ..... ولكن في فؤادي
وقالوا قد سعينا كل سعي
فقلت نعم ..... ولكن في فسادي
وقالوا قد صفت منا قلوب
لقد صدقوا ..... ولكن عن ودادي

حالة المضطر

قال رجل : يا أمير المؤمنين ، إن المضطر يركب الصعب من الأمور وهو عالم بركوبه ، ويتجاوز الأدب وهو كاره لتجاوزه ، ولو أحسنت الأيام مطالبتي لأحسنت مطالبتك ، ولأنت على ردّ ما لم تفعل أقد رمن ردّ ما قد فعلت .

حكمة

اجعل العلم مالك ، والأدب حيلتك .

تاجر..

يروى أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - سمع سائلا يسأل بعد المغرب ، فقال لواحد من قومه : عَشِّ الرجل ، فعشاه .
ثم سمعه - ثانيا - يسأل ، فقال لصاحبه : ألم أقل لك عشّ الرجل ؟ فقال : قد عشيته .

فنظر عمر فإذا تحت يد السائل مخلاة مملوءة خبزا ، فقال : لست سائلا لكنك تاجر ، ثم أخذ المخلاة ، ونثرها بين يدي إبل الصدقة ، وضربه بالدّرة ، وقال : لا تعد .

نعم الأنيس

نعم الأنيس إذا خلوت كتاب
تلهو به إن خانك الأحباب
لا مفشيا سرا إذا استودعته
وتفاد حكمة وصواب

الحرص على العلم

قال المبرد : نظر أعرابي إلى رجل وهو لا يسمع شيئا إلا كتبه .

فقال : ما تترك نقارة إلا انتقرتها ، ولا نماصة إلا انتمصتها .

وإنك لملقفة الكلمة الشرود .

أحق الناس

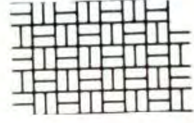
قال ابن المقفع في « الأدب الصغير » :

أحق الناس بالسلطان أهل المعرفة (أي أهل المعرفة بسياسة الحكم) ،

وأحقهم بالتدبير العلماء ، وأحقهم بالفضل أعوَدُهم على الناس بفضله ،

وأحقهم بالعلم أحسنهم تأديبا ، وأحقهم بالغنى أهل الجود ، وأحقهم بالنعم أشكرهم لما أوتي منها .







العدل في الإسلام

للأستاذ / محمد علم الدين

اداة العدل الميزان على اختلاف انواعه ، ولأهميته في نظام الكون والمعاملات كرر الله تعالى ذكره في اوائل سورة الرحمن عندما قال : (**والسماء رفعها ووضع الميزان . ألا تطغوا في الميزان . وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان**) . وما بعدها ، فالله تعالى وضع الميزان وجعله قاعدة التعامل بين الناس ، بحيث يقوم بينهم بالقسط ، ويعطي كل ذي حق حقه ، فلا طغيان كما يفعل المطففون عندما يشترون يستوفون حقهم وزيادة ، ولا يخسرون كما يفعلون عندما يبيعون ، ان ما اخذوه زيادة عن حقهم ظلم لمن باع وان ما انقصوه ظلم لمن اشترى وويل لهم من الامرين

وَنَظْمُ الآيات في اوائل سورة الرحمن عجيب ، فنلحظ ان المولى جل وعلا قدَّم تعليم القرآن على خلق الانسان عندما قال : (**الرحمن . علم القرآن . خلق الإنسان . علمه البيان**) الرحمن / ١ ـ ٤ . وكان النظم في نظرنا أن خلق الإنسان يتقدم على ما خلق من أجله والقرآن مخلوق للانسان ، ولكن المولى جلّ وعلا خلق برحمته أداة إسعاد البشر قبل ان يخلق البشر ، وخلق له ما يهديه الى الصراط

المستقيم ، وما يحميه من اعدائه : الشياطين والنفس الأمّارة بالسوء والجهل والظلمات ألا وهو القرآن الكريم ، خلقه الله تعالى وجعله في أمّ الكتاب علياً حكيماً ، وجعل جميع الشرائع السابقة على دين الختام بعضا منه وصحفا من صحفه ، ذلك لأن البشرية لم تتقدم طفرة ، ولكنها تدرجت في الاجتماع والحضارة تدرج طلبة العلم في مراحل الدراسات الابتدائية والاعدادية والثانوية والعالية والدراسات العليا ، وناسب ذلك تدرج التشريعات الدينية ، فهى تزداد عمقا وسعة كلما تقدمت البشرية في الحضارة والاجتماع ، حتى اذا اوفت على الغاية التي علم الله انها تناسب القرآن الكريم أنزله على خاتم النبيين محمد الأمين كاملاً في ثلاثة وعشرين عاما بلسان عربي مبين ، بعد أن أنزل بعضا منه على الأنبياء السابقين بلسان اقوامهم ، فالقرآن الكريم أول في الخلق وآخر في كمال النزول ولذلك جاء في القرآن الكريم : (**وإنه لفي زبر الأولين**) الشعراء / ١٩٦ . و:(**إن هذا لفي الصحف الأولى . صحف إبراهيم وموسى**) ختام سورة الاعلى . و:(**شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك**) الشورى / ١٣ .

ومن رحمة الله بالإنسان انه علمه البيان كي يستطيع ان يستفيد بهذا القرآن العظيم تلاوة وفهما وعلما وهو الكون المقروء الموجه للكون المنظور .

وكما اقتضت رحمة الله خلق القرآن قبل خلق الانسان ، اقتضت رحمته أن يجعل وضع الميزان بين رفع السماء ووضع الارض ، وكان الوضع في نظرنا تأخير الميزان وجعل وضع الارض عقب رفع السماء ، ثم وضع الميزان ، ولكن الله الرحمن أعلى شأن العدل الممثل في الميزان فجعله بين رفع السماء ووضع الارض في قوله تعالى : (**والسماء رفعها ووضع الميزان . ألا تطغوا في الميزان . وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان . والأرض وضعها للأنام**) اشعارا للناس ان الارض بدون عدل لن تقوم لها قائمة وانما قيامها به ، فالعدل ميزان الله وضعه للخلق ونصبه للحق وهو من قواعد الدنيا ولا انتظام لها إلا به .

ادوات الميزان :

١ ـ الآلة المعروفة **باسم الميزان** وهي الدائرة في معاملات البيع والشراء وتعطي كل ذي حق حقه ، والله يريد من هذا الميزان ان يكون قسطاساً مستقيماً ، وان آفة قوم شعيب انهم كانوا مع كفرهم يبخسون الناس اشياءهم ويعيثون بذلك في الارض فسادا ، ولما دعاهم نبيهم لعبادة الله وحده ، وايفاء الكيل والميزان حقه ، قالوا له مستهزئين : (**أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء إنك لأنت الحليم الرشيد**) هود / ٨٧ . ولما تمادوا في الكفر والإفساد لم يكن بد من أن تأخذهم الصيحة،ومن قبيل هذه الادوات المقاييس

للنسيج وللارض كبرت أو صغرت .

٢ - **التوازن بين الاجر والعمل** : وقد اشار الله اليه في قوله : (**يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلاّ أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما**) النساء / ٢٩ . ولما كانت التجارة بيع سلعة بثمن عن تراض بين البائع والمشتري فقياسا على ذلك تكون سائر المعاملات التي فيها ثمن وأجر لقاء عمل وخدمة ، فينبغي لتكون سليمة ان يكون هناك تكافؤ بين الأجر والخدمة حسب المتعارف عليه .

الطبيب يأخذ ما يسمى بالكشف نقدا وينبغي ان تكافئه جودة الفحص والتشخيص للداء ووصف الدواء الناجع . والمدرّس يأخذ مرتبه ازاء التحضير والتدريس والتصحيح والتربية ، وما لم يفعل ذلك فقد أنقص التلاميذ وأولياء أمورهم حقهم ، واستحل مرتبه حراما ، وكذلك الشأن في المقاولات يجب ان يكون تكافؤ بين الثمن واداء المواصفات كاملة ، واي نقص او غش فيها يجعل المقاول آكلا للسحت عليه الوزر في الدنيا والآخرة .

ومن اكبر الخطأ ما يقوله بعض الموظفين : «نعمل قدر ما نؤجر» ويتخذون ذلك مبررا للتقصير واداء نصف العمل او ربعه ، وهذا أكل لاموال الناس بالباطل ، فما دام هناك تعاقد بين الحكومات او الشركات مع الافراد او بين الافراد والافراد فيجب ان يؤدي المتعاقد العمل كاملا غير منقوص مهما كلفه من جهد ، وبهذا يبارك الله له في ماله وولده وصحته ، وما لم يفعل ذلك فليأذن بحرب من الله ومحق للبركة من كل ذلك .

٣ - **التكافؤ بين الحقوق والواجبات** : عقود العمل ينبغي ان يكون فيها تكافؤ بين الحقوق والواجبات والمواصفات واضحة محددة ، والاجر يتكافأ مع ذلك تحت شعار قوله : (**لاتظلمون ولا تظلمون**) البقرة/٢٧٩ . واي استغلال من جانب صاحب العمل للعامل ظلم وحرام ، وفي ذلك يقول الحديث الشريف في حقوق العبيد التي كانت مهدرة قبل الاسلام: « لاتكلفوهم ما لا يطيقون وان كلفتموهم فأعينوهم » رواه البخاري ومسلم . كما لا ينبغي للعامل ان يغش رب العمل فينقص من وقت العمل او كميته او جودته او آلته فكل ذلك حرام ومحاسب عليه ، وما من عامل يعمل عملاً وهو يستطيع أن يُجوِّده اكثر مما عمل إلا حوسب عليه والله يحب المحسنين أعمالا .

ميزان النفس : هو أعظم الموازين وأكثرها اعتلالا ، واعتلاله هو السبب في سوء المعاملات . ونقصد بميزان النفس ما ذكره الرسول الكريم : « أحب للناس ما تحب لنفسك » رواه البخاري والطبراني . وميزان النفس يعني ان يجعل المرء نفسه ميزانا فيما بينه وبين الناس فما أحبه لنفسه احبه لهم وما كرهه لنفسه كرهه لهم ، ونحن لو عمدنا الى أفجر خلق الله فعلا للمنكرات من اعتداء على الانفس والاعراض والاموال وسألناه : أتحب ان يقتلك احد او يشوه وجهك ؟ . لأجاب :

لا . ولو سألناه اتحب ان يرتكب احد الفاحشة مع امك او اختك أو ابنتك ؟ لقال : لا . ولو سألناه اتحب احدا ان يسلبك مالك أو يبني لك بيتا اليوم وينهدم غدا ، أو يغشك في مكيال أو ميزان ؟ قال : لا .. لا .. ، فهو يحب ان يكون المجتمع بالغا أفراده ما بلغوا كلهم يحافظون على نفسه وعرضه وماله ، وهذا نصف الميزان ولكن النصف المعتل انه هو لا يحب لهم ذلك ولذلك فهو يعتدي على النفس والعرض والمال لاعتلال ميزان نفسه وهذا هو الذي اهتم به الاسلام ونبه اليه حديث خير الأنام ، ولو صح هذا الميزان النفسي لقضى على جميع المظالم ولما كانت هناك جناية ولا جنحة ..

ان هذا الميزان لو ركزت دولة ما على ان يتضح في الافراد عملا وفي السلوك تطبيقا في المعاملات لاستقامت امورها ، وليت الدول تركز على توجيه جميع الجهود في فترة ما لتصحيح هذا الميزان بحيث تتناوله جميع القوى المؤثرة في الإعلام والتربية والتدريس والخطابة والتأليف حتى يشعر كل بنعمة العدل .

ان الموظف الذي لا ينجز عمله ويدعو المواطن الى الحضور غدا أو بعده مدة طالت أو قصرت ، لو وضع نفسه موضع هذا المواطن لأنجز عمله ولما استدعاه مرة اخرى ، لانه لا يحب ان يضيع وقته ويتعطل عمله في الذهاب والاياب . والمقاول الذي يستحل لنفسه السحت من انقاص الحديد والاسمنت والمواصفات لو وضع نفسه محل المالك لبنى له بيتا كالحصن كما لو كان يبني لنفسه .. وهكذا .. هل هناك أولى بالرعاية من هذا الميزان ؟ أنه بمفرده سيمنع الغش من جميع الموازين والمماطلات عند سداد الحقوق والتهرب من أداء الواجبات ومما يعين عليه استشعار رقابة الله وأن الانسان مجزي بعمله إن خيرا فخير وإن شرا فشر .

اطمئنان قلب القاضي : اذا كان العدل مطلوبا في كل الامور فهو اكثر طلبا في القضاء والحكم بين الناس ، لان قلوب المتقاضين تكون واجفة معلقة بكلمة تخرج من فمه ، تحق الحق وتبطل الباطل ، والاسلام يأمر القاضي بالحكم بالعدل وعلى رأس ذلك قول الله تعالى : (**وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل**) النساء / ٥٨ .

لقد كان الرومان يرمزون للعدل بامرأة معصوبة العينين ممسكة باحدى يديها ميزانا وبالاخرى سيفا والرمزية واضحة ، فتعصيب العينين يرمز للنزاهة المطلقة في الحكم ، بحيث لا يتأثر القاضي بأي من الطرفين ، والميزان واضح في العدالة والسيف قاطع في تنفيذ العدل .

ونحن بحمد الله عندنا في الاسلام اكثر من هذا في سورة الحديد / ٢٥ . نقرأ قول المولى جل وعلا : (**لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس**

وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب) .

فرسل الله الذين بعثهم برسالة الدين تؤيدهم المعجزات معهم مناهج الدين وما يفعل البشر وما يذر ، وفيها العدل بين الناس وترك المظالم فانها ظلمات يوم القيامة ، ومعهم الحديد ومن منافعه السلاح الذي يؤيد الحق ويزهق الباطل ، يستعمله الحكام العدول مع القوم الظالمين ، وفي سورة النساء : (**يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعْرِضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا**) ١٣٥ . فالمؤمنون مخاطبون من المولى جَلَّ وعلا أن يكونوا على الدوام قائمين بالعدل ومنه الشهادة على النفس والوالدين والاقربين ، كالشهادة على غيرهم دون اعتبار للغنى والفقر بحيث لا يؤثر ذلك على الشهادة الحقة العادلة المضيئة بالحق أمام القاضي والمعينة على الحكم بما انزل الله ، وظاهر هذا النص الكريم ان المسلمين عدول بعضهم على بعض وشهادتهم مقبولة دون تهمة بين الوالد وولده والقريب وقريبه ، كما هي مقبولة بين الأباعد وهم لا يراعون في الحق إلا الله فالعبرة للحق وحده والله ينهاهم أن يتبعوا الهوى وميل النفس الى القريب او الغنى فينحرفوا عن الحق والله خبير بهم ومجازيهم على أعمالهم .

- وإلى جواز شهادة الأصول والفروع بعضهم على بعض ذهب فريق من العلماء اتباعا لنص الآية ، ومنعه بعضهم خشية التهمة وبخاصة في هذه الأزمان .

وفي سورة المائدة في الآية الثامنة : (**يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله**) . وفي هذه الآية يصل العدل الى اعلى مستوى ، فهو العدل مع الخصوم حيث الفرصة سانحة للتنكيل بهم وليس في اي تشريع ارضى ما يرفع القاضي الى هذا المستوى في العدل وانما هو عدل السماء .

أنواع العدل مع النفس ومع الله ومع الناس

العدل مع النفس – ان من لم يكن عادلا مع نفسه فهو لغيره أظلم ، والعدل مع النفس قوامه حملها على ما فيه المصالح ، وكفُّها عما فيه القبائح ، والوقوف في جميع الاحوال على أعدل الطرفين لا تجاوز ولا تقصير ولا افراط ولا تفريط .

وان من اظلم الظلم للنفس ان تشرك بالله وفي ذلك يقول الله تعالى : (**إن الشرك لظلم عظيم**) لقمان / ١٣ . و : (**إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار**) المائدة / ٧٢ . و : (**ومن يشرك بالله فكأنما خر من**

السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق) الحج / ٣١ . ومن ظلم النفس تجاوز حدود الله وفي ذلك النص الكريم : **(ومن يتعدّ حدود الله فقد ظلم نفسه)** الطلاق / ١ . و : **(ومن يعْصِ الله ورسوله ويتعدّ حدوده يدخله نارا خالدا فيها)** النساء / ١٤ . ويكون ذلك بالعدوان على الأنفس والأعراض والاموال وافتراء الكذب على الله ، وادعاء الوحي ، ومن ظُلْم النفس الالقاء بها الى التهلكة والانتحار وكل ما يعصف بالصحة من الخمور والمخدرات وكذلك اهدار الاموال في الملاهي والميسر والشح بها في الخير .

ومن ظلم النفس ما يسمى بقتل الوقت واضاعته في المقاهي ولعب النرد ونحو ذلك ، فالوقت هو الحياة ، وهو الفرصة التي لا تعوض فكل يوم ينشق فجره ينادي : يابن آدم ، إني يوم جديد وعلى عملك شهيد فاغتنمني فإني لا أعود الى يوم الوعيد .

العمر محدود والحساب عسير على اداء الواجبات نحو النفس ونحو الله والناس ، والعمر رأس مال الانسان ، من اضاعه فقد بدد رأس ماله ، ومن عجب ان بعض الناس يجدون الوقت اضيق مما لديهم من اعمال وبعضهم يملئونه فراغا ويقتلونه بالتافه من الامور ... !!

جدير بالعاقل ان يعمر وقته بما يفيده في الدنيا والآخرة ، ويشغل وقت الفراغ في الهوايات النافعة والرحلات المفيدة والرياضات المنشطة والاطلاع على الحديث في العلوم والفنون والآداب ومن ظلم النفس اعانة الظالم على ظلمه ، يقول المولى عزوجل : **(ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار)** هود/ ١١٣ . ومن ظلم النفس ان يحيا المرء مستضعفا في ارض الاعداء وهو قادر على الهجرة يقول الله تعالى : **(إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا)** النساء / ٩٧ .

ومن ظلم النفس ترك الفضيلة وهي غالبا اوساط بين اطراف هي رذائل ، كالشجاعة بين التهور والجبن ، والكرم بين الاسراف والبخل ، وقد تكون الفضيلة طرفا والثاني هو الرذيلة كالصدق فالقول إما صدق وإما كذب ، وكالحكم إما عدل وإما ظلم .

العدل مع الله: وليكون المرء عادلا مع ربه يجب ان يوفيه حقه من الإجلال والمراقبة والخشية والاستقامة على المنهج الذي شرعه ، وعلى رأسها الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ثم العمل الصالح ، وقد فصّله القرآن الكريم

والسنة الشريفة ، ومناهج عباد الرحمن كثيرة في القرآن فرادى ومجتمعة ، ومما اجتمعت فيه ما جاء في سورة الاسراء من قوله تعالى : (**وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه**) ٢٣ . الى قوله : (**ولا تجعل مع الله إلها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا**) ٣٩ . وما جاء في سورة الفرقان من : (**وعباد الرحمن**) من ٦٣ الى آخر السورة ـ ٧٧ . ومن العدل مع الله ان يكون المرء على المستوى الذي وضعه الله تعالى فيه ، عندما صوره فاحسن صوره وعندما كرمه وفضله على كثير ممن خلق ، وعندما جعله خليفة له في الارض ، وارسل له الرسل والكتب ، وعندما طلب منه أعالي الامور والبعد عن سفسافها ، طلب اليه ان يقول احسن ما يقال ، ويرد باحسن رد ويدفع بالتي هي احسن ، ويجادل بالتي هي احسن ، ويستمع القول فيتبع احسنه ، وعندما اعلنه انه يصلي عليه هو وملائكته ليخرجه من الظلمات الى النور مع تمييزه بالعقل والنطق ، وطلب اليه ان يقتبس من صفاته في العدل والعفو وان يتأسى بخاتم الرسل فله فيه اسوة حسنة .

ومن العدل ان يرضى الانسان لنفسه صورته فلا ينقم منها لونه او نحافته او سمنته او طوله او قصره فكل ذلك للتعارف بسرعة ولو كان الناس كنسخ كتاب واحد ما تعارفوا وليست العبرة بالصورة انما العبرة بالخُلقِ وحسن العمل ذلك هو المعتبر عند الله .

كما ينبغي الا ينقم موقعه الاجتماعي من ناحية الفقر او الخدمة فهذه بحكمة المولى واتخاذ الناس بعضهم بعضا سخريا ، ومن الخير للجيش ان يكون فيه قادة ومساعدون وجنود ، وليجتهد في عبور الحياة وامتحاناتها على خير ، فكل هذه الاوضاع اختبارات وابتلاءات وتحميص للناس : (**ونبلوكم بالشر والخير فتنة**) الأنبياء / ٣٥ .

لا يحقر انسان الا الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق ، ومن النجاح في اختبارات الحياة شكر الغنى والصبر في البأساء والضراء وحين البأس والله لا يضيع أجر من أحسن عملا ، ومن العدل مع الله تذكر نعمه التي لا تعد وشكره عليها ، والشكر على النعمة يضاعفها ويزيدها : (**لئن شكرتم لأزيدنكم**) ابراهيم / ٧ .

العدل مع الناس ، في الحديث الشريف : « ان احبكم الى مجالس، احاسنكم اخلاقا ، الموطئون اكنافا،الذين يألفون ويؤلفون » رواه الطبراني والبزار . والمرء مرآة أخيه ان رأى فيه عيبا اصلحه بالنصح الخالص واللفظ المهذب والاسلوب السليم ، مع ترك العجب والخيلاء والاستعلاء والفخر بالحسب والنسب ، وليعلم ان المرء ليس بحسبه او طبقته او دمه ، فكلنا لآدم وآدم من

تراب ، واكرم الناس عند الله اتقاهم ، ومن العدل مع الاصدقاء اغتفار الزلات والهفوات :

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها كفى المرء نبلا أن تعد معايبه

واذا كان العدل واجبا مع الناس عامة فهو مع اسرة المرء وزوجته واولاده أولى حتى لا يهضمهم حقهم ولا يخل بواجباته عليهم من حيث الانفاق والتربية والمساواة والقدوة الحسنة ليكونوا كذلك مع الناس ، لقد خلقنا الله ضعفاء عاجزين ليشعر كل منا بحاجته الى اخيه ، والمرء قليل بنفسه كثير باخوانه وهو يتكامل بهم ، والله تعالى يحب ان يرى اثر نعمته على عبده شكرا له واشراكا للناس فيها ، ان كان علما فبالتعليم وان كانت صحة فبالمساعدة والجندية والانتاج ، وان كانت مالا فبالانفاق والصدقات والمساهمة في خير الجماعة ، وان كانت جاها فباعانة من لا جاه له ، وليعلم انه يحب ان كان محتاجا الى اي نوع من المساعدة ان يساعده الناس ، فليساعد هو الناس قدر ما يستطيع وأحق الناس بهذا من تعلم العلم الديني فهو خليق بنشره ، وملعون عند كتمانه حتى يبين .

واذا كان العدل مطلوبا من كل فرد فهو من الحاكم اكثر طلبا واوجب عملا ، فهو امانته ، وهو مسئول عنها امام احكم الحاكمين الذي خاطبهم بقوله : (**وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل**) وقال لهم : (**إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها**) وامانة الحاكم هي العدالة المطلقة بين المحكومين ، سواء اكان ذلك مباشرة منه ام بوساطة اعوانه واعوان اعوانه من الوزراء وحكام الاقاليم والعمد والصيارفة وكل من يحتك بالجماهير وله عليهم سلطان مستمد منه ، وعليه ان يولى في كل هذه المناصب اصلح من يصلح لها بغض النظر عن القرابة والمنافع الشخصية وعلى كل حاكم ان يقرأ كتاب الحسن البصري لامير المؤمنين عمر بن عبد العزيز في وصف الامام العادل وان يعمل بما فيه خروجا من المسئولية الضخمة امام رب العالمين كما ان عليه ان ينفذ العقوبات والحدود ولو في اقرب الناس اليه كما قال سيد البشر : « وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » رواه البخارى ومسلم .

وسائل العدل واهدافه :

وسائل العدل عموما تهدف الى ايصال الحقوق لاربابها دون مطالبة ودون إلحاح ووساطة ، وتهدف الى المساواة بين الناس وتكافؤ الفرص ، وان شعور الناس بالعدل والامن ،كبر حافز لهم على التفرغ والانتاج والاجادة .

واهم وسائل العدل العلم بالدين فهو والعقل متلازمان . العلم بالقرآن يزيد المرء نورا ويضيء له فيميز الحلال والحرام ويطبق العلم على العمل ، ولا جدال فان المنهج الديني في القرآن الكريم يحقق العلم النافع ويستتبعه العمل الصالح ، والايمان والعمل الصالح من رزقهما غَنِمَ ، ومن حرمهما حُرِمَ ونَدِمَ .

وسبيل العلم النافع التلقي عن المعصوم الصادق الامين ، فانه تلقى الوحي من امين الوحي جبريل الذي تلقّاه من رب العالمين ، وهذا هو الصراط المستقيم من اتبعه اعتدل وعدل ، والعلماء ورثة الانبياء وهم لم يورثوا درهما ولا دينارا ، وانما ورثوا العلم . ومصدر العلم في الاسلام الكتاب الكريم والسنة الشريفة ، فمن اراد العدل استجاب لله والرسول بالاطلاع عليهما والتفقه بما فيهما ، وبعُد عن آفة العدل ، وآفة العدل هي آفة التعصب والتقليد ، كلاهما يحمل على الجور وصاحبهما يتبع تأويل المبطلين ، والذين يظلمون كتاب الله بالتكلم في المتشابه ويخدعون الجهلة من الناس . بالكتاب والسنة يستطيع العالم ان يتصدر للناس تفقيها بالدين ، وحكما بالحوادث وفتيا في المشاكل شريطة ان يكون حسن الطريق مرضى السريرة متشاكل السر والعلن .

في الحديث الشريف « القضاة ثلاثة : اثنان في النار وواحد في الجنة : رجل عَلِمَ الحق فقضى به فهو في الجنة ، ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار ، ورجل عرف الحق فجار في الحكم فهو في النار » رواه ابو داود والترمذي .

واثر عن سيدنا عمر بن الخطاب انه قال : ويل لمن قضى بغير الحق لقرابة أو هوى أو رغبة . ومن الظلم ان يتصدر الانسان للحكم والفتوى بغير علم او بسوء نية فالحق يقول : (**ولا تقف ما ليس لك به علم**) الاسراء/٣٦ . كما يقول (**ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون**) النحل / ١١٦ . ويقول : (**قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون**) الاعراف / ٣٣ ، ويقول : (**فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين**) القصص / ٥٠ . واذا كان الله قد أمر بطاعته ورسوله وأولى الأمر ، فإن طاعة الله ورسوله واجبة رأسا ، وطاعة أولى الأمر واجبة تبعا لطاعتهما ، فمَن أمَرَ من أولى الأمر بما يوافق طاعة الله ورسوله وجبت طاعته ، ومن أمَرَ بما يخالف وجبت معصيته ، إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

كيف العدل فيما يجدّ وليس في كتاب ولا سنة ؟

هناك أمور تجد وليس لها حكم في الكتاب أو السنة ، فماذا يفعل الحكام او

القضاة او المفتون ؟ هنا يوجب الاسلام على علماء الدين ان يجتهدوا ويفتوا بما هو اقرب الى الله ورسوله ، ومن قصَّرَ في البحث والردّ الى الله ورسوله بجهل أو سوء نية فهو رد عليه وهو ضلال وميل الى الطاغوت ولا بأس باختلاف وجهات نظر العلماء بعد الاجتهاد ، فان من اجتهد واصاب فله اجران ومن اجتهد ولم يصب فله أجر . ورحم الله الامام مالكا كان يقول : إنما أنا بشر أخطىء وأصيب فانظروا في قولي ، فما وافق الكتاب والسنة فخذوه ، وما خالفهما فاتركوه .
وقد قال الرسول الكريم لمعاذ عندما ارسله الى اليمن : كيف تصنع اذا عرض لك قضاء ؟ قال اقضي بما في كتاب الله ، فان لم اجد فبسنة رسول الله ، فان لم اجد اجتهد برأيي ولا آلو . فضرب الرسول على صدره وقال الحمد لله الذي وفق رسول الله الى ما يرضى الله ورسوله . وعندما ولى امير المؤمنين عمر بن الخطاب ابا موسى الاشعري القضاء كتب له الكتاب الذي يعتبر دستور القضاء ، ومما جاء فيه : آس بين الناس في وجهك ومجلسك وقضائك ، حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك . والكتاب بنصه في كتاب أعلام الموقعين لمؤلفه الامام ابن قيم الجوزية وقد شرحه شرحا وافيا .

على العدل فطر الله الخلق

ركز الله في فطرة الناس وعقولهم التسوية بين المتماثلين وانكار التفرقة بينهما ، والتفرقة بين المختلفين وانكار الجمع بينهما ، ولذلك كان الجزاء من جنس العمل ان خيرا فخير وان شرا فشر . فاذا عذّب الله قوما كفروا وكذّبوا نبيهم فلا شك ان هذا الحكم يشمل كل قوم كفروا وكذبوا نبيهم ، ولذلك قال الله تعالى عقب إخباره عن عقوبات امم كذبت رسلها وذكر ما حاق بها : (**أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبر**) القمر / ٤٣ . ومما يوافق الفطرة : من ستر مسلما ستره الله ، من يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كربات الآخرة ، ومن تتبع عورة اخيه تتبع الله عورته ومن خذل مسلما في وقت تجب فيه نصرته خذله الله . وهكذا شرع الله يتعلق بهذا الاصل ، وهو إلحاق النظير بالنظير واعتبار المثل بالمثل ، ولهذا فالشارع يذكر العلل والاوصاف المؤثرة فتقر النفوس بالعدل الالهي .

ونفي الله عن حكمه وحكمته التسوية بين المختلفين في الحكم فقال : (**أفنجعل المسلمين كالمجرمين . ما لكم كيف تحكمون**) القلم / ٣٥و ٣٦ . فأخبر ان هذا الحكم باطل في الفطرة وفي العقول لا يليق نسبته الى الله سبحانه ، وقال : (**أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون**) الجاثية / ٢١ . وهذا الذي ركزه الله تعالى في عقول وفطرة الناس من اعطاء النظير حكم النظير وعدم

التسوية بين المتخالفين هو من الميزان الذي انزله الله تعالى مع كتابه حيث يقول : (**لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط**) .

وتأسيسا على هذا فالذين يجتهدون برأيهم فيما لا نص فيه في الكتاب او السنة يستعملون القياس شريطة ان يكون القياس عدلا ليكون صحيحا والا كان فاسدا باطلا كالذين قاسوا البيع على الربا وقالوا : (**إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا**) البقرة / ٢٧٥ . ومن اراد ان يكون عدلا في قياسه وميزانه فليرجع الى ما كتبه العلماء الاجلاء كابن قيم في كتابه الذي سبق اعلام الموقعين فقد وفّى هذا الباب وبين قياس العلة والشبه والدلالة ، وليس هذا مقام للافاضة في هذا ولكن نجتزئ بمثال واحد لكل .

قياس العلة يتألف من اصل وفرع وعلة مؤثرة وحكم ، يقول الحق جل وعلا : (**قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين**) آل عمران / ١٣٧ . فالأمم الاصل ، وأنتم الفرع ، والعلة الجامعة هي التكذيب ، والحكم الهلاك .

قياس الشبه ذكره الله تعالى عن المبطلين الذين لم يجمعوا بين الاصل والفرع بعلة او دليل العلة بل بمجرد الشبه وفي ذلك يقول اخوة يوسف : (**قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل**) يوسف / ٧٧ . وقوله من قالوا :(**ما نراك إلا بشرا مثلنا**) هود / ٢٧ .

أما اذا وجدت العلة المؤثرة والوصف المقتضى للحكم فقد صح القياس ووجب الاخذ به ، وذلك مثل قوله تعالى وله المثل الاعلى : (**مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا أفلا تذكرون**) هود / ٢٤ . فهذان فريقان فريق عمى عن رؤية الحق وأصم اذنيه عن سماعه ، وفريق فتح للحق قلبه وعقله فكان الاول كالاعمى حقيقة وكان الثاني كالسميع البصير وبعد هذا نفى الله التماثل بينهما بقوله هل يستويان مثلا ؟ .

اللهم يامن هديتنا ادم علينا هداك ، حتى توصلنا الى رضوانك وجنتك ، ونقول فيها مع القائلين : (**الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله**) الأعراف / ٤٣ .

ميكروبات اللبن وكيفية التخلص منها

للدكتور عزت أبو الفتوح

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على الصادق الامين سيدنا محمد عليه افضل الصلوات واتم التسليم . وبعد :

يعتبر اللبن من اكمل الاغذية التي وهبها الله عزّ وجلّ للانسان ، حيث يحتوي على معظم العناصر الغذائية الهامة ، والتي لا غنى للجسم عنها . الا انه يعتبر من اخطر مصادر نقل ونشر الأمراض .

لذلك يلزم اتخاذ كافة الاجراءات الكفيلة لضمان خلوه من ميكروبات الامراض عند استهلاكه ...

ومن المعروف ان اهم مصادر تلوث اللبن بصورة عامة تتلخص في :

١ ـ تلوث عن طريق الحيوان الحلوب
٢ ـ تلوث عن طريق الحلاب
٣ ـ تلوث عن طريق الآلات والأدوات
٤ ـ تلوث عن طريق الذباب والحشرات
٥ ـ تلوث عن طريق الحظائر .

اولا : تلوث عن طريق الحيوان الحلوب : ـ

(أ) ميكروبات داخل الضرع :
هناك اعداد كبيرة من المجاميع الميكروبية المختلفة توجد داخل ضرع الحيوان السليم . ومثل هذه الكائنات

اما ان تعمل على زيادة المحتويات الميكروبية الكلية في اللبن الخام الناتج . او قد تكون مصدرا هاما لزيادة مجاميع ميكروبية معينة تسبب الكثير من المشاكل .

وعندما نتعرض لمعرفة ما هي الميكروبات الموجودة أصلا في الضرع ؟

فلقد اثبتت الأبحاث العديدة دون ادنى شك وجود مجاميع معينة من الميكروبات داخل الضرع السليم ولكن باعداد قليلة جدا .

فمنها التابعة للجنس Micro coccus والجنس ، Streptococcus وبعض البكتريا العضوية السالبة لصيغة الجرام ، علاوة على القليل من افراد الجنس Coryisbacterium ولكن اكثر هذه الكائنات شيوعا هي التابعة للجنس Micrococcus وقد ذكر العالم دورنر منذ عام ١٩٣٠ م وجود اختلافات اساسية في المجاميع الميكروبية الموجودة طبيعيا في الضرع ، وذلك حسب الظروف البيئية التي توجد فيها الحيوانات الحلوب وخاصة الظروف الجوية ...

(ب) ميكروبات خارج الضرع :

نظرا لتعرض الضرع من الخارج للتلوث بالكثير من ميكروبات الهواء والروث والتربة مما يسهل وصول هذه الكائنات الى اللبن المحلوب . لذلك يلزم العناية التامة لتطهير وتنظيف الضرع بالمنظفات الصناعية ، وتجرى عملية التطهير بواسطة محاليل الهيبوكلوريت او مركبات الامونيوم الرباعية ...

(جـ) ميكروبات عالقة بجلد الحيوان الحلوب :

يعتبر جلد الحيوان مصدرا من مصادر تلوث اللبن المحلوب ، ويرجع ذلك الى سقوط الاقذار التي توجد على جلد الحيوان اثناء عملية الحليب . وكل هذه الاقذار تحتوي على مجاميع هائلة من الميكروبات . لذلك كان من الضروري العناية الكاملة بنظافة جلد الحيوان وقص شعر الأفخاذ والأرداف مع التطهير المستمر للجلد ...

هذا وتعتبر العناية بنظافة الحيوان الحلوب عاملا هاما لمنع العديد من الامراض الخطيرة التي تصيب الانسان مثل السل ، الحمى المالطية ، الحمى القلاعية .

وهنا يجدر بنا الاشارة الى اهم انواع البكتريا المسببة لاصابة الضرع بالحمى وكلها تنتشر في بيئة الحيوان الحلوب . ولكن لحسن الحظ ان الميكروبات المسببة لحمى الضرع تباد بسهولة بالكثير من المطهرات . ومن اكثر المطهرات شيوعا في القضاء على هذه الميكروبات هي محاليل الهيبو كلوريت وذلك بسبب رخص ثمنها علاوة على انها لا تكسب اللبن أي رائحة غريبة . وقوة فعاليتها في التخفيفات العالية ، وذلك كان هذا النوع من المطهرات أصلح وأنسب مطهرٍ لمزارع الألبان .

كذلك توجد بعض المطهرات الاخرى الاقل استعمالا في مزارع الالبان مثل برمنجانات البوتاسيوم إلا

انها اقل فاعلية في إبادة الميكروبات عن الهيبو كلوريت ...

ثانيا : تلوث عن طريق الحلاب :

ذكر العالم برايس أن عدد البكتريا الموجودة طبيعيا على ايدي الحلابين قد تبلغ حوالي عشرة آلاف للسنتيمتر المربع ، وان اغلب البكتريا الهوائية الموجودة تتبع الجنس Micrococcus اما من الناحية الصحية فانه يهمنا معرفة الميكروبات التي تلوث الأيدي من حين لآخر . فمن المعروف أن في حالة إصابة القطيع بحمى الضرع يمكن عزل بكتريا Strepococcus Ago-lacti من ايدي الحلابين حتى بعد غسلها بالماء والصابون وغمسها في محلول قوي من الهيبوكلوريت ...

علاوة على ذلك فان اصابة ايدي الحلابين بالخرجان ، تسبب اصابة الضروع ومنها تنتقل البكتريا المرضية الى اللبن . كذلك قد يكون الحلاب حاملا للتيفوئيد او مصابا بالدفتريا او الكوليرا ، فتصل هذه الميكروبات الى البن وتسبب اصابة مهلكة بها ...

من هنا يجب العناية بنظافة الحلاب واجراء الكشف الصحي الدوري للتأكد من خلوه من الامراض المعدية ..

ثالثا : تلوث عن طريق الآلات والأدوات :

تلعب الآلات والأدوات المستعملة في انتاج اللبن بالمزرعة دورا هاما في صفات اللبن الميكروبية . فاذا لم يهتم بتنظيف وتطهير الاجهزة ادى ذلك الى زيادة الميكروبات زيادة واضحة عند ملامسة اللبن لها ، اما اذا اعطيناها العناية الكافية فانها قد تساعد على انتاج لبن نظيف جدا .

اما عن الميكروبات التي قد تصل الى اللبن عن طريق الادوات فهي متعددة الا ان اكثرها انتشارا هي سلالات

Microbacterium Lacticum, Streptococcus Lactis, Micro coccus Sarcina, Micro Bacterium Flovum

هذا وتعتبر عملية التنظيف والتطهير اليومي للآلات والأدوات داخل مزرعة انتاج الالبان عملية هامة جدا .

وتتم عملية التنظيف بواسطة المنظفات الصناعية وتتم عملية التطهير بواسطة استعمال الكيماويات او استعمال الحرارة حيث يعمل كل منها على ابادة البكتريا .

(أ) استعمال الكيماويات :
تلعب الكيماويات دورا هاما وسريعا في عمليات التطهير .. وهناك العديد من المركبات الكيماوية شائعة الاستعمال في عمليات التطهير والتي لها القدرة على ابادة البكتريا .. ومن هذه المركبات الكيماوية . مركبات الكلور . وقد قامت بعض المعامل الكيماوية بالولايات المتحدة بتكوين مادة 1, 3-di-chloro-55 dimithyl hydarition

من الكلور اساسا وهذه المادة تستعمل.

كباعث للكلور ولكن بسرعة ابطأ مما ينطلق من محاليل الهيبوكلوريت .

كذلك تستعمل مركبات اليود في مزارع الالبان وخاصة مركبات الايودفور وهي مركبات معقدة تنتج من اتحاد اليود مع بعض المنظفات التخليقية غير الأيونية ، وتعمل المنظفات كحوامل لليود علاوة على انها تسبب زيادة ثبات المركبات المذكورة .

كذلك تستعمل مركبات الامونيوم الرباعية في عمليات التطهير ، ولكن على نطاق اوسع نظرا لانها لا تسبب تآكل سطح المعدن الذي تلامسه ، كما انها لا تسبب تهيج جلد ايدي العمال ، وايضا فإنها لا تضعف بسبب وجود المواد العضوية .

رابعا : تلوث عن طريق الذباب والحشرات :

يعتبر وصول الذباب دون غيره من الحشرات من اخطر العوامل التي تساعد على زيادة المحتويات الميكروبية للبن علاوة على احتمال وصول الكثير من الميكروبات المرضية عن طريقه ، فمن المعروف ان الذبابة الواحدة تحمل ما لا يقل عن مليون خلية ميكروبية على جسمها وعلى ذلك فوصول ذبابة واحدة الى حوالي لتر من اللبن تعمل على زيادة قدرها ١٠٠٠ بكتريا في المليمتر الواحد . واغلب الانواع البكترية تكون مصدرا للعديد من الامراض التيفوئيد وغيره من الميكروبات المرضية المعوية .

ومن هنا يجدر بنا الاشارة الى ضرورة الاهتمام بتغطية اواني اللبن باحكام ومنع نزول الحشرات بها حتى لا تكون مصدرا لنشر الامراض ...

خامسا : تلوث عن طريق الحظائر :

يجب ان نولي الحظائر عناية كبيرة خاصة عند انشائها لما لها من اثر كبير على صحة الحيوانات وعلى صفات اللبن الناتج . بحيث ان تكون الحظائر نظيفة دائما ومبنية على ارض مرتفعة لتكون سهلة الصرف . وكذلك يجب ان تكون جيدة التهوية من اجل تجديد الهواء باستمرار ، كذلك يجب ان تسمح بدخول اكبر كمية ممكنة من اشعة الشمس لكي تطهر الحظيرة . كذلك يجب ان تخلو الحظيرة من كافة انواع الحشرات حتى لا تؤدي الى اصابة الحيوانات وتهيجها ..

وأخيرا يجدر بنا الإشارة الى كيفية حفظ اللبن من الميكروبات ؟

(أ) عن طريق التعقيم :

يقصد بتعقيم اللبن في المجال الصناعي معاملته حراريا على درجة اعلى من درجة ٩٣,٣ م أو « ٢٠٠ درجة ف » وعادة تكون هذه المعاملة الحرارية لمدة تزيد عن عشرين دقيقة . والطريقة المستخدمة الآن في تعقيم اللبن تسمى بالتسخين فوق العالي وهي تقسم الى طرازين اساسيين الاول يحدث فيه التسخين والتبريد السريع للبن بواسطة مبادرت الحرارة السطحية . والثاني يحدث فيه تسخين اللبن بالاتصال المباشر بالبخار وتحت ضغط . ثم التبريد نتيجة البخار المكثف .

(ب) عن طريق البسترة :

تعتبر البسترة اكثر المعاملات الحرارية للبن انتشارا من اجل ابادة الميكروبات غير المرغوبة في اللبن .

وهناك نظامين للبسترة . بسترة بالطريقة البطيئة وبسترة بالطريقة السريعة .

وفي حالة البسترة بالطريقة البطيئة فان اللبن ينقل الى حوض البسترة حيث يحفظ مدة نصف ساعة تحت درجة حرارة ٦١,٧ درجة م « ١٤٣ درجة ف » مع التقليب . ولمنع حدوث بسترة ناقصة فان التوقيت يجب الا يبدأ حتى يتم نقل كل كمية اللبن الى حوض البسترة . كذلك يجب عدم سحب أي كمية من اللبن قبل مرور نصف ساعة . هـذا ويلزم وجـود وحدات خاصة لتسخين الرغوة التي تتكـون نتيجة التقليب ومثـل هذه الوحدات تسمى Space heaters

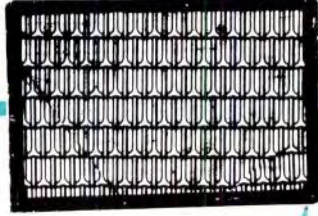
اما في حالة البسترة بالطريقـة السريعة فان اللبن ينقل بواسطة مضخة الى جهاز البسترة حيث يعامل بحرارة لا تقل عن ٧١,٦ درجة م « ١٦١ درجة ف » حيث يظل على هذه الدرجة مدة خمس عشرة ثانية على الاقل . وعملية التسخين تكون في انبوبة الحفظ ويلزم جدا وضع الجهاز الهام والمسمى بصمام تحويل اللبن عند نهايـة انبوبـة الحفظ ، وهذا الجهاز يعمل على ارجاع أي لبن لم يسخن للدرجة المطلوبة . ونحصل على التوقيت المضبوط للبسترة بجعل طول انبوبة الحفظ وقطرها بدرجة معينة ، بحيث تسمح بمرور اللبن بها بسرعة معينة وبذلك يجعل كل جزء منه يحتاج الى ١٥ ثانية على الاقل ليمر خلال الانبـوبـة ، ومـن اهـم النقط البكتريولوجية التي يجب مراعاتها في عملية البسترة ، هو منع اختلاط اللبن البارد الخام مـع اللبن المسخن ، ويكون ذلك باستعمال ضغط منخفض على اللبن الخام وبذلك فان اللبن الخام يسحب الى وحدة البسترة تحت ضغط منخفض . اما اللبن المبستر فيدفع تحت ضغط مرتفع نوعا ..

واللبن المبستر يجب تبريده في اجهزة خاصة تمنع تلوثه من اي مصادر خارجية . واللبن المبستر يجب تخزينه في احواض تبريد قبل بدء عملية التعبئة ، وتتم عملية التعبئة اما في زجاجات معدة لذلك الغرض ومعقمة او في علب من ورق الكرتون المقوى والمعقم .

(جـ) عن طريق الغلي :

يعتبر غلي اللبن في المنازل من اكثر الطرق انتشارا في المنـاطق الحارة وشبه الحارة لاطالة فترة حفظ اللبن والتخلص مما يوجد به من ميكروبات مرضية ..

هذا وفي نهاية مقالي هذا فانني أتوجه الى القارىء العزيز بان يضع في الاعتبار ضرورة الحصول على مـا يستهلكه من اللبن من مصدر نظيف موثوق به ، حتى لا يكون اللبن عاملا لنقل الامراض بين افراد اسرته .



المؤتمر الثاني للمصرف الاسلامي

كنا قد أشرنا في عددنا السابق من « الوعي الاسلامي » إلى « المؤتمر الثاني للمصرف الاسلامي » والذي انعقد في الكويت في الفترة الواقعة بين ٦ - ٨ من جمادى الآخرة ١٤٠٣ هـ .

وقد أنعقد المؤتمر تحت رعاية سمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء الشيخ سعد العبدالله السالم الصباح والذي أناب عن سموه السيد الأستاذ / أحمد سعد الجاسر وزير الأوقاف والشئون الاسلامية حيث ألقى كلمة الافتتاح ، ورحب بالحضور .

وفي عددنا هذا نستعرض التقرير المتضمن التوصيات والفتاوي الصادرة عن لجنة العلماء في المؤتمر . كما جاءنا من السيد / أحمد بزيع الياسين - رئيس اللجنة التحضيرية .

● الداعون الى المؤتمر :

تم بعون الله خلال الفترة الواقعة بين ٦ - ٨ جمادى الاخرة عام ١٤٠٣هـ الموافق ٢١ - ٢٣ مارس عام ١٩٨٣م عقد المؤتمر الثاني للمصرف الاسلامي في دولة الكويت بدعوة مشتركة من البنوك الاسلامية التالية :

١ - بيت التمويل الكويتي - الكويت .
٢ - بنك دبي الاسلامي - دبي .
٣ - بنك البحرين الاسلامي - البحرين .
٤ - شركة البحرين الاسلامية للاستثمار - البحرين .

وقد رأت اللجنة التحضيرية المشكلة من البنوك الداعية بالاضافة الى مشاركة البنك الاسلامي الدولي ـ بالقاهرة ـ والبنك الاسلامي للتنمية في جدة أن تكون ابحاث المؤتمر الثاني للمصرف الاسلامي مكملة لابحاث المؤتمر الأول للمصرف الاسلامي الذي عقد في دبي في الفترة من ٢٣ ـ ٢٥ جمادى الاخرة عام ١٣٩٩ هـ الموافق ٢٠ ـ ٢٢ مايو ١٩٧٩م .

● المساهمون في المؤتمر :

كما حرصت اللجنة التحضيرية على دعوة عدد من علماء الفقه الاسلامي ليبينوا رأي الفقه الاسلامي فيما يتم عرضه من ابحاث ، وما تقوم به البنوك الاسلامية من أعمال ، وقد تكرم بتلبية الدعوة مشكورا كل من الاساتذة الفقهاء :

١ ـ فضيلة الاستاذ الشيخ عبدالحميد السائح .
٢ ـ فضيلة الاستاذ الشيخ بدر المتولي عبدالباسط .
٣ ـ فضيلة الشيخ محمد الصديق الضرير .
٤ ـ فضيلة الاستاذ الشيخ زكي الدين شعبان .
٥ ـ فضيلة الاستاذ الشيخ زكريا البري .
٦ ـ فضيلة الاستاذ الدكتور يوسف القرضاوي .
٧ ـ فضيلة الاستاذ الشيخ ابراهيم المحمود .
٨ ـ فضيلة الاستاذ الشيخ محمد سليمان الاشقر .
٩ ـ فضيلة الاستاذ الشيخ محمد الحبيب الخوجه .
١٠ ـ فضيلة الاستاذ الدكتور حسن عبدالله الامين .

● الأبحاث التي تمت مناقشتها :

وشملت الابحاث التي تم عرضها في هذا المؤتمر المواضيع التالية :

١ ـ الربا وأثره على المجتمع الانساني ـ للباحث الدكتور عمر الاشقر .
٢ ـ منهج الدعوة الى مفاهيم المصارف الاسلامية ـ للباحث الدكتور حسين شحاته .
٣ ـ اسلوب المضاربة الشرعية تطبيقاته المعاصرة ـ للباحث الدكتور عبدالستار أبو غده .
٤ ـ أعمال الصرف وتبادل العملات ـ للباحث الدكتور سامي حمود .
٥ ـ البيوع في الشريعة الاسلامية ـ للباحث الشيخ عبدالحميد السائح .
٦ ـ التعامل في أسواق السلع والأسهم للباحث الدكتور معبد علي الجارحي .

من أجل العمل الحلال :

كما قدمت البنوك الاسلامية المبينة تاليا ، صورا عن أعمالها على لجنة العلماء للنظر في وجوه التوافق أو ما يتطلب التصحيح من اجراءات وهذه البنوك هى :

١ ـ بيت التمويل الكويتي .

٢ - بنك دبي الاسلامي .
٣ - البنك الاسلامي الاردني للتمويل والاستثمار .
٤ - المصرف الاسلامي الدولي - لوكسمبورغ .
٥ - بنك البحرين الاسلامي - البحرين .

وقد جرى عرض الابحاث والتعقيب عليها والرد على الاسئلة المطروحة وذلك في جو علمي هادف للوصول الى أقرب ما يكون من الحق .

وختم المؤتمر أعماله في نهاية اليوم الثالث بعد اتمام المناقشة في المواضيع المدرجة على جدول الاعمال وقد اتخذت لجنة العلماء والفتاوي والتوصيات المرفقة .

وأن اللجنة التحضيرية لتسجل شكرها وتقديرها للرعاية الكريمة التي لقيها المؤتمر الثاني للمصرف الاسلامي من حكومة دولة الكويت وتخص بالشكر سمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء الشيخ سعد العبد الله السالم الصباح ومعالي وزير الاوقاف والشئون الاسلامية أحمد سعد الجاسر وجميع الذين أسهموا في نجاح هذا المؤتمر .

كما تشكر اللجنة التحضيرية العلماء الاجلاء والباحثين الذين كان لمساهمتهم جميعا بالرأي والمناقشة والتدقيق الفقهي المستفيض أثر واضح في اقرار الفتاوي والتوصيات التي ستكون نبراسا للمصارف الاسلامية في توضيح الطريق أمامها لاكمال المسيرة في طريق العمل الحلال .

★الفتاوي والتوصيات من لجنة العلماء :

١ - يؤكد المؤتمر أن ما يسمى بالفائدة في اصطلاح الاقتصاديين الغربيين ومن تابعهم هو من الربا المحرّم شرعا .

٢ - يوصي المؤتمر اصحاب الاموال من المسلمين بتوجيه أموالهم أولا الى المصارف والمؤسسات والشركات الاسلامية داخل البلاد العربية والبلاد الاسلامية ثم في خارجها والى أن يتم ذلك تكون الفائدة التي يحصلون عليها كسبا خبيثا وعليهم استيفاؤها والتخلص منها بصرفها في مصالح المسلمين العامة ويعتبر الاستمرار في ايداع الاموال في البنوك والمؤسسات الربوية مع امكان تفادي ذلك عملا محرّما شرعا .

٣ - يوصي المؤتمر بتشجيع المصارف الاسلامية القائمة ودعم انشاء المزيد من هذه المصارف لتعم منافعها على جميع المستويات .

٤ - يوصي المؤتمر المصارف الاسلامية تعميق التعاون فيما بينها على كل المستويات ولا سيما في مجال التعاون لانشاء مصرف اسلامي دولي يسهل ابتعادها عن التعامل مع البنوك الربوية كلما أمكن ذلك .

٥ - يؤكد المؤتمر وجوب اتفاق المصارف والمؤسسات والشركات الاسلامية ابتداء مع اصحاب أموال الاستثمار على نسبة الربح لكل طرف ولا يجوز تأجيل هذا الاتفاق الى ما

بعد .

٦ ـ يجوز الاتفاق بين المصارف الاسلامية والمستثمرين والعاملين في المال على اشتراط مبلغ معين يستحقه المصرف أو المستثمر أو العامل اذا زاد الربح عن حد معين ، فان هذا الاشتراط لا يؤدي الى قطع الاشتراك في الربح .

٧ ـ لا يحل تبايع الذهب والفضة والنقود بعضها ببعض الا بالتقابض الفوري ويكون التبايع في هذه الاصناف على أساس التسليم الآجل هو من الربا المحرم شرعا .

٨ ـ يقرر المؤتمر ان المواعدة على بيع المرابحة للامر بالشراء بعد تملك السلعة المشتراة وحيازتها ثم بيعها لمن أمر بشرائها بالربح المذكور في الموعد السابق هو أمر جائز شرعا طالما كانت تقع على المصرف الاسلامي مسئولية الهلاك قبل التسليم وتبعة الرد فيما يستوجب الرد بعيب خفي .

وأما بالنسبة للوعد وكونه ملزما للامر أو المصرف أو كليهما فان الاخذ بالالزام هو الاحفظ لمصلحة التعامل واستقرار المعاملات وفيه مراعاة لمصلحة المصرف والعميل وأن الاخذ بالالزام أمر مقبول شرعا وكل مصرف مخيّر في الاخذ بما يراه في مسألة القول بالالزام حسب ما تراه هيئة الرقابة الشرعية لديه .

٩ ـ يرى المؤتمر أن أخذ العربون في عمليات المرابحة وغيرها جائز بشرط أن لا يحق للمصرف أن يستقطع من العربون المقدم الا بمقدار الضرر الفعلي المتحقق عليه من جراء النكول .

١٠ ـ لتغطية الحساب المخصص لمواجهة مخاطر الاستثمار يجوز أن يقتطع المصرف الاسلامي سنويا نسبة معلنة من صافي أرباح الاستثمار المتحققة من مختلف العمليات الجارية خلال السنة المعينة .. وتبقى هذه المبالغ المقتطعة محفوظة في حساب مخصص لمواجهة أية خسائر تزيد عن مجموع أرباح الاستثمار في تلك السنة .

١١ ـ يوصي المؤتمر تأسيس مؤسسات اسلامية للتأمين التعاوني للقيام بأعمال التأمين واعادة التأمين .

١٢ ـ يوصي المؤتمر الجامعات العربية والاسلامية بضرورة الاهتمام بتدريس الاقتصاد الاسلامي بفروعه ونظمه التطبيقية المختلفة كما يوصي بضرورة انشاء المزيد من مراكز ابحاث الاقتصاد الاسلامي .

١٣ ـ يوصي المؤتمر بانشاء المزيد من مراكز اعداد وتدريب العناصر العاملة في الوحدات الاقتصادية الاسلامية مع الاهتمام بالجوانب العقائدية والخلقية .

١٤ ـ يوصي المؤتمر بالاهتمام بالدعوة الى مفاهيم المصارف الاسلامية باستخدام جميع الوسائل المختلفة الحديثة .

١٥ ـ يقرر المؤتمر أن التعامل في أسواق السلع والاسهم في الاسواق المالية أمر يحتاج الى دراسة مفصّلة وأن المطلوب هو التحضير لبحث هذا الموضوع في مؤتمر علمي خاص بذلك .

الفردوس

روى مسلم عن جابر رضى الله عنه :

« خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة . فأبطأ بي جملي وأعيا . فلا يكاد يسير .

ومر بي رسول الله صلى الله عليه وسلم . فضربه . ودعا له . فمشى مشية ما مشى مثلها قبل ذلك .

وقال صلى الله عليه وسلم لجابر - وكان يعلم أنه يمر بأزمة مالية - : بعنى جملك يا جابر .

قال : هو لك هبة يا رسول الله .

قال : لا .. بعنه بأوقية من ذهب .

وكان الجمل لا يساوي نصف أوقية .

قال : لا .. بل اهبه لك يا رسول الله .

قال الرسول : لا .. أشتريته منك بأوقية .

قال : على أن يحملني الى أهلي بالمدينة .

قال : وعلى أن أدفع الثمن بالمدينة .

ولما رجعا الى المدينة قال لبلال : اعطه أوقية وزده .

فأعطاه أوقية وقيراطا .

فلما ربط الجمل وانصرف . ناداه : يا جابر !

فقال : لبيك يا رسول الله .

قال : خذ جملك هبة منى .

ولما أخبر جابر يهوديا بذلك ضرب كفا على كف وقال :

اشترى منك البعير .. ودفع اليك الثمن .. ثم وهبه لك ؟ !

قلت : نعم »

* * *

عندما يشرق الايمان في قلب المسلم

المفقود

للدكتور / محمود محمد عمارة

ضياء . وفي عقله ذكاء .. فان الإرادة تنبعث منطلقة الى أهدافها بلا تردد .. ومهما كانت العقبة كئودا .. فـانه يقتحمها .

ومهما كان الثمن غاليا .. فانه يدفعه .

فـاذا كان هـذا المسلم جنديـا في معركة .. فان ذلك يعنى أن الكيان المسبوك بالايمـان حقق النصر في معركته مع نوازع نفسه .. واكتسب صلاحية التفوق في كل موقع ..

فاذا وجد هذا الجندي قيادة حكيمة تعيش آلامه وآماله .. تعينه على أمر الله تعالى . كان ذلك دليلا على أن المجتمع قد بلغ رشده الواصل به حتما الى النصر المبين في معركته الثانية .. مع العدو الخارجي .. ولقد كان جابر رضى الله عنه .. ذلك الجندي .. وكان صلى الله عليه وسلم .. هذا القائد الحكيم .

وكيف ؟

لقد قرر جابر رضى الله عنه أن يشترك في الغزوة استجابة لله ورسوله .. رغم بعد الشقة .. وقلة الزاد .. ووحشة الطريق .. وانه ليرتحل ببعيره الهزيل في سفر طويل ..

ولا يحس جابر بأنه وحده في الميدان يعاني من قسوة الـواقع وقسـوة الواجب معا .. وما يترتب على ذلك من تأثر دوره العسكري بقسوة الحياة من حوله ..

ذلك بأن القائد الحكيم صلى الله عليه وسلم يقدره قدره .. بل يقف إلى جانبه في أزمته .. عن طريق خطة .. لها هدف معلوم :

أما الهدف :

أن يحصل جابر على قدر من المال يعف به نفسه وأهله .
وأما الخطة :

أن يتم ذلك بطريقة لا تجرح كرامته .

وفي محاولة تنفيذ الفكرة تبدو للمتأملين دروس وعبر .. تتكشف من خلال الممارسة النبوية الكريمة .. تبصرة وذكرى :
وبادىء ذي بدء :
يضع الرسول الكريم أدبا من آداب الطريق .. يستلهمه « أرباب المهنة الواحدة » اليوم .. حين لا ينطلق السائق مارا بزميله المتعثر قبل أن يعرض عليه خدماته !
بل انه صلى الله عليه وسلم يعلمنا - وهو الذي أرسل رحمة للعالمين - درسا في الرفق بالحيوان حين لا يصب غضبه عليه ليمضي على الطريق .. بيد أنه يضبط نوازعه داعيا له بالعافية دعاء من يلتمس العذر حتى للحيوان .. فيندفع الى أمام .
ومن الرفق بالحيوان .. الى الرفق بالانسان على نحو يؤكد دائما أنه حقا : الرحمة المهداة :

تنفيذ الخطة

لابد من عملية بيع وشراء تأخذ حدودها وشرائطها .. تتوج في النهاية بثمن مناسب يظفر به جابر حقا معلوما له .. بلا مَنٍّ أو أذى :
* - ايجاب وقبول .. تم بعد محاورة بين الاثنين ..
* - لم يحدد الرسول الثمن ابتداء .. ولم يفرضه .
* - بعد أن وافق جابر . حدد الرسول الثمن .
* - يشترط جابر - من موطن العزة - ألا يُسلِّم الصفقة إلا في المدينة .
* - وبالمقابل .. يرجىء الرسول تسليم الثمن أيضا ليتم في المدينة !
وهكذا تواجهنا عملية بيع وشراء لا غبار عليها .. وينجح القائد الحكيم في تنفيذ الخطة المرسومة المبقية على كرامة الجندي الذاهب الى المعركة .
وحين قال الرسول لبلال :
« أعطه أوقية .. وزده » فان ذلك يعنى أولا :

● أن الزيادة تتم في ظل من الصفقة يراد بها تحسين وضعه الأقتصادي . بحيث لا يشم منها عندئذ رائحة الصدقة !
ويعنى ثانيا :
أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يملك أوقية .. وزيادة .. وكان يعلم أن جابرا في حاجة الى المال .. فلماذا لم يهبه الأوقية ابتداءً .. ولا داعي لهذا البيع الذي بدا صوريا ؟ !!
ان الرسول صلى الله عليه وسلم يتيح للرجل أن يظل محتفظا بكرامته :
فلا يدفع إليه المال ابتداء حتى لا يخدش حياءه
واذا جاءه المال فمن عرق جبينه .. ومن أشرف مصادره وهو عمله .. بلامِنَّة من أحد .
وتلك هى التربية الاستقلالية

المحمدية .. التي صار بها جابر وأمثاله رجالا .

* * *

وتأخذ البهجة على قلب جابر أقطاره فيخبر يهوديا قابله بما حدث !

فماذا قال اليهودي ؟

لو أن جابرا رضى الله عنه قابل في الطريق أبا بكر مثلا وأخبره بما حدث لما كان هناك داع للتعجب لأن هذا مَعْدِنُ الرسول في نظره والشيء من معدنه لا يستغرب .

لكن اليهودى وقد علم ذلك .

« ضرب كفا على كف وقال :

اشترى منك البعير ..

ودفع اليك الثمن ..

ثم وهبه لك ؟ !!

قلت : نعم » !!

فالمفروض في منطق اليهودى أن يستغل القائد موقعه ليأخذ البعير اغتصابا .. أما ما حدث فهو شيء ما سمع به في آبائه الأولين !

وكان تعجب اليهودى أمارة البعد الشاسع بين منهجين ومجتمعين :

● المجتمع المؤمن : والمؤمنون فيه والمؤمنات بعضهم أولياء بعض .. بكل ما تفرضه الولاية من نجدة وتضحية وتعاون .

والمجتمع المنافق : والمنافقون فيه والمنافقات بعضهم من بعض : كلهم صورة للجبن .. والتمزق والأنانية !

وبعد :

فاذا كان القائد هنا حقق بالمواجهة العسكرية شطر مضمون العبودية لله تعالى حين جاهد الكفار تعظيما له .

فقد حقق بهذه الشفقة نصفها الباقي .. من حيث كانت العبادة :

تعظيم الخالق ..

والشفقة على الخلق .

والأمة

على نفس الطريق

وقد مضت الأمة - في شخص روادها الأوائل - على ذات الطريق الذي مضى عليه صلى الله عليه وسلم .. فكانت لهم في رسولهم الأسوة الحسنة .. تعظيما لله الخالق .. وحنانا ومودة لخلقه :

وقصة : « عبدالله بن عامر » مع جاره « خالد بن عقبة » شاهد على ما نقول :

ففي محاولة الخروج من الضائقة المالية كان أمام « خالد بن عقبة » مجموعة من الفروض :

أن يحصل على المال المطلوب خديعة واحتيالا ..

وأن يصل اليه قرضا من صاحبه أو سؤالا ..

وأما أن يبيع داره وهى آخر معقل في حياته !

ولقد كان له من دينه ما يمنعه من الخديعة والاحتيال ..

وله من عزّته ما يكفه عن تبديد كرامته بين يدى أمثاله من الرجال ..

وما قيمة المال تفتح له الباب .. لتخرج الكرامة من النافذة ؟ ! ذلك بعينه هو الفقر .. على ما يقول الشاعر :

وقالوا توصل بالخضوع الى الغنى
وما علموا أن الخضوع هو الفقر
وبيني وبين المال شيئان حرما
على الغنى : نفسي الأبية والدهر
اذا قيل هذا اليسر أبصرت دونه
مواقف .. خير من وقوفي بها العسر

ولم يبق الا أن يبيع داره على ما في القرار من مرارة يحسها أهله وولده .
وليكن .. فليبق للرجل دينه ..
ولتبق له كرامته .. وان فقد الدار وحرم بفقدها القرار وباعها لجاره « عبدالله بن عامر » بتسعين ألف درهم .
وفي الليل اذا سجى .. حدثت المفاجأة :
سمع عبدالله بن عامر نشيجا وبكاء .. فلما سأل أهله عن سره قالوا :
صاحبة الدار تبكي دارها !
وأنت خبير بقلب زوجة .. وقلوب صغار يكتب عليهم الجلاء من مهد الصبا .. وموطن الذكريات ؟ !
وهذا الموقف أريحية الجار الصديق :
وفي محاولة الخروج من الضائقة النفسية . كان أمام « عبدالله بن عامر » أيضا مجموعة من الفروض :
أن يبرم العقد متجاهلا بكاء الجار . والأسى يعتصر قلوب الصغار ..
أو أن يرد الدار على أن يسترد الثمن .. أو يبقى في عنق جاره « خالد » قرضا حسنا ..
واما أن يهب الدار .. والثمن .. معا ..
وكان هذا هو قراره الأخير حين نادى غلامه قائلا :
يا غلام :
أخبرهم أن الدار والمال لهم !
ولم يكن هناك من جزاء « لخالد بن عقبة » المستمسك بدينه وعزته .. إلا هذا الذي فعله صديقه وجاره .. جزاء كريما من جنس عمل كريم تبقى به المودة . ويستمر الإخاء .
ولم يكن هناك أجمل من « خالد » في إبائه « الا » عبدالله .. في إيثاره ..
وبهذا الإباء . وهذا الإيثار بقيت الصداقة قائمة على أصولها من الدين القويم . والخلق الكريم .

ثم ..

ماذا عن ثمرة هذا الموقف في دنيا الطفولة .. وفي علاقات الزوجات هنا ؟ :
إن رجلا كخالد بن عقبة لم يتاجر بدينه . ولم يساوم على كرامته .. لن يترك الجميل يمر . دون أن يعقد العزم على رده مضاعفا ..
وليس كمثله رجل يرضى أن يظل عبدا لجميل .
وفي ظل من هذا الاحساس . سوف يحدث الآتي :
سيظل شاكرا ذاكرا - مع أهله وولده - للجميل ذكرا تنعكس آثاره صلة طيبة بين الزوج والزوج .. والزوجة والزوجة .. والأطفال وأقرانهم من الأطفال ..
ويختفى تلقائيا ما يسمى بمشاكل الجيران ..
وغدا يرتد الجميل مشفوعا بمشاعر

الاعتزاز بجار لم يقتل في جاره نوازع الطموح .. وأبقى عليه الكرامة فيه .. واذا كان بعض الجيران يتعالى على كـومة من المـال .. أو قبسـا من الجمال .. ولا يحسب له وجودا إلا بالزهو على جيرانه بهذا وذاك .. فإن « عبد الله بن عامر » استبقى ما هو أغلى من المال .. وأبقى من الجمال .. وهو مَودَّة صاحبه وحسن علاقات الأسرتين ..

ورغم ضخامة الثمن البالغ تسعين ألفا .. إلا أنه استرخصه ليبقى الودُّ قائما .

انها لصورة من التعاون على البر والتقوى . يبقى بها المجتمع قويا متماسكا ..

تعـاون لا يستهـدف المـال أخـذا وعطاء ..

بيد أنه أيضا يحفظ العرض أن يهون في دوامة الشجون في هجمة الفقر الشرسة ..

تعاون محكوم بقيم الخير :

يفتح الجار عينيه على مأساة جاره ليتحمل تبعتها معه .. وبنفس القوة يغمض هذه العين عن عرض جاره وشرعته قول الشاعر :

وأغض طـرفي إن بـدت لي جارتي
حتى يوارى جارتي مأواها

انها ليلة خير من ألف ليلة في حياة العابثين الهازلين .. بل خير من زهو المناصب الذاهبة بأهلها الى المعاطب ! هؤلاء الـذين ألهتهم منـاصبهـم وأمـوالـهم . فـأصمتـهم وأعمـت أبصارهم فلم يسمعوا نداء ولا بكاء ! ولعمرى .. ان فلاحا بسيطا في قرية نائية يخف لنجدة زميله في محنته لأسعد بكثير من هؤلاء الناس ..

ولأن يكون الرجل فلاحا ينطلق الى الفلاح .. خير ألف مرة من « مدير » يدير ظهره للناس !

وما أكثر الذين يبالغـون اليوم في التسبيح تعظيما لله تعالى ثم لا يثمر فيهم التسبيح شفقة أو حنانا يتم لهم به معنى العبادة ..

ألا وان الثوب الوسخ في حاجة الى الصابون أكثر من حاجته الى البخور !

وما أحوج الناس اليوم الى الحنان يجتمع به الشمل ويلم به الشعث .. وما أصدق القائل :

« الحنان » هو ميراثنا العظيم .

وهو المادة الأولية الوحيدة التي نصدرها الى العالم .

« الحنان » شجرة عربية الجذور . وهى تكبر .. تترعرع . وتعطي ثمرا سكرى المذاق . طيب الرائحة . رغم ملوحة الأرض . وقسـوة الطقس . وشح المياه . وخصام المزارعين . وأكثر التلاميذ يسقطون في الامتحان لافتقارهم الى وسادة الحنان ينامون عليها ..

وأكثر العمال العرب .. والصحافيين أيضا يهربون . لأن الأمة لا تحسب حساب القلب ..

ان الحنان هو أكبر مفاخرنا .. وأغلى عطورنا . وأجمل مناقبنا الباقية »

ومـا أجمل أن نعـود .. الى هـذا الفردوس المفقود !

مهلاً أيها الكبار

أ . د . محمد محمد أبو موسى

لاشك أنه من المضار التي تثقل حياتنا فقدان الطريقة المثمرة حين نغضب أو نختلف .

مع أن اختلاف أهل العلم يكون دائما أخصب وأثرى ، لأنه موقف تستثار فيه الطاقات ، ويسطع وهج الفكر ، فيستخرج من الحقائق خوافيها ، ويجلى خوافيها ، وليس أمتع من أن ترى العقول الفذة تتحاور حوارا ممتعا سديدا .

ونحن الآن إذا اختلفنا تخاصمنا وتنابذنا ، وطلب كل منا الظفر على من يخالفه ، ولا يهم أن يطأ بقدمه وهو غاضب ثائر حقيقة وحقيقة مادام يصل إلى ما يوهم الآخرين أنه الغالب .

ومن بيننا رجال حملوا أقلامهم لتبرئة الأمة من الأدواء التي منها هذا ، وشخصوا آثاره الوبيلة ، ودعوا قومهم - مخلصين - إلى ضرورة التفكير الهادىء مهما كانت المشاعر المحيطة بالموقف ، لأن التفكير الهادئ هو وحده الذي تستطيع به أن تضع الشيء في نصابه ، ثم لما شاء القدر أن يختصموا صاروا في حاجة إلى من يذكرهم بمقالتهم .

وليس هناك ما يدعونا إلى أن نشير إلى مكانة رجال يختصمون الآن على الساحة وهم الشيخ الشعراوي والدكتور زكي نجيب محمود والدكتور يوسف إدريس ، والاستاذ توفيق الحكيم ، وان كان الاستاذ الحكيم نفض يده ورجع في صمت . وكنا ننتظر صورة زاكية للخلاف في الرأي ، نرى فيها المختلفين متعاونين في الكشف عن الحقيقة التي هى أجل من الكل ، وأخلد من الكل ، ولكننا وجدنا تراميا كالترامى الذي ألفناه في ساحات أخرى ، ولم تبرأ ساحة الفكر والأدب حتى عند الكبار من هذا الوبال ، وكان أول ما يجب في هذا الموضوع أن يضع فضيلة الشيخ الشعراوي يد القارىء أو السامع على الحقائق التي لا تحتمل إلا وجها واحدا والتي بنى عليها القول الذي قاله في هؤلاء الرجال ، والشيخ الشعراوي يعلم أن الرمى بهذه الكبيرة ـ إذا لم يكن مؤسسا على حقيقة لا يتطرق إليها الاحتمال ـ كان ذلك عند الله حوبا كبيرا ، وقد غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد الغضب لما نالت سيوف المسلمين دم رجل قال لا إله إلا الله محمد رسول الله وظن من رماه أنه يقولها تقية .

ثم إن الدكتور زكي نجيب وهو الذي كابد ويكابد نحو غاية سامية نبيلة وهى تحريك العقل العربي حتى ينطلق من القمقم الذي حبس فيه وطال حبسه حتى ألف الضباب ، يقع هو فيما كان يجب أن يتحاماه رغم تماسكه ولواذه بالحكمة ، وذلك في النقاط الآتية :

١ ـ كان موقف الدكتور زكي نجيب من حديث الذبابة موقفا غير سديد وذلك لأنه سخر منه ، والحديث مروى في البخاري ، ومادام كذلك فلابد من التوقف ودراسة الحديث بالوسائل التيأسسها العلماء في هذا الباب فاذا قوى الحديث ، وعلت درجة صحته كان ملزما لكل مسلم أدركنا حكمته أو لم ندرك لأننا نأخذ ديننا عن هذا النبي الذي قال هذا الحديث صلوات الله وسلامه عليه . يستوى في ذلك الحكم المعلل ، والحكم غير المعلل ، ومن غير شك أننا لا نعرف الحكمة في كون الصبح ركعتين ، والظهر أربعا ، والمغرب ثلاثا ، كما لا تعرف الحكمة في كون الطواف سبعا ، ولا في تقبيل الحجر الأسود ، ومقالة عمر بن الخطاب وهو يقبل الحجر مقالة مشهورة ومهمة ، قال .. والله إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أني رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك » فالأمر أمر إذعان ، مادام قد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هذا ولم تناقش هنا مضمون حديث الذبابة ، مع أن فيه كلاما وأخصره أن رسول الله إنما أرشد إلى طريقة التوقي ولم يأمر بشربه ، وإنما ترك ذلك ليتصرف كل طبقا لظروفه ، وفي الأحوال أحوال لا يجد المرء فيها مناصا من شربه .

٢ - وصف الدكتور زكي الشيخ الشعراوي بوصفين ينقض أحدهما الآخر فقد ذكر أنه يحسن فهم القرآن ، ثم ذكر أنه يعادي العلم ، وهذان لا يلتقيان لأن من أهم مقاصد القرآن هو تحريك العقل الأنساني وتوجيهه إلى النظر في هذا الكون ، وفي سنن الله فيه ، ودراستها ، وتحليلها ، وتسخيرها ، واستمداد القوة من ذلك حتى تكون للمسلمين الغلبة والشوكة ، والقرآن الكريم يأمر المسلمين أن يمشوا في مناكب الأرض ، وهذا معناه الأمر بأن يكونوا مقتدرين يستطيعون إخضاع هذه الأرض وتذليلها ، ولن تكون الأرض ذلولا لقوم جاهلين يعادون العلم ، والقرآن الكريم ملىء بذلك ، والآية الكريمة التي تنفي المساواة بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون (**قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون**) لم تذكر ضربا من ضروب العلم دون ضرب ، وإنما جاء لفظ (يعلمون) هكذا مطلقا أعني لم يذكر له مفعول ، لحكمة عالية هى أن المهم أن يعلم الانسان فحسب ، سواء كان هذا العلم علما نظريا أم كان عمليا ، والآية الكريمة التي في سورة فاطر والتي تقول (**إنما يخشى الله من عباده العلماء**) جاءت في سياق علم النبات ، وعلم طبقات الأرض والجبال الجدد البيض والغرابيب السود ، وعلم الاجناس البشرية واختلاف

الألسنة والألوان ، وعلم الدواب والبيطرة ، وراجع الآية رقم ٢٦ « **ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ومن الناس والدواب والأنعام مختلف الوانه كذلك انما يخشى الله من عباده العلماء** » .
إلى آخر ما لا سبيل إلى استقصائه وهذه حقائق شائعة في القرآن يدركها من قرأه ، وتدبره ، فكيف يوصف الشعراوي بأنه يجهلها ؟ وأنه يعادي العلم ؟ وكيف يكون الوصف من الدكتور زكي نجيب محمود وهو واحد من وجوهنا التي ينظر إليها الكثير .

٣ - الأمر الثالث أن الدكتور زكي نجيب أنكر على الشيخ الشعراوي أن يقول « يريد أو يريدون » ، وحجته في ذلك أن تحديد إرادة الناس يعني مقاصدهم المطوية وراء أعمالهم إنما هو من علم الله ، وهذا حق ، ولكن من الحق أيضا أن تحدد مرادي من كلامي هذا الذي تقرؤه ، مادمت أفرغت إرادتي في كلامي ، وهذا هو القدر الذي عليه المؤاخذة بين الناس وهو الذي كان يعتمده رسول الله صلى الله عليه وسلم في قضائه ، وهو الذي نتبعه اتباعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاذا أنكر كاتب حكما من أحكام الله ، أو سخر منه ، يكون من واجب من يعلم أن هذا الحكم من شرع الله أن يقول ما يجب أن يقال في هذا الشأن .
هذا ما رأيت أن أشير إليه في كلام الدكتور زكي نجيب محمود .

أما الدكتور يوسف إدريس ، فقد كان يبدو منفعلا وخاصة في لقائه مع الاستاذ عاطف حسين الذي نشر في جريدة الشعب ، والمنشور في هذا اللقاء ، والمنشور في الأهرام بعنوان « عفوا يا مولانا » شيء واحد ، ويكاد يكون مكررا .

وقد بدأ الدكتور يوسف بذكر « الثور البقرة غير الحلوب » وهذه تشكيلة عجيبة دالة على مزيد من السخط والانفعال ، وأن هناك ما أثار حفيظة الأستاذ ، وهو يقصد الذين يتهمون بعض الكتاب بالشيوعية والالحاد ، وبالأخص هذا الثور « الأبيض الهائج في الأهرام والذي يتهم الشيوعيين بالالحاد !! » وهذا أيضا غريب لأن من يصف الشيوعيين بالالحاد لا يتهمهم ، وإنما يخبر عن حقيقتهم المعلنة ، والمهم أن غضب الدكتور ادريس جعل رمزه مكشوفا لأن لفظ « ثور » لو تعاملنا معه على طريقة أبي الفتح بن جنى في تقليب حروف الكلمة لأخرج اسم كاتب من كتاب الأهرام هو أعذبهم مقالة وأشرقهم ديباجة ، وأقومهم طريقا وأهداهم سمتا ، وأرجو ألا يكون قد قصد إليه لأنه من أرومة عزيزة على الفكر والأدب ، نعم هو لا يني في مطاردة الملحدين .

ثم ذكر الدكتور يوسف أنه هو وصاحبيه رؤوس كبيرة جدا في هذا البلد وتتلمذ على أيديهم أجيال وأجيال ، وأنهم أصبحوا من عمد الوجود المصري – وهذا بالطبع لا يقدم ولا يؤخر في مناقشة المسألة – . ثم ذكر أن الشيخ الشعراوي يكفر من يفكر ، وأنه يعتبر المفكرين منافسين له ، وهذا ليس داخلا في القضية ولا ينسب إلى الشعراوي وليس في كلام الشعراوي ما يدل عليه ، ولا يجوز للدكتور يوسف أن يحكم على مطوى نفس الرجل ، وقد رفض هو أن يحكم الشعراوي على إرادة الناس .

ثم أخذ على الشيخ الشعراوي أنه شغل وشغل الناس بتفسير سورة البقرة في الوقت الذي كانت فيه الأمة محتاجة إلى مواجهة مخططات الصهيونية ، ونسى الدكتور يوسف أن ما كشفه القرآن من طبيعة الشخصية الاسرائيلية لا يستطيعه كاتب مهما بلغ من الفهم والاستيعاب ، وسورة البقرة حافلة بهذا اللون الذي وصف طبيعة قلب اليهود ، وأنه لن يكون مصدرا الخير كما وصفت غدر اليهود وأنهم لا يذعنون لحجة ، ولا يستمرون على عهد ، وكان الشيخ الشعراوي موفقا جدا حين قرأ على الأمة هذه الصفحات من المصحف في الوقت الذي كثر فيه الكلام عن ضرورة تذويب جدار الحقد وفقدان الثقة بين الطرفين ، واليهود أنفسهم يعلمون أنه مادام القرآن متلوا في هذه الأمة فسوف تظل العقيدة قائمة على أنهم أشد الناس عداوة للذين آمنوا ، ويلاحظ أن بعض أعيان الأهرام في ذلك الوقت طلبوا ود يهود علينا ، وأداروا ظهرهم للعرب علنا ، وهاج لذلك من هاج ، وكتب الدكتور زكي

نجيب محمود مقالا بعنوان (قلم يتوب) فكيف يتهم الشعراوي في أمر قد أحسن فيه حين أساء الناس ؟!! ثم أنكر الدكتور يوسف ادريس قول الشعراوي إن مناقشة المسائل الاسلامية يجب أن تكون خاصة بعلماء الاسلام .

والذي قاله الشيخ الشعراوي حق لأن مسائل الدين مرتبطة بمعارف ودراسات دقيقة ومتشابكة لم تتح للكاتب غير المتخصص ، والشيخ الشعراوي يدفع بذلك خطرا لابد أن يدفع ، لأن صلة كتابنا بالتراث الاسلامي لا تهيئهم للاستنباط منه ، واقرأ ما كتبه الدكتور زكي نجيب محمود نفسه في مقدمة كتابه تجديد الفكر العربي ليحدثك الرجل بأمانة عن فقدان صلته بتراث أمته فقدانا تاما ، وأنه بقي هو وكثير من جيله لا يعرفون إلا الفكر الغربي قديمه وحديثه . وأنهم صاروا أساتذة يحاضرون الآلاف المؤلفة من أبناء الأمة في غيبة تامة للفكر العربي الاسلامي ، وأن الدكتور زكي بأخرة ، وقع على هذا الفكر فرأى أنه قد فاته خير كثير ، ودع هذا .

واقرأ مقالا نشرته مجلة الدوحة لكاتب مسلم يخوض بقلمه في مسائل الحلال والحرام ويرى أن انكار البدعة فكر جاهلي ، وجعل عنوان المقال استنكار البدعة وكراهة الجديد موقف اسلامي أم جاهلي ؟ وبين أن من يقول « كل بدعة ضلالة» يسد في وجه الأمة مسالك التقدم ، وقد أفزع هذا الكلام المفزع كاتبا مستقيم الفهم هو الدكتور كامل زعموت فرد هذه الضلالات ردا صريحا واستهول ما جاء به صاحب المقال ، فهل يكون الشعراوي مخطئا إذا قال لمثل هذا الكاتب دع هذا لمن يفقهه ؟ ، نعم من حق كل مسلم أن يدرس الحلال والحرام ، وأن يكون من العلماء في هذا الشأن ، ولكن من الحق الذي لا ريب فيه ، أن الذي يكتب في الاسلام من غير مراجعة مصادره لا ينتج إلا مخرقة كمخرقة هذا الكاتب الذي ينكر إنكار البدعة .

أما ما قاله الشيخ شعراوي في مجلس الشعب ، وموقفه من كامب ديفيد ، وكونه ليس له برنامج في اصلاح أزمة المواصلات أو السكن ، فهذا كله خارج عن القضية التي كنا نود للكبار جدا والذين هم عمد الوجود المصري أن يستهدفوا بخلافهم بيان حقائق حول المسائل التي اختلفوا فيها ، بالروح العلمية المترقبة من ثقافاتهم الواسعة ، والمتنوعة ، ولكن ليست هذه أول مرة يخيب ظن الناس في الكبار جدا والله هو الهادى إلى سواء السبيل .

المرتدُّ عن الإسلام كافر وعقوبته القتل

والقول بغير ذلك جهل وتضليل

للشيخ : محمد الأباصيري خليفة

ألقى الدكتور / محمد أحمد خلف الله محاضرة بالمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت في ٦ رجب ١٤٠٣ هـ الموافق ١٩ ابريل ١٩٨٣م عنوانها : « حقوق الانسان في الاسلام » .

وعندما تعرض للكلام عن الحرية الدينية في الاسلام قال : تبقى مسألة قد تكون الى حد ما محيرة وهى الحرية الدينية .. الحرية الدينية في القرآن لا اكراه في الدين من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر . وهذه مسألة مفروغ منها في القرآن الكريم . الحرية الأخرى وهى أيضا واردة في القرآن الكريم وليس بكمالها أو تمامها هى حرية الانسان في أن يرجع عن دين هو متدين به . هنا نرى أن الدول الاسلامية تتخذ موقفا لا يتفق مع ما يقال في المواثيق الدولية من حرية الأديان ولكنا سنحاول بقدر الامكان أن نفهم الوضع فيه .. اذا انتقل الانسان من المسيحية أو اليهودية أو الشرك الى الاسلام لا يتدخل الحاكم في البلاد الاسلامية أو في البلاد العربية أما اذا حصل العكس فيتدخل الحاكم .. اذا انتقل الانسان من الاسلام الى الشرك شيء واذا انتقل من الاسلام الى اليهودية أو النصرانية أي الديانة الكتابية شيء آخر .. اذا انتقل الى الديانة الكتابية لم ينص عليها القرآن ولم يتحدث عنها انما نستطيع أن نقول ان القرآن يبقى على الزوجة الكتابية مع زوجها وهى على دينها فهنا نوع من التسامح على أساس أن أهل الكتاب انما يدينون بأديان سماوية .. المشكلة في من يرجع عن الاسلام الى الكفر . هنا الفقهاء لهم رأي والقرآن الكريم لم ينص على هذا الرأي ، رأي الفقهاء أن المرتد يقتل أما القرآن الكريم فيرجىء أمر هذا المرتد الى الله (ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر) فنحن هنا أمام حكمين حكم للفقهاء وحكم للقرآن الكريم) أ هـ .

هذه أقوال الدكتور محمد أحمد خلف الله ويتضح منها :

أنه لا يعترف بالسنة النبوية كأصل من أصول التشريع في الاسلام ، بدليل أنه نسب الحكم بقتل المرتد الذي قاله رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى رأي الفقهاء .

وأنه يفرق في الارتداد عن الاسلام بين من يرتد الى الشرك ومن يرتد الى المسيحية أو اليهودية فالمرتد الى المسيحية أو اليهودية في رأيه لا تثريب عليه لأن المسيحيين واليهود عنده ليسوا كفارا لأنهم يدينون بأديان سماوية ويرى أن القرآن لم ينص على الانتقال الى الديانة الكتابية ولم يتحدث عنها .

وأن المشكلة عنده تنحصر في من يرجع عن الاسلام الى الكفر لأن القرآن في نظره يرجىء أمره والفقهاء يرون قتله .

ولما كانت هذه الأقوال غير صحيحة في شريعة الاسلام اقتضى الأمر أن نكشف عن زيفها وذلك ببيان :

أ ـ منزلة السنة في التشريع الاسلامي ووجوب الأخذ بأحكامها .

ب ـ حكم الله تعالى في أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بالاسلام .

جـ ـ حكم الله في أن المرتد عن الاسلام الى أية نحلة كافر ويجب قتله .

منزلة السنة في التشريع الاسلامي

سنة رسول الله عليه الصلاة والسلام المتمثلة في أقواله وأفعاله وتقريراته هى المصدر الثاني للتشريع الاسلامي ، وهى والقرآن الكريم موحى بهما من عند الله ، القرآن أوحى الله به لفظا ومعنى والسنة أوحى الله بها معنى لا لفظا:(**وما ينطق عن الهوى.إن هو إلا وحي يوحى**) النجم/٣ و ٤ ، والله قد أمرنا بالعمل بالسنة في قوله تعالى : (**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**) وفي قوله جل شأنه : (**فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا**) النساء/٥٩ .

ومن هنا قال ابن حزم : القرآن والخبر الصحيح بعضهما يضاف إلى بعض وهما شيء واحد في أنهما من عند الله .

ولقد امتن الله على المؤمنين بأن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعلمهم الكتاب ويعلمهم السنة فقال تعالى : (**لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين**) . فالكتاب هو القرآن والحكمة هى السنة .

والسنة النبوية قد تأتي مؤكدة لما جاء في القرآن الكريم ، ومن ذلك ما رواه البخاري بسنده عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : (**استوصوا بالنساء خيرا**) فان هذا الحديث جاء مؤكدا لقول الله تعالى : (**وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا**) .

وقد تأتي لتخصيص العام في القرآن الكريم . ومثال ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم عن رسول الله أنه قال : (**لا يرث الكافر المسلم ولا المسلم الكافر**)

فان هذا الحديث جاء مخصصا لقول الله تعالى : (**ولأبويه لكل واحد منهما السدس ..**) النساء/١١ .

وقد تأتي لبيان مجمل القرآن الكريم . ومن ذلك بيانها للصلوات وعدد ركعاتها وأوقاتها ، وبيانها لما تجب فيه الزكاة ومقدارها ، وبيانها لمناسك الحج ، وما أجمله القرآن الكريم في المعاملات والحدود .

وقد تأتي السنة بحكم زائد على ما أتى به القرآن الكريم اما بوحي ، واما باجتهاد الرسول المعصوم الذي لا يقره الله على خطأ . ومن ذلك حكمها بأن الجدة ترث السدس ، وحكمها بتحريم الجمع بين المرأة وعمتها وخالتها في الزواج .

فأحكام الشريعة الاسلامية مأخوذة من القرآن الكريم ومن السنة . وقد قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما رواه أبو داود : (ألا اني أوتيت القرآن ومثله معه) .

والسنة كانت تؤخذ من الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ مشافهة أو تنقل عنه رواية وبعد وفاته بمدة بدأ تدوينها ، فتحرز الفقهاء ولم يأخذوا منها الا ما كان صحيح الثبوت بشروط معينة دقيقة التزمها علماء السنة للتمييز بين مراتب الأحاديث .

ولما كانت السنة لها هذه الأهمية العظيمة في أحكام الشريعة الاسلامية ركز المستشرقون على مناهضتها والتشكيك فيها ، فهذا (جولد تسيهر) اليهودي في كتابه (العقيدة والشريعة) يزعم أن آلاف الأحاديث هى من وضع العلماء الذين أرادوا أن يجعلوا من الاسلام دينا شاملا فخلقوا هذه الأحاديث .

ويقتفى أثر المستشرقين في هذا تلاميذهم الذين يؤلفون الكتب ويحاضرون داعين الى الاكتفاء بما جاء في القرآن من أحكام وإهمال أحكام السنة النبوية وذلك ليستطيعوا الوصول الى وضع الأحكام التي تتفق مع أهوائهم وأهواء زعمائهم والتي تخلخل عقائد المسلمين وتبعدهم عن دينهم .. والتي من أجلها أقام هؤلاء التلاميذ الأحزاب الشيوعية والعلمانية في البلاد الاسلامية !!

وعبثا يحاول المغرضون ، فالله تعالى خير حافظا لكتابه وسنة رسوله ، والعلماء المتخصصون في دراسة الاسلام وفقه شريعته لن يكفوا عن كشف الألاعيب التي تظهر في الساحة صيانة للشباب المسلم من التضليل والمكائد .

هذه هى السنة وقد أجمع المسلمون على أن المسلم الذي يحافظ على إسلامه لا يرد حديثا ثبتت صحته بدعوى أنه غير ملتزم إلا بما جاء به القرآن ، ونرجو أن يكون في ذلك ذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

حكم أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بالاسلام

ليس لأحد كائنا من كان أن ينشىء حكما من عنده في أمر أهل الكتاب بعد ظهور الاسلام انما صاحب الحكم في ذلك هو الاسلام .. وبالرجوع إلى الاسلام في هذا الموضوع يتبين الآتي :

أولا : الاسلام هو الشريعة الخاتمة التي ختم الله بها رسالاته وجعلها عامة لجميع الناس الموجودين عند ظهوره ومن سيوجدون بعد ذلك الى أن تقوم الساعة ، قال تعالى : (**ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين**) النور / ٤٠ ، وقال : (**وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون**) سورة سبأ/٢٨ .

وهو الدين المقبول عند الله ولن يقبل من أحد دينا سواه قال تعالى : (**إن الدين عند الله الاسلام**) آل عمران ١٩ . (**ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين**) آل عمران / ٨٥ .

ثانيا : أخذ الله تعالى الميثاق على الأنبياء السابقين على الاسلام ومنهم أنبياء اليهود والنصاري أن يؤمنوا بالرسول الذي يأتي مصدقا لما معهم ، وأن ينصروه ، وأخذ الميثاق على الأنبياء أخذ على أممهم ، فاليهود والنصارى مأخوذ عليهم العهد من أنبيائهم بهذا . وذلك قوله تعالى : (**وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم واخذتم على ذلكم إصري قالوا اقررنا قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين ، فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون**) آل عمران/٨١ و ٨٢ و ٨٣ .

ومعلوم أن الكثرة من أهل الكتاب نقضوا هذا الميثاق ولم يؤمنوا بالشريعة الاسلامية ولا بالرسول محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بل إن اليهود لا يؤمنون بعيسى أيضا . والفسق الذي وصف الله به من تولى عن هذا الميثاق هو الكفر بدليل قوله تعالى : (**إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك**

سبيلا . أولئك هم الكافرون حقا وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا) النساء / ١٥٠ و ١٥١ .

ثالثا : قد أمر الله رسوله محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يدعوّ أهل الكتاب إلى الاسلام كما يدعو غيرهم فقال جل شأنه : **(قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا أشهدوا بأنا مسلمون)**

وقال تعالى : **(يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدي به الله من أتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم)** المائدة/١٥ و ١٦ .

وقال جل شأنه : **(يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير)** المائدة/١٩ .

رابعا : بين الله ما أعده لأهل الكتاب حين يؤمنون بالاسلام من تكفير السيئات وإدخال الجنات فقال تعالى : **(ولو أن أهل الكتاب آمنوا وأتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم)** المائدة/٦٥ .

خامسا : أعلنت بعض الآيات عن كفر أهل الكتاب ومنها قوله تعالى : **(قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون . قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا وأنتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون)** آل عمران/٩٨ و ٩٩ .. وقوله : **(لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم)** المائدة/٧٢ . وقوله : **(لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة)** المائدة/٧٣ .. وقوله : **(هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر)** سورة الحشر . وقوله : **(إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية)** سورة البينة . وقوله : **(وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون . اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون . يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون)** سورة التوبة ٣٠ و ٣١ و ٣٢ .

وقد بين الله أن فريقا من أهل الكتاب استجاب لدعوة الاسلام وآمن برسول الله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبما أنزل الله قبله وذلك قوله تعالى : **(وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله لا**

يشترون بآيات الله ثمنا قليلا أولئك لهم أجرهم عند ربهم إن الله سريع الحساب) آل عمران / ١٩٩ .

هذا هو حكم الاسلام في شأن أهل الكتاب واضح كالشمس في رابعة النهار ، والذي يجامل اليهود والنصارى بقوله إنهم غير كافرين مع عدم إيمانهم بالاسلام يتبع هواه ولا أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله .. وقوله هراء لا يقدم ولا يؤخر في أحكام الله ورسوله . وهو يريد بهذا الهراء أن يفتح الباب على مصراعيه أمام المبشرين .

حكم المرتد عن الاسلام

وبعد أن بينا منزلة السنة النبوية في تقرير الأحكام ، وحكم أهل الكتاب الذين لا يؤمنون برسالة الاسلام ولا برسول الاسلام نبين من الاسلام حكم المرتد فنقول وبالله التوفيق :

لما كان وجود الاسلام في الأرض بعقائده وأحكامه وأخلاقه وآدابه وكل ما أشتمل عليه هو وجود الحق الناصع الذي يزهق الباطل ، والعدل الشامل الذي يقضي على الظلم والطهر الكامل الذي يطارد الفساد حرص أعداء الاسلام على الكيد له بالعمل على فتنة المسلمين وردهم كفارا في أية صورة من صور الكفر ، ليسلم لهم وجه باطلهم وبغيهم وفسادهم .. وهم في هذا الطريق يستخدمون كل ما يستطيعون من ضروب الكيد ووسائل الحرب ، وكلما انكسر في يدهم سلاح انتضوا سلاحا غيره .

والله تعالى - وهو العليم بأحوال الناس - قد حذر المسلمين من الاستسلام لأعداء الاسلام ونبههم إلى الخطر ، ودعاهم إلى الصبر على المكائد بمدافعتها وإلا خسروا الدنيا والآخرة .. وبين أن من يرتد منهم عن دينه فيمت وهو كافر فقد حبط عمله في الدنيا والآخرة وكان ممن يخلدون في عذاب النار يوم القيامة .

وهذا التبليغ الصادق هو قول الله تعالى : **(ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)** البقرة/٢١٧ .

وبين رسول الله في حديثه أن حكم المرتد عن الاسلام القتل وذلك قوله عليه الصلاة والسلام : (من بدل دينه فاقتلوه) وهذا الحديث صحيح رواه أحمد

والبخاري وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه عن ابن عباس رضى الله عنهما . وقوله أيضا : (لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله إلا باحدى ثلاث :النفس بالنفس ، والثيب الزاني ، والمارق من الدين التارك للجماعة) وهذا الحديث أخرجه البخاري عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه .

فحكم المرتد الذي لا يتوب احباط عمله في الدنيا والآخرة وخلوده في النار وقتله وهذا الحكم مأخوذ من كتاب الله وسنة رسوله .

ومن هنا يتبين أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو الذي أمر بقتل المرتد وجعل دمه حلالا فليس الحكم بقتل المرتد رأيا للفقهاء كما قال المحاضر ومن الأمانة أن ينسب الحكم لمن حكم به فدور الفقهاء في هذا الأمر دور المتبع لحكم الرسول : وليس دور اجتهاد منهم فيما لا نص فيه .

ومعنى الردة عن الاسلام ترك الدين الاسلامي والخروج عليه بعد الدخول فيه ، وتحصل الردة بأمور كثيرة منها استباحة إتيان الفعل الذي يحرمه الاسلام ، والامتناع عن إتيان فعل يوجبه الاسلام إنكارا له ، أو جحودا ، أو استحلالا لعدم إتيانه .

ويعتبر مرتدا من جحد الربوبية أو جحد الوحدانية ، أو ادعى النبوة ، أو صدق مدعيها ، أو جحد القرآن أو السنة الصحيحة .. أو قال إن أحكام الشريعة كلها أو بعضها أحكام موقوتة بزمن معين ، أو قال إن السنة ليست مصدرا من مصادر التشريع .

ويعتبر مرتدا من اعتقد اعتقادا منافيا للاسلام كاعتقاد أن العالم ليس له موجد ، والاعتقاد بتناسخ الأرواح وغير ذلك من الاعتقادات المنافية لما ورد في كتاب الله وسنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ غير أن الاعتقاد المنافي للاسلام لا يعتبر ردة يعاقب عليها بالقتل ما لم يتجسم في قول أو عمل لقول النبي ـ صلى الله عليه وسلم : (ان الله تجاوز لأمتي عما وسوست أو حدثت به أنفسها ما لم تعمل به أو تكلم) رواه البخاري عن أبي هريرة .

ويلاحظ أن الاسلام لا يكره أحدا على اعتناقه ، وإنما يدخل فيه من يدخل باختياره ومحض إرادته قال تعالى : (**لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد أستمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم**) البقرة/٢٥٦ .

ولكنه يعاقب المرتد عنه بعد الدخول فيه بالقتل لأن الردة جريمة ضد النظام

الاجتماعي الاسلامي فالتساهل فيها يؤدي الى زعزعة هذا النظام ومن ثم عوقب عليها بأشد العقوبات أستئصالا للمجرم من المجتمع وحماية للنظام وزجرا عن الجريمة .. وهذه العقوبة لمن ترك الاسلام الى أية نحلة فانه حين يترك الاسلام إلى أية نحلة يترك الدين إلى غير دين وقول المحاضر . إذا انتقل الانسان من الاسلام إلى الشرك شيء وإذا انتقل الانسان من الاسلام إلى اليهودية أو النصرانية أي الديانة الكتابية شيء آخر قول غير صحيح وكونه يقيس الردة عن الاسلام على زواج المسلم بالكتابية لا يتفق مع واقع الأمرين فزواج المسلم بالكتابية وهى على دينها ليس فيه ضرر على الاسلام لأن الرجال قوامون على النساء وليس فيه ضرر على الكتابية لأن الاسلام هو الذي وصى خيرا بالنساء ، أما الردة عن الاسلام فتحدث فجوة في النظام الاجتماعي الاسلامي وبلبلة في الصف المسلم قد تصيبه بالتصدع والانهيار وقد كان من مكائد أهل الكتاب للمؤمنين أنهم يحاولون إرجاعهم عن إيمانهم باظهار الايمان بما أنزل عليهم أول النهار والكفر به آخره وذلك قول الله تعالى : (**وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون**) آل عمران/٧٢ .

وأكثر الدول غير الاسلامية تقوم على نظم تفرضها على شعوبها ومع ذلك تحمي هذه النظم بأشد العقوبات وهى القتل .. تفرض هذه العقوبة على من يخرج على هذه النظم أو يحاول هدمها أو إضعافها ، وهى العقوبة ذاتها التي وضعتها الشريعة الاسلامية لحماية النظام الاجتماعي الاسلامي الذي لم يكره أحدا على الدخول فيه .

أما من أكره على الكفر فنطق بكلمة الكفر ، أو قام بعمل مكفر ، فلا يكون مرتدا وذلك لقوله تعالى : (**إلا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم**) النحل/ ١٠٦

ولقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ (وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه) ذكره السيوطي في الجامع وقال حديث صحيح .

* * *

هذا واني لأدعو الشباب المسلم في كل مكان أن يقبل على دراسة الفكر الاسلامي الصحيح حتى تكون لديه الحصانة ضد الأفكار الضالة المضلة .. وأنادي علماء الاسلام المتخصصين في دراسته وفقهه أن يواجهوا الأقوال الشاردة عن الحق بالبيان الصادق المستند إلى الحجة والبرهان ، حتى يردوا كيد الأعداء في نحورهم ، ويصونوا عقائد الشباب المسلم وأفكاره ، ويزيحوا الضباب عن أعين المفتونين بتلك الضلالات والأباطيل .

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

تعقيب

نشرت جريدة الأهرام المصرية سلسلة أحاديث للأستاذ توفيق الحكيم كانت سببا في إثارة الرأي العام والخاص وتصدى لها بعض العلماء الغيورين على دينهم ، ومنهم من أصدر أحكاما على توفيق الحكيم .

ونحن ـ في الوعي الاسلامي ـ سنناقش أهم ما ورد بقلم توفيق الحكيم في هذه المقالات مناقشة موضوعية هدفنا فيها بيان الحقيقة للقراء حتى يكونوا على بينة من أمر هؤلاء الناس وما يصنعون .

أولا : إن الأستاذ توفيق الحكيم ومن على شاكلته معروفون بإثارتهم لأفكار بعيدة عن أدب الاسلام وأحكامه في أوقات معينة لشغل الناس وصرف أنظارهم عن واقع مرير يعيشونه وربما كانوا مع هذا يظهرون الطاعة لمن يعنيهم صرف أنظار الناس عن الواقع المرير ، ويحققون في الوقت ذاته أهواءً لهم ولسادتهم .

فليس مصادفة أن يتشدق بعض الكتاب بالباطل زاعمين أن الاسلام ليس دينا ودولة وأنه لم تقم دولة إسلامية في عهد الرسول ، وليس مصادفة أن تهاجم السنّة النبوية المطهرة ، وأن يدير « توفيق الحكيم » « حواراً مع الله » .

نعم ليس مصادفة أن تطرح هذه الموضوعات لتكون محل نقاش وجدال ، والعدو الاسرائيلي يمرغ كرامة أمتنا في الوحل والطين .

ثانيا : جعل توفيق الحكيم عنوان مقاله الأول (**حديث مع الله**) وذلك تجاوز بعيد المدى لحدود الأدب في اختيار الألفاظ التي يجب أن تستخدم مع الله ، فقد استخدم الحكيم بهذا العنوان ألفاظا لا يجوز أن تستخدم إلا بين الأنداد من البشر

في ذاكرة الحكيم

للأستاذ / فهمي عبدالعليم الامام

وقد أمر الله المؤمنين بتوقير رسول الله واحترامه فلا يرفعون أصواتهم فوق صوته ولا يجهرون له بالقول كجهربعضهم لبعض فان ذلك يحبط أعمالهم وذلك قوله تعالى **(يأيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون)** .

وإذا كان إحباط الأعمال جزاءً من تجاوز حدود الأدب مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فكيف بك يا أستاذ توفيق وقد تجاوزت حدود الأدب مع الله ؟

ثالثا : بدأت يا أستاذ توفيق حديثك بقول الله تعالى : **(ولا يكتمون الله حديثا)** والآية كما جاءت في سورة النساء رقم ٤٢ هى **(يومئذٍ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثا)** فالمشركون في هول الموقف لما رأوا أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون الصالحون جحدوا شركهم وقالوا **(والله ربنا ما كنا مشركين)** فختم الله على أفواههم وتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ، فعند ذلك يتمنون لو أن الأرض سويت بهم ولا يكتمون الله حديثا .

فالآية التي أتيت بها خاصة بالمشركين والحديث الذي كتموه وشهدت به جوارحهم هو شركهم بالله فهل تريد وأنت تدير حديثا مع الله أن تسوى بك الأرض ولا تكتم الله حديثا ؟

رابعا : **يقول الأستاذ توفيق الحكيم** : **ليس لبشر أن تكلمه أنت إلا وحيا ، ومن أكون أنا حتى تحدثه أنت بالوحي لن يقوم إذن بيننا حوار إلا إذا**

سمحت أنت لي بفضلك وكرمك أن أقيم أنا الحوار بيننا تخيلا وتأليفا وأنت السميع ولست أنت المجيب ، بل أنا في هذا الحوار المجيب عنك افتراضا .

هكذا يريد توفيق أن يقيم الحوار بينه وبين الله تخيلاً وتأليفا يسأل ويتولى الإجابة نيابة عن الله .. ولا يستحيي الأستاذ توفيق أن ينشر هذا الهراء على الناس .

أليس ذلك منطقا ملتويا وأسلوبا غريبا حمله إلينا من تربوا على موائد الغرب ، وقاسوا الأمور بمقاييس غير إسلامية ، ويحاولون فرض مقاييسهم وطرقهم في التفكير على منهج الاسلام الواضح الصريح .

إن الطرق التي يتم بها الاتصال بين الخالق جل وعلا ونبي من أنبيائه هي :

١ ـ أن يكلم الله نبيه عن طريق الوحي وهو إلهام يقذفه الله في روعه ولا يشك في أنه من الله عز وجل .. في صحيح ابن حبان عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : إن روح القدس نفث في روحي أن نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب .

٢ ـ أن يكلم الله نبيه من وراء حجاب كما كلم الله سبحانه موسى عليه السلام ، ولما طلب رؤيته قال له (لن تراني) .

٣ ـ أن يكلم الله نبيه عن طريق رسول يرسله إليه كما ينزل جبريل من عند الله على أنبيائه .

وهذه الطرق يجمعها قول الله تعالى : (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى بإذنه ما يشاء إنه عليّ حكيم) وقد انتهى كلام الله لأنبيائه بالرسالة الخاتمة .

وأنت يا سيد توفيق لست نبيا ، والأنبياء لم يكونوا ـ مع سمو منزلتهم ـ يتحاورون مع الخالق كما حاورت أو هذيت بقولك يقول المخلوق .. ثم يقول الخالق تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

خامسا : **يقول توفيق الحكيم مخاطبا الله تعالى : وحديثي معك سيكون بغير كلفة لا أصطنع فيه الأسلوب الرفيع اللائق بارتفاعك ، ولا الوصف العظيم المناسب لعظمتك فأنا سأخاطبك مخاطبة الحبيب لحبيبه .**

لِمَ يا توفيق يا حكيم لا تستخدم الأسلوب الرفيع والوصف العظيم في مخاطبة الله أليس هو المتصف بصفات العظمة والجلال ؟ ألم يأمرنا الله أن نسبحه ونعظّمه ؟ وهل يتنافى الأسلوب العظيم مع حب العبد لخالقه ؟ إن منطقك عجيب يا توفيق .

انظر معي كيف دعا عيسى ربه (**قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء**) المائدة ١١٤ ، وانظر كيف أجاب الله عندما سأله (**وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأميَ إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب**) المائدة ١١٦ .

وهكذا الأنبياء (وهم صفوة الخلق) يخاطبون الله سبحانه (اللهم ربنا) اعترافا بربوبيته وتعظيما له ثم يسألون . وهكذا عندما يطلب الله منهم الإجابة يقولون (سبحانك) تعظيما له وتنزيها ثم يجيبون .

لا تؤاخذوا الأستاذ توفيق الحكيم فإنه يجيد تمجيد المخلوقين وتعظيمهم ولكنه يعجز عن تمجيد الخالق وتعظيمه .

سادسا : يقول توفيق الحكيم مخاطبا الله سبحانه : **عندما سأل بعض المؤمنين نبيك ـ صلى الله عليه وسلم ـ عما إذا كانوا سيرونك في الآخرة لم يرد أن يخيب أملهم فلم يقل لهم كيف ترون من ليس كمثله شيء** ... ثم مضى يقول : **أما أنا فأسأل وأجيب إن العالم الآخر عالم مستقل عن عالمنا الأرض** .

يا توفيق يا حكيم إنك تهرف بما لا تعرف .. « **إن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ نظر إلى القمر ليلة البدر فقال لأصحابه إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فان استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا** » ثم قرأ « **وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب** » أخرجه مسلم .

وفي القرآن الكريم : (**وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة**) .. وفي شأن المكذبين بيوم الدين يقول الله تعالى : (**كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون**) .

وفي ضوء الآيات الكريمة والأحاديث الصحيحة نقول إن المؤمنين سيرون الله سبحانه عيانا في الدار الآخرة بلا كيف ولا انحصار لأن الكيفية مجهولة لأنه ليس كمثله شيء .. أما الكافرون فمحجوبون عن رؤية الله في الآخرة .

وليس القول كما قلت يا توفيق .. وأما طلب موسى رؤية الله سبحانه فقد كان ذلك في الدنيا ولذلك قال سبحانه (لن تراني) .

سابعا : تقول عن إينشتين صاحب قانون النسبية : هو من العلماء القلائل المؤمنين بالله وليس كبقية العلماء الملحدين . لست أنسى قوله بالنص : « إني أدين بالتبجيل كله لتلك القدرة العجيبة التي تكشف عن نفسها في أضأل جزيء من جزيئات الكون » .

كما لا أنسى قول العالم المعاصر « كاستلر » : « إننا كلما أوغلنا في دراسة المادة أدركنا أننا لم نعرف عنها شيئا ، فسوف يظل دائما شيء فيها مخفيا عنا » فلما سألوه : مخفى بمن ؟

أجاب : بالله .

* ونقول : إن كل شيء في الكون شاهد على وجود الله ، ويسبح بحمده ، وإن كنا نحن البشر لا نفقه تسبيحه ، بل إن عبدة الأوثان كانوا يعتقدون بوجود الله سبحانه : « ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى » ، بل إن من الناس من يجحد الأمر وقلبه مؤمن به « جحدوا بها واستيقنتها أنفسهم » ، فوجود الله ووحدانيته ليست في حاجة إلى دليل ، يقول الشاعر

وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

ثم إن المرأة الأعرابية التي قالت : إن البعرة تدل على البعير ، والقدم يدل على المسير ، فسماء ذات أبراج ، وأرض ذات فجاج ، وبحار ذات أمواج ، أفلا يدل ذلك على اللطيف الخبير .
إنها بذلك أقوى إيمانا بوجود الله من « أنشتين » و « كاستلر » .
ونحن ـ المسلمين ـ نعتقد أن الايمان الحق .. هو ما وقر في القلب وصدّقه العمل .
نعم إن العلم إذا حماه الايمان رفع صاحبه درجات .. يقول تعالى « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » ، أما إذا خلا العلم من الايمان الحق ، فلا فائدة فيه .

يقول تعالى : « فقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثورا » .
وإذا كان لأنشتين ، وكاستلر ، من جزاء على علمهم وعملهم ، فانه سيكون جزاء في الدنيا . أما في الآخرة ، فالجزاء الحسن للذين آمنوا بما نزل على محمد ، وهو الحق .

ثامنا : دعواك بأن الأديان نسبية ، لا تقوم عليها حجة ، فإن الدين الخاتم هو دين البشرية جمعاء ، « ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه » ، بل إن القرآن الكريم خاطب الجن ، فآمن منهم من آمن .. يقول تعالى : « قل أوحي إليَّ أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدى إلى الرشد فآمنا به » .
أما قولك « فكأن الله يلمح إلى ما سوف يكتشفه العلماء في شخص أنشتين » فهذا تجرؤ منك غريب ، فأنت تنسب إلى الله سبحانه ما لم يقله .
تاسعا : أخذت قراءة قوله تعالى « إنما يخشى الله من عباده العلماء » برفع لفظ الجلالة ، وإن كان المعنى أن الله يجلهم ويرفع من شأنهم . إلا أن القراءة بنصب لفظ الجلالة أولى وأبعد عن التكلف ، ولا تحتاج إلى تأويل ، وتكون الخشية من العلماء لله سبحانه . فهم الذين أدركوا سر عظمة الخالق بما أودع في مخلوقاته من نبات وحيوان وجماد ، ومن هنا كانت خشيتهم لله سبحانه .
عاشرا : وتقول : **إن كل ما نعرفه عن العالم المحسوس لا قيمة له في فهم العالم غير المحسوس ..**

* كيف ذلك والله قد ضرب لنا في قرآنه الكريم الأمثال ، ودعانا إلى التفكير وإعمال الفكر ، والاستدلال بالموجود على ما هو غير محسوس ، ويكفي أن نسوق مثالا واحدا نستدل به على البعث بعد الموت ، قال تعالى : « **وإذ قال ابراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم أن الله عزيز حكيم** » **هذا وإن الانسان في داخله خلايا تموت وأخرى تنشأ بما يدل على أن عملية الموت والحياة تتوارد على ذاته .**

أليس هذا المحسوس دليلا على البعث بعد الموت ، وهو شأن من شئون الآخرة !!

حادي عشر : وتقول يا حكيم : **إن أمثال أنشتين وكاستلر من العلماء المؤمنين سوف يكون مصيرهم مغفرتك وأنت الغفور الرحيم .**

* وليس الأمر هكذا ، فان أبا جهل كان يؤمن بالخالق ، وإن أبا طالب .. دافع عن الاسلام ، وعن المسلمين ، واحتموا في شعبه ، ومع ذلك قال النبي - صلى الله عليه وسلم - عنه : إنه سيكون أخف الناس عذابا يوم القيامة .

وإن هذا الايمان الفطري - الذي يشترك فيه الانسان والحيوان والوجود كله - أمر مسلم به ، أما الانسان متى بلغته الدعوة الاسلامية بطريق صحيح واقتنع بها قلبه ، فلابد له من النطق بالشهادتين حتى يكون مسلما ، ويجد رضوان الله في الآخرة .. وإذا لم يكن الأمر كذلك فكل الناس مؤمنون إذن .. وكلهم مصيرهم مغفرة الله ورحمته .. وهذا لا يستقيم .

ثاني عشر : أخذ يوجه أسئلة إلى الله سبحانه ، ويتولى الاجابة عنه ، فالله في حواره مستمع فقط - ثم يقول : **حدث ما كاد يجعلني يغشى على دهشة فقد سمعت ردا من الله أو خيل إليَّ ذلك « يا سبحان الله ».** . ومضى يقول : **وهذا يكفي ليجعلني أعتقد أن الله قد سمح أخيرا أن يدخل معي في حديث ثم أخذ تفويضا من الله بأن يقول على لسانه ما يشاء** !!

* **أرأيت أخي القارىء** هذا الهراء والهذيان الذي خرج من ثقوب في ذاكرة الحكيم .. وتجرأ على الله ، وتقوّل عليه بما لم يقله ، وفتح الباب لغيره لكي يدعى أن الله حادثه أو سمح له بالحوار معه ، وكذلك تضافرت كل القوى الشريرة ، ويوحون إلى بعضهم زخرف القول ، ثم يقولون إنه حوار مع الله .. (الصوت العظيم) كما يسميه الحكيم ، كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا .

ثالث عشر : **وقد تعرض الحكيم إلى عصمة الأنبياء .. ونسب إلى يوسف .. عليه السلام .. نية السوء وأن الله قد عصمه فقط من الفعل ، أما النية فان الله مؤاخذ عليها .. غير أنه غفور رحيم .**

* **وهكذا يتجرأ** توفيق الحكيم على الله سبحانه فينسب إليه ما لم يقله ، ويتجرأ على مقام الأنبياء فيتهمهم بارادة السوء. ولولا عصمة الله لهم من الفعل لوقعوا فيه .

والله يقول :

« ولقد همت به وَهَمَّ بها لولا أن رأى برهان ربه »

والمعنى الذي يلتئم مع قوله تعالى في الآية نفسها (**كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين**) .

أن هم يوسف عليه السلام بامرأة العزيز امتنع لوجود البرهان عنده وهو حرصه على الطاعة واستمساكه بآداب آبائه وبأخلاقهم الزكية الطاهرة . فلولا حرف امتناع لوجود امتنع الهم لوجود البرهان ، ونظير ذلك قوله تعالى في أم موسى (**وأصبح فؤاد أم موسى فارغا إن كادت لتبدى به لولا أن ربطنا على قلبها**

لتكون من المؤمنين) فقد امتنع ابداء أم موسى ما في نفسها على ابنها لوجود ربط الله على قلبها .

وللامام الفخر الرازي في تفسيره كلمة خلاصتها :

أن يوسف قد شهد اللهببراءته بقوله (إنه من عبادنا المخلصين) وشهد الشيطان ببراءته بقوله (فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين وشهد ببراءته الشاهد من أهل العزيز إذ قال : (إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وإن كان قميصه قد من دُبُرٍ فكذبت وهو من الصادقين فلما رأى قميصه قد من دُبُر قال إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم يوسف أعرض عن هذا واستغفرى لذنبك إنكِ كنت من الخاطئين) . وشهد ببراءته النسوة اللاتي قطعن أيديهن بقولهن (ما علمنا عليهمن سوء) وشهد ببراءته زوجة العزيز بقولها (الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه) .

فالذي يريد أن يتهم يوسف بالهَمِّ عليه أن يكون من حزب الله أو من حزب الشيطان وكلاهما شهد ببراءة يوسف فلا مفر له من الإقرار بالحق على أي حال وهو براءة يوسف من الهم بامرأة العزيز . فما هو الحزب الذي تنتمي إليه يا أستاذ توفيق حتى زعمت أن يوسف أراد السوء ؟

رابع عشر : **ينسب الحكيم إلى الله قوله** : **لا .. أنا خالق القانون الذي يتم به تركيب الكون فاذا فسد القانون اختل تركيب الكون ، فأنا لست فوق القانون ، ولكني الحريص عليه لأنه من خلقي ، ووليد حكمتي .**

* **وهكذا** ـ في نظر الحكيم ـ يبقى الله حريصا على القانون ، وليس فوقه ، وكيف ذلك وخالق الشيء أسمى وأعظم من الشيء نفسه ، في استطاعته أن يعدمه ، أو يبقى عليه ، « إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون » .

ونكتفي بهذا القدر من حلقته الأولى ...

أما الحلقة الثانية .. فكانت بعنوان حديث إلى الله ..

سوف يقتصر تعليقنا على أبرز ما جاء فيها حتى لا يطول بنا الحديث .. وقد طال .

خامس عشر : يقول : **ثم إنك يا ربي لا يمكن أبدا أن تلغى ما خلقت وما أوجدت ، ولذلك أبقيت كل المراحل السابقة موجودة في كيان البشرية والانسان . فالى جانب العقل الذي توجت به وجوده أبقيت معه الغرائز والعواطف** ... ثم يمضي قائلا : **ثم إنك يا ربي تذكر في قرآنك دائما بهذا الترتيب** : **التوراة والانجيل والقرآن مع أن القرآن خاتم كتبك السماوية ، فما قصدك من ذلك بقدر علمي وفهمي ، تريد أن نتذكر دائما أن ما خلقت وأوجدت في الماضي لا تريد إلغاءه أو إعدامه ، إنما أنت تضيف وتعدل ولا تلغي ما أوجدت ، فوجود موسى وعيسى قبل محمد ليس معناه إلغاءَ هما** ... ثم يمضي

قائلا : **ولذلك أعتقد أنك تحب من رجال كل دين أن يقرءوا كل الكتب السماوية الأُخرى . وينساق في حديثه هذا فيقول : ولقد أرادت حكمتك حثَّ المسلمين على قراءة كتبك السماوية للتقريب بين أديانك .**

* أما أن الله سبحانه لا يمكن أن يلغي ما خلق وأوجد .. فهذا أمر مرفوض تماما .. فالله سبحانه يوجد ما يشاء لأي وقت يشاء ولحكمة يعلمها سبحانه ، ثم يلغيه أو يعدمه .. ألم يكن جائزا لذرية آدم عليه السلام .. أن يتزوج الذكر من الأنثى (أخته) بشرط ألا تكون توأمه . ثم ألغى هذا الحكم ..أو لم يأت عيسى عليه السلام بشريعة الله سبحانه ليرفع عن اليهود إصرهم والأغلال التي كانت عليهم .

ثم جاء محمد - عليه أفضل الصلاة والتسليم - بشريعة هى الخاتمة للبشرية كلها .. ولن يقبل عند الله غيرها ، فهى ناسخة للشرائع قبلها ، بل إن من أحكام الاسلام نفسه ما جاء لفترة معينة ثم نسخ بتشريع آخر ، قال تعالى : « ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها » .

واستقر التشريع وتم ، فلم يعد هناك تغيير أو تبديل بانقطاع الوحى ..

* وإذا كان وجود محمد عليه الصلاة والسلام لا يلغي وجود عيسى وموسى .. فإن التشريع الذي جاء به موسى وعيسى - عليهما السلام - من عند الله . قد انتهى زمنه بنزول القرآن الكريم .

* والدين الاسلامي كامل في ذاته غير محتاج إلى غيره ، فقد احتوى كل الفضائل ، واستغنى بنفسه عما سواه ، وقد ذكر الكتب السماوية السابقة على أنها كتب من عند الله ، شرع الله فيها أحكاما وموقف القرآن الكريم منها ينحصر بين ثلاث حالات :

أولا : إذا قرنت حكاية الشرائع السابقة في القرآن بما يدل على نسخها عندنا ، فليست تشريعا لنا باتفاق العلماء .

ثانيا : إذا قرنت بما يدل على تقريرها وكتابتها علينا كما كتبت على الذين من قبلنا فهى تشريع لنا باتفاق .

ثالثا : إذا ذكرت مجردة عما يدل على نسخها أو تقريرها فهى محل خلاف بين العلماء هكذا قال الشيخ شلتوت رحمه الله في كتابه الاسلام عقيدة وشريعة . أما ما أنزل على الأنبياء السابقين ولم يحك في القرآن الكريم ، فليس قرآنا ..ولسنا مطالبين به ، والدعوى إلى التقريب بين الأديان دعوى باطلة ، فلا دين إلا الاسلام .

الحلقة الثالثة

سادس عشر : وفي هذه الحلقة يقول : شاءت حكمة الله أن يختار دينا راقيا كالاسلام لينزل في صحراء وقوم بدائيين ، وكان يخاطبهم على قدر عقولهم ،

واستخدم في جذبهم إلى الدين الجديد عبارة مغرية لهم لأنهم كانوا يشتغلون بالتجارة من مثل قوله تعالى : « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها » أو هكذا قال .

* إن الدين الاسلامي ليس دينا راقيا فحسب ، بل هو الدين الوحيد الذي اختاره الله سبحانه للبشرية ، وهو دين نزل في صحراء ، وعلى نبي أمي لحكمة إلهية سامية .. يمكن أن نحاول اكتشافها ، وقد ندرك بعض الأسرار ، وقد لا ندرك .. والقول الفصل في هذا « الله أعلم حيث يجعل رسالته » . ونقول كما علّمنا الله سبحانه : « قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعزّ من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير » وكما قيل : المقصود بالملك هنا النبوة ، فقد نزعها الله من بني إسرائيل وأعطاها لمحمد أفضل خلق الله .

* والدين الاسلامي ما جاء دينا للتجار .. واعدا إياهم بالربح العظيم ، وإلا لسارع لاعتناق الدين الجديد كل أصحاب رءوس الأموال ، وكل النفعيين ، والسادة ، ولكنه دين عظيم ، جاء ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ، جاء ليجعل المسلم لا يلتفت إلى مال وأهل ووطن مادام يتعارض هذا مع عزّة دينه ، « الذين أُخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله » .

* علم الدين الجديد أتباعه : أن من هاجر لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه .الجزاء الوحيد إذا أخلص المسلمون العمل ، هو ذا الذي نص الله عليه : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن » .

* الدين الاسلامي إذن ما جاء بمنطق التجار ، ولا بمنطق أصحاب المصالح .. ولكن كما قال الاعرابي لمحمد رسول الله ـ صلى الله عليه سلم ـ حينما أراد أن يعطيه حظه من الغنيمة : ما على هذا اتبعتك ، ولكني اتبعتك على أن أُرمى ها هنا .. وأشار إلى عنقه . هؤلاء هم رجال الاسلام .

* ويبقى بعد ذلك فضل الله الواسع الذي يجزى بالحسنة عشر أمثالها وأكثر « مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء » .

سابع عشر : إن توفيق الحكيم لا يسأل الله شيئا من متع الدنيا لأنه أعطى القناعة والاعتدال ، ولا في الآخرة لأنه لا يتطلع إلى الجنة لأنها جزاء المتقين ، وهو لا يريد جزاء ولا مكافأة على حبّه لله وتقواه . وهو لا يخشى النار ، لأن الله لن يجعلها تمسه لأنه رحيم .

* سبحان الله ، إذا كان الحكيم لا يريد شيئا من متع الدنيا ، فَلِمَ كان بوقا لكل سلطان ! .

وَلِمَ كان سعيدا بدخوله مجمع اللغة العربية ؟ وهو الآن ما يزال حريصا على أمور تافهة .

وإذا كان لا يتطلع إلى الجنة ، ولا يخشى النار ، فكيف يتصور مكانه في الآخرة ؟

ورسول الاسلام يقول والله ما بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار .. هكذا علمنا محمد صلى الله عليه وسلم . وَلِمَ لا يخشى الحكيم عذاب الله .. ومحمد يقول : لن يدخل أحدا عمله الجنة ، قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟
قال : ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل .
الحكيم لا يريد الجنة لأنها جزاء المتقين ، وهو لا يريد جزاء على تقواه .. ونحن والله ندعو الله ليل نهار أن يجعلنا من أصحابها بفضله وعفوه وكرمه ، فهو الواهب للعطاء ، وأَنْعِمْ به من عطاء . ونستعيذه من النار .. « فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز » .
ثامن عشر : والسقطة الكبرى ، والبلوة العظمى ، هذا الذي كتبه الحكيم .
الخالق : والآن في سنك هذه ماذا تفعل في الدنيا ؟
المخلوق : يا ربي العزيز ، لولا الخجل لكنت أوجه إليك هذا السؤال .
* أخي القارىء : أترى هذا يحتاج منا إلى تعليق ، الحكيم يريد أن يسأل الله نفس السؤال . سبحانك ربي ، لا تسأل عما تفعل ، وهم يسألون . و... فقط .
تاسع عشر : ثم أخذ الحكيم يتكلم عن الجمال ، وعن حبه لامرأة نظرت إليه طويلا ثم قالت : مستحيل ، وتكلم عن شاعر ألماني من عباد الله المسيحيين المتصوفين – كما يقول . ثم مضى في هراء عجيب ، لا يستحق منا التعليق ، ولا يستدعى أن يستوقف إلهه ليقص عليه حكايات سخيفة .

الحلقة الرابعة

عشرون : وفي هذه الحلقة يفرح الكاتب بشيء من متع الدنيا ، حيث أن الأزهر دعاه لحضور الاحتفال بعيده الألفي ، مما أشعره بأنه ليس من الضالين .
* ونريد أن نقول للحكيم وهو أعلم بذلك منا إن الدعوات الرسمية لا تدل على شيء ، وإن هناك اعتبارات أخرى تفرض مواقف معينة ، ونحن في زمن العجائب والغرائب ، فالذي جعل مناحيم بيغن ينال جائزة نوبل للسلام ، هو الذي جعل توفيق الحكيم فيما هو فيه الآن . فدعوة الأزهر لك ليست مما يوضع في ميزان حسناتك يوم القيامة ، وليست شهادة لك بأنك لست من الضالين .
حادي وعشرون : ومضى في حلقته هذه حتى قال : إن العبادة لمنفعة البشر ، وانها ليست لتعظيم الله فهو غنى عن كل تعظيم ، والبشر الذي يزعم ذلك لا يقدر الخالق قدره .
* نعم إن الله سبحانه غنى عن كل شيء ، فهو الغنى ، وكل ما عداه محتاج إليه ، وعبادة الناس له سبحانه لنفعهم هم ، وعصيانهم ضرره واقع عليهم ، فالعباد جميعا لن يبلغوا ضر الله فيضروه ، ولن يبلغوا نفعه فينفعوه .
ولكن أليس في العبادة تعظيم لله سبحانه ؟ أو لسنا مأمورين بتعظيمه وإجلاله وحمده وشكره . الكون كله يرنم بتسبيح الله وتعظيمه ، والعبادة نوع من التسبيح

لله ، والتعظيم له ، أليس كذلك ؟ .. بلى إنه كذلك .. فعندما سئل محمد صلى الله عليه وسلم عن عبادته الدائمة لله سبحانه قال : أفلا أكون عبدا شكورا ، سبحانك اللهم فنحن نجلك ونعظمك ونخصك بالعبادة .

ثاني وعشرون : يقول : إنه في سنة ١٩١٩ تجمع هو وبعض المتظاهرين بمسجد السيدة زينب ، وقام بالتمثيل ، وأخذ دور لويس في مسرحية (لويس الحادي عشر) ثم طلب منه المتظاهرون أن يمثل فصلا مضحكا .. وقام بذلك في المسجد .

* هذا هو احترام توفيق الحكيم لدور عبادة الله سبحانه ، يتخذها مسرحا يمثل عليه فصولا مضحكة ، ويصفق له المتظاهرون إعجابا .. ثم الله غفور رحيم .. إذن فهو يريد إبطال قانون الثواب والعقاب .. يريد الأمر فوضى وفق مزاجه ، ويطلب من رجال الدين أن يبتعدوا عن أساليب التخويف في دعوتهم إلى الله ، ويكتفوا بأساليب الحب والعطف والترغيب .. مع أن الله سبحانه أرسل رسله مبشرين ومنذرين .. وهو أعلم بما يصلح عباده ، منهم من يخاف العقاب فيسلم ، ومن هم من يريد الكرامة فيطيع ، والخائف من عذاب الله ، والطامع في رحمته جزاؤهما الجنة ، أما هؤلاء الذين يفعلون ما يشاءون ويقولون إن الله غفور رحيم .. فهم يتغافلون عن قوله تعالى :« إن ربك لسريع العقاب وإنه لغفور رحيم » . فاتق الله يا حكيم ، واخش عقابه فقد تطاولت بك السنون وخير لك أن تتوب مما صنعت .

ثالث وعشرون : تحدث طويلا عن عضويته في المجمع اللغوي ، وامتدح عبدالعزيز فهمي المناضل من أجل الحرية السياسية والفكرية واللغوية ، كما أشاد بواصف غالي كمناضل حرّ خاطب الغرب بالاسلوب الذي يفهمونه ، وقال عن عبدالعزيز فهمي : إنه أراد أن يحل العقدة ـ عقدة تخلف اللغة العربية وصعوبتها كما يراها ـ بسيف شجاعته ، فقدّم اقتراحه المشهور بترك الحروف العربية ، واتخاذ الحروف اللاتينية . ويقول الحكيم : وأذكر أنني وافقته في ذلك الوقت . ثم دعا الحكيم إلى تبسيط اللغة بحيث تحتفظ الفصحى بخير ما فيها ، وتستعير من العامية خير ما فيها .

* تلك هى آراء الحكيم في حواره مع إلهه ، ولسنا ندري هل وافقه إلهه على ذلك ؟ أم كان له رأى آخر ؟ إن عضوية المجمع اللغوي لا ترفع قيمة الانسان عند الله ، وإن كانت مما يحرص البعض عليه في الدنيا ، وليس كل عضو في هيئة أفضل من غيره ممن لم ينضم إلى تلك الهيئة ، وقد يكون أصحاب المناصب أقل علما من علماء مغمورين .

وأما الدعوة إلى استعمال الحروف اللاتينية بدلا من الحروف العربية ، فهى دعوة استعمارية قديمة القصد منها القضاء على الأمة العربية وبالتالي القضاء على الاسلام ، فالقرآن كتاب الله نزل بلسان عربي مبين .

وأما المزج بين الفصحى والعامية ، ففيه تكريس للانفصال النكد بين الأقطار الاسلامية .. فبأي عامية سنأخذ ؟ . العامية المصرية ، أم الشامية ، أم المغربية ، أم السائدة في دول الخليج العربي ، أم غير ذلك ؟ . إن اللغة العربية

الفصحى يفهمها رجل الشارع ، والمهني ، والعالم ، والباحث على حد سواء ، وهي لغة غنية بالألفاظ البسيطة الواضحة القريبة الفهم ، فهي لغة كتاب المسلمين ـ القرآن الكريم ـ وهي اللغة التي تحتوي من الأسرار ما تعجز عن احتوائه أية لغة أخرى . فما الحكمة ياحكيم ـ وراء دعوتك هذه ؟ أم أن الثقوب قد اتسعت في ذاكرتك فلم تعد تدري ما تقول .

رابع وعشرون : وفي النهاية يلتمس الحكيم الأعذار والمبررات لعبدالعزيز فهمي عندما قال لمحمد علي ـ وكان وليا للعهد في ذلك الوقت ـ « أنتم يا أصحاب السمو أسيادنا وأولاد أسيادنا » .

وسواء علينا أرضيت عن ذلك أم لم ترض .. ووجدت ألف تبرير وتبرير لمذهبك هذا في التعامل مع أسياد كل عصر .. فان أصحاب الطبع السليم ، ومن سمعوا قول الرسول الكريم : « لا تسيدوني » لا يقولون كمثل هذا المخلوق .. أما أنت يا حكيم فأنت وشأنك مع أسيادك . ثم كيف بررت هذا التعظيم لغير الله وقد حرمته على نفسك لله ..

خطورة الأحاديث

نجمل خطورة أحاديث الحكيم تلك في عدة نقاط :

أولا : أنه فتح الباب أمام كل من يريد أن يدير حوارا مع الله سبحانه .. معاذ الله .

ثانيا : أنه مسَّ عصمة الأنبياء بحديثه عن يوسف عليه السلام .

ثالثا : أنه دعا إلى طبخة عجيبة من التوراة والانجيل والقرآن .

رابعا : أنه مسَّ أمورا غيبية ما كان ينبغي له أن يخوض فيها .

خامسا : أنه يرى أن الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ليس شرطا لدخول الجنة ، ولعفو الله ومغفرته .

سادسا : يرى أن النطق بالشهادتين ليس ضرورة ، ما دام الانسان يشعر بوجود الله داخليا .

سابعا : تصور الحكيم أن الله سمح له بادارة الحوار معه ، وأنه سمع صوته ، ومعنى هذا أن لغير الحكيم أن يدعى ذلك ، ويزيد عليه . ونحب أن نقول للأستاذ توفيق الحكيم انك انفردت بهذا العبث عن أسيادك في الغرب فانهم لما أرادوا التعرض لأمور غيبية أو التشكيك في قيم عليا اتخذوا الشيطان محورا لاستعراض مفاهيمهم ولم يجرءوا على إدارة مثل هذا الحوار الذي كان لك فيه عار السبق .

ثامناً : سيأتي جيل يطلع على ما كتبه الحكيم ، فيظن أنه كَلَّمَ الله . أستغفر الله العظيم وأتوب إليه وبعد كل هذا أتركك أخي القارىء لتصدر أنت حكمك على الرجل .. والله يتولى الصالحين ولا عدوان إلا على الظالمين .

مع الصحافة

في المناطق التي تتزاحم فيها مطامع الكبار ليس بين لعبة الحرب ولعبة السلام سوى خيط دقيق جدا ، لا يكاد أحد يستطيع أن يتكهن متى ينقطع ! وهذا هو الموضوع الرئيسي الذي يشغل الآن معظم الصحف العربية والعالمية ، وهي تتابع الأحداث التي تتطور بسرعة في هذه المنطقة الحساسة من العالم الاسلامي التي يسمونها الشرق الأوسط .

والحقيقة ان الاعتقاد الذي اصبح سائدا بعيد الغزو الصهيوني الأخير للبنان هو أن أمريكا هي الجهة التي تستطيع أن تجد حلا للصراع الدائر ، وكان الحديث عما يسمى بالسلام لا يعدو في حقيقته مفهوم السلام الامريكي الذي رسمت خطوطه الغامضة مبادرة الرئيس الامريكي ريغان . وجرت في سياق ذلك تحركات ، وصدرت تصريحات ، بيد أن الواقع كان اكثر تعقيدا وعسرا من كل الأحاديث التي تصنعت التفاؤل بالحل السلمي . ولكن .. أي سلام هذا الذي يمكن ان تصطلح عليه الأطراف المتنازعة والأطراف المترقبة والأطراف المتحفزة ؟! لا شك ان هناك ضروبا عدة من السلام ، يوافق كل منها وجهة نظر هذا الفريق او ذاك ، غير ان وجهات النظر شيء ، والواقع الذي فرضته القوة شيء آخر تماما . فالولايات المتحدة واسرائيل ـ على ما بينهما من فرق في بعض وجهات النظر ـ تقوم رؤيتهما للسلام على الظروف التي استجدت بعد الغزو الصهيوني الأخير ، وهذا يعني في الحقيقة : دفع الطرف الآخر بالمفاوضات الى القبول بشروط القوي . وهذا أمر لم يغب عن منظمة التحرير الفلسطينية ، ولكنها مع ذلك لم ترد ان تغلق هذا الباب ، مادام هو الباب المتاح ، ولكن الحوار فيما يبدو أظهر ان هذا الباب سوف يفضي الى سراب . فأمريكا تريد من الفلسطينيين تنازلات لتعطيهم في المقابل وعودا ، وهكذا غدا من الصعب على منظمة التحرير الفلسطينية ، بعد مذابح صبرا وشاتيلا ، ان تمحض الوعود الامريكية لونا من الوان الثقة . وواقع الأمر ان النتيجة التي آلت إليها المحاورات السريعة لم تكن مفاجأة للذين كانوا يتابعون مراحلها الأخيرة . وكان الاتحاد السوفياتي يترقبها وهو يعمل بصورة حثيثة جدا على استعادة نفوذه في المنطقة ، هذا النفوذ الذي بدا واهيا جدا في أثناء الغزو الصهيوني الأخير .

○ طبول الحرب !

وعلى ذلك هل يقع الصدام بين سورية واسرائيل في البقاع ؟ هذا هو السؤال الذي حاولت مقالات كثيرة أن تجيب عنه . وبغض النظر عن العناوين المثيرة التي

تميل إلى إبرازها معظم الصحف عادة ، يرى فريق كبير من المحللين ان كوابح الصدام اكثر من دوافعه ، وان التصريحات التي تصدر من الطرفين تنطوي على شكل من المبالغة ، بهدف تعزيز المواقع في اثناء الحوار الذي يتم في ظروف من التكتم ، ولا تظفر منه الصحافة بشيء ذي بال . ولكن .. الا يمكن ان يقع الصدام مع ذلك ؟ هذا غير مستبعد في نظر بعض المراقبين السياسيين . غير ان السؤال الذي نجد من المهم ان يدور حوله البحث : ما الذي يمكن ان يفضي اليه الصدام - اذا حدث - على الصعيد العسكري والسياسي في لبنان وسورية ؟

كتبت صحيفة وول سترايت جورنال في ١٩ رجب مقالا انصب فيه التحليل على التسابق الامريكي - السوفياتي في مضمار النفوذ الدولي في المنطقة ، بينما يقوم وزير الخارجية الامريكي « بزيارته » المتأخرة .. جاء فيه :

مهمة جورج شولتز المكوكية تتيح للاتحاد السوفييتي فرصة ذهبية لالحاق هزيمة رئيسية ثانية لسياسة الولايات المتحدة في الشرق الأوسط ، في الربيع الحالي .

وهكذا فانه اذا تمكن شولتز من اقناع كل من لبنان واسرائيل بالتعاون للتوصل الى اتفاق ، فان موسكو تستطيع ان تلعب دور الحبيب المنبوذ وتفسد حفلة الزفاف من خلال تشجيع سوريا على الوقوف بصلابة والقول انها ستبقى في لبنان . واسرائيل كانت قد اوضحت من قبل انها لن تسحب قواتها من لبنان ما لم تفعل سوريا نفس الشيء .

فاذا حصل فشل كبير جديد (حين يعجز شولتز عن انجاز مهمته) بعد انهيار مبادرة الرئيس ريغن بشأن السلام في الشرق الأوسط الذي حدث في الشهر الماضي ، فان ذلك سيعمق نظرة العرب للولايات المتحدة من انها لا تستطيع انجاز خططها ، وتوجد لديهم القناعة بأن التوصل الى اتفاق سلام في الشرق الأوسط سيبقى مستحيلا ما لم يشارك الاتحاد السوفييتي في عملية السلام ، وادارة الرئيس ريغن شأنها شأن سائر الادارات الاميركية السابقة تحاول ان يبقى الاتحاد السوفييتي بعيدا عن دبلوماسية الشرق الأوسط .

وذكر شولتز يوم الأحد انه يأمل بزيارة سوريا في وقت لاحق من هذا الاسبوع . كما ذكر شولتز حين كان على الطائرة التي اقلته الى بيروت في نهاية الاسبوع الماضي ، انه يتوقع ان تقوم الدول العربية بحث سوريا على سحب قواتها من لبنان حتى لا تبقى هناك ذريعة لاسرائيل للاحتفاظ بقواتها في لبنان بشكل دائم .

وملاحظا ان اسرائيل احتلت الضفة الغربية لنهر الأردن منذ ١٦ عاما وما زالت باقية فيها ، قال شولتز : « لا اعتقد ان سوريا تريد تحمل مسؤولية استمرار الاحتلال الاسرائيلي للبنان » غير ان المسؤولين اللبنانيين يشككون في قدرة العرب على اقناع سوريا .

وبعض المسؤولين الاسرائيليين يعتقدون ان سوريا ربما تقوم بسحب قواتها من لبنان لابعاد القوات الاسرائيلية عن منطقة تمركزها الحالية ، التي باتت دمشق في مرمى مدفعيتها .

غير ان احد مسؤولي وزارة الدفاع الاسرائيلية يشك في ذلك . وبعض المسؤولين الاميركيين يعتقدون ان سوريا ستوافق على الانسحاب لتقليل مخاطر نشوب حرب بين سوريا واسرائيل تكون بمثابة اختبار غير مرغوب فيه لمتانة الصداقة

السوفيتية ـ السورية والمعاهدة المعقودة بينهما التي تلزم موسكو بالوقوف الى جانب سوريا والدفاع عنها عمليا في حالة وقوع اعتداء عليها .
وقال مسؤول اسرائيلي انه يعتقد ان قيام اسرائيل باعتداء بهدف ضرب مواقع الصواريخ السوفيتية الجديدة في سوريا ، لن يحمل السوفيت على الرد على هذا الاعتداء . غير ان المحادثات مع المسؤولين الاسرائيليين تشير الى انهم ليس لديهم اية نية لغزو سوريا ، كما انهم لا يعتقدون ان اية اعمال عسكرية اسرائيلية ضد سوريا اقل من الغزو الشامل ستدفع الاتحاد السوفييتي ليهب لنجدتها .

وعن احتمالات الصدام السوري الاسرائيلي كتبت مجلة الحوادث اللبنانية في عددها ١٣٨١ تقول :

السؤال المطروح في بيروت اليوم هو : هل هناك حرب بين سوريا واسرائيل على الاراضي اللبنانية ، وهل ان مقومات هذه الحرب متوافرة ؟
مصادر سياسية وحزبية تتابع هذه القضية المهمة ، خاصة بعد استعراضات الطيران الاسرائيلي والسوري في سماء لبنان يوم الخميس الماضي ، قالت ان الحرب مستبعدة خلال العام الحالي على الأقل لاسباب اسرائيلية وسورية ودولية وجيهة .
ان هذه الحرب مستبعدة اسرائيليا لاسباب كثيرة منها اقتناع وزير الدفاع الاسرائيلي أرينز بان اسرائيل ذهبت مسافات ابعد مما هو مناسب لها ولجيشها في حرب لبنان ، وان عليها الآن ان تفكر جديا بالانسحاب ، ولو من جانب واحد ، الى حدود امنة في حال تعذر الوصول الى اتفاق مع لبنان ، فهذا الانسحاب يبعد جيشها عن مواقع المواجهة الحالية القريبة من مواقع الجيش السوري في البقاع .
كذلك بات من الصعب على اسرائيل ان تخوض حربا ثانية في لبنان خلال سنة واحدة ، بسبب الانقسام الداخلي الناجم عن ظروف الحرب السابقة ، فالحرب في لبنان كانت أطول حرب تخوضها اسرائيل ، وهي لا تستطيع ان تتحمل النتائج الاقتصادية والبشرية لحالة الاستنفار العسكري والمدني فيها ، كما انها لا تستطيع ان تغطي لمدة اطول متاعبها الاقتصادية .
يضاف الى ذلك حذر اسرائيل من مخاطر تفجير خلاف جديد مع اميركا التي لا تريد فعلا انفجار الحرب بين اسرائيل وسوريا لاسباب متصلة بحساباتها الداخلية وبمخاطر الصدام مع الاتحاد السوفياتي .
والحرب لا تناسب سوريا ايضا لاسباب كثيرة منها ان سوريا لم تستوعب بعد ولم تهضم نتائج الحرب السابقة ، لا على الصعيد البشري ولا على صعيد المعدات . والجيش السوري يحتاج الى وقت اطول لاستيعاب الاسلحة السوفياتية المتطورة ، اضافة الى صعوبة الوضع المالي الذي تفرضه متطلبات الحرب وصعوبات الوضع المالي العربي وحاجة سوريا الى وقت اضافي لبلورة حدود اعتمادها على الاتحاد السوفياتي ، خصوصا ان الحرب اذا اندلعت هذه المرة ستندلع خارج اطار الاراضي السورية حيث تسري فعالية معاهدة التعاون مع الاتحاد السوفياتي ، وستكون منطقة البقاع ساحتها الرئيسية ، وستكون ايضا حرب طائرات وصواريخ ودبابات ، اي ستكون حربا مصيرية وكثيرة التكاليف ، ولا تخاض عادة الا بعد درس عميق لكل الظروف والاحتمالات .
ومع ان هذا الواقع لا يسقط نهائيا احتمالات اندلاع الحرب فجأة ، خصوصا اذا لجأت اليها اسرائيل بضوء اخضر من اميركا في حال تعثر الانسحابات من لبنان ،

الا انها تبدو بعيدة وصعبة ويمكن ان تستبدل باشتباكات محدودة للضغط ، او بحرب استنزاف مشابهة لحرب الاستنزاف التي قامت بين اسرائيل ومصر على ضفتي قناال السويس في عهد الرئيس جمال عبدالناصر .

○ المكوك الامريكي الجديد

وعن « الزيارة » المتأخرة لوزير الخارجية الامريكي جورج شولتز الى المنطقة كتبت الأوبزرفر البريطانية في الاسبوع الثالث من رجب مقالا جاء فيه :

في محاولة لانقاذ رصيد الرئيس الاميركي رونالد ريغان من حطام دبلوماسيته الشرق اوسطية سوف يقوم وزير الخارجية جورج شولتز بزيارة المنطقة .. ومهمته مثبطة للعزائم . ومشروع سلام ريغان ميت . والقوات الاجنبية التي تعهدت اميركا باخراجها من لبنان في عيد الميلاد الماضي ما تزال هناك . وتزداد المخاوف من حرب سورية ـ اسرائيلية جديدة يمكن ، بسبب الدعم السوفياتي لسوريا ، ان تجر الولايات المتحدة الى الجانب الآخر .

إن شولتز اذا نجح في لبنان فان العرب سوف يستردون الثقة في اميركا وربما يعبرون اخيرا عن استعدادهم للتفاوض . ليعيدوا بذلك مشروع ريغان الى الحياة ، ويجابهوا بيغن بالحاجة لتقديم تنازلات اقليمية .

والتنازلات هي الشيء الاخير الذي ينويه بيغن . والمشكلة هي ان شولتز سوف يعود الى واشنطن خالي الوفاض ولم يخف بيغن رفضه الكامل للتخلي عن الضفة الغربية او غزة او مرتفعات الجولان او للانسحاب من لبنان بأية شروط غير شروطه الخاصة .

ان العلاقة بين اسرائيل واميركا نموذج كلاسيكي للذيل الذي يحرك الكلب ، ورغم ان المصالح الاميركية في الشرق الأوسط لا تتفق دائما مع مصالح اسرائيل ، فان اسرائيل تمكنت من تحويل التحالف مع اميركا لفائدتها والمفارقة تكمن في انه كلما اساءت اسرائيل للعرب اكثر اضطرت الولايات المتحدة اكثر للاعتماد على اسرائيل ودعمها .

ولا يوجد شك الان ، بعد ان انهارت عملية السلام ، في ان اعتماد الولايات المتحدة على اسرائيل سيكون اكبر وليس اقل وستكون جهود اميركا اكثر تصميما على ضمان ان تظل اسرائيل متفوقة .

○ الهجوم الامريكي على منظمة التحرير

أظهر الرئيس الامريكي ووزير خارجيته خيبة امل كبيرة عندما صدر البيان الأردني الذي اعلن عن أخفاق مبادرة ريغان ، ولما كان ريغان يعتمد في نجاح مبادرته على التنازلات التي يرغب في ان تقدمها منظمة التحرير الفلسطينية مقابل وعود امريكية .. فقد سارع الى مهاجمة منظمة التحرير بصورة غاضبة فتساءل : من انتخب منظمة التحرير ؟ وقد اثارت هجمة ريغان ردود فعل في الصحف العربية بدا معظمها مشوبا بالسخرية .

حول هذا الموضوع كتبت صحيفة الوطن الكويتية في ١١ رجب مقالا جاء فيه :

طريف ذلك السؤال الذي طرحه الرئيس الاميركي اول امس ، وقال فيه : من الذي انتخب منظمة التحرير ؟ وقد يتطور موقف الرئيس ريغان بعد ذلك ـ عندما تقترب الانتخابات الاميركية ـ لنسمعه يسأل : من هم هؤلاء الفلسطينيون ؟

ذلك انه اذا كان المعيار الموضوعي للشرعية في الحكم والقيادة هو مدى التعبير عن ضمير الجماهير وطموحاتها ، فسوف نكتشف ان منظمة التحرير تتمتع برصيد من الشرعية يتجاوز بعشرات المرات رصيد بعض الأنظمة الحليفة للسياسة الاميركية في المنطقة . واذا كان رؤساء كل بلديات الضفة الغربية وغزة ، الذين انتخبتهم الجماهير الفلسطينية قد اعلنوا انهم من مؤيدي منظمة التحرير الفلسطينية ، وهو ما اضطر السلطات الاسرائيلية الى ابعادهم الواحد تلو الاخر . فان ذلك يعد بحد ذاته استفتاء حقيقيا على شرعية قيادة المنظمة للجماهير الفلسطينية .

ولو مارس الموقف العربي قدرا من المسؤولية لتكفل وزراء الخارجية او السفراء العرب بالرد ، ذلك ان الاجماع العربي في مؤتمر الرباط الشهير قرر ايضا ان منظمة التحرير هي الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني .

ولكن المشكلة ليست في الجانب الاميركي ، لانها اساسا وبالدرجة الأولى في الجانب العربي الذي تضاءل حجمه ، وتنازل عن كل عناصر القوة التي يملكها ، حتى بات بعض الحكام العرب يتفاخرون بأن ٩٩٪ من اوراق اللعبة في يد اميركا ، وان الشريك الكامل هو في حقيقة الأمر السيد الكامل والامر الأوحد .

وليس مستبعدا ان يجيء اليوم الذي يتساءل فيه الرئيس الاميركي : من هم هؤلاء العرب ؟

انشطة كلية الشريعة والدراسات الاسلامية

شاركت كلية الشريعة والدراسات الاسلامية في اليوم المفتوح والذي اقيم بمدرسة قرطبي لنظام المقررات الذي دعت اليه للمشاركة كليات الجامعة هذا وقد القى العميد المساعد الدكتور عجيل النشمي فكرة تنويرية لطلبة مدرسة قرطبي عن نظام المقررات في الجامعة وحول اهداف الكلية ونظام الدراسة فيها وعن مقرراتها ومجالات العمل للخريجين .

كما تم تشكيل مجلس ادارة المجلة « الشريعة والدراسات الاسلامية » برئاسة الاستاذ الدكتور حسن الشاذلي ـ الاساتذة التالية اسماؤهم اعضاء : زكي شعبان ـ علي عبدالمنعم ـ احمد غندور ـ محمد فوزي فيض الله ـ محمد طموم ـ احمد حسن فرحات ـ عجيل جاسم النشمي ـ خالد المذكور ـ سعد المرصفي .

وقد تم تشكيل مجلس تحرير المجلة برئاسة الدكتور عجيل جاسم النشمي والاساتذة التالية اسماؤهم اعضاء : احمد الغندور ـ محمد فوزي فيض الله ـ احمد حسن فرحات ـ خالد المذكور ـ سعد المرصفي .

دعوة اسلامية عاجلة لمفاوضات عراقية ايرانية

وجه المؤتمر الشعبي الاسلامي الذي اختتم أعماله في بغداد الشهر الماضي دعوة عاجلة الى كل من العراق وايران للجلوس على مائدة المفاوضات .

وقرر المؤتمر تشكيل لجنة باسم لجنة اصلاح ذات البين ولجنة السلام تتولى دعوة البلدين لطرح ما لديهما من ادلة وبيانات للتحكم بالنزاع كما قرر المؤتمر تشكيل لجنة متابعة تنفيذ القرارات والتوصيات التي اتخذها المؤتمر .

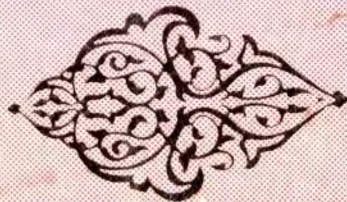
« إلى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بالشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨) بيروت ـ لبنان او بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر	القاهرة ـ مؤسسة الاهرام ـ شارع الجلاء
السودان	الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص.ب (٣٥٨)
الجزائر	الشركة الوطنية للصحافة ٢٠ شارع الحرية
المغرب	الدار البيضاء ـ الشركة الشريفية
تونس	الشركة التونسية للتوزيع
لبنان	بيروت الشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨)
الاردن	عمان وكالة التوزيع الاردنية ص.ب (٣٧٥)
السعودية	جدة مكتبة مكة ـ ص.ب (٤٧٧)
	الخبر مكتبة مكة ـ ص.ب (٦٠)
	الرياض مكتبة مكة ص.ب (٤٥٢)
	المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء
مسقط	مكتبة العائلة ـ روى ـ ص.ب : ٣٣٧٦
صنعاء	دار القلم للتوزيع والنشر والاعلان ـ ص.ب : ١١٠٧
البحرين	دار الهلال
قطر	دار العروبة ص.ب ٦٣٣
ابو ظبي	المؤسسة العامة للطباعة والنشر ـ ص.ب (٦٧٥٨)
دبي	دار الحكمة ص.ب (٢٠٠٧)
الكويت	الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات ت ٤٢١٤٦٨

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة .

محتويات العدد



طباعة مؤسسة دار السياسة – الكويت

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية
العدد ٢٢٥ رمضان ١٤٠٣هـ - يونيو يوليو ١٩٨٣م

هديتك مع العدد: مجلة براعم الإيمان

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ

إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالـ

الوعي الإسلامي

الوعي الاسلامي

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة التاسعة عشرة

العدد ٢٢٥ ـ رمضان ١٤٠٣ هـ ـ يونيو / يوليو ١٩٨٣ م

هدفها

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيداً عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها

وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم ٤٢٨٩٣٤-٤٦٦٣٠٠

التوزيع والاشتراكات

الشركة العربية للتوزيع (ش م ل)
ص ب ٤٢٢٨ بيروت لبنان
تلكس ARABCO 23032 LE

● الثمن ●

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم
ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي



تيسير الله لفريضة الصيام

الصيام هو الامساك عن المفطرات من طلوع الفجر الى غروب الشمس بنية خالصة لله عز وجل .. ولما كان في أدائه مشقة ومعاناة احتاجت النفوس عند التكليف به إلى أسباب تيسره وتسهل القيام به وتجعله محببا إليها .

فبدأ الله الأمر به بالنداء الحبيب الذي يذكر المؤمنين بالأصل الذي يرتكز عليه وجودهم ، ويسهل عنده كل تكليف يكلفون به مهما عظم ، وتتيسر معه كل مشقة مهما بلغت . ذلك الأصل هو الايمان بالله .

وفي هذا النداء الحبيب بين الله للمؤمنين أن الصوم فريضة قديمة كتبها الله على المؤمنين في كل دين سبق الاسلام وأن الغاية منه تحقيق التقوى وما أعظمها من غاية .

وأن الصوم المفروض ليس تكليف الدهر ولا فريضة العمر ، وإنما هو أيام معدودات ينتهي بانتهائها .

ومع هذا ففرضية الصيام قائمة على الصحيح المقيم ، فالله قد أعفى من أدائه المرضى حتى يصحوا ، والمسافرين حتى يقيموا . تخفيفا وتيسيرا ، على أن يقضي المريض حين يصح ما أفطره حين المرض ، ويقضي المسافر حين يقيم ما أفطره حين السفر .

وقد رخص الله للشيخ الكبير والمرأة الكبيرة اللذين لا يستطيعان أن يصوما في الفطر مع إطعام مسكين عن كل يوم . ثم حبب إليهما الاكثار من إطعام المساكين عن حد الفدية كأن يطعم المفطر اثنين أو ثلاثة أو أكثر بكل يوم من أيام الفطر في رمضان . فالذين آمنوا وأنفقوا لهم أجر كبير ، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا .

وبين الله تعالى أن في الصوم خيرا كثيرا ، فهو يزكي النفوس ويطهرها ، وينقيها من الأخلاط الرديئة ، والأخلاق الرذيلة ، ويربي الارادة ويقويها فلا تهزم أمام الشهوات ، ولا تعصف بها الأهواء والنزوات ، وهو يذكر بألم الجوع والعطش فيولد في النفس عاطفة البر والاحسان للفقراء والمساكين ، وذلك بالاضافة الى أثره الكبير في صحة البدن ـ لغير المريض ـ حتى ولو أحس بالجهد » فهو يقي من كثير من الأمراض ، ويعالج عديدا من العلل والأدواء .

تلك التيسيرات الالهية لفريضة الصيام تظهر في قوله تعالى : **(يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون . أياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون)**

وهكذا يسر الله فريضة الصيام للمؤمنين ، وجعلها خالية من العسر ، وظهرت رحمته في التكليف وفي الرخصة على حد سواء .

ومن ثم فان النفوس المؤمنة تشعر برحمة الله في تكليفه ، وإرادته اليسر لعباده في جميع ما أمرهم به .

ولما كان القرآن الكريم هو كتاب الله الخالد الذي أنزله على رسوله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليخرج به الناس من ظلمات الشرك ، والخوف والدنس ، والتنازع ، والذلة ، والانحراف عن سنن الحق ، إلى نور الايمان بالله ، والأمن والاطمئنان ، والطهر والنظافة ، والتماسك والوحدة ، والعزة والسيادة ، والاستقامة على أمر الله ، جعل الله الأيام المعدودات التي

فرض صيامها هي أيام الشهر الذي ابتدأ نزوله فيه وهو « شهر رمضان » حتى يكون صيام هذا الشهر من كل عام شكرا لله على هذه النعمة العظيمة ، وحمدا لذاته العلية على تلك الهداية التي أضاءت للناس طريق الحق وكشفت لهم المقومات التي تحقق لهم السيادة والمجد ، وإشارة إلى أن القرآن الكريم ما نزل إلا لتطبق أحكامه وتنفذ تعاليمه : (**شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون**) .

والصائم الذي يقدر وضعه أمام خالقه تحجزه تقواه وخشيته منه عن إبطال ثواب صومه بالمعصية لأنه يعلم أن الله فرض الصيام ليكون أداة لتقوى الله ، وليكون له الأثر الواضح في ضمير صاحبه . روى البخاري وأبو داود عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : « من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه » وقد حرم الله على الصائم أن يشتم غيره مبتدئا أو مجاوبا ففي الحديث : « فان شاتمه أحد أو سابه فليقل إني صائم » .

ومن إكرام الله للصائم الحفيظ على صومه أن جعله أقرب الدعاة استجابة كما روى الامام أبو داود الطيالسي في مسنده ـ باسناده ـ عن عبد الله ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال : « سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول: « للصائم عند إفطاره دعوة مستجابة » فكان عبد الله بن عمر إذا أفطر دعا أهله وولده ودعا ..

وروى ابن ماجه في سننه ـ باسناده ـ عن عبد الله بن عمر كذلك قال : قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ « إن للصائم عند فطره دعوة ما ترد » .

وفي مسند الامام أحمد عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « ثلاثة لا ترد دعوتهم : الامام العادل ، والصائم حتى يفطر ، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام يوم القيامة وتفتح لها أبواب السماء ويقول الرب وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين » .

ومن ثم جاء الدعاء في أثناء الحديث عن الصيام وذلك قوله تعالى : (وإذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون) .

نسأل الله أن يوفق الأمة المسلمة إلى الاستجابة للحق الذي أنزله الله ليحيوا في الدنيا حياة السعداء ، ويكون لهم في الآخرة جزاء الأوفياء .

رئيس التحرير

محمد الأباصيري

الصوم وغاياته التشريعية

للاستاذ / احمد عبدالرحيم السايح

ان الدين الاسلامي هو منهج الله الأمثل ، الذي يستهدف صنع الحياة والوجود على دعائم مكينة من الحق ، والعدل ، والخير ، والفضيلة .. ولقد جاء الاسلام وهو يتغيا هذه الغاية ، ويرمي إليها ، ويقود نحوها منهجا متكاملا ... لم يعرف البشر ، ولن يعرفوا منهجاً أمثل من منهج الاسلام ، وهو يبصر الناس بمكانهم من ربهم ، ومكانة ربهم منهم ... حيث يبين لهم ان الله ربهم وهم عباده .. ومن حق الربوبية إعظامها وإكبارها ومن واجب العبودية ان يعيش المرء في حجمه ، وان يشعر بمكانه ، وان يدرك طبيعته ، فهو مخلوق لربه الخالق . ومخلوق على هذا النحو ـ لإله له الجلال والكمال ، والجمال ـ لا بد من أن يشعر نحو ربه بكل الاعظام له ، والخشوع اليه من حيث كونه لذلك أهلا ، لما تميز به الانسان عن سائر الخلق بالمسؤولية والتكليف . وأنه لم ينزل الى هذا الوجود عبثا ، ولا صدفة : (**أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون**) المؤمنون ١١٥ وانما خلقه الله وجعل له رسالة ضخمة ، ووظيفة حيوية جاء لها مستعدا ولها مهيأً ...

ولهذا جاء الاسلام يستهدف الناس في منهجية متكاملة يتلاقى فيها الانسان مع ربه ، ونفسه ، وبيئته ، ومجتمعه .. نلمس ذلك جيداً في كل مجالات الاسلام في العقيدة ، والشريعة ، والأخلاق ، والسلوك ، وفي علائق الانسان بربه ، ونفسه ، ومجتمعه ... تشهد بهذا جميعا كل أركان الاسلام ، وقواعده من أولها الى آخرها ...

والصيام ـ وهو أحد هذه الاركان والفرائض التي فرضها الله على المسلمين وأمرهم بها ودعاهم اليها ـ تتمثل فيه هذه الجوانب ، ويستهدف هذه الأهداف بكل صور القصد ، والاحاطة ، والشمول ، وبجميع الأبعاد والأعماق في طوايا ومظاهر النفس ، والفرد والمجتمع ، والأمة .. يلبي داعيتهم ، ويغطي

حاجتهم ، ويصوغ الحياة والأحياء .. مع بقية قواعد الاسلام وأركانه، ويعيد تشكيلها على أسس من الطهر ، والنقاء والايجابية ، والبناء .. إن للصوم أهدافاً حيوية وغايات عملية ترتبط كلها أيما ارتباط بخواطر الوجدان والشعور ، وجوانب الاخلاق والسلوك ، وتدور جميعها في ذلك المنهج الرباني لبناء النفس ، وتكوين معالمها ، واعداد مقوماتها وصقل امرها لتنهض بأمانة الدين ، وامانة الدنيا .« الدين والحياة » ص ٤ عدد رقم ١٨٥ وزارة الاوقاف المصرية .

والتقوى بطبيعة الحال أول هذه الأهداف واوسعها دائرة وأكثرها حجما وأجزلها عطاء ، وابر ها بأمور الدنيا ، وأوفاها بشئون الآخرة ..

والتقوى الجامعة هي اجتناب كل ما فيه ضرر لأمر الدين والدنيا .. وتقوى الله في مدلولها العام ومفهومها الشامل ، ترجع الى اتقاء الانسان كل ما يضره في نفسه ، وفي اسرته ، وفي مجتمعه ، وما يحول بينه وبين المقاصد الانسانية والكمال الممكن في الدنيا والآخرة .. وما شرعه الله في رسالة الاسلام امرا ونهيا وسيلة لهذا الكمال النفسي ، والكمال الخلقي ، والكمال الفكري ، والكمال السلوكي .

ان التقوى هي العاصم الذي ينبثق من خلال الصوم ، وتنفجر ينابيعه ، وتتعدد معطياته في شمول وعمق ، بحيث تضع النفس والجوارح في مواجهة حقيقية ، واكيدة امام تبعاتها المسئولة وفي اطارها العام ..

إن للصوم كما لسائر العبادات في الاسلام غايات تشريعية أشارت اليها الآية القرآنية في قوله تعالى : **(يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) البقرة /١٨٣** .

واذا كانت التقوى حالة ايمانية . فان لها سمتين بارزتين : الصبر والايجابية . وان كان للصوم اهداف ومنافع للناس ، فهذه الأهداف والمنافع ليست المقصودة أساسا من وراء تشريع الله لفريضة الصيام في أيام معدودات ، وفي خصوصية معينة من شهر بالذات . اذ يمكن ان تتحقق تلكم الأغراض والأهداف في صوم آخر . وغير تلك الأيام المعدودات .... اذن للصوم غاية تشريعية ذات فاعلية في تربية المسلمين على « التقوى » .

(أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أمن أسس بنيانه على شفا جرف هار) التوبة /١٠٩

ان الاسلام لا يدعونا الى التقوى ، ولا يحضنا عليها إلا وهو يوجهنا الى بواعثها ويقودنا الى روافدها ، ويبصرنا بمواقع استلهامها ، ومواطن الحاجة اليها ، والعمل بها ، كخصلة جامعة تمسك لبنات المجتمع ، وتشد بنيانه ، وتوثق عراه ، وتحيله الى خلايا ايجابية حية ، ومتعاونة لا يقصر فيه المرء عن نجدة ، ولا يضيق بمروءة ولا يتبرم بهتاف ، ولا يطمع في حق ، ولا يفرط في واجب ، انما يعيش في امته تقيا نقيا خالصا صافيا .

فالاسلام الحنيف يدعونا في صيام شهر رمضان ان نمنح التقوى حقها الواجب وقدرها المستطاع ، من الطاقات والقدرات ، في النفوس والضمائر والاخلاق

والسلوك ، وفي شتى انماط الحياة ، وصور التعامل ... نسارع الى التقوى ونستبقها ، ونجعلها زادنا الى الله ، وعدتنا في طريقه . نستلهم منها يقظة الحس ، وحيوية النفس ، وصحوة الضمير ، واستواء الخلق واستقامة السلوك ...

إن تقوى الله تبارك وتعالى حين يحضنا الاسلام عليها ، ويدعونا اليها انما يدعونا إلى الوقاية الذاتية ، والمتابعة الأمينة ، والمحاسبة الدائبة ، والمراجعة الدقيقة لكل ما يصدر عن الانسان « الدين والحياة » عدد ٢٠٢ ص ٤ وزارة الاوقاف .. واذا كانت التقوى « هي الغاية التشريعية التي أشارت اليها الآية الكريمة بقوله تعالى : (**لعلكم تتقون**) واذا كانت التقوى هي حالة تتكون في النفس نتيجة للايمان بالله . **فما دور الصوم في ايجاد هذه الحالة** ؟ ..

ان الصوم هو المعاناة العملية لتوطين النفس ورياضتها على تربية النزعة الايمانية في الفرد والمجتمع . ويتخذ ذلك مظهرين :

أ ـ مظهر الرياضة على الصبر والخشونة في مواجهة الحياة ..

ب ـ مظهر المراجعة العامة ، وكشف الحساب مع النفس في دورة تدريبية أمدها شهر اسلامي « عربي » يتجه الانسان المسلم في هذه الدورة التدريبية الى الله طالبا العون على مواجهة التحديات ، ويتكاشف فيها الانسان مع نفسه ، محاسبا لها قبل ان تحاسب ثم يعود الى ربه تائبا منيبا .. (رسالة الاسلام عدد ١ و ٢ السنة الرابعة ص ٩ العراق) فاذا الضمير يقظ حي ، والنفس شفافة وصافية ، والوجدان دقيق ورقيق ، والشعور حساس ومرهف ، والصدر سليم ونقي ، والقلب طهور وزكي، والخلق سوي ، والسلوك رضي ، والمجتمع كله في قصد واستقامة وسلام وألفة ، وحب وايثار ، ومشاركة وجدانية ، رفيعة ، انها جميعا اشراقات للصوم يصل مداها الى كل بعد ، ويتغلغل اثرها الى كل عمق .

وايمان المسلم بالله سبحانه وتعالى ، وانه يعلم السر منه والعلانية يمثل رقابة ذاتية عملية ، لا يحتاج معها الى رقابة المخلوقين ...

والصائم بسلوكه تتربى عنده المراقبة لله تعالى ، حيث يخلو بالمفطرات ولا رقيب عليه إلا الله تعالى . قال تعالى : **(وهو معكم اينما كنتم والله بما تعملون بصير)** الحديد / ٤

فالله سبحانه وتعالى مع كل شيء ، في كل وقت ، وفي كل مكان . والمعية هنا حقيقة هائلة حين يتمثلها القلب ، حقيقة مذهلة من جانب ، ومؤنسة من جانب آخر . مذهلة بروعة الجلال ، ومؤنسة بظلال القربى ، وهي كفيلة وحدها حين يحسها القلب البشري على حقيقتها . ان ترفعه وتطهره ، وتدعه مشغولا بها عن اعراض الأرض . كما تدعه في حذر دائم مع الحياة والتحرج من كل دنس ومن كل اسفاف . الشهيد سيد قطب « في ظلال القرآن » جزء ٢٧ ص ١٥٨ الطبعة الأولى بمصر .

من اجل الله وحده يدع الصائم طعامه وشرابه وشهواته .... ومع صعوبة هذه المواجهة وكراهة النفس لها . فان الصائم يمضي في ممارسته يبعثه الايمان وتحرسه مراقبته لله ، من ضعف النفس ووساوس الشيطان . حتى تستضيء

النفس بنور الله .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (قال الله عز وجل : كل عمل ابن آدم له ، الا الصوم فانه لي ، وانا اجزي به ، والصيام جنة ، فاذا كان يوم صوم احدكم فلا يرفث ولا يصخب ، فان سابه احد او قاتله فليقل اني صائم اني صائم . والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم اطيب من ريح المسك) رواه البخاري واللفظ له ومسلم وفي رواية للبخاري «يترك طعامه وشرابه وشهواته من اجلي ، الصيام لي وانا أجزي به ، والحسنة بعشر أمثالها».

ومن هنا نفهم دور النية في الصوم ، وموقفها في هذه الدورة التدريبية حتى تتحقق استضافة الله للصائمين في شهر رمضان . وهي بلا شك استضافة لها خصوصية معينة مرتبطة بعطاء الصوم وتدور قبولا ورفضا مع نية الصائم فكم من صائم مطرود من ضيافة الله ؟ وكم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش ؟؟ ..

ففي ظل الايمان بالله تعالى وممارسة أوامره ، يجد الانسان نفسه غنيا عن رقابة البشر سعيداً بمراقبة الله ، فيسقط من نفسه التحايل والخداع ، واتخاذهما وسيلة للوصول الى مأرب شخصي ، او مغنم ذاتي . والذي يكون في ضيافة الله يكون قريبا من الله في اعماله وتصوراته ، وعواطفه ، وفي تعامله مع الكون ، وتفاعله مع الحياة ، وتواجده مع الانسان وكلما اوغل المسلم في الصوم ، وأدرك من أنوار الصيام ما أدرك ، وانتفع بالآثار تغلغل في ذاته ، وترسب في وجدانه الاحساس بهذه المعية : (**وهو معكم اينما كنتم**) والوجدان لهذه المراقبة ، كلما نما لديه شعور داخلي فإن هناك في أعماقه سلطة ذاتية بدأت في الوجود ، وباشرت على الفور العمل ، والحكم ، والتنفيذ . فالصائم بغاية الصوم التشريعية (**لعلكم تتقون**) مفوض عام من ربه ، ورقيب عام على نفسه ، وحارس عام على ضميره . ومن هذا المنطلق يعتبر الصوم مدرسة للسلطة الحيوية . يتلقى فيها المؤمن اكبر جرعة تطبيقية وعملية للقيادة ، ويلقن فيها بصورة سلوكية وواقعية أعظم منهج للامارة والادارة .

لقد تخرج في مدرسة الصوم رجال قاوموا في أنفسهم كل شهوة ، وفي مجتمعاتهم كل انحراف ... فسعدت بهم الحياة ، ولقنوها دروسا حية في النقاء والطهر ، ومراقبة الله الكبير المتعال ... هل سمعت نبأ الاعرابي الذي كان يرعى غنما في البادية وصاحبها غائب . فجاء من يريد شراء واحدة . فلم يوافق الأعرابي . فقال المشتري : إن صاحب الغنم غائب . وسأدفع لك الثمن . فيرد عليه الاعرابي الذي تربى في مدرسة الصيام : اذا كان صاحب الغنم غائبا فان الله حاضر لا يغيب ... الدين والحياة العدد ١٨٥ ص ٢٢

فالصوم له أثره البالغ على نفس المؤمن . يقوم بعملية الطهر الذاتي ، والنظافة النفسية ، والنقاء الوجداني ، والصقل الفطري حيث يضبط حركة النفس ، وأعمال الجوارح ومظاهر الخلق والسلوك على ما وقر في القلب من جوهر الحق ،

ومعالم الخير ، وموازين الفضيلة ، ومبادىء الاسلام .

يتعلم المؤمنون في مدرسة الصوم كيف يضبطـون انفسهم ، ويكبحون جماحهم ، وينظمون غرائزهم ، ويستعلون على شهواتهم ، ويبدلون نزواتهم ، ويعدلون وجهتها نحو الكمال .

فاذا بالمسلمين على مدى شهر الصيام في نتاج اخلاقي ، وسلوك اسلامي رفيع يأخذ خطا بيانيا صاعدا ، وحداته ألوان للفضيلة وصور موضوعية للحق .

وان الصيام دعوة مفتوحة للمؤمنين كافة ، غنيهم وفقيرهم ، حـاكمهم ومحكومهم ، الى ضيافة الله . ببطاقة اسمها « التقوى » وهذه الدعوة السنوية ان وجدت مناسبتها في رمضان المبارك بوصفه شهر القرآن الا انها ستبقى نافذة المفعول تتجدد بالاستعمال عبر الزمان والمكان لتسحب عطاء هذا الشهر الى أشهر العمر كلها ، تقربا من الله ، ودنوا من رحمته ، واعمالا لنظامه (رسالة الاسلام عدد ١ السنة الثالثة ص ٨ العراق) .

وسوف لا يجد المسلم كالصيام أمرا يفي بكل هذا ، ويعين عليه ، ويساعد على تطهير النفس ، وتنظيف وعائها ، والافادة من عطاء الله في الوحي والكون ، والوصول بالنفس الى غاية التقوى وذروة الخشية ، ثم تحويلها الى صور عملية ونماذج سلوكية يتردد صداها في أرجاء المجتمع ، وتخلف بصماتها على وجهه ، وتعكس آثارها على كل خلية من خلاياه ، وكل داعية من دواعيه والميزان الذي يوزن به الانسان ليكون انسانا على الحقيقة هو الميزان الاسلامي الذي ينحصر في « التقوى » والتي اشبعها القرآن الكريم ذكراوترد يدا وتصريفا واشتقاقا . وهذا يعطي حقيقة واضحة وهي ان كلمة التقوى بمفهومها ومدلولها وتصريفاتها واشتقاقاتها ، أمراً ومصدراً ومفعولاً واسم فاعل ومضافة ومفردة وجمعا ، وفعلا واسما قد اشتملت على كل القيم الهادفة لصلاح الانسان .

وثمرات التقوى كثيرة ، وفوائدها في الدنيا والآخرة جليلة . ومن ذلك البشرى والعون ، والنصر ، والعلم ، والحكمة ، واليسر ، والسهولة والخروج من الغم والمحنة، والأمن والاطمئنان ، والرزق الواسع ، والفوز بالمراد ، والنجاة من العذاب ، والتوفيق ومغفرة الذنوب ، والفلاح ، ونيـل الوصـال ، والبشارة بالكرامة ، والصفاء ، وكمال العبودية والأمن من البلية ، وزوال الخوف والحزن ، والتأييد والنصر ، والفرقان والحفظ من كيد الاعداء ، والاجر العظيم الى غير ذلك من النتائج والمسببات .

ويوم أن كان المسلمون أتقياء ، وعاملين بتعاليم الاسلام ، لا تفرقهم الاهواء السياسية والأحزاب القومية ، والمذاهب الانسانية ، يومها كانوا قوة لا تضارعها قوة . لقد استطاعوا في سرعة مدهشة ان ينشروا الاسلام في شعوب كانت تائهة في عماء الوثنية والجهل ، كما تمكنوا من رفع الظلم والتسلط والاستعباد الواقع على الشعوب وان الامة الاسلامية تواقة الى وعي القيم الاسلامية التي تمكنت في الماضي من جعل الامة الاسلامية خير أمة أخرجت للناس ...

مع القرآن

القرآن وشهر رمضان وليلة القدر : موضوعات ثلاثة تسلك خيطا واحدا .. أو موضوع واحد يتوسط ثلاثة أفرع .. أي ذلك قلت كنت على صواب ، فأينما ذهبت تدير العلاقة بينها فأنت على نحو مما قلنا ، فان قلت ليلة القدر فقد جمعت القرآن الكريم الى الشهر الكريم .. وإن قلت شهر رمضان فقد جمعهما اليه جميعا .. وان قلت القرآن الكريم فقد جمع ليلة القدر الى شهر رمضان .. فوجه الطرافة في هذه العلاقة ، انها دائما ذات وجهين ، فهي موضوعات مستقلة مترابطة .. مجتمعة متفرقة .. تحسبها شتى وهي جميع .. وتحسبها جميعا وهي شتى ... وأوسط الخيط يجمعها الى بعضها .. هو القرآن الكريم .. الذي تجد فيه قول الله تعالى : (**إنا أنزلناه في ليلة القدر**) وتجد فيه قول الله تعالى : (**شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن**) البقرة ، فتجد الدليل قاطعا على أن ليلة القدر هي من ليالي رمضان ... ولهذا .. أنت معي في صحبة مع القرآن ... في شهره ... و ... القرآن ... في ليلته .

القرآن في شهره

قال تعالى : (**شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان**) البقرة/ ١٨٥ ولما كان الحق عز وجل هو الذي جعل للشهر

في شهره وفي ليلته

للاستاذ/ محمد فوزي حمزة

الكريم هذه المنزلة الرفيعة وافرده دون غيره بهذا التكريم ، فقد رأينا مناسبا أن نقف هنيهة عند تسميته : « شهر القرآن » ، فانه قد علم ان : (**شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن**) هو ذات الشهر الذي أنزلت فيه الكتب السماوية السابقة ، اذ جاء في تفسير القرطبي ص ٨٤ انه : « نزلت صحف ابراهيم اول ليلة رمضان ، وأنزلت التوراة لست مضت من رمضان ، والإنجيل لثلاث عشرة » فلماذا إذن اختص القرآن وحده باطلاق اسمه دون غيره على الشهر الكريم ؟ هذا سؤال فرض نفسه أمامنا في هذه المناسبة ، فقلبناه على أكثر من وجه وكان آخر ما قر عندنا في شأنه ما يأتي :

اولا : إن القرآن هو الكتاب الجامع :

فهو الجامع لكافة الاهداف التي من أجلها أنزل ومن أجلهاانزلت الكتب السابقة وهي الدعوة الى توحيد الله وعبادته وتنزيهه عن منازل خلقه ونوادر ملكه ، وكذلك لتكون شريعة صالحة يتعامل بها الناس فيما بينهم وبين بعضهم وفيما بينهم وبين ربهم تضمن لهم صلاح أحوالهم وحسن معاشهم ، تلك هي المقاصد النبيلة التي أريدت من تنزيل الكتب السماوية كلها ، وآخرها القرآن الكريم الذي جاء جامعا

لأهدافها جميعا ، شاملا لمضمونها جميعا ، متضمنا لحكمتها مصدقا لآياتها ومهيمنا عليها قال تعالى : (**وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق**) المائدة/ ٤٨ ، وقال تعالى : (**والذي أوحينا إليك من الكتاب هو الحق مصدقا لما بين يديه إن الله بعباده لخبير بصير**) فاطر/ ٣١ وقال (**الله لا إله إلا هو الحي القيوم . نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والانجيل**) آل عمران/ ٢ و ٣ ففي القرآن الغنى عما في سواه ، ولهذا لم يكن فقط مصدقا لما قبله من الكتب وإنما كان - أيضا - مهيمنا عليها ، ناسخاً لها ، مبقيا هديه الذي شمل هديها جميعا .

ثانيا : القرآن وحده هو الذي سلم من التبديل :

اما سواه من الكتب فقد عدت عليها يد البشر بما تناولها به من التبديل والتحريف ، وسنضرب المثل لما نريد مما وقع فالتوراة التي بين أيدينا الآن إن هي الا طبعات حديثة للاسفار التي كتبها أحبار اليهود في أسر « بابل » ، وقد فصل في ذلك كثير من المنظرين وقدموا أدلتهم ، أما التوراة التي أنزلت على موسى فكانت قد نسى أمرها وضاعت الواحها وتلاشت بالجملة الى ان تقدم بعض الكهان الى الملك ودفعوا اليه ببعض الألواح زاعمين انها هي « سفر الشريعة » ، وجده خدام الهيكل بطريق الصدفة ، شهدت بذلك الرواية اليهودية نفسها ، إذ صورت مشهر الملك وهو يتناول هذه الأسفار من كهانه ، وكان ذلك في عهد الملك « يوشيا » ، ويكفيك لكي تعرف المدة ما بين ضياع التوراة من عهد موسى وبين هذه الألواح التي قدمت للملك على زعم أنها « سفر الشريعة » ، ان تعرف ان ذلك كان في الاصحاح الرابع والثلاثين من الكتاب الرابع عشر من العهد القديم ، وان مُلك يوشيا هذا كان بعد وفاة موسى بأكثر من سبع مئات من السنين ، فالتوراة اذن لم تسلم من التبديل ، وقد سجل القرآن الكريم أطرافا من هذا التبديل قال تعالى : (**فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون**) البقرة/ ٥٩ وقال : (**فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهمَ مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون**) البقرة/ ٧٩ وكالذي حدث للتوراة فقد حدث للكتب الاخرى غير القرآن .

أما القرآن فهو الكتاب الذي أنزله الله وحفظه من الضياع و التبديل وجعل في حكمته أن يحفظه وهو القائل : (**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**) الحجر / ٩ . ووفر له من الضمانات ما يضمن لمصحفه المكنون أن : (**لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه**) فصلت / ٤٢ . وملخص ذلك انه سبحانه أنزله على نبيه عليه الصلاة والسلام وألهمه ان يتخذ حفاظا وكتابا فاتخذهم صلى الله عليه وسلم حتى لا يضيع من كلام الله وكان أشهرهم عبد الله بن مسعود وسالم ومعاذ وأبى بن كعب ، ثم أقام رب القدرة عنايته ترسل جبريل عليه السلام كل عام

ليراجع عليه النبي القرآن في رمضان ، وفي البخاري : « كان جبريل عليه السلام يلقاه كل ليلة في رمضان حتى ينسلخ يعرض عليه النبي القرآن » وقد ظل كذلك الى أن قبض .

ثم بعد أن قبض صلى الله عليه وسلم تنبه الراشدون الى ضرورة جمع القرآن ، نبههم الى ذلك أن القتل استحر يوم اليمامة بالحفاظ فتيقنوا من ضرورة جمعه مكتوبا وعهد ابو بكر بذلك الى زيد بن ثابت وقد كان يكتب الوحى من قبل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال زيد : « فو الله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل على مما أمرني به من جمع القرآن .. فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال» الخبر بطوله في البخاري - فضائل القرآن باب / ٣ ، حتى اذا كانت خلافة عثمان نسخت مما جمع زيد نسخ متعددة وأرسلت الى الأمصار ، فأمر عثمان زيد بن ثابت وسعيد بن العاص وعبدالله بن الزبير وعبدالرحمن بن الحارث بن هشام أن ينسخوها في المصاحف وقال لهم : « إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في عربية من عربية القرآن فاكتبوها بلسان قريش فإن القرآن أنزل بلغتهم » البخاري - فضائل القرآن باب ٢ . ففعلوا .

ثم استمر الى اليوم نسخه وطبعه كما هو بكل حروفه وكلماته بل وبالرسم العثماني ذاته ، وتوفرت عليه الهيئات الدينية والعلمية مراجعة ومراقبة لطبعاته وتحصيلا وتدقيقا في آياته وتحليلا وشرحا في علومه ... الخ ، أبعد هذا يضيع القرآن ؟ كلا وألف كلا والله تعالى هو الآخذ على عهدته مهمة حفظه من الضياع أو التبديل ، وهو القائل جل جلاله : **(إنا نحن نزلنا الذكر و إنا له لحافظون)** .

ثالثا : كتاب أنزل للناس كافة :

فالقرآن هو الكتاب المنزل بالرسالة الاسلامية ، والرسالة الاسلامية تميزت على سائر الرسالات بأنها الرسالة العالمية التي انزلت من السماء لتكون هدى ورحمة للعالمين ، فلم تكن هذه الصفة لتتوفر لرسالة من قبلها ، إذ كانت كل رسالة فيما قبل مخصوصة بأهلها ، وكان كل نبي بعث من قبل مخصوصا بقومه ، الا نبي البر صلى الله عليه وسلم أرسله ربه : **(بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله)** الفتح / ٢٨ ، وبعثه في كافة أمم الارض ، بل وفي الثقلين جميعا وقد قال تعالى : **(وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)** الأنبياء / ١٠٧ ، .
فالرسالة التي أنزل معها القرآن لم تكن لشعب دون غيره أو لاقليم دون سواه ، صحيح أنها انزلت في جزيرة العرب وأنزل كتابها بلسانهم على قلب واحد منهم ، ولكنها مع ذلك جاءت لتكون هداية لكل شعوب الأرض أنى وجدوا في اقاليمها ، وأيا عاشوا من أزمانها ... وان بعضا من المستشرقين حاول أن يقصر الرسالة على اقاليم العرب دون سواها معتمدا على موطن الرسالة ولغة كتابها ، فزعم أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن في أول أمره يجاهر بأنه مرسل الى

الناس كافة وأنه لم يعلن ذلك الا بعد أن تحقق له النصر على قومه من العرب ، ولكن الذي زعم ذلك كان غافلا عن قوله تعالى : (**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**) وقوله تعالى : (**قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا**) الأعراف / ١٥٨ ، وقوله تعالى : (**تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً**) الفرقان / ١ ، وقوله تعالى : (**إن هو إلا ذكر للعالمين**) ص / ٨٧ ، تلك الآيات التي نقلناها ترد دعواهم وقد كانت جميعها لسوء حظهم من القرآن المكي ، أي قبل أن يتاح للنبي النصر . على خصومه من العرب .

رابعا : القرآن هو الكتاب الخاتم :

أليس كتاب الرسالة الخاتمة ، أنزل على قلب خاتم النبيين ؟ بلى هو كذلك فالرسالة الاسلامية « ليست رسالة موقوتة بعصر معين أو زمن مخصوص ينتهي أثرها بانتهائه كما كان الشأن في رسالات الانبياء السابقين .. فقد كان كل نبي يبعث لمرحلة زمنية محدودة حتى اذا ما انقضت ، بعث الله نبيا أخر » وقد كانت كثيرة هى الاسباب التي دعت الى تعاقب الأنبياء والرسالات ، منها تعدد الأقوام وتباعد مواقعها على الارض فكان الامر يحتاج الى نبي لكل منهم حتى اذا بعث احدهم في قومه لم يتيسر له نقل دعوته الى قوم آخرين ، ومنها تباعد أزمنة هذه الرسالات ودثور تعاليمها في الناس فكان الامر يحتاج الى إتباعها برسالة أخرى تقيم ما انهدم وتصلح ما اعوج ، وربما كان منها ان كل رسالة كانت تصاغ شريعتها لتوافق عصرها فكان تعاقب الأعصر وتجددها يلجىء الى تتابع الرسالات وتجديدها ، ومنها غير ذلك .. اما الرسالة الاسلامية فهى الرسالة الخالدة التي جعلها الله لتبقى بقاء الدهر الى يوم القيامة ، فهى تتضمن هداية الله الأخيرة للبشرية « فليس بعد الاسلام شريعة ، ولا بعد القرآن كتاب ، ولا بعد محمد نبي ، ولم يسبق لنبي قبل محمد صلى الله عليه وسلم أن اعلن أن رسالته هى الخاتمة وأن لا نبي بعده ، بل بشرت التوراة بمن ياتي بعد موسى وبشر الإنجيل بمن ياتي بعد عيسى .

وفي هذه المعاني جميعا يقول الإمام الشهيد حسن البنا : « إنها الرسالة التي امتدت طولا حتى شملت آباد الزمان وامتدت عرضا حتى انتظمت آفاق الأمم ، وامتدت عمقا حتى استوعبت شؤون الدنيا والآخرة » ، والقرآن كتابها العظيم ، ولهذا كله لم يقر لنا ان نطلق على الشهر أيا من اسماء الكتب الأخرى ، ولا حتى اسمها جميعا فيقال : « شهر الكتب السماوية » وإنما وجدنا مناسبا أن يقال « شهر القرآن » ، الكتاب الخاتم ، الذي سلم من التبديل منذ أنزل للناس كافة وجاء مصدقا لما أنزل قبله .

خامسا : هو الحق ، المعجز ، البشرى للمسلمين :

قال تعالى : (**وإنه لحق اليقين**) الحاقة / ٥١ ، وهو الذي اعجزت الناس

بلاغته ومنطقه وسمعته الجن فقالوا : (**إنا سمعنا قرآنا عجبا . يهدي إلى الرشد**) الجن / ١ و ٢ . وسمعه بعض العرب ولم يكن مؤمنا فقال : « إن لمنطقه لحلاوة وإن عليه لطلاوة » وهو الذى تكلم عن نفسه معجزا فقال : (**وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين**) البقرة / ٢٣ ، وكيف يأتون بسورة من مثله وهو الكتاب الذي قيل فيه : (**قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا**) الاسراء / ٨٨ .

والقرآن هو البشرى للمسلمين ، المفحم للمكذبين ، قال فيه رب العالمين : (**قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين**) النحل / ١٠٢ ، إنه هو القرآن : (**وإنه لتذكرة للمتقين**) الحاقة /٤٨ ، أما المكذبون الضالون فقد قال رب العزة : (**وإنا لنعلم أن منكم مكذبين . وإنه لحسرة على الكافرين . وإنه لحق اليقين . فسبح باسم ربك العظيم**) الحاقة / ٤٩ ـ ٥٢ .

الهدى والبينات :

ثم نرى،ونحن بين يدى « شهر القرآن » ، أن نقف عند معنى تنزيله في رمضان ، ومعنى أنه هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، فاما معنى تنزيله فهو ما سنؤجله حتى نصل الحديث عن « ليلة القرآن » ، واما معنى ان القرآن الكريم هدى للناس وأنه بينات من الهدى والفرقان ، فذلك ما سننقل اطرافا مما قيل شرحا لمعناه ، ثم نبين وجهتنا الخاصة في فهم الآية الكريمة ، ولكن ننبه مسبقا الى أن محور فكرتنا هو ورود لفظ الهدى في الآية مرتين ، وقد يدخل في معنى هذا التكرار أنه يفيد التأكيد ، ولكن لا نظن معناه يقف عند هذا الحد ، وذلك يبين على نحو ما سنرى .

في تفسير ذلك التكرار جاء في تفسير الخازن « ذكر أولا أنه هدى ثم الهدى على قسمين تارة يكون هدى جليا وتارة لا يكون كذلك ، فكأنه قال هو هدى في نفسه ثم قال هو المبين من الهدى الفارق بين الحق والباطل .. » الى أن قال « إن القرآن هدى للناس على الإجمال وبينات من الهدى والفرقان على التفصيل ، لأن البينات هى الدلالات الواضحات التي تبين الحلال والحرام » .

وقال في الفتوحات الالهية ما أفاد أن لفظ الهدى أولا خاص بالأحكام الاعتقادية ، وأن الهدى ثانيا هو في الأحكام الفرعية .

وفي تفسير المنار ما أفاد أن كتب الله كلها هدى ولكنها ليست في بيانها كالقرآن فهو يمتاز على سائر الكتب السماوية بأنه آيات بينات من الهدى الذي توصف به كلها وبينات من الأمر الإلهي الذي يفرق بين الحق والباطل .

وأفاد القرطبي ان عطف « بينات من الهدى » على « هدى للناس » هو من قبيل عطف الجزئيات على الكليات ، وأن الهدى الأول مقصود به القرآن في جملته من محكم ومتشابه وناسخ ومنسوخ ، وأن البينات من الهدى مقصود بها الحلال

والحرام والمواعظ والأحكام .

وقال الطبرى « وأما قوله هدى للناس فانه يعنى رشادا للناس الى سبيل الحق وقصد المنهج ، واما قوله بينات من الهدى فانه يعنى واضحات من الهدى .. » الى أن قال « وقوله الفرقان يعنى الفصل بين الحق والباطل » .

هذا اختصار ما اخترناه لنثبته هنا مما اطلعنا عليه في تفسير هذين اللفظين وما استغنينا عن اثباته اتفق معها في فكرة الفصل بين معنى اللفظ في المرتين ، فهو ليس مجرد تكرار يفيد التأكيد فحسب ، وفكرة الفصل هذه التي اعجبتنا واتفقت فيها وجهتنا مع ما نقلنا من التفسير ، ولكن وقفنا بين كل هذه التفسيرات فلم تبلغ بنا المدى الذى نريده ، والذى نريده هو أن اللفظ في المرة الاولى تقرير بان القرآن هدى وهو تقرير للناس كافة ، أما الإبانة في المرة الثانية عن أنه « بينات من الهدى والفرقان » فهى خطاب للعلماء خاصة واشارة لهم واثارة لملكات البحث فيهم ، ليتدبروا القرآن ويتتبعوا تفاصيل الهدى في آياته البينات ، واذا كان التقرير بأن القرآن « هدى للناس » يغنى في خطاب العامة ، فان العلماء والخاصة اذا ما تلقوا هذه الإشارة التي ذكرنا فلاشك ستتنبه فيهم طبيعة البحث والتحرى التي جبلوا عليها وتدفعهم دفعا الى تمحيص آياته ومدارسة بيناته ليحصلوا منها ما يرضى طبائعهم المحبة للتعلم ، وهذه هى الفكرة التي ارتضيناها أيما رضاء ، لا سيما أنها تنبثق من اعتبار فكرة الدعوة الى التفكير والتعلم والتحصيل ، تلك الدعوة التي عنيت بها الرسالة الاسلامية أيما عناية حتى أن بعض المفكرين ليقول إن العلم فريضة في الاسلام .

والتفسيرات التي سقنا منها اختصارا بعضها ما اقترب من هذا المعنى وبعضها ما لم يهدنا إليه ، والذي اسعفنا بمعنى قريب جدا من ذلك ما ذكر في تفسير الميزان من تفسير لفظ « الناس » قبل تفسير لفظ « الهدى » ، ففسر الناس في الآية على أنهم العامة الذين لا يسعهم إدراك الأمور المعنوية بالحجة والبرهان ، وأما الخاصة المستكملون لناحيتي العلم والعمل ، فالقرآن بينات في حقهم وشواهد من الهدى والفرقان ، ومن ثم فإن وجه المقارنة بين اللفظ أولا واللفظ ثانيا هو - حسب الميزان - من نوع المقارنة بين العام والخاص والتفرقة بين العامة والعلماء ، فالهدى خطاب لهؤلاء ، والبيانات من الهدى هى الخطاب للآخرين .

مع القرآن في ليلته :

بلغنا الحديث إذن عن ليلة القرآن .. هى ليلة القدر اكتسبت قدرها لما قدر فيها من امور الدنيا وشئون الخلق .. وهذا لا يمنعنا من أن نطلق عليها أيضا « ليلة القرآن » .. أليست ليلة الفرقان التي (**فيها يفرق كل أمر حكيم**) ؟ بلى والفرقان من أسماء القرآن ، قال تعالى : (**انا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين . فيها يفرق كل أمر حكيم . أمرا من عندنا إنا كنا مرسلين**) الدخان / ٣ - ٥ فتلك ليلة القدر كما ذكرت بالوصف ، وقال عز من قائل : (**إنا أنزلناه في ليلة القدر . وما**

أدراك ما ليلة القدر . ليلة القدر خير من ألف شهر . تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر . سلام هى حتى مطلع الفجر) سورة القدر ، فتلك ليلة القدر كما ذكرت بالاسم والوصف والفضل معا .. تلك آيها ولا نزعم أننا سنخوض في تفسيرها ، فالقدرة على التفسير منزلة رفيعة لا ندعيها ، ولكنا ـ فقط ـ سنبين فيما نريد من الحديث عن « القرآن في ليلته » .

تلك هى الليلة التي أنزل فيها القرآن ، والبيان في هذا جلى فيما أوردنا من آيات ، واذا أردنا الموقف عند معنى تنزيل القرآن في ليلة القدر فليس لنتوسط المعاني اللغوية المترادفة لكلمة (أنزلناه) ... ولا لنتعقب التصريفات المتعددة لمادة (نزل) .. ولكن لنبين ، ما نستريح اليه في هذا المعنى ، وكعادتنا ، سنطالع ما يتاح لنا من التفسير لعلنا يأتينا ما لم نحط به خبرا ، ثم ننتقل بعد ذلك الى وجهتنا الخاصة .

كثير منهم غلبت على تفسيره قواعد الفقه ، كما قال في البخاري : « إن الهاء كناية عن القرآن إنا أنزلناه مخرج الجميع والمنزل هو الله تعالى والعرب تؤكد فعل الواحد فتجعله بلفظ الجميع فيكون أثبت وأوكد » البخاري ـ تفسير سورة القدر ، وعلق السندى فقال : « قوله مخرج الجميع فيكون اي خرج مخرج صيغة الجمع وإن كان المنزل هو الله الواحد الأحد تعظيما له ، ليتوسل به الى تحقيق الأمر ، وانه نازل من عظيم لا يكتنه كنهه جل ذكره وثناؤه » .

وقال في التفسير الواضح : « وبعضهم فسر نزول القرآن في شهر رمضان وانه نزل في ليلة القدر المباركة التي هى خير من الف شهر بأن القرآن نزل الى سماء الدنيا في ليلة القدر وليلة القدر في شهر رمضان » التفسير الواضح ج ١ : ص ١٠٠ .

وورد في تفسير القرآن العظيم ما نصه : « قال ابن عباس وغيره انزل الله القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ الى بيت العزة من السماء الدنيا ثم نزل مفصلا بحسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة » تفسير ابن كثير ٤:٥٢٩

اما في جامع البيان فانه قال « قال الشعبى : المعنى انا ابتدأنا انزاله في ليلة القدر ، وقيل بل نزل به جبريل عليه السلام جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ الى سماء الدنيا والى بيت العزة واملاه جبريل على السفرة ثم كان جبريل ينزله على النبي صلى الله عليه وسلم نجوما نجوما وكان بين أوله وآخره ثلاث وعشرون سنة .. « ثم انتقل الى واسطة تنزيله فحكى طرفا من ملحمة دارت بين ابن عباس وابن العربي قال الاول ـ حسب ما روى عند الماوردى ـ : « نزل القرآن في شهر رمضان وفي ليلة القدر في ليلة مباركة جملة واحدة من عند الله من اللوح المحفوظ الى السفرة الكرام الكاتبين في السماء الدنيا ، فنجمه السفرة الكرام الكاتبون على جبريل عشرين سنة ، ونجمه جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم عشرين سنة » وقال الثاني : « وهذا باطل ليس بين جبريل وبين الله واسطة ولا

بين جبريل ومحمد عليهما السلام واسطة » .

وأما في الكشاف قال ان قوله تعالى (**إنا أنزلناه في ليلة القدر**) « قد عظم القرآن من ثلاثة اوجه احدها : انه اسند إنزاله اليه وجعله مختصا به دون عيره ، والثاني : انه جاء بضميره دون اسمه شهادة له بالنباهة والاستغناء عن التنبيه عليه ، والثالث : لرفع مقدار الوقت المناسب الذي أنزل فيه ، روى انه انزل جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا وأملاه جبريل على السفرة ثم كان ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم نجوما في ثلاث وعشرين سنة .

واما فضيلة الاستاذ الشيخ محمد متولي الشعراوي ـ بعد أن استعرض مادة نزل ومختلف احوالها ومشتقاتها مستخلصا من قوله تعالى : (**إنا أنزلناه**) بضمير الجماعة واسناد الفعل الى رب العزة جل شأنه ـ فإنه يقول : « الذي حدث في ليلة القدر انها ساعة الفصل الاولى من عالم الغيب الى عالم الشهادة الاولى ، انه انزل ليلة القدر وتنزله أيضا الى السماء الدنيا كان ليلة القدر ، ونزل نجوما كل سنة تأتي بها السفرة وتسلمها لجبريل كل ليلة قدر ... » .

ذلك اغلب ما أتيح لنا الاطلاع عليه .. وقد اتفقوا ـ كما نرى ـ في ان القرآن أنزل من السماء في ليلة القدر ، سواء بدأ تنزيل أوائله فيها ثم تتابع نزوله وفقا للمناسبات ، أو أنزل كله فيها الى بعض السماوات ثم تفرق نزوله الى الارض بتفرق اسباب النزول ، المهم ، إننا كنا نطمع أن يتجاوز التفسير ذلك المدى فلا يقف عند المعنى المادي لمادة (نزل) فانه لا يغنينا كثيرا ما يسعف به هذا المعنى ، وان له لدلولات اخرى لم يشر اليها ما قدمنا من اطراف التفسير وكان اولى ان ينبهوا اليها خصوصا وان القرآن نفسه اشار الى بعضها ودل عليها مجازا بنفس اللفظ ، قال تعالى : (**وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس**) الحديد / ٢٥ ، والحديد كما نعلم مدفون في الثرى وليس هابطا من السماء ، وانما المعنى الجليل ان المنعم الباري أنعم على خلقه بما اوجد لهم من هذا المعدن النافع ، و « قربه » اليهم وجعله في متناولهم و « هداهم » الى سبيل منافعه ، وكذلك قال تعالى ، وهو يذكر بني اسرائيل بنعمته عليهم : (**وأنزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم**) البقرة / ٥٧ . ومعناه ان الله تعالى ساق اليهم ذلك الرزق واتى به من حيث كان و « قربه » اليهم و « هداهم » الى أكله فاطعمهم من الجوع ونجاهم من الهلاك .

وبذات الوصف أحببنا ان نتجاوز المعنى المادي لهذا اللفظ ، وان نفهم من بين معاني (تنزيل) القرآن (تقريبه) للناس و (هدايتهم) الى سبيله وهو ما استلزم الوحي به الى نبي منهم ليبلغه لهم ويدلهم على سبيل هديه وطريق هداه ، أما قال تبارك وتعالى : (**فانما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا**) مريم / ٩٧ وقال : (**وإنه لتنزيل رب العالمين . نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربي مبين**) الشعراء / ١٩٢ ـ ١٩٥ .

ثم دعنا نقول إن في قوله تعالى : (**إنا أنزلناه في ليلة القدر**) معنى تنزيل

القرآن ليلا وليس في النهار . وهذه حكمة بالغة استلزمت الا ينزل منهاج الحق في صخب النهار ، الذي تقتضي حركة الحياة والضرب في الارض والسعي على الرزق أن يكون مبصرا ، وإنما في هدوء الليل وسكون الحياة حيث يكون الانسان خاليا بنفسه هادئا متأملا فيكون أقدر على جمع مواهبه عليه دون ان يتوزع بعضها - كذهنه أو قلبه أو مشاعره - الخ - بين هموم الدنيا ومشاغل الرزق .

اي ليلة هي ؟

مر بنا ان ليلة القرآن ذكرت بالوصف في قوله تعالى : (**إنا أنزلناه في ليلة مباركة**) . الآيات ، وبالاسم في قوله تعالى : (**إنا أنزلناه في ليلة القدر**) الى هنا ولم يذكر موقعها من شهور العام ، وقد ذكر ضمنا في قوله تعالى : (**شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان**) ، فهي إذن احدى ليالي رمضان ، لم يختلف على ذلك أحد ولم يقل بغير ذلك أحد ولم يرد بغير ذلك خبر إلا خبر واحد يقول : « عن ذربن حبيب يقول : سألت أبى بن كعب رضى الله عنه فقلت ان اخاك ابن مسعود يقول من يقم الحول يصب ليلة القدر .. ومعناه انه لا يخص بها رمضان وان موقعها من العام يلتبس بين الشهور ، ولكن هذا اللبس سرعان ما يزيله بقية الخبر ذاته ، إذ أجاب أبى بن كعب فقال « ... رحمه الله أراد ألا يتكل الناس ، اما انه قد علم أنها في رمضان وانها في العشر لأواخر .. » ثم ان ابن كعب « .. حلف لا يستثنى انها ليلة سبع وعشرين .. » قال سائله : « فقلت باي شيء تقول ذلك يا أبا المنذر ؟ » قال « بالعلامة أو بالآية التي اخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها تطلع يومئذ لا شعاع لها » الخبر بطوله في صحيح مسلم - كتاب الصيام - باب فضل ليلة القدر .

فاما انها من رمضان فهذا مفروغ منه ، وما نظن ابن مسعود رضى الله عنه إلا كان يريد أن يدفع الناس الى حسن العبادة طول العام ، اما انها ليلة سبع وعشرين « بالذات » كما قال ابو المنذر وكما « حلف لا يستثنى » ، فهذا ما لم نجد له دليلا قاطعا وان تعارف الناس عليه واما الصحاح في موقعها من رمضان ، فهو ما ورد في الحديث الشريف من أنها في السبع الأواخر أو التسع الأواخر او العشر الأواخر واليك ما ورد في كل ذلك من الحديث :

عن ابن عمر رضى الله عنه ان : « رجالا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أروا ليلة القدر في المنام في السبع الأواخر من رمضان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارى رؤياكم قد تواطأت فمن كان متحريها فليتحرها في السبع الأواخر » رواه مسلم في صحيحه .

وعن الزهرى بن سالم عن ابيه رضى الله عنه قال : « رأى رجل ان ليلة القدر ليلة سبع وعشرين فقال النبي صلى الله عليه وسلم أرى رؤياكم في العشر الأواخر فاطلبوا في الوتر منها » رواه مسلم في صحيحه .

وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « ان ناسا منكم قد أروها في السبع

الأو ل وأرى ناسا منكم أنها في السبع الغوابر فالتمسوها في العشر الغوابر » رواه مسلم في صحيحه .

وعن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال«تحينوا ليلة القدر في العشر الأواخر أو قال في التسع الأواخر » رواه مسلم في صحيحه .

في احدى هذه الليالي .. ليلة القدر .. إنها ليلة مباركة .. إنها .. « **خير من ألف شهر ، تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر . سلام هى حتى مطلع الفجر** » .

هو الفصل :

سقنا الكلام عن « شهر القرآن » و « ليلة القرآن » وبقى ان نتكلم عن القرآن ذاته ، لنقول كما جاء في الخبر انه « هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ، هو حبل الله المتين ، ونوره المبين ، والذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، هو الذي لا تزيغ به الاهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا تتشعب منه الآراء ، ولا يشبع منه العلماء ولا يمله الأتقياء ، ولا يخلق على كثرة الترداد ، ولا تنقضى عجائبه ، من علم علمه سبق ، ومن قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن عمل به أجر ، ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم».

ذو الفضل :

ولنقول إن القرآن بجملته درجة واحدة « لا نهائية » من الفضل والمنزلة ، وقد ورد في الخبر ان لبعض السور أفضالا اختصت بها دون غيرها إلا أننا لا نظن معناه أن ما لم يذكر فضله منقوص الفضل أو خال منه ، فما من سورة ـ وما من آية وما من حرف الا كانت من الله فضلا علينا عظيما ، ومع ذلك لا يسعنا الا ان نورد السور التي ذكر فضلها وما ذكر منه .

فعن فاتحة الكتاب ورد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال أعظم سورة من القرآن : « قال الحمد لله رب العالمين هى السبع المثاني والقرآن العظيم الذي اوتيته » البخاري فضائل القرآن باب ٩ ، وفي سورة الكهف ورد أن رجلا كان يقرؤها فشهد أحوالا ذكرها للنبي صلى الله عليه وسلم فقال « تلك السكينة تنزلت بالقرآن » رواه البخاري ، وورد « انما الآيتان من آخر البقرة من قرأ بهما في ليلة كفتاه » رواه البخاري ، وعن فضل آية الكرسي وهى من البقرة ايضا « اذا أويت الى فراشك فاقرأ آية الكرسي لن يزال معك غير الله حافظا ولا يقربك شيطان » البخاري فضائل القرآن باب ١٠ . وقيل قل هو الله احد « تعدل ثلث القرآن » رواه البخاري وقيل « تعدل ثلث القرآن أو تعدله » رواه الدارمى وسيرد قوله صلى الله عليه وسلم«إنها مجلبة للمغفرة » وأن « قل يا أيها الكافرون » براءة من الشرك ،

وورد في المعوذات أن النبي صلى الله عليه وسلم « كان اذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات » رواه البخاري ويقول « لقدانزلت على آيات لم ار مثلهن » رواه الدرامي ، قال صلى الله عليه وسلم لعقبة « يا عقبة انك لن تقرأ من القرآن سورة احب الي الله ولا ابلغ عنده من قل أعوذ برب الفلق » رواه الدارمى وإنها « ما سأل سائل ولا استعاذ مستعيذ بمثلها » رواه الدارمى .

العرائس :

اما « الحواميم » فكن يسمين « العرائس » الدارمى ، واما ثلاث آيات من آخر الحشر فمن قرأها اذا أصبح أو أمسى « طبع بطابع الشهداء » الدارمى ، واما المسبحات فكان صلى الله عليه وسلم يقرؤهن عند النوم ويقول « إن فيهن آية تعدل ألف آية » رواه الدارمى .

وعن الحسن : « من قرأ يس ابتغاء وجه الله غفر له ما تقدم من ذنبه » رواه البيهقى وإن من قرأها في صدر النهار « قضيت حوائجه » رواه الدارمى ، وإن من قرأها حين يصبح أعطى يسر يومه حتى يمسى » ومن قرأها في صدر ليلته أعطى يسرليلته حتى يصبح » رواه الدارمى وقال كعب « من قرأ تنزيل السجدة وتبارك الذي بيده الملك كتب له سبعون درجة وحط عنه سبعون سيئة ورفع له بها سبعون درجة » رواه الدارمى كما ذكر عن السجدة وتبارك ايضا أن قراءتهماوجاء من عذاب القبر ، وان النبي صلى الله عليه وسلم كان لا ينام حتى يقرأهما » رواه الدارمى .

صاحب القرآن :

وقيل لا يحسد المرء الا على اثنين : القرآن والزكاة ، فقد قال صلى الله عليه وسلم « لاحسد الا على اثنتين ... رجل آتاه الله الكتاب وقام به آناء الليل ورجل آتاه الله مالا فهو يتصدق به آناء الليل والنهار » رواه البخاري وقد حق لمن علمه الله القرآن فقام على تلاوته بالليل أن يغتبط فانه إذا سمعه جاره قال « ياليتني أوتيت مثل ما أوتى فلان فعملت مثلما يعمل » رواه البخاري . إن القرآن لنعمة من الله ومن ذا الذي لا يتمنى أن يتم الله عليه نعمة القرآن ؟ ، أليس « مثل الذي يقرأ القرآن كالأترجة طعمها طيب وريحها طيب » ؟ رواه البخاري .

معلم القرآن :

ومن باب الحض على قراءة القرآن وتعلمه جعل الفضل متزايدا كلما زاد المرء في قراءته زاد فضله ، والأخبار كثيرة والأحاديث في فضل من قرأ آية واثنتين وعشرا ومائة والفا .. الخ اما قارىء القرآن فانه يقال له « بعد موته » : « اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فان منزلك عند آخر آية تقرؤها » رواه

الدارمى .

وقال صلى الله عليه وسلم « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » رواه البخاري وقد كان من اصحابه من تعلمه حتى علم لكل آية موضع نزولها وسببه ، فعن مسروق « قال عبدالله رضى الله عنه والله الذي لا اله غيره ما أنزلت سورة من كتاب الله الا انا أعلم أين أنزلت وما نزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيم أنزلت ولو أعلم احداً أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت اليه » رواه البخاري ، وكان عبدالله بن عباس قد أتم تعلم القرآن وحفظه ولم يجاوز عشر سنين رواه البخاري ، الا ان تعلم القرآن وحفظه يستلزم معاودة قراءته كلما أتمه المرء قراءة أعاده ، وقد قيل في الأثر : « دوام العلم مذاكرته » وقال صلى الله عليه وسلم : « استذكروا القرآن فانه اشد تفصيا من صدور الرجال من النعم » رواه البخاري وقال « تعاهدوا القرآن فو الذي نفسي بيده لهو أشد تفصيا من صدور الرجال من الإبل في عقلها » رواه البخاري وقال«انما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الإبل المعقلة ان عاهد عليها امسكها وان اطلقها ذهبت » رواه البخاري .

ختم القرآن :

وقد كان صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم يحتفل أحدهم كلما ختم القرآن وقيل إن الإمام أنس بن مالك كان اذا اشفى على ختم القرآن بالليل ابقى منه شيئا حتى يصبح فيجمع اهله فيختمه معهم ويدعو لهم فان الدعاء يستجاب عند ختم القرآن ، ولا غرو ان يفرح المرء اذا ختم القرآن فقد قال بعض العلماء « اذا ختم الرجل القرآن بنهار صلت عليه الملائكة حتى يمسى واذا فرغ منه ليلا صلت عليه الملائكة حتى يصبح » .

حسن الصوت يزيده حسنا :

ومهما تعلم الرجل القرآن ومهما حفظه فانهلن يزال يحب أن يسمعه من غيره ، كأنما هو يحب ان يبلغ به مجددا وقد كان صلى الله عليه وسلم يطلب الى بعض أصحابه ان يقرأ عليه القرآن فيقولون . « أأقرأ عليك وعليك أنزل ؟ » فيقول : « إني احب أن أسمعه من غيري » رواه البخاري وقرأ بعضهم عليه فقرأ النساء حتى اذا بلغ «فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا » بكى النبي صلى الله عليه وسلم من التأثر وقال له كف « او قال أمسك » رواه البخاري .

ولهذا عرفنا النبي صلى الله عليه وسلم يحث القراء على اجادة القراءة حتى لا يخطئوا فيها ولا يلحنوا ولا يبدلوا وان يحسنوا نطق الحروف ، ولا نقول ان القرآن جائز تلحينه والانشاد به كبعض الوان الطرب ، الا انه لا جناح من تحسين الصوت عند قراءة القرآن ، وقد فسر حديث التغني بالقرآن على انه « الجهر به » ،

وفسر على انه « الاستغناء به عن كل شيء » ، وعلى كل حال من غير أن يفهم أننا نخلط في الفهم بين تحسين الصوت عند القراءة وبين الصدح والغناء ، فاننا نورد من الحديث الشريف قوله صلى الله عليه وسلم « زينوا القرآن باصواتكم » رواه الدارمى وفي رواية « حسنوا القرآن باصواتكم فان حسن الصوت يزيد القرآن حسنا » رواه الدارمى وقد كان صلى الله عليه وسلم في قراءته « يمد مدا » رواه البخارى وينهى عن هذ القرآن كهذ الشعر ، فيقول صلى الله عليه وسلم : « أهذا كهذ الشعر » رواه البخاري . أي ينهى عن العجلة في قراءته ، وكان اذا استمع الى من قرأ القرآن بصوت حسن يقول : « لقد أوتى هذا من مزامير داوود » رواه الدارمى .

طرائف حول الموضوع

مهر عروس :

في الخبر ان امرأة وهبت رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسها ولم يكن له حاجة بها فقام رجل فقال:«يا رسول الله ان لم يكن لك بها حاجة فزوجنيها . فقال له هل عندك من شيء ؟ فقال لا والله يا رسول الله . قال اذهب الى اهلك فانظر هل تجد شيئا ؟ فذهب ثم رجع قال لا والله يا رسول الله ما وجدت شيئا . قال انظر ولو خاتما من حديد . فذهب ثم رجع فقال لا والله يا رسول الله ولا خاتما من حديد ولكن هذا ازارى (قال سهل بن سعد ـ وكان حاضرا ـ:ما له رداء)فلها نصفه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما تصنع بإزارك ان لبسته لم يكن عليها منه شيء وان لبسته لم يكن عليك شيء . فجلس الرجل حتى طال مجلسه ثم قام فرآه رسول الله صلى الله عليه وسلم موليا فأمر به فدعى ، فلما جاء قال ماذا معك من القرآن ؟ قال معي سورة كذا وسورة كذا ، عدها ، فقال أتقرؤ هن عن ظهر قلبك ؟ قال نعم . قال اذهب فقد ملكتكها بما معك من القرآن » رواه البخاري .

الحال المرتحل :

عن قتادة عن زرارة بن أبي أوفي أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل أي العمل أفضل ؟ قال : الحال المرتحل . قيل : وما الحال المرتحل ؟ قال : « صاحب القرآن يضرب من أول القرآن الى آخره ومن آخره الى أوله كلما حل ارتحل » رواه الدارمى .

عرفاء أهل الجنة :

قال بعضهم ان من شهد القرآن حين يفتح فكأنما شهد فتحا في سبيل الله ومن شهد ختمه حين يختم فكأنما شهد الغنائم حين تقسم ، وان من قرأ القرآن عن

ظهر قلبه كانت له دعوة في الدنيا والآخرة ، ومن قرأ القرآن ثم دعا أمن على دعائه أربعة آلاف ملك ، وقال عطاء بن يسار : « حملة القرآن عرفاء أهل الجنة » رواه الدارمى .

المارقون من الدين :

قال صلى الله عليه وسلم « يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم وصيامكم مع صيامهم وعملكم مع عملهم،القرآن لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ينظر في النصل فلا يرى شيئا وينظر في الريش فلا يرى شيئا ويتمادى في الفوق » رواه البخاري .

براءة من الشرك :

في الخبر ان النبي صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقرأ (**قل يا أيها الكافرون**) فقال : « برىء من الشرك » . وسمع رجلا يقرأ (قل هو الله أحد) فقال : « غفر له » . وسأله رجل ما يقول عند منامه قال صلى الله عليه وسلم « فاذا اخذت الى مضجعك فاقرأ قل يا أيها الكافرون ثم نم على خاتمتها فإنها براءة من الشرك » رواه الدارمى .

الظلة فيها المصابيح :

كان أسيد بن خضير يقرأ القرآن ذات ليلة فرفع بصره الى السماء فرأى منظرا عجبا لم ير مثله من قبل : فحكى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعبر عن ذلك بقوله « مثل الظلة فيها المصابيح فخرجت حتى لا أراها » أي خرجت أنظر اليها حتى توارت ولم أعد أراها . فقال صلى الله عليه وسلم : أوتدري ماذاك ؟ قال لا قال :«تلك الملائكة دنت لصوتك » رواه البخاري .

طوبى لأمة ينزل عليها هذا :

عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الله تبارك وتعالى قرأ « طه ـ ويس » قبل أن يخلق السماوات والأرض بالف عام فلما سمعت الملائكةالقرآن قالت طوبى لأمة ينزل عليها هذا وطوبى لأجواف تحمل هذا وطوبى لألسنة تتكلم بهذا » رواه الدارمى .

وصية رسول الله :

أمر المسلمون بالوصية،واراد رجل أن يعرف بماذا أوصى رسول الله : « وكان صلى الله عليه وسلم قد لقى ربه » فأجيب الرجل بانه لم يوص فأغرب وقال كيف لم يوص وقد أمر المسلمون بالوصية ؟ فقيل له : أوصي بكتاب الله » رواه البخاري .

الصمود والصِّفات الحَرْبيّة

للواء الركن محمد جمال الدين محفوظ

الارادة القتالية والانضباط من أهم الصفات التي تعنى الأمم بغرسها وتنميتها في مقاتليها ، فقد أجمع رجال العسكرية على أن الحرب في حقيقتها « صراع إرادات » وعلى أن النصر فيها يكتب للجانب الذي يتفوق على خصمه في « إرادة القتال » .. إن المقاتل ـ من وجهة نظر علم النفس العسكري ـ يتعرض في المعركة ، وحتى قبل أن تبدأ ، للتوتر العصبي وعوامل الخوف ، كالخوف من الإصابة أو الحصار أو الوقوع في الأسر ، والخوف من الموت ، كما يتعرض أيضا لحالات التعب والإرهاق وقلة النوم ، ولحالات الملل والضجر ، وللصراع النفسي

بسبب الدوافع المتعارضة مثل دافع أداء الواجب ، ودافع حب البقاء ، الأول يدعوه للتقدم ، والثاني يدعوه الى التخاذل .

● **فالارادة القتالية القوية هى السبيل الأول الذي يمكّن المقاتل من قهر هذه العوامل والتغلب على هذه الضغوط التي لو استجاب لها لأضعفت من قدرته وكفاءته القتالية ، ولضاعت منه فرصة الانتصار على عدوه .**

يقول الجنرال فولر ـ مستندا الى تجارب الحروب وبخاصة الحرب العالمية الأولى والثانية « ان الخوف يمسك بتلابيب نصف الرجال الذين يتقدمون في أثناء الهجوم ، ويصيب النصف الثاني بالشلل » .. وقد نشرت عدة أبحاث عن تجارب الحروب وخاصة ما يتعلق « بعلم نفس المعركة » ، كشفت عن أن نسبة كبيرة من المقاتلين بلغت نصف قوة الجيش أحيانا ، لم تطلق طلقة واحدة من بنادقها في المعركة ! ؟

● أما الانضباط فهو الذي يقوم على الطاعة ، وعلى تنفيذ الأوامر على أكمل وجه ، وكل الجيوش تعنى أشد العناية بتنميته في المقاتلين على مرحلتين :

الأولى : تنمية الانضباط في « عقل » الجندي ، وذلك بأن يفهم مثلا فلسفة الطاعة ومغزاها وأهميتها في بناء الجيش وفي إحراز النصر في الحرب .

والثانية : تنمية الانضباط عن طريق « التدريب » العملي ، وفي هذا يقول علماء النفس : « إن الطاعة لكي تصبح عادة لدى الفرد ، فلابد من ممارستها عمليا بكثرة عن طريق التكرار والتدريب ، وبذلك تتولد عادة الطاعة ، وتصبح من الأمور الغريزية مع تقدم التدريب واستمراره » .

ووسيلة الجيوش لتنمية الانضباط عن طريق التدريب تتمثل في « طوابير » التدريب العسكري اليومية التي يمارس الجنود فيها الوقوف بنظام والسير بنظام ، وتتمثل كذلك في إخضاع حياة الجندي اليومية لبرنامج عمل منظم يقوم فيه بألوان متعددة من العمل بشكل محدد وفي أوقات محددة ، وبذلك يصبح الانضباط عادة وسجية ..

عناية الاسلام أشمل وأعمق :

وإذا كانت الأمم تعنى بتنمية الارادة القتالية والانضباط في نفوس أبنائها عند التحاقهم بالخدمة العسكرية ، **فان الاسلام لا ينتظر حتى يشب الفتى فيدخل الجيش ثم يبدأ في غرس تلك الصفات فيه ، ولكنه يبدأ في غرسها في المسلم منذ طفولته ، أي في مرحلة تنشئته وبناء شخصيته ، حتى تكون تلك الصفات جزءا لا يتجزأ من وجدانه وتكوينه النفسي والاجتماعي .**

لقد سبقت حكمة الله جل شأنه أن تكون الأمة الاسلامية قوية الشوكة عزيزة الجانب ، فجاء منهج الاسلام في التربية السلوكية شاملا لكل ما من شأنه بناء شخصية المسلم ليجعل منه لبنة قوية متماسكة ، وعنصرا

إيجابيا صالحا في مجتمعه الكبير ، ومقاتلا لا يقهر في الحرب دفاعا عن دينه وشرفه ووطنه ، كما رسم الاسلام الطريق الصحيح لبناء المجتمع الانساني الفاضل الذي يهيىء المناخ الصالح للتنشئة السليمة والتربية القويمة ، كما يهيىء للمسلم الفرص التي تتيح له إظهار طاقاته المدخرة فيه .

● والصوم من بين العبادات التي تنطوي على تدريب المسلم عمليا على قوة الارادة ، التي تكبح جماح النفس وتفطمها عن شهواتها وتسمو بها عن العبودية لمألوفها وعاداتها ، وذلك هو الأساس للارادة القتالية .. فالمجاهد في ميدان القتال ، لا ينتصر فيه ، إلا إذا أتم الانتصار في ميدان نفسه ، فلا ينتصر على عدوه الذي يحمل السيف ، حتى ينتصر على نفسه التي بين جنبيه،وحتى تكون كل أهوائه وشهواته خاضعة لأمر الله ونهيه .

● وقد أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم أن جهاد النفس هو الجهاد الأكبر ، فقد روى أنه قال بعد رجوعه من إحدى الغزوات : « رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر » .. فالمسلم المجاهد ، يخضع أهواءه وشهواته لأحكام الله تعالى ، ويجعل هواه تبعا لما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ، وأمر الله تعالى به ، وهو ما يفهم من قول النبي : « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به » .

والمرء حين يكون عالي الهمة قوى الارادة ، يستطيع أن يوجه حياته التوجيه الكريم الذي يسمو بآدميته ، ويحله في المكان الأسمى الذي أراده الله له وكان به سيد الوجود من حوله .

وإذا كانت الجيوش تستدعى قواتها الاحتياطية لفترة محددة كل عام لكى تحيى في رجالها الصفات الحربية ، فان الصوم دورة تدريبية سنوية ، ومدرسة دائمة لتربية الارادة القويةوالانضباط .

الانضباط الاسلامي :

ومنهج الاسلام في غرس الانضباط وتنميته في الشخصية الاسلامية ، يجمع بين « الأساس العقلي » و « التدريب العملي » :

○ فهو يبين فلسفة الطاعة ومغزاها الاجتماعي ويربطها بالعقيدة والايمان ، ويجعل طاعة القائد في منزلة سامية ، فيضعها في الترتيب بعد طاعة الله وطاعة رسوله : « يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » (النساء ٥٩) .

● وهو لا يكتفى ببناء الانضباط على هذا الأساس العقلي العميق ، بل يعنى أيضا « بالتدريب العملي » على الانضباط ، لذلك نرى الاسلام يعنى بالتربية السلوكية في عباداته لكي يغرس في الفرد عادات الانضباط والسلوك السليم وينميها حتى تصبح جزءا من كيانه لا يتخلى عنها أمام أي ظرف من الظروف .

فالصلاة لا يمنع من أدائها مرض أو دخول في معركة ، لأنها ذكر لله ، وقد أمرنا أن

نذكر الله قياما وقعودا وعلى جنوبنا ، فاذا نادى المؤذن « حي على الصلاة » لبى المسلمون دون حاجة إلى من يرغمهم لأنها صارت عادة .. وفي أثناء الصلاة يتعلم المسلمون تسوية الصفوف » حيث جُعلت من تمام الصلاة ، ويتقدم الإمام صفوف المصلين ، ولا دخول في الصلاة إلا بدخوله ، ولا ركوع إلا بركوعه ولا سجود إلا بسجوده ، ولا سلام إلا بسلامه ، وإلا بطلت صلاتهم .. ويتكرر هذا المظهر كل يوم خمس مرات ، وفي كل مرة يتأكد الشعور بالانضباط النابع من داخل الذات وليس من خارجها ..

● والصيام والامساك في رمضان عن المشتهيات ، وضبط النفس عن متطلباتها والصمود أمام هذه المتطلبات بحزم وعزم وإصرار من فجر كل يوم إلى غروب شمسه ، ومن أول يوم في رمضان إلى آخر يوم فيه .. إنه تدريب على الانضباط وامتحان قاس لعزيمة الانسان وقوة إرادته ومبلغ استعداده للصمود والتضحية من أجل عقيدته ومبادئه وأهدافه العليا وغاياته السامية .. فاذا ما أذن المؤذن معلنا بزوغ الفجر ، امتنع المسلمون عن طعامهم وشرابهم « ذاتيا » لأن قلوبهم وعقولهم قد ذاقت حلاوة الايمان ، فدفعتهم الى المسارعة في تنفيذ اوامر الله ... ثم يأكل الجميع وقت النداء بأن الشمس قد غابت وحان موعد الافطار ، وهكذا يكون الصيام بأمر واحد ، في وقت واحد ، ونهاية واحدة .

● وفي الزكاة طاعة لله باخراج الجزء الواجب اخراجه بلا رقابة من أحد وبالقدر المحدد ، وفي الحج يقف المسلمون جميعا دون مخالفة في مكان واحد هو جبل عرفات ، وبدونه لا يكون حجا ، فالجميع في زي واحد ، وفي وقت واحد وتلبية واحدة هى هتاف واحد الهي رائع : « لبيك اللهم لبيك » .

تربية الضمير الديني :

والأمر الجدير بالتأمل أن منهج الاسلام في بناء الانضباط يقوم على مبدأ الحرية والكرامة الانسانية وتحرير شخصية المسلم من العبودية لغير الله تعالى في كل الميادين وعلى تربية الضمير الديني ومراقبة الله عز وجل وخشيته ، فيكون دائما على ذكر من ربه الذي يعلم أنه معه حيث وجد :
« **يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور** » غافر / ١٩ .

والرسول صلى الله عليه وسلم يصور لنا ذلك في العبادة بقوله : « أن تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك » (رواه البخاري) .

ومن أهم ما يلاحظ في منهج الاسلام في تربية هذا الوازع الديني والخلقي أنه لم يجعل نتيجة الخوف من الله « أمرا سلبيا » وهو النجاة من العقوبة وعدم التعرض للعذاب ، بل جعل للخوف فوق النجاة والسلامة « جزاء ايجابيا » هو الثواب الجزيل والأجر العظيم وذلك ما يفهم من قوله تعالى : « **وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى . فإن الجنة هى المأوى** » (النازعات ٤٠ ـ ٤١) ..

« ولمن خاف مقام ربه جنتان » (الرحمن ٤٦) .. **« إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير »** (الملك ١٢) .

أرفع أنواع الانضباط :

والمدهش أن هذا النوع الرفيع من الانضباط ، والذي جاء به الاسلام منذ أربعة عشر قرنا ، لم يتنبه رجال العسكرية إلى قيمته وحيويته إلا في العصر الحديث ، فأصبحوا ينادون بأن المطلوب في عصرنا هو « الانضباط الذاتي » !!

والسر في ذلك أن الجيوش قديما كانت تحارب في صفوف متراصة ، فكانت شخصية المقاتل « تذوب » في الجماعة التي تجرفه معها وتسنده وتحجب نقط الضعف التي فيه ، تحت تأثير أن الجماعة تنظر إليه وترقبه ، وإحساسه المعنوي بالطمأنينة لوجود زملائه على جنبيه ، فضلا عن ان رقابة القائد وسيطرته على رجاله بالعين والصوت كانت امرا ميسورا لقربه منهم ولكونهم متجمعين في مساحة محدودة .

أما في الحرب الحديثة التي ظهرت فيها أسلحة القتال ذات النيران الهائلة ، وأسلحة التدمير الشامل « مثل الأسلحة النووية » ، فقد اضطرت الجيوش إلى الانتشار حتى لقد أصبحت هناك مسافات بين الجندي وزميله تصل إلى حد أنه قد يواجه وحده موقفا في المعركة عليه أن يفكر ويتصرف فيه وحده . كذلك أصبحت سيطرة القائد على رجاله أكثر صعوبة وتعقيدا عن ذي قبل مما يمكن معه أن يقال : إن عنصر الرقابة المباشرة على المقاتل في الميدان لم يعد ممكنا ..

● وأهم ما يستخلص من ذلك أنه لا قيمة للفرد الذي تعوَّد على ألا يؤدي واجبه إلا عند وجود رقيب عليه ، بل إن مثل هذا الفرد يصبح خطرا على الجماعة ، إذ قد يؤدي إهماله أو تقاعسه ـ وهو الفرد الواحد ـ إلى تعريض القوة بأكملها للخطر أو الهزيمة .. وهكذا ظهرت أهمية أن يكون الانضباط نابعا من الذات دون حاجة إلى رقيب أو قوة دافعة خارجية .

● وتطورت مفاهيم الانضباط في علم النفس العسكري ، فبعد أن كان « في صلب الجماعة » ، أصبح في « صلب كل فرد » كما يقول العلماء والخبراء . وبعد أن كانت « الجبرية » هى مدرسة الانضباط التي عبر عنها قول فريدرك الأكبر : « انظر إلى هؤلاء الرجال ، لو اختبرتهم واحدا واحدا لوجدتهم يكرهونني ، لكنهم متى اجتمعوا في صفوفهم ، وعلموا أن الضابط وراءهم بالسوط ، فانهم يضطربون خوفا ، ويكفى أن آمرهم حتى يلقوا بأنفسهم في النار دون تفكير ، لأنهم يجهلون كل شيء حتى الغرض الذي يقاتلون من أجله » ، تحولت الجيوش إلى نظريات جديدة تحترم فردية الانسان وشخصيته مثل نظرية « الانضباط الذاتي » و « عقيدة القتال » .

حقا ما أعظم تكريم الاسلام للانسان !

رمضان

للدكتور / عزالدين علي السيد

تقدمة :

إذا شهد الانسان الذي اختاره الله للسعادة شهادتي الاسلام ، فقد أعلن بهما التزامه لله بمنهج التربية الالهي ، الذي يحقق ذاته المسلمة ، ويخرج منه بطلا من طراز لم تستطع ـ ولن تستطيع ـ فلسفات الدهور أن تخرج لنفسه وللعالم مثله .

بطلا جديرا ـ من جهة الله جل علاه ـ أن يتولاه بالرعاية ، فلا يكبو إلا لينهض ، ولا يخطىء إلا ليصيب ، فاذا نهض وأصاب من بعد الكبوة والخطأة ، عرف أن الفضل لله ، فألهج لسانه بذكره ، وجنانه بشكره ، حذرا وقّافا ، مخافة أن يغتر فيتيه ، فينزع الله عنه لباس الأمن والسداد ، فيكله إلى نفسه ، ومن وكله الله إلى نفسه هلك !

وجديرا ـ من جهة الدنيا ـ أن يعرف مكانه منها ومكانها منه ، فيعاملها ـ من وجه ـ معاملة الخليفة المترفع ، فلا يترك لها أن تستعبده وتستذله بالفتن

كما عرفه الصالحون

والشهوات ، مهتصرا عودها ، معتصرا ثمرتها ، منتفعا بركازها ، مستخرجا خيراتها من أعماق البحر ، ومستنزلا بركاتها من غضون السماء ؛ لأن المنهج الالهي للتربية هكذا شاءه خليفة فيها ، وهكذا حثه حثا متصلا ، لا يترك لعقله أن يخبو ، ليستدر ـ ما أمكن ومادام على وجه الأرض ـ كل طاقاته الموهوبة في إرضاء رَبّه !

ثم يعاملها ـ من وجه آخر ـ مع هذا النشاط المشروع لعمارتها ، ولسيادة الانسان الذي كرّمه الله فيها ، معاملة الضيف المرتحل أو الغريب النازح ، الذي كان يعمل ما يعمل ، ليعيش في دار الغربة عزيزا كريما ، ثم ينتقل خفيف الحاذ ، غير مثقل النفس بحزن على نفيس ملكه آن فراقه ؛ لأن كل ما بين يديه من نعم الله ما هو إلا مستخلف فيه ، ووال مسئول عنه ، بأجر معجل هو لابد قد استوفاه : لقمة تقيم صلبه ، وثوب يستر عورته ، وصدقة أسبقها بين يدى أجل لا مهرب منه !

بهذا يكون جديرا ـ من قِبَلِ نفسه ـ أن تسكن إلى الله فتسعد بقضائه ، في كل ما قدَّر ، صادقة الحس ، بأنَ حكمة الله وراء القضاء ، وأنه لو لم يكن خيرا

لعبده الذي سلك طريقه وآثر منهجه ، لم يجره عليه ؛ لأنه جل علاه أرأف به من نفسه ، وأعلم بما يسعده من كل وَهْم يخاله !

والمنهج الإلهي لتربية هذا البطل ، الداخل طواعية في الاسلام ، والذي يحقق للذات هذه العظمة والكرامة ، هو ما وراء الشهادتين من أركان ، ما أشبهها بالمعسكرات التي تعتمد عليها الدول لتكوين الرجال ، تكوينا شاملا ، يهيئهم ليكونوا حملة العلم في ميدان الجهاد ، مع الفارق الكبير والواسع المدى ، بين ما نبع من الأرض وما أنزل من السماء ، فما نبع من الأرض - مهما صفا وراق - ممتزج بعناصر الأرض الخالدة فيه ، وما أنزل من السماء هو نور الله من ذات الله ، الذي تعشو إليه قلوب المؤمنين فتصبح للأرض أمنة ، يهدى بها الله من اتبع رضوانه سُبُلَ السلام ، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم !

منهج متكامل يشد بعضه بعضا ، ولذلك مثلت فيه تلك الفرائض المحكمة بأركان البيت ، التي لا يكون دونها بيتا !

غايته أشرف الغايات ، كل غاية سواها منسوبة إليها ، وهى صقل القلب ليشرق فيه الحق بنوره ، ليفيض نوره على جميع الجوارح ، فيعلم المسلم أنه العبد ، وأن مفيض النور هو الربُّ ، وأن قوى الكون مهما علت أو أرعبت فهى مربوبة لجلاله ، فيقطع شوط الحياة على هذه العقيدة ، التي يمدها دائما بغذائها « الله أكبر الله أكبر » تتردد في ليله ونهاره من لسانه وعلى سمعه ، نهارا وليلا ، وحضرا وسفرا ، إلى أن يلفظ الروح ، وصدى « الله أكبر » نور يحملها بجناحيه إلى منازل السعداء !

الصوم :

والصوم ، هذه الفريضة المحكمة ، والركن الركين من أركان الاسلام ، قد شاءه الله تعالى ركنا لكل رسالة سماوية ؛ لأن الرسالات كلها واحدة ، والأنبياء كلهم أولاد عَلاَّت !

غير أن الصورة والزمن لهذا الفرض تحت الغاية تختلف لحكمة الحق ، كما تختلف النجوم في السماء والأنهار في الأرض ، اختلافا لا يذهب بالقيمة ولا يهدر الغاية ، إلا أنه جل علاه قد اختص هذه الأمة باليسر ، لما علم من أنها الباقية على الدنيا إلى يوم الدين ، وأن دينها القيم سيدخل على ما دخل عليه الليل ، لتستبشر قلوب السالكين بهذه اليسرى ، ولتعلم أن الدين الخاتم والمهيمن على ما سبق ، قد جاء ليضع عنها الإصر والأغلال التي كانت على سواها . فكان الصوم المفروض شهرا ، وكان في الشهر محدودا في الأيام بنهارها دون ليلها ، قال تعالى : **(فمن شهد منكم الشهر فليصمه)** ١٨٥ / البقرة وقال : **(وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل)** البقرة / ١٨٧ وكان الذين قبلنا ، إذا نام أحدهم قبل أن يفطر ، حرم عليه الطعام

فوصل بين اليومين ، كما ورد في ذلك الموضع .
وقد أعلن الحق ترخيصه لطوائف من الناس رحمة بهم ، أن لا حرج عليهم إذا أفطروا ، بقضاء عند القدرة أو بفداء ، وامتن بهذا عليهم ليشكروا نعمته ويقدروا رحمته : (**يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر**) مؤكدا تلك الارادة الرحيمة بنفي ضدها ، تأكيدا يقسر قلوب المؤمنين على حبه والخجل من ميل عنه لا يليق بإحسانه !

قيمة الشهر :

أما الشهر فقد اختاره الله عظيما ، والشهور والأيام ظروف من الزمن ، لا فضل لبعضها على بعض ، إلا بما تحمل من كبار الأحداث ، حتى لتصبح مولدا يلد التاريخ ، فيحسب الزمان من عنده !
والعظمة التي اكتسبها هذا الشهر العظيم هى أعلى ما تشرفت به الشهور ، إذ احتوى على ليلة القدر ، التي هى خير من ألف شهر ، وانما كانت كذلك وهى - أيضا - زمن من الزمن ، لأنها نزل فيها القرآن المنقذ من الضلالة ، فضلا من الله ونعمة : (**شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدي والفرقان**) ١٨٥/ البقرة . : (**إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين . فيها يفرق كل أمر حكيم . أمرا من عندنا إنا كنا مرسلين . رحمة من ربك إنه هو السميع العليم**) ٣ - ٦/ الدخان .

الفرح بمقدمه :

لهذا الفضل الذي عرفه المسلم من تعظيم الله ورسوله لهذا الشهر ، ولما فيه من هذا النور الذي عمه بالليلة المباركة ، كان المسلم يتلهف على أيامه ، يتشوفها بقلبه حنينا إليه ، لما يرى من نفحات رَبِّهِ الزكية ، تغمر وجدانه فيه ، فتفيض على كل دنياه ، يحس بها نشوة سارية به في محيط من نور يطرد الظلمات !
يحس بها همسا حبيبا إلى روحه : أن هلم إلى شهر الغفران !
ونجوى صاعدة بقلبه : أن هذه ليلة القدر شارفت فاغتنمها !
ثم أمعن الزمن في المسير .. فأصبح يحسُّ بها صفحة منشورة وضاءة ، تبهر سطورها الروح جلالا ، وتهزُّ حروفها القلب روعة ، فلا يملك إلا أن يرسل الدمع هتانا ، وهو يرى بين سطورها الغر « بدرا الكبرى » . يستقبل قليبُها الفرح الناشط رءوس الكفر وأساطين الكبر والأنفة ، كي يحشروا منه إلى النار ، وأبو جهل الفارع القرشي العنيف ، يسقط ذلا أمام بلال الحبشي الشريف : إعزازا من الله لمن آمن ، وانتصافا له ممن بغى وتجبر ، ومن أبطأ به عمله لم يسرع به

حسبه !

نعم ، وهو يرى بين سطورها مكة الأمس .. التي ذرفت دموعها أسى لفراق حبيبها المهاجر .. وهو أمامها يعتذر إليها وفاء ، ويقطر وداعه رقة وحبا .. وهي اليوم في رمضان مكة الفتح المبين .. ترتفع فيها راية النصر .. وينطلق فيها من فم الرءوف الرحيم للضارعين بعد الأنفة ، والمطأطئين بعد الصلف « اذهبوا فأنتم الطلقاء » !

ثم يمعن الزمن في المسير ، ليحسَّ المسلم بصفحة رمضان معارك ظافرة تتجدد من حين إلى حين ، يخلع عليها ربُّ رمضان خلعة رضوانه ، فتفتح الأندلس ، وتندحر الصليبية في مصر ، وينتصر الاسلام في عين جالوت ، ويطرد التتار من أنطاكية ، ويستولى جنوده على القرم .. وأخيرا في الزمن الكئيب أهله .. وباشراقة خفيفة من آيات الله ، يتحطم برليف حلم اليهود الشامخ ، ويصبح من الحقائق الصادقة حلم العبور !

هكذا كان إحساس المسلم واستشرافه القلاع ورءوس الجبال والمراصد ، مشوقا إلى الطالع المسعد ، فإذا اكتحلت أعين المسلمين بنور هلاله ، دقت طبولهم فرحا ، وانطلقت المدافع إعلاما ، وتهللت المآذن في القرى والمدن ، وتفتحت الدور المباركة في كل حي ، ليعيش الناس ليلهم مع القرآن شهر سعادة إلى مطالع الفجر ، فلا تغادر الفرحة أحدا ، حتى الأطفال يحملون المصاحف في وداعة تمتزج براءتها ببراءة القرآن وطهره من كل زيف وفتنة !

لم يكن ذلك بدعا ، وقد عرفوا ما قال نبيهم :

« أتاكم شهر رمضان : شهر مبارك ، فرض الله عليكم صيامه ، تفتح فيه أبواب الجنة ، وتغلق فيه أبواب الجحيم ، وتغل فيه مردة الشياطين ، وفيه ليلة هي خير من ألف شهر ، من حرم خيرها فقد حرم » مسند أحمد ، والنسائي ، والبيهقي في الشعب عن أبي هريرة .

« يأيها الناس ، قد أظلكم شهر عظيم مبارك : شهر فيه ليلة القدر خير من ألف شهر ، جعل الله صيامه فريضة ، وقيام ليله تطوعا ، من تقرب فيه بخصلة من خصال الخير ، كان كمن أدى فريضة فيما سواه ، ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه ، وهو شهر الصبر ، والصبر ثوابه الجنة ... » عن سلمان الفارسي من خطبة للنبي أخرجها ابن خزيمة والبيهقي .

نعم كانوا كذلك ، وكانوا يقتد ون في الجودبنبيهم ، فتمتد الموائد لذى الحاجة وابن السبيل ، فإذا لم يجدوا آكلا لطعامهم أسفوا ! لأنهم آمنوا بقوله صلى الله عليه وسلم : « من فطَّر صائما كان له مثل أجره ، غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيئا » رواه احمد والترمذي ولأنهم عرفوا أنه صلوات الله وسلامه عليه ، كان أجود الناس ، وأشد ما كان جودا إذا جاء رمضان فهو فيه أسبق من الريح المرسلة !

كيف لا يؤمنون بهذا ، ويصنعون هذا ، وقد أضاف ربهم عملهم في رمضان

إلى ذاته فقال : « كل عمل ابن آدم له ، إلا الصوم ، فانه لي ، وأنا أجزى به » رواه البخاري واللفظ له ومسلم من حديث أبي هريرة .

ما وراء الجوع والظمأ :

والحقيقة الظاهرة لهذا التدريب التربوي ، هى حرمان الصائم أوقات صومه من الطعام والشراب واللقاء الجنسي، وهذا الحرمان إذا رجعنا إلى الحساب الزمني قد اختزل إلى نصف الشهر دون أكمله ، فانه لا وصال في الصوم لليل بنهار ، فاذا نسب إلى العام كله فما أيسر ما كلف الله عباده ، ولو علم المسلم ما فيه من الخير لتمنى أن يكون السنة كلها ! فاذا عرفنا أنه ليس لله حاجة في أن يدع الصائم طعامه وشرابه ، أيقنا أن العائدة منه لنا ، فضلا من الله علينا !
: (**يأيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد**) ١٥/ فاطر .
وهنا نقف قليلا عند بيان الله لتلك العائدة : (**لعلكم تتقون**) لنعلم أن التقوى هى الضمير الديني المتصل برقابة الله ، والذي يحول بين العبد وبين المعاصي ، فتلتقى غاية الصوم بغاية الصلاة : (**إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر**) ٤٥/ العنكبوت .

ولكن كيف تتحقق هذه التقوى ؟

تتحقق في الصوم من الوجهة المادية بترك شهوة البطن والفرج ، وكلتاهما إذا احتدمت أهلكت ، فاذا مكننا الصوم من الاستعلاء عليهما فقد انتقلنا إلى وجهة روحية ، تتحقق فيها الذات المسلمة ، التي تفترق عن ذات الحيوان ، الذي هو في صورة إنسان أو غير إنسان ، ولا يكون هذا إلا باستصحاب الصبر ، الذي هو من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد ، والذي فيه قال الله : (**إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب**) ١٠/ الزمر .

فالارادة والعزيمة والصبر سلاح التقوى ، يحارب بها الصائم الضعف والهزيمة ، فاذا صارت له بالتكرار طبعا ، صار الانتصار له جزاء في كل درب من دروب الحياة !

ولما كانت عائدة الصوم كذلك صحبت فرضيته الوصايا التي تسدد خطى الصائم إلى غايته ، وتحذره فلتات العزم باغراء الشيطان :
« **إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ، ولا يصخب ، فان سابه أحد أو قاتله ، فليقل : إني صائم إني صائم** » رواه البخاري واللفظ له ، ومسلم عن : أبي هريرة .
« **من لم يدع قول الزور والعمل به ، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه** » رواه البخاري عن ابي هريرة .

وهنا - أيضا - نلتقي بالحج في غايته :

(**فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج**) ١٩٧/ البقرة .

« من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه » متفق عليه : أبوهريرة .

المجتمع وراء الفرد :

إذا تحققت ذات الفرد بتلك العزائم تحققت ذات المجتمع الاسلامي ، الذي تملك أفراده هذه الطاقة في السلم والحرب ، فالمنهج إذن منهج أمة ، كل فرد منها مرابط على ثغرة ، ولو تصور كل منا نفسه هكذا لما نال الأمة الهوان !

مشاركة وجدانية :

الصائم الذي عَلَتْ إرادته وتحققت بالخير ذاته ، تدفعه لذعة الحرمان المؤقت تلك إلى أمرين كبيرين : أن يحس بالوجدان مقدار النعمة فيلهج بالشكر ، ومقدار جوع دائم بفقر ملازم لمن حُرِمَ السعة ، فيسبق باسعاد قلبه ، منزعجا له بما جرَّب في نفسه !

بل وليدرك ما آثر نبيه وأصحابه من الفقر على الغنى ، ومن الجوع على الشبع ، لأن الغنى والشبع مظنة البطر والأشر، وما عند الله خير للأبرار !

هذه المشاركة الوجدانية التي سببها الجوع ، أحسَّ بها « يوسف - عليه السلام » إذ سئل : لم تجوع وأنت على خزائن الأرض حفيظ عليم ؟ فقال : « أخاف أن أشبع فأنسى الجائع ! »

إنها سنة الأبرار ، الذين يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ! جَرِّعْ قلبك هذا الدواء ودعني أشاركك !

عن النعمان بن بشير رضى الله عنهما : « لقد رأيت نبيكم صلى الله عليه وسلم وما يجد من الدقل ما يملأ بطنه ! » رواه مسلم .

لقد كان هذا بمحض اختياره ؛ لأنه لم يشأ أن يكون نبيا ملكا ، بل دعا الله فقال : « اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا » متفق عليه عن أبي هريرة .

فلا عجب أن تقول عائشة : « توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودى في ثلاثين صاعا من شعير » متفق عليه .

هكذا رسم الصورة ، ووضعها على رأس الطريق ، وبين أنه : « ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطنه ! بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه ! فان كان لا محالة ، فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه » رواه الترمذي عن المقداد بن معد يكرب .

حث وتحريض :

ولم يَدَعْ ربنا جل علاه وهو المنعم ذو الطَّوْل ، كما لم يدع نبينا صلوات الله

وسلامه عليه وهو بالمؤمنين رءوف رحيم - إغراءنا لخير أنفسنا المحض ، بما أعد لنا من أجر ، إذا نحن التزمنا ذلك المنهج الصاعد ، لنمضي ونحن على أسعد حال بصومنا ، مستعذبين الجوع ، مستلذين الظمأ ، مستظلين بشرف الغاية وعظمة المصير !

حسبنا - مع كل ما سبق - أن يجعل الله جل علاه ريح فم الصائم وقد غيره الجوع والظمأ إلى ما تعلم ، أطيب عنده من ريح المسك !

يالله ! ما أزكى وما أعظم أن تنقلب طبيعة هذه الريح إلى الضد ، بل إلى أزكى من الضد ! ثم أن يجعل مع هذه التزكية للصائم فرحتين ، ما أكرمهما على نفسه : فرحة عيد الفطر بتمام الصيام توفيقا منه ! وأعظم من هذه : فرحته عند لقاء ربه المخشى المهيب من كل قلب منيب !

حالنا اليوم :

هذه إشراقة من إشراقات الحق ، وقبس من أقباس النبوة ، يتكرر من الدعاة التذكير بهما وبمثلهما كل عام مع شهر الصوم ، لتتضح الصورة الصحيحة أمام القلوب !

ما بالنا اليوم قد انطمست بنا هذه الصورة ، فما أصبح العالم يرى فينا إشراقها الذي كان يراه فيمن قبلنا ؟

يكاد أكثر من نُعِتَ بالاسلام يرد رمضان عن وجهه بكلتا يديه لو استطاع ، أو يلغي أيامه من حساب التاريخ لو أمكن !

أيُّ عذر في الفطر لذوى الأجسام الفارهة ، والرءوس الشامخة المستكبرة ، ذات النعمة والغنى والفضل من الله ؟

أي أدب إنساني فضلا عن أن يكون إسلاميا لمن ينفخ دخان التبغ في وجوه الصائمين إسرافا في التهكم والمجاهرة ؟

أي حكم يعرف الكرامة وشرف الرسالة يرضى هذا المجون بل هذا الجنون ؟

أية وسائل للإعلام في بلد يعرف قدر الاسلام يجرف بتيار برامجه المفسدة قليلَ ما يذيع من برامج دينية واجبة ؟

أليس هوان المسلمين على أنفسهم هوانهم على عدوهم ، الذي أتقن بما استيقن من هزالهم إحراق ما بقى من أحلام عزتهم بإحراق المسجد الأقصى يوم احتفالهم بغزوة بدر ؟

يا قلوب تشققي !!

هذا رمضان ! فهل دق أبوابك دقا يوقظ المسلم الذي رقد فيك رقدة الميت في لحده ؟

وا حيائي بدقك الأبواب على مثلنا يا .. رمضان . . . .

وقفة تأمل

مسئولية الكتابة

○ نخصص وقفتنا هذه لتكون مع بعض كتابنا الافاضل .. فقد لاحظنا :

○ في كتاباتهم انهم لا يراعون الدقة في اختيار الالفاظ المناسبة لتكون قوالب لمعان عظيمة .. وا كانت لغتنا غنية بالمترادفات – إذا جاز لنا ان نقول ذلك – فلكل لفظ موضعه ومكانه المناسب فيعدل عن لفظ إلى آخر لانه اوضح دلالة ، وادق استعمالا ، وانسب توصيلا للهدف المطلوب إيصاله .. والكلمة امانة يتحمل مسئوليتها الكاتب بالدرجة الاولى .. ولا نعفي انفسنا كمجلة إسلامية هدفها نشر الوعي الاسلامي بعيدا عن الخلافات المذهبية والتيارات السياسية .. لا نعفي انفسنا من المسئولية ايضا .

○ نقول هذا لان الاستاذ الكاتب محمد علم الدين كتب في مقاله « العدل في الاسلام » المنشور في عدد شعبان – رقم ٢٢٤ – لسنة ١٤٠٣هـ . ما يفيد بان القرآن مخلوق .. وتلك قضية لا نسلم له بها ، ولا نخاله قصد إليها .. فالموضوع كان يعالج قضية « العدل في الاسلام » .. ولكن الكاتب لم يراع الدقة في اختيار الالفاظ .. ورحم الله الامام احمد بن حنبل الذي اوذي وعذب .. لرفضه القول بخلق القرآن والحمد لله إذ نجانا من ان نشهد عصر هذه الفتنة ، فلا ينبغي لنا ان نثيرها مرة اخرى .

○ ولان الدكتور عبدالرحمن العيسوي عندما تكلم عن خرافات في اذهان الشباب خلط بين الخرافات والاصول التي تدور حولها فقد يكون الاصل صحيحا .. وهو من صلب العقيدة الاسلامية ، ولكن الناس الصقوا به اباطيل من عند انفسهم .. فالسحر حقيقة ، والعين والحسد حقيقة ، والاعتقاد بوجود الجن ضرورة من ضروريات الايمان ولا ضرر من ذلك كله إلا باذن الله .. نطق بذلك القرآن الكريم ، والسنة النبوية الصحيحة .. ولكنه ينساق مع الاحصائية ، فلا يفرق بين الاصول الصحيحة والخرافات والاوهام التي تدور حولها .

○ ولان البعض تاخذه الغيرة على الاسلام وحرماته ، فيدافع عن إحدى قضاياه ، ومحاولة البعض العبث بها ، فيذكر زعيما بالاسم او بالوصف الواضح .. مما يتسبب عنه منع المجلة من ان تصل إلى قرائها في هذا القطر او ذاك ، ولو تجرد الكاتب لمعالجة الموضوع دون التعرض لشخص ما ، لما حرم القارىء من اطلاعه على المجلة ، وهذا ما نحرص عليه .

○ ولان بعضهم يذكر نقولا يبين مصادرها .. ولكن إذا ما اضطرنا عدم استقامة الاسلوب ، وتناقض المعنى احيانا إلى الرجوع إلى المصادر وجدنا النقل غير امين .

○ ولان بعضهم يرسل مقاله لاكثر من مجلة ، وينشر في اكثر من مجلة ، فاذا ما عاتبناه في ذلك ، حملنا المسئولية لاننا تاخرنا في النشر او لم نخطره بأن مقاله سينشر .. والنشر عندنا يخضع لاعتبارات تراها إدارة المجلة ، وهي لا تمس الكاتب في شيء .. مع العلم بأن المقالة تعتبر ملكا للمجلة بمجرد وصولها .

○ ولان بعضهم : يستخدم الفاظا لا تتناسب وكرامة الكلمة في المجلة المسلمة ، وبمنعنا الحرج من ان نصارح الكاتب بهذا .

○ هذا والمقالة ايا كان موضوعها .. يجب ان تتسم بوضوح المعنى ، ودقة اللفظ ، مع الاختصار المفيد ، والبعد عن الاطالة بلا داع ، والاستطراد لغير هدف .

وتلك امانة يتحمل مسئوليتها الكاتب ، وتستدعي وقفة .. نراجع فيها ما كتبنا ، ونتاكد من حسن استخدام الاداة – الكلمة المكتوبة – لتحقيق الهدف المنشود من وراء نشر المقال .. والله الموفق والمعين .

الأهلّة وأثرها في توحيد كلمة المسلمين

للاستاذ / سعيد كامل معوض

(يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج)
البقرة / ١٨٩

الحمد لله رب العالمين ، عدد خلقه ، وزنة عرشه ، ورضاء نفسه ، ومداد كلماته .. ونستعين بحوله وقوته ، ونعوذ به من شرور انفسنا وسيئات اعمالنا ، ونصلي ونسلم على نبيه وخير من اصطفى محمد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين له باحسان الى يوم الدين ثم اما بعد ...

فقد طال الجدل بين علماء المسلمين في تحديد الأهلة وأوائل الشهور القمرية وأواخرها واختلفوا في ذلك اختلافا كبيرا .. وفي كل عام يتجدد

الخلاف ويحتدم النزاع .. خاصة في شهري رمضان وذي الحجة لارتباطهما بالصيام والحج .. وطالما تطلعنا - نحن المسلمين - الى توحيد كلمتنا في مشارق الأرض ومغاربها .. وذلك بتوحيد مبدأ الشهور القمرية في جميع البلدان الاسلامية ، وبذلك يتوحد المسلمون في اداء عباداتهم ، وفي مواسمهم وأعيادهم .

وتوحيد اوائل الشهور القمرية وأواخرها يعتبر في حد ذاته من اقوى العوامل التي تمكن الروابط بين الشعوب الاسلامية في جميع نواحي الأرض وتجمع كلمتهم واحدة فتكون امة المسلمين كما ارادها الله سبحانه وتعالى حين قال في سورة الأنبياء الآية ، ٩٢ : (**إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون**) .

وتوحيد اوائل الشهور القمرية وأواخرها ليس بالشىء العسير في هذا الزمان الذي تقدمت فيه علوم الفلك .. والآلات الدقيقة التي لها القدرة على رصد الهلال مهما كان صغير الحجم ..

ونحن بعون الله وفضله سوف نركز في مقالنا هذا على ركيزتين أساسيتين :

اما الأولى : فهي استعراض آراء علماء المذاهب الأربعة في ثبوت الهلال في حالتي الصحو والغيم .. **والثانية** : استعراض آراء علماء المسلمين في مطالع القمر وأثر اختلافها في اثبات اوائل الشهور وأواخرها .

اولا : آراء علماء المذاهب الأربعة في ثبوت الهلال في حالتي الصحو والغيم : -

(١) **آراء الحنفية** : يجب على المسلمين وجوب كفاية ان يلتمسوا هلال رمضان او غيره من الشهور في اليوم التاسع والعشرين من الشهر السابق ، فربما يكون الشهر تسعة وعشرين يوما لذلك يجب رؤية الهلال .. فاذا ظهر الهلال يثبت الشهر الجديد ويصام الشهر اذا كان رمضان .. وذلك لقوله تعالى في سورة البقرة الآية ١٨٥ (**فمن شهد منكم الشهر فليصمه**) .. فاذا لم يظهر الهلال ، يجب اتمام الشهر ثلاثين يوما ، وذلك لقول الرسول في حديثه الشريف : « **صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فان غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين** » متفق عليه .

وفي كتب الحنفية اذا كانت بالسماء علة من غيم او غبار يحجب الرؤية فيقبل في ثبوت الهلال خبر عدل او مستور ولو كان الخبر العدل او المستور على خبر مثله ، ولا يشترط ان يكون المخبر حرا او عبدا ، ذكرا او انثى ، ولا يشترط كذلك العدد ولا لفظ الشهادة ، ولا تقدم الدعوى ولا حكم الحاكم ولا مجلس القضاء ، والحنفية يستدلون في ذلك بما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما : -

« ان اعرابيا أتى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ابصرت الهلال ، قال الرسول اتشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ؟ قال نعم .. قال الرسول قم يا بلال وأذن في الناس ليصوموا غدا » وفي رواية

اخرى « اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ؟ قال نعم . قال الرسول يكفي المسلمين احدهم قم يا بلال وأذن في الناس ليصوموا غدا » ويستدلون كذلك بما روى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال « تراءى الناس الهلال فأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم اني رأيته ، فصام وأمر الناس بصيامه » رواه ابو داود والدارمي .

من ذلك يتبين لنا ان الحنفية يشترطون في المخبر ان يكون مسلما عاقلا بالغا والا يكون ظاهر الفسق . اما اذا لم تكن بالسماء علة : فلا يقبل خبر الواحد حتى يراه الكثيرون ويقع العلم للقاضي بخبرهم .. والمراد من العلم هنا هو غلبة الظن لا اليقين .

وروى الحسن عن ابي حنيفة انه تقبل في هذه الحالة ايضا شهادة الواحد العدل ، وفي رواية اخرى شهادة رجلين او رجل وامرأتين وفي استطلاع هلال شوال فانه اذا كانت بالسماء علة فلا تقبل فيه الا شهادة رجلين او رجل وامرأتين مسلمين حرين عاقلين بالغين غير محدودين بقذف ، وذلك مستند على ما روى عن ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم انهما قالا : « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اجاز شهادة رجل واحد على رؤية هلال رمضان وكان لا يجيز الافطار الا بشهادة رجلين » .

واذا لم تكن بالسماء علة فهو كهلال رمضان لا يقبل فيه الا خبر جماعة ، يحدث بخبرهم غلبة الظن وروى الحسن عن ابي حنيفة انه تقبل فيه شهادة رجلين او رجل وامرأتين سواء كانت السماء صحوا او كان بها علة .

وفي حالة استطلاع هلال ذي الحجة في رأي الحنفية هو كهلال الفطر في الصحو والغيم ، ويقول ابن الهمام انه يقبل فيه شهادة الواحد .. لان هذا من باب الخبر فانه يلزم المخبر اولا ثم يتعدى منه الى غيره .. ولانه يتعلق بأمر ديني هو وجوب الأضحية ، وكذلك حرمة صوم يوم النحر وايام التشريق .. لهذا صار كهلال الفطر يقبل في حالة الغيم خبر الواحد العدل ، اما في حالة الصحو فلا يقبل الا ما يحصل به غلبة الظن .

وأهلة بقية الشهور كذلك يجب استطلاعها في اليوم التاسع والعشرين فاذا ثبتت رؤية الهلال يكون اليوم التالي هو اول الشهر الجديد ، اما اذا لم تثبت رؤية الهلال فيجب اتمام الشهر ثلاثين يوما .

(٢) آراء الشافعية :

يقول الامام النووي : انه يجب صيام رمضان بأحد امرين : **الأول** : هو اكمال شعبان ثلاثين يوما ، **والثاني** : هو رؤية الهلال في ليلة الثلاثين من شعبان استنادا الى قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « **صوموا لرؤيته ، وافطروا لرؤيته ، فان غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين** » ..

ويكتفى بعدل واحد في ثبوت هلال رمضان ، وكذلك شهادة عدل واحد تكفي لاثبات هلال اي شهر وذلك بالنسبة للعبادة فقط ، ولا تثبت الرؤية لاي شهر بشهادة عدل واحد بالنسبة

لغير العبادة كطلاق او عتق او حلول دين مؤجل مثلا ..

وفي **رأي الشافعية** انه عند الاكتفاء بعدل واحد ان يكون بطريق الشهادة لا الرواية .. ولا يقبل رأي الانثى او العبد وكذلك لا بد فيها من لفظة أشهد ولا بد في وجوب الصوم ان يثبت الهلال عند قاض ينفذ حكمه .

(٣) آراء المالكية :

يتحقق رمضان في الخارج سواء حكم حاكم بثبوته او لم يحكم بأحد **ثلاثة امور : -**

(أ) اتمام شعبان ثلاثين يوما وكذلك بقية الشهور وذلك في حالة الغيم .. اما في حالة الصحو فيجب رؤية الهلال في اليوم التاسع والعشرين .

(ب) رؤية اثنين من العدول على الاقل للهلال ولا يؤخذ بكلام عدل واحد او عدل واحد وامرأتين ، ويعم ثبوت رمضان جميع البلدان والاقطار اذا كان ثبوت الشهر باتمام شعبان ثلاثين يوما .. ولا يعم اذا كان ثبوته برؤية عدلين الا اذا نقل شهادتهما عدلان آخران ، فكل من نقل اليه خبر العدلين بإخبار عدلين وجب عليه الصيام .

(ج) رؤية جماعة مستفيضة لا يمكن تواطؤهم على عادة الكذب .. كل منهم يخبر عن نفسه انه رأى الهلال ولا يشترط ان يكونوا كلهم ذكورا او احرارا او عدولا ..

(٤) آراء الحنابلة :

من المستحب عندهم رؤية الهلال .. فإن رؤي هلال رمضان ليلة الثلاثين من شعبان وجب الصوم ويقبل عندهم في رؤية هلال رمضان قول عدل واحد ، وذلك لقبول الرسول خبر الاعرابي « الحديث السابق ذكره » ، ولانه خبر ديني وهو احوط ولا تهمة فيه ، ولا فرق عندهم بين الغيم والصحو ولا بين داخل البلاد وخارجها .. وحتى اذا كان الرائي في جمع كثير ولم يره غيره منهم .. وهو خبر لا شهادة فلا يشترط فيه لفظ اشهد ولا يختص بحاكم ويجب الصيام على كل من سمعه من عدل ويقبل كذلك قول المرأة والعبد .

وعند الحنابلة اذا ثبتت رؤية هلال رمضان بخبر واحد ثبتت تبعا للصوم بقية الأحكام من طلاق وعتق وحلول دين مؤجل وانقضاء عدة الى غير ذلك مما يتعلق بدخول رمضان .

وعند الحنابلة لا يقبل في رؤية الهلال خبر مستور ولا مميز لعدم الثقة بخبره .. ولا يقبل في بقية الشهور كشوال الا شهادة رجلين عدلين بلفظة الشهادة .

وبعد .. فنحن نرجح ما يلي :

(١) استطلاع هلال الشهر - اي شهر - في اليوم التاسع والعشرين فاذا رؤي الهلال كان اليوم التالي بداية الشهر الجديد ويصام اذا كان رمضان ..

واذا لم تثبت رؤية الهلال يجب إكمال الشهر ثلاثين يوما وذلك لما جاء في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم السابق : « صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته فان غم عليكم فاكملوا عدة شعبان ثلاثين » .

(٢) اذا ثبتت الرؤية في اي بلد من البلاد الاسلامية يجب التزام بقية بلاد المسلمين بذلك وذلك لما جاء في الآية الكريمة : (**فمن شهد منكم**

الشهر فليصمه) فان لفظة منكم هنا تفيد التعميم وعدم التخصيص .

ثانيا : **آراء علماء المذاهب الأربعة في اختلاف مطالع القمر** :

تختلف مطالع القمر من مكان لآخر على سطح الأرض ويترتب على ذلك اختلاف اوقات العبادات المرتبطة بشروق الشمس وغروبها كالصلوات الخمس ، والمرتبطة بالأهلة كالصيام والحج فشروق الشمس في مكان ما يختلف عنه في مكان آخر حسب التباعد بين المكانين شرقا وغربا فأحيانا يكون شروق الشمس في بلدة معينة قبل او بعد شروقها في بلدة اخرى .. فمثلا نجد الوقت ظهرا في احدى البلاد ثم نجد عصرا في اخرى وهكذا مما يترتب عليه اختلاف اوقات الصلاة والافطار والامساك ، وهذه حكمة ربانية واقعة لا يمكن انكارها ، وبهذا لا يمكن ان تتوحد مواقيت الصلاة او الافطار او الامساك في جميع البلاد الاسلامية المنتشرة على وجه الأرض .

ولكن .. هل لهذا الاختلاف في المطالع تأثير على ثبوت الأهلة والأحكام المتعلقة بها من صوم وافطار وحج وأضحية ؟ فمثلا اذا ثبت الهلال في قطر من الاقطار ، هل تلتزم به بقية الاقطار اذا بلغها خبر ثبوته بطريقة موثوق فيها ؟

يقول العلماء ان اختلاف مطالع الشمس واقع ومعتبر شرعا في الاحكام المتعلقة بها وجرى العمل بمقتضى ذلك من بداية عهد الاسلام في اوقات الصلاة والامساك والافطار وذلك لقوله تعالى : (**اقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا)** الاسراء (٧٨) . لذلك اجمع العلماء ان كل بلد يلتزم بحكمه هو دون غيره في اوقات الصلاة ، فالمعتبر عند كل قوم فجرهم وشروقهم وغروبهم ولا يلزم حكم غيرهم .. اما الأهلة فلا بد من رؤيتها ، وذلك لقوله تعالى (**فمن شهد منكم الشهر فليصمه)** فلفظة منكم هنا تفيد العموم وعدم التخصيص ، ومعنى الشهود في الآية ـ كما يقول العلماء ـ ليس الرؤية وانما الشهود : هو الحضور ، والمعنى فمن حضر منكم الشهر وأدرك زمنه وجب عليه الصوم متى كان أهلا للتكليف بالصوم .

فمتى تحققت الرؤية في بلد من البلدان الاسلامية وجب على جميع البلاد الاسلامية التي تشترك مع بلد الرؤية في جزء من الليل ـ وجب على هذه البلاد-الصيام ..

وقد قدر الفلكيون هذه البلاد من الفلبين شرقا الى المغرب غربا وقالوا انه عند ما يكون الوقت مغربا في المملكة المغربية يكون قد تبقى على الفجر في الفلبين حوالي الساعة وثلث الساعة وهي تعتبر مدة كافية لتناول السحور وتبييت نية الصوم .

واما اهل البلاد التي لا تشترك مع بلد الرؤية في جزء من الليل فانهم حينئذ يكونون في نهار يعتبر النهار الاخير من شهر شعبان ، فعليهم ان يصوموا النهار الذي يتلو ذلك النهار الأخير ، وقد سقنا حديث الرسول مع

الاعرابي الذي رأى الهلال وأخذ به الرسول ، وسقنا كذلك حديث الرسول القائل « صوموا لـرؤيته وافطـروا لـرؤيته » ، وبينـا ان الخطاب في الحديث لعموم المسلمين وليس لأحد معين .. مما يدل على الاجماع بعدم وجوب رؤية الجميع للهلال بل يكتفي برؤية البعض له ، وتلزم هذه الرؤية بقية المسلمين ..

*** ولنستعرض بعض آراء علماء المذاهب الأربعة في هذا الشأن** :

مذهب الحنفية يقول انه لا عبرة باختلاف المطالع فيلتزم اهل المشرق برؤية اهل المغرب وذلك لعموم الخطاب في قوله صلى الله عليه وسلم « صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته » اما بالنسبة لاوقات الزوال والغـروب فلم يثبت عموم الوجوب فان دخول الوقت او خروجه يختلف بـاختلاف البقـاع والبلدان فمثلا اذا زالت الشمس في المشرق لا يشترط زوالها في المغرب وكذلك طلوع الفجر وغروب الشمس بل كلما تحركت الشمس درجة فتلك الحركة تكـون طلوع شمس لقـوم وغـروب شمس لآخرين .. وهـذه خلاصة آراء الحنفية .

* اما المالكية فقد اختلفوا في اعتبار اختلاف مطالع القمر اختلافا كبيرا وانقسمت آراؤهم الى ثلاثة اقسام : ـ

اما الرأي الاول : فيقول انه لا عبرة باختلاف مطالع القمر مطلقا سواء قربت البلاد او بعدت .. يقول الحطاب في مواهب الجليل : ان الحكم بثبوت رمضان يعم كل من نقل اليه اذا نقل بشهادة عدلين او باستفاضة ، وسواء كان ثبوته عند حاكم عـام كالخليفة او حاكم خاص كـالامير والقاضي على المشهور ..

الرأي الثاني : يقول باعتبـار اختلاف المطالع اذا ثبتت الر. ية عند حاكم خاص ، فانه لا يعم الحـ.م الا في ولايته فقط يقول الحطاب عن عبد الملك ابن الماجشون « اذا كانت الشهادة عند حاكم خاص فلا تعم الا في ولايته فقط » .

واما الرأي الاخير : فيقول باعتبار اختلاف مطالع القمر بالنسبة للبلاد البعيدة جدا .. روى الحطاب عن ابن عرفه عن ابن عبد البر وقد اجمعوا على عدم لحوق حكم رؤية ما بعد من البلدان كالاندلس من خراسان .. ونحن نرفض هذا الرأي لانه مدحور وغير مقبول .. لعدم الثقة في المأخوذ عنهم هذا الرأي .

* **اما الشافعيـة** فهذه خـلاصة اقوالهم : يقول الامام النووي :

اذا ثبتت رؤية الهلال في بلد ولم تثبت في غيره من البلاد فان تقارب البلدان فحكمهما حكم بلد واحد بلا خـلاف ، وان تبـاعـدا فـوجهـان مشهوران ..

الاول : انه لا يجب الصوم على اهل البلاد التي لم يثبت فيها الرؤية .

والثاني : يقول بـوجوب الصـوم والرأي الاول اصح ، وفيما يعتبر به البعد والقرب ثلاثة اوجه :

(١) ان التباعد يختلف بـاختلاف مطـالع القمـر كالحجـاز والعـراق وخـراسـان ، والتقـارب لا يختلف كبغداد والكوفـة وهذا الـرأي هو

الأصح .
(٢) الاعتبار باتحاد الاقليم واختلافه فان اتحدا فمتقاربان والا فمتباعدان .
(٣) التباعد مسافة القصر والتقارب دونها .

اما الحنابلة فيقولون : اذا رأى الهلال بلد ـ اي بلد ـ لزم جميع البلاد الصوم .

مما سبق يتضح لنا انه لا اعتبار لاختلاف مطالع القمر في مسائل صيام رمضان والحج والنحر لانها تأتي مرة واحدة في العام اما بالنسبة للصلاة فان اختلاف المطالع يعتبر لان الصلوات تتكرر يوميا مما يشق على المسلمين .

وهذه هي خلاصة اقوال جمهور العلماء من ائمة المذاهب الاربعة وغيرهم .. ويقول ابن عابدين في رسالته « تنبيه الغافل والوسنان » يقول : انه لا عبرة بخلاف مطالع القمر في الاقطار الا عند الشافعي ذي العلم الزخار ما لم يحكم به حاكم يراه فيلزم الجميع العمل بما امضاه كما ذكره ابن حجر وارتضاه وقال لانه صار من رمضان بموجب ذلك الحكم ومقتضاه .

ومن هنا يتقرر اجماع الائمة الاربعة على ان اختلاف مطالع القمر لا يعتبر شرعا اذا نقل حكم الحاكم الشرعي ببدء الشهر ووجوب الصوم او الافطار او الحج او النحر .. خصوصا وقد تيسرت المواصلات بين مختلف الاقطار الاسلامية ، واصبح من السهل الاتصال بأي منها في وقت يسير ..

وكذلك لان جميع البلاد الاسلامية تقع ما بين خطي ١٢٠ شرق جرينتش الى خط ١٥ غرب جرينتش ، وانها لا تختلف في الوقت اليومي الا بمقدار ٩ ساعات فقط من ٢٤ ساعة .

ولذلك تجتمع كل البلاد الاسلامية في يوم واحد .

من هنا نرجح انه لا اعتبار لاختلاف مطالع القمر كما سبق شرحه وخلاصة القول مما سبق كله :
(١) ان اثبات الشهور في حد ذاته من غير نظر الى ما يتعلق به من حقوق العباد من باب الاخبار لا الشهادة ، ويستوي في المخبر ان يكون ذكرا او انثى حرا او عبدا .

ولا يشترط مجلس الحكم ولا قضاء القاضي ولا لفظة اشهد ويكفي ان يكون المخبر مستورا .
(٢) ان اثبات الشهور جميعا سواء في صحو او غيم يكتفي فيه بخبر الواحد ولا يشترط العدد الكثير الا عند الخطأ او ظهور الكذب .
(٣) لا عبرة باختلاف مطالع القمر فاذا ثبت الشهر في اية دولة اسلامية ، وجب على باقي الدول الاسلامية الالتزام به ما دام نقل اليهم عن طريق موثوق به .

وهكذا قدمنا ـ في ايجاز ـ حديثا عن الأهلة .. ونقلنا آراء العلماء والفقهاء في كيفية ثبوتها .. وهذا موضوع هام وعظيم لما له من عظيم الأثر في توحيد المسلمين .. اللهم وحد بين قلوبنا ويسر لنا سبل طاعتك والحمد لله من قبل ومن بعد .

التفاؤل والتشاؤم

إن أخطر شيء على حياة الانسان هو إيمانه بالأوهام والخرافات واعتقاده فيها ، أو حتى ميله اليها ، لتحدد مصيره وقدره ، وتلعب بمقدراته ومقرراته ، في فوضى وفي شيوع ، وتفسر له أحداث الكون وأفاعيل الطبيعة في تباين مشاهدها ، لأن ايمان الانسان بالأوهام والخرافات يلغي عقله ، ويغرقه في بحار الظلمة ، ويدفعه دفعا نحو التأخر ، ويبيت نهبا للوساوس والظنون طيلة حياته .

وعندما جاء الاسلام حرم على الانسان كل ما يعوق تقدمه ويزعجه في حياته ، كالتنجيم ، والكهانة ، والعرافة ، والتنبؤ بالمستقبل ، وما يخبئه الغيب ، وحرم عليه ضرب الودع ، وزجر الطير ، وطرق الحصى ، والخط على الرمال ، وحرم التشاؤم ، والاعتقاد في الجن ، والاستعاذة برجال من الجن .

روى مسلم أن أبا هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا طيرة ! وخيرها الفأل » ، قيل : يا رسول الله ، وما الفأل ؟.. قال : « الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم » .

ولأبي داود بسند صحيح عن عقبة بن عامر ـ رضي الله عنه ـ قال : ذكرت الطيرة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « أحسنها الفأل ، ولا ترد مسلما ، فاذا رأى أحدكم ما يكره فليقل : اللهم لا يأتي بالحسنات الا أنت ، ولا يدفع السيئات الا أنت » .

في نظر الاسلام

للاستاذ/ محمد رجاء حنفي عبد المتجلى

ولقد كان الجاهليون إذا عزم أحدهم على أمر فرأى الطير طار عن يمينه تفاءل وتيمن به ، وإن طار عن يساره تشاءم به وتقاعد عن المضي فيما نوى القيام به ، فالطيرة تستعمل في المكروه ، والفأل في الشيء المحبوب ، ولقد بقيت رواسب من ذلك عند الكثير من المسلمين ، فنهى الاسلام عنها ، وحرم الاعتقاد فيها ، وجعل كل شيء مرده إلى قضاء الله عز وجل وقدره .

التفاؤل سنة الحياة :

إن التفاؤل يتفق مع فطرة الحياة ، والطيرة أو التشاؤم خروج على نظامها ، والتفاؤل سنة الحياة ، لأنه سنة العمل ، وسنة الطبيعة السليمة التي يدين بها القلب قبل أن يدين بها العمل ، فكل إنسان منا إنما جاء إلى هذه الحياة وهو أضعف ما يكون ، لا حول له ولا قوة ، دخلها عاريا ، ساهيا ، قليل الأدوات ،

محتاجا إلى المعونة في كل شيء ، في الطعام ، وفي اللباس ، وفي المأوى ، وفي الوقاية ، يقول الحق جل وعلا : (**وخلق الإنسان ضعيفا**) ٢٨/ النساء .

وكل علامة من علامات هذا الضعف البالغ هي في الوقت نفسه دليل على الثقة بالله عز وجل ، والاعتماد على سنة الوجود ، وعلامة من علامات التفاؤل الأصيل الذي يمتزج بطبائع الأشياء .

وفي التفاؤل ارتياح واستبشار ، وظفر وفوز ، وهو عنوان الثقة بالمولى تبارك وتعالى وحسن الظن به ، فهو يبعث في النفس النشاط ، وفي الروح القوة ، وفي العزم الشدة ، ولذلك كان المصطفى صلوات الله وسلامه عليه يعجبه الفأل .

روى الترمذي وصححه عن أنس ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان إذا خرج لحاجته يحب أن يسمع : يا نجيح ، يا راشد » .

وروى أبو داود باسناد حسن عن بريدة أن الرسول صلى الله عليه وسلم « كان لا يتطير من شيء ، وكان إذا بعث عاملا سأله عن اسمه ، فاذا أعجبه فرح به ، وإن كره اسمه رئى كراهية ذلك في وجهه » .

الطيرة شرك :

أما الطيرة والتشاؤم فانها تبعث في النفس الاحجام ، واليأس من النجاح ، وتدعو إلى التخاذل ، والايحاء بالفشل ، الأمر الذي من شأنه أن يضعف الروح المعنوية ، ويجعل الانسان يسيء الظن بالعناية الالهية ، يقول المولى تبارك وتعالى : (**إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون**) ٨٧ ـ/ يوسف ـ ، وروى أبو داود عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ مرفوعا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الطيرة شرك » ، لأن من اعترض القضاء إرادته ، وصده القدر عن مطلبه وكان من المتشائمين ، جعل التشاؤم سبب خسرانه ، ونسى أو تناسى قضاء الله عز وجل ومشيئته ، وهذا ما حكاه لنا القرآن الكريم عن أقوام رسل أربعة :

١ ـ قوم سيدنا صالح عليه السلام ، فقد قال المولى تبارك وتعالى حكاية عنهم : (**قالوا اطيرنا بك وبمن معك**) ، فأجابهم رب العزة بقوله : (**قال طائركم عند الله بل أنتم قوم تفتنون**) ٤٧/ النمل .

٢ ـ قوم سيدنا موسى عليه السلام ، فقد قال المولى تبارك وتعالى حكاية عنهم : (**ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون . فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه**) ١٣٠ و ١٣١/ الأعراف ـ ، فرد عليهم الله عز وجل قائلا : (**ألا إنما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون**) ١٣١/ الأعراف .

٣ ـ قوم سيدنا عيسى عليه السلام ، فقد أرسل إليهم المولى تبارك وتعالى اثنين بعد سيدنا عيسى عليه السلام ، ثم عززهما بثالث ، فقالوا : (**إنا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم**) ١٨/ يس ـ، فرد الله عز وجل

عليهم بقوله : (**طائركم معكم**) ١٩/ يس -
٤ ـ قوم نبينا ورسولنا المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ، فقد كان المنافقون والكفار من اليهود وغيرهم اذا أصاب الناس سوء في « المدينة » يقولون : « هذا من شؤم محمد » ، وفي هذا يقول الله عز وجل : (**وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك**) ، **فرد عليهم** المولى تبارك وتعالى بقوله : (**قل كلٌ من عند الله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا**) ٧٨/ النساء ، يريد : فما بالهم لا يعلمون ولا يدركون حقيقة التوحيد ، وأن كل شيء من عند الله عز وجل ، فهو خالق المنافع والمضار ، ثم أرشدهم عز وجل في الآية التالية إلى حقيقة أخرى ، وهي سنة الأسباب والمسببات ، وأن الانسان لا يقع في أي شيء يضره إلا بتقصير منه في معرفة الأسباب وجهل بتعرف السنن ، وعدم اتقاء أسباب الضرر ، فعليه أن يرجع إلى نفسه يلومها في غير يأس أو شؤم من الحياة ، وأن يتعظ ويعتبر بما حدث له ، ويجعل من ذلك حافزا له إلى تهذيب نفسه وإرشادها ، فتشرق شمس الأماني أمام عينيه ، ويملأ الأمان جوانب نفسه ، يقول الحق جل وعلا : (**ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك**) ٧٩/ النساء

تصفية وتمحيص :

يتناقل البعض من الناس حديثا منسوبا إلى أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « انما الطيرة في المرأة والدابة والدار » ، ولا يتردد أي مسلم في إنكار هذا الحديث ، وذلك لاستحالة صدوره عن المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ، وذلك لعدة أسباب ، منها :

أولا : لأنه يخالف جوهر الاسلام ، دين التوحيد ، فالاسلام بأصوله وفروعه لا يجعل لغير الله عز وجل تأثيرا في هذا العالم بكل ما فيه ، يقول عز وجل :(**ذلك تقدير العزيز العليم**) ٩٦/ الأنعام ، و :(**ألا له الخلق والأمر**) ٥٤/ الأعراف ، و :(**وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى**) ١٧/ الأنفال ، و : (**ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم**) ٥١/ الكهف ، وقد كفر أئمة المسلمين وعلماؤهم من آمن بالنجوم وبالأنواء وما شاكلهما .

ثانيا : لأنه ينافي ما عرف عن المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ، فقد كان يحب الفأل الحسن ، وينكر الطيرة .

ثالثا : لأن في هذا القول ظلما كبيرا للمرأة ، فهو يخصها بالشؤم ، ويجعله وصفا لاصقا بفطرتها ، وهي قسيم الرجل في كل شيء ، يقول الله عز وجل :(**وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى**) ٤٥/ النجم ، ويقول المصطفى صلوات الله وسلامه عليه :« إنما النساء شقائق الرجال» رواه ابو داود والترمذي واحمد ، فكيف تكون المرأة هي المشئومة بمفردها ، والرجل هو السعيد المسعود ؟

رابعا : لو آمن الناس بهذا الحديث لخربت البلاد وشقى العباد ، وتفسير ذلك ، أن كل من تزوج امرأة وأصابه حادث من حوادث الزمن التي لا تعد ولا تحصى تشاءم من زوجته فكرهها أو طلقها .

وكل من اقتنى دابة فوقعت عليه كارثة ، تطير من دابته ، فتركها بلا أكل ولا شرب حتى تنفق .

وكل من سكن دارا ، فحدث فيها حريق ، أو مات له فيها عزيز ، خرج من تلك الدار فارا بنفسه .

وهكذا تفترق الزوجات عن أزواجهن ، وتهلك الدواب ، وتصير الديار خرابا ، ويعيش الناس في ذعر وخوف ووجل .

إذن فما حقيقة هذا الحديث الذي ينسبه الناس إلى أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن أبي حسان قال دخل رجل من بني عامر على عائشة رضي الله عنها فأخبرها أن أبا هريرة يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : الطيرة في الدار والمرأة والفرس فغضبت وطارت شقة منها في السماء وشقة في الأرض وقالت : والذي أنزل القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم ما قالها رسول الله صلى الله عليه وسلم قط ، إنما كان أهل الجاهلية يتطيرون من ذلك

وهذا الحديث يأخذ المبشرون شطره الأول ـ وبخاصة أنه يروى منفردا في أكثر كتب الحديث ـ مع علمهم بالشطر الثاني ، لأنهم قد قرؤوا أكثر مما قرأنا ، بيد أنهم ليسوا بطلاب حقائق ، بل مزيفون مبطلون ، يذيعونه بين العامة ، وبين الشباب المسلم غير المتمكن ، ويقولون : انظروا كيف يبلبل محمد عقول الناس ، ويبعث فيهم الشك والوهن ، ويثبط عزائمهم وهممهم ، ويبث في صدورهم أوهام الجهل وخرافات العامة وعجائز النساء ، والنتيجة لهذا هي صد غير المسلمين عن الاسلام ، وردة بعض المسلمين عنه ، أو شكهم فيه ، مع أن وظيفة الاسلام الأولى هي انقاذ الانسانية من الضلالات والأوهام ، وإخراجها من الظلمات الى النور ومع هذا لا نعدم احمق مخرفاً مقلدا يؤمن بكل النقول فيدعي صحة هذا الحديث ، ويدعو إلى الأخذ به .

الايمان بالقضاء والقدر :

يقول « توماس أرنولد » في رسالة له بعنوان « العقيدة الاسلامية » : إن الايمان بقضاء الله وقدره واجب ، وإن الخير والشر منه ، وإن كل ما يحدث إنما يحدث بارادته ، ولا يستطيع مخلوق أن يفعل ما لم يرد الله عز وجل ، كما قال جل

شأنه :(**والله خلقكم وما تعملون**) ٩٦/ الصافات .

إن هذه العقيدة قائمة على آيات في القرآن الكريم صريحة بذلك ، قال عز وجل : (**ولله ملك السموات والأرض وما بينهما وإليه المصير**) ١٨/ المائدة ، و : (**قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا**) ٥١/ التوبة ، و : (**وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين**) ٢٩/ التكوير .

بيد أننا نجد آيات في القرآن الكريم تشير الى مسئولية الانسان الذي وهبه الله عز وجل نعمة العقل ، ودعاه إلى الخير ، وحذره من عاقبة الشر ، مما جعل الاختيار في الخير والشر مبنيا على ارادته واختياره ، بدون أدنى تدخل ، فقال عز وجل في صدر الكلام على عقاب الذين كفروا يوم القيامة :(**وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون**) ٣٣/ النحل ، و :(**إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**) ١١/ الرعد .

هذا على أننا نجد الاسلام كما عرف عنه في أطوار التاريخ بأنه دين أخلاقي ، يشير على أتباعه أن يتمسكوا على الدوام بالواجبات الأخلاقية ، وأن فيما يفرضه عليهم من الاعتقاد أن كل شيء بأمره ، وأن كل خير إنما هو طوع مشيئته وإرادته ما يغرس في نفوسهم التبجيل وتكريم النفس ، مما يظهر أثره في سلوكهم الخارجي .

وكذلك نرى في أوقات المحنة والشدائد أثر هذه العقيدة واضحا في الكف عن الشكوى ، وتمجيد خلق التسليم والرضا ، الذي هو من أهم سمات ومزايا المؤمنين ، فاذا مسهم نصب ، أو نزل بهم ضرر ، تأثروا بهذه العقيدة ، وكانوا أكثر احتمالا وصبرا حين يذكرون أن هذا من رب العزة الذي كتب على نفسه الرحمة وهو بالمؤمنين رؤوف رحيم .

إن عقيدة الايمان بالقضاء والقدر ليست عقيدة استسلام للأقدار والحظوظ ، والوقوف موقف الخضوع والخنوع ، لذلك كان من التعاليم الاسلامية التي يجب أن يتمسك بها كل مؤمن تقي أن يثق بالعدل الالهي ، وأن كل ما يواجهه في المحن والصعاب إنما هو مقسوم له ومقدر عليه ، فعليه أن يقابله بالصبر والاحتساب ، لأنه من فعل الحكيم الخبير ، وإن غابت عنه أسراره ، يقول عز وجل : (**وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون**) ٢١٦/ البقرة .

وإننا لنجد هذا الدرس يتردد ويتكرر ، وقد صور هذا الدرس في قصة سيدنا موسى عليه السلام مع العبد الصالح الذي لم يتعرض القرآن الكريم لذكر اسمه ، والقصة معروفة في سورة « الكهف » ، ومغزاها : أن يعرف المسلمون أن وراء ظواهر الأشياء بواطن تحمل أسرارا دقيقة ، وحكما خفية ، لا يدرك كنهها العقل البشري ، ولا يصل إلى غورها الفكر الانساني ، فيجب أن نعتقد الحكمة في أفعاله عز وجل ، والخير في تصاريف شئونه ، وإن غابت عنا حكمه ، وخفيت على عقولنا أسراره .

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

مبدأ إسلامي أصيل

للاستاذ / عمر حافظ سليم عاصي

لقد اقتضت إرادة الله ـ تعالى ـ أن يوجد بين أفراد المجتمع تفاوت في فهم الدين ، فمنهم من يسوء فهمه للدين فهو يحتاج إلى اقناع ، ومنهم من يفهم ولكنه ينسى فهو يحتاج الى تذكير ، ومنهم من ينحرف فهو يحتاج الى تقويم .

لذلك فقد شرع الله تعالى مبدأ إسلاميا هاما ، ألا وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فجعله واجبا من أعظم الواجبات الدينية .

قال تعالى : « **ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون** » ١٠٤/ آل عمران

وجعله أيضاً من أهم أسباب أفضلية الأمة الاسلامية على غيرها من الأمم . فقال تعالى : « **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** » ١١٠/ آل عمران .

وأخبر الله تعالى أنه صفة من صفات المؤمنين ودعامة من أهم دعامات مجتمع

الايمان فقال ـ عز من قائل ـ « **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز** ٧١/ التوبة .

كما اهتمت السنة النبوية الشريفة بهذا المبدأ اهتماما كبيرا ، فكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قدوة للأخذ به ، ومن ثم فقد أكد على القيام به تأكيدا شديدا ، فقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ :ـ

« والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ، ثم تدعونه فلا يستجيب لكم » رواه الترمذي وحسنه .

أدلة فرضيته :ـ

يستدل على فرضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالكتاب والسنة والاجماع .

١ ـ قال تعالى : « **ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون** » ١٠٤/ آل عمران .

٢ ـ وعن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال : سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الايمان » رواه مسلم .

هل هو فرض كفاية أم فرض عين ؟

ذهب فريق من العلماء إلى أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية كما ذهب البعض الآخر إلى أنه فرض عين .

وفي الحقيقة أن نوعية الفرضية في ذلك تتوقف على معنى « من » في قول الله تعالى :ـ « **ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون** » ١٠٤/ آل عمران .

وفيما يلي نورد آراء العلماء في تلك المسألة :ـ

١ ـ قال أبو حيان في كتابه « البحر الميط » :ـ

« الأمر متوجه لمن يتوجه الخطاب اليهم ، قيل هم الأوس والخزرج على ما ذكره الجمهور وأمره لهم بذلك أمر لجميع المؤمنين ومن تابعهم الى يوم القيامة ، فهو من الخطاب الخاص الذي يراد به العموم ، ويحتمل أن يكون الخطاب عاما فيدخل فيه الأوس والخزرج .

والظاهر أن قوله « منكم » يدل على التبعيض ، وقاله الضحاك والطبري ، لان الدعاء الى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يصلح إلا لمن علم المعروف والمنكر ، وكيف يرتب الأمر في إقامته ، وكيف يباشر ، فان الجاهل ربما أمر بمنكر

ونهى عن معروف ، وربما عرف حكما في مذهبه مخالفا لمذهب غيره ، فينهى عن غير منكر ، ويأمر بغير معروف ، وقد يغلظ في مواضع اللين وبالعكس ، فعلى هذا تكون « من » للتبعيض ، ويكون متعلق الأمر ببعض الأمة وهم الذين يصلحون لذلك .

٢ ـ وقال الزجاج في كتابه « معاني القرآن واعرابه » :ـ« ومعنى (**ولتكن منكم أمة**) ـ والله أعلم ـ ولتكونوا كلكم أمة تدعون إلى الخير وتأمرون بالمعروف ، ولكن « من » تدخل هاهنا لتخص المخاطبين من سائر الأجناس ، وهي مؤكدة أن الأمر للمخاطبين ، ومثل هذا من كتاب الله (**فاجتنبوا الرجس من الأوثان**) الحج/ ٣٠ ليس يأمرهم باجتناب بعض الأوثان ، ولكن المعنى : اجتنبوا الأوثان فانها رجس . ومثله من الشعر قول الشاعر :ـ

أخـو رغـائب يعطيهـا ويسـألهـا　　يأبى الظلامـة منه النـوفل الـزفر

اي هو النوفل الزفر ، لأنه قد وصفه باعطاء الرغائب ، والنوفل : الكثير الاعطاء للنوافل والزفر : الذي يحمل الأثقال .

والدليل على أنهم أمروا كلهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قوله جل وعلا :ـ (**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر**) آل عمران/ ١١٠ وجوز أن تكون أمرت منهم فرقة لأنه في قوله تعالى (**ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير**) ذكر الدعاة إلى الايمان والدعاة ينبغي أن يكونوا علماء بما يدعون إليه ، وليس الخلق كلهم علماء ، والعلم ينوب فيه بعض الناس عن بعض ، وكذلك الجهاد .أ . هـ بعد هذا العرض لآراء العلماء في بيان « معنى » « منكم » في الآية الكريمة أقرر أن الرأي القائل بأن « من » للتبعيض هو الأولى بالقبول إذ على أساسه يكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية ، وهذا هو مذهب الجمهور كما أن ظواهر النصوص تؤيد ذلك ، وهناك من الأدلة العقلية ما يؤيد صدق ذلك أيضا حيث أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يحتاج إلى أناس يعلمون حقيقة ما يأمرون به وما ينهون عنه ، ولا شك أن ذلك يحتاج إلى دراسة واعية وفهم عميق لمسائل الدين ، وليس ذلك في مقدور كل الناس .

إلا أنه ينبغي علينا أن نعرف ـ أن تغيير المنكر بواسطة القلب فرض عين على الجميع لأنه في مقدور كل الناس واستطاعتهم إذ أن معناه : كراهية المنكر وكراهية فاعله كراهية من القلب .

قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ:ـ « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الايمان »رواه مسلم في صحيحه

قال ابن تيمية : « فأما القلب فيجب بكل حال ، إذ لا ضرر في فعله ، ومن لم يفعله فليس بمؤمن ، كما قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ « وذلك أدنى ـ أو أضعف ـ الايمان » ـ وقال : « وليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل » وقيل لابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ من ميت الأحياء » فقال : الذي لا يعرف معروفا ، ولا ينكر منكرا »

من آداب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

هناك مجموعة من الآداب يجب ان تتحقق في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر نذكر منها ما يأتي :ـ

١ ـ أن يكون الآمر بالمعروف الناهي عن المنكر عالما بما يأمر وعالما بما ينهي ، وذلك يحتاج إلى دراسة واعية وإحاطة تامة بأصول الدين وعلومه المختلفة

٢ ـ أن يكون حليما صبورا على الأذى ، كما قال لقمان لابنه **(وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور)** ١٧/لقمان .

كما يجب أن يكون رفيقا . فالنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : « ما كان الرفق في شيء إلا زانه ، ولا كان العنف في شيء إلا شانه » وفي رواية : « إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ، ولا ينزع من شيء إلا شانه» رواه مسلم والقدوة في الرفق والحلم والصبر هو رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقد أخذ قومه بالرفق مصداقا لقول الله ـ تبارك وتعالى ـ : **(لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم)** ١٢٨/التوبة .

كما أنه صبر على أذاهم ومقاطعتهم ، وكان دائما يلجأ إلى الله ويستعين به فكتب الله لدعوته النجاح .

٣ ـ أن يكون قدوة بحيث يطبق على نفسه قبل أن يأمر غيره أو ينهاه :

ولعل هذا الشرط من أهم الشروط التي يجب أن تتحقق في الداعية ، وإلا كان ممن قال الله فيهم : **(يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون.كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون)** ٢ ، ٣/ الصف .

وكثير من الناس تسمع منهم كلاما حسنا فاذا ما بحثت عن أفعالهم وجدتها لا تمت إلى هذا الكلام بصلة فإليهم أوجه هذا الكلام من باب التذكير : ـ

ألم تعلموا أن ذلك يشكل خطورة كبيرة عليكم وعلى مجتمعكم ، إن الله تعالى أنكر ذلك على أمثالكم حينما قال ـ موجها الخطاب إلى بني اسرائيل ـ **(أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون)** ٤٤/البقرة .

إن عقاب من يرتكب هذا الفعل عقاب شديد ، فلقد صوره رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في حديثين من أحاديثه تصويراً تقشعر منه الأبدان .

أما الحديث الأول : فعن أسامة بن زيد قال : سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول :ـ « يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار ، فتندلق أقتابه ، فيدور بها كما يدور الحمار في الرحى فيجتمع إليه أهل النار ، فيقولون : يا فلان مالك ، ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فيقول : بلى ، كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وأنهي عن المنكر وآتيه » رواه البخاري ومسلم .

وأما الحديث الثاني : فعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ:ـ

« رأيت ليلة أسري بي رجالا تقرض شفاههم بمقاريض من النار ، فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ فقال : الخطباء من أمتك الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم ، وهم يتلون الكتاب ، أفلا يعقلون ؟ » رواه ابن حبان في صحيحه .

وها هو علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ يأمر بتعليم النفس قبل تعليم الغير فيقول : من نصب نفسه للناس إماما فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره ، وليكن تهذيبه بسيرته قبل تهذيبه بلسانه ، ومعلم نفسه ومهذبها أحق بالاجلال من معلم الناس ومهذبهم » .

ولا يفوتني في هذا المقام أن أسوق موقفا رائعا من مواقف الحسن البصري ـ رضي الله عنه ـ لقد جاءه عبيد البصرة ذات يوم وقالوا له : يا تقي الدين ، لقد أساء سادتنا معاملتنا وقست علينا قلوبهم ، وجئنا إليك لتكون خطبتك في الجمعة القادمة الحث على عتق الرقاب ، ولبى ـ رضي الله عنه ـ رغبتهم ووعدهم خيراً ، ومضت جمعة وجمعة ، والحسن لا يخطب فيما كلموه بشأنه .

وفي جمعة من الجمع خطب الحسن عن عتق الرقاب ، فما من أحد سمعه في المسجد إلا خرج وأعتق عبده .

فلما تحرروا من الرق اجتمعوا في بيت الحسن وقالوا له : يا تقي الدين جئنا معاتبين . قال : ففيم العتاب ؟ قالوا : ما الذي أخرك هذه الأسابيع وأنت تعلم أننا كنا في مسيس الحاجة إلى التعجيل بالكلام في هذا الموضوع ؟

فقال لهم الحسن : إنما أخرني أنني كنت لا أملك عبداً ، ولم يكن معي ما أشتريه به . فلما رزقني الله مالا اشتريت عبداً وأعتقته ، فلما خطبت الناس ودعوتهم إلى عتق الرقاب وجد الكلام استجابة في قلوبهم لأنني طبقت على نفسي ما أمرت به غيري .

هذا ولقد كان الشاعر العربي صادقا حين قال ـ مقرعا من يخالف قوله فعله :ـ

يا أيها الرجل المعلم غيره	هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذي السقام وذي الضنى	كيما يصح به وأنت سقيم
ابدأ بنفسك فانهها عن غيها	فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يقبل ما وعظت ويقتدى	بالعلم منك وينفع التعليم

٤ ـ على الآمر بالمعروف الناهي عن المنكر أن يكون شجاعا في مواجهة الظلم والجور مقتديا بقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر » رواه أبو داود والترمذي وحسنه .

وعليه أيضا أن يكون فطنا في نصحه لأولياء الأمور ، فعليه أن يعرفهم ويعظهم متجنبا ما يحرك الفتنة ويهيج الشر .

عاقبة ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :ـ

إن الله ـ سبحانه وتعالى ـ حينما فرض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إنما

فرضه لمصلحة العباد حيث يجدون فيه الأمن ويشعرون بالأمان وينعمون بالاستقرار بسبب إعلان المعروف والقضاء على المنكر .

فإذا ما أهمل العباد ذلك حل الخوف بدلا من الأمان وساد الاضطراب بدلا من الاستقرار وكان في ذلك هلاك الأمة .

ولقد صور رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ تلك العاقبة في حديث من أحاديثه تصويراً عمليا حين قال :ـ

« مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا : لو أننا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا ، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا » رواه البخاري ومسلم .

وهكذا نجد أن الهلاك هو عاقبة عدم الأخذ على أيدي الشذاذ والمفسدين الذين لا يحسنون التصرفات فيسيئون في العمل ويتحللون من الخلق ويلغون العقل .

ولقد كان ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو السبب في أن لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم .

قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

« إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل أنه كان الرجل يلقى الرجل فيقول له : يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك ، ثم يلقاه من الغد وهو على حاله فلا يمنعه أن يكون أكيله وشريبه وقعيده فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ، ثم قال : **(لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون،كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون . ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم .. الى قوله « فاسقون » ، المائدة /٧٨ ـ ٨٠ ثم قال** : « **كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطرا أو ليضرب الله بقلوب بعضكم على بعض ثم يلعنكم كما لعنهم » رواه ابو داود .**

وبترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تشيع الفاحشة في الناس وتنتشر الرذيلة بينهم انتشار النار في الهشيم ، وبذلك تعاني الأمة من كثير من الأزمات في كل مجالات الحياة من سياسة واقتصاد وتعليم وصحة وغير ذلك .

وذلك لأن الفساد حينئذ لا يجد من يقاومه ، والظلم لا يجد من يقف في وجهه ويضع له حدا فينطلق أهل الظلم والفساد يعربدون ويخربون ويستعبدون دون أدنى مبالاة .

يقول الامام أبو حامد الغزالي في كتابه « إحياء علوم الدين » :ـ

« إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين ، وهوالمهم

الذي ابتعث الله له النبيين أجمعين ، ولو طوى بساطه وأهمل عمله وعلمه لتعطلت النبوة ، واضمحلت الديانة وعمت الفتنة ، وفشت الضلالة وشاعت الجهالة ، واستشرى الفساد ، واتسع الخرق ، وخربت البلاد وهلك العباد ، ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد ، وقد كان الذي خفنا أن يكون ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، إذ قد اندرس من هذا القطب عمله وعلمه ، وانمحق بالكلية حقيقته ورسمه ، فاستولت على القلوب مداهنة الخلق وانمحت عنها مراقبة الخالق ، واسترسل الناس في اتباع الهوى والشهوات استرسال البهائم ، وعز على بساط الأرض مؤمن صادق لا تأخذه في الله لومة لائم ، فمن سعى في تلافي هذه الفتنة ، وسد هذه الثلمة إما متكفلا بعملها أو متقلدا لتنفيذها مجددا لهذه السنة الدائرة ناهضا بأعبائها ، ومتشمرا في إحيائها كان مستأثرا من بين الخلق بإحياء سنة أفضى الزمان إلى إماتتها ، ومستبدا بقربة تتضاءل درجات القرب دون ذروتها » احياء علوم الدين ج ٢ ص ، ٣٠٢

متى **يترك هذا الواجب** : **هناك حالات يباح للمرء فيها أن يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر منها :ـ**

١ ـ إذا علم الآمر بالمعروف الناهي عن المنكر عدم قبول أمره ونهيه والانتفاع بهما فحينئذ يترك الأمر والنهي ويلتزم بأمر نفسه .

ونستدل على صدق ذلك بما ورد عن ثعلبة الخشني أنه قيل له : كيف تقول في هذه الآية : (عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم) المائدة/ ١٠٥

قال : سألت عنها خبيرا ، أما والله لقد سألت عنها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال « بل ائتمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ، حتى إذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة ، واعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بنفسك ودع عنك أمر العوام » رواه أبو داود وابن ماجة والترمذي .

٢ ـ إذا آلت الأمور إلى غير أهلها وساء حال الأمة ووصل إلى درجة من الفساد لا يجدي معها أمر ولا نهي ، فعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال : سأل رجل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : يا رسول الله متى يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؟

فقال : إذا ظهر فيكم ما ظهر في الأمم قبلكم ، قلنا يا رسول الله : وما ظهر في الأمم قبلنا قال : الملك في صغاركم ، والفاحشة في كباركم ، والعلم في رذالكم » رواه ابن ماجة .

قال زيد بن يحيى الخزاعي :

« يعني أن يكون العلم في الفساق ، فالعالم الفاسق لا يتورع عن التقرب لأهل الفواحش من الكبراء وإفتائهم بغير ما أنزل الله طمعا في دنياهم »

وختاما :

أسأل الله تعالى أن يجعلنا من عباده الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر الحافظين لحدود الله ، وبالله التوفيق .

مناجاة الله

هي السبيل الى النجاة

للاستاذ / كارم السيد غنيم

شاءت ارادة الله سبحانه وتعالى أن يجعل الحياة الدنيا محل ابتلاء ومحك اختبار بين الناس حتى يستبين المفسد من المصلح والمسيء من المحسن ، ومن هو أهل رضوانه وجنته ، ومن استوجب مقته وعقابه . وشاءت رحمته تعالى ألا يتركهم في متاهات الدنيا ضائعين ضالين ـ بل هيأ لهم الأرض وهداهم السبيل وعلمهم الأسماء والمدلولات وخلق لهم ما يحملهم وأثقالهم ، وخلق لهم مقومات حياتهم جميعا مما يأكلون ويشربون وما يتنفسون وما يستمتعون به من كل طيب جميل .
وبرغم كل هذا ، فلازالت عقول البشر قاصرة عن أن تدرك كنه الاشياء والأحداث تعتورها العثرات والمشكلات وتعترضها معضلات الأمور وشدائدها ، فتقف أمامها شاردة لاتدري للضائقات حلا ولا ترى منها مخرجا وتضيق قدراتها عن نيل مراداتها ـ فتتأزم النفس وتتصاعد غيظا واختناقا وهما ، فماذا تفعل إن ألمت بها عوامل الهدم هموما وأحزانا ومخاوف ، وأسدلت الغموم أستارها وادلهمت الخطوب واستبدت الحيرة وضاقت الدنيا ـ لا تملك الا أن تلجأ الى خالقها فهو العليم بخلقه ، القدير في كل مراده ، مالك الملك كله، المهيمن على الشأن كله ، القائم على كل نفس ، العزيز الحكيم القاهر فوق عباده ، الفعال لما يريد ـ يبسط يده لعباده وخلقه بالرحمة وكان بهم عليما خبيرا وبضعفهم بصيرا : (**وخلق الانسان ضعيفا**) النساء / ٢٨ .

ومن هنا لم يستغن بشر عن الهه وخالقه ، يلجأ اليه في الملمات ، ويجأر اليه في الضائقات ، ويسأله دواما الحاجات ، ويستكثره النعم والعطاءات ، ويضرع

اليه إن انتابه الهم أو أصابه الغم أو امتدت به الحيرة ، فكأن سؤال الرب ضرورة من الضرورات وبديهة من البديهات ، وكما أنه لا غنى لطفل عن ثدى أمه وحنانها فلا غنى لمخلوق عن خالق حنان منان ، يعطف ويرأف ، ويعطي بغير حساب ، لا تنفد خزائنه ، ولا ينقطع جوده ، ولا يمل عطاء وكرما ، فماذا لو كان قدره تعالى أن خلقنا فتركنا لأنفسنا نحيا حياة الغاب فرائس يقتل بعضنا بعضا ـ فلا غنى إذاً عن رب عظيم نعبده ونتقرب اليه بالطاعة والتحبب والزلفى ، فيحيطنا باللطف وبالعناية ويفتح بابه لشكوانا وتضرعاتنا ، ونلجاء اليه في أزمتنا وملماتنا ونطلب منه المزيد لمطامعنا وآمالنا ونسأله قوة فوق قوتنا وطاقة فوق طاقتنا وبصيرة تهدينا ، ونورا يضيء لنا .

* كيفية الضراعة الى الله ومناجاته :

في أنفسنا ونبضات قلوبنا وفي كل شيء من حولنا نرى آلاء الله وآياته ووجوده وبقاءه ـ لا نرى ذاته تعالى لأنه فوق السمع والبصر والحواس كلها ، لا مثل له : (**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**) الشورى / ١١ : (**لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير**) الأنعام / ١٠٣ . فكيف نخاطبه وكيف نبلغ مناجاته جل وعلا ، لا سبيل الى ذلك الا بما علمنا هو ذاته في كتابه المنزل وبلسان نبيه المرسل محمد صلى الله عليه وسلم ، ففيه أدب الخطاب وحسن التعبير وجوامع الكلم وتمام المقاصد ، وفيه من قبل تطهير النّفس وتزكيتها لتصبح خليقة بمناجاة ربها وبتجلي رضوانه عليها واستجابته لضراعتها .

* علل النفس في معترك الحياة :

صبغة الله في الكون أن جعل الحياة فيها تنافسا وصراعا ومغالبة : (**ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض**) البقرة / ٢٥١ ، (**ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا**) الزخرف / ٣٢ ، (**وفي ذلك فليتنافس المتنافسون**) المطففين / ٢٦ فاذا ضعفت همم بعض الناس عن المقاومة والصمود لعتورات الحياة وعن مجابهة معتركها ، وأصاب الخور نفوسهم ، تنازعتها الانفعالات والتأثرات بما يصيبها من أمراض وصراعات نفسية داخلية وعصبية تفقدهم شخصياتهم وتنهار معها عزائمهم وتنهدم بها كياناتهم .

* الاضطرابات النفسية تسبب أمراضا عضوية :

إذا كانت الهموم والأحزان تولد اضطرابات نفسية ، تؤدي بدورها الى

أمراض عضوية عديدة مثل مرض السكر ، وضغط الدم وزيادة إفراز الغدة الكظرية (الأدرينالين) فتتضاعف الانفعالات وتؤدي الى آثار خطيرة ، كما أن الانفعالات النفسية الحادة تسبب تهيج العصب الحائر الذي ينجم عنه الاصابة بقرحة المعدة ، وقد تحدث تغيرات في الأوعية الشعرية للعيون يتخلف عنها بياض مصحوب بضياع البصر (الجلوكوما) ، وقد ثبت حديثا أن الحزن الشديد والتوتر العصبي الانفعالي والقلق ـ إن جاوز الحد ـ يؤثر تأثيرا مباشرا على الإبصار ، يؤيد ذلك قول الله تعالى : **(وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم)** يوسف / ٨٤ ، كما قد تؤدي هذه الاضطرابات الى اجهاض الحامل والى الشيب المبكر واختلال الافرازات الغددية في الجسم عموما .

إن انتشار الأمراض النفسية والاضطرابات العصبية يتزايد يوما بعد يوم مواكبا ركب التقدم الصناعي والتكنولوجي في حياة البشر ، لأن وسائل الرفاهية التي يلهث الناس في سبيل تملكها واقتنائها متباهين بها هي في حد ذاتها وسائل مؤدية الى اصابة الانسان بأمراض الضعف العضلي وبالخمول والكسل وعدم القدرة على التصدي للأعمال الكبيرة أو إتمام الأعمال الموكولة اليه بجد ، ثم الشعور بالملل والسآمة التي تفقده لذة الحياة . يقول الدكتور جوبر : (إن القلق يجعل العصارات الهاضمة تتحول الى عصارات سامة تؤدي في كثير من الأحيان الى قرحة المعدة) ، وعبر عن ذلك أيضا د . ج . مونتاجي بقوله : (إن قرحة المعدة لا تأتي مما تأكله ولكنها تأتي مما يأكلك) يقصد بذلك القلق والاضطراب .

إن من أوسع مجالات الصراع حاليا بين أفراد الجنس البشري الصراع على المال : فقد أثبتت البحوث العلمية أن أكثر حالات الانتحار والجنون والانهيار النفسي مرجعها ذلك الصراع على تملك المال أو المتعة . وقد نشرت إحدى المجلات إحصائية تؤكد أن ٧٠٪ من أمراض الاضطرابات النفسية مرجعها صراع البشر على المال .

* خطورة الاضطرابات النفسية :

لقد أصبح من الواضح أن العقد النفسية ليست وهما ، كما أن الألم والظواهر التي تصاحب هذه الاضطرابات أشد من الأمراض العضوية ، حتى ولو ماثلتها في الأعراض ، وكثيرا ما تسبب هذه الاضطرابات الصداع والدوخة واضطرابات القلب وغيرها . ويقرر علماء الطب النفسي أن من أمراضها الانطواء على النفس (النكوص) ، ولها أعراض مرضية قد تتفاقم عن **المرض السوداوي** وأعراضه الكآبة والخوف والتشاؤم وعدم الرغبة في الحياة والشعور بالرغبة في الانتحار الذي كثيرا ما يلجأ اليه المريض ليتخلص من حياته كما أن من مضاعفات

الانطواء أيضا **مرض الأنفصام** الذي يظهر في سن المراهقة ، وأعراضه أعراض المرض السوداوي بالاضافة الى احساس المريض بأنه يعيش في عالم يفقد واقعيته وحقيقته . وكذلك من المضاعفات أيضا **الجنون الهذائي التأويلي** .

* أسباب الأمراض النفسية :

لعل من أهم الأسباب ما يلي :

(١) **الاسراف وتعجل احراز النجاح والمكاسب** : يقرر علماء الطب النفسي أن أهم وأخطر أمراض العصر الحديث المنتشرة إنما هو نتاج الاسراف ، وهي أمراض أصبحت ملازمة للانسان في الحياة المعاصرة . لأن تعجل الأمور يستلزم الإسراف في بذل الطاقة بما يصاحبه من انفعالات تعد من أسباب الاضطراب النفسي ، فلقد أثبتت الدراسات أن اسراع الانسان في حياته وتعجله للأمور دون روية في أوقاته يؤدي الى عدم تحقيق ما يصبو اليه برغم تحميله نفسه فوق طاقتها فينعكس ذلك على الصحة بالأضرار .

(٢) **الغضب** : تشير الأبحاث الى أن معظم أمراض القلب والشرايين تنتج من الغضب المباشر ذلك أن حالة الانسان التي يكون عليها في أثناء غضبه كفيلة بتغيير حالته النفسية واختلالها .

(٣) **أسباب أخرى** : بالاضافة الى ما أوردناه فان من الأسباب أيضا : **رتابة الحياة** ، فالحياة الرتيبة المتوالية التي تسير على منوال واحد تؤدي الى الشعور بالملل والسأمة وغيرها من ألوان الآلام في النفس البشرية . ومنها أيضا **أنعدام الثقة بالنفس** ، فانه يؤدي بصاحبه الى الإصابة بعدة أمراض نفسية تصل الى درجة الجنون أو الموت . ومنها أيضا **الطمع والجشع والتمرد** ، فكلما حقق الانسان هدفا طمع في تحقيق آخر ، وكلما أصاب مأربا تطلع الى غيره ، وهكذا يقضي الانسان حياته متنقلا من رغبة الى أخرى ، وهو في غمار هذه الحياة اذا فاتته رغبة تحسر عليها وندم فيخلف ذلك في نفسه أمراضا ولو لم يشعر .

* القواعد الأساسية في علاج الأمراض النفسية :

أولها وأهمها : **الايمان بالله** ، فهو الوقاية والعلاج معا ، لأن الايمان بالله ذاتا وصفات وأفعالا يجعل المرء في أمن على نفسه وأمن على رزقه وأمن على مستقبله ، ولأن الايمان بالله يمحو من العبد الشعور بما فرط وقصر ، وذلك لأن الله سبحانه غفار الذنوب ويقبل التوبة من عباده ، كما أن الايمان بالله يجعل الانسان لا يأسى على ما فاته ولا يحزن على أمل لم يتحقق ، يقول الله تعالى « **لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم** » الحديد / ٢٣ . وفي هذا يقول الشيخ الشعراوي إن الحق سبحانه يوجه الانسان الى ألا يعيش حدثا ما في غير زمنه ، فلا

يظل الانسان أسير ما فات من أحداث ،وليكتف من القديم المنصرم بالعبرة ، وعلى الانسان أيضا أن ينظر الى كل نعمة أنعم الله عليه بها فيوجهها فيما يرضى الله ولا يترك لنفسه قيادها في صرف النعم في غير مصارفها السليمة فقد تكون النعمة في حد ذاتها نقمة إذا ألهت العبد عن ربه أو صرفها في غير ما يرضى ربه .

وتتوالى البحوث والدراسات العالمية مؤكدة أن الايمان بالله هو أعظم وسائل القضاء على الاضطرابات العصبية والانهيارات النفسية ، فهذا وليم جيمس ـ أستاذ الفلسفة بجامعة هارفارد يقول : (ان أعظم علاج للقلق ولاشك هو الايمان) . ويقول د . بريل :(إن المرء المتدين حقا لا يعاني قط مرضا نفسيا) . ويقول ديل كارينجي : (إن أطباء النفس يدركون أن الايمان القوي والاستمساك بالدين كفيلان بأن يقهرا القلق والتوتر العصبي ، وأن يشفيا هذه الأمراض) .

(أ) الايمان بالله رازقا :

إن الانسان حين يعتقد أن الله سبحانه هو الرازق ، وأنه ـ وغيره من الكائنات ـ قدر الله لهم الرزق : (**الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوي العزيز**) الشورى / ١٩ : (**والله يرزق من يشاء بغير حساب**) البقرة / ٢١٢ ، (**إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين**) الذاريات / ٥٨ ، (**الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر**) الرعد / ٢٦ ، حينما يعتقد الانسان ذلك فكيف يطغي على غيره أو يطمع فيما عنده أو يحقد أو يحسد . وليست هذه دعوة الى الكسل أو القعود عن السعي ، وانما هي دعوة الى النشاط الدائب يقرن الانسان فيه الأخذ بالأسباب بالاعتصام بمسبب الأسباب وخالقها .

(ب) الايمان بالله عليما وسميعا وبصيرا :

إن الانسان حينما يعرف أن الله سبحانه هو العليم الذي لا يعلو على علمه علم ، وأنه علام الغيوب ، وأنه خالق العلوم وموهبها (**إن الله عالم غيب السموات والأرض انه عليم بذات الصدور**) فاطر / ٣٨ ، (**إن الله يعلم غيب السموات والأرض والله بصير بما تعملون**) الحجرات / ١٨ ، حينما يعلم الانسان ذلك ويطمئن اليه فانه بلاشك يبرأ من أمراض نفسية اعترته ويقي نفسه من أمراض أخرى تكاد تنزل به .

(جـ) الايمان بقضاء الله وقدره :

إذا اطمأن الانسان الى حكمة الله سبحانه في كل الأمور حلوها ومرها ، فما

من مكروه يلم به الا كان تكفيرا عن ذنب أو اختبارا من الله للعبد ، فان اجتازه كان له كسبا ورقيا ، وان فشل في مواجهته باء بالخسران ، وإذا علم الانسان أن الله لا ينزل به الا ما يصلحه ، فان الانسان لا محالة سيعيش مستقر النفس قرير العين في دنياه خالي البال من الهموم والأحزان . يقول الامام ابن القيم في هذا الشأن ما خلاصته : (١) على المؤمن أن يتمثل دائما قول الله تعالى (**وبشر الصابرين . الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا اليه راجعون . أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون**) البقرة / ١٥٥ - ١٥٧ ، وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي رواه أحمد وابن ماجه عن أبي سلمة : (ما من أحد تصيبه مصيبة فيقول : إنا لله وانا اليه راجعون ، اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيرا منها ، الا آجره الله في مصيبته وأخلف له خيرا منها) .

(٢) على المسلم أن يعلم أنه وأهله وماله ملك لله عز وجل حقيقة ، وأن كل ذلك وديعة لله عند العبد ، فان أخذ وديعته وقتما شاء فله ما أراد . (٣) على العبد أن يعلم أنه تارك الدنيا لا محالة وذاهب الى ربه وحيدا - كما خلقه أول مرة - بلا أهل ولا مال ولا عشيرة ولا جاه ولا سلطان ولا عز ولا زخرف ، وانما فقط بما قدمه من أعمال صالحة أو سيئات وذنوب ، فاذا كانت الدنيا هذا شأنها فكيف للانسان أن يفرح بموجود ويأسى على مفقود . (٤) على الانسان أن يعلم علم اليقين أن ما أصابه من مصيبة أو ما حاق به من مكروه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه ، وذلك مصداق قول الله : (**ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير . لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور**) الحديد / ٢٢ - ٢٣ ، (٥) اذا نظر المصاب الى مصيبته وجد أن نعم الله الباقية أكثر مما ابتلى به أو فقده ، ثم ان الذي ادخره الله له - إن صبر ورضى - أجر يفوق ما فاته أضعافا كثيرة .

(٦) على الانسان أن يعلم أن سنة الحياة الدنيا التغيير والتبديل ، وانها ان أضحكت قليلا أبكت كثيرا .

(٧) على الانسان أن يعلم أن الجزع والفزع والهلع لا يرد المصيبة ، بل يضاعف أضرارها .

(٨) وعليه أن يعلم أنه بجزعه وفزعه وهلعه يغضب ربه ويفرح عدوه وهو الشيطان .

(٩) وعليه أن يعلم أن في الجنة بيتا يسمى (بيت الحمد) لكل حامد ربه في الدنيا برغم ما ينزل به .

(١٠) وعليه أن يعلم أن كل شيء له عوض الا الله ، إن فقده العبد فلا يمكن أن يجد له عوضا .

(١١) وعليه أن يعلم أن ما يحل به لا يعد دلالة على غضب ، وانما يكون ابتلاء له ، روى أحمد والترمذي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله اذا أحب قوما ابتلاهم ، فمن رضى فله الرضا ، ومن سخط فله السخط » وفي رواية أحمد زيادة

(ومن جزع فله الجزع) .
(١٢) وعليه أن يعلم أنه إن لم يصبر صبر الكرام فهو لا محالة صابر في النهاية ولكن صبر اللئام وهو صبر غير مأجور عليه .
(١٣) وعليه أن يعلم أن لكل شيء دلالة وحب العبد لربه دلالته الصبر على ما ينزله الله به من ابتلاءات فيحب ما أحبه الله وما قضاه .
(١٤) وأخيرا : ليعلم المسلم أن الحياة الدنيا مكابدة والقابض فيها على دينه كالقابض على جمر النار ، فالضلال يستشرى والأوثان قديمها وحديثها تعبد من دون الله ، والسعي في إفساد عقائد المسلمين له حملات ومنظمات ، فليسمع المسلم قول رسول الله صلوات الله وسلامه عليه « حفت الجنة بالمكاره ، وحفت النار بالشهوات » .

* عقدة الشعور بالذنب :

لا تسلم حياة المرء من زلات تحدث منه أو سقطات يقع فيها أثناء خوضه غمار الحياة العاتية فيعصى ربه حيث يقع في الذنوب ، ويزداد أثرها ويعظم ضررها كلما ازدادت هي حجما ولكن الانسان يتصارع ضميره مع نفسه بما يؤرقها ويمرضها بسبب استدامة مثول الذنب أمام عينيه وتصور ضخامة العقاب الذي سوف يحل به ، فتظل الحياة هكذا في قلق واضطراب يؤديان به الى أمراض نفسية خطيرة واختلف الناس في علاج هذه العقدة وتنوعت آراؤهم وتعددت أفكارهم ونسوا أن كتاب الله الخالد الذي أنزل على رسوله محمد عليه الصلاة والسلام منذ خمسة عشر قرنا من الزمان قد احتوى على أمثل الحلول لمشكلات الدنيا بأسرها معروضة تصريحا أو تلميحا . ويجمل بنا قبل أن نعرض وسائل القرآن في علاج مثل هذه الاضطرابات النفسية ، أن نعرض أهم أفكار الملحدين وطرائق العلمانيين في هذا المجال ، ثم ندحض ذلك بالاعجاز القرآني الخالد أبد الدهر .

* رأي فرويد ومدرسته في العلاج بالتحليل النفسي :

فرويد يهودي الدم نمساوي الجنسية ، عاش وقتما تعصبت الدولة ضد اليهود في كافة أرجائها ، ولقد أجمعت الأبحاث التي كتبها صديقه د . أرنست جونز على أن فرويد نفسه لم يكن سوي الطبيعة أو الصحة ، بل كان عرضة للاغماء اثر بعض المفاجئات ، وكانت مرارة الطبع خلته في علاقاته بغيره ، وكانت له صنوف من القلق تنم عن حيرة مكتومة باطنة ، ودارت كل أفكاره في فلك واحد طابعه محاربة العقائد الدينية والتقاليد الخلقية ، هذا الرجل كان في حد ذاته مجموعة من العقد النفسية حتى آخر حياته ، فمن هذه العقد : خشية السفر

بالقطار ، دوام العزلة ، البول في طفولته ، النسيان لأقرب الأشياء لديه حتى اسمه ، الى غير ذلك من العقد النفسية .

افترض فرويد أن الشهوة الجنسية هي الحافز الأول لنشاط الانسان ، وهو يضع بافتراضه هذا قاعدة خطيرة هي : إعلاء الجانب الغريزي في الانسان ، ثم يرد كل العوامل اليه تحت اسم (حيوانية الانسان) . ويمضي فرويد فيقرر أن الانسان في جوهره : حيوان كغيره من الحيوانات ، وأن غرائزه وميوله الفطرية وحاجاته العضوية هي أساس سلوكه في الحياة .

تقوم فكرة فرويد في العلاج بالتحليل النفسي على أساس أن الأمراض النفسية تحدث نتيجة كبت لرغبات الغرائز الجنسية ، تلك التي لا يقر الدين إشباعها دون ضوابط ، ولا يسمح المجتمع أو العرف بشيوعها ، فيضطر صاحبها الى كبتها في العقل الباطن بقصد إخفائها أو تجاهلها ، ولكنها لسبب ما تحاول الظهور في نفس الوقت الذي يحاول فيه كبتها ، فيدور الانسان هكذا بين الكبت ومحاولة الظهور ، وينشأ عن ذلك صراع مرير يؤدي الى مرض نفسي بسيط أو عنيف .

هذه النظرية (أو الطريقة) نعتبرها فاشلة مهدومة من مواقع : **أولها** : أن المجتمعات الأوربية والأمريكية والشيوعية تبيح الاشباع الجنسي بكافة الأشكال ، حتى اللواط (الشذوذ الجنسي) شاع تمردا على الزنى الذي سئمه أهل هذه البلاد . كما أن الانتحار أنتشر بشكل ملحوظ هناك على الرغم من هذا الاشباع الجنسي واطلاق الغرائز بلا ضوابط أو قانون ، حتى لتجد أكثر الدول اباحية ـ كالدول الاسكندنافية ومنها النرويج والسويد ـ أكثرها شيوعا للانتحار ، فلو أن نظرية فرويد في العلاج النفسي صحيحة لما عجت هذه المجتمعات بالأمراض النفسية ، ولما شاعت العيادات والمصحات النفسية .

وثانيها : انتشار مرض الاكتئاب ذلك الذي لم يجد أتباع فرويد حلا أو علاجا له غير العقاقير الطبية والصدمات الكهربية ، مما يدل على فشل طريقتهم في العلاج النفسي .

وثالثها : شهود كثير من رجال الطب النفسي في بلاد الغرب وشهد شاهد من أهلها بعدم صحة هذه الطريقة العلاجية ، حتى قال كثير من الباحثين في الغرب وغيره إن فرويد أقرب الى المنجمين منه الى العلماء ، ذلك لأنه يلقي بآرائه ونظرياته دون أن يقيم عليها البرهان العلمي أو السند الواقعي ، بل هي في أغلبها تقوم على الافتراض ، ثم تصديق ما يفترض ، فيبنى عليه وكأنه حقيقة علمية . فلم يجر فرويد تجربته الا مع مرضى وشواذ ومصابين ، وليس مع الأصحاء الأسوياء ، وإنه لمن الجدير بالذكر أن الدافع الجنسي يأتي بالمرتبة الدنيا بعد دوافع طلب السلطان أو الرفاهية أو غيرها ، كما أنه من الجدير بالذكر أيضا أن الدافع الجنسي يخضع للتربية بمعنى ترويضه على العفة ، وليس أعظم من الاسلام نظاما عالميا في هذا الشأن تربية وضبطا وترشيدا .

* خطوات العلاج النفسي بطريقة فرويد ونقدها موضوعيا :

تتلخص هذه الطريقة في أن يسترخي المريض تماما (مستعينا في ذلك بالعقاقير الطبية المهدئة) ومن ثم يتحدث المريض عن كل ما في نفسه الى الطبيب المعالج بصوت مسموع ، فيكشف عن أخطائه وذنوبه فيشعر بها في الوعي بعد أن كانت مترسبة في أعماق نفسه ، فيحدث صلح بين النفس والضمير ، فيكف الضمير عن لوم النفس ، فتتحسن بذلك حالة المريض حتى يبرأ من مرضه .

أما عن نقد هذه الطريقة فنقول :

أولا : في طريقة العلاج بالتحليل النفسي يجلس المريض ليعترف لطبيبه المعالج بأخطائه وذنوبه وهمومه ومشكلاته ، على الرغم من أن الطبيب مخلوق مثله لا يملك له نفعا ولا ضرا ، بينما يتوجه الانسان الى الله بالتوبة والاستغفار مع الاعتقاد بأنه وحده هو العفو الغفور الذي يتجاوز عن الذنوب والخطايا .

ثانيا : يسحب الاعتراف من المريض سحبا بالاستعانة بالعقاقير المهدئة أو المخدرة ، بينما في التوجه الى الخالق العظيم العليم بخفايا الأمور وسرائر الانسان ، يشعر الانسان بضآلته وضعفه أمام الله فيبث اليه ما يشتكي وما يجد في نفسه طواعية واختيارا .

ثالثا : تحتاج طريقة العلاج الفرويدية الى أمور كربط ميعاد مع الطبيب وانتظار الدور وعدم تفرغ الطبيب في بعض الأحوال إن لم يكن أكثرها - أو عدم العثور عليه وقت احتياجه ، بينما في التوجه الى الله يملك الانسان الميعاد ويجد ربه أنى طرق بابه في أي وقت وأي مكان « **وهو معكم أينما كنتم** » الحديد / ٤ .

رابعا : إذا وصل المريض الى الشفاء بهذه الطريقة الفرويدية فانه تبقى ماثلة أمام عينيه مشكلة أخرى هي عدم الطمأنينة بأن الله قد عفا عنه فيما قدم من ذنوب وخطايا ، بينما اذا توجه ذلك المريض الى خالقه مباشرة مناجيا إياه باثا شكواه مستغفرا من ذنوبه تائبا من خطاياه فانه يضمن الأمرين معا الشفاء والعفو من الله : (**ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما**) النساء / ١١٠ ، (**واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فانه غفور رحيم**) الأنعام / ٥٤ .

خامسا : لا يمكن أن يعد الطبيب النفسي مريضا بالشفاء المحقق ، بينما الرجوع الى الله واللجوء والتوجه اليه ومناجاته سبحانه يتحقق معها الشفاء الكامل ، وذلك قول الحق تبارك وتعالى : (**قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم**) الزمر / ٥٣ ، (**فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فان الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم**) المائدة / ٣٩ .

سادسا : اذا كان العلاج بالطريقة الفرويدية لا يضمن شفاء من سقم ولا برءا من

مرض فان التوجه الى الله والرجوع اليه ومناجاته لا تضمن الشفاء الكامل فقط وإنما تضمن قدرة المؤمن على مواجهة شدائد الحياة ومغالبة أمواجها العاتية فيما يستقبله من أحداث ، ذلك لأنه يعتصم بقول الحق : (**وأصبر وما صبرك الا بالله**) النحل / ١٢٧ .

سابعا : إنه لمن المعروف أن درجة الثقة بين المريض وطبيبه المعالج تتدخل الى حد كبير في شفائه وبرئه ، وإنه لمن الواضح أن هذه الدرجة تصل الى منتهاها اذا كان المريض يفضي بشكواه الى الخالق العظيم ويبث نجواه اليه سبحانه .

ثامنا : وأخيرا يجدر بنا أن نعرف أهم العوامل التي تحدد الإطار العام لنظرية فيلسوف أو فكرة مفكر ، فان منها أنه يفترض فكرته أو نظريته بناء على نظرته الشخصية الى الأمور وثقافته التي حصلها وبيئته والظروف التي أحاطت به ، ومهما بلغ المرء من تفكر ودقة نظر فانه لا يستطيع أن يخرج عن أبعاد وجوده البشري ومستواه العقلي وقدره النفسي ، لذا فهو لا محالة خاضع للخطأ والصواب ، أما الذي خلق الكون ويقوم على نظامه وهو الذي يعلم ما يصلحه فانه وحده سبحانه المشرع الأعظم والشافي الأكبر والسميع للدعاء والقريب للرجاء ، وما عدا تشريعه فأفكار من صنع المخلوقات اذا نجحت حينا فشلت أحيانا .

الوسائل العملية في علاج الأمراض النفسية :

(أ) الصلاة : الوضوء شرط لصحة الصلاة ، وهو استعداد روحي وتهيئة ذهنية للدخول في حضرة الاله الأحد ، فمع الاغتسال من العوالق الحسية يكون الاغتسال من الشوائب المعنوية فيدخل المسلم مع ربه في مناجاة يرقى بها اليه ، فتذوب معها كل الأدران النفسية التي كانت عالقة به .

(ب) الصوم : هو مجاهدة النفس ومغالبة الهوى وتوطين المرء على معارضة النزعات ومواجهة المغريات ، وبذا تقوى النفس في مجابهة شدائد الحياة ومكابدة مشكلاتها .

(جـ) الزكاة : هي مظهر من مظاهر الصحة النفسية ، وفي نفس الوقت هي وسيلة للوصول اليها ، حيث أنها تؤكد للمريض ـ أو السليم ـ تفاعله مع مجتمعه المحيط به ، وتمحو عنه الاحساس بالوحدة والعزلة ، كالصلوات الجامعة تماما .

* الوسائل الوقائية من الأمراض النفسية :

رسول الله صلى الله عليه وسلم سنته زاخرة بالأدعية والأساليب التي بها يستطيع المؤمن مواجهة مشكلاته وقاية وعلاجا ، مثال ذلك :

(١) لطرد القلق والأرق : روى ابن السني في كتاب عمل اليوم والليلة عن زيد بن

ثابت قال : شكوت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أرقا أصابني ، فقال : (قل : اللهم غارت النجوم وهدأت العيون ، وأنت حي قيوم لا تأخذك سنة ولا نوم ، يا حي يا قيوم أهدىء ليلى وأنم عيني) فقلتها فأذهب الله عز وجل عني ما كنت فيه . » رواه أحمد .

(٢) **اذا اعترى المسلم كرب** : روى الترمذي في جامعه عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم : أنه كان اذا أكربه أمر قال : (يا حي يا قيوم ، برحمتك أستغيث) . وروى في سنن ابي داود عن ابي بكرة عن النبي صلى الله عليه وسلم : (دعوات المكروب : اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني الى نفسي طرفة عين ، وأصلح لي شأني كله لا اله الا أنت) . وروى الترمذي عن سعد بن ابي وقاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال(دعوة ذي النون اذ دعا ربه وهو في بطن الحوت لا إله إلا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين . لم يدع بها رجل مسلم قط الا استجاب له) .

(٣) **اذا أصاب المسلم فزع** : روى ابو داود عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده : (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعلمهم من الفزع كلمات : أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وشر عباده ، ومن همزات الشياطين، وأن يحضرون) .

(٤) **اذا شعر المسلم بهمّ يحاول أن يسيطر عليه** : روى في كتاب ابن السني عن ابي موسى الاشعري قالً : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من أصابه هم أو حزن فليدع بهذه الكلمات ، يقول : أنا عبدك ابن عبدك ابن أمتك في قبضتك ، ناصيتي بيدك ، ماض في حكمك ، عدل فيّ قضاؤك ، أسألك بكل اسم هو لك ، سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك ، أو علمته أحدا من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك ، ان تجعل القرآن نور صدري وربيع قلبي ، وجلاء حزني ، وذهاب همي) .

(٥) **اذا استعصى على المسلم أمر ما** : روى في كتاب ابن السني عن انس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استعصى عليه أمر ـ أو اذا شرع في أمر ـ قال : (اللهم لا سهل الا ما جعلته سهلا ، وأنت تجعل الحزن اذا شئت سهلا) .

هكذا نرى الاسلام يعالج كل أمور الحياة قل شأنها أو جل ، وما فرط الله في كتابه من شيء ، ففيه الحل الأمثل لكل المشكلات والمعضلات ، وفيه أمثل نظام لكل شئون الدنيا ، وفيه الشفاء الكافي لكل الأمراض ، وكلما دقق العالم في آياته وجد عجبا لن ينتهي بمرور الأيام والسنين . نسأل الله التوفيق والرشاد إنه سميع مجيب .

مائدة القارئ

إلى بيوت الله

قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « من تطهر في بيته ، ثم مضى إلى بيت من بيوت الله ليقضي فريضة من فرائض الله ، كانت خطواته إحداها تحط خطيئة ، والأخرى ترفع درجة » .

رواه مسلم

الصيام

ليس الصيام من الشراب والطعام وحده ، ولكنه من الكذب والباطل واللغو .

في رمضان

كان عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ يقول :
ذاكر الله في رمضان مغفور له ، وسائل الله فيه لا يخيب .

دعاء

اللهم لا تكثر لي من الدنيا فاطغي ، ولا تقلل لي منها فأنسى ، فانه ما قال وكفى خير مما كثر وألهى .

أول

أول من أسرج المسجد : تميم الداري ـ رضى الله عنه ـ في أيام عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه .

آخر

آخر خليفة خطب على منبر يوم الجمعة : الراضي بالله ، وفي أيامه ضعفت الخلافة العباسية .

لغتنا

لاحظ أهل اللغة :
أن الحاء إذا أتت في آخر الكلمة دلت على الاتساع والانتشار : مثل : ساح ، باح ، صاح ، شرح ، مرح ،

وأن الكلمة المبدوءة بحرف الشين تدل على التشتت والتفرق : مثل : شتت ، شطر ، شعث ، شع .

وأن الكلمة مثل : غابت الشمس ، غار الماء ، غطى المبدوءة بالغين تدل على الغموض : الشيء .

فكاهة

قدم أعرابي على ابن عم له بالحضر ، فأدركه شهر رمضان ، فقيل له : أبا عمرو ، لقد أتاك شهر رمضان . قال : وما شهر رمضان ؟ قالوا : الامساك عن الطعام ، قال : أبا لليل أم بالنهار ؟ قالوا : لا ؛ بالنهار . قال : أفترضون بدلا من الشهر ؟ . قالوا : لا . قال : فان لم أصم فعلوا ماذا ؟ قالوا : تضرب وتحبس !

فصام أياما ، فلم يصبر فارتحل عنهم ، وجعل يقول :

يقول بنو عمى وقد زرت مصرهم تهيأ أبا عمرو لشهر صيام
فقلت لهم هاتوا جرابى ومزودى سلام عليكم فاذهبوا بسلام
فبادرت أرضا ليس فيها مسيطر عليَّ ولا منّاع أكل طعام

من كتاب « عيون الأخبار »

مسئولية الكتابة

قال القائل :

وما من كاتب إلا ستبقى كتابته وإن فنيت يداه
فلا تكتب بكفك غير شيء يسرك في القيامة أن تراه

إلى المرأة المسلمة

أهدى المنذر إلى أمه أسماء بنت أبي بكر ـ رضى الله عنها ـ ثيابا رقاقا ـ وكانت قد عميت ـ فلما لمستها ردتها ، فقال لها ابنها : إنها لا تشف ، فقالت : إن لم تشف فانها تصف .

موائد الرحمن

شهر أغر يفوح بالأنوار ... فيه الصيام مثابة الأخيار
فيه الملائك نزلت من ربها ... بالخير والاحسان والاقدار
وتصفد الشيطان في أغلاله ... وأناخ في قيد وذل إسار
وتفتحت فيه الجنان تحية ... للصائمين وفرحة بجوار
وتزينت فيه الحياة نضيرةً ... وأضاءت الجوزاء بالأقمار
يا مرحبا بصيامه وقيامه ... وتلاوة القرآن والأذكار
عزت جموع المسلمين بدربه ... وعلوا بحبس النفس في إيسار

* * *

يا صائما ترجو النوال وتشتهي ... من ذي الجلال بوافر الأثمار
صمت النهار وكان ريحك طيبا ... بشذا الصيام وعاطر الأزهار
وظللت يومك ذاكرا ومسبحا ... والذكر رطّب ألسن الأطيار
تتلو وفي القرآن آيات الهدى ... تسمو بخلق طيب ونجار
الله اكبر قد تجلى نوره ... في واحة الايمان والايثار

* * *

يا صائما والصوم لله العلي ... منه العطاء يفيض للأطهار
أخلصت صومك للاله تضرعا ... وأطعت فيه شريعة المختار
واذا السحور اتى فخير طيب ... حمدا لربك في دجى الأسحار
أفطرت باسم الله بعد صيامه ... وأقمت فيه ليالي الأنوار
* * *

لصائمي رمضان

للأستاذ : سيف النصر الطلخاوي

ما بال صائمنا يفوت موائدا   ويظل غرثانا طوال نهار
يابى طعاما تشتهيه بطونه   والنفس داعية الى الاكثار
فيجيب بالصوم الجميل لدعوة   من صاحب الآصال والابكار
هي دعوة الله الكريم لعبده   وموائد الرحمن للأبرار
ذاقوا حلاوة طعمها في قربهم   لمضيفهم ولنعم عقبى الدار
الله اكبر قد تجلى نوره   سبحان ربي الواحد القهار

* * *

يا صائما والصوم درع حافظ   من موبقات الاثم والأوزار
صليت فرض الله في محرابه   وتبعته بالشفع والأوتار
تسمو بصومك في مقامات الهدى   وتنال اشراقا من الأنوار
فاذا اتى خير الليالي فزتها   في ساحة الأنوار والأقدار
في ليلة للقدر خير فضلها   من الف شهر منحة الغفار

* * *

يا رب قوم بالصيام نفوسنا   بالصبر والايمان والايثار
يا رب نور بالصيام حياتنا   وأفض علينا نعمة الأخيار

* * *

معاملة المدين

كان المَدين ـ في الشرائع القديمة ـ يُستَرقُ في دينه أي يفقدحرية ويصبح رقيقا يباع في دينه . وليس بعد ذلك إهدار للآدمية : أن يفقد الانسان آدميته ويصبح « شيئا » يباع ويشترى في سبيل مال عجز عن أدائه ، وقد يكون هذا العجز لسبب خارج عن إرادته . فلما جاء الاسلام منع ذلك وعامل المدين معاملة تتفق مع المروءة بل والرحمة التي بعث بها رسول الله صلى الله عليه وسلم (**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**) .

وإن الناظر في أحكام الاسلام الخاصة بالدين ليتبين له ـ بأجلى بيان ـ أن الاسلام عامل المدين أكرم معاملة ورسم أعدل منهج في التوفيق بينه وبين دائنيه ، فلا هو أهدر آدمية المدين ، ولا هو أضاع حقوق الدائنين ، بل وفق بين طرفي الدين : المدين والدائن توفيقا نموذجيا جديرا بفقه يصدر عن كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

● ـ فهو قد حض على إقراض المحتاج . فقد روى عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما من مسلم يقرض مسلما قرضا مرتين إلا كان

القرض في الإسلام

للدكتور محمد زكي عبد البر

كصدقة مرة » وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رأيت ليلة اسرى بي على باب الجنة مكتوبا : « الصدقة بعشر أمثالها والقرض بثمانية عشر – فقلت : يا جبريل ! ما بال القرض أفضل من الصدقة ؟ قال : لأن السائل يسأل وعنده ، والمستقرض لا يستقرض إلا من حاجة » رواهما ابن ماجة

● – وهو ينظر إلى القرض على أنه عقد إرفاق وقربة أي جُعِلَ لنفع المستقرض والرفق به فلا يراد به الفضل بل المقصود الأعظم فيه الارفاق أي نفع المقترض .

● – وهو قد حرَّم الربا . وهو الزيادة المشروطة على الدين مقابل الأجل بل حرم كل نفع يجره القرض ، وشدد في هذا التحريم أيما تشديد . فقال تعالى : (**الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المَسِّ ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون . يمحق الله الربا ويربى الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم**) (البقرة : ٢٧٥ – ٢٧٦) . وقال تعالى « **يا أيها الذين آمنوا اتقوا**

الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين . فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تَظلِمون ولا تُظلَمون » (البقرة : ٢٧٨ ـ ٢٧٩) وعن جابر رضي الله عنه قال : لعن رسول الله صلى الله عليه « آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه وقال : هم سواء » رواه مسلم. وعن عبدالله ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : الربا ثلاثة وسبعون بابا أيسرها مثل أن ينكح الرجل أمه .. » رواه ابن ماجة مختصرا والحاكم بتمامه وصححه .

● ـ وأعطى المدين المعسر مهلة للسداد وحض على التصدق عليه فقال تعالى : « **وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون** » (البقرة : ٢٨٠) وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : أصيب رجل في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثمار ابتاعها فكثر دَيْنُهُ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تصدقوا عليه » فتصدق الناس عليه .. » رواه مسلم

● ـ ولكنه إذ حرم الربا حض المدين على حسن القضاء ولم يمنع المدين من أن يكافئ الدائن بلا شرط عليه فأباح له أن يرد للدائن أفضل مما أخذ شكرا له ووفاء فذلك من باب حسن القضاء . فقد روى أبو رافع رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم استسلف من رجل بَكْراً (وهو الفتى من الأبل) فقدمت عليه إبل من إبل الصدقة فأمر أبا رافع أن يقضي الرجل بَكْره فقال : لا أجد إلا خيارا رباعيا (وهو الذكر من الأبل إذا طلعت رباعيته ودخل في السنة السابعة والرَّباعية السن بين الثنية والناب وهي أربع : رباعيتان في الفك الأعلى ورباعيتان في الفك الأسفل) فقال : أعطه إياه فإن خيار الناس أحسنهم قضاء » رواه مسلم

● ـ وشدد في قضاء الدين فقد روى البخاري عن سلمة بن الأكوع أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى برجل ليُصلي عليه ، فقال : هل عليه دين ؟ قالوا : نعم ـ ديناران ـ قال : هل ترك لهما وفاء ؟ قالوا : لا . فتأخر ، فقيل : لم لا تصل عليه ؟ فقال : ما تنفعه صلاتي وذمته مرهونة إلا إن قام أحدكم فضمنه ، فقام أبو قتادة فقال : هما عليَّ يا رسول الله ، فصلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم .

● ـ وإذا كان المدين موسرا فللدائن مطالبته فإن امتنع عن قضاء الدين كان لدائنه ملازمته والإغلاظ له بالقول نتيجة ظلمه لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَيُّ الواجد يحلُّ عقوبته وعرضه » فعقوبته حبسه وعرضه أي يحل القول في عرضه بالإغلاظ . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « مَطْل الغنيِ ظلم » وقال : « إن لصاحب الحق مقالا » . وله منعه من السفر إن كان الدين حالًا أو يحل قبل عودته لأن عليه ضررا في تأخير حقه .
وحبسه القاضي فإن لم يفد حبسه باع عليه ماله ووفى منه دينه .

● ـ أما إذا كان معسرا وثبت اعساره لدى القاضي فليس لاحد مطالبته ولا ملازمته بل ينظر لقوله تعالى : (**وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة** » البقرة : ٢٨٠) .

● ـ واذا صارت ديون المدين الحالة اكثر من ماله وخرجه اكثر من دخله كان لدائنيه ان يطلبوا من القاضي توقيع الحجر عليه محافظة على حقوقهم وحينئذ يجيبهم القاضي الى طلبهم فيوقع الحجر عليه . فعن ابن كعب بن مالك عن ابيه رضي الله عنهما « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حجر على معاذ ماله وباعه في دين كان عليه » (رواه الدار قطني وصححه الحاكم واخرجه ابو داود مرسلا ورجح ارساله) ويحسن شهر ذلك ليعرف الناس انه محجور فيحتاطوا لأنفسهم في التعامل معه . ويترتب على الحجر احكام نجد فيها التوازن الفذ بين مصلحة الدائنين وآدمية المدين . ذلك انه اذا وقع الحجر عليه .

أ ـ تعلقت حقوق الدائنين بأعيان ماله ومنع المدين من التصرف في هذه الاموال ولكن في نفس الوقت لا يجبر على قبول الهبات والوصايا والصدقات لما قد يكون في ذلك من المنة حفظا لمروءته كما انه لا يمنع من شغل ذمته بديون اخرى على ألا يشارك الدائنون الجدد غرماءه القدامى اذ انهم عاملوه وهم يعلمون وقد شهر حجره ـ انه محجور للدين وان ديونه اكثر من ماله ... ويكون هذا الحجر مقصورا بسبب ديونه الحالة دون ديونه المؤجلة لانها لم تستحق بعد ولا يملك الدائنون المطالبة بها قبل حلول موعدها اذ لا يحل الدين الآجل بفلس المدين (ولكن يحل بموته) .

ب ـ ما فعله المفلس قبل الحجر عليه في ماله من تصرفات من بيع اوهبة او اقرار او قضاء بعض الغرماء فهو نافذ .

ج ـ ما يفعله المفلس من تعهدات والتزامات بعد الحجر تكون صحيحة ـ نتيجة الابقاء على آدميته ـ ولكنها لا تنفذ في ماله الحالي وانما يلتزم بها في المستقبل رعاية للدائنين الذين حجر عليه بسبب ديونهم .

د ـ تقسم امواله بين الغرماء وليس لهم بعد ذلك شيء فلا يجبر على العمل ليقضي دينه لما روى ابو سعيد الخدري رضي الله عنه قال : أصيب رجل في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثمار ابتاعها فكثر دينه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تصدقوا عليه » فتصدق الناس عليه ولم يبلغ ذلك وفاء دينه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لغرمائه : « خذوا ما وجدتم وليس لكم الا ذلك » رواه مسلم . وظاهرٌ ما في ذلك من محافظة على مروءة المدين .

هـ ـ واذا قسمت امواله فك الحجر عنه وعادت اليه حريته كاملة في التعامل تلك باختصار احكام قضاء الدين ... وظاهر ما فيها من توفيق فذ بين المحافظة على مروءة المدين وآدميته وبين حقوق الدائنين . وما ذلك بمستغرب على فقه يصدر عن كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

اللهم زدنا ايمانا بشريعتك واهدنا سواء السبيل .

أوقاف المسلمين

اعداد : فهمي الامام

مما يفخر به تاريخ المسلمين هذه الأوقاف الخيرية التي تحبس أصولها ، وتعم فائدتها ، ليبقى الخير موصولا في الأمة الاسلامية جيلاً وراء جيل .. وإذا كانت أعمار الناس محدودة مهما توالت الأيام وتطاولت السنون فان اعمال الناس يمكن أن تظل باقية الأثر بعد رحيلهم عن الدنيا .. وما أصدق قول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له »

أول صدقة في الاسلام :

ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو أول من أوقف مالا في الاسلام ـ فقد ورد أن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ قال : كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث صفايا : وكانت بنو النضير حبسا لنوائبه ، وكانت فدك لابن السبيل ، وكانت خيبر قد جزأها ثلاثة أجزاء : فجزآن للمسلمين ، وجزء كان ينفق منه على أهله ، فان فضل فضل رده على فقراء المهاجرين .

وهكذا كان الرسول القدوة هو صاحب أول صدقة في الاسلام .

الصحابة رضوان الله عليهم :

والسلف الصالح نهج نفس النهج النبوي الكريم ، عليهم رضوان الله ، فكانت لهم وقوف ينفق منها في أبواب الخير والمعروف ..

● فكان لأبي بكر الصديق رضى الله عنه دور في مكة أوقفها فلم تورث عنه بعد موته ، ولكن يسكنها من حضر من ولده وولد ولده ونسله مكة ولم يتوارثوها .
● وعمر ـ رضى الله عنه ـ قال : يا رسول الله إني أصبت أرضا بخيبر لم أصب مالا قط أنفس عندي منها ، فما تأمرني ؟ فقال رسول الله : إن شئت حبست أصلها ، وتصدقت بثمرتها فجعلها عمر صدقة لا تباع ولا توهب ولا تورث ، تصدق بها على الفقراء والمساكين وابن السبيل وفي الرقاب والغزاة في سبيل الله ، والضيف ، لا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف وأن يطعم صديقا غير متمول منه ، وأوصى به إلى حفصة أم المؤمنين ثم إلى الأكابر من آل عمر .
(أنظر كتاب أحكام الأوقاف للامام الخصاف) .
● هذا وكان عمر ـ رضى الله عنه ـ قد قطع لعلي ـ رضى الله عنه ـ ينبع ـ وهو حصن له عيون ونخيل وزروع ثم اشترى على إلى قطيعته تلك أشياء أخرى ، وحفر فيها عينا ، فبينما هم يعملون إذ انفجر عليهم مثل عنق الجزور عن الماء ، فأتى من بشر عليا بذلك ، فقال كرم الله وجهه : بشر الوارث ،ثم تصدق بها على الفقراء والمساكين وفي سبيل الله وابن السبيل القريب والبعيد . في السلم والحرب يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ليصرف الله النار عن وجهه بها .

والمسيرة ممتدة :

وهكذا تمتد المسيرة المباركة ، من الصحابة الكرام ، إلى الأتباع ، وأتباع الأتباع ، فالخير موجود في أمة محمد ـ عليه أفضل الصلاة والسلام ـ إلى يوم القيامة ، وانتشرت الأوقاف الاسلامية في ديار المسلمين ، وتعددت أهداف الانتفاع بها .. وكتب الفقهاء فصولا خاصة بالوقف ، واستنبطوا له أحكاما ، ووضعوا له قواعد ، وبنوا عليه تفريعات فقهية دليل ثراء الفكر الاسلامي ، وصدرت في ديار المسلمين تشريعات خاصة بالأوقاف الاسلامية ..
كان منها الموافقة الأميرية سن سمو أمير الكويت على العمل بمشروع قانون بشأن تطبيق أحكام شرعية بمواد خاصة بالأوقاف .
وصدر الأمر الأميري بتاريخ ٢٩ جمادى الآخرة ١٣٧٠ هـ الموافق ٥/٤/١٩٥١م .

أهم الأحكام الخاصة بالأوقاف في الكويت

● الوقف الخيري نافذ ولو مات واقفه قبل الحوز سواء كان خيريا ابتداء أو مآلا ، أو كان بعضه خيريا والبعض الآخر أهليا .
● يجوز استبدال الوقف خيريا أو أهليا بما هو أنفع منه استغلالا ، أو سكنى ، كما يجوز استغلال الموقوف للسكنى ، وسكنى الموقوف للاستغلال إذا كانت المصلحة تقضي بذلك .

● الأوقاف الخيرية أو الأوقاف التي للخيرات فيها نصيب إذا لم يشترط الواقف النظارة عليها لشخص أو جهة معينة تكون النظارة عليها لدائرة الأوقاف العامة (وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية) وإن اشترط الواقف النظارة لأحد فتشترك الدائرة (الوزارة) في النظارة منضمة إلى الناظر المعين من الواقف إن كانت المصلحة تقضي بذلك .

● للواقف أن يرجع في وقفه كله أو بعضه خيريا كان أو أهليا ـ كما يجوز له أن يغير في مصارفه وشروطه ولو حرم نفسه من ذلك ، إلا في وقف المسجد ، وفيما وقف على المسجد فانه لا يجوز له الرجوع ، ولا التغيير فيه ولو شرط ذلك .

صور من أوقاف المسلمين في الكويت قديما

ورغم صعوبة الحياة في الكويت قديما وقسوة العيش فان الناس كانوا سباقين إلى فعل الخير .. كل حسب استطاعته ، بل كانوا يقتطعون ما هم في حاجة إليه ليجعلوه صدقة جارية لنفع أولادهم من بعدهم ، وفي سبيل الخير .

وصية عثمان بن سليمان الموسى

ونصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي ن الوصية قبل حلول المنية والصلاة والسلام على خير البرية سيدنا محمد واله وصحبه والتابعين ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين اما بعد . فهذا ما اوصى به الرجل العاقل الرشيد عثمان بن سليمان الموسى وهو يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وان الموت حق والنار والجنة حق اوصى عثمان المذكور وهو بتمام صحته وشعوره بان له من جميع متروكاته من عقار ونقود وديون واثاث الى غير ذلك ثلثا يصرف في طريق الخيرات والمبرات ويصرف منه زواج ابن ابنه حمد السليمان العثمان الموسى والوصى على هذا الثلث ابنه عبد المحسن وصيا مختارا يعمل ما يراه صالحا في هذا السبيل وقد قبل عبد المحسن المذكور هذه الوصيه وبيانا لواقع الحال حررت هذه الوصية جرى وحرر في غرة شهر رمضان المبارك سنة الف وثلاثمائة وخمس وستين هجرية على صاحبها افضل صلاة وازكى تحية ،

○ وللنساء دورهن

وفي مجال الخير واشاعة المعروف بين الناس كان للنساء دورهن ، فهذا وقف امرأة لاطعام الفقراء والمساكين والمحتاجين ، ونصه :ـ

السبب الداعي الى تحرير هذه الاحرف الشرعيه هو انه قد حضر لدى

قاسم بن ادريس وعبد المحسن بن مشعل وشهد كل منهما لله تعالى بان موضي بنت عبد الله بن مشعل العارفين لها تمام المعرفة قد اوقفت بيتها الواقع في محلة المرقاب المحدودقبلتا الطريق وشمالا بيت ال جري وشرقا بيت ناصر بن الخنا وجنوبا بيت ساره الناهظ اوقفته في عشيات وضحايا لها ولوالديها وجعلت الوكيل الناظر عليه ابراهيم بن مشعل ومن بعده اولاده وقفا صحيحا شرعيا فمن بدله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه حتى لا يخفى حرر في ١٢ ربيع الاول ١٣٤١

○ **وقف في افعال بر**

وهذا وقف اوقفه حيدر عبد الغفور في سنة ١٣١٥ هـ . نثبت نصه :ـ

الحمد لله سبحانه

جرى كما ذكر لدى وانا العبد الفاني محمد بن عبد الله العدساني السبب الداعي الى تحرير هذه الاحرف الشرعية هو انه قد اشترى محمد بن عبد الغفور بوكالته عن اخوه حيدر بن عبد الغفور من تركته الدكان المحدود قبلتا المناخ وشمالا دكان ابن هريس وشرقا دكاكين القيصرية وجنوبا دكان العدساني والدكان المحدود قبلتا دكاكين ملا عمر وشمالا دكان عيسى وشرقا المناخ وجنوبا دكان سيف الرشود بثمن قدره وعدده ستماية ريال وخمسة وثمانين ريال تسلم الثمن بتمامه وكماله المشتري محمد بن عبد الغفوروورثة حيدر واوقفهم من ثلث اخوه حيدر على عشيات وضحايا وختمات وافعال بر وجعل له مدة حياته ومن بعده الصالح من الذرية يتولاهم ويعمل ما ذكر وقفا صحيحا شرعيا محبسا فمن بدله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه .

حتى لا يخفى جرى وحرر في ٣٠ شعبان ١٣١٥ هـ .

وقف على المسجد

وهذا وقف من السيد / حمد الخالد .. قد دار بشأنه نزاع حكمت فيه المحكمة ، وهذا نص حكم المحكمة .

حضرة صاحب السعادة رئيس الامن العام الموقر

بعد التحيه :ـ

بخصوص دعوى سليم بن صالح مولى الخالد ـ ضد فهد المحمد الخالد بوكالة عبد الرزاق الصانع .

تضمنت الدعوى ان المرحوم الحاج حمد الخالد اوقف بيتا كائنا في شارع الجهراء على المدعى وعائلته وبعد انقراضهم يرجع وقفا على مسجد اليعقوب وقد ثمنت البلدية هذا البيت ولا زالت قيمته موقوفة وطلب المدعى الحكم باثبات وقفية البيت له ولعائلته وامر المدعى عليه بعدم التعرض في ذلك

وبسؤال وكيل المدعى عليه اجاب اخيرا بان موكله يطلب ان تبدل الوقفية عن صفتها الحالية الى صيغة اخرى بينها بكتاب اجابته المؤرخ ١١/١١/١٩٥٦ واطلعت المحكمة على القرار السابق في ٢٢/١/١٩٥٦ رقم ٥٧٠ سنه ١٩٥٥ الذي جاء به ان المدعى ضمن عبيد الخالد المعاتيق والموقوف عليه وعلى عائلته احد البيوت الستة الصغار المقتطعه من النصف الشرقي للجاخور البراني فاذا انقرضوا يرجع وقفا على مسجد اليعقوب الذي هو قريب من بيتهم الكبير وقد حضر صالح الفارس ومحمد بن مهلهل

ابن حمد الخالد وشهدا بما يؤيد الدعوى .

والمحكمة من حيث ظهر من وقائع القرار المشار اليه ومن شهادة الشاهدين المذكورين ان المدعي وعائلته موقوف عليهم من آل الخالد البيت المبين بالدعوى وبعد انقراضهم يرجع وقفا على مسجد اليعقوب الذي هو قريب من بيت الخالد الكبير .

لهذا اثبتنا وقفية البيت من ال الخالد علي سليم ـ المدعي ـ وعائلته يعود بعد انقراضهم وقفا على مسجد اليعقوب .

دور وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية

في الماضي كانت اوجه مصارف الصدقات محدودة ، ولذا جاءت الاوقاف قديما لتحدد في جهات معينة ، ولما تشابكت مصالح الناس في عصرنا هذا ، واتسعت دائرة التعاون بين الدول ، وامكن الاتصال بأي مكان في العالم ، ومعرفة ظروف واحوال الناس فيه ، وتغيرت متطلبات الدعوة الاسلامية تبعا لأوضاع جديدة يعيشها عالمنا المعاصر ، كان لوزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بصفتها مسئولة عن توجيه اموال الوقف ـ من خلال ادارة الوقف بالوزارة.الى اوجه الخير ، كان لها ان تبرم ما تراه مناسبا لمصلحة الاوقاف في دولة الكويت وخارجها بالبيع والشراء بثمن المثل واتخاذ الاجراءات اللازمة لذلك ، وقبض او دفع الثمن على ان يشترى بثمن المبيع عقارا آخر لجهة وقفه حكمه كحكمه وشرطه كشرطه .

وبالنسبة لفائض ريع الاوقاف الخيرية فالوزارة تقوم بتوجيهه الى المصارف ذات النفع الاسلامى العام ، ولها ان تختار جهات البر التي ترى انها تحقق غاية افضل للاسلام والمسلمين وهذا نص كتاب من مدير ادارة الوقف موجه الى مدير الشئون الاسلامية بالوزارة يتضمن بيانات احصائية بالمعونات المالية من الوزارة الى الخارج لعامي ٨١ ـ ١٩٨٢ م .

يقول الكتاب :ـ

السيد مدير الشئون الاسلامية المحترم

تحية طيبة وبعد ،

اشارة لكتابكم رقم أ ف / ش س / ١٤٦٦ / ٨٣ بتاريخ ٥/٣/٨٣ والمتضمن طلب بيانات احصائية بالمعونات المالية من الوزارة الى الخارج لعامي ٨١ ، ٨٢ .

نفيدكم بأنها حسب الكشف المبين ادناه :

	البند	عام ١٩٨١	عام ١٩٨٢
١	بناء مساجد	٨١٢٦١	١٧٠٩٠٥
٢	تعليم	٢٠٠٧٠	١٠٧٩٣
٣	كتب اسلامية ونشر الدعوة الاسلامية	٢٦٦١٧	٢٤٦٣
٤	تذاكر سفر وعلاج	٤٢٤٥	٣٣١٩
٥	مساعدات لجمعيات ومراكز اسلامية	٤٨١٩٠	٢٩١٥٠

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام ، ، ،

دعوة للخير

واذا كان الاسلاف الكرام ـ رغم ضآلة مواردهم ، وقلة ما ملكوا ، قد جعلوا من اموالهم جزءا يظل خيره ينالهم حتى بعد موتهم ، لتثقل موازينهم عند الله يوم القيامة جزاء ما قدموا للمحتاجين ولنشر الدعوة الاسلامية ولعمارة مساجد الله ، وفي شتى دروب الخير ، وتظل ذكراهم عطرة ، والناس يدعون لهم بحسن المثوبة عند الله .اذا كان الاسلاف قد فعلوا ذلك ، واذا كان الفقهاء قد كتبوا في الاوقاف الاسلامية ، فما بالنا نجد الناس منصرفين عن هذا الباب العظيم من ابواب الخير ، خاصة الاغنياء ـ وهم بحمد الله كثيرون ـ لقد وهبهم الله الكثير من نعمه ، وهي نعم تستحق الشكر ، والشكر يكون بالانفاق منها في سبيل الله ، وخير العمل أدومه وأن قل ، وشكر الله يحقق المزيد من فضله ، لذا فنحن نهيب بمسلمي اليوم ان يوقفوا من اموالهم للخير ما يستطيعون ، فنشر الدعوة في بلاد الكفر يحتاج الى المزيد ، والانفاق على الاعلام الاسلامي يحتاج الى عطاء موصول ، ونشر الثقافة الاسلامية ، واعداد العلماء الأكفاء الذين يخاطبون الناس بلغة العصر كل ذلك يحتاج الى اهل الخير .. وقديما قال القائل :ـ

بالعلم والمال يبني الناس ملكهم   لم يبن ملك على جهل واقلال

ودعاؤنا أن ينصر الله الاسلام والمسلمين ، ويحقق لهم الخير .

وجوب الرجوع إلى الله والضراعة إليه عند نزول المصائب

حمل البريد إلينا هذه الرسالة الطيبة من فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز الرئيس العام لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد بالمملكة العربية السعودية ويطيب للوعي الاسلامي أن تنشرها بنصها تحت عنوان « وجوب الرجوع إلى الله والضراعة إليه عند نزول المصائب » تعميما لفائدتها .

يقول الشيخ :

من عبدالعزيز بن عبدالله بن باز الى من يطلع عليه من المسلمين .

وفقني الله واياكم للتذكر والاعتبار والاتعاظ بما تجرى به الاقـدار . والمبادرة بالتوبة النصوح من جميع الذنوب والاوزار آمين .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

اما بعد :

فان الله عز وجل بحكمته البالغة وحجته القاطعة وعلمه المحيط بكل شيء يبتلى عباده بالسراء والضراء والشـدة والرخـاء وبـالنعم والنقم ليمتحن صبرهم وشكرهم فمن صبر عند البلاء وشكر عند الرخاء وضرع

الى الله سبحانه عند حصول المصائب يشكو اليه ذنوبه وتقصيره ويسأله رحمته وعفوه افلح كل الفلاح وفاز بالعاقبة الحميدة قال الله جل وعلا في كتابه العظيم : (**الم . أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون . ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين**) والمقصود بالفتنة في هذه الآية الاختبار والامتحان حتى يتبين الصادق من الكاذب والصابر والشاكر . كما قال تعالى : (**وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيرا**) وقال عز وجل : (**ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون**) وقال سبحانه : (**وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون**) والحسنات هنا هى النعم من الخصب والرخاء والصحة والعزة . والنصر على الاعداء ونحو ذلك والسيئات هنا هى المصائب . كالأمراض وتسليط الاعداء والزلازل والرياح العاصفة والسيول الجارفة المدمرة ونحو ذلك وقال عز وجل : (**ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون**) والمعنى انه سبحانه قدر ما قدر من الحسنات والسيئات وما ظهر من الفساد ليرجع الناس الى الحق ويبادروا بالتوبة مما حرم الله عليهم ويسارعوا الى طاعة الله ورسوله لان الكفر والمعاصي هما سبب كل بلاء وشر في الدنيا والآخرة واما توحيد الله والايمان به وبرسله وطاعته وطاعة رسله والتمسك بشريعته والدعوة اليها والانكار على من خالفها فذلك هو سبب كل خير في الدنيا والآخرة وفي الثبات على ذلك والتواصي به والتعاون عليه عز الدنيا والآخرة والنجاة من كل مكروه والعافية من كل فتنة كما قال سبحانه : (**يأيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم**) وقال سبحانه : (**ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز . الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة و آتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور**) وقال تعالى : (**وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون**) وقال سبحانه : (**ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون**) وقد بين سبحانه في آيات كثيرة ان الذي اصاب الامم السابقة من العذاب والنكال بالطوفان والريح العقيم والصيحة والغرق والخسف وغير ذلك كله بأسباب كفرهم وذنوبهم كما قال عز وجل : (**فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان**

الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) وقال سبحانه وتعالى : **(وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير)** وامر عباده بالتوبة اليه والضراعة اليه عند وقوع المصائب فقال سبحانه : **(يأيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار)** وقال سبحانه : **(وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون)** وقال سبحانه : **(ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالباساء والضراء لعلهم يتضرعون . فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون)** وفي هذه الآية الكريمة حث من الله سبحانه لعباده وترغيب لهم اذا حلت بهم المصائب من الامراض والجراح والقتال والزلازل والريح العاصفة وغير ذلك من المصائب ، ان يتضرعوا اليه ويفتقروا اليه فيسألوه العون وهذا هو معنى قوله سبحانه : **(فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا)** والمعنى هلا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا . ثم بين سبحانه أن قسوة قلوبهم وتزيين الشيطان لهم أعمالهم السيئة كل ذلك صدهم عن التوبة والضراعة والاستغفار فقال عز وجل : **(ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون)** .

وقد ثبت عن الخليفة الراشد رحمه الله أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز أنه لما وقع الزلزال في زمانه ، كتب الى عماله في البلدان وأمرهم أن يأمروا المسلمين بالتوبة الى الله والضراعة اليه والاستغفار من ذنوبهم ، وقد علمتم أيها المسلمون ما وقع في عصرنا هذا من أنواع الفتن والمصائب ومن ذلك تسليط الكفار على المسلمين في أفغانستان والفلبين والهند وفلسطين ولبنان وأثيوبيا وغيرها ومن ذلك ما وقع من الزلازل في اليمن وبلدان كثيرة ومن ذلك ما وقع من الفيضانات مدمرة و الريح العاصفة المدمرة لكثير من الاموال والاشجار والمراكب البحرية وغير ذلك وانواع الثلوج التي حصل بها ما لا يحصى من الضرر ومن ذلك المجاعة والجدب والقحط في كثير من البلدان كل هذا وأشباهه من انواع العقوبات والمصائب التي ابتلى الله بها العباد بأسباب الكفر والمعاصي والانحراف عن طاعته سبحانه والاقبال على الدنيا وشهواتها العاجلة والاعراض عن الآخرة وعدم الاعداد لها إلا من رحم الله من عباده ولاشك أن هذه المصائب وغيرها توجب على العباد البدار بالتوبة الى الله سبحانه من جميع ما حرم عليهم والبدار الى طاعته وتحكيم شريعته والتعاون على البر والتقوى والتواصي بالحق والصبر عليه ومتى تاب العباد الى ربهم وتضرعوا اليه وسارعوا الى ما يرضيه وتعاونوا على البر والتقوى وتآمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر أصلح الله أحوالهم وكفاهم شر أعدائهم ومكن لهم في الأرض ونصرهم على عدوهم وأسبغ عليهم نعمه وصرف عنهم نقمه كما قال سبحانه وهو أصدق القائلين :

(وكان حقا علينا نصر المؤمنين) وقال عز وجل : **(ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين . ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفا وطمعا إن رحمة الله قريب من المحسنين)** وقال عز وجل : **(وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعا حسنا إلى أجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله وإن تولوا فاني أخاف عليكم عذاب يوم كبير)** وقال سبحانه : **(وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا)** الآية . وقال عز وجل **(والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم)** فأوضح عز وجل في هذه الآيات أن رحمته واحسانه وأمنه وسائر نعمه إنما تحصل على الكمال الموصول بنعيم الآخرة لمن اتقاه وآمن به وأطاع رسله واستقام على شرعه وتاب اليه من ذنوبه . أما من أعرض عن طاعته وتكبر عن اداء حقه وأصر على كفره وعصيانه ، فقد توعده سبحانه بانواع العقوبات في الدنيا والآخرة ، وعجل له من ذلك ما اقتضته حكمته ليكون عبرة وعظة لغيره كما قال سبحانه : **(فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون . فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين)** .

فيا معشر المسلمين حاسبوا أنفسكم وتوبوا الى ربكم واستغفروه وبادروا الى طاعته واحذروا معصيته وتعاونوا على البر والتقوى وأحسنوا إن الله يحب المحسنين ، واقسطوا ان الله يحب المقسطين ، وأعدوا العدة الصالحة قبل نزول الموت وارحموا ضعفاءكم وواسوا فقراءكم واكثروا من ذكر الله واستغفاره وتآمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر لعلكم ترحمون ، واعتبروا بما أصاب غيركم من المصائب بأسباب الذنوب والمعاصي والله يتوب على التائبين ويرحم المحسنين ويحسن العاقبة للمتقين كما قال سبحانه : (فاصبر إن العاقبة للمتقين) وقال تعالى : **(إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون)** والله المسئول باسمائه الحسنى وصفاته العلا ان يرحم عباده المسلمين وان يفقههم في الدين وينصرهم على اعدائه واعدائهم من الكفار والمنافقين وان ينزل بأسه بهم الذي لا يرد عن القوم المجرمين ، انه ولى ذلك والقادر عليه وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى اله واصحابه والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الرئيس العام
لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد

حكمة الإفطار على



للدكتور / هشام ابراهيم الخطيب

التمر فاكهة صحراوية ممتازة غنية بالمواد الغذائية الضرورية للانسان ، وإنه غذاء مريم ايام حملها بالسيد المسيح عليه السلام ، فقد ورد في القرآن الكريم : « **وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنيا . فكلي واشربي وقري عينا** » سورة مريم ٢٥ و ٢٦ .

حث الرسول صلى الله عليه وسلم على الافطار على التمر والماء فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : « اذا أفطر أحدكم فليفطر على تمر ، فانه بركة ، فان لم يجد تمرا فالماء ، فانه طهور » رواه ابو داود والترمذي وابن ماجه .

إن سنة الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم في الافطار على التمر والماء تتجلى فيها فوائد عدة منها : ـ

١ ـ أن التمر يحتوي على مواد سكرية تبلغ في نسبتها ٧٠٪ ومن هذه المواد السكرية ، سكر العنب ، سكر الفواكه ، سكر القصب ، والمعروف علميا أن المواد السكرية سريعة الامتصاص ، سريعة التمثيل ، لا تحتاج الى عمليات هضمية ولا الى عمليات كيمياوية معقدة كما هو الحال في المواد الدهنية والنشوية والتي تحتاج الى انزيمات هضمية وعمليات بيولوجية لتتحول الى دكسترين ، ثم الى مواد سكرية قابلة للامتصاص .

من هنا نلاحظ ان المواد السكرية تمتص في فترة قصيرة جدا وتكون جاهزة للاحتراق اذا ما قورنت بالاغذية الأخرى التي تحتاج الى اكثر من ثلاث ساعات ، فهذه المواد السكرية تعوض الجسم عن نقص السكر في الدم في أثناء الصوم ، وتزيل الاعراض الناتجة عن نقصه بسرعة مثل (الضعف والكسل ، وزوغان البصر ، وعدم قدرة الشخص على التفكير او الحركة) .

وهنا تظهر الحكمة النبوية الشريفة في البدء بتعاطي مادة سكرية كالتمر . ثم يقوم المسلم بعدها الى الصلاة وعندما ينتهي منها يتناول طعاما خفيفا يسد

جوعه ويفي بحاجة جسمه من الغذاء ، دون شعور بالتخمة أو الامتلاء .
وهذا النمط من الافطار له فوائد منها :
أ) ان المعدة لا ترهق بما يقدم اليها من غذاء دسم وفير بعد ان كانت هاجعة نائمة طوال ثماني عشرة ساعة تقريبا بل تبدأ عملها بالتدريج في هضم التمر السهل الامتصاص ثم بعد نصف ساعة يقدم اليها الافطار المعتاد .
ب) ان تناول التمر اولا يحد من جشع الصائم فلا يقبل على الأكل بعجلة دون مضغ أو تذوق .
جـ) هضم المواد السكرية في التمر خلال نصف ساعة فاذا بالدم يترع بالوقود السكري الذي يزود انحاء الجسم ويبعث في خلاياه النشاط فيزول الاحساس بالدوخة والتعب سريعا .

٢) يحتوي التمر على معادن كثيرة هامة منها البوتاسيوم والصوديوم ، والكالسيوم ، والمغنيسيوم ، والفوسفور ، وهذه المعادن لها اهميتها فيما يتعلق بالعمليات الكيماوية في جسم الانسان وتدخل في تركيب انسجته ونقص احدها يكون له آثار ضارة على الجسم ، فمثلا الفوسفور : فكل مئة غرام من التمر يحتوي على اربعين ميلغراما من الفوسفور ، بينما لا تزيد كمية الفوسفور الموجودة في فاكهة ما عن عشرين ميلغراما من نفس الكمية ، والفوسفور يدخل في تركيب العظام والاسنان ، وان الفوسفور هو الغذاء للحجيرات النبيلة ، وهي حجيرات الدماغ والتناسل .

٣) يحتوي على الفيتامينات التالية :
فيتامين «أ» وهو موجود بنسبة عالية تعادل نسبته في اعظم مصادره اي تعادل نسبته في زيت السمك وفي الزبدة ومن فوائد فيتامين (أ) يحفظ رطوبة العين وبريقها ويقوي الاعصاب البصرية ويساعد على النمو والرشاقة ويجعل البصر نافذا في الليل والنهار .
فيتامين (ب^{١} ، ب^{٢}) وهذه الفيتامينات تساعد على تقوية الاعصاب وتليين الأوعية الدموية .

٤ - انواع عديدة من السكاكر الغليلوكوز (سكر العنب) ، الليكولوز (سكر الفاكهة) ، والسلكروز (سكر القصب) . والتي تبلغ نسبتها حوالي ٧٠٪ ، وكما ذكرت سابقا ان هذه السكاكر تعطي سعرات حرارية كثيرة حيث ان مئة غرام من التمر يعطي حوالي ثلاثة آلاف سعر .
٥ - الألياف السيلولوزية التي يحتويها البلح تساعد على تنشيط حركة الأمعاء ومرونتها ويستطيع من اعتاد تناولها ان ينجو من حالات الامساك المزمن .
واخيراً لو اتبع المسلمون في صيامهم سنة الرسول العظيم فافتتحوا افطارهم ببضع تمرات لجنوا فوائد الصيام الصحية ولحققوا ما جاء في الحديث الشريف « صوموا تصحوا » .

مع الصحافة

مايزال العالم الاسلامي ، من أقصاه الى أقصاه ، مسرحا للصراعات والتفجرات الخطيرة ، ولا ريب في أن كثيرا من أسبابها يرجع الى تصاعد التوتر في عملية الاستقطاب الدولي بين القوتين العظميين . ففي أفغانستان تكثف القوات السوفياتية هجماتها ضد الشعب الأفغاني المسلم ، وفي الخليج تجتاز الحرب المدمرة يومها الألف ، وفي لبنان تملأ الاجواء قرعات طبول الحرب ، وفي جنوبي السودان أزمة تهدد بالانفصال ، وفي ارتريا موجة عاتية من الجفاف تعصف بأكثر من ربع السكان ، وفي فلسطين المحتلة تنشط تنظيمات صهيونية ارهابية ، بدعم من الحكومة الاسرائيلية ، في عمليات الاستفزاز والقمع والعدوان على الفلسطينيين لا سيما في الضفة الغربية .الى اخر هذه السلسلة التي لا يمكن أن نحصي حلقاتها جميعا في مقال واحد .

ومع ذلك يحتل لبنان موقع الحدث الأول في اهتمامات الصحافة العربية والعالمية ، نظرا للتوتر الذي تصاعد بين القوتين العظميين ، بعد الاتفاق الذي جرى عقده بين لبنان واسرائيل بوساطة ـ أو بضغط ـ من الولايات المتحدة الأمريكية ، وما نجم عن هذا الاتفاق من مواقف وتطورات . ثم يجيء بعد هذا كله ، الخلاف الذي نشب في صفوف منظمة فتح ، كبرى المنظمات الفلسطينية ، في أشد الأوقات حرجا وعسرا ، ليزيد من حدة التشاؤم .

○ الاتفاق اللبناني الاسرائيلي ○

تحدثت صحيفة كريستيانساينز مونيتور ، عن المكاسب التي تجنيها اسرائيل من عقد الاتفاق مع لبنان ، فنشرت في ١٠ شعبان مقالا جاء فيه :

ستجني اسرائيل مكاسب سياسية كبيرة من الاتفاق الدي وقعته مع لبنان في ١٧ مايو الجاري سواء تم تنفيذ هذا الاتفاق ام لم يتم

والمكسب الرئيسي الذي حققته اسرائيل من خلال قبولها بالاتفاق ، هو أن الولايات المتحدة ، في حالة عدم تنفيذه وفشله ، ستلوم سوريا والاتحاد السوفيتي وليس اسرائيل .

والتحول الذي طرأ على العلاقات الاميركية ـ الاسرائيلية كان سريعا وكبيرا . فما ان وافق مجلس الوزراء الاسرائيلي على الاتفاق حتى أعلن شولتز أن الولايات المتحدة ستنظر سريعا في الافراج عن ٧٥ طائرة اميركية مقاتلة من طراز أف ـ ١٦ كان قد جمد ارسالها الى اسرائيل بعد قيام الاخيرة بغزو لبنان . وبدأ المسؤولون الاميركيون يتحدثون كذلك عن دعوة بيغن للقيام بزيارته المؤجلة لواشنطن ، بحيث بات من المحتمل ان تتم هذه الزيارة في شهر يونيو أو شهر يوليو المقبلين . كما وافقت الادارة الاميركية على الزيادة التي اقرها

الكونغرس في المساعدات الاميركية لاسرائيل والتي تقدر بمائة مليون دولار .
وعلاوة على ذلك ، فان وزارتي الدفاع والخارجية الاميركيتين اصدرتا بيانين في الاسبوع الماضي يسمحان لاسرائيل باستغلال التكنولوجيا المتقدمة التي لدى الولايات المتحدة في تصميم وبناء الطائرة الاسرائيلية الجديدة (لافي) التي تزمع اسرائيل صنعها .
والاتفاق ليس معاهدة سلام . وممثل اسرائيل في منطقة بيروت سيكون له وضع شبه دبلوماسي ، كما أن المفاوضات لعبور البضائع والاشخاص بين البلدين ستبدأ بعد ستة أشهر من تاريخ تنفيذ الاتفاق .
وعلى المستوى الامني ، فان ايجابيات الاتفاق وسلبياته أقل وضوحا . وذلك راجع في جزء منه لكون المسائل الامنية الرئيسية في الاتفاق ظلت سرية ، وخصوصا الدور الذي سيقوم به الرائد اللبناني المنشق سعد حداد في الترتيبات الامنية في الجنوب .
وقال مصدر عسكري اسرائيلي :(أن الاجزاء التي لم تنشر من الاتفاق هي التي تجعل الاتفاق قابلا للتنفيذ وعمليا ، وهي تتضمن حقنا في الدفاع عن أنفسنا وجميع رسائل التفاهم بين اسرائيل والولايات المتحدة ، وبين لبنان والولايات المتحدة)
وفي الجانب الايجابي ، فان منطقة أمنية بعمق ٢٨ ميلا داخل الاراضي اللبنانية شمال الحدود الاسرائيلية سيتم انشاؤها ولا يسمح بادخال أي نوع من السلاح اليها الا ما حدده الاتفاق ، كما ينص الاتفاق على حظر تشكيل أية تنظيمات مسلحة على الاراضي اللبنانية يكون هدفها الاعتداء على اسرائيل . وسيتولى الاشراف على الامن في المنطقة الأمنية فرقة خاصة من الجيش اللبناني . كما ستقوم كل من اسرائيل ولبنان بتشكيل وحدات تفتيش عسكرية مشتركة لها الحرية الكاملة في التحرك داخل المنطقة الامنية لممارسة مهامها .

○ الانشقاق في منظمة فتح ○

قد يعود بعض أسباب الخلاف الناشيء في (فتح) الى التفاعلات التي نجمت في الصف الفلسطيني بعد الغزو الصهيوني الأخير ، وقد يعود بعضها الاخر الى نزاع في الرأي أو خلاف في وجهات النظر .. وقد يكون هذا كله مسوغا أو معقولا ، لكن ما لا مسوغ فيه أن يتصاعد الخلاف ويستعلن في ظرف هو من أدق الظروف وأحرجها ، وأن تسهم في تصعيده واستعلانه بعض الأطراف العربية التي يجدر بها أن تعمل على ازالته .
عن جانب من الأزمة في (فتح) كتبت صحيفة الوطن الكويتية في ١١ شعبان مقالا بعنوان (الأنظمة والحريق الفلسطيني) جاء فيه :
عندما انعقد المجلس الوطني الفلسطيني بالجزائر تحت شعار « استقلالية القرار الفلسطيني » كان الظن ان الهدف هو ايقاف الضغوط العربية على منظمة التحرير ، وصد محاولات توظيف الفصائل الفلسطينية لصالح اهداف الانظمة المختلفة . لكن الاحداث التي تلاحقت بعد ذلك اثبتت ان الامر ابعد واخطر ، وان الامر ليس مجرد ضغوط على المنظمة ، وشغب في داخلها ، ولكنه بات يهدد وحدة العمل الفلسطيني ، وينذر بشق عميق قد يشكل ضربة موجهة للصف الفلسطيني .
ومنذ حدث التحرك الاخير في البقاع ، واشارات القادة الفلسطينيين مستمرة الى دور الانظمة في الذي جرى ، وهو الدور الذي تحول من ممارسات تحتية الى تصريحات علنية وخطب في مؤتمرات شعبية تذاع على الملأ ، مما يفتح الباب لمواجهات حادة بين قيادة

المنظمة وبين بعض القيادات العربية .

ان موقف الاطراف العربية الضالعة في ما يجري مدان مرحليا وتاريخيا ، والى ان يتقدم « طرف رشيد » يجمع الاطراف الفلسطينية ويبصر الجميع بالاخطار المحدقة بالجميع ، فان المطلوب من الانظمة العربية ان تلتزم الصمت وترفع ايديها عن الفلسطينيين . وعلى الذين لا يريدون ان يطفئوا النار الا يساهموا في اذكائها وتوسيع نطاقها . ذلك ان الذين يسكبون الزيت على النار المشتعلة لا يدركون ان الشرر يتطاير في الارجاء ، وان استمرار الحريق قد يصيبهم بينما يظنون انهم في مأمن مما يجرى .

ولنذكر الجميع الان بالحديث الشريف : من كان يؤمن بالله واليوم الاخر ، فليقل خيرا او ليصمت !

○ الارهاب الصهيوني المنظم ○

تستغل الحكومة الاسرائيلية الضجة في البقاع ، وتسارع في عمليات تهويد الضفة الغربية والحرم القدسي ، وترحيل المزارعين الفلسطنيين من الضفة ، وذلك عن طريق تنظيمات إرهابية صهيونية ، كشفت تقارير وكالات الأنباء عن أسمائها ، وأنشطتها .

فقد جاء في بعض التقارير في مطلع شعبان ما يلي :

يسود توتر شديد الضفة الغربية المحتلة بعد السماح لليهود بالصلاة في باب المغاربة قرب الحرم القدسي الشريف ، ودعوة وزير اسرائيلي الى تهويد الحرم والسماح لليهود بالصلاة فيه ، فيما صعد المستوطنون من اعتداءاتهم على العرب واطلقوا النار على المزارعين في دير عمار وبديا .

وذكرت وكالات الانباء ان توترا اشد بدأ يسود صفوف المواطنين العرب في مدينة القدس المحتلة اثر صدور قرار من المحكمة الصهيونية العليا بالسماح لأعضاء ما يسمى بحركة « امناء جبل البيت » الصهيونية باداء الطقوس الدينية عند باب المغاربة احد الأبواب المؤدية الى الحرم القدسي الشريف .

وقام اعضاء الحركة بعد اداء الصلوات باكثر من محاولة لاقتحام الحرم القدسي الا ان المواطنين العرب تصدوا لهم ومنعوهم حيث وقعت صدامات حادة مع المعتدين .

من جهة اخرى كشف التلفزيون الاسرائيلي النقاب عن خطة استيطانية جديدة سيتم بموجبها اقامة سلسلة من المستوطنات في منطقتي « قلقيلية ـ ونابلس وفي اللطرون » الى الشمال الغربي من القدس المحتلة واقامة « ١٣ » الف وحدة سكنية في المستوطنات الجديدة التي تقيمها الشركات اليهودية . وفي تلك الاثناء صعد المستوطنون من حملاتهم العدوانية على المواطنين العرب حيث فتح المستوطنون النار على المزارعين العرب في قرية دير عمار شمال رام الله وبديا قضاء نابلس حيث يقاوم الاهالي اوامر اسرائيلية بمصادرة اراضيهم لاقامة مستوطنات .

كما كشف النقاب عن قيام تنظيم جديد اطلق عليه اسم« الدرع في اليد » وهو عبارة عن منظمة صهيونية ارهابية اعلنت مسؤوليتها عن تدمير عدد من سيارات المواطنين العرب هناك . وكانت الانباء السابقة قد تحدثت عن قيام منظمة صهيونية اسمها « عصبة الدفاع » واخرى اطلق عليها اسم « ايجي رووف » وتعني بالعربية « اللكمة » .

وقد اكدت هذه المنظمات الصهيونية استمرارها في القيام باعمال عدوانية انتقامية ضد المواطنين العرب وممتلكاتهم في الارض المحتلة لحملهم على الهجرة خارج فلسطين المحتلة .

رسالة الصيام والزكاة

سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م



الصيام

شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى
لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ
ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ
أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟
ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« **من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ،**

ومن قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » .

رواه البخاري ومسلم والنسائي

صيام رمضان

تعريف الصوم :

الصوم هو الإمساك عن المفطرات من طلوع الفجر الى غروب الشمس مع نية الصوم في نهار لا يحرم صومه .

حكمه :

وحكمه أنه فرض عين على كل مكلف .

دليل وجوبه :

ودليل وجوبه من القرآن الكريم قوله تعالى : **(يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون . أياما معدودات)** البقرة/ ١٨٣ ، ١٨٤ .

وقوله تعالى : **(شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه)** . البقرة/ ١٨٥ .

ومن السنة : قول الرسول صلى الله عليه وسلم : **(بني الاسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان)** .
(رواه البخاري ومسلم)

أركان الصوم

للصيام ركنان :

الاول – النية . فلا يصح الصوم إلا بالنية لقوله صلى الله عليه وسلم : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى » . ومحلها القلب . وهي واجبة لكل يوم عند جمهور الفقهاء . وعند المالكية تكفي النية الواحدة في اول كل صوم يجب تتابعه كصوم رمضان وصوم الكفارة ، فينوي في أول ليلة من رمضان صيام الشهر كله .. ويقوم مقام النية الاستعداد للصيام مثل القيام للسحور وتحري وقت الفجر للامتناع عن الاكل وغير ذلك . ولا يضر الاكل أو الشرب أو اتيان الزوجة بعد النية ما دام ذلك قبل طلوع الفجر .

الثاني – الإمساك عن المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس لقوله تعالى : **(وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ثم اتموا الصيام إلى الليل)** البقرة ١٨٧ والمراد بالخيط الابيض

والخيط الاسود بياض النهار وسواد الليل .. ولو طلع الفجر وفي فمه طعام فَلَفَظَهُ صح صومه أما إذا ابتلعه بعد ذلك فانه يفطر .

شروط وجوب الصوم :

ويشترط لوجوبه : الاسلام ، والبلوغ ، والعقل ، والصحة ، والاقامة ـ وألا تكون المرأة حائضا ، ولا نفساء ، ولا حاملا ، ولا مرضعة ، والقدرة على الصوم

الأعذار المبيحة للفطر

من يباح لهم الفطر ويجب عليهم القضاء :

يباح الفطر للمريض الذي يرجى برؤه ، والمسافر ، ويجب عليهما القضاء لقوله تعالى : (**ومن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أُخر**) والمرض المبيح للفطر هو المرض الشديد الذي يزيد بالصوم أو يؤخر الصوم شفاءه والسفر المبيح للفطر هو السفر الذي تقصر الصلاة بسببه ، وقد قدره أهل العلم بما لا يقل عن واحد وثمانين كيلو مترا .. ويكره للمريض أن يصوم لما قد يلحقه بذلك من ضرر ، أما المسافر فله أن يصوم وله أن يفطر لما رواه مسلم : قال حمزة الاسلمي « يا رسول الله ، أجد من قوة على الصوم في السفر فهل عليَّ جناح فقال : هي رخصة من الله تعالى فمن أخذ بها فحسن ، ومن أحب أن يصوم فلا جناح عليه » . وإذا نوى المسافر الصيام بالليل وشرع فيه جاز له الفطر أثناء النهار أما إذا نوى الصيام وهو مقيم ثم سافر في أثناء النهار فجمهور العلماء على عدم جواز الفطر له .. وأجازه بعض العلماء .

من يباح لهم الفطر ويجب عليهم الفدية :

يباح الفطر للشيخ الكبير والمرأة العجوز والمريض الذي لا يرجى برؤه ، وأصحاب الأعمال الشاقة الذين لا يجدون متسعا من الرزق غير ما يزاولونه من أعمال .. إذا كان الصيام يشق عليهم مشقة شديدة في جميع فصول السنة وعليهم أن يطعموا عن كل يوم مسكينا وجبتين من أوسط ما يأكلون عادة ولا قضاء عليهم . روى البخاري عن عطاء « أنه سمع ابن عباس رضي الله عنهما يقرأ (**وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين**) قال ابن عباس ليست بمنسوخة ، هي للشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما فيطعمان مكان كل يوم مسكينا » . والمريض الذي لا يرجى برؤه ويجهده الصوم والعمال الذين يضطلعون بمشاق الأعمال مثل الشيخ الكبير ولا فرق .

حكم الحامل والمرضع :

يرى الأحناف ان الحامل والمرضع سواء خافتا على نفسيهما أو على ولدهما فعليهما القضاء ويرى ابن عباس وابن عمر أن عليهما الفدية طعام مسكين عن كل يوم ويرى أحمد والشافعي : أنهما إن خافتا على أنفسهما فقط أو على أنفسهما وعلى ولدهما فعليهما القضاء . وإن خافتا على الولد فقط فعليهما القضاء والفدية .

المسافرون بالطائرة :

يشاهد المسافرون بالطائرة ، وبخاصة إذا كانت فوق السحاب ، أنهم إذا نظروا إلى الأرض قبيل المغرب لم يروها لأن قرص الشمس غاب عنها بسبب تقوس سطح الكرة الأرضية ، في حين أن نورها يظل ظاهرا على السحاب فترة ، ثم يختفي ، وهم في الوقت نفسه يشاهدون قرص الشمس واضحا وهو يميل إلى الغروب حتى يختفي تماما . ومع الترخيص للمسافر سفرا طويلا بالفطر بشروطه المعروفة ، قد يختار بعض الناس أن يصوموا ، بل قد يلزمهم أحيانا ، وعلى هذا

فمتى يفطر ركاب الطائرة ؟

لا يجوز أبدا أن يفطروا إذا مروا على أرض غاب عنها نور الشمس ، ما داموا هم يرونها ، فان الليل إذا كان قد دخل على سكان الأرض في منطقة فإنه لم يدخل على ركاب الطائرة بعد ، وعلى هذا لا يجوز لهم الافطار إلا بعد غياب قرص الشمس تماما . قال تعالى « **وأتموا الصيام إلى الليل** » وليل الركاب لا يدخل إلا بتواري قرص الشمس عنهم في المغيب .

مبطلات الصيام

مبطلات الصيام قسمان :

- ما يبطله ويوجب القضاء فقط .
- ما يبطله ويوجب القضاء والكفارة .

ما يبطله ويوجب القضاء فقط

١ ، ٢ ـ الاكل والشرب عمداً فإن أكل أو شرب ناسياً أو مكرهاً فلا قضاء عليه ولا

كفارة .
٣ ـ القيء عمداً فان غلبه القيء فلا يبطل صومه .
٤ ، ٥ ـ الحيض والنفاس ولو في اللحظة الاخيرة قبل غروب الشمس ، ويجب على الحائض والنفساء قضاء ما فاتهما .. أما الاستحاضة وهي نزول الدم في غير أوقات الحيض فلا تمنع الصوم ولا الصلاة .
٦ ـ إنزال المنى إذا تعمده الصائم بسبب من الأسباب التي تؤدي اليه كالاستمناء وتقبيل الزوجة ، والنظر المتكرر لمن عرف أنه ينزل به على ما رآه بعض الأئمة . أما نزول المنى باحتلام فلا يبطل الصيام ولا يبطله المذى ولا الودي .
٧ ـ الردة عن الاسلام ومنها سبُّ الدين واحتقار مقدساته وجحد ما علم منه بالضرورة كوجوب الصلاة .
٨ ـ الجنون والسكر المتسبب فيه والإغماء .
٩ ـ من نقض نية الصيام قاصدا الفطر بطل صومه وإن لم يتناول مفطرا
١٠ ـ إذا تناول الصائم مفطرا أو فعل ما يفطر ظانا غروب الشمس أو عدم طلوع الفجر فظهر خلاف ذلك فعليه القضاء عند الائمة الأربعة .
وعند بعض الفقهاء صومه صحيح ولا قضاء عليه لقوله تعالى (**ليس عليكم جناح فيما اخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم**)
١١ ـ الدخان بجميع أنواعه والنشوق الذي يؤخذ عن طريق الأنف

ما يبطله ويوجب القضاء والكفارة

فهو الجماع لا غير
والجمهور على أن الكفارة واجبة مع الرجل والمرأة ما داما قد تعمدا الجماع مختارين في نهار رمضان ناويين الصيام ، ويرى الشافعي وأحمد أنه لا كفارة على المرأة مطلقا وإنما يلزمها القضاء فقط والكفارة عتق رقبة فإن عجز عنه صام شهرين متتابعين فان عجز عن الصيام أطعم ستين مسكينا من أوسط ما يطعم منه أهله ويرى بعض الفقهاء أنه مخيّر بين هذه الثلاثة فأيها فعل أجزأته وإفساد كل يوم بالجماع له كفارته الخاصة ويرى الأحناف أن كفارة واحدة تكفي عن إفساد جملة أيام .

كيفية القضاء :

كيفية القضاء : أن يصوم بدل الأيام التي أفطرها في زمن يباح فيه الصوم ، ويجوز له أن يصوم أيام القضاء متتابعة أو متفرقة .
ويسن له التعجيل بالقضاء ، وتجب عليه المبادرة إذا بقى على رمضان التالي بقدر ما يكفي القضاء ، فإذا أخره عن رمضان وجب عليه مع القضاء فدية عن كل

يوم اخره . وذلك إن كان التأخير بغير عذر ، فإن كان بعذر فلا فدية عليه مع القضاء ، ورأى أبوحنيفة عدم وجوب الفدية للتأخير مطلقا ، سواء أكان بعذر أم بغير عذر .

ومن مات وعليه صيام صام عنه وليه لصحة الحديث بذلك ، وقال الأحناف والمالكية : لا يصوم عنه وليه بل يطعم عن كل يوم مدا .

امور لا تفطر :

وهي نوعان : مكروهة وغير مكروهة .

فالمكروهة منها :

١ ـ مضغ الطعام أو ذوقه ثم مجُّه ، إلا لحاجة كالطاهي فلا يكره .

٢ ـ مضغ العلك « اللبان » الذي لا يتحلل منه شيء ، فان تحلل منه شيء وبلعه بطل صومه .

٣ ـ تمتع النفس بالمتع المباحة من المبصرات والمسموعات والمشمومات ، كتقبيل الزوجة ، ومعانقتها بشرط أمن العاقبة ، وإلا كان ذلك حراما . أما التمتع بالمحرّم كالنظر إلى الأجنبية أو سماع المحرّم أو قوله فهو حرام على الصائم وغيره ، وتشتد حرمته على الصائم ، لأن الصوم يقوم على كفّ النفس عن شهواتها .

٤ ـ الاكتحال والتقطير في العين لغير ضرورة ، والشافعية والأحناف لا يقولون بالكراهة ، ومالك يقول بالحرمة إن تحقق وصول الطعم إلى الحلق ، وإن شك كره . وعند أحمد يكره ، وإن وجد الطعم في الحلق بطل الصوم .

٥ ـ دهن الشعر على رأي الجمهور ، والمالكية يقولون : لو وصل الأثر إلى الحلق بطل الصوم .

٦ ـ الحجامة والفصد للعلاج ، وقال أحمد بالحرمة وبفطر الحاجم والمحجوم .

وغير المكروهة منها :

١ ـ وصول شيء إلى الجوف بنسيان أو إكراه ، أو بسبب يعذر به شرعا ، وذلك عند غير المالكية ، أما هم فيبطلون الصوم بالنسيان والإكراه ، ويوجبون القضاء دون الكفارة .

٢ ـ الابتراد بالماء صيفا ، بغسل أو مضمضة بلا مبالغة ، أما المبالغة في المضمضة والاستنشاق فمكروهة .

٣ ـ ابتلاع الريق ما لم يجاوز الشفة ، فان جاوزها ثم ابتلعه أفطر .

٤ ـ وصول بقايا الطعام التي بين اسنانه بجريان الريق إذا كان عاجزا عن مجه .

٥ ـ وصول غبار الطريق إلى الجوف لمشقة الاحتراز عنه ، وكذلك غبار الدقيق

للطحان ومن يعالجه ، فإن تعمد الابتلاع أفطر .

الصوم مع ترك الصلاة :

من صام وترك الصلاة فقد ترك الأهم في أركان الاسلام فان لم يكن مؤمنا بما ترك كان خارجا عن الاسلام ولا ينفعه صوم ولا زكاة ، وإن كان مؤمنا بما ترك كان فاسقا عن أمر ربه وصحّ صومه كما تصحّ العبادات الأخرى . وإن كان صومه مع ترك الصلاة دليلاً بينا على أنه لم يصم امتثالا لأمر ربه ، وإلا لما ترك الواجب الأول .

صوم المريض بالسُكَّر :

إذا أصيب الانسان بمرض السكر ، فعليه أن يعرض نفسه على طبيب مسلم حاذق موثوق به في دينه ، لفحصه والوقوف على درجة مرضه بواسطة تحليل البول أو الدم أو هما معا وبيان أثر الصوم في حالته ، فإذا طلب منه الإفطار كان عليه أن يفطر حتى لا يلقي بنفسه في التهلكة ، وإذا أخبره بأن الصوم لا يضره وجب عليه أن يصوم .

صيام الصغار :

الصبي وإن كان الصوم غير واجب عليه إلا أنه ينبغي لولي أمره أن يأمره به ليعتاده من الصغر ، ما دام مستطيعا له ، قادرا على تحمله ، فقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يدربون أولادهم الصغار على الصوم ويرغبونهم فيه بأنواع من اللعب يتلهون بها عن الجوع تقول الربيع بنت معوذ ـ فيما رواه البخاري ومسلم : « كنا نصوّم صبياننا الصغار ، ونذهب إلى المسجد فنجعل لهم اللعبة من العهن ـ الصوف ـ فاذا بكى أحدهم من الطعام أعطيناه إياها، حتى يكون عند الإفطار » .

الصوم في البلاد القطبية وغير المعتدلة عموما :

ذكر الفقهاء مسألة تقدير وقت الصيام في البلاد القطبية حيث يستمر الليل نصف سنة في القطب الشمالي بينما تكون هذه المدة الطويلة نهارا في القطب الجنوبي وفي البلاد غير المعتدلة حيث يطول فيها الليل ويقصر النهار أو بالعكس .
فقال البعض تقدر أوقات الصلاة والصوم على أقرب البلاد المعتدلة اليهم .
وقال البعض الآخر تقدر على البلاد المعتدلة التي نزل فيها التشريع كمكة والمدينة .
وكل من الرأيين جائز فإنه اجتهادي لا نَصّ فيه .

من آداب الصوم

○ إذا رأيت هلال رمضان أو هلال غيره فقل كما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام ، ربي وربك الله ، هلال رشد وخير » (رواه الترمذي وقال حديث حَسَن») .

○ استقبل رمضان بنية أن تصوم لله إيمانا واحتسابا ، وافتح في أول ساعة منه ، صفحة جديدة في سجل أعمالك ومعك العزم الأكيد على التزود فيه بصالح الأعمال ، فمن أدركه رمضان فلم يغفر له ، فقد خاب وخسر ! يقول صلى الله عليه وسلم : « إذا كان أول ليلة من شهر رمضان ، صفدت الشياطين ، وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب ، وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب ، وينادي مناد : يا باغي الخير أقبل ، ويا باغي الشر أقصر » (رواه النسائي والترمذي بنحو هذا اللفظ والحاكم وقال : صحيح على شرطهما) .

○ ليكن منهجك في الصوم ، التخلي عن الرذائل ، والتحلي بالحلم والوقار والسكينة ، واجتناب الرفث وهو الفحش من القول ، والعبارات البذيئة النابية ، وترك الصخب ، وهو الصياح ورفع الصوت ، فذلك علامة السفه والطيش ، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من صام رمضان ، وعرف حدوده ، وتحفظ مما ينبغي له أن يتحفظ ، كفر ما قبله » (رواه أحمد وابن حبان في صحيحه والبيهقي بسند جيد) .

○ إذا صدرت من غيرك إساءة لك ، فقابل السيئة بالحسنة ، وادفع بالتي هي أحسن ، وذكّر نفسك بأدب الاسلام ، والتزم خُلُقَ الصائم ، وردد ما أمرك الرسول الكريم به في هذا الموقف « فإن شاتمه أحد أو قاتله ، فليقل : إني صائم .. إني صائم » (من حديث رواه أحمد ومسلم والنسائي) .

○ أقبل على تلاوة القرآن في رمضان ، في ليله ونهاره ، في الصلاة وخارج الصلاة ، فهو شهر القرآن .. ففي الحديث المتفق عليه .. « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أجود الناس ، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل ، وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن ، فلرسول الله صلى الله وسلم حين يلقاه جبريل ، أجود بالخير من الريح المرسلة » .. والصيام والقرآن يشفعان للمؤمن يوم القيامة ، يقول الصيام « أي ربِّ منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه ، ويقول القرآن منعته النوم بالليل فشفعني فيه ـ فيشفعان » (رواه أحمد بسند صحيح) .

○ **لا تجعل** شهر الصوم شهر فتور وكسل ، فمن الإساءة لفريضة الصوم أن تكون مدعاة للتراخي عن العمل ، وضعف الإنتاج ، فهو شهر جَلَدٍ وصبرٍ ، يتسلح فيه المؤمن بقوة الإرادة ، ومضاء العزيمة ، فينشط إلى العمل ، وينطلق في ميادين

الكفاح ، يملؤها بالجد المثمر ، والسعي البناء .. عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوما وقد حضر رمضان : « أتاكم رمضان شهر بركة ، يغشاكم الله فيه ، فينزل الرحمة ، ويحط الخطايا ، ويستجيب فيه الدعاء ، ينظر الله تعالى إلى تنافسكم فيه ، ويباهي بكم ملائكته ، فأروا الله من أنفسكم خيرا ، فإن الشقي من حرم فيه رحمة الله عز وجل » (رواه الطبراني ورواته ثقات) .

○ قدم لغيرك ما استطعت من الخير في رمضان ، فإن الثواب يضاعف فيه ، وإسداء المعروف ، وإطعام الجائع في هذا الشهر الكريم ، يقع في ميزان الله أعظم موقع ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود ما يكون في رمضان ، يقول صلى الله عليه وسلم في حديثه عن مزايا هذا الشهر الكريم : « هو شهر الصبر ، والصبر ثوابه الجنة ، وشهر المواساة ، وشهر يزاد في رزق المؤمن فيه ، من فَطّرَ فيه صائما كان مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار ، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء ، قالوا يا رسول الله ، ليس كلنا يجد ما يفطّر الصائم ، فقال صلى الله عليه وسلم : يعطي الله هذا الثواب لمن فطّر صائما على تمرة ، أو شربة ماء ، أو مذقة لبن (أي حسوة أو جرعة من اللبن) » (رواه البيهقي وابن خزيمة في صحيحه ثم قال : صح الخبر) .

○ حتى يكون صومك صحيحا يؤتي ثمرته ، ويظهر أثره في سلوكك وأخلاقك ، تجنب قول الزور : من الكذب ، والغيبة ، والنميمة ، والمراء ، وشهادة الزور ، والسخرية بالناس ، وتتبع عوراتهم ، والأيمان الفاجرة التي تدع الديار بلاقع ! وتجنب أيضا عمل الزور : وهو يشمل المعاصي البدنية جميعها ، وبذلك تكون جوارح الصائم كلها في مأمن من الرذائل التي تضر بالفرد ، وتدمر المجتمع ! وما أبلغ قول المعصوم صلى الله عليه وسلم وهو يضع دستوراً للصائم في كلمات تنأى به عن مواقع السوء ومزالق الهوى : « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه » (رواه البخاري) .

○ تناول افطارك عقب غروب الشمس مباشرة وقبل صلاة المغرب ، على تمرات وترا ، فان لم يتيسر لك ذلك ، فعلى الماء ، فإن الماء طهور ، وذلك لتكسر حدة الجوع ، وتطفىء حرارة العطش ، فإن لبدنك عليك حقا ، وحتى تقبل على صلاة المغرب غير معجل . هذه سنة نبيك عليه أفضل الصلاة والسلام ، فعن سهل بن سعد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا يزال الناس بخير ، ما عجلوا الفطر » (رواه البخاري ومسلم) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال الله عزّ وجلّ : « أحب عبادي إليّ أعجلهم فطرا » (رواه الترمذي وقال : حديث حسن) .

○ عند الافطار ، توجه إلى الله بالدعاء لنفسك وللمسلمين ، فهي في هذه اللحظة دعوة مقبولة إن شاء الله ، يقول صلى الله عليه وسلم : « إن للصائم عند فطره دعوة ما ترد » (رواه ابن ماجه) .

وثبت أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول : « ذهب الظمأ ، وابتلت العروق ، وثبت الأجر إن شاء الله تعالى » .

وروى مرسلا أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول : « اللهم إني اسألك برحمتك التي وسعت كل شيء ، أن تغفر لي » .

○ تناول سحورك قريبا من الفجر ، ففي ذلك عون على النشاط في النهار ، وتحمل مشاق الصوم ، والوقت المناسب للسحور قبل الفجر بنصف ساعة ، وبذلك يجتمع لك فضلان : تحقيق السنّة بتأخير السحور ، وإدراك صلاة الصبح جماعة في وقتها .. عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تسحروا فإن في السحور بركة » (متفق عليه) . وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : « تسحرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قمنا إلى الصلاة ، قيل كم كان بينهما ؟ قال : خمسون آية » (متفق عليه) .

○ تجنب الافراط في الأكل والشرب ، فإن من حكم الصوم ، التخفيف على المعدة ، وتنقية البدن من رواسب الطعام المتراكمة في داخله طول العام ، وإن عدداً كبيراً من الأمراض الشديدة . والعلل المنهكة ، ينشأ من اكتظاظ المعدة بما لا تطيق هضمه ، وقد جاء في الحديث : « ما ملأ ابن آدم وعاءً شراً من بطنه » (رواه الترمذي) وقد أمرنا الله تبارك وتعالى بترك الإسراف في الأكل والشرب ، في رمضان وغيره فقال عزّ مِنْ قائل : « **وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين** » (٣١ : الأعراف) .

« **ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين** » .

صلاة التراويح

صلاة التراويح في كل ليلة من رمضان سنة مؤكدة ، وتسن فيها الجماعة ، ووقتها بعد صلاة العشاء .

دليل سنيتها :

فعل الرسول صلى الله عليه وسلم فقد روى الشيخان أنه صلى الله عليه وسلم خرج من جوف الليل ليالي رمضان وهي ثلاث متفرقة : ليلة الثالث والعشرين ، والخامس والعشرين ، والسابع والعشرين وصلى في المسجد وصلى الناس بصلاته فيها وكان يصلي بهم ركعات ، ويكملون باقيها في بيوتهم فكان يسمع لهم أزيز كأزيز النحل .

وقد ظل الصحابة يصلونها متفرقين ، حتى رأى عمر رضي الله عنه في خلافته أن يجمعهم على صلاتها بالمسجد وراء إمام فكانت صلاة التراويح جماعة

مما استحسنه عمر رضي الله عنه ووافقه عليه الصحابة وسار عليه المسلمون من بعده . وروى الإمام مالك في الموطأ عن يزيد بن رومان قال : « كان الناس في زمن عمر رضي الله عنه يقومون في رمضان بثلاث وعشرين ركعة » ـ أي بزيادة الوتر ثلاث ركعات على التراويح ، وقد جمع عمر الناس على هذا العدد في المسجد ، ووافقه الصحابة على ذلك ، ولم يوجد لهم مخالف ممن بعدهم ، وقد ذكر أصحاب هذا الرأي أن النبي صلى الله عليه وسلم وإن كان قد صلى بالناس في المسجد في الليالي التي خرج اليهم فيها ،ثماني ركعات إلا أنهم كانوا يكملون العشرين في بيوتهم ، وصلاة التراويح سنة بلا خلاف ، والجماعة فيها فضلها ثابت لا ينكر ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قد رغب في مطلق قيام الليل في رمضان فقد روى الجماعة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « كان رسول الله صلى الله وسلم يرغب في قيام الليل ، من غير أن يأمر فيه بعزيمة فيقول : « من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » .

ويسن القنوت في الوتر في النصف الثاني من شهر رمضان عند الإمام الشافعي .

ومن الأفضل أن ينتهي من قراءة القرآن في التراويح بانتهاء شهر رمضان متى تيسر له ذلك ، وإلا فليصل بما تيسر له .

وروح الصلاة الخشوع ، فليحرص عليه قبل أن يحرص على زيادة الركعات ، وعلى قراءة القرآن كله أو بعضه فيها أو يحرص على العشرين ركعة أو الثماني . وَرُبَّ ركعات قليلة ، تؤدى في صلاة خاشعة ، وقراءة فيها تدبر ، خير من ركعات كثيرة قصيرة لا خشوع فيها ..!

العمرة في رمضان

للعمرة في رمضان ثواب كبير يساوي ثواب حجة .

روى البخاري (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لامرأة من الانصار سماها .. ما منعك أن تحجي معنا ؟ قالت كانلنا ناضح فركبه أبو فلان وابنه ـ لزوجها وابنها ـ وترك ناضحاً ننضح عليه ، قال : فاذا كان رمضان اعتمري . فإن عمرة في رمضان حجة أو نحوا مما قال (وفي رواية مسلم) قال : فعمرة في رمضان تقضي حجة أو حجة معي) .

ولكن يجب أن يعلم أن العمرة في رمضان ، وإن كان لها مثل ثواب الحج ، إلا أنها لا تسقط فريضة الحج عمن عليه هذه الفريضة .

روى أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتمر أربع عمرات ، كلهن في ذي القعدة إلا التي مع حجته .

عمرة من الحديبية أو زمن الحديبية في ذي القعدة ، وعمرة مع العام المقبل في

ذي القعدة ، وعمرة من جعرانة حيث قسم غنائم حنين في ذي القعدة ، وعمرته مع حجته .

وإنما اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم في ذي القعدة ، لفضيلة هذا الشهر ، ولمخالفة الجاهلية في ذلك ، فإنهم كانوا يرونه من أفجر الفجور ، ففعله صلى الله عليه وسلم مرات في هذا الشهر ، ليكون أبلغ في بيان جوازه فيه ، وأبلغ في إبطال ما كانت الجاهلية عليه .

وقد وقع خلاف حول ما إذا كان الأفضل العمرة في رمضان ، أو في شهر الحج ، فقيل ان العمرة في رمضان لغير النبي أفضل ، وأما في حقه فما صنعه أفضل ، وذلك لأنه فعله للرد على أهل الجاهلية الذين كانوا يمنعون الاعتمار في أشهر الحج ، وهذا هو رأي الجمهور .

الاعتكاف

الاعتكاف رياضة روحية وتزكية نفسية وتطهير للقلب والعقل من غلبة أغراض الدنيا على نفس المؤمن .. وتكون في المسجد تفرغا لله سبحانه وتعالى ولعبادته .. .. يلجأ إليها الذين يزدادون شوقا إلى رضى الله ، ولهفة إلى عفوه ومغفرته وحبّه ..

ورياضة الاعتكاف رياضة قديمة ، كان يؤديها أصحاب النفوس الشفافة . روى البخاري أن عمر رضي الله عنه قال يا رسول الله (إني نذرت في الجاهلية أن أعتكف ليلة في المسجد الحرام فقال له صلى الله عليه وسلم .. أَوْفِ بنذرك) . وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله ثم اعتكف أزواجه من بعده . « رواه البخاري ومسلم » .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ كما روى البخاري ـ يعتكف في كل رمضان عشرة أيام ، فلما كان العام الذي قبض فيه ، اعتكف عشرين يوما .

ومعنى الاعتكاف : الإقامة الكاملة في المسجد ، وعدم الخروج منه مدة معينة ، على نية التقرب لله عز وجل ، وهو سنة حين يتطوع به المسلم من تلقاء نفسه ، وتتأكد سنيته في العشر الأخير من رمضان ، فإذا نذره المسلم ، كان واجبا عليه أن يؤديه .

وليس للاعتكاف وقت محدد ، فمتى مكث الانسان في المسجد مدة بنية الاعتكاف ، كان معتكفا ، فاذا خرج ، فله أن يجدد النية ، ويجوز ذلك . أما الاعتكاف المنذور ، فيجب عليه أن يؤديه على الوجه الذي نذره به .

أركانه :

١ ـ المكث في المسجد .

٢ ـ النية .

شروطه :
الاسلام والتمييز والعقل والطهارة من كل ما يوجب الغسل وكونه في مسجد ، ولا يشترط صوم المعتكف ، وإن كان صومه أفضل ، وللمرأة أن تعتكف بإذن زوجها ، فإن منعها فعليها أن تمتنع .
ومن نوى اعتكاف العشر الأواخر من رمضان ، فعليه أن يدخل معتكفه قبل غروب الشمس ، ويخرج بعد غروب شمس آخر يوم من الشهر ، واستحسن البعض المبيت ليلة الفطر بالمسجد ، والغدو إلى صلاة العيد .
ومن نذر اعتكاف يوم أو أيام دخل معتكفه قبل أن يتبين له طلوع الفجر ويخرج بعد غروب جميع قرص الشمس ، أما إذا نذر اعتكاف ليلة أو ليال ، فإنه يدخل معتكفه قبل مغيب جميع قرص الشمس ، ويخرج بعد أن يتبين له طلوع الفجر .
ويستحب للمعتكف ذكر الله وتسبيحه وتكبيره ، والاستغفار ، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، وتلاوة القرآن ، ومذاكرة العلم ، ويستحب له أن يتخذ خباء في صحن المسجد ، اقتداء برسول الله عليه الصلاة والسلام .
ويكره له : إشغال نفسه بما لا يعنيه ، من قول أو عمل ، ويكره الصمت عن الكلام ظنا أن الصمت يقرّب من الله .
ويباح له : الخروج لقضاء الحاجة ، وللإتيان بالمأكول والمشروب ، إذا لم يكن له من يأتيه به ، وللمعتكف أن يمشط شعره ، ويحلق رأسه ، ويقلم أظافره ، وينظف بدنه ، ويلبس أحسن الثياب ، ويتطيب بالطيب .

ويبطل الاعتكاف : الخروج عمدا لغير حاجة ، والردة عن الاسلام ، وذهاب العقل بجنون أو سكر ، والحيض أو النفاس أو الجماع أو الانزال . وإذا بطل الاعتكاف استحب للمعتكف قضاؤه وقيل يجب عليه ذلك .
ومن نذر الاعتكاف في مسجد معين لا يلزمه المسجد الذي حدده إلا إذا نذره في المسجد الحرام أو مسجد الرسول أو المسجد الاقصى وإن نذر الاعتكاف في المسجد الحرام لزمه ، وإن نذره في المسجد النبوي جاز أن يعتكف في المسجد الحرام لأنه أفضل منه وإن نذره في المسجد الأقصى فله الاعتكاف في أي المساجد الثلاثة أحب .

ليلة القدر

القَدْرُ هو الشرف العظيم ، ولقد عَظَّمَ الله من شأن هذه الليلة لنزول القرآن فيها قال الله تعالى : (**إنا أنزلناه في ليلة القدر . وما ادراك ما ليلة القدر . ليلة القدر خير من ألف شهر . تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر . سلام هي حتى مطلع الفجر**) .
وقال صلى الله عليه وسلم (التمسوها في العشر الأواخر من رمضان) رواه

أحمد والبخاري وأبو داود .

والمشهور أنها ليلة السابع والعشرين من رمضان ، وهو رأي لفريق كبير من الصحابة ، وإحياؤها سنة لقول عائشة رضي الله عنها كان رسول الله يجاور في العشر الأواخر من رمضان ويقول : « تحروا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان » . رواه البخاري ، والمراد بالمجاورة ، الاعتكاف ، والدعاء فيها من هدى الرسول الكريم ، روى أحمد وابن ماجة عن عائشة رضي الله عنها قالت : يا رسول الله أرأيت إن علمت أي ليلة القدر ما أقول فيها ؟ قال قولي : « اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني » .

وحكمة إحيائها بالعبادة ، تذكر نعمة الله علينا بإنزال القرآن فيها هدى للناس إلى ما فيه خيرهم في دنياهم وآخرتهم وقد احتفل الله بها وكرّمها ، فمن واجبنا أن نعرف قدرها ، ونحرص على إحيائها ، والتقرب إلى الله فيها .

صدقة الفطر

هي ما يخرجه المسلم من ماله للمحتاجين طهرة لنفسه ، وجبرا لما يكون قد حدث في صيامه من خلل مثل لغو القول وفحشه .

يقول ابن عباس رضي الله عنه : « **فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين** » (رواه أبو داود) .

حكمة مشروعيتها :

ومن هذا يتبين أن الحكمة في فرضها سد حاجة المعوزين والتوسعة عليهم ، وإدخال الفرحة في قلوبهم حتى لا يشعروا بمرارة الحاجة والفقر ، في وقت يوسع فيه المسلمون على عيالهم في المطعم والملبس ابتهاجا بالعيد ، وفي هذا من معنى التكافل والتراحم بين المسلمين ما فيه ، كما أن في إخراجها تقرُّبا إلى الله ، وتطهيرا للصائم من السيئات التي يكون قد ارتكبها أثناء صومه ، لأن للحسنات آثارها الطيبة في محو السيئات .

ويقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « **وأتبع السيئة الحسنة تَمْحُها** » رواه أحمد والترمذي .

شروط وجوبها :

وشروط وجوبها : الحرية والاسلام ووجود ما يفيض عن حاجته وحاجة من

تلزمه نفقته ليلة العيد ويومه ، وإدراك جزء من رمضان وجزء من شوال ، فلا يجب على العبد إخراجها لأنه لا مال له ، ولكن يخرجها عنه سيده ، ولا على الفقير الذي لا يجد ليلة العيد ويومه فائضا عن حاجة أولاده ، كما لا يجب على من مات قبل غروب الشمس آخر يوم من رمضان ، ولا على من ولد بعد غروبه .

دليل الوجوب :

ودليل وجوبها ما روى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : « **فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر من رمضان صاعا من تمر أو صاعا من شعير على كل حر أو عبد ذكر أو أنثى من المسلمين** » ـ متفق عليه .

مقدارها :

يجب على كل فرد صاع من غالب ما يأكله أهل البلد إلا أن يخرج الأحسن ، فيكون أفضل ويقدر الصاع بنحو خمسة أرطال ونصف من القمح أو الشعير أو الأرز أو الدقيق ويجوز إخراج القيمة نقدا ، حسب السعر الحالي والأسعار تختلف من بلد لآخر .

وقت إخراجها :

يجوز إخراجها من أول رمضان ، ويكره تأخيرها عن صلاة العيد إلا لضرورة ، كعدم وجود فقير في البلدة حال إخراجها .

ومن المستحسن استعجال خروجها ، حتى يستعين الفقير بها على ما يحتاجه في رمضان ، وإعداد ما يلزمه هو وأولاده في أيام العيد ، ليتحقق معنى الزكاة والغرض منها في أيام العيد ؛ فإن الفقير قد يحتاج إلى ثياب له ولأولاده فلا بد من إعطائه فرصة يتمكن فيها من إعداد الثياب والحاجيات الأخرى اللازمة له ولأولاده .

ولا يجوز نقلها من بلدة إلى أخرى . أو من منطقة إلى أخرى ، إلا إذا كان هناك ما يبرر ذلك ، كما لو اكتفى أهل البلد أو المنطقة أو لم يكن فيها محتاجون ، أو كان له قريب فقير في بلدة أخرى قريبة من المكان الذي يقيم فيه يريد أن يعطيه جزءا منها وعند الأحناف لا يكره نقلها الى أي بلد فيه قرابة محتاجون أو من هم أحوج من أهل البلد أو كان نقلها أصلح للمسلمين أو إلى طالب علم ونحوه .

والأفضل توزيعها على عدد من المحتاجين حتى يعم النفع بها ، وله أن يزيد فقيرا عن آخر في الاعطاء نظرا للحاجة أو لقربه منه .

عمن يخرجها ..؟

يخرجها الشخص عن نفسه وعن كل من تلزمه نفقتهم من الزوجة والأقارب

وهم : الوالدان الفقيران والأولاد الذكور الذين لا مال لهم حتى يشتغلوا بمعاشهم وكذلك الإناث إلى أن يدخل بهن الزوج والمماليك والخدم الذين التزم المخدوم بنفقتهم ومعاشهم .

لمن تصرف ؟

تصرف لمن يوجد من الفقراء المحتاجين الذين لا يكفي دخلهم لسد حاجاتهم ومنهم المسافرون المغتربون الذين لا مال لهم بأيديهم ينفقون منه على شؤونهم وإن كان لهم مال في بلدهم . وكذلك الدور المشرفة على الفقراء والداخلون في الاسلام المحتاجون للمعونة والذين لا يجدون ما ينفقون حتى تتيسر لهم سبل العيش .

صلاة العيد

دليل شرعيتها :

لم يغفل الاسلام ناحية الأعياد لدى أتباعه ، لأنها ظاهرة اجتماعية ضرورية لكل أمة ، حتى يكون لها في أيامها أعياد تفرح فيها ، وتستجم من عناء العمل ، وأعياد كل أمة ترتبط إما بدينها أو بحوادث هامة ، لها أثرها الطيب في تغيير مجرى حياتها ، لذلك كانت الأعياد في كل أمة مظهرا من مظاهر شخصيتها .

ولأجل هذا لم يرض الرسول صلى الله عليه وسلم أن يترك المسلمين يحتفلون بأيام كانوا يحتفلون بها قبل الاسلام ، بل جعل لهم عيدين مرتبطين بعبادتين من أهم العبادات في الاسلام وهما : عيد الفطر ، بعد أن ينتهي المسلمون من عبادة الصوم ، ويفرحوا بفطرهم ، وعبادتهم لله ، وعيد الأضحى ، بعد أن يؤدي الحجاج أهم ركن في عبادة الحج - وهو الوقوف بعرفة - ويفرحوا ويفرح أهلوهم بما أدوا من عبادة في أطهر بقعة وأقدسها .

قال أنس رضي الله عنه : قدم رسول الله صلى الله وسلم المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما فقال : « ماهذان اليومان » قالوا : كنا نلعب فيهما في الجاهلية ، فقال صلى الله عليه وسلم : « أبدلكم الله بهما خيرا منهما يوم الأضحى ويوم الفطر » رواه أبو داود .

التكبير :

يندب إحياء ليلتي العيدين بالذكر ، والتكبير ، والدعاء ، والاستغفار ، والعطاء للبائسين .

ووقت التكبير لم تتفق المذاهب على تحديده ، ولذا نختار لك منها أن يبدأ التكبير في عيد الفطر من رؤية الهلال حتى يغدو الناس إلى المصلى ، وحتى يصعد الإمام

على المنبر لقوله تعالى : (**ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون**) .

أما في عيد الأضحى فمن صبح يوم عرفة إلى عصر آخر أيام منى لقوله تعالى (**واذكروا الله في أيام معدودات**) قال ابن عباس : « هي ايام التشريق وهي اليوم الحادي عشر ، والثاني عشر ، والثالث عشر من ذي الحجة » .

ويستحب التكبير في كل وقت من هذه الأيام سواء قبل الصلاة أو بعدها أو في الطريق أو في المجالس .

وصيغة التكبير كما وردت عن عمر وابن مسعود : (الله أكبر الله أكبر ، لا إله إلا الله ، والله أكبر الله أكبر ، ولله الحمد) .

وزاد بعض المذاهب (الله أكبر كبيرا ، والحمد لله كثيرا إلى آخر الصيغة المشهورة) . على أن يكون معلوما أن ذلك كله أمر مندوب فلا يجوز أن يحتدم الخلاف حوله بين المسلمين .

حكمها :

عند أكثر المذاهب سنة عين مؤكدة على كل من تجب عليه صلاة الجمعة وأداؤها مع الجماعة سنة عند الشافعي فله أن يصليها منفردا وقال الآخرون : الجماعة شرط بلا أذان ولا إقامة .

وقتها :

من ارتفاع الشمس ولو قدر ثلاثة أمتار إلى الزوال والأفضل التعجيل بها والمسارعة إلى أدائها وتحديد وقتها رغبة في اجتماع المسلمين حتى يؤدوها في جماعة ثم ينصرفوا إلى ما يريدون في هذا اليوم العظيم من زيارات تؤكد محبتهم وتقوي روابطهم .

كيفيتها :

وصلاة العيد : ركعتان كغيرهما من النوافل غير أنه في الركعة الأولى وبعد تكبيرة الإحرام ، ودعاء الاستفتاح ، وقبل التعوذ والقراءة يكبر سبع تكبيرات (الله أكبر) يفصل بين كل تكبيرتين بقدر آية صغيرة وبعد أن ينتهي من التكبير يتعوذ ويقرأ الفاتحة والسورة . أما في الركعة الثانية فإنه بعد تكبيرة القيام ، يكبر خمس تكبيرات ثم يأخذ في القراءة .

ويندب أن يقرأ في الركعة الأولى بعد الفاتحة (سورة الأعلى) وفي الركعة الثانية بعد الفاتحة (سورة الغاشية) وإن كان له أن يقرأ بما شاء ، وإذا أدرك الامام في بعض التكبيرات تابعه في التكبير ولا يعيد ما فاته منها، ولو نسى المصلي التكبير ، ودخل في القراءة مباشرة بعد تكبيرة الإحرام أو القيام فلا يعود للتكبير وصلاته صحيحة .

أين تؤدي صلاة العيد ..؟

يستحسن أداؤها في الصحراء في غير مكة وخاصة إذا كانت قريبة من العمران ، بخلاف الشافعية فإنهم قالوا إن أداءها بالمسجد أفضل لشرفه ، إلا لعذر ، كضيقه ، فيكره الزحام فيه وتسن حينئذ في الصحراء .

ويندب أن يخرج المصلي إلى مصلى العيد ماشيا إن أمكن وأن يجهر بالتكبير ويستمر في التكبير حتى يدخل الإمام في الصلاة .

والأجدر أن يذهب إلى المصلى من طريق ويعود من طريق آخر ، ومن السنة أن يأكل قبل خروجه الى مصلاه في عيد الفطر ، تحقيقا لمعنى الفطر ، أما في عيد الأضحى فيندب تأخير الأكل .

لا صلاة قبلها ولا بعدها :

لم يثبت أن لصلاة العيد سنة قبلها ولا بعدها : قال ابن عباس : « خرج رسول الله صلى الله وسلم يوم عيد فصلى ركعتين ، لم يصل قبلهما ولا بعدهما » (رواه الجماعة) .

الخطبة :

وبعد أن ينتهي الامام من صلاة العيد ، يصعد المنبر ، ويخطب خطبتين خفيفتين ، يرشد الناس فيهما إلى ما ينبغي عليهم فعله يوم العيد ، من البشاشة والصفاء والحب والولاء والتغاضي عن الهفوات السابقة بين المسلم وأخيه وهما كخطبتي الجمعة ، غير أن خطبتي الجمعة شرعتا قبل الصلاة ، وأما خطبتا العيد فإنهما بعد الصلاة .

كما أن خطبتي الجمعة ، تفتتحان بالحمد لله ، وأما خطبتا العيد ، فإنهما تفتتحان بالتكبير ، وتفتتح الأولى منهما بالتكبير تسعا وأما الثانية فتفتتح بالتكبير سبعا ، وتختم بقول الله تبارك وتعالى .

(سبحان ربك رب العزة عما يصفون . وسلام على المرسلين . والحمد لله رب العالمين) (الصافات ١٨٠ ـ ١٨٢) .

اجتماع العيد والجمعة :

إذا اجتمع العيد والجمعة في يوم واحد ، وجب عند الأئمة الثلاثة أداء كل صلاة منهما في وقتها المشروع ، فتصلي صلاة العيد في وقتها ، وتصلي الجمعة في وقتها ، ويرى الامام أحمد أنه إذا اجتمع الجمعة والعيد في يوم واحد سقطت الجمعة عمن صلى العيد ، ويصلي الظهر بدلها .

ومن السنة اظهار السرور وتبادل الدعاء بالخير في أيام العيد ، ويدعو الاسلام إلى التواصل والتراحم ، والتوسعة على الفقراء في هذه الأيام الطيبة .. فعن جبير بن نفير قال : « كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا التقوا يوم العيد يقول بعضهم لبعض : تقبل الله منا ومنك » قال الحافظ : إسناده حسن .



قال تعالى :
« وأَقيمُوا الصلاةَ و آتوا الزكَاةَ وأَطيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمون » .

روى الطبراني في الاوسط والصغير عن علي كرم الله وجهه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« إن الله فرض على اغنياء المسلمين في أموالهم بقدر الذي يسع فقراءهم ، ولن يجهد الفقراء اذا جاعوا أو عروا الا بما يصنع أغنياؤهم . الا وان الله يحاسبهم حسابا شديدا ، ويعذبهم عذابا أليما » .

أحكام الزكاة

تعريف الزكاة :
الزكاة اسم لما يخرجه الانسان من حق الله تعالى الى المستحقين . وسميت زكاة لما يكون فيها من تزكية النفس وتطهير المال ونمائه .

حكمها :

فرض . وهي ركن من أركان الاسلام الخمسة ، وقرنت بالصلاة في اثنتين وثمانين آية . ودليل فرضيتها الكتاب ، والسنة ، واجماع الأمة ، وكانت فريضة الزكاة في أول الاسلام بمكة مطلقة لم يحدد فيها المال الذي تجب فيه ، ولا مقدار ما يؤخذ منه ، وانما ترك ذلك لاحساس المسلم وكرمه وسخاوة نفسه ، وفي السنة الثانية من الهجرة على المشهور فرض مقدارها من كل نوع من أنواع المال وبينت بيانا مفصلا .

دليلها :
دليلها من الكتاب قول الله تعالى : **(وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة)** .. النور/ ٥٦ .
ومن السنة المطهرة قول الرسول صلى الله عليه وسلم : **(بني الاسلام على خمس : شهادة أن لا اله الا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، والحج ، وصوم رمضان)** .

حكم مانعها :
الزكاة من الفرائض التي أجمعت عليها الأمة ، فلو أنكر وجوبها مسلم خرج عن الاسلام ، الا اذا كان حديث عهد بالدين ، فإنه يعلم ويعذر لجهله .
اما من امتنع عن أدائها مع اعتقاده وجوبها ، فإنه يأثم ولا يخرج عن الاسلام، وعلى الحاكم أن يأخذها منه قهرا ويعزره ، ولو امتنع جماعة من المسلمين عن أدائها مع اعتقادهم وجوبها ، وكانت لهم قوة ومنعة ، فانهم يقاتلون عليها حتى يعطوها .
وروى البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : **(أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، فاذا فعلوا ذلك عصموا مني**

دماءهم وأموالهم الا بحق الاسلام وحسابهم على الله ».

على من تجب الزكاة : ؟
تجب الزكاة على المسلم الحر المالك للنصاب من أي نوع من أنواع المال الذي تجب فيه الزكاة ,

الأموال التي تجب فيها الزكاة :
أوجب الاسلام الزكاة في الذهب ، والفضة ، والزروع ، والثمار ، وعروض التجارة ، والسوائم والمعدن ، والركاز .

زكاة الذهب والفضة

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (**إذا كانت لك مائتا درهم وحال عليها الحول ففيها خمسة دراهم . وليس عليك شيء ـ يعني في الذهب ـ حتى يكون لك عشرون دينارا . فاذا كانت لك عشرون دينارا وحال عليها الحول ففيها نصف دينار . والدينار وزنه مثقال**) رواه ابو داود .

بهذا الحديث تحدد المقدار الذي تجب فيه الزكاة وهو ما يسمى (نصابا) كما تحددت نسبة الزكاة وهي في الذهب والفضة ربع العشر .

والمثقال في عهد النبوة وعهد الخلافة الراشدة لم يتغير وزنه وهو يساوي ٤ $\frac{١}{٤}$ غرام . فالنصاب في الذهب على هذا يساوي ٨٥ غراما من الذهب الخالص وليس المثقال النبوى الذي يحسب به نصاب الذهب مساويا للمثاقيل المستعملة الآن كالمثقال العجمي وهو (٤,٨) غراما والمثقال العراقي (٥) غرامات .... وهذا ما افاد به بعض تجار الذهب بالكويت

واما درهم الفضة فوزنه ٢,٩٧٥ غراما فنصاب الفضة على هذا ٥٩٥ غراما .

فاذا كنت تملك ذهبا او فضة على شكل سبائك او عملة تتعامل بها ، فان بلغ وزن الذهب عشرين مثقالا « نبويا ـ (٨٥ غراما) » وبلغت الفضة مائتي درهم « ٥٩٥ غراما » فقد وجبت فيها الزكاة (ربع العشر) وما زاد على هذا المقدار فبحسابه فتخرج عن كل زائد ربع عشره .

.. وإن كان ابو حنيفة لا يرى في الزائد زكاة حتى يبلغ خمس النصاب ، فيكون فيه ربع العشر .. فمن يملك مائتي درهم فضة فزكاته خمسة دراهم .

وتحسب قيمة الزكاة بالعملة الجارية ويوزعها فاذا كانت زكاته مثلا خمسة دراهم فضة اخرج قيمة هذه الدراهم بالعملة السائدة في بلده وحسب السعر

الجاري وكذلك الامر في الذهب .. ولا مانع من اخراج زكاة الذهب ذهبا ، وزكاة الفضة فضة .

زكاة العملات الجارية

زكاة العملة المعدنية

التعامل الجاري الآن لا يتم غالبا بالعملة الذهبية أو الفضية وكل دولة من الدول لها عملتها ونقودها السائدة وهي قد تكون من نحاس أو نيكل أو ألمنيوم .

وقيمة هذه العملات كلها مرتبطة بالعملة الورقية السائدة ومن الممكن تحويلها إليها . لهذا كله نرى أن فيها زكاة مع العملات الورقية فيزكيها إذا بلغ ما عنده منها قيمة النصاب فيخرج عنها ربع العشر .

زكاة العملة الورقية .

إذا بلغ ما يملكه المسلم منها ما قيمته عشرون مثقالا من الذهب ففيها الزكاة وتحسب زكاة العملة الورقية على اساس نصاب الذهب .

حيث انه اعلى قيمة من نصاب الفضة في عصرنا الحاضر .

ويجب ان نلاحظ بعناية ان قيمة الذهب والفضة تختلف من زمن الى زمن ومن بلد إلى بلد كما هو معروف .

وعلى هذا يجب ان يراعى كل انسان القيمة السائدة للذهب في بلده وقت اخراج الزكاة ، وهذا يؤدي بالتالي الى أن مقدار النصاب من العملة الورقية الذي تجب عليه الزكاة قد يختلف في الكويت مثلا عنه في السعودية .. في مصر .. في العراق .. الخ وذلك حسب سعر الذهب فيها .

كما أن نصاب الزكاة قد يختلف ايضا من سنة الى سنة في البلد نفسه وذلك حسب اختلاف سعر الذهب . وهذا ما يجب أن يتنبه إليه الناس جيدا ولا سيما المفتون من العلماء ولا يعتمدون على أرقام المبالغ التي دونت في الكتب من قبل لأنها حسبت على اساس سعر الذهب والفضة في زمنهم والأسعار متغيرة كما نعرف ومادام وزن النصاب ثابتا حسب النص فانه من الممكن حساب قيمته كل سنة حسب الأسعار يوم وجوب إخراج الزكاة .

كيف تحسب زكاة العملة ؟

اعرف كم يساوي العشرون مثقالا من الذهب بالعملة الجارية فاذا وجدت ان عندك قيمة العشرين مثقالا من العملة الورقية او من العملة المعدنية كالنحاس والنيكل فانك تكون حينئذ قد ملكت النصاب وعليك ان تعرف اليوم الذي بدأ فيه ملكك لنصاب كامل ليكون بدء سنة الزكاة .

ونصاب الذهب كما قلنا هو ٨٥ غراما من الذهب الخالص ، ونصاب الفضة هو « ٥٩٥ » غراما من الفضة الخالصة ... وعلى هذا فلو كان عندك ٢٥٠ دينارا كويتيا فقط وحال عليها الحول وكان سعر الذهب يوم وجوب اخراج الزكاة هو ٣,٢٥٠ دينارا للغرام فانه لا زكاة عليك لان قيمة النصاب هي :
٨٥ × ٣,٢٥٠ = ٢٧٦,٢٥٠ دينارا .

فيكون ما عندك اقل من نصاب .
وعندنا سؤال يقوم في الأذهان ...
وهو : لنفرض ان النصاب توفر في وقت من الأوقات كان بدء سنة الزكاة ولكن هذا المبلغ نقص أثناء السنة ثم زاد حتى بلغ نصابا او اكثر عند تمام السنة ، فما الحكم في هذه الحالة ؟ الامام ابو حنيفة يرى انه لا يضر النقصان عن النصاب أثناء السنة إذ أن العبرة عنده بوجوده في أولها وعند نهايتها وعلى ذلك يرى وجوب الزكاة في هذه الحالة .
أما غيره فيرى أنه لا بد من وجود النصاب طوال السنة بحيث لو نقص في يوم من ايامها انقطعت السنة فاذا زاد حتى بلغ النصاب في يوم من الأيام بدأ حساب سنة جديدة من وقت بلوغه النصاب .

زكاة الحلى :

اعتاد الناس أن يتخذوا من الذهب والفضة حليا للزينة كما اعتاد بعضهم أن يستعمل بعض الأدوات المتخذة منهما كالملاعق ، والشوك ، والأطباق والتحف وما إلى ذلك ... فهل تكون عليها زكاة .. ؟
قال جمهور الأئمة إن كان المصنوع من الذهب أو الفضة حليا مباحة فلا زكاة فيه .
وقال الامام أبو حنيفة بل تجب في الحلى المباحة زكاة .

ومن المعلوم ان المرأة هي التي يباح لها فقط التحلي بالذهب والفضة ولا يباح للرجل التحلي بالذهب مطلقا ، ولا بالفضة إلا بقدر خاتم صغير منها ، اما استعمال الأواني والتحف من الفضة او الذهب فحرام على الرجل والمرأة معا بالاجماع وعلى هذا تجب الزكاة على ما يتخذه الرجل من زينة ذهبية او فضية وعلى كل الاواني المصنوعة منهما المملوكة للرجل او المرأة وتحسب على اساس نصاب الذهب أو الفضة كما قدمنا . والذين قالوا بعدم وجوب الزكاة في حلى المرأة قالوا اذا اتخذت المرأة حليها مادة ادخار حتى لتجدها احيانا زائدة عن حد الزينة لمثلها يقولون بوجوب الزكاة عليها لأنها خرجت عن الغرض المقصود منها وهي الزينة الى الادخار ...

الحلى من الجواهر :

وقد اعتاد البعض التحلي بخواتم او بعقود من الماس او اللؤلؤ او غيرها من الأحجار الكريمة الغالية الثمن حتى ليصل ثمن الخاتم الى عدة آلاف كما يصل ثمن العقد إلى عشرات الألوف فهل في هذه الحلى زكاة ؟

والجواب أن هذه الحلى لم يرد النص بتحريمها ، ومن ثم فهي مباحة كما لم يرد نص بالزكاة عليها ، ومن ثم لم يقل احد من الفقهاء ان عليها زكاة حتى الذين قالوا إن في حلى الذهب والفضة المباحة زكاة كالامام أبي حنيفة .

ومع ذلك فانها لو اتخذت بقصد الادخار لأجل الاستثمار ببيعها في المستقبل فانه يكون لها شأن آخر إذ في هذه الحالة عليها زكاة على حسب قيمتها في اخر كل عام .

زكاة الديْن

للأئمة والفقهاء المجتهدين أراء وتفصيلات كثيرة حول زكاة الدين مذكورة في كتب الفقه ... ومن خلال هذه الآراء والتفصيلات يمكن ان نختار لك هذا الموجز .

فالدين الذي لك على آخر او آخرين إما أن يكون :

١ ـ دينا حيا « أو قويا » وهو ما كان المدين معترفا به مستعدا لسداده في وقته او عند طلبه .

٢ ـ أو دينا على معسر لا يرجى منه السداد أو على مماطل او جاحد له غير معترف به وليس لك به بينة .

● والقسم الأول وهو الدين الحي يرى جمهور الأئمة ان على الدائن زكاته بالشروط السابقة في زكاة المال الا أنه لا يجب عليه اخراج زكاته الا بعد قبضه ويزكى عن المدة الماضية كلها سنة او اكثر .

اما اذا كان الدين من النوع الثاني وهو ما يكون على معسر أو مماطل او جاحد فأكثر الأئمة على أنه لا زكاة فيه ، وإن كان الامام مالك يرى أنه إذا قبضه فانه يزكي عنه لعام واحد فقط ولو مكث عند المدين أعواما .

ومن عليه دين ؟

ومن كان عليه دين يستغرق كل ماله أو بعضه فهل عليه زكاة ؟ قال الشافعية .... نعم عليه زكاة فيما تحت يده من مال لو بلغ نصابا .

وقال الحنفية .... لا زكاة عليه فيما تحت يده من مال مقابل للدين الا زكاة الزروع والثمار فانها تجب .

وقال المالكية والحنابلة ... لا زكاة عليه فيما تحت يده من مال الا زكاة الزروع والثمار والماشية فانها تجب .

ونحن نميل الى الأخذ برأي الذين يقولون لا زكاة عليه في المقدار الذي يساوي الدين الذي عليه فان طابت نفسه فليفعل ما هو أنفع للفقراء بأن يزكي جميع ما تحت يده من مال ، ولو كان يقابل دينا عليه ، مادام يتصرف بالمال ولا يعاجله الدائن بالمطالبة .

زكاة عروض التجارة

اذا كان الانسان يتاجر في أي سلعة من السلع وجب عليه أن يخرج الزكاة اذا بلغت قيمة السلعة الجارية نصابا عند تمام الحول .

والدليل على ذلك ما رواه أبو داود والبيهقي عن سمرة بن جندب قال : اما بعد فان النبي صلى الله عليه وسلم كان يأمرنا أن نخرج الصدقة (الزكاة) مما نعده للبيع .

وما رواه ابو عمرو بن حماس عن أبيه قال : كنت أبيع الأدم (الجلد) والجعاب (جمع جعبة وهي التي تحمل فيها السهام) فمر بي عمر بن الخطاب فقال : أد صدقة مالك . فقلت يا أمير المؤمنين انما هو الأدم قال : قومه ثم اخرج صدقته .

فكل سلعة يتاجر فيها الانسان سواء اكانت أصلا من الاصناف التي تزكي كالحبوب والماشية أم لم تكن كالأقمشة والأشياء المصنوعة والأرض ، والعقارات والاسهم وغيرها تجب الزكاة فيها بالشروط الآتية : -

١ - ان تكون عنده نية التجارة فيها .

٢ - ان تبلغ قيمة السلعة او السلع التي يملكها ويتاجر فيها نصابا عند تمام السنة .

والنصاب المعتبر هنا هو النصاب المذكور في زكاة الذهب والفضة ، فيأتي المالك اخر العام ويجري جردا عاما لمتلكاته التي يتاجر فيها ، ويحسب قيمتها وقت الجرد ، ولا يدخل في ذلك قيمة الاثاث والأجهزة الموجودة في المحل اللازمة للتجارة ، فان بلغت قيمتها حسب سعر السوق نصابا أو زادت زكاها باخراج ربع عشرها وإلا فلا زكاة وكل تاجر في بلده يخرج زكاته على أساس قيمة النصاب المالي فيها كما قلنا في زكاة العملة الورقية . ولا يضر نقصان قيمة البضاعة عن النصاب اثناء الحول إذ العبرة بالقيمة عند تمامه . وتقويم السلع التجارية يكون على أساس قيمتها بالعملة الجارية في بلده .

وإذا كانت له عدة محال تجارية فانها تضم بعضها إلى بعض وتحسب قيمة ما في هذه المحال ويخرج عنها الزكاة وهي ربع العشر وإذا ملك أرضا أو عقارا أومثل ذلك بغير نية التجارة فلا زكاة في هذه الحال ، فاذا نوى التجارة بدأت سنة الزكاة

من حين نيته التجارة فيها ...

ويلاحظ أن الربح يضم إلى رأس المال عند الجرد السنوي الختامي وتؤدي الزكاة عن الجميع فلو بدأت التجارة مثلا بثلاثمائة دينار وفي اخر العام بلغت خمسمائة دينار فالزكاة واجبة على الخمسمائة دينار .

ومعلوم أن التاجر عندما يعمل حسابه الختامي في آخر العام يحسب ما له من الديون الحية على الآخرين ويسقط من ذلك ما عليه للآخرين ـ ان شاء ـ أو يجعله مما تشمله الزكاة .

ويعرف بعد ذلك قيمة ما يمتلكه ويضم اليه ماله المدخر ان كان وعلى هذا تكون الزكاة . اللهم إلا اذا كان له دين على تاجر مفلس او عميل لا ينتظر منه السداد فلا يحسب فيما تجب فيه الزكاة .

زكاة التأمين النقدي :

التأمين النقدي الذي يدفعه المستأجر للمالك مال مملوك للمستأجر مودع عند المالك ضمانا لسداد الاجرة في مواعيدها فتجب زكاته على مالكه (المستأجر) لا على المؤجر اذا توفرت شروط الوجوب .

زكاة العقار :

العقار الذي يتجر فيه صاحبه بالبيع والشراء حكمه حكم السلع التجارية ويزكي زكاة عروض التجارة والعقار الذي يسكنه صاحبه ، او يكون مقرا لعمله كمحل للتجارة ومكان للصناعة لا زكاة فيه ، والعقار الذي يستغله مالكه بالايجار لا زكاة في عينه ، ولكن غلته تخضع للزكاة بشروطها اذا توفرت من النصاب الزائد عن حاجته والحول .

زكاة الاسهم

يرى بعض الفقهاء المعاصرين ان الاسهم التي تتخذ للتجارة تجري فيها زكاة عروض التجارة ومقدارها ربع العشر في قيمتها بعد حولان الحول كما تقدم .

اما الأسهم التي لا يقصد صاحبها التجارة وانما قصد ارباحها كالشركات الزراعية والصناعية فتجب الزكاة في غلاتها بعد حسم كل النفقات والقدر الواجب اخراجه هو عشر الصافي من الغلة ويرى بعض العلماء ان تزكي الاسهم بحسب موجودات الشركة المتداولة بعد طرح ما عليها من الديون ، فيزكي الصافي بنسبة

ربع العشر بقطع النظر عما تحققه الشركة من ارباح .

زكاة الزروع والثمار

وردت أيات من القرآن الكريم تأمر المؤمنين بالانفاق مما اخرجته الأرض ، ومنها أخذ الفقهاء وجوب اخراج زكاة الزروع . والثمار ، وان اختلفت وجهة نظرهم في الأصناف التي تؤخذ عليها زكاة والأصناف التي لا تؤخذ عليها ، يقول الله تعالى في سورة الأنعام آية (١٤١) : **(وهو الذي انشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا أكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه كلوا من ثمره اذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده)** .
ويقول تعالى : (يا أيها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون) (٢٦٧ سورة البقرة) .
ويقول عليه الصلاة والسلام ... (فيما سقت السماء والعيون أو كان عثريا العشر وفيما سقي بالنضح نصف العشر) رواه الجماعة الا مسلما .
والعثري بفتح العين والثاء وكسر الراء الذي يشرب بجذوره لأنه عثر على الماء في باطن التربة فلم يعد في حاجة الى سقي .
اما النضح فهي آلة السقي كالساقية والماكينة ونحوهما .

الاصناف التي تزكى منها :

والذي يتتبع آراء الأئمة حول الأصناف التي تجب فيها الزكاة يجدهم مختلفين في وجهات نظرهم حولها .
فيرى الأحناف أن الزكاة واجبة في كل ما يستنبته الانسان من الأرض ، لا فرق بين حبوب وخضر وثمار وفواكه ، فكل ما يزرعه الانسان عليه زكاة ، مع استثناء نحو الحطب والقصب الفارسي والأشجار غير المثمرة وهي واجبة عندهم في القليل والكثير .
أما جمهور الأئمة فيرون أن الزكاة واجبة في ثمار النخل والكرم وفي كل ما يزرع للقوت بشرط ان يكون صالحا للادخار كالقمح ، والشعير ، والارز ، والذرة ، واللوبيا ، والحمص ، والعدس ونحو ذلك ، ويزيد الامام أحمد على هذا أنه لا يشترط ان يكون ما يدخر صالحا للأكل فيوجب الزكاة على ما يدخر ولو كان غير صالح للأكل كحب الفجل والفواكه والقطن والكتان وما شابه ذلك .
وتجب الزكاة في الثمار عند نضجها واستطابة أكلها كما تجب في الزروع بعد قوتها واشتدادها وتصفيتها ، فاذا قطعت قبل نضجها أو بدو صلاحها واشتدادها فلا زكاة عليها .

نصاب الزكاة فيها :

وقد سبق ان عرفت ان الامام أبا حنيفة يوجب الزكاة في القليل والكثير ولا يشترط بلوغها نصابا .

اما الآخرون فانهم يشترطون مع ما تقدم ان تبلغ الثمار او الزروع النصاب ، وهوخمسة أوسق حسب نص الحديث السابق ، وذلك بعد تصفية نحو الارز من قشره ومن الطين والتراب وبعد جفاف الثمر .

والوسق قدره الرسول صلى الله عليه وسلم بستين صاعا بصاع المدينة في عهده صلى الله عليه وسلم فيكون النصاب ثلاثمائة صاع ، **والصاع قدح وثلث** .

ولا شك أن المكاييل تغيرت الآن عما كانت عليها في عهد الرسول وقد قدر بعض العلماء النصاب حسب المكاييل الحاضرة بأربعة **أرادب وكيلتين** .. والأردب اثنتا عشرة كيلة ..

وعلى هذا فمن يعرفون عندهم الآن مقدار الصاع المدني فأمامهم مقدار النصاب بالصيعان ومن لا يعرفونه فأمامهم قدر النصاب حسب الكيل المعمول به في مصر الآن ..

وقد قدر بعض العلماء النصاب بالوزن فقالوا أنه يبلغ بالرطل البغدادي قديما (وهو نحو ١٢٩ درهما) ١٦٠٠ رطل بغدادي وبالرطل المعمول به الآن ١٤٢٩ رطلا ..

ولكن لو لجأنا إلى الوزن فسنجد أن الحبوب بعضها ثقيل كالأرز مثلا وبعضها خفيف كالشعير **والذي اعتبره العلماء منها هو البر الرزين** .

وقد جاء في دائرة المعارف الاسلامية المجلد ١٤ ص ١٠٥ ان مد النبي صلي الله عليه وسلم يساوى : ٠,٧٥ لترا على وجه التقريب والصاع أربعة امداد فيكون الصاع على هذا ثلاثة التار كيلا تقريبا واللتر معروف لدى المواطنين في معظم الدول الاسلامية .

المقدار الواجب إخراجه :

نَصُّ الحديث الوارد الذي ذكرناه من قبل بين لنا هذا ، ففي كل زرع يسقى بماء المطر أو بماء الأنهار دون تكلفة من الزارع فزكاته العشر ، أما اذا سقي بالساقية أو الماكينة أو الشادوف أو نحو ذلك مما يتكلفه الزارع في سقيه ، فزكاته نصف العشر .

وإذا سقي نصف المدة بهذا ونصفها الآخر بذاك فزكاته ثلاثة أرباع العشر ، والمرجع في هذا ضمير الزارع ووازعه الديني .

زكاة الأنعام

الأصناف التي تجب فيها الزكاة هي : الابل ، والبقر ، والجاموس ، والغنم والماعز ولا يزكي عنها إلا بشروط أربعة :

١ ـ أن تكون سائمة أي ترعى الكلأ المباح أكثر السنة وهذا الشرط عند الجمهور ، أما المالكية فانهم لا يشترطون السوم في وجوب زكاة النعم ، بل تجب سواء أكانت معلوفة أم سائمة .

٢ ـ أن تتخذ الماشية للدر والنسل والتسمين لا للعمل .. وهذا أيضا على رأي الجمهور بخلاف المالكية فانهم لا يشترطون هذا الشرط بل يرون أن الزكاة واجبة في النعم سواء أكانت عاملة أم غير عاملة .

٣ ـ أن تبلغ نصابا معينا كما سنوضحه فيما بعد .

٤ ـ أن يحول عليها الحول الا ما تولد منها أثناء العام ، فانه لا يشترط لوجوب الزكاة فيه مرور عام جديد ولكن يزكي مع الكبار عند تمام عامها . واليك بعد هذا نصاب كل نوع والمقدار الواجب فيه :

زكاة البقر

نصاب البقر والجاموس ثلاثون منها فليس في أقل من ذلك زكاة والقدر الواجب فيها كما يلي :

من ٣٠ الى ٣٩	تبيع أو تبيعة وهو ماله سنة .
ـ من ٤٠ الى ٥٩	مسنة وهي مالها سنتان .
ـ من ٦٠ الى ٦٩	تبيعان .
ـ من ٧٠ الى ٧٩	مسنة وتبيع
ـ من ٨٠ الى ٨٩	مسنتان
ـ من ٩٠ الى ٩٩	ثلاثة أتباع
ـ من ١٠٠ الى ١٠٩	مسنة وتبيعان
ـ من ١١٠ الى ١١٩	مسنتان وتبيع

وهكذا فيما زاد على ذلك ففي كل ثلاثين منه تبيع ، وفي كل أربعين مسنة . ولا شيء في الوقص ، وهو ما بين الفريضتين .

زكاة الابل

نصاب الابل خمس منها فليس في أقل من خمس زكاة والقدر الواجب فيها كما يلي :

ـ من ٥ الى ٩	شاة
ـ من ١٠ الى ١٤	شاتان
ـ من ١٥ الى ١٩	ثلاث شياه
ـ من ٢٠ الى ٢٤	اربع شياه
ـ من ٢٥ الى ٣٥	بنت مخاض (وهو التي دخلت في سنتها الثانية)
ـ من ٣٦ الى ٤٥	بنت لبون (وهي التي دخلت في سنتها الثالثة)
ـ من ٤٦ الى ٦٠	حقة (وهي التي دخلت في سنتها الرابعة)
ـ من ٦١ الى ٧٥	جذعة (وهي التي دخلت في سنتها الخامسة)
ـ من ٧٦ الى ٩٠	بنتا لبون
ـ من ٩١ الى ١٢٠	حقتان

فاذا زادت ، ففي كل اربعين بنت لبون ، وفي كل خمسين حقة .

زكاة الغنم

القدر الواجب فيها كما يلي :

ـ من ٤٠ الى ١٢٠	شاة لها سنة
ـ من ١٢١ الى ٢٠٠	شاتان
ـ من ٢٠١ الى ٣٩٩	ثلاث شياه
ـ من ٤٠٠ الى ٤٩٩	اربع شياه
ـ من ٥٠٠ الى ٥٩٩	خمس شياه

وهكذا ففي كل مائة شاة .

هذا ويجوز إخراج الذكور في الزكاة اتفاقا إذا كان نصاب الغنم كله ذكوراً فان كان إناثا فقط أو اناثا وذكوراً ، جاز إخراج الذكور عند الأحناف وتعينت الأنثى عند غيرهم .

المعْدِن والركاز

مما لا شك فيه أن الله سبحانه وتعالى أودع أرضه الكثير من خيراته وادخرها لبني آدم ومكنهم من نيلها بجهد قليل .. ونعم الله تقابل بالشكر عليها والانفاق منها في سبيله سبحانه ..

ولذلك أوجب الله تعالى على من استخرجها حقا ليعم الانتفاع بتلك الثروات

العظيمة ويعود نفعها على مستخرجها وعلى الجماعة الاسلامية .
وكذلك ما قد يجده الانسان في الأرض من الكنوز التي لا يعرف لها مالك أثبت الشرع فيها حقا .
قال تعالى : (**يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض**) وهذا يشمل ما تنبته الأرض من الزروع والثمار وما استخرج من الأرض مما أودعه الله فيها من المعادن والكنوز .
والمعادن : لغة المواضع التي تستخرج منها جواهر الأرض ، وقيل المعادن تلك المواد نفسها ، كالذهب والفضة والنحاس ، والنفط ، والكبريت .
وتطلق في عصرنا الحاضر على مواد معينة منها الذهب والفضة والنحاس وليس منها النفط والكبريت ونحوها .
والكنز : المثبت في باطن الأرض من الأموال بفعل الانسان .
والركاز : **يشمل النوعين** : **المعادن والكنوز** .
فالركاز ما يوجد في باطن الأرض مما أودعه فيها الخالق أو المخلوق .

القدر الواجب في الركاز :

كل ما استخرج من باطن الأرض وجب فيه الخمس (٢٠٪) . لقول النبي (صلى الله عليه وسلم) : (في الركاز الخمس) .
ثم إن ما يؤخذ مما يستخرج من المعادن فهو زكاة ، وأما ما يؤخذ من الكنوز فقد قيل هو فيء فيصرف في المصالح العامة ، وقيل هو زكاة فيصرف في مصارف الزكاة .

مصارف الزكاة

حدد الله سبحانه وتعالى مصارف الزكاة فقال سبحانه :
« **انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم** » .
فمصارفها اذن كما يتبين من الآية الكريمة ثمانية :

(١ ـ ٢) الفقراء والمساكين :

هم المحتاجون الذين لا يجدون كفايتهم ويقابلهم الأغنياء وهم المكفيون ما يحتاجون اليه ، والقدرالذي يصير الانسان به غنيا هو قدر النصاب الزائد عن الحاجات الأصلية له ولأولاده ومن تلزمه نفقتهم من مأكل ، ومشرب ، وملبس ، ومسكن ، ومركب ، وآلة حرفة ، ونحو ذلك فكل من عدم هذا القدر فهو فقير يستحق

الزكاة والفرق بين الفقراء والمساكين من حيث الحاجة والفاقة .
فالمساكين هم الذين لا يملكون شيئا ولا يكتسبون شيئا ، والفقراء هم الذين يملكون او يكسبون اقل مما يقوم بكفايتهم وقيل عكس ذلك .

٣ ـ العاملون عليها :

وهم الذين يوليهم الامام أو نائبه العمل على جمع الزكاة من الأغنياء ، ويدخل فيهم الحفظة لها والرعاة لانعامها والكتبة لديوانها ، ويجب أن يكونوا من المسلمين وألا يكونوا ممن تحرم عليهم الصدقة ويجوز أن يكونوا من الأغنياء .

٤ ـ المؤلفة قلوبهم :

وهم الجماعة الذين يراد تأليف قلوبهم وجمعها على الاسلام أو تثبيتها عليه لضعف إسلامهم أو كف شرهم عن المسلمين أو جلب نفعهم في الدفاع عنهم .

٥ ـ في الرقاب :

ويشمل المكاتبين ، فيعان المكاتبون بمال الزكاة لفك رقابهم من الرق ويشتري به العبيد ويعتقون .

٦ ـ الغارمون :

وهم الذين تحملوا الديون ، وتعذر عليهم اداؤها كمن التزم في ذمته دينا ليدفعه في اصلاح ذات البين أو ضمن دينا فلزمه أو استدان لحاجته إلى الاستدانة ، فهؤلاء يأخذون من الزكاة ما يفي بديونهم ، ومن استدان لاصلاح ذات البين يأخذ من الزكاة ولو كان غنيا .

٧ ـ في سبيل الله :

سبيل الله الطريق الموصل إلى مرضاته . وجمهور العلماء على أن المراد به هنا الغزو ، وأن سهم سبيل الله يعطي للمتطوعين من الغزاة الذين ليس لهم مرتب من الدولة فهؤلاء لهم سهم من الزكاة فيعطونه ولو كانوا من الأغنياء .
وسبيل الله يشمل الاستعداد للحرب بشراء الأسلحة وأغذية الجند وأدوات النقل وتجهيز الغزاة ، ويشمل إعداد الدعاة إلى الاسلام في بلاد الكفر وتجهيزهم بوسائل النقل ووسائل الاعلام وغير ذلك .

ويمكن أن يقام بها مستشفيات أو مدارس في بلاد الكفر بغرض خدمة الدعوة إلى الاسلام .

ولكن لا يصح أن يبني بها في ديار الاسلام مستشفيات أو مدارس يستفيد منها الأغنياء أما إن كانت للفقراء خاصة فلا بأس ، وكذلك لا تبنى بها المساجد أو تشق بها الطرق .

لأن سبيل الله هو الجهاد فلا يقاس عليه ما ليس بمعناه ، ولكن يقاس عليه ما هو بمعناه ، وهو ابلاغ الدعوة إلى الكفار بأي وسيلة مناسبة .

٨ ـ ابن السبيل :

وهو المسافر الذي نفد ماله وأصبح في حاجة إلى مال ينفق منه حتى يصل إليه ماله أو يصل هو إلى بلده .

توزيع الزكاة :

اختلف الفقهاء في توزيع الزكاة على الاصناف الثمانية السابقة فالجمهور على أنه لا يجب توزيعها على الأصناف كلها وأنه يجوز توزيعها على جنس واحد ، وللمزكي أن يعطي بعض الجنس دون بعضه إذ المقصود من الزكاة هو سد الحاجة وهذا يقتضي تقديم أهل الحاجة على غيرهم .

من تحرم عليهم الزكاة :

الأصناف الآتية لا تستحق الزكاة ولا تحل لهم ولا يجزي صرفها اليهم :
١ ـ الكفرة والملاحدة .
٢ ـ آل البيت من بني هاشم وبني المطلب .
٣ ـ الآباء والابناء ويشمل الأجداد والأمهات والجدات وأبناء الأبناء والبنات .
٤ ـ الزوجة لأن نفقتها واجبة على الزوج .

هل يجوز إخراج الزكاة قبل موعدها ؟

لا تجب زكاة المال ، وعروض التجارة ، والماشية ، إلا إذا مضت سنة على ملك النصاب فيها ، وأما الثمار والزروع ، فتجب الزكاة في كل منها عند نضجها وحصادها ، سواء أتم ذلك في شهور ! أم في سنة أم أكثر وقد سبق الكلام عن ذلك .

والأنواع التي لا بد في وجوب الزكاة فيها من تمام الحول .

● هل يجوز لمالك النصاب أن يخرج زكاته الواجبة فيها قبل تمام السنة ؟

فمثلا لو كان آخر شهر ذي الحجة هو تمام السنة على مالك المدخر فهل يجوز لك أن تخرج زكاة هذا المال قبل آخر ذي الحجة ؟

قال الشافعي ، وأبو حنيفة ، وأحمد وبعض التابعين يجوز التعجيل بها قبل مجيء وقتها .

وذهب مالك ، وسفيان الثوري إلى عدم الجواز .

ولكل من الفريقين أدلته التي بني عليها رأيه وهي مذكورة في الكتب المطولة .

ويهمنا أن نضع امامك الرأيين وأنت بالخيار في الأخذ بأحدهما والأولى ألا تخرجها قبل موعدها الا لمصلحة مهمة تستدعي ذلك كأن يوجد محتاجون يصعب عليهم انتظار حلول موعد الزكاة .

هل يجوز إعطاء غير المسلم شيئا من الزكاة ؟

اجمع الأئمة على عدم جواز صرف شيء من الزكاة الواجبة ـ غير زكاة الفطر ـ

إلى غير المسلم ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم صرح بقصرها على فقراء المسلمين ، وذلك في حديثه لمعاذ رضي الله عنه حين بعثه إلى اليمن وقال له : (فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم) رواه البخاري .

أما زكاة الفطر فقد أجاز أبو حنيفة وحده صرف شيء منها لغير المسلم بينما منع الباقون من الأئمة ذلك ، وأما صدقة التطوع وهي غير الواجبة فجمهور الأئمة يجيز توزيع بعضها على المحتاج غير المسلم ممن بيننا وبينهم صلة وعهد ، باعتبار أن برهم والاحسان اليهم لم يمنعنا الاسلام منه علما بأن دفعها للمسلم أفضل وأكثر ثوابا والأمر في ذلك يرجع إليك وإلى تقديرك للظروف حولك ..

وأهم شيء يجدر بك أن تراعيه هو حاجة أقاربك وجيرانك وأهل بلدك ومن لهم بك صلة ومن هم أشد حاجة من غيرهم .. وكلما كان من تعطيه الزكاة أصلح دينا أو أشد فقرا أو أقرب إليك فهو أفضل .

نقل الزكاة من بلد إلى بلد آخر

قال الأئمة جميعا إن الأصل في زكاة البلد أن تصرف لسد حاجة فقرائها أولا ثم فقراء البلاد المجاورة لهم .

ومنع جمهور الفقهاء نقلها إلى بلاد بعيدة عنك قدروا مسافة بعدها بنحو ثمانين كيلو مترا ! وهي ما يسمونها مسافة القصر أي التي يُقْصِرُ المسافر فيها الصلاة الرباعية ما دام في بلدك محتاجون إليها .

ولكن أجاز أبو حنيفة نقلها إلى أكثر من ذلك ما دام يوجد لك أقارب محتاجون في البلد البعيد أقرب من الموجودين لديك . أو مسلمون أشد حاجة ممن هم قريبون منك أو طالب علم أو مجاهد ونحو ذلك فانهم يُقَدَّمون على غيرهم فتصرف الزكاة لهم كلها أو أغلبها ، والأغلب أفضل حيث يتاح لك أن تصل معهم بعض من حولك في بلدك ممن ينتظرون منك العطاء .

وعلى هذا الرأي يجوز للمسلمين في أي مكان أن يصرفوا زكاتهم كلها أو بعضها للمرابطين على خط النار والمتضررين من آثار العدوان المحتاجين وإلى النازحين واللاجئين لتحسين أحوالهم وتوفير المأوى والطعام والكساء لهم وكذلك لأقاربهم المقيمين في بلاد بعيدة .

هل تجب في مال الصبي زكاة ؟

قال الأئمة ما عدا أبا حنيفة تجب الزكاة في مال الصبي وعلى وليه إخراجها منه ..

وقال أبو حنيفة : لا زكاة في مال الصبي ، ولا يجب على الولي شيء لأن الزكاة عبادة محضة كالصلاة وهي ليست واجبة على الصبي .

والاولى الأخذ بالرأي الأول .. إذ الزكاة (**حق معلوم . للسائل والمحروم**) (المعارج ٢٤ و ٢٥) وهذا الحق ثابت في المال .. ومن ثم يجب على من يتولى تدبير أمور الصبي بالنفقة وتنمية المال وتسديد ما عليه من ديون أن يتولى إخراج الزكاة كذلك .

والأمر في المجنون والسفيه والمحجور عليه كالأمر في الصبي ..

من مات وعليه زكاة

من مات وعليه زكاة وجبت في ماله وتقدم على الورثة ، والوصية . لقوله تعالى في المواريث (**من بعد وصية يوصى بها أو دين**) (النساء آية ١٢) والزكاة دين قائم لله تعالى .

وهذا رأي من عدا الحنفية . أما عند الحنفية فلا يجب إخراجها إلا إن أوصى بها المالك فتكون وصية وتخرج من الثلث .

التهرب من الزكاة

وبعض من لا دين عندهم يحاولون أن يفلتوا من الزكاة ويلجئون إلى حيل شتى ، ويظنون أنهم يتعاملون مع أفراد لا مع الله الذي يعلم ما في الصدور فيتهربون من إخراج الزكاة ، ولكن إذا تهربوا في الدنيا وضنوا بحق الله ، فأين يهربون من الله في الآخرة يوم لا ملجأ منه إلا إليه يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتي الله بقلب سليم ..؟

هذا هو الضابط وهو الفرق بين ما يفرضه الله على عباده وما يفرضه العباد على العباد خارجا عن شرع الله .

الدعاء للمزكي

يستحب الدعاء للمزكي عند أخذ الزكاة منه لقوله تعالى : (**خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم**) (التوبة ١٠٣) ..

وعن عبد الله بن أبي أوفى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أتى بصدقة قال : (اللهم صَلِّ عليهم) وإن أبا أوفى أتاه بصدقة فقال (اللهم صَلِّ على آل أبي أوفى) رواه أحمد .

وروى النسائي عن وائل بن حجر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في رجل بعث بناقة حسنة في الزكاة ، (اللهم بارك فيه وفي إبله) .

قال الامام الشافعي السنة للامام إذا أخذ الصدقة أن يدعو للمتصدق ويقول : آجرك الله فيما أعطيت وبارك لك فيما أبقيت . وكذلك يسن للمستحق أن يدعو لمن يعطيه الزكاة ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله ، ومن صنع معك معروفا فكافئه عليه فان لم تقدر فادع له .

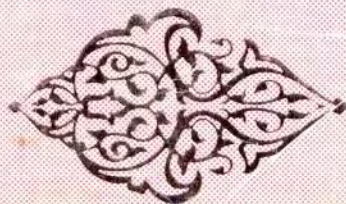
« إلى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسويل الامر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بالشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨) بيروت ـ لبنان او بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر	القاهرة ـ مؤسسة الاهرام ـ شارع الجلاء .
السودان	الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص.ب (٣٥٨)
الجزائر	الشركة الوطنية للصحافة ٢٠ شارع الحرية
المغرب	الدار البيضاء ـ الشركة الشريفية
تونس	الشركة التونسية للتوزيع
لبنان	بيروت الشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨)
الاردن	عمان وكالة التوزيع الاردنية ص.ب (٣٧٥)
السعودية	جدة مكتبة مكة ـ ص.ب (٤٧٧)
	الخبر مكتبة مكة ـ ص.ب (٦٠)
	الرياض مكتبة مكة ص.ب (٤٥٢)
	المدينة المنورة مكتبة ومطبعة ضياء
مسقط	مكتبة العائلة ـ روى ـ ص.ب : ٣٣٧٦
صنعاء	دار القلم للتوزيع والنشر والاعلان ـ ص.ب : ١١٠٧
البحرين	دار الهلال
قطر	دار العروبة ص.ب ٦٣٣
ابو ظبي	المؤسسة العامة للطباعة والنشر ـ ص.ب (٦٧٥٨)
دبي	دار الحكمة ص.ب (٢٠٠٧)
الكويت	الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات ت ٤٢١٤٦٨

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة .

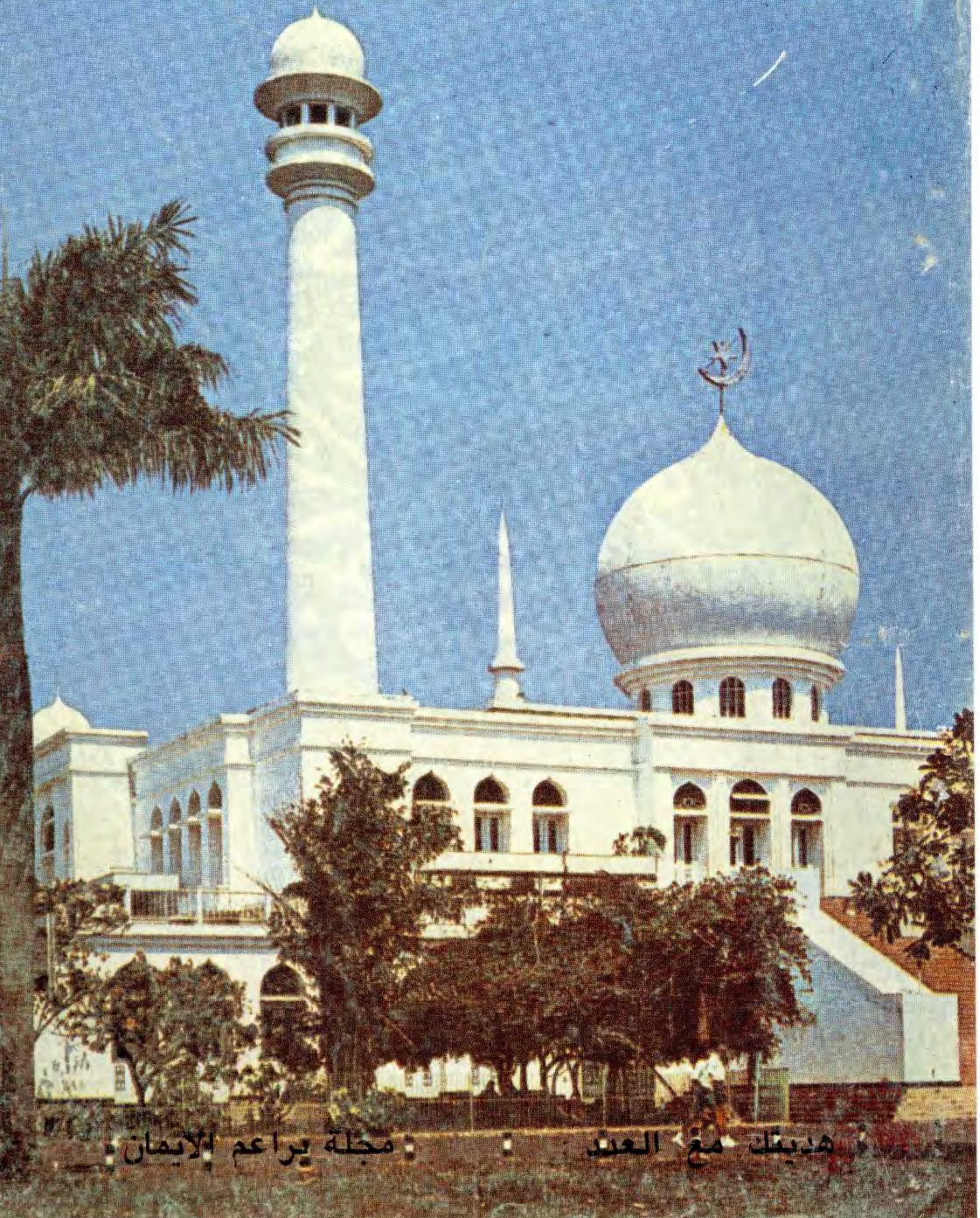
محتويات العدد



طباعة موسسة دار السياسة ـ الكويت

الوعي الإسلامي

العدد ٢٢٦ ـ شوال ١٤٠٣هـ ـ يوليو / اغسطس ١٩٨٣م



هديتك مع العدد : مجلة براعم الإيمان


وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللّٰهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا

الوعي الإسلامي

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة التاسعة عشرة

العدد ٢٢٦ ـ شوال ١٤٠٣هـ ـ يوليو / اغسطس ١٩٨٣ م

هدفها

المزيد من الوعي، وايقاظ الروح، بعيداً عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها

وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم ٤٢٨٩٣٤-٤٦٦٣٠٠

التوزيع والاشتراكات

الشركة العربية للتوزيع (ش م ل)
ص ب ٤٢٢٨ بيروت لبنان
تلكس ARABCO 23032 LE

● الثمن ●

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الوعي

احكموا بما أنزل الله لتخرجوا من الظلمات إلى النور

بعد الآيات التي انزلها الله في القرآن الكريم مبينة انه انزل التوراة على نبيه موسى فيها هدى ونور ليحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا وليحكم بها لهم الربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء .

وبعد الآيات التي ذكرت الانجيل الذي أنزله الله على عيسى مصدقا لما بين يديه من التوراة وامره أهل الانجيل ان يحكموا بما انزل الله فيه .. بعد هذه الآيات جاءت ايات تتحدث عن الشريعة الخاتمة التي انزلها الله للبشرية قاطبة لتستمد الحياة الانسانية منها التصور الاعتقادي والنظام الاجتماعي والأدب السلوكي ، ولتطبق بكل دقة ، ولا يترك شيء منها ويستبدل به غيره من صغيرة أو كبيرة .. والا فهي الجاهلية التي تغمر الانسانية في الفساد وتبعدها عن صراط الحكيم الخبير .. وتلك الآيات هي قوله تعالى : (**وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون . وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك فان تولوا فاعلم أنما**

يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيرا من الناس لفاسقون . افحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون) المائدة من ٤٨ ـ ٥٠ .

وهكذا يبين الله تعالى انه انزل القرآن الكريم على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بالحق والصدق فلا ريب في انه من عند الله ، ويتمثل الحق في محتوياته وفي كل ما يعرض له من شؤون ، وما يقصه من أخبار ، وما يحمله من توجيه ، وهو مصدق لما بين يديه من الكتاب ومهيمن عليه . فهو الصورة الأخيرة لدين الله ، وهو المرجع الاخير في شرائع الناس ونظام حياتهم بلا تعديل بعد ذلك ولا تبديل ، وهو الأمين والحاكم والشاهد على الكتب قبله حيث جمع الله فيه ما اراد بقاءه منها وزاده من الكمالات ما ليس في غيره ، وتكفل تعالى بحفظه فقال سبحانه : (**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**) الحجر ـ ٩ .

والكتب المتقدمة على الاسلام في صورته الاخيرة قد تضمنت ذكر القرآن الكريم ومدحه وانه سينزل من عند الله على عبده ورسوله محمد (صلى الله عليه وسلم) فكان نزوله كما اخبرت به مما زادها صدقا عند حامليها من ذوي البصائر الذين استجابوا لأمر الله واتبعوا شرائعه ، وصدقوا رسله كما قال تعالى : (**إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا . ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا**) الاسراء ١٠٧ ـ ١٠٨ .

وفي الآيات التي قدمناها يأمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بأن يحكم بين الناس بما انزل الله ، والا ينصرف عن الحق الذي امره الله به الى اهواء الجهلة الاشقياء (**فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق**) .

وهذا الأمر حاسم لا يدع طريقا للتساهل في أحكام شريعة الله بدعوى مراعاة الاعتبارات والظروف وتأليف القلوب حين تختلف الرغبات والأهواء .. وقد بين الله أنه جعل لكل رسول من رسله شريعة على حدة ثم نسخها أو نسخ بعضها برسالة رسول آخر يأتي بعده ، ثم نسخ الجميع بالرسالة الخاتمة العامة لجميع الناس التي بعث بها رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم وندب الجميع إلى المسارعة والمبادرة الى الخيرات اي الى طاعة الله واتباع شرعه الذي جعله ناسخا لما قبله ، والتصديق بالقرآن الذي هو آخر كتاب أنزله ، وبخاتم النبيين محمد عليه الصلاة والسلام ، وأن الجميع سيرجعون الى الله وينبئهم يومئذ بما كانوا فيه يختلفون وذلك قوله تعالى (**لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون**) .

ثم يؤكد الله الأمر بالحكم بما أنزل ، وعدم اتباع الأهواء ويحذر رسوله من الانصراف عن بعض ما أنزل الله إليه وبين أن من تولى عن حكم الله سيصيبه الله ببعض ذنوبه .. وذلك قوله تعالى : (**وان احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فان تولوا فأعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيرا من الناس لفاسقون**) ويقول الله جل شأنه لرسوله : (**وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين**) يوسف/١٠٣ .. (**وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله**) الأنعام ١١٦ .

وفي ختام الآيات ينكر الله على من خرج عن حكم الله المشتمل على كل خير الناهي عن كل شر إلى ما سواه من الآراء والاصطلاحات التي وضعها ذوو الأهواء بلا مستند من شريعة الله كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات التي يضعونها بآرائهم وأهوائهم .. والجاهلية كما يصفها الله ويحددها قرآنه هي الحكم بغير ما أنزل الله ، فهي ليست فترة من الزمان وإنما هي وضع من الأوضاع وهذا الوضع وجد بالأمس ، وكلما وجد أخذ صفة الجاهلية التي تقابل الاسلام وتناقضه .

وقد بين الله أنه لا أعدل منه في حكمه لمن عقل عن الله شرعه واهتدى به ، وعلم أن الله أحكم الحاكمين وأرحم بخلقه من الوالدة بولدها . قال الحافظ الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) « أبغض الناس الى الله عز وجل من يبتغي في الاسلام سنة الجاهلية ، وطالب دم امرىء بغير حق ليريق دمه » .. وذلك قوله تعالى : (**أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون**) المائدة/٥٠ .

والحكم بما أنزل الله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم إيمان لا يعرض عنه إلا الكافرون ، وعدل لا يتولى عنه إلا الظالمون ، وطاعة لله لا يتركها إلا الفاسقون وصدق الله في قوله (**ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون**) المائدة/٤٤ .. (**ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون**) المائدة/٤٥ ..(**ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون**) المائدة ٤٧ .

نسأل الله ان يوفق المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها الى الاستمساك بدينهم والحكم بما فيه حتى يخرجوا من الظلمات الى النور ويرتبطوا برباط الأخوة الاسلامية الوثيق ويتعاونوا على جلب الخير ورفع الشر انه سميع مجيب .

رئيس التحرير

محمد الناصر

القرآن الكريم

آداب ترتيله والاستماع إليه

للدكتور / أحمد حسنين القفل

(١)

هناك أحاديث كثيرة توضح فضل القرآن وعظمته ، وتشير إلى أنه أفضل ما يتقرَّب المتعبدون بتلاوته إلى الله تبارك وتعالى ، ولا غرو في ذلك ، فانه كلام الرحمن ، أنزله على أصفى أصفيائه ، وأغلى أحبائه ، فكان نعمة سابقة على أمة شهد الله أنها خير أمة أخرجت للناس ، إنها الأمة الوسط ، أمة القرآن . وعلى عكس الكتب التي بين يديه كالتوراة والانجيل فان القرآن قد تكفل الله بحفظه ، وكفل سبحانه استمراره بالصورة التي نزل عليها وإلى يوم الدين . يقول سبحانه : (**إنا نحن نزلنا الذكر و إنا له لحافظون**)

الحجر / ٩ . ونسوق من الأحاديث الدالة على عظمة القرآن وفضله ما يأتي :

● في حديث عبدالله بن مسعود رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن هذا القرآن مأدبة الله ، فاقبلوا مأدبته ما استطعتم . إن هذا القرآن حبل الله ، والنور المبين ، والشفاء النافع ، عصمة لمن تمسك به ، ونجاة لمن اتبعه ، لا يزيغ فيستعتب ، ولا يعوج فيقوم ، ولا تنقضي عجائبه ، ولا يخلق من كثرة الردّ ، اتلوه فان الله يأجركم على تلاوته ، كل حرف عشر حسنات ، أما اني لا أقول : ألم حرف ، ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف » رواه الحاكم .

● وأوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا ذر رضى الله عنه فقال له : « عليك بتلاوة القرآن ، فإنه نور لك في الأرض ، وذخر لك في السماء » رواه ابن حبان .

(٢)

ولقد كان صلى الله عليه وسلم يتلو القرآن قائما أو قاعدا ، وعلى جنبه أو مضطجعا ، ومتوضئا أو محدثا ، لا يمنعه من ترتيله إلا أن يكون جنبا . وكان يتلوه آية آية في تدبر وتمعن وعلى مهل . كما كان عليه الصلاة والسلام يحب أن يستمع إلى تلاوة القرآن من غيره ، فقد أثر أنه طلب من ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ أن يسمعه قرآنا ، فتردد وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : « أأقرأ وعليك أنزل ؟ » فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إني أحب أن أسمعه من غيري » فأسمعه ابن مسعود سورة النساء حتى إذا انتهى في قراءته إلى قول الله تعالى : (**فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا**) النساء / ٤١ . استوقفه رسول الله واغرورقت عيناه بالدموع استشعارا بالرهبة والهيبة ، واستعظاما لقدرة الخالق وثقل المسئولية ، وإشفاقا ورحمة بأمته من هول الموقف في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون ، إلا من أتى الله بقلب سليم .

ولقد كان صلى الله عليه وسلم ، يتلو القرآن حق تلاوته ، ويقرؤه كما سمعه من جبريل الذي نزل به بلسان عربي مبين . ويؤثر عن الرسول صلى الله عليه وسلم : « إن الله يحب أن يقرأ القرآن كما أنزل » . وبالكيفية التي تلقاها الرسول للقرآن من ربه سبحانه وتعالى ، علمها بعض أصحابه ، فقد أُثر عنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : « خذوا القرآن من أربعة : من عبدالله بن مسعود ، وسالم مولى أبي حذيفة ، ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب » صحيح البخاري . وعن هؤلاء نقل الكثيرون من الصحابة والتابعين رضى الله عنهم ورضوا عنه .

(٣)

وتلاوة القرآن عبادة ، بها يتقرب

العبد إلى مولاه ، وبها يكسب الحسنات والثواب الجزيل فقد أثر : « أن من أراد أن يتقابل مع الله ويناجيه فعليه بالصلاة ، ومن أراد أن يكلم الله فعليه بتلاوة كلامه » . وثواب تلاوة القرآن توضحه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية :

أ - فمن الآيات الدالة على ذلك نجتزىء قول الله تعالى :

○ (**قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون**) يونس / ٥٨ .

○ (**إن هذا القرآن يهدى للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا**) الأسراء / ٩ .

○ (**إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور . ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور**) فاطر / ٢٩ و ٣٠ .

ب - ومن الأحاديث النبوية نسوق بعض ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم :

● « ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى ، يتلون كتاب الله ، ويتدارسونه بينهم ، إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده » الجامع لأحكام القرآن - القرطبي .

● « اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه » رواه مسلم عن أبي أمامة .

● « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » عن عثمان بن عفان - رواه البخاري .

● « يقال لصاحب القرآن : اقرأ وارق ، ورتل كما كنت ترتل في الدنيا ، فان منزلتك عند آخر آية تقرؤها » رواه أبو داود والترمذي والنسائي .

● « من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين ، ومن قام بمائة آية كتب من القانتين ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين » عن عبدالله بن عمرو بن العاص مسند أبي داود .

(٤)

ويأمرنا الله تبارك وتعالى أن نرتل القرآن فيقول سبحانه : (**ورتل القرآن ترتيلا**) المزمل / ٤ . والترتيل يشتمل على تجويد الحروف وكذلك معرفة احكام الوقف . ويقصد بالتجويد إعطاء كل حرف في الكلمة حقه ومستحقه بمعنى أن يرد إلى مخرجه وأصله فينطق به على كمال هيئته بلا إفراط ولا تكلف فتحلو بذلك القراءة . أما الوقف فهو كف الصوت عند آخر كلمة من عبارة تتلى زمنا يتيح للقارىء أن يتنفس ليستأنف القراءة ثانية . والترتيل على النحو السابق عبادة . وقد تلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن مجوّدا ، وكذلك وصل إلينا بالتواتر ، فأصبح تجويده واجبا شرعيا يثاب القارىء على فعله ، ويجازى على تركه . والترتيل يستوجب أن يتبع الكلام بعضه بعضا بلا عجلة بل على مكث ليتدبر القارىء

والمستمعون جميعا ، وبهذا يشترك اللسان والعقل والقلب ، أما اللسان فيجوّد ، والعقل يفسّر المعاني فيتاح للقلب أن يتفكر ويتدبر ويتأمل . وفي هذا الشأن يقول سبحانه : (**كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب**) ص / ٢٩ . ويقول سبحانه : (**وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون**) الحشر / ٢١ .

هذا ولقراءة القرآن صور أخرى - غير الترتيل - وهي :

١ - التحقيق : ويقتضي المبالغة في الإتيان بالقراءة على حقها من غير زيادة ولا نقص في أحكامها .

٢ - الحدر : ويقتضي الاسراع في القراءة وإدراجها مع مراعاة تقويم اللفظ وتمكين الحروف .

٣ - التدوير : وهو التوسط بين الحالتين السابقتين وهو ما ورد عن أكثر الأئمة ممن وسطوا المد المنفصل .

ولكن اي صورة للقراءة أفضل ؟

١ - ذهب البعض الى تفضيل الحدر لكثرة المقروء استنادا الى حديث عبدالله بن مسعود عن النبي (صلى الله عليه وسلم) انه قال : « من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها » رواه الترمذي وصححه .

٢ - معظم السلف والخلف يفضلون الترتيل مع قلة المقروء تحقيقا للتدبر والتفقه لقوله تعالى :

(**أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها**) محمد / ٢٤ . ويرى الإمام أبو حامد الغزالي أن الترتيل أدعى إلى التوقير والاحترام وأشد تأثيرا على القلب .

ومن أحكام الترتيل عامة ما يلي :

١ - حسن الأداء : وهذا فرض على من يتلو القرآن حتى لا يجد اللحن الى قراءته سبيلا . فأحكام التجويد يجب مراعاتها بدقة .

٢ - معرفة كيفية الأداء بمعنى ان ينطق القارىء على الصفة التي نزل القرآن بها . ولا يكفي في هذا الصدد أن تتم القراءة من المصحف على كمال ضبطه وسلامته بل لابد من التلقي والأخذ بالسماع عن متلق سامع سابق واعٍ . وقد يتم ذلك بالمشافهة على استاذٍ من اساتذة القراءة سبق له ان شوفه به وأجاد حفظا وتجويدا . واذا لم تتح الفرصة ذلك فاذاعة القرآن الكريم مجودا من الاذاعة قد تغنى في هذا الصدد لمن يتاح له سماعها ومتابعتها . لكن الاستماع المباشر أجدى وأنفع .

٣ - حرمة تلحين القرآن واخضاعه للايقاعات والأوزان الموسيقية لما في ذلك من خروج على محكم تلاوته وصرف القلب عن تدبر آياته وخروج بالقرآن عن جلاله ووقاره وقدسيته .

● وفي الفترة الأخيرة علت اصوات تنادي بتلحين القرآن والتغني به على اصوات موسيقية ، وايقاعات فنية ، وبأصوات تبدو للناس مشجية رخيمة - وليعلم الذين علت اصواتهم بهذه النزوة الطائشة ، ان الشيطان قد سول لهم فأضلهم وأعمى أبصارهم . لأنهم يعاملون كلام الله

معاملة كلام البشر ، وينزلون القرآن الكريم منزلة الهزل واللهو والمجون . ولا ندري كيف يجترئون على بحر يخوضونه وسيغرقون فيه لا محالة ـ وعلى ارتكاب منكر لا يملكون منه توبة ، لأنهم لا يعصون الله بأنفسهم ، ولكن يستنون سنة سيئة ليكون عليهم وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة .

● كما ان بعض القارئين للقرآن في المآتم او الحفلات .. الخ يرتلون القرآن ولكنهم يفتعلون مدودا وتمطيطات في قراءاتهم ، كما يتلاعبون بالألفاظ مما يتنافى مع جلال القرآن ، قاصدين بذلك التلحين والتطريب ، ومشترين بذلك استملاح المستمعين السذج ، سعيا لشهرة او اشباعا لشهوة . ناسين ان الرسول عليه الصلاة والسلام قد حذر من ذلك فقال : « اقرؤوا القرآن بلحون العرب واصواتها ، واياكم ولحن اهل العشق ولحون اهل الكتاب . وسيجيء بعدي قوم يرجعون القرآن ترجيع الغناء والنو ح ، لا يجاوز حناجرهم ، مفتونة قلوبهم ، وقلوب الذين يعجبهم شأنهم » نوادر الأصول ابو داود عن حذيفة .

(٥)

وهنا قد يطرح سؤال مؤداه ان هناك احاديث نبوية صحيحة تشير الى تزيين القرآن بالصوت والتغني به جهرا . يقول صلى الله عليه وسلم :

● « زينوا القرآن بأصواتكم » سنن النسائي وابو داود عن البراء .

● « ليس منا من لم يتغن بالقرآن » اخرجه مسلم .

● « ما أذن الله لشيء كما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به » البخاري ومسلم .

فهل بعد هذه الاحاديث من عتاب او لوم على من يتغنون بالقرآن ، ويحسنونه بأصواتهم ؟. الحق ان العلماء ناقشوا طويلا هذه المسألة وأجمعوا على ان المقصود بتزيين القرآن بالصوت والتغني به هو ترتيله بإحكام بحيث لا يتعدى نطاق الحدود المرسومة له في علم التجويد كما اثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد يقول قائل ان التطريب بالقرآن منعه بعض السلف الصالح « منهم انس بن مالك وآخرون » .

واجازه آخرون « منهم عمر بن الخطاب وابن عباس وابن مسعود وابو حنيفة .. وغيرهم » ، واذا كان لكل فريق وجهة نظره وادلته ، الا ان فصل الخطاب ـ كما قال ابن القيم في زاد المعاد ـ ان يتمشى التطريب والتغني حسبما تسمح به الطبيعة دونما تكلف ولا تصنع ودونما تمرين ولا تعليم ، فمثل هذا الذي يأتي بالسليقة يكون جائزا ، ومثاله ما قاله ابو موسى للنبي صلى الله عليه وسلم : « لو علمت انك تسمع قراءتي لحبرتها لك تحبيرا » رواه ابو داود . والتحبير تطريب يأتي بالسليقة دون تكلف ولا تصنع بل هو انفعال نفساني لا يملك صاحبه له دفعا .

اما التغني والتطريب الذي يتكلفه ويتصنعه اغلب قرائنا في عصرنا الحالي ، بحيث يخضعون اصواتهم لنبرات وتلحينات يقصدون بها اجتذاب سامعيهم من السذج لاصدار اصوات الاستحسان والتشويش فهذا ما انكره السلف الصالح وعابوه .

(٦)

٤ ـ ومن احكام الترتيل ايضا كراهة رفع الصوت لقوله صلى الله عليه وسلم : « احسن الناس صوتا من اذا قرأ القرآن رأيته يخشى الله تعالى » عمدة القارىء عن جابر . وقوله صلى الله عليه وسلم : « ايها الناس : أربعوا « اي كفوا وأرفقوا » على انفسكم فانكم لستم تدعون اصم ولا غائبا » الجامع للقرطبي .

ولقد اصبحت بدعة ان يستخدم القارىء للقرآن مكبرا للصوت في المآتم أو المناسبات العامة بحيث لا يقتصر الاستماع على الحاضرين وحدهم بل يتعداهم ليحدث ضجة كبيرة تسمع على مسافة اميال ، فيقلق بذلك مريضا ، او يزعج نائما ، او يربك اعمال الآخرين . ومما يزيد الطين بلة ، ان تقام سرادقات المآتم متجاورة ، بحيث يستخدم كل قارىء مكبراً للصوت مستقلا عن الآخرين ، فاذا ما قرؤوا جميعا ، اختلطت الأصوات ، وامتزجت النبرات ، وضاعت المعاني ، وفات المستمع التدبر والتأمل .

(٧)

ومن احكام الترتيل ايضا :

٥ ـ الاستعاذة من الشيطان الرجيم ويلاحظ بخصوصها :

أ ـ انها مستحبة في رأي البعض ، او واجبة في رأي الآخرين ويجهر بها عند بداية الترتيل ، لقوله تعالى : (**فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم**) النحل/ ٩٨ .

ب ـ لا تجوز الاستعاذة بين السورتين في الترتيل المتصل .

جـ ـ يفضل الفصل بين الاستعاذة والبسملة ، وبين البسملة وأول السورة .

٦ ـ من السنة عند التلاوة الوقوف عند آخر كل آية من آيات القرآن ، لأن هذا الوقف توقيفي .

وإذا كان الوقف ممنوعا عند آخر الآية لعدم تمام المعنى الا بما بعدها ، فيمكن الوقوف عند آخرها في التلاوة الأولى ثم اعادتها بلا توقف مرة ثانية ليستكمل بذلك المعنى المنشود . (وقد يكون هذا الوضع امتحانا لتدبر القارىء ومبلغ متابعته للمعنى) .

٧ ـ عدم ترك آيات الترهيب والتخويف ، كما يفعل بعض القارئين في المآتم والحفلات ، وكأنهم بذلك يقصدون عدم تخويف المستمعين بآيات الوعيد مفضلين عليها آيات الترغيب . والأفضل قراءة الآيات متصلة كما انزلت بترتيبها .

٨ ـ عدم الجمع بين القراءات المختلفة في التلاوة الواحدة وقصر ذلك على المقامات التعليمية . والملاحظ حاليا ان

كثيرا من قارئي القرآن الكريم يتفننون في قراءة الآية الواحدة بقراءات مختلفة مدللين بذلك على مقدرتهم وعمق خبرتهم وتمام تمكنهم مع ان ذلك قد يكون غير مستساغ بالنسبة للمستمع العادي ، او كثيرا ما يخرج به عن مقام التدبر والتأمل ، كما ان القراءات تغرى القارىء نفسه بالتغني والتطريب والتنغيم . والأولى بالقارىء ان يقرأ بقراءة واحدة تتناسب مع المستمع حسب موطنه .

٩ ـ من آداب التلاوة إتيان سجدة التلاوة فهي تجب على القارىء والمستمعين جميعا فور قراءة احدى آيات السجود عند الترتيل . وهذا الحكم يغفل عنه الكثيرون ، قارئين ومستمعين .

١٠ ـ حامل القرآن يجب ان يكون قدوة حسنة لغيره كلاما وسلوكا ، فلا يلهو مع اللاهين ، ولا يلغو مع اللاغين ، اجلالا لكلام الله الذي يتلوه ، وهو في ذلك يطيع كلام الله الذي يقول :

(ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون) آل عمران/ ٧٩ .

(٨)

وماذا عن أجر التلاوة ؟

يرى فريق من العلماء عدم اعطاء القارىء اجرا على تلاوته معتمدين في ذلك على قوله سبحانه : **(قل ما أسألكم عليه من اجر وما أنا من المتكلفين . إن هو الا ذكر للعالمين)** ص/ ٨٦ و٨٧ ومع ذلك فيرى فريق آخر تجويز اعطاء الأجر لمن يقومون بتعليم القرآن او تلاوته اذا لم يكن لهم مصدر رزق سوى ذلك ، وهم يستمدون رأيهم من قول الرسول (صلى الله عليه وسلم) :«ان احق ما اخذتم عليه اجرا كتاب الله تعالى » الكنز الثمين ـ ابن عباس .

والملاحظ في عصرنا الحالي ان قراءة القرآن اصبحت تجارة خاضعة للعرض والطلب . فالتالون للقرآن يرفعون اجورهم بمقدار ما يتهافت عليهم المؤجرون ، وهؤلاء كثيرا ما يتنافسون فيما بينهم رياء وتظاهرا ، وقد يقصم تظاهرهم ظهورهم وهم لا يشعرون . وقد يظلمون بريائهم ايتاما واطفالا لم يبلغوا الحلم بعد ، او محتاجين هم اولى بمال ينفق بلا إعمال فكر .

ومن المؤسف حقا ما يلاحظ ـ وخاصة في القرى ـ ان صاحب المأتم يستأجر قارئا او اكثر ليتلو القرآن ، بينما توزع السجائر وتشعل . وتوزع القهوة وتشرب ، كل هذا اثناء القراءة وبلا القاء بال لها ، بل قد يدور حوار ونقاش وهمس ولمز بين واحد وجاره ، وكأن القارىء يقرأ لغيرهما . وقد يحضر المأتم اثناء القراءة واحد من ذوى الجاه او السلطان ، واذا بالجالسين من المعزين ينفرون زرافات ووحدانا لاستقباله وتحيته ، ناسين او متناسين جلال كلام الله ووقاره ، وانه

سبحانه يأمرنا فيقول : (**وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون**) الاعراف/ ٢٠٤

(٩)

وبناء على الآية الكريمة السابقة ، نكون مأمورين من قبل الله تبارك وتعالى بأن نستمع وننصت عند سماع تلاوة القرآن ، من قارىء بذاته او من جهاز ينقل القراءة « الاذاعة المسموعة او المرئية » ويقتضي الاستماع حضور القلب مع السماع ، ويقتضي الانصات عدم احداث جلبة او ضوضاء او تشويش يذهب بجلال الاستماع ، كما يحرم اللهو واللغو والانشغال بأمور جانبية ويقبح تعلية الصوت حتى ولو كان يرمز الى الاستحسان . فكل ذلك يجافي التدبر والتأمل والتذكر كما انه يتنافى مع جلال كلام الله وحضور ملائكة الرحمة . يقول سبحانه :

○ (**كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر اولو الألباب**) ص / ٢٩ .

○ (**افلا يتدبرون القرآن أم على قلوب اقفالها**) محمد / ٢٤ .

وإذا كان الأمر كذلك ، فما بال قوم اذا قرىء فيهم القرآن لا يستمعون ولا ينصتون ؟ وانما يسلكون مسلكا غوغائيا ، فيصيحون صيحات منكرة يحسبونها من جانبهم استحسانا ، وهي في الحقيقة منهم رعونة واستهجان ، انهم يصرخون عند كل مقطع متفننين في التشويش ، متغالين في رفع الأصوات بالاعادة او تقريظ القارىء ، وكثير منهم لا يفرقون بين وعد ووعيد ، فكلمات استحسانهم تنطلق جزافا بعد كليهما ، مما ينطق بأن كل أفعالهم تتجافى مع التدبر والتأمل والوقار الواجب لذكر الله . ويكون هذا المظهر اكثر استنكارا اذا كانت التلاوة في المساجد ، فانهم لا يراعون حرمة لبيت الله ولا لكلام الله ، فهل يمكن ان تتنزل رحمات الله على مثل هذا الجمع الصاخب ؟ وهل يمكن ان تحف الملائكة امثال هؤلاء العابثين ؟.. اللهم انه منكر لا يرضيك ، فاعف عن عبيدك واصفح ، فانك غفور رحيم . اما هؤلاء القوم فعليهم ان يتدبروا قول الله : (**واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق**) المائدة/ ٨٣ .

(١٠)

ومن آداب الترتيل ايضا :

١ ـ يحرم الترتيل مع الحدث الأكبر وكذلك مع الحائض والنفساء ، لكن الحدث الاصغر لا يمنع من قراءة القرآن مشافهة اما من يتلو من المصحف فواجبه ان يكون كامل الطهارة بدنا وثوبا ومكانا ، لقوله تعالى : (**لا يمسه الا المطهرون**) الواقعة/ ٧٩ . اما في حالة التعليم والتلاوة المستمرة للكبار والصغار فلا يمنع منها الحدث الأصغر تيسيرا على القارئين .

٢ ـ يستعاذ من الشيطان الرجيم عند

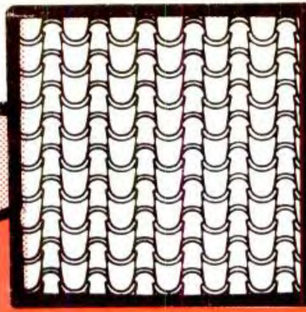
بدء القراءة ويعقب ذلك البسملة ويراعى ذلك سواء بدأ الترتيل من اول السورة او من اي مكان فيها فيما عدا سورة التوبة فتبدأ بدون بسملة .
٣ ـ يفضل استقبال القبلة ، وعدم الانشغال بغير القرآن ، والتوقف عن التلاوة عند التثاؤب ، وطلب الفضل من الله بعد قراءة آية وعد او رحمة ، والاستجارة به سبحانه بعد قراءة آيات الوعيد ، والتيقن من تفسير الكلمات الصعبة ، والتأمل في غريب القرآن ، ووعي اعراب كلماته .
٤ ـ عند ختم القرآن والانتهاء بتلاوة سورة « الناس » يستمر القارىء فيضيف قراءة الفاتحة ثم الآيات الخمس الأولى من سورة « البقرة » ثم يردد دعاء ختم القرآن او يدعو بما شاء .

وحبذا لو رتب المسلم على نفسه كل يوم حزبا من القرآن يحدده حسب ظروفه المتاحة له وعلى سبيل المثال والتوضيح كان السلف الصالح ـ بخصوص قراءاتهم من القرآن الكريم ـ يختمون القرآن في مدة لا تقل عن ثلاثة ايام ولا تزيد على الشهر ، ذلك لان الختم في اقل من ثلاثة ايام يقتضي اسراعا لا يعين على التدبر والتفهم ، اما الختم في اكثر من شهر فيعد اسرافا في هجر التلاوة . والحد الوسط ان يختم المسلم القرآن كل اسبوع مرة ، فبهذا القدر امر رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدالله بن عمرو ،كما فعل مثل ذلك كثير من صحابة رسول الله كعثمان ، وزيد بن ثابت ، وابن مسعود،وابي بن كعب رضي الله عنهم اجمعين .

وهناك سور خاصة يستحب تلاوتها كثيرا ـ كأوراد يومية ـ مثل يس ـ الدخان ـ الواقعة ـ الملك ـ الكهف ـ آل عمران ـ الكافرون ـ الاخلاص ـ المعوذتان . الفاتحة ..

كما ان هناك آيات خاصة تضفى بركاتها على مكرر قراءتها مثل آية الكرسي ـ خواتيم سورة البقرة ـ اول وآخر آيات سورة الكهف ـ الآيتان الاخيرتان من براءة .. الخ . وقد ورد بخصوص السور والآيات احاديث كثيرة جدا لا داعي لتسجيلها هنا لطولها .

وخير ما نختتم به مقالنا ، هو تسجيل حديث شريف يصف فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم كلام الله : عن علي رضي الله عنه ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ستكون فتن » قلت : فما المخرج منها يارسول الله ؟ قال : « كتاب الله ، فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، وهو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره اضله الله ـ وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يخلق على كثرة الترداد ، ولا تنقضي عجائبه . من قال به صدق ، ومن عمل به أجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم » أخرجه الترمذي وغيره .



يُصلح المساجد الناس

للأستاذ الدكتور / محمد فوزي فيض الله

المسجد في نظام الاسلام ، هو بؤرة التوحيد ، ومركز الاشعاع الروحي والمنطلق لاشاعة التوجيه الديني : فهو المجتمع لأداء الفريضة الكبرى في الاسلام ، وشعيرته الأولى ؛ وهو المدرسة التي تتلقى فيها احكام الشريعة وتعاليم الدين الحنيف . وهو المصنع الذي تصاغ فيه النماذج التطبيقية الحية المتحركة للاسلام ؛ وهو المصفاة التي تجلو صدأ القلوب وتنفى عنها ادران المادة ، واكدار الدنيا . وهو ايضا مراح الارواح فيه غذاء النفوس ، وجلاء الافهام ، ومنار العقول ، وقول الحق ، والتعرف على الحقيقة والصلة بعلام الغيوب .

المسجد مهوى افئدة المؤمنين ، ومتردد المصلين ، ومعلمة هذا الدين : يتلقى

فيه المسلمون كل يوم خمس مرات دروسا عملية في المساواة الرفيعة والطاعة المثلى ، والانقياد الخاضع الخاشع لرب العالمين وحده ؛ وفيه تشيع المحبة المخلصة المترفعة عن الاغراض والحطام وتنعقد اواصر الاخوة الدينية التي تفجر في المسلمين التراحم وتدفق فيهم معاني الإيثار والتناصح وتوطد عرى التآلف والتناصر فيعرف المسلم لاخيه حقه ، ويهتم بأمره ، ويواسيه في محنته ، ويمنحه بره ، ويبذل له الكثير من ولائه ، والجميل من قوله ، والصالح من فعله ، والفاضل وغير الفاضل من ماله .

من اجل هذه المقاصد الانسانية السامية الشاملة ، سميت المساجد بيوت الله ، لأنك لا ترى فيها الا الخير ، ولا تسمع الا البر ، ولا تشهد الا ما يذكرك برب العالمين ، ويعرج بك الى علام الغيوب ، وما هذه التسمية والنسبة الا لتشريف المساجد وتعظيم الشعائر ، وتمييز هذه الرحاب الخاصة بالطيب والطهر والقدسية .

ومن اجل تلك الاهداف الحيوية النبيلة الشامخة حرص الاسلام على اقامة المساجد واذن بتشييدها لاعلاء كلمته ، وتسبيحه وتمجيده : « في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال ... » وجعلها المولى سبحانه خاصة به ؛ لا يذكر فيها غيره ، ولا يدعى فيها سواه : « وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا » .

وقد بادر النبي ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ الى بناء المسجد قبل كل شيء في ارساء قواعد مجتمعه الجديد ، ووضع الدعامة التي لا بد منها لاداء رسالته ، واظهار شعائر دينه الذي حورب في مكة سنين طويلة .

بنى مسجده الجامع حيث بركت ناقته ، ليُجَمِّعَ فيه المسلمين ويبث فيهم شرع الله ودينه الحنيف ، وينقيهم من ادران المادة ، ودسائس الدنيا ويطهرهم من لوثاتها ، ويوصلهم بضياء الوحي الى مرضاة رب العالمين . وانقطع النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في مسجده لاصحابه ، كان هو موضع العبادة ، ومعهد العلم الديني وندوة الادب الاسلامي وكان متعلق القلوب ومَسَرَّ خيال المؤمنين لا يغادرونه الا ليلتقوا فيه ولا ينصرفون عنه الا ليعودوا اليه .

لم يكن المسجد النبوي سامقا ولا شامخا بل كان على العكس من ذلك ، سقفه من جريد النخل ، واعمدته من جذوعه وارضه مفروشة بالرمال والحصباء . ومع ذلك فقد قَدَّمَ الى الأمة النماذج الحية للاسلام والقادة الذين قوضوا معاقل الشرك وملوك الظلم ، ودول الطغيان ونشروا العدل والسلام . وذلك بفضل النبي الامي الذي كرس حياته للمسلمين في هذا المسجد ، وانقطع فيه اليهم يعلمهم الكتاب والحكمة ، ويبين لهم ما نزل اليهم ويحملهم امانة هذا الدين ويهديهم الى صراط الله العزيز الحميد .

وتتابع الخلفاء من بعده ، وحكام المسلمين يبنون المساجد ويتسابقون الى

اقامتها في كل مصر وقطر ، لتكون موئل اهل الدين ومركز الاشعاع الاسلامي وجامعة العلوم الدينية ومنابر علماء المسلمين : المسجد الجامع في البصرة ، وجوامع بغداد ، وجامع بني امية في دمشق ، والجامع الازهر الشريف في القاهرة ، وجامع الزيتونة في تونس ....

كانت هي الجوامع وكانت هي المعاهد والجامعات ، يؤمها الدارسون والمدرسون وكانت رمز الاسلام ، وعلامة التوحيد في كل بلد اسلامي .

وكانت محط عناية الحكام والخلفاء الاسلاميين ؛ وكانت العناية بها من اهم ما تتجه اليه انظارهم ويشغل حياتهم .

وفي الروايات التاريخية الصحيحة ان سيدنا عليا ـ كرم الله وجهه ـ لما تولى الخلافة سارع الى جولة تفتيشية في المساجد والجوامع ، التي تتركز في حاضرة خلافته وفي العراق ، على التخصيص ؛ وكان يهدف من ذلك اصلاح المساجد باعتبارها مراكز الهداية والاصلاح الديني فكان يتخير الصالح ويعين الأصلح لإمامة الصلاة ، وخطبة الجمعة والوعظ الديني واقراء القرآن وتبيان الاحكام وتثقيف العامة ، والافتاء في المستجدات والاجابة عن المسائل ، وحل معضلات المشاكل العملية والعقدية .

فتقول الروايات : إنه ـ رضي الله تعالى عنه ـ ما دخل مسجدا ولا صلى خلف إمام ولا استمع الى عالم الاوانكره وانتقده ، فعزله وولى الاصلح منه في نظره .

حتى اذا بلغ البصرة ، دخل مسجدها الجامع ، فصلى التحية ، ثم جلس مع القوم ، يستمع الى ما يستمعون اليه ، وفيهم الشيخ المسن ، والكهل الكامل ، والشاب الجلد ، والحدث اليافع ؛ وكانوا ينصتون باقبال وحسن تفهم ، وفيهم من يكتب ما يسمع ؛ وكلهم يحتفي بما يلقي اليه فيحفظه في صدره او يسجله في قرطاسه ...

فراعه ـ رضي الله تعالى عنه ـ هذا المشهد الرائع بحق ، وزاد في روعته ان المتحدث لم يكن من الشيوخ المسنين ، ولا المدرسين المشهورين ، ولا الفقهاء البارزين ولا الرواة الموثقين ، وانما كان غلاما حدثا لم يبلغ بعد الحلم واستمع مع المستمعين في اعجاب واكبار ، وشيء غير قليل من الدهشة والاستغراب فلماانهى الغلام الفذ حديثه ، تقدم اليه الخليفة الامام ، وقال : يا غلام : انك قد تحدثت فاجدت وقلت فأصبت وافصحت ؛ واني سائلك سؤالين :

اولا : ما هو عماد هذا الدين ؟

فقال الغلام : عماد هذا الدين الورع .

ثانيا : ما هي آفة هذا الدين ؟

فقال الغلام : آفة الدين الطمع .

فقال له على كرم الله وجهه ـ : تكلم ، وتحدث ، فانت خير من رأيت ، وافضل من

سمعت ؛ وابقاه في الجامع : يقرىء ؛ ويفقه ، ويحدث ويعلم . وكان هذا الغلام الحسن البصري - رضي الله تعالى عنه - .

كلمتان ، لطيفتان ، خفيفتان ، مسجعتان ، بلا كلفة ولا صنعة ، لخصتا الدين ، في اقامته وفي نسفه ؛

هذه النوعية من الأئمة والعلماء الذين كان الخليفة الإمام الراشد يتحراهم في جولته ليسند اليهم توعية الامة وتبصيرها في دينها ، ويعهد اليهم بالقيام على بيوت الله ...

وهكذا اعطى الصورة النموذجية التي ينبغي ان تتوخى في ائمة المساجد كلما اريد الخير للمسلمين وكلما اريدت التوعية الاسلامية المثمرة البناءة البعيدة عن الشكلية والمظاهر التي لا وزن لها .

واثمرت هذه الجولة اللافتة المباركة الطيبة أيما إثمار وشاءت الاقدار ان تطبق أحسن تطبيق عبر القرون فقام بمساجد العواصم الاسلامية أئمة اعلام حفظ التاريخ اسماءهم في سجلات الخلود ؛ سفيان بن عيينة بمسجد مكة ، ومالك بن انس في مسجد المدينة ، والحسن البصري في مسجد البصرة - كما ابقاه فيه امير المؤمنين - وابو حنيفة في مسجد الكوفة ، والاوزاعي في مسجد بني امية ، والشافعي في مسجد عمرو في مصر ، واسحاق في مسجد نيسابور واحمد وابن جرير واخرون في مساجد بغداد ...

وبالجملة فقد كانت الإمامة في الدين والعلم والصلاة نابعة من المساجدوكانت الحركة الدينية الواسعة النطاق في سائر الاقطار الاسلامية وليدة اصلاح المساجد وعمارتها باهل العلم ، ورواد الفكر والفقه ...

فاذا أضيف إلى ذلك أن الخلفاء الاسلاميين ، وفي عصر العباسيين على التخصيص ، كانوا يخصون العلماء بولائهم ، ويقربونهم إليهم ، ويؤثرونهم بعطائهم ، ويقيمونهم على تربية أولادهم ، وربما شاركوهم في بعض الجدل العلمي ، واستنهضوهم للنقاش الحاد ،-علمت أية حركة وازدهار ارتقت إليها المساجد ، في أيام الخلفاء وفي عصور الخلافة ، وأن عناية الحكام بالمساجد وبالقائمين عليها من أهل العلم ، ورثت الاسلام والشريعة والثقافة الدينية ، ثروة لا تناغى ، وعزة لا تغالب . وذلك هو الشأن في كل ما يتجه إليه الحكام ، لأنهم أقدر الناس على ترغيب الناس فيما يحبون ، والناس أسرع ما يكونون استجابة إلى تحقيق أغراضهم ، ولا سيما الصالحة .

على أن أهل العلم كانوا يرون - علاوة على ذلك - أن ميدانهم الطبيعي هو المساجد ؛ وهذا هو الوضع الصحيح الذي يتفق مع المقصد الأسمى الذي استهدفه النبي - عليه الصلاة والسلام - حين بنى مسجده الأعظم في دار هجرته .

فقد حذا حذوه في ملازمة المسجد ، لنشر الدعوة والعلم ،-العلماء العاملون ، واتخذوه مستقرا لهم ومقاما ، يتعهدون به الناس ، ويزقون طلاب العلم ، من غبش

الفجر ، إلى غسق الليل :

هذا ـ على سبيل المثال ـ محمد بن عبدالله بن مالك الأندلسي ، العالم النحوي القارىء المشهور ، صاحب الألفية ، التي ذاعت في الشرق والغرب ، واستظهرها العلماء والطلاب في الماضي والحاضر ؛ كان من علماء القرن السابع الهجري ، نشأ في الأندلس ، الفردوس الذي فقده المسلمون وأخرجهم منه اختلافهم واتخاذهم الكفار أعوانا على المؤمنين ، ونزل في دمشق ، فكان في مسجدها الإمام والمعلم ، فدرَّس القراءات ، وروى الحديث ، وكان من المتحمسين للاستشهاد به في النحو ، الذي رسخت قدمه فيه ، إلى درجة أنه كان يقول في صاحب المفصل (وهو الزمخشري) : إنه نحوي صغير ..

فتحدث الرواة عن مبلغ صلة الإمام الشيخ ابن مالك بالجامع الأموي ، ونشره فيه العلم ، فذكروا أنه كان أول من يدخل المسجد ، في الثلث الأخير ، فيتعبد ويتنسك ، ما شاء الله له أن يفعل ، فاذا صلى الفجر ، التفت إلى حلقاته في المسجد ، من طلاب العلم : فمن حلقة القراءات ، إلى حلقة الحديث ، إلى حلقة اللغة ، إلى حلقة العربية في النحو والصرف .. حتى ترتفع الشمس ، وتكون الضحوة الكبرى .

وينصرف الطلاب من الشيخ ، طلبا للرزق والسعي على العيال ، فينهض الشيخ فيصلي الضحى ؛ فاذا أتمها انطلق إلى باب الجامع الأموي الكبير ، فوقف عنده ، ونادى في المشاة وأهل السوق : أيها المسلمون ! ألا من طالب علم فأعلمه ، ألا من طالب قرآن وتفسير ، ألا من طالب للغة ، ألا من طالب للنحو ، ألا من طالب للصرف ، ألا .. ألا .. فان أتاه أحد ، عاد إلى المسجد ، فجلس إليه ، وعَلَّمَهُ ؛ وإن لم يسأله أحد ، انطلق إلى شئونه ، وهو يقول : الآن أبرأت نفسي من إثم كتمان العلم .

هذه صورة توضح مبلغ صلة أهل العلم بالمساجد ، وعمارتها بالذكر ، والدعوة والارشاد والتعليم .

وأذكر أن المساجد الكبرى في بلاد الشام ، حتى هذه الأيام ، ما تخلو من التدريس للعامة والخاصة ، عقب كل فريضة ، في الليل والنهار ، وأن هذه المساجد لا تغلق في النهار أبدا ، وأنه قَلَّ أن تجد مسجدا لا تنعقد فيه حلقات العلم ، بعد صلاة الفجر .

وكان يغلب على المساجد أن يقصدها الشيوخ والشيب والكهول ، فأصبح الذين يرتادونها جلهم من الشباب والحدثان ؛ وأصبح هؤلاء وأولئك يجدون في المساجد الهدوء المنشود ، والراحة من صخب الحياة ، وطغيان المادة ، فيتلون القرآن ، ويقرؤون في الكتب العلمية ، ويجدون من يعلمهم ما عسر عليهم فهمه من الدروس ، ويجدد لهم النشاط ، ويحبب إليهم العلم .

وانتشرت هذه الطريقة الحميدة ـ بحمد الله ـ في كثير من أقطار البلاد العربية والاسلامية ؛ وأصبحت المساجد كمدارس شعبية للتعليم والتربية

الدينية . بل أصبحت كالمنتدى للقاء الفكر ، وبث الدعوة ، وغرس العقيدة السليمة في نفوس النشء ؛ كما أصبحت ـ بحمد الله أيضا ـ مثابة لعلاج الشاردين من الصغار ، واللاعبين والعابثين ، واستصلاح للمفتونين بالحضارة الغربية ، والمأخوذين بسرابها الخادع .

حدثني صديق لي ، أنه تعب من تأديب ولده الوحيد ، وحمله على سواء السبيل ، واستيعاب دروسه ، وكاد يستيئس من إصلاحه ، فأشار عليه جاره ـ وكان من المصلين في الجامع ـ أن يصحبه إلى المسجد ، ويسلكه في حلقة من حلقاتها ، ففعل ، وهو غير متفائل ؛ وإذا بالولد ـ بعد فترة لم تطل ـ يسابق زملاءه إلى المسجد ، ويسبق الجار إليه ، وينافس المتفوقين من زملائه في المدرسة ، ويتنفس الوالد الصعداء ، ويرسلها حمدا لله كثيرا ، على هذه النعمة العظيمة التي أسداها إليه المسجد في شخص ولده وامتداد أمله فقلبه له رأسا على عقب واصبح فتى سويا ، كأحسن ما يصنع الفتيان ، على أعين المعلمين .

اتجهت النفوس الصالحة ، في العشرات السنين الأخيرة ، إلى العناية بالمساجد ، تشييدا واستكمالا لحاجة النشء فيها إلى ما يصلح الفكر والقلب ، ويرهف الحس والذوق والفن ، ويملأ الفراغ ، ويستوعب مجالات النشاط ..

أعرف مسجدا في مصر ، بني حديثا ، فيه قاعة محاضرات ، ومكتبة للمطالعة ، وصالة لبعض الرياضات البدنية الخفيفة ، وفيه مستوصف للعلاج المجاني ، ومعمل لصنع السجاد ، وفرع لتعليم الأميين ، وركن للأشرطة والاعلام الديني ... كأنه موسوعة علمية عملية عجيبة ..

ولئن سبقت مصر في هذا ، وغيره ، فقد سبق إلى تكميل المساجد ، آباؤنا الأولون ، الذين استفادوا من حديث استباق النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعائشة ـ رضي الله عنها ـ في المسجد ، على ما رواه الامام أحمد ؛ فألحقوا ببعض المساجد ملاعب للرياضة ، والفروسية والرمي ..

والذين كتبوا في الحروب الصليبية من خلائف الصليبيين ، يقصون علينا هذه القصة المعبرة ، ويصفون البيئة التي كان فيها المسجد ، والحريم المتخذ حوله ؛ فقالوا :

● على مقربة من طرطوس ، على شاطىء البحر الأبيض المتوسط ، وفي رملة ميناء ، بعيدة الأرجاء ، تنتهي في الساحل ، وتتصل بسفح الجبل الشامخ ، أقيمت حدود ميدان للرماية ، في زاويته مسجد متواضع ، فيه بضعة عشر فتى ، فقط ، يقوم على تعليمهم القرآن شيخ معمم وقور ، طويل اللحية ، حديد البصر ، مجعد الجبين ، تعلو بشرته البيضاء حمرة وشقرة ، تضيفان إلى شيبته نورا وإشراقا .

وفي الضحوة الكبرى ، هرع الشيخ وفتيانه إلى ميدان الرماية ؛ وكان إلى وقار الشيخوخة يتمتع بتحرك الشباب ، ونشاط الرياضة ، وخفة الجسم ، والصبر على تعليم الصغار ، وتدريبهم على الرماية .

● مر صليبي ، وهو يسير متنقلا في هذه الأرض ، التي تَرَحَّلَ عنها قومه ،

دارسا معتبرا ؛ فوقعت عينه على الشيخ وفتيته ، واستوقفه هذا المشهد الغريب : شيخ في السبعينيات من العمر ، وصغار لما يراهقوا بعد ، منهمكون في النُبُل والدريئة ، والإصابة والانحراف : هذا أصاب الهدف ، مرحى له ؛ وهذا أخطأ فلينتبه ، وذاك يستعد لتسديد سهامه ؛ وهذا مقارب ، وذاك خطؤه فاحش . وهذا عريف الفتية القائد ، الله أكبر ما أبرعه وما أروع إصاباته ..

• عجب الصليبي من هذا المشهد ، وأكبره ، وأنكره في ذات نفسه .

وتابع رياضة النبالة ، فرأى على البعد تلميذا صغيرا ، يجره تلميذ ، ويدفعه آخر . ومازالا به حتى قدما به على الشيخ ، الذي ما إن رآه حتى انهال به ، يضربه ضربا غير رفيق ولا رحيم ، بعصا من الخيزران ، كان أعدها لتأديب العصاة ؛ لكن الشيخ قسا على الصغير ، واشتد في قسوته ؛ فاندفع الصليبي بغير شعور منه للتدخل في الأمر ، فاقترب من الشيخ ، وأمسك بيده وبعصاه ، وكفه عن ضرب الفتى . فلما سكت عن الشيخ الغضب ، وألقى عصاه ، أقبل عليه يسأله ـ برطانته الأعجمية ـ عن ذنب الغلام ، وعما فعل ، حتى أنزل به كل هذا العذاب والنكال ؟

فقال الشيخ ، وهو يتوعد ويهدد ويزمجر : « إنه فَرَّ من درس الرماية » .

فأطرق الصليبي برأسه ، وهو يقول في نفسه ، ولا يكاد يبين : « بهذا غلبونا » .

كذلك كانت التربية والترويض : القرآن مع الرياضة المبكرة المفيدة ، والعلم مع الرمي ؛ وبذلك غلبناهم ، وطهرنا منهم الساحل ، قبل قرون .

فهل تضاف إلى مساجدنا أندية رياضية ، تستهوى اللاعبين ، فتشبع رغبتهم في اللعب ، وتخفف من شغفهم العارم بالكرة ، بأنواع مفيدة من الرياضة البدنية ، والسباحة والرمي ، ويجد الناشئة في المساجد : نور اليقين ، ورسوخ العقيدة ، وإقامة الأركان ، وقراءة القرآن ، وعلوم الدين ، ورياضة الأبدان ، وفنون القول والعمل الصالح ، واللعب المثمر .

إن ممارسة لعب الكرة ، إن أفاد الجسم قوة وخفة ، لا يفيد في مجالات القوة التي أمر القرآن باعدادها للكفار . وإنه سراب لا يغنى ـ مع تكاليفه الباهظة ـ من الحق شيئا . وإن الحق السليب ، في الساحل والداخل ، لا يسترد باللعب ، وإنما يسترد بالقوة ، وما القوة إلا الرمي ، بتفسير سيد الوجود ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقوله : « ألا إن القوة هى الرمي ، ألا إن القوة هى الرمي ، ألا إن القوة هى الرمي » .

إذا استطعنا تحويل المساجد ، إلى مراكز إسلامية ، بكل ما في المركز من تكامل يستقطب النشء ، على النحو الذي قدمنا ، أمكن أن تؤدي المساجد رسالتها الدينية ، على وجه يناسب روح العصر .

وإنما يصلح هذه المساجد على هذا التخطيط ، اثنان : الحاكم والعالم . فالله يأخذ بأيديهما إلى هذا الاصلاح المنشود .



الخائفون من شريعة الله

يخشى المتأوربون وأصحاب الثقافة الغربية في كثير من البلاد العربية والاسلامية من الشروع في تطبيق حكم الله كبديل للقوانين الوضعية المستوردة الجاري العمل بها في بلدانهم ..

وهذا ما لا أعرف له تفسيرا يا شيخنا عارف ، لماذا يخشى هؤلاء المسلمون من تطبيق شريعتهم الاسلامية التي يؤمنون بها ؟ ..
فقال الشيخ عارف :

للدكتور / حسن الشرقاوي

ـ لايمكن أن يسمى هؤلاء «مؤمنون» انما هم مسلمون اسما فحسب ...

ـ ألا يعلمون أن الاسلام حق وأن تطبيق شريعة الله غاية كل مسلم ؟ ..

ـ هناك فرق بين العلم والعمل والاعتقاد والايمان ...

ـ ما هو الفرق في رأيك ؟ ..

ـ كثيرا ما تسأل عن الباطل والحق

والحكمة والهوى فتجد أكثر الناس يـدافعـون عن الحق والحكمـة ، وينكرون الباطل والهوى لكن ذلك يتم فحسب بالقول ..

ـ ماذا تقصد « بالقول » يا شيخ عارف ؟ ..

ـ أقصد باللسان اما العمل بما تلوك به الألسنة فشيء مستبعد ..

ـ معنى ذلك انهم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم ...

ـ بالتأكيد يا صاحبي ... وهذا هو الشرك الخفي أو الرياء الذي قال فيه رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسلم : « أخـوف ما أخـاف عـلى أمتي » ...

ـ لكن أليس المعتقد في شريعة الله يدافع عنها ؟ ..

ـ الاعتقاد في الدين وسيلته العقل والعقل قاصر عن فهم كنه الدين ...

ـ ألا يكفي الاعتقاد إذن في شريعة الله ؟ ..

ـ لو كنت تعتقد في شيء وتعلم أنه حق وتدافع عنـه ، الا انه حضر اليـك شخص وقدّم لك أدلة وبراهين على فسـاد ذلـك الشيء ... ألا يهتـز اعتقادك ؟ ألا يفتر حماسك في الدفاع عنه ؟ ألا يبلبل أفكـارك بالنسبـة له ؟ ..

ـ هذا مؤكد ..

ـ لكن لو كان اعتقادك في الدين مقترنا بالايمان به ، أكان من السهل على هذا الشخص أن يبلبل أفكارك ويبعدك عن هدى الدين ...

ـ لايستطيع أحد أن يخرج مؤمنا عن إيمانه ...

ـ لأن الاعتقاد في الدين وسيلته العقل وأما الإيمان به فوسيلته القلب ...

ـ ألا يهم الاعتقاد في شريعة الله إذن ؟ ..

ـ لم أقصد ذلك وانما أقصد أن أقول لك ان الاعتقاد غير كاف وحده في أمور الدين ، فيجب أن يقترن بالايمان والا كان صاحبه على حافة الهاوية ..

ـ وهل الذين يخافون من تطبيق شـريعـة اللـه من المتـأوربـين وأصحاب الثقافة الغربية هم الذين تقصدهم في كلامك ؟ ..

ـ أنا أريد أن أقول يا صاحبي إن الذي يخاف من تطبيق التشـريع الاسلامي انسان غير مؤمن أو على الاقل ضعيف الايمان ...

ـ لماذا يا شيخنا عارف ؟ ..

ـ لأن الذي يؤمن بدينه لايخاف من العمل به ... أما الذي يؤمن ببعضه ولا يؤمن ببعضه فهو لا يعد من المؤمنين ...

ـ كأن الخوف ثمرة عدم الايمان ...

ـ ربما يرجع الخوف الى الجهل أو عدم معرفة حقائق الدين أو التأثر بـالثقافـة الغربيـة أو المـذاهب الالحادية أو الانبهار بالحضارة الأوربية المادية ... كل هذه عوامل يمكن أن يكون لها التأثير السيىء على إيمان المسلم ...

ـ من ماذا يخاف هؤلاء ؟ ...

ـ ربما يرجع الخوف من اقامة حدود الله ... مثل رجم الزاني والزانيـة المحصنين ، وقطع يد السارق مع عدم حاجته الى الطعام ، أو جلد القاذف بالزنا وكذلك شارب الخمر ...

ـ ألا يعلم هؤلاء أن تطبيق الحدود يتم لا بالشبهة كما في القوانين الوضعية ، وإنما باليقين ...

ـ إنه خوف لا مبرر له ولو تفقهوا في الدين ما خافوا أبدا ...

ـ ان اقامة الحد على الزاني والزانية صلاح وإصلاح للفرد والاسرة والمجتمع ..

ـ هذا صحيح يا صاحبي .. فالتشريع الاسلامي يفرق بين المحصن وغير المحصن ، كما يطبق هذه القاعدة في أضيق الحدود وذلك باشتراط أربعة شهود عدول ، فاذا علمت ان هذه الجريمة تتم خفية عن عيون الناس ظهر لك أن الزاني الذي يقدم على فعلته النكراء علانية قد وصلت به الجرأة الى إعلان فسقه وإشهار عهره دون أن يخشى أحدا ومن ثم فواجب الجماعة أن تقيم عليه الحد لتمنع الفساد في الاسرة والجماعة ...

ـ وما رأيك في اقامة حد السرقة ؟ ..

ـ الأمر كذلك يا صاحبي فيما يتعلق بالسرقة . فالمفروض أن يضمن المجتمع للفرد حياة طيبة . وعلى الفرد عند ذلك أن يحترم مال الغير فاذا ما تعدى عليه وجب إقامة الحد حتى لا ينتشر الفساد والإفساد ..

ـ أرى انك جعلتَ تطبيق القصاص أمرا واجبا ، بدونه ينتشر الفساد والافساد .

ـ ان شريعة الله فطرية تواكب العقل الرشيد والنفس المستقيمة والقلب السليم ...

ـ ولماذا يرفض هؤلاء تطبيق الشريعة وهي بهذه الصورة المشرقة ؟ ..

ـ لأن القوانين الوضعية بها ثغرات ممكن أن ينفذ من خلالها أصحاب الاهُواء والشهوات .. وبذلك يتمكنون من تحقيق شهواتهم وإرضاء نزوعاتهم وتلبية مطالبهم غير المشروعة ..

ـ ألهذا يرفضون تطبيق التشريع الاسلامي ؟ ..

ـ بكل تأكيد ... فالانسان عبد عوائده ... فاذا أردت أن تغير عاداته المرذولة وأخلاقه المذمومة وسلوكه الشائن ... رفض قبول ذلك وطعن فيما تأمر به من مكارم الاخلاق والحق والرشاد ...

ـ وكيف يمكن تطبيق التشريع الاسلامي على البلدان التي تدين بالاسلام ؟ ..

ـ لابد من وعي ديني جديد ... لابد من الدعوة الى الله في صورة واضحة قوية دون تنفير أو تخويف ... لابد من الدعوة الى الله بالحب والتسامح والإخاء كما علّمنا رسول الله ﷺ ...

ـ وكيف يتسنى ادخال الايمان الى القلوب ؟ ..

ـ ان ذلك أمر جد عسير ... لكن الله تعالى أمرنا بالدعوة لدينه دون اكراه ، وما دام الداعون الى الله يقومون برسالتهم فان الله يهدي من يشاء ويضل من يشاء ...

ـ أيمكن أن يرجع المتأوربون الى حظيرة الايمان ؟ ..

ـ لا حد لقدرة الله فالله على كل شيء قدير ...

دور التربية

لماذا التربية بغرض الايمان ؟

التربية يجب ان يكون هدفها الأول والأساسي هو غرس وزرع الايمان في نفوس طلابها ، ولعل لذلك العديد من الاعتبارات والأسباب الرئيسية التي تؤكد ضرورة تبني التربية لمبدأ الايمان .

وأول هذه الاعتبارات هو الحاجة الأصيلة في النفس الانسانية الى العقيدة الدينية واعتبار أن الايمان لازم وضروري وهام في حياة الانسان ومصدر للقوة والاطمئنان مما تؤكده دراسات نفسية وفلسفية ودراسات في تاريخ الحضارات وتطورها .

والاعتبار الثاني ما تشكو منه الحضارة المعاصرة التي نعيشها من المساوىء والعيوب الناتجة عن ضعف التمسك بالقيم الانسانية وبفضائل الأخلاق

ومن بعض التبذل والتحلل والانغماس في الشهوات مما يصدر في أغلب الأحوال من ضعف العقيدة الدينية ونقص النوازع الى الايمان .

في غرس الايمان

للدكتور
علي محمود رسلان

والاعتبار الثالث ما يشكو منه المجتمع العربي المعاصر من بعض مظاهر الضعف الأخلاقي وبعض مظاهر الضعف في الروح المعنوية مما قد ينسب بعضه الى التهاون في أمور الدين والتقصير في القيام بما يحض عليه من التعاون والمحبة والاخاء والتماسك الاجتماعي ومن مكارم الأخلاق .

والاعتبار الرابع حاجة الشباب في هذا العالم وبخاصة في الوطن العربي الى قيم واضحة تجنبهم الحيرة الفكرية وتكون لهم سندا في تبين صور المستقبل بين المذاهب والدعوات المختلفة والتيارات المتعددة التي يموج بها العالم في الوقت الحاضر .

ونضيف الى الاعتبارات السابقة التي تؤكد ضرورة بل وجوب تبني التربية لغرض وهدف الايمان ، انه مع تألق نجم العلوم والتكنولوجيا اصطبغ الجو العالمي بالمادية والوجودية ، والابتعاد عن الجوانب الروحية والقيم السامية ، وأصبح العالم مهيأً لانتشار فلسفات وعقائد مادية وأضحى العالم تهب عليه الرياح اللادينية بكل قسوة ، وهذه العقائد الغريبة المادية أثرت بشكل مباشر وقوى في فكر الانسان وفي علاقاته باخوته من بني البشر . ووسط هذا الجو كله بات لزاما على من يدينون بالأديان السماوية وفي مقدمتهم وفي طليعتهم المسلمون أن يخوضوا المعارك الفكرية المعاصرة لكي يثبتوا أن هذه الأديان قادرة على مواجهة الحياة ومتطلباتها

المتطورة وعلى اسعاد بني الانسان في كل زمان ومكان . عليهم أن يقوموا بدورهم في التمسك بالدين الاسلامي الحنيف قولا وعملا . إن دور أبناء المجتمعات العربية بخاصة والمجتمعات الاسلامية بعامة لا ينبغي أن يتوقف عند هذا الحد ، بل يجب أن ينشط ويمتد حتى يتضمن دخولهم هذا السباق العلمي التكنولوجي وأن يرتادوه على قدم المساواة مع أبناء المجتمعات المتقدمة تكنولوجيا ، وينبغي ألا يقتصر دور المسلمين كذلك على استهلاك ما تنتجه وما تقدمه تلك المجتمعات المتقدمة من ثمار العلم والتكنولوجيا ، بل يجب أن يشاركوا مشاركة فعالة في هذا الانتاج . يجب على رجال الاسلام ألا يتخلفوا عن ركب الحضارة والعلم . والعبرة هنا ليست في قدرة المواطن المسلم على استهلاك إنتاج العلم والتكنولوجيا الحديثة ، ولكن في قدرته على انتاج ما يحتاج اليه من ثمار هذا العلم وهذه التكنولوجيا .

وإلى جانب كل الاعتبارات السابقة التي تدعم دور التربية في غرس وزرع الايمان في نفوس أبنائها وطلابها ما نراه ونلمسه من تزايد أطماع الصهيونية في المنطقة العربية ، فمنذ أنشئت دولة اسرائيل في عام ١٩٤٨ وخلال الثلاثين عاما التي تلت سنة الانشاء تكشفت النوايا الحقيقية والأطماع الدفينة والأحقاد القديمة ، واستطاعت تلك الدولة اليهودية الصهيونية أن تستعدي دول الغرب وحكوماته وشعوبه ضد المسلمين من العرب ، واستثارت فيهم المخاوف القديمة من الحضارة العربية الاسلامية التي ازدهرت طوال قرون عديدة في العصور الوسطى ، وأضاءت العالم كله بنورها وبمرور السنين تطور الصراع العربي الاسرائيلي إلى أن أصبح صراعا بين حضارتين ، حضارة الغرب القائمة على المادية والتكنولوجيا المتقدمة والتي تتخذ من دولة اسرائيل ـ ومعناها العبري الكفاح والنضال ـ أداة وحليفة لها وحضارة الاسلام العربية بتراثها العريق وأمجادها التليدة القديمة وقيمها الروحية السامية وبحاضرها المؤسف الملئ بالتغيرات والهزات والتقلبات والصراعات والتخلف عن ملاحقة عجلة التقدم العلمي والتطور التكنولوجي بسبب الابتعاد عن تعاليم وتوجيهات الاسلام .

وأمام كل هذا أصبح واضحا أنه امام المجتمع الاسلامي واجب مقدس هو الذود عن كيانه العقائدي والصمود أمام التحدي الحضاري السافر الذي أفصح عنه تزايد الأطماع اليهودية الصهيونية في المنطقة العربية وانتهاك وحرق المقدسات الاسلامية وفي مقدمتها المسجد الأقصى ومقام ابراهيم الخليل . هذا التحدي الاسرائيلي لن توقفه الانتصارات الحربية العسكرية وحدها ، بل يتعين على كافة قوى المجتمع الاسلامي ومؤسساته وهيئاته وتنظيماته أن تعد كل ما تستطيع من قوة وان تتوحد وان تحشد كل طاقاتها المادية والروحية والبشرية وتضاعف جهودها من أجل معركة أطول وأشرس وأعمق هى مرحلة البناء والتقدم . ودور التربية والتعليم وكافة المؤسسات التربوية في هذا المجال دور عظيم الشأن . إن

عليها واجب تطوير المجتمع الاسلامي وتعبئته روحيا بحيث يصبح قادرا على مواجهة تحديات العصر والانتصار في المعارك الفكرية والحضارية ضد عدو صهيوني يتسم بالغدر والخيانة .

ماذا نستمد من تعاليم الاسلام ؟

بعد أن تأكد لنا ضرورة ان تتخذ التربية من الدين هدفا وطريقا وسبيلا للنجاة والسلامة والتطور لمجتمعنا في حالته الراهنة وفي عصره الحاضر . بعد هذا يأتي التساؤل : ماذا نستفيد من تعاليم الاسلام ؟ ولعل الاجابة على ذلك تستغرق كتباً ومؤلفات ولكننا في اختصار نلخص ما نريد في العديد من النقاط التالية :

أول هذه النقاط **أمر الاسلام بالقراءة** ، اقرأ هى أول كلمة نزلت من السماء على الرسول الكريم ، فالقراءة هى باب المعرفة قال الله تعالى في كتابه الكريم : بسم الله الرحمن الرحيم (**اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم**) العلق الآيات / ١ - ٥ . ولقد جعل الله من الكون كتابا للمعرفة ووجه القلوب والعقول والأبصار الى بدائع صنع الله فيه . ودعا الى التفكير في آياته واستكشاف أسراره وفهم نظمه ونواميسه وحرر العقول من أسر الجهل والجمود ودفع وشجع على البحث والدراسة وعلى العلم . والأحاديث النبوية الشريف لا تعد ولا تحصى في ميدان الحث على العلم والتعليم فـ « العلماء ورثة الأنبياء » رواه أبو داود والترمذي « ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا الى الجنة » رواه مسلم وغيره « ومن يرد الله به خيرا يفقهه في الدين » رواه البخاري ومسلم .

والعلم في الاسلام لا يقتصر على علم الدين وحده رغم شرفه ووجوبه على كل مسلم وانما هو يتعداه الى علوم الدنيا لأن المسلم بهذه العلوم الدنيوية يستطيع أن يقوم برسالته الحضارية .

ثاني هذه النقاط أن **رسالة الانسان في الاسلام رسالة تعمير وبناء** ، رسالة حضارية ، فالانسان بما حباه الله من عقل يكون قادرا ومستطيعا على أن يكون بحق خليفة الله في الأرض ويعمل وفق تعاليمه وأوامره ويجتنب نواهيه ويبتعد عن معاصيه يقول الله تعالى : (**هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور**) الملك / ١٥ . ويقول في كتابه الكريم : (**وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون**) النحل / ١٤ . ويقول سبحانه وتعالى : (**وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون**) المائدة / ٨٨ . رسالة الانسان هى العمل والنشاط ، والبناء والتعمير ، وهى رسالة تقدم وتطور .

النقطة الثالثة **التطبيق والتنفيذ العملي والفعلي** فلقد كانت التربية من

الأهداف الأولى التي سعى اليها الاسلام للتغيير الهائل الذي أحدثه في نفوس العرب . وكانت أولى المؤسسات التربوية التي ظهرت في الاسلام هي دار الأرقم بن أبي الأرقم في مكة المكرمة التي فتحت أبوابها سرا في أيام الاسلام الأولى لمن آمنوا بالرسالة والرسول وسط إرهاب وعنت زعماء مكة وكفارها . وعندما هاجر المسلمون من مكة إلى المدينة ، تم فتح ثاني مدرسة في الاسلام وهي المسجد ، ثم ظهرت الكتاتيب في العصر الأموي ثم المدارس والجامعات في العصر العباسي .

النقطة الرابعة : **الرسول هو الرائد والمعلم الأول** فقد كانت محتويات المناهج أو المقررات الدراسية بلغة اليوم ـ في دار الأرقم وفي مسجد الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم كلها دينية فكان الرسول يتلو آيات القرآن التي ينزل بها الوحي ويشرحها ويفسرها ، وكذلك أحاديث الرسول يقولها في الظروف والمناسبات المختلفة .

وكانت حياة الرسول صلى الله عليه وسلم الخاصة والعامة تجسيدا حيا لما يعلمه من آيات القرآن ، ولما يقوله من أحاديث نبوية شريفة ، ومن هنا كان ربط العلم بالعمل فكرة اسلامية أصيلة التزم بها الرسول في تربيته للصحابة ، والتزم بها الصحابة من بعده في تربيتهم لتلاميذهم قبل أن يقول بها علماء الغرب أو الشرق باكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان .

النقطة الخامسة المستمدة من تعاليم الاسلام هي **قيام الفرد بتعليم إخوانه وزملائه** ، فقد كان الرسول يكلف المتعلمين من الصحابة بتعليم اخوانهم تعليما يتناول تفقيههم في الدين وتعليمهم القراءة والكتابة أحيانا ، وان الرسول الكريم كان يختار من بين هؤلاء المتعلمين من الصحابة الشخص الذي ينوب عنه للاتصال بالقبائل العربية المقبلة والداخلة في الاسلام ليتولى هؤلاء بحكم ما لديهم من ايضاح لمبادىء الدين الاسلامي الحنيف وعباداته ومعاملاته .

النقطة السادسة أو التوجيه الاسلامي السادس هو **تعليم الكبار** ، ونعطي هنا مثالين فقط : كانت دار الأرقم بن أبي الأرقم أول مدرسة لتعليم الكبار ينشئها رسول الله ، هذا هو المثال الأول .

المثال الثاني : من المعروف أن أسرى بدر أتيح لهم الفداء بأن يقوم كل واحد من المتعلمين منهم بتعليم عشرة من المسلمين . ولننظر الى مجتمع المدينة المنورة بعد الاسلام فاذا هو المجتمع المتعلم ، وكان كتاب الله القرآن الكريم هو الكتاب الأول والنبي هو المعلم الاكبر والأعظم لهذا المجتمع والمسجد هو مؤسسة دينية تربوية وخير دعاء للنبي : وقل ربي زدني علما .

كيف يمكن تحقيق مبدأ التربية للايمان ؟

ويمكن صياغة هذا السؤال في صور عديدة أخرى مثال كيف يكون المسلم الحق صاحب رسالة ؟ وكيف تعود أرض العرب كما كانت أرض حضارة ؟ وكيف

يكون ذلك الانسان المسلم قادرا على أن يقود العالم الى العدل والخير والحق والحرية والسلام التي افتقدها في ظل الحضارة الغربية الحديثة التي أقامت نفسها على المادة وابتعدت عن الروح وعن القيم فأوشكت أن تحطم نفسها لتترك فراغا كبيرا نأمل أن يكون الانسان المسلم هو القادر على ملء هذا الفراغ ؟

إن التربية يجب أن تستمد أصولها وجذورها من الاسلام بما فيه من قيم خلقية روحية باقية على مدى الدهر . والدين الاسلامي ليس مجرد عقيدة تترجم إلى سلوك يغير من نظرة الانسان نحو نفسه ونحو اخوانه ونحو مجتمعه فالاسلام دين علم وأخلاق وعمل . والتربية بمفهومها الحديث ليست قاصرة على المسجد أو المدرسة فهى تتم في كل مكان بالمجتمع ، وهناك ثلاثة أشكال للتربية :

١ ـ **التربية النظامية** : وهى التي تتم داخل المؤسسات التعليمية المخصصة لذلك كالمدارس والمعاهد والجامعات .

٢ ـ **التربية غير النظامية** : وهى كل ما يكتسبه الفرد بشكل غير منظم من مواقف وقيم ومهارات ومعارف تأتيه من خبراته وتجاربه الحياتية اليومية من محيطه الذي يعيش فيه ومن مهنته التي يعمل بها ومن الراديو والتليفزيون وغيرها .

٣ ـ **التربية شبه النظامية** : وهى شكل من أشكال النشاط التربوي مثل النوادي والجمعيات والمؤسسات العامة والروابط وغيرها .

والتربية على كافة الأشكال والأنواع السابقة يجب أن تستمد أسسها وأصولها ومبادئها من الاسلام لأنه في جوهره نظام تربوي متكامل جاء منهجه شاملا يتناول الكائن البشري كله فكرا وسلوكا .. جسما وعقلا وروحا . ومن الضروري التأكيد على أهمية الالتزام المستمر الدائم بالمبادىء الأخلاقية الاسلامية وذلك أن الاسلام ـ كما تناولت الأبحاث والدراسات العديدة ـ يبني الفرد ويكون فيه روح الخير في سلوكه وفي سعيه بين الجماعة ويكون روح الأخوة الانسانية ويكون الوعي بوحدة الحياة الاجتماعية ، والاسلام يوازن بين عاملي الدفع والجذب ، وبين الترغيب والترهيب فيما يتصل بالالتزام الخلقي حتى يكون نابعا من داخل الفرد وليس مفروضا عليه من الخارج .. وهنا تتحقق الغاية الأسمى للتربية الاسلامية وهى بلوغ الكمال الانساني .

واذا كانت التربية الاسلامية عملية خلقية ، فالمدرسة يجب أن تكون قوة وطاقة خلقية في المجتمع ، وأثرها ينتشر ويعم عددا أكبر من المنتظمين فيها ، وعلى المعلم أن يكون نموذجا وقدوة وأن يختبر طلابه لكي يعرف الى أي حد يدركون معنى القيم الأخلاقية . فنحن بحاجة الى ايمان أصيل لا مجرد ايمان اسمي ، أي ايمان ذي تطبيق فعال .

والأخلاق لا يتعلمها الطالب فقط في قصة أو خلال درس في حصة ، بل يتلقاها في عمل يقوم به سواء في حجرة الدراسة أو الملعب أو المكتبة وجميع النشاطات داخل المدرسة في ظل التعاون والعمل المشترك وأن يعرف الطالب حقوق غيره وواجباته كما أنه يقوم بمحاكاة معلم مهذب قائد مرب .

كيف نغرس الايمان في نفوس أبنائنا ؟ وكيف نعمل على تحقيق مبدأ التربية للايمان ؟ الاجابة تكون ان المدرسة هى مؤسسة تعليمية للجميع مهمتها إعطاء المثل الأعلى للأخلاق وتوجيه سلوك التلاميذ وتحديد ما يقبله الدين وما يرفضه أي باختصار تربية التلاميذ في ضوء القيم الدينية السامية ، تربيتهم على الايمان .. فهو الطاقة الخلقية الخلاقة المبدعة : الايمان بالله خالق الكون ، الايمان البعيد عن الحقد والحسد والضغينة والكراهية ، الايمان الذي لابد أن يمارس عمليا حتى نقدم للعالم نموذجا جديدا للحياة الفضلى فالعالم اليوم يعيش الفراغ الروحي . ولكي نضع مبدأ التربية للايمان الموضع الأساسي والرئيسي في جوهر التربية ومحتواها وأسلوبها علينا بالتالي :

١ ـ أن تعتنى التربية بترسيخ الايمان بالله في نفوس المتعلمين وبالاسلام خاتم رسالات السماء واعتبار الدين من أخص ما يتميز به الانسان .

٢ ـ عناية التربية بما أقره الدين من مكانة الانسان في الوجود وفي المجتمع ، ومن اعتماده على هدى عقله وهدى ضميره في سعيه المتواصل نحو الكمال .

٣ ـ عناية التربية بتحقيق التوازن في شخصية الانسان من حيث حاجات الجسم وحاجات الروح ، والفكر والعمل والحاضر والمستقبل .

٤ ـ أن تهتم التربية بما أقره الدين من القيم الأخلاقية وتنشئة المتعلمين على الفضائل وعلى المحبة والمودة والتعاون والسعي في خير المجتمع ومن أجل تماسكه وقوته وتمكينه من البناء والتعمير .

٥ ـ أن تعنى التربية بالاخاء الانساني وبالدعوة إلى التعاون بين الناس والحق والخير والصلاح .

٦ ـ تبصير المتعلم بواجباته الدينية ، وسعي الفرد الدائب من أجل خير مجتمعه ومسئوليته نحوه ، وكذلك رعاية المجتمع لأفراده واقتران الحقوق بالواجبات .

وأما عن طريقة ومنهج التعليم فانها تحتاج إلى إطناب وإسهاب ولكننا في هذه العجالة يمكن ذكرها باختصار شديد وذلك بأسلوب « الاجمال لا الاخلال » في النقاط التالية :

١ ـ ضرب الأمثال وذكر القصص المعبرة :

ولقد ذكر القرآن الكريم الكثير من القصص للعبرة المقصودة والدروس المستفادة منها : قصص الكافرين من الأمم السابقة وما حدث لهم نتيجة ظلمهم لأنفسهم .

٢ ـ التجربة الشخصية والرحلة بحثا عن الحقيقة :

ودراسة الكون : قال تعالى : (**قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ**

الخلق) العنكبوت / ٢٠ . وهناك الكثير من آيات القرآن الكريم التي تحث البشر على استخدام حواسهم وعقولهم لدراسة الطبيعة والاستفادة منها في المعيشة .

٣ ـ العبرة من خلال الأحداث الجارية :

قال تعالى : (**لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين . ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين)** التوبة / ٢٥ و ٢٦ .

لقد أراد الله في غزوة حنين أن يعلم المسلمين درسا عن أن كثرة العدد والعجب بها لا يؤدي بالضرورة الى النصر الذي لا يكون إلا بالله العزيز الحكيم .

٤ ـ تقديم الترغيب على الترهيب :

أي تقديم الثواب على العقاب . يقول الله تعالى : (**إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا)** البقرة / ١١٩ . ويقول الله عز وجل : (**من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون)** الأنعام / ١٦٠ .

٥ ـ الأسوة الحسنة والمثل الصالح :

كان الرسول خير أسوة وأفضل قدوة . قال تعالى : (**لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا)** الأحزاب / ٢١ .

٦ ـ اتفاق السلوك ظاهريا وباطنيا :

فالاسلام يبغض الرياء والنفاق ومن هنا كانت ضرورة اتفاق السلوك الظاهري مع ما يبطنه الفرد من قيم ومعتقدات واتجاهات . يقول الله تعالى : (**إن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله)** البقرة / ٢٨٤ .

٧ ـ شمول النظرة الخلقية :

فلا يكفي المرء « الشخص » أن يأخذ جانبا من الجوانب الأخلاقية كأن

يسلك سلوكا خيرا حينا ثم يفعل الشر أحيانا ، بل ينبغي ان يكون ملتزما في حياته وأفعاله وأقواله بالصفات التي أسبغها الله على عباده الصالحين .

٨ ـ اتفاق الغايات والوسائل :

ومعنى ذلك أن تتلاءم الوسيلة مع الغاية التي نسعى نحن لتحقيقها وأن تكون الوسائل شريفة كالغايات فلا تأخذ التربية الاسلامية بمبدأ الغاية تبرر الوسيلة . ولكن تسمو بالوسيلة سمو الغاية الخلقية .

٩ ـ وجوب مراعاة الفروق الفردية :

من المعلوم ان عقلية الصغار تختلف عن عقلية الكبار . وكذلك يختلف الأفراد حسب ظروف الزمان والمكان والصحة والمرض .. الى غير ذلك والرسول الكريم يأمرنا أن نتحدث مع الناس كل على قدر عقله .

هذه هى بعض الطرق والأساليب في منهج للتربية الاسلامية الذي يهدف إلى غرس قيم الايمان خاصة بعد أن اتضحت حاجة الانسان المعاصر إلى قيم التعاون والحرية والتضامن والمسئولية التي يسمو بها الايمان ، وإن هذه القيم الدينية تمنح الانسان اليوم وغدا كما منحته أمس مثلا أعلى يهتدى بهديه في تصرفاته اليومية ويثرى بها حياته بما ينطوى عليه من تطلعات روحية خلقية سامية .

ونحن الآن في مطلع القرن الخامس عشر الهجري وقد توافر للمسلمين بفضل الله ـ القوة المادية والثروة الاقتصادية ، عليهم بالتمسك والعمل بدينهم الاسلامي الحنيف حتى يأخذوا منه القوة الروحية ، وبهاتين القوتين الروحية والمادية سيتغير حاضر المجتمع وتتوهج شعلة الحضارة مرة ثانية وتبعث في ديار الاسلام العلوم والمعارف إلى سابق عزها ومجدها . فالاسلام دين المعرفة ودين العلم المرتبط بمسئولية الانسان والمجتمع وان مهمة التربية لهذا السبب مهمة أخلاقية ومسئوليتها سلوكية اكثر منها فنية تقنية ومن ثم كانت القيمة الشمولية عند الانسان لعلم يبدو مرتبطا بمصيره وكما له ويسيطر من داخله ومن خارجه على دلالات التغير ، فالعلاقة إذن بين المعلم والمتعلم علاقة مثالية نجد نموذجها السامي في الاسلام فقد علم الله آدم ، والنبي رسول الله كان معلما لمجتمع من الناس في مكة والمدينة .

والخلاصة أن التربية الاسلامية هى تربية انسانية أخلاقية هى تعليم وتهذيب وتأديب .. وهذا قليل من كثير وقطرة من غيث عن ضرورة ووجوب غرس الايمان والقيم الدينية في نفوس براعم الأمل ورجال الغد .

اختلاف خلق الله

آية على قدرته

للأستاذ / سعد عوض المر

لقد خلق الله تعالى أعدادا لا تحصى من شتى الأنواع ، وأنواعا لا تحصى من مختلف الأصناف ، وألوانا لا تحصى من نفس الأنواع ومن نفس الأصناف ، بل في النوع الواحد أو الصنف الواحد تختلف الأفراد ،وان هذا بالطبع يدل على طلاقة القدرة وعظمة الخالق واتقان الصانع .

اننا في نفس الوقت الذي نسلط فيه الضوء على اختلاف خلق الله يجب أن نتذكر دوما فلا ننسى أبدا حينما نتكلم عن هذا الاختلاف بأنه هو نفسه دليل على وحدانية الله سبحانه وتعالى ، لأن كل مخلوق مهما اختلف عن غيره فإنه يتشابه معه في كثير : فهذا الانسان أو ذاك الحيوان ، وتلك الزواحف أو تلك الحشرات كل منها له رأس فيه عينان ومخ ، فيه أذنان وأنف فيه فم ، كل فرد منها له رقبة وصدر وبطن وعمود فقري وأطراف ، كل منها يكسوه الجلد ، كل منها يتحرك ويتنفس ويأكل ويتخلص مما يزيد عن حاجته ، كل منها يتناسل ، كل منها فيه اية تنطق وتشهد بأن الذي أوجده وميزه عن غيره وأعطاه هويته هو الله الواحد الأحد .

الله يأمرنا أن ننظر ونتفكر في اياته واختلاف خلقه :

يقول الله تعالى(**قل انظروا ماذا في السموات والأرض**) يونس/ ١٠١ ويقول أيضا (**أولم ينظروا**) الأعراف/ ١٨٥(**أفلم ينظروا**) ق/٦ .

ان في القران الكريم آيات كثيرة تحثنا على أن نتفكر في ايات الله واختلاف خلقه : يقول الله جل شأنه (**أن في السموات والأرض لايات للمؤمنين**) الجاثية/٢ ، ويقول أيضا (**وفي الأرض آيات للموقنين . وفي أنفسكم أفلا تبصرون**) الذاريات /٢٠/ ٢١ .

ان هذا الأمر الكريم جاء رحمة من الله لكل الناس ليأخذ بأيديهم الى بر الأمان حينما يضع أقدامهم على طريق الايمان ، لم لا ؟ وهذا النظر العميق في خلق الله ما هو الا ذكر لله كما نستنبط من الآية الكريمة(**الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري**)الكهف/ ١٠١ . وما ذكر الله الا عبادة ، وما العبادات الا ذكر لله تعالى .

اختلاف الألوان في هذا الكون آية كبرى :

يقول الله تعالى(**وما ذرأ لكم في الأرض مختلفا ألوانه إن في ذلك لآية لقوم يذكرون**)النحل/١٣

لكي تتحس عيناك عظمة تلك الآية يجب عليك أن تتدبرها حتى تزداد احساسا بنعمة تلك الألوان ثم تستحسنها استحسانا ، واذا اردت برهانا على هذا تخيل انك في دنيا شفافة قد خلعت عنها ثوب الألوان ما عدا اللون الأسود أو اللون الأبيض كي يتسنى لك رؤية ما فيها فان لم تستطع الى ذلك سبيلا فما عليك الا أن تذهب الى جهاز تليفزيون(أبيض وأسود) ثم اضغط على أحد ازراره فانك ستشاهد ما سوف تشاهد .

ثم تخيل بعد ذلك تلك الاشجار من خلفك وتلك الازهار من حولك ، وهذا النبات في حقله كله اسود ... اسود ... اسود ، ترى ماذا سيكون اثر ذلك في نفسك ؟

ثم تصور نفسك في بيتك هذا ابنك قادم نحوك يحمل تفاحة سوداء تبدو بجوارها برتقالة من نفس اللون ، وهذى بنتك تلعب بتلك الرمانة السوداء التي وقعت في طبق فوقه بعض من حبات ارز أسود ، فهل لك بعد ذلك خيار في أن تسكت ؟

أو تقول : ان تلك الحياة ستكون مقبضة بل وتثير الشجون في كل حين .

وهل لك أيضا أن تتخيل أنك لن ترى هذا البلح الأحمر ، أوذاك الاصفر فى جوافة يانعة ، أوذاك البنفسجي في باذنجانة لامعة ، أوذاك الاخضر في خيارة ناضجة ، أو هذا الابيض في ياسمينة مشرقة .

○ اختلاف ألوان الزرع اية :

يقول الله تعالى (**ألم تر أن الله انزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الارض ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه**) الزمر/ ٢١ ، انك إن شاهدت جنة أو بستانا أو مشيت في حقل أو في حديقة أو زرت قرية أو مكثت في مكان به زرع ، اذن لوجدت قدرة الله تنطق ببديع صنعته وعظيم ابداعه ، فهذا زرع يميل الى البياض وهذا اخر أحمر وهذا اخضر ، بل إن تعمقت اكثر ودققت اكثر وجدت أن هذا الاخضر لن تستطيع ان تحصيه من حيث درجات هذا الاخضرار .
وياليت كل انسان يتذكر ربه حينما يقف أمام زهرة مذهولا بحسنها مبهورا بجمالها ، لأن اوراقها جمعت اكثر من لون : تعجز أية ريشة فنان مهما كان أن ترسم مثلها ، أو أي كائن ما كان أن يحاكيها ... اللهم الا ان يتغزل بها .

○ اختلاف لون عسل النحل آية :

يقول الله تعالى (**يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه**)النحل/ ٦٩ .
رغم أن عسل النحل يخرج من بطون تلك الحشرة الواحدة الذي اقترن اسمها به الا أن ألوانه تختلف حسب البيئة التي يعيش فيها ، حتى أننا نرى هذه النحلة التي تنتج عسلا أبيض في فصل الشتاء ، تفرز عسلا يميل الى الاحمرار في فصل الربيع ذلك لأنها امتصت رحيقا يختلف في كل مرة عن غيره ، الا أننا نكاد نرى معظمه يميل الى اللون الأبيض في أغلب الأوقات وغالبا في كل مكان ، لهذا السبب كان اكتساب اسمه الشائع به بين الناس .

اختلاف ألوان الجبال والبشر والحيوانات آيات :

يقول الله تعالى (**ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود . ومن الناس والدواب والانعام مختلف ألوانه**) فاطر /٢٧ ، ٢٨ .
اننا اذا تدبرنا هذه الكلمات المباركة وجدنا اية اختلاف ألوان الجبال قد جاء بعدها مباشرة اية اختلاف ألوان الناس نظرا لوجود علاقة وثيقة قوية بين التكوين

الأساسي للجبال وبين خلق الانسان من تراب .
اننا اذا تفكرنا كيف انحدر هؤلاء الناس جميعا من أب واحد ذي بشرة واحدة ومن أم واحدة خلقت في البداية من ذلك الأب فسنجد أنفسنا تائهين مبهورين حينما نتساءل كيف اكتسب هؤلاء الاحفاد وأحفاد الاحفاد هذه الألوان كلها ؟...

أليست هذه قدرة ما بعدها قدرة ؟ يا من تقولون ان جميع الصفات التي يكتسبها الأبناء من الاباء تنتقل بواسطة الكروموزومات التي يحملها ذلك الحيوان المنوي في رأسه او في تلك النواة بهذه البويضة التي تقذف بها مبايض الأنثى ، هل كان في نطف ادم كل هذه الألوان ؟

○ اختلاف الشعوب آية :

يقول الله تعالى في كتابه الكريم (**انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل**) الحجرات/ ١٣ ، (**ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين**)هود/ ١١٨ .
لقد شاءت ارادة الله وحكمته أن تكون هناك دول وشعوب قائمة كل بذاتها ، لقد بدأت تلك التجمعات الشعوبية بالتآلف القبائلي الذي ولد الانتماء للجماعة والأرض نتيجة لصلة القرابة ووحدة المصير والعيش في مكان واحد .
وبالرغم من ان هذه الدول والشعوب يمثل كل واحد منها مجتمعا يتميز ويختلف عن غيره فانه يظل مجبرا لاقامة علاقات مع غيره من الشعوب الأخرى لأنه لا يستطيع أن يعزل نفسه في قوقعة ساكنة أو في شرنقة مسكونة كأنها قبر يضم بين خيوطه أحياء أحبوا السكون والوحدة .

○ اختلاف لغات البشر اية :

يقول الله عز وجل (**ومن اياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم والوانكم**) الروم/ ٢٢ .
وكما أن اختلاف الوان البشر الذين انحدروا من صلب آدم اية ، كذلك كان اختلاف السنتهم اية أخرى ارتبطت بتلك الآية الأولى التي وردت في كتاب الله الحكيم بعدها مباشرة .
ان هؤلاء البشر جميعا لا يتفاهمون فيما بينهم بلغة واحدة مشتركة رغم أن ادم عليه السلام كان صاحب لسان واحد وبيان لم يتغير ، انك تراهم قد اختلفوا في لغاتهم حسب مواقعهم الجغرافية ، فلو تفكرت كثيرا او قليلا لوجدت كل لغة كافية للتعبير عما يحيط بقائليها ، كما انها قادرة على تصوير ما يدور بالأذهان من أحاسيس وأفكار .
انك ستنبهر حقا اذا علمت حقيقة العدد الذي يمثل تلك اللغات التي تنتشر في هذا العالم ، وستنبهر أكثر اذا بحثت عن أصلها أو كيف نشأت ؟

اننا لن نجد من يدلنا كيف ترك الاحفاد لغة ادم ثم اصبحوا يتكلمون لغة اخرى لها مصطلحاتها التي تميزها عن غيرها وقواعدها التي تنفرد بها ، بل وورنقها وجمالها الذي لا يستطيع أن يتذوقه احد مثل من يتكلمون بها .
ان انتقال اللغة من الآباء الى الابناء لا تولد مع كل طفل ، وهذا ما يزيد ايماننا بقدرة الله تعالى لأن سلسلة تعليم اللغة لاتنقطع أبدا ، فهذه الأم تبدأ بتعليم وليدها طريقة نطق أسماء الاشياء من حوله امتدادا لتعليم الرب لآدم عليه السلام الاسماء (وعلم ادم الاسماء كلها) البقرة/٣١

لهذا كان اختلاف ألسنة الناس آية تدل على قدرة الله جل علاه .

○ اختلاف بصمات الانسان آية :

يقول الله تعالى (**أيحسب الانسان ألن نجمع عظامه ، بلى قادرين على أن نسوى بنانه**) القيامة٣ ،٤
حقا ان الاية السابقة تعتبر اعجازا علميا لم يتوصل الانسان الى معرفة مدلوله ومغزاه الا منذ زمن ليس ببعيد ، ان هذه الكلمات الطاهرة لم تأت لتبين اختلاف تلك الأصابع التي لا يتشابه فيها اثنان حتى في هذه اليد الواحدة ، بل جاءت لتقرر أن البصمات التي فيها تختلف عن غيرها .
ان لكل أنسان بصمات في انامله تميزه عن غيره من نفس جنسه ، بل ان كل عقلة في نفس الاصبع تختلف عن العقلة التي تعلوها أو تقع أسفل منها بالرغم من أن كل الأصابع يتدفق اليها دم واحد من نبضات قلب واحد ، بل انها جميعا تحس باحساس واحد وتغور في اطرافها خيوط عصبية متماثلة .
فكيف لهذا المتشكك بعد ذلك نراه عاجزا لا يرى عظمة الله في تلك الاية انه وعد أن يعيد كل انسان بعد موته حسب حالته التي كان عليها في الحياة الدنيا حتى تلك التعاريج التي رسخت في جلد كفيه واصابعه ، لقد هدى الله الناس فسجلوا تلك البصمات فوق صفحات وبطاقات تدل على هويتهم حتى يشهدوا بسابق جحودهم .
ياله من اله عظيم حقا ذلك الذي جعل بقدرته لكل انسان بصماته التي لا تشابهها بصمة اخرى حتى في تلك التوائم .

○ اختلاف الصفات التى يحملها المنى والبويضة آية :

يقول الله تعالى (**انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج**)الانسان/٢
ان معظم الصفات التي تظهر في ذلك المولود ، يقابلها في نفس الوقت بذلك المولود نفسه صفات اخرى تختلف عنها بل تراها على النقيض منها لأنها تعتبر عكسها تماما ، لكنها تنحت واختفت وتقوقعت في تلك الجينات كي تظل قابعة فيها كي تنتقل للأبناء أو الأحفاد .

ورغم اختلاف وكثرة هذه الصفات وتعددها في تلك الجينات التي تتحكم في اظهارها مع كل لحظة في نمو الجنين الا انها لا تتشابه لدى انسان وآخر حتى بين هذين الاخوين التوأمين اذ انه يوجد بعض الاختلافات .

○ اختلاف الأطعمة آية :

يقول الله تعالى (**واذ قلتم ياموسى لن نصبر على طعام واحد**) البقرة/ ٦١ ، (**فلينظر أيها أزكى طعاما**) الكهف/ ١٩ .
حقا ان في اختلاف الأطعمة آية كبرى تنطق بقدرته وتدل على أنه قد نوع بحكمته أصناف هذا الطعام كي تتفق مع مختلف الأمزجة حسب اختلاف أنواع البشر نتيجة لعدم تماثلهم في الألوان والأشكال والطباع ، لهذا خلق الله الأطعمة وعددها ولم يخلقها طعاما واحدا فنوعها من حيث الشكل والطعم والرائحة حتى في الصنف الواحد .
فهذا البرتقال البلدي وهذا ما يسمى (بأبو سرة) وهذا السكري وهذا الصيفي .
كما تختلف الأطعمة من حيث مكوناتها سواء تلك المعادن أو البروتينات او السكريات أو الدهنيات أو الاحماض أو القلويات أو من حيث اختلاف وتعدد الفيتامينات .
وكما اختلفت الأطعمة فقد اختلفت أيضا مصادرها التي خلقها الله : فهذه الأرض التي أنبتت نباتا شتى ، وتلك البحار التي نصيد منها أسماكا لا تحصى ، وتلك الحيوانات والطيور التي نأكل لحمها وبيضها أكلا .

○ اختلاف طعم الثمار رغم تجاور اشجاره آية :

يقول الله تعالى (**وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل**) الرعد/ ٤ ، (**والنخل والزرع مختلفا أكله**) الانعام/ ١٤١ .
فلو دخلنا يوما بستانا يسقى بماء واحد ، ثم التقطنا من شجرتين متجاورتين فيه ثمرتين من نفس الصنف ، فماذا سنتذوق ؟
إننا سنجد واحدة أحلى من الاخرى حتى ثمار تلك الشجرة الواحدة سنجد أيضا مثل ذلك التفضيل أو ذاك الفرق ،ولعل هذا راجع الى اختلاف الوقت الذي ظهرت فيه كل زهرة سبقت تكوين الثمرة ، كذلك تلعب اختلافات رائحة كل فاكهة ــ وجميعها طيبة زكية تهفو لها كل نفس ــ دورا كبيرا في هذا التفضيل .
واذا زرنا يوما حقلا ثم رأينا فيه شجرة حنظل وشجرة فلفل وشجرة شطة وشجرة صبر وشجرة مر وشجرة موز وشجرة تفاح ، ثم تذوقنا ثمر تلك الأشجار(ثم شممناه) ثم نظرنا اليه كذلك (**انظروا الى ثمره اذا أثمر وينعه**) الانعام/ ٩٩ .
حينئذ سنتفكر في هذا الماء الواحد وهذا الطين الواحد وهذا الهواء الواحد وهذا

الصنف الواحد ثم ذلك الاختلاف في الطعم .

○ اختلاف الليل والنهار آية :

يقول الله تعالى (**ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات**) ال عمران/ ١٩٠ ، (**ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض لآيات**) يونس/ ٦ .
لقد جاء ذكر هذه الاية في القران في اكثر من آية ، لأن التأمل فيها يحتاج الى وقت اطول ، وادراك أعظم ، وعلم أكثر ، وحضور تام ، وذكر لله رب الأنام .
فهل لك أن تتخيل هذا الليل السرمدي على وجه تلك الارض ؟ فلا ترى فوقها شمسا ولا نورا ولا دفئا ، وهل لك أيضا أن تتخيل هذا النهار السرمدي الذي يملأ الدنيا ؟ فلا تجد سكونا ولا سكينة فالكون كله يعج بالحركة والارهاق والالام فلا نوم الا قليلا وان تم فكيف تكون فيه الراحة والجسد يتلظى تحت وهج الشمس وسياطها مهما كان هناك ظل .
كما ان اية اختلاف الليل والنهار لا تنحصر في هذا المفهوم فقط بل تتعداه الى هذا الاختلاف في طول النهار وطول الليل بين قصر وطول يتدرج تبعا لاختلاف فصول السنة (الشتاء والصيف والربيع والخريف) .

○ اختلاف صور خلق الله لا تحصى ولا تعد :

ان عظمة الله لا يستطيع أي فكر مهما أوتى من قوة أو رجاحة أن يحيط بها ولا يستطيع أي قلم أن يسجلها لأنها لا تعد ولا تحصى ، لأن كل واحدة منها تمثل كلمة في كتاب الله المنظور تشهد بوجوده وعظمته وقدرته ووحدانيته جل علاه ، وفي هذا المقام دعنا نسبح معا بعض الوقت في أنوار عظمة الله بين بعض آياته : يقول الله تعالى (**الحمد لله فاطر السموات والارض جاعل الملائكة رسلا أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء**) أول سورة فاطر .
ويقول جل شأنه (**وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج**) فاطر/ ١٢ .
ويقول عز وجل (**الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة**) الروم/ ٥٤ .
ويقول أيضا (**فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها**) فصلت/ ١٢ .
ويقول أيضا (**الم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الارض ثم يخرج به زرعا مختلفاألوانه**) الزمر/ ٢١ .
فسبحان الله قيوم السموات ... قيوم الارض الذي تجلت قدرته في كل شيء ، سبحانه الذي اذا قال للشيء كن فيكون .

رعاية المسنين

من وجهتي النظر

لا شك في أن المجتمع يدين بالولاء للمسنين الذين ادوا دورا فعالا في اعداد الاطفال والشباب وتحملوا الكثير من المشاق وضحوا بكل رخيص وثمين في سبيل توفير السعادة للنشء ولم يدخروا جهدا في نقل خبراتهم الى الاجيال اللاحقة عليهم . والذين تلقوا منهم العون واستمدوا منهم الثقافة والقيم ونقلوا عنهم التراث . فاصبح من الانصاف ان يغدق المجتمع عليهم اهتمامه في فترة الضعف والشيخوخة وان يراعى التغيرات التي تحدث لهم نتيجة التقدم في السن حيث يعتريهم الوهن والضعف وتصاب اعضاء الجسم واجهزته وغدده بالخمول والكسل مما يؤثر على وظائفها ويصبحون في حاجة الى رعاية المجتمع لهم في هذه الفترة الحرجة من العمر حيث تقل قوة التحمل عندهم فيغضبون لاتفه الاسباب ويصابون بالاكتئاب بين حين واخر ويعتريهم احساس بالملل .ولم يدع الدين الاسلامي السمح جانب الرعاية بالمسنين دون أن يتعرض له بل لقد أولاهم أجل اهتمامه فقال تعالى « (وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر احدهما أو كلا هما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما

الإسلامية والسيكولوجية

للأستاذ / محمد محمد عيسوى الفيومي

قولا كريما . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا)» « الاسراء ٢٣ ، ٢٤ » وهي دعوة تحرص اشد الحرص على توفير العناية والرعاية لكبار السن وتحثنا على ان نتجنب الالفاظ التي تسبب لهم آلاما نفسية وان نحاول ادخال السرور على نفوسهم وان نحسن معاملتهم ونكثر من الدعاء لهم لان الاسلام يدرك أنهم في هذه المرحلة يحتاجون الى القول اللين والوجوه الباسمة لما لذلك من اثر طيب على نفوسهم فيشعرون بالرضا والسعادة ، بل لقد جعل الاسلام هذه الرعاية مقرونة بعبادة الله عز وجل ، ولاسيما أن المنهج الاسلامي يحتوي في ثناياه على مبادىء الذوق الرفيع ويصون الحقوق ويدعو للرحمة والالفة والمحبة والتضامن والتكافل فلم يدع كتاب الله أمرا يهم المؤمنين الا وبينه مصداقا لقوله تعالى«**ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين** »

(النحل ٨٩) والرسول صلى الله عليه وسلم حريص على ما يحقق الامن والسعادة لأمته فجاء في القران الكريم قوله تعالى(**لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم**) «

التوبة ١٢٨ » وهو ما يوضح بجلاء الى أي مدى يحرص الرسول صلى الله عليه وسلم على تحقيق التوافق والبر والرحمة بين افراد أمته ليعلو ويرتفع شأنها ، ولقد دعا الرسول صلى الله عليه وسلم الى أن نحسن معاملة المسنين وأن نوقرهم فجاء في الحديث الشريف عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضى الله عنهم قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم(**ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا**)حديث صحيح رواه أبو داود والترمذي وهي بلا شك دعوة تتجلى فيها روح الادب والوقار ونبل الخلق وتنظيم العلاقة بين الكبير والصغير .

وفي حديث اخر عن أنس رضى الله عنه قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم(**ما أكرم شاب شيخا لسنه الا قيض الله له من يكرمه عند سنه**) رواه الترمذي . لأن الاسلام يحفظ الحقوق ويقدر دور المسنين والاباء في عطائهم فأوجب على المجتمع توفير الرعاية لهم في فترة ضعفهم .

ولقد كان ابو بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما يستنيران برأي الشيوخ حين تختلط الامور عليهما لثقتهما في خبرة الشيوخ . كما كان ابو بكر مثالا للابن البار فلم يجلس وأبوه واقف قط بل كان يوقره ويحسن معاملته ، ورعاية المسنين تعتبر حقا مكفولا لهم ولم يغفله المشرع كما أنه في عنق الشباب والمجتمع حق ودين ينبغي على الشباب والمجتمع الوفاء به ولقد تضمن قانون الاحوال الشخصية في معظم المجتمعات المتقدمة بعض الحقوق للشيوخ وأوجب على الأبناء والشباب الالتزام بها . ولان الاسلام يجمع بين الجوانب الاجتماعية والاخلاقية فان رعاية المسنين تعد عملا انسانيا نبيلا لأنه من غير المعقول أن يهمل المجتمع طائفة من الناس قدمت له الكثير في شبابها وعندما يعتريها الضعف يتخلى عنها . أما الجانب السيكلوجى فلا يقل أهمية عن بقية الجوانب الاخرى ولا بد من التعرف على بعض التغيرات التي تحدث لكبار السن وذلك لأنه عندما يتقدم الفرد في الحياة تواجهه كثير من المشكلات ويصبح كبير السن كما كان طفلا يعتمد على الاخرين اقتصاديا واجتماعيا وفيزيقيا .

ان الأبناء يكبرون ويعيشون بعيدا عن ابائهم الذين يشعرون بالوحدة وبعدم الأمان ، وبعدم الرغبة فيهم وتضعف حياتهم الجنسية مما يزيد في شعورهم بالوحدة وعدم المواءمة وبالنسبة للرجال تمثل الاحالة على المعاش عبئا جديدا ، لذا ينبغي دراسة اثر الاحالة على المعاش حتى يمكن تقديم المساعدات للمحال لاعادة تكيفه ، يضاف الى ذلك فقدان أحد الطرفين الزوج أو الزوجة للاخر الى جانب الضعف الجسدي والأمراض المزمنة والمتاعب النفسية الناتجة عن تغير مفهوم الذات بالتقدم في السن ، يضاف الى ذلك ما يعرف بذهان الشيخوخة والجدير بالذكر ان ذهان الشيخوخة يرجع للضغوط النفسية أكثر مما يرجع لتدهور المخ ويمكن أن

يشفى فيه المريض اذا شعر أنه مطلوب ومرغوب فيه والمعروف أن عدد كبار السن يتزايد في العصر الحديث نتيجة تقدم العلوم الطبية وارتفاع مستوى المعيشة ولذلك ينبغي أن توجه العناية المهنية والصحية والاجتماعية لمشاكل هذا القطاع الكبير من أبناء المجتمع .

ولقد نجحت العلوم الطبيعية في اطالة عمر الانسان وينبغي على العلوم الانسانية أن تجعل هذا العمر سعيدا .

ان كبار السن يحتاجون الى الشعور بالرضا والأمان والانتماء والمواءمة وبالحب والتعاطف وبالتقدير والاحترام وبأنهم يستطيعون أن يزاولوا أعمالهم . ومن دواعي الاهتمام بكبار السن أنه قد تلاحظ أن كبار السن هم الذين يتولون قيادة البلاد بما لديهم من خبرة وحنكة . كما أن الاهتمام بكبار السن يعتبر مؤشرا من مؤشرات التقدم ذلك لان الاهتمام بهم يعد جانبا من الرعاية بالثروة البشرية التي هي أفضل من الثروات المعدنية ولقد حظيت فئات العمر المختلفة بالاهتمام كمراحل الطفولة المختلفة ومرحلة المراهقة ومرحلة الشباب وينبغي أن تنال مراحل السن المتأخرة نفس الاهتمام ذلك لأن لكل مرحلة متطلباتها وخصائصها التي ينبغي التعرف عليها وسبر أغوارها .

وتختلف مرحلة الشيخوخة من فرد لاخر حسب ما يعترى الفرد من تغييرات ولكن في الغالب تتغير الوظائف الجسمية للمسنين ويعتريها الضعف والوهن وتتغير أساليب تكيفهم وسمات شخصياتهم واتجاهاتهم وقدراتهم على التفكير والادراك والاستدلال والاحساس ، بل قد تتغير نظرتهم للأشياء وحكمهم عليها وتتغير القيم لديهم نتيجة لأن بعض خلايا الجسم والمخ يصيبها العجز وتموت كما يموت الزرع وبذلك يلزم اعادة تدريب كبار السن على بعض المهارات والاعمال التي تتناسب مع قدراتهم وامكانياتهم الحالية تعويضا عما لحق بهم من ضعف ولقد أولت بعض المجتمعات المتقدمة عناية خاصة لهذه المرحلة فصدرت مجلة للمسنين سنة ١٩٤٥ عن طريق جمعية المسنين في الولايات المتحدة الامريكية وتتلخص رسالتها في الاهتمام بكافة شئون المسنين وأحوالهم وبحث مشاكلهم والعمل على علاجها وتقديم المساعدات لهم حتى لا يشعروا بالعزلة وفي اوربا صدرت أول دورية عن المسنين سنة ١٩٥٦ احتوت الكثير من شئون المسنين وأنشئت جمعية دولية للمسنين وتعقد المؤتمرات لبحث ما يهم كبار السن كما ينبغي انشاء دار لرعاية المسنين في كل مدينة تكون مهمتها العمل على الاستفادة من خبراتهم ورعايتهم صحيا ونفسيا واجتماعيا عسى أن يعوضهم المجتمع عن بعض ما قدموه فى مراحل حياتهم المختلفة لمجتمعهم ولا متهم تقديرا وعرفانا لهم وامتدادا للحضارة الاسلامية وتمشيا مع سماحة الاسلام التي تهدف الى تحقيق السعادة للبشرية جمعاء .

وقفة تأمل

العيد

○ قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « للصائم فرحتان يفرحهما ، اذا افطر فرح بفطره ، واذا لقى ربه فرح بصومه » .

○ وبعد ان انعم الله علينا بنعمة التوفيق للصيام ، فانا نرجو ان يتقبله الله ، ويثيبنا بفضله .. فانه القائل في حديث قدسي : « كل عمل ابن آدم له الا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به » .

○ واليوم يعيش المسلمون فرحهم بعيد الفطر ، فقد أدوا واجب الطاعة لله سبحانه ، ليعودوا من جديد الى سابق عهدهم .. فيمارسوا حياتهم المعتادة في ظل ما أحل الله .

○ واذا كانت أعياد المسلمين مرتبطة بعبادتهم .. فإنها أعياد تدعو الى فعل الخير ، وهي مهرجان يشارك فيه الكبير والصغير ، ترتسم فيه البسمة على الشفاه ، وتشيع المودة بين الناس ، وتنتفي مظاهر الشقاء والبؤس ، فالكل يشعر بفرحة العيد .. وكيف لا ، وأول ما فعله المسلمون في يوم عيدهم هو التجمع الاسلامي في رحاب الطاعة ، لاداء صلاة العيد في جماعة ، وشعارهم المتصاعد الى السماء .. الله أكبر .. الله أكبر .. الله أكبر كبيرا والحمدلله كثيرا ، وسبحان الله بكرة واصيلا .

○ وكان رمضان ميدان طاعة تتطلب الصبر ، ووعاء انتصارات : صبر المسلمون كثيرا وتحملوا من اجل تحقيقها ، ونصرهم الله . وبذلك كان الاحتفال بعيد الفطر ذا معنى ، ومكانة ، ودليل عز ومجد .

○ اما اليوم .. فقاتل الله اولئك الذين اغتالوا البسمة على الشفاه ، واقتلعوا الفرحة من القلوب ، وكيف تتسنى لنا الفرحة ، والأطفال يذبحون في لبنان ، والنساء تبقر بطونهن ، والشيوخ يشردون ، وتمتهن كرامتهم ، والابطال عاشوا الحصار ، وقدموا الشهداء ، وصبروا على البلاء .

○ والزعماء يشجبون .. ويحتجون . ويشتكون لشعوبهم مما فعل عدوهم !! وماذا تصنع الشعوب .. وهي لا تملك من امرها شيئا .. عجيب ان يشتكي الحاكم لشعبه .

○ كيف لنا ان نفرح .. وحالتنا تمزق في الداخل والخارج .. وكلما هدأت فتنة ، بدأت اخرى ..

○ وفي ظل هذا الوضع .. هل ندعو الى لف اعيادنا بالوشاح الأسود ؟ لا .. اننا ندعو برغم الوضع الراهن ان نواسي اليتيم ، ونمسح على رأسه ، وان نخفف عن الفقير ، وان نشد من أزر الضعيف ، وان نعمل على تغيير ما نحن فيه .. حتى يغير الله حالنا الى احسن حال .. وبذلك يكون للعيد معنى .

○ والمستقبل للاسلام ، والأمل في الغد عريض .. فقط علينا ان نقف وقفة تأمل في واقعنا حتى نلمس مواطن الداء .. وهي مستفحلة ومتورمة ، ونصف العلاج .. وهو في اتباع الدين ..

ويومها يتحقق لنا النصر ، ويفرح المسلمون .



في إثبات النسب

للدكتور / محمد الزحيلي

عرف العرب في الجاهلية بعض العلوم التي كانت تعتمد عليها، وتستفيد منها، وتلعب دورا بارزا في حياتها، وجاء الدين الحنيف فأقر بعض هذه العلوم وعمل بها، ومن ذلك القيافة.

وكانت العرب تحكم بالقيافة، وتفخر بها، وتعدها من اشرف علومها.

تعريف القيافة لغة :

القيافة لغة: هي معرفة الآثار والقائف هو الذي يتتبع الآثار ويعرفها، ويعرف شبه الرجل بأخيه وأبيه ويقال: هو قائف، وهو أقوف الناس، والقيافة مصدر.

أنواع القيافة :

والقيافة نوعان: قيافة الأثر وهي العيافة، وقيافة البشر. اما قيافة الأثر فهي تتبع آثار الأقدام والأخفاف والحوافر في الطرق التي تتشكل بشكل القدم والخف والحافر التي تقع عليها

لملاحقة الهراب من الناس ، والضوال من الحيوان ، اعتمادا على قوة الباصرة وقوة الخيال والحافظة حتى قيل : ان العالم بها يفرق بين اثر قدم الرجل واثر قدم المرأة وبين اثر قدم الشيخ والشاب .

وأما قيافة البشر ، فهو علم يبحث عن كيفية الاستدلال بهيئات الأعضاء في الانسان على الاشتراك بينها في النسب والولاء ، وفي سائر الاخلاق والأحوال ، واذا اطلقت القيافة فيراد منها هذا النوع ، وسمي هذا النوع بقيافة البشر لكون صاحبه يتتبع بشرات الانسان وجلوده ، وما يتبع ذلك من هيئات سائر الأعضاء ، خصوصا الأقدام .

ويلحق بهذين العلمين علم السيافة ويقال ان علوم العرب ثلاثة : السيافة والعيافة والقيافة والسيافة هي معرفة الماء من الأرض ، بوساطة الأمارات الدالة على وجود الماء ، وذلك بشم رائحة التراب ورؤية نباته ، ومراقبة تحركات الحيوان فيه ، فيعرف المختص به أن الماء قريب او بعيد ، اعتمادا على حس كامل وتخيل قوي وخبرة بخواص الأرضين ومعرفة تربتها بالوانها وخواصها وتسمى السيافة ايضا علم الريافة أي استنباط المياه .

وتبنى القيافة على وجود المناسبة والمشابهة بين الولد ووالديه ، وقد تكون هذه المناسبة في امور ظاهرة يدركها كل إنسان ، وقد تكون في امور خفية لا يدركها الا اصحاب الاختصاص والمعرفة ،وتكون باعتبار شبه خاص ، واوصاف معينة يعرفها القائف ، ويعتمد في المشابهة على قوة البصر وقوة الحافظة،ومن هنا يختلف الناس فيها كمالا وضعفا ، وقد يصل الى القمة اذا لم يشتبه على القائف شيء أصلا ، ولذلك حصرها بعض العلماء في العرب عامة ، وفي بني مدلج وبني لهب خاصة ، وانها نوع من الفراسة التي تعتبر من الغرائز الطبيعية التي يعان عليها المجبول ويعجز عنها المصروف،وقال بعض العلماء : « لا يمكن تحصيل هذا العلم وكسبه وتعليمه ، بل هو متوارث في اعراق مخصوصة من العرب لا يشاركهم فيه غيرهم » ، وقال بعض الفقهاء : يشترط في القائف أن يكون مدلجيا حرا ذكرا ولكن الأصح عند الفقهاء انه لا يشترط ان يكون مدلجيا .

تعريف القيافة عند الفقهاء :

عرف الفقهاء القيافة اصطلاحا بأنها : إلحاق الولد باصوله لوجود الشبه بينه وبينهم ، والقائف هو الذي يعرف النسب بفراسته ونظره الى اعضاء المولود ، وقال ابن دقيق العيد : القيافة هي اعتبار الأشباه لالحاق الأنساب ، وهكذا نلاحظ ان الفقهاء خصوا القيافة بمعرفة النسب عند الاشتباه ، وانها وسيلة من وسائل الاثبات أمام القاضي لالحاق

الأنساب بأهلها في احوال خاصة ومجالات معينة كما سنرى .

مشروعية الاثبات بالقيافة :

اختلف الفقهاء في مشروعية الاثبات بالقيافة على قولين :

القول الاول : أن العمل بالقيافة في معرفة النسب مشروع ويجوز العمل بها في ثبوت النسب والاستلحاق بناء على العلامات والامارات التي يعرفها القائف ، وهو قول الأئمة الثلاثة مالك والشافعي واحمد ، وهذا مروي عن عدد كبير من الصحابة والتابعين كعمر وعلي وابن عباس وابي موسى الاشعري وانس وكعب بن سور وعطاء والزهري وإياس والليث واسحاق وابي ثور ، وهو مذهب الظاهرية .

القول الثاني : أن العمل بالقيافة في معرفة النسب غير مشروع ولا يجوز العمل بها في ثبوت النسب ، وهو مذهب الحنفية والزيدية والامامية .

ادلة القول الأول : استدل القائلون بمشروعية القيافة بالسنة والاجماع نذكر اهمها باختصار .

١ - اخرج البخاري ومسلم واصحاب السنن واحمد والبيهقي (واللفظ لمسلم) عن عائشة رضي الله عنها انها قالت : « دخل عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم مسرورا فقال : يا عائشة الم تري ان مجزرا المدلجي دخل عليّ ، فرأى أسامة وزيدا وعليهما قطيفة قد غطيا رؤوسهما وبدت اقدامهما فقال : إن هذه الاقدام بعضها من بعض » .

والاستدلال بالحديث واضح وهو أن سرور النبي صلى الله عليه وسلم بقول مجزز تقرير لعمل القافة في الشبه الخاص ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم لا يسر إلا بالحق ولو كانت القيافة باطلة لما سرّ بها ، وهذا دليل صحيح وصريح على مشروعية القيافة في إلحاق النسب ، قال الشافعي : ولو لم يكن في القيافة إلا هذا الحديث أقنع ان يكون فيه دلالة على أنه علم ولو لم يكن علماً لقال له لا تقل هذا لأنك إن أصبت في شيء لم آمن عليك ان تخطىء في غيره ، وقال ايضا : فلو لم يعتبر قوله لمنعه من المجازفة وهو صلى الله عليه وسلم لا يقر على خطأ ولا يسر إلا بالحق .

قال الخطابي : فيه دليل على ثبوت أمر القافة وصحة لقولهم في إلحاق الولد ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يظهر السرور الا بما هو حق عنده ، وكان الناس قد ارتابوا بأمر زيد بن حارثة وابنه ، وكان زيد ابيض ، وجاء اسامة اسود .

٢ - اخرج مسلم والبيهقي ان عائشة رضي الله عنها سألت النبي صلى الله عليه وسلم « أو تحتم المرأة ؟ فقال صلى الله عليه وسلم فيم يكون الشبه ؟ او مم يكون الشبه ؟ وقال : إن ماء الرجل اذا سبق ماء المرأة كان الشبه له، واذا سبق ماؤها ماءه كان الشبه لها » .

فالرسول عليه الصلاة والسلام اعتبر الشبه وبين سببه ، ويلزم منه اقرار

الشبه في الحاق النسب لأن المني يوجب الشبه فيكون دليل النسب وهذا هو معتمد القائف في قيافته .

٣ ـ اخرج البخاري ومسلم والحاكم والبيهقي واصحاب السنن إلا الترمذي عن أنس بن مالك قال : ان هلال بن أمية قذف امرأته بشريك بن سمحاء ، وكان اخا للبراء بن مالك لأمه ، وكان اول رجل لاعن في الاسلام ، قال : فلاعنها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ابعدوها ، فان جاءت به ابيض ، سبطا ، قضيء العينين فهو لهلال بن أمية ، وإن جاءت به أكحل جعدا ، حمش الساقين ، فهو لشريك » .

وهذا الحديث ظاهر الدلالة على اعتبار القرائن والأخذ بها ، فقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم الشبه في اوصاف معينة ، وجعلها قرينة على النسب ، وأقام حكمه على إلحاق الولد على الشبه والأوصاف ، والشبه هو عين عمل القافة ، لأن القائف يتبع أثر الشبه ، والشبه قرينة وأمارة وعلامة على النسب .

٤ ـ اشتهر العمل بالقيافة عن عمر وعلي رضي الله عنهما ، ولم ينكر عليهما احد من المسلمين فكان إجماعا فقد استدعى عمر رضي الله عنه قائفا في ولد امرأة وطئها رجلان في طهر ، وكذلك ورد عن علي رضي الله عنه وكثير من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين .

٥ ـ أن اثبات النسب بالقيافة يستند الى رأي راجح وظن غالب ، وامارة ظاهرة بقول اهل الخبرة فقبوله أولى والعقل يرجح قبول الولد لمن اشبهه الشبه البين ، والشارع متشوف الى اتصال الانساب وحفظها والنسب فيه حق الله تعالى وحق الولد وحق الأب ، وتترتب على النسب أحكام كثيرة للأب والابن في الميراث والنفقة والحرمة وغيرها ، لذلك أجاز الشارع اثباته بطرق كثيرة كالقيافة وشهادة النساء في الولادة وينحصر اعتبار الشبه واثبات النسب بالقيافة اذا لم يعارضه سبب أقوى منه .

•أدلة القول الثاني•

استدل اصحاب القول الثاني على عدم مشروعية القيافة بعدة ادلة ، اهمها :

١ ـ أخرج البخاري ومسلم ومالك والشافعي واصحاب السنن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الولد للفراش » ، وهذا يدل على ان طريق ثبوت النسب هو الفراش لا غير ، ويستفاد هذا الاختصاص من الاسناد والتعريف في الحديث فلا تقبل القيافة في اثبات النسب .

٢ ـ اخرج البخاري ومسلم وابو داود والنسائي عن ابي هريرة رضي الله عنه أن رجلا من فزارة اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إن امرأتي ولدت غلاما اسود ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم :« هل لك من إبل ؟ قال نعم ، قال : فما ألوانها ؟ قال : حمر ، قال : هل فيها من أورق ؟ قال : إن فيها لورقا ، قال : فأنى أتاها ذلك ؟

قال : عسى أن يكون نزعه عرق ، قال : وهذا عسى أن يكون نزعه عرق » ففي هذا الحديث أبطل الرسول صلى الله عليه وسلم الشبه الذي يعتبره القائف في نظره ، واعتبره لاغيا .

٣ ـ كتب عمر رضي الله عنه لشريح في رجلين وطئا جارية : « هو ابنهما يرثانه ويرثهما » ، وكان ذلك بمحضر من الصحابة ولم ينقل أنه انكر عليه منكر ، فيكون اجماعا ، كما قال الكاساني الحنفي ، وقد ثبت أن رجلين تداعيا ولداً فدعا له عمر رضي الله عنه القائف ، فقال : قد اشتركا فيه ، فقال عمر : وال أيهما شئت ، وهذا يدل على عدم اعتبار القيافة في نظر عمر .

المناقشة والترجيح :

اعترض اصحاب القول الثاني على مشروعية القيافة بعدة امور ، منها أن القيافة من أمر الجاهلية كالكهانة ونحوها ، وسرور النبي صلى الله عليه وسلم بقول القائف لأجل الزام المشركين بما هو حجة عندهم ، ولأن قوله وافق الحكم الشرعي باثبات النسب بالفراش ، وأن نسب اسامة كان ثابتا ، فالقائف لم يثبت شيئا جديدا وقال الزيدية : هذا الحديث نسخ بحديث « الولد للفراش » كما اعترض الحنفية بان الحكم بالقيافة هو استناد على مجرد الشبه والحدس والتخمين وأن وجود الشبه بين الاجانب يمنع الاعتماد على القيافة ولو كان الشبه معتبرا لصح الحاق الولد بمن يشبهه ولو لأكثر من واحد ، وهذا لا يقول الجمهور به ، ولو اعتبر الشبه لبطلت مشروعية اللعان ، مع أن اللعان ثابت بالقرآن الكريم ، ولو كانت القيافة علما لأمكن اكتسابه كالعلوم والصنائع .

وأجاب الجمهور اصحاب القول الأول على هذه الاعتراضات ، وقالوا : لو كانت القيافة من امور الجاهلية التي لا يقرها الاسلام لما سر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان له شأن آخر معها ، فالرسول الكريم لا يقر الباطل ولو كان وسيلة الى خير أو حق والغاية لا تبرر الوسيلة في الشريعة، والاسلام حارب الأنصاب مع أنها تؤدي الى اطعام الفقراء والمساكين ، وقد حرم الرسول صلى الله عليه وسلم الكهانة ، وقال فيها : « من أتى كاهنا فصدقه فقد كفر بما انزل على محمد » رواه الامام احمد والحاكم . وان كثيرا من العادات والتقاليد الحسنة التي كانت في الجاهلية اقرها الاسلام وبعد اقرارها ومجيء الشرع بها لم تبق من امور الجاهلية بل اصبحت من الشريعة الغراء بقول الرسول صلى الله عليه وسلم وفعله واقراره ، وان نسب اسامة ثابت بالفراش ، وجاءت القيافة تأكيدا لذلك ، وكان سرور النبي صلى الله عليه وسلم لتعاضد الأدلة ، وتوافق أمارات النسب ، ولو لم يكن دليلا شرعيا لما برقت أسارير وجهه الشريف ، وأما ادعاء النسخ فهو

دعوى باطلة لا دليل عليها ، وان الحنفية وجميع الفقهاء اعتبروا الشبه الظاهر من القرائن ، وقال الحنفية بالحاق الولد بالزوج اذا عقد على زوجته ، ولم يثبت اللقاء بينهما ، وان القيافة من باب الاجتهاد فيعتمد عليه كالتقويم في المقلفات ونفقات الزوجات وخرص الثمار ، وتعيين جهة القبلة والمثل في جزاء الصيد في الحرم وان وجود الشبه بين الأجانب نادر وشاذ والأحكام تبنى على الكثير الغالب لا على القليل النادر فالنادر لا حكم له لأنــه في حكم المعدوم وأن الحكم بالقيافة لا يتعلق بالشبه الظاهر بين الناس ، وانما يتعلق بشبه خاص يعرفه اهل الخبرة بالقيافة ولا تعارض بين العمل بالقيافة ومشروعية اللعان ، لأن القيافة يلجأ اليها عندما يستوي الفراشان ، أما اللعان فيكـون لما يشاهده الزوج على زوجته فهما بابان متباينان ، وبناء عليه فلا يصح للزوج ان يعرض ولد زوجته على القافة ، وان الولد يلحق صاحب الفراش مطلقا ، ولا يقطع نسبه عنه إلا باللعان ، وأما الاعتراض على القيافة بعدم امكان اكتسابها فالجواب انها قوة في النفس لا يمكن اكتسابها كالعين وقـرض الشعر وغيره من المواهب الفطرية التي تنمو بالدراسة والخبرة والتجربة والعلم وان ماورد في الشرع لا ينسب الى حكم الجاهلية ولو وافقه كالقسامة والدية وبعض المعاملات وغيرها .

واعترض الجمهور اصحاب القول الأول على أدلة القول الثاني بأن حـديث « الولـد للفراش » ليس للحصر فإن حديث عائشة يخصص عموم هذا الحديث والجمع بين النصين الصحيحين افضل واولى من العمل بأحدهما وإهمال الآخر . والمراد من الفراش ليس هو الزوج وإنما المراد به كل من يجوز أن يلحق به الولد سواء كان زوجا في المتزوجة او غير الزوج عند عدم الزواج ، فلا حصر في الحديث حتى تخرج القيافة وأن النسب يثبت بغير الفراش باتفاق الفقهاء كالاقرار بالنسب . .

وان حديث « لعله نزعه عرق » دليل للجمهور على اعتبار الشبه لا على نفيه وان القيافة ليست باللـون فقط ، وانمـا هي باعتبـار شبه خاص ، وعلامات معينة وأوصاف ذاتية يعرفها القائف ، والرجل لم يسأل الا عن اختلاف اللون ، وان الحديث تأكيد للشبه ، لأنه قال بنزوع العرق الأول ، وان عادة الناس التي فطرهم الله عليها هي اعتياد الشبه ، فان اختلف الشبه ثار الشك في القلوب وظهرت الهمسات وبدأ العجب .

قال ابن حجر : « هذا الحديث اصل في اعتبار الشبه » فلا يبقى حجة للحنفية فيه .

وأما ما كتبه عمر لشريح فلا دلالة فيه على إبطال القيافة وان قوله : وال أيهما شئت، لا يدل صراحة على رد القيافة وانما يقتصر على حالة الاشتباه على القائف وعدم الجزم او القناعة بقوله ، وان طلب عمر للقائف دليل على مشروعية القيافة ولو كانت من أمر

الجاهلية لما طلب عمر القائف أصلا ، وقد ورد عنه العمل بالقيافة بنص صريح ، وأنه كان قائفا ايضا .

ولذلك نرجح القول الأول في مشروعية القيافة في اثبات النسب ، وأنها تقوم على اعتبار الشبه والأوصاف في النسب وأن الشرع بنى عليها حكما شرعيا قال ابن فرحون : « حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه من بعده بالقيافة ، وجعلها دليلا على ثبوت النسب ، وليس فيها الا مجرد الأمارات والعلامات » ، وقال البيهقي في القيافة : « باب الدليل على أن لغلبة الاشتباه تأثيرا في الانسان وأن لها حكما اذا لم يكن ما هو أقوى منها من فراش او غيره » ، وقال ابن فرحون عن القيافة انها « من باب قياس الشبه وهو اصل معمول به في الشرع » .

• مجال العمل بالقيافة •

ينحصر العمل بالقيافة عند اختلاط الأولاد ، وعدم معرفة نسب الولد ، كما لو وجد لقيط لم يعرف نسبه فحضر رجلان وادعى كل منهمانسبه او غير ذلك من الصور التي ذكرها الفقهاء في كتبهم .

القيافة والعلم الحديث :

القيافة علم وخبرة وفطانة وقد تلاشت الآن ، ولكن العلم الحديث تمكن من الوصول الى وسائل جديدة تعتمد على العلم والخبرة ايضا وتقوم على أساس الأوصاف والتشابه المزدوج ، وهو تحليل الدم عند الاختلاف في النسب ، كما لو ولدت امرأتان واختلط الولدان وتعذر تمييزهما او مات احدهما دون أن يعرف وادعت كل منهما الولد الحي ، فيمكن عن طريق تحليل الدم أن يرجح نسب الولد الصحيح لكن يقتصر اثر التحليل على حالات خاصة لا يتعداها لأنه يعتمد اسلوب التشابه بين زمر الدم ، وما يمكن ان تنتجه كل زمرتين من الرجل والمرأة ، فيقتصر على نفي التهمة عن النسب لاختلاف الزمر وليس في اثبات النسب من الأب .

كما يقوم الشبه ايضا بين قيافة الأثر والسيافة في شم التراب وبين الطرق الحديثة في تتبع الآثار والاستعانة بالكلاب البوليسية في تتبع آثار المجرمين مع التنبيه الى أن هذه القرائن ليست قوية الدلالة وإنما هي قرائن مساعدة في الاثبات كما ان الشبه المعتمد في القيافة يشبه التشابه في بصمات الأصابع في العصر الحاضر ، فاليد مكسوة بخطوط بارزة دقيقة ويتخللها فراغ وترسم هذه الخطوط اشكالا وتعاريج وانحناءات متباينة تدل على صاحبها ولا توجد في شخص آخر بينما تدل القيافة على التشابه بين اثنين ، وهذا دليل على قدرة الله تعالى في الخلق أولا وآخرا وهو القائل : (**أيحسب الانسان ان لن نجمع عظامه.بلى قادرين على ان نسوي بنانه**) القيامة (٣ ـ ٤) ، وهو القائل (**فتبارك الله احسن الخالقين**) ، المؤمنون / ١٤ والحمد لله رب العالمين .

أصالة النظام العقابي الاسلامي

الدكتور : أحمد علي المجدوب

يعد النظام العقابي الاسلامي من أكثر النظم الاسلامية أصالة سواء من حيث نشأته أو من حيث تطوره . والذين شككوا في هذه الأصالة من مستشرقين ومبشرين وغيرهم لم يجدوا مايدللون به على عدم أصالة هذا النظام غير ما ادعوه من وجود تشابه بين قسمين من أقسامه وهما الحدود والقصاص وما كانت تتضمنه الشرائع السابقة من عقوبات مماثلة ، وبالذات الشريعة الموسوية التي يصرون دائما على الادعاء بأن الشريعة الاسلامية قد نقلت عنها لا فيما يتعلق بالحدود والقصاص فقط ، بل وفيما يتعلق بغيرها من النظم . وفاتهم أن النظام العقابي الاسلامي لا يتكون من هذين القسمين فقط بل ومن التعازير أيضا التي تشمل الغالبية العظمى من الجرائم سواء التقليدي منها أو المستحدث . وهذا القسم الأخير ، أي التعازير هو الذي نقصده بحديثنا عن الأصالة وليس القسمين الآخرين اللذين يعدان اقدم نظام عقابي عرفته البشرية واستمر العمل به دهورا طويلة ابتداء من ابني آدم قابيل وهابيل الى الآن . وهذا النظام ليس من وضع الانسان وانما هو من الاحكام التي فرضها الله سبحانه وتعالى على البشر ليعملوا وفقا لها ولذلك فانها تعد نظاما اسلاميا اصيلا ، اذا اخذنا الاسلام بمعناه العام الذي يشمل الاديان جميعا ولكنا في هذه الدراسة قصدنا بالاسلام معناه الخاص الذي ينطبق على رسالة النبي الخاتم عليه الصلاة والسلام .

والملاحظ ان الحدود والقصاص تتكون من عدد قليل من الجرائم أو المعاصي لا تزيد على الثمانية ، وهذا لا يعني أن ما عداها من أفعال يعتبر مباحا ، وإنما يعني ان الله قد ترك للانسان أمر تجريم ما يشاء منها وفقا لما تقتضيه مصلحته وما يفرضه التطور .

وهذا النظام دليل على أن الانسان يملك حريته ويتمتع بإرادته فليس كل شيء مفروضا عليه،ونعتقد أن الذين يعيبون على الاسلام عدم إتيانه بنظام عقابي متكامل على حد زعمهم حيث اقتصر على بضع احكام تتعلق بالجنايات والحدود ، لم يكونوا ليترددوا لحظة في أن ينعوا عليه جبريته لو أنه نص على جميع الجرائم ما كان منها قائما في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وما استجد بعد انتقاله الى الرفيق الأعلى ، وما سوف يستجد غدا والى ما شاء الله ويصفوه بأنه لم يترك للانسان شيئا يستخدم فيه عقله ويمارس عليه إرادته .

ومع ذلك فان الله سبحانه وتعالى اراد ان يعلم الانسان درسا بهذا الايجاز في التشريع والاختصار في التجريم وهو أن أمن الجماعة وطمأنينتها وسعادتها ليست بكثرة القوانين وتعدد التشريعات وإنما بصفاء النفوس وطهارة القلوب ويقظة الضمائر وهي أمور لا يوجدها القانون ولا توفرها العقوبات مهما تنوعت وتعددت . ولعلنا نلاحظ ما بلغته القوانين في عصرنا هذا من كثرة وما اصبحت عليه المدونات القانونية من ضخامة ومع ذلك فان الانسان لا يكاد يشعر بالأمن أو الطمأنينة فضلا عن عدم احساسه بالسعادة والرضا في ظل قيم مادية صرفة أوحت بها الشهوات وزينتها الرغبات وغذتها النزوات فأغرقت الانسان في بحر خضم من الصراع الذي هو وليد الجشع والطمع والأنانية وحب الذات .

ولذلك فإن عدم توسع الاسلام في التجريم يعد من معالم أصالته ، فهو بعكس القوانين الوضعية ، سواء السابقة عليه أو اللاحقة له ، قصد أن تكون القيود القانونية فيما يتعلق بالسلوك أقل ما يمكن ، على أن يكون الاعتماد الأساسي على العادات التي يعمل على تكوينها من خلال التربية الاسلامية ، بحيث تصبح هذه العادات في صرامتها واستحالة الخروج عليها كأي قانون ، فهي قانون الضمير الذي يعلو في القيمة على غيره من القوانين . وهذه الحقيقة البسيطة التي يتضمنها الاسلام والتي ظلت خافية على اعدائه ، أدركها عالم الاجرام الايطالي « انريكوفري » وعبر عنها في قوله : « اعطوني قانونا بسيطا ومجتمعا صالحا أضمن لكم انخفاضا عظيما في معدلات الجريمة واعطوني قانونا صالحا من كل الوجوه ومجتمعا فاسدا أضمن لكم زيادة عظيمة في معدلات الجريمة »، وهذا هو ما سبق اليه الاسلام ، عدد قليل من النصوص القانونية ومجتمع صالح ، ولكن البعض من ذوي النوايا السيئة فسروا الأمر على غير حقيقته فقالوا:انه التقصير او العجز او هما معا ، بينما فسره البعض الآخر بانه النقل او الاستعارة عن الشرائع الأخرى وهي تهمة لا دليل لهم عليها الا ما زعموه من وجود تشابه بين ما ورد في الاسلام من احكام خاصة بالحدود والقصاص وما ورد في غيره خاصا بذات

الجرائم .
ومن الواضح ان الرد على هؤلاء وتفنيد اتهامهم ليس من الصعوبة بمكان ، فمن المعروف ان الاسلام يعترف بالديانتين الموسوية والمسيحية الصحيحتين ويفسر ما جاء فيهما مما بقي على اصله دون تعديل او تبديل من جانب اتباعهما ، طالما بقيت الحكمة من تطبيقه قائمة ومن هذه الأمور الحدود والقصاص .
وعلى الرغم مما اصاب التوراة من عبث على ايدي اليهود فانها لا تزال تتضمن الاحكام الخاصة بالحدود ولكن اليهود بدلوها بدافع من اهوائهم وخضوعا لشهواتهم وهو ما كشف عنه احد احبارهم حين احتكموا الى الرسول صلى الله عليه وسلم في أمر رجل وامرأة يهوديين زنيا فلما جاءوا بالتوراة زعموا أنها لا تتضمن الا تسويد وجهيهما واخفوا حكم الرجم فما كان من حبرهم الا ان كشف عنه .
ففي صحيح مسلم أن الرسول صلى الله عليه وسلم اتي بيهودي ويهودية قد زنيا فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاء يهود فقال ما تجدون في التوراة على من زنى؟ قالوا نسود وجهيهما ونحملهما ونخالف بين وجهيهما ويطاف بهما قال فأتوا بالتوراة ان كنتم صادقين فجاءوا بها فقرءوها حتي اذا مروا بآية الرجم وضع الفتي الذي يقرأ يده على آية الرجم وقرأ ما بين يديها وما وراءها فقال له عبد الله بن سلام وهو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مره فليرفع يده فرفعها فاذا تحتها آية الرجم فأمر بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجما . قال عبد الله بن عمر : كنت فيمن رجمهما فلقد رأيته يقيها الحجارة بنفسه . وعلى الرغم من ذلك فان اليهود أصروا على باطلهم وطرحوا حكم التوراة واعملوا حكم التلمود الذي هو من وضع احبارهم وفيه انه : اذا أقرت المرأة بالزنا وكانت متزوجة فانها تحرم من مؤخر صداقها ويكلف زوجها بطلاقها بلا حقوق وليس لها غير ما هو موجود مما دخلت به فما فقد او سرق او تلف او بيع لا حق لها فيه . ومما يدعو إلى العجب ان هؤلاء المستشرقين والمبشرين مع ما بذلوه من جهد لتأكيد نقل الاسلام عن غيره دون اثباته علميا او تحقيقه منهجيا ، أو حتى تفسيره بطريقة موضوعية لم يحاولوا ان يفسروا التشابه الموجود بين المصادر التي يتحمسون لها أو بالأحرى يتعصبون وبين النظم التي كانت سائدة في المجتمعات التي عاشت في عصور سابقة على اليهودية والنصرانية على الرغم مما هو ثابت من ان الذين حرفوا هاتين االديانتين استمدوا تحريفاتهم من العقائد والشرائع والنظم التي كانت مطبقة في المجتمعات القديمة سواء التي قامت في وادي النيل او فيما بين النهرين او في غيرها من مناطق المعمورة . من ذلك ما فعله اليهود بما يسمي بمزامير داود التي بدلوها بأناشيد اخناتون وزعمهم انها هي مزامير داود ، حتى كشف العالم « جيمس بريستد » الحقيقة عندما وقعت في يده البرديات التي كتبت عليها اناشيد اخناتون وبقراءتها والمقارنة بينها وبين ما يسميه اليهود بمزامير داود ظهرت الحقيقة وقد نشر الرجل ما توصل اليه في هذا الصدد في كتابه « فجر الضمير » وكان من المتوقع أن تقوم قيامة العلماء الذين طالما تظاهروا بالغيرة على الحقيقة

وجندوا انفسهم لمهاجمة الاسلام وايهام الناس البسطاء أنهم يكشفون ما به من مباديء منقولة واحكام مستعارة ، ولكنهم للأسف الشديد لم يحركوا ساكنا وأصموا آذانهم عن دوي الفضيحة التي أثارها « جيمس بريستد » مما ادى الى افتضاح امرهم امام كل من لديه اهتمام بمثل هذه الأمور وفقدوا ثقة كل من كانوا يظنون انهم علماء يتمتعون بالنزاهة والاخلاص والموضوعية فاذا هم في الحقيقة متعصبون تتحكم فيهم الرغبة العمياء في الاساءة الى الاسلام والكيد لأهله .

ومع ذلك فان ما فعله اليهود بمزامير داود لا يعد شيئا خطيرا اذا قيس بما فعلوه بمبدأ الوحدانية الذي جاء به عيسى عليه السلام ، فقد حرفوه وأخذوا بمبدأ التثليث الوثني والصقوا برسلهم أبشع التهم ، ما بين زنا وسرقة واغتصاب ومضاجعة بناتهم واخواتهم وزوجات أبنائهم ووصفوهم بأوصاف تتنزه عنها أحط كتب الجنس .

ومع ذلك فان المستشرقين والمبشرين وتلاميذهم تعمى عيونهم عن رؤية هذه البشاعات والافتراءات والاكاذيب ولا ترى الا ما زعموا انه مباديء أو أحكام نقلها الاسلام عن التوراة أو غيرها .

ولو أن المستشرقين والمبشرين وغيرهم اعترفوا بأن الاسلام دين سماوي ، وأن القرآن من عند الله سبحانه وتعالى شأنه في ذلك شأن التوراة والانجيل الصحيحين لضنوا بوقتهم وجهدهم ان يضيعا في هذا الجدل العقيم والسفسطة الفارغة حول نقل الاسلام عن غيره واستعارته من سواه ، فطالما أن مصدر الديانات الثلاث واحد فلا غرابة في أن تتشابه في بعض احكامها التي لم تتغير الحكمة منها او تتبدل الغاية التي تهدف اليها .

ولقد كان هذا التشابه الذي تذرعوا به لمهاجمة الاسلام كفيلا ـ لو انهم نظروا اليه نظرة مجردة عن الأغراض ومبرأة من الأهواء ـ أن يقودهم الى الحقيقة التي وقف تعصبهم حائلا دون إدراكهم لها . فلو انهم تساءلوا : لماذا هذا التشابه بين العقوبات لا في الشرائع السماوية فحسب ، بل وفي القوانين الوضعية التي طبقت في مجتمعات لم تعرف الرسالات السماوية ؟ ولماذا الاختلاف بين ما عدا هذا من نظم سواء كانت اجتماعية او سياسية او اقتصادية ؟ لو انهم تساءلوا لوصلوا الى الحقيقة وهي ان هذا التشابه يتضمن بذاته الدليل على وحدة الاصل الذي تفرعت عنه الشعوب والمجتمعات وهو آدم وحواء أولا،ثم نوح ومن نجا معه في السفينة بعد ذلك ، ذرية بعضهم من بعض حملوا الرسالة جيلا بعد جيل ودهرا في اثر دهر ولكن عوامل الافساد والانحراف عملت عملها فابتعد الناس عن احكام الله سبحانه وتعالى وغلبوا احكام البشر التي تستجيب لأهوائهم وتتغاضى عن رذائلهم . والا فبماذا نفسر وجود نظام القصاص في مجتمعات تفصل بينها عصور طويلة وتبتعد عن بعضها مسافات عظيمة كالمجتمع الصيني والمجتمع الروماني مثلا واحدهما في اقصى الغرب بينما الآخر في اقصى الشرق فضلا عن المجتمعات التي تقع بينهما كالمجتمع الهندي والمجتمع العربي القديم والمجتمع الفرعوني وغيرها من

المجتمعات الصغيرة كالقبائل المنعزلة عن العالم المعروف في تلك العصور والتي لم يكن لها اي اتصال من اي نوع به . وقد يقول قائل : اذا كان ذلك بالنسبة للقصاص فماذا بالنسبة للحدود ؟ هل كانت هي الأخرى موجودة في المجتمعات الموغلة في القدم ؟ وإجابتنا على هذا بالايجاب اي انها كانت موجودة ، بل ان وجودها من باب أولى لأنها تتعلق برذائل كان بعث الانبياء الواحد بعد الآخر يهدف الى مواجهتها والنهي عنها وبيان ما يؤدي إليه شيوعها من فساد الأمم وانحلال المجتمعات ثم خرابها بل انه يمكن القول استنادا إلى ما ورد في الشرائع القديمة ان كثيرا من جرائم الحدود كان يعاقب عليه بأشد العقوبات مثل السرقة والقذف وقطع الطريق والردة ، وأن كان الحد على الأخيرة منها قد بلغ الانحراف به غايته الى اقصى مدى يمكن تصوره حيث أصبح يوقع على من يرتد عن دين آبائه القائم على الشرك الى دين التوحيد . ويتضمن القرآن الكريم اكثر من اشارة في هذا الصدد ، فقد هدد النبي شعيب بالرجم اذا لم يكف عن توجيه النصح الى قومه بالعدول عن الشرك كما هدد لوط عليه السلام من قومه ، أما ابراهيم عليه السلام فقد عوقب بالفعل بالقائه في النار في حين لقى غيرهم من الأنبياء العنت والاضطهاد من قومهم .

وكما انحرف الناس عن التوحيد الى الشرك ، وعن عبادة الله الواحد الى عبادة الأصنام والأوثان ، فقد انحرفوا ايضا عن احكام الله واحلوا محلها احكاما من وضعهم . والملاحظ ان انحرافهم عن هذه الاحكام لم يكن بنفس الدرجة وهذا يفسر بقاءاحكام القصاص حتى عهد قريب وزوال احكام الحدود تقريبا والسبب في ذلك يرجع الى انه بينما تتعلق احكام القصاص بحقوق الناس فإن أحكام الحدود تتعلق بما يسمى اصطلاحا بحقوق الله او حقوق المجتمع والمعروف ان الانسان بما طبع عليه من انانية وحب لذاته لا يفرط في حق من حقوقه بسهولة بينما تراه يتساهل فيما عدا ذلك من حقوق مثال ذلك انه لا يغفر لانسان قتل له اخا او ابا او قريبا او اصابه بجراح او افقده منفعة عضومن اعضائه فيبادر الى الانتقام من الجاني بقتله او جرحه .

بينما يسهو عن الصلاة او لا يؤديها انشغالا منه بأمر من اموره الخاصة او يؤديها بسرعة وهو شارد الذهن يفكر في شأن من شئونه ، او يتردد في اداء الزكاة او لا يؤديها على وجهها ، وهذا فضلا عما قد يرتكبه من آثام يعتقد انها تحقق له النفع او توفر له المتعة فيزني او يشرب الخمر او يسرق او يقطع الطريق .

ومع ان هاتين الجريمتين اي السرقة وقطع الطريق تعدان من الحدودوارتكابهما يعتبر اعتداء على حق الله او حق المجتمع الا انهما بعكس الزنا وشرب الخمر احتفظتا بوضعهما الاصلي كجريمتين ، بل وبالغت المجتمعات في العقاب عليهما لا بصفتهما الاصليتين وانما باعتبارهما يمثلان اعتداء على المال الذي لا يملكه الا الاغنياء اصحاب السطوة والجاه من اتباع الحكام ورجال الكهنوت ، او اعتداء على هيبة الحاكم أواستخفافاً بسلطانه . أما الزنا وشرب الخمر فانهما أصبحا

بمرور الوقت واشتداد الانحراف عادة يمارسها الحكام ورجال الكهنوت وأتباعهم الذين تسلطوا على الناس وانحرفوا بهم عن الطريق السوي . وهو ما عبر عنه احد اليهود الذي حضر احتكام قومه الى النبي صلى الله عليه وسلم في أمر المرأة والرجل اللذين زنيا ، ففي الرواية الثانية التى اوردها مسلم في صحيحه عن هذين اليهوديين : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بيهودي محمما مجلودا فدعاهم فقال : هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم ؟ قالوا نعم فدعا رجلا من علمائهم فقال : انشدك بالله الذي انزل التوراة على موسى اهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم قال : ولولا أنك نشدتني بهذا لم اخبرك ، نجده الرجم ولكنه كثر في أشرافنا فكنا اذا اخذنا الشريف تركناه واذا اخذنا الضعيف اقمنا عليه الحد فقلنا تعالوا فلنجتمع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع فجعلنا التحميم والجلد مكان الرجم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم اني اول من احيا امرك اذ أماتوه فامر به فرجم .

فالاسلام اذن يحيي اوامر الله فيما يسمي بالحدود والقصاص ويصحح منها ما اصابه التحريف ويقوم اعوجاج اهل الكتاب . ولم يقل احد ان الاسلام اتى بجديد في هذا الصدد وكل ما فعله انه بعث مرة اخرى ما اهمله اليهود ومن بعدهم النصارى من اوامر الله وما عطلوه من نواهيه ، والقرآن الكريم يتضمن الكثير من الآيات التي تقرر هذه الحقيقة بشكل مباشر وصريح .

أما ما يزعمه اعداء الاسلام من انه نقل او استعار من غيره فإنه يثير قضية من شأنها اذا اثيرت ان تصيبهم بأذى كثير وشر عظيم لأنها كالسلاح ذي الحدين . كذلك فإنها تفتح عليهم بابا لن يكون باستطاعتهم غلقه بعد أن يتدفق منه طوفان الماديين والملحدين الذين سيجدون ضالتهم في اليهودية والنصرانية اكثر مما سيجدونها في الاسلام ، بل انهم وجدوها بالفعل وكان عثورهم عليها سهلا لا يحتاج الى جهد . وبنفس السلاح الذي شرعه أعداء الاسلام في وجهه أخذ الماديون يلوحون به في وجه اليهود والنصارى وما اكثر الكتب التي تناول مؤلفوها مواطن الضعف في التوراة والاناجيل وفي مقدمتها اوجه الشبه بين ما جاء في هذين الكتابين وبين ما جاء في القوانين والشرائع والعقائد القديمة ، ليس في مجال الاحكام فحسب بل وفي مجال العقيدة ايضا مما جعلهم يحكمون بأن أنبياء ورسل هذين الدينين استعاروا مبادئهم واحكامهم بل ومعظم ما جاء في كتبهم عن المبادىء والافكار والعبادات التي كانت سائدة في مجتمعاتهم أو في غيرها من المجتمعات المجاورة لها ثم ادعوا انها موحى بها اليهم ونحن على الرغم مما تتيحه لنا دراساتهم تلك من أدلة وبراهين تكفي لضرب اعداء الاسلام في الصميم ورد كيدهم الى نحورهم ، خاصة وانها دراسات قام بها يهود ونصارى . إلا اننا خضوعا منا لديننا السمح نأبى أن يدفعنا غضبنا وغيرتنا على عقيدتنا وشريعتنا الى سلوك هذا المسلك لأنه من شأنه ان يفضي بنا الى التعرض لأنبياء ورسل نؤمن بهم ونجلهم على الرغم من أن من يزعمون انهم اتباعهم قد اساءوا اليهم ولا زالوا يسيئون باصرارهم على ترديد الاكاذيب والاباطيل التي ينسبونها اليهم .

الماريجوانا

أضرارها الجسمانية وتأثيراتها البيولوجية على الإنسان

للمهندس / محمد عبدالقادر الفقي

لقد أصبح إدمان المخدرات واحدا من أشهر الأمراض الجسمية والنفسية والاجتماعية في العصر الحديث حيث يفقد متعاطيها القدرة على السيطرة على عقله ، كما يعجز عن كبح جماح نفسه عن تعاطي هذه السموم المخدرة ، لدرجة أنه بعد فترة من دوام تناوله لهذه المواد ، فان خلايا جسمه تدمن هى الأخرى - وجود المخدرات فيها ، وتعتاد عليها ، ويصبح من الصعب الاقلاع عنها ..

وتعد الماريجوانا واحدا من أخطر المخدرات آثارا على الجسد البشري ، وقد كتبت دراسات وأبحاث كثيرة عن أضرارها من جانب العلماء والبيولوجيين والمتخصصين بدراسة المخدرات ، ومع ذلك ، فان تدخينها وتعاطيها ينتشر في شكل وبائي في بعض دول الشرق ومعظم دول الغرب هذه الأيام ، ونحن في هذا المقال ، سوف نلقي مزيدا من الضوء على هذا المخدر ، وعلى آثاره البيولوجية والجسمانية ، وعلى وجهة نظر الدين الاسلامي في تحريمه ..

أولا : ما هى الماريجوانا :

الماريجوانا أحد العقاقير المخدرة التي يحصل عليها من نبات القنب الهندي ، المعروف علميا باسم Cannabis Sativa ، ويوجد من هذا النبات نوعان : النوع الليفي الذي يصنع منه الحبال والالياف ، وهو يزرع في غرب أمريكا منذ سنوات طويلة ، وقد أصبحت زراعة هذا النوع ضئيلة نسبيا منذ حلول عصر الالياف الصناعية ، والنوع الآخر وهو الذي يشتق منه مخدر الماريجوانا ، ويزرع غالبا في المناطق شبه الاستوائية من العالم في حزام يمتد من كولومبيا والمكسيك والمغرب وتونس والجزائر وإسرائيل ولبنان إلى الهمالايا والباكستان وبنما وغير ذلك ، وهذا النوع الأخير يحتوي في أوراقه وأزهاره على مواد خاصة فعالة عند استنشاقها ، أو حتى عند أكلها ، فسوف تؤدي الى الشعور بالتخدير وفقد الوعي ..

وقد عرف الانسان نبات القنب منذ حوالي خمسة آلاف سنة ، ويستعمل القنب الهندي بأشكال متنوعة اذ يمكن تدخينه مخلوطا بالتبغ غالبا ، كما يمكن مزج الراتنج الذي يفرزه بالمشروبات أو الحلويات ، ولا يزال هذا الاستعمال مسموحا به في بعض البلاد ..

وتتركز المكونات المخدرة لراتنج القنب (الذي يعرف في البلاد العربية باسم الحشيش) في الأطراف المزهرة لانثى النبات بوضع خاص ، وتشتق أنواع مختلفة من المخدرات من نبات القنب أشهرها الحشيش والماريجوانا ، ويعتقد البعض أن الحشيش هو نفسه الماريجوانا ، ولكن ليس هذا الكلام دقيقا ، فالحشيش أكثر تركيزا من الماريجوانا ، وقد حرم شيخ الاسلام ابن تيمية في كتابه (**السياسة الشرعية**) شرب الحشيشة (أو الحشيش كما يسمى الآن) ، وقال انه يجب أن يحد متناولها كما يحد شارب الخمر ، وهى أخبث عنده من الخمر لأنها تفسد العقل والمزاج ، وعلى أية حال فان كلا من الحشيش والماريجوانا يحتويان على نفس المواد الكيميائية المخدرة ، ولكننا في مقالنا هذا سنقصر كلامنا على الماريجوانا ، ومن الذي يؤسف له أن بعض مدخني الماريجوانا يروجون كثيرا من الأفكار

عنها ، حيث يدعون زورا وبهتانا أنها ذات خواص باهرة وقدرات فائقة في علاج بعض الأمراض ، على سبيل المثال يذكرون أن لها فوائد طبية عديدة في شفاء الربو وبعض حالات القيء وتفيد أيضا في علاج الجلوكوما ، وبالرغم من أن تعاطي الماريجوانا قد يكون له مثل هذه الخصائص أحيانا ، إلا أن التأثيرات الفسيولوجية للماريجوانا ، تكون عادة مصحوبة بأعراض وآثار جانبية في منتهى الخطورة وفي غاية الضرر ، وهي في ذلك تشبه الخمر التي ذكر الحق سبحانه وتعالى أن ضررها أكبر من نفعها ، إذا كان هناك نفع أو توهم متوهم هذا النفع ، قال تعالى : « **يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما** » سورة البقرة / الآية ٢١٩ . ثم حرمها وأمرباجتنابها في قوله تعالى : (**يأيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون**) المائدة / ٩٠ .

وبالاضافة الى ما سبق أن ذكرناه ، فان هناك بعض الادوية ذات الكفاءة العالية في علاج الأمراض التي يدعي مدخنو الماريجوانا أنها تعالجها ، وهذه الأدوية ليس لها التأثيرات الجانبية الضارة للماريجوانا ، كما يمكن استخدامها بقدر كبير من الثقة والاطمئنان ، ولذلك فان الحديث عن الماريجوانا بأنها ذات تأثيرات علاجية فعالة ، ليس الا محض هراء ،تماما كالحديث عن منافع الخمر والمسكرات ..

ثانيا : التأثيرات الجسمانية والبيولوجية للماريجوانا :

في السنوات العشر السابقة قام لفيف من العلماء في الولايات المتحدة الامريكية واليونان باجراء سلسلة من الدراسات والتجارب على الماريجوانا ، وقد تمكنوا في النهاية من أن يفصلوا المواد الكيميائية المختلفة الموجودة في الماريجوانا ، وقد كانت هذه مهمة عسيرة وشاقة ، لان هذه المواد توجد بمقادير صغيرة جدا ، لا تتعدى نسبتها ملليجرامات قليلة في كل سيجارة ماريجوانا ، وقد أكد ذلك شيئا هاما ، وهو أن الماريجوانا مخدر قوى جدا ، لان مقادير ضئيلة جدا من المواد الكيميائية الموجودة في هذا المخدر تؤدي الى حدوث التخدير ، وقد وجد أن الكميات الصغيرة جدا من الماريجوانا ـ سواء أكانت بالمللي جرام أو بجزء من ألف جزء من الاوقية ، يكون لها تأثيرات فسيولوجية قوية على خلايا وأجهزة جسم الانسان ، وسوف نبين هذه التأثيرات بالتفصيل .

اولا ـ أثر الماريجوانا على انقسام الخلايا :

أوضحت التجارب التي أجريت في أحد المعامل الكيميائية بجامعة كولومبيا

أن الماريجوانا تحتوي على مادة كيميائية تسمى تيتراهيدرو كنا بينول Tetrahydrocannabinol تقلل من عملية انقسام الخلايا وتمنع تكون مادة د . ن . أ (DNA) وهى المادة المسئولة عن نقل الصفات الوراثية (الجينات) في الخلايا ، كما أن هذه المادة الموجودة في الماريجوانا تمنع أيضا تكوين بعض الأحماض النووية nucleic acids الموجودة في الخلايا ، وهذه الأحماض من المواد الضرورية لانقسام الخلايا ، وللقيام ببعض الوظائف داخلها ، ويحذر الدكتور جبريل نحاس الأستاذ المصري الذي أجرى هذه التجارب في جامعة كولومبيا من آثار الماريجوانا فيقول في مجلة (Fusion) الأمريكية : « على مدخني الماريجوانا أن يكونوا شديدي الحذر ، لأن المواد الكيميائية الموجودة في الماريجوانا بكميات صغيرة جدا قد تصل الى جزء من المليون جزء من الجرام سوف تؤدي الى ابطاء انقسام الخلايا ، وهو أمر سيكون في شدة الخطورة على الأجيال القادمة ، خاصة بالنسبة لذرية هؤلاء الذين يتعاطون الماريجوانا ..

وقد اتضح أن المواد الكيميائية الموجودة في الماريجوانا تظل لفترة طويلة جدا في جسم الانسان ، ويصعب التخلص منها بسهولة ، فعلى الرغم من أن الكحول الموجود في الخمور ضار ، الا أن الجسم يطرحه ويتخلص منه بسرعة جدا ، حيث يستغرق الأمر حوالي ست ساعات لكي يتم التخلص نهائيا من مقدار كأسين من الكحول شربهما الانسان ، ولكن بالنسبة لجرعة واحدة من الماريجوانا ، فان الأمر يستغرق حوالي ثلاثين يوما ، فما بالك بالناس أو الشباب الذين يدخنون الماريجوانا مرات عديدة أسبوعيا أو يوميا ؟ انهم في الواقع يخزنون في أجسامهم كل هذه المواد الكيميائية السامة التي تؤثر تأثيرا سيئا على خلاياهم .

ثانيا ـ أثر الماريجوانا على الرئة :

تعتبر الرئة الجزء الأول من جسم الانسان الذي يتأثر بتدخين الماريجوانا ، ويرجع ذلك إلى أنها أول جزء يتسلل إليه دخانها ، وقد أثبتت الدراسات العلمية الحديثة أن التركيز العالي جدا للمواد الكيميائية الموجودة في الماريجوانا ذو آثار متلفة ومدمرة على خلايا الرئة ، كما أنها تحد من كفاءة عملية التنفس ، وفي احدى التجارب العلمية التي أجريت على شاب يدمن تدخين الماريجوانا ، أوضحت القياسات الكمية التي أجريت عليه أن السعة الحيوية لرئتيه قد هبطت الى حوالي ٧٠ أو ٨٠٪ من الوضع الطبيعي ، وقد بينت صور الأشعة التي أجريت على هذا الشاب أن علامات مرض انسداد الرئة قد بدأت في الظهور والنمو .

واذا كان قد ثبت علميا أن تدخين التبغ يؤدي الى إصابة ملايين الناس بسرطان الرئة ، فان الدراسات قد أثبتت أيضا أن تدخين الماريجوانا لفترات

بسيطة أسوأ ثلاثين مرة من تدخين التبغ والسجائر ، وقد تبين أيضا أن الماريجوانا ذات تأثيرات هدامة على خلايا الرئة ، حيث تختزل وتحطم بعض أنواع الخلايا الخاصة التي تحمي الرئة من البكتريا والمواد الملوثة ، وتفوق مقدرة الماريجوانا في ذلك مقدرة دخان التبغ بمراحل .

ثالثا ـ أثر الماريجوانا على التناسل في الرجل :

أن تأثير الماريجوانا على التناسل أشد خطورة وأسوأ أثرا ، وقد قام الدكتور الأمريكي همبري Hembree باجراء بعض الدراسات مع لفيف من الباحثين عن تأثير الماريجوانا على التناسل في الذكر ، وقد أوضحت الاختبارات التي قاموا بها أن المواد الكيميائية الموجودة في هذا المخدر أدت الى نقص ملحوظ في تكون الحيوانات المنوية ، كما أدت الى زيادة ملحوظة في الأشكال غير الطبيعية لهذه الحيوانات ، حيث يتغير شكل رؤوسها وتشوه نُوَياتها وتنعدم معظم ذيولها التي تمكنها من الحركة ، كما تحدث تأثيرات هدامة في خلايا الخصيتين ، ومن المعروف أن الخصية هى المسئولة عن افراز الحيوانات المنوية ، وفي بعض الحالات التي يدمن فيها الانسان تناول الماريجوانا ، تختفى الخلايا الخاصة بانتاج الحيوانات المنوية تماما من الخصيتين ، ولا يقتصر الامر على ذلك ، بل إن مادة رباعي هيدروكنابينول تؤثر على الدماغ أيضا ، خاصة على المراكز المسئولة عن التحكم في الأعضاء والغدد الجنسية ، بالاضافة إلى أنها تحطم الطبقة الواقية الموجودة في مقدمة رأس كل حيوان منوي ، والتي خلقها الله لحماية الحيوان المنوي في أثناء حركته .

رابعا ـ أثر الماريجوانا على التناسل في المرأة :

تزداد خطورة المواد الكيمائية الموجودة في الماريجوانا على عملية التناسل في المرأة وقد أجريت بعض التجارب على إناث القردة العليا لدراسة تأثير هذه المواد عليها ، وقد تم ذلك لصعوبة إجراء هذه التجارب على إناث البشر لعدة اعتبارات اجتماعية ودينية وطبية ، وقد بينت هذه التجارب زيادة في حالات الاجهاض ووفاة المواليد ، ولذلك السبب فان إدارة المخدرات والأغذية الأمريكية (FDA) أوصت بألا يسمح للسيدات بتدخين الماريجوانا ، ومع ذلك ، فان الكثير من الفتيات في الغرب وفي أمريكا يدخنَّ الماريجوانا في الشوارع دون رادع بدعوى الحرية ، ولست أدري أي حرية تلك التي ستؤدي الى هلاك البشر ، وإلى انتاج ذريات مشوهة ؟ !

ومن التجارب التي أجريت أيضا في الولايات المتحدة الأمريكية تلك التجارب

التي قام بها الدكتور كارول سميث Carol Smith على اناث قردة الريص Rhesus Monkeys. وهى من القرود الهندية الصغيرة التي تتميز بالذيل القصير ، كما أن لها تقريبا وبالضبط دورة طمث تشابه دورة الطمث الفسيولوجية للمرأة البشرية ، وقد حقنت أنثى قردة الريص بحقنة واحدة من مادة رباعي هيدرو كنابينول ، وسجل تأثير هذه المادة ، فوجد أنها أثرت على انتاج الهرمونات التي تتحكم في المبيض ، ووجد أيضا أن هذه المادة تؤثر على منطقة في المخ تعرف باسم « ما تحت المهاد » Hypothalamus ، وهذه المنطقة هى المسئولة عن تنظيم دورة الطمث في الاناث .

وقد أوضح الدكتور / كارول سميث أن التغيير الذي يحدث في دورة الطمث يؤدي الى تغيير نسبة الهرمونات التناسلية التي توجد في الدم بالنسبة للمرأة ، وبالتالي يؤدي ذلك الى عدم نضج البويضة ، ومن ثم اذا اضطربت الدورة الشهرية للمرأة نتيجة لتدخينها الماريجوانا ، فلن يكون هناك أي نضج للبويضة أو أن نضجها لن يكون طبيعيا ، وفي ذلك آثار سيئة جدا لا يحمد عقباها ولا نعرف نتائجها على الذريات القادمة .

وقد اتضح من التجارب التي أجريت أيضا على قردة الريص أن مجموعة الحيوانات التي تعرضت لمادة رباعي هيدرو كنابينول يوميا ، حدثت فيها عمليات اجهاض وموت للأجنة بنسبة ٤٪ ، وبالاضافة الى ذلك فان ذرية هذه القردة المذكورة كانت ضامرة وناقصة النمو ، بمعنى أنها لم تَنْمُ نموا مناسبا ، وكان سلوكها غير طبيعي .

وقد استنتج العلماء من تجاربهم أن الماريجوانا تسبب تسمما للجنين في رحم أمه ، بمعنى أنها تقتله ، ويحدث ذلك نتيجة لتأثير المواد الكيميائية الموجودة في المخدر على الغدة النخامية ، مما يؤدي الى اضطراب الاتزان الهرموني الضروري للمحافظة على الحمل ، وبالتالي فان هذا الاضطراب يؤدي بدوره إلى عدم انتظام إمدادات الدم الى الجنين في الرحم ، تلك العملية الضرورية جدا لتغذية الجنين .

خامسا ـ أثر الماريجوانا على المخ :

إن أكبر وأهم وأخطر تأثير متلف للماريجوانا هو التأثير المباشر على خلايا الدماغ ، حيث تؤثر على المراكز التي تتحكم في الأطراف والذاكرة ، كما تؤثر على بعض مراكز العواطف ، والرؤية في المخ ، وقد أوضح الدكتور روبرت هيث Robert Heath في جامعة تولان بنيواورليانز أن مقادير صغيرة من الماريجوانا في قردة الريص تسبب تلفا بالدماغ ، في المناطق الخلوية التي تقع بين الخلايا العصبية والتي تنتقل عبرها الدوافع الكيميائية الكهربية المعروفة باسم الاشارات العصبية ، كما أوضح الدكتور / هيث أيضا أن القردة التي منعت من الماريجوانا

لفترة تسعة أشهر بعد دوام تناولها لها قبل ذلك لم تعد الى حالتها الطبيعية نتيجة للآثار السيئة للماريجوانا ومركباتها التي تراكمت في الجسم ، ولا تزال الدراسات مستمرة على تأثير الماريجوانا على المخ ، ومعرفة التلف الناتج عنها في خلايا الجسم بصورة عامة ، والدماغ بصورة خاصة .

حكم الاسلام في تحريم الماريجوانا :

لم تكن الماريجوانا موجودة في عصر الرسول « صلى الله عليه وسلم » ومن الطبيعي الا يتحدث القرآن عن الماريجوانا ، وهى غير معروفة للعرب ، ولكنها ينطبق عليها ما ينطبق على الخمر من تحريم ، فبالرغم من أن الماريجوانا لا تحتوي على أية مواد كحولية ، إلا أنها كما رأينا في هذا المقال ذات آثار أشد ضررا من الكحول ، ولهذا فانها أولى بالتحريم ، فهى تفتك بالبدن وتؤثر على الأجنة ، كما أن متعاطيها قد يرتكب الكثير من الجرائم كالسرقة أو الرشوة أو ما شابه ذلك من أجل توفير المال للحصول عليها ، بل ، ويمكننا أن نعتبرها أحد الأنواع الرئيسة من الخمور ، وبالتالي تنطبق عليها آيات التحريم ، فمن المعروف أن الخمر في اللغة هى كل ما يستر العقل ، وهى مشتقة من خمار المرأة لأنه يستر وجهها .

إن الماريجوانا شأنها شأن الخمر تؤدي إلى فقد الوعي والاهمال واللامبالاة بالعالم ، وهذا ما يرفضه الاسلام الذي ينادي بتكريم الانسان واحترام العقل ، أضف الى ذلك أن الماريجوانا ذات آثار اجتماعية سيئة ، فهى تقوض نظام الاسرة ، وتجعل مدمنها عبدا لها ، ولا يستطيع التخلص منها ..

ولما كان الأصل في الشرع أنه ينهى عن تناول كل مسكر ومفتر ، قليله أو كثيره ، فان الماريجوانا يجب أن يحرم تداولها وتناولها وشراؤها وبيعها في البلاد الاسلامية ، حتى نمنع آثارها وأضرارها عن مجتمع التوحيد ، فانها بحق رجس من عمل الشيطان ، تصد عن ذكر الله وعن الصلاة ، بالاضافة لما تورثه من تشوهات في نسل الذين يتعاطونها .

ولقد نبهنا رسول الله « صلى الله عليه وسلم » الى أن هناك أقواما يتعاطون أنواعا من الخمور ويسمونها بغير اسمها خداعا لأنفسهم ولكنها في حقيقة الأمر وفي جوهره خمر لها مفعول الخمر ولها حكمها ، سواء أكانت حشيشا أم ماريجوانا أم أفيونا أم شمبانيا أم غير ذلك ، يقول رسول الله « صلى الله عليه وسلم » - « يشرب ناس من أمتي الخمر ، يسمونها بغير اسمها ، يضرب على رؤوسهم بالمعازف والقينات يخسف الله بهم الأرض ، ويجعل منهم القردة والخنازير » - رواه ابن ماجة في صحيحه عن أبي موسى الأشعري .

ولعله قد أصبح جليا كيف تصنع المخدرات بالانسان ، وكيف تحوله من آدمي الى حيوان فاقد العقل ، وقانا الله شرورها ، وحفظ أمتنا الاسلامية من وبائها المدمر .

من وحي العيد

للاستاذ / احمد حمدي عبد الرحمن

غنت بذكر رسول الله أكوان وشاد بالنور في الآفاق أزمان
وغرد الطير في أوكاره طربا وزغرد الحب بالآمال يزدان
وأعين الدين بالايمان ناظرة فكل من في المدى طهر وإيمان

أقبلت يا عيد أهلا بعد ما رحلت أيام شهر له في الدين عنوان
شهر تعظم من رب الورى أبدا تكرما فنمت للدين أغصان
جذورها الحب والاسلام منبعها وجذعها النور والأزهار قرآن

شهر تجمعت الأشتات تكرمة له وما بينهم بغض وخلفان
يحيون شهرهمو والحب يغمرهم وكل عيشتهم جود وإحسان

وفي المساء قيام يسجدون له حمدا وللنعمة الغراء قد صانوا
وللتراويح قد قاموا وقد وجلت قلوبهم تزدهي والبدر سهران
حتى إذا ما مضى تذوى أشعته وأقبل الفجر فيه السحر فتان
ناموا على بسط الايمان عاطرة والكل منهم قرير العين جذلان

وجئت يا عيد بالأنوار مغتنما فهللت بك في الأكوان ركبان
ألبست كل الورى في عيدها حللا سنية تزدهي والقلب هيمان
فكل روح بما فازت به طربت وكل قلب به للدين بستان
يرويه حب الرسول المصطفى عبقا منعما بربيع النور يزدان
فالناس في غمرة الأفراح قد ظهروا وكلهم إخوة في الدين أخدان

أقبلت يا عيد أهلا بعد ما رحلت أيام شهر له في الدين عنوان
فكل عام وكل الخلق يغمرهم بنور خير الورى طهر وإيمان

السُّنَّة

لم يتعـرض مصـدر من مصـادر التشـريـع الاسـلامي الى النقـد والتشويه مثلما تعرضت له السنة من قبل المستشرقين .

ولقد تركزت دراساتهم وبحوثهم في الطعن بـالسنة لتشـويه صـورتها والتشكيك في ثبوتها . فمن حيث المتون والنصوص عكفوا على نقول توهموا تعارضها وبنوا عليها استنتـاجات واوهاما ، ونظروا في الاسانيد فشككوا في تسلسلها وطعنوا في كبار المحدثين واوهنوا اسانيدهم . واستداروا الى النواحي التاريخية ليكيلوا الافتراءات على غير سند او تقيد باصول علمية في البحث وتقرير النتائج .

ولم يكتفوا بذلك ، بل حاولوا معارضة السنة بالقـرآن والقرآن بـالسنة ، والسنة باقـوال واعمال الصحـابة ايضا ، حتى اصبحت السنة نشازا بين مصادر التشريع الاسلامي لا تقوى على إثبات نفسها فضلاً عن كونها مع القرآن تمثل مرجع الأمة في التشريع والتوجيه .

ولما كان كلام المستشرقين في السنة

السنة كمصدر تشريعي في نظر المستشرقين

للدكتور / عجيل النشمي

كثيرا ومتشعبا فسنقتصر على ما يتصل بموضوعنا الاصولي مباشرة او يمت اليه بصلة وثيقة او تأثير مباشر ، باعتبار السنة المصدر الثاني من مصادر التشريع .

وسنتناول اقوالهم وتحليلاتهم واستنتاجاتهم ، ثم نرد عليها بالقدر الذي نراه كافيا في تفنيدها .

*** مفهوم السنة والحديث :**

يعبر جولدتسيهر عن مفهوم السنة فيقول : السنة هي جوهر العادات وتفكير الامة الاسلامية قديما ، فهي العادة المقدسة والامر الاول .

ويقول ايضا : إنه ما من أمر او فعل يوصف عندهم بالفضل او العدالة ،الا اذا كان له اصل في عاداتهم الموروثة او كان متفقا معها ، وهذه العادات التي تتألف منها السنة تقوم عندهم مقام القانون او الديانة Sacra ، كما انهم كانوا يرونها المصدر الاوحد للشريعة والدين ، ويعدون اطراحها خطأ جسيما ، ومخالفة خطيرة للقواعد المعروفة

والتقاليد المرعية التي لا يصح الخروج عليها ، وما يصدق عن الافعال يصدق ايضا عن الافكار الموروثة ، والجماعة يتحتم عليها ان لا تقبل في هذا المجال شيئا جديدا لا يتفق مع اراء اسلافها الاقدمين . ثم يضيف قائلا بان فكرة السنة يمكن ادراجها بين الظواهر التي سماها سبنسر بـ « العواطف القائمة مقام غيرها Sentiments representatifis ، وهي النتائج العضوية التي جمعتها بيئة من البيئات خلال الاجيال والاحقاب ، والتي تركزت وتجمعت في غريزة وراثية تتألف منها الصفة او الصفات التي يتوارثها افراد هذه البيئة ».

وقد نقل العرب فيما بعد فكرة السنة الى الاسلام الذي اوهم بمخالفة سنتهم القديمة ، واصبحت السنة الاسلامية دعامة من دعامات الفقه والتفكير في الاسلام . ولا شك ان نظرية السنة في الجاهلية قد أصابها تعديل جوهري عند انتقالها الى الاسلام .

ففي الاسلام أصبح المسلمون لا يطالبون بإحياء السنن الوثنية التي نسخت معالمها ، بل بدأوا بالمأثور من المذاهب والاقوال والافعال التي كانت لاقدم جيل من اجيال المسلمين ، واصبح افراد هذا الجيل هم المؤسسين لسنة جديدة تغاير السنة العربية القديمة .

واخذ المسلمون ـ منذ ذلك الوقت ، ينهجون في حياتهم نهج الاساليب والآراء التي صح عندهم انها من اقوال النبي (صلى الله عليه وسلم) وافعاله ، ويضعونها في المحل الاول ، او تلك التي صحت عن الصحابة ، ويضعونها في المحل الثاني .

ويقول (شاخت) ان السنة قبل الامام الشافعي كانت تضم ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم وما جاء عن الصحابة رضوان الله عليهم .

هذا هو مفهوم السنة عند المستشرقين ، فهي تعني مرحلتين :

ـ الاولى انها تشمل كل ما ورث عن المسلمين في الصدر الاول من اقوال وافعال وعادات وتقاليد ، والثانية تشمل كل ما أثر من اقوال وافعال عن النبي صلى الله عليه وسلم اوصحابته رضوان الله عليهم .

اما مفهوم الحديث فيقول عنه جولد تسيهر بانه : الشكل الذي وصلت به السنة الينا ، فهما ليسا بمعنى واحد ، وانما السنة دليل الحديث ، فهو عبارة عن سلسلة من المحدثين الذين يوصلون الينا هذه الأخبار والاعمال المشار اليها طبقة بعد طبقة ، مما يثبت عند الصحابة انه حاز موافقة الرسول في امور الدين او الدنيا ، وما ثبت ايضا حسب هذا المعنى من المثل التي تحتذى كل يوم .

ولقد ناقض جولد تسيهر نفسه في مفهوم الحديث في موضع أخير حين قال : « جعل الخلف من الحديث موضع الثقة الكبرى ، لاشتماله على ما أثر من اقوال وافعال السلف الذين يعدهم أئمة الهدى ومنار النهج القديم .

وقد نقل بيرل عنه « ان المحدثين يرون

ان الحديث والسنة شيء واحد .
ويرى (شاخت) ان الاحاديث ليست هي السنة بل تدوين السنة بالوثائق . وهذا الخلط بين السنة والحديث وتشوش مفهومهما ، بنوا عليه بعض الاستنتاجات والقضايا الخاطئة ، فزعم شاخت ان المسلمين قبل الإمام الشافعي كانت القاعدة عندهم استخدام احاديث الصحابة والتابعين وتقديمها على أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان الاستثناء من هذه القاعدة تقديم احاديث النبي صلى الله عليه وسلم على ما يؤثر عن الصحابة والتابعين . فلما جاء الامام الشافعي جعل الاستثناء هو المبدأ والقاعدة الاساسية .
ثم يستنتج ايضا فيقول : ان الاحاديث او الاخبار الواردة عن الصحابة والتابعين جاءت اكثر تقدما من الاحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم .
ولقد جانب المستشرقين الصواب في جملة قولهم في معنى السنة والحديث . وتحقيق القول : ان السنة في اللغة هي الطريقة والأسوة الحسنة او السيئة ومن هذا المعنى ما روى مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من سن في الاسلام سنة حسنة ، فله اجرها واجر من عمل بها بعده ، من غير ان ينقص من اجورهم شيء ، ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده ، من غير ان ينقص من اوزارهم شيء . رواه مسلم .
واما السنة في الاصطلاح : فهي تختلف في معناها من علم لآخر .
فهي عند علماء اصول الفقه : كل ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول او فعل او تقرير .
وعند الفقهاء : كل ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن من باب الفرض ولا الواجب .
وعند المحدثين : كل ما أُثر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول او فعل او تقرير او صفة خلقية او سيرة ، سواء أكان ذلك قبل البعثة أم بعدها .
وأما الحديث فان تعريفه من حيث موضوعه ـ وهو ذات النبي صلى الله عليه وسلم من حيث انه رسول الله ـ هو : علم يعرف به اقوال رسول الله صلى اله عليه وسلم وافعاله واحواله .
او هو : كل ما اضيف الى النبي صلى الله عليه وسلم .
وعلم الحديث يختلف تعريفه بالنظر اليه باعتبارات خاصة من حيث الرواية او الدراية .
فهو من حيث الرواية : علم يشتمل على اقوال النبي صلى الله عليه وسلم وافعاله وروايتها وضبطها ، وتحرير الفاظها .
ومن حيث الدراية : علم يعرف منه حقيقة الرواية ، وشروطها ، وانواعها ، واحكامها ، واحوال الرواة ، وشروطهم ، واصناف المرويات وما يتعلق بها .
فالرواية عبارة عن نقل السنة ونحوها واسناد ذلك الى من عزى اليه بتحديث او اخبار ، وغير ذلك .
ومن هذا يتضح ان السنة والحديث قد يترادفان ويتساويان خصوصا عند

المتأخرين من المحدثين ، ففي كل منهما اضافة قول او فعل او تقرير او صفة الى النبي صلى الله عليه وسلم .
واذا كان من تباين بين مفهوم السنة والحديث فيبدو في الاطلاق اللغوي للكلمتين ولئن اطلقت السنة في كثير من المواطن على غير ما أطلق الحديث ، فان الشعور بتساويهما في الدلالة او تقاربهما - على الاقل - كان دائما يساور نقاد الحديث ، فهل السنة العملية الا الطريقة النبوية التي كان الرسول صلوات الله وسلامه عليه يؤيدها بأقواله الحكيمة واحاديثه الرشيدة والموجهة ؟ وهل موضوع الحديث يغاير موضوع السنة ؟ ألا يدوران كلاهما حول محور واحد ؟ ألا ينتهيان اخيرا الى النبي صلى الله عليه وسلم في اقواله المؤيدة لاعماله ، وفي اعماله المؤيدة لاقواله ؟.
ومن هذا يتبين بجلاء تهافت ما زعمه المستشرقون من ان السنة في المعنى الشرعي والاصطلاحي هي مجموع ما اثر عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين ، فان ذلك لم يقله احد من علماء الامة . ويتبين كذلك ان التباين والتفرقة بين السنة والحديث ليس صحيحا على اطلاقه وفي جملته .
وعليه فان ما رام المستشرقون ترتيبه على معنى السنة والحديث لا يقوم على اساس علمي يقوى على اسناد مدعاهم .

** ثبوت السنة :**

توجهت انظار المغرضين من المستشرقين الى السنة المطهرة من حيث ثبوتها ليوجهوا اليها سهامهم المسمومة ويفرغوا فيها حقدهم وافتراءاتهم وطعونهم متوسمين زعزعة صرحها وتوهين بنائها ومكانتها التشريعية السامقة بعد القرآن الكريم .
ولذا فقد تبعوا نفس نهجهم في الطعن والتشكيك بالقرآن الكريم من حيث ثبوته عن الله سبحانه وتعالى ، دون الدخول في مناقشة المسائل الجزئية او القواعد والمبادىء التشريعية العامة ، لانهم يدركون بيقين انها معركة خاسرة من جهتهم ، فوق انها تستلزم منهم جهدا مضنيا وبحثا عميقا .
فكان من السهل واليسير بل ومن الاجدى لهم الطعن والتشكيك في الاساس الذي تبنى عليه حجة وقوة تلك القواعد والمبادىء ، اذ الكلام فيها عند المسلمين فرع صحة ثبوت دليلها ومصدرها وهما الكتاب والسنة ، فاذا امكنهم توهينها وهدمها فليسوا بحاجة حينئذ للكلام على ما انبنى عليها .
ومن هنا فقد جعل المستشرقون همهم التشكيك في ثبوت السنة النبوية باعتبارها المصدر الثاني للتشريع ، وركزوا هذا التشكيك في جانبين :
اولا : في ثبوت السنة من جهة التدوين .
ثانيا : في صحة ثبوتها عن النبي صلى الله عليه وسلم بتوسيعهم فكرة وضع الاحاديث وسنتعرض لهذين الامرين بذكر اقوالهم ثم مناقشتها والرد عليها .

اولا : تدوين السنة :

زعم جولد تسيهر ان الوف الاحاديث النبوية من صنع علماء الاسلام في الطبقات التالية لعصر الصحابة . وهذا يعني ان شيئا منها لم يدون في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وهذا الزعم ردده كثير من المستشرقين حتى تأثر به بعض علماء المسلمين ، من مثل أبي رية الذي قال :
« إن قول الله تعالى (**اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي**) معناه ان القرآن هو الهداية وهو النهاية ولا شيء سواه . وانما جاءت البلوى من التقول على النبي صلى الله عليه وسلم ونسبة الاحاديث اليه وهو لم يقلها بدليل انه لم يدونها كما دون القرآن » ولا شك ان قول ابي رية هذا افتراء كبير على الله ورسوله ، لن تنفعه امام الله متابعته للمستشرقين ولن ينصروه من دونه سبحانه وتعالى .
ولا شك أن دعوى المستشرقين وزعمهم أن الأحاديث لم تدون في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، وإنما دونت في عهود متأخرة ، يؤدي الى نتائج خطيرة ويؤدي الى عدم الاطمئنان بصحة ثبوت الأحاديث بل انعدام هذه الصحة في بعض الأحايين وذلك بافتراء الوضع وتوسيع أبوابه ، وبالتالي سقوط الثقة بكل ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أو على الأقل يصبح باب وضع الأحاديث وافترائها على النبي صلى الله عليه وسلم مفتوحا على مصراعيه ، وهذا يؤدي بدوره الى بطلان الاحتجاج بالسنة كمصدر تشريعي .
وهذه النتائج كلها هي مراد المستشرقين من سوق مزاعمهم وتشكيكهم في تدوين السنة . وهذه النتائج باطلة جملة وتفصيلا وان صحت بعض مقدماتها ، ولتجلية ذلك كله والرد عليه لزم تناول هذا الأمر بشيء من التروي والتمحيص .
فمما لا شك فيه ان النبي صلى الله عليه وسلم قد نهى عن تدوين ما يقوله ، كما وانه قد ثبت ايضا انه اجاز الكتابة ، بل انه ثبت ان بعض الصحابة كان يكتب على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلابد والحال هذه من ان يكون في النهي عن الكتابة والاذن فيها اسباب ومقاصد .
ولتجلية ذلك يحسن ذكر هذه الدعاوي حتى نتوصل من خلال عرضها الى معرفة حقيقة الامر .

○ النهي عن الكتابة :

نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن كتابة شيء غير القرآن فروى عطاء بن يسار عن ابي سعيد قال؛قال رسول الله صلى الله عليه وسلم؛« لا تكتبوا عني شيئا الا القرآن ، من كتب عني شيئا سوى القرآن فليمحه ».
وعن عطاء بن يسار عن ابي سعيد الخدري قال : استأذنت النبي صلى الله عليه وسلم ان اكتب الحديث ، فأبى ان يأذن لي ، وفي رواية انه قال سعيد : استأذنا النبي صلى الله عليه وسلم في الكتاب فابى ان يأذن لنا .

وعن عطاء بن يسار عن ابي هريرة قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نكتب الاحاديث ، فقال : « ما هذا الذي تكتبون ؟» قلنا :« احاديث سمعناها منك » قال أكتاب غير كتاب الله تريدون ، ما أضل الأمم من قبلكم إلا ما اكتتبوا من الكتب مع كتاب الله » قال ابو هريرة فقلت : أنتحدث عنك يارسول الله ؟ قال : « نعم تحدثوا عني ولا حرج ، فمن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » .

وقيل لابي سعيد الخدري « لوكتبتم لنا ، فإنا لا نحفظ » قال « لانكتبكم ولا نجعلها مصاحف ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا فنحفظ ، فاحفظوا عنا كما كنا نحفظ عن نبيكم ».

وعن عبد الله بن مسعود قال « كنا نسمع الشيء ، فنكتبه ، ففطن لنا عبد الله ، فدعا أم ولده ، ودعا بالكتاب وبإجانة من ماء ، فغسله ».

إجازة الكتابة :

فإلى جانب ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم وبعض الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم اجمعين من النهي عن كتابة غير القرآن ، فقد ورد ما يقتضي اجازة الكتابة بل الامر بها .

روى أبو هريرة قال : كان رجل يشهد حديث النبي صلى الله عليه وسلم فلا يحفظه ، فيسألني ، فاحدثه ، فشكا قلة حفظه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم « استعن على حفظك بيمينك » يعني بالكتابة (تقييد العلم وهامشه ٦٥).

وروى البخاري عن ابي هريرة قال : ما من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أحد أكثر حديثا عنه مني إلا ما كان من عبد الله بن عمر ، فانه كان يكتب ولا أكتب .

وروى البخاري ومسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما لما اشتد المرض بالنبي صلى الله عليه وسلم قال : « ائتوني بكتاب ، أكتب لكم كتابا لا تضلوا من بعده فاختلفوا وكثر اللغط ، فقال : قوموا عني ولا ينبغي عندي التنازع » .

وأخرج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة : أن خزاعة قتلوا رجلا من بني ليث عام فتح مكة بقتيل منهم قتلوه ، فأخذ بذلك النبي صلى الله عليه وسلم فركب راحلته فخطب فقال : « ان الله حبس عن مكة القتل ـ او الفيل ـ شك من البخاري ـ وسلط عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون ، ألا وإنها ساعتي هذه حرام لا يختلى شوكها ، ولا يعضد شجرها ، ولا تلتقط ساقطتها إلا لمنشد ، فمن قتل له قتيل فهو بخير النظرين ، اما ان يعقل واما ان يقاد اهل القتيل « فجاء رجل من اهل اليمن فقال : اكتب لي يا رسول الله ، فقال عليه الصلاة والسلام : « اكتبوا لأبي شاة ».

وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب كتبا او رسائل إلى جهات متعددة مثل كتابه صلى الله عليه وسلم في الصدقات والذي أرسله أبو بكر

لأنس بن مالك رضي الله عنهما وهو مختوم بخاتم النبي صلى الله عليه وسلم ، وكتابه الى سعد بن عبادة ، وكتابه لأهل حضرموت وكتابه لأهل اليمن وصحيفته إلى عبد اللـه بن عمرو بن العاص ، وصحيفتـه الى جابر بن عبد الله كما توجد صحيفة هامة للتابعي همام بن منبه الذي التقى بأبي هريرة المتوفى سنة ٥٩هـ ونقل عنه كثيرا من احاديث النبي صلى الله عليه وسلم وجمع ذلك في صحيفة ، وقد وصلت هذه الصحيفة كاملة اذ عثر عليها الدكتور المحقق محمد حميد اللـه في مخطوطتـين متماثلتين في دمشق وبرلين ، كما نقلها الإمام احمد في مسنده ، ونقلها عنه البخاري في ابواب مختلفة .

كما ثبت ان بعض الصحابة كان يكتب عن النبي صلى الله عليه وسلم كعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه وعلي بن ابي طالب رضي الله عنه ، فقد كانت عنده صحيفـة فيها أحكـام الدّية .

○ أسباب المنع ثم الإجازة :

رأينا كيف أن أحاديث كثيرة تدل على منع كتابة السنة ، وفي نفس الوقت دلت أحـاديث اخرى عـلى جـواز الكتابة .

ولا ينبغي ان يفهم من هذا كما فهم بعض المستشرقين ان المراد بالمنع المنع المطلق والذي بنوا على أساسه عدم تدوين السنة ورتبوا عليه ما رتبوا .

كما أننا لا نتمسك بالجواز المطلق أمام مدعاهم ، بل الامر فيه من هذا ومن هذا ، فليس هناك تعارض حقيقي بين احاديث المنع واحاديث الجواز . وانما هو تعارض في الظاهر فقط ، فان المراد باحاديث النهي عن تدوين السنة التدوين الشامل الكامل لكل ما ينطق به النبي صلى الله عليه وسلم وحفظه في مدونة او كتاب كما يفعل الصحابة بالقرآن الكريم ، وليس نهيا لمجرد الكتابة ، ولذا كان السماح بالكتابة محدودا ، ولبعض الصحابـة ممن يأمن النبي صلى الله عليه وسلم خلطهم الحديث بالقرآن .

ومن هنا نستطيع القول ان السبب الرئيسي في المنع عدة امور ، **اولا** : خوف اختلاط الحديث بالقرآن وخوف انكباب بعض المسلمين الى دراسة وحفظ السنة وتضييع الكتاب . وإلا فمبدأ كتابة السنة لا اعتراض عليه ، ويؤيـد ذلك مـا روى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه اراد ان يكتب السنن ، فاستخار الله تعالى شهرا ، ثم اصبح وقد عزم فقال « ذكرت قوما كتبوا كتابا ، فأقبلوا عليه ، وتركوا كتاب الله عز وجل » ولعله يريد بأولئك القوم اليهود ، كما روى « ان بني اسرائيل كتبوا كتابا فاتبعوه وتركوا التوراة .

ثانيا : خوف الاتكال على الكتابـة وتدوين الاحاديث وترك الحفظ : وقد كان لهذا ما يبرره فان الناس كانوا يحفظون السنن ، اذ الاسناد قريب والعهد غير بعيد ، وهذا يجعل للحفاظ

وهم العلماء قدرا ومكانة على غيرهم ممن قد يدوِّن ويخطىء في الاستنباط فيفتي على غير علم . ولذلك كره كثير من الاقدمين الكتابة ، مع انهم لم ينهوا عنها كلية ، بل يكتب العالم للاستيثاق ، ولا يكتب الجاهل ، فروى عن سفيان الثوري رضي الله عنه قال : « بئس المستودع العلم القراطيسي » قال يحي بن سعيد وكان سفيان يكتب ، احتياطا واستيثاقا . ولذا كان كثير من الصحابة يكتب الحديث للاستيثاق ثم يمحوه ، فيروي ان مسروقا قال لعلقمة « اكتب لي النظائر » اي المتشابه والمتماثل من الاحاديث ، قال « أما علمت أن الكتاب يكره » قال : « إنما انظر فيه ثم امحوه » قال « فلا بأس ».

ثالثا : خوف صيران العلم الى غير أهله : فإن تدوين العلم يسوي بين العالم والجاهل ، فيفتي الجاهل ـ مما كتب على غير دراية بغير المكتوب عنده ، او يفهم غير المراد وفي هذا ما فيه من تضييع العلم وقدر العلماء ، ولذلك كان كثير من الاقدمين اذا حضرته الوفاة ، اتلف كتبه ، أو أوصى باتلافها خوفا من أن تصير إلى من ليس من أهل العلم فلا يعرف أحكامها ويحمل جميع ما فيها على ظاهره . وربما زاد فيها ونقص فيكون ذلك منسوبا الى كاتبها في الاصل .

وعلى اية حال فان كتابة الاحاديث من حيث المبدأ لم يكن منهيا عنها لذاتها وانما لما يمكن ان ينبنى عليها من مخاطر وأخطاء . بل يمكن اعتبار أحاديث جوازالكتابة ناسخة للاحاديث المنهي عنها ، لان الجواز كان آخر ما عهد عن النبي صلى الله عليه وسلم يؤيده ما سبق مما رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما ، انه لما اشتد بالنبي صلى الله عليه وسلم وجعه قال: ايتوني بكتاب اكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده » .

وفي ذلك كله يقول الخطيب البغدادي ، فقد ثبت ان كراهة من كره الكتابة من الصدر الاول ، انما هي لئلا يضاهي بكتاب الله تعالى غيره ، او يشتغل عن القرآن بسواه . والنهي عن كتب العلم في صدر الاسلام وجدته لقلة الفقهاء في ذلك الوقت ، والمميزين بين الوحي وغيره ، لان اكثر الاعراب لم يكونوا فقهوا في الدين ولا جالسوا العلماء العارفين ، فلم يؤمن ان يلحقوا ما يجدون من الصحف بالقرآن ، ويعتقدوا ان ما اشتملت عليه كلام الرحمن .

ويقول ايضا معللا لضرورة تدوين العلم : انما اتسع الناس في كتب العلم وعملوا على تدوينه في الصحف بعد الكراهة لذلك ، لان الروايات انتشرت ، والاسانيد طالت ، وأسماء الرجال وكناهم وأنسابهم كثرت ، والعبارات بالالفاظ اختلفت فعجزت القلوب عن حفظ ما ذكرنا ، وصار علم الحديث في هذا الزمان أثبت من علم الحافظ .

وبهذه الأدلة والأقوال مجتمعة لا يبقى لدعوى المستشرقين في أن السنة لم تدون الا في عهود متأخرة ، أي حظ من

دليل ثابت او حجة قوية . وبالتالي فان ما راموا التوصل اليه من توهين الاحاديث وتضعيف اسانيدها مبني على غير اساس ولا أثارة من علم .

التدوين الرسمي :

اما التدوين الذي قطع دابر كل متقول ومتصيد ، فهو التدوين الشامل للسنة الذي محصت فيه الصحاح من الاحاديث عن غيرها ، وهذا التدوين كان غاية كبيرة عظيمة كان ينشدها ويتطلع اليها كثير من العلماء ، وكان اولهم كما رأينا الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ولما كان عهد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه اراد جمع احاديث النبي صلى الله عليه وسلم ، فارسل الى أبي بكر بن حزم عامله وقاضيه على المدينة قائلا له : « انظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاكتبه ، فاني خفت دروس العلم وذهاب العلماء » وطلب منه أن يكتب له ما عند عمرة بنت عبد الرحمن الأنصارية المتوفاة ٩٨هـ والقاسم بن محمد بن ابي بكر المتوفي ١٠٦هـ ولم يخص ابن حزم بهذا بل أرسل كذلك الى الآفاق يطلب منهم مثل طلبه من ابن حزم ، والذي يظهر أن أبا بكر بن حزم كتب شيئا من السنة ، فقد أنفذ اليه ما عند عمرة والقاسم ، ، ولكنه لم يدون كل ما في المدينة من سنة وأثر ، وإنما فعل هذا الإمام محمد بن شهاب الزهري ١٢٤هـ ، ثم شاع التدوين في الجيل الذي يلي جيل الزهري ، وكان أول من جمعه بمكة ابن جريج ١٥٠هـ وابن اسحاق ١٥١هـ ، وبالمدينة سعيد بن ابي عروبة ١٥٦هـ والربيع بن صبيح ١٦٠هـ والامام مالك ١٧٩هـ وبالبصرة حماد بن سلمة ١٦٧هـ وبالكوفة سفيان الثوري ١٦١هـ وبالشام ابو عمرو الأوزاعي ١٥٧هـ وبواسط هشيم ١٧٣هـ وبخراسان عبد الله بن المبارك ١٨١هـ ، وباليمن معمر ١٥٤هـ وبالري جرير بن عبد الحميد ١٨٨هـ ، وكذلك فعل سفيان بن عيينة ١٩٨هـ والليث بن سعد ١٧٥هـ وشعبة بن الحجاج ١٦٠هـ . وهؤلاء جميعا كانوا في عصر واحد ، وكان صنيعهم في التدوين ان يجمعوا احاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مختلطا باقوال الصحابة وفتاوي التابعين مع ضم الابواب بعضها الى بعض في كتاب واحد . ثم جاء القرن الثالث فكان ازهى عصور السنة واسعدها بأئمة الحديث فكتب الامام محمد بن اسماعيل البخاري ٢٥٦هـ كتابه الصحيح وتبعه تلميذه الامام مسلم بن الحجاج القشيري ٢٦١هـ فالف صحيحه ثم توالت الصحاح كسنن ابي داود ٢٧٥هـ والنسائي ٣٠٣هـ وجامع الترمذي ٢٧٩هـ وسنن ابن ماجة ٢٧٣هـ . وبمجموع هذه الكتب دونت السنة وميز الصحيح من الضعيف والموضوع ، وبهذا التدوين لا يبقى للمستشرقين واضرابهم متمسك في الطعن بصحة الاسناد الى السنة باعتبارها المصدر الثاني للتشريع بعد القرآن الكريم .

الأسلام

الاطفال هم أولادنا ، الضوء المنير والمشرق في حياتنا ، المستقبل الباسم الذي نرجوه ونتمناه من بعدنا .. إنهم العالم المليء بالبراءة والطهر والنقاء في الأسرة والمجتمع .. إنهم الرجاء ، رجال الغد الذين تعقد عليهم الآمال في القوة والتضحية والرجولة والدفاع عن الحق وبناء الشخصية الاسلامية وبلورتها وصياغتها في أقوال وأفعال متطابقة مع منهج الاسلام والشريعة الاسلامية .

هؤلاء الأطفال ، فلذات أكبادنا ، علينا لهم حقوق ، أكثر مما عليهم نحونا من واجبات .. بل يمكن القول إننا لا يمكن أن نلزمهم بشيء لأنهم دون مرحلتي التحمل والإدراك .. لذلك فالتزامنا نحوهم واجب وضرورة كجزء من الرعاية والعناية وصولا الى التربية المثلى والسلوك الحسن ، ليشبوا رجالا عارفين وعالمين ومدركين بحقوقهم مباشرين لواجباتهم الدينية والحياتية والعملية على أكمل وجه .

إن الاهتمام بالاطفال في الاسلام سابق لاهتمام الغرب بهم .. إن الاهتمام بالأطفال في العالم الغربي المتحضر لم يبدأ حقيقة الا منذ مؤتمر البيت الأبيض للطفولة الذي عقد في مدينة واشنطن عام (١٩٠٩) ميلادية .. هذا الاهتمام كان وليد الاهتمام بروابط الأسرة ودورها الأصيل في رعاية الطفل والعناية به باعتباره كائنا حيا له متطلبات وللأسرة عليه واجبات ليشب قويا متماسكا قادرا

ورعاية الأطفال

للأستاذ : محمد عبدالحميد

على مسايرة روح العصر وخدمة وطنه . من أهم التوصيات التي جاءت في هذا المؤتمر مجموعة من القواعد منها :

● حياة الأسرة هى أرقى وأفضل ما أنتجته الحضارة الاجتماعية ، ولا يجب حرمان الأطفال منها إلا في حالات الضرورة القاهرة .

● انتزاع الطفل من أسرته بسبب الفقر فحسب ، أمر غير مقبول .

● ضرورة حياة الأطفال في بيوت حاضنة (أسر بديلة) اذا حتمت الظروف رعايتهم بعيدا عن أسرهم .

● توفر للأطفال الذين يودعون في مؤسسات رعاية الأطفال (اذا كان ذلك لمصلحتهم) الأجواء التي تحاكي جو الأسرة ، اي بتوزيعهم في شكل مجموعات صغيرة ، وان يكون لكل مجموعة كوخ خاص ، وأم بديلة لهم وحدهم .

وقد سارت بقية التوصيات التي جاءت وليدة هذا المؤتمر بعد ذلك ، الى تناول كل ما يؤدي الى صحة وسلامة

الجوانب الشخصية الاساسية للطفل .. و هى الجوانب الجسمية والعقلية والوجدانية والاجتماعية الضرورية لنمو شخصية الطفل واتزانه الاجتماعي والنفسي . إن هذه التوصيات التي أصبحت دستورا فيما بعد جاءت نتيجة أبحاث ودراسات اجتماعية ونفسية ميدانية حول ما يحتاجه وما لا يحتاجه الطفل .. ولقد أصبحت فيما بعد حقوقا لا جدال فيها ، اي لا تقبل الجدل او المناقشة .. وانما فقط كل ما هو مطلوب التنفيذ .. وهذه الحقوق والحاجات هى :

- حق الطفل في الرعاية الصحية والنمو الكامل من النواحي الجسمية والعقلية والوجدانية والاجتماعية .
- حقه في التربية الصحية لتنمية مختلف قدراته وتحويلها الى مهارات واستعدادات انتاجية .
- حاجته الى التربية الدينية والتزود بالقيم الاجتماعية الايجابية .
- حقه في الاستمتاع بمختلف الفرص التي تكفل له ممارسة مختلف الهوايات في حرية ومع زملاء متجانسين معه .
- حقه في الحماية من الأعمال التي لا تتفق مع عمره ، أو مع قواه الجسمانية او مع ميوله .
- حقه في الحياة مع كافة الضمانات التي تعطيه هذه الفرصة دون أي مساس بانسانيته وكرامته .

والسؤال الذي نطرحه الآن : ما هو موقف الاسلام من الطفل ؟ .. يمكن القول إن الاسلام قرر حقوقا عديدة منوعة ومتنوعة (منذ ١٥ قرنا) للطفل المسلم .. وهو جنين في بطن امه .. ورضيع بين يديها .. ثم وهو فطيم يحتاج الى الرعاية والحنان . لقد نشأ الرسول صلى الله عليه وسلم يتيما ، وحين اختاره الحق تبارك وتعالى رسولا ورحمة للعالمين أكد القرآن الكريم الوصاية بالطفل اليتيم في أكثر من موضع وأكثر من سورة من سوره الكريمة .. جاء في قول الحق : « **الم يجدك يتيما فآوى ... فأما اليتيم فلا تقهر** » (سورة الضحى / . وقوله سبحانه وتعالى : « **أرأيت الذي يكذب بالدين . فذلك الذي يدع اليتيم** » (سورة الماعون / الآية ١ ، ٢) . وقوله تعالى : « **فلا اقتحم العقبة . وما أدراك ما العقبة . فك رقبة . أو إطعام في يوم ذي مسغبة . يتيما ذا مقربة** » (سورة البلد / الآية ١١ / ١٥) .. ويقول الحق سبحانه وتعالى : « **وبالوالدين احسانا وذي القربى واليتامى والمساكين** » (سورة البقرة / الآية ٨٣) .. وايضا « **وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين** » (سورة البقرة / الآية ١٧٧) . وقوله تعالى : « **ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا** » (سورة الانسان / الآية ٨) .

ذلك كله واجب على المسلم القيام به تصرفا وسلوكا تجاه الطفل اليتيم الفقير .. أما اذا كان يتيما ذا مال .. هنا أوجب الاسلام أن يحفظ له ماله ، وأن يستخدم ويستثمر بالطرق

الشرعية التي تزيده وتحفظه من الزوال بسوء الاستخدام .. حول هذه النقطة توجب الشريعة الاسلامية على الولي أو الوصي ادارة مال اليتيم مقابل شيء يسير (أجر) ، ويستحسن أن يتم ذلك مقابل لا شيء . يقول الحق تبارك وتعالى : « **وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم ولا تأكلوها إسرافا وبدارا ان يكبروا ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف فاذا دفعتم اليهم اموالهم فأشهدوا عليهم وكفى بالله حسيبا** » (سورة النساء / الآية ٦) .. وايضا قوله سبحانه وتعالى : « **ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا** » (سورة الاسراء / الآية ٣٤) .. ويقول الحق تبارك وتعالى : « **وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا . إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا** » (سورة النساء / الآية ٩ ، ١٠) .

ولليتامى حقوق مفروضة واجبة الأداء من موارد بيت المال .. يقول الحق تبارك وتعالى : « **واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير** » (سورة الانفال / آية ٤١) . ويقول الحق سبحانه وتعالى : « **ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب** » (سورة الحشر / الآية ٧) .

والاسلام في تقريره لحقوق اليتيم لم يقف عند هذا الحد .. بل لقد قرر حق اليتيم في تركة المتوفى ، وذلك بفرزه وهو جنين في بطن امه .. لا أحد سوى الله عزوجل يعرف مصيره من الحياة أو الموت .. ولا يعرف هل سيكون ذكرا أم أنثى .. ذلك كله يبين دقة وعظمة الخالق عز وجل في ايراد وابراز هذه الحقوق الكاملة لليتيم .. وهناك أمر عظيم الأهمية ، كبير الأثر .. ان حق هذا الجنين يستلزم رعاية أمه التي تحمله في أحشائها .. لقد قدرت هذه الحالة من حاجات الأم عند الإنفاق عليها وهي زوجة وكذلك وهي مطلقة .. ويظهر ذلك بوضوح في قوله تعالى : « **وإن كنَّ أولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن** » . (سورة الطلاق / الآية ٦) .. وقد عني الاسلام بالمرضع والرضيع كما تبين احكام كتابه الكريم بقوله تبارك وتعالى : « **فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن وائتمروا بينكم بمعروف وإن تعاسرتم فسترضع له اخرى . لينفق ذو سعة من سعته** . ومن قدر

عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله » (سورة الطلاق / الآية ٦ ، ٧) .
وقول الحق : « **والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس إلا وسعها لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده وعلى الوارث مثل ذلك فان أرادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما وإن أردتم ان تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم إذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف واتقوا الله واعلموا ان الله بما تعملون بصير** » (سورة البقرة / الآية ٢٣٣) .

وعناية الاسلام بالطفل لم تقف عند هذا الحد .. بل اهتمت بقوته البدنية والمعنوية وخير ما يشرح لنا ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « تخيروا لنطفكم فانكحوا الأكفاء وانكحوا إليهم » .. رواه ابن ماجة والحاكم وقوله: « **فاظفر بذات الدين تربت يداك** » .. **رواه البخاري ومسلم ولقد روى ان الحسن والحسين رضى الله عنهما كانا يتصارعان بين يدى الرسول الكريم ، وكان يرغب ان يشبا على الفتوة والقوة الجسمانية والدراية بفنون النزال وكان يشجع احدهما على الآخر استثارة لعزيمة كل منهما تجاه الآخر .**

حدث ان وافق الرسول صلى الله عليه وسلم لاحد الشبان المسلمين على الانضمام لصفوف المجاهدين في احدى الغزوات ، ولم يوافق على انضمام آخر لصغر سنه ونحافة جسده .. قال الأخير لرسول الله وهو (سمره بن جندب) : يا رسول الله أجزت رافعا (وكان المجاز للجهاد رافع بن خديج) ورددتني ولو صارعني لصرعته .. فقال له الرسول : « فدونك فصارعه » .. وهنا صارع سمره بن جندب رافع بن خديج فصرعه .. بعدها أجاز الرسول الكريم كليهما للجهاد في سبيل الله .

ويتوافق مع الحادثة السابقة ما روى عن الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه .. انه كان دائما يوصي ان يتعلم الاولاد الرمي والسباحة كما أمرهم بركوب الخيل وثبا .. لأن ركوب الخيل بطريقة عادية ليس من الفروسية على الاطلاق .. والركوب وثبا فيه الكثير من مظاهر الفتوة والفروسية .. كذلك كان الرسول صلى الله عليه وسلم يهتم بأن يتعلم كل مسلم الرمي ويداوم التدريب عليه بشكل دائم ومستمر .. يقول صلى الله عليه وسلم : « من تعلم الرمي ونسيه فليس منا » .رواه مسلم .

ولقد عني الاسلام كذلك بتربية الطفل عقائديا وخلقيا وسلوكيا .. ورد في السنة المطهرة ان على الأب ان يلقى بالأذان في أذني طفله عند ولادته .. وفي هذا التصرف ابراز واظهار لمسؤولية الاب تجاه ولده .. وما يجب عليه ان يباشره في تربيته ، ودعوته للتوحيد ورسم الطريق السليم في

حياته .. ولقد فرق الاسلام بين ما قبل مرحلة البلوغ وما بعدها .. فالطفل الصغير يمكن ان يدخل على امه في اي وقت يشاء . ولكن متى بلغ مرحلة الحلم والادراك .. عليه الا يدخل الا بعد الاستئذان حتى لا تكون أمه في عورة .. والسبيل الى ذلك التعليم وحسن التربية ومعرفة ما جاء بكتاب الحق تبارك وتعالى الذي يقول : « **أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء** » (سورة النور / الآية ٣١) .. كذلك معرفة اطفالنا الحرام والحلال .. ما أحلّه الله وما حرّمه وكل ما يتعلق بتعاليم الاسلام . ومن آداب القرآن الكريم السلوكية ما ورد كذلك في سورة النور : « **يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم . واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم** » . (سورة النور / الآية ٥٨ ، ٥٩) .

والآن نتابع ما جاء في القرآن الكريم من التوجيه السليم الذي يجب ان يلتزم به الأبناء في العديد من مجالات الحياة والسلوك الحسن .. قال الحق تبارك وتعالى في سورة لقمان : « **وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم . ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك اليّ المصير . وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب اليّ ثم اليّ مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون . يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة او في السماوات او في الارض يأت بها الله إن الله لطيف خبير . يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك إن ذلك من عزم الامور . ولا تُصَعِّر خدك للناس ولا تمش في الارض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور . واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الاصوات لصوت الحمير** » . (سورة لقمان الآية ١٣-١٩) . ان هذه الآيات فيها الكثير من المعاني .. فيها ان يشكر الانسان الله على ايجاده ولوالديه على تربيته .. ان يطيعهما في كل شيء ولكن الا يوافقهما في الشرك بالحق تبارك وتعالى يقول لقمان لابنه يا بني ان الله لا يفلت من حسابه شيء ، فان الخصلة من الإحسان او الاساءة إن تكن وزن حبة خردل تائهة في صخرة أو في السماوات أو في الارض يأت بها الله .. وفيها كذلك الأمر بإقامة الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على ما يصيبه من مكروه .. وخير

وصاية عدم التكبر فالله سبحانه وتعالى لا يحب كل متبختر كثير الفخر .. وكذلك المطلوب الاعتدال في السير .. واذا كان هناك حديث مع آخر أو آخرين فليكن ذلك بصوت منخفض .

والاسلام يطلب من الطفل أو الصبي الا يكون جبانا .. ان يكون ذا شخصية لا يخاف الا الله .. هذا السلوك مطلوب .. وخير ما نقوله في هذا المجال .. حكاية الصبي الذي كان يلعب مع اصحابه .. ولما رأى الخليفة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب .. لم يسرع بالانزواء .. لم يطلق لساقيه ان تسابقا الريح .. وكلنا يعرف الخليفة عمر الذي كانت المهابة تسير في ركابه قال الصبي لعمر بن الخطاب : لم أكن مذنبا فأخاف منك ، ولم تكن الطريق ضيقة فأوسع لك ، ولم تكن جبارا فأرهبك . هذه هي شخصية الطفل أو الصبي المسلم كما يجب ان تكون .. وكما يجب ان يكون السلوك الطبيعي .

والاسلام عني بتعليم الطفل .. العلم كنز لا يفنى ، بل يتجدد بالمواظبة على الاطلاع من أجل المعرفة لخدمة المجتمع .. كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتبر العلم فريضة على كل مسلم .. وكان عليه الصلاة والسلام يطلق الأسير المشرك بعد غزوة بدر اذا قام بتعليم عشرة من صبيان المسلمين القراءة والكتابة .. وفي ذلك خير دلالة على أن النبي الكريم يريد للبراعم الصغيرة أن تكون غير جاهلة .. ان تكون عارفة ومتعلمة .. فالاسلام قوة بالعلم .. ولقد كانت المساجد عبر مسيرة الاسلام المكان الآمن للصلاة وتلقي علوم القرآن بعد حفظه واجادته .. وداخل المساجد التف طلاب العلم حول علماء أجلاء في الفقه والشريعة والعلوم والهندسة وغيرها .

وحسن معاملة الطفل لها مكانتها في الاسلام .. الطفل كائن حي .. كائن بسيط .. يجب ان نعامله بالحسنى .. ان نباسطه ونتباسط معه ونعطيه من الحنان ما يكفل له الشخصية السوية التي تجعله متعادلا في جميع تصرفاته .. جاء في السنة المطهرة .. ان الرسول الكريم سجد في صلاة جماعة .. اطال السجود .. ولما انتهى من صلاته سأله اصحابه عن السبب في اطالته للسجود .. هنا قال الرسول صلى الله عليه وسلم : «ولكن ابني ارتحلني ، فكرهت ان اعجله » . رواه احمد و النسائي

وكان حفيده الطفل اعتلى ظهره اثناء الصلاة .. لم يقل له شيئا .. لم ينهره أو يأمره بالنزول ، بل ظل ساجدا حتى اكتفى الطفل وهو على سجيته وبساطته ونزل من فوق ظهره وحده ومن تلقاء نفسه .. هكذا يجب ان تكون المعاملة .. لقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم الأسوة الحسنة في كل شيء . سؤال هادىء:هل الاسلام وقف عند هذا الحد ؟ .. الاسلام لم يترك اي شيء .. الاشياء الصغيرة كانت مثل الكبيرة في كيفية التعامل ومعاملة الطفل .. لقد شملت رعاية الاسلام الاطفال غير الشرعيين .. وهو عندما

شملهم برعايته وعنايته .. حذر من جريمة الزنا وأوقع اشد العقوبة على مرتكبيها حفاظا على كيان الاسرة .. ومن يكفل اللقيط يجب ان يرعاه ويحافظ عليه ويحسن معاملته ويعطيه كافة حقوقه كإنسان .. يقول الامام ابن حزم : « وشهادة ولد الزنا جائزة في الزنا وغيره ، ويلي القضاء وهو كغيره من المسلمين » .. ولا يوجد نص في التفريق بينه وبين غيره .. وذلك قول ابي حنيفة والشافعي واحمد واسحق وابي سليمان .. وهو ايضا قول الحسن والشعبي وعطاء بن ابي رباح والزهري .. يقول الحق سبحانه وتعالى : « **فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين** .. » .. الاحزاب/ ٥ ومعنى كلمة اخوانكم في الدين .. فلهم مالنا وعليهم ما علينا دون اي تحفظ .. أو دون قبول جزء من كل .. وهذا في حد ذاته يمثل العدل كله والعدالة كلها .

نختم الحديث في هذا المجال بما كان من أمر عمر بن الخطاب رضى الله عنه مع الاطفال .. لقد جعل للطفل الفطيم نصيبا من بيت المال .. اي انه حَمّل بيت المال حاجة الطفل للطعام .. فرض لكل مولود نصيبا من بيت المال رضيعا كان او فطيما وكان السبب ما علمه من بكاء طفل تتعجل أمه فطامه لينال حقه .. وقال قولته المشهورة : « ويح عمر ، كم قتل من اولاد المسلمين » . ويقصد بذلك ما حدث قبل ان يقرر حق الرضيع والفطيم من بيت المال . كان رضى الله عنه يتألم اذا سمع بكاء طفل .. يؤثر عنه انه قَبّلَ طفلا مرة امام احد ولاته .. فقال له الوالي : أتُقَبِّلُ أطفالك يا أمير المؤمنين ، فو الله إننا لا نفعل : قال عمر على الفور : وماذا أفعل اذا كانت الرحمة قد نزعت من قلوبكم ؟ .. وكان تصرفه الطبيعي عزل هذا الوالي .. وكان جوابه على ذلك التصرف انه لا يقبل بأي حال من الأحوال ان يلي أمور المسلمين واليا يفتقر الى الحنان في تصرفاته .. فاذا كان لا يعطي الحنان لطفل فكيف يسوس أمور المسلمين وقلبه غليظ مملوء بالقسوة .

ان الاسلام لم يقف عند أمر واحد فيما يخص الطفل .. بل هو في نظره كائن حي له الرعاية والعناية .. له الحقوق كلها .. رعاية الطفل واجبة سواء كان في ظل والديه .. في ظل امه .. سواء كان مجهول الاب والأم .. وفي جميع الأحوال يجب ان يحظى بالرعاية .. ويجب ان تتحقق له كافة احتياجاته البدنية والصحية والتربوية والتعليمية .. مع العناية بتربيته عقائديا وخلقيا وسلوكيا .. ان يعرف دينه ويجد في ابويه القدوة الحسنة .. ذلك ليس واجب الاسرة .. ليس واجب الوالدين ولكنه في نفس الوقت واجب على المسئولين في الدولة .. إن حنان الأب مطلوب .. وايضا حنان المسئول مطلوب وواجب اكثر .. لقد سبق الاسلام في رعايته للاطفال اي رعاية اخرى لدول العالم المتحضر بمئات السنين .. وبأكثر دقة منذ أكثر من (١٤) قرنا .. هذه هى عظمة الاسلام وقوته في جميع المجالات .

المرأة العاملة

ظن الغربيون على مدى فترات طويلة ، ان خروج المرأة الى ميدان العمل من ابرز منجزات الحضارة الغربية ـ بل من اهم ما اهدته الى هذا العالم في العصور الاخيرة ـ ومن هنا فانها اخذت تبشر بهذا الانجاز وتدعو اليه .

وبدأت المجتمعات المختلفة في السير على هذا الطريق حتى لا تكون متأخرة وفي الوقت نفسه يعمل المجتمع بكل طاقته بدل ان يعمل بنصفها عن طريق الرجل وحده ـ وبذلك تضيع هذه الطاقات غير العاملة هدرا .

ومضت فترات وبدأت آثار عمل المرأة تظهر عليها وعلى ابنائها وأسرتها ثم على المجتمع كله ـ بدأت الاثار قليلة فلم يلتفت احد اليها ـ ثم اخذت تظهر وتظهر حتى لم تعد تخفى على احد ، وبدأ الناس يعترفون وان كانوا لا يستطيعون ان يستغنوا عن دخل المرأة .

وبدأت الدراسات حول هذا الموضوع تعطينا مؤشرات ..

● مؤشرات خطيرة تحتاج الى اعادة النظر في كل ما كان الغرب يقوله عن حقيقة المساواة بين الرجل والمرأة وعن الحرية المطلوبة للمرأة وعن خروج المرأة الى العمل .

زادت اعباؤها وزادت مشاكلها

للأستاذ / علي القاضي

نعم لقد بدأت المرأة تدفع ثمن الخروج الى العمل غاليا .

● بعض هذا الثمن تدفعه من دمها واعصابها وأمراضها الجسمية والنفسية .

● وبعضه يدفعه اطفالها من زيادة امراضهم الجسمية والنفسية وبالتالي تدفعه هى حين ترى اعباء جديدة قاسية قد اضيفت الى اعبائها .

- وبعضه تدفعه الاسرة كلها من وجود هذا الاختلال الذي يؤثر في كل فرد من افرادها ..

- ثم يأتي بعد ذلك الثمن الغالي الذي يدفعه المجتمع وبالتالي الحضارة التي تمثله .

زادت أعباء المرأة العاملة وزادت مشاكلها :

نشرت صحيفة الاهرام القاهرية بعددها الصادر في ٣/٤/١٩٧٢ احدث

دراسة للجهاز المركزي للتنظيم والادارة تحت عنوان « المرأة العاملة تدفع ثمن الوظيفة » قالت فيه :

يقول الدكتور حسن توفيق رئيس الجهاز المركزي للتنظيم والادارة ، ان هناك انتقادات وملاحظات على كفاءة تشغيل المرأة ـ فقد دخلت الاعمال المتوفرة في سوق العمل بغض النظر عن مدى ملاءمتها واستعداداتها وقدرتها على العمل ـ وقد أثر ذلك على الكفاءة المنتظرة منها ـ فخروج المرأة للعمل بهذا الشكل لم يصاحبه الاهتمام بتوفير مجموعة من الخدمات الاساسية اللازمة لرعايتها ومساعدتها على التوفيق بين عملها ومسؤولياتها الاساسية .

هناك ملاحظات على تشغيل المرأة وهناك سلبيات ـ ومن واقع خبرة التطبيق في العمل الحكومي والقطاع العام يقول الدكتور حسن توفيق اهم الملاحظات والسلبيات التي تؤثر على كفاءة تشغيل المرأة وتجعلها تدفع ثمن الوظيفة .

وأولى هذه الملاحظات أن دخول المرأة الى بعض الأعمال التي لا تتلاءم مع طبيعتها واستعداداتها وقدراتها جعلت كفاءتها الانتاجية في أداء العمل محدودة .

ويرى الخبراء ان طبيعة المرأة ومسؤولياتها كزوجة وام أثرت على كفاءتها وانتظامها في العمل وعلى درجة تفرغها ذهنيا ومعنويا لمتابعة عملها ـ حتى ان وحدات العمل تشكو من تغيب المرأة وكثرة الاجازات الممنوحة لها ـ كما ان هناك صعوبة تواجه المرأة التي تصل الى المناصب القيادية ـ فالرجل لا يتقبل رئاسة المرأة للعمل فضلاً عن عدم نجاح المرأة بالدرجة المرجوه في المنصب الرئاسي .

وفي احدث دراسة قام بها الجهاز المركزي للتنظيم والادارة عن حجم العمال بالنسبة للمرأة في القطاع الحكومي والقطاع العام ـ اتضح ان اجمالي عدد العاملين بالقطاع الحكومي حتى [illegible] سنة ١٩٨٠ بلغ مليونين و١٣٤ الفا ـ من هذا العدد ٢٦٠ الف [illegible] ١٪ تقريبا من اجمالي العاملين .

أما في القطاع العام ـ فقد [illegible] اجمالي عدد العاملين يبلغ مليونا و١٩٩ الف عامل ـ من هذا العدد ١١٥ الفا ، ٥٥٦ عاملة بنسبة ٦١٪ تقريبا .

وأوضحت الدراسة ان اجمالي عدد العاملات من النساء بالقطاع الحكومي ، قد زاد في أول يناير بمقدار ٧٧٪ عما كان عليه الحال منذ عشرين عاما ـ أي ان زيادة المرأة العاملة في الحكومة والقطاع العام بلغت ٨٠٪ .

وأوضحت الدراسة ان نسبة اجمالي المرأة العاملة التي تشغل الوظائف العليا في اول يناير ١٩٧٨ قد ارتفعت بما يزيد عشرين مرة عما كان عليه الحال في شهر يناير ١٩٦١ ـ ويوجد سيدتان تشغلان منصب وكيل اول وزارة ، ١١ يشغلن منصب وكيل وزارة ـ بينما يوجد ٦٨ موظفة بدرجة مدير عام في اول يناير ١٩٨٠ .

حل المعادلة الصعبة للمرأة العاملة :

ويرى رئيس الجهاز المركزي للتنظيم والادارة انه يجب توفير مجموعة من

الخدمات الاساسية لرعاية المرأة العاملة وتمكينها من التوفيق بين مسؤولياتها تجاه العمل ومسؤولياتها تجاه الاسرة - وينمي من ولائها لجهة عملها ، ويرفع من روحها المعنوية - وبالتالي يؤدي الى زيادة كفاءتها الانتاجية كالتوسع في توفير دور الحضانة بوحدات العمل وتوفير المواصلات لنقل العاملات وتوفير الخدمات التي تتيح للمرأة العاملة القيام بواجباتها الاسرية في وقت وجهد اقل .

الطبيعة السيكلوجية للمرأة :

وعن الطبيعة السيكلوجية للمرأة يقول الدكتور محمود فؤاد استاذ ادارة الاعمال والعلوم السلوكية بجامعة القاهرة ومستشار رئيس الجهاز « ان المرأة تتميز بأنها اكثر حساسية من الرجل - لذلك لا يمكن للمدراء انتقادها دون مراعاة مشاعرها - فهى اكثر قابلية من الرجل لأن تأخذ النقد الموضوعي للعمل على انه موجه لشخصيتها الخاصة وهى اكثر عاطفية - ومع مسؤولياتها المزدوجة في المنزل والعمل فانها تكون اكثر قلقا وتوترا .

ومن هنا فان المرأة العاملة تدفع ثمنا باهظا لكي تلائم بين عملها وأعبائها المنزلية كزوجة وام وربة بيت .

نادى الصداع :

ونشرت صحيفة الاهرام القاهرية بعددها الصادر في ١٩٨٢/٤/٣٠ كلمة عن نادى الصداع قالت فيه « قد تكون المرأة اكثر حساسية من الرجل - وغالبا فان ضغوط المرأة تختلف عن ضغوط الرجل ولكن المهم في متاعب الصداع انه لعبة المرأة » هكذا يقول الدكتور (اندريه براو البيه) استاذ الامراض الباطنية بكلية الطب بجامعة باريس وهو متخصص في امراض الحساسية ورئيس نادى الصداع بباريس ، الذي يضم النسبة الكبرى من أعضائه من النساء ، ويعتبر الصداع من امراض الحساسية ...

واذا كان للصداع خمسة انواع - فان المرأة تتفوق على الرجل في الاصابة بأكثر من اربعة انواع منه - ولعل صداع الميجرين هو اكثر انواع الصداع انتشارا يليه الصداع العصبي والنفسي .

والمرأة تملك العديد من الاسباب لجعل الصداع رفيقا لها وما من امرأة الا وحملت في حقيبة يدها المسكنات والعطور والمناديل كأسلحة للصداع والدموع والجاذبية .

وللصداع مواعيد فهناك صداع الفجر والصباح والظهيرة وصداع المساء

والليل وما بعد منتصف الليل ـ وصداع الفجر سببه ضغط الدم العالي ، وصداع الصباح المبكر هو الميجرين ، وصداع الظهر هو الصداع الذي تسببه الحبوب ، وصداع ما بعد الظهر هو الصداع النفسي .

ومن اسباب الصداع الضوضاء والتلوث والضغوط النفسية والعصبية والعمل الممل والزحام والظلم والاضطهاد .

وصداع الميجرين من بعض اسبابه القرف والملل والاحباط النفسي وهو اسوأ انواع الصداع وأكثرها ايلاما ـ وينصح الدكتور براديليه مرضى الميجرين عندما تصيبهم النوبة أن يلجئوا الى حجرة مظلمة فيها الهدوء والسكينة دون ان يتعرضوا لأية مضايقات .

مرض الطفل المضروب :

لان المرأة مرهقة في العمل فانها لا تستطيع ان تتحمل أبناءها فتلجأ الى ضربهم ضربا قد يكون مبرحا ـ ويتكرر الضرب مع الاطفال وينشأ من ذلك مرض اسمه مرض الطفل المضروب .

وقد نشر الدكتور محمد علي الباز كلمة عن وضع المرأة الاوروبية اليوم في مجلة الامان اللبنانية بعددها الصادر في ٢١ من كانون الاول سنة ١٩٧٩ جاء فيه : « مجلة هيكسان الطبية لعام ١٩٧٨ نشرت في عددها الخامس » انه لا يكاد يوجد مستشفى للأطفال في اوروبا وأمريكا إلا وبه عدة حالات من هؤلاء الاطفال المضروبين ضربا مبرحا من امهاتهم .

وفي سنة ١٩٦٧ دخل المستشفيات البريطانية اكثر من ٦٥٠٠ طفل ضربوا ضربا مبرحا ادى الى وفاة ما يقرب من ٢٠٪ منهم ـ وأصيب الباقون بعاهات جسدية وعقلية مزمنة ـ وقد أصيب مئات منهم بالعمى ـ كما أصيب مئات آخرون بالصمم ـ وفي كل عام يصاب المئات من هؤلاء الاطفال بالعته والتخلف العقلي الشديد والشلل نتيجة الضرب المبرح .

ويتساءل الدكتور « ايلي رئيس أقسام الاطفال في مستشفيات بريستول المتحدة في مدينة بريستول البريطانية : هل هؤلاء الامهات وحوش ؟ وينتهي في مقاله الى ان هؤلاء الامهات يواجهن أزمات نفسية خطيرة ـ ادت بهن الى ضرب اطفالهن ضربا مميتا او مؤديا الى عاهات مستديمة ويقول « ان أغلب هؤلاء الامهات لسن مجرمات بطبيعتهن ـ ولكن وجود الأم بدون زوج واضطرارها للعمل والخروج ثم عودتها مرهقة الى المنزل ، لتواجه الطفل الذي لا يكف عن الصراخ يفقدها اتزانها وعواطفها ... وقد لوحظ ان هؤلاء الامهات يكرهن اولادهن كرها شديدا ـ حيث ينغص هؤلاء الاطفال على امهاتهم حياتهن ـ وقد نشرت الصحف في العام الماضي قصة الشاب والشابة اللذين قاما ببيع طفليهما في امريكا بمائة دولار ـ كما ان كثيرا من الامهات يقمن بتسميم اطفالهن باعطائهم السموم

والعقاقير الخطيرة .

أطفال للبيع :

ونتج عن خروج المرأة للعمل ـ واضطراب اعصابها من الارهاق ومحاولة العيش في مستوى خاص ـ انحراف في الفطرة ادى الى ان تستغنى بعض الاسر عن ابنائها او عن بعضهم وذلك عن طريق البيع لافراد او لمؤسسات تكونت لهذا الغرض .

وقد نشرت مجلة العهد القطرية بعددها الصادر في اول ديسمبر سنة ١٩٨١ دراسة حول هذا الموضوع جاء فيها :

● في أمريكا الجنوبية عشرات من مكاتب التبني مفتوحة لاستقبال الاطفال اليتامى أو المرفوضين من آبائهم وأمهاتهم .

● احدى ممرضات مستشفى للولادة في كولومبيا تقول « ان الاطفال الذين يولدون اصحاء يسأل اهلوهم بوساطة شبكات تهريب الاطفال اذا كانوا يودون بيع اطفالهم فيستريحون من تنشئتهم وتربيتهم .

● في البرازيل تألفت لجنة من الكونجرس البرازيلي لدراسة هذه المشكلة فوجدت اللجنة ان ثلاثة ملايين طفل يعيشون في الملاجىء ودور الايتام دون وجود آباء وأمهات يلجؤون اليهم ـ وهؤلاء الاطفال عرضة للانتقال الى اوربا وامريكا للعيش مع أباء وامهات جدد ـ ووجدت اللجنة ان كثيرا من الامهات الفقيرات يعطين أبناءهن لدور التبني طوعا ـ وغالبا ما ينتهي هؤلاء الصغار الى مجتمعات أوروبية أو كندية أو أمريكية .

● احد قضاة أمريكا اللاتينية علق على هذه المشكلة قائلا « هل من المعقول أن ينتهي مئات ومئات من الأطفال مع عائلات ؟ ويعيشون سعداء ام أنهم يباعون للمختبرات العملية والطبية وتجرى عليهم التجارب » ، القصة لازالت غامضة .

● التاجرة بلمر تعيش في البرازيل وتحمل جنسيتين برازيلية وأمريكية ـ وتحتضن مئات من الاطفال الفقراء الذين سلمتهم امهاتهم طوعا حسب قولها ـ وتقوم بلمر بتلقى طلبات التبنى وتجهز الاوراق الرسمية اللازمة للطفل للسفر مع عائلته الجديدة وتتقاضى بلمر ستة آلاف دولار عن كل طفل ، ويضاف الى هذا المبلغ اتعابها في التربية والرضاعة لمدة شهور ...

السلطات البرازيلية اتهمت هذه السيدة بأنها تتاجر بالعرق الانساني ـ وقامت بمنع عدد من الاطفال البرازيليين المباعين لآباء امريكيين من مغادرة البلاد لان بلمر في نظر السلطات البرازيلية مبتزة وتجنى ارباحا طائلة من تجارتها باللحم الآدمى .

وهكذا اصبح الانسان سلعة تباع وتشترى ، تحت اسم شعار أو آخر ، وهذا ما وصلت اليه الحضارة الغربية .

السلام من مركز القوة

للدكتور / محمود محمد عمارة

كان انتصار المسلمين في بدر نقطة تحول في تاريخ الاسلام قضى الله تعالى به على اهمية العدد والعدة في غيبة الايمان .. وكان الظن أنهما أساس الانتصار .. في الوقت الذي برزت أهمية العقيدة المسلحة بالقوة .. على نحو قلب حسابات العدو .. وحطم مقاييسه في وزن أقدار الرجال ..

والتنبؤ بنتائج الحروب .

ومع ان الانتصار في معركة بدر كان حاسما .. إلا أن الأمر بالاعداد للجهاد مازال مستمرا .. بينما دماء المشركين لا تزال ساخنة عبر الصحراء .

جاء ذلك في قول الحق سبحانه وتعالى بعد بيان احداث الغزوة في سورة الأنفال :

(ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا إنهم لا يعجزون . وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون . وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم . وإن يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين) الأنفال / ٥٩ الى ٦٢ .

والآيات الكريمة تطالعنا بالحقائق الآتية :

١ ـ قد يحرز العدو تقدما في مجال الدعاية .. ومن الناحية العسكرية قد يكسب نصرا خاطفا فيحسب انه سبق في المضمار سبقا يدل به عليكم ويزهو ..

ولكن ذلك ظن خاطىء ..
فتجربة الأمس تفند هذا الزعم ..
إن من ورائه قوة قادرة محيطة من جند الحق سبحانه الذين إن فاتهم مجاراته في حملة التضليل .. فما فاتهم أن يتركوه على الساحة أشلاء .. ولم يُعجز جندَ الحق يومئذ هربا .

٢ ـ وحتى يظل زمام المبادرة في ايدي المؤمنين .. فلابد من الاستمرار في اعداد القوة جهد الطاقة .. ليبقى المسلمون في اذهان اعدائهم قوة مخيفة تشل حركتهم .. وتلزمهم التريث قبل كل خطة يدبرونها .. أو شر يبيتونه ومن ورائهم قوى عالمية تمدهم في الغي وتزين لهم العدوان ..

إن العدو المباشر واجهة تخفي نوايا حاقدة تتربص بالاسلام الدوائر .. ولابد أن يكون الديدبان يقظا .. مسلحا بالوعي .. والقوة .

٣ ـ وهذه المسؤولية الكبرى تفرض على كل انسان في الدولة أن يسهم في المعركة مهما كان وضعه المالي ..

لأن العدو يستهدف الدين .. وهو حياة الجميع .. فلابد حينئذ من ان يظل شملهم جميعا .. وعلى ارتباط وثيق بالمعركة التي لا تغيب عن بالهم .. بكل صورة من صور البذل .

(وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم وانتم لا تظلمون) الأنفال / ٦٠ .

٤ ـ اذا نبتت فكرة السلام في أذهان الأعداء ودعوكم هم اليها فلا جناح عليكم في قبول سلام تتحقق به إرادة الاسلام له .. لأنه حينئذ يجىء من مركز القوة . قوتكم أنتم التي ملأت

أعين الأعداء فسعوا إليكم طائعين ..

أما السلام المرفوض فهو ذلك الذي تدعون أنتم اليه من واقع الضعف والتخلف .. على ما يقول سبحانه وتعالى :

(فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم اعمالكم) محمد/ ٣٥ .

إن سلاما من هذا النوع يصبح استسلاما يأباه وضعكم القيادي الذي حصلتموه بمشيئة الله سبحانه .. والايمان به ..

على أن تذكروا جيدا أن رغبة الأعداء في المعايشة السلمية مشكوك فيها على ما يفيده حرف الشرط **(ان .. جنحوا)** .

انه « جنوح » أي ميل .. بالرأس قد يكون خداعا بينما أقدامهم متشبثة بعقائدهم ومكائدهم .. فكونوا منهم على حذر ..

ثم كونوا أشد حذرا من الاعتماد على قوتكم المرصودة .. وتوكلوا على الله وحده ..

(وتوكل على الله)

ان القوة ليست في نوعية السلاح .. بقدر ما هي في يد تحمله .. يحبها الله ورسوله ويبقى ألا تنسينا أفراح النصر واجب الاعداد المستمر لمعركة مستمرة بين الحق والباطل .. ولن تضع أوزارها مادامت هناك حياة ..

من صور الاعداد للمعركة :

كل كلمة .. كل حركة .. كل جهد مبذول من أجل المعركة .. محسوب بميزان الحق الذي لا يظلم مثقال ذرة ..

قال تعالى :

(ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب ان يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطأون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين . ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا إلا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون) التوبة/ ١٢٠ ـ ١٢١

اي ان الرصاصة الواحدة .. التي تنطلق في سبيل الله .. تفتح ابواب الرضوان امام كل يد شاركت فيها اعدادا .. وتنفيذا ..

على شرط ان يتم ذلك استجابة لبواعث الخير .. واستهدافا لاعلاء كلمة الله .

اي ان السلاح في الاسلام للتعمير لا للتدمير .. وحين يشرعه المسلم في وجه عدو الله وعدوه فمن أجل ارهابه وكف يده حتى لا تمتد بأذى .. حفاظا على الدماء ان تراق .. مهما كانت عقيدة الانسان ..

وقد كانت استجابة المسلمين للاعداد صادقة .

كان « عروة البارقي » يملك وحده سبعين فرسا معدة كلها للقتال .

وتصور معي ذلك الجهد الموصول في رعاية هذا العدد من الخيل .. والذي يشغل الرجل واهله .. وولده .. وتساءل معي : كم يبقى من عمر هذه الأسرة . تنفقه في ملذات الحياة ؟! لا ريب ان المعركة ملأت حياتها الى حد لم يعد في حياتها وقت للهو او لعب .. حتى لغلمان لابد لهم من اللهو واللعب .

حتى الخيل نفسها تندمج في الدور .. وتصبح ملاقاة العدو ايضا شغلها الشاغل ! :

فعن معاوية بن خديج :

انه مر على أبي ذر وهو قائم على فرس له .

فسأله :

ماذا تعالج من فرسك هذا ؟

فقال :

اني اظن ان هذا الفرس قد استجيب له

قلت :

وما دعاء بهيمة من البهائم ؟

قال :

والذي نفسي بيده .. ما من فرس الا وهو يدعو كل سحر فيقول :

اللهم .. انك خولتني عبدا من عبادك .. وجعلت رزقي بيده .. فاجعلني احب اليه من اهله وماله وولده ..

فانظر كيف كانت امنية الفرس .. ان يظل في وعي صاحبه ركوبا في معركة الحق .. والا يشغل عنه بما يخلد به الى الأرض من مال واهل وولد ..

انه التدبير الالهي اذن .. يجعل من البيئة الاسلامية معسكرا تدريبيا يوحي كله بالجهاد والاعداد .. الى حد يجعل من تعلم الرمي عبادة يتقرب بها العبد الى ربه .. بحيث لو نسى الرمي يوما كان ذلك معصية ينبغي التوبة منها بالرجوع الى اجادتها والتدريب عليها .. يقول صلى الله عليه وسلم :

(من ترك الرمي بعد ما تعلمه رغبة عنه .. فانها نعمة كفرها) .

رواه الطبراني في الكبير

على ان يتم ذلك في حدود الاستطاعة البشرية .. وتبقى نتيجة المعركة بعد ذلك الى الله وحده .

ولا يفوتنا ونحن نواجه موقف ابي ذر ان ننبه الى جانب من حياته العملية اعدادا للمعركة ..

لقد جرت آراؤه في الاصلاح الاجتماعي على السنة تجيد تردادها ..

ثم لا تقدم للمعركة من جهدها شيئا مذكورا ..

انها فقط تتمسح بآرائه .. ثم تتناسى واقعه العملي الشاهد على انه كان يعمل اولا ثم يقول ثانيا .. لم يكن يركب (الخيل المسومة) من طراز القرن العشرين .. ولم يكن يلبس الخاتم الذي يكفي لاطعام آلاف المساكين .. لكنه كان مع الخيل المسومة خادما .. وراعيا .. اعدادا لنفسه كمجاهد في سبيل الحق سبحانه .. يجعل من آلام البشر شعورا يجيش به فؤاده .. لا شعارا براقا يسيل على الورق حبرا ..

او ينبعث من المذياع حديثا يروى !!

يرفض النور الذي لا يراه أقوام

محمد مؤذن

للشيخ معوض عوض ابراهيم

كثيرون مثلي لا يدرون دوافع الذين ينقمون من غيرهم ما كان ينبغي ان يقولوه هم بألسنتهم عن يقين ، أو أن تسطره اقلامهم هم منصفين الدين الذي امتن الله تعالى به على المؤمنين بخاصة ، وعلى البشرية بأسرها ، وعلى الحياة التي استوعب الاسلام - باعتباره الدين الخاتم - جوانبها ، وقدم لها من توجيهاته وأحكامه مالا يعوزها من بعده إلى سواه . فقال تعالى : « **اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا** » المائدة / ٣ .

ولقد استبحر العلم واتسعت آفاقه ، وحصل اقوام على مؤهلات علمية عليا من هنا وهناك ، كنا نود أن نجعلهم امتدادا صالحا للذين قال الله فيهم .. « **ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل اليك من ربك هو الحق ويهدي الى صراط العزيز الحميد** » سورة سبأ / ٦

وكنا نود ألا يبقى في أوساط المتعلمين .. في الأقل .. من يضيق ذرعه ويكاد يطيش صوابه ، ان يقول غيره في الحق بالحق ، وأن تسلم مشاعرهم ، ويصح تصورهم للأشياء ، فتهش قلوبهم لمن يذكرون المحاسن بالحسنى ، ولا يرون النور إلا نورا لا تداخله ظلمة ، ولا يدانيه غبش ، ولا يخفي على ذى بصيرة إن الأسوياء لا يذيبون عقولهم في عقول غيرهم ، ولا يغمضون أعينهم ليبصر لهم سواهم ، وهم إن فعلوا ذلك ينزلون بأنفسهم الى مدى لا تكون فيه

أقلامهم منائر ومشاعل تستهدف الصواب وتتفيأه ، ولكنها تكون معاول تخريب للقيم والأعراف الصالحة ومواريث أمتهم الماجدة ، وفي القمة منها « الدين » الذي رضيه سبحانه لهم ..

واصحاب هذه العقول المعقولة عن الهدى ، تجانب أقلامهم الصواب ، ويكون حال الاسلام معهم كحال الذي ذكر بغى قومه وعدوانهم فقال :

صم إذا سمعوا خيرا ذكرت به
وإن ذكرت بشر عندهم أذنوا

إن ناسا من وراء الحدود رأوا نور الاسلام ، وكانوا شيوعيين ونصارى ، فمضوا بهذا النور الى اعتناق الاسلام باقتناع ، طارحين وراء الظهور تبعياتهم لفلسفات فكرية واجتماعية ، جاعلين دبر الآذان ما رددوا من آثار النصرانية التي لا تصلها بعيسى عليه السلام واصلة ، ولا تبدو شيئا في ضوء الاسلام الجامع المهيمن !

وليس الاستاذ الدكتور رجاء جارودي هو اول الذين انصفوا الاسلام ، فقال فيه بقدر ما عرف ، بعد ان استثمر ببصر واخلاص ما انتج له من دراسات عن الاسلام ، وجاء الى الكويت بدعوة من وزارة الاعلام وحاضر في قاعتها الكبرى ، وحاول بعض المثقفين ان يجروا فكر الرجل في مجاريهم ، وان يصرفوه عن منهجه الذي استيقنه وصارح به ورد على الذين سألوه : هل يمكن أن يتواءم الاسلام والاشتراكية ؟!

فقال بكل ثقة العلم وقوة الحق ، وعمق اليقين « لا اثنينية في الاسلام » وانها لكلمة تزلف من الحقيقة أسفارا .

وذهب الجارودي الى القاهرة .. عاصمة الأزهر .. وأسهم في عيده الألفي وحاضر في قاعة الشيخ محمد عبده ، وحاور أمثال الذين استهدفوه هنا فعادوا بصفقة المغبون التي منى بها ههنا كثيرون .

وحظى الرجل باعجاب الذين ينصفون في مختلف بلاد الاسلام ، ونشرت جرائد السعودية ومجلاتها من عبارات الاشادة بالاستاذ ما هو أحق به وأهله ، وهأنذا اطالع جريدة « اخبار العالم الاسلامي » احدى منشورات رابطة العالم الاسلامي بمكة المكرمة « العدد ١٩/٨٢٥ من رجب ١٤٠٣هـ » فأجد كلاما عن جارودي ، ونشأته بين أبوين ألحدا بعد أن كانا نصرانيين ، وانه نظر في النصرانية فلم ترو غليله ، واعتنق الشيوعية فكانت أردأ وأدنى وبحث عن الدين الذي يصل الأرض بالسماء ، ووجد الاسلام كما قال .. وكان مر الأيام يجلو له الاسلام ، الذي ألف عنه كتابا اهداه لبابا روما في إحدى لقاءاته اخيرا .. وقال عن النبي صلى الله عليه وسلم :

إن محمدا صلى الله عليه وسلم في نظري ربط الأرض بالسماء ، انه نبي وقاضي ورجل دولة من طراز فريد ، والنبي أجل ـ لا ريب ـ واكبر ، ولكنها كلمة تذكر وتؤثر وقال « لقد حققت باعتناقي الاسلام ، حلم حياتي ، عندما كنت في العشرين من عمري ،

وانني اشعر بأنني امسكت بالسلسلة من طرفيها ، وهما الايمان بالله ، والايمان بالمجتمع الانساني » .

واعلن جارودي انه سوف يشترك في البرنامج الديني ، الذي خصصته الاذاعة والتلفزيون الفرنسية اسبوعيا ، ببرنامج يقدم به مفهومه الحقيقي عن الاسلام والمسيحية !!

ان الرجل يتكلم ، ونحن مأمورون بأن نحكم بظواهر الناس وألا نشق عن سرائرهم ، ونياتهم ، التي هي في مناط علم الله وحده ، فكيف تتشقق مآثر أقوام لمجرد اعزاز الرجل للاسلام ؟! انه لو هاجم هو او غيره من عمى البصائر هذا الاسلام لصفقت له تلك الايدي ، ولدبجت له الاقلام المدائح نثرا وشعرا واهازيج ، ولقالوا : إنه العبقرية التي لم تسبق ولن تلحق !!

وما كان الدكتور جارودي اول منصف للاسلام ، ولن يكون آخر عارف به ، مقبل عليه ، بكل ما يملك من وعي ، فقد حفل كتاب « الأبطال » لكارليل الانجليزي النصراني بمواقف ذوات عدد فيها الاشادة بالاسلام وأثره في العرب الذين لولا الاسلام لهلكوا في مواقعهم دون ان تصنع لهم « العروبة » أيسر ما صنع الاسلام والقرآن !!

قال تعالى « **لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم افلا تعقلون** » الانبياء/ ١٠ . وقال « **وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون** » الزخرف/ ٤٤ . وغير كارليل وكتابه « الابطال » كتب ورجال وأقوال قالت في الاسلام : وستقول ، وتؤمن به ، « فللحق المصير » وكان الله في عون الذين يجادلون في الحق بعد ما تبين ، وتتمعر وجوههم ، وتغص حلوقهم ولا ندري ماذا تنتهي اليه مضاعفات سماعهم الحق عن الاسلام من جارودي وغيره ممن يرون الاسلام دين العالم ، ويرونه ، دون غيره من القوميات والوطنيات ، طوق النجاة من ضلال الحياة الذي يتراءى لكل ذى عين

والحق أبلج لا تزيغ سبيله
والحق يعرفه أولو الألباب

« **قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها وما أنا عليكم بحفيظ** » الأنعام/ ١٠٤ .

وبعد فان ما لا ندريه من دوافع الذين ينقمون من جارودي وغيره حديثهم البر عن الاسلام ، سيبدو عما قليل « فما فيك يظهر على فيك » !

ومهما تكن عند امرئ من خليقة
وان خالها تخفى على الناس تعلم

والاسلام بحقائقه واصالته متألق صاعد صامد ، يفيد منه الذين يتعرفون عليه بانصاف ، ويفيئون الى ساحته عن رضا وارتياح ، دون ان يردهم عن موارده راد ، او يصدهم صاد لأنهم كانوا شيوعيين او كانوا يهودا او نصارى .. وهل كان صحابة رسول الله الا مشركين ونصارى ويهودا فصاروا بالاسلام ـ لا بعبد شمس ونوفل وغيرهم ـ « خير أمة أخرجت للناس » ؟!

السياسة الخارجية لدولة الرسول صلى الله عليه وسلم

للأستاذ / علي السيد فايد

المتأمل في هذا الموضوع الواسع الذي يروج ويحفل بالعبقرية الفياضة والحكمة في التخطيط والروعة والدقة في التنفيذ والمطلع على التاريخ السياسي للدولة الاسلامية يلمس ذلك عن كثب ويحس أيضا بالقيم الاسلامية السامية التي حرص عليها الرسول صلى الله عليه وسلم بادىء ذي بدء في تأسيسة للدولة الاسلامية الشامخة في ظلال العدل والمساواة والشورى والاخاء والحب والسلام .

ولو نظرنا إلى خريطة السياسة الخارجية لدولة الرسول (صلى الله عليه وسلم) في المدينة للحظنا تشعب ميادينها وامتداد مجالاتها وكثرة أحداثها الجليلة التي يخر لها التاريخ ساجدا وفي مقالي هذا أحاول جاهدا الاحاطة بهذا الميدان الواسع الفسيح فكل عنصر من عناصر الموضوع لا يكفيه مؤلف بأكمله ولكن أحاول جاهدا عرض الأحداث التاريخية من الوجهة السياسية لتكون لنا نبراسا يهتدى به عالم يتخبط في ظلمات الجهل والضلال .

أولا : موقف الرسول (صلى الله عليه وسلم) من قريش :

ثانيا : سياسة الرسول تجاه اليهود داخل المدينة وخارجها .

ثالثا : سياسة الرسول تجاه منافقي الأوس والخزرج .

رابعا : توجيه الدعوة الاسلامية داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها

وكل هذه السياسات والميادين كانت تجرى بخطوط متوازية أي انها كانت في فترة تاريخية واحدة فكل الأحداث والغزوات مرتبطة بعضها ببعض ففي الوقت الذي طرد الرسول يهود بني قينقاع كان قد أنتهى من غزوة أحد ٣ هـ ودخل في غزوة الأحزاب ٥ هـ ثم تتوالى الأحداث في سبيل نشر الدين الاسلامي في داخل وخارج شبه الجزيرةحتى تنتهي سياسة الرسول الكريم تجاه قريش

حتى صلح الحديبية ٦ هـ .
أ ـ خارج شبه الجزيرة العربية :
لقد اتاحت المعاهدة التي بين الرسول وقريش (صلح الحديبية) فرصة التفرغ لنشر الدعوة الاسلامية في فترة الهدنة بين قريش والمسلمين فجهز الرسول صلى الله عليه وسلم ست كتب وبعث كل كتاب مع وفد أو رسول من طرفه إلى الدول الآتية :

١ ـ الرسالة الأولى إلى نجاشي الحبشة :

وكان أول رسول وجهه رسول الله هو عمرو بن أمية بعثه إلى النجاشي وزوده بكتابين إليه أحدهما : يدعوه فيه إلى الاسلام ويتلو عليه القرآن وثانيهما : يطلب منه أن يبعث بمن قبله من المسلمين أي وفد المهاجرين الذين هاجروا إلى الحبشة ، ويزوجه أم حبيب أي يتزوجها الرسول لأن زوجها توفى في المعركة (أم حبيب بنت أبي سفيان) .
ويذكر ابن سعد في طبقاته : أن النجاشي دخل الاسلام وأهدى أم حبيب للرسول ودفع الصداق أيضا ورد المهاجرين إلى المدينة .

٢ ـ الرسالة الثانية إلى هرقل قيصر الروم :

بعث الرسول صلى الله عليه وسلم دحية بن خليفة الكلبى إلى هرقل قيصر الروم يدعوه إلى الاسلام وأرسل معه كتابا وأمره أن يدفعه إلى عظيم بصرى ليرسله إلى قيصر فرد هرقل ردا جميلا **(ورد في تاريخ اليعقوبي)** .
(من هرقل الروم إلى أحمد الذي بشر به عيسى إنه جاءني كتابك مع رسولك وإني أشهد أنك رسول الله أجدك عندنا في الانجيل وبشربك عيسى ابن مريم ودعوت الروم إن يؤمنوا بك ولو أطاعوني لكان خيرا لهم،وددت أني عندك فأخدمك وأغسل قدميك) .

٣ ـ الرسالة والكتاب الثالث إلى كسرى فارس :

لما اطلع كسرى على كتاب الرسول صلى الله عليه وسلم مزقه على الفور ويقال إن الرسول لما علم بذلك قال « اللهم مزق ملكه » .

٤ ـ الكتاب الرابع إلى مقوقس مصر :

وجه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس حاكم مصر من قبل الروم كتابا مع حاطب بن أبي بلتعة يدعوه فيه إلى الاسلام فرد المقوقس ردا جميلا .
قال ابن سعد في طبقاته رد مقوقس مصر بكتاب نصه :
(قد علمت أن نبيا قد بقى وكنت أظن أنه يخرج من الشام وقد اكرمت رسولك وقد أرسلت جاريتين لهما مكان عظيم ـ منهما مارية القبطية التي تزوجها الرسول ـ وقد أهديتك كسوة ...) .
فقبل الرسول هدية مقوقس مصر .

٥ ـ الكتاب الخامس إلى أمير غسان :

فرد ردا قبيحا على رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم وبعث الرسول كتابا إلى اليمامة وأميرها فلم يجب دعوة الرسول إلى الدخول في الاسلام .
وبعث الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى بعض امراء اليمن يدعوهم إلى الاسلام وأمرهم أن يؤدوا الصدقة والجزية فأجابوا الرسول باسلامهم ودخولهم في طاعته .

٦ ـ الكتاب السادس إلى أمير بصرى :

رواية ابن الآثير تقول : (إن النبي صلى الله عليه وسلم بعث الحارث بن عمير الأزدي بكتاب إلى صاحب بصرى فلما نزل مؤتة وهى قرية من قرى البلقاء في الشام اعترضه شرحبيل بن عمر الغساني أحد أمراء الغساسنة فأوثقه رباطا ثم قدم فضرب عنقه) وكان قتله سببا في اعداد الجيش الذي سيره النبي صلى الله عليه وسلم إلى مؤتة ٨ هـ وكان هذا سببا في غزوة مؤتة للانتقام من مقتل الرسول الذي بعثه النبي صلى الله عليه وسلم .

غزوة مؤتة عام ٨ هـ :

وجه الرسول في هذا العام قوة كبيرة من المسلمين تبلغ ثلاثة آلاف وأسند رئاستها إلى مولاه زيد بن حارثة الكلبي لكن هذه القوة فوجئت بقوة رومية يبلغ تعدادها قرابة المائة ألف

كان ذلك أول أشتباك جرى بين المسلمين وبين الغساسنة والروم وترجع أهميته إلى أنه أول تجربة حربية تجتازها الدولة الاسلامية على مستوى دولي ، وإن انتهت موقعة مؤتة بهزيمة جيش المسلمين فقد أعتبرها الرسول جولة تعقبها كرة ، فضلا عن أنها كانت اختبارا لقوة المسلمين ترتب عليه دخول عدد كبير من القبائل العربية الضاربة في شمال شبه الجزيرة في الاسلام على أن قريشا اعتبرت مؤتة هزيمة للمسلمين وضعفا لسلطانهم وبداية لسلسلة من الهزائم لهم ، ومن ثم عزموا على اعادة الأمور إلى مثل ما كانت عليه قبل صلح (الحديبية) وذلك بنقض الصلح الذي بينها وبين المسلمين .

بيان براءة وعام الوفود :

نزلت سورة التوبة وفيها إعلان براءة قبل حجة الوداع .

بسم الله الرحمن الرحيم
(براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين، فسيحوا في الأرض أربعة أشهر واعلموا أنكم غير معجزي الله وأن الله مخزي الكافرين، وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله برىء من المشركين ورسوله فان تبتم فهو خير لكم ...) سورة التوبة (١ ـ ٩) .

وجه الرسول صلى الله عليه وسلم

إلى المشركين في موسم الحج سنة ٩ هـ بيانا وكان هذا البيان وحيا جاء في سورة التوبة (١ ـ ٩) التي بدأت بكلمة براءة فسمى هذا البيان بيان براءة وورد أن الرسول الكريم عهد إلى علي بن أبي طالب ليذيع البيان على قريش (٩ هـ) لأنه هو الذي عاهد المشركين نيابة عنه وقال له « اخرج بهذه القصة من صدر براءة (سورة التوبة) وأذن في الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بمنى : ألا يدخل الجنة كافر ولا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ومن كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو له مدته » ـ وتضمن بيان براءة النقاط الآتية :

أولا : إعطاء مهلة أربعة شهور للمشركين ليفكروا فيها فاما أن يدخلوا حظيرة الاسلام أو يعتبروا خارجين عن نطاق الاسلام .

ثانيا : القبائل العربية التي بينها وبين الرسول حلف مادامت توفي الحلف وتحافظ عليه ينتظر الرسول حتى تنتهي مدة الحلف وبعد ذلك لا يجدد الحلف وتخضع لشروط بيان براءة .

ثالثا : حرمت مكة بالذات على المشركين فلا يدخلونها للحج وأصبح الحج فريضة على المسلمين دون المشركين .

رابعا : أهل الذمة (اليهود والنصارى) اما أن يدخلوا الاسلام أو يدفعوا الجزية ولهم بعد ذلك حرمة المسلمين وحقوقهم وكان رد الفعل على هذا البيان بشروطه أن أرسلت كل قبيلة مازالت على دين الوثنية وفودها وكل وفد يمثل القبيلة ويعبر بلسانها جاءوا يحالفون النبي على دخولهم الاسلام وانضمامهم إلى حظيرة الدولة الاسلامية . فبعث الرسول مع كل وفد جماعة من القراء ليعلموهم علوم الدين ويتلوا عليهم القرآن الكريم .

وأرسل الرسول عمالا للصدقات متخصصين في جمع الصدقات واعتبروا مندوبين عن الرسول صلى الله عليه وسلم ولم ينته العام التاسع والعاشر إلا وقد أسلمت كل الوفود وسمى ذلك عام الوفود ما عدا مملكتي الحيرة والغساسنة بما فيها اليمن فلم تدخل في الاسلام وبذلك انتهى نشر الدين الاسلامي داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها .

السياسة الخارجية لدولة الرسول في المدينة

تتضح سياسة الرسول صلى الله عليه وسلم مع اليهود من وثيقة (الأمان) التي عقدها في مجتمع المدينة بين المسلمين (مهاجرين وأنصارا) وبين أهل الذمة (يهودا ونصارى) اتفقوا على :

أ ـ ان المسلمين وغيرهم من أهل الكتاب ومن لحقهم أمة واحدة ويتضح ذلك من هذه الفقرة « إنهم أمة واحدة من دون الناس »[1] .

ب ـ تقرير حرية الاعتقاد الديني لأهل

الذمة والحرية لهم في إقامة شعائرهم الدينية ماداموا يحافظون على عهودهم ولا يتعرضون بأذى للمسلمين « لليهود دينهم وللمسلمين دينهم » .

جـ - يبين الكتاب ما يتبع في الحرب التي تقع بين المسلمين في المدينة وأعدائهم خارجها يقرر أن كل جماعة تنفق على نفسها وعليها أن تحمي المدينة فيقول « وأن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة » .

ويتضح من شروط وثيقة الأمان أن الرسول بدأ بترتيب أوضاع المدينة في مواجهة الخطر الذي تمثله القوى المتربصة خارج المدينة وكانت ردة فعل اليهود تجاه سياسة الرسول صلى الله عليه وسلم أنهم نقضوا عهدهم واستعملوا سلاح الخديعة والوقيعة بين الأوس والخزرج ثم تحريض قريش ضد الرسول صلى الله عليه وسلم ، ونددوا بحادثة عبدالله بن جحش في (سرية تحلة) وقالوا أصحاب محمد يقتلون الناس في الأشهر الحرم وأخذوا يحرضون عليه القبائل .

وبعد انتصار المسلمين في بدر حاولوا أن يقللوا من ذا الانتصار فأرسلوا الى الرسول سادتهم وكبراءهم من بني قينقاع يقولون « لا يغرنك أنك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة أما والله لئن حاربناك لتعلمن انا نحن الناس » .

وتعدى يهود بني قينقاع على امرأة مسلمة وقتلوا رجلا مسلما دافع عنها ، فنقضوا بذلك عهدهم مع الرسول فحاصرهم خمسة عشر يوما حتى نزلوا على حكمه الذي تضمن أن تكون أموالهم وأملاكهم للمسلمين وأولادهم ونساؤهم لهم ورحلوا عن المدينة ونزلوا إلى « اذرعات » بالشام .

أما يهود بني النضير فقد حاولوا قتل الرسول حين قدم إليهم ليعاونوه على دفع دية بصفتهم متحالفين معه ولكن الله أطلعه على مكرهم ، ونجاه منهم ، فغادرهم واصحابه ثم بعث إليهم رسول الله أن اخرجوا من بلدي فلا تساكنوني بها وقد هممتم بما هممتم به من الغدر وقد أجلتكم عشرا فمن رئي بعد ذلك ضربت عنقه .

وقد عزموا على الخروج فعلا لولا أن عبدالله بن أبي بن سلول اغراهم بالبقاء في حصونهم على أن ينصرهم ضد محمد وأصحابه ، فأرسلوا الى رسول الله : إنا لا نخرج من ديارنا فاصنع ما بدالك .

فحاصرهم الرسول حتى نزلوا على حكمه وأجلوا عن المدينة إلى خيبر ومنهم من رحل الى الشام حملوا ما تستطيع ابلهم من أولادهم وعتادهم فكانت مدة حصارهم خمسة عشر يوما وأنزل الله فيهم قوله « **هو الذي أخرج الذين كفروا من ديارهم لأول الحشر ، ما ظننتم أن يخرجوا**

وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من اللـه فأتـاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار . ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب النار » سورة الحشر الآية (٢،٣) .

أما يهود بني قريظة فنقضوا عهد رسول الله في أحرج الأوقات وأشدها فتآمروا مع الأحزاب الذين جاؤوا لحصـار المدينـة فبعـد أن رحلت الأحزاب تجر أذيال الخيبة والهزيمة اتجه الرسول إلى بني قريظة امتثالا لأمر الله الذي نزل به جبريل قائلا للرسول « إن الله يأمرك يا محمد بالسير إلى بني قريظة » فكان لابد أن يأخذوا العقاب الذي يستحقونه إزاء خيانتهم البشعة للاسلام والمسلمين فحاصر المسلمون قريظة خمس عشرة ليلة ولم يروا بدا من الاستسلام والتمسوا أن يسمح لهم الـرسول بالجلاء عن المدينة مثل بني النضير فأبى الرسول وأصر أن ينزلوا على حكم من يرتضونه حكما فرضوا أن يكون الحكم بينهم سعد بن معاذ فحكم أن تقتل الرجال وتقسم الأموال وتسبى النساء والذراري .

اليهود خارج المدينة :

(يهود خيبر وفدك وأم القرى وتيماء ٧ هـ)

أتـاحت الهدنـة بين المسلمـين وقريش التي كانت من شروط صلح الحديبية فرصة ليفرغ المسلمون تماما للقضاء على اليهود خارج المـدينة والقضاء على كيدهم وخطرهم في شمال المدينة خيبر وأم القرى وفدك وتيماء .

فبعد عودة الرسول صلى الله عليه وسلم من الحديبية رأى أن يهاجم اليهود في خيبر الذين يتوقع خطرهم على المدينة ولصلتهم الوثيقة بيهود بني النضير وبني قريظة فاجتمع في ألف وأربعمائة مقاتل من المسلمين وهجم على اليهود في خيبر فحقنوا دماءهم بالاستسلام على أن يظلوا في الأرض ويزرعوها مناصفة بينهم وبين المسلمين .

ولما علم يهود فدك بالمعاملة الحسنة ليهـود خيبر أعلنـوا استسـلامهم وحقنوا دماءهم وتعاهدوا على منح المسلمين نصف غلال الأرض التي يزرعونها ثم عرج الرسول على وادي القرى وفتحها عنوة بعد امتناعها عن الدخول في الاسلام أما يهود تيماء فقبلوا دفع الجزية له بدون قتال وبذلك تم خضوع اليهود في شبه الجزيرة تماما .

سياسة الرسول صلى الله عليه وسلم تجاه قريش :

بعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم الى المدينة لم تهدأ ثائرة قريش فلم يتركوا المسلمين في أمان بل كانوا يسعون دائما إلى اعادة المكيين الذين هاجروا مع النبي الى مكة ويتحرشون

بالمسلمين وتتضح سياسة الرسول تجاههم في أحد بنود وثيقة الأمان التي عقدها بين الذميين والمسلمين في المدينة وهو الايجير مسلم ولا مشرك بالمدينة مالا أو نفسا لقريش .

وفضلا عن ذلك تحالف مع القبائل الممتدة من مكة الى المدينة على عدم مرور قوافل قريش التجارية من أمامها ثم تأتي سياسة الرسول مع قريش متمثلة في مرحلتين .

المرحلة الأولى : المرحلة الاستطلاعية :

أرسل الرسول صلى الله عليه وسلم ما يقرب من ست سرايا استطلاعية أشهرها سرية « نخلة » ولم يحدث أي اشتباك دموي في هذه المرحلة فكانت أشبه بالسياسة السلمية وأقرب منها الى الحرب .

وأرسل الرسول صلى الله عليه وسلم عبدالله بن جحش على رأس (سرية نخلة) وكلفه استطلاع قافلة لقريش تأتي من الشام الى مكة واعطاه رسالة لا يفتحها إلا بعد مسيرة يومين فقال له فيما معناه « اذا نظرت في كتابي هذا فسر حتى تنزل بنخلة بين مكة والطائف فتريث واعلم لنا من أخبارها » .

وأثناء سيرهم قابلتهم قافلة في آخر رجب من الأشهر الحرم ووقعوا بين أمرين اما أن يقاتلوهم ويهتكوا حرمة الأشهر الحرم وإما أن يتركوهم فينجوا ويحتموا بقوافلهم منهم بحرمة الأشهر الحرم وانقسمت السرية تبعا لذلك فريقين وانتصر أصحاب الأمر الأول وهجموا على القافلة وقتلوا أصحابها وقفلوا راجعين بالغنيمة إلى رسول الله فعنفهم رسول الله لهذا الحدث وأنكر هذا الاعتداء وقال لهم « ما أمرتكم بقتال ... » وعنفهم إخوانهم المسلمون وأوقفوا عير هذه القافلة وأموالها ولم يأخذوا منها شيئا .

اتخذت قريش هذه الحادثة ذريعة للتشنيع بين القبائل بأن محمدا وأصحابه يقاتلون في الأشهر الحرم فأنزل الله تعالى قوله : « **يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله** » سورة البقرة ، آية ٢١٧ .

وتعتبر سرية نخلة بذلك نقطة تحول من السياسة السلمية الى الغزوات وتعتبر السبب المباشر في غزوة بدر ١٧ رمضان ٢ هـ .

ويقول العلامة المحقق / أحمد تيمور باشا في كتابه « محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم » (سبق غزوة بدر الكبرى ٢ هـ غزوتا العشيرة وبدر الأولى ففي غزوة العشيرة خرج الرسول على رأس ١٥٠ مقاتل لاعتراض قافلة تجارية بقيادة أبي

سفيان بن حرب ولم يحدث فيها قتال والثانية « بدر الأولى » وتسمى غزوة سنوان خرج الرسول في طلب كرز بن جابر الفهرى لأنه أغار على سرح للمدينة ولم يكن قتال لفرار كرز بن جابر الفهرى) .

الرسول صلى الله عليه وسلم قدوة سياسية وخلقية :

وبعد فاني أردت بعد هذا العرض السابق أن نقف على قبس من أخلاق أعظم معلم في الوجود (محمد رسول الله) فلعلنا نتعلم منه كيف ندعو الى اللـه ؟ ولعل دعـاة الفكر ورجـال السياسة يتعلمون منه ويسيرون على نهجه المستقيم وطريقه القويم « **لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا** » الأحزاب/٢١ ولعلنا ندرك فيما عرضناه آنفا بعض مواطن العبقرية الفذة في شخصية الرسول :

ولاشـك أنك تتفق معي في أن الاقتداء برسول الله سياسيا لا يقل أهمية عن الاقتداء به أخلاقيا فنحن بحاجة ماسة إلى الاقتداء به في كل ما يصدر عنه من قول وفعل وتقرير فمنهج الله كل متكامل لحركة الفرد والمجتمع .

أولا : لقد كان يعرف قدر نفسه تماما فلا يضع احتمالات ويقدر امكانيات تفوق طاقته وطاقة انصاره ويتضح ذلك من سيرته عامة فلقد بدأ الدعوة الاسلامية سرا وجهر بها في الوقت المناسب بعد تعزيز مكانته وتكوين أنصار لدعوته ثم رأى عدم نجاح

الدعوة في مكة فهاجر إلى المدينة بايحاء وهداية من الله فكانت تربة خصبة لنجاح الدعوة ونموها ، ثم أهتم أول ما أهتم بتأسيس مجتمع المدينة من الداخل وتمثل ذلك في بناء المسجد وعقد المعاهدات بين الفئات المختلفة (وثيقة الآمان) ثم أزال العداوة القديمة بين الأوس والخزرج ونلمس مدى الحنكة والعبقرية السيـاسية والدبلوماسية أيضا في امهاله للفئات المعادية للاسلام داخل مجتمع المدينة (اليهود والنصارى والمنافقين) لكي لا ينشغل بالخلافات الداخلية التي تهدد دولته الناشئة حتى قويت شوكته وتدعمت اركان دولته .

ثم تحين التوقيت المناسب في فتح مكة ولم يحاول اخضاعها بالقوة والعنف .

ثانيا : إن اختيار الرسول التوقيت المناسب في نشر الدعوة خارج المدينة وخارج نطاق شبه الجزيرة العربية المتمثلة في رسائله للأمراء والملوك والمواقف السياسية السابقة الذكر تصور لنا جانبا من الدبلومـاسية الناجحة التي اتبعها الرسول الكريم .

ثالثا : ولقد اتضحت روح القيادة دون سيطرة أو تسلط في شخصية الرسول ولولا هذه الروح ما اجتمع حوله العرب وغير العرب ودانت له .

عيد الفطر

عيد الشعور بالحرية

للدكتور/عبد الله بن عبد القادر بلفقيه الحسيني

لكل أمة عيد تظهر فيه زينتها ، وتعلن سرورها وتسرى عن نفسها ما يصيبها من مشاق الحياة ، فالأعياد عند الأمم سنة فطرية جبل الناس عليها وعرفوها ، وفكروا فيها منذ عرفوا الاجتماع .

وان الباعث على اتخاذ هذه الأعياد قد يكون مجرد الترفيه عن النفوس وتمكينها من حرية شخصية او اجتماعية لا تنال ، والناس في معترك الحياة جادون ، وقد يدفع الى اتخاذها محبة إظهار الفرح بنعمة يصيب البلاد والعباد خيرها .

والأعياد ذات صحف ماضية مجيدة ينشرها في جو من الفرح والسرور ابناء العصر الحاضر عن آبائهم الأولين فتقرأ بتلهف وشوق ، وتفقه بعزة وانشراح فتقوى العزائم على مواصلة السير في خطة الكمال فيشيد الأبناء ما بنى الآباء وينشئون ما لم ينشئوا .

هكذا سنة الحياة ، وبمقتضى تلك السنة الفطرية وجد النبى صلى الله عليه وآله وسلم حينما دخل المدينة الانصار يلعبون في يومين اتخذوهما عيدا وراثة عن الجاهلية . وقد كان من شأن الاسلام فيما يجد من عادات وتقاليد انه لا ينكرها جملة ولا يقرها جملة ، وانما يقر منها **الصالح الذي** يلبي طبيعة في الانسان ، ويورثه خيراً في مقتضيات هذه الطبيعة ، أما الذي تأباه الطبيعة ولا يتفق وتعاليمه الكريمة التي تدور حول العقيدة الصحيحة والخلق الكريم ، والسنن الحسان ، فانه يبطله ويحاربه ، ومن ذلك أقر النبي صلى الله عليه وآله وسلم الأنصار على أصل الفكرة ، فأباح لهم اتخاذ العيد تحصيلا لمزاياه الاجتماعية والدينية ، وألغى يومي الجاهلية مخافة أن يظن : تقديسهما او الابقاء على شعائرهما ، وعين لهم يومين قد ارتبط بهما في تاريخ الاسلام بل في تاريخ البشرية عامة ما جعلهما

غرة في جبين الدهر كله هما يوم الاضحى ويوم الفطر .

عن أنس رضى الله عنه قال قدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المدينة فوجد الأنصار يلعبون فيهما فقال : ما هذان اليومان ؟ قالوا يومان كنا نلعب فيهما في الجاهلية فقال : قد أبدلكم الله بهما خيرا منهما يوم الأضحى ويوم الفطر . رواه البيهقي في السنن الكبرى .

اتخذهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عيدين ، ويوم الأضحى معروف بالعيد الأكبر ويـوم الفطر بالعيد الأصغر ، رمزا لما بين آثار اليومين من تفاوت ، فعيد الفطر يذكر بهـذه النعمة العظمى التي كـانت اساسا لبناء دولة الانسانية الموحدة ، دولة التحاكم الى الرحم الواحدة ، دولة الصفاء الروحي والاستقامة القلبية ، دولة الحق والعدل ، دولة العلم والحكمـة ، دولـة التعمـير والبناء ، دولة الهدى والرشاد ، دولة السعادة في الدنيا والآخرة ، فيوم الفطر يوم البناء ، ويو الأضحى يوم الإكمال والإتمام لهذا البناء« **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نـعمتي ورضيـت لكم الاسـلام دينا** »(**المائدة ـ ٤**)

والأمم النـاهضة لا تعـرف في تاريخها أعز من يومها الاول الذي وضع فيه اساس البناء ويومها الثاني الذي تم فيه صرح البناء ، وما أليق اليومين بأن يكونا عيدين ترسم فيها ذكرياتهما وآثارهما على صفحـات القلوب .

ويوم الفطر هو أول يوم يأتي بعد رمضان ، وصوم رمضان ركن من أركان الاسلام ، وفي ذلك اليوم تعود الى المؤمن حريته الشخصية في مأكله ومشربه وغيرهما بعد ان سلمها لمولاه طائعا مختارا ، ولولا الإيمان بأن سلب الحرية بأمر الله وعودتها بأمر الله من الكمال الإنساني لما رضيت طبيعته بسلب ـ حريتـه في مأكلـه ومشربه وغيرهما شهرا كاملا ، وهذا أقوى شاهد بأن الحرية مطلب عزيز لا يضحى الا في سبيل مجد هو أعز منه ، ذلك المجد هو رضوان الله ومغفرته .

ويوم الفطر هو أول يوم يشعر فيه المؤمن بفرحتين عظيمـتين لهما الأثر القوي في حياته وقوتها ، فرحة القيام بالواجب ، واجب الطاعة والامتثال لله ، وفرحة الثقة بحسن الجزاء ، وفي هاتين الفرحتين يقول عليه الصلاة والسلام « للصائم فرحتان فرحة عند إفطاره وفرحة عند لقاء ربه »رواه البخاري ومسلم .

واذا كنا نجد في يوم الفطر التذكير ببناء الاسلام تشريعا ، ونجد فيه لذة القيام بواجب الصـوم ونجد فيـه الشعور بلذة العـودة الى الحريـة الشخصيـة ، ونجد فيـه الايمـان واليقين بحسن الجزاء ـ للصائمين والمحسنين ، فنتخذه لكل ذلك عيدا ، فيه نفرح ونتزاور ، وفيه نتهادى ، وفيه نستريح من عناء الاعمال ، فإننا نجد له اعتبارا وراء ذلك كله يضاعف المعنى في عيديته ـ. ذلك ان يوم الفطر هو الذي يعود فيه الصائم من رحلة روحية ميقاتها شهر رمضان ، ترك

فيها خالصا لوجه الله مـألوفـاته ومشتهياته واكتسب فيها خلق المراقبة الذي يجعل لـه من قلبه وايمـانه الحارس اليقظ والرقيب الذي لا ينام ، كما اكتسب فيها خلق الرحمة لعباد الله ، وخلق الصبر على الشدائد ، وصار بكل ما اكتسب فيها منبع خير لنفسه ولعباد الله ، وفي الوقت الذي تختم فيه هذه الرحلة الروحية بيوم الفطر ، تبدأ فيه رحلة أخرى ينضم فيها البدن الى الروح ويستعين المؤمن على مشاقها بما اكتسبه في الرحلة الأولى من الأخلاق ، الصبر والعزم والإيمان وتلك هي رحلة الحج التي تبدأ من يوم الفطر« **الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتـزودوا فـان خـير الـزاد التقوى »(البقرة ـ ١٩٧)**

ان يوما تنتهي به رحلة بدنية روحية هي رحلة الصوم ، وتبدأ به رحلة أخرى بدنية روحية هي رحلة الحج وزيارة بيت الله الحرام الجدير بان يكون عيدا فوق الأعياد .

لهذه الاعتبارات كلها جعل الله يوم الفطر عيد المسلمين ، فيه يتبادلون التهاني ، والتزاور ، وفيه يتعاطفون ويتـراحمـون ، وفيـه يتجملـون ويتزينون ، وفيه يغنون وينشدون ، وفي العيد يتمتعون بطيبات ما رزق الله ، وفيه يوثقون فيما بينهم عرى المحبة والإخاء ، ثم لم يقف بهم في معنى العيد ومظاهره عند هـذا الجانب العادي بل جعل لهم فيه مظهرا روحيا يتجـلى في اجتماعهم العـام الذي يفتتحون به يومهم لأداء صلاة تعرف بصـلاة العيـد ، يسبحـون فيـه ويكبرون ، ويتجلى ايضا في مظاهر العطف على الفقراء والمساكين وأرباب الحاجات ، ومن هنا يتصل الانسان بربه عن طريق المحبة والاخاء .

روى البخاري وغيره عن عائشة رضى الله عنها قالت دخل ابو بكر وعندي جاريتان من جواري الانصار تغنيان بما تقاولت الأنصار يوم بعاث قالت وليستا بمغنيتين فقال او مزامير الشيطان في بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وذلك في يوم عيد فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا أبا بكر « إن لكل قوم عيدا وهذا عيدنا »

وبذلك لم يكن فرح المسلمين في أعيـادهم فـرح لهو ولعب تقتحم فيـه الحرمات وتنتهك الأعراض وتشرد فيه العقول أو تسلب ، وانما هو فرح زينة وعبـادة يجمع بـين خطى الجسم والروح ، ويبقى على المعاني الفاضلة التي اكتسبهـا الانسان في شهـر رمضان وترفعه الى أسمى ما ينبغى ان تتجه اليه الانسانية الفاضلة ، وإن من الشذوذ الفاضح أن يظن المسلم ان غيرة الله على حدوده ومحارمه في رمضان أشد منها في غير رمضان ، فيستبيح لنفسه المحرمات ويتخذها في يوم عيده ومظهرعزته وأصالته عنصرا من عناصر زينته وفرحه .

فقفوا ايها المسلمون عند الحدود وصوموا عن المحارم يكن لكم اعياد في الارض واعياد في السماء .

أئمة يعتز بهم تاريخ

من الناس من تستأثر بهم رحمة الله فلا يخمل لهم ذكر ولا ينقطع لهم عمل . ومهما أغذوا السير في دار الخلود ، فانهم - في دنيا الناس - حضور وبأكرم صور البقاء مستمسكون .

ومن هؤلاء السادة الشيخ الرئيس ابن سينا اذ كان ثالث ثلاثة ينتظمهم الحديث الشريف : « **اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له** » رواه مسلم .

واذ كانت المصادر العلمية الموثوقة ، لم تأخذ بأيدينا الى ثروة نعرفها له خلفها لأهله وذويه أو حبسها على الفقراء والمساكين فلم يتهيأ له بذلك صدقة جارية يمتد بها عمل صالح ينفعه . واذ قد كانت هذه المصادر نفسها لم تأخذ أيضا بأيدينا الى ولد صالح يدعو الله تعالى له فيبقى له بدعوته عمل صالح ينتفع به ؛ فان مما لا ريب فيه أن الشيخ الرئيس خلف علما يمتد به عمله ، على قدر ما ينتفع الناس به في مجالات الحياة سواء في ذلك حياتهم العلمية النظرية ، وحياتهم العلمية المعملية التجريبية .

الإسلام

مؤذن

للأستاذ / أحمد حسن الباقوري

ومازالت حكمة الله ماضية على السنة الشريفة في صوغه تعالى بعض النفوس على نحو يجعلها ملكا للناس أجمعين مهما فرقتهم المذاهب واختلفت بهم البيئات .

وليس يشك أحد في أن الشيخ الرئيس قد انتفع بعلمه ـ ولا يزال ينتفع به ـ كل الناس في الشرق والغرب والعجم والعرب ، لا يتجهم هذه الحقيقة أو يغض من قدرها من يؤثر كرم العدل والانصاف على الجور والميل والاعتساف .

واذا كان لمثلي أن يتحدث عن ابن سينا ، فانني أوثر أن أتجنب في هذا الحديث الجانب الفلسفي من حياته وعذرى في ذلك ، حديث كنت قد سمعته من شيخ لنا جليل منذ أكثر من ثلاثين عاما خلت فذلك حيث روى لنا رحمه الله في حلقة الدرس في الجامع

الأزهر الشريف كلمة من رسائل تنسب الى جماعة كانوا ينتحلون لأنفسهم صفة الفلسفة ، ويطلقون على جماعتهم « اخوان الصفا » وقد زعم القوم أنهم وضعوا هذا المذهب القائم على الفلسفة من أجل أنهم أرادوا أن يمهدوا به الطريق الى الفوز برضوان الله والمصير الى جنته ؛ فقالوا - فيما كانوا يقولون - إن الشريعة قد دنستها الجهالات ، وخالطتها الضلالات ولا سبيل الى غسلها من الجهالة وتطهيرها من الضلالة الا بالفلسفة . ثم قال لنا شيخنا بعد أن ساق عنهم هذا اللغو البغيض في كلماتهم البذيئة فقال : ومن شاء أن يعرف مقدار التعسف في تفكير أولئك الحمقى ، فانه واجد ذلك فيما وصفهم به واصف دقيق الحس واسع الاطلاع حيث قال في شأنهم : « **إنهم تعبوا وما أغنوا ، ونصبوا وما أجدوا ، وحاموا وما وردوا ، وغنوا وما أطربوا ، ونسجوا فهلهلوا ، ومشطوا ففلفلوا ، اذ ظنوا ما لا يمكن ممكنا وما لا يكون كائنا وما لا يستطاع مستطاعا ، فضلوا وأضلوا عن سواء السبيل** » .

وآية الحماقة في جماعة اخوان الصفا هؤلاء ، قولهم : ان علينا نحن الفلاسفة من اخوان الصفا أن نبحث عن الباء لماذا نقطت واحدة من تحت ، وعن التاء لماذا نقطت ثنتين من فوق ؟ .

ولست تشك كما أنني لا أشك في أن القوم سوف يظلون يبحثون في بيداء هذا الخيال السقيم ، حتى يلقوا ربهم فيحاسبهم أعسر حساب عن مالهم فيم أنفقوه ، وعن عمرهم فيم أضاعوه ، وعن الغاية التي كانوا يتحرونها من ارهاق الذهن وضياع العمر وخسار المال ، ويومئذ يندمون ولات ساعة مندم يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله .

ولعل مِنْ أحبٍّ شيء إلي في هذا المقام ، أن أذكر الحراص على طلب الحقائق ، بأن ابن سينا له من اسم أبيه أوفر نصيب وأوفاه ، اذ كانت كلمة سينا - بغير همز - تعنى البركة . وقد عني هذا الوالد الجليل بولده فكان يسهل له كل طريق الى المعرفة لما كان يرى في ولده ، من الاستعداد لقبول العلم والانتفاع بالمعرفة ، حتى انه لما بلغ العاشرة من عمره كان قد حفظ القرآن وأتقن علومه ، وعرف أشياء من أصول الدين والأدب والحساب والجبر ، ثم حذق منطق الفلاسفة فتهيأ له بذلك أن يخلف ثروة علمية واسعة يحملها الى العالمين ، ما يقارب مئة مصنف بين مطول ومختصر . ومن أبرز مصنفاته وأجلها رسالة حى بن يقظان التي تنطوى على قضية بديهية خلاصتها أن الدين في تكوين الانسان فطرة فطر الله الناس عليها .

ومع أن الشيخ رحمه الله كان صادق العبودية لله حريصا على الوقوف عند الشريعة ، فقد كان الى جانب ذلك ينتهز كل سانحة لهداية الناس الى صراط الله المستقيم بغير لجوء الى سلطانه عليهم في أمرهم

ونهيهم وارشادهم الى ما فيه خيرهم العاجل والآجل شأن الذين يؤثرون في التربية أسلوب الاقناع على أساليب الاكراه والارغام .

ونضرب لك مثلا يعينك على الاذعان لهذه القضية في تاريخ الامام العظيم ـ فقد كان رحمه الله له خادم مريد شديد الاعجاب بعلوم الشيخ وفلسفته ، وكان من أجل ذلك يعجب من الشيخ الرئيس كيف يدين بدين محمد ويتابعه على آرائه مع أنه في رأي التابع التلميذ أعلم من محمد وأرقى ؟ . وكان التلميذ ربما كاشف الشيخ بذلك فيعرض الشيخ عنه أو يزجره ، في انتظار فرصة تسنح يفترصها في اقناع التلميذ بالحق ورجعه الى الصواب .

وذات يوم كان الشيخ وتلميذه في مدينة « أصفهان » وفي ليلة شديدة البرد كثيرة الثلج عاصفة الريح ، أيقظ الشيخ الرئيس خادمه ومريده في وقت السحر وطلب منه ماء يتوضأ به ليقوم الى صلاة الفجر كما كانت عادته من قبل ، ولكن الخادم تأفف وبلغ به الضجر أن اعتذر عن احضار الوضوء لأن البرد شديد والليل لا يزال بينه وبين الصبح مدى بعيد ، ثم اذا صوت المؤذن بعد قليل ينطلق في سماء أصفهان من أعلى مآذنها والناس ينطلقون في شوارع البلد استجابة للنداء الى اقامة الصلاة ، وافترص الشيخ الفرصة وطلب الى خادمه أن يعد له الوضوء ولكن الخادم أصر على الاعتذار لشدة البرد وسقوط الثلج ، وعصف الريح ، حتى اذا قال المؤذن « أشهد أن محمدا رسول الله » ، قال الرئيس المفضال لخادمه المتمرد اسمع يا هذا وأخبرني ماذا يقول المؤذن . فأجابه : انه يقول « أشهد أن محمدا رسول الله » . فقال له الرئيس الحكيم : الآن قد آن لي أن أبين لك ضلالك القديم .
انك خادمى ، ولا عمل لك الا أن تقوم على خدمتي ، وأنت أشد الناس اعجابا بي واجلالا لمنزلتي عندك ومعرفة لحقي عليك ، حتى لقد بلغ بك أنك فضلتني على محمد رسول الله وأنكرت علي أن أومن به وأتابعه على دينه . وأنت على ذلك كله تخالف أمرى في أهون خدمة أطلبها منك داخل الدار معتذراً بشدة البرد وبقاء الليل في الأفق . وهذا المؤذن ، يخرج من بيته قبل الفجر ويصعد هذه المنارة وهى أشد مكان في البلد بردا حتى اذا لاح الفجر أشاد في أذانه بذكر محمد بعد مرور أكثر من أربعة قرون على بعثته ايمانا ، واذعانا ، وتعبدا ، واحتسابا .

ولم يسع الخادم الا أن ينحني على يدى شيخه ومخدومه أو سيده ومربيه لثما وتقبيلا في دموع غزار لو لم يجد الشيخ وضوءا لأمكنه أن يجمع من هذه الدموع أسبغ وضوء .

فكذلك يجد المتأمل أوضح السبل الى أن الدين في فطرة الانسان نعمة يستعين بها على مصابرة شدائد الحياة ، ولن يغنى عن هذه النعمة أو يقوم مقامها فلسفة ، بالغة ما بلغت من قوة الحجة فيها وشدة البذل لاقامة معالمها ورفع أعلامها بين

العالمين .

وكذلك يجد الناس في حديث الشيخ الرئيس ـ على هذه الصورة ـ أن خير أنواع الفلسفة هى الفلسفة التي تستصحب في تسيارها الى أشرف غاياتها روح الدين . وأن الذين يرمون الفلاسفة أجمعين بالضلال عن سواء السبيل هم عند التحقيق وبهذا الحكم أضل الناس عن سواء السبيل .

فالانسان الخليق بصفة الانسانية ليس هو ذلك الانسان الذي وصفته الملائكة ، بأنه مفسد في الارض سفاك للدماء ، ولكنه هو الانسان الذي وصفه ربه بما يشير اليه قوله تعالى ردا على ملائكته : « اني أعلم ما لا تعلمون » .

لقد خلق الله الانسان ضعيفا ، كما قال : « **وخلق الانسان ضعيفا** » ،النساء/٢٨ وكذلك خلقه جاهلا ، كما قال : « **والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا** »النحل/٧٨ .

غير انه ـ مع ضعفه وجهله ـ أعطاه الله قوة يتصرف بها تصرفا يكون له به السلطان على هذه الكائنات ، يسخرها ويذللها اذا شاء ، متى شاء ، كيف يشاء بتلك القوة الغريبة التي يسمونها « **العقل** » وهم لا يعقلون سرها ولا يدركون حقيقتها فهى التي تغني الانسان عن كل ما أعطيه الحيوان في أصل فطرته من الكساء الذي يقيه الحر والبرد ، ومن الأعضاء التي يتناول بها غذاءه ويدفع بها عن نفسه ويرد بها على عدوه ، فكان للانسان بذلك من الاختراعات العجيبة ما كان ، وسيكون له من ذلك مالا يصل اليه التقدير ولا يطمع في الاحاطة به الحسبان . فالانسان بهذه القوى ـ غير محدود الاستعداد ، ولا محدود الرغائب ، ولا محدود العلم ، ولا محدود العمل اذ هو يتصرف في الكون باذن الله تصرفا لا حد له .

وكما أعطاه الله هذه المواهب وهذه القدرات يظهر بها أسرار استخلافه اياه في الأرض ؛ أعطاه الله أحكاما وشرائع حد فيها لأعماله وأخلاقه حدا يحول دون بغى أفراده وطوائفه بعضهم على بعض فهى تساعده على بلوغ كماله لأنها ترشده وتؤدب عقله الذي كانت له تلك المزايا . فلهذا كله ، جعله خليفته في الارض وهو أخلق المخلوقات بهذه الخلافة والضراعة الى الله عز وجل حتى لا يتحقق ظن الملائكة بالانسان فتكون خاصته المميزة أنه مفسد في الارض سفاك للدماء .

وإنه ، لصائر هذا المصير الأليم ، لو ظل سائرا في طريق الغواية والتسابق الى اختراع أسلحة الفتك والدمار معرضا عن أدب الله ومتجهما منطق العقل وسالكا سبل الأثرة . فاذا هو ـ على ذلك ـ صائر الى ما تشير اليه الآية من سورة يونس : « **انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض مما يأكل الناس والأنعام حتى اذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات**

لقوم يتفكرون » يونس/ ٢٤ .

ففي هذه الآية يضرب الله مثل الحياة الدنيا في سرعة زوالها بعد كمالها ، بالزرع الذي بلغ غايته القصوى في الزينة والحسن ثم تعرض له الآفة فيزول حسنه بعد أن كانت الأرض شبيهة بالعروس اذا لبست الثياب الفاخرة من كل لون وتزينت بجميع الألوان الداخلة في معنى الزينة من خضرة وحمرة وصفرة حتى اذا صار أهل الارض أشبه بأصحاب البساتين يفرحون بحدائقهم وجناتهم وقد عظم رجاؤهم في الانتفاع بها ، ثم اذا هم يرون بساتينهم باطلة هالكة كأنها لم تكن من قبل شيئا مذكورا .

ولقد سئل فيلسوف جليل القدر سؤالا يصلح مع جوابه أن يكون تفسيرا للآية الكريمة لم يسبقه اليه سابق . فقد قيل له انك عاصرت حربين عالميتين اختلفت أسلحة القتال فيهما ، فما مبلغ علمك بالاسلحة في الحرب العالمية الثالثة اذا نشبت ؟ . فأجاب الفيلسوف اجابة عالم أديب : انني لا أعرف أسلحة تلك الحرب التي أرجو ألا تكون ، ولكنني أعرف على سبيل اليقين أسلحة الحرب العالمية الرابعة ، وهى بلا ريب أسنان الانسان وأظافره ، اذ أن أسلحة الحرب العالمية الثالثة سوف تقضى - لا قدر الله - على صور الحياة كلها ، وسوف ترد الانسان الى حياة الكهوف والمغارات .

وبتدبر هذه المعاني - على ما ينبغي لها - نكاد نعتقد أن شرائع الفطرة في الغابة أخف وزرا وأسلم عاقبة من شرائع الحضارة في رؤوس وأيدي أولئك المعاصرين الذين يرون أنفسهم أو يراهم الناس ، أدق حسا وأرفع إنسانية من أولئك الهمج المتوحشين في الغابات .

لقد كان ابن سينا مع المدرسة التي أخذ عنها وأخذت عنه قادرا على ان يدرك من أسرار الكون ما أدركه المعاصرون . ولو انه فكر بعقلية الفتك والتدمير ؛ لوصل الى تحطيم الذرة وما اليها ، لأن العلوم التجريبية لم تكن الدعوة اليها غامضة في القرآن الكريم الذي كان يتلوه ابن سينا حق تلاوته ، ويتدبره حق تدبره ، ولكن أولئك السادة الذين التزموا أدب الاسلام أو عرفوا حق الانسانية ، لم يكونوا يشغلون أنفسهم ، الا بما يعود على المجتمع الانساني كله بالسكينة والسلام في مجال النفس بترقية الوجدان ، وفي مجال الحس بتصحيح الأجسام .

واذا تهيأ للانسان أن يظفر بسلامة وجدانه ، وصحة جسمانه ، فقد تهيأ له الخير كله ، وامتهدت بين يديه سبل السعادة جمعاء ، فكان هو الانسان الذي قال الله في شأنه : « **ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا** » الاسراء/ ٧٠ .

والله المسئول أن يكتب لدنيانا أو لدنيا من يأتي بعدنا ، سكينة النفس ورخاء العيش ونعمة الصحة وسلامة الضمير . والله على كل شيء قدير وبالاجابة جدير .



للاستاذ / عبد الكريم الخطيب

بالاسلام ختمت الرسالات السماوية وبنبي الاسلام ختم أنبياء الله كما يقول تعالى : « **ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما** » (سورة الأحزاب : ٤٠) وهذا يعني أن الاسلام قد أصبح برسالة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو

المائدة السماوية الممدودة للانسانية كلها على مدى الأزمان لتمسك عليها حياتها المادية والروحية ، ولتستشفي لها مما تبتلي به من عوارض العلل والآفات التي تدخل على الأجسام ، والأرواح ، مـن شـهـوات النفس ووساوس الشيطان ..

وهذا يعني أيضا أن من لا يقبل على هذه المائدة ـ مائدة الاسلام ـ ولا ينال حظه المقدور له منها ، لن يحتفظ بوجوده الانساني السليم الذي يؤهله لمنصب الخلافة على هذه الأرض ، ذلك المنصب الذي خلق له ، حيث أمده الخالق سبحانه بأسباب التمكن لهذا المنصب ، فاذا هو لم يمسك بهذه الأسباب ويعمل على الاحتفاظ بها ، وامدادها بالغذاء السماوي الممدود له من مائدة الاسلام ، كان ذلك ايذانا له بالخروج من عالم الانسانية والتحول الى عوالم البهائم ، والأنعام ، أو ما دون عوالم البهائم والأنعام ... وهذا ما يشير اليه قوله تعالى عن هؤلاء الآدميين الذين أبوا أن يمدوا أيديهم الى تلك المائدة السماوية ، وآثروا أن يضعوا أفواههم على ما في الأرض من الكـلأ والـعشب ، فيقـول الحـق سبحانه : (**واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين . ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد الى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون . ساء مثلا القوم الذين كذبوا بـآياتنـا وأنفسهم كانـوا يظلمـون**) [سـورة الأعـراف : ١٧٥ ـ ١٧٧] .. ويقول سبحانه في هؤلاء المعرضين عن مائدة اللـه ، غرورا ، وجهلا ، وحماقة واستكبارا : (**ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعـون بها ، أولئـك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون**) سورة الأعراف : ١٧٩ .

فهؤلاء الأشقياء قد منحهم الله من فضله قوى مهيأة لأن تشرف بهم على منازل عالية في عالم الحق ، لو أنهم استعملوها في الوجوه التي خلقت لها ، ولكنهم أهملوها فلم تثمر لهم ثمرا نـافعا ، بـل كانت أشبـه بالأرض الصالحة المهيأة للزرع والثمر ولكن يدا لم تمتد اليها بالعمل ، فأصبحت جرداء عارية ، ومرعى للحشـرات والهوام ، ومأوى للعقارب والحيات .

ان هؤلاء الأمساخ من الناس .. قد كانت لهم قلوب كقلوب الناس ، وأعين كأعين الناس ، وآذان كآذان الناس ، ولكنهم أغلقوا قلوبهم فلم يصل اليها شيء من هدى السماء وأغمضوا أبصارهم فلم يروا شيئا من نـور الله ، ووضعـوا أصابعهم في آذانهم ، فلم يسمعوا شيئا من كلام الله . فكانوا كما قال الله تعالى فيهم : (**ختم اللـه على قلـوبهم وعـلى سمعهم ، وعلى أبصارهم غشاوة ولـهـم عـذاب عظيـم**) سـورة البقرة : ٧ .

وهكذا السفهاء من الناس ، يكون

بين أيديهم المال الكثير الذي لو أحسنوا سياسته لكانت لهم منه حياة آمنة هانئة ، ولكنهم ذهبوا بهذا المال مذاهب السوء وركبوا به مراكب الضلال والسفه ، حتى غرقوا في الشهوات وتلطخوا بدنس المنكرات ، واذا المال الذي في أيديهم قد تبدد وذهب هباء ، واذا أجسادهم قد اعتلت ، واذا عقولهم قد ذهبت واذا أخلاقهم قد فسدت : (**أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين**) سورة البقرة :١٦ .

(٢)

ان للانسان جانبين يتحكمان فيه ، جانبا سفليا أرضيا ، هو هذا التراب الذي تخلق منه جسده .. وجانبا علويا سماويا قدسيا ، هو تلك الروح التي هي نفخة من روح الحق سبحانه ، المستشرفة للنور ، والمتجهة اليه ..

بهذين الجانبين في الانسان تتحدد حركاته ، وتتشكل منازعه ، إما صعودا نحو السماء ، وإما إخلادا الى الأرض .. وبين هذين الاتجاهين يأخذ كل انسان موضعه ، صاعدا ، أو هابطا .

ولو ترك الانسان وفطرته مع هذا الوجود ، لكان أشبه بالطائر ، يجمع في حياته بين الأرض والسماء ، فيمشي على رجليه في الأرض حينا ، ويحلق بجناحيه في أجواء السماء أحيانا ، فلا يظل على الأرض دائما ما دام معه جناحاه ، ولا يظل محلقا في السماء دائما ما دام يجد في الأرض بساطا له .

أفلست ترى اذن في هذا الشبه بين الانسان والطائر ما يدلك من قريب ، على تلك المستويات وهذه المنازل ، التي يكون عليها الناس في هذه الحياة ؟ .. فأنت تجد هناك من أهملوا الجا نب الروحي فيهم ، حتى انقطعت الصلة بينهم وبين عالم السماء ، فكانت الأرض هي كل عالمهم ومستقرهم ومثواهم وهؤلاء هم الكافرون ، والملحدون ، والمشركون والمنافقون في ماضي الانسانية وحاضرها ، ومستقبلها لا يخلو منهم زمان أو مكان !!

وهناك من الناس من استهواهم الجانب الروحي فيهم فحاولوا أن يجاوزوا المدى المقدور لهم ، فسقطوا من حالق ، وأمثال هؤلاء في الناس كثير ، منهم أصحاب المذاهب الهندية التي تذهب إلى افناء الجسد وتعطيل وظائفه ، بالرياضة العنيفة والحرمان المتصل ، وعلى طريقهم بعض المغرقة في الزهد والتجرد ، حتى يتحول احد هم إلى دمية متحركة ، أو يكون شبحا هائما ، لا مكان له في أي ميدان من ميادين العمل بين الناس على هذه الأرض ..

(٣)

ان المسلم الحق الفاقه لدينه ، المستقيم على أمر هذا الدين ، هو ذلك الانسان الذي يأخذ مكانه المكين في الأرض والسماء ، فهو في الأرض عامل كادح ، يسعى فيعمر الأرض بعمله وجده ، كما أمره الله تعالى في قوله سبحانه : (**هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها**

وكلوا من رزقه وإليه النشور) (سورة الملك :١٥) وهو في السماء مستشرف لأنوار الحق ساع الى مرضاة ربه .

والقول بأن الاسلام هو دين الفطرة ، انما يعني أنه الدين الطبيعي ، الذي يلتقي مع الطبيعة الانسانية لقاء مؤاخيا مزاوجا ، بين فطرة الله ، ودين الله ، كما يزاوج بين الروح والجسد ، والنور والطين ..

ومن هنا كان المسلم الحق آية من آيات الله ، يشهد منها الناس معالم الحق والخير ، ويرون فيها ما تسمو اليه النفوس الكريمة ، وتنشده الهمم العالية .

والمسلم الذي لا يكون في المجتمع الانساني على هذا المستوى ، هو شهادة غير صادقة على الاسلام ، وأنه كلما بعد عن حقائق الاسلام ، بعد عن اتصافه بالاسلام الى أن يكون شهادة زور في حق الاسلام .

فالدين بأهله ، وعليهم تنطبع آثاره ، وفيهم تتجلى حقائقه .. فان كان أهله على طريق الخير ، والبر والاحسان ، وعلى اقتدار من التمكن في الأرض ، وعلى اقامة ميزان الحق والعدل فيها ، كان الدين الذي يدينون به دينا قويما ، طيبا كريما ، لأنه أثمر هذا الثمر الطيب الكريم ، وان كان أهل الدين الذي ينتسبون اليه على غير طريق الاستقامة والرشاد ، ردت هذه الصفة الى دينهم ، وكانوا هم الشهداء بهذه الصفة عليه .

(٤)

واذن ، فان الذي يرى عليه بعض المسلمين من سوء في الخلق ، أو انحراف في السلوك ، أو ضلال في القول ، أو تفريط في العمل ، هو حرب على الاسلام ، وتشويه لصورته في أعين الذين ينظرون اليه من خلال هؤلاء المنحرفين ـ قليلا أو كثيرا ـ عن تعاليم الاسلام ، وموارد شريعته .. انهم بهذا دعوة تحرض الناس على البعد عن الاسلام ، والدخول في أهله ، وان لم يشعروا هم بذلك ، ولم يرغبوا فيه !!

ان المسلم الحق هو رسالة تدعو الى الاسلام ، وتفتح الطريق لمن لا يدينون به ، حيث يكبر قدر الاسلام ، ويعظم شأنه ، بقدر ما يكون عليه المسلم من علو في قدره ، وعظمة في شأنه .

والمسلم الحق ، هو أيضا شهادة قائمة على غيره ، بدعوة الاسلام ، وهو بلاغ مبين عملي عن هذا الدين ، لمن لم تبلغه الدعوة من كتاب الله وسنة رسول الله .. فان هذا المسلم الحق هو شهادة ناطقة بصدق هذا الدين ، بما يحمل من خير عظيم ، لكل من استجاب له ، واستقام على نهجه .

وانها لأمانة عظيمة منوطة في عنق كل مسلم ، يحملها الى الناس فيما يكون عليه من حسن الخلق ، واستقامة السلوك ، والاحسان في القول والعمل ..

ومن تخل عن أداء هذه الأمانة أو لم يؤدها على وجهها الكامل ، كان من الخائنين لله ولأنفسهم ، وللأمة الاسلامية .

نسأل الله الهداية والتوفيق .

دماء على ثرى بدر

اصبح الصباح ، وقف أبو حذيفة بن عتبة يلقي نظرة على جيش المسلمين ، انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ قليل من تنظيم صفوف الجيش ، ودخل إلى عريشه الذي أعد له . الآن تحسن الحال عن الأمس ، هبط النعاس على المسلمين ، وسال المطر وفيرا ، أطفأ المسلمون ظمأهم ، اغتسلوا ، توضأوا ، أقاموا الأحواض ، سكن الغبار ، تلبدت الأرض ، تماسك الكثيب وثبتت الاقدام ، لم تعد حوافر الابل تغوص .

ينظر أبو حذيفة إلى عدد المسلمين ، يبدو العدد قليلا تجاوز الثلاثمائة بقليل ، عتادهم ضعيف ، فلم يكن مقصدهم النفير ، بل كانوا يرومون عبر قريش في طريقها من الشام إلى مكة ، يقلب وجهه صوب الناحية القصوى من بدر ، عدد قريش يقترب من الألف ، مزودين بالدروع والفرسان والبعير ، تطرق أذنيه ضربات الدفوف ، ترسلها الاماء المغنيات مع قريش ، تساوره بعض وساوس ، يخشى أن تنال قريش من المسلمين لكن يقينا يبث في قلبه طمأنينة ، لن يتخلى الله عن رسوله ، في هذا اليوم ، ولم يرض المسلمون بغير إحدى الحسنيين .

تناهى إليه أن أباه عتبة بن ربيعة ممن يطعمون جيش قريش ، ينفطر حزنا على أبيه ، الرجل الكبير في قريش ، له دلوه في الرأي والمشورة ، وتسعى إليه قريش في

عظيم الأمور ، له عقل راجح ، ورغم ذلك مازال يرفل في كفره . يرفع يديه ويتمتم بالدعاء ، أن يهدي الله أباه ، أن يسلم قبل فوات الأوان . يرى أبو حذيفة حمزة وعلي بن أبي طالب عائدين ، يحملان عبيدة بن الحارث مقطوعة ساقه ، يدخلان به على رسول الله صلى الله عليه وسلم في عريشه ، منذ قليل خرجوا لمبارزة ثلاثة من جيش قريش ، مكنهم الله من أعدائهم ، وعادوا منتصرين . لم يمض سوى وقت قصير حتى شاع موت عبيدة بين المسلمين .

يسمع أبو حذيفة بالنبأ ، تموج نفسه بمشاعر متقابلة ، الموت اختطف رجلا من خيرة رجال المسلمين ، ما احوجهم في هذا اليوم لكل فارس ، عزاؤه ان المبارزين من قريش قتلوا جميعا . تقفز الى رأسه صورة ابيه ، ماذا لو شاء الله ، وقابل اباه وجها لوجه في ميدان المعركة ؟ موقف رهيب ، ود لو يقوم ينادي بأعلى صوته ، يتوسل إلى ابيه أن يدخل في الاسلام .

أبو حذيفة شارد ، يستعيد في رأسه مواقف لأبيه ، كان فيها قريبا من الاسلام ، يذكر يوم أرسلته قريش إلى الرسول الكريم لاغرائه ، كي يعدل عن دعوته ، يعرض عليه المال والشرف والسيادة والملك ، ويجيبه الرسول الكريم بآيات كريمة ، ويردد أبو حذيفة الآيات : « **بسم الله الرحمن الرحيم . حم * تنزيل من الرحمن الرحيم * كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون * بشيرا ونذيرا فأعرض اكثرهم فهم لا يسمعون** »فصلت . ١ /٣

آه يا أبا الوليد ، استمعت يومها وأنصت ، وعدت إلى قريش بوجه غير الذي ذهبت به ، وقلت لهم : « خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه ، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم » . يفيق أبو حذيفة من شروده ، سمع صوت الرسول صلى الله عليه وسلم ، اقبل من عريشه ينظم الصفوف ويعدلها ، يبث الحماس في النفوس ، ويشجع المسلمين على القتال في سبيل الله ، يلقى بتعليماته : « إن دنا القوم منكم فانضحوهم ، واستبقوا نبلكم ، ولا تسلوا السيوف حتى يغشوكم » .

عاد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى عريشه ، أبو حذيفة يرسل البصر إلى الناحية القصوى من بدر ، تبدو له المعركة وشيكة ، بدأ الناس يتزاحفون ويقتربون من بعضهم ، أقبل نفر من قريش يريدون الشرب من حوض الرسول ، قتلوا جميعا إلا حكيم بن حزام ، فقد أعلن اسلامه وانضم الى المسلمين ، فرح أبو حذيفة ، تمنى أن يفيء أبوه عتبة إلى الحق ، كما فعل حكيم ، زاد اقتراب الجيشين من بعضهم ، صار الالتحام وشيكا ، ينفطر أبو حذيفة حزنا ، يدعو لأبيه ، لو قابله فسوف يتوسل اليه أن يسلم ، أن ينتزع نفسه من براثن الوثنية ، الالتحام يقترب ، يخرج الرسول صلى الله عليه وسلم من عريشه ، يصيح في المسلمين : « والذي نفس

محمد بيده ، لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر إلا أدخله الله الجنة » . كانت إشارة الانطلاق ، سمع أبو حذيفة أحد المسلمين يصيح في حمية وشجاعة . « بخ .. بخ ما بيني وبين أن أدخل الآن إلا أن يقتلني هؤلاء » ، نظر أبو حذيفة إليه ، هو عمير بن الحمام ، أخرج تمرات كانت معه ، رماها بطول ذراعه ، لا يريد أن تطول به الحياة حتى يأكل هذه التمرات .

انطلق المسلمون يعملون سيوفهم ونبلهم في المشركين ، أبو حذيفة توشح سيفه ، وتسلح بايمانه ، تدفعه عقيدته دفعا لملاقاة الأعداء ، يود ان يتوج جهاده بالنصر او الشهادة ، هاجر من قبل وزوجته سهلة الى الحبشة في الهجرة الأولى ، وهاجر مع المسلمين إلى يثرب ، آخى الرسول صلى الله عليه وسلم بينه وبين عياد بن بشر الأنصاري ، لن ترضى نفسه اليوم وتسكن إلا بالنصر أو الشهادة في سبيل الله .

احتدم القتال ، حمي الوطيس ، تطاير بريق السيوف في سرعة كأنه البرق اقترب من الأرض ، الأرض التي لبدها المطر تتناثر ، يندفع المسلمون كأن هدفهم الوحيد هو الحرص على الموت .

أبو حذيفة يرى أبا عبيدة بن الجراح يفرق بسيفه جموع المشركين ، ويستبسل الرجل فيجانبونه ويبتعدون عنه ، إلا رجلا كان يتصدى لأبي عبيدة ، كلما صدف عنه أبو عبيدة تصدى له الرجل ، إنه ابوه ، عامر بن الجراح ، كان في صفوف المشركين الوثنيين ، حاول أبو عبيدة جهده الا يقتل اباه ، لكن الرجل تصدى له باصرار وثني أعمى البصيرة ، برم به أبو عبيدة ، واستلهم إيمانه وعقيدته فقتل الرجل . انطلق ابو حذيفة وقد استراح ضميره الى ما فعل ابو عبيدة ، وسكنت نفسه الى رأي تولد سريعا في نفسه ، فلينتزع من قلبه صلة القرابة ، ويبقى فقط صلته بالدين والعقيدة .

انطلق الرجل يضرب ويضرب ، وتتجلى في قلبه قوة العقيدة ، ويستعيد في عينيه منظر ابي عبيدة يضرب رأس الشرك في ابيه ، فيلتهب الرجل التهابا ، ويمرق في شجاعة لا نظير لها ، يبحث عن الموت في وادي بدر ، يقع بصره على بلال ، يصيح بلال : « أمية بن خلف رأس الكفر والضلال لا نجوت إن نجا » ويتوارى أمية عن بلال ، لكن بلالا يترصده ويتعقبه إلى أن شفى قلبه المكلوم ، وأرداه قتيلا . يبتهج أبو حذيفة ، ويشتد عزمه ، يا له من تدبير أراده الله ، أن يقف بلال وهو ينعم بعز الحرية في الاسلام ، لذلك الطاغية بالذات ، الذي أذاقه أشد صنوف العذاب ، ويمكنه من الانتقام .

يشتد القتال ، ويثور الغبار ، ويرى أبو حذيفة المشركين يتكاثرون على المسلمين ، فمعهم مائة فرس ولا يمتلك المسلمون سوى فرسين ويردد وادي بدر صدى صليل السيوف ، ويطير الهواء أصواتا تعلن عن الموت ، وتصطبغ الأرض بألوان

الموت .

يرى الرسول صلى الله عليه وسلم كثرة المشركين ، فيلجأ الى الله بالدعاء ، ويظل هكذا حتى أخذته سنة من النوم ، ثم استيقظ فرحا مستبشرا ، يتلوقول الله تعالى : « **سيهزم الجمع ويولون الدبر** » القمر / ٤٥ استبشر المسلمون ، تيقنوا من نصر الله لهم ، تحولوا إلى فرسان يشهد لهم ثرى بدر ، اندفعوا بين المشركين يثخنون فيهم سيوفهم ، تناثر جمع قريش ، سقطت رءوسهم صرعى ، مضى نهار اليوم وولى ، بدأت قريش تولي مدبرة ، راعهم ما لاقوه ، فروا عائدين كأن الجن تلاحقهم .

أبو حذيفة فرح بنصر الله ، أقبل الرسول صلى الله عليه وسلم يحصي القتلى والأسرى ، قتل من قريش سبعون ، أسر مثلهم ، نال الشهادة أربعة عشر مسلما .

أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بنقل القتلى من قريش إلى القليب ، أبو حذيفة ينظر القتلى ؛ هذا أبو جهل زعيم الكفار هذا أمية بن خلف معذب بلال ، هذا شيبة ابن ربيعة عمه الوثني ، وهذا ... تجهم أبو حذيفة غامت عيناه ، طافت بوجهه سحابة حزن ، شرد شرودا عميقا ، أي عتامة ألمت بقلبك يا أبا الوليد ، أي غيوم حجبت عن بصيرتك الحق الساطع ، ألم يرق قلبك في يوم من الأيام لرسول الله صلى صلى الله عليه وسلم ، اذ خرج الى الطائف يرجو المؤازرة والنصرة من ثقيف ، فخذلوه وآذوه وسبوه ، ولجأ بعد أن أرهقه التعب ودميت عقبه إلى حديقتك ، يومها أرسلت له عبدك (عداس) بقطف من العنب .

نظر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى أبي حذيفة ، رأى التغير في وجهه بعد أن رأى أباه ، مقتولا ، سأله الرسول الكريم :
ـ لعلك قد دخلك من شأن أبيك شيء ؟

تنبه أبو حذيفة ، وأجاب الرسول منفطرا من الحزن :
ـ لا والله يا رسول الله ، ولكنني كنت اعرف من أبي حلما ورأيا وفضلا ، فكنت أرجو أن يهديه الله للاسلام ، فلما رأيت ما أصابه ، وذكرت ما مات عليه من الكفر بعد الذي كنت أرجو له أحزنني ذلك .

استمع الرسول الكريم لأبي حذيفة ، ودعا له بخير ، وقال له خيرا .

لطفي عبد الرحيم

كأنهم بنيان مرصوص

يعتبر الاعلان عن وحدة المجاهدين الأفغان تحت قيادة واحدة من أبرز الأحداث الاسلامية في الشهر الماضي ، ومن الغريب ان تضرب معظم وسائل الاعلام صحفا عن الحدث ، وتتجاوزه دون اهتمام يذكر ، على الرغم من انه ينطوي على أهمية كبيرة ، ويشير الى دلالات تبعث على التفاؤل بتقدم كبير ان شاء الله ، تحرزه حركة الجهاد في افغانستان ضد الغزو الروسي .

وقد اجتمعت كلمة قادة المجاهدين الأفغان بتنظيماتهم السبعة على مبايعة عبد رب الرسول سياف قائدا لمدة سنتين قابلة للتجديد بصورة تلقائية ، وقد أدى البيعة له كل من : حكمت يار رئيس الحزب الاسلامي ، وبرهان الدين رباني رئيس الجمعية الاسلامية ، ونصر الله منصور رئيس حركة الانقلاب الاسلامي ، ومير محمد رئيس جبهة انقاذ افغانستان ، ومحمد يونس خالص ، ورفيع الله مؤذن . وجرت البيعة في المركز الرئيسي للمجاهدين في بيشاور الباكستانية بتاريخ ٩ شعبان ١٤٠٣ ٨٣/٥/٢٢ وقد تم حل التنظيمات المجاهدة كافة ودمجها في تنظيم واحد تحت اسم (الاتحاد الاسلامي لمجاهدى أفغانستان) .

ومن المعروف أن العمل على توحيد صفوف المجاهدين الافغان لم يتوقف منذ بدأت حركة الجهاد ،وكانت الخطوة الاولى في عام ١٩٨٢ عندما جرى ترتيب العلاقات بين التنظيمات الاسلامية السبعة ، وأنشىء بينها نمط من الاتحاد ، كان له تأثير بالغ ، على ما يبدو ، في التمهيد لاعلان الوحدة الكاملة لها جميعا ،تحت قيادة واحدة .

ومع ذلك فلا ريب في ان دواعي كثيرة دفعت المجاهدين الافغان دفعا حثيثا الى تحقيق هذه الوحدة . لعل منها ما ظهر من ضراوة العدوان

الروسي على الشعب الافغاني ، ولا سيما في الاونة الاخيرة ، بعد أن أخذ اندربوف بزمام السلطة في الاتحاد السوفيتي ، وظهرت بوضوح ملامح استراتيجية جديدة للسوفيات في عدد من مناطق العالم ، والحقيقة ان السوفيات يدركون خطورة الورطة التي انزلقوا اليها في افغانستان وهم يبحثون الان على حل يحفظ لهم هيبتهم في الشرق الاقصى ، ولا يسمح في الوقت نفسه للمجاهدين الافغان أن يقيموا حكومة اسلامية . وهناك أكثر من اشارة الى ان السوفيات يبحثون عن مخرج عن طريق التفاوض ، وهكذا يمكن تفسير الهجمات السوفياتية الأخيرة على انها تمهيد سريع لاجبار المجاهدين على الدخول في باب المفاوضات .

وهكذا يمكننا أن ندرك الدلالات السياسية للهجمات العسكرية الكثيفة التي شنها المجاهدون حين بدأت المفاوضات في (جنيف)لحل القضية الأفغانية ، تلك المفاوضات التي لم يشترك فيها الطرفان الرئيسان : الاتحاد الاسلامي لمجاهدي أفغانستان ، والسوفيات .

ولعل من أبرز الهجمات التي شنها المجاهدون ما وقع على قلعة بالاحصار التاريخية الحصينة في الثامن من رمضان ، والهجوم على السفارة الروسية في اليوم نفسه ، والهجوم على اللواء (٣٨)الكوماندوز في مقاطعة (باكتيا)أواخر الشهر الماضي ، وقد قتل في هذا الهجوم (٢٠٠)من الجنود ، وأسر حوالي(١٠٠)حسب مصادر المجاهدين .

كما قام المجاهدون بهجوم على المطار العسكري بمنطقة (شنيدن)في محافظة هرات وعلى الطريق بين هرات وقندهار هاجموا قافلة روسية ، كما هاجموا قافلة اخرى على الطريق الرئيسي بين محافظتي بادغيس وهرات . وفي دروازة قندهار اقتحموا موقعا للقوات المشتركة ، وفي منطقة (كنج)غرب هرات تعرضت القوات المشتركة نفسها لهجمات المجاهدين .. كل ذلك في الأسبوع الاول من رمضان .

وبصورة عامة تؤكد مصادر المجاهدين ان ٨٠٪ من الأراضي ما تزال محررة ، يسيطر عليها المجاهدون ، منذ أن غزا السوفيات أفغانستان ، وأن السوفيات لم يحرزوا أي تقدم « ولو ضئيلا » وتنحصر سيطرة القوات الحكومية والروسية - وهي سيطرة معرضة للاضطراب والضعف يوميا - في العاصمة كابل ومواقع من المدن الرئيسية الأخرى .

وعلى الصعيد الدولي من المحتمل ان يتوصل الكبيران السوفيات والامريكان الى اعداد طبخة دولية جديدة تستهدف تهدئة اجواء التوتر المتصاعد في عدد من مناطق التماس بينهما في العالم . وهذا يعني ان قضية الشعب الافغاني تتعرض في هذه الاونة لخطر المساومات الدولية ، وهكذا تجيء وحدة المجاهدين الافغان ، ردا حاسما على منطق

المساومات واصرارا على المضي في طريق الجهاد المسلح ضد الغزاة من جهة اخرى .

ومن الملاحظ ـ على الصعيد الداخلي لأفغانستان ـ ان جانبا من الدواعي لهذه الوحدة ناجم عن ظروف داخلية . فهناك شراذم من الاحزاب غير الإسلامية التي توطىء للاحتلال الاجنبي ، وتعرقل حركة الجهاد الاسلامي هناك ، وهكذا غدا من الضروري ان يعمل المجاهدون على وضع حد لدور هذه الاحزاب ، ومن هنا كان الاعلان عن الوحدة بين المجاهدين ضرورة داخلية .

ولعل من أبرز الدواعي التي حملت المجاهدين الافغان على توحيد صفهم استجابتهم لدعوة الله تبارك وتعالى« واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا »وقوله تعالى« ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » ولا ريب في ان هذه الاستجابة من اعظم بركات الجهاد الذي يخوضه المسلمون الافغان .

ولا جرم أن تأييد الشعوب الاسلامية في العالم للشعب الافغاني ودعمهم اياه كان له أبلغ الأثر في احراز هذه الخطوة المباركة .

ان وحدة المجاهدين الافغان ، في هذه المرحلة من جهادهم ، تفصح عن دلالات عدة ، على الصعد السياسية والعسكرية ، لعل من أبرزها :

١ ـ ان التوجه السياسي الواحد للمجاهدين لن يسمح لأية قوة من القوى ، خارجية كانت او داخلية ان تنفذ في صفوف حركة الجهاد ، او تعبث بها ، او تبلبل رأي قادتها ، او تزرع الخلاف بينهم تحت دعاوى تباين وجهات النظر ، او تنوع التصورات السياسية ..

٢ ـ أن قرار القيادة المجاهدة أصبح الان يمثل ، على نحو من الشمول والأصالة ، الشعب الافغاني وارادته الحرة في الجهاد ، ورأيه في الحياة التي يريد ، والمنهج الاسلامي الذي لا يرضى سواه بديلا .

٣ ـ أن العفوية التي ربما اتصفت بها بعض المعارك السابقة ضد الغزو ، قد استحالت الان ، او هكذا يجب ان يكون إن شاء الله ـ إلى عمل منظم شامل ، ومعركة موحدة تدار بقرار واحد ، يقدر الاوضاع ، ويحسب كل حساب بصورة من الضبط والنظام متكاملة .

٤ ـ أن الشعب المسلم حين يشب عن طوق الاستبداد ، وينتزع ارادته الحرة بعزيمة الجهاد ، ويحول بين هذه الجهة او تلك وبين ان تفرض عليه من اهوائها ومطامعها وتسلطها ما تريد .. أن الشعب المسلم عند ئذ لا يمكن أن ينشق صفه ، او ينثلم حده ، ما دام يدرك أن معركته واحدة وهدفه واحد .

٥ ـ أن صدق التوجه الى الله تعالى بالعمل الصالح ، بل بذروة سنام الاعمال عنده ، هو بلا شك مجلبة لنصر الله المبين ، وكيف لا ينصر الله أحباءه ؟!

« ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص » الصف (٤) صدق الله العظيم .

مع الصحافة

مع أن أكثر من حدث يستحق الاهتمام في العالم الاسلامي فان الصحافة العربية والعالمية وجهت معظم اهتمامها الى ما يجري في صفوف منظمة التحرير الفلسطينية ، وهكذا غابت عن دائرة الضوء الحرب المستعرة في تشاد ، وغابت كذلك معارك المجاهدين الأفغان ، والإعلان عن توحيد صفهم تحت قيادة واحدة .

ولقد عبرت الصحف العربية عن الأسف والإحباط لما يحدث في منظمة التحرير ، في وقت هي أحوج ما تكون فيه الى وحدة صفها ، وأشارت غير صحيفة إلى أن الصراع إذا انتقل إلى داخل الصف الفلسطيني فإن غزو اسرائيل للبنان يكون قد بلغ أقصى أهدافه . أما أوضاع الفلسطينيين المهجَّرين بعد الغزو الصهيوني ففي غاية البؤس كما يصورها تقرير لوكالة الانباء الكويتية (كونا)من مدينة طرابلس بلبنان . وفي ظلمة هذه الاوضاع المؤسفة تبرز كضوء من أمل عمليات المقاومة الشعبية في لبنان ضد الغزاة اليهود ، وقد أثبتت هذه العمليات التي تصدر عن ارادة شعبية عفوية انها الفعل الموجع الوحيد الذي يؤثر في العدو الصهيوني وسياساته المرسومة .

○ أزمة منظمة التحرير

كتبت صحيفة لوبوان الفرنسية في الاسبوع الثاني من رمضان مقالا عن اوضاع منظمة التحرير الأخيرة جاء فيه :

اذا كان الهجوم الذي شنته اسرائيل منذ عام لم ينجح في اقرار الامن في لبنان فإنه على كل حال ساهم بنصيب ضخم في اشاعة البلبلة والخلاف في صفوف منظمة التحرير الفلسطينية لدرجة ان اسرائيل لم تيأس من رؤية الفدائيين الفلسطينين يتمون بأنفسهم مشروع تدمير منظمتهم وهو الهدف الاول الذي رسمته لنفسها قوات الجنرال شارون في الصيف الماضي .

اشتباكات بالمدفعية الثقيلة تنتهي بموت واصابة حوالي عشرة اشخاص . معارك ضارية من اجل الاستيلاء على الرقابة على احدى الطرق الاستراتيجية الهامة . هذه الاشتباكات التي وقعت على مقربة من مدينة بعلبك اللبنانية لم يتورط فيها اي جندي

اسرائيلي . ولكن المتحاربين انقسموا بين « موالين »لمنظمة ياسر عرفات و« منشقين »عليها . انها معركة إبادة أخوية لم تنته الا بفضل التدخل الجرىء لبعض المدنيين الفلسطينيين الذين غامروا بانفسهم وسط المتحاربين لاقناعهم بوقف القتال .

○ أوضاع المهجرين

أذاعت وكالة (كونا)للأنباء تقريرا مفصلا عن أوضاع المهجرين الفلسطنيين ، جاء فيه :

صفوف من الخيام واطفال حفاة ونساء يتزاحمن عند نقطة وحيدة لتوزيع المياه وشيوخ يراقبون كل هذا في ملل قاتل وامل بالعودة يبتعد .. هذا المشهد ليس مخيما للاعتقال اقامته النازية ولكنه نتاج التشرد الذي تعانيه الاجيال الفلسطينية التي شردت من اراضيها على ايدي الصهاينة ثم شردت ثانية من بيوت مؤقته في جنوب لبنان اثناء الغزو الاسرائيلي خلال صيف ١٩٨٢ .

ويقول تقرير اصدرته مؤخرا وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين ان من بقي منهم في جنوب لبنان قد عارضوا بشدة قبول الخيام واحرقوها بعد ان دمرت بيوتهم ، فالخيمة بالنسبة لهم هي رمز للامال الضائعة .. رمز لكونهم قد اعيدوا الى النقطة التي بدأوا منها ، اذ ان الخيام ملازمة لسنوات النفي الطويلة ، كما ان فكرة العودة الى الخيام بعد ٣٥ سنة كان من المستحيل قبولها .

اما بالنسبة للاجئين النازحين في طرابلس فلم يكن لديهم اي خيار . فالمخيمات في المنطقة : مخيم البداوي« ٨٧٣٣ شخصا »ومخيم نهر البارد« ١٦١٩٥ شخصا »حسب احصائيات شهر مارس الماضي كانا مكتظين بالسكان .

ومع ان الكثير من الناس كانوا يتقاسمون اماكن اقامتهم المكتظة مع الاصدقاء او الاقارب فلم تكن هناك امكنة كافية للجميع . وبينما بدأ عدد النازحين يزداد بنسبة مخيفة عرضت الخيام عليهم وتم قبولها حتى وان كانت تذكر الجميع بالبداية القاسية لتشتت الفلسطينيين .

وفي نهاية شهر مايو كان يوجد في منطقة طرابلس ٥٦٨ عائلة مكونة من ٢٦٦٩ نازحا . وتم تيواء ١١ عائلة في مدرسة مهجورة في مخيم نهر البارد بينما كانت ٦٢ عائلة تعيش في ٧٤ خيمة « اربع خيام في نهر البارد وسبعون خيمة في مخيم البداوي » .

والعائلات الموجودة في طرابلس تبدو محظوظة للغاية بالمقارنة مع العائلات النازحة الى المنطقة الاخرى ولا تزال هناك ٢٣٠ عائلة تفتقر الى اي نوع من الماوى وبما ان كلفة سئجار مكان تتعدى بكثير امكاناتهم المالية فان هذه العائلات هي بدون مأوى . ولقد وصلت ٣٠ من هذه العائلات مؤخرا من البقاع حيث قضت شتاء طويلا مفضلة ذلك الانتقال الى طرابلس التي كانت في ذلك الوقت مليئة بالاصطدامات المتواصلة بين الفئات المتناحرة . ومع ان الاضطراب لا يزال يعم طرابلس فان سكان البقاع الان خائفون اكثر من ان معارك جديدة قد تنشب بين الاسرائيليين والسوريين في البقاع ويتوقع وصول عدد اكبر من العائلات الى طرابلس .

وليست المشكلة هي عدم توفر الخيام بل هي ايجاد مكان لنصبها اذ تم استعمال كل شبر متوفر من الارض في المخيمات . كما ان السلطات اللبنانية لم تأذن حتى الان بنصب مزيد من الخيام .

وبينما تنتظر العائلات ايجاد مأوى لها تحشد نفسها مع الاقارب وتقضي العائلات الاقل حظا والتي ليس لها اقارب او اصدقاء في طرابلس لياليها داخل سيارات او تقيم بصورة غير شرعية في مناطق خارج المخيم .

○ حرب استنزاف شعبية

كتبت صحيفة كريستيان سانيز مونيتور في الثاني من رمضان مقالا عن حرب الاستنزاف التي تشنها المقاومة الشعبية في لبنان ضد العدو الصهيوني وابرزت تأثير هذه الحرب على العدو . جاء في المقال :

يتزايد قلق الزعماء العسكريين والسياسيين الاسرائيليين حول الارتفاع المستمر في عدد الاصابات بين جنود الجيش الاسرائيلي في لبنان .

ومع انخفاض حدة التوتر الذي نجم من خطر احتمال اندلاع حرب وشيكة بين اسرائيل وسوريا ، بعد ان انتهت المناورات العسكرية السورية في مرتفعات الجولان وشرق لبنان ، فان انتباه الناس اصبح مشدودا اكثر للهجمات المتكررة التي يتعرض لها الجنود الاسرائيليون في لبنان ، من جانب الفدائيين الفلسطينيين واللبنانيين ، الذين يستعملون في هجماتهم هذه تكتيك : اضرب واهرب .

وتضع الاحصاءات التي تصدر عن الخسائر الاسرائيلية ضغطا اضافيا على حكومة بيغن لسحب قواتها من لبنان ولو من طرف واحد ، وحتى لو ادت معارضة سوريا للاتفاقية اللبنانية ـ الاسرائيلية الى عدم تنفيذها .

ففي شهر مايو الماضي ، قتل سبعة اسرائيليين في لبنان خلال ستين هجوما منفصلا تعرضت لها القوات الاسرائيلية معظمها جاء في النصف الثاني من الشهر. وبذلك يرتفع عدد القتلى الاسرائيليين في لبنان منذ خروج الفدائيين الفلسطينيين من بيروت ، الى ١٤٥ قتيلا وعدد الجرحى الى ٣٦٨ جريحا ، ويضم الرقمان الخسائر التي وقعت في صفوف القوات الاسرائيلية نتيجة حادث نسف مبنى القيادة العسكرية الاسرائيلية في صور والذي بلغ مجموع القتلى والجرحى فيه ٧٦ جنديا . كذلك فان هناك ٣٤٥ جنديا اسرائيليا كانوا قد قتلوا اثناء معارك الغزو الاسرائيلي الفعلي للبنان وقبل جلاء منظمة التحرير الفلسطينية عن بيروت .

وكتبت صحيفة « معاريف »الاسرائيلية اليومية في ٣١ مايو الماضي :« ليس هناك سوى اسم واحد مناسب ليطلق على ما يجري في لبنان حاليا :حرب استنزاف .. وذلك بالرغم من ادعاءات المسؤولين الاسرائيليين بأنهم لن يسمحوا للعدو بجرهم الى حرب من هذا النوع .. ».

ويواجه الاسرائيليون معضلة صعبة في وقف مثل هذه الهجمات على جنودهم في لبنان .

الى السادة كتاب المجلة

يرجى التفضل بمراعاة الآتي عند ارسال مقالاتكم وانتاجكم الينا :

○ كتابة الاسماء والعناوين كاملة وواضحة في ختام كل مقالة او بحث او اسم البنك ورقم الحساب وذلك تسهيلا لارسال المكافأة .

○ موضوعات المناسبات الدينية ترسل قبل موعدها بثلاثة اشهر على الأقل حتى يتسنى نشرها في حينها .

○ المقال او البحث المرسل لا يقل عن سبع صفحات فلسكاب مكتوب بالآلة الكاتبة ولا يزيد عن عشر صفحات .

○ ترقيم جميع الآيات القرآنية وتخريج الأحاديث النبوية الواردة .

○ لا تقبل البحوث المسلسلة او المقالات المجزأة .

○ يجب ان يكون الانتاج المرسل خاصا للمجلة وألا يكون قد سبق نشره او ارساله الى جهة اخرى للنشر .

○ النشر في المجلة يخضع لاعتبارات فنية في المقال ذاته دون نظر الى كاتبه . والاخطار بوصول المقال لا علاقة له بالصلاحية .

○ ضرورة ذكر المراجع حتي يمكن التحقق مما جاء في المقال عند الضرورة .

○ البعد عن الخلافات المذهبية والسياسية حرصا على الوحدة الاسلامية .

○ لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر .

« إلى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الأمر عليهم وتفاديا لضياع لجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بالشركة العربية للتوزيع ص . ب (٤٢٢٨) بيروت ـ لبنان أو بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر : القاهرة ـ مؤسسة الأهرام ـ شارع الجلاء .
السودان : الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص . ب (٣٥٨)
الجزائر : الشركة الوطنية للصحافة ٢٠ شارع الحرية
المغرب : الدار البيضاء ـ الشركة الشريفية
تونس : الشركة التونسية للتوزيع ـ5 شارع قرطاج ـ ص . ب : 440
لبنان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص . ب (٤٢٢٨)
الأردن : عمان : وكالة التوزيع الأردنية : ص .ب (٣٧٥)
السعودية : جدة : مكتبة مكة ـ ص . ب (٤٧٧)
الخبر : مكتبة مكة ـ ص . ب (٦٠)
الرياض : مكتبة مكة ص . ب (٤٥٢)
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء
سلطنة عمان : مكتبة العائلة ـ روى ـ ص . ب : (٣٣٧٦)
صنعاء : دار القلم للتوزيع والنشر والاعلان ـ ص .ب :١١٠٧
البحرين : دار الهلال
قطر : دار العروبة ص . ب ٦٣٣
أبو ظبي : المؤسسة العامة للطباعة والنشر ـ ص .ب (٦٧٥٨)
دبي : دار الحكمة ص . ب (٢٠٠٧)
الكويت : الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات ت : ٤٢١٤٦٨

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة .

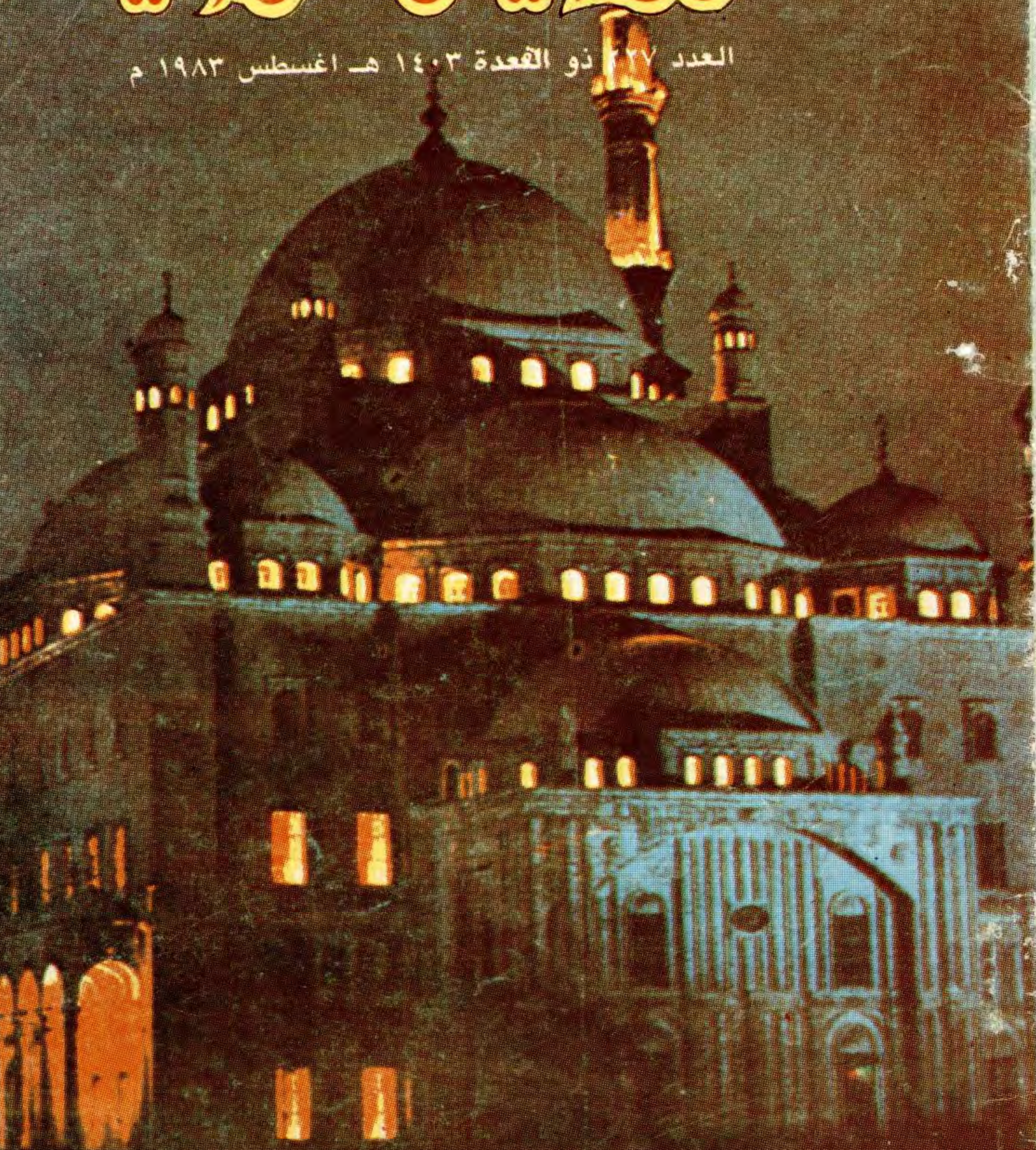
محتويات العدد

مجلة الوعي الاسلامي ـ ص .ب (٢٣٦٦٧) دولة الكويت
KUWAIT

طباعة مؤسسة دار السياسة ـ الكويت ـ

الوعي الإسلامي

العدد ٢٢٧ ذو القعدة ١٤٠٣ هـ اغسطس ١٩٨٣ م



هديتك مع العدد : مجلة براعم الايمان



الوعي الإسلامي

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة التاسعة عشرة

العدد ٢٢٧ ذو العقدة ١٤٠٣ هـ اغسطس ١٩٨٣ م

هدفها

المزيد من الوعي، وايقاظ الروح، بعيداً عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها

وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم ٤٢٨٩٣٤-٤٦٦٣٠٠

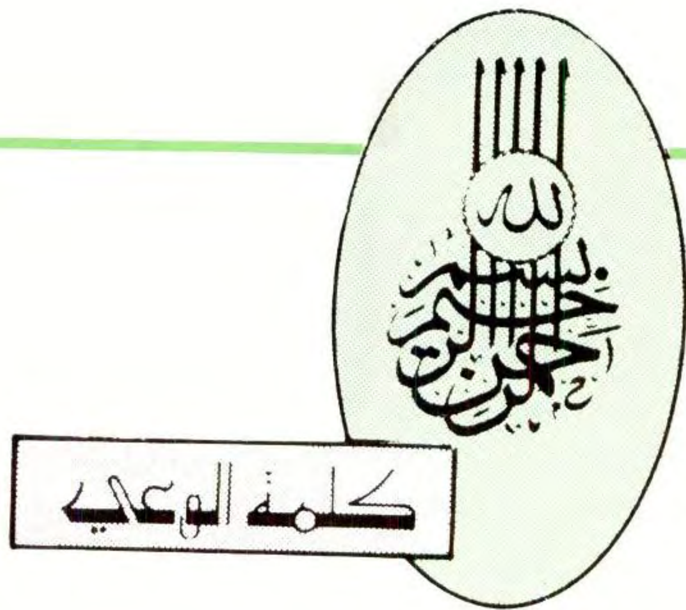
التوزيع والاشتراكات

الشركة العربية للتوزيع (ش م ل)
ص ب ٤٢٢٨ بيروت لبنان
تلكس ARABCO 23032 LE

● الثمن ●

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم
ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي



أيها المسلمون : تذكروا تاريخكم

لتعرفوا .. طريق النصر

من الوثائق التاريخية الاسلامية رسالة من الخليفة الأول ـ ابي بكر رضي الله عنه ـ الى ابي عبيدة بن الجراح قائد جيش المسلمين في الشام يقول فيها : (بسم الله الرحمن الرحيم . من عبدالله بن ابي قحافة الى ابي عبيدة ابن الجراح . سلام الله عليك .. أما بعد فقد وليت خالدا قتال العدو في الشام . فلا تخالفه واسمع وأطع . فإني وليته عليك وأنا أعلم أنك خير منه ، ولكن ظننت ان له فطنة في الحرب ليست لك . أراد الله بنا وبك سبيل الرشاد) .

وقبل واقعة اليرموك بعشرين ليلة مات الخليفة الأول ابو بكر رضي الله عنه ، وتولى الخلافة عمر بن الخطاب ، وبينما واقعة اليرموك قائمة على قدم وساق وصل الى ابي عبيدة كتاب من عمر رضي الله عنه يقول فيه : (بسم الله الرحمن الرحيم . من عبدالله عمر بن الخطاب الى ابي عبيدة بن الجراح . أُوصيك بتقوى الله ، الله يبقى ولا يبقى سواه ، الذي هدانا من الضلالة ، وأُخرجنا من الظلمات الى النور .. وقد استخلفتك على جند خالد بن الوليد فقم بأمرهم . وبحقي الذي عليك لا تقدم المسلمين الى هلكة رجاء غنيمة ، ولا تنزلهم مكانا قبل ان تستريده لهم وتعلم كيف مأتاه ، وإياك والقاء المسلمين في التهلكة ، وقد ابتلاك الله بي وابتلاني بك ، فغض بصرك عن الدنيا وألْهِ قلبك عنها . إياك أن تهلكك كما اهلكت من كان قبلك فقد رأيت مصارعهم) .

هذه الوثائق تضعنا أمام خليفتين للمسلمين ، من الخلفاء الراشدين وقائدين من اكفأ قادتهم .. الجميع تحكم المصلحة العامة أعمالهم ، فبدافع المصلحة العامة يرى كل خليفة رأيه في قيادة جيش المسلمين بالشام .

ابو بكر رضي الله عنه يعزل ابا عبيدة عن القيادة ويولي خالد بن الوليد ، وعمر رضي الله عنه يعزل خالد بن الوليد ويولي أبا عبيدة .

أما أبو بكر فيولي خالداً لما يرى فيه من الدربة العسكرية والخبرة الحربية مع الإشادة بفضل أبي عبيدة إذ يقول له في خطاب تولية خالد : « فإني وليته عليك وأنا أعلم أنك خير منه ولكن ظننت أن له فطنة في الحرب ليست لك » .

وأما عمر فلم يعزل خالدا لريبة إنما عزله كما قال في كتابه الى الأمصار : (إني لم أعزل خالدا عن سخطة أو خيانة ، ولكن الناس فتنوا به فخفت ان يوكلوا اليه ويبتلوا به ، فأحببت أن يعلموا أن الله هو الصانع . وقد قدر عمر ابن الخطاب خالد بن الوليد بعد ذلك تقديرا عظيما فإنه لما فتح خالد (قنسرين) تحت قيادة أبي عبيدة وانتهى الخبر الى عمر قال : (أمر خالد نفسه ، رحم الله أبا بكر كان أعلم بالرجال مني) .

وبدافع المصلحة العامة ضرب القائدان العظيمان ابو عبيدة وخالد المثل العالي على نبالة القصد ، وسلامة الهدف ، وسموّ الخلق ، وصفاء النفس .

فخالد بن الوليد حين وصله كتاب أبي بكر بتولية قيادة جيش المسلمين في الشام كتب الى أبي عبيدة يقول له : (بسم الله الرحمن الرحيم . من خالد إبن الوليد الى أبي عبيدة بن الجراح . سلام الله عليك (أما بعد) فقد أتاني كتاب خليفة رسول الله يأمرني بالسير الى الشام ، والقيام على جندها ، والتولي لأمرها ، والله ما طلبت ذلك قط ولا أردته إذ وليته . فأنت على حالك

الذي كنت عليه ، لا نعصيك ولا نخالفك ، ولا نقطع دونك أمراً ، فأنت سيد المسلمين ، لا ننكر فضلك ، ولا نستغنى عن رأيك) .

وقدم خالد على أبي عبيدة ، ولقى كل منهما أخاه ولا شيء في نفسه سوى الإخلاص والود وحب الخير للاسلام والمسلمين ، وتولى كل واحد أمره ونفسه راضية بما هيء له .

وأبو عبيدة حين تسلم كتاب عمر بتوليته وعزل خالد كانت معركة (اليرموك) على أشدها ، فرأى بحكمته الرشيدة وبعد نظره وإخلاصه لدينه ان يرجيء تسليم ذلك الكتاب الى خالد حتى تنتهي المعركة لأن تغيير القيادة في اثنائها ليس في مصلحة المسلمين .

ولنستمع الى حديث الود والصفاء والوفاء الذي دار بين خالد وبين ابي عبيدة عندما وقف خالد على جلية الأمر بعد عشرين يوما من وصول ذلك الكتاب .. دخل خالد على أبي عبيدة فقال : « يغفر الله لك جاءك كتاب أمير المؤمنين فلم تُعْلِمْنِي وأنت تصلي خلفي والسلطان سلطانك . فقال أبو عبيدة : « يغفر الله لك ما سلطان الدنيا أريد ، وما للدنيا أعمل ، وان ما ترى سيصير الى زوال وانقطاع ، وإنما نحن أخوان وما يضير الرجل في دينه ولا دنياه ان يلي عليه اخوه ، بل يعلم الوالي أنه يكون أدناهما الى الفتنة إلا من عصم الله عزَّ وجلَّ وقليل ما هم » .

أيها العرب المسلمون . هذا واقع مشرق من تاريخ الاسلام يرينا كيف محق الاسلام أخلاق الجاهلية وأحل محلها أخلاقا تمثل الإخاء والمحبة وصفاء النفس والإخلاص لله رب العالمين ، وكيف صانت هذه الأخلاق النبيلة وحدة الصف ، وكيف صنعت للجيش الاسلامي حلة النصر .. وانها لصفحة مجيدة من تاريخ الاسلام تصور كيف يصوغ الإيمان بالله نفسية الرجال ، وكيف يسدد أعمال الأبطال ، وكيف يقودهم الى النصر والفلاح .

لقد عمل أبو عبيدة بنفس راضية جنديا تحت قيادة خالد تنفيذا لأمر الخليفة ابي بكر رضي الله عنه . مع أسبقيته في الإيمان وأقدميته في الجهاد .. وعمل خالد بن الوليد جنديا تحت إمرة أبي عبيدة ، وهو راضي القلب مسرور الفؤاد ، لم يعلق بنفس أي منهما زهو القيادة ، ولا كبرياء الرئاسة ، ولم تضعف نفس أي منهما عن العمل لنصرة المسلمين حين أنزلته الأوامر من قائد الى مقود ، ومن أمر الى مأمور . بل كان كل منهما في كلتا الحالتين مغواراً جسوراً شجاعاً ، يقاتل الأعداء بلا هوادة ، ويحمل في نفسه الصافية ، وقلبه الكبير كل معاني الخير للاسلام وأهله .

ومن الصفحات المشرقة في تاريخ المسلمين هزيمةالصليبيينبعد ان صالوا وجالوا في البلاد اكثر من مائتي عام ، على يد القائد المسلم (صلاح الدين الأيوبي) وهزيمة التتار ـ الذين وطدوا أقدامهم في بلاد الشام وتطلعوا لاحتلال مصر ـ !! على يد القائد المسلم (سيف الدين قطز) .

إننا نقدم لولاة المسلمين وقادتهم تلك النماذج المشرقة من تاريخ المسلمين عسى أن يسيروا على الدرب (ومن سار على الدرب وصل) .

فيتماسكوا على الحق الذي اخرجهم الله به من الظلمات الى النور ، امتثالا لقول الله تعالى :

(فاستمسك بالذي أوحى إليك إنك على صراط مستقيم.وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون) الزخرف/ ٤٣ .

ويتآخوا على الايمان والعمل الصالح . اتباعا لقول الله جل شأنه : **(إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون)** الحجرات/ ١٠ . وقول الرسول الكريم : (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه » رواه البخاري عن ابي هريرة .

ويتركوا التنازع والشقاق اهتداء بقول العلي الكبير **(واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها كذلكيبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون)** آل عمران/ ١٠٣ . وقوله سبحانه **(ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين)** الأنفال/ ٤٦ .

ان اعداء الاسلام ـ بعد هزيمة الصليبيين والتتار ـ عولوا على ان يتخذوا طريقا آخر للسيطرة على المسلمين ، فكان الاستعمار الذي دحرته الروح الاسلامية في النهاية وطردته من البلاد بتضحيات كبيرة بالأنفس والأموال .

ولكن الاستعمار خرج من البلاد بعد ان ترك تخطيطا لحكمها مصنوعا من أعرافه وتقاليده .. وذلك التخطيط يبعد المسلمين عن الحكم بالاسلام ليعيشوا مع تقنينات المستعمرين في الاقتصاد ، والاجتماع ، والسياسة ، وعلى أعرافهم في الجنايات والجرائم ، وعلى تقاليدهم في الملاهي والمفاتن ، وفي العلاقات بين الرجال والنساء .. وعلى هذا التخطيط الذي يحرص عليه ذوو المصالح الخاصة تسير اكثر الدول الاسلامية الى الآن . وبسببه نزل بنا

ما نزل من أحداث !!

سلبت فلسطين وشرد أهلها ، واحتل ما حولها من ارض مصر وسوريا ، واحتلت لبنان ، وفتك بالآلاف من ابناء فلسطين ولبنان ، وغزيت افغانستان ويفتك بأهلها بجميع وسائل الدمار ، ونكل بالمواطنين المسلمين في الدول غير الاسلامية ، واستشرى استبداد المنافقين ، وتعاظمت جرائمهم وتفاقمت مؤامراتهم .

وهذه صفحة بالغة الأسى ، حالكة السواد في تاريخ المسلمين ! تحتاج من الولاة والقادة والشعوب ان يتأملوها ويتأملوا ما سبقها من انتصارات ليعرفوا كيف كانوا في ماضيهم المشرق ، وكيف اصبحوا في حاضرهم المحزن ، لعلهم يرجعون الى ما كانوا فيه من هدى ونور .

ان بعدنا عن الاسلام في شؤون حياتنا أوجد بيننا القطيعة والتنازع والشقاق ، وتلك من اقوى أسباب الفشل والهزيمة .. كما حرمنا من الأخوة الإيمانية ، والوحدة في ظلال عبادة الله وتقواه والتعاون على البر والتقوى . ومن فقد تلك المقومات فقد أهم أسباب النصر ، وأصبح لا يهتم الأعداء بأمره .

ومن حقنا على أنفسنا ان نتذاكر - دون إبطاء - تاريخ أسلافنا المجيد لنرى فيه نور الإيمان الذي أدى بهم الى الظفر بأعدائهم .. ونتذاكر واقعنا المحزن لنغيّر هذا الواقع بالعودة الى الإسلام حكما وتطبيقا وسلوكا وجهادا ، حتى نسترد ما ضاع منا ، ونقيم حياتنا على العزّة والكرامة ، ونتبع الصراط المستقيم الذي أمرنا الله باتباعه في قوله (**وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) الانعام/١٥٣** .

ولنا وعد الله إذا حققنا شرطه (**ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم**) التغابن/١١ ووعد رسوله الكريم (صلى الله عليه وسلم) اذا اتبعنا هديه (تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا ابدا كتاب الله وسنتي » رواه الحاكم عن أبي هريرة .

رئيس التحرير

محمد الأباصيري

علم وبيان

من آيات القرآن

الآيتان ٦٨ و ٦٩ من سورة النحل

للاستاذ / عبدالرزاق نوفل

(واوحى ربك الى النحل ان اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون . ثم كلى من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون) النحل/٦٨ و٦٩ .

والقول ما يقوله ربنا الحليم .. فالصدق كل الصدق والحق كل الحق هو ما جاء به القرآن الكريم ..

ان الله اوحى الى النحل .. واطلاق لفظ النحل .. انما ليشمل كل اجناس وانواع واصناف وفصائل النحل في كل زمان .. وفي كل مكان .. وكما اوحى الله الى النحل في اول ما خلق الله انواعها على الأرض ، فانه مازال يوحي اليها .. واذا كنا لابد ان نؤمن بهذا القول ونعتقده .. نلتزم به ، ولا نشك فيه .. لأنه قول الله الحق سبحانه وتعالى فان العلم قد اثبته اخيرا .. حتى يؤمن به من لم يصلهم نبأ هذا السبق القرآني لما كشفوا عنه .. واذاعوا به .. من وحي الله تعالى للنحل .. فعالم الحيوان موريس مترلينك الذي تخصص في دراسة النحل .. وظل يراقبها لاكثر من عشرين عاما ، وكان يقيم خلاياها من الزجاج حتى يسهل عليه متابعتها ويستمر في مراقبتها .. وقد اطلق على داره اسم « دار النحل » لكثرة ما بها من مساكن للنحل .. ووضع كتابا عن حياة النحل يعتبر من اهم مراجع النحل في جميع المعاهد والكليات الدراسية التي تعنى بالحشرات عامة وخاصة النحل يقول في كتابه :

« وتعمل الطبيعة عملها فتوحى الى النحل ببناء مسكنه على اساس مكين تتجلى فيه روعة الفن وجمال الذوق وابداع الهندسة . وتملى عليه تحديد نقطة البداية ونقطة النهاية في عمله .. وان تكون له خطة مرسومة فيقيم عيون اليرقات مثلا في مكانها الطبيعي بحيث لا تكون عالية او منخفضة او قريبة او بعيدة عن باب الخلية » .

هكذا يعترف العلم بأن النحل يوحى اليها .. ولا شك ان الموحي هو الله وحده . لا شريك له .. ولا رب سواه .. ولفظ الطبيعة الذي يطلقه هذا العالم وغيره من الناس .. انما يقصدون به الله .. ولا اله الا هو .. اذ يعترفون بأن الطبيعة التي يقصدونها إن هي الا مجموعة قوى مدبرة عاقلة حكيمة عالية تحكم الوجود بقدرتها ..

وتمسك العالم بارادتها .. لا يحدها الفكر ولا يخرج عن طاعتها شيء ، وهذه بعض صفات الله سبحانه وتعالى ، وما اختار الله جل شأنه بنفسه لنفسه اسم او صفة الطبيعة فيما انزله له من اسماء .. فالحق والصدق هو ان الوحي . من الله .. سبحانه وتعالى ..

ولقد اثبتت الدراسات العلمية ان الترتيب الوارد في الآيات الشريفة يحكى تاريخ حياة النحل على الأرض اذ انها اتخذت في اول امرها بيوتها في الجبال ، واستمرت اجيالا من الزمان .. حتى نزلت الى الشجر تقيم فيه بيوتها .. ثم استأنسها الانسان ، واقام لها الاعراش عندما توصل الى معرفة انتاجها من العسل واتخاذه مادة غذائية له .. وكأن الله جل شأنه اراد ان يستمر الدليل قائما بين ايدي الناس على هذا التسلسل الزمني لحياة النحل .. فشاء سبحانه وتعالى ان تظل بعض اجناس النحل تتخذ من

الجبال بيوتا .. وغيرها تتخذ من الشجر بيوتا .. علاوة على ما تقيم فيه معظم انواع النحل في الخلايا التي يصنعها لها الانسان .. وهكذا يقرر عالم التاريخ الحشري ان القرآن الكريم قد سبقه بايراد هذه الحقيقة العلمية في تاريخ حياة النحل .

اما وحي الله سبحانه وتعالى للنحل .. بالبيت الذي تقيمه لها .. فان مجرد نظر الانسان بهذا البيت يتأكد به ومنه .. انه لا شك ، وحى الله . فانه مما يعجز اي قدرة بشرية أن تقيم مثل هذا البناء .. لذلك يقول أحد العلماء .. لو أن أحداً من عالم اخر هبط الى الأرض وسأل عن اكمل ما ابدعه منطق الحياة لما وسعنا الا أن نعرض عليه مشط الشمع المتواضع .. فان النحل عندما يريد ان يتخذ له بيتا .. فان حشدا هائلا منه يحط على المكان الذي وقع عليه الاختيار .. وينقسم هذا الحشد الى جماعات عديدة ومتعددة .. الجزء الاكبر منها ، يقوم بكنس الأرض وازالة القش وذرات الرمل او الورق الزاوي من الاشجار ، وذلك عن طريق تحريك اجنحة النحل بحركات سريعة ومستمرة ومتجهة الى كل جهات البيت ، فان النحل نظيف الى درجة الشطط .. يحرص عليه الى حد الهوس ، لذلك لا تجد اطلاقا اي اثر لتراب او مواد شائبة في العسل وهو في الخلية .. ويظل النحل يعمل في تسوية كل سطوح البيت وسد أيَّة منافذ بها .. ومعالجة اي تشقق فيه ، واثناء ذلك تكون جماعة من النحل قد تلاصقت وتماسكت بحيث تكون شكل مثلث كثيف اشبه بمخروط مقلوب رأسه عند قبة البيت .. ويظل هذا المخروط العجيب ساعات طويلة .. وهو ينتظر امرا .. ويتوقع شيئا .. لقد ارتفعت درجة حرارة البيت ارتفاعا كبيرا وشديدا حتى ليحس الانسان وكأن نارا موقدة داخل البيت .. ثم تظهر طبقات بيضاء شفافة عند فتحة الجيوب الاربعة الصغيرة التي تقع تحت معدة كل نحلة .. وفجأة نجد إحدى الشغالات كأنما ألهمت في التو واللحظة ، اذ تنفصل عن باقي النحل .. وتصعد الى اعلى موضع في قبة البيت ثم تنزع بفمها وارجلها احدى طبقات الشمع المتدلية من بطنها وتدحوها وتنشرها وتثنيها بمهارة فائقة وعجيبة .. وبسرعة قد لا يستطيع بصر الانسان ان يلاحقها .. واذ بها تلصقها بأعلى نقطة في القبة .. وبهذا تكون قد وضعت حجر الزاوية في مدينة النحل الجديدة .. وكما يقول العلماء ، نكون بذلك أمام مدينة مقلوبة تتدلى من السماء .. ويرقب باقي النحل هذه النحلة المهندسة .. وهي تحدد موقع الغرفة الأولى والتي لابد ان تتصل بها وتلحق ايضا بها باقي الغرف ، كل غرفة مع غيرها ، ان هذا النحل هو من طبقة العمال المثالية او النحاتين فهي لا تنتج شمعا ، انما هي تقوم بالحساب الرياضي لانشاء وتحديد مكان وعدد الغرف المختلفة ، والتي منها الغرف الملكية ثم الغرف الكبيرة المخصصة لتربية الذكور وخزن الطعام ، ثم الغرف الصغيرة

وهي مهد للعمال والمخازن العادية ، وهي تشمل اربعة اخماس البيت .. ثم يقيم النحل ما يمكن ان يسمى بغرف الانتقال للوصل بين الغرف الكبيرة والصغيرة .. وان الممرات والماشي في الخلية .. تحقق كل اهداف الطرق .. باختصار في الطول .. والفتح في كل اتجاه .. الا أنها تحول دون اختلاط درجات الحرارة المختلفة الموجودة في كل قطاع من الغرف .. ويقوم النحل بالعمل .. ليقدم لنا الغرف المسدسة الاضلاع المنتظمة الشكل .. وهي اصلح الاشكال قطعا لانشاء الغرف التي لا يتخلف عنها مساحات لا فائدة منها ويجعل ارض الغرفة مؤلفة من ثلاثة سطوح تلتقي في نقطة فيتيسر له الاقتصاد في المادة والجهد .. ويقول العلماء ان النحل بما تبنيه من بيوت هي اسبق من الانسان بمبادىء هندسة الفراغ لأنها اسبق في الخلق وفي انشاء البيت من الانسان فلقد دلت الابحاث الحفرية على وجود النحل في عصر الترشياري اي من ٥٦ مليون سنة قبل الانسان .

لقد اتفقت كل دراسات العالم . والتقت كل تقارير العلماء على ان بيوت النحل هي اكمل واجمل وادق وارق ما يمكن مشاهدته من عمل يقوم به كائن حي .. في الحياة الدنيا .. وان النحل فيما تقوم به بداية من اختيار مكان بيتها حتى الانتهاء من تأسيسه والعيش فيه انما تستجيب لوحي الله اليها ، وتطيع إلهامه لها .

ومن اعجاز آيات قرآن ربنا العظيم .. ما نجده واضحا في قصة الحكيم .. اذ بعد ان اورد النص تاريخ حياة النحل على الأرض ، واقامة بيوتها بوحي الله لها .. يذكر ان وحي الله لها يأمرها بأن تأكل من كل الثمرات .. فتسلك سبل ربها لتحقيق رزقها .. ميسرة مذللة .. ويفيض العلم في وصف ما اجمله قرآن ربنا الكريم في بضعة الفاظ قصيرة جميلة جليلة ، فيضع الموسوعات والمراجع ، وكأنها كلها تشرح هذه الالفاظ القليلة وتثبت إعجاز القرآن الكريم العلمي والبلاغي معا .. ففي الصباح الباكر .. لكل يوم .. وكل يوم هو يوم عمل بالنسبة للنحل ، تخرج من الخلية نحلة هي الكاشفة او المستكشفة لتدرس المكان حول الخلية بحثا عن اقرب تجمع زهري للخلية ، بشرط ان تضم نوعا واحدا من الزهور اذ لا يحط النحل على نوعية من الزهر في يوم واحد .. وان تكون كمية الازهار مناسبة لحاجة كل سكان الخلية .. وعلى حالة من الصلاحية بحيث لا تضر النحل ، ولا العسل الذي سينتج منه .. فاذا اهتدت اليه .. حطت عليه .. واخذت من إحدى الزهرات ، الغذاء ، ثم تفرز من اسفل بطنها ومن غدة فيها .. رائحة مميزة خاصة بالخلية فوق المكان وحوله ، وكأنها تحدد المساحة التي خصصتها للنحل في هذا اليوم .. وتترك النحلة بعض الغذاء على جسمها لتتذوقه باقي الشغالات وتتعرف على رائحته .. وتسرع النحلة الى الخلية لتقدم تقريرها بالصورة والصوت والنموذج الحي لمكان وشكل وطعم وكمية

الغذاء .. ويخرج النحل الى المكان المحدد .. متخذا اقرب طريق اليه .. واسرع سبيل يوصل له .. دون ان تصحبه النحلة الكاشفة .. ويحار العلماء في سبب اهتداء النحل الى مكان غذائه .. وقد وضعت عدة تفسيرات شتى .. وقدمت العديد من التبريرات المختلفة ، وكل دراسة تؤكد عدم صحة هذا التفسير .. وذلك التبرير .. واسندوا ذلك الى قياسات واتجاهات تحددها النحلة الكاشفة لباقي النحل .. بالنسبة للشمس .. ولكن كثيرا ما غامت الشمس فيما بين عودة النحلة الكاشفة وخروج النحل .. إلا أن ما اتفقت عليه الأراء هو ان الله ـ سبحانه وتعالى وحده ـ هو الذي يذلل للنحل الطريق لغذائه .. ويوحي اليه بالسبيل الأمثل لذهابه وايابه ـ لا إله إلا هو ـ

وتتضح دقة اللفظ القرآني وإعجازه الكامل ـ وبيانه وبديعه وعلمه الشامل وكل الفاظ القرآن كذلك .. من ذكر النص الكريم انه يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس .

ولقد اعتقد البعض وحتى الى وقت قريب ان هذا الشراب هو العسل .. رغم ان الآية الكريمة لم تذكره بلفظه بينما ذكر العسل في آية اخرى .

(مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار من ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى) محمد / ١٥ .

وقد توصل العلم الى اكتشاف حقيقة بالنسبة للنحل ، هي انها تخرج من بطونها عدة اشربة مختلفة الألوان والهيئات والاشكال والصفات .. وهي العسل .. وسم النحل .. والغذاء الملكي .. ولبن النحل .. كلها مختلفة الألوان .. كما ان العسل كذلك يختلف في لونه .. باختلاف نوع ولون الزهر الذي تغذى عليه النحل ، من اللون المائي المائل للاصفرار وحتى درجات لون الطيف .. أما ان في هذا الشراب المتعدد الاشكال والهيئات والصفات شفاء للناس ، فهذا دستور طبي وقرار علمي ، اجمعت عليه .. ودعت اليه ، كل المحافل الطبية والمعاهد العلمية ودور الصحة والعلاج والاستشفاء ، في كل دول العالم بلا استثناء واصبح يستخدم هذا الشراب على طبيعته كدواء ، فما لا يفيد فيه العسل ينجح في علاجه سم النحل ، وما يعجز عنه العسل والسم .. يقوم به الغذاء الملكي اما لبن النحل فمازالت التجارب تجرى عليه ولو ان النتائج حتى الآن تشير الى ان له القدرة الكاملة على تعقيم الوسط الذي يوجد فيه تعقيما كاملا وبالاضافة فانه يعيد بناء خلايا الجسم قوية ونشطة ذات حيوية وطاقة وقدرة ، ويراود العلماء الحلم بأن يكون لبن النحل هو ما كان العلم يسعى اليه جاهدا من قديم الزمان في اكتشاف مادة اكسير الحياة التي تطيل العمر وتشفي المرضى وتحافظ على الصحة .

واذا كان كل طبيب مختص في نوع من الأمراض ، قد كتب عن سبل

العلاج والوقاية مما تخصص فيه وذكر عسل النحل وسم النحل بصورة او اخرى ، فان هناك من العلماء والاطباء العالميين من كتبوا عن اشربة النحل بعد دراسات طويلة علمية وعملية .. ليس اولهم .. ولن يكون اخرهم .. الدكتور ن . يويريش الذي صدر كتابه في موسكو عام ١٩٥٩ متضمنا تقارير طبية عن تجارب اجريت على نطاق واسع في الاتحاد السوفييتي في معاهد التغذية والعلاج وباشراف الهيئات الطبية والفنية المختصة ، وكان عنوان الكتاب بالتحديد « العلاج بعسل النحل لامراض الجروح . الزكام . امراض الرئة والقلب . المعدة والامعاء . الكبد والكلى الجهاز العصبي ، الجلد والعيون ، السكر ، اطالة العمر ، ازالة التجاعيد ، الروماتزم ، ضغط الدم » وكان الفصل الرابع من الكتاب بعنوان « الاستشفاء بسم النحل » وقرر انه عن طريق لسع النحل للانسان مباشرة تعالج الحمى الروماتزمية والتهاب الأعصاب وآلامها ، وامراض الجلد ، والملاريا وامراض العيون ، وتضخم الغدة الدرقية المصحوب بجحوظ العينين وضغط الدم .. كما اوضح انه من ضمن طرق العلاج بسم النحل هو استنشاقه كأبخرة .. اما شمع العسل فانه يذكر في اخر صفحات كتابه انه يعالج داء الثعلبة .. وان التذكرة الطبية « الفارماكوبيا » للاتحاد السوفييتي قد نصت على ان جميع اللزق والادهان والكريمات تحضر بشمع العسل .. ويقول الدكتور يوبريشي في كتابه عن الغذاء الملكي ان له خاصة عالية في قتل الميكروبات وان به هرمونا ينشط الغدد الجنسية بل وانه يدرس حاليا في بعض معاهد السرطان أثر هذا الغذاء الملكي على نمو الزوائد الخبيثة ، ويقول إن الخواص العلاجية والوقائية للغذاء الملكي في المراحل الأولى وان التجارب المقبلة والملاحظات الاكلينكية ستعين على اظهار اسرار هذا الدواء القوي ، كما تعين الاطباء على الاستفادة منه في صحة الناس .

ومازال العالم يجتهد .. والعلم يكد ويجد .. ليصل الى الجديد في حياة النحل ، والى المزيد من الوقاية والعلاج بما يخرج من بطونها من شراب .. وكلما توصل الى جديد .. اضاف وجها جديدا مشرقا ، لاعجاز آيات قرآن ربنا الكريم ، التي سبقت فقررت أن عمل النحلة كله هو من وحي الله لها ، وان انتاجها كله انما فيه شفاء « اي شفاء للناس » .

حقا .. وصدقا .. لابد لنا من الاستجابة لما يختم الله سبحانه وتعالى به الآيات .. ان نتفكر فيقودنا التفكر الى الحقيقة الأولى المجددة في الحياة ، ألا وهي وجود الله ووحدانيته .. ثم التسليم له .. والايمان برسالة الاسلام ، وبكتابه العظيم .. القرآن الكريم .. اذ يقول الله وهو اصدق القائلين :

(ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون) النحل .

صدق الله العظيم

الحرية الاقتصادية وتدخل الدولة في النشاط الاقتصادي في الاسلام

للدكتور/محمد شوقي الفنجري

تمهيد :

١ ـ **في الاقتصاد الرأسمالي** : الأصل هو حرية الأفراد في ممارسة نشاطهم الاقتصادي ، والاستثناء هو تدخل الدولة وقيامها ببعض أوجه هذا النشاط متى اقتضت الضرورة ذلك .

ولا شك ان تقدير هذه الضرورة من حيث التضييق او التوسيع من تدخل الدولة وقيامها ببعض اوجه النشاط الاقتصادي ، مرده ظروف الزمان والمكان ، ولكن يظل الاقتصاد رأسماليا طالما لم يعد الاستثناء هو القاعدة .

٢ ـ **وفي الاقتصاد الاشتراكي** : الاصل هو تدخل الدولة وانفرادها بالنشاط الاقتصادي ، والاستثناء هو ترك الأفراد في ممارسة بعض أوجه النشاط الاقتصادي .

وهذا الاستثناء قد يضيق أو يتسع

باختلاف ظروف كل مجتمع ، ولكن يظل الاقتصاد اشتراكيا طالما لم يعد الاستثناء هو القاعدة .

٣ ـ أما في الاقتصاد الاسلامي : فإن الحرية الاقتصادية للأفراد وتدخل الدولة في النشاط الاقتصادي وانفرادها ببعض أوجه ذلك النشاط ، كلاهما أصل يتوازنان ، وكلاهما يكمل الآخر ولكل مجاله ، وكلاهما مقيد وليس مطلقا .

٤ ـ وأيا كان الخلاف الشرعي حول سند ومدى تدخل الدولة في النشاط الاقتصادي ، فانه لا خلاف حول مبدأ التدخل باعتباره أصلا اقتصاديا اسلاميا . بل يرتفع تدخل الدولة الاسلامية في النشاط الاقتصادي إلى مرتبة التخطيط الاقتصادي الدقيق ذلك التخطيط الذي اصبح اليوم مطلبا شرعيا .

٥ ـ وعلى ضوء هذا التمهيد ، نعالج باختصار شديد ، موضوع الحرية الاقتصادية وتدخل الدولة في النشاط الاقتصادي ، في الفروع التالية :

الفرع الأول : الحرية الاقتصادية والتدخل كلاهما أصل يتوازنان .

الفرع الثاني : الحرية الاقتصادية والتدخل كلاهما يكمل الآخر ولكل مجاله .

الفرع الثالث : الحرية الاقتصادية والتدخل كلاهما مقيد وليس مطلقا .

الفرع الرابع : الخلاف حول سند ومدى تدخل الدولة في النشاط الاقتصادي .

الفرع الخامس : التخطيط الاقتصادي .

الفرع الأول
الحرية الاقتصادية والتدخل كلاهما اصل يتوازنان

١ ـ يقرر الاسلام حرية الأفراد في نشاطهم الاقتصادي ، ومن ثم فإنه يعترف لهم بالملكية الخاصة بكافة صورها الاستهلاكية والانتاجية بما في ذلك العقارات والمصانع والأراضي الزراعية ، وذلك بغير حدود إذ ان القيود التي يقررها الاسلام على الملكية الخاصة لا تتعلق بتحديدها أو وضع حد أعلى لها ، وإنما تتعلق بكيفية استعمالها . بل إن الاسلام يتشدد في حماية الملكية الخاصة معلنا أن : (كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه) أخرجه الشيخان البخاري ومسلم ، وان : (من قتل دون ماله فهو شهيد) أخرجه النسائي . ولعل من أبرز صور هذه الحماية قطع يد السارق وتنظيمه للميراث سواء في صورة أموال استهلاك او إنتاج .

٢ ـ كذلك على نفس المستوى يقرر الاسلام تدخل الدولة في النشاط الاقتصادي سواء لمراقبة سلامة المعاملات وشرعية النشاط الاقتصادي عن طريق المحتسب ، أو تحقيق التنمية الاقتصادية عن طريق الملكية العامة ومباشرة بعض أوجه النشاط الاقتصادي كلما اقتضى الأمر ذلك ، أو كفالة حد الكفاية لكل مواطن عن طريق مؤسسة الزكاة ، أو حتى التأميم أو نزع الملكية الخاصة

للمنفعة العامة كتوسيع المساجد أو الشوارع أو إقامة المرافق العامة .. الخ .

٣ ـ ويهمنا هنا ان نشير الى ان الأصل الأول هو الحرية الاقتصادية ، وأن الأصل الثاني هو تدخل الدولة في النشاط الاقتصادي ، وأن كليهما يكمل الآخر ولكل مجاله .

الفرع الثاني
الحرية الاقتصادية والتدخل كلاهما يكمل الآخر ولكل مجاله

١ ـ تحقيقا للباعث الشخصي وإعمالا للحوافز الفردية وضمانا لحسن سير المشروع الاقتصادي ، يصير « فرض كفاية » أن يقوم الأفراد بكافة أوجه النشاط الاقتصادي الذي يتطلبه المجتمع .

٢ ـ فاذا عجز الأفراد عن القيام ببعض اوجه هذا النشاط كمد خطوط السكك الحديدية او اقامة المصانع الثقيلة كالحديد والصلب ، أو اذا اعرض الافراد عن القيام ببعض اوجه هذا النشاط التي لا تحقق لهم ربحا كتعمير الصحاري وانتاج الاسلحة الحربية ، او اذا قصروا في القيام ببعض أوجه النشاط كعدم كفاية المدارس أو المستشفيات الخاصة أو كثرة مصاريفها ، فانه في مثل هذه الأحوال يصير شرعا « فرض عين » على الدولة أن تتدخل وأن تقوم بأوجه هذا النشاط .

٣ ـ ومن الواضح أن هذا التدخل ليس مصادرة أو معارضة أو حتى منافسة لحرية الافراد أو حقهم في القيام بمختلف أوجه النشاط الاقتصادي ، وإنما هو للتكامل والتعاون من اجل الصالح العام ، بحيث يجب أن يوزن ذلك التدخل في سببه ومداه بقدر ما يتطلبه الصالح العام ، دون تعسف او مساس لحرية الافراد في القيام بمختلف أوجه النشاط الاقتصادي .

الفرع الثالث
الحرية الاقتصادية والتدخل كلاهما مقيد وليس مطلقا

١ ـ يضع الاسلام قيودا عديدة على حرية الافراد في ممارسة نشاطهم الاقتصادي بحسب ما يقتضيه الصالح العام . فلا يجوز مثلا انتاج الخمور ، او ممارسة الاحتكار ، أو كنز المال وحبسه عن الانتاج والتداول ، أو حتى صرفه بغير حق في ترف أو سفه وإلا جاز الحجر على صاحبه .. الخ ، من المفاهيم الاسلامية التي قد لا نجد لها مثيلا في كافة المذاهب والنظم الاقتصادية الوضعية .

ذلك أنه في ظل أي نظام رأسماليا كان أو اشتراكيا ، إذا حصل المرء على ثروة بالطرق المشروعة بحسب ذلك النظام ، فانه يكون حرا في استعمال ماله كيفما شاء كأن ينفقه كله على شهواته وملذاته . بخلاف الأمر في ظل الاقتصاد الاسلامي ، فانه لا يستطيع أن يصرف ماله على غير مقتضى العقل في ترف أو تبذير وإلا جاز الحجر

عليه .
٢ ـ كذلك فان حق الدولة بالتدخل في النشاط الاقتصادي ليس مطلقا ، بل هو بدوره مقيد بحسب ما يقتضيه الصالح العام .

فالدولة في ظل الاقتصاد الاسلامي لا تستطيع أن تنفرد بالقيام بمختلف أوجه النشاط الاقتصادي ، بل إن ذلك مشروط بأن يعجز الافراد عن القيام بذلك النشاط او يعرضوا عنه أو يقصروا فيه ، وذلك على نحو ما سبق بيانه .

٣ ـ ومن هنا نتبين أن الدولة الاسلامية لا تملك أن تصادر أو تؤمم نشاطا فرديا لمجرد شهوة أو التزام مبدأ التأميم ، بل لابد أن يثبت انحراف هذا النشاط وإضراره بالصالح العام اذ تدخل الدولة مقيد شرعا ، كما يجب ان ينظر في تعويض أصحابه إذ لا يجوز أكل أموال الناس بالباطل .

الفرع الرابع
الخلاف حول سند ومدى تدخل الدولة في النشاط الاقتصادي

١ ـ ليس ثمة خلاف بين فقهاء الاسلام عامة والباحثين في الاقتصاد الاسلامي خاصة ، حول مبدأ تدخل الدولة في النشاط الاقتصادي سواء كانت مراقبة أو مباشرة لذلك النشاط ، ولكن يثور الخلاف بينهم حول السند الشرعي لهذا الحق ، وحول مدى هذا التدخل وحدوده .

فيرى البعض كالاستاذ محمد باقر الصدر[١] ، أن الأصل التشريعي لتدخل الدولة في النشاط الاقتصادي هو قوله تعالى : (**أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم**) ، النساء / ٥٩ وأنه لا خلاف بين المسلمين أن أولى الأمر هم أصحاب السلطة الشرعية في المجتمع الاسلامي ، وإن اختلفوا في تعيينهم وتحديد شروطهم وصفاتهم ، وان لهذه السلطة حق التدخل لحماية المجتمع وتحقيق التوازن الاسلامي فيه . أما عن حدود هذا التدخل فيرى أنه مقيد بدائرة الشرع المقدسة بحيث لا يجوز للدولة أو ولي الأمر أن يبيح الخمر او يحلل الربا أو يعطل قانون الارث ، أما بالنسبة للتصرفات والأعمال المباحة في الشريعة كاحياء الأرض واستخراج المعادن والتجارة وغيرها من ألوان النشاط الاقتصادي ، فان لولي الأمر أن يتدخل فيمنع القيام بشيء من تلك التصرفات أو يأمر به وفقا للمثل الاسلامية للمجتمع .

بينما يرى البعض كالاستاذ الدكتور محمد عبدالله العربي[٢] ، انه يحسب الاسلام المال كله لله تعالى سواء تمثل في سلع حرة أو سلع اقتصادية وأن الانسان هو خليفة الله في أرضه وهو فيما لديه حائز لوديعة أودعها الله بين يديه ، وقد أمره خالقه بالانتفاع بهذا المال للوفاء بحاجاته واصلاح معاشه ، على أن يتفق هذا الانتفاع مع مصلحة المجتمع الذي يعيش فيه وانه محاسب بنص القرآن على ذلك ، بحيث اذ اخل الفرد المالك

بمسؤوليات هذه الخلافة وتلك الوديعة حق للدولة أن تتدخل كما في حالة صرفه ماله على غير مقتضى العقل لقوله تعالى : (**ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما**) ، النساء / ٥ أو أبقى ماله عاطلا بغير استثمار يعود بالنفع على ذاته وعلى المجتمع وكان هذا التعطل دون مبرر وطال أمده أكثر من ثلاث سنوات لقول الرسول عليه الصلاة والسلام (ليس لتحجر حق بعد ثلاث سنوات) . أما عن حدود تدخل الدولة في النشاط الاقتصادي ، فيرى الدكتور العربي أن سنة الاسلام في تنظيم المجتمع قد جرت على البدء بفرض تعاليمه بمقتضى العقيدة عن رغبة واختيار ، فاذا صدع لها الأفراد خفت مؤنة الدولة وإذا احجموا عن تنفيذها بدأ تدخل الدولة ، بحيث لا توجد قاعدة جامدة يتقيد بها ولي الأمر (اي الدولة) في تحديد تدخله لتنفيذ تعاليم الاسلام ، إذ هذا التدخل ينقبض وينبسط تبعا لمستوى السلوك الخلقي السائد في المجتمع ومدى التزامه تلقائيا بتلك التعاليم ، بالاضافة الى الظروف الاستثنائية التي قد تعرض للمجتمع وتهدد كيانه وتتطلب التوسع في التدخل .

٢ ـ ونرى انه من الصعب ان نحدد دليلا شرعيا معينا يستند اليه مبدأ تدخل الدولة في النشاط الاقتصادي ، إذ الحاصل ان هذه الأسانيد الشرعية متعددة ومتغايرة ، تبعا لتعدد وتغاير ما يفرضه الاسلام على الدولة من التزامات على نحو ما سبق أن لمسناه في مجالات التنمية والضمان الاجتماعي ومباشرة الدولة مختلف أوجه النشاط الاقتصادي التي يعجز أو يقصر الأفراد في القيام بها ً.

أما بخصوص مدى هذا التدخل وحدوده ، فإنه من الصعب أيضا تحديده ، إذ مرده ظروف الزمان والمكان بحسب ما تقتضيه المصلحة .

٣ ـ وفي عهد الرسول عليه الصلاة والسلام لم تكن الحاجة تتطلب التوسع في التدخل وذلك لسببين :

أولهما: بساطة الحياة وضعف النشاط الاقتصادي ، إذ كان يقوم وقتئذ على الرعي والتجارة المحدودة .

ثانيهما قوة الوازع الديني ومراقبة الله في كل تصرف ، وبالتالي سلامة النشاط الاقتصادي وتحقق التكافل الاجتماعي تلقائيا مما كان يغني عن تدخل الدولة . لقد كان كل مسلم يلتزم الصدق في معاملته بل ويتنافس في البحث عن كل عاجز محتاج بكفالته ابتغاء مرضاة الله بل كان أثرياء المسلمين يتسابقون في القيام بأخص التزامات الدولة ، فهذا عثمان بن عفان يقوم بتجهيز جيش العسرة ، وهذا عبدالرحمن بن عوف يدفع بكل ثروته لإعتاق الرقيق ويسدحاجة كل محتاج . ولم تكن المسارعة الى البذل وقتئذ من شأن المكثرين وحدهم ، بل كان ذلك أيضا من المقلين حتى كان منهم من يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، وفيهم نزل قوله تعالى : (**ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة**) الحشر / ٩ .

٤ ـ وفي عهد الخليفة أبي بكر

الصديق ، ومن بعده الخليفة عمر بن الخطاب ، باتساع الدولة الاسلامية ، وما صاحب ذلك من زيادة الموارد وتنوع النشاط الاقتصادي وتعقده ، وجدنا تطبيقات عديدة يتوسع بمقتضاها في إعمال حق الدولة في التدخل في النشاط الاقتصادي ومن قبيل ذلك :

أ ـ منع سيدنا عمر بن الخطاب بيع وتجارة اللحوم واكلها يومين متتالين من كل اسبوع ، وذلك حين قلت اللحوم ولم تعد تكفي جميع الناس في المدينة .

وكان يأتي مجزرة الزبير بن العوام بالبقيع ولم يكن بالمدينة سواها ، فان رأى من خرج عن هذا المنع ضربه بالدرة وقال له « هلا طويت بطنك يومين » .

ب ـ بيع سيدنا عمر السلع المحتكرة جبرا عن محتكريها بثمن المثل ، وتحديده أسعار بعض السلع منعا للتحكم والاضرار بالناس .

وإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم رفض التسعير بقوله (إن الله هو المسعر القابض الباسط الرازق ، وإني لأرجو أن القي الله وليس أحد منكم يطلبني بمظلمة في دم ولا مال) أخرجه الترمذي وابو داود ، فذلك حين يكون ثمن السوق الذي تحدده قوى العرض والطلب عادلا أي غير مجحف بالبائع (عنصر نفقة إنتاج السلعة) أو المشترى (عنصر منفعة السلعة) . أما إذا صار ثمن السوق مجحفا بأحد الطرفين ، فانه يصير لزاما على الدولة أن تتدخل لقول الرسول عليه الصلاة والسلام (من دخل في شيء من أسعار المسلمين ليغليه عليهم ، كان حقا على الله تبارك وتعالى أن يقعده بعظم من النار يوم القيامة) أخرجه السيوطي . على انه يجب أن يراعى دائما في تحديد الأسعار ، ألا يلحق ضررا بالمنتج أو المستهلك ، وإلا تحملت الدولة فروق الأسعار . وهو ما عبر عنه الامام ابن القيم الجوزيه بقوله (وجماع الأمر أن مصلحة الناس إذا لم تتم إلا بالتسعير سعر عليهم تسعير عدل لا وكس ولا شطط)[٣] .

جـ ـ تحديد سيدنا عمر بن الخطاب إقطاع الأرض التي لا مالك لها بقدر تعميرها ، بقوله لسيدنا بلال بن الحارث وقد أقطعه الرسول عليه الصلاة والسلام قطعة أرض (انظر ما قويت عليه منها فأمسكه ، وما لم تقو عليه فادفعه إلينا لنقسمه بين المسلمين) . فلما قال له بلال (لا أفعل شيئا أقطعنيه رسول الله صلى الله عليه وسلم) ، قال له عمر (والله لتفعلن) ، وأخذ منه ما عجز عن عمارته وأعاد توزيعه على المسلمين[٤] .

د ـ مصادرة سيدنا عمر كل زيادة غير معقولة في اموال ولاته ، بما فيهم سعد ابن ابي وقاص بطل القادسية وخال الرسول عليه الصلاة والسلام ، وخالد بن الوليد سيف الاسلام ، وأبو هريرة صاحب الرسول عليه الصلاة والسلام والمحدث المشهور ، وعمرو بن العاص فاتح مصر ، وغيرهم إذ أخذ نصف أموالهم دون مقابل وضمها إلى

بيت المال وذلك لمجرد شبهة استفادة الوالي من منصبه في تيسير أموره أو مجاملة الرعية له .

٥ ـ والأمثلة على ما تقدم عديدة . ولا شك أن دائرة هذا التدخل تتسع أكثر كلما ضعف الوازع الديني أو الخلقي في المجتمع كأن ينحرف الأفراد في ممارسة نشاطهم الاقتصادي لا يبغون سوى الاحتكار أو الاستغلال على النحو الذي قد نشاهده اليوم في بعض مجالات التجارة والصناعة وخدمات التعليم والصحة وغيرها .

الفرع الخامس التخطيط الاقتصادي

١ ـ ازاء تطور النشاط الاقتصادي اليوم واتساعه وتعدده وتعقده ، فإن تدخل الدولة في النشاط الاقتصادي يرتفع اليوم إلى مرتبة التخطيط الاقتصادي الدقيق .

ذلك التخطيط الذي هو من قبيل المصلحة واصبح مطلبا شرعيا باعتباره من قبيل اعداد العدة الذي أمرنا به بقوله تعالى : (**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة**) الانفال / ٦٠ ، وهو ايضا من قبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو قوام المجتمع الاسلامي بقوله تعالى : (**ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف**) آل عمران / ١٠٤ ، وهو في النهاية إذ يرسم خطط المستقبل لفترات متتالية وآجال متعاقبة إنما ينفذ ما أثر عن الاسلام (اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا) .

٢ ـ هذا وفرق بين التنبؤ بالغيب وهو منهى عنه ، وبين التخطيط وهو مطلب شرعي . ذلك أن التنبؤ يقوم على اعتبارات شخصية قوامها الحدس والتخمين ، أما التخطيط فيقوم على اعتبارات موضوعية قوامها الأرقام والاحصائيات . فالتخطيط ليس تنبؤا بالغيب وإنما هو وسيلة لضبط الأهداف وتحديد وسائل تحقيقها في أقل فترة ممكنة وبأقل جهد أو تكلفة .

وانه حيث يوجد التخطيط تكون الجدية والايجابية والوعي والتقدم ، وحيث ينتفي التخطيط يكون العبث والسلبية والضياع .

والفرق اليوم بين المجتمعات المتقدمة والمجتمعات المتخلفة ، هو فرق التخطيط والمتابعة .

٣ ـ فالتخطيط أيا كانت صورته ، وأيا كان مداه بحسب ظروف الزمان والمكان هو مطلب شرعي .

وقد يصل تدخل الدولة الاسلامية في هذا المجال الى حد التخطيط الاقتصادي الشامل . ولا يعني ذلك مصادرة حق الأفراد الأصيل في الاسلام بشأن حرية النشاط الاقتصادي وقيام الافراد بمختلف المشروعات الانتاجية ، ذلك لأن التخطيط الشامل لا ينفي نشاط الفرد أو وجود القطاع الخاص ، وإنما التنسيق بين نشاط الفرد والدولة والاستعانة بالقطاع الخاص وفقا للخطة المرسومة لتحقيق اهداف التنمية الاقتصادية وهو ما يتطلبه الاسلام .

الطريق الى

من البديهيات التي لا يجوز ان يغفل الدارس عنها ان تجارب الآخرين مفيدة لهم ولمن يريد ان يستفيد منها ، واذا كانت الحكمة ضالة المؤمن ، فمن الطبيعي ان ننظر ونحن نخطط لمذهب أدبي اسلامي ـ في المذاهب الادبية التي ظهرت في العالم وندرس عوامل نشأتها وقوتها وانتشارها ، وهل فيها بذور مشابهة لأغراس مذهبنا ؟ وما الذي يمكن ان نتعلمه من تجاربهم ، دون ان نقع في تقليد الصغار او تعنت الجاهلين ؟

يلاحظ المدقق في المذاهب الأدبية الغربية انها نشأت بفعل اربعة عوامل تكاملت وتعاونت على افرازها ، وهي :

اولا ـ ظهور فلسفة أو تيارات فكرية تحمل تصورات خاصة للحياة والانسان ولها مواقف متميزة من العلاقات البشرية وطريقة تنظيمها ، وتشكل هذه الفلسفة والتيارات خلفية فكرية للمذهب الأدبي ، تسبق ظهوره غالبا وتكون إحدى أسباب ولادته .

فالكلاسيكية سبقتها الفلسفة العقلية التي انتشرت في بداية عصر النهضة ، وكان لهذه الفلسفة تصورات بديلة للتصورات المسيحية السائدة فشجعت حركة الإلحاد

مذهب أدبي إسلامي

للدكتور / عبد الباسط بدر

وحولت مقاليد الانسان من الغيب والقدر ـ كما هو في التصور النصراني الذي يثلث أو يوحد ـ إلى العقل البشري ، وجعلت ما يقدمه العقل من تشريعات وتنظيمات هو الحكم ، وأعطت منجزات الانسان قبل المسيحية ـ الرومانية واليونانية ـ الأولوية ووجهت الباحثين إلى دراستها وتنظيمها ، لأنه إبداع إنساني لا يستلهم تعاليم السماء ، وأصبح النظام العقلي هو الذي يدير قضايا الحياة كلها من السياسة ، حيث الميكيافلية ، إلى الفنون والآداب ، حيث يحيط العقل بالعواطف البشرية ، ولم تعد آراء الكنيسة مسموعة ولم يعد الأدب الذي يستند إلى التصورات النصرانية « أدب العصور الوسطى » مقبولا لدى النقاد والجمهور .

والرومانتيكية سبقتها تيارات فلسفية تدعو إلى الحرية والفردية والتفلت من قيود العقل الصارمة ،

وقد أثرت هذه الفلسفة في جوانب الحياة كلها : فكثرت ثورات الشعوب الأوروبية وحروبها ، واتجه الاقتصاد إلى نظام الاقتصاد الحر ، وتحول الفن والأدب إلى الاهتمام بالمشاعر والأحاسيس وتمرد على نظم الكلاسيكية .

والأمر نفسه في المذاهب الأخرى ، تظهر فلسفة تحمل أفكارا وتصورات جديدة فتؤثر في جوانب الحياة كلها ، ويمتد التأثير إلى الأدب ويشكل خلفية فكرية لمذهب أدبي جديد .

- وجود ظروف تساعد على انتشار الفلسفة والتيارات الفكرية الجديدة : وهذه الظروف هي مجموعة الأحوال السياسية والاجتماعية والاقتصادية ولو عدنا إلى أمثلتنا السابقة لوجدنا أن الظروف المذكورة قد هيأت فرصة طيبة لانتشار مبادىء كل فلسفة أو تيار فكري أفرز مذهبا أدبيا .

فالنزعة العقلية التي أفرزت الكلاسيكية انتشرت بما تهيأ لها من ظروف مساعدة ، وكانت الظروف آنئذ هي النقمة على الكنيسة والضيق من تسلطها على الناس والحكام والحروب الصليبية التي دفعت أعدادا كبيرة من الناس إليها ، والنظام الاقطاعي الذي سام الناس خسفا وباركته الكنيسة وشاركت فيه ، وموقف رجال الدين المشين من العلم والعلماء .. هذه العوامل كلها ساعدت على إقناع الناس بالدعوة - « العقلية » وبناء الحياة بمعزل عن الكنيسة وشجعتهم على الأخذ بالكلاسيكية منهجا في جوانب الحياة كلها بما فيها الأدب بمعزل عن الكنيسة .

والتيارات الفردية وفلسفاتها المثالية انتشرت بفضل الظروف التي أحاطت بالغربيين في القرن التاسع عشر ، فقد كثرت الحروب واشتدت النزعة الاستعمارية ، وتوالت الأزمات الاقتصادية والاضطرابات الاجتماعية فأصيب الفرد الغربي بموجات من خيبة الأمل واليأس ، وبدأ يفقد الثقة بالنظام العقلي الذي انجبته الكلاسيكية وشعر بالحاجة الشديدة الى ملاذ عاطفي ، فأقبل على الفلسفات المثالية ، وطبقها في ميادين حياته ، وعلى رأسها الفن والأدب .

واذا تابعنا دراستنا للظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية منذ منتصف القرن الماضي حتى الآن فسنجد ان هذه الظروف قد أوجدت في الفرد الغربي استعدادا لقبول الفلسفات الواقعية والماركسية والوجودية ، وفي مقدمتها الحربان العالميتان ، والأزمات الاقتصادية الكبرى ، وتفكك الأسرة الغربية وتردي الاخلاق وموجات القلق والضياع .

- وجود ادباء يؤمنون بهذه الفلسفات ويستمدون تصوراتهم منها وينتجون أدبا يتأثر بها :

من المعروف ان المذهب الأدبي ليس مجموعة قواعد ونظريات بقدر ما هو مجموعة نصوص أدبية تأخذ بهذه القواعد ، وليس الأدب صياغة لأفكار فلسفية ، بل هو تأثر بهذه الأفكار ، ونتائج تنصب على عناصر العمل الأدبي في المادة والأداة الفنية .

فالفلاسفة واصحاب التيارات الفكرية والمذاهب الاجتماعية لا يضعون مذهبا أدبيا ، ولابد من وجود أدباء يتأثرون بآراء الفلاسفة ، وبالتيارات الفكرية الجديدة ويؤمنون بها ثم يصدرون عنها في أدبهم .

فالكلاسيكية الأدبية ظهرت بفضل كورني ومولير وراسين ، الذين اعجبوا بالنظام الكلاسيكي والأدب اليوناني فأخذوا بقواعدهما وطبقوها في مسرحياتهم .

والرومانتيكية الفرنسية ظهرت عندما ظهرت قصائد سندال والفريد دي موسيه وستندال ولامرتين وشاتو بريان ومسرحيات فيكتور هيجو ، وهؤلاء جميعا آمنوا بالمبادىء التي طرحتها الفلسفات المثالية وثاروا من خلال انتاجهم الأدبي على الكلاسيكية ومبادئها .

والرومانتيكية الانكليزية ظهرت بفضل قصائد وردزورث ووليم بليك وكولرد ج وشيللي التي جسدت النزعة الفردية والاهتمام الشديد بالعاطفة والوجدان .

والمذهب الواقعي الاشتراكي لم يظهر الا بعد ان ظهر مكسيم غوركي وبوشكين وآخرون اقتنعوا بالمبادىء الماركسية وانتجوا أدبا يبرز قضاياها الرئيسية .

والأمر نفسه في جميع المذاهب الأدبية الأخرى .

وجود نقاد ودارسين يحللون الأعمال الأدبية ويستنبطون منها اصول المذهب وقواعده ويجعلونها مقاييس لتقديم النصوص الأدبية التالية ويفسرون الأدب بموجبها ، ويتابعون الانتاج الأدبي الجديد :

فالكلاسيكية لم تتضح اصولها الا بعد ان استخرج الدارسون اصولها من الأدب القديم ومن كتاب أرسطو والشروح التالية عليه . وقد طبق النقاد هذه الأصول على الأدب في عصرهم وحاسبوا الأدباء عليها ، فلما تحولت القواعد الكلاسيكية إلى نظريات ساكنة ترقد في أعماق الكتب ، ولم يعد أحد من النقاد يقوم الأعمال الأدبية بها اعتبر المذهب ميتا .

والرومانتيكية استوت مذهبا أدبيا بفضل كتابات هربرت ريد ووليم بليك وكولرد ج ، وهوجو وشيلر وآخرين .

والوجودية استكملت وجودها مذهبا أدبيا في كتابات سارتر عن الالتزام وتحليلاته الأدبية .

والواقعية الاشتراكية تأصلت بفضل كتابات سوتشكوف وروجيه غاردوي وأرنست فيشر وجورج لوكاتش وغيرهم من النقاد الدارسين .

وهكذا تستكمل المذاهب الأدبية وجودها بفضل النقاد والدارسين الذين يظهرون هيكلها وقواعدها .

وطبيعي أن العوامل الأربعة التي ذكرناها ، تتعاون في إظهار المذهب الأدبي ولابد من وجودها جميعا ، وإذا غاب أحدها فقد المذهب الأدبي أحد عناصر وجوده والآن ما الذي نملكه من هذه العوامل ؟ وهل الطريق التي درجت عليها المذاهب الأدبية الغربية صالحة لكي تندرج عليها خطوات مذهب أدبي إسلامي ؟ وهل

لدينا عوامل نشأة المذاهب ؟

أما العامل الأول : الفلسفة والقيم الفكرية التي تشكل خلفية المذهب الأدبي وتمده بالتصورات اللازمة عن الكون والحياة والانسان ، فما أحسب أن فلسفة في البشرية يمكن أن تقاس بالاسلام في ثراء قيمه وعظمة تصوراته وعمقها .

فالاسلام منهج متكامل للحياة ، وعطاؤه صالح لكل زمان ومكان ، وقيمه أبقى من الزمن نفسه .

وأما العامل الثاني : الظروف المناسبة لانتشار القيم الفكرية والمذهب الجديد فلا يخفى على أحد أن الظروف التي يعيشها العالم الاسلامي المعاصر تثبت بشكل قاطع حاجة المسلمين الماسة إلى استعادة شخصيتهم وأصالتهم وعزتهم على المستويات الفردية والجماعية ، بل وحاجتهم الماسة إلى بناء كيان ضخم يتناسب مع عظمة الاسلام نفسه .

إن الظروف الصعبة التي يعيشها العالم الاسلامي المعاصر هي خير دافع للمسلمين كي يتمسكوا بفكرهم الاسلامي ، فالشعور العام السائد لدى مسلمي هذا العصر هو أننا نعيش مرحلة تخلف وضعف ، ونسعى جاهدين للخروج منها وتخطي المعوقات الكثيرة التي يزرعها في طريقنا كل من يهمهم أن يبقى الاسلام ضعيفا والفرد المسلم يعاني من ضغوط هائلة تشعره أنه يعيش خارج عصره ، وتملؤه احساسا بضرورة البحث عن أسلوب لتجديد كيانه وبناء شخصية عصرية وقوية ، وهذه الظروف القاسية ، وآثارها النفسية أهم العوامل التي تدفع الى البحث عن أسلوب يحقق الشخصية الجماعية أيضا .

واما **العامل الثالث** - الأعمال الأدبية التي تكون هذا المذهب فأعتقد أن قسما وافرا منها موجود في أدبنا المعاصر ، وقسما آخر في تاريخنا الأدبي . فمنذ أن تكون المجتمع المسلم في المدينة المنورة ظهرت آثار التصور الاسلامي في أدب شعراء الدعوة الاسلامية واستمرت في العصور الأدبية اللاحقة بنسب متفاوتة ، وبدت في الخطابة بشكل أقوى ولم تغب عن أدبنا اطلاقا .

وعندما جاء العصر الحديث وحمل إلى المسلمين أعنف صدمة تواجههم في تاريخهم ، ألا وهي محاولة إخراج الاسلام من دائرة الحياة اليومية للمسلمين وإذلال الشعوب الاسلامية ، وجعلها تابعة لقوى عالمية غير إسلامية ! تفجرت مشاعر الادباء الاسلاميين ، وتوزعت شظاياها في أعمال أدبية شعرية ونثرية كثيرة ومتفرقة في جميع البلاد العربية والاسلامية غير أن محاولات طمس معالم الشخصية الاسلامية طاردت هذه الأعمال وألقتها خلف دائرة الضوء وملأت ساحة الأدب بانتاج لا يبرز شيئا من هذه المشاعر بل وشجعت الأدب الذي يسهم في طمس القيم الاسلامية والأدب الذي يأخذ بالقيم الغربية وتصوراتها وتواجهها لتعمق آثار الأدب الغربي فينا ، ولتؤصل كل اتجاه يخالف الاتجاه

الاسلامي ، وعلى الرغم من ذلك فان الأعمال الأدبية الاسلامية غير قليلة ، وقد صدرت دواوين شعرية وقصص وروايات ومسرحيات كثيرة في انحاء متفرقة من العالم العربي ومعظمها على جانب كبير من الجودة الفنية ، كما أن الشعراء قد استخدموا الأطر الفنية الحديثة .

اذن لا تعوزنا النصوص الأدبية التي تشكل المذهب الأدبي وتحمل صفاته وخصائصه . فهي موجودة ومتناثرة ، يؤذيها الاهمال المتعمد ، ويقلل من أثرها في ساحة الأدب ضعف امكانيات النشر عند أصحابها ، وقلة اكتراث دور النشر واعراض الأجهزة الرسمية في معظم الدول العربية عنها . وطبيعي أن هذه المعوقات سببت صعوبات كثيرة للأدباء الاسلاميين وربما تخنق مواهب عدة . لو فتحت لها المجالات لظهر فيها الأديب الفذ الذي يهز ساحة الأدب ، وليس محمد اقبال ببعيد عنا .

وأما **العامل الرابع** : وجود الدارسين والنقاد الذين يعكفون على النصوص ، ويستنبطون القواعد ويتابعون الانتاج ويطبقون المقاييس في مشكلة الأدب الاسلامي الأولى . فهؤلاء الدارسون قليلون جدا ، والنقاد الذين يريدون أن يؤصلوا التيار الأدبي الاسلامي أقل منهم . والى عهد قريب لم نكن نجد ناقدا واحدا يصدر عن تصورات إسلامية يقوم بها الأدب المعاصر . أو على أقل تقدير يهتم بالأعمال الأدبية ذات الخط الاسلامي . وكثيرا ما تذوى هذه الأعمال على رفوف المكتبات أو في مسودات أصحابها لأن أحدا لم يهتم بها . وعلى الأديب الاسلامي أن يجاهد بأدبه دون تشجيع من أحد ، وعليه أن يتجاوز صعوبات النشر ، وخصومات كثيرة من جهات قد تكون رسمية ليستمر في إنتاجه ، ووسط هذه الظروف عليه أن يطور أدواته الفنية .

ان الأدب الاسلامي بحاجة ماسة إلى النقاد والدارسين ليأخذوا بيد الأديب المسلم وليوجهوه ويعينوه على تطوير أدواته الفنية وهو في حاجة أمس إليهم لينظروا قواعد المذهب الأدبي الاسلامي وليضعوا تفسيرا إسلاميا للأدب ، ويدونوا تاريخ الأدب العربي برؤية إسلامية نقية لا يغيب عنها الحس الفني المرهف .

وإذا تحقق ذلك أمكننا أن نستعين بالعوامل الأخرى ، وهي مهيأة غالبا لننشىء تيارا أدبيا إسلاميا ومذهبا في الأدب يمكن أن ندعوه «**الاسلامية**»

غير أن « **الاسلامية** » لن تكون مجرد مذهب أدبي يعيش مدة من الزمن ثم يطويه النسيان ، لأن تصوراته ورؤيته لا يمكن ان تتغير لان مفهوماته للحياة والانسان والعلاقات البشرية صحيحة وسليمة دائما ، تحقق للفرد التوازن والانسجام وتغني تجربة الأديب وتثرى الأدب كله .

وطبيعي أن « **الاسلامية** » ستتوجه الى الأدب الاسلامي المعاصر وتجشع الأدباء الاسلاميين على الانتاج وتتابع انتاجهم بالدرس والتوجيه .

سعادة البشر بين

زكاة الإسلام وفائض القيمة الماركسى

للأستاذ / مصطفى الجرف

من أوجة العظمة التي ينفرد بها الاسلام كنظام يخاطب الجماعة الانسانية قاطبة ، انه لم ينبعث عن عقدة استحكمت لدى بيئة بعينها فأتى يعرض حلاً لها ، وانما هو وحي الله الكريم وهدى ونور من خالق الانسان تنزل من لدنه ليكون خاتمة الرسالات السماوية(...**لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما**) النساء - ١٦٥) وعلى النقيض من هذا نشأت جميع المذاهب والفلسفات التي ابتدعها البشر « كرد فعل » لما شاب مجتمعاتهم من المظالم والانحرافات . وسوف نرصد هذا البحث للمقارنة بين نظامين هما الاسلام والماركسية في مجال يعتبره فلاسفة (الشيوعية الماركسية) محور ذلك المذهب السياسي ومبعث فخره على كافة الفلسفات والأفكار والمذاهب ألا وهو ما يسمى بالقيمة الفائضة أو فائض القيمة :surplus value فهذا الاصطلاح هو في نظر الشيوعيين الماركسيين (ودعنا نكتف باستعمال لفظ :الماركسيين) الفتح المبين والبشارة لسائر الكادحين المغلوبين على أمرهم من العمال والفلاحين في انحاء العالم !! فالماركسية في حقيقتها نظام اقتصادي بحت كما سنرى .

وعلى نفس الصعيد من الاسلام - اي من وجهته الاقتصادية - سنعرض

لعمود الزكاة فيه ، وذلك لأنه ليس مجرد نظام تفرع على نظام أشمل منه فيمكن أن يستبدل به غيره أو يعدل عنه الى سواه أو يخضع للتعديل على أي وجه من الوجوه ، وانما هو عمود من جملة أعمدة بنى عليها دين الاسلام لا مجال فيه لزيادة او نقصان لأن الذي فرضه هو نفسه خالق الانسان - حاكماً ومحكوماً منتجاً ومستهلكاً معطياً وقابضاً وهو سبحانه الأعلم بما يصلحه ويقيه شح نفسه(...**ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون**) (الحشر - ٩ ، التغابن - ١٦) ومن خلال بسطنا لمفهوم فائض القيمة - الابتكار الماركسي ذائع الصيت - وتداعياته في نظام الماركسية وما نتج عن ذلك النظام برمته في عوالم الفلاحين والعمال في شتى أقطار الأرض التي خضعت له ، ثم تجلية مفهوم الزكاة في الاسلام والثمرة التي جنتها مجتمعات المسلمين على مر التاريخ من تطبيق نظام الزكاة كأحد الأعمدة المتلازمة المتشابكة المتساندة التي بنيت عليها عقيدة الاسلام ، يمكن لنا ان نستنطق الحق والمنطق كلمة سواء لصالح هذا النظام أوذاك .

● **ما فائض القيمة ؟ وما ضرورته ؟**

معلوم أن كارل ماركس(١) مؤسس الماركسية ومن بعده تابعوه ، متفقون على ان هذا العالم لم يخلقه خالق بل هو موجود بلا موجد وشعاره الذي تابعه عليه كل من آمن بنظريته واضح لا لبس فيه من حيث إنكار الألوهية والخلق والبعث والقضاء والقدر والملائكة والأنبياء والكتب السماوية وهم يحسمون الأمر معه هاتفين(**لا إله والحياة مادة**) ! ولما كانت الحياة قصيرة فهم في عجلة من أمرهم اذ يرون ان السعادة في هذه الدنيا لا تتحقق اذا ترك لكل فرد ان يستخدم إمكاناته ومواهبه لبلوغ هذه الغاية فهناك تفاوت بين الافراد حتى منذ لحظة ميلادهم ! بحسبان ان المولود لأبوين ثريين لا بد أن يتفوق منذ لحظة - الصفر على من يولد لأبوين فقيرين !! واذا اجابهم مفندو مذهبهم بأن التاريخ لا ينسج وقائعه على هذه الوتيره حيث يعلم القاصي والداني والعالم والغافل أن ألوفا من بني الانسان ولدوا في بيئات تقتات البؤس والمسغبة ولا يكاد يبدو لهم بصيص من أمل في حياة رافهة ولكنهم بعزائم تطاول اليأس يجتازون ما يعتاقهم من مشاق وعراقيل ويحفرون لأنفسهم في عرض التاريخ أخاديد تسجل كرامتهم وكرامة شعوبهم التي سادوها : ذلك بأن الله حين خلق الانسان زوده بارادة وفهم وعليه من بعد ان يجاهد ويصابر حتى يحقق ما يصبو اليه وبمشيئة الله سبحانه وتعالى(**لقد خلقنا الانسان في كبد**) (البلد - ٤) نراهم يشيحون عن هذا المنطق زاعمين أن الطبقة العاملة هي وحدها ضحية كل مجتمع يتشدق بالدِّين والتقاليد والأخلاق وان تلك المسميات كلها أدغال وأحراش يتخفى خلفها (البرجوازيون) أولئك الذين لا يعملون بأنفسهم عملا ما معتمدين

على أموالهم العقارية والمنقولة ، وجاههم الاجتماعي ، ليسلبوا من ثم عرق الكادحين وثمرات كدّهم . ويستطار الجدال بين الفريقين اذ يعقب اعداء الماركسية على هذا قائلين لأنصارها :ولكن الذي تزعمون أنه من مبتكراتكم حملته كتب السماء تترى على متطاول من القرون وفي شعوب شتى فالكسول الذي لا يجدّ ويكدح ملفوظ بغيض في كل دين ، والمتلاف المضياع للمال والوقت والجهد فيما لاغناء فيه ولا ثمرة له ، عاص في كل بيئة تؤمن بالله وتتعبد في كتاب وتتجه الى قبلة ، وأن اليد المعروقة المخشوشنة من كدح ومعاناة يد يحبها الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فهكذا ينبئنا رسول الاسلام ، وهذا هو المسيح عليه السلام يقول للعبيد الكسالى الذين لم يحفظوا وصاياه « أما العبد غير النافع فاطرحوه في الظلمة الخارجية . هناك يكون البكاء والصرير على الأسنان » (انجيل متى الاصحاح ٢٦ / ٣٠)ولليهود أكثر من مثال في التوراة يحض على العمل ويزري بالاهمال وهم قوم مشهود لهم بالدأب والحيلة في تحصيل المال . وهكذا كل أمة في هذا العالم تمجد العامل والنابه وتنبذ الكسول والخامل . فما خطبكم أيها الماركسيون ؟؟

ولكنما الجدال لا يأتي بخير ، فالماركسيون مصرون على ان الهرم الاقتصادي مقلوب وهم قد صمموا أن يعدلوه ، فكارل ماركس يفسر ما سماه بالقيمة الفائضة بأنه « مادام جزء من المجتمع يمتلك احتكار وسائل الانتاج فانه يتعين على العامل سواء كان حرا أو رقيقا ان يضيف الى وقت العمل اللازم لإعالة نفسه وقت عمل إضافي كي ينتج وسيلة العيش لأصحاب وسائل الانتاج »!!(٣) وهو يزيد الأمر ايضاحا فيقول ما معناه ان العامل - أي عامل مأجور لأداء عمل ما - خلال فترة معينة يكون قد قام بكمية عمل تضاهي وتقابل ما يدفعه فعلا اليه صاحب العمل ويسمونه (الرأسمالي) فكمية العمل هذه يطلق عليها اصطلاح (العمل الضروري) فاذا واصل العامل اداءه بعد ذلك - وهو لا بد ان يواصل ليحصل على اجره المتفق عليه - فكأنما هو ينتج كمية من العمل تفوق ما يساويه هذا الأجر المتفق عليه ! وهذا الجزء الزائد يعتبر ربحا يدخل (جيب) الرأسمالي وهو نفسه ما يسمى (فائض القيمة) وبتوالي قبض الأجر المحدد وقيام العامل بالأداء السخي هذا - مرغما طبعا لحاجته الى المال ليأكل ويعيش وهو وأسرته - تزيد وتتضخم ثروة الرأسمالي وهذا ما يعبر عنه الماركسيون بالتراكم حين يقولون مع زعيمهم وفيما أثر عنهم في كتاباتهم « ان هذا التراكم يؤدي الى وجود مزيد من الرأسمالية ، وبالاستحواذ على وسائل الانتاج من آلات ومواد خام وجهد العمال يزيد الرأسماليون غنى وقوة ويزيد العمال فقرا كما يزيد عددهم (٤) » ! لأن التنافس على العمل سيؤدي الى ذلك كما يؤدي الى خفض في التكلفة للسلع المنتجة ولا

حيلة للعامل الا ان يواصل الدوران ليعيش !(٥)ونظرية فائض القيمة هي المحور الذي يدور عليه كتاب رأس المال الذي اصدر ماركس الجزء الاول منه عام ١٨٦٧ وحين توفي اخرج صديقه وولي نعمته وخليفته في شرح الماركسية : فريدريك انجلز ، الجزء الثاني وأكمل له الجزء الثالث وكتب الجزء الرابع بنفسه وأصدره ختاما لمباحث ذلك الكتاب الذي اعتبر في هذا العصر انجيل الشيوعية المعاصرة(٦) ولن نستعرض او نتعرض لروح الإلحاد السافر في الماركسية والذي يديره « مجلس الالحاد العلمي » بموسكو وتتبعه مجالس اخرى مماثلة في ولايات الاتحاد السوفياتي او جمهورياته الخمس عشرة وان الحزب الشيوعي السوفيتي لا يمنح عضويته الا لمن يحوز مستندا رسميا بأنه ملحد وبرىء من كل الأديان ! لان الدين افيون الشعوب ! ومن أجل ذلك هدمت الدولة الماركسية الكنائس والمساجد والبيع وأبادت ملايين المسلمين في جمهوريات آسيا الاسلامية ونقلت الباقين كالقطعان لتوطينهم في اقطار اخرى من الاتحاد السوفيتي الذي زعم ان ثورته الشيوعية أتت لتحقق جنة الارض الموعودة للكادحين من فلاحين وعمال وبسطاء الناس . لن نتعرض لشيء من ذلك لا ولن نتساءل عن مدى حرية الفرد الشيوعي الذي (تمركس تمركسا كاملا) وغدا لبنة مخلصة في ذلك البنيان الماركسي الرهيب ، فان تطاير الأنباء منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، وبناء حائط برلين ، والحط العلني المتبادل بين روسيا والصين الماركسيتين ، وفضيحة ستالين بعد موته ونبذ جثته من مثواها البللوري الى جانب مؤسس الدولة السوفيتية فلاديمير لينين لتدفن بأمر خروشوف في مسقط رأسه (تفليس) وكأن دفن الانسان في التراب بعد موته عقوبة ..!! مثل هذه الأخبار المشينة وقد اصبحت الغذاء اليومي تقريبا لأجهزة رصد حرية الانسان السوفيتي الحالي تغنينا عن ان نقول قولا معادا في جدوى ما يسمى بفائض القيمة فضلا عن النظام الماركسي الوثني جملة وتفصيلا !! لأن النظرية التي ابتكرها ملحد يهودي الأصل(**وارتدّ ابوه الى المسيحية البروتستانتيه لأسباب غير مؤكدة**)بقصد سعادة البشر !! قد أثبتت انها فاشلة وأثبتت وقائع التاريخ بأن البشر لم يسحقوا ويستذلوا وبلا أدنى رحمة منذ كارثة الأندلس - بمثل ما وقع لكل أدمي يؤمن بإله على وجه من الوجوه في تلك البلاد الشاسعة التقدمية(!!)

● الزكاة في الاسلام .. وأثرها ؟

لعلنا قلنا في فائض القيمة وجه الحق وشرحناها بمثل ما يحبه لها - كنظرية - أهلها ومحبوها . والان نتجه لنرى كيف شرعت الزكاة ولماذا ؟ وما الأثر الذي أحدثته في مجتمع المسلمين الاول ؟ وكيف يمكن لهذا النظام وهو أحد عمد الاسلام أن

يحقق سعادة البشر جميعا بلا تفرقة بين طبقة واخرى او بين إنسان وإنسان ؟

فالزكاة ـ من تفسيرنا لإسمها ذاته ومعناه : التزكية والنماء والتطهير والصدقة والصفوة من الشيء ـ نعرف انها من رحمة الله بعباده فكلها خير مبنى ومعنى وبشرى للناس في كل مكان وفي كل جيل ، وزكاة تجمع على زوكات وزكا (بفتحتين) وتقول زكى تزكية وزكاة أي ادَّى الزكاة عن ماله وزكاه الله طهره واصلحه . فالفعل ومشتقاته هو الخير كله من أي وجه أتيته وهذه وحدها حجة لافتة للفهم السليم ونصاعة في لغتنا العبقرية موصولة الأسباب بحفظ من الله .

● فرضيتها ؟ وهل يجوز ان تخصل معها الضريبة ؟

نزلت الزكاة مقرونة بوجوب اقامة الصلاة في عشرات الآيات في عديد من سور القران الكريم ومنها قوله تعالى(**وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة**)(سورة البينة ـ ٥) والزكاة ركن من اركان الاسلام الخمسة وهي ثابتة بالقرآن كما رأينا وبالسنة في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم (**بني الاسلام على خمس ... الخ**) وبالإجماع ، وقد اصبحت فرضيتها معلومة من الدين بالضرورة . وقد فصل العلماء المجتهدون من أئمة المذاهب السائدة والبائدة القول تفصيلا في الزكاة ويهمنا في هذا المقام ان الطوائف الثماني التي حددتها آية الصدقات هم مصارف الزكاة على وجه التحديد وباب الاجتهاد مفتوح في شرح المعنى المراد بكل من هؤلاء الطوائف ومن عظمة شرع الله انه وضع الكليات وترك لعباده من العلماء بسط التفاصيل يقول الحق تبارك وتعالى (**إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل . فريضة من الله . والله عليم حكيم .**) (التوبة ـ ٦٠) وقد اختار الإمام الشافعي في كتابه (الأم) وهو يعقد فصلا لكتاب الزكاة ان يذكر قول الله تعالى (**والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم . الخ الأية**) بعد ان اورد مستهلا اية (**وما أمروا ..**) ليقرر الجزاء الأخروي اذا ما خولفت القاعدة القانونية أو حكم الله بفرض الزكاة . وتواترت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجوب اخراج الزكاة . وعن ابن مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من أحد لا يؤدى زكاة ماله الا مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع يتبعه حتى يطوق به عنقه ثم قرأ علينا النبي صلى الله عليه وسلم « **ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله** » من الاية ١٨٠ من سورة آل عمران .

وقد رد ابو بكر الصديق على عمر بن الخطاب حين اراد ان يثنيه عن مقاتلة من يشهدون بأن لا إله الا الله وأن محمدا رسول الله ، ويمنعون الزكاة بقوله :(**والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فان الـزكاة حق المال . والله لو منعوني عناقا**) (٧) وفي رواية عقالا . كانوا يؤدونه الى رسول الله لقاتلتهم على منعه ... الخ الحديث) وقد فرضت الزكاة لأنها أصلا لغوث الفقير والمحروم ولتطهير قلوب المسلمين واموالهم ـ في العام الثاني من الهجرة لأن الاسلام دين عملي يسوس دنيا الناس ويهـدهد الغرائز وفي رأسها الشح والتباخل والأثرة بعلاج ربـاني حكيم وربط الغني والفقير بآصرة وثقى تجلب المحبة والتواصل ومن لطائف الفقه الاسلامي انه بعد القول باشتراط النية عند اخراج الزكاة ككل الأمور التعبدية ـ حيث الزكاة عبادة ـ فانه لا يشترط أن يعلم آخذ الزكاة بأن ما يأخذه زكـاة ! (٨) فالاسـلام في جوهره توقير غير محدود للانسان وارتفاع بمعنوياته وتكريم موصول له .

وليست المشكلـة في حكم الاسلام حصول بيت المال على جزء من مال الأغنياء ورده على الفقراء حيثما كان مصدره ، فرسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي بنبذ المال المشبوه وعدم قبوله ألبتة ففيما رواه مسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا يقبل الله صدقة من غلول) والغلول لغـة : الخيانة ولذلك (فلا زكاة على المال الحرام كالفوائد الربوية والمال الذي اخذه صاحبه بغير حق من المال العام ولكن هذه الاموال واشباهها تخضع لضريبة القيم المنقولة ! وقس على ذلك أرباح بيع الحشيش تخضع لضريبة الأرباح التجارية والصناعية ! وأرباح صـالات القمار تخضـع لـرسـوم الملاهي) (٩) وهذا التسامي في جمع حصيلة بيت المال في الاسلام صنيع له مغزاه .

وعلماء الاسلام يرون أنه يجوز فرض ضرائب اضافية مع الزكاة ـ عـلى الاغنياء ـ وذلك اذا ما نزلت بديار المسلمين حاجة أو كانت حصيلـة الزكاة لا تكفي لمقابلة نفقات الدولة المتعلقة بالدفاع وتحقيق الأمن وقد بني رأي فقهاء الاسلام على قاعدة وجوب تحمل الضرر الادنى لدفع ضرر أعلى وأشد (٤) والمال في الاسلام مال الله وله الحاكمية وحده سبحانه والتآخي الذي دعا اليه وقرره رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة بمجرد الهجرة بين المهاجرين والأنصار وعقيدة المسلم في ان يبذل مال نفسه جهادا في سبيل الله وفي سبيل المستضعفين في الارض من الرجال والنساء والولدان ومضاعفة الثواب على الحسنة بعشر أمثالها عند اللـه ـ كل هـذه المبـادىء تفسـح للمجتهدين من علماء الاسلام ان يدعموا حوزته ماديا بمثل هذا الرأي الذي انتهوا اليه .. وإلا فما قيمة المال اذا هيضت الأمة وسقطت نفائس أموالها وكرائم أعراضها تحت أقدام العدو ؟؟

خاتمة ورأي :

مجتمع فائض القيمة بشهادة أهله وسادته ومعارضيه أيضا ، مجتمع متناكر يتربص بعضه ببعض ، فالحكم فيه لصفوة تستمتع بأطايب الحياة أو كما يقول أندريه جيد الكاتب الفرنسي الشهير فيما نقله عنه العالم المجاهد الشيخ محمد الغزالي في كتابه : الاسلام في وجه الزحف الأحمر « وأنا أسلم جدلا بأنه لم تعد في روسيا طبقات ولا فوارق ولكن الواقع ان فيها فقراء بل انهم الكثرة البالغة !!...

ويقول عن الفاقة والغطرسة هناك : حتى لتخيل للمرء انها الفاقة الأثيمة الناشئة في أحضان الإجرام فلا تثير شفقة ولا تبعث على العواطف والاحسان ، بل ينظر اليها بعين الازدراء والاحتقار !! » أي ان الشقاء الاجتماعي والنفسي رغم كل الهيكل والهيلمان للدولة الماركسية الكبرى في العالم هو النتيجة .. وقديما قالوا من زرع الشوك لا يجني العنب ! والبلبل لا يغني في قفص ولو من ذهب ! أما مجتمع الزكاة فهو المجتمع الذي عزّ جانبه فردا فردا على عهد عمر والشمس لا تغرب عن وطنه المترامي الأطراف حتى لا يجد عمال بيت المال فقيرا أو مسكينا مستحقا الزكاة ! وحتى يقف علي بن أبي طالب بعد أن يأمر بتوزيع مذخور بيت المال على المسلمين فلا يبقى فيه شيء ثم يصلي لله فيه شكرا على نعائمه . ومازال كل مجتمع حتى أيامنا هذه يتواصى بإخراج المصاريف لولا ان تشريعات غريبة ملتوية القصد تقطع الطريق وتلتوي بالمسلمين عن قصد السبيل وما إنشاء (البنوك) المصارف الاسلامية ونصها على إخراج زكاة الاموال الا عنوان صحوة اسلامية فلن يصلح آخر هذا الأمر إلا بما صلح به أوله .

(١) من أصل يهودي الماني (١٨١٨ - ١٨٨٣)

(٢) مكابدة الأمور ومشاقها - ابن كثير .

(٣)(٤) الماركسية : فريدريك انجلز - ترجمة ماهر نسيم .

(٥)أجمع نقاد الماركسية على عدم سلامة تحليلات ماركس وتوقعاته لأنه بناها على واقع متغير في مطلع القرن التاسع عشر وقت شيوع البطالة وتشغيل النساء والأطفال في اوربا .

(٦) المصدر السابق والموسوعة العربية الميسرة ط ١ ص ١٦١٥ .

(٧)العناق : الانثى من المعز . من حديث عن ابي هريرة رواه البخاري ومسلم .

(٨)سبيل الفلاح بشرح نور الايضاح - للشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد (حنفي) .

(٩) محاسبة الزكاة - دكتور حسين شحاته ص ١٠٤ .

(١٠)المرجع السابق نقلا عن (فقه الزكاة) للدكتور يوسف القرضاوي ص ٢٩٧ .

الأمن الاجتماعي في الإسلام

للاستاذ / عاطف شحاته أحمد

نشرت صحيفة (اخبار اليوم) القاهرية عن تقرير لمكتب التحقيقات الفيدرالي في امريكا تقول :

زادت جرائم العنف في عام ١٩٨٠م بنسبة ١١٪ عن العام الذي قبله . وتضاعفت نسبة هذه الجرائم اربع مرات في السنوات العشر الخوالى ، وقد لقي في العام الماضي (٢٣) ألف شخص مصرعهم على أيدي المجرمين القتلة . بالقياس الى ٩٠٠٠ شخص فقط منذ عشرين عاما .

وفي عام ١٩٨٠ ايضا تم اغتصاب (٨٢) الف سيدة وفتاة ، وتعرض اكثر من نصف مليون شخص لحوادث السطو المسلح ، وتعرض (٦٥٠) الف شخص للهجوم على منازلهم .

ولا يتمكن رجال البوليس من القبض إلا على نسبة ١٩٪ **فقط من الجناة** ويفلت اكثر من ٨٠٪ من العقاب مما جعل عدد الجرائم يتزايد باستمرار حتى قدر عدد الجرائم التي تقع سنويا في مدينة نيويورك وحدها بمليون جريمة . وبالرغم من ان

امريكا تنفق سنويا (٢٦) الف مليون دولار لمكافحة المجرمين ورغم ذلك فالسلطات الامريكية تخوض معركة خاسرة حتى الآن ضد المجرمين .

وبقراءة هذا التقرير وغيره يتبين للقارىء الحال التي وصلت اليها الجريمة في البلاد التي تحكمها قوانين وضعية ، وهذا مثال لتزايد عدد الجرائم سنويا في دولة كالولايات المتحدة الامريكية . مما يبرهن على فشل هذه القوانين في الحد من الجريمة بأنواعها ..

السرقة والقتل والاعتداء على الأعراض وغير ذلك . وسنحاول هنا الاجابة على سؤالين :

ولكن كيف قاوم الاسلام الجريمة ؟ وكيف صان امن الأفراد والجماعات ؟

★ الأمن في الاسلام :-

إن الاسلام عني بالامن الاجتماعي وحرص على ان يعيش المسلم آمنا على نفسه وعلى ماله وعلى عرضه . فهذا الأمن ضروري لدى لبنات المجتمع المسلم ولا يقل اهمية إن لم يزد عن الأمن الغذائي والأمن الصحي والأمن الثقافي ، وكل انواع الأمن - وماذا يفيد ذلك كله ما لم يأمن الفرد أولا على دمه وماله وعرضه ؟

فالأمن الاجتماعي هو أهم ما يسعى اليه أي مجتمع وليس بغريب ان يمن المولى سبحانه على قريش فيقول :

(**فليعبدوا رب هذا البيت.الذي اطعمهم من جوع و امنهم من خوف**) آية (٣ ، ٤)من سورة قريش

وكما ان الجسم لا يستغنى عن الطعام كمقوِّم اساسي للحياة ، فلا غنى للمجتمع المسلم عن الأمن كأساس من أسس بنائه وحياته .

ونظرة بعيدة الى القوانين التي تحكم الجزء الاكبر من العالم - وهي قوانين وضعية والتي نسعى جاهدين للأخذ عنها - وقد اصطفانا الله عزَّ وجلَّ بقوانين سماوية شملت فوق سعادة الآخرة سعادة الدنيا ، وكفلت للأفراد والمجتمعات الاسلامية - اذا طبقت - آمن عيش وأهنأ حال . وليعتبر اولو النهى من المدافعين عن القوانين المستوردة ، حتى وان ثبت فشلها في تحقيق الأمن لمن تطبق عليهم .

قبس من توجيهات الاسلام »

ذكر الأمن في القرآن الكريم في عدة مواطن .. فيها نرى ضرورة هذا العنصر وأهميته في حياة الأمم والأفراد .

منها دعوة الخليل ابراهيم عليه السلام لمكة بالأمن والرزق في قول الله تعالى :

(**رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات**) ١٢٦/من البقرة ومنها ما يجعل الأمن والرزق مترتبين على العبادة والشكر ، والعكس في قوله سبحانه :-

(وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة ياتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بانعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون) ١١٢/النحل ومنها ما يجعل الأمن مترتبا على الإيمان الخالص في قول الله تعالى :
(الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم اولئك لهم الأمن) الأنعام/٨٢ .
ومنها ما يعد المؤمنين بالاستخلاف في الأرض ، وتمكين الدين لهم ، وإحلال الأمن محل الخوف إذا هم عبدوه سبحانه .. في قوله تعالى :
(وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا) النور/ ٥٥ .
والمسلم لا يتحقق اسلامه إلا اذا سلم المسلمون من شره ، كما ان المؤمن لا يكمل إيمانه إلا اذا أمنه الناس على أموالهم وأعراضهم .
يقول النبي صلى الله عليه وسلم : (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده) متفق عليه عن عبدالله بن عمرو بن العاص .
ولكي يوفر الاسلام لأتباعه الأمن أمر برعاية حقوق الغير ، وحث على عدم تكدير هذا الأمن على أفراد المجتمع . والمسلم حين يعيش بالاسلام يصبح روحا طيبة .. لا يؤذي غيره ولو بلسانه .. إنه يد تعطي ولا تضرب ، تعين في الحاجات ولا تؤذي ، ولا تنتهز فرص الضعف لتسفك الدماء وتزهق الأرواح لأجل حطام مادي زائل .

**** من التدابير الوقائية :**
وضع الاسلام تدابير وقائية ليحمي المجتمع من الجريمة ، وشدد في توجيه المجرمين حتى يكفوا عن إجرامهم ، ويتغلبوا على نزعاتهم الشيطانية ، وينتصروا على شهواتهم ويكبحوا جماحها . وذلك من أول الطريق .
وهذا حديث شريف يشعر بمدى إجلال الاسلام لمبدأ الأمن العام حين يغلظ في القول لمثيري الفزع ، ومكدري الأمن فيقول :
عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
(سباب المسلم فسوق ، وقتاله كفر) . متفق عليه
والله لا يحب الفاسقين ، ولا يهدي القوم الكافرين .
فحياة المسلم معاشرة بالحسنى ، وخلقه مع إخوته هو الذلة والخضوع ، والدعة والتواضع . بَيَّنَ ذلك القرآن الكريم فقال : (**محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ..**) ٢٩/ الفتح وقال : (**اذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ..**) ٥٤/ المائدة .
ومن خلال هذه التوجيهات الكريمة قدَّر المسلمون عظم المسؤولية الملقاة عليهم لضمان الأمن لهم ولشركائهم على سفينة الحياة التي تقلهم جميعا .
ومن التدابير التي وضعها الاسلام لصيانة الحرمات عدم إشهار الأسلحة في وجوه الغير ولو على سبيل التهديد أو المزاح ، فقد يصل الأمر إلى ما لا تحمد

عقباه .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه ـ : (لا يشر أحدكم إلى أخيه بالسلاح ، فإنه لا يدري لعل الشيطان ينزع في يده فيقع في حفرة من النار) . متفق عليه .

كما نهى عن التقاء مسلمين وتقاتلهما بالسيف ، وحذرهما من النار ـ القاتل والمقتول ـ لأن كلا منهما حمل سلاحه .

عن أبي بكرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إذا توجه المسلمان بسيفهما . فالقاتل والمقتول في النار .) ولما سئل عن علة دخول المقتول النار وهو مجنى عليه قال : (إنه كان يحرص على قتل صاحبه) . رواه مسلم

فما دام قد حمل السلاح فمعنى ذلك سوء نيته ، والأعمال بالنيات . ولو أُتيح له قتل صاحبه لما تمهل فكان هذا المصير حريا بهما معا .

وبعد ذلك يعلو صوت النذير والتحذير يخوف من استهان بحرمات الغير ، والمعتدي عليهما أو على أحدهما .. ربما انتفع بها مسلم فحجبته عن جريمة في حق أخ له .

والجرائم التي عجزت القوانين الوضعية عن مكافحتها تتمثل في السرقة والقتل والزنا والحرابة . وهي بعينها ما أولاها الاسلام عناية فائقة مع غيرها من الجرائم .

**** ففي القتل :**

عن البراء رضي الله عنه عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : (لزوال الدنيا أهون على الله من قتل مؤمن بغير حق) رواه ابن ماجه بسند حسن

وقال تعالى : (**وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا إلا خطأً** ..) ٩٢/ سورة النساء .

وقال : « **ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما** » ٩٣/ سورة النساء ..

وقال : (**ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق** ..) ٣٣/ الاسراء

**** وفي السرقة :**

قال تعالى (**والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم** ..) ٣٨/ سورة المائدة .

وروي أن رجلا غل عباءة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما مات قال النبي عنه (هو في النار) بسبب هذه العباءة التي غلها من غير حق — رواه البخاري

**** وفي المظالم وردها :**

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام :

(لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء ..) رواه مسلم

وقال فيما رواه أبو موسى الأشعري :

(إن الله ليملي للظالم فإذا أخذه لم يفلته . ثم قرأ (وكذلك اخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه اليم شديد) هود/١٠٢ متفق عليه

وروى أبو أمامة إياس بن ثعلبة الحارثي رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من اقتطع حق امرىء مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار ، وحَرَّم عليه الجنة فقال رجل وإن كان شيئا يسيرا يا رسول الله ؟ فقال : وإن كان قضيبا من أراك) رواه مسلم .

وفي إغماد الاسلحة : روى أبو موسى عن النبي قال :

(من مرَّ في شيء من مساجدنا وأسواقنا ومعه نبل فليمسك أو ليقبض على نصالها بكفه أن يصيب أحدا من المسلمين منها بشيء) . متفق عليه

هذا إن وجدت ضرورة لحمل السلاح كالحراسة مثلا . وما يقال عن النبل يقال في غيرها من الأسلحة .. حتى لا يصاب مسلم خطأ . فكيف بمن يثير الرعب علنا ؟! وكيف بمن يكدر الأمن عمدا ؟ !

** وعن الزنا والقذف :**

يقول تعالى : (ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا)-٣٢-سورة الاسراء .

ويقول في معرض الحديث عن عباد الرحمن :

(والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما . يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا ...) الفرقان ٦٨/٦٩ وقال في الذين يقذفون العفيفات المحصنات المؤمنات بغير حق :

(والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا واولئك هم الفاسقون ...) ٤/سورة النور وقال في التعقيب على حادثة الإفك مبينا مصير هؤلاء وغيرهم في الآخرة :

إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب اليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وانتم لا تعلمون ...)-١٩/النور .

ولقد غلظ النبي صلى الله عليه وسلم من جريمة القذف ، فجعلها من الذنوب الموبقات وعدها مع السحر والقتل والرِّبا فقال :

(اجتنبوا السبع الموبقات . قالوا : وما هنَّ يا رسول الله ؟ قال : الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله وأكل الرِّبا ، وأكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات) رواه البخاري ومسلم .

وهذه هي الجرائم التي شاعت في الدول التي تسودها القوانين الوضعية ولذا

رأيت ان اقتصر على بيان موقف الاسلام منها . وكيف حمى المجتمع المسلم من آثارها وعمل على كف المجرمين حتى لا يعبثوا بحرمات الآخرين ـ وقد بان فيما سبق حديث الاسلام عنها وعن مصير أصحابها في الآخرة .

ولم يكتف الاسلام بالتخويف من سوء المصير للمجرمين ، ولكنه حدَّ حدودا زاجرة ليعرف المجرم أنه معاقب على جريمته في الدنيا ، إذا ثبتت عليه الجريمة ثبوتا قطعيا .

العقوبات الشرعية

تبين لنا من خلال تعاليم مصدري الشريعة الرئيسيين ـ القرآن والسنة ـ اهتمام بالغ بحرمات الغير . واذا خولت نفوس ضعيفة لأصحابها تجاوز حرمات المسلمين والاعتداء على حقوق الغير فثمة زواجر رادعة لأمثال هؤلاء إذا ما انحرفوا عن الجادة وتجرأوا على إتيان بعض الجرائم ضد احد أو بعض أفراد المجتمع المسلم . ومن اجل ذلك شرعت الحدود ... إذا لم ينفع الوعظ ، لم يفد توجيه وتوبيخ القرآن وتحذيره من سوء المصير في الآخرة .

وشرع الاسلام لكل جريمة ما يلائمها من الحدود ، حتى الجروح شرع فيها قصاصا من اجل حماية امن المجتمع المسلم ، وليشعر المستضعفون من المسلمين بكفالة الدين لحقوقهم وحمايته لدمائهم وأموالهم وأعراضهم من جهل الجاهلين ، وإجرام المجرمين حتى تصان الحرمات وتحفظ الحقوق .

قال ابن القيم عن هذه العقوبات الشرعية في كتابه : الجواب الكافي :

(إن العقوبة الشرعية شرعها الله سبحانه وتعالى على قدر مفسدة الذنب ، وتقاضى الطبع لها ، وجعلها الله سبحانه ثلاثة انواع ... القتل والقطع والجلد ... وجعل القتل بإزاء الكفر ، وما يليه وما يقرب منه وهو الزنا واللواط .

وجعل القطع بإزاء إفساد الأموال الذي يمكن الإحتراز فيه فان السارق لا يمكن الإحتراز منه .

وجعل الجلد بازاء إفساد العقول وتمزيق الأعراض بالقذف ..) ص ١٣٢ .

وذلك كله يجعل الجاني يفكر مرات ومرات قبل أن يقدم على أية جريمة لأنه سيعاقب على كل ما اقترفه عقابا دنيويا ... فإن كان جرمه اعتداء على النفس فعقابه بنفس الآلة وعين الطريقة ونفس العمق ، وبذا يعرف انه باجرامه انما يسعى الى حتفه او يحفر قبره بيده ..

وحين تطبق تلك العقوبات فانها ترمي الى هدفين :

أ ـ حماية المجتمع من شرور المجرمين بالأخذ على أيديهم .

ب ـ تربية الضمير وتهذيب الأرواح في نفوس المؤمنين . ليفعل المسلم الخير استجابة لداعي الله سبحانه ، والرغبة في طاعته . حتى يشعر المرء بأنه لن يفلت من عقاب السماء اذا أفلت من عقاب الأرض فالأهم هو تربية ضمير يقظ يؤنب

صاحبه اذا أقدم على ما من شأنه تكدير الأمن ، ويربى في المسلم إحساسا بفداحة الجرم بمجرد التفكير فيه أو الهم به .

حيث يشعر المسلم أن هناك قوة عليا وسلطانا أعلى فوق قوة القانون وسلطانه ... إنه يحس بمراقبة الله له ، واطلاعه عليه ، وهو سبحانه لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء . ويجزي كل نفس يوم الدين بما أحضرت إنه يشعر بعين الله التي لا تنام ، ويرهب عزته التي لا ترام ، وسلطانه الذي لا يضام ولا يهولنك تشدق المغرضين الذين يرمون - كذباً وزورا - قوانين السماء بالقسوة او عدم مسايرتها للعصر وغير ذلك من افتراءات ... فالمشرع الحكيم سبحانه عليم بعباده خبير وهو سبحانه يعلم المفسد من المصلح .. فهو الخالق البارىء .. وهو أعلم بما يصلح لشئون العباد . وحسبنا ما نعلمه عن تردي المستوى الأخلاقي في المجتمعات التي رضيت قوانين الأرض سيدة دون قوانين السماء ، كما نسمع ونقرأ كل يوم عن تزايد عدد الجرائم في هذه المجتمعات .

وفي ضرورة هذه القوانين السماوية لتحقيق الأمن الاجتماعي يقول الشيخ : سيد سابق في كتابه (فقه السنة) :

(إقامة الحدود فيها نفع للناس .. لأنها تمنع الجرائم ، وتردع العصاة ، وتكف من تحدثه نفسه بانتهاك الحرمات ، وتحقق الأمن لكل فرد .. على نفسه وماله وعرضه وسمعته وحريته وكرامته ..) ج٢ ص ٣٠٥ ولن يتحقق الأمن الاجتماعي الأمثل إلا في ظل قوانين السماء ، ويوم يسعى ولاة الأمر لسيادة هذه القوانين وتحكيمها يمكن ساعتها المقارنة بين المجتمعات الاسلامية وغيرها في استقرار الأمن ، وصيانة الحرمات .

○ نظرة الى العقوبات الاسلامية :

بعد هذه الرحلة مع تشريعات الأرض وتشريعات السمـاء ، وبعد معرفة منزلة الأمن الاجتماعي وحرص الاسلام على صيانته لا بد من إلقاء نظرة عجلى على العقوبات في الاسلام أو ما يعرف بالحدود في الاسلام .

فقد راعى الاسلام كل ما ينغص على الأفراد والجماعات أمنهم ووضع له حدودا حتى لا يظن احد انه يعتدي على حُرَم المستضعفين ثم يترك وشأنه . كلا بل فرض الاسلام حدودا تكفي لردع المجرمين وكفهم عن التمادي في اجرامهم . وحرّم إهمال هذه الحدود أو الشفاعة فيها حتى تؤتي ثمارها المرجوة ما دامت قد ثبتت الجريمة قطعيا بلا أدنى شبهة .

ولعل أخطر هذه الجرائم عامة هي الاعتداء على النفس بالقتل أو الجرح . وفيها حدّ الشرع حدا هو القصاص في الأنفس وفي الجروح . فقال تعالى :

(**يأيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى ...**) ١٧٨/البقرة .

وقال : (**الأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص ...**) ٤٥/سورة المائدة .

وقال : (**ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون**) ١٧٩/البقرة .

فمصير القاتل معلوم ما دام قد تعمد قتل نفس بغير حق .

شرع الاسلام في قتل الخطأ عقوبة لئلا نظن هوان هذا الجرم ، وليأخذ كل حيطته وفيه شرع الله الدّية والكفارة واذا كان شبه عمد ففيه الدّية المغلظة على العاقلة ، والعمد فيه قصاص او الكفارة اذا عفا ولي الدم او رضي بالدّية .

قال تعالى : (**ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة وديةمسلمة الى أهله إلا أن يصدقوا فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليما حكيما**) النساء /٩٢ .

وفي بيان الحكمة من القصاص قال صاحب المنار في تفسير آية القصاص :

(فالآية الحكيمة قررت أن الحياة هى المطلوبة بالذات وأن القصاص وسيلة من وسائلها لأن من علم أنه إذا قتل نفسا يقتل بها يرتدع عن القتل ، فيحفظ الحياة على من أراد قتله وعلى نفسه . والاكتفاء بالدّية ، لا يردع كل أحد عن سفك دم خصمه إن استطاع . فان من الناس من يبذل المال الكثير لأجل الإيقاع بعدوه . وفي الآية من براعة العبارة وبلاغة القول ما يذهب باستبشاع إزهاق الروح في العقوبة ، ويوطن النفس على قبول حكم المساواة ، إذ لم يُسَمِّ العقوبة قتلا أو إعداما بل سماها مساواة بين الناس تنطوى على حياة سعيدة لهم) .

حتى أن هذه الآية قد شغلت كثيرا من علماء التفسير والبلاغة يستخرجون منها وجوه البلاغة ويستنبطون منها مواطن البراعة .. فلله جل وعز حكمة بالغة في تشريع هذه الحدود يكشف عن جزء منها قول الله تعالى : (**ولكم في القصاص حياة ..**) .

○ **حد الزنا والقذف** :

شرع الاسلام للزاني الرجم اذا كان محصنا ، والجلد مائة جلدة والتغريب لغير المحصن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فيما رواه عبادة بن الصامت رضى الله عنه : (**خذوا عنى قد جعل الله لهن سبيلا ، البكر بالبكر جلد مائة ونفى سنة ، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم**) رواه مسلم وأبو داود وقال سبحانه : (**الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين**) سورة النور / ٢ .

وقال صلى الله عليه وسلم : (لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا باحدى ثلاث : الثيب الزاني ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة) رواه البخاري ومسلم .

كما حد للقاذف ثمانين جلدة كما بينت ذلك آية النور (**والذين يرمون**

المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ..) سورة النور / ٤ .

○ حد السرقة :

شرع في السرقة قطع اليد كما بين المولى في سورة المائدة قال تعالى (**والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم**) المائدة / ٣٨ .

ولقد طبق النبي صلى الله عليه وسلم حَدَّ القطع على المخزومية التي سرقت في عهده ووبخ من أراد الشفاعة لها . وقال لاسامة :

(لا أراك تشفع في حد من حدود الله عز وجل) وهذا في الحدود عامة ثم قام وخطب فقال : (إنما هلك من كان قبلكم بأنه إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف قطعوه . والذي نفسي بيده لو كانت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها) فقطع يد المخزومية . رواه أحمد ومسلم .

وهذا درس عظيم لقَّنه النبي الهادي لأمته على مَرِّ العصور وتوالى القرون حتى لا يفت فيهم الضعف وحتى تصان الحرمات وحتى لا يفرق بين الرفيع والوضيع فالكل أمام الحق سواء مادام قد اتبع هواه وانحرف عن الصواب ولأجل هذا ترنو أقطار المسلمين في شتى بقاع الأرض ليوم يشهد تطبيق حدود الله وإنه ليوم مشهود يوم تستجيب الحكومات لرغبات شعوبها المسلمة فتطبق عليهم هذه القوانين لينعموا في ظلها بالأمن العام .

وهناك جريمة أخرى .. أو نوع آخر من السرقة يسمى السرقة بالإكراه أو قطع الطريق أو الحرابة كما يسميها الفقهاء ، وشدد الله في عقوبة مرتكبي هذا الصنف من الجرائم فقال سبحانه وتعالى : (**إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وارجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم**) المائدة / ٣٣ .

إنهم يخرجون على المارة جهارا ونهارا . ويسلبون أموالهم وأرواحهم . بالقوة والقهر . يفعلون ذلك أفراداً أو جماعات بسلاح ومن غير سلاح . والآية بينت أن عقابهم . أن يقتلوا ، أو يصلبوا . إذا أخذوا المال وقتلوا ، ويقتلون بلا صلب إذا قتلوا ولم يأخذوا المال ، وتقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف إذا أخذوا المال ولم يقتلوا ، وينفوا من الأرض إذا أخافوا السبيل فقط فلم يقتلوا ولم يأخذوا مالا . ونلحظ أن الله شدد في العقاب لفداحة الجرم .

وفي هذا ما يروع كل من فكر في ترويع المارة والسطو عليهم بالمباغتة والقوة قال تفسير الوسيط : « وإنما بولغ في جزاء قاطع الطريق لأنهم يسدون سبيل الكسب والتجارة على الناس ، ويلزمونهم البيوت ويروعونهم في مأمنهم ، ولذا

شرع لهم أشد العقاب قطعا لدابرهم » ـ ١٠١هـ .
وفي الآية دليل على أن الله يجمع لأمثال أولئك بين عقاب الدنيا وعقاب الآخرة : (**لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم**) لهم خزي في الدنيا حين تطبق عليهم هذه الحدود ولن يحول ذلك دون عقابهم الأخروي ، إلا إذا تابوا توبة نصوحا . وأول شرط لخلوص التوبة : الإقلاع عن الذنب فلا يعود إليه ثانية .. أي حين يأمن المجتمع شره .
وفي هذا التشريع رحمة بالمجرم نفسه . ليبعد عن إجرامه الذي يؤول به إلى النار وبئس القرار . يقول د . عبدالكريم زيدان :
وتشريع العقاب الدنيوي في الشريعة من مظاهر رحمة الله بعباده . لأنه يزجر الانسان عن ارتكاب الجرائم فيتخلص من الإثم . وإذا وقع فالعقوبة في حقه بمنزلة الكي بالنسبة للمريض المحتاج إليه ، وبمنزلة قطع العضو المتآكل حيث فيه مصلحة البقاء لحياته ..
هذا عدا الفائدة الأهم والمصلحة الكبرى وهى اطمئنان الناس على ما يمتلكونه .. أي الأمن الاجتماعي .
وبعد ذلك نسمع من يعترض على تلك القوانين ويرميها بعلل واهية بحجة انها تهدر آدمية الشخص ، وتتدخل في الحرية الشخصية ، وتتصف بالقسوة وغير ذلك من الافتراءات الباطلة . وحسبنا ما نعلمه عن انهيار الأخلاق في الغرب دليلا على فساد القوانين الوضعية وعدم ملاءمتها لصلاح البشرية .
ولقد أجري استطلاع للرأي في مصر لمعرفة آراء الناس في تطبيق القوانين الشرعية . فكانت النتيجة أن طالب ٩٦٪ من الشعب بتطبيق هذه الحدود .[١]
وذلك يعكس مدى تعطش هؤلاء لحماية أمنهم وصيانة أعراضهم . حيث تتكفل تلك القوانين بتوفير أهم عنصر وأكبر مقوم من مقومات المجتمع الاسلامي (الأمن الاجتماعي) .
والجميع يرنو بنظره وعقله إلى أسعد يوم ، يوم يطبق شرع الله على الشريف والوضيع ، على الجميع متساوين ، أمام قانون السماء ساعتها سينجح المجتمع المسلم في جذب الأنظار إليه يوم تندر الجريمة في أوساطنا ويومها نرفع رءوسنا ونطالب الغرب وندعوه للاسلام ونباهي بحفظ الأمن الاجتماعي في ظلال قوانين السماء لا قوانين الأرض ، التي أعلنت بفشلها ونرفع جهيرتنا صائحين :
هلموا إلى الاسلام وسيكون لصوتنا دوي هائل ، حين نحمل بين أيدينا برهان الواقع .
ونسأل الله أن يوفق ولاة الأمر للأخذ بهذه القوانين ، لينعم العالم في ظلالها بالأمن العام . ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ...
والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

(١) اخبار اليوم في ١٩٨٢/١١/٢٧ .

الرفق

بالحيوان في ضوء الشريعة الاسلامية

للاستاذ/راتب السعود

قبل أربعة عشر قرنا من الزمان بزغ على البشرية نور دين جديد ، حمل لواءه محمد بن عبد الله عليه اشرف الصلوات وأتم التسليم . وحيث انه الدين الختامي ، وانه جاء للناس كافة من عند خالقهم وكاشف أسرارهم ومكنونات حياتهم ، فقد جاء ليضع لهم منهجا كاملا للحياة ، يحدد لهم من خلاله كيفية التعامل مع الخالق من جهة ، ومع المخلوقات من جهة أخرى .

والمخلوقات المحسوسة للانسان

تندرج تحت فئات ثلاث هي :

(١) **الانسان** :

وقد حددت الشريعة الاسلامية للمسلم كيف يتعامل مع هذا الانسان سواء أكان مسلما مثله أم غير ذلك .

(٢) **الحيوان** :

وقد أوضحت الشريعة أيضا أسس التعامل مع هذا الحيوان ، وهذا ما سيتضح من خلال هذه المقالة ان شاء الله .

(٣) **الجمادات** :

ومختلف مظاهر الطبيعة الأخرى كالنباتات والبحار والجبال والنار والكواكب وما الى ذلك . وقد بينت الشريعة السمحة ان الله سبحانه وتعالى خلقها جميعا وسخرها لنفع الانسان الذي استخلفه في الأرض ، وحدد له أن ينتفع بها ويتخذها وسيلة لغاية اسمى وأعظم ، وهي عبادة الخالق وحذرته من مغبة اتخاذها الها وعبادتها ، كما كان يفعل أهل الجاهلية من قبل .

مكانة الحيوان في القرآن :

تجدر الاشارة في البداية ، الى أن الحيوانات أمم تشبه الناس ، فقد قال جل وعلا في محكم التنزيل : (**وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلاَّ أمم أمثالكم**) ٣٨/الأنعام .

وأمم الحيوانات هذه تقوم بعبادة الله ، وتسبح بحمده ، كما قال عز وجل : (**ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والأرض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه**) ٤١/النور ، وهي لا تسجد لغير الله خالقها ، وتندد بكفر الانسان لربه ، من ذلك مخاطبة الهدهد لسليمان منتقدا كفر أهل سبأ وعدم سجودهم لله وسجودهم لما خلق الله ، فيقول : (**وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون . ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون . الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم**) ٢٤ـ٢٦/النمل .

ولهذه الأسباب وغيرها ، فقد شرَّف رب العزة هذه الحيوانات باطلاق اسماء بعضها على سور القرآن الكريم ، كان منها الطويل ، كالبقرة والانعام والنحل ، والوسيط كالنمل والعنكبوت ، والقصير كالعاديات والفيل ، ولم يكن من باب الصدفة أبدا أن يرد في القرآن الكريم أسماء تسع وتسعين نوعا من الحيوانات التي لم تنقرض بعد ، بل ما زالت أجيالها باقية حتى يومنا هذا .

أهمية الحيوان في حياة الانسان :

للحيوان في حياة الانسان أهمية عظمى تتجلى فيما يلي :

١ـ الحيوانات مجال رحب للتفكير في عظمة الخالق وقدرته ، حيث أن منها الكبير كالابل والصغير الذي لا يكاد يرى الا بالمجهر كالجراثيم والميكروبات ، وهي أنواع كثيرة تختلف عن بعضها في الشكل واللون والتكاثر وطبيعة العيش ، قال تعالى : **(أفلا ينظرون إلى الابل كيف خلقت)** ١٧/ الغاشية .

٢ـ الحيوانات مصدر أساسي لغذاء الانسان ، قال تعالى : **(والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون)** ٥/ النحل . وكذلك فيها دواء لأمراض الانسان ، قال تعالى : **(يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس)** ٦٩/ النحل . ويستفيد الانسان منها باتخاذها ركوبة وزينة ومصدر كساء ، قال تعالى : **(والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة)** ٨/ النحل .

٣ـ والحيوان كان معلما للانسان الأول ، كالغراب الذي أرسله الله ليعلم ابن آدم كيف يوارى سوأة أخيه ، حيث قال تعالى : **(فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يوارى سوأة أخيه قال يا ويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي فأصبح من النادمين)** ٣١/ المائدة .

٤ـ ولم يقف تعليم الحيوان للانسان عند هذا الحد ، إنما تجاوز ذلك ليعلمه السعي على الرزق كالطيور التي تغدو خماصا وتروح بطانا ، والصبر على العمل كالنحل والابل ، وبناء المنازل وهندستها كما تفعل الطيور ، وادخار القوت والنظام كما يفعل النمل ، والنظافة واخفاء الفضلات كما تفعل القطط ، وغير ذلك الكثير .

٥ـ ويرتبط بموضوع التعلم من الحيوان ، ان الانسان أخذ يقلد الحيوانات في طيرانها مستفيدا من شكل جسمها الانسيابي وأجنحتها المزودة بالريش وعظامها المجوفة وأكياس الهواء بين أحشائها ، كل ذلك درسه الانسان وسخره لصناعة الطائرات التي تفيده كثيرا بعد ما جرب الطيران بنفسه فلم يفلح . وفي مجال الحيوانات المائية والبرمائية نجد أن الانسان استفاد منها كثيرا في صناعة السفن والمراكب الشراعية .

هذا غيض من فيض ، حيث أن المجال لا يتسع هنا لسرد الفوائد العديدة التي تقدمها مملكة الحيوان للانسان ، انما المراد توضيح الأهمية العظمى لهذا النوع من المخلوقات للانسان .

حق الحيوان في الرحمة :

لمّا كانت الحيوانات مخلوقات ، أوجدها الله لتقدم للإنسان ذلك الخير الكثير والنفع الوفير ، وتقوم بعبادة ربها ، وتقف عاجزة عن الدفاع عن نفسها ، وطلب حاجاتها ، فقد جاءت الشريعة السمحة قبل أربعة عشر قرنا تأمر بالرفق بهذه الحيوانات ، وتوجب احترامها ـ مع الاعتذار لانسان القرن العشرين ـ وفي حين أن الانسان نفسه لم يلق مثل هذا الاحترام أو الرفق حتى في هذا القرن

الذي يمثل قمة القرون من حيث التقدم العلمي والتفوق التكنولوجي ، لا بل ان الانسان لم يجرب مع الحيوانات مثلما جربه مع أخيه الانسان من قنابل عنقودية أو غازات هيدروجينية .

من مبادىء الرفق بالحيوان :

بعد أن قررت الشريعة الاسلامية أن عالم الحيوان كعالم الانسان له خصائصه وطبائعه وشعوره ، وأن الحيوانات أمم أمثالنا مضت في تشريع الرحمة بالحيوان مثل :

١ـ تحريم حبسه ، فقد قال عليه الصلاة والسلام : (دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض) أخرجه البخاري ومسلم .

٢ـ تحريم المكث طويلا على ظهره وهو واقف فقد قال عليه الصلاة والسلام : (لا تتخذوا ظهور دوابكم كراسي) رواه احمد والحاكم .

٣ـ تحريم اجاعته وتعريضه للضعف والهزال . فقد مر عليه الصلاة والسلام ببعير قد لصق ظهره ببطنه فقال : (اتقوا الله في هذه البهائم المعجمة ، فاركبوها صالحة وكلوها صالحة) رواه أبو داود وابن خزيمة .

٤ ـ تحريم ارهاقه في العمل فوق ما يتحمل . فقد دخل رسول الله بستانا لرجل من الأنصار فاذا فيه جمل ، فلما رأى النبي حنَّ وذرفت عيناه ، فأتاه رسول الله فمسح دموعه ، ثم قال : (من صاحب هذا الجمل ؟ فقال صاحبه : أنا يا رسول الله ، فقال له عليه الصلاة والسلام : أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها ، فانه شكا اليَّ أنك تجيعه وتدئبه) رواه أحمد وأبو داود .

٥ ـ تحريم التلهي به في الصيد ، فقد قال عليه الصلاة والسلام : « من قتل عصفورا عبثا جاء يوم القيامة وله صراخ تحت العرش يقول رب سل هذا : فيم قتلني من غير منفعة رواه احمد

٦ ـ تحريم اتخاذه هدفا لتعليم الاصابة ، فقد : (لعن رسول الله من اتخذ شيئا فيه الروح غرضا) رواه البخاري ومسلم . أي هدفا لتعليم الاصابة .

٧ـ النهي عن وسم الحيوانات في وجوهها بالكي والنار ، أي كيها لتعرف من بين الحيوانات الأخرى ، فقد : (مر رسول الله عليه الصلاة والسلام على حمار قد وسم في وجهه فقال : لعن الله الذي وسمه) رواه الطبراني .

٨ ـ الأمر بإحسان الذبح ، فاذا كان الحيوان مما يؤكل لحمه ، فان الرحمة به مطلوبة إن أريد ذبحه ، وان تحد الشفرة ، ويسقى الماء ، ويراح بعد الذبح قبل السلخ ، فقد قال الرسول عليه الصلاة والسلام : (إن الله كتب الاحسان على كل شيء ، فاذا قتلتم فاحسنوا القتلة ، واذا ذبحتم فاحسنوا الذبحة ، وليحد احدكم شفرته وليرح ذبيحته) رواه مسلم وأبو داود ومالك والترمذي .

٩ ـ تحريم حرق الحيوان حيا . فقد : (ورد عن الرسول عليه الصلاة والسلام انه رأى قرية نمل قد احرقها

مجموعة من الصحابة ، فقال لهم : من أحرق هذه ؟ فقالوا نحن ، قال : انه لا ينبغي أن يعذب بالنار الا الله) أخرجه أبو داود

١٠ ـ ولعل من مباديء الرفق بالحيوان كما أقرتها الشريعة السمحة النهي عن التقاط صغار الحيوانات من أمهاتها . قال عبدالله إبن مسعود : (كنا مع رسول الله في سفر ، فرأينا حمرة (طير يشبه العصفور) معها فرخان لها ، فأخذناهما ، فجاءت الحمرة تفرش (ترفرف بجناحيها فلما جاء رسول الله قال : من فجع هذه بولدها ؟ ردوا ولدها اليها) أخرجه أبو داود

ليس خيالا :

ولعل هذه المبادىء ، تبدو ضربا من الخيال ، ولكن الواقع التطبيقي لهذه المبادىء ينفي عنها مثل هذه الصفة ، وإحالتها الى حقائق ملموسة ، وقد تمثل تطبيق هذه المباديء من قبل الدولة الاسلامية والمؤسسات الاجتماعية على السواء .

أولا : الدولة الاسلامية :

وقد تمثلت عناية الدولة الاسلامية بهذه المباديء بأن خلفاءنا كانوا يصدرون البلاغات العامة للشعب يوصونهم فيها بالرفق بالحيوان ، ومنع الأذى عنه والاضرار به . فقد أذاع عمر بن عبد العزيز في إحدى رسائله الى الولاة أن ينهوا الناس عن ركض الفرس في غير حق ، وكتب الى صاحب السكك : (وهي وظيفة تشبه ادارة السير والمرور) أن لا يسمحوا لأحد بإلجام دابته بلجام ثقيل أو أن ينخسها بمقرعة في أسفلها حديدة .

وكان من وظيفة المحتسب (الشرطي) أن يمنع تحميل الدواب فوق ما تطيق ، أو تعذيبها وضربها أثناء السير ، ولديه الصلاحية في تأديب ومعاقبة من يراه يفعل ذلك .

ثانيا : المؤسسات الاجتماعية :

وقد كان للحيوان منها نصيب كبير ، وكما يرى الدكتور مصطفى السباعي فقد كان من ضمن الأوقاف القديمة أوقاف خاصة لتطبيب الحيوانات المريضة وأوقاف لرعي الحيوانات المسنة العاجزة ، ومنها على سبيل المثال أرض المرج الأخضر في دمشق حاليا ، فانها وقف للخيول العاجزة التي يأبى أصحابها أن ينفقوا عليها لعدم الانتفاع بها ، فترعى في هذه الأرض حتى تموت .

وعلى الصعيد الفردي فقد كان المسلمون يترجمون مباديء الشريعة الاسلامية في مجال الرفق بالحيوان الى وقائع محسوسة ، فهذا أمير المؤمنين عمر ، يقول لرجل رآه يسحب شاة من رجلها ليذبحها : ويلك قدها الى الموت قودا جميلا . وهذا أبو الدرداء الصحابي الجليل يقول لبعيره عند الموت : أيها البعير لا تخاصمني الى ربك فاني لم أكن أحملك فوق طاقتك . وكان عدى بن حاتم يفت الخبز للنمل ويقول : إنهن جارات لنا ولهن علينا حق .

موقف الأمم الأخرى من الحيوان :

لعل التعرض لموقف الأمم الأخرى تجاه الحيوان ، ومعرفة كيف كان يعامل الحيوان في العصور القديمة والوسطى وحتى في العصور الحديثة عند الأمم التي تدين بغير الاسلام ، يوضح لنا سمو الحضارة الاسلامية وعلو الشريعة الوحدانية في كافة المجالات عامة ، وفي مجالي الرفق بالحيوان والرحمة له بشكل خاص . وأول ما يلفت النظر في ذلك أننا لا نجد من قريب أو بعيد في تعاليم تلك الأمم ما يدعو إلى الرفق بالحيوان ووجوب الرحمة به ، ومن ثم فلا نجد له حقوقا على صاحبه من نفقة ورعاية . وأغرب من هذا أن الحيوان كان يعامل في المسؤولية كمعاملة الانسان العاقل المفكر ، فقد كان الحيوان يحاكم كما يحاكم الانسان ، ويحكم عليه بالسجن والتشريد والاعدام ، كما يحكم على الانسان الجاني تماما . فكيف كان الحال عند كل أمة .

قدماء اليونان :

يقول افلاطون في كتابه القانون انه اذا قتل حيوان انسانا كان لأسرة القتيل الحق في إقامة دعوى على الحيوان أمام القضاء ، ويختار أولياء الدم القضاة من المزارعين وفي حال ثبوت الجريمة على الحيوان يجب قتله قصاصا ، والقاء جثته خارج البلاد ، ويستثنى من ذلك القتل الناشيء عن مبارزة بين الانسان والحيوان في مسرح الألعاب العمومية ، ويعتبر الحيوان مسؤولا كذلك في الجنايات التي دون القتل ، فاذا عض كلب انسانا وجب على صاحب الكلب أن يسلم كلبه الى المجني عليه مكموما ومقيدا يثأر لنفسه منه كما يشاء بالقتل أو التعذيب أو غيرهما .

قدماء الرومان :

وتنص شرائعهم في بعض موادها على عقوبة الاعدام على الثور وصاحبه اذا تجاوز الثور اثناء الحرث الحد الفاصل بين الحقل المحروث والحقل المجاور له ، كما وأن الكلب الذي يعض انسانا يعاقب بوجوب التخلي عنه للمعضوض ، كي يتصرف فيه كما يشاء .

قدماء الفرس :

ولعل الأمر عندهم أعجب ، ذلك أن الكلب اذا عض إنسانا فجرحه أو عض خروفا فقتله ، يعاقب بقطع اذنه اليمنى ، فان تكرر ذلك منه قطعت اذنه اليسرى ، وفي المرة الثالثة تقطع رجله اليمنى ، وفي الرابعة تقطع رجله اليسرى ، وفي الخامسة يقطع ذنبه وفي السادسة تطبق عليه عقوبة الاعدام .

اليهود :

وقد تضمنت شرائعهم أنه إذا نطح ثور رجلا أو امرأة فتسبب بالوفاة ، وجب رجم الثور ، وحرم أكل لحمه . هذا إذا لم يكن من عادة الثور النطح ،

أما إذا كان ذلك من عادته ، وأنذر الناس صاحبه فلم يشدد الرقابة عليه حتى تسبب في هلاك رجل أو امرأة ، كان جزاء الثور الرجم وجزاء صاحبه الاعدام .

الأمم الأوروبية :

وكذلك الحال عند الأمم الأوروبية في العصور الوسطى ، فقد أخذت فرنسا في القرن الثالث عشر بمبدأ مسؤولية الحيوان ومعاقبته بجرمه أمام محكمة منظمة بنفس الطرق القانونية التي يحاكم فيها الانسان ، وقد أخذت بنفس المبدأ كل من ألمانيا وإيطاليا وهولندا والسويد وبلجيكا . ومن أطرف المحاكمات الشهيرة للحيوانات عند الأوروبيين في القرون الوسطى ، محاكمة الفئران في بلدة أوتون بفرنسا في القرن الخامس عشر . فقد اتهمت الفئران في هذه القرية بالتجمهر في الشوارع بشكل مزعج مقلق للراحة ، وتقدم للدفاع عنها محام فرنسي يدعى (شاسانيه) وطالب المحكمة بالتأجيل لأن الفئران لم تتمكن من الحضور ، حيث فيها المريض والرضيع والعجوز ، وهي تستعد للمثول أمام هيئة المحكمة الموقرة اذا منحت فرصة التأجيل ، فوافقت المحكمة ، ولما حان الموعد الجديد لم تحضر الفئران ، فقال محامي الدفاع للمحكمة : إن الفئران تريد الحضور للمحكمة ولكنها يا حضرات القضاة تخاف من وقوع الأذى عليها من القطط إن هى جاءت الى هنا . فرد رئيس المحكمة قائلا : إن من واجبنا تأمين حياة المتهمين ، فطلب المحامي أن تأمر المحكمة بحبس قطط البلد كلها قبل مرور موكب الفئران في الشوارع لتكون مطمئنة على حياتها ، فوافقت المحكمة على هذا الطلب لعدالته وأصدرت أمرا بمنع القطط من المرور في الشوارع تأمينا للفئران أثناء حضورها الى قاعة المحكمة . ولكن أهل القرية رفضوا تنفيذ ذلك ، مما حدا بالمحكمة أن تحكم للفئران بالبراءة لأنها حرمت وسائل الدفاع المشروعة ، وقد نال المحامي (شاسانيه) بسبب هذه القضية شهرة ذائعة .

ومن المحاكمات الطريفة في القرون الوسطى ، محاكمة الديك الذي باض ، والتي تمت في مدينة بال بسويسرا عام ١٤٧٤م حيث أن ذلك يعتبر جريمة ، اذ كان من المعروف عندهم أن السحرة يبحثون عن بيضة الديك ليستخدموها في سحرهم ، وقدم الديك للمحاكمة ، ودافع محاميه عنه بحجة انه لا يكون مسؤولا عن واقعة لا حيلة له فيها ، ولكن المحكمة رفضت ذلك وأصدرت حكمها باعدام الديك ، وعللت ذلك بقولها : ليكون في ذلك عبرة لغيره من الديكة .

وهكذا يتبين لنا جليا الموقف الانساني الكريم الذي وقفته الحضارة الاسلامية تجاه الحيوان ، ذلك الموقف الذي يأمر بالرفق بالحيوان والرحمة به ، رحمة تلفت النظر وتدعو الى العجب والدهشة ، وهذا الموقف لم نجد له مثيلا في ظل أية حضارة إنسانية قبل الحضارة الاسلامية ولا بعدها حتى اليوم .

الملائكة

إن إنسانا ذا قلب سليم لتفيض عينه إذا تدبر الكون في خلاء ؛ لأنه يوقن – وقد تجرد من مؤثرات الدنيا المادية – أن لهذا الكون العظيم خالقا عظيما ، ليس كمثله شيء ، وأن وراء هذه الدنيا ، التي يعايشها بحواسه عالما آخر يغيب عن الحواس .. وهل العالم الذي تهيم فيه روح الانسان بعد زوال الاحساس بتمامه عند النوم الا دليل على وجود ذلك العالم الآخر ، عالم الغيب ؟ ألم ير الانسان في الآفاق في رحلات الفضاء من المشاهد ما جعله يؤكد أن هناك حياة فوق سطح الأجرام السماوية ؟ يقول تعالى : **(ومن آياته خلق السموات والأرض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم إذا يشاء قدير)** الشورى / ٢٩ .. أليس عالم الجن – المحجوب عنا والذي يتحدث الناس عنه في كل جيل جزءا من عالم الغيب ؟ يقول تعالى : **(قل أوحي إلى أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا)** الجن / ١ ..

من أجل هذا لا يجوز لأي إنسان أن يعجب أو يرفض معتمدا على تفكير مادي محض إذا وجد القرآن الكريم يقرر أن الايمان بالغيب من سمات الانسان النقي التقي الذي يؤمن بالله حق الايمان ، وأن الملائكة من

في عالم الغيب

للأستاذ / محفوظ أمين غريب

خلق الله في عالم الغيب .. يقول الله تعالى : (**ألم .ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين. الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون**) البقرة / ١ ـ ٣ ..

ويقول تعالى : (**آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير**) . **البقرة / ٢٨٥** ..

وطبيعة الملائكة طبيعة نورانية ، لا أثر فيها للمادية التي تدعو إلى الارتداد بصاحبها إلى أسفل سافلين ؛ فالملائكة خلقوا من نور ، وهم غير طبيعة الانسان ، ومن غير طبيعة الجان .. يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار » .

رواه أحمد ومسلم .

ومن أجل هذا فإن طبيعة الملائكة ليس فيها اتجاه الى الفساد والمعصية كما هو الحال عند الانسان ، فيحمل على الفساد بطبيعته الأرضية .. يقول الله تعالى (.. لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) التحريم / ٦ ..

ومن أجل هذا التباين بين طبيعة الملائكة وطبيعة الانسان سأل الملائكة خالقهم العظيم ـ من قبيل التعلم لا الاعتراض ـ عن حكمة تفضيل الله الانسان عليهم في إسناد خلافة الله في الأرض الى الانسان ، وهم دائبون في طاعته سبحانه متفانون في عبادته .. يقول الله تعالى : (**وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك** ..) البقرة / ٣٠ .

ولقد صبغت هذه النورانية في طبيعة الملائكة وظائفهم التي غلب عليها حب الخير للانسان ، فيثبت لنا حين نستعرض وظائف الملائكة أنهم ـ بهذه النورانية ميسرون لما خلقوا له .

وأهم الوظائف السامية التي حمل أمانتها الملائكة من أجل سعادة الانسان إبلاغ الوحي إلى الرسل لاخراج الناس من ظلمات الباطل والجهل إلى نور الحق واليقين .. **يقول الله تعالى** : (**ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون**) النحل / ٢ .

ومن تلك الوظائف السامية أن الملائكة يسألون ربهم المغفرة لبني آدم ، والتجاوز عن سيئاتهم ،، مما يدل على حبهم للانسان وحنوهم عليه .. يقول الله تعالى (.... **والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض ألا إن الله هو الغفور الرحيم**)الشورى / ٥

ومن وظائف الملائكة أيضا أنهم يتولون العناية بشئون المؤمنين والصالحين من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم ويلتمسون لهم الغفران والرحمة من لدن الله تعالى .. يقول الله تعالى : (**الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شىء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم . ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم . وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم**) غافر / ٧ ـ ٩ ..

ومن وظائف الملائكة الدالة أيضا على تلك النورانية في علاقتهم ببني آدم أن الملائكة تتنزل في وقت الشدة على المؤمنين لنصرتهم وتأييدهم في مواجهة أعدائهم ، كما تتنزل عليهم لتزيل عن صدورهم المخاوف التي تعتريهم والأحزان التي تلم بهم في دنياهم وتبشرهم بالجنة التي وعدوا بها .. يقول الله تعالى : (**إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقى في قلوب الذين**

كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان) الأنفال / ١٢ .. ويقول تعالى : (**إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون . نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة** ....) فصلت / ٣٠ ـ ٣١ ...

ولقد قيضت عناية الله حفظة من الملائكة موكلين بحماية بني آدم ، كما يسجلون أقوالهم وأعمالهم فور تلقيها عنهم .. يقول تعالى : (**إن كل نفس لما عليها حافظ**) الطارق / ٤ .. (**وإن عليكم لحافظين . كراما كاتبين . يعلمون ما تفعلون**) الانفطار / ١٠ ـ ١٢ .. (**اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد . ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد**) ق / ١٧ ـ ١٨ .

واذا كان الموت أشد كرب الدنيا على الانسان فان الملائكة موكلة بأن تحضر الانسان عند خروج الروح فترفق كل الرفق في إخراج أرواح المؤمنين إذ يتهادون في سحبها كما يسحب الانسان الدلو من البئر ويسبحون في إخراجها سبح الغواص الذي يخرج الشيء من أعماق البحر ، ولكنهم ينزعون أرواح الكافرين إغراقا في النزع ، فيسبقون بأرواح الكافرين إلى النار وبأرواح المؤمنين الى الجنة ، فيدبرون أمر عقابها وثوابها .. يقول تعالى : (**والنازعات غرقا . والناشطات نشطا . والسابحات سبحا . فالسابقات سبقا . فالمدبرات أمرا**) النازعات/ ١ ـ ٥

ولسوف تقوم الملائكة يوم القيامة بوظيفة نورانية أخرى فيها إحقاق الحق وإزهاق الباطل وتنزيه خالقنا العظيم عن أن يشرك به أحد في العبادة تلك الوظيفة هي تكذيب الملائكة لأهل الباطل الذين عبدوا الملائكة من دون الله تعالى ، كما يعلن الملائكة التبرؤ منهم .. يقول تعالى : (**ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون . قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون**) سبأ / ٤٠ ـ ٤١ .

هكذا نرى الملائكة ـ في عالم الغيب ـ خلقا كريما من خلق الله ، لهم وظائف سامية تجعلهم قوة خيرة في الكون وجندا للحق واليقين ، وتقيم بينهم وبين بني البشر علاقة معنوية وثيقة طابعها الود والرحمة ، فهي علاقة الايمان الخالص والخير والنقاء ، الأمر الذي يجعل الملائكة أمناء بحق على الانسان في كل أموره وأحواله .

ومن أجل هذا كان حقا على الانسان أن يقدر الملائكة حق قدرهم فيؤمن بهم ؛ لأن الايمان بهم تصديق لايمانه بخالقه وبرهان على صفاء نفسه وثبوت برها وسموها إلى آفاق الكمال .. يقول تعالى : (**ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين** ....) البقرة / ١٧٧ .

عمرو بن العاص

زعم أبو الفرج العبري وهو مؤرخ نصراني ، أن العرب المسلمين بعد فتحهم لمصر بقيادة عمرو بن العاص قاموا باحراق مكتبة الاسكندرية التي كانت قائمة في دار العلم وذلك باشارة من الخليفة عمر بن الخطاب .

وقد شايع هذا الاتجاه جورجي زيدان المؤسس لدار الهلال في مصر في نهاية القرن التاسع عشر ، في كتابه « تاريخ التمدن الاسلامي » وذلك قوله « إن المسلمين كانوا يرون القرآن الكريم صفوة العلوم والمعارف ولم يجدوا حاجة لسواه » . وهو استنتاج منه خاطىء ولا يتفق مع ما يتصف به العرب والمسلمون من حب للعلم والمعرفة .

ولا يخفى أن هذا الاتهام الموجه الى عمرو بن العاص يصيب أيضا الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

الباحثون المسلمون يسخرون من هذا الاتهام :

ويسخر الباحثون المسلمون من رواية ابن العبرى وبخاصة أن بها عناصر كذبها فهو يقول ضمن ما يقول في معرض هذا الاتهام « فشرع عمرو في تفريقها على حمامات الاسكندرية وإحراقها في مواقدها ، فاستنفدت في مدة ستة أشهر » .

ويرى هؤلاء الباحثون أن الخليفة عمر بن الخطاب لو طلب من عمرو إحراق تلك الكتب لما كان له أن يفرقها على الأفران لأن أصحاب الأفران كانوا يستطيعون

هل قام حقيقة بإحراق مكتبة الإسكندرية

للمستشار / محمد عزت الطهطاوي

بيعها أو الاحتفاظ بها ، ثم إنها كانت مكتوبة على (الكاغد) وهى مادة لا تصلح للاحتراق وكيف يتصور أن تبقى ستة أشهر مع أن حمامات الاسكندرية كانت حوالي أربعة آلاف حمام .

المؤرخون الغربيون يرفضون هذا الاتهام :

لقد ناقش هؤلاء المؤرخون هذا الاتهام ورفضوه ، ويذكرون أن أول من تحدث عن واقعة إحراق عمرو بن العاص للمكتبة هو عبداللطيف البغدادي المتوفى سنة ٦٢٦ هجرية وكان حديثه عابرا ، ولم يذكر لكلامه سندا ولا مرجعا ، فقد كان يصف عمود السوارى والمساحة المحيطة به ثم قال عن هذه المساحة : انه كان بها الرواق الذي جلس به أرسطو وشيعته للتعليم ، وبه دار العلم التي بناها الإسكندر ، وفيها كانت خزانة الكتب التي أحرقها عمرو بن العاص بأمر من عمر ابن الخطاب رضى الله عنه .

ومن هؤلاء المؤرخين الغربيين جيبون ـ والفريد بتلر ـ وسديو ، فهم ينكرون كل الانكار أنه وقع في الاسكندرية إبان الفتح الاسلامي انتهاب أو صدور أمر بمثل هذا العمل الهمجي من قبل العرب المسلمين ، ولا يوجد أي مؤرخ عاصر فتح العرب المسلمين للاسكندرية يروي هذه الفرية عنهم .

عمرو بن العاص كان رجل إعمار لا رجل هدم و إحراق :

مما ينقض تلك الفرية التي اتهم بها عمرو بن العاص أن التاريخ يشهد لذلك القائد الفذ بأنه رجل إعمار لا رجل هدم وإحراق ، فهو الذي أسس مدينة الفسطاط وشيد بها مسجده المعروف والذي يعتبر بحق أول مسجد بنى لا في مصر وحدها بل في أفريقيا كلها ، وأعاد حفر القناة التي تصل نهر النيل بالبحر الأحمر وأطلق عليها خليج أمير المؤمنين وأنشأ مقاييس النيل في مواضع مختلفة .

وكان حسن السياسة مع نصارى المصريين فلم يصادر ممتلكات الكنيسة ، وأعاد بطريرك النصارى بنيامين من المنفى وأعطاه كتاب أمان ، ورده الى كرسيه بعد أن أقصاه عنه الرومان ، وظل مختفيا منهم فترة دامت ثلاث عشرة سنة ، وترك له عمرو بن العاص إدارة شئون الكنيسة من الناحية الادارية والدينية .

ولقد نظم عمرو بن العاص جباية الخراج ورفع الظلم الذي أوقعه الرومان على أهل البلاد ، كما أنقص مقدار الخراج الذي كان يرسله للمدينة المنورة قاعدة الخلافة الاسلامية وذلك ليستطيع إتمام ما كان يقيمه بمصر من المنشآت والمشروعات ، وجعل تحديد الخراج مشروطا بزيادة النيل وفي حالة نقصه كان يرفع عن سكان البلاد قدرا يعادل ذلك النقص .

ولقد بلغ تسامحه مع أقباط مصر النصارى حدا جعل مؤرخهم الأسقف ساويرس بن المقفع يقول في تاريخه بالحرف الواحد وبلغته « إن اهتمام عمرو بن العاص باليعاقبة الأقباط جعلهم يبنون الآمال الكبار على المستقبل وكانت الشعوب فرحة مثل العجول الصغار اذا حل رباطها وأطلقت على ألبان أمهاتها » انتهى كلام ذلك الأسقف .

ما يقوله الدكتور الفريد بتلر في كتابه الفتح العربي لمصر عن حسن معاملة المسلمين لأهل مصر :

١ ـ إن القبط نالوا في أول الفتح العربي كل ما يتصوره العقل ويبيحه من الحرية .
٢ ـ كان العرب على ما يلوح لنا أخف وطأة من الرومان في جباية الأموال إذ كان مقدار الجزية والضرائب الذي اتفقوا عليه في عهد الصلح أخف حملا على الناس وأقل إحراجا لهم .
٣ ـ ويقول الأب بنيامين بعد الفتح الاسلامي ولقائه بعمرو بن العاص « كنت في

بلدي وهو الاسكندرية فوجدت بها أمنا من الخوف ، واطمئنانا بعد البلاء ، وقد صرف الله عنا اضطهاد الكفرة وبأسهم » ويقصد بالكفرة أولئك الرومان .

٤ ـ وعن موقف الاقباط « النصارى » بعد الفتح العربي لمصر إنهم كانوا في أعظم ابتهاج بخلاصهم مما كانوا فيه فقد خر جوا من عهد ظلم وعسف تطاول بهم وهوت بهم إليه حماقة البيزنطيين ، وآل أمرهم بعد خروجهم منه الى عهد من السلام والطمأنينة « هو عهد العرب » وكانوا من قبل تحت نيرين من ظلم حكام الدنيا واضطهاد أهل الدين فأصبحوا وقد فك من قيدهم في أمور الدنيا وأرخى من عنانهم . وأما دينهم فقد صاروا فيه الى تنفس حر وأمر طليق ، وأجمع الناس على قول واحد فقالوا ما خرج الروم من الارض وانتصر عليهم المسلمون إلا لما ارتكبه هرقل من الكبائر وما أنزله بالقبط وملتهم فقد كان هذا سبب ضياع أمر الروم وفتح المسلمين لبلاد مصر .

كيف كانت الحركة الفكرية بمصر قبيل الفتح الاسلامي ؟ :

كانت مصر قبيل الفتح الاسلامي تعاني أزمة ثقافية حادة :

١ ـ فالأديرة التي كانت تمثل الثقافة أصبحت تقف موقف العداء من الفكر الاغريقي بسبب خلافاتهم في العقيدة حول طبيعة المسيح وقد أدى ذلك أن وصلت الحضارة الاغريقية الوافدة الى درجة الاحتضار والذبول في القرن السادس الميلادي .

٢ ـ وكما انصرف رهبان القبط عن الثقافة الاغريقية انصرفوا كذلك عن اللغة اليونانية واتجهوا الى إحياء اللغة القبطية .

مكانة العلم في الاسلام :

مما لا جدال فيه أن الاسلام دين العلم وأول ما نزل من القرآن الكريم قوله تعالى : (**اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم**) العلق / ١ ـ ٥ .

وفي الواقع التاريخي يتضح ان علوم اليونان وفلسفتهم لم تنقل الى أوروبا إلا بواسطة المسلمين بعد أن درسوها وأضافوا اليها ولولا علماء الاسلام وفلاسفتهم لظل الغربيون جاهلين بتلك العلوم زمنا طويلا بل ربما لم يدركوها كلية .

والحضارة الاسلامية هى التي أخرجت أوروبا من العصور المظلمة الى عتبات الحضارة والتقدم لأن كثيرا من العلوم الحديثة يعود الفضل في ابتداعه أو تطويره الى علماء المسلمين وبتشجيع من الحكام في البلاد الاسلامية خصوصا في علوم الطب والجبر والهندسة والطبيعة والكيمياء وغيرها وأوروبا ربيبة وتلميذة

للمسلمين في تلك المجالات العلمية .

فالعلم هو الذي يكشف عن أسرار الكون ويسخرها لمنفعة الانسان ويستخرج كنوز الارض ويستغلها لخير البشرية .

وبحكمة العلم تستقيم السياسة فتتجه وجهة الخير ، كما أنه بالعلم يحفظ على الصناعة قوتها ويجدد شبابها ويعمل على إنهاضها وتقدمها كما وأنه أساس التقدم في كل أوجه النشاط الزراعي والمالي والتجاري والاقتصادي ، وهو حجر الزاوية في حسن القيام عليها .

من أجل هذا كله حث القرآن الكريم على العلم ووجه النظر الى البحث في هذا الكون أرضه وسمائه جباله وأفلاكه والى غير ذلك كثير ومثاله :

قوله تعالى : (**قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون**) الزمر / ٩ .

وقوله جل شأنه : (**وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون**) العنكبوت / ٤٣ .

وقوله سبحانه : (**إنما يخشى الله من عباده العلماء**) فاطر / ٢٨ .

وقوله جلت كلماته : (**يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات**) المجادلة / ١١ .

أما في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فمثاله :

قوله : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » رواه الخطيب .

وقوله : « لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها » رواه البخاري ومسلم .

وقوله : « لان تغدو فتتعلم آية من كتاب الله خير لك من أن تصلي مائة ركعة » رواه ابن ماجة من حديث أبي ذر .

فهل يستقيم بعد ذلك الزعم بأن عمر بن الخطاب « وهو من عرفناه اسلاما وصحبة للنبي صلى الله عليه وسلم » أشار الى واليه بمصر عمرو بن العاص بإحراق مكتبة الاسكندرية ؟ إن العقل ليأبى تصديق هذا الزعم ويرفض هذا الاتهام من أساسه .

ما يقرره التاريخ عن مكتبة الاسكندرية :

من الثابت تاريخيا أن يوليوس قيصر هو الذي أحرق مكتبة الاسكندرية وكانت تدعى مكتبة البطالسة العظمى أو مكتبة البرخيوم حين غزا البلاد المصرية سنة ٤٨ قبل الميلاد وقد كانت تحتوى على ٤٠٠ ألف مجلد ـ أما المكتبة الصغرى التي نشأت بعد ذلك وكانت تدعى مكتبة السرابيوم فكانت تضم ٢٠٠ ألف مجلد ـ فقد أتلفت بأمر أصدره الامبراطور الروماني تيودورز الى بطريرك الاسكندرية المدعو تيوفيل حوالي سنة ٣٨٩ م واندثرت مكتبات الاسكندرية منذ هذا الزمن فلم يكن في الاسكندرية حين استيلاء العرب المسلمين عليها بعد ذلك بثلاثة قرون مكتبة

ذات شأن فضلا عن ذلك فان ثقات المؤرخين السابقين أمثال اليعقوبي والبلاذرى وابن عبد الحكم والطبرى والكندى ومن أخذ عنهم كابن الأثير وابن تفرى بردى والسيوطى لم يذكروا ارتكاب العرب والمسلمين لهذه الجريمة .

ومما يؤكد هذا الاتجاه قول المؤرخ أوراسيوس انه وجد رفوف المكتبة خالية من الكتب عند زيارته مدينة الاسكندرية في أوائل القرن الخامس الميلادي بعد إتلافها بنحو عشرين سنة .

وقد نقل الباحث السوري المرحوم محمد كرد علي بعض أقوال المستشرقين التي تنفى عن المسلمين هذه التهمة نفيا قاطعا فقال :

١ ـ إن افتيكوس بطريرك الاسكندرية مع توسعه في الكلام على استيلاء المسلمين على ثغر مصر لم يذكر كلمة واحدة عن حريق عمرو بن العاص لهذه المكتبة « ويدعونها الخزانة » .

٢ ـ ذكر ارفنج وكريستون وفلين وغيرهم أن ما أشيع حول حرق المكتبة ونسبة ذلك للمسلمين لم يكن له ذكر لدى الباحثين في أوروبا قبل نقل كتاب مختصر الدول الى اللاتينية ـ ومنذ ذلك الحين تمسك بعض الباحثين بهذه الفكرة وبدؤوا يهاجمون المسلمين بها . « والكتاب المذكور يشتمل على هذه الأكذوبة » .

٣ ـ ويقول فوت و أهلويلر في كتابهما : « جنايات الاوروبيين » إن الأسقف تيوفيل هو الذي أحرق مكتبة الاسكندرية لا المسلمين فالدين الإسلامي لا يبيح إحراق الكتب .

٤ ـ ويقول بونه مورى يجب أن نصحح خطأ شاع طوال القرون الوسطى وهو أن العرب أحرقوا مكتبة الاسكندرية بأمر الخليفة عمر والحال أن العرب في ذلك العصر كانوا أشد إعجابا بعلوم اليونان وفنونهم من أن يقدموا على عمل كهذا وقد أحرقت هذه المكتبة قبل ذلك بوقت طويل .

ويعلق الاستاذ محمد كرد على . على حملة أعداء الاسلام الذين روجوا الاتهام دون بحث واستقصاء بقوله « إن هؤلاء المستشرقين يتمسكون بتهمة لا أساس لها ومن ناحية أخرى تعرض أمامهم حقائق عن حرق الكاردينال اكسيبهنيس لآلاف الكتب الاسلامية المخطوطة في ساحات غرناطة ، فيها كثير من ترجمة الكتب المعول عليها عند علماء أوروبا وقد قدرها بعضهم بثمانية آلاف مجلد فيمرون على ذلك مرورا عابرا أو يحاولون تبرئة هذا الكاردينال من هذه الوصمة كما أن علماء الغرب لم يكتبوا قليلا أو كثيرا عما فعله الصليبيون بمكتبة طرابلس حين أمر سنجيل الصليبي باحراق كتب دار العلم وكان عددها أكثر من مائة ألف مجلد » .

وخلاصة القول :

إن اتهام عمرو بن العاص أو المسلمين أو العرب بحرق مكتبة الاسكندرية اتهام ظالم لا يقوم على أي أساس من الحقيقة أو الواقع .

خطة الشريعة الإسلامية

في الجزاء الأخروي :-

يحدثنا القرآن الكريم أن الله عز وجل يحصى على كل إنسان ما يعمله من خير او شر ، قال تعالى : (**فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره**) الزلزلة/ ٧ و٨ .

وجزاء الخير خير : (**للذين أحسنوا الحسنى وزيادة**) يونس/ ٢٦ ، (**من جاء بالحسنة فله خير منها**) النمل/ ٨٩ والقصص/ ٨٤ (**ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا إن الله غفور شكور**) الشورى/ ٢٣ حقا :(**هل جزاء الإحسان إلا الإحسان**) الرحمن/ ٦٠ .

وكان المفروض ان يكون جزاء الشر شراً ، غير أن الله عز وجل أسبغ رحمته على عباده ، وكان من مظاهر رحمته أنه يضاعف الحسنات بخلاف السيئات :(**من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون**) ١٦٠/الأنعام ، ثم ينعم الله على عباده فيجري مقاصة بين السيئات والحسنات :(**إن الحسنات يذهبن**

في العقاب

للدكتور/عبدالناصر توفيق العطار

السيئات) ١١٤/هود ، وكان مقتضى العدل ان يعاقب على السيئات ويجزي بالحسنات ، ولكن رحمته سبحانه سبقت غضبه فعفا عن السيئات طالما كانت الحسنات اكثر . ثم زاد الله عز وجل عباده من فضله فسمى نفسه الغفور وفتح لهم باب التوبة والغفران ، فقال سبحانه : (**قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم . وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون**) ٥٣ و٥٤/الزمر .

في الجزاء الدنيوي : -

هذا عن الجزاء الأخروي ، أما في الحياة الدنيا ، فقد قسمت الشريعة الاسلامية العقوبات إلى ثلاثة أنواع :

النوع الأول : الحدود :

وهي حد الردة للمرتد عن الاسلام فهو يستتاب وإلا قتل ، وحد الزنا وهو للمحصن الرجم بالحجارة حتى الموت، ولغير المحصن الجلد مائة جلدة ، وقد ثبت الرجم بالسنة ، وثبت الجلد بنص القرآن ، قال تعالى : (**الزانية**

والزاني فأجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين) ٢/النور. وحد السرقة: هو قطع اليد . قال تعالى : **(والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم)** ٣٨/المائدة، وحد القذف بالزنا: هو الجلد ، قال تعالى: **(والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون)** ٤/النور ، وحد شرب الخمر: هو الجلد كذلك، وبهذا جرت السنة ، وحد قطع الطريق: هو القتل أو الصلب أو قطع الأيدي والأرجل من خلاف أو النفى من الأرض ، قال جل شأنه : **(إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم)** ٣٣/المائدة .

وهدف هذه الحدود هو حماية المصالح الخمسة الأساسية في المجتمع الاسلامي ، فحد الردة شرع للمحافظة على الدين ، وحد الزنا للمحافظة على النسب ونظام الأسرة ، وحد السرقة للمحافظة على الأموال ، وحد القذف للمحافظة على الأعراض ، وحد الشرب للمحافظة على العقل . وتتسم العقوبة في هذه الحدود بالحزم والعلاج الناجع . ولا يصح أن ننظر إليها على أنها قاسية ، لأنها عقوبات توقع على المجرمين الذين اعتدوا على الأبرياء فروعوا أمنهم أو دنسوا عرضهم أو سلبوا مالهم أو أفسدوا في المجتمع إفسادا عظيما تنهار به أسسه . وبديهي أن من لا يَرحم لا يُرحم . والعقوبات البديلة في القوانين الوضعية كالحبس والغرامة لا تكفي لأنها ليست الا مسكنات للداء ولا يصح للطبيب ان يعالج الأمراض الخطيرة بالمسكنات . بل لابد من دواء ناجع فعال ، وقد يرى الطبيب انه لا مناص من استئصال العضو الفاسد في المجتمع حتى لا ينتشر فساده إلى باقي الأعضاء فيفسد الجسم كله ، وهكذا فعل الاسلام فيما شرعه الله من الحدود . ولا شك أننا في حاجة إلى مجتمع آمن فاضل أكثر من حاجتنا إلى عشرات من المجرمين الذين يعيثون في الأرض فسادا .

النوع الثاني : القصاص :-

والنوع الثاني من العقوبات الدنيوية التي شرعها الاسلام القصاص في القتل والعاهات والجروح وكذلك الضرب، على بعض الآراء . ولا شك ان القصاص العادل يقضي على جرائم الثأر ، ويحذر كل من يفكر في ارتكاب مثل هذه الجريمة من إتيانها خشية هذا القصاص ، فإذا فكر في قتل شخص خشى أن يقتل هو بعد ذلك ، وبهذا تحيا نفس القتيل وتحيا نفس القاتل وتحيا الأنفس جميعا في

المجتمع ، ولهذا قال تعالى : (**ولكم في القصـاص حياة يـاأولى الألباب لعلكم تتقون**) ١٧٩/البقرة . ومن رحمة الله عز وجل أن جعل للمجنى عليه ولولي القتيل الحق في طلب توقيع القصاص أو طلب الدية أو العفو عن الجاني ، وبالتالي جعل له السلطان والتسلط على مصير الجاني ، فشفى غيظه إن طلب القصاص أو الدية ، وفتح له الفرصة ليسمو بنفسه بالعفو عن الجاني . قال تعالى : (**ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل إنه كان منصورا**) ٣٣/الاسراء .

النوع الثالث : التعزير :

والنـوع الثالث من العقـوبـات الـدنيويـة التي شرعهـا الاسـلام عقـوبات التعـزير ، وهـي عقـوبات يحددها ولي الأمر كالحاكم أو مجلس شورى المسلمين أو القاضي لكل منكر يمكن إثباته ، وبهذا يقضي الاسلام على كل منكـر في المجتمع لتعيش الفضيلة ويسود الأمن فيه .

المساواة في المسؤولية :ـ

ولقد كان عهد الجاهلية يفرق في توقيع العقوبة بين الشريف وغـير الشريف ، فإن كان القتيل من قبيلة ذات سلطان والقاتل من قبيلة أقل شأنا ، كان لولي دم القتيل في الجاهلية أن يطلب دم رجلين من الأحرار من قبيلة الجاني إن كان القتيل رجلا حرا ، أو دم رجل حر إن كان القتيل عبدا أو امرأة ، أو يطلب الدّية،ودِيَة الشريف مائة من الإبل ، ودِيَة غيره أقل من ذلك ، وكان عرف الجاهلية يقضي بأنه إذا سرق الشريف تركوه وإذا سرق الـضعيف أقامـوا عليه الحد ، ولازالت بعض أجهزة الشرطة والنيابة الآن تحرص على التفرقة بين الناس عند مساءلتهم عما ارتكبوه من جرائم .

أما في الاسلام فالناس جميعـا سواء في مسؤوليتهم عما يقترفونه من جرائم ، لا فرق بين الشريف وغيره جانيا كان او مجنيا عليه . وفي الحديث الشريف : « وايم الله لو ان فاطمة ابنة محمد سرقت لقطعت يدها » أخرجه البخاري

وفي الاسلام لا يسأل عن المنكر غير فاعله ، سواء كان الجاني شريفا أو غيره ، قال تعالى : (**ولا تكسب كل نفس إلا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى**) ١٦٤/الانعام . كما أن الحد يُدرأ بالشبهات ، فيفسر الشك لصالح المتهم ، عملا بقوله صلى الله عليه وسلم : « ادرأوا الحدود بالشبهات » رواه ابن عدى .

الوقاية والتوبة والتسامح :ـ

ثم لا يقف الاسلام عند حد العقاب على الشر ، بل يضع من القواعد ما قد يحول دون وقوع الجريمة وفي نفس الوقت يدعو المجرم بعد وقوعهاإلى

التوبة .

فالاسلام شرع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى يقوى الايمان ولا تكون هناك ردة ، وشرع الزواج وحرم الخلوة حتى لا يكون هناك زنا ، وشرع نفقة الأقارب والزكاة وغيرها حتى لا تكون هناك سرقة ، ودعا الى الكلمة الطيبة ونهى عن الغيبة والنميمة وغيرها حتى لا يكون هناك قذف ، وغير ذلك من النظم والقواعد التي تستأصل دوافع الجريمة قبل وقوعها .

فإذا وقعت الجريمة فهناك التوبة التي تطهر النفوس مما اقترفته من إثم ، تأمل قوله تعالى : **(والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم . فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم)(والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون . إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم) . :(والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون)** ١٣٥/آل عمران .

وأخيرا دعا الاسلام إلى معاملة المذنبين بالحسنى حتى تسهل توبتهم ورجوعهم إلى الله ، وحتى تسود الفضيلة والمودة في المجتمع الاسلامي ، قال تعالى : **(ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم)** ٣٤ فصلت . وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم ضرب شاربا للخمر ، فقال بعض الحاضرين للمضروب « أخزاك الله » فقال النبي صلى الله عليه وسلم « لا تعينوا عليه الشيطان » ثم تأمل قوله تعالى:**(وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين . الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين)** ١٣٣ و١٣٤/آل عمران .

وأخيرا لا يغفل الاسلام عن التوعية الدينية ، قال تعالى : **(اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور)** ٢٠/الحديد . وقال سبحانه: **(زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب . قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد)** ١٤ و١٥/آل عمران .

مائدة القارئ

ندعو الله كما دعا أبو الأنبياء ابراهيم عليه السلام ـ كما حكى القرآن الكريم : « ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم » الآية الخامسة من سورة الممتحنة

دعاء

روى ابن عباس أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يقول اذا قام الى الصلاة من جوف الليل : « اللهم لك الحمد ، أنت نور السموات والأرض ، ولك الحمد ، أنت قيّام السموات والأرض ، ولك الحمد ، أنت رب السموات والأرض ومن فيهن ، أنت الحق ، ووعدك الحق ، وقولك الحق ، ولقاؤك حق ، والجنة حق ، والنار حق ، والساعة حق ، اللهم لك أسلمت ، وبك آمنت ، وعليك توكلت ، واليك أنبت ، وبك خاصمت ، واليك حاكمت ، فاغفر لي ما قدّمت وأخرت ، وما أسررت وأعلنت ، أنت الهي لا اله الا أنت ».

مختصر صحيح مسلم .

مثلي ومثل هؤلاء

وفد الربيع بن زياد على عمر بن الخطاب ، فأعجبته هيئته ، فشكا عمر طعاما غليظا أكله ،

فقال الربيع : يا أمير المؤمنين : إن أحق الناس بمطعم طيب ، ولباس لين ، ومركب وطيء ، لأنت .

فضرب عمر رأسه بجريدة وقال : والله ما أردت بهذا الا مقاربتي ، وإن كنت لأحسب أن فيك خيرا ، الا أخبرك بمثلي ومثل هؤلاء ، انما مثلنا كمثل قوم سافروا فدفعوا نفقاتهم الى رجل منهم ، وقالوا أنفقها علينا . فهل له أن يستأثر عليهم بشيء .

حكمة

رحم الله عبدا تكلم بخير فغنم ، أو سكت فسلم .

صلة الأرحام وضرورتها للمجتمع المسلمين

للدكتور / عبد الحي الفرماوي

١) تقديم :

صلة الأرحام ، ومودة الأقارب ، والسؤال عنهم ، ومساعدة ضعيفهم ، ومد يد العون الى محتاجهم ، ومشاركتهم أفراحهم ، ومقاسمتهم أحزانهم ، والتواصل الدائم ... بينهم ... كل ذلك مما يهدف إليه التشريع الإسلامي ، رغبة في تقوية أتباعه ، وتماسكهم ، وتناصرهم ، وتآزرهم ، في مواجهة هموم الدنيا وملمات الحياة ، أملا في سيادتهم وعلوهم في الأرض وحسن استخلافهم لله سبحانه وتعالى عليها .

وإذا تماسكت الأسرة وترابط أفرادها ، وقويت شوكتها ، وكذلك

غيرها من الأسر ، تماسك بالتالي افراد المجتمع الاسلامي جميعهم ، الذين هم في الأصل - وكما ينبغي أن يكون - أسرة واحدة (**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا**) الحجرات/ ١٣ .

وما دام البشر جميعا من أب واحد هو آدم ومن أم واحدة هي حواء ، فالكل على هذا مهما تعددت الشعوب وتباينت الجنسيات إخوة بعضهم لبعض ، وهذا هو ما ينبغي أن يكون .

ولكن لما تخالفت المشارب ، وتفارق الناس الى عصاة ومطيعين .... اقتصرت الأخوة بين من بقي على ذكرها ، وهم المطيعون لله تعالى (**إنما المؤمنون اخوة**) الحجرات/ ١٠ .

والترابط بين أفراد الأسرة الواحدة ، وكذلك الترابط بين الأسر : هو من أقرب الطرق الى تقوية جانب المؤمنين وتعزيز جانبهم بين صفوف البشر أيا كانت الجنسيات ومتى كان الزمان .

وهذا هو ما يحرص ويحث عليه التشريع الإسلامي ، ويهدف اليه .

وكذلك كانت كل الشرائع السماوية السابقة .

قال الله تعالى (**شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذي أوحينا اليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى**) الشورى/ ١٣ .

وقال تعالى (**وإذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم توليتم الا قليلا منكم وأنتم معرضون**)البقرة/ ٨٣ .

وفي السطور التالية يبين لنا مدى اهتمام المشرع بهذا الموضوع .

٢) صلة الأرحام من مكارم الأخلاق :

ولم يوص الاسلام بشيء يتنافى وفطرة الإنسان الصافية التي خلقه الله عليها ، ولم يجعل من التقوى شيئا تأباه النفوس ، ويتنافى مع كريم الاخلاق .

وصلة الأرحام وترابط الأقارب هو من مكارم الأخلاق قبل كل شيء ولن يضيع كريم الخلق أو يخذل ... ولذلك :

أقسمت أم المؤمنين خديجة لزوجها النبي صلى الله عليه وسلم بأن الله لن يخزيه أو يخذله حين أتاها خائفا يوم بدء نزول الوحي عليه ، حيث قالت له - صلى الله عليه وسلم : فيما ترويه لنا عنها أم المؤمنين عائشة - « والله ما يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق رواه البخاري .

ونرى الشاعر العربي يذم من لا يصل رحمه فيقول :

من الناس من يغشى الأباعد نفعه
ويشقى به حتى الممات أقاربه

ويذمه اخر فيقول :

وما خير مالم ينفع الأهل عيشه
وان مات لم تجزع عليه أقاربه .

٣ ـ صلة الأرحام من البر والتقوى :

في بداية حديثنا نرى الاسلام يركز على أن صلة الأرحام ، وترابط الأقارب ، من علامات التقوى وسمات المتقين ، وهو من البِّر والصدق في الايمان ، حيث يقول تعالى **(ليس البرّ أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون »** البقرة/١٧٧ .

٤) التحذير من قطيعة الأرحام :

ومن هنا : ولمنافاته لمكارم الأخلاق ، ولتصادمه مع مبادىء الاسلام ، ولإضعافه للروابط بين المسلمين .

فقد حذر الإسلام من قطيعة الرحم ، وعداء الأقارب بعضهم لبعض ،

حيث يقول سبحانه وتعالى : **(يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا)** النساء/١ أي اتقوا الله بطاعته واتقوا الارحام أن تقطعو ها ، ولكن بروها وصلوها .

وفي الحديث :

عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الرحم معلقة بالعرش تقول : من وصلني وصله الله ، ومن قطعني قطعه الله» رواه مسلم .أي من وصلني ببره وصله الله برحمته ، ومن قطعني عن بره قطعه الله عن رحمته .

وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم « ان الله خلق الخلق حتى اذا فرغ منهم .. قامت الرحم ، فقالت : هذا مقام العائذ بك من القطيعة ؟ قال : نعم أماترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك ؟ قالت : بلى ؟ قال: فذاك لك .

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اقرءوا ان شئتم (**فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم . أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم . أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها**) . سورة محمد/ ٢٢ ـ ٢٤ رواه مسلم .

وكذلك :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يدخل الجنة قاطع رحم » رواه مسلم .

ولكن :

٥) كيف تكون صلة الأرحام ؟ :

وجواب هذا السؤال مما تعدد الإجابات عنه حسب تنوع الظروف

وعادات الأسر وقدُرات الأفراد ، وهو في نفس الوقت مما يعرف كل فرد إذا أراد أن يرضى ربه باستفتاء قلبه .

ومع ذلك :

فهناك أشياء توضح الخطوط الرئيسة لمن أراد أن يصل رحمه ويرضى ربه ... منها :

أ) السؤال عنهم والاهتمام بهم والتعرف على أحوالهم وحب الخير لهم والابتهاج لفرحهم والتخفيف عنهم في متاعبهم ، ويستوى في ذلك الفقير والغني .

ومن كلام علي كرم الله وجهه : « اكرم عشيرتك فإنهم جناحك الذي به تطير ، فإنك بهم تصول وبهم تطول ، وهم العدة عند الشدة ... أكرم كريمهم ، وعد سقيمهم ، وأشركهم في أمورك ويسر عن معسرهم » [٩] .

ويقال : حق الأقارب إعظام الأصغر للأكبر وحنو الأكبر على الأصغر .

ويقال : القرابة تحتاج إلى المودة والمودة تستغني عن القرابة .

ب) مساعدتهم بشتى صنوف المساعدة إذا كانوا في حاجة إلى مساعدتك ، أياً كانت المساعدة ، مادية كانت أو معنوية .

وكان يقال : إذا كان لك قريب ، فلم تمش إليه برجلك ولم تعطه من مالك ، فقد قطعته .

جـ) بالتصدق عليهم : يقول الله تبارك وتعالى :

« في سورة النحل المكية (**إن الله يأمر بالعدل والإحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون**) النحل/ ٩٠ .

وفي سورة الاسراء المكية (**وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا * إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا * وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا**) الاسراء / ٢٦ ـ ٢٨ .

وفي سورة الروم المكية : (**فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله وأؤلئك هم المفلحون**) الروم/ ٣٨ .

وفي سورة البقرة المدنية (**يسألونك ماذا ينفقون قل ما انفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم**) البقرة/ ٢١٥ .

وفي الحديث الشريف :

عن النبي صلى الله عليه وسلم « ابدأ بنفسك فتصدق عليها ، فان فضل شيء فلأهلك ، فان فضل من أهلك شيء فلذي قرابتك فان فضل عن ذي قرابتك شيء فهكذا وهكذا »

يقول الراوي : فبين يديك وعن يمينك وعن شمالك»رواه مسلم .

وعن انس بن مالك أنه قال : كانٍ أبو طلحة أكبر أنصاري بالمدينة مالاً وكان أحب أمواله اليه بَيْرَحَى (اسم مال وموضع بالمدينة) وكانت مستقبلة المسجد وكان رسول الله صلى الله

عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب .
قال أنس : فلما نزلت هذه الاية (**لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون**) آل عمران/٩٢ قام أبو طلحة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ان الله يقول في كتابه (**لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون**) وإن أحب أموالي إلي بيرحى . وإنها صدقة لله ، أرجو برها وذخرها عند الله فضعها يارسول الله حيث شئت ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بخ !! ذلك مال رابح ... ذلك مال رابح ، قد سمعت ما قلتَ فيها ، وإنى أرى أن تجعلها في الأقربين ... فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبنى عمه / رواه البخاري ومسلم .

ويلاحظ : ـ
١ ـ أن الأمر بالتصدق على الأقارب في ماذكرنا وارد بما يفيد : التجدد والحدوث وإرادة الاستمرار ...
٢ ـ أن المشرع لم يفرق بين المحتاج من الأقارب وغير المحتاج بل أمر بالتصدق على الأقارب مطلقا .
٣ ـ أن الصدقة على الفقير صدقة ... وعلى القريب صدقتان ، قال عليه الصلاة والسلام : « « الصدقة على المسكين صدقة وهي على ذي الرحم ثنتان » رواه الترمذي .

٦) النتائج المترتبة على صلة الرحم : ـ

وإن أمرا هذا شأنه وتلك مكانته من الضروري أن تكون النتائج المترتبة على المحافظة عليه جد عظيمة ... وهي : ـ
أ) سعة الرزق وطول العمر :
« عن أنس بن مالك : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأله في أثره ، فليصل رحمه » رواه البخاري ومسلم وقال أعرابي : صلة الرحم : منسأة في العمر ، مرضاة للرب ، محبة في الأهل .
ب) ترابط المسلمين وتغلبهم على أعدائهم .
وفي الحكم يقال : الصلة بقاءوالقطيعة فناء .
ويقول الشاعر حثا على الترابط وذما للقطيعة : ـ

إذا ما أراد الله ذل قبيلة
رما هم بتشتيت الهوى والتخاذل

ومن هنا : حث الاسلام على صلة الأرحام وحذر من القطيعة بين الأقارب.وترابطهم وقوتهم من أسمَى أهداف الجماعة الاسلامية حيث يمكنهم ذلك من اعلاء كلمة الحق ونصرة دين الله ، ونشر خيره على كل الجماعة البشرية ، التي هي في الأصل من أب واحد وأم واحدة (**ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم**) الحجرات/١٣ .
جـ) دخول الجنة والنجاة من النار .
يقول الله تعالى (**ألم نجعل له عينين * ولسانا وشفتين * وهديناه النجدين * فلا اقتحم العقبة * وما أدراك ما العقبة * فك**

رقبة * أو إطعام في يوم ذي مسغبة * يتيما ذا مقربة * اومسكينا ذا متربة * ثم كان من الذين آمنوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة *أولئك أصحاب الميمنة) سورة البلد ١٨/٨ **أي الذين يؤتون كتبهم بأيمانهم - يوم القيامة ، (من أوتى كتابه بيمينه * فسوف يحاسب حسابا يسيرا * وينقلب إلى أهله مسرورا)** الانشقاق - ٧ - ٩ .

وفي الحديث الشريف :

« يقول النبي صلى الله عليه وسلم : أهل الجنة ثلاثة : ذو سلطان مقسط متصدق موفق ، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم ، وعفيف متعفف ذو عيال » رواه مسلم .

وعن أبي أيوب قال : جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : دلني على عمل أعمله يدنيني من الجنة ويباعدني من النار ، قال : « تعبد الله ولا تشرك به شيئا ، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة ، وتصل ذا رحمك » ..

فلما ادبر ... قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن تمسك بما أمر به دخل الجنة » رواه مسلم .

وقال جعفر بن محمد : صلة الرحم تهون الحساب يوم القيامة ... ثم تلا قوله تعالى **(والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب)** الرعد / ٢١ .

ومن هنا : حث الاسلام على صلة الارحام ، وحذر من القطيعة بين الأقارب .

وهي اثار لو نعلمها - نحن أصحاب الأسر المفككة والروابط الممزقة - جدّ عظيمة والوصول اليها ليس بالمستحيل علينا ، بل هي من القطوف الدانية إلينا ، لوحاولنا .. !!

٧) خاتمة :

بعد هذا البيان الواضح والتأكيد الجازم على صلة الأرحام والمودة في القربى ... !

أقول : قد يرد القول الشائع ، الأقارب كالعقارب .

ومن هذا الباب أيضا يقال :

الأب رب ، والعم غم ، والاخ فخ ، والولد كمد ، والاقارب عقارب .

ويقول الشاعر :

إن الأقارب كالعقارب
أو أشد من العقارب

ويقول آخر :

يقولون عز في الأقارب إن دنت
وما العز إلا في فراق الأقارب.
تراهم جميعا بين حاسد نعمة
وبين أخي بغض وآخر عائب

ويقول آخر :

ولقد يكون لك الغريب اخا ويقطعك القريب .

اقول :

الجواب على هذه الأقوال الشائعة : أنها صادقة بل واقعة في مجتمع اليوم والأمس والغد ، ولا مناص من الاعتراف بذلك ، ولكن

ليست على عموم بعضها كما نلاحظ بل أقول تصدق على بعض الأقارب وهذا البعض - والحمد لله - قليل بالنسبة لعموم الناس ، وليس هذا بغريب في دنيا الناس ، ولا بشذوذ في هذه الحياة وبخاصة وأنه لا يوجد الخير كله ولا يتغلب الشر جميعه في هذه الحياة الدنيا ، وفي نفس الوقت لا يستثير ذلك منا الفزع ، ولا الكفران بوصايا السماء ما دام التوفيق بين هذه الوصايا وهذا الواقع ممكنا ، وفي صالح المجتمع الإنساني على النحو الذي يقدمه لنا التشريع الاسلامي .

ففي الحديث الشريف :

عن أبي هريرة : أن رجلا قال : يا رسول الله . إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني ، وأحسن اليهم ويسيؤون الي ، وأحلم عنهم ويجهلون علي ، فقال : « لئن كنت كما قلت ، فكأنما تسفهم المل ولا يزال معك من الله ظهير عليهم مادمت على ذلك » رواه مسلم

وهكذا ينقلب الشر خيرا ، وتصبح صلة من قطع ،والإحسان الى المسيء منهم ، والحلم على من يجهل بابا من أبواب الثواب ، ومنهلا من ينابيع الخير ، التي يكفر الانسان بها عن سيئاته ويزيد بالتزام منهج الله فيها في رصيد حسناته .

وهذا أبو بكر رضي الله عنه : عندما يفترى على كريمته بما يطعن في شرفه كما هو المشهور في حادثة الافك التي تهتز لها كل الأوساط الاجتماعية ويساعد في إشعال نيران هذه الفتنة (المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة) .

وكان من بين هؤلاء : ابن بنت خالة أبي بكر نفسه ، وهو مسطح بن أثاثة ، وكان أبو بكر ينفق عليه لفقره ولقرابته منه .

فلما حكمت السماء ببراءة السيدة عائشة وأعلن ذلك للناس في قوله تعالى **(ان الذين جاؤوا بالافك عصبة منكم)** الآيات العشر من سورة النور (١١-٢١) .

قال أبو بكر : « والله لا أنفق عليه شيئا أبدا بعد الذي قاله لعائشة » .

ولما كان مسطح من أقارب أبي بكر ... !!

ولما كان الزمن زمان التشريع ... !!

ولما كان حرص المشرع على تقوية الروابط ، وتوثيق الصلات بين أتباع هذا الدين الجديد الخالد .

ولما كان فصم عرى القرابة ، وتوهين أواصر الأسرة الواحدة هو الفصم الحقيقي لعرى العلاقات الأسرية مع بعضها البعض هو الفصم الحقيقي - بالتالي - لعرى العلاقات الانسانية جميعها . وهو التمزيق الحقيقي لاواصر الأسر وهو - بالتالي - التمزيق الحقيقي للأواصر الانسانية جميعها .

فقد سارع المشرع الى رأب هذا الصدع ، والوقوف أمام هذا الخطر بتغليب جانب الخير في الانسان ، بإلهاب حماسه إلى العفو والصفح بدل الانتقام والحقد .

يقول سبحانه وتعالى الرحمن

الرحيم الحكيم العليم :(**ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا**) النور/ ٢٢ .

وهكذا يتضح حل هذا الموضوع القديم الجديد ، وهو خصام الأقارب وعداوتهم وكراهة بعضهم الخير للبعض الآخر منهم :

(١) بنهي السماء عن القطيعة .

(٢) وتغليب جانب الفضل على جانب العدل .

(٣) وتفضيل الخير على الشر .

(٤) والحث على العفو والصفح بدل العقاب والانتقام .

وكانت الآية بأسلوب « يتناول الأمة » إلى يوم القيامة ، ناهية ان يغتاظ ذو فضل وسعة فيحلف ألا ينفع من هذه صفته غابر الدهر » .

وتنتهي الآية الكريمة السابقة : بهذا التمثيل الواضح وهذه الحجة الملزمة لكل من تحدثه نفسه بعدم الاحسان إلى من يسيء إليه من أهله ، أو بعدم صلة من يقاطعه من أقاربه » .

حيث يقول تعالى (**ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم**) النور/ ٢٢ أي : كما تحبون عفو الله عن ذنوبكم ، فكذلك اغفروا لمن بينكم وبينهم شحناء ومخاصمات لجناية اقترفوها في حقكم أو إساءة قابلوا بها إحسانكم إليهم .

ولذلك : « قال أبو بكر ـ فيما يرويه ابن اسحاق ـ بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي ، وأعاد الى مسطح نفقته التي كان ينفقها عليه ، وقال : والله لا انزعها منه أبدا»السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ١٩٣ .

وهكذا : نتمثل بعفو الله عنا مع كثرة ذنوبنا فنعفو عن إساءة بعض أقاربنا إلينا وهي بالقطع قليلة بالقياس الى خطايانا التي نرجو لها الصفح والغفران .

ومن المؤكد أن يحيل الصفح والتسامح كثيرا من الأقارب المخطئين في حقنا الى معتذرين إلينا ومحبين لنا .

ومن لم يحله الصفح والتسامح إلى ذلك ، فيكفي أن يكون الله لنا ظهيرا عليه ، ونصيرا معنا في إحساننا ضد إساءته وهي قلة قليلة جدا في طبعها شذوذ ونكران ، ومع ذلك : لا يوافق المشرع أن نقابل إساءتهم بإساءة ، وقطيعتهم بقطيعة .

اما الكثرة والغالبية : فسوف يسود بينها الود والتواصل وتظللها القوة والتماسك .

وبالتالي : يسرى ذلك في مفاصل المجتمع كله ، وتتوجه المهابة ، وتزينه العزة ، وتعلو رايته ، وتسمع كلمته ، ويسود فكره ، وينتشر خيره ، ويستحق أن يوصف بصدق يقول الله تعالى (**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المعروف وتؤمنون بالله**) آل عمران/ ١١٠ .

ألا تحبون أيها السادة أن يغفر الله لكم .

اغفروا إذا للمسيئين إليكم من أقاربكم وصلوا أرحامكم .

يغفر الله لي ولكم .... آمين .

رحلة مع الجمال

ان الكون من خلق الله سبحانه ، ومن ثم فهو في تكوينه ، وأبعاده ، ونواميسه وأشكاله ، يتضمن قيما جمالية بدءا بجوانبه التي لا تراها العيون وانتهاء بالعالم والطبيعة التي تتحرك عليها الحياة ويتواصل معها الانسان .

والله سبحانه (جميل) يحب (الجمال) كما يحدثنا الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولقد (عبرت) جلت قدرته عن هذه (الجمالية) في صفحات الكون التي لا يلمها كتاب .. وفي اقطار العالم الاربع .. وعبر معطيات الطبيعة التي لا تكف عن التمخض والعطاء ..

* المهرجان الجميل :

ان هذه القيم الجمالية تبدو في اكثر من جانب من تصميم الكون ، وبيئة العالم والطبيعة : في إحكام الصنعة ، وتوزيع المساحات والابعاد ، وتشكل الكتل ، وضبط السنن والنواميس .. كما أنها تبدو في التدفق الدائم ، والتجدد المستمر ، والانبعاث الدائم ، والعطاء النامي ، والاتساع الذي لا تصده حدود .. وتبدو كذلك ، وبشكل اكثر مباشرة في المقياس الجمالي ، في (التزيين) الذي عوملت به عناصر الكون والعالم والطبيعة ..

والديكورات الانيقة التي ركبت على الواجهات ، والالوان ، والصيغ والتراكيب المدهشة التي بثت هنا وهناك .

ان خلق الله سبحانه مهرجان جميل منذ لحظات مسيرة الابداع الطويلة الاولى والى أن يشاء الله

في الكتاب الله

للدكتور / عماد الدين خليل

فيطوى السماوات والارض كطي السجل للكتب ، ويعيد الخلق كما بدأه أول مرة .

* شيء عن وظائف الجمال :

ان (الجميل) هو ذلك الابداع الذي يتضمن قدرا من التناسب والتناظر والاحكام والاثارة .. والذي يبعث في النفس الدهشة والتجاوب والاعجاب والانسجام ويمنحها قدرا من التوحد والتناغم والامتلاء ، ويمكنها من التحقق بالتجاوز الذي يرفعها فوق مستويات الحزن ، والقهر ، والالم ، والتعاسة ، والقبح ، والتمزق ، والشقاء ..

والجميل هو الابداع الذي يكسر قشرة الإلف والاعتياد والركون والملل التي يعاني منها الانسان بين الحين والحين ، فيدفعه الى الدهشة والتجدد والحركة والفرح والغبطة ..

والجميل هو الابداع الذي يتعامل مع الانسان من خلال مكوناته جميعا : عقلا وروحا وحسا وجسدا ووجدانا .. فيمنحها المزيد من الحيوية ويهبها القدرة على (الاخذ) الذي يزيدها غنى وعطاء ..

التيار الذي يجرى على صفحات الكتاب :

ومن ثم فان الخلق الجمالي في الكون والعالم والطبيعة ليس هدفا بحد ذاته وانما هو وسيلة اريد بها تمكين الانسان من التحقق بعلاقة اكثر حيوية وتدفقا وصميمية بالكون .. الأمر الذي يقوده الى خالق الكون من خلال أشد نقاط الارتكاز في شخصيته قدرة على التواصل والفاعلية ..

ومن هنا نعرف لماذا اكد القرآن الكريم على الرؤية الجمالية للكون والعالم والطبيعة .. لماذا تردد نداء التوجه الى الخلق المعجز في جنبات كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام .. ولماذا تجاوبت اصداؤه عبر السور والمقاطع والآيات والاحاديث .. ولماذا اتسع واتسع حتى اصبح تيارا هادرا يكاد يجرى على صفحات الكتاب الكريم من بدئها حتى المنتهى !!

من الجزء المنظور الى الكل الجميل :

إن القرآن الكريم لا يكتفي بالتأكيد على هذا التوجه الشمولي صوب الكون ذي الحبكة المحكمة .. الجميلة .. ولكنه يتوقف احيانا لكي يشير بالحرف الواحد الى الجمال كشهادة منظورة للمبدأ العام .. انه يطرح بعض النماذج والجزيئات المنبثة حوالينا ، ويشير الى جمالياتها المقصودة لكي نمضي بعد ذلك فنبحث عن الجمال ونتواصل معه ونتحقق بمعناه ومغزاه عبر تجوالنا اليومي في العالم والطبيعة وعبر تفكيرنا الدائم في الكون والحياة ..

من الجزء المنظور الى الكل الجميل .. تلك هى الرحلة التي يريد كتاب الله أن نقوم بها كل يوم لكي ننبعث ونتجدد ، ولكي لا تنضب في نفوسنا وعقولنا وارواحنا وحواسنا شلالات الدهشة والإعجاب والانفعال والحركة واليقين .

الجمال .. في كل مكان :

ومن خلال جولة شاملة عبر هذه الاشارات (المحددة) نلتقي بالجمال المنبث في كل زاوية من زوايا الكون ومنعطف من منعطفات الطبيعة .. ونلتقي به كذلك من خلال الحياة في تدفقها الابدي .. ومن خلال النبات والحيوان .. ثم من خلال الانسان نفسه ، سيد المخلوقات الذي خلقه الله سبحانه (في احسن تقويم) والذي صوره فأحسن صورته !!

الجمال في صميم الكون والطبيعة ، وفي قلب الحياة والاحياء ، وفي تركيب المخلوقات ، وفي جسد الانسان وملامح وجهه ..

والجمال في العلاقات (المتناسبة) ، والتوزيع الفذ ، والمساحات المتناظرة بين الاشياء ، بعضها والبعض الاخر ، وبين المخلوقات بعضها والبعض الاخر .. بدءا بتركيب الذرة وانتهاء بالعقل والروح وقوة الارادة .

والجمال في القيم المنضبطة ، المتوازنة ، التي يتحرك الانسان بهديها وعلى ضوئها والزامها ..

المصابيح الزرق والخضرة الواعدة :

إننا نقرأ في كتاب الله عن (تزيين) السماء بالمصابيح الزرق و (تجميلها) بالضوء الشفيف (إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب)الصافات/٦ (ولقد زينا

السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين) الملك/٥ (وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا) فصلت/١٢ (ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين) الحجر/١٦ (افلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها)ق/٦) .

ونقرأ عن تزيين الارض بالخضرة الواعدة ، وعن البهجة الجميلة التي يهبها الشجر ، والزرع ، والزهر للانسان في هذا العالم (.. **فانبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها**) النمل/٦٠ (**وترى الارض هامدة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج**) الحجج/٥ (.. **والقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج**) ق/٧ (**وهو الذي انزل من السماء ماء فاخرجنا به نبات كل شيء فاخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا الى ثمره اذا اثمر وينعه إن في ذلكم لايات لقوم يؤمنون**) الانعام/٩٩ (**الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون**) يسين/٨٠ (**الم تر ان الله انزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة ؟**)الحج /٦٣ (**ومن آياته انك ترى الارض خاشعة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت**) فصلت/٣٩ (**فانظر الى آثار رحمة الله كيف يحيي الارض بعد موتها**)الروم/٥٠ .

عالم الحيوان المدهش :

ونقرأ في مقابل (النبات) شيئا من عالم (الحيوان) (الجميل) حيث التركيب المدهش ، والالوان المثيرة ، والوظائف البديعة ، والغرائز المحكمة ، والحركة التي تأخذ ألف ايقاع وايقاع : (**والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون . ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون . وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغية الا بشق الأنفس إن ربكم لرؤوف رحيم . والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون**) النحل ٥ ـ ٨ (**انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين**) البقرة/٦٩ .

ونقرأ عن الانسان نفسه سيد المخلوقات : كيف خلقه الله (في احسن تقويم) جسدا وعقلا وروحا ، وكيف صوره فأحسن صورته .. وفي الحالتين نلتقى بالإحسان والتجميل حتى ليكون (المصور) واحدا من اسماء الله الحسنى (**لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم**)التين/٤ (**وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات**) غافر/٦٤ (**وصوركم فأحسن صوركم واليه المصير**) التغابن/٣ (**الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين**) السجدة/٧ (**هو الله الخالق البارىء المصور**) الحشر/٧ (**ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا**

للملائكة اسجدوا لادم) الاعراف/١١ **(هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء)** آل عمران/٦ **(يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم . الذي خلقك فسواك فعدلك . في أي صورة ما شاء ركبك)** الانفطار ٦ ـ ٨ .

المرأة .. تلك الآية الجميلة :

ونقرأ عن (المرأة) ، احدى بدائع خلق الله وآياته الجميلة في العالم ، وعن زينتها التي يتوجب الا ترخص وتبتذل لكل رائح وغاد ، كما ترخص وتبتذل في قرننا هذا ، وأن تظل مصونة ، عزيزة ، كيلا تذبل بمس الايدي المتعاقبة وتنسحق من وطء الاقدام ، وكيلا يكون جمال المرأة مجرد أداة حسية لاشباع رغبات الجسد واطفاء شهواته ، بينما هناك (طبقات) أخرى من العلائق بين الرجل والمرأة يمكن أن يرفدها الجمال المصون (.. ولا يبدين زينتهنَّ الا لبعولتهنّ أو آبائهن ، أو آباء بعولتهنّ أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهنّ أو بني إخوانهنّ أو بني أخواتهنّ أو نسائهنّ أو ما ملكت أيمانهنّ أو التابعين غير أولى الاربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهنّ ليعلم ما يخفين من زينتهنّ)الآية/٣١ النور **(فيهن خيرات حسان)** الرحمن/٧٠ **(وحور عين . كامثال اللؤلؤ المكنون)** الواقعة/٢٢ ـ ٢٣ .

ونقرأ حتى عن الملابس البديعة والحلي والاثاث الجميل **(عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق وحلوا اساور من فضة ..)** الانسان/٢١ **(ويلبسون ثيابا خضرا من سندس واستبرق)** الكهف/٣١ **(متكئين على رفرف خضر وعبقرى حسان)** الرحمن/٧٦ .

الكلمات التي تنث نورا :

وصعودا باتجاه الخالق المبدع ، جل وعلا ، حيث (الجمال) المطلق الذي ليس من سبيل الى (معرفته) أو (وصفه) الا بما حدثنا به القرآن الكريم نفسه ، في تلك الآية الباهرة التي تشع نورانية ورقة وصفاء .. وحيث تستخدم فيها كلمات مدهشة تنث جمالا : (النور) (المصباح) (الزجاجة) (الكوكب الدرى) (شجرة الزيتون) (الزيت المضيء الذي لم تمسسه نار) .. **(الله نور السماوات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب الله الامثال للناس والله بكل شيء عليم)** النور/٣٥ .

رحلة سريعة في التيار :

هذا على مستوى الآيات التي تشير

(بالحرف) الى (الجمال) ومرادفاته .. وأما المعطيات القرآنية التي تصل الى الهدف نفسه بتعابير وصيغ غير مباشرة فهي واسعة متشعبة منبثة في نسيج كتاب الله كله ، وانها لتمثل ـ كما ذكرنا ـ تيارا كبيرا ، تتضارب امواجه وتتجاوب اصداؤه .. ينبع عند بدايات الكتاب ولا يكف عن التمخض والخفقان حتى يختم الانسان على آخر سورة فيه ..

ولن يتسع المجال للإبحار في هذا التيار الكبير ، ونكتفي بشواهد من امواجه فحسب لكي نتلمس جانبا من ابعادها الجمالية : (**ان في خلق السماوات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون**) البقرة/ ١٦٤ (**ان الله فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ذلكم الله فأنى تؤفكون فالق الاصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم .**

وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون) الانعام/ ٩٥ ـ ٩٧ (**فلينظر الانسان الى طعامه . أنا صببنا الماء صبا . ثم شققنا الارض شقا . فانبتنا فيها حبا . وعنبا وقضبا . وزيتونا ونخلا . وحدائق غلبا . وفاكهة وأبا . متاعا لكم ولانعامكم**) عبس/ ٢٤ ـ ٣٢ (**فلا اقسم بالخنس . الجوار الكنس . والليل اذا عسعس . والصبح اذا تنفس**) التكوير/ ١٥ ـ ١٨ (**الم تر أن الله أنزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها ، ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود . ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه كذلك**) فاطر ٢٧ ـ ٢٨ (**والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب . أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها ، ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور**) النور ٣٩ ـ ٤٠ .

الانسان قبالة الكون :

نخلص من هذا كله الى أن القرآن الكريم يطرح معطياته عن (الجمال) بالاشارة المحددة حينا ، وبالصيغ الضمنية غير المباشرة حينا آخر .. وهنا نلتقي بتأكيد متزايد على جمالية الخلق الكوني ، ووضع الانسان في حالة تقابل فعالة معه .. كما نلتقي بعروض قرآنية تعتمد (الكلمة) لتقديم لوحات مبدعة غنية بقيمها ودلالاتها الجمالية .

من معالم التخطيط



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

يقف كثير من المسلمين اليوم من السيرة النبوية موقف من يتابع لوحة جميلة وقد أعجب بها لأنها تمثل منظرا ربيعيا نضيرا ، فيرجع البصر اليها كرتين ، وهو مأخوذ بلمساتها وتوزع الألوان فيها ، ولا يخطر بباله أن يسير على هدى تلك اللوحة فيحاول أن يحاكيها ، إنه أبعد من ذهنه كل سانحة تلح عليه بتلك المحاكاة ، فأين موقعه من موقع مشاهدة اللـوحة وأبعادها إنه في القرن العشرين ، وقد أصاب التطور هذا العالم ، وها هي المدنية والحضارة الحديثة قد فرضت عليه سبيلا معينا من السير يجعله من تلك المشاهد صنيع من لا يتعدى المتعة والاعجاب . ولعل كثيرا من الدعاة اليوم يشاركون عامة المسلمين في هذا الموقف فيتعاملون مع بعض المعالم التي كان عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم تعاملا باهتا جامدا وكأن تتابع الأيام عطل النبـع الثر عن العطاء . وعنصر التخطيط في تحرك القيادة الكريمة من هذه العناصر التي يفهمها كثير من الدعاة على اساس السذاجة والنظرة القريبة للأمور ،

في القيادة الكريمة

للدكتور / أحمد محمد الخراط

فيريدون أن يقنعـوا أنفسهم وهم يتحركون للدعوة الى الله بأن لا بأس بالخفة والتسرع وأخذ الأمور من قشورها ما دام رائدهم كما يقولون البركة والثواب . وسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم مفعمة بالمشاهد التي تغطي هذا العنصر وتعطي الدعاة عبر أجيالهم درسا بعيد الأثر بأن القائد الكريم كان يفهم منطوق الآية « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » مفهوما عميقا في بعد الأفق وجلاء النظرة ، فالاعداد شامل للسلاح والفرد والتحرك والكر والفر ، وليس ثمة فوضى أو بساطة أو خفة . وسوف نكتفي بمشهد من مشاهد التخطيط التنفيذي في غزوة حنين ومعروف أمر الغزوة فقد كانت في شوال سنة ثمان بعد فتح مكة ، حيث اجتمع رؤوس الكفر ممن ينتسبون الى هوازن وثقيف

وقرروا التعبئة العامة وحشدوا قواهم في وادي حنين ، وكانت الجولة الأولى للمشركين حيث كمنوا للمسلمين الذين أعجبوا بكثرتهم من مضايق الوادي وشعبه .

غير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استطاع ان يقوم بهجوم معاكس ليتغير من خلاله وجه المعركة ويحقق النصر المؤزر للمسلمين بفضل الله ، وليس شرطا أن يتحقق النصر للدعاة والمجاهدين من المراحل الأولى للمسيرة فقد يتأخر هذا النصر قليلا ، وقد لا يتحقق أصلا .

ويبدو لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم حنين وقبله وبعده يقظا في الموقف العصيب ، ذا خطة محكمة وتدبير بعيدا لعل هذا يبدو لنا من النقاط التالية :

١ ـ عندما تحقق الفتح العظيم لمكة لم يكن ليبطره النصر فيجعله غافلا عن مؤامرات الوثنيين لا حتوائه ولا سيما أنهم شعروا بأن الوافد الجديد مضى يكتسح الجزيرة ، انه كان يعيش أحداث النصر المؤزر والمسؤوليات الجديدة التي تترتب عليه من ناحية ويرقب الموقف الخارجي بالنظر البعيد والرصد الدقيق من ناحية ثانية . لقد وردته انباء مؤكدة من جهات الطائف حيث هوازن وثقيف أن هؤلاء يعدون للأمر عدته ، فأرسل طليعة ترصد له الموقف عن كثب لتقدم له تقريرا ميدانيا عن الحالة ، وهذا يعد في المعجم العسكري لفتة ضرورية يقوم بها القائد في مجال سلاح الاستخبارات والرصد . وقد كلف بهذه المهمة عبد الله بن أبي حدرد وهو من هوازن ليكون أهل مكة أدرى بشعابها ، وانطلق عبد الله فأقام في القوم وعلم بأخبارهم وطاف بمعسكرهم ثم قفل عائدا يحمل الى غرفة القيادة تقاريره ومشاهداته ، ويستفيد القائد من هذا الرصد فيكشف المزيد عن استراتيجية العدو وموقفه .

٢ ـ لقد نجح كمين العدو المنتشر في وادي حنين بعد أن حمل على المسلمين حملة واحدة في الوقت الذي أعجب المسلمون بكثرتهم ، وكان على الرسول صلى الله عليه وسلم أن يتصرف بدقة واحكام ، انه على ثقة بأنه يملك رصيدا ضخما من القاعدة الصلبة التي رباها على عينيه ، فماذا صنع ليضمن ثباتها واستبسالها في الهجوم المعاكس ؟

أ ـ عدَّ نفسه على رأس الطليعة التي ستأخذ على عاتقها قلب ميزان القوى . وطبيعي أن يحس المسلم الذي تربى في مدرسته بأن عليه أن يراجع حسابه ، لأن قائد الدعوة نفسه يشق صفوف المعركة بكلمة حماسية جياشة :

أنا النبيّ لا كذب
أنا ابن عبد المطلب .

وقد لامست هذه الكلمة شغاف القلوب : كيف نترك النبي الصادق الأمين وحده ؟ هل أنت تشك في صدقه ؟ اذاً فلتمض الى حيث الهجوم المضاد .

ب ـ اختار العباس ذا الصوت

الجهوري يهتف بالناس ، ليس هتافا عالي الصوت فحسب ، انه لا ينادي : يا مسلمون ،اذاً لأصبح نداء عاديا وانما اختار له كلمات معينـة : يا أصحاب الحديبيـة ، يا أصحـاب السمـرة . والمعروف أن الحـديبية والسمرة موقفان كان فيهما الصحابة على عتبة الاستعداد الكامـل لبذل الغالي والرخيص في سبيل دعوة الله . فأنت أيها الفار كيف يروقك ان تترك من بايعته على الكر والاقدام لا على الفر والنكوص ، بايعته على العطاء والثبات لا على الأخذ والزيغ فكيف تتركه وحده في قلب المعركة ؟

ج ـ وهو في الوقت نفسه مضى يعطي الدعاة درسا ينبغي أن لا ينسوه وهو الارتباط بصاحب النصر ومعطيه ، وقف يدعو الله بقلب خاشع منكسر يسأله النصر والثبات .

٣ ـ كما يتضح التخطيط البعيد في موقفه من القوات المنهزمة بعد نجاح الهجوم المعاكس ، فهـو لم يتعجل الغنائم ولم يدفعه النصر المبين أن ينسى الأبعاد المترتبة على النصر ، فهؤلاء المنهزمون قد يعودون ولا سيما أنهم في عقر دارهم فأرسل اليهم يطاردهم كيلا يتيح لهم استرداد القوة والروح ووصلت قواته بقيادة أبي عامر الأشعري الى نخلة وأوطاس تصفي الوجود الوثني المنهار .

٤ ـ ويدخل في دائرة التخطيط وتقليب الأمور اتباعه أحيانا طريق السياسة المرنة لتحقيق مكسب بعيـد الأفق فيتحقق به نصر للمسيرة أكبر من أن يصول بحركـة عسكريـة في شوط سريع ، وتتضح هذه السياسة في موقفه من قائد المشركين مالك بن عوف ، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستطيع أن يقضي عليه حينما فر من حنين واحتمى بالطائف ولكنه ترك الشوط العسكري ليكسب مالكا حسب الخطة التالية :

أ ـ أرسل اليه : إن جاء مسلما رد عليه أهله وماله .

ب ـ استجاب مالك فرد عليه ما وعده به واستعمله على من اسلم من قومه والقبائل المجاورة .

ج ـ كسب بذلك هوازن الى معسكره .

د ـ اتخذه رأس حربة يضرب بها بقايا الوثنيين لأنه أصبح يهاجم غير المسلمين هناك .

٥ ـ قبل أن يتحرك الرسول صلى الله عليه وسلم ذكر له كما يقول ابن اسحاق ـ أن عند صفوان بن أمية أدراعا وأسلحة . فأرسل اليه ـ وهو يومئذ مشرك ـ فطلب منه تلك الدروع والاسلحة فقال صفوان : أغصبا يا محمد ؟ فأجابه : بل عاريـة وهي مضمونة حتى نؤديها لك . فأعطاه مئة درع بما يكفيها من السلاح ولا خلاف بين العلماء في جـواز ذلك ولكنهم يقيدونه بأن لا يكون فيه ما يخدش كرامة المسلمين وان لا يتسبب عن ذلك دخولهم تحت سلطان غيرهم أو تركهم لبعض واجباتهم وشعائرهم .

هذه بعض المعالم اقتبسناها من السيرة الكريمة ليعلم الدعاة أن فيها كنزا لا ينفد عطاؤه لمن يريد أن يتخذ منها قدوة التطبيق لا قدوة النظرية .

والحمد لله رب العالمين .

أكثر أمراض الجهاز

رحم الله العالم الجليل فضيلة الشيخ احمد البسيوني رئيس تحرير هذه المجلة السابق وأنزله منازل الأبرار والصديقين وجزاه عن القراء أحسن الجزاء ، لقد أحسن الظن بالفقير وكتب إليه أن يتناول بعض الأمراض من حيث الأسباب والوقاية والعلاج . ولما ناقشه زميل له فاضل في ذلك قائلا : وهل مثل هذا اللون من الكتابة مطلوب في مجلة اسلامية ؟ فأجاب رحمه الله : اليس الاهتمام بالصحة من الدين ؟ الم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« المؤمن القوي خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير ، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز ... » (رواه أحمد ومسلم وابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنه) .

وعلى ضوءتوجيه ذلك الشيخ الفاضل والداعية المستنير كانت بعض الموضوعات التي تم تناولها على صفحات هذه المجلة . وحينما أقول ذلك فإنني أقوله وفاء بحق ذلك الرجل حتى أنسب الفضل الى أهله ولايحسبن أحد أن هذه الموضوعات من بنات أفكاري كما يقولون ويشجعني على ذلك أن الرجل قد لقي ربه راضيا مرضيا إن شاء الله ، ولن يظن أحد أن هذه كلمة ما أريد بها وجه الله .

وفي هذه المرة سأتناول بعض أمراض الجهاز التنفسي الشائعة والله المستعان .

أمراض الجهاز التنفسي شيوعاً

للدكتور / غريب جمعة

ومن هذه الأمراض : (١) الزكام = البرد Common Cold (٢) الأنفلونزا

كلمة عامة :

الزكام أو البرد تسميتان لمسمى واحد هو عبارة عن إصابة الممرات التنفسية العليا (الأنف ـ الحلق) بنوع معين من الفيروسات على الأرجح حيث لم يعرف للزكام ميكروب خاص وقد يصل عدد هذه الفيروسات الى عشرين نوعا ! وهي فيروسات عنيدة ذات مقاومة عالية للمضادات الحيوية ولم يتم التوصل الى لقاح ذي فعالية حقيقية بالنسبة لها وإن كان قد تم استخدام بعض اللقاحات في السنوات الأخيرة ساعدت على خفض نسبة الاصابة بالزكام ولكنها لم تقض عليه نهائيا . وهي تترصد للانسان حتى إذا ضعفت مناعته لأي سبب فإنها تباشر عملها . ولا توجد هذه الفيروسات في القطب الشمالي حيث تتراكم الثلوج بصورة مستمرة وتصل درجة الحرارة الى ما تحت الصفر ولذلك لايصاب السكان هناك بالزكام على الرغم من ضعف مناعتهم ولكنهم حينما ينتقلون الى البلاد الأخرى

يصابون به كأهلها تماما .

ومن الأسباب التي تساعد على الاصابة بالزكام مايلي :

(١) الاجهاد البدني نتيجة كثرة العمل مع قلة النوم والراحة لأن ذلك يؤدي الى ضعف مقاومة الجسم .

(٢) ضعف أنسجة الانف واحتقانها نتيجة التدخين أو استنشاق الهواء المحمل بالاتربة .

(٣) قد تكون الميكروبات الخاصة بالزكام مستقرة في الأنف أصلا حتى إذا ما تهيأت لها الظروف فإنها تنمو وتتكاثر وتقوى وتؤدي الى الاصابة بالزكام دون حاجة الى انتقالها من شخص مصاب .

(٤) خروج الانسان من جو دافيء الى جو بارد فجأة كما يحدث حينما يخرج الانسان الى برد الشارع بعد جلوسه أمام مدفأة في منزل أو في جو به تكييف سواء كان في مكتب أو قطار وقس على ذلك أي تغيير مفاجيء في الطقس .

الأعراض :

تختلف الأعراض من حيث شدتها باختلاف مناعة المصابين ولاشك أنها تكون واضحة بصورة ملحوظة على ذي المناعة الضعيفة بينما يحدث العكس في ذي المناعة العالية ويمكن القول بصفة عامة أنها تنحصر فيما يأتي :

(١) حدوث عطس متكرر ثم رشح من الأنف قد يزيد حتى يخيل للمرء أن أنفه أشبه بصنبور غيْر محكم القفل تتساقط منه قطرات الماء متتابعة ويشعر كأن رأسه محشوة بشيء ما مع الاحساس بالصداع كما تتساقط بعض الدموع من العينين .

(٢) الشعور بآلام عامة وفتور بالجسم وعجز عن التركيز وربما ترتفع درجة الحرارة قليلا .

(٣) يحدث احتقان بالأغشية المخاطية المبطنة للأنف قد يؤدي الى انسداد الأنف ثم يتحول رشح الأنف المائي الى افراز ثخين تدريجيا حتى يتحول الى مخاط وهذا يؤدي الى فقدان حاستي الشم والذوق مع فقدان الشهية .

(٤) كثيرا ما يمتد الالتهاب الى الحلق مسببا ألما به يؤدي الى السعال مع الاحساس بحرقة فيه .

(٥) فقدان المريض لنشاطه العام مع رغبته في أن لا يغادر الفراش .

(٦) تأخذ الاصابة المتوسطة بالزكام في التحسن بعد بضعة أيام حيث يقل افراز الأنف ويقل احتقان الغشاء المخاطي ويستطيع المريض أن يتنفس من أنفه ويتماثل للشفاء حيث تختفي الأعراض جميعا . أما الحالات الشديدة نوعا فقد تستمر من سبعة أيام الى أربعة عشر يوما أما إذا استمرت الأعراض أكثر من ذلك فإن الحالة قد لا تكون بردا أو زكاما عاديا وإنما قد تكون حساسية بالانف أو التهابا به وهي حالة لابد أن تشخص التشخيص الصحيح حتى تعالج أيضا

العلاج الصحيح . ويذكرنا فقدان حاسة الشم بقول الشاعر :

وما ضر الورود وما عليها   إذا المزكوم لم يطعم شذاها

(٧) اذا ظهرت أعراض جديدة تدل على أن الحالة تزداد سوءا مثل رعشة طويلة أو حمى ملحوظة بحيث الاتفعت درجة الحرارة الى اكثر من ٣٩° او آلام في الصدر أو الأذنين أو الوجه أو قصر وصعوبة في التنفس أو سعال مصحوب بخروج بلغم مخطط بالدم أو بلون الصدأ أو حدوث بحة مستمرة فإن ذلك دليل على حدوث مضاعفات نتيجة للزكام مثل : التهاب الجيوب الأنفية ـ التهاب الأذن الوسطى ـ النزلات الشعبية الحادة (بضم الشين وتشديدها وفتح العين وليس بالفتح والتشديد كما ينطقها الكثيرون) ـ الالتهاب الرئوي . وهذه أشد خطورة من المرض الأصلي وإليها ترجع خطورة الزكام .

العلاج :

(١) ينبغي أن يخلد المريض الى الراحة بالفراش وإن كان هناك بعض الناس يحسبون أن عدم ملازمتهم للفراش يساعد على العلاج حتى أن أحدهم يلقاك وهو يقول بشيء من الفخر : انني آخذ الزكام على اقدامي وهذا أمر خاطيء ، لأن الراحة بالفراش تحقق هدفين أحدهما سرعة شفاء المريض والآخر هو منع انتقال العدوى الى غيره . وإذا لم يكن من الممكن أن يستريح المريض في الفراش لأمر هام لابد أن يباشره بنفسه فيجب أن يزيد من ساعات راحته ونومه ليلا .

(٢) أثناء مرحلة الرشح يجب أن يلتزم المصاب بالدفء مع تجنب التغيرات المفاجئة في درجة الحرارة مع الاكثار من شرب السوائل خصوصا الدافئة كما يجب أن يكون الاستنثار أو التمخط برفق حتى لايساعد ذلك على دفع العدوى الى جيوب الأنف والى الأذنين كما يجب أن يكون ذلك في مناديل من الورق تستعمل وتلقى على التو في صندوق القمامة .

(٣) في حالة انسداد الأنف ينبغي استخدام قطرات الأنف المناسبة مع تجنب استخدام قطرات شخص مصاب حتى لا تنتشر العدوى بين اكثر من شخص .

(٤) تعاطي بعض المسكنات كالاسبرين أو بعض المستحضرات الحديثة بمعدل قرص ثلاث مرات يوميا في الحالات الخفيفة وقرصين في الحالات الشديدة .

(٥) تعاطي المضادات الحيوية ليس مطلوبا في حالة البرد اما اذا كانت هناك مضاعفات مثل التهاب الجيوب الانفية الذي يسبب ألما في الجبهة (أعلى الانف) أو اي مضاعفات اخرى سبقت الاشارة اليها فإنه يتعين في هذه الحالة أخذ المضادات الحيوية المناسبة بمشورة الطبيب .

(٦) هناك مجموعة من الأمراض على المصابين بها أن يأخذوا الزكام مأخذا جديا إذ أن الاصابة المعتدلة الشدة به تؤثر تأثيرا سيئا على صحتهم وربما تهدد حياتهم

وهذه الأمراض هي :
- الدرن الرئوي (السل)
- الحمى الروماتيزمية ومرض القلب الناتج عن هذه الحمى
- بعض أمراض الكلية مثل مرض « برايت » تشخيصه من شأن الطبيب) أو التهاب حوض الكلية المزمن .
- مرض الكبد الشديد .
- مرض القلب الذي ينتج عنه قصر في التنفس
- الربو الشعبي المزمن
- الالتهاب الشعبي المزمن أو تمدد الرئة
- التهاب الجيوب الحاد .

الوقاية :

كما يقولون : درهم وقاية خير من قنطار علاج ولما كان الزكام من الأمراض الشديدة العدوى والتي تنتقل بالملامسة والمخالطة للمصاب فإن أفضل طرق الوقاية من الاصابة به هي :

(١) تجنب الشخص المصاب وإذا تعذر ذلك فيجب الابتعاد عن طريق من يعطس أو يسعل والامتناع عن تقبيل المصاب خصوصا وقد أثبت التصوير الضوئي ذي السرعة العالية أن سحابة من الذرات المحملة بالجراثيم تنتشر حول منطقة تمتد الى ثلاثة أقدام تقريبا أمام **كل شخص حينما يسعل أو يعطس** !!! ويستطيع المصاب أن يمنع تلك الجراثيم التي تشبه القذائف الموجهة من فمه من الانطلاق لتصيب شخصا آخرا اذا ما استعمل منديلا عند العطس أو السعال حتي يتم الشفاء وبقليل من اللباقة يستطيع المرء أن يبتعد عن المصاب بمسافة مأمونة إذا ما انتابه العطس أو السعال حتى يتم الشفاء . كما يجب أن لا يفشى الانسان الأماكن المزدحمة أثناء انتشار موجات الزكام وينبغي أن يكون من آداب الجماعة أن لا يذهب مزكوم الى الأماكن العامة أو يقبل الدعوة للولائم حتى لا يكون بؤرة تنطلق منها الجراثيم الى الجالسين حوله .

(٢) تجنب الجلوس في تيارات الهواء وعدم ترك الأقدام عارية ومبللة وقتا طويلا .

(٣) العمل على أن يظل الانسان في حالة بدنية جيدة وذلك بتجنب الاجهاد وتناول الوجبات المتوازنة اي التي تمد الجسم بالعناصر اللازمة له ولعل مما يحسن الصحة ممارسة بعض أنواع الرياضة البسيطة مثل المشي على الاقدام لمدة ساعة على الأقل يوميا كما أن الجلوس في الهواء الطلق وعلى شواطيء البحار مما يساعد على ذلك أيضا والجلوس على الشواطيء الذي نعنيه ليس هو الجلوس وسط مظاهر العرى الحيواني الفاضح الذي جعل أديب العروبة والاسلام « الرافعي » رحمه الله يتناول هذا الموضوع تحت عنوان :

يالحوم البحر سلخك من ثيابك جزار !!

وكثير من الناس يطيلون مدة مكثهم في مياة البحر بغرض الحصول على حمام كامل ونصف ساعة وقت مناسب جدا لذلك .

(٤) إذا كان المزكوم شخصا يمارس مهنة التمريض فعليه أن يكون في اجازة من عمله ، أما إذا اضطر الى ذلك فعليه أن يلبس قناعا واقيا من الشاش على فمه ثم يتمخط ويبصق في مناديل من الورق يطرحها في صناديق القمامة كما أشرنا سابقا .

(٥) يجب غسل الأوعية التي يستعملها المصاب غسلا جيدا بالماء الساخن وبعيدا عن أوعية بقية أفراد الاسرة كما يجب على أفراد الاسرة عدم استعمال هذه الأوعية طيلة فترة المرض مع ايماننا الكامل أن كل شيء بتقدير الله وما نحسب الأخذ بالأسباب إلا من تقدير الله ايضا .

(٦) علاج الحالات الموجودة أصلا مثل التهاب الجيوب الأنفية أو انحراف الحاجز الأنفي أو اللوزتين يساعد على تقليل نسبة الاصابة بالزكام .

إصابة الأطفال بالبرد :

لما كان الأطفال هم فلذات الأكباد وثمرات الأفئدة وبهم من البراءة والرقة والضعف ما يجعلهم اكثر تعرضا للاصابة بالبرد كما ترتكب الأمهات كثيرا من الأخطاء في حقهم بحسن نية بالطبع لذلك فإننا نخصهم بهذه التوجيهات لتجنبهم خطر هذه الاصابة وما ينتج عنها من مضاعفات تؤثر على مسارهم الصحي في المستقبل :

أولا :

على الأمهات حماية الأطفال من التعرض للتعب البدني أو البرد القارس وعدم وضع العديد من الملابس الثقيلة على جسمه مع بقائه داخل غرفة دافئة مدة طويلة ثم الخروج به في تيار الهواء أو تغيير ملابسه فجأة وهذا خطأ يقع فيه كثير من الأمهات والآباء أيضا .

ثانيا :

تعويد الطفل على أن يظل بعض الوقت خارج البيت في طقس معتدل اذا أمكن ذلك حتى يعتاد جسمه على الهواء البارد خارج البيوت نوعا ما ولعل هذه الملاحظة تكون واضحة في طفل البادية والقرية عن أخيه طفل المدينة الذي يعيش مع أسرته وسط « علب » تسمى بلغة العصر شقق أو مساكن !! كما أن الغذاء المتوازن هام جدا بالنسبة للطفل حيث يجعله اكثر قدرة على مقاومة الأمراض بصفة عامة .

ثالثا :

إبعاد الطفل عن القريب المزكوم بشيء من الكياسة ومنعه من حمله أو تقبيله أو تدليله . أما إذا كانت الأمخهي المزكومة وهي أقرب مخالط للطفل فإن عليها أن تضع قناعا من القماش على فمها أثناء إرضاع طفلها أو تغيير ملابسه مع إكثار غسل يديها جيدا .

رابعا :

يجب الزام الطفل بالراحة في الفراش ومنعه من الذهاب الى المدرسة مع إعطائه بعض السوائل الدافئة وعصير الفواكه وإذا ارتفعت درجة حرارته مع ظهور أعراض أخرى فلا بد من عرضه على الطبيب .

(٢) الانفلونزا :

كثير من الناس يخلط بين الزكام والانفلونزا ولذلك نخصها بكلمة موجزة لوجود فوارق بينهما يجب الالتفات اليها سواء من الطبيب أو المريض .
تعتبر الانفلونزا من الأمراض المعدية وهي ثانية أمراض الجهاز التنفسي انتشارا وترجع خطورتها إلى أنها تأتي في صورة وباء قد يصيب قطرا واحدا أو مجموعة من الأقطار كما حدث في أعقاب الحرب الكونية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨) حيث انتشرت في صورة وباء عالمي أصاب اكثر من ربع مليار شخص (٢٥٠ مليون) مات منهم ١٨ مليون نسمة !! أي أن ضحاياها كانت اكثر من ضحايا الحرب نفسها . وظهرت في صورة وباء عالمي أيضا في عام ١٩٦٨م ، وأطلق عليها انفلونزا (هونج كونج أ) أو الانفلونزا الآسيوية وكانت أرقام الضحايا مرتفعة أيضا فقد أصيب في ألمانيا الاتحادية وحدها ١٨ مليون شخص مات منهم ٣٨ ألف شخص .

وتنشأ الاصابة بها عن نوع من الفيروسات يطلق عليها « فيروس الكريب » (Grippe)2وهو فيروس متناه في الصغر يبلغ قطره **جزءا من عشرة آلاف جزء من الملليمتر** !! وهو محاط بغشاء رقيق وله نتوءات شوكية ويطرأ عليه تغيير كل سنتين ومن هنا لا تجدي معه وسائل العلاج في إبادته والقضاء عليه وإنما تفيد في تخفيف وطأة الاصابة فقط ، وهو يتميز بمكر ومراوغة لانظير لهما في ميكروب آخر ، فالجراثيم الأخرى مثلا تعيش بين خلايا الجسم حيث يمكن أن تؤثر عليها المضادات الحيوية أما هو فيعيش داخل الخلية نفسها ويؤلف جزءا منها وهذا يعني تدمير خلايا الجسم للقضاء عليه ومن المستحيل أن نقضي على خلايا الجسم وعلى ذلك فهو يرتع ويلعب داخل الجسم كيف يشاء .

وهكذا يقف الانسان عاجزا أمام هذا الكائن الضئيل الذي لا يرى إلا بعد تكبيره ٤٥٠ ألف مرة ! وقد تمكن الانسان من غزو الفضاء ولم ينجح في القضاء على هذا الوباء . حتى لا يتيه فخرا بما لديه من العلم . ولو علم أن هذا العلم إنما هو قطرة من بحار كرم الله ويجب أن يستخدم في البناء والتعمير وليس في الهدم والتدمير لما استخدم في اختراع وسائل الدمار التي تستطيع أن تدمر العالم عدة

مرات (هذا إذا بقي هناك عالم بعد المرة الأولى من التدمير) .

وتحضرني أبيات للشيخ ابراهيم بديوي من قصيدته الرائعة بعنوان :

الشعر مع الله والذرة

يقول فيها :

يارب هذا العصر ألحد عندما ... سخرت يا ربي له دنياكا
علمته من علمك النووي ما ... علمته فإذا به عاداكا
ما كاد يطلق للعلا صاروخه ... حتى اشاح بوجهه وقلاكا
واغتر حتى ظن أن الكون في ... يمنى بني الانسان لا يمناكا
أو ما درى الانسان أن جميع ما ... وصلت اليه يداه من نعماكا ؟
أو ما دري الانسان أنك لو أردت ... لظلت الذرات في مخباكا ؟
لو شئت يا ربي هوى صاروخه ... أو لو أردت لما استطاع حراكا
يا أيها الانسان مهلا واتئد ... واشكر لربك فضل ما أولاكا
واسجد لمولاك القدير فإنما ... مستحدثان العلم من مولاكا

ويتبارى تجار الحروب وتجار الدماء من اليهود في الزج بالدول الكبرى والصغرى على السواء الى حلبة سباق مجنون يسمي سباق التسلح كل دولة تستعرض فيه عضلاتها العسكرية ويصطلي العالم بناره في الوقت الذي يشاءون . ثم يأتي مخلوق ضئيل من مخلوقات الله قد يبيد من مجرمي الحروب أضعاف ما تبيد حروبهم وكأن هذا الكائن يخرج لسانه لهؤلاء المجرمون تحديا لهم وسخرية منهم .

وهكذا يبقى ربك دائما هو القاهر فوق عباده .

وفي حالات الانفلونزا الخفيفة قد تتشابه أعراضها مع الزكام أما الحالات الشديدة فإنها تتميز عن الزكام بأن أعراضها في الجسم بصفة عامة تكون أشد من أعراضها في الأنف والحلق كما أنها تكون مصحوبة في باديء الأمر بآلام في الظهر وصداع شديد في الرأس وارتفاع ملحوظ في درجة الحرارة وهبوط في الصحة العامة . وبالطبع تكون مضاعفاتها أشد من مضاعفات الزكام ولا تقتصر على اصابة الجهاز التنفسي فقط بل تتعداه الى القلب والكليتين .

وأما من حيث الوقاية فهي لا تختلف كثيرا عن الزكام أما من حيث العلاج فهي لا تختلف كثيرا أيضا إلا في حالة حدوث المضاعفات الخطيرة سالفة الذكر وبعد ...

فهذه عجالة عن اثنين من أكثر أمراض الجهاز التنفسي انتشارا أرجو أن تخرج منها بفائدة أخي القاريء وأسأل الله لي ولك العفو والعافية ومسك الختام أن نتدبر معا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« يا أيها الناس إن الناس لم يعطوا في هذه الدنيا خيرا من اليقين والمعافاة فسلوهما الله عز وجل » (أخرجه الامام أحمد في مسنده بإسناد جيد) .

أحسنوا التوكّل على الله

للشيخ/ احمد علي حشيش

إن التوكل على الله حقيقة واضحة وضوح الشمس .
دائما ما اطلقها الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام .
وعلى الله فليتوكل المؤمنون فعلى الله وحده يتوكل المؤمن لا يلتفت قلبه الى سواه . ولا يرجو عونا الا منه ولا يرتكن الا الى حماه . ولسان حاله في مواجهة الطغيان والاذى يقول : (**وما لنا الا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا**) ابراهيم/١٢ إنها كلمة المؤمن المطمئن الى موقفه وطريقه . الذي ملأ يديه من وليه وناصره فهو نعم المولى ونعم النصير .

والقلب الذي يحس ان يد الله سبحانه تقود خطاه وتهديه السبيل هو قلب موصول بالله . لا يخطىء الشعور بوجوده سبحانه والوهيته القاهرة المسيطرة فيمضي في طريق الله أيا كانت **العقبات في الطريق . وأيا كانت** قوى الطاغوت التي تتربص في هذا الطريق . وهذه الحقيقة لا يحسها الا من تعلق قلبه بالله . وتذوق حلاوة التوكل على الله .

وان منطق الايمان الصحيح في بساطته وقوته كما هو في قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكما ينبغي ان يكون في قلب كل مؤمن برسالة الله وكل قائم على دعوة الله هو هذا البيان الواضح في سورة الزمر ٣٦ (**اليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه ومن يضلل الله فماله من هاد**) فهذا البيان هو الدستور الذي يغني ويكفي ويكشف الطريق الواصل الثابت المستقيم . فممن يخاف وماذا يخاف اذا كان الله معه ؟ ومن ذا الذي يشك في كفاية الله لعبده وهو القوي القاهر فوق عباده انها قضية الخوف . وهي بسيطة واضحة لا تحتاج الى جدل ولا عمق تفكير إنه الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون وحين يكون هذا هو الموقف . لا يبقى هنالك شك . ولا يكون هناك اشتباه . انه متى استقرت هذه الحقيقة في قلب المؤمن فقد انتهى الامر بالنسبة اليه . وقد انقطع الجدل ، وانقطع الامل الا في جناب الله سبحانه فهو كاف عبده .

وعليه التوكل وحده « **قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون** » الزمر/٣٨ .

وان الذين يجدون في قلوبهم الاتكال على احد غير الله او على سبب من الاسباب لا يمت بصلة الى الله . يجب عليهم ان يبحثوا ابتداء في قلوبهم عن « حقيقة الايمان بالله »

(انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون) الانفال /٢ فالتوكل الحقيقي على الله وحده كما يفيد بناء الآية .

فالمؤمنون لا يشركون مع الله احدا ، يستعينون به ، ويتوكلون عليه ، وكما عقب على هذه الآية الامام ابن كثير في التفسير بقوله : اي لا يرجون سواه . ولا يقصدون الا اياه . ولا يلوذون الا بجنابه . ولا يطلبون الحوائج الا منه . ولا يرغبون الا اليه ويعلمون انه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن . وانه المتصرف في الملك لا شريك له ولا معقب لحكمه وهو سريع الحساب ولهذا قال سعيد بن جبير « التوكل على الله جماع الايمان » وهذا هو اخلاص الاعتقاد بوحدانية الله . واخلاص العبادة له دون سواه . فما يمكن ان يجتمع في قلب واحد توحيد الله والتوكل على احد معه سبحانه .

وحسن الاتكال على الله لا يمنع من اتخاذ الأسباب لأن قانون الأسباب والمسببات قانون ثابت في

هذه الحياة فالمؤمن يتخذ الأسباب من باب الايمان بالله وطاعته فيما يأمر به من اتخاذها ولكنه لا يعتقد أن الأسباب هى التي تنشئ النتائج فيتكل عليها ، إن الـذي ينشىء النتائج كما ينشىء الأسباب هو اللـه . ولا عـلاقـة بـين السبب والنتيجة في شعور المؤمن . إلا أن اتخاذ السبب عبادة بالطاعة .

وتحقيق النتيجة قدر من الله . مستقل عن السبب لا يقدر عليه إلا الله وبذلك يتحرر شعور المؤمن من التعبد للأسباب والتعلق بها كما يجب على المؤمن أن يعلن عقيدته الناصعة في تولي الله وحده كما علمنا ربنا ما نقوله على لسان نبيه ومصطفاه صلى الله عليه وسلم « إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين . والـذين تدعون من دونـه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون . وإن تدعوهم إلى الهـدى لا يسمعوا وتـراهم ينظـرون إليـك وهم لا يبصـرون » الأعـراف / ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٨ .

إنهـا كلمـة المؤمـن في وجـه الطواغيت . وكل من يصرفه عن الله ولقد قالها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما أمره ربه وتحدى بها المشركين في زمانه قالها في لهجة الواثق المطمئن إلى السند الذي يرتكن اليه ويحتمى به من كيدهم جميعا « **إن وليى الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين** . إن المؤمن قوي الايمان صادق اليقين يرتكن إلى الله ويعتمد عليه في كل أموره ، ويعتقد اعتقادا جازما بأن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوه بشىء لم ينفعوه إلا بشىء قد كتبه الله له ، ولو اجتمعت على أن يضروه بشىء لم يضروه إلا بشىء قد كتبه الله عليه . لا عجزا من ربه عن حمايته من أذاها سبحانه وتعالى ولا تخليا منه سبحانه عن نصرة أوليائه ، ولكن ابتلاء لعباده الصـالحـين للتـربيـة والتمحيص والتدريب كما قال تعالى في سورة محمد ٣١ « **ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا اخباركم** » وكما قال جل شأنه في سورة آل عمران / ١٤٢ « **أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الـذين جـاهـدوا منكم ويـعلم الصابرين** » .

فكل ما يحدث للمؤمن فهو من باب الامتحان والاختبار حتى تتبلور حقيقة الإيمان ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام الأسوة الحسنة والقدوة الطيبة . فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما ذهب إلى أهل الطائف يدعوهم إلى عبادة الله ، سلطوا عليه سفهاءهم وغلمانهم يرمونه بالحجارة حتى أدموا عقبه الشريف فما كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن تضرع إلى الله قائلا : « اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يـا أرحم الـراحمـين . أنت رب المستضعفـين وأنت ربـي الى من تكلني ؟ إلي بعيد يتجهمني . أم إلي عدو ملكته أمري . إن لم يكن بك علي

غضب فلا أبالي . ولكن عافيتك هى أوسع لي . أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات . وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك أو يحل على سخطك . لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك » سيرة ابن هشام وكأن الرسول صلى الله عليه وسلم يعلمنا اللجوء الى الله وقت الشدة . يعلمنا الصبر على المحن والاستفادة منها . مع الاعتصام الكامل بحبل الله فهو ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور .

وهذا أبوبكر الصديق ثاني اثنين إذهما في الغار، وأكرم من أقلت الأرض بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم يضربه المشركون على وجهه الكريم بالنعال المخصوفة حتى تركوه وما يعرف له فم من عين وهو يردد طوال هذا الاعتداء المنكر الفاجر قوله « رب ما أحلمك . رب ما أحلمك . رب ما أحلمك » كان يعرف في قرارة نفسه ما وراء هذا الأذى من حلم ربه . لقد كان واثقا أن ربه لا يعجز عن تدمير أعدائه . كما كان واثقا أن ربه لا يتخلى عن أوليائه . وهذا عبد الله بن مسعود رضى الله عنه يقول وقد تناوله المشركون بالأذى لأنه أسمعهم القرآن في ناديهم إلى جوار الكعبة حتى تركوه وهو يترنح لا يصلب قامته ، كان يقول بعد هذا الأذى المؤلم والتعذيب الوحشي الذي ناله « والله ما كانوا أهون علي منهم حينذاك » كان يعرف أنهم يحادون الله سبحانه، وكان يستيقن أن الذي يحاد الله مغلوب هين على الله فينبغي أن يكون مهينا عند أولياء الله . هكذا كانوا يحسون أن الله يسمع لهم وهو قريب منهم وأنه معني بأمرهم عناية مباشرة وأن شكواهم ونجواهم تصل إليه بلا واسطة ولا يهملها ولا يكلها إلى سواه وما حل بهم إنما لحكمة لا يعلمها إلا هو « **وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين** » آل عمران/ ١٤١ . ومن ثم كانوا يعيشون في أنس بربهم ، في كنفه ، في جواره ، في عطفه ، في رعايته وعنايته ، ويجدون هذا كله في نفوسهم حيا واقعا . وليس معنى ولا فكرة ولا مجرد تمثيل وتقريب « إنه سميع قريب » .

لهذا ومن أجل ذلك أعزهم الله ونصرهم وأيدهم فشرقوا وغربوا تاركين الأهل والأوطان باذلين النفس والنفيس في سبيل إعلاء كلمة الله ونشر دين الله حتى استضاءت بهم قارات العالم مبشرين ومنذرين وشهدت لهم الدنيا بأسرها ، الأعداء قبل الأصدقاء . والفضل ما شهدت به الأعداء .

حيث رأوا فيهم الاسلام يتحرك في رجال والقرآن العظيم يتكلم بكل لسان ، صدق وصفاء ، تواضع ورحمة ، رجولة ومروءة، شجاعة وإقدام ، علم وتعلم ، دعوة بحق مفتاحها .

« شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله »

حتى مدحهم رب العالمين بقوله سبحانه : « **رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب**

فيه القلوب والأبصار » النور/ ٣٧ . فكانت لهم البشارة من السماء في قرآن يتلى إلى يوم القيامة . فقال تعالى في حقهم مهنئا ومبشرا لهم « **والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم** » التوبة / ١٠٠ .

وقد بقيت مسئوليتنا في أعناقنا نئن منها حتى نلقى الله حيث ضللنا الطريق القويم . وحدنا عن صراط الله المستقيم . وشغلتنا أموالنا وأهلونا عن فرائض الله وعن الجهاد في سبيل الله واطمأنت نفوسنا إلى هذه الدنيا وكأنها نهاية المطاف فبددنا أموالنا فيما لذ وطاب من الطعام والشراب ونسينا إخوة لنا يموتون جوعا في أرتريا ، في الفلبين ، في أفغانستان في جنوب أفريقيا ، كما ضيعنا ملكا ورثناه عن آبائنا وأجدادنا نالوه بأمجادهم وجهادهم في سبيل الله واستسلمنا لأحفاد القردة والخنازير الذين كتب الله عليهم اللعنة والذلة والمهانة إلى يوم القيامة . وتركنا لهم ساحة الميدان خالية فأخذوا يصولون ويجولون . يسلبون ويقتلون ويدمرون . يهتكون الأعراض ويسفكون الدماء . وقد تشاغل المسلمون فيما بينهم . فمنهم من شغله منصبه وسلطانه . ومنهم من شغلته ماله . ومنهم من شغلته تجارته . ومنهم من شغله حب الدنيا . اما آن لنا يا أمة الإسلام أن نستيقظ من رقادنا . ونفيق من سكرتنا فنوحد الكلمة كما نوحد الصفوف ونجمع الشمل ونقف يدا واحدة أمام أعداء الإسلام .

أما آن لنا أن نعود إلى كتاب الله فنحل حلاله ونحرم حرامه أما آن لنا أن نعود إلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فنتأدب بآدابه ونتخلق بأخلاقه . أما آن لنا أن نتخلص من الشقاق والنفاق وسوء الأخلاق . ونتحلى بكل أدب أدبنا به الإسلام . أما آن لنا أن نترك الانتماء الى الشرق تارة وإلى الغرب تارة أخرى ونجرب مرة واحدة أن نكون جند الله المخلصين . أن نكون حزب الله المجاهدين . أن نكون أولياء الله الصادقين . « **وما لنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون** » ابراهيم / ١٢ . فربما ننال وعد الله الذي وعد به المؤمنين الصادقين .

« **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون** » النور/ ٥٥ .

والله أسأل أن يصلح قادة المسلمين وعامتهم وأن يهيء للأمة من يقودها إلى الهدى والرشاد ويجمع كلمتها على التقوى حتى تسترد مجدها وتتبوأ مكانتها إنه نعم المولى ونعم النصير .

حقيقة الإيمان

حتى لا يفتن الناس بتضليلات المنافقين عن معنى الإيمان نسوق المعنى الصحيح للإيمان من اجابة رسول الله لجبريل وتصديق جبريل للرسول :

سأل جبريل رسول الله ﷺ عن الإيمان فقال رسول الله :

أن تؤمن بالله
وملائكته وكتبه ورسله واليوم
الآخر وتؤمن بالقدر خيره
وشره

فقال جبريل لرسول الله : صدقت

رواه مسلم



البلاء المبين لأبي الأنبياء

للاستاذ / سليمان احمد التهامي

يقول الله تعالى في حديثه القدسي : « انطلقوا يا ملائكتي الى عبدي فصبوا عليه صبا ، فيصبون عليه البلاء فيحمد الله فيرجعون فيقولون ياربنا صببنا عليه البلاء كما امرتنا فيقول ارجعوا فإني أحب أن أسمع صوته » .

وقد سمى الله تعالى التكاليف الشرعية « بلاء » لانها كلها مشاق على الأبدان كما قال تعالى : **(ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين)** محمد / ٣١ . ولنعلم أن اختبار الله للعباد ليس بالمضار والمحن ولكنه كذلك بالمسار والمنح كما قال الله تعالى في شأن ابراهيم عليه السلام **(وإذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن »** البقرة / ١٢٤ .

والبلاء درجات ومراتب وذلك بقدر العبد عند الله وبمدى تكريم الله له .... فكلما اقترب العبد من الله تعرض للابتلاء ... وكلما ابتعد عن الله لم ينظر الله اليه ولم يبال به .

وسنتناول باذن الله الابتلاء الذي يبتلى به عباد الله المقربون منه سبحانه وتعالى .... قال الله تعالى **(واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن)** ...وإذا تتبعنا حياة الخليل وجدنا بلاء كثيرا ابتلى به .

فلما كان طفلا في منزل والده « آزر » « بمدينة أور » ، اخذ يتأمل ما يصنعه والده من تماثيل للآلهه المختلفة التي كان يعبدها قومه ، ولم يحاول خليل الله ابراهيم تقليد أبيه فيما يصنع كشأن معظم الأطفال حينما يشاهدون والدهم يقوم بعمل فيحاولون تقليده ... لم يفعل ابراهيم عليه السلام ذلك ولكنه كان يتأمل

التماثيل المشوهة التي يصنعها والده ويعجب من شأنها كيف تسجد لها النـاس ووالده يصنعهـا بـإزميلـه ومطرقته !! وهل تسمح الآلهة لانسان بأن يدق على رأسها بمطرقة وإزميل !!

عجب إبـراهيم عليه السـلام . فكانت فطرته السليمة تقوده إلى رؤية الحق حقا والباطل باطلا .... كان يبحث عن الحقيقة الكبرى بقلبه وعقله .... لم يكن يستسيغ ما يفعله أهله وعشيرته ...

كان يشعر بالضيق والكآبة لمنظر آلهتهم ، كيف تكون الآلهة بهـذه الخلقة المشوهة !! فقد كـان الاله الأكبر « مردوخ » ذا اذنين كبيرتين وجسد مشوه ... كيف يكون الاله الذي خلق الناس في أحسن صورة وخلق الجمال في الكون كله ورفع السماء الصافية كما قـال تعالى : « **الله الذي جعل لكم الارض قرارا والسماء بناء وصـوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين** » غافر/ ٦٤ . كيف يرضى لنفسه هذا الجسـد المشـوه وتيدث الأذنـين الكبيرتين !!

لم يهدأ ابراهيم واتبع هدى قلبه فرأى في السماء آيات عظيمة تنبىء بعظمة الخالق وإبداعه .... فهذه الكـواكب المعلقـة في السمـاء من يمسكها ، إنها قوة عظيمة لم يهتد لها بعد .

وبدأ الله ينـير الطريق لخليلـه إبراهيم فهداه إليه وبعثه رسـولا مبشرا ومنذرا فذهب إلى قومه يدعوهم الى الـهـدى والصـراط المستقيم واسلمت سارة وذهب الى أبيه وأمه واخوته يدعوهم الى عبادة الرحمن ولا يشركوا به شيئا أخذ يدعوهم الى الاسلام لله وعبادته .... كان أهله يعتقدون أن الاوثان يقربونهم الى الله زلفى .

ولم يستطع هداية أبيه وأمه فقال له أبوه ... (**أراغب أنت عن آلهتي ياإبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني مليا**) مريم/ ٤٦ .

فما كان منه وهو الحليم إلا ان يترك اباه في الضلال المبين **قائلا له** : « **قال سلام عليك سأستغفر لك ربي انـه كان بي حفيـا . واعتـزلكم وماتدعون من دون الله وأدعو ربي عسى ألا أكون بدعاء ربي شقيا** » . مريم/ ٤٧ ـ ٤٨ .

وأراد الله أن يجعل رسوله ابراهيم أمة مسلمة وأن يرفعه مكانا عاليا في الدنيا والآخرة ولكن شاءت ارادة الله أن يبتلى ابراهيم ليكون قلبه راسخا قويا لا يحيد عن دين الله .... فكان الابتلاء الأول نار قومه الموقدة .

عندما دعا إبراهيم عليه السلام قومه الى عبادة الله الواحد القهار كذبوه واتهموه بالسفه فكاد ابراهيم عليه السلام لهم كيدا .... فحطم أصنامهم وترك صنما ووضع الفأس على كتفه ، فجاء القوم وأصـابهم الفزع والذعر حينما رأوا اصنامهم التي يقدسونها ويسجدون لها محطمة متناثرة الاشلاء ، فأمسكوا بخليل الله إبراهيم واتهموه بتحطيم آلهتهم فقال لهم : (**بل فعله كبيرهم هذا**

فاسألوهم إن كانوا ينطقون) الانبياء/ ٦٣ .... كانت حجة إبراهيم عليه السلام قوية فهو لا ينطق عن هوى ولكنه ينطق بالحق الذي هداه اليه ربه ، فقال القوم لقد صدق ان مردوخ رب الأرباب كره أن يعبد معه غيره ففعل ما فعل . فقال إبراهيم عليه السلام (**افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم)** . الانبياء / ٦٦ .

فأرسل النمروذ في طلبه فسار اليه خليل الله جليلا مهيبا ولم يخر ساجدا له . فسأله النمروذ : من ربك الذي تدعو اليه ؟

رد خليل الله قائلا : (**رب السموات والارض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته »** /مريم/ ٦٥ .

فقال له النمروذ : ان كنت في ريبة من أني ربك فقل لي من ربك .

فقال ابراهيم عليه السلام : **ربي الذي يحيى ويميت** البقرة ٢٥٨ .

فقال النمروذ : (**أنا أحيى وأميت)** .

قال ابراهيم عليه السلام : (**فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر)** .... البقرة/ ٢٥٨ .

واتفق القوم على إحراق ابراهيم لينصروا آلهتهم واوقدوا له ناراً عظيمة وأرادوا إلقاءه فيها فصنعوا منجنيقا ليقذفوا إبراهيم عليه السلام في النار دون أن تمسهم حرارتها . كان هذا البلاء الأول لخليل الله فصبر عليه ، فلم يخف النار الموقدة ولم يتزحزح عن دينه فهو يعلم أن نار الله أشد حريقا من نار الناس ، فلم يتخل عنه الله عندما صبر على بلائه وأمر الله العلي العظيم النار « **يانار كوني بردا وسلاما على إبراهيم** » الانبياء/ ٦٩ .

واتهمه الناس بالسحر ولم يكن هذا سحرا ، فالنار كانت حقيقية ولم يكن إبراهيم من السحرة بل كان خليل الله ورسوله وأبا الانبياء .

ولكن الله اصطفى ابراهيم على العالمين وقربه خليلا صديقا ، فأراد الله أن يبتليه ليزيده مقاما وعزا في الدنيا والآخرة وما كان ابراهيم عليه السلام يرجع عن الحق بعد أن رآه واستقر في قلبه . إن الله هو الرحمن الرحيم لا يأخذ الناس بالعذاب قبل أن يبعث فيهم مبشرا ونذيرا منهم « فكيف سيتركه الله للنار تحرقه وهو خالق النار ، فلم يأبه ابراهيم بنار الكافرين الموقده ودخلها وهو متصل بقلبه بخالق السماء والارض وما بينهما وأبلى بلاء حسنا في أول اختبار له .

وكان خليل الله يعيش في زمن بعيد لم يكن هناك علوم تهديه الى قدرة الله في الخلق والبعث ، فكان يريد أن يطمئن الى ايمانه بأن الله يحيى الموتى ، فقد كان قوم إبراهيم عليه السلام يعتقدون أن الانسان يموت ولا يحيا بعد الموت ، كان يرى أباه يدعو الهه مردوخ رب الارباب بأن يمنحه حياة طويلة لأنه بعد الموت سينقطع عن الحياة . ويتلاشى ولا يبعث ثانية كانت عقولهم قاصرة فكيف يبعث

الجسد المتعفن المتحلل وقد اختفت معالمه وأعضاؤه كان قوم ابراهيم عليه السلام لا يؤمنون بالبعث ولا يؤمنون بالحساب بعد الموت لأن الميت يذهب الى العالم السفلى الذي لا يعود منه أحد فدعا خليل الله ابراهيم ربه ليهديه الى الحق ...

فقال : (**رب أرنى كيف تحيي الموتى** ؟) .

قال : (**أولم تؤمن**) ؟

قال : (**بلى ولكن ليطمئن قلبي**) . البقرة/ ٢٦٠ .

فأمره الله أن يأتي بأربعة طيور فيذبحها ويقطعها ، بعد أن يعرف شكلها تماما ، ويضع على كل جبل جزءا منها ففعل ابراهيم .

ثم قال له الله : (**ادعهن يأتينك سعيا**) . البقرة/ ٢٦٠ .

فدعاهن ابراهيم فاذا الطيور الاربعة تأتي اليه تمشي على أرجلها كما كانت من قبل حية .

قال ابراهيم : آمنت أن الله على كل شيء قدير .

هكذا كان رسول الله إبراهيم يهتدى الى الحق بدعاء ربه ليهديه لأنه نشأ على فطرة سليمة « ولم يسأل أحدا من البشر فيضلوه » ضلالا بعيدا ولا يسأل نفسه فالنفس أمارة بالسوء « فيتخبطه الشيطان فلا يهديه الا للباطل والشر . إن الله يهدى من يشاء ويضل من يشاء وهو على كل شيء قدير يحيى ويميت لا اله الا هو هكذا كان ايمان إبراهيم عليه السلام صافيا نقيا يسقى من نبع واحد ألا وهو نور الهدى من الله الذي يهدى من يشاء .

كان هذا **الابتلاء الثاني** الذي ابتلى الله به خليله ابراهيم ومرت السنون وابراهيم عليه السلام يدعو الناس الى عبادة الله وحده ويبشرهم بمغفرة منه وجنة عرضها السموات والارض ، دخل في دين خليل الله قوم كثيرون وزاد الله إبراهيم عليه السلام قوة ومالا ، فخافه جيرانه من الملوك والحكام وجعل له الارض مسجدا طهورا وكان يتوافد عليه قوافل التجارة من كل مكان ويستضيفهم بكرمه ويدعوهم الى عبادة الله الواحد القهار ، استجاب له الكثيرون من التجار والرعاة وابتلى الله ابراهيم خليله وحبيبه **الابتلاء الثالث** : **ففي** إحدى الليالي الشديدة البرودة أشعل ابراهيم عليه السلام النار وانتظر على باب خيمته عسى أن يأتي اليه ضيف فيكرمه وينزله عنده ، ولمح شيخا عجوزا يتوكأ على عصا فخف اليه ليكرمه ويستضيفه ، كان عجوزا حنت السنون ظهره وامتلأ وجهه بالتجاعيد والاخاديد التي تنم على أنه جاوز التسعين وأتى خليل الله بالطعام للعجوز ومد العجوز يده الى الطعام دون أن يتفوه بكلمة .

فقال له ابراهيم عليه السلام : هلا ذكرت اسم الله ؟ فنظر العجوز الى ابراهيم عليه السلام في دهشة وقال له : اسم الله ؟ ومن هو الله ؟

قال خليل الله : ربي وربك ورب السموات والارض وما بينهما .

رد الشيخ : ليس لي رب اسمه الله .

فسأله خليل الله : وما تعبد ؟

قال : اعبد النار لانها تحرقني ، اني

اعبد من يقدر على احراقي وعلى تعذيبي .
ومد الشيخ يده الى النار التي تشتعل امام الخيمة وقال : أنني أستطيع ان المس النار واحس بلهيبها وحرها أما الله الذي تدعوني اليه فاني لا استطيع لمسه انى لا أؤمن بما لا أراه وسجد العجوز للنار .
فهب خليل الله فزعا وقال : لا يسجد في خيمتي الا لله ونهر العجوز وطرده من خيمته في الليلة الباردة فأوحى الله لابراهيم خليله ..
....ماذا فعلت بالضيف يا ابراهيم ان الله ربه حمله مائة سنة وهو يعبد النار من دونه وأنت لم تحتمله ساعة وماضرك بشيء ولا اساء اليك .
فقام ابراهيم خليل الله يبحث عن الشيخ العجوز حتى عثر عليه وعاد به الى خيمته ، اراد الله ان يُعلم خليله ابراهيم ان لا يهتم بمن كفر وأبى وأن ليس عليه الا ابلاغ رسالة ربه والله يهدى من يشاء ويضل من يشاء وهو القادر على عقاب الكافرين به .

أما الابتلاء الرابع : فهو شوق ابراهيم عليه السلام للذرية الصالحة كان خليل الله يدعو الله أن يرزقه بذرية صالحة وأن يهبه من الصالحين فقد أصبح مسنا وأصبحت سارة عجوزا عقيما .

ونحن نعلم أن البنين زينة الحياة الدنيا وأن الناس يتهافتون على الذرية وانجاب الأولاد ويكون تعسا شقيا من لا ينجب ولكن خليل الله لم تكن تلهيه زينة الحياة الدنيا ولكنه كان يدعو **(رب هب لي من الصالحين)** الصافات/ ١٠٠ ليرثوا منه الحكمة والكتاب وليكونوا هداة للناس وقدوة لهم .

كان خليل الله ابراهيم في شوق للذرية الصالحة ليسود دين الله الأرض وتدك معاقل الشرك والوثنية .

ها هو خليل الله ابراهيم يدعو كثيرا **(رب هب لي من الصالحين)** لم ييأس من رحمة الله رغم هرمه وزوجته عجوز عقيم . كان متيقنا ان الله على كل شيء قدير انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون .

وكان لله الأمر والتدبير ، يعلم الغيب ولا يحيط أحد بعلمه الا بما شاء .

قدر الله تقديرا ، فأغارت الجنود على خيام خليله ابراهيم وأسرت زوجته سارة تلك التي كانت أول المؤمنين فذهب ليفتديها من ملك مصر فأكرمه الملك وأهدى له الهدايا وأهدى لسارة جارية لها ألا وهي (هاجر) ولم يهتد ابراهيم خليل الله الى حكمة الله في تقدير الأمور لأن الله جعل لكل شيء قدرا .

كان خليل الله ابراهيم يدعو دائما **(رب هب لي من الصالحين)** وسمعت سارة دعاءه فكانت تحزن لأنها عجوز عقيم لا تستطيع تحقيق أمنية زوجها في الذرية الصالحة . فوهبت جاريتها هاجر الى ابراهيم الخليل لينجب منها ذرية صالحة وتصبح تلك الذرية آل ابراهيم . وحملت هاجر من ابراهيم فتهلل وجه خليل الله ابراهيم بالفرح ، فقد صدق

الله وعده ووهب له على الكبر ما في بطن جاريته هاجر ، ورأت هاجر رؤية في نومها تبشرها باسماعيل أي المسموع من الله وأن الله سيباركه ويكثر نسله كثيرا ويلد اثنى عشر سبطا أمما ويجعله أمة عظيمة .

ثم أوحى الله الى خليله ابراهيم أن يأخذ هاجر واسماعيل ويذهب بهما الى الأرض المباركة .

ونزل خليل الله وهاجر واسماعيل بواد غير ذي زرع يطل عليه جبل قبيس ، لا ماء ولا شجر ولا ظل ولم يكن بالوادي أحد من البشر ، كان قحلا جافا .

ومكث خليل الله ابراهيم مع زوجته هاجر وابنه اسماعيل ثم تركهما وحيدين بلا معين غير الله وصبرت هاجر لأمر الله وبعد ذلك بارك الله في هذا الوادي القفر وأخرج فيه بئرا يسيل منه مياه عذبة فتجمع الناس والقبائل حول البئر وتحولت الصحراء القاحلة الى واحة تغص بالناس الذين أتوا اليها من كل فج بعيد .

وعاد خليل الله ابراهيم الى هاجر لزيارتها فوجد أن الله فتح على الوادي القحل بركات من السماء والأرض ورأى ابراهيم عليه السلام في المنام أنه يذبح اسماعيل فهب من نومه مفزوعا وراح يفكر في ذلك البلاء العظيم أنه رأى في المنام أنه يذبح ابنه ورؤيا الأنبياء صدق ووحي من الله وانطلق خليل الله بابنه اسماعيل الى جبل «ثبير» وقال له والحزن يملأ قلبه :

(يا بني اني أرى في المنام اني أذبحك فانظر ماذا ترى) . الصافات/١٠٢ .

قال اسماعيل :

(يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين) . الصافات/١٠٢

كان هذا البلاء العظيم الذي لا يقوى عليه أب رحيم بابنه .

« **فلما اسلما وتله للجبين** » الصافات/١٠٣ ناداه ربه (**أن يا ابراهيم . قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزي المحسنين ان هذا لهو البلاء المبين**) الصافات/١٠٤ ـ١٠٦

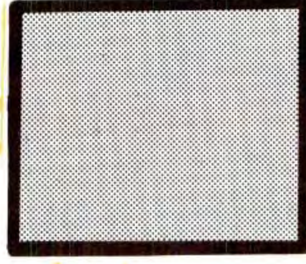
«و فداه الله بذبح عظيم .

« **سلام على ابراهيم . كذلك نجزي المحسنين ، انه من عبادنا المؤمنين** » الصافات/١٠٩ ـ١١١

ولنا أن نعتبر ونتذكر فضل الله علينا في البلاء لأنه رحمة ظاهرها عذاب ولو كان ابتلاء الله لعباده عقابا لهم وعذابا في الدنيا لما اقترفوه من آثام فلماذا يبتلي الله خليله الذي اصطفاه وطهره وجعله أبا للأنبياء ؟

والله لا يعجل عقوبته للناس لأنه أرحم الراحمين ، لأن الله يقول (أنا عند ظن عبدي بي إن ظن خيرا فخير وان ظن شرا فشر) رواه الطبراني وابن حبان عن وائلة بن الأسقع .

انما يكون الابتلاء سلما للعروج الى الله والقرب منه والدعاء له وعبادته وعن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما يصيب المؤمن من شوكة فما فوقها الا رفعه الله بها درجة أو حط عنه بها خطيئة » .



مكارم الأخلاق في القرآن الكريم

وفي شعر ما قبل الإسلام

للأستاذ / عمر الراكشي

للعرب في جاهليتهم خلق مستملح مقبول ، وآخر مستقبح مرذول ، ثم جاء القرآن الكريم فنهى عن الثاني ، وصادق على الأول صراحة أو ضمناً ، والأمثلة في هذا المضمار يكاد تكرارها يكون من نافلة القول .

لذلك رأينا أن نتناول الموضوع من زاوية جديدة هي زاوية الشعر ، ولا نقصد من وراء هذا البحث المقابلة بين القرآن الكريم وبين الشعر كمصدرين من مصادر الأخلاق ، وحصر أوجه الاتفاق والاختلاف بينهما ، ونبادر فننفي عن أنفسنا هذه الشبهة ، ونربأ بالقرآن أن يستوي في كفة ميزان مع مصدر آخر مهما كان .

ومن هنا فنحن نهدف بهذه الدراسة الى القاء الضوء على كل مصدر منهما ، ثم الى بيان مدى اتفاق المصدرين آخر الأمر ، كما نعرض لمثالين من إقرار الرسول صلى الله عليه وسلم وعمر بن الخطاب رضي الله عنه للجانب المقبول من خلق ما قبل الاسلام ، الذي سجله وامتدحه شعر هذه الحقبة من الزمان . وفي خاتمة البحث نتطرق بايجاز الى بيان وظيفة الشعر والشاعر كمصدر اخلاقي بعد الاسلام .

وكان من أهم مراجعنا في هذه الدراسة كتابي العقاد عن الفلسفة القرآنية واللغة الشاعرة .

ولعله كان من المنطقي التزاما بالترتيب الزمني ، أن نعرض بداءة لشعر ما

قبل الإسلام كمصدر خلقي ، ثم نتبعه بالدستور الخلقي الأمثل في القرآن الكريم لكننا رأينا - إعلاء لمنزلة القرآن - أن نبدأ به ، بغير أن يغيب عن فطنة القارئ اللبيب ذلك الترتيب الزمني الملحوظ .

تعليل نشأة الأخلاق :

قيل في تعليل نشأة الاخلاق انها مصلحة اجتماعية تتمثل في عادات الأفراد لتيسير العلاقات بينهم ، وهم متعاونون في جماعة واحدة ، وأيا كان مذهب القائلين في تعليل الأخلاق ، فمما لا مشاحنة عليه أن الاخلاق مصلحة اجتماعية ، وأن الجماعات تختلف بينها في العادات ، وأصول العرف على حسب اختلافها في أحوال الاجتماع .

مقياس الترجيح :

ويتساءل العقاد ما الترجيح اذا تعادل خلقان في النفع الاجتماعي ؟ ألا يوجد هنالك مقياس نرجع اليه في تفضيل أحدهما على الآخر ؟ أو بعبارة أخرى أليس لحاسة الجمال أو لنزوع الانسان الى الكمال شأن في تفضيل بعض الأخلاق على بعض ، أو في تمييز بعضها بالاستحسان والإيثار ، وبعضها بالمقت والاستنكار ؟
ويجيب على هذا التساؤل بقوله : أيا كان المقياس في ترجيح بعض الأخلاق على بعض فهناك مقياس لابد من الرجوع اليه في جميع الأحوال ، وهو صحة النفس ، وصحة الجسد على السواء ، فالنفس الصحيحة تصدر عنها أخلاق صحيحة . ومصدر الجمال في الأخلاق هو القوة النفسية ، وهو أن يشعر الانسان بالتبعة ، وأن يدين نفسه بها لأنه يأبى أن يشين نفسه ، ويعتبر (الشين) غاية ما يخشاه من عقاب .
ومصدر الأخلاق الجميلة هو : ((عزم الأمور)) كما سماه القرآن ، وهو مصدر كل خلق جميل حثت عليه شريعة القرآن .

أولا : القرآن كمصدر خلقي :

القرآن الكريم يقرر ((التبعة الفردية)) وينوط بها كل تكليف من تكاليف الدين ، وكل فضيلة من فضائل الاخلاق ، فالشخصية الانسانية في الجمال الأخلاقي كلما ارتقت في الاستعداد ((للتبعة)) ومحاسبة النفس على حدود الأخلاق اقتربت من النزوع الى الكمال الأخلاقي ، (**كل نفس بما كسبت رهينة**) ٣٨/ المدثر : (**لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت**) ٢٨٦/ البقرة (**ولا تزر وازرة وزر أخرى**) ١٥/ الاسراء و ١٨ /فاطر .
وما من خصلة حث عليها القرآن إلا كان تقدير جمالها بمقدار نصيبها من الوازع النفساني ، أو بمقدار ما يطلبه الانسان من نفسه ، ولا يضطره أحد الى طلبه ، فالحق الذي تعطيه ولا يضطرك أحد اليه ، هو أجمل الحقوق ، وأكرمها على الله ، وأخلقها بالفضيلة الانسانية .
فأنت عندما تحسن الى المسكين والى

اليتيم والى الأسير لا تنتظر المقابل ، انما هو خلق يحثك عليه القرآن وعلى البرّ بأمثال هؤلاء الضعفاء : **(ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا)** الانسان/٨ ، **(فأما اليتيم فلا تقهر . وأما السائل فلا تنهر)** الضحى ٩/١٠ ، وكذلك الشأن في واجب البر بالوالدين حين يضعفان ، أو يعجزان عن التأديب والجزاء ، فهو أخلص البر وأكده : **(وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا)** الاسراء/٢٣و٢٤.

وعزم الأمور يتضح في مجال ضبط النفس حتى في مقاتلة العدو . فيقول القرآن : **(وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا)** البقرة/١٩٠ ، **(فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم)** البقرة/١٩٤.

الفضائل المثلى في القرآن :

ولا تسقط الضرورة ولا الغضب هذا الواجب عن كاهل انسان ينشد الكمال ويروض نفسه على الأفضل من الخصال ، فعلى الغاضب أن يغفر للمغضوب عليه ، وعلى المضطر أن يتجنب البغي والعدوان :

(وإذا ما غضبوا هم يغفرون) الشورى/٣٧ **(فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم)** البقرة/١٧٣.

وغني عن التفصيل أن الفضائل المثلى التي يحض عليها القرآن الكريم هي الفضائل التي ترتفع الى هذا المستوى ، وتجري في نسقه ، وتجمل بمن يروض نفسه على هذا الوازع فيحاسب نفسه هذا الحساب .

فالصبر والصدق ، والعدل والإحسان ، والحلم والعفو ، كلها مثال الكمال الذي يطلبه لنفسه من يزع نفسه ، ويختار لها الأمثل فيأبى لها أن يهبط بها دون مكان الجميل الكامل من الخصال والفعال .

- **(ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور)** الشورى/٤٣
- **(وقل رب أدخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق)** الاسراء/٨٠
- **(والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون)** البقرة/١٧٧
- **(إن الله يأمر بالعدل والإحسان)** النحل/٩٠
- **(يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى)** المائدة/٨

من الدستور الخلقي في القرآن :

وهذا الأدب القراني عينه هو الذي يملي على الكبير أن يتواضع للصغير ، ويملي على الصغير أن يحفظ مكانة الكبير ، ويملي على الكبار والصغار

أجمعين أن يتجنبوا الاساءة ، ويتعمدوا المحاسنة ، ويأخذ بعضهم بعضا بالرفق والأدب ، وطيب العشرة واحسان المقال :

- (**واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين**) الشعراء/ ٢١٥

-

- (**وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما**) الفرقان/ ٦٣

- (**قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى**) البقرة/ ٢٦٣

- (**والله لا يحب كل مختال فخور**) الحديد/ ٢٣

- (**ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها**) الاعراف/ ٥٦

- (**والذين هم عن اللغو معرضون**) المؤمنون/ ٣

والقرآن الكريم يطلب من المسلم احسان القول في المغيب كما يحسنه في الحضور :

- (**ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه**) الحجرات/ ١٢

ولا يخفى أن جماع هذه الأخلاق القرآنية كلها ، هو تلك الصفات التي اتصف بها الخالق نفسه في أسمائه الحسنى ، وكلها مما يحمد للانسان أن يروض نفسه عليه ، وأن يطلب منه أوفى نصيب يتاح للمخلوق المحدود ، فيما عدا الصفات التي اختص بها الخالق نفسه دون سواه .

المصدر الالهي :

وإن المسلم ليؤمن بمصدر هذه الأخلاق المثلى ، ويؤمن بأنها جميعا مفروضة عليه بأمر من الله .

ولكن المسلم وغير المسلم - في رأي العقاد - يستطيعان أن يقولا معا إنها صفات لا ترجع الى مصدر غير المصدر الالهي الذي تصدر منه جميع الأشياء ، لأن مناطها الأعلى لم يتعلق بمنفعة المجتمع ، ولا باستطاعة القوة ، ولا بالقانون والسلطان ، ولكنه تعلق بما في الانسان من حب للجمال ، وشوق للكمال ، وكلاهما نفحة من الخالق يهتدي بها الأحياء عامة في معارج الرفعة والارتقاء .

سورة الشعراء :

سميت احدى سور القرآن الكريم بسورة (الشعراء) وهي مكية ، وقد ختمت بالتنويه بشأن القرآن ، كما افتتحت به ، وانتهت آياتها بابطال أن يكون رسول الله من الشعراء وأن يكون القرآن شعرا . وجاء في ختامها هذه الآيات عن الشعراء :

(**والشعراء يتبعهم الغاوون . ألم تر أنهم في كل واد يهيمون . وأنهم يقولون مالا يفعلون . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون**) الشعراء ٢٢٤ - ٢٢٧ .

والمعنى « أن الشعراء يهيمون في كل وادٍ من أودية القول ، فلا يهتدون دائما الى الحق ، لكن الذين اهتدوا منهم بهدى الله يجعلون الشعر كالدواء يصيب الداء ، وينتصرون

لدينهم ولإقامة الحق ، وسيعلم الذين ظلموا أنفسهم بالشرك وهجاء الرسول ، أي مرجع من مراجع الشر والهلاك يرجعون اليه » « المنتخب في تفسير القرآن الكريم للجنة القرآن والسنة بالمجلس الأعلى للشئون الاسلامية بمصر » .

ثانيا : الشعر قبل الاسلام كمصدر خلقي :

كان الشعر العربي قبل الاسلام مستودع المناقب والمفاخر والأنساب ، والدستور الخلقي الذي يعرف منه الخلق الحميد والخلق الذميم .

وهو الذي استحسن النجدة والشهامة والمروءة والفروسية واكرام الضيف ، وذم الجبن والبخل والشح والخذلان وكل فعل يجري على خلاف ما تعارف عليه العرب قبل الاسلام من خلق حميد .

فالى الشاعر العربي كان يرجع العربي ليتعرف القيم الأخلاقية المفضلة ، ويستقصى المناقب التي تستحب من الانسان في حياته الخاصة أو حياته الاجتماعية .

يرجع العربي الى الشاعر ولا يرجع الى الفيلسوف أو الى الزعيم أو الباحث في مذاهب الأخلاق ، ويعلم كل قارئ عربي ـ كما نرى مع العقاد ـ أن الشاعر الحكيم أبا تمام إنما قرر حقيقة علمية حين قال :

ولولا خلال سنها الشعر مادري
بناة العلا من أين تؤتي المكارم

ففي الشعر العربي تنويه بكل صفة من صفات المروة والفتوة ، وإزراء بكل عيب من العيوب التي تشين صاحبها بين قومه ، وبيان واف للأخلاق التي تحكم الحياة فعلا أو ينبغي أن تحكمها وتتراءى فيها مرجحة مشرفة بين سائر الأخلاق .

ومن عجب أن العربي لا يرجع الى الشاعر ليسأله عن المذاهب الفلسفية ذات الشروح والحواشي وذات العلل والنتائج ، لأنه يجد عنده شيئا أقرب الى حسه وفهمه وعمله ، يجد (شخصيات حية) تتمثل في كل منها صورة من صور الحياة كما هي ، وكما يتمناها .

وإنه ليشعر بالمجاوبة بينه وبين هذه الشخصيات في جوانب كثيرة من ذات نفسه وذات ضميره .

يشعر بها حين يغتبط بحظه من الأخلاق ويعتقد أنه على شيء من تلك الصفات التي يحمدها الشعراء .

ويشعر بها حين يتعزى عن فقدان الأخلاق الفاضلة في المجتمع ، فيردد أبياتا من الشعر يستشهد بها لغيره .

ويجد في الشعر العربي شخصيات حية تناسب كل حالة وكل سن وكل مزاج :

يجد شخصية الشاب المغامر ، وشخصية الكهل الناضج ، وشخصية الشيخ الحكيم . وكلهم من الشعراء النابهين ، وكلهم نموذج صحيح من نماذج الشخصية الانسانية على سليقتها ، وصورة مستوفاة لحياة واقعية .

ففي شعر الجاهلية مثلا ، نموذج لشخصية الشاب طرفة بن العبد ، وشخصية الكهل حاتم بن عبد الله ،

وشخصية الشيخ زهير بن أبي سلمى ، وكل منهم موصوف في شعره على حقيقته ، بالإضافة الى أنه واصف صادق للقيم الأخلاقية كما تواضع عليها المجتمع في عصره ، وكما انه يتمنى أن تسود في الناس كافة .

شخصية طرفة بن العبد :

لم يعمر طرفة طويلا ، فلم يشرف على الثلاثين اذا أخذنا بقول أخته في رثائه ، ولد في بيت عريق لكنه فقد أباه فنشأ يتيما ، ولم ينل من أعمامه حقه وابتلى بالظلم ، فاستقل برأيه وذهب يغامر في الحياة ولا يبالي الموت إذا عاش عيشة النعيم ومات ميتة الكريم .

ألا أيهذا اللائمي أشهد الوغى
وأن أحضر اللذات هل انت مخلدي

فإن كنت لاتستطيع دفع منيتي
فدعني أبادرها بما ملكت يدي

وإذا خوفوه بالعمر القصير قال : (ما أقرب اليوم من غد) .

ولم يكن طرفة يبالي أن يسأل عن خبر مغيب عنه ، وكان يقول لمن يشغلون أنفسهم بالسؤال والاستطلاع :

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا
ويأتيك بالأخبار من لم تزود

وهو في رأي العقاد نموذج للشاب النبيل الذي يرضي نفسه ولا يرضى عنها اذا تخلفت عن أنداده ونظرائه في مقام الشجاعة والندى . ولا يقبل من قومه اذا أعطاهم حقهم في ساعة الشدة أن يحولوا بينه وبين (ساعة المتعة) .

شخصية حاتم بن عبد الله :

هو مثل من أمثال الرجولة الناضجة وقدوة للسيد المسؤول عن قومه ، والى هذا اليوم يضرب المثل بالكرم (الحاتمي) في أحاديث الناس ، الذين يعرفون من هو حاتم هذا ، والذين لا يعرفون منه إلا اسما أصبح في عداد الصفات الدالة على النبل والكرم .

واتفق الرواة على أنه : (رجل يصدق قوله فعله ، اذا قاتل غلب ، واذا سئل وهب ، واذا سابق سبق ، واذا أسر أطلق) .

وقد شهدت ابنته البعثة الاسلامية وجيء بها مع أسرى قبيلتها الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : (يارسول الله ! هلك الوالد وغاب الوافد ، فامنن عليَّ منَّ الله عليك ، قالت : فكساني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحمَّلني ، وأعطاني نفقة) السيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ٢٢٦ ط. بيروت . فان رأيت أن تخلى عني فلا تشمت بي أحياء العرب ، فاني بنت سيد قومي ، كان أبي يفك العاني ويحمي الذمار ، ويقري الضيف ، ويطعم الطعام ، ويفشي السلام ، ولم يرد طالب حاجة قط ، أنا بنت (حاتم طيء) . وشهد السامعون بصدقها ، ولم يكن يخفى على رسول الله صلى الله عليه وسلم حقيقة قولها .

وجملة ما يقال عن هذا النموذج أنه كان سيدا ينهض بأعباء قومه ويخجل من العيش الرغد اذا كان في قومه من يشقى بالفقر والأسر ، ويكرم نفسه مع

الحلم في ساعة الغضب ، قائلا وعاملا بما يقول :

فنفسك أكرمها فإنك إن تهن
عليك فلن تلقى لك الدهر مكرما
تحلم على الأدنين واستبق ودهم
ولن تستطيع الحلم حتى تحلما
وأغفر عوراء الكريم ادخاره
وأصفح عن شتم اللئيم تكرما
لحى الله صعلوكا مناه وهمه
من العيش أن يلقي لبوسا ومطعما

ومن أجمل أقواله التي سبق بها القائلين قبل أربعة عشر قرنا أن المال عبد وليس بسيد :

اذا كان بعض المال ربًّا لأهله
فإني بحمد الله مالي مُعَبَّدُ
ولاأشتري مالا بغدر علمته
ألا كل مال خالط الغدر أنكد

فشريعة الرجولة في هذا النموذج الأخلاقي الحي ، أنها حلم مع قوة ، وعفة مع شجاعة ، وكرم مع وداعة وطيبة ، وأنها حقيقة عملية وليست أمنية من أماني المثل الأعلى .

شخصية زهير بن أبي سلمي :

يعرض لنا زهير قيم الحياة الفضلى كما يتمثلها قبل الاسلام شيخ واسع التجربة ، خبير بحوادث الأيام في زمانه وقبل زمانه ، فيقول :

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش
ثمانين حولا لا أبالك يسأم
وأعلم علم اليوم والأمس قبله
ولكنني عن علم ما في غد عم

والجدير بالحمد عنده من يحسم الحرب ويسعى في السلم ، فلا يهاب القتال ولكنه يدري كنهه فما هو بظن أو غيب فيعافه بعد خبرة :

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم
وما هو منها بالحديث المرجّم

وقد جمع زهير في قصيدته (الميمية) هذه الصفات المثلى كلها في أبيات شهيرة ، يشيد فيها بحسن السياسة ، وبالفضل والوفاء ، وبالقيام بمطالب العشيرة ، كما يشيد فيها بالإقدام الذي لا يهاب صاحبه أسباب المنايا ، وبالصراحة التي تنبو عن النفاق ويأمر بالمعونة ، ولكنه ينهي عنها في غير موضعها ولغير أهلها :

ومن لا يصانع في أمور كثيرة
يضرَّس بأنياب ويوطأ بمنسم
ومن يجعل المعروف من دون عرضه
يفره ومن لا يتق الشتم يشتم
ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله
على قومه يستغن عنه ويذمم
ومن هاب اسباب المنايا ينلنه
وان يرق اسباب السماء بسلم
ومن يجعل المعروف في غير أهله
يكن حمده ذما عليه وينده
ومن لا يذد عن حوضه بسلاحه
يهدَّم ومن لا يظلم الناس يظلم
ومن يغترب يحسب عدوا صديقه
ومن لا يكرم نفسه لا يكرم
ومهما تكن عند امريء من خليقة
وإن خالها تخفى على الناس تعلم
وإن سفاه الشيخ لا حلم بعده
وإن الفتى بعد السفاهة يحلم
لسان الفتى نصف ونصف فؤاده
فلم يبق إلا صورة اللحم والدم

ولا يخفى أن هذه القصيدة أوفى قصائد الشعر الجاهلي في وصف قيم

الحياة و الأخلاق الفضلى ، كما يتمثلها شاعر جاوز الثمانين وقضي العمر في عراك العيش بين الحرب والسلم ، وبين الشدة والرخاء ، قام بتكاليف الحياة حتى سئمها ، لكنه أراد أن يمحصها خالصة لمن لا يسأمها ولا يزال يعانيها .
ولا يغيب عنك أيها القارئ الكريم أن زهير اهتدى الى معاني قصيدته وتمثلها وأداها بحس العربي المرهف ، وفطرته السوية وشاعريته المطبوعة . وليس أغنى من الشعر الجاهلي بهذه (المذاهب الأخلاقية) معروضة في شخصيات حية تستمد قيمتها من وحي المجتمع العربي وفي نطاقه ، ويتسع فيها المجال لتطور كل شخصية على حسب اختلاف السن والمزاج وتجارب الأيام .

الشعر كمصدر خلقي بعد الإسلام :

سأل عمر بن الخطاب الحطيئة : كيف كنتم في حربكم ؟ فقال :
(كنا ألف حازم نطيع قيس بن زهير ولا نعصيه ، ونقدم إقدام عنترة ، ونأتم بشعر عروة بن الورد) .
ولا حاجة بعد هذا المثل للسؤال عن مصدر القيم الأخلاقية بين الشخصية المستقلة وبين العرف الذي يتواضع عليه المجتمع . فان الأمر ينتهي بالثائر والمسالم معا الى توكيد القيم الفضلى ، والنِّراية بمن يخرج عليها .
ولقد مضى على هذه النماذج المتمثلة في الشخصيات التي عرضناها ألف وخمسمائة سنة أو تزيد ، ولم يزل لها صوت مسموع في استحسان الحسن ، وانكار المنكر من الاخلاق .
ولم تتغير بعد الاسلام وظيفة الشاعر التي يرجع اليها في تسجيل القيم والأخلاق ، وإن كان قد تغير الشاعر كما تغير سامعوه وقراؤه ، وأصبح من اليسير على بعض الشعراء أن يعرضوا للناس صفات (الشخصية الحية) كأنها مذهب من مذاهب التفكير .
ويبقى هناك الضابط المهم الذي يوحد بين هذه الأنماط والصفات ، ويتحول بها الى اتجاه واحد كما تتحول الجداول الى مجرى النهر الكبير ، ذلك هو ضابط الدين بعد ظهور الاسلام .
ففي مجتمع الجاهلية كان نطاق المجتمع يحيط بالأنماط الشخصية فتتفق - مع تعددها - في النهاية على الايمان بآداب ذلك المجتمع الجاهلي .
وبعد ظهور الاسلام أحاطت آداب الدين بآداب المجتمع ، وجاءت بمادة التماسك التي تشمل الأنماط الكثيرة وتردها الى بنية واحدة .
وقد تتساءل معي يا قارئي الكريم هل يكون معنى ذلك أن الدين والشعر قد يتفقان كمصدرين من مصادر الأخلاق ؟ ويجيب العقاد بقوله : نعم يتفقان ، وفي الصدر سعة ، وعلى الثغر ابتسامة ، لأن القرآن الكريم يصف الشعراء بأنهم : (**في كل واد يهيمون . وأنهم يقولون ما لا يفعلون**) .
فللشاعر أن يقول ما يشاء ، وللقارىء أن يستريح الى سماعه إذا شاء ، لأنه لا ينظر اليه نظرة المعُارِض المصادم للدين ، وإنما ينظر اليه كأنه يتفرج على منظر حسن من مناظر الفنون .

المؤمنون في الكتاب

١ ـ **مفهوم الايمان** ـ الايمان هو تلك العقيدة الراسخة ، التي تغمر جوانب النفس ، ويتبعها آثارها من العمل الصالح ، والاخلاص لله « **إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون** » . الحجرات / ١٥

ولقد وصف الله المؤمنين الصادقين في الآية الكريمة ـ بأنهم الذين آمنوا بالله وبرسوله المصدقين بجميع الرسالات السابقة إيمانا لا يلحقه شك ولا تتطرق إليه ريبة ، إيمانا يحملهم على التضحية في سبيله بأعز ما يملكونه من أموال وأنفس .

لقد حرص الاسلام كل الحرص على أن ينشىء عقيدة التوحيد نقية صافية واضحة وأن يحوطها بكل الضمانات التي تحفظها من تطرق الشرك اليها « **وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة** » البينه / ٥ .

أخرج البخاري في تاريخه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ليس الايمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل ، وإن قوما غرتهم الأماني حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا نحسن الظن بالله تعالى وكذبوا ، لو أحسنوا الظن ، لأحسنوا العمل » ـ فلا ينهض بإيمان الانسان كلمة يقولها ـ كيف لا ـ وإن كثيرا من المنافقين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : آمنا فأراد الله عز وجل أن يبين لهم أن الأمر ليس كما ظنوا فأنزل قوله تعالى « **قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا إن الله غفور رحيم** » الحجرات / ١٤ .

فصاحب القلب المفعم بالايمان ، المعتصم بالله هو الانسان الذي لا يستحوذ عليه الشيطان . يتفانى في حب الله ويهوى تعاليم دين الله .

إن نور الايمان .. يهدي الحائرين ويسلك بهم في دروب اليقين فيثبتون

والسُّنَّة

للاستاذ / عبد الحميد عمار

على عقيدتهم ثبوت الرواسي فلا يتزعزعون ولا ينحرفون .

نور الايمان - وهذا التطلع الى الايمان الحق .. هو ما حدث لأحد شباب أمريكا عاش في هذا المجتمع المنحل ونهل من حضارته المادية الزائلة فما سعد وما استراح .. وله هذه الكلمة في شأن اسلامه وايمانه -

يقول : (ايفان جفرنور) ٢٧ سنة الذي اصبح (يرجو رحمة الله) بعد إسلامه : « اذا كان لي من حديث الى اخواني المسلمين - فانني أرجو لهم ان ينظروا الى ما في أيديهم من الدين الحق وأن يتمسكوا به ويحرصوا عليه دون ان ينظروا الى الحياة المادية والسعادة المادية الزائلة التي يبثها الشيطان .. وبدلا من أن يستمعوا الى موسيقى الجاز والروك أندرول عليهم أن يستمعوا الى صوت المؤذن وهو يناديهم « الله اكبر .. الله اكبر .. حي على الصلاة .. حي على الفلاح » .

إن نور الايمان يجلو الضمائر ، ويفتق الأذهان ، ويبصّر الانسان بحقائق الأشياء في عالم الواقع فجدير بنا ونحن في باب الايمان .. أن نسوق صورا وأمثلة من حياة السلف الصالح لتصور لنا مدى تأثير الايمان في نفس الانسان .

- روى البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنهما « أتى رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أصابني الجهد فأرسل الى نسائه فلم يجد عندهن شيئا - فقال أبو طلحة الأنصاري .. ضيفي يارسول الله ، فلما دخل على عياله .. قالت : والله ما عندي الا قوت الصبية ، فقال : إذا اراد الصبية العشاء فنوميهم وتعالي فأطفئي السراج ونطوي بطوننا الليلة ففعلت - فهذا الحديث الشريف يعطينا صورة حية واضحة عن الايثار الصادر من قلب مفعم بالايمان .. وعن مدى تأثير هذا الايمان في نفس الصحابي الجليل حيث انه قدّم قوت صبيته طعاما لضيف رسول الله وبقيت جميع افراد العائلة تتلوى جوعا .. بينما نرى اليوم في عصر المدنية الزائفة أناسا يتناولون شتى ألوان الأطعمة وجارهم الى جنبهم يتلوى جوعا وخصاصة .

كما يذكر لنا التاريخ الاسلامي أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه .. كان يعس بالليل ثم جلس تحت جدار فسمع صوت امرأة تقول لابنتها قومي يابنية الى اللبن وامزجيه بالماء استعدادا لبيعه في الصباح ! فأجابتها الفتاة ان امير المؤمنين أرسل مناديا ينادي ان لا نغش اللبن فقالت

لها أمها : ان أمير المؤمنين نائم فلا يبصرنا فأمني يابنية مما تخافين ! فقالت لها الفتاة : إن كان أمير المؤمنين بعيدا عنا فرّب أمير المؤمنين ليس عنا ببعيد ولئن نجونا من عذاب الدنيا فلن ننجو من عذاب الآخرة ، وإن عذاب ربك لشديد » كل ذلك وأمير المؤمنين يستمع فأعجب بأمانة الفتاة وبإيمانها وشجاعتها فاختارها زوجة لأعز أولاده وكان من ذريتها الخليفة العادل عمر بن عبدالعزيز ـ ياللعجب ابن الخليفة يتزوج بنت بائعة اللبن الفقيرة المعدمة !

ولكن أمانتها وايمانها رفعها إلى درجة رفيعة قد لا يتحصل عليها ذوات الجاه والمال .

وصف المؤمنين في محكم التنزيل

لقد بين الله تبارك وتعالى أوصاف المؤمنين في محكم التنزيل بقوله عز وجل ـ « **قد أفلح المؤمنون . الذين هم في صلاتهم خاشعون** » المؤمنون/ ١ ـ٢ .

لقد ربح خيري الدنيا والآخرة ونال تجارة لن تبور يوم القيامة وفاز برضا رب العالمين يوم العرض والحساب كل من أدى صلاته بخشوع وتد بر وطرح وراءه شواغل الدنيا وآمالها « **والذين هم عن اللغو معرضون** » المؤمنون/٣ أي أن لسانهم لا ينطق بفحش الكلام والمنطق البذيء ـ بل لسانهم رطب بذكر الله ـ **ألا بذكر الله تطمئن القلوب ـ** الرعد/ ٢٨ .

في الحديث القدسي

روى البيهقي عن أبي هريرة « أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وان ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه » « **والذين هم للزكاة فاعلون** » المؤمنون/ ٤ أي الذين يؤدون الحق المعلوم والمفروض في أموالهم للسائل والمحروم ـ ولقد شدد الله على تارك الزكاة بقوله في محكم التنزيل « **والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم . يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون** » التوبة/ ٣٤ ـ٣٥ .

روى البخاري ـ في صحيحه ـ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له ماله يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان يطوقه ثم يأخذ بلهزمتيه ـ يعني شدقيه ـ ثم يقول : أنا مالك أنا كنزك ثم تلا « **ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله** ..» الآية/ ١٨٠ من سورة آل عمران .

« **والذين هم لفروجهم حافظون** » المؤمنون/ ٥ ـ أي لا يتعاطون البغاء والزنا بل يحفظون فروجهم لقوله تعالى « **ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا** » لأن الزنا من أفظع الجرائم خطرا وأشدها ضررا على الأعراض والأنساب والأخلاق وما فشا الزنا في أمة من الأمم الا ضاع مجدها وذهب عزها وتفشت فيها الأمراض والأوبئة ، فجناية الزنا على الأعراض أشد خطرا بكثير من جناية الأموال فقد يفرط الانسان في ماله ولا

يفرط في عرضه ـ « **إلا على أزواجهم أو ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين . فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون** » المؤمنون ٦ ـ ٧ .

ـ « **والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون** » المؤمنون/٨ لما كانت الأمانة لازمة من لوازم الايمان ودليلا على طهارة المسلم عظمها الشارع الحكيم وبالغ في تكريمها ورفع من منزلتها حتى قال : الرسول صلى الله عليه وسلم « لا ايمان لمنلاأمانة له ولا دين لمن لا عهد له»رواه البخاري ومسلم وذكر النبي صلى الله عليه وسلم أن الخيانة من أخص صفات المنافقين الذين غضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا .

قال صلى الله عليه وسلم « آية المنافق ثلاث ، اذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، واذا أؤتمن خان»رواه البخاري ومسلم ، فليست الأمانة خاصة بحفظ أموال الناس وودائعهم بل هي شاملة لكافة الحقوق ـ فالتكاليف الشرعية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أمانة ـ والأولاد أمانة ـ فيجب على أبيهم حسن تربيتهم وتعليمهم .

وفي الحديث « كلكم راع ومسؤول عن رعيته » رواه مسلم وأحمد فتعليم المسلمين أحكام دينهم أمانة حملها العلماء فهم يدعون الى سبيل الله بالحكمة والمعاملة في البيع والشراء أمانة فيجب على التجار ألا يحتكروا سلعة ولا يبيعوا بغبن فاحش ولا ينقصوا المكيال والميزان ولا يبخسوا الناس أشياءهم ـ وكل جوارح الانسان أمانة فلا يستعملها الا فيما أحل الله .

« **والذين هم على صلواتهم يحافظون** » المؤمنون/ ٩ أي يؤدون الصلوات في أوقاتها لأنهم يعلمون « ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا » .

روى الحاكم عن عائشة رضي الله عنها في الحديث القدسي عن ربّ العزة ـ « إن لعبدي عليّ عهدا إن أقام الصلاة لوقتها أن لا أعذبه وأن أدخله الجنة بغير حساب » أما الذين يضيعون الصلاة ويؤخرونها عن وقتها ويتبعون الشهوات وينهمكون في المعاصي فقد أنزل الله آية الوعيد في حقهم ـ « **فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيّا** » مريم/ ٥٩ .

«فخلف من بعدهم خلف » فعقبهم وجاء بعدهم عقب سوء « أضاعوا الصلاة » ـ أي تركوها أو أخروها عن وقتها ـ « واتبعوا الشهوات » كشرب الخمر والانهماك في المعاصي « فسوف يلقون غيا» واد في جهنم نستعيذ منه بالله

وأما الذين يخشعون في صلاتهم ، ويعرضون عن اللغو ، ويؤدون زكاة أموالهم ، ويحفظون فروجهم ، ويؤدون أماناتهم ويراعون عهدهم ويحافظون على صلواتهم فقد بشرهم ربهم بالخلود في الفردوس في قوله عز وجل ـ « **أولئك هم الوارثون . الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون** »المؤمنون/ ١٠ ،١١

الكرامة و الحرية

من الخير للشباب المسلم وهو يحيا في دنيا تتصارع فيها مختلف القوى ، وهو بذاته أهم ميادين صراعها ، الا يكون كالنعامة تخفى رأسها تحت جناحها حتى لا ترى صائدها وفي هذا صيدها ، بل الأجدر به ان يتعرف ارضية الميدان ، والاعداء والاصدقاء ، ومراكز القوة والضعف ، ليستغل مراكز القوة ويدعم نقط الضعف ، وهو في هذا وذاك يتسلح في الحياة بأسلحة الانتصار في مرحلته المصيرية للنضال .

وعليه ان يعلم ان الاعداء يحاربونظاهرين ومستترين ، ويتسلحون بمختلف الاسلحة ويتشككون وينافقون ، ويظهرون النصح وهم غاشون ، ويدرسون نواحي الضعف في خصومهم ليستغلوها ، أما الاصدقاء فإنهم ينصحون مخلصين ، وينبهون للخطر ، ويملؤون النفس ثقة ويشجعون ويدلون

في الإسلام

للاستاذ / محمد عبدالفتاح محمود علم الدين

الصديق على مراكز قوته واسلحته ليستعملها ، وكلما كان الصديق عليما ببواطن الامور كان اقدر على كشف قوى الاعداء وفضح اساليبهم .

هذا الصديق المخلص والناصح الامين ، والعليم ببواطن الامور والذي لا يبغى للمسلم الا الرشاد والانتصار **هو الدين الاسلامي** ، فاحرص عليه وعض عليه بالنواجذ تكن من الفائزين ولا نغالي اذا قلنا ان الكرامة والتقدير والحرية أهم أسلحة قدمها الاسلام للمسلم لينتصر على أعدائه : النفس الامارة بالسوء ، والعدو الخارجي البشري ، والعدو الخفي المستتر وهو الشيطان ، كل اولئك الاعداء يريدون أن يشعر المرء بالذلة والهوان ، وهم يعلمون ان هذا الشعور قاتل ، ويسهل على اصحابه ارتكاب كل انواع الدنايا والموبقات ، وقديما قال الشاعر :

من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميت ايلام

وهنالك فرص كثيرة للاعداء يجدون فيها مدخلا كبيرا لغرس هذا الشعور القاتل في النفوس وعلى سبيل المثال هناك :

١ - الاوضاع الاجتماعية من الغني والفقير ، فالفقير يشعر بنقص ازاء الغني ، كذا الحسب والنسب ، فذو النسب الوضيع يشعر بنقص أمام ذي الحسب الرفيع .

٢ - وهناك التشويه الخلقي كالسمن المفرط ، والنحافة البارزة والطول ونقص عضو من الاعضاء .

٣ - وهناك الالوان وبخاصة السواد ، فالاسود يشعر بنقص أمام الابيض .

٤ - وهناك العسف والقهر والاضطهاد فانها كلها تشعر صاحبها بالهوان والذلة والسخط على المتسبب من الوالدين والمعلمين والرؤساء كما يغرس كره المجتمع والحياة .

٥ - وهناك ارتكاب الذنوب مع صحوة الضمير الذي يعذب صاحبها وانتظار العقاب .

٦ - وهناك الفشل في الامتحانات وفي القبول للأعمال والوظائف .

كل هذه فرص سانحة أمام الاعداء ليضخموها ويعمقوا الشعور بالنقص حتى تظهر اعراضه ومنها :

أ - الخجل في غير موجب ، والبعد عن الناس والسلبية .

ب - شدة الحساسية والحركات اللاشعورية والاحساس بالتفاهة .

جـ - نظرة التشاؤم ، وفقد الثقة بالنفس ، والانهيار العصبي .

ثم تأتي مرحلة التعويض ، وقد تكون بنقص آخر : كالكبر ، والتعالي ، وشرب الخمر والعدوان على المجتمع وكراهية الناس وهى اساس العدوان والإجرام ، والاسراف واخيرا الانتحار ، فانظر ما فعله الاسلام بابنائه ليخلصهم من هذه النقائص ويحل محلها الكرامة والثقة في التقدير بما حشده من وسائل التكريم ، حتى يشعر كل امرىء انه من عباد الله المكرمين :

١ - انه كرمهم في نطاق البشرية باسرها وخصهم بكرامات زائدة عنها جزاء اسلامهم فالله تعالى في محكم كتابه يقول : (**ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا**) الاسراء / ٧٠ .

فهذا التكريم شمل جميع البشر على اختلاف الوانهم وعقائدهم واحسابهم وانسابهم وهم جميعا داخلون فيه وفي قوله تعالى : (**ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين**) المؤمنون / ١٤ . كلهم يتمتعون بالسمع والبصر والفؤاد

والاستواء في الجسم والتناسب في الاعضاء ، وجمال الصورة ، وربما كان الكافر اجمل في الصورة من المؤمن كما جاء في قوله تعالى : **(وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم)** المنافقون / ٤ وفي قوله تعالى : **(ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم)** البقرة / ٢٢١ .
والانسان هو الوحيد الذي يمشي سويا على صراط مستقيم ، وسائر الحيوان يمشي مكبا على وجهه أو على بطنه أو على رجلين أو على أربع - أما الانسان فهو رافع الرأس موفور الكرامة محمول برا وبحرا .
٢ - ان الله تعالى أسجد الملائكة لأبي البشر آدم وفي هذا تكريم له ولنسله من بعده ، كما ان الله تعالى يرسل حفظة من الملائكة يحفظون الناس من أمر الله ، حتى اذا جاء أحدا الموت تخلت عنه ، حتى ينفذ اليقين .
٣ - كرم الله البشر بالرسل والرسالات والكتب السماوية لينقذهم من الظلمات الى النور وبخاصة القرآن الكريم وهو الكون المقروء والموجه للكون المنظور سمائه وارضه وما بينهما وما فيهما .
٤ - وكرمهم بالعقل الذي يعي الامور ، ويستخرج به صاحبه كنوز الارض وقواها وقد سخر الله للانسان ما في السموات وما في الارض جميعا وبذلك كان الانسان سيدا في الكون على النبات والحيوان والجماد .
٥ - وللمحافظة على كرامة الانسان حرم السخرية والاستهزاء والهمز واللمز والتنابز بالالقاب ، وحذر المسلم من ذلك فعسى ان يكون من يعيبه ويسخر منه خيرا منه .
٦ - والله تعالى أهدر التفاخر بالأحساب والأنساب والقوميات والعصبيات والالوان وجعل معيار التفاضل بالتقوى بقوله في محكم كتابه : **(يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم)** الحجرات / ١٣ . ان كل مظاهر الاختلاف بين الناس في الالوان والاشكال هو لسهولة التعارف ولو كان الناس نسخة واحدة لانعدم التعارف ولاختلط الامر حتى لا يفرق المرء بين زوجه واخته والحديث الشريف يقول : « لافضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى » وقد غضب الرسول اشد الغضب على وصم غلام بأنه ابن السوداء وقال : طف الصاع طف الصاع لقد حكم الاسلام بالأخوة بين المسلمين أيا كان لونهم وشكلهم ، كلهم خلق الله والذي يعيب الخلقة يعيب الخالق .
٧ - وزيادة في التكريم يقول : **(هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور وكان بالمؤمنين رحيما)** الأحزاب / ٤٣ . فأي تكريم بعد هذا ؟ !
٨ - وقد خلق الله الانسان ليكون خليفة له في الأرض يعمرها بالعدل والإحسان وايتاء ذي القربى ويعطي كل ذي حق حقه ، ويبتعد عن الفحشاء والمنكر والبغي وهذا في حد ذاته تكريم من أبلغ انواع التكريم .
٩ - ثم كرمه بفتح بابه له ليتصل به متى شاء دون حجاب بالليل أو النهار ،

بالصلاة أو الدعاء والتوبة من الذنوب وهو غافر الذنب قابل التوب ، كما أنه شديد العقاب لمن غفل عنه وارتكب المعاصي ومات دون توبة ، والله تعالى ـ من فضله ـ اذا قبل التوبة أنسى الحفظة الذنوب وأنسى ذلك سائر معالم العبد حتى يلقى الله وليس عليه شاهد بذنبه .

١٠ ـ والله تعالى جعل منزلة صالح المؤمنين بين جبريل أمين الوحي والملائكة في قوله تعالى : (**وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير**) التحريم / ٤ .

١١ ـ والله تعالى يريد من المؤمن أن يكون على أعلى مستوى خلقي بصرف النظر عن الغنى والفقر وكل الفوارق التي أهدرها فجعله يحاكيه في العفو فيقول للمؤمنين : (**إن تبدوا خيرا أو تخفوه أو تعفوا عن سوء فإن الله كان عفوا قديرا**) النساء / ١٤٩ . كما يقول : (**وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم**) النور / ٢٢ . وجعلهم عند القول : (**قل لعبادي يقولوا التي هي أحسن**) الأسراء / ٥٣ . وعند رد التحية : (**فحيوا بأحسن منها أوردوها**) النساء / ٨٦ . وعند الدفع : (**ادفع بالتي هي أحسن**) فصلت / ٣٤ . وعند المجادلة : (**ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن**) العنكبوت / ٤٦ . كل ذلك تكريم للقائل والمخاطب واشاعة للكرامة في جو المؤمنين .

١٢ ـ ومن أبلغ تكريم المؤمنين أن جعلهم الله تعالى يوم القيامة شهداء على الناس بالشروط التي ذكرها في قوله تعالى : (**يأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون . وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم المصير**) سورة الحج ٧٧ ـ ٧٨ .

ان هذه الآية الكريمة تحتاج الى وقفة لمعرفة ما أعده الله للمؤمنين من تكريم اذا استوفوا الشروط ، ومن تكريمه في هذه الآية أنه اجتباهم واختارهم لنصرة دينه ، واختارهم ، وجعل أبا الانبياء أبا لهم ، وانه هو الذي سماهم المسلمين ، وانهم سيشهدون على الناس بتبليغ الانبياء اليهم ، وان الله تعالى هو مولاهم وهو نعم المولى ونعم النصير .

● أما الشروط فهي : اقامة الصلاة كاملة على الدوام بركوعها وسجودها وادعيتها ، وهي عبادة الله وحده لا شريك له ، وهي الجهاد الحق في سبيله : جهاد النفس وجهاد الاعداء والتفوق عليهم في العلم والقوة والوحدة ، وايتاء الزكاة والاعتصام بالله .

١٣ ـ ولكي يعين الانسان على ان يكون كريما يلفته الى سلاح فيه خلقه ليعينه على التقوى هو سلاح النفس اللوامة والضمير الحي ، التي اقسم بها جل شأنه في

قوله : (**ولا أقسم بالنفس اللوامة**) القيامة / ٢ . ان هذا السلاح يؤدي ما خلق من أجله اذا أستمع الانسان له ، وأستجاب لندائه ، أنه هو الذي يثنى على صاحبه إن عمل خيرا ، ويؤنبه إن عمل شرا ، وما على صاحبه إلا أن يستجيب له إذا أنّبه ، فيرد الحقوق المغتصبة إلى أصحابها ، ويستسمح من أساء اليه حتى يصفح عنه .

وهذا هووسلاح النفس صنوان ، وهو أن يجعل المرء نفسه ميزانا فيما بينها وبين الناس فما أحبه لنفسه أحبه لهم ، وما كرهه لنفسه كرهه لهم ، وهو يحب أن يكون آمنا على نفسه وعرضه وماله وعقله ودينه ، فعليه أن يحب ذلك أيضا لسائر الناس فلا عدوان منه على نفس أو عرض أو مال أو عقل أو دين وبذلك تسود الرحمة والمودة ويسود الأمن والحب بين العالمين ويتحقق لكل إنسان كرامته وعزته .

أما الذين لا يستجيبون لنداء الضمير الحي ولا ميزان النفس فإن قلوبهم تقسو وكلما أغفلوا النداء ارتكبوا أسوأ أنواع الجرائم والمنكرات والفجور وهؤلاء هم حطب جهنم .

١٤ ـ والله سبحانه وتعالى يسلح الانسان بما يجعله كريما على نفسه وعلى قومه غرس فيه استعدادين فطريين هما : المشاركة الاجتماعية التي تحببه في الناس وتحبب الناس فيه والمحاكاة التي تجعله بطلا .

أ ـ أما المشاركة الاجتماعية : فإن كل انسان يحس من نفسه بأنه يتشارك وجدانيا مع مجتمعيه الصغير في الاسرة والكبير في الوطن : يفرح لفرحهم ويألم لما يحزنهم ويتشارك معهم ولا ينعزل عنهم فهو معهم في أفراحهم وأتراحهم ـ أما السلبي والانعزالي فلا خير فيه والدين الاسلامي جعل للوالدين حقوقا وللأقارب والجيران والاصدقاء والضعفاء من الفقراء والايتام والمساكين وابن السبيل حقوقا ، يواسيهم بماله وبجاهه ، ولا يبخل عليهم بعلمه وبصحته وكفاءته ودفاعه عن مصالحهم وصد اعدائهم ، ومن حقوق الجار مودته في حضوره والسؤال عنه اذا غاب ، وعيادته اذا مرض ، ومساعدة اسرته اذا غاب أو مات ، وقد أوصى الله تعالى في القرآن الكريم بالجار عدة مرات ، الجار القريب والجار الجنب والصاحب بالجنب في سفر أو علم ، كما أن الحديث الشريف ينزع الإيمان ممن بات شبعان وجاره طاو وهو يعلم .

ب ـ واما المحاكاة فإنها نزعة فطرية تجعل الصغير يحاكي أباه ومعلمه ومن يحبه ويحترمه من الابطال ، وهذه النزعة إذا وفقت لابوين على علم وخلق وحسن تربية ، ولمعلمين افاضل اجلاء واذا قدمت لها سير الابطال الحق كانت خيرا وبركة على الغلام يحاكيها ، اما اذا كان من حول الغلام عكس ذلك فقد ضل سواء السبيل .

ـ ولذلك كان من اوجب الواجبات على الوالدين والمعلمين ان يعرضوا على الناشىء أكرم الابطال ، على رأسهم خير البرية ثم كبار الصحابة وكبار قواد الاسلام ثم كبار المصلحين في العالم والمكتشفين ، والرواد في العلم والبحث والوصول الى ما يخدم الانسانية وينفعها ، ليتشوف أن يكون مثلهم ، ويا ويل من جعل أبطال

الخيالة والاذاعات المرئية من أبطال العنف والجرائم والشره للعرض والمال ، ومفاتن الدنيا ، ياويل من جعلهم مثله الأعلى .. إنه سينحدر ويكون نكبة على نفسه وقومه .

١٥ ـ وسنجد أن كرامة المؤمن ستكون في الآخرة أعظم من الأولى ، تبعا لما في قوله تعالى : (**أنظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا**) الاسراء / ٢١ . هناك ما أعده الله لعباده المكرمين مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر من النعيم المقيم ، فنورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم : (**والملائكة يدخلون عليهم من كل باب . سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار**) الرعد / ٢٣ و ٢٤ . والملائكة تبشرهم بالجنة في الحياة الآخرة : (**يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم . خالدين فيها أبدا إن الله عنده أجر عظيم**) التوبة / ٢١ و ٢٢ .

بعد كل هذا ليس لامرىء عذر في أن يحس بأن الله وقد كرمه ليس لأحد أن يذله ، وليس عليه إلا أن يتخلق بأخلاق عباد الله المكرمين ، كي يكون كريما وعزيزا ، فلله العزة ولرسوله وللمؤمنين ، وما عليه إلا أن يغشى الناس الذين يقدرون الناس بعلمهم وخلقهم ، ويبعد عمن يقدرون الناس بأموالهم وجاههم ، وعليه أن يرفع رأسه ولا ينكسها أمام مخلوق فلا سجود لغير الله ـ وعليه أن يطهر نفسه كل يوم فيستغفر من الذنوب ويرد المظالم ويستسمح من أساء إليه ، ولا يفعل في السر ما يستحي منه في العلانية .

ـ والعاقل من عرف قدره في هذا الوجود ، وأن الله يريد أن يراه في زمرة الصالحين من عباده ولا سيما أنه أراه رأي العين السموات والأرض وما بينهما ، ومتعه بجمال الكون وزينة الكواكب وينع الأزهار ، وعظمة المخلوقات من أضخم الكواكب إلى أصغر جرثومة ، وجعل له عقلا وإدراكا يتصل بهما بملك الله وآيات الله ، وقرآن الله . فكل ذلك يملوءه ثقة بنفسه واعتزازا بها ، ويعلم أنه مسئول عن أن يكون أهلا لهذا المستوى فلا ينزل بنفسه عنه .

ـ والذين يمدهم الله تعالى بكل أسلحة العزة والكرامة ثم يغفلون عنها ولا يستعملونها وينبههم الواعظون إليها فلا يستجيبون ، هؤلاء يمقتون أنفسهم وسيكون مقت الله لهم في الآخرة أشد من مقتهم أنفسهم إذ يدعون إلى العزة فيذلون .

ولعلهم يعون قول الشاعر الحكيم :

ونفسك أكرمها فإنك إن تهن   عليك فلن تلقى لها الدهر مكرما

ويعون قول الله تعالى وهو يعلمنا أجمل الأدعية : (**واجعلنا للمتقين إماما**) الفرقان / ٧٤ . وقول الرسول الكريم في دعائه : « اللهم إني أعوذ بك من الفقر الا اليك ومن الذل الا لك ومن الخوف الا منك واعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال » .

الحرية

الحرية في الاسلام ليست منحة من فرد ولا من هيئة الامم كما يظن البعض انما هى منحة من الله تعالى للناس ، ولذلك فهى حق للجميع ، لا ينبغي لاحد أن يدعى انه مانحها لأن الذي يمنح له أن يمنع ، ولو كانت الحرية من بشر لكان الناس عبيدا لعبيد أمثالهم .

وعلى رأس الحريات **حرية العقيدة** ، نص عليها الاسلام في قول الله تعالى : (**لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم**) البقرة / ٢٥٦ .

وقد بطل بهذا قول الاعداء إن الاسلام انتشر بالسيف والقهر ، وكفى بقول الله دليلا على البطلان ، إن الله يحب من عباده عبادة الأحرار لا عبادة العبيد ، وعبادة الاقتناع لا عبادة الاتباع للآباء والأجداد ، فلكل انسان عقل وهبه الله له ليميز به الخبيث من الطيب ، في كل الاشياء وعلى رأسها العقيدة والأديان ، والعاقل يوازن بين الصحيح وغير الصحيح والنور والظلام .

ـ والاسلام لحرصه على هذه الحرية الدينية عاتب الرسول الكريم على أنه كاد يبخع نفسه حرصا على إسلام الناس فقال تعالى : (**لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين . إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين**) الشعراء / ٣ و ٤ . وقال : (**ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين**) يونس / ٩٩ .

ومن أجل ذلك نزل القرآن سفرا ضخما مليئا بالآيات والسور ، وكلها أدلة وبراهين وأمثال وتشبيهات وقصص ومواعظ وحكم وأحكام وتشريعات ، وكلها تهدف إلى خير الانسان في عاجله وآجله ، وكلها منحة ربانية سائغة لم يتعب فيها بشر ، ونحن نعلم أن البشر أمام التشريعات عاجز عن تشريع واحد ليس به عيوب بل كلما سد عيبا بتشريع ظهر عيب جديد في التطبيق ، على حين أن القرآن لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لأنه تنزيل من حكيم حميد .

ـ ولا عذر لمخلوق لا يعرف أن الدين الاسلامي هو الختام وأن الله لا يقبل سواه وأنه دين لم يتغير فيه حرف واحد ، وأنه كامل وباق إلى يوم القيامة وموجه إلى جميع البشر ، ومهيمن على ما قبله من الاديان ومصحح لما شابها من محو وإثبات ، وأنه دين متحدٍّ مضى عليه أربعة عشر قرنا عجز البشر عن الإتيان فيها بمثل سورة من كتابه (القرآن الكريم) ، وهذه الحرية الدينية المقررة هى تمهيد للمسئولية ، من أحسن فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد .

ـ ومانح حرية العقيدة هو مانح **حرية الرقاب** وهو الله تعالى الذي اختط في تشريع العتق اجمل خطة تقضي عليه في الاسلام دون هزة عنيفة في سوق المال ، فقد كان الرقيق مالا وكان دولاب عمل ، وتحرير الرقاب دفعة واحدة يهز سوق المال ويربك العبيد والأسياد ، فجعل الله تعالى أسباب الرق في أضيق الحدود ، وهى الحرب

المشروعة إذا استرق العدو الاسرى معاملة بالمثل ، وجعل غير ذلك المن والفداء ، ووسع حدود العتق ، فجعل العتق كفارة القتل الخطأ والظهار وكفارة لليمين والفطر العمد في رمضان ، وجعل للمكاتب حقا في الزكاة يحرر به رقبته من سيده ، وجعل العتق بدون سبب وهو اقتحام العقبة وجعل أم الولد تعتق عقب وفاة سيدها ، وبهذا وغيره تحرير الرقاب يتم في جيل أو جيلين دون هزة أو ارتباك .

ومانح حرية العقيدة والرقبة وهو الله تعالى هو مانح **حرية المنح والسكن والرأى وموجب الشورى** وجاعل أفضل الأعمال كلمة حق أمام سلطان جائر وجعل الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبا على كل قادر عليه .

- إن الاسلام لم يحرم إلا قول السوء وما يشيع الفاحشة بين المؤمنين ، وما يخدش العرض والحياء وإجمالا كل ما فيه أذى للغير ، أما ما فيه خير فيدعو إليه ولا حرج ..

ولكن ليس معنى الحرية تجاوز الحدود دون مساءلة فاذا كان من كرامة المرء أن يكون حرا ولا يؤذيه أحد فكذلك كرامات الغير ، حرية دون ايذاء .

واذا كان الاسلام قد ضمن للمرء حريته السياسية والمدنية فليس معنى ذلك أن يحرم الناس منهما اذا هو ملك أمرهم ، فيسن تشريعات بإبطال الانتخاب والحرمان من مناصب الدولة مع استحقاق المواطن لها أو بحرمان المواطن من ملكه والحجر عليه إلا لسفه ولا حجر على إبداء الرأي إلا إذا كان به إضرار بالبلاد .

- إن حرية الرأي واجبة لكل ذي رأي فخير الآراء لا يعرف إلا باستعراضها جميعا والمقارنة بينها وعندئذ يتميز الخبيث من الطيب ويشعر كل ذي رأي بقيمته وكرامته وهذا ما نرجوه جميعا ، وكذلك الصحافة حرة في حدود القانون العادل .

- إن توفر جو الحرية في الأمة يضمن لها عدم استبداد الحاكم ويضمن لها أفضل الآراء وأعلى المنازل بين الأمم وظهور الملكات ، والحق والواجب لا وجود لهما إلا في ظل الحرية والكرامة ، أما في ظل الاستبداد فلا حرية ولا كرامة ولا حق ولا واجب .

وبعد : فاذا كان الاسلام قد وفر وضمن لكل فرد كرامته وحريته ، فما عليه إلا أن يحرص عليهما ويؤهل نفسه للانتفاع بهما ، وهذا أمر ليس سهلا بل يحتاج إلى معاناة . وقد ورد في الأثر : « من عامل الناس فلم يظلمهم وحدثهم فلم يكذبهم ووعدهم فلم يخلفهم فقد كملت مروءته وظهرت عدالته ووجبت اخوته » .

وإن حمل النفس على هذا حتى تنقاد ويصير لها طبعا ، فيه مشقة ولكنها محمودة العاقبة .

لولا المشقة ساد الناس كلهمُ   الجود يفقر والإقدام قتال

فكن عالي الهمة شريف النفس ، مرتفعا عن النقائص ، مستنكرا للمهانة والذل تسهل عليك المعاناة ، وليكن شعارك قول الرسول عليه الصلاة والسلام : « إن الله يحب لكم أعالي الأمور ويكره لكم دنيها وسفسافها » والله ولي التوفيق ..

مع الصحافة

○ **التدهور الاقتصادي في الدول النامية**

نشر في لندن تقرير حول الشمال والجنوب اعدته لجنة (برانت) ، تناول عددا من قضايا العالم الثالث - ومنه العالم الاسلامي طبعا - كأوضاع السوق ، والصناعة المحلية ، والكساد والبطالة ، وعجز ميزانيات هذه الدول النامية ، الذي يراه التقرير ناجما عن توسع هذه الدول في الانفاق على التسليح والادارة . جاء في التقرير :

ان ظاهرة الزيادة المستمرة في عجز ميزانيات الدول النامية ليست مشكلة مؤقتة ناجمة عن ظاهرة مؤقتة كالتغير في اسعار السلع او عن القحط والمجاعات التي تجتاح دول العالم الثالث ، على الرغم من ان هذه الظاهرة او تلك قد تؤكد المصاعب التي تواجهها بعض الدول . بل ان هذه الزيادة المستمرة نجمت اولا عن التوسع في الاتفاق الحكومي على الاسلحة والادارة ومشاريع التنمية التي تتجه اليها هذه الدول بعد الاستقلال مباشرة لتعويض مراحل الاستعمار السابقة ، لذلك فهي تندفع اليها وبعضها بشكل مكثف .

ونجمت هذه الزيادة المستمرة ثانيا كناتج متناقض لسياسات التصنيع التي كان هدفها احلال السلع المحلية الوطنية محل البضائع الاجنبية المستوردة والمصنعة في الدول « الغربية اساسا » . وكان من نتيجة هذه السياسات عموما ان عززت اعتماد معظم دول العالم الثالث على الواردات من المنتجات الرأسمالية ، والبترول ، والمواد الخام ، والتكنولوجيا ، والادارة ، هذا بالاضافة الى انها قد ألقت على هذه الدول بعبء تسديد ارباح القروض وغيرها وهي باهظة في حد ذاتها .

ان الانتعاش « الحاد » الذي حدث عام ١٩٧٤ في اسعار البترول العالمية ، وكذا ارتفاع تكلفة منتجات الواردات الصناعية ، قد ضاعفا من حدة مشكلة الدول المستوردة للبترول من الدول النامية ، وبالتالي فان كثيرا من الدول التي لم تحصل على اسعار افضل ببضائعها ومنتجاتها المصدرة ، لا تستطيع ببساطة دفع ثمن وارداتها الحالية ، دون ان تصبح مدينة ، وبالتالي فان عليها ان تستدين قروضا اكثر لتسديد ما عليها من ديون .

لقد استخدم كثير من القروض لتسديد الديون ، وسيزداد هذا الاتجاه في المستقبل ، ومعنى هذا ان تقل الموارد التي يمكن توظيفها في الاستيراد . وليس واضحا حتى الان كيف ستقوم معظم هذه الدول بتسديد ديونها المتراكمة والتي تتراكم عاما بعد عام .

وتخشى الدول والوكالات التي اقرضت دول العالم الثالث ، أن تعلن الاخيرة عن عجزها وبالتالي ترفض الاعتراف بالديون ، من جانب واحد ، وستكون هذه سابقة خطيرة ، تهدد مسار عمليات « الاقراض الدولي » .

وعن التدهور الاقتصادي في الدول

النامية ايضا نشرت مجلة التايم في الاسبوع الأول من شوال مقالا مستفيضا تقصت فيه عددا من كوارث العالم الثالث جاء في المقال :

دون مطر ، لا يمكن ان تكون هناك محاصيل .. ودون محاصيل لا يوجد اي طعام .. ولا مال .. وفي اخر المطاف .. لا امل .

بالنسبة لملايين الناس في اربع قارات . لا امل لهم في هذا الصيف .

من الهند الى جنوب افريقيا ، ومن البرازيل الى الفلبين ، فان دورة الجفاف المشؤومة ذات تأثير مفجع .. كما ان حرائق الادغال قد التهمت الأراضي الزراعية في غانا وليبيريا ، والرياح الساخنة التي هبت على البرازيل من الشرق قد جعلت الأرض الجافة اكثر جفافا .

وهنالك حوالي مليوني شخص يعانون من سوء التغذية الفظيع في جنوب افريقيا ، ويعتمد ثلاثة ملايين انسان في اثيوبيا اعتمادا كليا على معونات الطوارىء .

وفي الهند حيث تلفت المحاصيل الزراعية في ٧٥ بالمئة من الأرض نتيجة الرياح الجافة التي استمرت في اقليم واحد لمدة خمس سنوات ، فان على رئيسة الوزراء انديرا غاندي ان تنفق ٦٠٠ مليون دولار من احتياطي العملة الصعبة الثمينة لتستورد الطعام في هذه السنة وحدها .

اما اندونيسيا ، التي حققت اخيرا الاكتفاء الذاتي في الأرز ، في العام الماضي ، فانها ستحتاج الى استيراد مليوني طن من الأرز في هذه السنة بكلفة ٧٠٠ مليون دولار .

ان كل الاقطار المنكوبة تواجه نفس النمط المحزن ، فعلى جانب « شارع المرضي » في مدينة ايراكوبا ، في شمال البرازيل ، يوجد اسرة من اثنى عشر شخصا في سقيفة من غرفتين ، يأملون في البقاء على قيد الحياة بمبلغ الاثنين والعشرين دولارا الذي يتلقونه من الحكومة شهريا . والسبب انه لم يعد هنالك اي خضرة تاكلها المواشي فقد تهاوت ميتة على ارجلها ، كما ان بعض القرويين لا يجدون ما ياكلونه سوى الاعشاب يمضغونها او يمصون جذور الاعشاب البرية او يترنحون الى جانب الحيوانات ليلحسوا الماء الذي يتناثر من اقدام هذه الحيوانات !

وفي المناطق التي نكبها الجفاف في الفلبين التي شهدت قدوم الجراد ، فان هذه الحشرات تباع الان من أجل الطعام .

ان اللاجئين في كل انحاء هذه المناطق المنكوبة يزدحمون في مخيمات ينتشر فيها المرض المعدي بسرعة وبصورة قاتلة ، حيث ان مرض « كواشيوركور » وهو مرض فقر البروتينات ، يجتاح الأطفال في المناطق الريفية السوداء في افريقيا الجنوبية ، غير ان كثيرا من الناس لا يستطيعون ان يؤمنوا رسم المستشفى البالغ ٣,٥ دولار .

○ الحرب في تشاد

الصراع في تشاد ليس محصورا في النطاق المحلي لتشاد ، بل له بعد افريقي وآخر دولي . عن هذا الجانب من الحرب نشرت مجلة الوطن العربي في العدد ٣٣٥ للسنة السابعة مقالا جاء فيه :

للمرة الخامسة سقطت فايا لارجو خلال خمس سنوات من الصراع التشادي . لكن هذه المدينة الرئيسية في شمال تشاد لم تكن الهدف الرئيسي لغوكوني عويدي الذي اكد ان حربه الجديدة تحمل شعار « الطريق الى نجامينا » والفريق الذي يستولي على العاصمة يستولي في الوقت نفسه على

السلطة ، في اقتناع الرئيس الليبي .. وفايا لارجو ليست الهدف الوحيد ، لان مدنا اخرى مهددة بالسقوط .

لكن هل تسقط نجامينا ؟

وبسقوط فايا لارجو حقق غوكوني عويدي نصرا مثلثا . من الناحية الاستراتيجية لانها تعتبر المدينة الرئيسية واهم موقع في الشمال ، والسيطرة عليها هي في الوقت ذاته سيطرة على الشمال التشادي كله . ومن الناحية النفسية لأن هذه المدينة كانت تعتبر معقلا لحسين حبري الذي سبق ان سيطر عليها في هجومي ١٩٨٠ ـ ١٩٨٢ من دون مقاومة تذكر . ومن الناحية السياسية يعتبر سقوط فايا لارجو كسبا شعبيا لعويدي وتأكيدا على احتمال عودته الى الساحة التشادية بعد سنة من رحيله القسري عنها . ولا شك في ان هذا الكسب سيضمن له ولاء عدد من الجنود الحكوميين الذين يأسرهم .

صحيح ان قوات حسين حبري هي الأضعف على الصعيد العسكري وهي بعتادها الحالي غير قادرة على مجابهة او وقف تقدم قوات عويدي . لكن حبري ليس وحيدا في الساحة . فقد تكرس خلال قمم منظمة الوحدة الافريقية رئيسا شرعيا لدولة تشاد وهو يتمتع بتأييد كل الدول الافريقية المعتدلة .

وامام ضروة هجوم قوات عويدي وسلاحها المتطور كان واضحا ان نظام حبري في حاجة الى اكثر من التأييد الدبلوماسي والمعنوي ، لذلك وجه الرئيس التشادي نداء عاجلا الى « حلفائه » جميعا يدعو الى مساعدته عسكريا ، حتى انه طلب من الحكومة الفرنسية التدخل مباشرة لدعمه . ومن المعروف ان فرنسا مرتبطة بمستعمراتها السابقة عبر اتفاق تعاون عسكري جرى توقيعه في العام ١٩٧٦ . لكن تجربة التدخل المباشر علمت الفرنسيين خطورة الغوص في الرمال المتحركة التشادية .

بالاضافة الى ذلك سبق للحكم الاشتراكي ان ركز لسياسته الافريقية على مبدأ الدعم من دون التدخل المباشر . وانطلاقا من هذا المبدأ عقد ميتران مجلسا حربيا في قصر الاليزيه قرر على اثره في اول تموز (يوليو) ارسال دفعة من ٥٠ طنا من الاسلحة والمعدات الى نجامينا ، شملت رشاشات « سات ٤٩ » و « سيغ » السويسرية الصنع ، ومدافع من عيار ١٢٠ مليمترا ، وقذائف صاروخية مضادة للدبابات ومدرعات من طراز أ . م . ل بانهارد ، وناقلات جنود .

وقد الحقت هذه المساعدة الفرنسية بمساعدات اخرى مازالت تتوارد حتى الان على نجامينا ، من خلال جسر جوي تقوم بها طائرات ترانسال « وهرقل ١٢٠ » و « دي . سي ٨ » بين باريس والعاصمة التشادية ، بالاضافة الى مجموعة من الخبراء المدنيين والعسكريين .

ومع استمرار تقدم قوات عويدي السريع من الشمال والشرق في اتجاه العاصمة نجامينا تبدو هذه المساعدات غير كافية لدرء الخطر عن نظام حبري . والمائتان والخمسون مظليا الذين أرسلتهم زائير الى نجامينا لم يطمئنوا التشاديين ولا حبري الذي يعيش هاجس سقوط العاصمة في حال عدم وصول مساعدات جديدة .

والمساعدات الجديدة التي يطلبها حبري واضحة جدا ، وهي تتركز على تدخل فرنسي مباشر وارسال طائرات « جاكوار » فرنسية للدفاع عن نظامه . لكن هذا الأمر يشكل احراجا لفرنسا ، فهي من جهة مبدئية لا تقر التدخل العسكري المباشر خارج الاراضي الفرنسية ، ومن جهة ثانية لا تستطيع التخلي عن شركائها الافارقة الذين يطلبون منها هذا التدخل لحماية تشاد . فالشركاء يخشون اذا هي تخلت عن حبري ان يواجهوا وضعا صعبا في المرحلة المقبلة .

○ أزمة الشرق الأوسط

نشرت الواشنطن بوست في عدد ٨ شوال (٧/١٨) مقالا تناول التنافس الدولي في منطقة الشرق الأوسط ، والعلاقة الامريكية الاسرائيلية بعد الغزو الصهيوني الأخير للبنان . جاء في المقال :

ليس هناك من حل في الشرق الأوسط بدون مشاركة الاتحاد السوفييتي .

والى جانب ذلك ، فان استمرار اسرائيل في تكديس الاسلحة النووية ، ورفضها التوقيع على اتفاقية حظر انتشار الاسلحة النووية ، التي قبلتها جميع دول الشرق الأوسط ، ينميان الشكوك السوفيتية ، ويساعدان في استمرار الدعم العسكر السوفيتي لسوريا .

وفي الوقت نفسه ، فان استمرار الدعم الاميركي غير المشروط لاسرائيل ، يجعل الدول العربية تتجه الى الاتحاد السوفيتي طلبا للمساعدة .

ولا تزال الولايات المتحدة مستمرة في دعم العدوانية الاسرائيلية بحسب الشروط التي تمليها اسرائيل . والحكومة الاسرائيلية بدورها مستمرة في الادعاء بأنها تمثل رأس الحربة الاميركية في الشرق الأوسط المعادي للولايات المتحدة . وعلى اساس هذا التصور لا تزال الولايات المتحدة تسمح لاسرائيل بممارسة النشاطات العدوانية على الدول المجاورة لها .

وتتمثل هذه النشاطات في سياسة اسرائيل التوسعية في الأراضي العربية المجاورة مصعدة بذلك من حدة النزاع العربي ـ الاسرائيلي بحيث بات يهدد بوقوع مجابهة بين الدولتين العظميين . ومن المفارقات ان المتطرفين الاسرائيليين يزعمون انهم يمثلون المصالح الاميركية . وكما قال السفير الاسرائيلي السابق في واشنطن ، فان اسرائيل بغزوها للبنان كأنما « رفست الاتحاد السوفييت على فم معدته » . ومن الواضح انها مستعدة لتكرار ذلك .

ورد فعل واشنطن على تصرفات اسرائيل كان الموافقة الضمنية ، التي تمثلت في استمرار المساعدات العسكرية والاقتصادية والدعم الدبلوماسي . وفهمت طبيعة هذه « العلاقة الخاصة » حين اعلن الرئيس ريغان في مؤتمر صحفي عقده اخيرا ان الاتحاد السوفييتي « ليس له شأن بالشرق الأوسط » ، بينما الولايات المتحدة لها شأنها بالطبع . ومضمون هذا الكلام لا يحتمل اللبس ، فالتواطؤ الاميركي ـ الاسرائيلي على لبنان ، الذي اسيء فهمه على انه تحالف ، انما يجيء في اطار ما دعاه الكسندر هيغ وزير الخارجية الاميركية السابق « الاجماع الاستراتيجي » ، اي انه موجه اساسا ضد التدخل السوفييتي في المنطقة ، وليس كوسيلة لتسوية عادلة للنزاع العربي ـ الاسرائيلي . ومن المتوقع ان تقبل موسكو ابعادها عن الشرق الأوسط ، اذا حدث ذلك بشكل لا يمس كرامتها .

ولا يمكن تحقيق السلام العالمي بدون التخلص من نفوذ الدولتين العظميين في منطقة الشرق الأوسط . وهذا يفترض مسبقا تحييد الشرق الأدنى (لبنان، اسرائيل ، وفلسطين الجديدة ، والأردن ، وسوريا) . وحياد هذه الدول يجب ان تضمنه الدولتان العظميان على غرار ما حصل مع النمسا في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية . ومن الواضح ان ذلك سيكون في مصلحة كل منهما . ويجب ان يستثنى الخيار النووي من وسائل التسلح الدفاعي المشروع الذي هو حق لكل دولة من دول المنطقة .

« إلى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الأمر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بالشركة العربية للتوزيع ص . ب (٤٢٢٨) بيروت ـ لبنان أو بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر : القاهرة ـ مؤسسة الأهرام ـ شارع الجلاء .
السودان : الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص . ب (٣٥٨)
الجزائر : الشركة الوطنية للصحافة ٢٠ شارع الحرية
المغرب : الدار البيضاء ـ الشركة الشريفية
تونس : الشركة التونسية للتوزيع ـ5 شارع قرطاج ـ ص . ب : 440
لبنان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص . ب (٤٢٢٨)
الأردن : عمان : وكالة التوزيع الأردنية : ص .ب (٣٧٥)
السعودية : جدة : مكتبة مكة ـ ص . ب (٤٧٧)
الخبر : مكتبة مكة ـ ص . ب (٦٠)
الرياض : مكتبة مكة ص . ب (٤٥٢)
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء
سلطنة عمان : مكتبة العائلة ـ روى ـ ص . ب : (٣٣٧٦)
صنعاء : دار القلم للتوزيع والنشر والاعلان ـ ص .ب :١١٠٧
البحرين : دار الهلال
قطر : دار العروبة ص . ب ٦٣٣
أبو ظبي : المؤسسة العامة للطباعة والنشر ـ ص .ب (٦٧٥٨)
دبي : دار الحكمة ص . ب (٢٠٠٧)
الكويت : الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات ت : ٤٢١٤٦٨

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة .

محتويات العدد

مجلة الوعي الاسلامي ـ ص . ب (٢٣٦٦٧) دولة الكويت
KUWAIT

طباعة مؤسسة دار السياسة ـ الكويت

الوعي الإسلامي

العدد ٢٢٨/ ذو الحجة ١٤٠٣ هـ/ سبتمبر ١٩٨٣ م

الحَجّ عَرَفة

هديتك مع العدد: مجلة براعم الايمان

بسم الله الرحمن الرحيم

ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع

عند بيتك المحرم

ربنا ليقيموا الصلوة

فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم

وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون

- إبراهيم ٣٧ -

الوعي الإسلامي

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة التاسعة عشرة

العدد ٢٢٨/ ذو الحجة ١٤٠٣ هـ/ سبتمبر ١٩٨٣ م

● الثمن ●

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم

ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي

هدفها

المزيد من الوعي، وايقاظ الروح، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها

وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت

هاتف رقم ٤٢٨٩٣٤-٤٦٦٣٠٠

التوزيع والاشتراكات

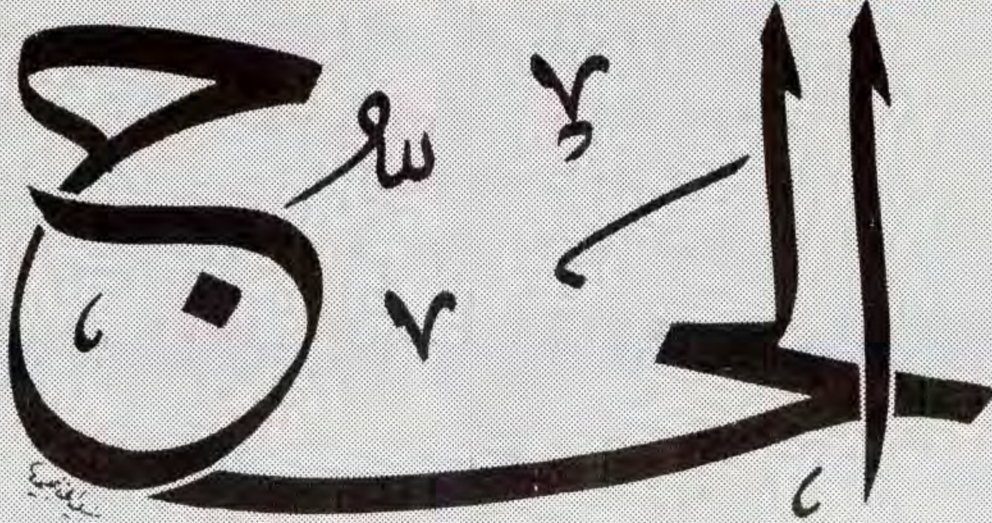
الشركة العربية للتوزيع (ش م ل)

ص ب ٤٢٢٨ بيروت لبنان

تلكس ARABCO 23032 LE



كلمة الوعي



زكريات .. ودروس

○ الحج عبادة تتطلب استخدام البدن وبذل المال ، والتوجه بالقلب .
○ عبادة جمعت بين النية الخالصة في وقت معين ، وقبل ان يتجاوز الحاج مكانا معينا .. عبادة يتحرر فيها الانسان من مشاغل الحياة ومتعها .. ليرتدي الملابس البيضاء وهي أشبه ما تكون بأكفان الموتى ، ويترك الأهل والوطن ليقوم بأقدس رحلة الى أشرف بقعة حيث بيت الله الحرام استجابة لنداء خالد من أبي الأنبياء ابراهيم عليه السلام :ـ « فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم ».
في هذه الرحلة المباركة ليس مع الحاج من متاع الحياة الا ما يتزود به من طعام ، وما ييسر له الانتقال « الزاد والراحلة »
○ وفي هذه الرحلة المباركة يتمثل الاسلام في حركة واعية نشطة ـ هتافها الدائم « لبيك اللهم لبيك »
○ وفي الطواف حول البيت الحرام ذكريات : « إن أول بيت وضع

للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين ».
«وإذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا أنك أنت السميع العليم ».
ثم ياتي خاتم الانبياء ليحطم الأصنام ويعيد الى وجه الحياة صورة الدين الخالص قائلا : « جاء الحق وزهق الباطل » ثم يعتلي بلال الحبشي ظهر البيت ليعلن « الله أكبر - الله أكبر ».
○ ذكريات وذكريات .. في السعى بين الصفا والمروة ، وفي الوقوف بعرفة ، وفي المشعر الحرام بمنى ، وفي رمى الجمرات ، وفي كل مناسك الحج ذكريات يعيشها زوار بيت الله على ارض الواقع ، ومهما اشتد الزحام ، وكثر العدد « فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج ».
وفي تلك البقاع الطاهرة تمتلىء النفس إيمانا ، وتستشعر الأجساد قوة ، هكذا نرى الشيخ المسن - ويتعود المسلمون الاعتماد على النفس ، والطاعة والصبر ، والخشونة .
وللحجاج ان يتصوروا المشقات التي احتملها المسلمون الأوائل حتى صنع الإيمان منهم معجزات .

○ ولما كان الحج ركنا مهما وأساسيا من أركان الاسلام سميت سورة في القرآن الكريم باسمه « سورة الحج »وتعددت الآيات التي تتحدث عن احكامه في أكثر من موضع ، ذلك لأن الحج مؤتمر اجتماع وتعارف وتعاون .«ليشهدوا منافع لهم » هو دعوة الى وحدة الصف الاسلامي ، دعوة الى وحدة الكلمة ، وتوحيد الهدف ، دعوة الى نبذ كل عوامل الفرقة والاختلاف .. دعوة الى تحطيم كل الأصنام والطواغيت .. دعوة الى اخلاص العبودية للهفماالطواف حول البيت .. والسعى بين الصفا والمروة ، إلا إحياء لذكريات غالية ، تبعث في النفس قيما سامية ، حيث لا قداسة لهذه الأماكن في ذاتها إلا بتوجيه الدين ، وما ترمز اليه من معان خالدة .. ومن هنا جاء قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا اني رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك ».
ومن قبل عمر .. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لبيك حقا حقا ، تعبدا ورقا » فهي عبادة خالصة لله سبحانه أولا وأخيرا .
○ هذا ولا يفو تنا ونحن بصدد الحديث عن الحج أن نشير الى حجة الوداع التي حجها رسول الله صلى الله عليه وسلم .. حيث نزل عليه في عرفات قوله تعالى :«اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا » في هذا الموطن .. موطن انطلاق الدين بعد

أن أكمله الله في عرفات -ولذا قال الرسول الكريم « الحج عرفة » وقف الرسول خطيبا في وفد الحجيج ليسمعهم وليسمع الدنيا من ورائهم، ومن يأتي بعدهم الى يوم الدين قوله: « أيها الناس، إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام الى أن تلقوا ربكم، كحرمة يومكم هذا، وكحرمة شهركم هذا »ثم مضى يقول: « أيها الناس ان الشيطان قد يئس من أن يعبد بأرضكم هذه أبدا ولكنه إن يطع فيما سوى ذلك فقد رضى به مما تحقرون من اعمالكم، فاحذروه على دينكم ».

ويقول محمد عليه الصلاة والسلام: « قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا، أمرا بينا، كتاب الله وسنة نبيه ».

○ وعلى العموم فان الرسول الحبيب دعا في خطبته الى رعاية الحقوق، واستوصى بالنساء خيرا، وأكد اخوة المسلمين، وحرمة دمائهم، وحذرهم من مداخل الشيطان، ونهاهم عن اكل اموالهم بالباطل. وعن تحليل ما حرم الله، او تحريم ما احل الله، ودعاهم الى الاحتكام الى كتاب الله وسنة نبيه والتمسك بهما، ونهاهم عن أن يعودوا بعده كفارا يضرب بعضهم رقاب بعض.

○ فهل وعى مسلمو اليوم مقالة نبيهم، فاستعلوا على ضعفهم؟ لقد فعل مسلمو الأمس الأعاجيب فسجل لهم التاريخ الأمجاد والبطولات والفتوحات الاسلامية في صحائف من نور، اما مسلمو اليوم فقد فعلوا الأعاجيب أيضا، ولكن من نوع آخر، حيث بعضهم يضرب رقاب بعض، وحيث الدم الاسلامي الزكي يراق بأيد اسلامية اكثر مما يراق بأيدي الأعداء. وحيث أجزاء عزيزة من ديار المسلمين قد اغتصبت في وضح النهار، وحيث الفتن قائمة في أكثر من موضع، والمسلمون لاهون عما يكاد لهم نهارا، ويدبر لهم جهارا، وكأنهم لم يستوعبوا الدرس النبوي الكريم..

ونردد مع القائل :-

هي ذكرى تمر في كل عام لا أراها تثير أشياء فينا
هل وعينا عن الرسول هداه واهتدينا بشرعه ورضينا
هل أقمنا الجهاد دعوة حق تحمل الفكر، يقرع المشركينا؟
هل أعدنا الحقوق من سالبيها في فلسطين، مقدس المسلمينا؟

إلى شيخنا .. مع التحية ..

الشيخ محمد الأباصيري خليفة آثر أن يتركنا
نظراً لظروفه الصحية .
ولقد كان الشيخ بيننا نعم الوالد والموجه .
فقد قضى فضيلته سنوات من عمره المديد
إن شاء الله ، مجاهداً في سبيل الله . عرفته
المنابر واعظاً وخطيباً ، وعرفته المنتديات
محاضراً مجيداً ، وعرفته الصحافة والإذاعة
والتلفاز .. مدافعاً عن الحق ، مقدماً للبحوث
الإسلامية ، كاتباً سيال القلم .
فتحية تقدير لشيخنا ..
ودعاؤنا إلى الله أن يظل موصول العطاء ،
موفور الصحة والعافية .

أسرة التحرير

مناسك الحجّ بين الذِّكر

يقول الله عز وجل في كتابه الكريم (**ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب**) الحج/٣٢ :

لم لا ؟ وهذا التقى قد علمه ربه حين أدخله في عباده المتقين (**واتقوا الله ويعلّمكم الله**) البقرة/٢٨٢ ، لم لا ؟ وقد علم هذا التقى أن كل نسك من مناسك الحج يشير الى معنى من معان عظيمة تجعل الوجدان يهتز من الأعماق هيبة من الله جل جلاله حين الأداء ، لهذا وجب على كل حاج ان يستحضر في نفسه اثناء قيامه بكل نسك هذه المعاني أو بعضها ، كي يتولد في قلبه تعظيم شعائر الله ، وحتى يبقى في كيانه ذلك الاحساس الايماني العميق المحاط بالاجلال والتبجيل ، ان هذا الحاج يحتاج ان يزداد لله خضوعا قبل أن يتأزر ملابس احرامه وان يتزود لطريقه خشوعا كي يعظم شعائره ، كل هذا من اجل أن يكون سعيه مشكورا وحجه مبرورا .

الله عرف ابراهيم مناسك الحج حين دعاه :

بينما كان ابراهيم واسماعيل عليهما السلام يقومان بتعلية بناء الكعبة الشريفة من القواعد بناء على أمر الله تعالى كانا يبتهلان ان يتقبل منهما ، وهنالك ايضا دعا ابراهيم عليه السلام ربه أن يعلمه مناسك الحج عن طريق الرؤيا حتى تكون ثابتة راسخة في الافهام بالنسبة له ولذريته من بعده (**وأرنا مناسكنا وتب علينا**) البقرة/١٢٨ .
لكن هل جاءت هذه المناسك غامضة بعيدة الفهم عن ذلك العقل البشري ؟ الواقع لا ... لان الناظر الى كل نسك

الذكرى

للأستاذ / سعد عوض المر

منها يستطيع ان يخرج ببعض الحكم الظاهرة التي تكاد تنطق فتقول : عش في أنواري أيها الحاج كما سبق ان عاش من قبل في ذكرى ابراهيم وهاجر واسماعيل : أولئك الذين نسجوا معا خيوط كياني ورتبوا حروف قدومي ووجودي في هذه الدنيا بقلم القدرة الالهية ، وأنتم يا حجيج بيت الله الحرام انتم الآن تعيدون وترددون طاعة الانسان لخالقه الواحد الديان في ضياء هذه المناسك في ظل هذا الاسلام والتسليم لله رب العالمين رب هذا الكون العظيم .

الطواف حول الكعبة ليس اجسادا مجردة تهيم حولها :

ربما قد يسيل لعاب بعض المتفلسفين حين ينظرون الى شاشات التلفزيون فيشاهدون هؤلاء الحجيج يطوفون حول بيت الله العتيق ، فيقولون : ان هذا الذي يتم هو عبادة المادة ، كلا .... انهم حين قالوا ذلك متناسين أنهم كثيرا ما وقفوا خاشعين أمام أعلام بلادهم خافضي رؤوسهم ومطأطئين دون أن يتذكروا أنها رايات من أقمشة قد صنعوها وصوارى من اخشاب قد وضعوها فهل بنفس الفهم يعترفون أن إجلالهم لهذه المادة هو عبادة لها ؟ أم يا ترى سوف يقولون إن هذا كان رمزا فقط يعبر عن هذا الولاء او ذاك الحب للأوطان .

لكن دعنا من هذا ومن ذاك حتى يتسنى لنا أن نقول لهم إن القضية ليست قضية طواف لان الطائفين لا يلبون ولا يكبرون لجدران الكعبة أو يكلمونها ، بل تتصاعد أصواتهم وهتافات افئدتهم لربّ هذه الكعبة ؛ إن القضية الاساسية التي يجب أن نناقشها اولا مع هؤلاء هي قضية الايمان ، فإن تم الاقتناع بها استراحوا وأراحونا ، ومن ثم وجب عليهم أن يؤمنوا بانه على المقتنع الذي آمن ان يستقبل أوامر الله تعالى دون مناقشة ، لأن الايمان يعني التسليم ، ومن يقول بان التسليم هو الغاء للعقل فقد قال قولا لا يعقل وزورا كبيرا ، لانه ما من أحد ينكر أن عقولنا محدودة لا تستطيع أن تدرك كل الاشياء من حولها حتى تلك التي تحيط بها ، كذلك يجب أن نتذكر أن هذه العقول ليس مطلوبا منها أن تعي أو تفهم كل هذه الحكم ، أو أن تقتنع بأمر الله قبل أن تفعله ، اما اذا لم

يقتنعوا بداية بتلك القضية الايمانية ، فإنه لا جدوى .... ولن يجدي مع هؤلاء القوم حديث .

الطواف حول الكعبة انسجام وتسبيح مع هذا الكون :

إنك اذا نظرت الى هذا الكون وجدت كل أجزائه تتمثل في أشياء - تلك الاشياء مهما اختلفت هي عبارة عن ذرات متراصة أو مبعثرة ، كل واحدة منها تتكون من نواة يحيط بها عدد غير قليل من الالكترونيات تدور كلها حولها في اتجاه واحد ، في دوائر ذات مدارات متعددة تماما كما يفعل حجاج بيت الله حين يطوفون حول الكعبة . إن طوافهم هذا انسجام مع حركة هذا الكون ، ومن ثم نستطيع ان نقول : ا ن الذي يشذ عن هذه الحركة هم أولئك الذين لا يطوفون حول البيت الذي ثبت أنه (مركز هذا العالم) مثل تلك النواة في منتصف الذرة ، كذلك الحال بالنسبة لهذه المجموعة الشمسية التي نعيش في قلبها ، إن جميع كواكبها تدور حول شمسها ، تدور في اتجاه واحد ، في نفس الوقت الذي تدور فيه تلك الشمس وتوابعها حول مركز ما يتمثل ايضا في جرم آخر ، في نفس الوقت الذي تدور فيه مجرتنا هذه التي تضم مجموعتنا الشمسية حول مركز آخر ...

وهكذا كل أجرام هذا الكون .

إن هذا النظام البديع الذي نراه متمثلا في ذلك الطواف ما هو إلا تسبيح لله رب العالمين : (**تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وإن من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم**) الاسراء/ ٤٤ .

إننا نعلم أنه كي يسبح الانسان لابد له أن يحرك حنجرته أو لسانه أو فكره او يحركهم جميعا في نفس الوقت ، إذن كان التسبيح وما زال حركة ، وما يدريك بان حركة ذلك الكون وسباحة أجرامه ليست تسبيحا باعتبار أن كل حركة لا بد أن ينتج عنها صوت بغض النظر عن عجزنا أو استطاعتنا سماعه .

كما لا يفوتني هنا أن أنوه عن وحدانية الله التي تنطق بها حركة هذا الكون فأقول ا نها دليل على أن الذي خلقه وأبدعه هو اله واحد بديع قادر ، لا شريك له ... فان لم يكن كذلك ، فسيذهب كل اله بما خلق ولما كان هذا النظام الذي نراه نظاما واحدا .

السعي بين الصفا والمروة :

يقول الله تعالى : (**إن الصفا والمروة من شعائر الله**) البقرة/ ١٥٨ .

ان ظهور مكة كبلد استقر فيه هؤلاء البدو أو اتجهوا اليه قد بدأ من عند هذا المعنى التاريخي لهذا النسك ، حينما اصطحب ابراهيم عليه الصلاة والسلام زوجته هاجر التي هاجر بها الى الله فكانت اعتبارا من ذلك الوقت أول من هاجر الى صحراء جرداء قحل لا زرع فيها ولا ماء ، وكأن السماء قد اختارت لها اسمها في مهدها ليتحقق معناه فيما

بعد في شبابها ، انها لم ترفض ما فرضه الله وزوجها على بقائها وحدها مهاجرة اللهم الا وليدها الذي زاد همها امتثالا لأمر ربها ، انها لم تتعلق بثياب زوجها كي يبقى أو لا يتركها ، لانها قد علمت أن الله الذي يرزق ويرحم ، موجود في كل مكان ، ولا يوجد مكان يخلو منه .

إن ابراهيم عليه السلام كان واثقا من ان الذي نجاه من النار قادر على حفظهما ولن يضيعهما ابدا ، إنه لم يتساءل : كيف يتم هذا الحفظ ؟ ومن أين يكون ذلك الرزق ؟ إنه لم يفكر في ذلك مطلقا ، ترى لماذا كان هذا ؟ ألأنه نظر وتدبر وتفكر في أن نجاته من النار لم تكن نتيجة لابعاده عنها ، بل تمت نجاته منها بالقائه فيها ... في قلبها ذلك القلب الذي تحول الى برد .... برد لا هو بقارس فيميت ، ولا هو بحار فيذيب ، بل كان بردا وسلاما ، على من ؟ على ابراهيم فقط حتى لا تنطفىء النار من أركانها أو يتمكن الكافرون من الدخول فيها.

وياللعجب لما نجد في الثلاث آيات التي سبقت آية الصفا والمروة التي تذكرنا بسعي هاجر بحثا عن الماء هنا وهناك ، ان هذه الآيات قد صورت ما مرت به هاجر بالرغم من أنه لم يتم الاشارة الى ذلك صراحة .

رمى الجمرات :

يقول الله تعالى : **(ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين)** البقرة / ١٦٨ ، ٢٠٨ ويقول ايضا **(إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا)** فاطر / ٦ .

وكما حذّر الله آدم من الشيطان وعرّفه أسباب عداوته له بعد أن امتنع عن السجود له امتثالا لأمره فانه ايضا عرّفنا بتلك العداوة التي امتدت واستمرت ، وحذرنا أيضا منه حتى لا نقع فريسة لوساوسه كتلك التي وقع فيها آدم حين استجاب له وأكل من الشجرة .

وحيث اننا لا نرى الشيطان من حيث يرانا ، فإننا كثيرا ما ننسى وجوده متناسين تحذير الله لنا رغم انه لا يتوقف عن وسوسته لنا ليحرك نفوسنا لشهواتها حينما يبث فيها احقاده وفي افكارنا كذلك

لقد علمنا الله في كتابه الكريم كيف نبتعد عن ذلك الشيطان ونبعده عن طريقنا (قل اعوذ برب الناس ● ملك الناس ● إله الناس ● من شر الوسواس الخناس ● الذي يوسوس في صدور الناس) الناس / ١ الى ٥ كذلك علمنا الله في مناسك الحج أن نجعل أجسامنا تشارك ايضا في رجم هذا الشيطان ، حتى نتذكر دائما أننا قد اتخذناه عدوا لنا قولا وفعلا طاعة لله وخوفا ، كما فعل من قبل ابراهيم واسماعيل وهاجر حين وسوس لهم كل واحد منهم على حدة بالأماني والعصيان حتى لا يتم ذبح اسماعيل .

○ الهدى :

إننا حينما نذبح فانما نفدى أنفسنا من بعض ما اكتسبت من تقصير أو بعض ما اقترفت من آثام ،

أما حجاج بيت الله فيحنما ينحرون فإنما يكـون ذلك بسبب الإحـرام بالتمتع أو بالقران أو نتيجة لترك بعض الأعمال الواجبة (فيما عدا الأركان) أو بهدف التطوع ابتغاء مرضاة الله ، لقد سمي الذبح هديا لانه عزّ وجلّ طيب لا يحب إلا طيبا يهدى له ، إنه عزّ وجلّ سيتقبلها لكنه على أي حال لن ينال منها شيئا سوى ما يراه فينا من تقوى تنفعنا(**لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم**) الحج/٣٧ .

إنه نسك يذكرنا بتلك الرؤيا التي رآها ابراهيم عليه السلام الذي علم أن رؤيا الانبياء حق بل وحي من عند الله ، لهذا عاش فيها وعايشها لأنها ظلت تتراءى له تعيش معه ، لهذا السبب قال (**إني أرى**) ولم يقل (**اني رأيت**) كذلك لأن هذا الامر الإلهي ما زال قائما حتى وقت التسليم من اسماعيل وإذعانه ، إن ابراهيم حينما قال : (**فانظر ماذا ترى**) لم يكن بهذا القول قاصدا أي تخيير ، بل كان يريد أن يتيح لابنه فرصة الرضا والمثول لقضاء الله تعالى ، لأنه قد علم - وهو أبوه الذي رباه- مدى تقواه فأراد ان يعينه في الدخول ضمن

عباد الله الصابرين قولا وعملا ، لانهم أولئك الذين يحبهم اللـه : (**واللـه يحب الصـابـرين**) آل عمران / ١٤٦ .

حقا إنه لبلاء عظيم من الله الرحيم استحق ذلك الفداء العظيم من الرب الكريم ، فهل لنا بعد ذاك أن نتقبل كل ما يحدث لنا من مصائب بروح طيبة ، موقنين واثقين برحمة ربنا ، وبأنه جل علاه سيفدينا بكرمه في الوقت الذي يرانا فيه قد استسلمنا وسلمنا له ، متقبلين قدره دون أي ضجر منا مهما كان قدر هذا الضرر : (**ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأمـوال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين**) البقرة / ١٥٥ .

الوقوف بعرفات :

أولا : يجب أن نفـرق بين كلمتي (**عرفة**) و (**عرفات**) حتى لا يختلط الأمـر بينهمـا عنـد التعبـير ، ان (**عرفة**) هو ما يطلق على اسم الزمان الذي يشير الى اليوم التاسع من ذي الحجة ، ، أما (عرفات) فهو ما يطلق على اسم **المكان الذي يقف فوقه الحجيج يوم عرفه ، ولعل هذا الاسم** قد اشتق من قول جبـريل لابراهيم عليهما السلام بعد أن علمه مناسك الحج : عرفت ، قال ابراهيم : نعم .

إن يوم عرفة هو اليوم الوحيد في فريضة الحج الذي يجمع كل حجاج بيت اللـه في مكان واحـد ، إنهم يجتمعون فيه ما بين أبيض وأسود ، أحمر وأصفر ، أسمر وأشقر كل له لغته ولسانه الذي يختلف به عن غيره ، لكنهم جميعا في هذا الموقف يلبون بلغة واحدة ، وفي هذا الوقوف ينطقون بصوت قلب واحد .

إنه حقا مشهد مهيب تقشعر منه القلوب والأبدان ، إن كل حاج هناك يقف حاملا إزار إحرامه على جسده وكأنه قد حمل على كتفه كفنه الذي منعه أن يطير فيصعد الى أعلى الى السماء مع هذا النداء الذي ملأ أرجاء عرفات .

انه مشهد مهيب رهيب حقا لأنه يذكرنا بيوم الحشر ، يوم القيامة ، يوم تشخص الأبصار في انتظار الحساب ، فإما جنة وإما نار ، إنه يوم سيكون فيه معيار الجزاء بيد الله الواحد القهار ، إن الحساب سيكون بمكيال العزيز الجبار ، فبالله عليك هل سيكون هناك عدل أكثر من ذلك العدل ؟ إن من رحمة ربك بنا وعدله لم يوكل أمر الحساب لأي من خلقه حتى هؤلاء الملائكة الكرام ، لكن كيف يتم ذلك الحساب في وقت واحد ؟ الواقع أن هذا الشيء على الله هين ، والدليل على ذلك قيوميته لنا الآن في آن واحد :

مناسك الحج في اركانها في انوارها الذكر

إننا اذا ما تدبرنا سورة البقرة بداية من آيات الصيام لوجدنا أن الغاية هي التقوى ، ويا للعجب لما نرى بعد ذلك لقد جاءت آيات الحج بعدها بقليل وكأن الفترة الزمنية بين رمضان وبين ذي الحجة قد ذابت بين الفريضتين لتظل آثار التقوى باقية حتى نهاية مناسك تلك الفريضة الاخيرة ، يقول الله تعالى (**وتزودوا فإن خير الزاد التقوى**) البقرة/ ١٩٧ ، ويقول أيضا (**لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم**) الحج/٣٧ .

ان تقوى الله هي اليقظة الدائمة في قلب ذلك المؤمن التي تجعله دائما متذكرا بأن الله مطلع عليه ، يراقبه ، ان ذلك التذكر بعينه ذلك الذكر الذي ذكره الله في آيات الذكر الحكيم عن الحج كثيرا ، ان الله حينما نهى عن الجدال في الحج إنما أراد سبحانه وتعالى ان يأخذ الحجيج من انفسهم كي يعينهم ويساعدهم اثناء مناسك الحج ليتفرغوا لذكره ناسين المشاحنات كما نسوا عند إحرامهم المال والأولاد ، وإن اردت المزيد من البيان فتعال معي نقرأ ونرتل ما تيسر من آيات في كتاب الرحمن :

يقول الله تعالى : (**ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات**) الحج/٢٨ .

ويقول ايضا : (**واذكروا الله في أيام معدودات**) البقرة/٢٠٣ .

ويقول ايضا : (**فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم**) **البقرة/١٩٨** .

ويقول ايضا : (**فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم أباءكم أو أشد ذكرا**) البقرة/٢٠٠ .

وهل هناك أجمل من أن يذكر ضيوف الرحمن اسم الرحمن الذي دعاهم لرحمته وعبادته حتى يغمرهم بغفرانه وكرمه وعطاياه ، وهل هناك أجمل من تلك التلبية بعد ذلك الإحرام بذلك الصوت الواحد (**لبيك اللهم لبيك،لبيك لا شريك لك لبيك**) .

خذوا حذركم

المعروف أن ارادة القتال والمقاومة والصمود ، وأن الحماسة والايجابية في العمل وروح الابداع والابتكار ، وأن الهزيمة والاستسلام واليأس والسلبية هى كلها « حالات عقلية » تنشأ في عقل الانسان تحت ظروف معينة فتولد لديه الدوافع النفسية التي تدفعه الى السلوك الذي يعبر عن تلك الحالات .

وفي مجال الصراع بين الأمم أو بين الجيوش ، فان كل جانب يحرص على أن ينشيء في خصمه « الحالة العقلية » التي تحقق له أهدافه والانتصار عليه . وهنا يأتي دور « الحرب النفسية » أو « الدعاية » التي يجمع الخبراء على أنها أقوى أسلحة الصراع أثرا في تحقيق النصر بسرعة وبأقل الخسائر في الأرواح والمعدات :

« فالحرب بالسلاح » تستطيع أن تدمر القوات والمعدات ، و « الحرب الاقتصادية » تحرم الخصم من المواد الحيوية ، أما « الحرب النفسية » فهى تستطيع ما هو أخطر وأعمق أثرا ، انها تجرده من أثمن ما لديه وهو « ارادته القتالية » ، فهى تستهدف في المقاتل أو المواطن عقله وتفكيره وقلبه وعواطفه لكي تحطم روحه المعنوية وتقوده الى الهزيمة ، وهذا ما دعا القائد الألماني روميل الى القول بأن « القائد الناجح هو الذي يسيطر على عقول أعدائه قبل أبدانهم » ، ودعا تشرتشل الى أن يقول : « كثيرا ما غيرت الحرب النفسية وجه التاريخ ! » .. وقد بلغ من تأثير الحرب النفسية أن كثيرا من الأمم ـ كما يروي التاريخ ـ استسلمت لأعدائها قبل أن تطلق جيوشها طلقة واحدة !!

من الحرب النفسية

للواء الركن / محمد جمال الدين محفوظ

ومن أعظم الدروس التي تستخلص من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في إدارته للصراع مع الأعداء أن « استخدام العامل النفسي في الصراع ضرورة حيوية لتحقيق الأهداف الاستراتيجية » ، فمن بين ثماني وعشرين غزوة قادها عليه الصلاة والسلام بنفسه ، نجد تسع عشرة غزوة حققت أهدافها بلا قتال ، اذ فر الأعداء تحسبا لنتائج مواجهة قوة المسلمين .

وقد قرر الرسول القائد صلى الله عليه وسلم أن « الجهاد باللسان » كالجهاد بالنفس والمال فقال لحسان بن ثابت وكان من شعراء الاسلام : « يا حسان اهج المشركين اهجهم فان جبريل معك ، اذا حارب أصحابي بالسلاح فحارب أنت باللسان » رواه البخاري ومسلم وأحمد .

وليس ذلك فحسب بل انه عليه الصلاة والسلام يقرر أن الحرب النفسية أشد وأسرع أثرا من حرب السلاح فقد روى أن عبدالله بن رواحة كان يلقى شعرا في هجاء الأعداء في المسجد فاستنكر منه ذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه قائلا : بين يدى رسول الله وفي حرم الله تقول الشعر ؟ ! فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : « خل عنه يا عمر ، فلهى ـ يعنى القصيدة ـ أسرع فيهم من نضح النبل » وفي رواية « خل عنه يا عمر ، فو الذي نفسي بيده لكلامه أشد عليهم من وقع النبل » رواه الترمذي والنسائي .

الحرب النفسية في صراعنا الحضاري :

وليس من شك في أن الأمة الاسلامية تواجه اليوم حربا حضارية ، تستهدف تدمير قواها وفرض التبعية عليها ، ومنعها من القيام بالنهضة الحضارية التي ترجوها ، واستعادة مكانتها اللائقة بها ، **واذا كانت الحرب بالسلاح والغزو العسكري والغارات الخاطفة ، هى التي تلفت النظر وتستأثر بالاهتمام والانتباه ، لما يصاحبها من قعقعة وضجيج على الصعيدين المحلي والعالمي ، إلا أنه لا ينبغي مطلقا أن تغفل الأمة عن الدعاية والحرب النفسية أو تقلل من شأنها ، لأن القتال له نهاية يوما ما ، أما الحرب النفسية فليس لها نهاية ، بل هى مستمرة ودائمة في السلم والحرب على حد سواء .**

وأستطيع أن أقول ان الانسان في هذا العصر « يتنفس » الدعاية كما يتنفس الهواء ، لكنه في تنفسه للهواء يأخذ ما ينفعه « الأوكسجين » ويلفظ ما يضره « ثاني أكسيد الكربون » أما في تنفسه للدعاية والحرب النفسية ، فهو لا يستطيع في أغلب الأحوال أن يفعل مثل ذلك ، وهو معرض للاصابة « بالعلة النفسية » ، التي قد تدمر فيه الارادة والايجابية وقوته المعنوية ..

ولكي ندرك حجم هذا الخطر علينا أن نتفهم ماهية الحرب النفسية وأهدافها ووسائلها :

مفهوم الحرب النفسية وأهدافها :

تعرف الحرب النفسية بأنها « هى الاستخدام المخطط للدعاية أو ما ينتمي إليها من الاجراءات الموجهة الى الدول المعادية أو المحايدة أو الصديقة ، بهدف التأثير على عواطف وأفكار وسلوك شعوب هذه الدول بما يحقق للدولة « التي توجهها » أهدافها » .

ويلاحظ من هذا التعريف ما يلي :

(١) أن الحرب النفسية لا توجه فقط الى الدول المعادية أولا تنحصر فقط في نطاق الصراع بين الدول المتحاربة أو المتنافسة ، بل هى تشمل أيضا الدول الصديقة والدول المحايدة ، ولعل هذا هو ما جعل الخبراء يفضلون لفظ « الدعاية » بدلا من « الحرب النفسية » وكل دولة من دول العالم هى في حقيقتها جماع لتلك الأوصاف الثلاثة « معادية ومحايدة وصديقة » فذلك هو الأمر الغالب في العلاقات الدولية ، فالدولة غالبا ما يكون لها أصدقاء وأعداء ودول تقف موقف الحياد في مواجهة بعض قضاياها .

(٢) وأن « أهداف » الدعاية تختلف باختلاف « وضع » الدولة التي توجه اليها في العلاقات الدولية :

● فاذا كانت الدولة معادية ، كان الهدف تحطيم الروح المعنوية والارادة القتالية وتوجيهها نحو الهزيمة .

● واذا كانت الدولة محايدة ، كان الهدف توجيهها نحو الانحياز للدولة الموجهة أو التعاطف مع قضيتها ، أو على الأقل ابقاءها في وضع الحياد ومنعها من الانحياز الى الجانب الآخر .

● واذا كانت الدولة صديقة ، كان الهدف توجيهها نحو تدعيم أواصر الصداقة مع الدولة الموجهة ونحو المزيد من التعاون لتحقيق أهدافها .

مهام الحرب النفسية :

واذا ما حصرنا البحث في مجال الصراع بين الدول ، لأنه هو المجال الذي ينبغي أن نتدبره بكل الوعي والفطنة في هذا العصر ، فنستطيع أن نقول إن الخبراء الذين يخططون لحملات الحرب النفسية لتدمير الروح المعنوية وتحطيم الارادة القتالية ، يسعون الى تحقيق هذا الهدف من خلال المهام الرئيسية التالية :

(١) التشكيك في سلامة وعدالة الهدف أو القضية .

(٢) زعزعة الثقة في القوة « من كافة عناصرها » والثقة في احراز النصر ، واقناع الجانب الآخر بأنه لا جدوى من الحرب أو الاستمرار في القتال أو المقاومة .

(٣) بث الفرقة والشقاق بين الصفوف والجماعات .

(٤) التفريق بين الجانب الآخر وحلفائه ودفعهم الى التخلي عن نصرته .

(٥) تحييد القوى الأخرى التي قد يلجأ إليها الجانب الآخر للتحالف معها أو لمناصرته .

الصور والأساليب :

وثمة عدة صور وأساليب تستخدم لتحقيق تلك المهام نذكر منها ما يلي :

(١) الكلمة المسموعة أو المقروءة التي من شأنها التأثير على العقول والعواطف والسلوك ، وهو مجال تتعدد فيه الأشكال والوسائل كالكتاب والصحيفة والمجلة والمنشور واللافتة والاذاعة والتلفزيون والسينما والمسرح .. الخ .

(٢) الشائعات ، وهى أخبار مشكوك في صحتها ، ويتعذر التحقق من أصلها ، وتتعلق بموضوعات لها أهمية لدى الموجهة اليهم ، ويؤدي تصديقهم لها أو نشرهم لها « وهذا هو ما يحدث غالبا » الى اضعاف الروح المعنوية .

(٣) التهديد بواسطة القوة « تحريك الأساطيل ـ اجراء المناورات الحربية بالقرب

من الحدود ـ تصريحات القادة ـ اعلان التعبئة الجزئية .. الخ » .
(٤) الخداع عن طريق الحيل والايهام .
(٥) بث الذعر والتخويف والضغط النفسي .
(٦) الاغراء والتضليل والوعد لاستدراج الجانب الآخر لتغيير موقفه .

ألوان الحرب النفسية :

ومن المفيد أن نعرف أن جهد الحرب النفسية أو الدعاية يوجه في ثلاثة ألوان جرى العرف على تسميتها بحسب مصدرها بالاسماء التالية :

الدعاية البيضاء :

وهى نشاط الدعاية العلني والصريح ، الذي يحمل اسم الدولة التي توجهه مثل : الاذاعة ووكالات الأنباء والتصريحات الرسمية ، ولذلك تسمى أحيانا بالدعاية الصريحة أو الرسمية .

الدعاية الرمادية :

وهى الدعاية الواضحة المصدر ، ولكنها تخفى اتجاهاتها ونواياهـا وأهدافها ، أي التي تعمل وتدعو الى ما تريد بطريق غير مباشر ، كالكتاب الذي يحتوى على قصة أو رواية عادية ، لكنه يدعو ـ بين السطور ـ وبطريق غير مباشر الى اعتناق مذهب سياسي معين أو التعاطف معه .

الدعاية السوداء :

وهى الدعاية التي لا تكشف عن مصدرها مطلقا ، فهى عملية سرية تماما ، ومن أمثلتها الصحف والاذاعات والمنشورات السرية والخطابات التي ترسل الى المسئولين غفلا من التوقيع أو باسم اشخاص أو منظمات وهمية أو سرية .

الرمادية أخطر الألوان :

وبالمقارنة بين تلك الألوان الثلاثة للدعاية ، يتضح لنا أن الدعاية

الرمادية هى أخطرها على الاطلاق : فالانسان بقليل من الوعي والفطنة ، يستطيع أن يكشف بسرعة ما وراء الدعاية البيضاء والسوداء ، أما الدعاية الرمادية فهو يتجرعها قبل أن يكتشف أهدافها ، ويتعرض لتأثيرها دون أن يشعر ، لأنها « تتسلل » الى عقله ووجدانه مستترة وراء شيء ظاهري لا غبار عليه .. أي أنه « يتناول السم في العسل » .. والمعروف أن حملات الدعاية تضم عادة الألوان الثلاثة ، ولا تكتفي بلون واحد منها ، لكننا لا نجافي الحقيقة اذا قلنا ان الدعاية الرمادية تحظى بالنسبة الأكبر ، وأنها هى الأكثر استعمالا والأوسع انتشارا ، وذلك تأكيدا لكونها أقوى أثرا .

لنأخذ حذرنا :

فعلى الأمة الاسلامية أن تتنبه الى تلك الحقائق بكل الوعي والفطنة ، وخاصة في هذا العصر الذي تقدمت فيه وسائل الاعلام والنشر والاتصال الى الحد الذي انعدمت فيه الفواصل والمسافات بين أجزاء العالم ... واذا كانت الدولة تستطيع أن تغلق حدودها وتسد المنافذ التي تؤدي الى داخلها ، واذا كان الفرد يستطيع أن يغلق على نفسه باب داره ونوافذه ، فلا الدولة ولا المواطنون بمستطيعين أن يمنعوا أجواءهم من حمل ونشر ما تبثه موجات الأثير من صور الدعاية المختلفة التي تتسلل الى وجداننا .

قد نشاهد « حلقة » تلفزيونية من المسلسلات الأجنبية تحكي قصة « بوليسية » لعملية سطو على أحد البنوك ، تتلوها مطاردة الشرطة لعصابة اللصوص حتى يتم القبض عليهم والقصاص منهم ... انها لأول وهلة قصة عادية في الظاهر ، لكنها تنطوي على عدة سموم تنفثها في النفوس كما يلي على سبيل المثال :

● التشجيع على الجريمة والارشاد الى وسائلها ، ولعلنا سمعنا كثيرا عن الشباب الذين يقترفون الجرائم بعد مشاهدتهم لمثل تلك الحلقات أو الأفلام .

● تعميق الشعور بالاحباط وغرس الاحساس بالتدني وتنمية عقدة النقص في قلوب أبناء امتنا في مواجهة تفوق الدول الأجنبية العلمي أو التقني « التكنولوجي » ، وذلك من خلال ما يشاهده المتفرج من صور التقدم والتطور في اجراء الاتصالات وفي شبكة الطرق والاسعاف والحاسبات الالكترونية الى غير ذلك مما ساعد على القبض على المجرمين بسرعة فائقة .

كيف نواجه الدعاية والحرب النفسية :

والحق أن الاسلام يسد منافذ الحرب النفسية ويرشد الى أساليب تحصين

المسلمين ضدها على نحو لا تتسامى إليه أفضل النظم الوضعية وهو ما نوضحه فيما يلي :

(١) كشف أهداف وأساليب الحرب النفسية المعادية :

لقد عنى القرآن الكريم أشد العناية بكشف أهداف أعداء الاسلام من الكفار والمنافقين لكي يكون المسلمون واعين ومستعدين استعدادا نفسيا لمواجهتها وعدم الاستجابة لها أو التأثر بها : (**أفمن يمشي مكبا على وجهه أهدى أمن يمشي سويا على صراط مستقيم**) الملك /٢٢ ومن أمثلة ذلك :

○ كشف محاولات التفرقة :

قال تعالى : (**يأيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين**) آل عمران / ١٠٠ ثم أرشد الله المسلمين الى طريق مواجهة تلك المحاولات فقال جل شأنه : (**وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم**) آل عمران / ١٠١ .

○ كشف محاولات التخذيل وتثبيط العزائم :

يقرر القرآن الكريم أن الدور الذي يلعبه أعداء الدين في التخذيل وتثبيط العزائم له خطورته اذا انساق في تياره أبناء الأمة ، ويوضح أنه كلما لقيت دعواتهم آذانا صاغية ، فانهم يفرحون بذلك ويستبشرون وهذا شأنهم في كل عصر ، ومن أمثلة ذلك محاولات المنافقين لدفع المسلمين الى التخلي عن الرسول صلى الله عليه وسلم وعدم الخروج معه الى غزوة تبوك ، قال تعالى : (**فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون . فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون . فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا إنكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين**) التوبة / ٨١ ـ ٨٣ .

فالقرآن هنا لا يكشف محاولات تثبيط العزائم ولا يحذر المسلمين من الاستجابة لها فحسب ، بل يقرر أيضا ضرورة تطهير الجيش من أمثال هؤلاء المنافقين لشدة

خطرهم عليه .

○ كشف محاولات زعزعة الثقة في النصر :

في غزوة الخندق أراد المنافقون تشكيك أهل المدينة في وعد الله ورسوله بالنصر والفتح المبين ، فركزوا على جانب التوهين والتخويف وإضعاف العزائم لدى المسلمين ليتركوا الرسول صلى الله عليه وسلم وحده مع نفر قليل ، وليرجعوا الى بيوتهم متعللين بأنها غير محصنة « وكان الخندق خارج المدينة » قال تعالى : **(وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض** « أي شك ونفاق » **ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا** . « أي باطلاً من القول » **وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبي يقولون إن بيوتنا عورة وما هى بعورة إن يريدون إلا فرارا)** الأحزاب /١٢ و ١٣ .

(٢) ردع القوى المضادة :

وبعد أن يوضح الاسلام أن المعرفة بأهداف وأساليب الحرب النفسية هى خير عاصم من الوقوع في براثنها ، يرشدنا الى اتخاذ أقوى الاجراءات الايجابية الفعالة في مواجهة أعداء الأمة من القوى المضادة التي تعمل ضدها في الخفاء والتي يكون خطرها ـ اذا غفلت عنها الأمة أو لم تتصد لها ـ أفدح بكثير من خطر العدو الظاهر ، وهذا ما يفهم بوضوح من نص الآية الكريمة : **(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم)** الأنفال / ٦٠ .
ان « عدو الله » واضح ، و « عدوكم » واضح أيضا ، أما الفئة الثالثة وهى المعبر عنها بقوله جل شأنه : **(وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم)** فقد فسرها السابقون بالمنافقين الذين يلبسون ثوبا ظاهره الرحمة وباطنه العذاب ، إلا أنها تنطوى بلغة العصر على كل القوى المضادة التي تنفث سمومها في الخفاء وتثير الفتن وتروج الشائعات وتغرى بالسلبية وتقتل الارادة والايجابية .. ومن هذه الفئة من يكون داخل البلاد الاسلامية وبين صفوف أبنائها ، ومنهم من يكون خارجها يدبر ويخطط ويسعى بكل الأساليب العلمية للحرب النفسية والغزو الفكري الهدام .
تلك هى أخطر فئة ، وقد كشف عنها قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « تجدون شر الناس ذا الوجهين يأتي هؤلاء بوجه ويأتي هؤلاء بوجه » متفق عليه . وقد حذرنا الله جل شأنه منهم فقال في سورة المنافقين / ٤ : **(يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم اللهأنى يؤفكون)** .

القضاء

يشترط في القاضي قبل الفصل في الدعوى نوعان من العلم : الاول : العلم بالأحكام الشرعية ، وهو أساس تأهيله واعداده للقضاء ، والثاني : العلم بحقيقة الواقعة وتفاصيل القضية ، وهذا العلم إما أن يكتسبه القاضي بنفسه برؤية القضية أو سماع الأقوال أو معاينة المدعى به والكشف عليه . وإما أن يكتسبه عن طريق غيره ، كالشهود واقرار المدعى عليه وكتابة القرائن المحيطة به ، وهو علم ظني في الغالب فاذا علم القاضي بحقيقة الحادثة بأن اطلع على واقعة من الوقائع بسماع الفاظ المقر خارج مجلس القضاء ، او سمع الفاظ الطلاق في البيت او الشارع أو رأى الإتلاف أو القتل أو ارتكاب الجريمة ، أو عاين وسمع أطراف التصرف أو القتل أو ارتكاب الجريمة ، أو عاين وسمع أطراف التصرف وعملية التعاقد ، ثم رفعت اليه الدعوى ليفصل فيها ، فهل يعتمد على علمه السابق ، او لا بد من الشهادة وغيرها من الوسائل والبينات ؟ .

*** الحالات المتفق عليها :**

من المسلم به أن علم القاضي بالحق أو الواقعة يفيد اليقين والعلم . بخلاف الوسائل الأخرى ، فإنها تكسبه غلبة الظن ، والبينة هي كل ما يبين الحق ويظهره ، وقد اتفق الفقهاء على العمل بعلم القاضي في أربع حالات ، هي :

● الاولى : اتفق الفقهاء على أن القاضي لا يقضي بخلاف علمه ، ولو مع البينة . فاذا علم بطلاق أو بدَيْن أو بإتلاف أو بقتل ، ثم قامت البينة على ما يخالف علمه ، فلا يجوز له القضاء بالبينة قطعا ، وقال بعض الفقهاء بالاجماع عليه ، لأنه متيقن بطلان

بعلم القاضي

للدكتور / محمد مصطفى الزحيلي

حكمه ، والحكم بالباطل حرام ، فيجب عليه أن يعتزل النظر بالقضية ، أو يفوض غيره فيها ، ويكون شاهدا ، أو يرفض سماع الدعوى أصلا ، وقد عنون لذلك البخاري فقال : « باب الشهادة تكون عند الحاكم في زمان ولايته القضاء أو قبل ذلك للخصم » ، وساق قصة شريح : « وقال القاضي شريح ، وسأله انسان الشهادة ، فقال : إئت الأمير حتى اشهد لك » ، وقال عكرمة : قال عمر لعبد الرحمن ابن عوف : « لو رأيت رجلا على حد سرقة أو زنى وأنت أمير ؟ فقال : شهادتك شهادة رجل من المسلمين ، قال صدقت » (صحيح البخاري مع حاشية السندي ٤/ص١٦١ .

● الثانية : اتفق جمهور الفقهاء على جواز العمل بعلم القاضي في الجرح والتعديل . فاذا علم حال الشهود عدالة أو فسادا ، فيجب عليه أن يعمل بموجب علمه ، فيقبل العدل ، ويسمع شهادته دون أن يأمر بتعديله وتزكيته ولو طلب الخصم ذلك ، ويرد كل طعن فيه أو تجريح الا اذا بين المجرح شيئا جديدا لم يطلع عليه القاضي ، فيقدم الجرح ، واذا علم فسق الشاهد وتجريحه فلا يقبل شهادته ولا يسأل عنه ، ولا يسمع تعديله ، ولو طلب الخصم ذلك ، وقبول علم القاضي في الجرح والتعديل جائز عند الجمهور ، لئلا يؤدي الى التسلسل فيه ، ولم يخالف فيه إلا الحنابلة في رواية عندهم ، خشية التهمة عليه .

● الثالثة : اتفق جمهور الفقهاء

على جواز حكم القاضي بعلمه فيما يحدث في مجلس حكمه ، فاذا بدرت اساءة من أحد أطراف النزاع نهره القاضي ، واذا تطاول أحدهم بالكلام على القاضي أو على خصمه منعه ، ويؤدب من تبين لدده أو كذبه من المتخاصمين ، واذا حدث ضرب أو جرح في مجلس القضاء حكم القاضي على المعتدي ، واستند في حكمه على ما سمع ، ولا يحتاج الى بينة .

● الرابعة : اتفق الفقهاء على جواز الحكم بعلم القاضي في حق الله تعالى حسبة ، كأن يسمع القاضي الطلاق البائن من الزوج ، ثم يدعي الزوجية ، فيمنعه من الاتصال بزوجته ، وكما اذا سمع القاضي وقفة أرض ثم ادعى رجل ملكيتها .

واتفق الفقهاء على ان يقضي القاضي بعمله في تغليب حجة أحد الخصمين على حجة الآخر إذا لم يكن في ذلك خلاف ، وهذا يرجع إلى علمه بالاحكام ، ومنها طرق الترجيح عند التعارض وغيره .

*** الحالات المختلف عليها :**

ثم اختلف الفقهاء بعد ذلك في جواز الحكم بعلم القاضي فيما علمه خارج مجلس القضاء سواء أكان الموضوع حدا أم قصاصا أم حقا ماليا أم حقا غير مالي ، وسواء أكان علمه قبل توليه القضاء أم بعده ، ولهم ثلاثة أقوال :

القول الاول : ان القضاء جائز مطلقا ، سواء علمه قبل توليه القضاء أم بعده ، ذهب الى ذلك الشافعية في المشهور عندهم والإمام أحمد في رواية وابن حزم والصاحبان من الحنفية والزيدية والإمامية وأبو ثور .

واستدلوا بقوله تعالى : (**يا أيُّها الذين آمَنوا كونُوا قوّامين بالقِسط شُهداء للَّه**) النساء/ ١٣٥ ، وقوله تعالى : (**يا أيَّها الذيَن أمنُوا كونوا قوّامين للّـِه شُهداء بالقسطِ**) المائدة /٨ ، فالأمر للوجوب باقامة الشهادة والحكم بالقسط ، ومن الحكم بالقسط أن يقضي بالحق الذي يعلمه وليس من القسط أن يترك الظالم على ظلمه لا يغيره ، ويعرض عن المظلوم فلا ينصره ، واستدلوا بحديث عائشة قالت : دخلت هند ، امرأة أبي سفيان ، على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يارسول الله ، إن أبا سفيان رجل شحيح ، لا يعطيني من النفقة ما يكفيني ويكفي بنيّ إلا ما أخذت من ماله بغير علمه ، فهل عليّ في ذلك من جناح ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خذي من ماله بالمعروف ما يكفيك ويكفي بنيك رواه البخاري وسلم وابو داوود والنسائي وابن ماجه والبيهقي » فالرسول صلى الله عليه وسلم كان يعلم شح أبي سفيان وبخله ، فصدّق امرأته في منعها من النفقة ، فحكم عليه بناء على عمله وهذا يدل على مشروعية الحكم بعلم القاضي ؛ وإن منع القاضي من الحكم بعلمه : يستلزم توقف الأحكام ، أو فسق الحكام ، لاقرارهم الظلم والبطلان .

القول الثاني : ان القضاء بعلم القاضى مقبول فيما إذا علم به بعد

توليه القضاء وفي مكان ولايته ، وكان مستمرا في الحكم منذ علمه حتى عرض الواقعة على القضاء ، دون أن يفرق بينهما عزل ، فاذا علم القاضي بواقعة في زمان ومكان ولايته فإنه يحكم بعلمه والا فلا ، ذهب الى ذلك الإمام أبو حنيفة ، والمتقدمون من الحنفية وأستدلوا على ذلك بالأدلة السابقة ثم قيدوها بأدلة المنع ، وأساس التفريق أن علم القاضي قبل ولايته أو خارج مكان الاختصاص يشبه ما يسمعه من الشهود في تلك الصورة ، وهذا السماع لا أثر له ، لأنه لا ولاية له ، أما علمه أثناء قضائه وفي مكانه فيشبه ما سمعه من الشهود فيجب عليه القضاء بموجبه ، فعلمه الاول حصل قبل توليه القضاء أو بعد توليته ، ولكن في غير مكان قضائه فلا يقضي بعلمه ، ويعتبر كأنه لم يكن ، أو هو شهادة فقط ، وعلمه الثاني حصل في الوقت المكلف فيه بالقضاء ، فأشبه البينة القائمة التي يجوز له الاعتماد عليها والقضاء بموجبها .

وقد اختلف القائلون بمشروعية القضاء بعلم القاضي فيما يجوز القضاء به ، فذهب الشافعية في المشهور عنهم والظاهرية والإمامية بالنسبة للإمام قولا واحدا ، وأحد قولين عندهم بالنسبة الى غيره ، وأحمد في رواية وبعض الزيدية الى أن القضاء بعلم الحاكم جائز في جميع الحقوق ، فاذا علم بحقيقة الواقعة قضى بها بناء على علمه ، سواء في ذلك الحدود والقصاص والحقوق المالية والعائلية وغيرها .

وذهب الحنفية والزيدية وكثير من الشافعية وأحمد في رواية والإمامية في قول الى أن القضاء بعلم الحاكم جائز في القصاص والمعاملات المالية والأحوال الشخصية وفي حد القذف ، وغير جائز في الحدود إلا في السرقة ، فيقضي بعلمه في المال فقط دون القطع .

القول الثالث : أن القضاء بعلم القاضي غير جائز مطلقا ، مهما كان نوع الحق موضوع الدعوى ، وكيفما كان حصول علمه به ، ذهب الى ذلك المالكية والحنابلة والشافعية في قول رجحه الغزالي ، والامام محمد في رواية ، وعليها المتأخرون من الحنفية والاباضية ، وهو مروي عن شريح والشعبي والأوزاعي .

واستدلوا على رأيهم بقوله تعالى : **(والذين يرمونَ المحصناتِ ثمَّ لم يأتوا بأربعةِ شهداء فاجلدُوهم ثمانينَ جلدةً)** النور/ ٤ ، فقد أمر الله بجلد القاذف عند عدم البيّنة وإن علم صدقه ، لأنه أمر بالجلد اذا لم يحضر الشهود ، واستدلوا بصريح الحديث ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنكم تختصمون إليّ ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض ، فأقضي له على نحو مما أسمع منه . فمن قطعت له من حق أخيه شيئا فلا يأخذه ، فإنما أقطع له به قطعة من النار » رواه البخاري ومسلم وأصحاب السنة والبيهقي . فالقضاء يكون بحسب المسموع لا بحسب المعلوم ، والرسول صلى الله عليه وسلم قضى بذلك ، رغم أنه كان يمكنه الاطلاع على أعيان القضايا مفصلا ،

وروت السيدة عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث أباجهم بن حذيفة مصدَّقا ، فلاحَه رجل في صدقته ، فضربه أبو جهم فشجّه فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : القود يارسول الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لكم كذا وكذا ، فلم يرضوا ، فقال : « لكم كذا وكذا ، فلم يرضوا ، فقال لكم كذا وكذا ، فرضوا ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إني خاطب العشيـة عـلى النـاس ومخبـرهم بـرضاكم ، فقـالوا : نعم ، فخطب فقال : إن هؤلاء الذين أتوني يريدون القود ، فعرضت عليهم كـذا وكذا فرضوا ، أفرضيتم ؟ قالوا : لا ، فهم المهاجرون بهم ، فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكفوا عنهم ، فكفوا ، ثم دعاهم فزادهم ... » رواه النسائي وأبو داوود وابن ماجه واحمد فالرسول صلى الله عليه وسلم لم يؤاخذهم بعلمه فيهم ، ولا قضى بذلك عليهم ، وقد علم رضاهم وهو واضح بعدم الأخذ بعلمه صلى الله عليه وسلم برضاهم الأول ، لأنه لم يلزمهم به ، وتقاضى الى عمر رجـلان ، فقال احدهما : انت شاهدي ، قال : إن شئت شهدت ولم أحكم ، أو أحكم ولا أشهد ، وعن الشعبي قال : لا أكون شاهدا وقـاضيا ، وقـال شريـح : القضاء حجر فادفع الحجـر عنك بعوديك ، أي بشاهديك .

وقالوا : ان قضاء القاضي بعلمه يجعله في مكان التهمة لانفراده بالبينة دون بقية الناس ، وهذا يثير الشبهة في قضائه ، ويضعه في قفص الاتهام ، كما يمنع القضاء بعلم القاضي سدا للذرائع ، لأنه قد يعمد قضاة السوء الى إنزال الاحكام الجائرة بخصومهم وأعدائهم ، ويتخذ بعض القضاة هذا الطـريق مطيـة للظلم والكيـد من الخصوم والانتقام من الاعداء ، قال الإمام الشافعي رضي الله عنه : « لولا قضاة السوء لقلت إن للحاكم أن يحكم بعلمه » قيل الاوطار ٨/ص٢٩٨ .

وهذا ما دعا المتأخرين من المذاهب الى الإفتاء بمنع القضاء بعلم القاضي ، لفساد أحوال القضاة عموما ، قال ابن نجيم الحنفي : « الفتوى على عدم العمـل بعلم القاضي في زمـاننـا » (الاشباه والنظائر لابن نجيم ص٨٨ وقال الشرازي الشافعي : « لو كان علمه كشهادة اثنين لانعقد النكاح به وحده ، وهو غير مقبول ، والقاضي مندوب للحكم ، والشاهد للشهادة ، فـلا يجوز تغييـره ، وان الشهادة مشروعة باثنين فلا يكفي واحد لمخالفة النص» المهذب للشيرازي ٢ص٣٠٤ وقال الدردير المالكي : « ولا يستند في حكمه لعمله في الحادثة ، بل لا بد من البينة أو الاقرار ، إلا في التعديل لشاهد أو في الجراح » وقال ابن جزيء المالكي : « ولا يقضي بعلمه سـواء علم ذلك قبـل القضاء او بعده » ، وقال ابن قدامة الحنبلي : « ظاهر المذهب أن الحاكم لا يحكم بعلمه في حد ولا في غيره ، لا فيما علمه قبل الولاية ولا بعدها » المغني لابن قدامة ٩/ص٥٣ .

هذا والناظر في أدلة الأقوال في القضاء بعلم القاضي ومنعه له أنها لا تنهض حجة على الجواز أو المنع ، أو الجواز في حالة والمنع في حالة أخرى ، لتعارضها ، وحيث لا دليل على المشروعية أو المنع فينظر الى المصلحة العامة في ترجيح أحد الآراء على الآخر وتقديم أخف الضررين ، ودفع الضرر الأشد ، ونظرا لتغير الزمان ، وفساد أهله ، وضعف النفس البشرية ، ورقة الوازع الديني ، وقلة الورع والتقوى ، وسدا للذرائع ، ودرءاً للفتنة ، وخوف التهمة فانه يرجح منع القضاء بعلم الحاكم بشكل عام ، ويؤكد المنع في الحدود بشكل خاص ، لأنها تدرأ بالشبهات ، ولأن الشارع الحنيف شدد في اثباتها لمنع الشك والشبهة فيها ، مع ملاحظة الأمور المتفق عليها ، والتي سبق ذكرها من عدم الحكم بخلاف علمه ، وأن القضاء المستفاد في مجلس الحكم لا يدخل في مضمون منع القاضي من القضاء بعلمه ، وتأديب من يظهر الاساءة في مجلس القضاء ، ومنع المحرمات التي علم بها كالبائنة والوقف حسبة لله تعالى وغيرها .

ويلاحظ ان الضرر المترتب على منع القضاء بعلم القاضي ضرر خاص على المتقاضيين فقط ، اما الضرر الناشيء عن اجازته فيقع على الناس جميعا ويصبح كل فرد مهددا بالحكم عليه من القاضي ، استنادا الى علمه الشخصي المزعوم ، وتفقد الثقة من القضاة ، ويصبح القضاء سيفا مسلطا على الناس ، ولذلك يرتكب الضرر الخاص لدفع الضرر العام ، ويقدم أخف الضررين . انظر كتب الفقه السابقة وغيرها كالمبسوط للسرخسي .

* الاثبات بعلم القاضي في القانون :

أما القانون الوضعي فانه علد الرغم من السلطة التقديرية الواسعة التي خولها للقضاة في الاثبات ، فمنح القاضي سلطة مطلقة في تقدير وسائل الاثبات ، وخوله حرية تكوين القناعة من الوقائع المعروضة عليه ، فقد منع القانون القضاء بعلم القاضي ، ونص عليه صراحة قانون البينات السوري في المادةالثانية منه : « ليس للقاضي أن يحكم بعلمه الشخصي » .

وذلك لأن واضع القانون قدر النتائج السيئة التي تنتج عن السماح للقضاة بالقضاءبعلمهم ، وما يترتب عليه من مفاسد ، ومظالم ، ومماينشأ عنه من تحكم باتخاذه وسيلة للكيد والتعسف ، فلا يجوز للقاضي أن يبني قناعته على ما يكون قد اطلع عليه من وقائع خارج المحكمة ومن غير أطراف النزاع ، أما ما يطلع عليه بحكم ولايته بعد عرض النزاع على المحكمة وما يستنبطه منها من وجوه الحكم فيصح ، لأن علمه بها حصل بصورة رسمية .

والخلاصة أن علم القاضي لا يعتبر وسيلة من وسائل الاثبات في عصرنا الحاضر في الشريعة والقانون ، لما يثيره من الشبه والشكوك ، وما يترتب عليه من احتمال المفاسد والجور .

حروف القرآن الكريم

بين التلاوة والكتابة

للاستاذ / حسين ناجي محيى الدين

اولا : إن المنافقين ممن اندسوا في الاسلام وهم يهود أو نصارى أو صابئون أو عباد أصنام أو عباد نار ، وهم الذين لا ينسون للاسلام أنه أجهز على ضلالاتهم وقوض سلطانهم في الارض وانتزع من نفوس الناس الولاء لهم وبدل به الولاء لله الواحد الأحد القهار . هؤلاء جميعا عملوا على تقويض الاسلام من داخله ، ففرقوا الفرق وابتدعوا الاضاليل ودسوا على القرآن تفسيرات نسبوها للصحابة والخلفاء والتابعين ، ثم دسوا على السنة المطهرة الكثير مما لم يقله الرسول الكريم ، ثم زينوا للناس تفسير القرآن وتأويله بغير ادوات التفسير المعهودة . وما أكثر ما فعلوا وما أشد ما مكروا وما ابرع ما زينوا للمسلمين الانسلاخ عن دينهم بتدليسات هي من صنع شياطين الجن يوحون بها الى شياطين الانس ليضلوا المسلمين عن دينهم الحق . وربما اصابوا نجاحا جزئيا تارة وربما أصابهم الخزى والانكسار أحيانا ، لكنهم لم يبلغوا من الاسلام الا ما يبلغه ناطح الصخرة بقرنه ليوهنها ، لكنهم بهذه المحاولة الخبيثة التي يسمونها الاعجاز العددي للقرآن التي مهدوا لها بمجرد تلفيقات عددية ، ثم أتبعوها بزعم الكشف عن الرقم « ١٩ » وشأنه الخطير في كتاب الله ارادوا ان ينالوا من القرآن الكريم عن طريق املائه في مصحف عثمان

« رضي الله عنه وأرضاه » ويريدون ان يستخرجوا من هذه الكلمات أو الحروف المكتوبة ،بأسلـوب احتيالي وتلفيقات ماهرة لكنها ظاهرة البطلان، ما يدللون به في نهاية مطافهم على ان عدد التسعة عشر الوارد في القرآن الكريم لا يشير الى جهنم وحراسها ، وهم الملائكة الغلاظ الشداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وانما هذا العدد في زعمهم يشير الى عدد حروف البسملة ، كما ترد مكتوبة بالمصحف العثماني .

ثانيا : ونحن نخالفهم في كون البسملة تتألف من تسعة عشر حرفا ، والحق معنا ، فالعبرة في عد حروف كلمة من كلمات القرآن انما يكون حسب نطقها وتلفظها لا حسب كتابتها الاملائية في المصحف العثماني .

فالبسملة تـلاوة متصلة تكـون حروفها هكذا « بسم ل لا ه ر رحمان ر رحيم » يعني ثمانية عشر حـرفا بحذف ألف لفظ الجلالة الأولى واثبات الألف التي قبل الهاء ، واثبات راءين في كل من الرحمن والرحيم لادغام اللام في الراء وحذف أداة التعريف « ال » من كل منهما لعدم النطق بها ، وإثبات الف الرحمن التي بعد الميم لوجوب النطق بها . وأما اذا تلونا البسملة تلاوة غير متصلة نعني بذلك الوقوف عند كل كلمة فإنها تكون هكذا : بسم الله الرحمان الرحيم ، وتكون حروفها ملفوظة عشرين حرفا . لكن الساعين الى اثبات قدسية الرقم « ١٩ » أهملوا عد الحروف منطوقة متصلة كما أهملوا عدها منطوقة منفصلة وأصروا على عدها مكتوبة ليصل بهم العد على هذا الوجه الى هدفهم المنشود .

ونقول ، ونؤكد أننا لا نمس املاء المصحف ولا طريقة كتابته ولا نريد زحزحتها الى طريقة أخرى ، ولا نقبل محـاولة من هـذا القبيـل أبـدا ، فالمصحف في اعتبارنا ككتاب له دفتان يجمع بينهما أي القرآن الكريم يجب أن يبقى على ما هو عليه من حيث شكل الاملاء .

لكن هذا شيء ، وما نحن بصدده شيء آخر .

ونحن قلنا ونقول ان عد حروف الكلمة أو اللفظة في القرآن الكريم يجب أن يتم حسب نطق الكلمـة لا حسب كتابتها في المصحف ، لا لأن هذا الاعتبار يقطع على الكائدين للقرآن سبيـل كيدهم ويظهـر الخطـأ في حساباتهم التي بنوا عليها خدعهم وأكـاذيبـهم فحسـب ، ولكـن لأن القرآن - ولا أقول المصحف - نزل ليحفظ ويتلى ويتعبد به وتستنبط منه الأحكام فالعبرة بمنطوقه وملفوظه الذي يحتوي معناه وفحواه .

ألا يعلم المسلم أن القرآن نزل وحيا على قلب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لينطقه كما نزل على قلبه وليحفظه كما نطقه وليعلمه لأصحابه كما حفظه ونطقه ، فينطقون كما نطق ويتلون ويرتلون كما كان يتلو ويرتل ، هـل يرى المسلم أي دور للكتـابة والاملاء في انزال القرآن من اللوح المحفوظ وتحميله لجبـريل وتبليـغ

جبريل سيدنا رسول الله إياه وتعليم سيدنا رسول الله لصحابته . لم تكن الكتابة ملحوظة في هذه الخطوات كلها إنما الملحوظ هو النطق والتلفظ والتلاوة .

وهذا أمر بديهي لا يحتاج الى عناء في التدليل عليه :

١ ـ فلفظ القرآن بالهمزة مع الألف معناه القراءة بمعنى التلاوة ، ودعنا من الاختلاف في كون لفظ القرآن مصدرا على وزن فعلان أو هو غير ذلك فإن المرجح أنه من قبيل استعمال المصدر أو ما هو على وزنه للتعبير عن اسم المفعول فالمقروء بمعنى المتلو يسمى قرآنا ، والمخلوقون يسمون خلقا ، والملفوظ يسمى لفظا ـ أما القران بالألف من غير همزة فهو عند الأشعري مشتق من قرن الشيء إلى الشيء أي جمعه عليه وضمه إليه إشارة الى ان ـ آي القرآن ـ تجتمع في وحدة واحدة هي السورة وأن السور ينتظمها عقدها فتكون قرآنا . لكن الاعتبار الأول هو الأشهر والذي جرى على مقتضاه تلفظ القرآن بالهمزة والألف ومهما يكن من أمر فلفظ قرآن أصبح علما على ما أنزله الله وحيا على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليكون آخر كتاب من عند الله ولتختم به الرسالات .

لاغرو مع الذي بيناه أن ينزل قول الله تعالى : (**وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا**) الاسراء/١٠٦ وقوله : (**اقرأ باسم ربك الذي خلق**) العلق /١ بمعنى اتل وتلفظ .

وقوله : (**سنقرئك فلا تنسى**) الأعلى/٦ بمعنى سنحفظك إياه ونثبته في صدرك بلفظه ومعناه .

ويقول سبحانه وتعالى : (**أوزد عليه ورتل القرآن ترتيلا**) المزمل/٤ قال صاحب الصحاح الترتيل في القراءة الترسل فيها والتبيين من غير تغّن ، وفي الكشاف ترتيل القرآن قراءته على ترسل وتؤدة بتبيين الحروف وإشباع الحركات . ومن فسر الترتيل بإخراج الحروف من مخارجها على وجه تتميز به الحروف ولا يندمج بعضها مع بعض حمل الأمر في الآية على الوجوب ، أعني وجوب الترتيل في التلاوة .

ويقول سبحانه وتعالى : (**يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك**) المائدة/٦٧ فالأمر هنا بالتبليغ ولم يكن التبليغ عن طريق صحف سيارة ونشرات وكتب ، وقتها كان التبليغ بعرض القرآن تلاوة على الآذان ، وكان الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام يتلو القرآن على الناس حين يعرض عليهم الاسلام .

٢ ـ وقد نلاحظ أن أمر ربنا رسوله بتلاوة القرآن على الناس تبليغا لهم قيده بأمر آخر هو الترتيل في التلاوة والتلاوة وترتيلها أمران يرتبطان بالنطق والتلفظ ولا يرتبطان بالقيد في القرطاس والاثبات في الصحف والأوراق ومن الواضح أن القرآن الكريم لا نعثر فيه على أمر بكتابته لكن فيه الأمر بتلاوته وقراءته وترتيله وترديده وهذه أمور كلها ترجع إلى التلفظ لا إلى الكتابة وقواعد الاملاء ،

ومن هذا المفهوم ورد في الحديث الشريف :«ما أذن الله لشيء كما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به»رواه البخاري ومسلم واللفظ له وفي الحديث الآخر :« خيركم من تعلم القرآن وعلمه » رواه البخاري ومسلم .

وربما كان من التزيد النافع أن نشير إلى قول الله تبارك اسمه على لسان طائفة من الجن : (**قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا**) الجن/١و٢ والى قوله على لسان المشركين (**وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون**) فصلت/٢٦ .

٣ ـ فالقرآن نزل عربيا مبينا : (**وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد**) طه/١١٣ إذ أن سنة الله أن يرسل كل رسول بلسان قومه (**وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم**) ابراهيم /٤ واللسان معناه النطق والتلفظ وليس معناه النقش بقصد القيد في القرطاس والورق ، ولذلك فإنه لا يجوز للمصلي ان يحمل المصحف مكتفيا بهذا الحمل عن قراءة ما تيسر من القرآن أثناء صلاته ، وليس القرآن بهذا المقياس هو المصحف فالمصحف كتاب دفتاه ضمتا بينهما اوراقا نقشت فيها آي القرآن الكريم ، ليمكن حفظه لمن يريد الحفظ ويستطيعه ، أو لتمكن قراءته وتلاوته وترتيله لمن لا يريد الحفظ او يعجز عنه .

وقد روعي في القواعد الاملائية الخاصة بكتابة القرآن ان تعين على نطقه نطقا صحيحا وفي أحيان كثيرة تنبه الى أصل الكلمة ، كما روعي في التشكيل والتنقيط محاذرة اللحن وهو الخطأ الذي يطرأ على الألفاظ فيخل بالمعنى وربما أدى الى رفع ما يجب نصبه أو جر ما يجب رفعه وهو المسمى عند علماء التجويد باللحن الجلي الواضح ، وكذلك محاذرة اللحن الخفي وهو الخطأ الذي يطرأ على الحروف فيخل بالأداء الصحيح كقصر الممدود وإظهار ما يجب ادغامه وتفخيم ما يجب ترقيقه وهكذا ، فالنطق السليم هو اللسان السليم والتلفظ هو المقصود من تعليم اللغة وأما كتابة الجمل في كتاب فليست من اللغة في شيء فاللغة واللسان هما النطق والتلفظ وليس علم الكتابة وتحصيل قواعدها من اللغة في قليل أو كثير ، وقد يجوز في التصور الممكن أن يحول القرآن إلى شفرة يتعلمها الناس ويفكون رموزها فيقرءون القرآن بهذه الشفرة كما تقرأ شفرات البرقيات أو الشفرات الدبلوماسية والبحرية ، وهكذا ، وقد أعطانا التقدم العلمي فرصا لحفظ القرآن بالصوت في أشرطة وعلى اسطوانات تقوم مقام المصحف في الرجوع إليها لغرض الحفظ او لغرض التلاوة والتعبد .

فاذا وردت كلمة العالمين في سورة الفاتحة بغير الف في الكتابة بعد حرف

العين فليس معنى ذلك على الاطلاق أنها تتكون من سبعة حروف بل حروفها ثمانية . وأزيد عما قلته فأقول إن خلوها من الألف لا يُجوِّز لي أن أنطقها وأن أتلوها بلفظ العَلَمين .

وورود كلمة الصلاة بواو بعد اللام ليس معناه على الاطلاق أن من بين حروفها المنطوقة حرف الواو بل تحسب الألف من بين حروفها عند التلفظ ، هذا إذا شئنا أن نجمع حرف الألف أو أن نحصى عدده في آية أو في سورة .

وكلمة النفاثات الواردة في سورة الفلق تكتب في المصحف العثماني بدون الفين بعد الفا ، والثاء اكتفاء بألف صغيرة فوق كل من الحرفين لارشاد القارىء الى وجوب النطق بالألفين .

والأمثلة كثيرة جدا جدا لكن نكتفي بهذا ... ؟؟؟

٤ ـ ألا ترون معي ـ وأظن الحق في جانب ما ذهبت اليه ـ أن كتابة القرآن إنما هي وسيلة لحفظه ، وأما القرآن نفسه فالعبرة فيه بتلفظه ونطقه ، فهل يجوز ان يكون للوسيلة الاعتبار الأول ؟ وأن ننفي عن المقصود بالوسيلة كل الاعتبار .... بمعنى هل يجوز أن نستنبط أحكام القرآن الشرعية من طريقة كتابته أو أن أحكام القرآن تستنبط من نصوصه الملفوظه كما وردت على أحرفها السبعة وهي اللغات أو اللهجات السبعة ؟ وإذا كان لا يجوز ترتيب حكم شرعي عملي على طريقة املاء المصحف فالأمر أظهر في أمور العقيدة وفي الغيبيات .

من الغيبيات كما تعلمون نار جهنم ومن الغيبيات أن عليها تسعة عشر ملكا غلاظا شدادا بالنص الصريح في موضعين من القرآن فهل يجوز أن نخالف صريح لفظ القرآن الكريم وأن نعدل به الى حساب حروفه حسب كتابتها لا حسب تلفظها لنثبت خلاف ما أثبته القرآن ولننتهي الى كلمة كافرة هي أن جهنم ليس عليها تسعة عشر ملكا وانما عليها تسعة عشر حرفا هي عدد حروف البسملة .

ثالثا : قد يقول قائل إن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا أقول ألم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف » رواه الترمذي وأن هذا الحديث نظر إلى الكتابة ولم ينظر الى التلاوة مما يجب معه اعتبار عد الحروف مكتوبة وعدم عدها ملفوظة والرد على هذا الاعتراض من وجوه .

أ ـ أن الرسول ما كان يقصد من قوله الشريف الا إفهام المسلمين القارئين للقرآن أن ثواب قراءتهم سيكون لا عن الكلمة وإنما عن كل حرف فيها .

ب ـ والأخذ بمفهوم غير الذي قصده سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقصر الثواب على كاتب القرآن وناسخه وطابعه .

وما أظن أن رسولنا الكريم قصد الى هذا التحصيل .

جـ ـ أن الرسول عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام قرر أن كلمة . آلم مكونة من ثلاثة أحرف وأنها ليست حرفا واحدا ، هذا التقرير لا يقصر الثواب على الكتابة فإن قصده النطق والتلفظ والتلاوة أجدر وأوثق ، فهولنا

وليس علينا .

د ـ الكلمة لغة تسمى حرفا ، واللغة تسمى حرفا ، واللهجة تسمي حرفا ودليل ذلك ما هو ثابت أن القرآن الكريم نزل على سبعة أحرف ، يعني يتسع القرآن في النطق بآيه لسبع لهجات من لهجات العرب ، وأظن لا خلاف في هذه الحقيقة ، ومن هنا نستطيع أن نؤول الحديث الشريف على أن لفظ « الم » يشمل ثلاثة الفاظ ، ولا نكون قد جانبنا الصواب .

هـ ـ الحرف المكتوب انما هو مجرد رمز اصطلاحي لعدة أصوات :

فالحرف الهجائي حين ننطقه ونتلفظ به فإننا في الواقع نتلفظ بأكثر من حرف واحد ، نعني بذلك ان الحرف منطوقا يتكون من أصوات أقلها اثنان . فحرف « هـ » ينطق صوتين . نعني ينطق بصوتين هما هـ ، أ وحرف « ج » ينطق ثلاثة أحرف هي : ج،ي،م . وهكذا في كل الحروف .

وهذه هي المضاعفة في الثواب فلفظ « ألم » لا يؤخذ الثواب على قراءتها على اعتبار أنها لفظ واحد بل يؤخذ على اعتبار أنها ثلاثة أحرف وكل حرف يحتاج في نقطه إلى ثلاثة أحرف اخرى . والله يضاعف لمن يشاء .

و ـ الحرف المكتوب حرف ميت لا حياة فيه فإن روح الحرف التي تبعث فيه الحياة هي القراءة والتلفظ ، وشتان بين ميت وحي . إنما ينفخ في الحرف المكتوب ـ وهو مجرد رمز ـ الحياة تحرك الشفتين به وأجزة النطق في الفم والحلق والحنجرة والشفتان واللسان ومخارج النطق كلها لو اجتمعت على أن تجعل من جسد هذا الحرف وحده الملقى على الورقة صوتا يسمع تاما كاملا ما استطاعت إلا أن تضيف إليه حرفا آخر أو حرفين وتكون منه ومن هذه الاضافة لفظة يمكن اخراجها صوتا . فالياء والميم يضافان لحرف « ج » فتدب فيه حياته وينطق جيما . وحرف « ف » تضاف اليه ا، ءفتدخله روحه فيتحرك وينطق « فاء » وهكذا الحال في كل الحروف .

فكما ان الكلمة تعرف وتنطق بحروفها مجتمعة كذلك الحرف يعرف وينطق ويصير لفظا بانضمام حروف أخرى اليه أقلها حرف واحد .

فهذه الحروف الاضافية التي تبعث الحياة في ميت صامت ليست عبثا بل هي التي انطقت أخاها وكانت له حياة يتحرك بها في الهواء فيصير صوتا متكلما أو صوتا مسموعا

وهذه الحروف التي تنضم الى أخيها تصير جزءا لا يتجزأ من بنيته ويصير الحرف بعد نطقه أو لدى نطقه لفظا مكونا من حروف ومؤدي ذلك أن حرف « ج » منطوقا ومسموعا يجب ان يحسب معه في عده حرفان هما الياء والميم وحرف « ل » يحسب معه في عده منطوقا ومسموعا حرفان هما الألف و الميم . وهكذا دواليك .

رابعا :

والحرف العربي نفسه ممكن تصور تغيره وتغير خصائصه أو ملحقاته من نقط وتشكيل

ولنستحضر في ذهننا أن تنقيط حروف القرآن المسمى الاعجام وكذلك تشكيلها بعلامات السكون وحركات الاعراب لم يعاصرا نزول القرآن ولا كتابته في مصحف عثمان فإن المشهور أن أبا الاسود الدؤلي أول من نقط الحروف وشكلها في القرآن لقد جعل للفتحة نقطة فوق الحرف ، وللكسرة نقطة اسفله وللضمة نقطة بين الحرف

والذي قبله ، وللتنوين نقطتين . وفي مرحلة لاحقة جعل المسلمون علامة كالقوس للحرف المشدد ، ولألف الوصل جرة فوقها أو تحتها أو وسطها على حسب ما قبلها من فتحة او كسرة أو ضمة . وفي عهد عبد الملك بن مروان وضعوا النقط للياء والتاء والثاء ، فلما

التبس التنقيط بالشكل ميزوا بينهما باللون والرسم إلى أن تم الوضع على ما هو عليه الآن . فهل كان القرآن قبل ذلك كله هو غير القرآن بعده ؟ وهل يمكن ان يطوف بالعقل أن القرآن نزل ناقصا وأتمه أبو الأسود الدؤلي ومن بعده ؟

بل لقد ذكر أن أول من وضع الهمزة والاشمام والتشديد هو الخليل وقد قيل ان كتابة القرآن ليست بحجة في القواعد العربية النحوية والصرفية والبلاغية وإنما الحجة في قراءته والتلفظ به .

بل إن رسم المصحف تغير من القلم الكوفي إلى القلم العربي ، فليس بدعا

بعد استعراض ما استعرضناه بإيجاز أن نجد عالما هو القاضي ابو بكر الباقلاني المتوفي سنة ٤٠٣ هـ في كتابه الانتصار يجوز أن يكتب القرآن على خلاف الرسم العثماني طبقا لقواعد الكتابة السائدة مستدلا على رأيه بأنه ليس في السنة ولا في إجماع الأمة ما يحرم كتابته بغير الرسم العثماني بل قال ان السنة دلت على جواز رسمه بأي وجه .

لكننا ـ والحق يقال ـ لا نذهب مذهب الباقلاني فإن الاجماع حصل على الرسم القرآني وارتضته الأمة ومقتضى الاحتياط من أن يتسرب الى القرآن كما تسرب الى ما سبقه من كتب شيء من التحريف ، هذا المقتضى يوجب أن نحافظ على الرسم القرآني الذي عهدناه ، ودرجت الأمة على قراءة القرآن من المصاحف على مقتضاه .

فطريقة الاملاء في المصحف ليست من بنية القرآن الكريم ، وليست توقيفية إنما هي من صنع المسلمين على مر العصور .

ومن أفدح الأخطاء وأشنعها في حق القرآن وفي حق العقل البشري عامة والوجدان الاسلامي خاصة ، أن يأخذ المسلم من طريقة إملاء المصحف دليلا في تأويل القرآن ومنهجا لتفسيره والجزم بمراد الله وتعيينه من مجرد هذا الاملاء .

إنها والله لاحدى الكبر .

والله نسأل أن يهدي الضالين وأن يثبت المؤمنين .

ازمة اخلاق

○ تعددت الازمات في عالمنا المعاصر، وتبارى المختصون في طرح الحلول المناسبة للتغلب على هذه الازمات .. ازمات السكن .. والمواصلات .. والمياه .. واستصلاح الاراضي .. والكهرباء .. والسلع الغذائية .. وازمة المرور .. الى غير ذلك من الازمات .. واستن المسئولون قوانين تدعو الى حسن استخدام المرافق العامة، والمحافظة عليها .. وعقاب المعتدين المخربين .. وقوانين لمنع التجاوز على الممتلكات العامة، وترشيد الاستهلاك، وذلك كله من أجل الصالح العام.

○ وكل ذلك جيد ومقبول .. ولكن هل أدت القوانين دورها ؟ وهل حققت هدفها ؟..

نقول : لا .. وتسالني .. وما السبب ؟ اقول لك : هل رأيت يوما سائقا يقود سيارته، فاذا ما اقترب من الاشارة - اشارة المرور - تلفت يمنة ويسرة فاذا لم يجد « الشرطي » قطعها وهي « حمراء »؟!

○ هل شاهدت يوما رجلا يدخل بيتا من بيوت الله، فيتوضأ للصلاة .. ثم يترك صنبور الماء مفتوحا ؟.

○ ألم تشاهد يوما من يلقي بالاوساخ والاقذار والنفايات في طرقات الناس ؟.

○ ألم تسمع عن هؤلاء الذين يتحايلون على القوانين فيختلسون من الاموال العامة والخاصة ؟ وآخر .. وآخر .. يسرقون خلسة، ويخربون بعيدا عن انظار الناس .. أما أمام الناس فهم الأمناء الشرفاء، الداعون الى الفضيلة، الناهون عن المنكر.

○ كل ذلك بسبب اننا لم نربِّ المواطن التربية الاسلامية الحقة .. فمع القانون العدل يحميه، ومع الحرية الاخلاق تصونها وترعاها، ومع الممتلكات العامة الامانة تحفظها وتحافظ عليها ..

○ فينبغي أولا بناء الانسان من الداخل حتى يعلم يقينا أن الله يراه وإن لم يكن الانسان يراه، وأن الاسراف مكروه في مجال الطاعة، وأنه لا إيمان لمن لا أمانة له.

○ ولن يصلح مجتمعنا إلا عندما نعيش الأخوة الاسلامية الحقة، فنعلم أن للغير حقوقا كما لنا حقوق. وأن لنا حدودا يجب ألا نتعداها ..

○ القانون وحده لا يكفي إذن .. ولابد أن نعالج أزمة الاخلاق أولا على أساس من مبادىء ديننا الحنيف .. ولنا أن نقف وقفة تأمل في قوله تعالى ممتدحا نبيه - صلى الله عليه وسلم - « وإنك لعلى خلق عظيم »..

محمد صلى الله عليه وسلم

في حجة الوداع وضع الرسول الاعظم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم دستور الدولة وأسس الحياة الحرة الكريمة للانسان في كل مكان وزمان .

نادى الرسول في الناس ، بصوت جهوري كان يردده مع ذلك من بعده ربيعة بن أمية بن خلف ، وهو يقف بين كل عبارة وأخرى قائلا بعد أن حمد الله تعالى وأثنى عليه :

« أيها الناس ، اسمعوا قولي فاني لا ادري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبدا .

أيها الناس ، ان دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام الى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا وكحرمة شهركم هذا . وإنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم وقد بلغت . فمن كانت عنده أمانة فليؤدها الى من ائتمنه عليها .

وان كل ربا موضوع - مهدر - ولكن لكم رؤوس اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون .

وحقوق الإنسان

للأستاذ / محمود الشرقاوي

قضى الله انه لا ربا ، وأن ربا العباس ابن عبد المطلب موضوع كله ، وأن كل دم كان في الجاهلية موضوع ، وأن أول دمائكم أضع دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب .

أيها الناس ان الشيطان قد يئس من ان يعبد بأرضكم هذه أبدا ، ولكنه إن يطع فيها سوى ذلك فقد رضي به مما تحقرون من أعمالكم فاحذروه على دينكم .

أيها الناس ، « انما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله ويحرموا ما أحل الله وان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض وان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ، ثلاثة متوالية ورجب مفرد الذي بين جمادى وشعبان .

أيها الناس ان ربكم واحد ، وان أباكم واحد كلكم لآدم . وآدم من تراب ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم ، ليس لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا

لأحمر على أبيض ولا لأبيض على أحمر فضل الا بالتقوى .

أيها الناس ، ان لكم على نسائكم حقا ولهن عليكم حقا لكم عليهن الا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه وعليهن الا يأتين بفاحشة مبينة فان فعلن فان الله قد أذن لكم أن تهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضربا غير مبرح ، فان انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، واستوصوا بالنساء خيرا فانهن عندكم عوان لا يملكن لانفسهن شيئا وانكم انما اخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمات الله .

أيها الناس ان الله قسم لكل انسان نصيبه من الميراث فلا تجوز لوارث وصية ، الا وان الولد للفراش وللعاهر الحجر الا ومن ادعى الى غير أبيه أو تولى غير مواليه رغبة عنهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

أيها الناس اسمعوا واطيعوا وان أمر عليكم عبد حبشي مجدع ما أقام فيكم كتاب الله .

أيها الناس ، أرقاءكم ، أرقاءكم . اطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تلبسون وان جاءوا بذنب لا تريدون أن تغفروه فبيعوا عباد الله ولا تعذبوهم فاعقلوا أيها الناس قولي فاني قد بلغت وقد تركت فيكم ما ان اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا امرا بينا كتاب الله وسنة رسوله .

أيها الناس ، اسمعوا قولي واعقلوه تعلمن ان كل مسلم أخ للمسلم وان المسلمين أخوة فلا يحل لا مرىء من أخية الا ما أعطاه عن طيب نفس منه فلا تظلمن أنفسكم اللهم قد بلغت .

أجاب الناس من كل صوب : نعم .

فقال : اللهم أشهد

ونزلت على الرسول الآية الكريمة :

(اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا) المائدة / ٣ »

ويجدر بنا أن نحلل هذه الوثيقة الخالدة تحليلا علميا دقيقا لكي ندرك مدى سمو وتقدمية الاسلام على سائر النظم والمبادىء في الشرق والغرب على حد سواء . وليس معنى هذا أن نقارن بين تشريعات الاسلام وهذه النظم الوضعية - أستغفر الله - فهذه النظم من وضع البشر وهؤلاء يصيبون ويخطئون .

كما أن المبادىء التي قررها الاسلام لصون كرامة الانسان وحقوقه لا تزال برونقها وصفائها أكثر بهاء من كل ما جاء به البشر ووصل اليه التقدم . ان الاسلام يقر للانسان بحقوق الانسان أو « الحقوق الطبيعية » هذه الحقوق قد انكرها بعض المفكرين المعاصرين فقالوا إنه لا يوجد حق طبيعي للانسان وانما الحق ما يمنحه المجتمع أو الدولة للشخص بمعنى أن الدولة تقرر في دستورها أو في قوانينها أن لكل فرد هذا الحق ، وهكذا وعلى ذلك فمالم تنص الدولة على تلك الحقوق المسماة عند غيرهم بالطبيعية لم يكن للفرد هذه الحقوق . .

وقد وجه هؤلاء المفكرون الى الاعلان العالمي لحقوق الانسان الذي اعلنته الجمعية العامة للامم المتحدة في ١٠ من ديسمبر ١٩٤٨ نقدا يهدمه

من اساسه باعتبار انه ليس هناك حق طبيعي للانسان باعتباره ـ انسانا وعلى ذلك لا حق عندهم من هذا القبيل الا ما تقرره كل دولة داخل حدودها لافراد شعبها .

ويقرر آخرون من اكثرية المفكرين أن للانسان حقا قررته له الطبيعة باعتباره شخصية انسانية وقد ظهر هذا الاتجاه قديما عند بعض فلاسفة اليونان كما ظهر ايضا في العصور الوسطى احياء للتراث اليوناني في هذه الوجهة ، بل لقد طبق بعضهم ذلك على القانون الدولي ايضا باعتبار أن الالتزام بقوانينه يرجع الى الالتزام بقوانين وضعتها الطبيعة اذا اهملتها الدول لم تستطع أن يعيش بعضها مع بعض في سلام .

وقد توارى مذهب الحقوق الطبيعية للانسان قليلا بعد القرون الوسطى باعتبار انه نسبي وغير دقيق ، وانه يجعل تلك الحقوق مصدرا للجدل والدعوى فيما يدعيه فرد او دولة ، انه حق طبيعي قد ينكره آخرون ولكن هذا المذهب وجد ما يؤيده ويحييه من بعض الوجوه في الاعلان العالمي لحقوق الانسان فهو يتضمن صراحة ان للناس باعتبارهم آدميين حقوقا اوجدتها الطبيعة على الجميع احترامها ، والاسلام قد سبق الى المناداة بما يتفق مع الرأى الاخير ، لأكثرية المفكرين القائلين بوجود حقوق طبيعية للناس تثبت لهم باعتبارهم آدميين ؛ فضلا عما قررته الشريعة من الحقوق المالية والشخصية بالتفصيل الذي لا مزيد وراءه ، فإن الاسلام يقرر في النصوص العامة للدين حقوق الانسان الطبيعية تقريرا لا شك فيه ، ومناداة الاسلام بتلك الحقوق تمتاز على كل التشريعات الحديثة من خاصة ودولية ومنها الاعلان العالمي لحقوق الانسان من النواحي التالية :

أولا :

ان تلك الحقوق من تقرير الوحي السماوي فلا يعتريها التغيير والتبديل .

ثانيا :

أن تلك الحقوق لا يقررها الاسلام من وجهة عامة نظرية كما فعل الاعلان العالمي لحقوق الانسان بل يعضدها بما في تفصيلات الشريعة مما يتعلق بالحقوق الخاصة من مالية وشخصية وسياسية اذ لا يمكن فصل الحقوق الطبيعية عنها فصلا تاما ، بل الحقوق كلها أيا كان تقسيمها القانوني وحدة متكاملة تستهدف صيانه كرامة الانسان وتكميل ذاتيته سواء فيما يتعلق بربه أو أسرته أو بملكيته أو بني جنسه .

ثالثا :

ان الحقوق الطبيعية للانسان في الاسلام لها صفة الإلزام بالنسبة الى المسلمين لأنها من مقررات الدين ولانها تتضمن جزاءات دينية ودنيوية على من يخالفها ، اما الاعلان العالمي لحقوق الانسان او ما يؤخذ منه من التشريعات فليس من شأنه حماية الحقوق ولا يعطيها صفة الالزام لانه

لا يتضمن أي جزاءات ـ لمخالفة أحكامه أو ضمانات تنفيذها ولانه يحتاج الى ان يتخذ شكل معاهدة يوثقها رؤساء الدول المتعاقدة حتى يصبح لها حكم القانون .

ونبدأ في الحديث عن المبادىء العظيمة التي وردت في خطبة الوداع .

● **حق الحياة :**

قال الرسول الاعظم : « أيها الناس ان دماءكم وأموالكم عليكم حرام ».

الحياة منحة الله تعالى للانسان لا يملك احد « انتزاعها بغير ارادة الله » وقد أعطي حق انتزاع الحياة من الافراد للدولة فحسب وفق قانون الجنايات لمصلحة المجتمع وحماية الافراد :(**ولكم في القصاص حياة**) البقرة / ١٧٩ / وقد صور القرآن الكريم جريمة القتل تصويرا انسانيا رائعا :

(**من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا**)المائدة/ ٣٢ .

لانه اعتدى على أمن الناس جميعا وأخل بسلامتهم جميعا وعرض الانسانية كافة للخطر والفوضى .

ولم يكتف الاسلام باعلان هذا المبدأ ، مبدأ حق الحياة بل وأعلن مع ذلك وجوب صيانة الحياة من كل ما يقضي عليها او يضعفها فطلب العناية بالصحة العامة ودفع الامراض ـ والاوبئة عن المجتمع .

وشدد الاسلام عقوبة الزنا لما فيه من اعتداء على العرض وعبث بالحرمة ونشر للفاحشة في المجتمع ينشأ عنه تفككه بعد فترة ، وتدليس في الانساب وسرقة لعواطف الآباء بالبنوة المزورة .

شدد هذه العقوبة فجعلها للمحصن والمحصنة الرجم ولغير المحصنين والمحصنات الجلد : .

(**الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله**) النور/ ٢ .

وجعل العقوبة ثمانين جلدة للذين يرمون المحصنات والمؤمنات والغافلات ويفترون عليهن ويلوثون اعراضهن كذبا لان جريمة الإفك هنا قريبة من جريمة الزنا فهي اعتداء على السمعة والعرض . والمال اذا جمع من الطريق المشروع وانفق منه صاحبه بالاعتدال كان ما بقى منه في يد صاحبه مصونا تحميه الدولة وقوانينها وعلى المجتمع ان يحترم ملكيته لذلك المال . ولذلك شدد عقوبة السرقة لما فيها من اعتداء على أمن الناس والثقة المتبادلة بينهم فجعلها قطع اليد : (**والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم**) المائدة/ ٣٨ واذا كان الفرد تقطع يده لعدوانه على المجتمع بالسرقة والنهب والسلب فان الحاكم أيضا اذا لم يوفر للناس طعامهم ، واذا لم يكفل عملا لكل فرد فهو مفسد في الأرض ، ولهذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لحاكم الولاية : **فان جاءني منهم جائع أو عاطل فسوف يقطع عمر يدك** ، ومع احترام الاسلام للملكية

الشخصية فقد جعل في الثروات الخاصة حقوقا للشعب تأخذها الدولة من تلك الثروات لتحقيق التكافل الاجتماعي وغيره مما تحتاجه الدولة ولذلك جاءت فريضة الزكاة وغيرها مما يستطيع الحاكم المسلم فرضه لصالح المجتمع .

● **أداء الامانة** :

قال صلى الله عليه وسلم : من كانت عنده أمانة فليؤدها الى من أئتمنه عليها .

كلمة الامانة كلمة عامة شاملة فالحكم بين الناس أمانة لأن الله وسد للحاكم هذا المركز وجعله أمينا عليه ولذلك يعتبر خروج الحاكم عن مقتضى النصيحة والاخلاص للشعب غشا وخيانة ، والولد عند أبيه أمانة عليه أن يحسن حفظها وأن يقوم على ما يصلحها حتى يسلمه الى المجتمع والى نفسه قويا صالحا قادرا على حمل أعبائه وأداء ما يؤديه مثله ، والزوجة أمانة عند زوجهاوزوجها امانة عندها على ان الزوجية لها حقوق ولها واجبات ولها قداسة فمن فرط أو خان أو افرط فقد جافى خطة العدل . والعلم أمانة والمال أمانة والتجارة أمانة وهكذا كل من أوتى شيئا او جعل الله تحت يده شيئا فهو حامل لأمانة عليه أن يرعاها ويصلحها ويؤديها كاملة غير منقوصة .

يقول الإمام ابن تيمية في كتابه « **السياسة الشرعية** » على ولاة الامور أن يؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكموا بين الناس ان يحكموا بالعدل .

إن الإسلام يجعل الحكم حقا للامة التي استخلفها في الارض واستعمرها فيها ومنحها وصف السيادة عن هذا الطريق على كل فرد منها ولو كان حاكما ، وزيادة في تأكيد هذا المعنى السامي الذي لم يسبق الاسلام اليه قرر أن يكون الحكم شورى بين المسلمين وأمر الرسول ان يشاور المسلمين في أمرهم وهو بالطبع لا يشاورهم فيما هو من شأن الوحى ، والتشريع بل في غيره وأهم امر للمسلمين مما لا دخل للوحى به ، وهو أمر الحكم وهو موضع الشورى بينهم لا يستبد به الحاكم ولو كان رسولا معصوما ، (**وشاورهم في الأمر**) آل عمران/ ١٥٩ (**وأمرهم شورى بينهم**) الشورى/٣٨ . أما ما هو شكل الشورى وما مداها فقد ترك ذلك للامة تشكله حسب ما تراه من مصلحتها في كل مكان وزمان فالمبدأ ثابت ودائم ولا رأى لأحد فيه ولا تملك الامة تغييره لانه تشريع دائم والشكل متغير متطور للامة الرأى في تغييره وتطويره برأى ذوى العلم والخبرة من بينها وهم أولياء أمرها وأهل الحل والعقد فيها .

* **تحريم الربا** :

قال الرسول الاعظم : وإن كل ربا موضوع - مهدر - ولكن لكم رؤوس اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون قضى الله انه لا ربا »

يهدف الاسلام الى اقامة مجتمع تعاوني يربط بين افراده بما يجعلهم كالبنيان يشد بعضه بعضا وكالجسم

الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الاعضاء بالسهر والحمى . ومن هنا حرم الاسلام - إبقاء على هذه المبادىء الانسانية - تحريما قاطعا أن يتخذ الغني حاجة أخيه الفقير أو دولته المحتاجة فرصة لاكتساب المال عن هذا الطريق الذي لا خير فيه للافراد او المجتمع والذي يجعل الغني في تربص دائم لحاجة المحتاجين يستغلها في زيادة ماله دون عمل يحقق به نسبته الى المجتمع والذي ينزع من قلبه الشعور بالوحدة ومعاني الرحمة والعطف التي هي من خصائص الانسان الفاضل . خطب الرسول الاعظم اصحابه قال : ان الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله في الخطيئة من ست وثلاثين زنية يزنيها الرجل وان أربى الربا عرض الرجل المسلم « رواه ابن ابي الدنيا والبيهقي ».

ولعن رسول الهدى آكل الربا ، ومؤكله وكاتبه وشاهديه ، رواه مسلم وغيره وقال : « هم سواء». يقول ميرزا محمد حسين في كتابه الاسلام والاشتراكية . وقبل انحدار الرأسمالية وما وصلت اليه من تدهور كان يعتقد أن الربا هو مفتاح الرخاء الاقتصادي .

ولذا قال الجاهلون : ان الاسلام بتحريم الربا بدائي ومتخلف يمنع تابعيه من سلوك الطريق الى الرخاء ونسبوا تخلف الدول الاسلامية في ميادين الصناعة الى هذه الثغرة في النظرية الاجتماعية الاسلامية ، ولكن منطق الانسان المتهافت لن يصل الى مستوى القوانين القرآنية في علاج المشاكل الاجتماعية والاقتصادية والعارفين بتعاليم القرآن الكريم حققة لن ينخدعوا بالثروآت الطائلة والسيطرة الاقتصادية التي للغرب لأن هذا لن يخفي عن الانظار الفقر والعوز الذي تعانيه الجماهير الضخمة هناك ، والاستعمار وتشييد الامبراطوريات بدورها مظهر آخر للفساد والفراغ في الحضارة الاوربية والاسلام الذي لا يستأنس غريزة الجشع لن يقبل بأي ثمن مثل هذا الامر الذي يسعد قلة من الناس على حساب للملايين .

● المساواة بين الناس :

قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « ان ربكم واحد ، وان أباكم واحد ، كلكم لآدم وآدم من تراب » وان أكرمكم عند الله أتقاكم ، ليس لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أبيض ولا لأبيض على أحمر فضل الا بالتقوى ».

ان الناس سواسية كأسنان المشط لا تفاضل بينهم الا على اساس كفاياتهم واعمالهم وما يقدمه كل منهم لربه ونفسه ووطنه والمجتمع الانساني فقضى الاسلام بذلك على نظام الطوائف وأساليب التفرقة بين الطبقات وقواعد المفاضلة بين الناس تبعا لاختلاف شعوبهم أوتفاوتهم في الأحساب والانساب فقد اعتبر جميع الذين يؤمنون بدعوة الحق إخوة لا فرق بين أبيضهم وأسودهم وأحمرهم .

ويقرر الاسلام أن الذميين في بلد اسلامي او في بلد خاضع للمسلمين لهم ما للمسلمين من حقوق عامة وعليهم ما على المسلمين ، ويجب على الدولة أن تقاتل عنهم كما تقاتل عن جميع رعاياها ، وتطبق عليهم القوانين القضائية التي تطبق على المسلمين الا ما تعلق منها بشئون الدين فتحترم فيه عقائدهم وشعائرهم .

يقول الدكتور دهالا في كتابه **عالمنا في طريقه الى الكمال** « ان دين محمد وحده بين أديان العالم هو الذي ظل متحررا من الحاجز اللوني ، وانه يفتح ذراعيه على وسعها ترحيبا بمعتنقيه أيا كانوا سودا أو منبوذين وهو يمنح الجميع حقوقهم وميزاتهم دون تحفظ ويحتضنهم في نطاق المجتمع مثلما يحتضنهم في نطاق العقيدة ».

● **المرأة في الاسلام** :

قال الرسول الاعظم « أيها الناس ان لكم على نسائكم حقا ولهن عليكم حقا لكم عليهن الا يوطئن فرشكم احدا تكرهونه وعليهن الا يأتين بفاحشة مبينة فان فعلن فان الله قد أذن لكم أن تهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضربا غير مبرح ، فان انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، واستوصوا بالنساء خيرا فانهن عندكم عوان لا يملكن لانفسهن شيئا وانكم انما اخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمات الله »

كانت المرأة قبل الاسلام لا تعدو ان تكون في حياتها مخلوقا تابعاللرجل ليس له في نفسه قيمة ، ولكن قيمته جاءت من ان الرجل يريده انتفاعا ومتاعا فمثلها في ذلك مثل الحيوان الاعجم ، وعندما أشرق نور الاسلام رفع المرأة من المهانة الى مكانة الانسان المعدود من ذرية آدم وحواء بريئة من رجس الشيطان ومن حطة الحيوان .

وقضى على مبدأ التفرقة بين الرجل والمرأة أمام القانون وفي الحقوق العامة وجعل المرأة مساوية للرجل في هذه الشئون .

شرع الاسلام المساواة بينهما فيما هومن خصائص الانسان في الدنيا والآخرة قال الله تعالى : (**ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا**) النساء / ١٢٤ .

وتحميل المرأة المسئوليات يجعل لها أو عليها الحق في أن تتعلم كل ما يمكنها من القيام بهذه المسئولية على الوجه الذي حددت به وطلبت منها عليه ، وتحرى الخير والصلاح والبعد عن الشر والفساد .

وقد سوى الاسلام بين الرجل والمرأة أمام القانون في جميع الحقوق المدنية سواء في ذلك المرأة المتزوجة وغير المتزوجة ، فالزواج في الاسلام لا يفقد المرأة اسمها ، ولا شخصيتها المدنية ، ولا أهميتها في التعاقد ، ولا حقها في التملك ، بل تظل المرأة المتزوجة محتفظة بشخصيتها المدنية الكاملة وثروتها الخاصة ، ولا يجوز لزوجها أن يأخذ من مالها قَلَّ ذلك الشيء أو كثر .

قال الله تعالى : (**وان أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا . وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا**) النساء / ٢٠، ٢١ .

واذا كان لا يجوز للزوج أن يأخذ شيئا مما سبق أن آتاه لزوجته فلا يجوز له من باب اولى أن يأخذ شيئا من ملكها الاصيل الا ان يكون هذا أوذاك برضاها وعن طيب نفس منها ، ولا يحل للزوج كذلك أن يتصرف في شيء من اموالها الا اذا أذنت له بذلك او وكلته في إجراء عقد بالنيابة عنها وفي هذه الحالة يجوز ان تلغي وكالته وتوكل غيره اذا شاءت . ويرفض الاسلام ان تزوج المرأة قسرا أوكرها بل اشترط إذنها وقبولها .

وأما أن الرجل قوام عليها :(**الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من اموالهم**) النساء / ٣٤ .

فوجه التفضيل : هو الاستعداد والمرانة فيما يختص بالقوامة ، فالرجل بحكم تخلصه من أعباء الامومة يواجه امور الحياة فترة اطول ، ويتهيأ لها بقواه الفكرية جميعا ، في حين أن المرأة عاطفية . فاذا جعلت للرجل القوامة على المرأة . فبحكم الاستعداد لهذه الوظيفة ، فضلا عن أنه المكلف بالانفاق وللناحية المالية صلة وثيقة بالقوامة ، فهي مقابل تكليف ، ينتهي في حقيقته بالمساواة بين الحقوق والتكاليف في محيط الجنسين ، ومحيط الحياة : (**ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة**) البقرة/ ٢٢٨ : هي درجة القوامة التي بينا أسبابها .

وقد يبدو أن هناك تفضيلا آخر في مسألة الشهادة :

(**يأيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله**) الى أن قال :

(**واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى**)البقرة / ٢٨٢ .

وليس معنى أن شهادة المرأة الواحدة ، أو شهادة النساء اللاتي ليس معهن رجل لا يثبت بها الحق ، ولا يحكم بها القاضي ، فان أقصى ما يطلبه القضاء البينة » وقد حقق العلاّمة ابن القيم أن البينة في الشرع أهم من الشهادة ، وأن كل ما يتبين به الحق ويظهرة ، هو بينة يقضي بها القاضي ويحكم القاضي بالقرائن القطعية ويحكم بشهادة غير المسلم متى وثق بها واطمأن اليها .

واعتبار المرأتين في الاستيثاق كالرجل الواحد ليس لضعف عقلها الذي يتبع نقص انسانيتها ويكون اثرا له ، وإنما هولان المرأة ـ كما قال الاستاذ الشيخ محمد عبده ـ ليس من شأنها الاشتغال بالمعاملات المالية

ونحوها ومن هنا تكون ذاكرتها فيها ضعيفة ، ولا تكون كذلك في الامور المنزلية التي هي شغلها ، فانها فيها أقوى ذاكرة من الرجل . وفي طبع البشر عامة أن يقوى تذكرهم للأمور التي تهمهم ويمارسونها ويكثر اشتغالهم بها .

وقد رسم الرسول صورة واضحة القسمات لحياة زوجية سعيدة فعلى الرجل أن يعاشر زوجته بالمعروف وعلى المرأة أن تطيع زوجها وتخضع لرياسته وان تحفظ كل ما أمر الله بحفظه في نفسها وبيت زوجها فقد جعلها الله أمينة على ذلك وعلى الرجال والنساء كليهما ان يرضخا لحكم الله في تهيئة كل منهما على الوضع المناسب المقصود منه فلا تتطلع النساء الى ما خصَّ الله به الرجال وجعلهم مفضلين فيه ولا يتطلع الرجال الى ما خصَّ الله به النساء وجعلهن مفضلات فيه .

وأوضح الرسول الخطة التي تتبع في حالة وقوع خلاف بين الزوجين فاذا بدأت الزوجة تسير في طريق المخالفة والمغاضبة فعلى الزوج أن ينصحها بالرفق فاذا لم يوفق فالهجر في المضجع أسلوب آخر من أساليب العلاج فان أكبر ما تعتز به المرأة ان ترى زوجها هائما بها شديد الميل اليها فاذا وجدت منه ما يدل على الانصراف عنها وعدم التأثر بأنوثتها أُحسَّت أنها بدأت تدخل في منطقة الخطر وأن عليها ألا تتمادى واذا لم تأت هذه الخطوة بالنتيجة المرجوة فان الضرب الخفيف هو العلاج المؤثر .

ان المرأة الغربية ما زالت تعيش حتى اليوم فيما يمكن ان نطلق عليه « الرّق المدني » اذ تقرر قوانين الامم الغربية ويقضي عرفها أن المرأة بمجرد زواجها تفقد اسمها واسم اسرتها وتحمل اسم زوجها واسرته .

وفقدان المرأة اسم اسرتها وحملها لاسم زوجها يرمز الى فقدان الشخصية المدنية للزوجة واندماجها في شخصية الزوج في حين أن الاسلام يعترف للزوجة بالشخصية المدنية المستقلة .

○ الميراث في الاسلام ○

يقول الرسول الأعظم : « ان الله قسم لكل انسان نصيبه من الميراث فلا تجوز لوارث وصية » الاسلام لم يعتبر الملكية الخاصة أو الحقوق مقصورة على مالكها بل انها تنتقل ويخلف المتوفى فيمن تكون حياته امتدادا لحياته أو من يكون مرتبطا معه بحقوق وواجبات وهم الأقارب ويقول الرسول : « من توفى من المؤمنين فترك دَيْناً فعليّ قضاؤه ، ومن ترك مالافلورثته » رواه البخاري .

وقد حدد الرسول الوصية المباحة بثلث التركة فقال : « الثلث والثلث كثير » رواه البخارى .

وفي الدين والوصية يقول الله جل شأنه : (**من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار وصية من الله والله عليم حليم**) النساء/ ١٢ .

ونظام التوريث من أفضل النظم للحد من الطغيان المالي كما يهدم على المقابل له الفوضى ، فهو وسط لا طغيان ولا فوضى .

وكان في اقامة نظام التوريث في الاسلام على هذه الاسس العادلة السليمة حكمة يجب تقديرها في حياة الرجل والمرأة وفي حياة الأسرة وفي حياة المجتمع .

ففي حياة الرجل والمرأة ، نظر الاسلام الى أن أعباء المرأة في حياتها ونفقة أولادها وتكاليف زواجها محمولة عن كاهلها وموضوعة على عاتق الرجل ، فكان من العدل بينهما ان يكون للرجل مثل حظ الأنثيين ليستطيع الرجل القيام باعباء حياتها وحياته وحياة الاولاد ، وكان إعطاؤها النصف مجرد احتياط للوقاية مما تصير اليه وتقع فيه من فقد مصدر الإنفاق عليها .

اما الحكمة في حياة الاسرة فقد نظر الاسلام الى أن توزيع التركة على أرباب القرابة والزوجية يضاعف اخلاص القلوب ويربط بعضها ببعض ويجعل كلا منهما شديد الحرص على خير الآخر الذي يعود نفعه بالميراث عليهم جميعا . واذا خص فريقا معينا بالميراث دون غيره تنافرت القلوب وتفككت الاسرة . أما الحكمة في حياة المجتمع فقد اتقى الاسلام بالتوريث ونظامه خطرين اجتماعيين عظيمين .

أحدهما : تكدّس الأموال في يد واحدة ، وهو من عناصر الطغيان المالي الذي يثير في المجتمعات حرب الطبقات .

ثانيهما : حرمان جميع أفراد الأسرة من جهود الآباء والأبناء والأزواج والأقارب الذين يرتبط بعضهم ببعض بصلات الدم والقرابة والتعاون وبذلك تصرف التركة الى هؤلاء المرتبطين المتعاونين فلا تصرف الى شخص معين فيكون الطغيان المالي ولا تصرف الى الدولة فيكون حرمان الجميع من جهود الآباء والأبناء والأزواج والأقارب وهو معنى لا يقل أثره السيء في المجتمع ان لم يزد أثر الطغيان المالي فكلاهما شر في المجتمع وكلاهما طغيان وحرمان ، والحياة لا تصلح مع واحد منها .

لا رق في الإسلام :

يقول الرسول الأعظم : « أيها الناس ، ارقاءكم ، أرقاءكم ، اطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تلبسون وان جاءوا بذنب لا تريدون أن تغفروه فبيعوا عباد الله ولا تعذبوهم » .

عرفت البشرية الرق منذ القدم وكان الرومان يعتبرون الرقيق شيئا لا شخصا فليس له أسرة وليس له ذمة مالية وللسيد أن يترك رقيقه كالأشياء تماما فيصبح شيئا لا صاحب له .

وكان الرق عند الانجليز ينقسم الى قسمين : الرق الفردي والرق الاقطاعي فالرق الاقطاعي لا يباع بمفرده مجردا عن الارض بل يباع بالارض كأنه قطعة منها .

اما الرقيق الفردي فهو الذي يباع بمفرده وكلا الصنفين من الرقيق يعتبر شيئا لا شخصا .

جاء الاسلام فوجد الرق على تلك الصورة القائمة فعمد الى تغييرها تمهيدا لالغاء الرق تماما .

بدأ الاسلام بتحرير الرقيق من الداخل عن طريق المعاملة الطيبة ولا شيء كحسن المعاملة يعيد التوازن الى النفس المنحرفة ويرد اليها اعتبارها ، فتشعر بكيانها الانساني وكرامتها الذاتية وحين ذلك تحس طعم الحرية فتتذوقه ولا تنفر منه بل تقبل عليه وتعض عليه بالنواجذ .

ـ غيَّر الاسلام اسم الرقيق فكانوا يقولون « عبدي » وأمتي ».

فقال الرسول : « لا يقل أحدكم : عبدي ، أمتي ، وليقل : فتاي وفتاتي وغلامي » رواه البخاري .

كانوا يعتبرون الرقيق شيئا من الأشياء فاعتبر الاسلام الحر والرقيق أخوين في الانسانية . وقد سدَّ الاسلام النوافذ التي يدخل الانسان منها في الرق وفتح النوافذ الكثيرة للخروج من الرق .

ومن النوافذ التي فتحها الاسلام للعتق :

١ ـ كفارة للقتل الخطأ : (**ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى أهله**) النساء /٩٢ .

٢ ـ وكفارة للظهار : (**والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا**) المجادلة / ٣ .

٣ ـ كفارة لليمين الحانثة : (**لايؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤ اخذكم بما عقدتم الأيمان فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة**) المائدة/ ٨٩ .

٤ ـ امر بتخصيص سهم من الزكاة لتخليص الرقاب من الرق والأسر قال تعالى : (**إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن سبيل فريضة من الله والله عليم حكيم**) التوبة/٦٠ .

واشار الله تعالى الى الطريق التي فيها النجاة والفوز فقال جل شأنه : (**فلا اقتحم العقبة . وما أدراك ما العقبة . فك رقبة**)البلد/ ١١ ـ ١٣ .

ـ حض الرسول الأعظم كثيرا على تحرير الرقيق وجاء في نصوص الشرع احكام تنيل الرقيق حريته فاذا صار الشخص عبدا لآخر تجمعه وإياه روابط النسب والقرابة فانه يعتق عليه حتما .

★ ان شريعة الاسلام وجه حضارى قائم بذاته وفلك ثقافي له خصائصه وسماته المميزة : (**قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور بإذنه ويهديهم الى صراط مستقيم**) المائدة/ ١٥ ـ ١٦ .

في موسم الحج

حادي الأرواح إلى

شعاع من انوار الفطرة :

لا يكاد يخلو قلب مؤمن من شوق الى حج بيت الله انها الفطرة الكامنة في الاعماق .

والنداء الخفي الذي قد يحجبه الى حين عالم المادة ـ حين يستغرق المرء في وقت ما في زخارف دنياه والدنيا كلها بريق خداع ـ يحسبه الظمآن ماء ـ أو كبريق قطعة من زجاج في ضوء ساطع تحسبها ماسا ـ وليس هذا تحقيرا للحياة .. وانما هو وضع الاشياء بأحجامها الحقيقية في الموازين الصادقة .. وهكذا كنت .. مذبذب النفس بين ما كان في اليدين من وسائل كسب دنيوي ـ مما يخيل للانسان انه سيصيبه بعض عطل او ضياع حين يغيب عن ماله وعمله بضعة اسابيع مغتربا في الحج .. ولكن مع هذا ـ في الجانب الآخر كان هناك الحنين الملح لحج البيت . إنه النداء لمن استطاع .. وما اكثر ما تحاول النفس للبعض تأويل هذه الاستطاعة . لعلها من خلال الخداع تبعده او تحجبه ولو الى حين عما يصعد بايمانه درجات .. فالايمان يزيد وينقص .. وهذه فترة امتحان .. والحنين يتزايد باطنيا رغم محاولات النفس لبذر المعوقات في الطريق ـ هذا الحنين ولا ريب هو شعاع من اعماق الفطرة التي فطر الله الناس عليها واستجابة لدعوة ابراهيم عليه السلام فالدعاء الطيب مستجاب .. فكيف بدعاء الانبياء : (**ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون**) ابراهيم/ ٣٧ .

ديار الأفراح

محمد مؤذنه

للاستاذ/ محمد لبيب البوهي

اعظم دعوة مستجابة :

واستجاب الله للدعاء العظيم وباركه ورسم الطريق الى تحقيقه ... ولكي يتحقق امر ما يجب ان تسبقه منك رغبة - وإرادة - وتفهم لأساليب التنفيذ .. فكل أمر له طريقه وحسابه واسلوبه .. فكيف جاء الاسلوب الرباني لتحقيق اعظم دعاء : (**وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق**) الحج/ ٢٧ .. وهذا هو اسلوب التحقيق - منذ دعاء ابراهيم .. إلى أن تقوم الساعة والدعوة ستظل قائمة - والاستجابة مستمرة - سيأتون - وسوف يظلون يأتون الى أن يرث الله الارض ومن عليها - سيأتون فرادى - وجماعات .. رجالا أو على كل ضامر ابتداء من الناقة في الزمن القديم إلى السيارة - الى الطائرة .. إلى الصاروخ حين يكون على الاخوة في عوالم اخرى ان يحجوا بيت الله في الارض إلى مالا يعلمه إلا الله ... المهم ان الدعوة قائمة والاستجابة مستمرة ولما كنت فردا من هؤلاء الذين في قلوبهم محطة استقبال للدعوة المتجددة .. وكنت ادخل كل عام في جدل طويل مع النفس الخبيثة للتسويف والتأجيل .. تقول سامحها الله انتظر حتى يمكن بوسيلة ما في وقت ما قضاء كل مناسك الحج في ايام معدودات ثم تعود إلى مصالحك وأموالك بدلا من ترك الامر اسابيع .

هذا ما كان قبل الحج - من الرغبة في سرعة العودة ولكن كل ذلك تغير تماما - بعد استحمام القلب في انوار الفطرة .. وبعد ان تذوق بحق حلاوة الايمان مما يعتبر ثمرة مؤكدة حين

تولد الروح في ظل عرش الله ـ في بيته المحرم ميلادا جديدا .. اين ما كان من حديث النفس قبل الحج ؟ ثم الحنين المستمر بعد ذلك الى الرغبة في البقاء اكبر مدة مستطاعة في مناسك النور والتي لا تشبع منها النفس المطمئنة ـ والتي ستصير حتما مطمئنة .

عندما تولد الروح من جديد

منذ ان تبدأ النية وتكون هذه النية صادقة . عندئذ تبدأ النفس تلقائيا ببركة الفطرة ، تبرز رويدا رويدا من سراديب ظلمات دنياها . لقد بدأ يبزغ فجر الروح .. فيعيش المرء في مناخ الحج قبل موسمه متلمسا أسباب السؤال والمزيد من المعرفة .. ان الحج الاول هو محاولة الولوج الى عالم جديد مجهول للنفس ... وان كانت تسكن اليه الروح المؤمنة في حنينها الفطري ... وتقرأ في كتب كثيرة ـ وتسأل ـ وتستمع في شغف الى كلمات العلماء . والى قصص الذين تذوقوا من قبل حلاوة هذه الثمرات .. ان حلاوة الروح لا تستطيع ان تصفها الكلمات ... ووقفت على ابواب عالم جديد حين دخلت في ملابس الاحرام .. الاحساس المطلق المجرد في المساواة بين اكبر كبير في دنيا الناس وأصغر إنسان ذي شأن دنيوي محدود . الكل سواء .. عندما دخل كل منا الحياة الدنيا يوم مولده لم يستقبله الا ما يقرب من هذا اللباس ـ وها نحن جميعا الوف الالوف والملايين يتخذون رمز التجرد من كل ما امتلكوا بعد يوم الميلاد .. اللهم انت الخليفة في الاهل والعرض ـ والمال ـ والولد ـ كل هذا نفضنا اليدين منه ـ واصبح وديعة عند من لا يضيع عنده الودائع ليس الا هذا التجرد في هذا اللباس مسارعين الى تلبية النداء الابراهيمي الرباني المنبثق من جوف الزمن . ها نحن من جميع بقاع الارض نستجيب للنداء .. لبيك اللهم لبيك . لبيك لا شريك لك لبيك .

وهكذا بدأ الانسان خروجه من ظلمات دنياه ـ ليقف على ابواب عالم النور ـ ان اسباب الولاية مهيأة لكل انسان .. كل مؤمن يستطيع ان يكون وليا لله باشياء لا يحتاج فيها الى مال أو جاه . بأمرين مستطاعين فحسب الايمان والتقوى : (**ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . الذين آمنوا وكانوا يتقون**) يونس / ٦٢ و ٦٣ .

في ظلال الأيام المباركة :

ومن الخير ان نسميها ايام الله . لأننا خرجنا من توافه دنيانا الى الدخول في ضيافة ايامه . انه لتعبير جميل حين يقال ضيوف الرحمن ... هكذا ينادونك الاخوة الكرام في بلاد الرسول ... إن الله سبحانه فضل بعض الاماكن على بعض فمكة خير بقاع الارض .. خير من لندن وباريس مثلا وغيرها .. كما فضل سبحانه بعض الشهور على بعض .. وبعض الايام على بعض .. حتى ان ليلة

واحدة هي ليلة القدر خير من الف شهر .. وفضل تعالى بعض الانبياء على بعض ... وهكذا سنته تعالى في خلقه وحكمته في شأنه .. ها هي ايام الله وهي ايام الحج التي قال كثير من المفسرين انها الليـالي العشر التي اقسم سبحانه بها لعظمتها في سورة الفجر .. فطوبى للذين يتعرضـون لنفحات الله في ايامه التي تفتح فيها ابواب الرضوان .. وحين تتجه اليها بعزيمة وارادة تتنزل عليك بركاتها .. والا فما السر في رغبتي قبل الحج بسنوات لو تتاح اسباب العودة سريعا ثم تتبدل الامور فيصبح هنالك الشوق شديدا يتمنى لو تمتد الايام .. وقد اشتدت الجاذبية الى الكعبة كانما يود الانسان لو يقضي العمر هناك .. وما اسعد هذه الايام التي تخرج فيها من مسؤوليتك الأرضية ومتعلقـاتها .. وتعلم عن يقين ان الله وحده هو الخليفة في الاهل والعرض والمال .. سواء عدت اليهم اولم تعد .. لقد بدأ موسم استقبال الانوار الالهية لمن يفتحون لها القلوب .. ليس عليك الا ان تفتح قلبك فيتدفق فيه النور .. وهو نور لا يمكن وصفه لانه فوق مستوى المعالم التي تعبر عنها الكلمات .. ومتى حلت الانوار في القلوب أزيلت عنها الأغبار .. لقد وقفت على عقبات الباب الذي تستطيع منه ان تصبح ربانيا .. فماذا تبغي من وراء ذلك من سعادة ؟ لقد وجدت الله فانت كما قال القائل :

لكل شيء اذا فارقته عوض
وليس لله ان فارقت من عوض

عندما وجدت الله

منذ الوهلـة الاولى عند ركـوب الطـائرة . والمنظـر البهيـج لمئـات الحجيج فيها في مـلابس الاحرام البيضاء .. كتلة واحدة من نور تصعد من الارض لتلتقي بالانوار النازلة اليهم من السموات .. والطائرة لا تسبح في الهواء فحسب بل تسبح في جـو من التسبيحـات الخـاشعـة المباركة .. لبيك اللهم لبيك .. لبيك لا شريك لك لبيك .

عند بيت الله الحرام :

لقد تبخر وتلاشى كل احساس مـادي كان يستغـرقني السنـوات الطوال او كنت غارقا فيه .. انـه احساس عجيب كانما يتحول المرء الى نور متجسد في صورة بشرية .. عندما صحت الله اكبر من اعماق الوجدان لاول وهلة عندما ظهر عن بعد بيت الله في جاذبية مطلقة مجردة تشد اليها الافئـدة .. هـذا اول بيت وضـع للناس .. تبارك الله في آياته .. انني اقف عند كلمة « وضع » وكأنمـا اذكرها بمعناها الحقيقي لاول مرة ان البيت ليس من وضع احد .. وليس من اختيار احد .. وليس من صنع احد .. لقد وضعه الحق يوم لم يكن هناك غيره سبحانه من احد .. حينما نتلو الآيات في اماكن نزولها حيث مهبط الوحي فكأنما تبدو لنا الآيات هناك مع التدبر الكامل والتأمل العميق وهي تحمل الينا أسرار حكمتها .. وذلك من اسرار إعجاز كلمات الله ـ ان اعظم

كتاب ارضي لأعظم مؤلف يمل المرء قراءته بعد مرتين او ثلاث ، اما كتاب الله فتقرأه مئات وآلاف المرات تتذوق منه في كل مرة حلاوة سر جديد .. ها نحن اذن نتلو الآيات في اماكن نزولها فكأنما ارى جبريل عليه السلام في كل ركن من اركان مكة .. اذ لا ريب انه كانت هذه الاماكن في استقباله ... إن مواكب النور حيث الرسول والصحابة وجبريل ترتسم في الوجدان . وكأنما اشهدها واعيش في جوها ومناخها .. لقد اصبحت جزءا من التاريخ ـ انني اعود اجيالا بعد اجيال الى الوراء متلذذا سعيدا فرحا .. كلما نظرت الى قمة جبل او بقعة من ارض البيت .. هناك في بلاد الرسول اذا ذهب الحاج بقلب منيب سيرى ببصيرته ما لا يراه البصر ... سيكون التاريخ حاضرا مصورا في وجدانه منذ ان شاء الحق سبحانه ان يتخذ في الارض خليفة .. وجعل تعالى مكة مركز الاشعاع منذ كان آدم الخليفة الاول .. كم من مرات نزل جبريل في هذه البقاع ؟ وكيف كان ارشاده باذن ربه لابراهيم عليه السلام الى مكان البيت ، حين جاء ابراهيم من بلاد اخرى بعيدة مسترشدا بهدى السماء ، ليدع اهله بواد غير ذي زرع مارا ببلاد اخرى كثيرة فيها الزرع الوفير ... وأضع يدي على كل موضع وأسعد واشرف متصورا انني المس ما لمسه الجد الاول ابراهيم عليه السلام والانبياء من بعده .. واشهد بنور البصيرة اسماعيل الفتى يساعد اباه الشيخ في رفع القواعد من البيت .. اكاد اسمع الاصوات المباركة وارى الايدي ولقد اهم ان اضع يدي مع ايديهم .. الهامات فوق الهامات لا يستطيع المرء لها وصفا دقيقا .

فان اللسان لا يستطيع تماما ان يعبر كمال التعبير عن نبضات القلوب ... واقف متأملا عند كلمة يرفع القواعد من البيت ـ ان اساس القواعد كان اذن في عهد ابراهيم معروفا منظورا . فابراهيم واسماعيل عليهما السلام لم يصنعا القواعد ، فقد كانت من قبل منذ خلق الله الارض منذ اجيال لا يعلم مقدارها غير الله .. ولو عاشت الانسانية مئات الالوف او الملايين القادمة من الاعوام ، فسوف تظل مكة على مدار الاجيال الى ان تقوم الساعة بلد الله وفيها البيت مثابة للناس وأمنا .

الناس في صور ملائكية :

والصلاة حول الكعبة حيث مئات الالوف من الناس في لباس الاحرام الابيض كأنهم اطياف ملائكية تحيط بالبيت من جهاته الاربع ـ نهر من النور المتجسد بشرا ـ مئات الالوف هؤلاء ومن ورائهم مئات الملايين من اخوانهم في بقاع الارض ممن يشهدون ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ... مشهد حين اتصوره تمتلىء النفس غبطة واحساسا بمستقبل آت مجيد لا ريب فيه فقد تأذن ربك ان الارض يرثها عباده الصالحون .

واتصور بعض حكمة الله في اسرار

الاشياء - فحجر المغناطيس يجذب اليه بقوة غير منظورة ما يقع في مجاله فأي سر خفي في هذا الحجر الاصم ؟ .. الا يكون اذن للقلوب المستنيرة بانوار الله هذه القدرة على اجتذاب القلوب ؟

هذا السر قد استودعه الله طبيعة الانسان .. فيا للانسان من سعيد اذا عرف بحق قدر تكريم الله له ومسؤوليته عن هذا التكريم .. وفي الصلاة حول الكعبة مشهد لا مثيل له في الوجود الكوني ... فحين يردد إمام الحرم المكي خلال الركعات الله اكبر تبصر من جميع الجهات الاربع بحر النور البشري يستجيب قياما او ركوعا او سجودا ... كنت أحيا في كل اللحظات مستمتعا بهذا المشرق الابيض الملائكي وأرى إشعاعات نورانية تنبعث من هؤلاء الذين جاءوا ليكونوا ربانيين ... ترى لو استطاعت اجهزة القياس أن تحدد قوى الاشعاع الروحي من هؤلاء الا يكون ذلك شيئا رهيبا - خطيرا مهولا بديعا ؟

وتزداد النفس شفافية عند الصلاة ركعتين في مقام ابراهيم .. انني اضع جبهتي يقينا في مكان شرف بسجود ابي الأنبياء والأنبياء من بعده ... ويا له من فرح للروح حين تلمس جبهتي من الأرض المكان الذي التصقت به جبهة محمد العظيم في سجود عميق .. الا ما أسعد الذين يتذوقون حلاوة الروح في لحظات صفاء هي رهن الاشارة لمن يستجيب للنداء بقلب مستنير .

مكة وجبال النور

حين يدير المتأمل بصره يجد البيت في بطن مكة تحتضنه جبالها المحيطة من جميع أقطاره .. وهذه الجبال العالية الصامدة عبر آلاف الاجيال ، الشاهدة على كثير من الاحداث ... لو نطق كل حجر فيها لتحدث عن تاريخ طويل تحتويه صفحات من نور .. فهذه الجبال شاهدة على الزمان .. حتى اسراب الحمام الذي ما ينفك في كل لحظاته يطوف حول الكعبة متخذا حماها مقرا قد شهدت أجياله المتعاقبة هذه الأحداث ... وفي الطواف الدائم منه حول البيت كأن له عقلا مرشدا وغريزة هادية واحساسا بميزاته وتغريده وحصانته .

الناس يطوفون والحمام يطوف - وكل شيء حول البيت يخيل اليك انه لا يكف عن الطواف حول الكعبة ، وقد يستطيع الفكر بالتأمل ان يرى ذلك رمزا لطواف الملائكة حول عرش الله .. ان الله سبحانه قد وسع كرسيه السموات والارض .. وحول هذا الكرسي تدور في طوافها الدائم كل مخلوقاته سبحانه في طواف لا يكل ولا يهدأ من كواكب السموات وشموسها ونجومها الى كل ما فيها الى كل مخلوق ودابة وطير ... الطواف حول عرش الله هو التسبيح الدائم والعبادة المستمرة عبر لحظات الزمان .. وفي ذلك سعادة المخلوقات وكمال وجودها في طوافها الدائم جول الكرسي في سير دائم ومحاولة للوصول حتى يأذن

سبحانه .

وهاجر ام العرب حين كانت تسعى :

وفي اشواط السعي السبعة بين الصفا والمروة كأنما من وراء الزمان ترقبنا ام العرب هاجر .. فنحن نقوم بهذه المحاولة احياء للذكرى وشحذا للارادة لواجب يجب ان يستمر فلا خير ينال بغير السعي ... ليس مرة وانما مرات تعبر عن اصرار وعزيمة في مواصلة السعي الذي هو رمز الكفاح في التجربة الارضية الموقوتة لبني الانسان .. لقد جاء ابراهيم عليه السلام بأهله الى واد غير ذي زرع .. فالماء غير موجود ولا حياة للناس بدونه .. وهذا الصغير اسماعيل في الحجر يصرخ ظمآنا .. والأم حيرى في اضطراب تبحث عبثا عن قطرة ماء .. انها آيات الله يجب ان تسير في نطاق سنتها ليسعى المرء ويسعى ومتى انتهى جهده جاءه فضل الله .. سنة لن يجد لها تبديلا ولا تغييرا حتى يرث الله الارض والا فكيف يكون الاستخلاف في الارض ما لم يكن ديدن ذلك البذل والكفاح والاجتهاد ؟ مع الاسباب في غير غفلة عن مسبب الاسباب الذي تأذن سبحانه ان يعطي دائما النتائج على ضوء الاجتهاد ... فما خاب ابدا لمجتهد نصيب .

وهكذا كان الله في عون أمنا الكبيرة هاجر حين اضطرب منها الفؤاد .. فالماء هو عنصر الحياة وراحت تسعى ذهابا وايابا في قلق وحيرة .. وفي كل لحظة كانت عينها على مكان الصغير في الحجر ، كما نفعل نحن رمزا وتصويرا حين نسعى فما اعياها الجهد ,, وكما يحدث لكل منا .. جاء أمر الله لجبريل عليه السلام فضرب بجناحيه الارض فتفجرت زمزم وابصرت هاجر آية الله ... فأسرعت مهرولة سعيدة مستبشرة بروح الحياة لها ولولدها ولمئات الاجيال .

ولكن كل سعي مبارك له عدو يعارضه :

ولما ظهر الماء في الارض الجرداء .. بدأت حياة جديدة تدب في تلك البقاع - واقبل الناس من كل حدب واستجاب الله لدعاء ابي الانبياء .... فأحاطت افئدة جاء اصحابها من كل مكان الى بيت الله ونما الزرع .. واستيقظ الرجيم ابليس ولعله لم يكن غافلا كثيرا عما يرى - ولعله لعنه الله لم يكن في تقديره ان تصل الأمور الى ما تنبىء به هذه البداية فجمع كيده ... ثم أتى مغيظا محنقا محاولا ان يعترض طريق مستقبل النور الذي بدأ بزوغه .

والشيطان مسلح بقوى شريرة رهيبة . ليس الى تقدير مداها من سبيل .

فهو العدو للانسان والحقد في قلبه وقلب قبيله يتزايد ويتنزى لحظة بعد لحظة وفي صدره جبال من الحقد على بني البشر منذ اخرج من الجنة بسبب ابيهم الكبير

الاول .. فلو جمعنا كيد الناس بعضهم لبعض منذ قامت الحياة على الارض لما بلغ عشر معشار ما يدبره ابليس .. ولذلك جاءت تعاليم الله للبشر بارشادهم الى ما قد يستطيعون به مواجهة من يدبر لهم شرا من بني الانسان بالعفو او المعذرة او التحاكم إلى ذوي عدل منهم : (**خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين**) الاعراف/ ١٩٩ .

هذا اسلوب علاج ما قد يكون من كيد الناس بعضهم لبعض .. اما حين يكون الامر مع الشيطان الرهيب الخطير المسلح بتجارب الزمان وخبرة الايام .. والكيد الابدي المستديم .. فان هذا مع قوته يضعف ويخنس حين نلجأ الى حصن الله لينقذنا من شره وكيد تدبيره : (**وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله**) الاعراف/ ٢٠٠

فالشيطان قوي مع الانسان ضعيف كذرة تافهة امام قوة الله ، وها هو ابليس يجمع كيده وتدبيره ، ليعترض ابا الانبياء حين رأى في المنام انه يذبح ابنه اسماعيل رمزا الى ان كل مطلب عظيم ، لا ينال الا ببذل كبير وتضحيات جسام .

ومع ان الشيطان كان عليه ان يفرح بالالام والاحزان التي ستحل بقلب أبي الانبياء ، حين يذبح احب شيء اليه ولده .. لكن الرجيم له اسلوبه في مواجهة الحياة الانسانية ... فلئن استطاع أن يدفع ابراهيم الى معصية يحيد بها عن امر الله ، فذلك عند الشيطان اروع واعظم قدرا .

فالامور مع الشيطان ليست بظواهرها فقد يوسوس الى انسان لعمل خير في ظاهر الامر ، ليجني ما قد يكون من وراء ذلك من الرياء والعجب اللذين يهدمان ما فعل الانسان .

كان الشيطان يرى بداية حياة جديدة تدب على هذه الارض الجرداء ، وما دام ابراهيم في كنف الله وطاعته فسوف تسير الامور قدما وينشأ دين جديد وتستجاب الدعوة بأكملها : (**فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم**) من هنا جمع الشيطان كيده محاولا تغيير خط المسار .. فهذا ابراهيم في الطريق من مكة الى منى في طريق تحقيقه لامر الله بذبح ولده وفي قلبه من نيران الحزن ما لا تصده مهما كان هولها عن طاعة أمر الله ... فاسرع الرجيم مهرولا في صورة شيخ ناصح يا ابراهيم ايها الكريم عند ربك هذه مجرد رؤيا ايها الجليل اتقتل ولدك من اجل رؤيا رأيتها ؟ إن هي يا ابراهيم الا خواطر نفس .. وهنا تنبه له ابراهيم فرجمه ثلاث مرات في الاماكن التي تبدى له فيها مرة بعد مرة .

وها هو ابليس من بعده يتابعنا جيلا بعد جيل ويوما بعد يوم .. وساعة بعد ساعة وعلينا ان نرجمه بقوة وارادة نفس قوية مستعينة بالله للنجاة من كيده عبر الايام .

ونعود من رحلة النور مزودين بعبر وعظات وذكريات مجيدة .. وتلك من حكمة المناسك ومن ينابيع رحلة الروح في عالم النور .

راية الفتح

للدكتور / عز الدين علي السيد

كانت راية الفتح التي حملها غزاة الاسلام ، نسيجا دقيق التركيب غريب الصنع ، له على الغازى والمغزو هيمنة عاقبتها النصر للاسلام في المعارك ، اذ كانت هذه الراية الرمز ، يتصور الجند المسلم كل خيط فيها أمرا من الله أو نهيا ، ليس في التراخي عن امتثاله السريع سعادة ، ولا في النكول عن التهيؤ للاستشهاد أو الفوز في ظلها متاع ، لأن السعادة والمتاع ليسا في التخاذل والجبن ، وليسا في المخالفة عن أمر الله الذي لا يملك القدر سواه ، والذي اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة .

نعم كانت هذه الراية مظلة الهية ، ترتسم في نسيجها آيات الوعد والوعيد تقرأ بالروح ، وآيات الطاعة والحب تستجلى بالقلب ، وكأنها والنور المنتشر منها على الكون شمس للاسلام تختص أهله ، فهم بها كون داخل الكون لا يعرف غيرهم عظيم مزاياه !

وكان من المعانى الناصعة وراء الرمز الكبير ، أن ارتسم على أحد الوجهين عهد الله ورسوله ، لمن أعزه الله بالاسلام من أهل الأرض ، ان يكون بدخوله تحت هذه الراية ، من أشراف المؤمنين ، الذين لا يفضل بعضهم بعضا بلون أو جنس ، او غنى أو جاه ، لفناء الفوارق الهابطة تحت القدم ، التي انتقلت من دنيا الكفر والعصبية الى عالم الايمان والحب والوحدة .

أما ما ارتسم على وجهها الآخر ، فهو صورة الرعب لقلوب المارقين ، الذين لا يرون مصيرا دون الاسلام الا الفناء أو خفض الجناح ، فاذا خفضوه رأوا ـ ما صانوا العهود ـ عدالة ورفاهة وأمنا ، لم يسبق للتاريخ أن سجل شيئا منها لأمة من الامم ، لأن دين الاسلام الذي تظله هذه الراية ، دين السلام والانسانية

والنور ، الذي يسعد في رحابه كل حي مسالم !
فلا عجب اذن أن يلقف هذه الراية جعفر بيسراه حين قطعت يمناه ، ثم بعضديه وقد قطعت يسراه ، غير آبه بأعضاء من جسمه تقطع ، أو بدم عزيز يفيض ، لأن ما امتزج بحرارة القلب من حبها وقداستها ، فوق حسه بما نال السيف من جسمه ! ابن كثير ٣/ ٤٧٤ .
ولماذا لا يصنع ذلك جعفر وأمثال جعفر ، وقد صدق بالروح والعقل وعد الله ورسوله بالجنة ، ولعله وهو يطير فيها بجناحيه سعيد بهذا البدل ، قال ابن هشام : وحدثنى من أثق به من أهل العلم : « فأثابه الله بذلك جناحين في الجنة يطير بهما حيث شاء » فقال : نعم صدقت صدقت يا رسول الله ! سيرة ابن هشام ج ٤ ص ٢٠ طبعة بيروت .
واذا كان لله الحكمة البالغة في قوله : (**أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون . ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين**) ٢ و ٣ العنكبوت ، فلا عجب أن يكون من أهل هذه الراية من تزيدها دماؤهم عزة ، ومن تكون أواخر وصاياهم بها صوتا مدويا يثير البطولة في قلوب الآخرين ، فينالوا النصر والفتح جزاء الصمود ، ويكن لهم عند الله ثواب المجاهدين ، وعلى لسان التاريخ ثناء العارفين ، والعبرة الهاتفة بأهل الدين عن لسان مبين !
أترى هذه الراية لولا ما سبق كان يعيش اليوم على مجدها وما ارتوت به من دماء أبطالها عالة من الأقزام يبلغون ألف مليون في جهات الارض ؟
اتراهم لو عرفوا ما عرف الأجداد من حقها ، ولو قرأوا على صفحتيها ما قرأ الأجداد ، غير واصلة بهم الى طى صفحات الضعة واكتساح حدود الهزيمة ، واعادة المجد المسلوب والتراب المغصوب ؟
فتوح الاسلام كبار كبار .. وراية الفتح عظيمة عظيمة .. لم يشق بها وطن دخلته ، الا اذا نقض أهله العهد ، وخرجوا عن الطاعة ، وأنساهم الشيطان ما جاءتهم به من مبادئ الكرامة والعزة ، والله ـ جل علاه ـ يغار ، وغيرته أن تنتهك محارمه وتتجاوز حدوده ، فما يصاب مصاب بغير ذنب ، سنة عادلة ووعد غير مكذوب :
(**إن الله لا يغير ما بقوم حتىٰ يغيروا ما بأنفسهم**) ١١ / الرعد .
(**وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير**) ٣٠ / الشورى .
هكذا ضاعت الأندلس .. وهكذا محا التتار بلادا ما تزال بائدة .. وهكذا زالت وتزول بقاع غالية ، تتبدل من نعمة الاسلام شقاء الحياة ، لأن راية الله لا تظل الهالكين ، الذين لا تقربها اليهم غيرتهم .
(**وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا وكنا نحن الوارثين**) ٥٨ / القصص .

انما تظل راية الله أهل الجهاد في الله .. أهل الوئام والحب .. الذين تجمعهم كلمة الله على الهدف الأسمى ، ولا تفرقهم كلمة الشيطان على الحطام الدنيء !

. هكذا فرق الشيطان ملوك الطوائف ، فاستنصروا اعداءهم على أنفسهم ، حين ذهبت ريحهم ، وفلت شوكتهم ، حتى ارتحلت الراية عنهم الى مكان بعيد ، وقد كانت مظلة ملكهم ومنار حضارتهم ، فزال الملك وزالت الحضارة .. وقالت أم والهة لملك يبكي :

ابك مثل النساء ملكا مضاعا لم تحافظ عليه مثل الرجال

وماذا يفيد استنجاد المخذول بالمخذول اذ يقول شاعرهم :

أدرك بخيلك خيل الله أندلسا لم تحافظ عليه مثل الرجال

هيهات هيهات .. يداك أوكتا وفوك نفخ ..

ثم هكذا وهكذا ما توالى من المحن ، فألف مليون من المسلمين ، ليس بينهم وبين السماء الا خيال راية الله ، لأنها ارتفعت عنهم حتى يعودوا اليه ، وحتى يغسلوا حياتهم الآثمة بالتوبة والدموع .. ويذيبوا بحرارة الندم جليد القلوب .. ويعرفوا الدرس العميق البعد ، الذي تعمق قلوب الصحابة بالجملة الموجزة المحيية :

« دعوها فانها منتنة » رواه مسلم .

« ليس منا من دعا الى عصبية وليس منا من قاتل على عصبية وليس منا من مات على عصبية » رواه أبو داود ، أي حين يكون المسجد في أي مكان من ارض الله ، علامة لأي مسلم في الدنيا على أن هنا له أهلا واخوة ، وأن الوطن وطنه والدار داره ، يلاقى بالوجه الباسم ، وبالقلب الودود ، (**يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة**) ٩ / الحشر .

أي حينما يصرخ منهم صارخ في أي مكان من الأرض يجدهم له ظهرا ونصرا ، لا خذلانا وذلا . !

هؤلاء الذين امتدحهم الله كانوا الجنود تحت تلك الراية .. فليحذ المسلمون حذوهم ان شاءوا أن تعود مظلة الله تحميهم . !

المسلم اليوم في قرية غير قريته غريب .. بل في جانب من قرية غير الذي فيه داره غريب .. بل هو بفكره في داره على أفكار أهله غريب .. فكيف به في قطر غير قطره الذي حددته الفتنة بعيدا عن غاية الاسلام ؟

هذا هو الواقع المحزن ، والحقيقة المرهبة ، ومنكر ذلك مكابر أو مخدوع ، حتى في المكان الذي فيه آثر الأنصار احبابهم المهاجرين ، وآخى فيه النبي بينهم . !

سر ذلك معروف ، وتجاهله حمق ، والاعتراف دون معالجة عجز أو فسوق ، وكلاهما يردى ! إنه نجاح الأعداء في مساومة الكبار على الدين والتاريخ ، واخراج

الشعوب المسلمة عن أصالتها ، بكل اسلوب ماكر ساحر منتج . وكانت الأصالة توحد القلوب على الهدف الرافع والغاية المسعدة التي يدعوهم ربهم اليها !
ماذا بقي اليوم فينا من أصالة مبادىء الاسلام ليكون الجميع كالبنيان المرصوص أو الجسم الواحد ؟
وما التأويل غير البشع الذي يتسع للاندفاع بفتن الكافرين الى تلاقي جيوش المسلمين يحطم بعضهم بعضا ، في قتال يخرب الديار ويمحو الآثار ، ويفنى خيرة الجند والعتاد ، حتى أصبح العدو لا يجد فيهم ظل قول نبيهم : « نصرت بالرعب مسيرة شهر » رواه البخاري ومسلم ، وكيف وقد نزعت منهم الهيبة ، وحل مكانها السخر والاستهتار ، منذ قهروا انفسهم بالتفريط في حق رايتهم ، التي نكسوها وهم يتهاوون سقوطا في أول بلد ضاع من بلادهم ؟
ماذا بقي لتربية جيل ناشىء للاسلام ، والمناهج تصنع صنعا لتزييف الحقائق ومغالطة التاريخ ، واحلال التناقض محل التوافق ، لتموت الثقة يوم ميلادها في آن ، فيخرج الناشىء حائرا أو كافرا ، لا يصدر عن فكر سديد ولا يهدف الى عمل حميد ؟

صحوة المسلمين :

في تلك الايام نسمع المتفائلين يستبشرون بأن للاسلام صحوة .
فهل الصحوة بكاء ورجاء من منكوبين في طول الأرض وعرضها ، لا يجدون الا كلمات الرثاء من الأحباب ، في جموع تحتشد وتنفض ، وبين احتشادها وانفضاضها تتغير جغرافية الارض وتاريخ الاوطان ، ولا يكون هذا أو ذاك الا تسجيل مأساة جديدة من مآسي المسلمين في العالم ؟
هل صحوة الاسلام ان تخذل الافغان أقطار مسلمة تستمد سلاحها من قاتليها وتقيم لهم في أرضها القواعد ؟
هل صحوة الاسلام أن ينال الدعاة الى الله حتفهم على أيدى من اوجب الله عليهم حمايتهم ؟
نعم ان للاسلام صحوة ، لأن الالوف من الافغان اللاجئين تتلقاهم باكستان ريثما تأخذهم وكالات الغوث في فرح بالهزيمة .. ولان خمس دول في القرن الافريقي ناء جهدها بتدفق اللاجئين الفارين من المذابح فهي في أشد الضيق بنزوحهم . !
هناك صحوة .. لأن اناسا يعتنقون الاسلام في بلاد نشطت فيها المراكز الاسلامية وروابط الطلاب المسلمين ، حتى أنشئت مدارس ومساجد .. ولأن حاكم قرطبة قد سمح للمسلمين أخيرا بمسجد القاضي عثمان العافي المهدم ، ليعيدوه مسجدا لهم ، وقد كان ثم ستمائة مسجد حولت كنائس ، ما تزال تدق فوقها الأجراس ، وترفع الصلبان ، ويلقن فيها العداوة للاسلام وأهله ، وقد كانت منارات للأذان وجامعات للعلوم تنتشر في جنباتها المصاحف ، ويغزو نورها الوجود ، في خمسة قرون

وربع . !

استعادة مسجد صحوة .. وبناء عدة مدارس ومساجد صحوة ـ أين بقية المساجد الستمائة ؟ وأين مائة وسبعة عشر مسجدا دمرها اليونان : واين سبعة وعشرون في صوفيا ؟ وأين .. وأين ؟

لقد اصبحت كلمة الصحوة مستندا رسميا من اقلام المسلمين وألسنة المسلمين ، لاتخاذ كل وسيلة فعالة لحصرهم والاعداد لقمعهم وابادتهم . !

ما الذي أعجز الكفرة في أي مكان عن تشريد المسلمين والفتك بهم ، حتى في الهند التي كثر فيها عددهم ؟

ماذا دفعت الصحوة عن مسلمي الصومال ، وأريتريا ، واوغندا ، وغيرها ، وماذا دفعت عن الأفغان ؟ بل بماذا دفعت اسرائيل عن التحدى اليومي الوقح ، وعزمها الاكيد على ربط مستعمراتها بالبحر ؟

ان ما تصنعه الصحوة شعر وخطابة ، ومنها هذا المقال ، او اجتماع حاد كزوبعة في الصحراء ، تثير الرمال الخفيفة في فراغ من الجنة والناس ، فلا تلبث كل ذرة ان تجد لجنبها على الارض مستقرا .. وعلى البغاة السلام وبين الذئاب المحبة . !

هل الصحوة ان تشترى الكنيسة ألفي يتيم مسلم في لبنان ، لم يجدوا في صدور المتخمين المسلمين حنانا ورحمة ، لكي يكونوا في القريب العاجل ألفي عقاب يحلقون بطائرات الموت فوق رؤوس الغافلين ؟

يا لله للمسلمين ! أهكذا تتبدل الحال من العزة الى هذا الوضع المهين ؟ اقرأ معي قول ارنولد في كتابه « الدعوة الى الاسلام » عن رؤساء الكنيسة في جورجيا : « ص ١٢٠ » .

« وقد حدث أن باع فريق من رؤساء الكنيسة قينات وصبيانا من المسيحيين بيع الرقيق للأتراك والفرس » ثم اقرأ : عن الاسلام في الصين : « فهم يشترون الأطفال الوثنيين حيثما كانوا ، ولا يجد آباء هؤلاء الأطفال غضاضة في بيعهم لعجزهم دائما عن توفير القوت لهم ، وفي أثناء المجاعة التي خربت ولاية تشنتنج Chantong اشترى المسلمون ما يربو على عشرة آلاف من هؤلاء الأطفال .. » .

« وشبيه بهذا ما حدث في المجاعة التي اجتاحت ولاية كوانجتونج K Wang Tang سنة ١٧٩٠ ـ اذ اشترى المسلمون فيما يقال عددا كبيرا يبلغ عشرة آلاف طفل كان آباؤهم من الفقر بحيث لم يستطيعوا الانفاق عليهم ، فرغبوا في التخلص منهم انقاذا لأبنائهم من الهلاك جوعا ، وقد تربى هؤلاء على الاسلام » .

« وقد زار القاهرة في سنة ١٨٩٤ صيني مسلم من ولاية يونان يدعى سيد سليمان فذكر عندما قابله مندوب احدى الصحف العربية أن عدد الذين يدخلون في الاسلام كل عام بهذه الطريقة يفوق الحصر والعد ، وشهد مسيوه « د . ألون » بما يشبه ذلك ، ويقرر أن عادة شراء الأطفال هذه أيام المجاعات منتشرة حتى الآن بين المسلمين في جميع أنحاء الصين وعلى هذا النحو اشتروا أطفال المسيحيين ...

سنة ١٩٠٠ ونشأوهم على الاسلام » (ص ٣٤٣ ـ ٣٤٤) .

ثم هل من الصحوة أن يقتل عالما الذرة المصريان يحيى المشد ومساعده في فرنسا فلا يكون ذلك الا مجرد خبر تافه لا مدلول له ، والمسلمون يعلمون أن اسرائيل تمتلك عشر قنابل ذرية منذ سنة ١٩٦٠ تزيد في كل عام ما تزيده ، والمركز الذري في « ديمونا » يمدها بالبلاتينيوم في سخاء ؟

الصحوة :

انما يكون للاسلام صحوة بالتخطيط المدروس على اساس من الوحدة الشاملة التي لا تعرف غير الهدف السامي : هدف العودة لمجد الاسلام ، لا لاكتساح الدول الطاغية الكبرى ففيما أظن قد فات الاوان ، ولكن للمحافظة على الحياة القائمة في ظلال الأمن ، واستغلال كنوز الوطن الاسلامي الكبير لنفع أهله بأيديهم ، دون حقد واستئثار ، ويبذل كل امرىء قادر أقصى الوسع مخلصا لدينه وأمته ، والأجيال التي ستشهد عليه حفظ ام ضيع ! وصدق الله العظيم ، ما ترك لنا عذرا اذ قال : **(ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة)** ١٠٢ / النساء .

لقد غفلنا فمالوها ، ولقد نالوا ما ودوا وفوق ما ودوا ، وأول أسلحتنا الضائعة سلاح الايمان الصدوق ، الذي من شعبه :

(وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين) ٤٦ / الانفال .

(لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون) ١١٨ / آل عمران .

بل لقد أخذ منا أعداونا اغلى هذه الشعب فدمغونا بها : **(وأعدوا لهم ما استطعتم)** ٦٠ / الانفال .

فقاموا وناموا في مصانع العلم والتفكير والاختراع ، حتى حالوا بشبح الفناء بيننا وبين الأمل في كسب النصر ، فاذا رأوا نابغا منا قتلوه بأيديهم أو بأيدينا !

ان الخطر المتهدد للآمال الكبيرة لا يرى العقل زواله سهلا ، فان السبيل الى ذلك عسير ، لأنه يكمن في مكان الداء العضال ، وليس كرصاصة ريجان التي أخرجت بيسر من المقتل ، فعاد معافى الى منصبه .

نعم ان الخطر في قلوب تشربته ، فصارت منه وصار منها ، فلا يمكن انتزاعه الا بمعجزة وقد فات زمن المعجزات ، ولكن رحمة الله قادرة على أن تبدل ممن هلكت قلوبهم من يأخذ بيد الاسلام ويأخذ الاسلام بيده الى المكان الأعلى ، الذي ليس فيه نيرون متجبر ولا شمشون مجنون !

ترى من يفكر بأن يكون هذا القائد الميمون ؟

وفود الحجيج

منذ أن نادى أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام على جبل أبي قبيس أيها الناس ، إن ربكم بنى بيتا وأوجب عليكم الحج اليه فاجيبوا ربكم وكان يلتفت بوجهه يمينا وشمالا وشرقا وغربا ، وقد خفضت الجبال رؤوسها ورفعت له القرى ، واسمع الله تعالى نداءه فاجابه كل من كتب له أن يحج من أصلاب الرجال وأرحام الامهات ، منذ ذلك العهد وقبله وبعده ، وبيت الله الحرام يستقبل الالآف والآلاف يطوفون به ويسعون اليه رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق .

وحين يهل ميقات الحج بعد تطهير المسلمين بالصيام وقدوم شهر شوال وذي القعدة وذي الحجة أو عشر منه ووفود المسلمين تتوالى من أقطار الدنيا في جوها أو بحرها أو ارضها محرمين تبيضّ بإحرامهم الدنيا ، هاتفين يتلقى السلام هتافهم (لبيك اللهم لبيك) .

هل عرفت الدنيا ما أوجب الله تعالى على اتباع نبيه محمد حين يعتزمون الحج ؟ أوجب عليهم ان يكونوا طيبين يقدمون المال الذي يحجون به طيبا حلالا فقد روى عن ابي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إذا خرج الحاج حاجا بنفقة طيبة ، ووضع رجله في الغرز (اي الركاب) فنادى لبيك ، ناداه مناد من السماء لبيك وسعديك زادك حلال وراحلتك حلال وحجك مبرور غير مأزور ، وإذا خرج بالنفقة الخبيثة فوضع رجله في الغرز فنادى لبيك ، ناداه مناد من السماء لا لبيك ولا سعديك ، زادك حرام ونفقتك حرام . وحجك مأزور غير مأجور .) رواه الطبراني في الأوسط

يأتوك من كل فج عميق

للاستاذ / عبدالرحمن البنا

والنية خالصة لوجه الله ، لا يقصد بالحج إلا وجهه ، ولا يعتزم السير إلا إليه ، وقد حج رسول الله صلى الله عليه وسلم على رحل رث وقطيفة خلقة ثم دعا ربه فقال : (اللهم حجة لا رياء فيها ولا سمعة).

واسترضاء الخلق ، واستسماح أهل الحقوق ، ورد الدين ، وصلة الرحم ، وبر الوالدين ، والتطهر من كل رجس ، والترفع عن كل عيب ، والغض عن كل خنا ، (**فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج** .) البقرة/ ١٩٧

كم طهارة طلبها الاسلام من اتباعه حين يحجون ؟ طهارة القلب ، وطهارة النفس ، وطهارة الروح ، وطهارة الحس ، وطهارة الثوب ، وطهارة الجسم ، ، وطهارة الجوارح ، حتى كاد الاسلام أن يحيل البشر الحجاج من أتباعه ملائكة على الارض يمشون .

فاذا استكملوا ذلك أحرموا بالحج ، وقلموا الأظافر ، وقصوا الشوارب ونتفوا الإبط ، وسرحوا اللحية وشعر الرأس ، وتوضأوا أو اغتسلوا وتطيبوا بالمسك ، والطيب لا يبطل إحرامهم اذا خلعوه مع لبس الإحرام ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت : كأني أنظر الى وبيص (اي بريق) الطيب في مفرق رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محرم وروى البخاري ومسلم عنها أنها قالت « كنت أطيّب رسول الله صلى الله عليه وسلم لإحرامه قبل أن يحرم ، ولحله قبل أن يطوف بالبيت » . وروى احمد عنها قالت : « كنا نخرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة

فننضح جباهنا بالمسك عند الإحرام ، فإذا عرقت إحدانا سال على وجهها فيراه النبي صلى الله عليه وسلم فلا ينهانا » .

ثم يخلعون ثيابهم فيخلعون معها الدنيا ، يتجردون عن المخيط ، فلا يرتدون إلا رداء يلف النصف الأعلى من البدن وإزارا يلف النصف الأسفل منه ، الرؤوس عارية ، والقلوب مبتهلة ، والوجوه الى الكعبة ، يصلون ركعتين بنية سنة الإحرام يقرؤون بعد الفاتحة في الاولى سورة (الكافرون) وفي الثانية سورة (الاخلاص).

ماذا بقي من الدنيا بعد ذلك ، لقد ذلت وهانت ، وصغرت وتضاءلت بل انعدمت وانمحت ، ها هم أولاء بعد الإحرام لا يحلقون شعرا ، ولا يقصون ظفرا ، ولا يصيدون صيدا ، ولا يعقدون نكاحا ، ويحرم على الزوج أن يقرب زوجته أو يقبلها أو يلمسها بشهوة أو يخاطبها بكلام يتعلق بالوطء ، ويحرم النظر الى الأجنبية ، فقد أخرج البخاري بسنده عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : « كان الفضل رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءت امرأة من خثعم فجعل الفضل ينظر اليها وتنظر اليه وجعل النبي صلى الله عليه وسلم يصرف وجه الفضل الى الشق الآخر فقالت : يا رسول الله إن فريضة الله على عباده في الحج أدركت أبي شيخا كبيرا لا يثبت على الراحلة أفأحج عنه قال : نعم.وذلك في حجة الوداع » .

أين الدنيا اللاهية من أمة محمد الساجدة العابدة ، أين الذين لا يفيقون من خمر ولا يقلعون عن ظلم ولا يبيتون على طهر ، أين هم من العيون الساهرة ، والقلوب الطاهرة ، والنفوس الخاشعة ، والظهور الراكعة ، والجباة الساجدة ، يتعاملون مع قوى الكون غير المنظورة وقد تبددت أمام صفائهم الحجب وهتكت أمام شفافيتهم الأستار ، فرأوا الأشجار ساجدة والنجوم موحدة (**الشمس والقمر بحسبان . والنجم والشجر يسجدان**). الرحمن/ ٥-٦)

وينطلقون ملبين ، لقد جاءوا ، إنهم هم اتباع محمد ، بثيابهم البيض ، وخطوهم الوئيد ، وهتافهم بالتوحيد ، الزي واحد وإن اختلفت الجهات ، والقصد واحد وإن تباينت اللغات ، والكل سواسية وإن اختلفت الألوان ، قربهم الاسلام وإن تناءت بهم البلدان .

العالم المتصارع يجب أن يتلقى درسه هنا ، والدنيا المتنازعة ينتهي نزاعها لو وقفت بالمحصب من منى ، ستذهل وتغسل أدرانها اذا استمعت الى هذا النداء ينبعث من قلوب المسلمين وحناجرهم (لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك).

هذه مكة ، بعد بالغ شوق وطول سُرى ، وتلك معالمها ، شعابها ودروبها ، مسالكها ووديانها ، جبالها العلائم وجبالها الأعلام ، فأما العلائم فغندمة وأبو قبيس وأجياد ، وأما الأعلام فالصفا والمروة (**إن الصفا والمروة من شعائر الله**).

البقرة/ ١٥٨

هذه مكة ، فيها البيت تهوى اليه الأفئدة ، الكعبة تتجه اليها القلوب ، وفي غار حراء هنا تبتل محمد صلى الله عليه وسلم ، وهبط جبريل ، ونزل القرآن .

هنا جبال دوت بأعلى قممها دعوة محمد فاستجابت ولانت وتحركت وحنّت وذابت

وهنا دار أوى اليها محمد أول دعوته مستخفيا ، ومن حوله نفوس مؤمنة صدقت وفهمت ، وتذوقت ، وتشكلت واستمعت (**انا سنلقي عليك قولا ثقيلا**) المزمل / ٥ فامتثلت ، وسلمت ، وتآخت ، وأخلصت ، واندفعت ، فأشاعت النور ، وقطعت الأبعاد ، وآمن الناس إلا قليلا ..

هذه مكة ، لا يدخلها إلا مؤمن ، ولا يغشاها إلا طاهر ، فيستحب لدخولها الاغتسال ، فعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان يغتسل لدخول مكة ، ويستحب المبيت بذي طوى من جهة الزاهر ، فقد بات رسول الله صلى الله عليه وسلم بها قال نافع : وكان ابن عمر يفعله ، ويستحب أن يدخلها من الثنية ، ثنية كداء ، فقد دخلها النبي صلى الله عليه وسلم من جهة المعلاة .

وهذا البيت الحرام ، آلاف مؤلفة يدخلون من باب السلام ، وحين تقع انظارهم على البيت ، ترتفع الأيدي داعية (اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما وتكريما ومهابة وزد من شرّفه وكرّمه ممن حجه أو اعتمره تشريفا وتكريما وتعظيما وبرا ، اللهم أنت السلام ومنك السلام فحينا ربّنا بالسلام) .

هذه مواكب السلام تصل سيرها بموكب السلام الذي قاده رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الحديبية بعام في عمرة القضاء حيث أخليت مكة يطوف المسلمون بالبيت كشرط من شروط الحديبية وخرجت قريش الى شعاب الجبال تنظر منظرا عجبا .

هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ألفين من أصحابه يطوف بالبيت على ناقته القصواء يأخذ بزمامها عبد الله بن رواحة يرتجز

خلوا بني الكفار عن سبيله
خلوا فكل الخير في رسوله
يا رب إني مؤمن بقيله
أعرف حق الله في قبوله

فيقول له النبي صلى الله عليه وسلم: (ايها يا ابن رواحة قل لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وأعزّ جنده ، وهزم الأحزاب وحده) .

هذه مواكب السلام ، ولابد للسلام من قوة تحرسه ، فقد جهز النبي صلى الله عليه وسلم مائة فارس جعل على رأسهم محمد بن مسلمة ، وبعثهم طليعة له على ألا يتخطوا حرم مكة ، وحين بدأ الطواف اضطبع بردائه وأخرج عضده اليمنى ثم قال : (**اللهم ارحم امرأ أراهم اليوم من نفسه قوة**) وكذلك تتحرك مواكبنا للسلام فتحرسها قوة يقظة وترعاها عين الله التي لا تنام .

بيت الأمان

قال تعالى : « **إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين** » الآيتان ٩٦ و٩٧ من سورة آل عمران

خطيب

وقف ابراهيم بن عبد الله بن الحسن خطيبا فقال : ايها الناس كل كلام في غير ذكر فهو لغو ، وكل صمت في غير فكر فهو سهو ، والدنيا حلم ، والآخرة يقظة ، والموت متوسط بينهما ، ونحن في أضعاث أحلام .

السلام

روى أبو أيوب الأنصاري - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : لا يحل لرجل أن يهجر اخاه فوق ثلاث ليال ، يلتقيان ، فيعرض هذا ، ويعرض هذا ، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام » . رواه البخاري .

عاقبة الطغيان

● قال إبليس - كما حكى القرآن : : « **أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين** » .

فكانت العاقبة : « **فاخرج منها فانك رجيم** » .

○ **وقال النمرود - كما** حكى القرآن : « **أنا أحيي وأميت** » .

فكانت العاقبة : « **فبهت الذي كفر** » .

● وقال فرعون - كما حكى القرآن : « **أنا ربكم الأعلى** » .

فكانت العاقبة : « **فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم** » .

● وقال قارون - كما حكى القرآن - : « **إنما أوتيته على علم عندي** » .

فكانت العاقبة : « **فخسفنا به وبداره الأرض** » .

● وقال صاحب الجنتين - كما حكى القرآن - : « **أنا اكثر منك مالا وأعز نفرا** » .

فكانت العاقبة : « **فأصبح يقلب كفيه** » .

وهكذا عاقبة كل طاغ وظالم .

حج الرياء

يحجون بالمال الذي يجمعونه   حراما الى البيت العتيق المحرم
ويزعم كل منهم أن وزره   يحط ، ولكن فوقه في جهنم

من أسرار العربية

تعبر اللغة العربية عن الطلب والبحث بعدة ألفاظ ، منها .

○ اذا كان الطلب والبحث عن الخير والمسرة سمى « التوخي » تقول : أتوخى الخير إن شاء الله .

○ اذا رافق الطلب بحثا سُمِيَ« التفتيش أو الفحص ».

○ اذا كان الطلب مع الحيلة سمى« المحاولة ».

○ اذا كان المقصود طلب الماء أو الكلأ أو المنزل . فنقول : ارتاد الماء أو ارتاد المنزل ».

○ اذا كان الطلب باللمس سمى « الالتماس ». قال لبيد :

يلمس الأحلاس في منزله ـ بيديه كاليهودي المضل .

○ اذا كان الطلب مع الاستقصاء فيسمى « جاس جوسا ». ومنه قوله تعالى :« فجاسوا خلال الديار » أي طافوا خلالها ينظرون باستقصاء ، هل بقى من أحد يقتلونه ؟

لا تكن منهم

قال حكيم : لا يكونن منكم المحدث الذي لا ينصت له ، ولا داخل في سر اثنين لم يدخلاه فيه ، ولا الآتي الدعوة لم يُدعَ إليها ، ولا الجالس المجلس لا يستحقه ، ولا الطالب الفضل من ايدي اللئام ، ولا المتعرض للخير عند عدوه .

نصيحة

قال رجل لأحد الفقهاء : اذا نزعت ثيابي ودخلت النهر لأغتسل ، أأتوجه الى القبلة أم الى غيرها ؟

قال : توجه الى ثيابك التي نزعتها لئلا تسرق .

الحج المبرور

أن ترجع زاهدا في الدنيا ، راغبا في الآخرة .

حتى يعم عدله

شكا أهل بلدة الى المأمون واليا عليهم ، فقال : كذبتم عليه ، فقد صح عندي عدله فيكم ، واحسانه اليكم ، فقال شيخ منهم : يا أمير المؤمنين ! فما هذه المحبة لنا دون سائر رعيتك ؟ قد عدل فينا خمس سنين ، فأنقله الى غيرنا حتى يشمل عدله الجميع ، وتريح معنا الكل . فضحك منهم ، وصرفه عنهم .



عرض وتعليق الأستاذ / عبدالسميع المصرى

الدكتور محمد البهى من أعلام الفكر الاسلامى المعاصر الذين أثروا المكتبة الاسلامية بالعديد من مؤلفاته التى تنم عن فكر ناضج وتدبر عميق وثقافة واسعة لا تستغرب من الدكتور البهى الذى جمع بين الثقافة الاسلامية الواسعة والثقافة الغربية .

وهو في هذا الكتاب « **الاسلام في حل مشاكل المجتمعات الاسلامية المعاصرة** » يتناول بالبحث ستا من المشاكل المعاصرة والتى تعانى منها فعلا المجتمعات الاسلامية ثم يختتمه بالباب السابع الذى يعرض فيه « الاسلام في تجربة الحياة الصناعية المعاصرة » .

وقد استهل المشاكل الست بمشكلة العلمانية التى نتجت مع المشاكل الأخرى عن ظروف الحياة المعاصرة في المجتمعات البشرية وقد كانت المجتمعات الغربية أسبق الى معاناة هذه المشاكل ثم حاولت في الحاح أن تنقلها وأحيانا تفرضها على

في حل مشاكل المجتمعات الاسلامية المعاصرة

المجتمعات المسلمة دون أن تتاح الفرصة للرأى الاسلامى كى يخوض تجربة العلاج « بدعوى أنه كان لمجتمع معين .. بينما الاسلام فى حقيقته رسالة الله للانسان بخصائصه البشرية التى هى له فى كل وقت ولمجتمعاته التى تتنوع من بدائى الى حضارى ومن اقطاعى الى رأسمالى ... ولذا فالاسلام ليس لعهد وليس لمجتمع وليس للسان انما هو للانسان أينما وجد وفى أى زمان كان وجوده » .

لكن الغرب فرض علينا العلمانية ـ بمعنى الفصل بين الدين والدولة ـ ... فرضها علينا فى تعليمنا وفرضها فى تشريعنا وفرضها علينا فى تفكيرنا وسلوكنا وفرضها علينا فى سياستنا وفرضها علينا فى اقتصادنا ... ففصل بين الاسلام وحكم الدولة وأبعد الاسلام عن مجالات الحياة العامة وتركه داخل المسجد وفى قلوب الناس يمارسونه اعتقادا وقلما ينزلون به الى التطبيق .

وفى هذا الباب يعرض الدكتور البهى لتاريخ العلمانية التى نشأت كرد فعل لتسلط الكنيسة فى العصور الوسطى على الحياة فى أوربا وفرض وصايتها على الانسان .

فجاءت العلمانية لتؤكد :

١ ـ سيادة الدولة المطلقة .

٢ ـ اتهام المسيحية ببعد بعض تعاليمها عن العقل كعقيدة التثليث وعقيدة الطبيعة الإلهية الانسانية للمسيح كما يرى فى فلسفة لوك وليمنز .

٣ ـ النظر الى الذين فى التربية على أنه ضد الطبيعة كما يرى روسو لا سيما بالنسبة للأول بالخطيئة الموروثة .

٤ ـ اعتبار الدين أمرا متطورا وليس بنهائى ـ كما يرى ليسنج ـ وبالتالى فحقائقه متغيرة أو قابلة للنقض .

وقد انتهت هذه العلمانية الى سيادة المادية على الحياة فى العالم الغربى وأدت فى النهاية الى ظهور الماركسية التى ألهت المادة حتى ليقول لينين « ان الدين هو أفيون الشعوب وأن الدين نوع ردىء من خمرة العقل التى تحجب ذاكرة الأرقاء لرأس المال عن أن يعوا وجه انسانيتهم ومطالبهم فى وجود انسانى » .

وعلمانية لينين « انتهى امرها الى الغاء المسيحية كدين ووضع البلشفية ـ وهى الماركسية اللينينية ـ كدين جديد بدلا منها وهذا الدين الجديد يجب أن يكون فى خدمة الواقع الذى هو الحزب ، والحزب يأخذ الآن فى هذا الدين الجديد مكان العبادة عوضا عن الله فى المسيحية ومكان القداسة عوضا عن الكنيسة » .

ويمضى الدكتور البهى بعد ذلك ليعرض رأى الاسلام فى العلمانية ... فهو دين التوحيد الخالص الذى يرمى الى تحرير الانسان من كل عبودية الا لله تعالى،والناس فى نظره سواء فلا تكون فى هذا الاسلام حكومة الهية » من مجموعة من الناس أيا كان اخلاصهم فى العبادة لله وأيا كانت منزلتهم منه ... والحكومة اذا أخذت بمبادىء القرآن فهى حكومة انسانية تخضع للخطأ والصواب والقرآن يطالبها بالعودة فى النزاع الى كتاب الله وسنة رسوله حتى ولو كان النزاع بين الحكومة والمحكومين لأن الله تعالى يقول (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعا بصيرا . يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا) النساء / ٥٨ و ٥٩ .

وهنا يتضح أمر القرآن للمؤمنين جميعا من أولى الأمر وغيرهم :

١ ـ بأداء الأمانات الى أهلها .

٢ ـ بمباشرة العدل فى الحكم والقضاء .

٣ ـ بالطاعة لما لله من قوانين ومبادىء .

٤ ـ بالاحتكام الى ما لله فى القرآن وسنة رسوله من مبادىء وأحكام وتطبيق عملى

عند التنازع بينهم وبين أولى الأمر منهم .

والاسلام بعد ذلك لا ينكر الجانب المادى من حياة الانسان ولا يجعل العبادة سببا لتجاهل الدنيا وعدم الحركة لتحصيل الرزق كما لا يكون السعى فى الدنيا شاغلا عن أداء العبادة فيقول : (**يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون . فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون**) الجمعة / ٨ و ٩ .

فكلا الأمرين مطلوب « لأنه اذا كانت العبادة تحمل على استقامة الاسلوب فى تحصيل متع الحياة فان تحصيل هذه المتع بسعى الانسان يعين بدوره على الاستمرار فى العبادة ... ولا يحرم الاسلام إلا الاسراف فى الاستمتاع لأنه يترتب عليه اما منع الآخرين من حقهم فى الحياة واما الاساءة الى الذات نفسها بكثرة ما تستمتع به » .

فالاسلام اذن ليس فيه أى باعث على التخلف طالما لا يرى فى الدنيا شرا ... انما هو ينظر الى الانسان على أنه وحدة مستقلة تنطلق الى العمل وفى مسئولية شخصية فردية (**ولا تزر وازرة وزر أخرى وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شىء ولو كان ذا قربى**) فاطر / ١٨ .

« وبشهادة أن لا إله إلا الله ، محمد رسول الله يتصل الانسان بربه من غير وسيط وبالايمان بالله يتحرر الانسان من كل الزام خارجى عنه » .

وهذا هو سر ديناميكية الاسلام وقوته ولهذا كانت محاولات الاستعمار فرض العلمانية على العالم الاسلامى أو تطبيق البلشفية فى الوطن العربى لابعاده عن دينه - مصدر قوته - « حتى تطمئن اسرائيل على المستقبل وعلى التوسع الاقتصادى والعلمى فى هذه البلاد وتمكينا للكتل الاستعمارية المتنافسة على خيرات الشرق الاوسط ومركزه » .

وعلى المسلمين - لمواجهة هذا الغزو الفكرى والاقتصادى - دراسة الاسلام دراسة واعية،وعلماء المسلمين قبل عامتهم عليهم أن يعيدوا دراسته في كتاب الله ويستوحوا الرأى منه دون أن يفرضوه عليه من خارجه .

ثم يتحدث الدكتور البهى فى الباب الثانى من الكتاب عن مشكلة الديمقراطية فى المجتمعات المعاصرة التى يتحكم فيها اما النظام الرأسمالى أو نظام البروليتاريا وكل منهما يدعى الديمقراطية .

وقد ورثت المجتمعات الاسلامية بعد الاستقلال النظام الرأسمالى عن الغرب المستعمر وعندما يريد أى مجتمع منها أن ينفك عن التبعية السياسية للغرب ويتحرر من نفوذ رأس المال يأخذ بنظام البروليتاريا ويتبع الماركسية البلشفية .

بينما نظام الحكم فى الاسلام ليس حكما طبقيا ... أى ليس حكما رأسماليا ولا حكما آخر عماليا .... انه حكم أمة بدون طبقية . لأنه لا يعرف تمييزا بين أفراده تقوم على أساسه طبقة خاصة . إنه لا يميز بين افراده فى الاعتبار البشرى

والكرامة الانسانية ، وان كان ينظر الى عملهم نظرة تفاوت . فاكرمهم هو من كان أقرب للتقوى والايثار .

والمجتمع الاسلامى تمحى فيه الطبقية فقط فى اللحظة التى تسود فيها التقوى فى السلوك ... أى يسود فيها تجنب الفواحش والمنكر ، كما يسود فيها الايثار وضعف الأنانية فى علاقات الافراد بعضهم ببعض .

ولكى يتحقق نظام حكم اسلامى صحيح . يضع القرآن حقوق الفرد وواجباته فى مجال الأسرة والمجتمع والدولة وفى ظل هذه الحقوق والواجبات لا يرى أثر لطبقية فى المجتمع ، ولا ترى عداوة بين الافراد ، وانما جميعا كأسنان المشط الواحد .

والحق الذى للفرد قبل الدولة والحق الذى للدولة قبل الافراد ينتهى الى معنى « **العدل** » وبالعدل ينتفى الظلم كما ينتهى الى معنى « **الاحسان** » الذى تتحقق به المصلحة العامة .

والطريق اذن الى تحقيق « الحق » هو ممارسة العدل والاحسان من جانب الفرد ومن جانب الدولة .

ولن تصل الى هذه الممارسة إلا عن طريق العبادات الاسلامية التى هى رياضة نفسية تؤدى الى التطبيق العملى للاحسان .

« وليس أكرم للانسان من أن يكون ايمانه هو الدافع له على معرفة الحق وأدائه معا وليس أذل للانسان من أن يكون غيره ـ شخصا أو نظام حكم ـ هو الذى يحدد له دائرة الحق ويحمله فى الوقت نفسه على مباشرته » .

وديمقراطية الاسلام تنظم كل علاقات الانسان على نظرية الحق وتبدأ من الأسرة ... فاذا قال القرآن : (**الرجال قوامون على النساء**) النساء / ٣٤ . فهى قوامة تقوم على الشورى وتبادل الرأى لأنه يقول أيضا فى وصف المؤمنين عامة (**والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون**) الشورى / ٣٨ . فيجعل الشورى فى صفات المؤمنين أمرا يساوى الاستجابة لله تعالى بالايمان والطاعة واقامة الصلاة والانفاق من رزق الله ..

« واذا دخل عنصر تبادل الرأى فى قوامة الرجل فى الأسرة فقوامته عندئذ تكون قوامة بناءة ... بعيدة عن العنجهية والاستبداد مستهدفة مصالح الأسرة وحدها وتحكى مسئوليته الكبيرة التى تتفق وطبيعة الرجل فى الحياة » .

فاذا خرجنا من نطاق الأسرة الى المجتمع فالأفراد جميعا متساوون « أمام شريعة الله وما فيها من عدل فى حماية الأعراض من الاعتداء عليها وصيانة النفوس من الاضطهاد وحماية الخصوصيات من التتبع والمراقبة وعدم التفرقة فى فرص المعيشة وتولى الوظائف العامة » وليس هناك تفاوت بين الأفراد إلا على أساس من التقوى : (**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم**) الحجرات / ١٣ .

أما عن علاقة الفرد بالدولة فأولها حق المسلم فى حرية التنقل (**هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور**) الملك / ١٥ .

« فللحاكم أن يقيد خطوات الظالم المعتدى لكنه ليس فى حل من تقييد حركة الفرد من أجل مصلحة سياسية له فى الحكم وليس له كذلك أن يمنعه من الخروج من دائرة ولايته » .

واذا كان من العدل المطلوب من الدولة أن تساوى بين رعاياها فى فرص تولى الوظائف وأن تحافظ على حرمة المساكن والمال الخاص ... فانه من ناحية أخرى لولى الأمر الحق فى الطاعة على أفراد الأمة ما أطاع الله وهذه الطاعة مبدأ أساسى فى سياسة الحكم والخلاف يجب أن يرد الى كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وشرط الطاعة هو أداء الأمانات المنوطة بولى الأمر ... أمانة الحكم وأمانة الشورى وأمانة الوفاء بالبيعة وأمانة العمل بكتاب الله وسنة رسوله امتثالا لأمره تعالى : (**إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى اهلها**) .

ومن أهم أمانات الحكم اقامة التكافل الاجتماعى وأداء الزكاة وهى من « الفروق الجوهرية بين مجتمع المؤمنين ومجتمعات من عداهم من أصحاب العقائد الأخرى ولذا فللدولة الحق في الحمل على أدائها ضمانا لتغطية التكافل والرعاية الاجتماعية فى الأمة وضمانا كذلك للمحافظة على المجتمع من اعدائه ان هم اعتدوا عليه اعتداء ماديا أو نفسيا أو دعائيا » .

وفى الباب الثالث من الكتاب الذى يعالج مشكلة الثروة القومية يتحدث الدكتور البهى عن ضرورة التمسك بالنظام الاسلامى الكامل فى كل شىء : (اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا) المائدة / ٣
أي منهجا للحياة في السلوك والمعاملة وفي الترابط .

« والاساس الاقتصادي في الاسلام هو في نظرته الى المال وملكيته . فهو لا يرى الملكية أصلا للفرد ، ولا للدولة بل ملكية المال لله ، والانسان مستخلف فيه : (**آمنو بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه**) الحديد / ٧ وقوله تعالى : (**والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء أفبنعمة الله يجحدون**) النحل / ٧١ يؤصل في المال قاعدتين رئيسيتين :

* **الأولى** : أن هناك تفاوتا فى الارزاق بين الافراد فهناك الغنى ومن هو أقل فى غناه ومن هو فقير ومحتاج وهذه سنة كونية لا يستطيع الانسان تعديلها : (**والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق**) .

* **والثانية** : أنه مع تفاوت الأفراد فى الأرزاق وفى الغنى والفقر فان منفعة المال الذى هو بأيدى المالكين له .. منفعة عامة للجميع ، أى لمن يملك المال ولمن لا يملك منه شيئا : (**فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت أيمانهم** « وهم الأرقاء

الذين لا يملكون ولا يحق لهم أن يملكوا طالما هم أرقاء » **فهم فيه سواء)** .

ولذلك يطلب الاسلام من المسلمين أن ينزعوا مال السفيه حتى لا يبدده ويضر بذلك مصلحة الجماعة لأن الملكية الخاصة لا تحول دون وجوب المنفعة العامة ... فلصاحب الحاجة حق فى المال ينفذ طوعا أو كرها ... (**كلوا من ثمره إذا أثمر و آتوا حقه يوم حصاده**) الأنعام / ١٤١ ، فالمال هنا قسمة مشتركة فى منفعته بين المالك له وصاحب الحاجة ... (**و آت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا**) الاسراء / ٢٦ ، وهنا النهى عن التبذير لتبقى فضلة من المال لأصحاب الحاجة ...

« وعن هذه النظرة الاسلامية للمال في ملكيته ومنفعته ، يتجنب الاقتصاد القومى للمجتمع الاسلامى استغلال اصحاب رؤوس الأموال فى النظم الليبرالية كما يتجنب التواكل واللامبالاة وعدم المسئولية فى ملكية الدولة فى النظم الشيوعية » .

« وعلى هذه النظرة الاسلامية ذاتها للمال فى ملكيته ومنفعته تتأصل عبادة الله فى المال وهى الزكاة التى تتراوح بين ٢,٥٪ و ٢٠٪ على الأموال الثابتة والمنقولة : فى الزراعة والتجارة والصناعة والمعادن والمدخرات ....

وهذه الزكاة فرضت كأساس ضرورى لمعالجة خطر التمزق ، كأقل ما يجب أن يوجد فى صندوق الدولة للرعاية الاجتماعية الأولية وبذلك لم ينط بالزكاة كل صنوف الرعاية وكل ضروب الحاجة فى سبيل تقوية الأمة معنويا وماديا ، ووكل الى (**الاحسان**) بعدها أن يتكفل بما زاد على هذا القدر الضرورى فى سبيل المحافظة على كيان المجتمع وبقائه عزيز الجانب .

وحث القرآن وترغيبه فى انفاق المال فى آيات كثيرة ومواضع عديدة يشير الى أن أمر الانفاق فى الظروف العادية قد يصل الى مستوى الوجوب مما يدل على أهميته فى حياة المجتمع إيجابا وسلبا » .

ولاشك أن صاحب الحاجة فى المجتمع مضطر ويجب اطعامه فان لم يقم الأثرياء باطعامه تعين على ولى الأمر أن يأخذ منهم لدفع حاجته ودرء فتنة القتال بين المؤمنين .

ومقدار ما يلزم الأغنياء بانفاقه ـ وراء الزكاة ـ يعود الى تقدير حاجة المحرومين والضعفاء فى المجتمع وهنا يكون (تحديد الدخل) للفرد خاضعا لكفاية المحتاجين وهو ما يعرف بالضريبة التصاعدية .

« والعدل الاجتماعى فى نظر الاسلام ـ عن طريق تحديد الدخل لصالح الفقراء ـ يرتبط اذن ارتباطا كليا بنظرة الاسلام الى المال فى الملكية الخاصة والمنفعة العامة ، وليست له صلة من قريب أو بعيد بالغاء ملكية المال واحلال الدولة محل الافراد فيه .

وهنا فى مجال المال لا يلتقى الاسلام مع البلشفية كما لا يلتقى معها فى مجال الالحاد .

وكذلك لا يلتقى مع الرأسمالية فى نظر تها الى منفعة المال على أنها منفعة خاصة لمالكه وحده .

ان النظام الماركسى اللينينى يتم التخطيط والعمل فيه بارادة رئيس الدولةوحده والأفراد جميعا حينئذ هم عاملون فى الملكية التى يشرف عليها والملكية العامة هى خاصته وهذا يؤدى الى أقسى أنواع الاحتكار الذى عرف باسم رأسمالية الدولة التى ترفع اسعار المنتجات والخدمات كلما كثرت نفقات الانتاج وقل كمه بسبب وفرة البطالة المقنعة وزيادة الأجور المتكررة لاستمالة العمال وحملهم على حماية نظام الحكم والمستهلك يتحمل هذه الزيادات فى مقابل السلع الرديئة والخدمات السيئة .

لكن الاسلام يرفض الحقد الطبقى والتفرقة بين المؤمنين بل يدعو الى مجتمع التكافل بين المؤمنين أينما وجدوا عن طريق الزكاة والاحسان معا ولا يجعل رزق الله الذى بأيديهم لمجموعة دون أخرى وانما منفعته للمؤمنين جميعا .

« ولو أن اغنياء الدول الاسلامية سعت الآن الى ايجاد منظمة مالية تسهم كل دولة بجزء من زكاة الركاز على المستخرج من باطن الأرض من بترول ومعادن ووظفت هذه المنظمة المالية أموالها فى قروض للتنمية الزراعية والاقتصادية على العموم فى الدول الاسلامية غير الغنية ... لو أنها فعلت ذلك تكون قد خطت الخطوة الأولى نحو التكافل الاسلامى كمبدأ أصيل فى حياة المسلمين » .

ويتحدث الدكتور البهى فى الباب الرابع من الكتاب عن مشكلة العمل فى المصانع فيذكر بعض نقاط الضعف فى المجتمع الصناعى كالعجز عن التكسب بسبب الضعف البدنى أو كبر السن أو عدم المهارة كما يوجد من نزلت بهم نكبات الحريق أو الحوادث ومنهم من لا يكفى دخله أعباء أسرته وغير ذلك من عوامل تشعر العامل بعدم الرضى عن أوضاع العمل وأجوره .

ويلجأ العمال فى النظام الرأسمالى الى الاضراب لتحقيق اهدافهم فى زيادة الأجور كما تعمل النظم الاشتراكية على توفير مزيد من الرعاية الاجتماعية من الدولة لارضاء العمال بعد أن حرمت الاضراب كاجراء للتعبير عن شكوى العمال .

« والنتائج التى نصل اليها بسبب الاضراب المتكرر فى النظام الرأسمالى كطريق لتحسين اوضاع العمال فى الاجور أو بسبب التوسع فى الرعاية الاجتماعية لعمال المصنع فى النظام الاشتراكى البلشفى ، منعا للحالة النفسية التى قد تسود العمل بسبب ما سميناه بنقاط الضعف فى المجتمع ـ هى :

أولا : العجز عن منافسة انتاج المصنع لانتاج المصانع الاخرى المماثلة فى الخارج ، بسبب زيادة تكلفة الانتاج فيه ، أو بسبب التعديل فى مواصفات انتاجه .

ثانيا : زيادة اعباء المستهلك الداخلى ، بسبب زيادة أسعار انتاج المصنع . تلك الزيادة التى استهدف منها زيادة الاجور حين تسوية مشكلة اضراب العمال فى

النظام الذى يبيح للعمال الاضراب أو سد النفقات التى تتطلبها الرعاية الاجتماعية للعمال أو التوسع فيها ، فى النظام الآخر الذى يرى هذه الرعاية والتوسع فيها ، مع منع الاضراب .

« واذا وصل أمر الانتاج فى المصنع الى تحميل المستهلك الداخلى الزيادة فى أسعار انتاجه فان ذلك سينزل بمستوى المعيشة للمستهلك ان لم يكن له مورد آخر لمواجهة هذه الزيادة » .

لكن للاسلام طريق آخر غير الاضراب أو تشريعات الرعاية الاجتماعية ذلك هو طريق الالتزام بمبدأ التكافل فى تغطية الضعف فى المجتمع ككل سواء كان هذا المجتمع فى مصنع أو قرية أو اقليم أو دولة أو فى المستوى العالمى الانسانى لأنه يكفل الرعاية للعاجزين والذين تقصر دخولهم عن الوفاء بأسرهم والذين تصيبهم النكبات .

فلو أن المجتمع المصنع أخذ بهذا المبدأ لبقى له تفوقه كما وكيفا وبقيت له قدرته التنافسية ولأمكنه أن ينشىء فى مجتمعه :

١ - صندوقا للقاعدين عن العمل بسبب العجز .

٢ - وآخر لتغطية الخدمات الأسرية .

٣ - وثالثا لترقية المهارات للعاملين فيه .

٤ - ورابعا لدفع الكوارث والنكبات لمجموع العاملين .

وهو المبدأ الذى يقوم على الايمان الحر فى غير اكراه وفى غير تهديد لأن هداية الله هى « فى أن يبقى الانسان انسانا كما صوره الله وأعده بالعقل والادراك حتى لا يسقط عن انسانيته ويرتد الى الطبيعة المادية وحدها بل ليجتهد فى أن يرتفع بانسانيته الى مستوى العطاء من انسانية الانسان فى غير مقابل مادى .. » .

لكن الدكتور البهى ينسى فى الباب الخامس من الكتاب / الذى تحدث فيه عن مشكلة التأمين والبنوك / الغزو الغربى المادى الذى حذر منه فى صفحات طوال ويسقط فى شرك التغريب ويدافع عن افكار غريبة عن الاسلام وفى الاسلام ما يغنى عنها .

ويذكر المؤلف حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان المسألة لا تحل الا لأحد ثلاثة ، رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش ورجل أصابته فاقة حتى يقول ثلاثة من ذوى الحجا من قومه : لقد أصابت فلانا فاقة فحلت له المسألة حتى يصيب سدادا من عيش فما سواهن من المسألة فسحت يأكلها صاحبها سحتا » رواه مسلم ، يرى أن تكافل الزكاة هذا يشبه تعاون المتعاقدين مع شركة التأمين على تعويض خسارة المؤمن ولو أنهم يقومون بالتأمين لمنفعة ذاتية ومصلحة دنيوية بينما الزكاة تؤدى عبادة وقربى لله لا تلحظ منها المنفعة الذاتية .

ويقدم عقد التأمين على أنه عقد تفوض فيه الشركة من مجموعة المستأمنين

كنوع من التعاون لدفع الكوارث بينهم وهى مفوضة مرة أخرى بموجب هذا العقد للمضاربة واستثمار أموال المستأمنين ليضفى عليه الشرعية لاسيما وهو عقد مستحدث .

والمعروف أن الصيغة العملية التى شرعها الاسلام للتعاون وبذل التضحيات هى عقود التبرع التى لا يقصد المتعاون فيها عوضا ماليا مقابلا لما بذل أو « الاحسان » الذى أفاض الدكتور البهى فى شرح معناه وهو مازاد على الزكاة التى هى فريضة المال فى الاسلام وأساس التكافل الاجتماعى فيه ومن أبوابها « الغارمين » المخصص للكوارث والأحداث .

لكن الأمر الواقع فى عقود التأمين أن المقصود بها ـ ليس التعاون وبذل الاحسان ـ بل الحصول على الربح ـ الكسب ـ فهو عقد معاوضة لا تبرع باتفاق شراح القانون وعلماء الشريعة وليس هناك ما يزعمه البعض من وجود اتفاق بين شركة التأمين وجماعة المستأمنين .

« انما العقد الوحيد الموجود هو عقد التأمين الذى يتم بين شركة التأمين من جهة ومستأمن معين من جهة أخرى . وهو ينشىء علاقة ويرتب حقوقا والتزامات بين الشركة وبين هذا المستأمن المعين ووفق ما جاء بالمادة ٧٤٧ من القانون المدنى المصرى فالتأمين « عقد يلتزم المؤمن بمقتضاه أن يؤدى الى المؤمن له أو الى المستفيد الذى اشترط التأمين لصالحه مبلغا من المال أو ايرادا مرتبا أو أى عوض مالى آخر فى حالة وقوع الحادث أو تحقق الخطر المبين فى العقد وذلك فى نظير قسط أو أية دفعة مالية أخرى يؤديها المؤمن له للمؤمن » .

وبذلك تكون أركان عقد التأمين هى : الخطر المؤمن منه ومبلغ التأمين وقسط التأمين ولا وجود لعقد التأمين بدونها .

فاذا كان الخطر أو الاحتمال هو الركن الأساسى فى عقد التأمين وأصل الركنين الآخرين ـ قسط التأمين ومبلغ التأمين ـ كان الغرر ملازما لعقد التأمين لا ينفك عنه بل ان ذلك جعل عقد التأمين ذاته غررا ، من كتاب حكم الشريعة الاسلامية فى عقود التأمين للدكتور حسين حامد حسان .

وليست كل أعمال شركات التأمين مضاربة ـ استثمارات شرعية ـ بل يدخلها الكثير جدا من الربا وأبسط صور هذا الربا فى عقود التأمين نراها فى التأمين على الحياة حيث يأخذ المستأمن عند الاستحقاق قيمة الاقساط مضافا اليها فائدة ربوية كما أن شركة التأمين تستثمر أموالها فى سندات ذات فوائد ثابتة أى ديون بالربا .

كما أنها تقرض عملاءها بضمان بوالص التأمين على الحياة بفائدة ربوية وهي ولاشك قروض استهلاكية أو لحاجات ملحة كالمرض .

وما أغنانا عن كل هذا لو أخذنا الاسلام ككل وفيه من التكافل الاجتماعى الذى أفاض فى شرحه الدكتور البهى ما يغنى عن كل هذا الترقيع ... (**أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض**) البقرة / ٨٥ ، كما فعل بنو اسرائيل .. ؟ .

ولست أدرى كيف استحل الدكتور البهى لنفسه أن يقفز على كل أسانيد تحريم الربا فى الاسلام ليحل لشركات التأمين الاقراض بالربا ؟

وهل اذا كان لدى مريض يحتاج الى عملية جراحية عاجلة وذهبت لشركة التأمين اقترض ووقعت عقد القرض يكون موقفى حينئذ موقف المختار ! ؟ أم أنه عقد اذعان ؟

والأعجب من هذا قول الدكتور البهى فى البنوك ... فهى فى نظره « شركة مساهمة للمضاربة بأموال الاسهم التى جمعت من المساهمين » .

« وحين تربح المضاربة بالمال يوزع ربحها بنسب مختلفة على أصحاب الأسهم وأصحاب الودائع التى هى لأجل والتى قبل أصحابها الفائدة » .

ويبعد الخيال بالدكتور حتى ليقول « وهل عملاء البنك من المقترضين لامواله فى العمليات التجارية والذين يدفعون له زيادة عما اخذوه منه .. مضطرون لدفع هذه الزيادة له ، تحت ضغط الحاجة ؟ إن حاجة آخذ الربا هى حاجة عيش وقوت ، بينما حاجة أصحاب العمليات التجارية حاجة مضاربة بالمال ، أى حاجة توسع فى العمل التجارى ويدفعون من ربحهم الزيادة التى تعهدوا بها للبنك ، وقد يخسرون وقد يشترك البنك معهم فى خسارتهم بالتنازل عن بعض استحقاقاته من المال المقترض » .

لكن الواقع يا دكتور أن البنوك عملها الأساسى تجارة المال فهى تقبل ودائع الناس وتدفع لهم ـ ان أرادوا ـ فائدة ثابتة وتقرض المحتاج بسعر فائدة أعلى وتربح الفرق بين السعرين واذا زادت لديها الأموال فهى تستثمرها فى الأعمال ذات العائد المضمون وهى فى نظر البنوك سندات الحكومة ذات الفائدة الثابتة أو القروض التى تصدرها الشركات الكبرى .

ولم نسمع أن البنوك تتنازل عن بعض استحقاقاتها راضية أبدا ... انها تشارك فى الخسارة عادة اذا أفلس العميل ولم يعد لديه ما يعطيه أو ما تستطيع الحجز عليه .

وهل نسى الدكتور أن تسعين بالمائة من أراضى مصر كانت مرهونة للبنوك وستنزع ملكيتها سنة ١٩٣٠ لولا أن تدخلت الحكومة وحلت محل البنوك ؟ !! وكل ذلك من التوسع فى الأعمال والفائدة الصغيرة التى يريد أن يخرجها الدكتور من دائرة الربا ... ؟ ! .

لقد كان عمر يفتح بيت المال للمزارعين من المسلمين فى موسم الزراعة ليساعدهم على مصاريف الزراعة من حرث وبذور وسقاية وغير ذلك ... بدون ربا ..

واعمال عقد المضاربة الاسلامى معناه الوحيد أن تكون البنوك الاسلامية بنوك استثمار فعلا فتكون شريكة فى المشروعات لا مقرضة بالربا ...

الاسلام نظام حياة متكاملة يجب أن نأخذ به كله لنأخذ بالخير والرخاء كما وعدنا المولى عز وجل ..

أما الباب **السادس** من الكتاب فيحدثنا الدكتور البهى فيه عن مشكلة ازدياد

السكان والظاهرة التى اخذت تتفشى فى بعض المجتمعات الاسلامية ظاهرة الأخذ بفكرة تنظيم الأسرة كوسيلة للحد من تزايد السكان وللمحافظة على مستوى المعيشة أو محاولة الارتفاع به .

ويرى المؤلف أن أهم عوامل مواجهة هذه المشكلة هو تنظيم الهجرة بين المجتمعات المزدحمة بالسكان والأخرى التى يقل عدد سكانها مع ثراء مواردها « على اساس من الاخاء الاسلامى وليس على أى أساس من الايديولوجيات المستوردة فهذه الايديولوجيات دفع بها المستعمر الى داخل المجتمعات الاسلامية وحرك بها أعوانه وأتباعه فى الداخل كى يصرف المسلمين فى سياستهم الخارجية والداخلية عن التجمع على أساس اسلامى حتى يظلوا مفرقين ومقسمين على تبعيات أجنبية .

فاذا تحقق شعار (المسلم أخو المسلم) فى السياسة الخارجية للمجتمعات الاسلامية لم يكن هناك خوف ولا تهديد من قدوم المسلم من بلد اسلامى الى بلد اسلامى آخر ليقيم أو ليعمل فيه ... أو ليجوب فيه وكانت حاجة المجتمع من الفنيين والحرفيين والمهنيين تغطى من مجتمع مجاور أو مجتمع مسلم آخر تتوفر فيه هذه الحاجة . وقد ربط الاسلام فى تاريخه الأمة الاسلامية كلها من المحيط الى المحيط بين افرادها وكان الايمان هو سر هذا الترابط ومبعث الاخاء والمودة وكان مفتاح الأمان هو : السلام عليكم .

ألم يأمرنا المولى عز وجل بهذا الاخاء فى قوله : (**واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا**) آل عمران / ١٠٣ .

فلابد من احلال النظام الاسلامى محل النظام الشيوعى حيثما وجد فى مجتمعاتنا حتى تتخلص هذه المجتمعات من أمراض الانحراف والاهمال وسوء الادارة وقلة الانتاج ورداءته ويقضى أيضا على مصدر التهديد والارهاب فى العلاقات الخارجية ثم تمكين حسن التفاهم فى العلاقات الخارجية على أساس من الايمان .

واذا دعت بعد ذلك ضرورة اجتماعية أو اقتصادية بحثنا مسألة تنظيم الاسرة . فاذا كان الباب الأخير من الكتاب (الاسلام فى تجربة الحياة الصناعية المعاصرة) بعد أن رزئت بعض المجتمعات الاسلامية بالنظام الرأسمالى وبعضها أخذ بعد ذلك بالنظام الماركسى فترسبت فى هذه المجتمعات مشاكل اجتماعية واقتصادية وسلوكية أصبحت مستعصية اليوم على الحل .

ولقد اتضح أن ما خلفه النظام الرأسمالى من مشاكل لم يحله النظام الماركسى الذى حل بعده وأن ما تركه النظام الماركسى من مشكلات زاد من قسوة الحياة وفسادها وتدهور العلاقات بين الافراد وسوء الترابط بينهم .

والاشتراكية والرأسمالية نظامان من صنع البشر بنيا فى الصناعة على أساس الرقابة وهى رقابة متبادلة من أصحاب العمل والعمال معا مما يفيد وجود فجوة فى

الثقة بينهما وبالتالى يوجد الترصد والحذر من اعتداء أحدهما على الآخر .
ورغم الرقابات العديدة يوجد الاخلال بأداء الواجب ... عدم اتقان وتواكل وغش وتسيب ... كما يوجد الاضراب الذى يؤدى الى أسوأ النتائج ... لأن الانسان ليس حيوانا ولا آلة يساق أو يدفع من الخارج نحو العمل وأداء الواجب .
« الانسان يتحرك ولكن المحرك له أمر ذاتى قائم داخل نفسه هو ضميره . فاذا لم يوجد الضمير فقد الانسان ما يميزه عن الحيوان والآلة وأصبح يسير حسب الهوى لا يعرف حدودا لحركته وان عرف لها غاية فهى تلك التى تحقق له ما يشتهيه وعندئذ لا تدفعه الرقابة الخارجية الى أداء الواجب إلا بقدر ما يحس بهذه الرقابة أو بقدر ما يسير الأمر فى اتجاه هواه .
لكن فى الاسلام تبعث الرقابة من ذات العامل ومن ذات صاحب العمل وليس من خارج أى منهما لأن الاسلام يعنى بأن يكون المسلم صاحب رقابة ذاتية يتحرك من ذاته ويؤدى الواجب من ذاته أى من ضميره وهذا الضمير يتكون عن طريق الايمان بالله وحده والخشية منه وعن طريق أن أداء العمل الذى يقوم به المؤمن ينطوى على رضاء الله فيحقق به المؤمن أداء الواجب والتقرب الى الله تعالى .
ومن هنا يجد المؤمن فى العمل متعة هى متعة التقرب الى الله ، واذا انطوى العمل على متعة نفسية تفوق المتعة المادية يبرز هذا العمل الى الوجود وهو متقن بعيد عن الغش والخداع لأن المؤمن يعمل أمام الله وليس تحت رقابة مخلوق أو هيئة .
وفى ظل هذا الايمان تنتقل مسئولية صاحب العمل لتكون لله بدلا من أن تكون أمام العمال أو أمام نقابتهم .
ليس هناك مجال للحقد تبعا لنظرة الاسلام الى المال لأن مالك المال وواضع اليد عليه يقران أول الأمر بحق العامل فيه وبحق صاحب الحاجة فيما يملك لأنه يؤمن بأن المال مال الله والمنفعة فيه سواء للجميع .
والعامل وكذا صاحب الحاجة يستقر فى نفسه تبعا للايمان أن مشاركته لواضع اليد على المال فى منفعته هى مشاركة توجب على هذا الأخير أن يضمن وصول منفعة المال له وأن ضمانه لوصول هذه المنفعة هو بالتالى بضمان الأمة كلها .
لأنه لو وقع تقصير من مالك المال فى حق أصحاب الحاجة فمسئولية المالك أمام الله يباشرها ولى الأمر باكراهه على توصيل الحق فى المنفعة الى مستحقيه .
ولو وقع نزاع بين العمال وأرباب العمل ـ أصحاب المال ـ حول الأجور مثلا فان على ولى الأمر حسم النزاع بما يحقق العدل بين الطرفين فاذا تحول النزاع الى خصومة قتال يهدد وحدة الأمة فالأمة كلها مدعوة للتدخل بما يعيد العلاقة بين الطرفين على أساس وقف الاعتداء والفصل بالعدل كما يقول المولى عز وجل :
(وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى أمر الله فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ان الله يحب المقسطين) الحجرات / ٩ .

الاسلام ينزع الحقد من القلوب ، بتحديد الواجبات والمسئوليات وبالعدل ولذلك فان المجتمع المسلم ليس بحاجة الى العلمانية التى لا تعنى الا الغاء الاسلام من حياتنا وابعادنا عن الدعوة الى الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر **(ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر)** آل عمران / ١٠٤ .

الاسلام يربط بين العبادة وأداء الواجب والسعى فى الحياة :

(يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون . فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون) .

وهذا الذكر لله هو مصدر الرجاء والأمل فى نجاح العمل .

وفى ظل هذه المفاهيم الاسلامية لا تكون النقابة العمالية أو المهنية الا أمة أو مجموعة من الأفراد تسعى الى تحقيق المصلحة العامة .

(ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون . ولا تكونوا كالذين تفرقوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم) آل عمران / ١٠٤ ، ١٠٥ .

فتكون وظيفة النقابة بذلك هى دعوة الأعضاء الى أداء الواجب أولا ثم دعوتهم الى فعل الأحسن والأجود وهو ما ينطوى على الخير أو المصلحة وبأداء الواجب لا يكون هناك اختلاف فضلا عن أن يكون هناك نزاع أو شقاق .

بل إن أداء الواجب الذى يؤدى الى الاتقان سيؤدى آليا الى التوصل الى حقوق العمال كاملة دون اساءة من أى جانب .

« ان الرأى الاسلامى لم يدخل بعد مجال التجربة فى مجتمعاتنا المعاصرة وتنحيته عن مجال التجربة ـ بدعوى أنه كان لمجتمع معين ـ ناشئة عن قصور فى فهم الاسلام .

الاسلام رسالة الله للانسان فى كل وقت وفى كل مجتمع ومن ميزاته فى التطبيق :

- أنه يرى منطلق العمل من أداء الواجب وليس من المطالبة بالحقوق .
- ويرى أن مسئولية الانسان فى العمل أمام الله وليست أمام انسان .
- ويرى الرقابة على أداء الواجب هى رقابة ذاتية وليست خارجية .
- والنقابة دورها الحث على أداء الواجب قبل المطالبة بالحقوق .
- ويرى أن العبادة والعمل فى ترابط وثيق لا يعزل أحدهما عن الآخر .
- ويرى أن الصناعة فى وظيفتها ومنافعها فى حياة الانسان تعادل الايمان فى هداية الانسان وتوجيهه .
- ويرى أن وجود الله فى حياة الانسان مصدر الخير والبركة وأن غيبته تفتح الباب للشيطان فيحل الهوى وتكثر المشاكل وتحتدم الصراعات .

نسأ ل الله تعالى أن يهدينا سواء السبيل .

ثم طفنا

إملأ الكأس وهات واسقني سر حياتي
وأدرها وأدرها كل حين بالمئات
ليس يرويني سواها في مسائي أوغداتي
طالما كانت شفاء لجروحي النازفات
طالما كانت دعاء في قيامي وصلاتي
طالما كانت غذاء وارتواء في فلاتي
طالما كانت نداء أيقظتني من سباتي
طالما تقت إليها دون غيري من لداتي
وصبرت العمر حتى جاءني يوم النجاة
وأتيت اليوم أسعى في أمان وثبات
حول بيت الله سبعًا طائفًا بين السعاة
طالبَ الغفران مما آدني من سيئاتي
بعد أن كنا وقفنا فوق وادي عرفات

وسعينا

للأستاذ / محمود محمد بكر هلال

وابتــهلنــا ورجَـوْنـا ودعَـوْنـا في الصــلاة
ثــم بتنــا في ربــاهــا ورمينــا الجمـرات
في (منى والخيف) فيها وهـو نبـع البـركـات
وطــعمنــا وشــربنــا ونحـرنـا الأضحيـات
وأفضنــا ونفضنــا مـا بنـا مـن منكـرات
ثــم طفنــا وســعينــا وشـربنـا الـزمـزمـات
وطــربنـا وسكـرنـا مـن كئـوس متـرعـات
ليـت أنـّا مـا أفقنـا مـن لـذيـذ النشـوات
وبقينــا في صــلاة وصيــام وزكــاة
نــعبـد اللــه ونـدعـو فـوق تلـك الربـوات

قصة
من الحياة !!!

دعاء الأم أنقذه

للأستاذ / محمد عبدالعزيز البتشتي

الأزهر مذياع الدعوة الاسلامية في بلاد المسلمين .. تتجاوب فوق مآذنه أصوات الهداية ، وتنبعث منه اشعاعات الاصلاح إلى كل مكان .. يستقى المسلمون كؤوس العلم من رواده ومبعوثيه .. بعد عشرين ساعة قطعتها الطائرة فوق السحاب و ١٧ ألف ميل المسافة بين القاهرة وجاكرتا وعند خط الاستواء هبطت بنا ... ينسينا اللقاء الكريم متاعب السفر ... تمضي الأيام بي إلى باندونج للعمل فيها ... عملت مع أحد علمائها وأعجبت به ... حدثني أحد الزملاء عن حياته ... وللعبرة والاعتبار أحكيها :

رأيته وقد قارب الخامسة والخمسين من عمره مديرا للجامعة الاسلامية في باندونج ، حركة دائبة ، يلقى الدروس في مختلف الكليات ، يحاضر العامة في المدن والقرى ، يسوق عربته بنفسه ، يستيقظ مبكرا ليؤذن الفجر ويؤم المصلين ، ويلقي عليهم درس الصباح ، له خمسة عشر ولدا وبنتا كلهم يتعلمون تعليما دينيا .. ومن زوجة واحدة ، تقية صالحة .
أكثر الأيام يدعوني لأصاحبه في زياراته لالقاء العظات الدينية وهو يترجم لي بصدق وأمانة ، كل همه تثقيف رجال المستقبل من نعومة أظفارهم ...

حياته الأولى

لم يأسف على شيء أسفه يوم تربى في مدارس أنشأها الاستعمار لتقطع صلته بدينه وأمته ، وتعزله بنفسه وفكره عن أهله ووطنه ، وتحوله عن عقيدته بزخرف القول ومعسول الكلام ... قرر أن يبرح أندونيسيا ويعيش في هولندا بقية عمره ، .. أعد له المبشرون الحياة الرغيدة السعيدة .. وتهيأ للسفر وأعد عدته .. علمت أمه ـ وكانت مؤمنة تقية ـ طلبت منه أن يحج معها وترجع بعد أداء الحج والعمرة ، ويسافر هو إلى ما يريد ... وكان يحبها فأجابها إلى رغبتها ... وسافر معها إلى ...

عرفات الله

وسارت مع أمواج البشر إلى عرفات الله ، وطلبت من ابنها أن يذهب بها إلى جبل الرحمة ، .. تقف على قمة الجبل ، تنظر حولها : مئات الألوف من شتى الأقطار والأجناس محرمين عابدين لربهم قانتين ، طرحوا الرتب والألقاب ، وتجردوا من كل زينة وجاه ، واستوى الملوك والرعايا ، والرؤساء والأتباع ، جميعا عباد الله ... موقف تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ، ثم تلين قلوبهم !!! في هذا الجو الرباني الرهيب ينادي رب العالمين : ملائكتي هؤلاء عبادي أتوني شعثا غبرا ، يرجون رحمتي ويخافون عذابي : أشهدكم أني قد غفرت لهم ...
وتجهش الأم بالبكاء وترفع يديها إلى السماء تخاطب ربها من أعماق قلبها : اللهم إن هذا مقام العائذ بك فلا تخيب رجائي ، ولا ترد دعائي ، اللهم لا تدع لي ذنبا إلا غفرته ، ولا هما إلا فرجته ، ولا كربا إلا كشفته ، ولا فسادا إلا أصلحته ، ولا حاجة من حوائج الدنيا والآخرة لك فيها رضاء ولنا

فيها صلاح إلا قضيتها يارب العالمين ...

ويرتفع صوتها بالنحيب ... ويرتعد ابنها من حشرجة صوتها وهى تمضي في دعائها تقول : اللهم إنك تعلم سري وعلانيتي وتعلم ما في نفسي ، وتعلم حاجتي . اللهم إني قد صحبت ابني إليك فحبب إليه الايمان بك وزينه في قلبه ، وكره إليه الكفر والفسوق والعصيان ، وخلص من الفتنة سره ، ونور بالعلم قلبه ، وقه شر وساوس الشيطان حتى لا يكون له عليه سلطان ... يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ... لقد أحست بنسمات الرضا تغمرها فهوت إلى مجلسها متهالكة ، وهدأت نفسها الحائرة ، وأطمأنت إلى رحمة ربها الواسعة ...

بقاؤه في مكة

وتؤدي أمه مشاعر الحج والعمرة ، وترجع مع حجاج بيت الله إلى أندونيسيا وقد تركته يقرر مصيره بنفسه !!!

في مكة كثيرون من أهل بلده يقيمون فيها يتعلمون اللغة العربية ، ويدرسون العلوم الدينية ، يعرفون قصته وأنه عما قليل سيودعهم إلى هولندا ... عرضوا عليه أن يدرس الاسلام قبل أن يخلع إهابه ، استجابت نفسه إلى هذا الرأى ... لقد قيل له : إن الدين لا يورث ، وإن الانسان لا يجب عليه أن يعتنق دينا لمجرد أنه وجد نفسه فيه . يجب أن يتحرر أولا من كل الأديان ، ثم يبحث بنفسه متجردا إلى أن يجد الدين المناسب الذي يملأ قلبه إيمانا ، ويسيطر على أحاسيسه فيعيش فيه ... إذن من الأفضل أن أدرس الاسلام .. فكيف أخلع ملبسا وأستبدله بآخر دون أن أقارن بين ما ألبس وما أستبدل ؟ !!

أمده المبشرون بكتب مشككة في الاسلام وعرضوا عليه أحوال المسلمين في بلاده وفي كل بلاد العالم .. فلو كان هذا الدين صالحا لما كان حال المعتنقين له جهلا وتأخراً وفقراً ومرضاً واستكانة للاستعمار واختلافاً في الرأي !!! كثير من العبادات يؤديها المسلم دون أن يعرف لها حكمة ... بعض العبادات كتقبيل الحجر الأسود وثنية جاهلية ...

ملؤوا عقله وحسه عن تقدم أوروبا وأمريكا وحضارتهم وعلومهم وما يتصفون به من حسن المعاملة واتقانهم للعمل وحرصهم على دقة مواعيدهم وأمانتهم وصدقهم ...

ما أحراه أن يدرس الدين في أول بلد انبثق فيه نور الاسلام ليعرف كنهه ويسبر غوره قبل أن يستبدل به غيره !!!

الرعيل الأول من المسلمين !!

أول ما لفت نظره .. أن الاسلام لا يكره أحدا على اعتناقه : (**لا إكراه في الدين**) ولا يقهر أحدا على الدخول فيه ... الاسلام ينادي الناس ـ كل الناس ـ من أراد أن يعتنق فكرة فليحكم عقله في الأدلة التي تساق إليه ... كل الذين اعتنقوا الاسلام واطمأنت إليه قلوبهم ، لم يتراجعوا عنه ، مهما حاول المشركون وتفننوا في تعذيبهم ...

سار في دروب مكة وطرقاتها يستنطق الثرى كيف تحمل الرعيل الأول من المسلمين التعذيب في سبيل الدعوة ؟ !!

فوق هذه الرمال المحرقة عذبت قريش ـ وعلى رأسها أبوجهل ـ ياسرا وزوجته سمية وابنهما عمارا .. تحت نيران شمس تلفح الأجسام وتشوي الوجوه والابدان ، نضوا عنهم ثيابهم وخلفوهم كيوم ولدتهم أمهاتهم ، وجموع مكة تلهب ظهورهم وأطفالها تصيح استهزاء بهم ... ورسول الله صلى الله عليه وسلم يراهم فيعتصر قلبه رحمة بهم ... ينظر إليهم ويهتف بهم : صبرا . صبرا آل ياسر فإن موعدكم الجنة ... ويسمع القوم هتاف النبي صلى الله عليه وسلم ويشتد العذاب ... وينضوى الجسم الضعيف وترتفع الروح المؤمنة إلى ربها راضية مرضية ... وتنظر « سمية » إلى زوجها في فزع فتراه جثة هامدة لا حراك فيها !!! فتثور في وجه أبي جهل : على رأسك يقع دم زوجي يا ابن الفاعلة !!! ويشتط أبو جهل غضبا ويطعن برمحه « سمية » فتلحق بزوجها لتكون اولى شهيدات الاسلام !!! يتصور صاحبنا هذا المشهد فتثور نفسه ، ويغلي فؤاده ، وتخنقه العبرة !!!

ويسأل نفسه : أيتحمل الانسان عذابا يصل إلى الفداء في فكرة لا يؤمن بها وعقيدة لا يقدسها ؟ !! صاحبنا في دوامة التفكير لا يوقظه إلا صوت المؤذن « حي على الصلاة » فيدخل الحرم ليؤدي فرض الله ...

علاج الاسلام للمشكلات !!!

تعلم اللغة العربية وتردد على مجالس العلماء ، ودور العلم يناقش ويجادل ، عرف أن المعلومات التي نشرها المبشرون عن الاسلام خاطئة مضللة ، وأن الاسلام وضع حلولا لكل مشكلات المجتمع ...

الاسلام عالج الفقر بالزكاة وحدد مصارفها : للفقراء والمساكين والعاملين عليها ، وابن السبيل الذي ترك مسكنه ووطنه ... وجعل الزكاة فرضا في مال الأغنياء ، وهى حق للفقير وليست منة من الأغنياء ... جمعت

الزكاة في عصر عمر بن عبدالعزيز ووزعت في مصارفها فلم يبق فقير في الدولة ... في العام الذي يليه لم يجدوا فقيرا أو مسكينا يؤدونها إليه .. فأمرهم أن يدعموا بها أهل الحرف من النجارين والحدادين والمزارعين ليستغنوا عن غيرهم ، ولا يمدوا يدهم للسؤال ... يهدد الاسلام الأغنياء البخلاء بالعذاب قال تعالى : (**والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم**) وقال (**لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون**) .

المؤمن الصادق لا يعرف الدعة والاستكانة ، مشغول طول يومه ، يسعى إلى ما ينفع نفسه وأهله ومجتمعه ... مع العمل يراقب ربه ومن أتقن عمله حسن انتاجه !!!

على المسلمين أن يكونوا أقوياء !!!

فرض الله الجهاد على المسلمين ، وأعلن أن القوة هى التي تحمي الحق ... الجهاد أعلى درجات الايمان ... أوصانا بالصبر عند الشدائد ... صبر القوى الذي يرفض الخضوع لأي قوة تحيط به ، لا يخشى أحدا قال تعالى : (**الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل**) .

سمع ـ صاحبنا ـ أحد الخطباء في ساحة الحرم المكي يقول : « نحن سبعمائة مليون مسلم لو بالوا في مكان واحد لأغرقوا اليهود في بولهم .. فكيف لو حاربوهم بقوة متحدة » ؟ !!

وتأخر المسلمين ليس من الاسلام .. هو من المسلمين لبعدهم عن مبادئه ولو رجعوا إلى أسسه الصافية من التماسك والوحدة على أساس صادق من العدل والإخاء والتعاون في سياج من القيم الخلقية والروحية من الطهر والعفاف لصلحت دنياهم وحسنت آخرتهم ...

لماذا لم يبين الله الحكمة في العبادات ؟ !!!

لم يبين الله الحكمة لخلقه في الأعمال التعبدية كعدد ركعات الصلاة ، وتحديد أوقاتها ، ولماذا جعل صوم رمضان شهرا واحدا في العام ؟ ! ولم فرضه بهذه الكيفية ؟ ومشاعر الحج من الهرولة بين الصفا والمروة والطواف حول الكعبة وتقبيل الحجر الأسود ورمي الجمرات ؟ !! إلى كل الأعمال التعبدية ؟ !! لأن الله تعالى لو بين الحكمة فيها والعلة والسبب لتحولت طاعة

العابد وإيمانه إلى هذه العلل والأسباب وتناسى الايمان والتسليم لله الواحد الأحد ... مع أنه يجب أن يكون إيمان المخلوق بحكمة الله تعالى أكبر وأعظم وأتم من الأسئلة من سبب وعلة كل أمر يأمره الله به ...

يقول له المبشرون : إن تقبيل الحجر الأسود فيه وثنية لأنك تقبل حجرا وتقدسه ؟ !!

وغاب عنهم أن المقصود من تقبيل الحجر هو طاعة أمر الله لأنني لا أقدس الحجر ولكنني أقدس الذي أمرني بتقبيل الحجر ولو كان الحجر مقدسا من حيث هو حجر لما أمرني برجمه !!! فكيف أقبله وأرجمه في وقت واحد ؟ !!!

تأخر المسلمين !!!

تأخر المسلمين ليس من الاسلام لأنه هو الذي أصبح العرب به أمة منظمة ، لها فكرها وحياتها الراقية ، حثهم على البحث والفكر ، ودعاهم في آياته الواضحة إلى البحث في الكون لمعرفة قوانين الخلق قال تعالى : (**سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد**) ... في العصور الأولى للاسلام ساد المسلمون الدنيا بعلومهموأفكارهم ... تقدمت أوروبا بعد أن ارتوت من حضارة الاسلام وترجمت علومه إلى لغاتهم ، ونشأت جامعاتهم لدراسة الفكر الاسلامي ، مما كان له أثره في اقبال الأوروبيين على العلوم العربية في كل مجالاتها ، وإيمانهم بأن العلوم الكونية لا تتعارض مع الايمان بل تؤدي إلى الايمان به ...

عودته إلى بلده

ويستمر ـ صاحبنا ـ بين الدرس والحرم يملأ عقله وفهمه بالعلم ، وقلبه وفؤاده بنور اليقين ... أحد عشر عاما قضاها في مكة عاد بعدها إلى بلده ، بعد أن حفظ القرآن الكريم ورتله ، وبدت وراثة النبوة ظاهرة على عقله وسمته ... وما وطئت قدماه ثرى وطنه حتى أصبح داعية لدينه ، زاهدا في ترف الحياة ، راغبا عن الشهرة ، مقبلا على العمل لدين الله ، خرج من بلده بقلب مقفول عن نور الله ، وعاد بفؤاد مصقول باستقبال هذا النور في حناياه ، يستهدي به مسالك الحياة ... هذا هو حاج أنور مسدد ـ أطال الله عمره ـ وسدد خطاه .

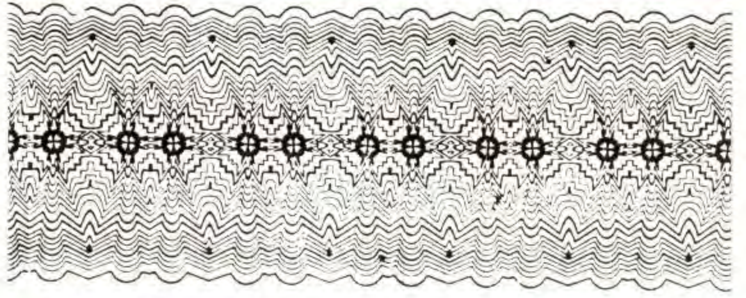
صور مشرقة

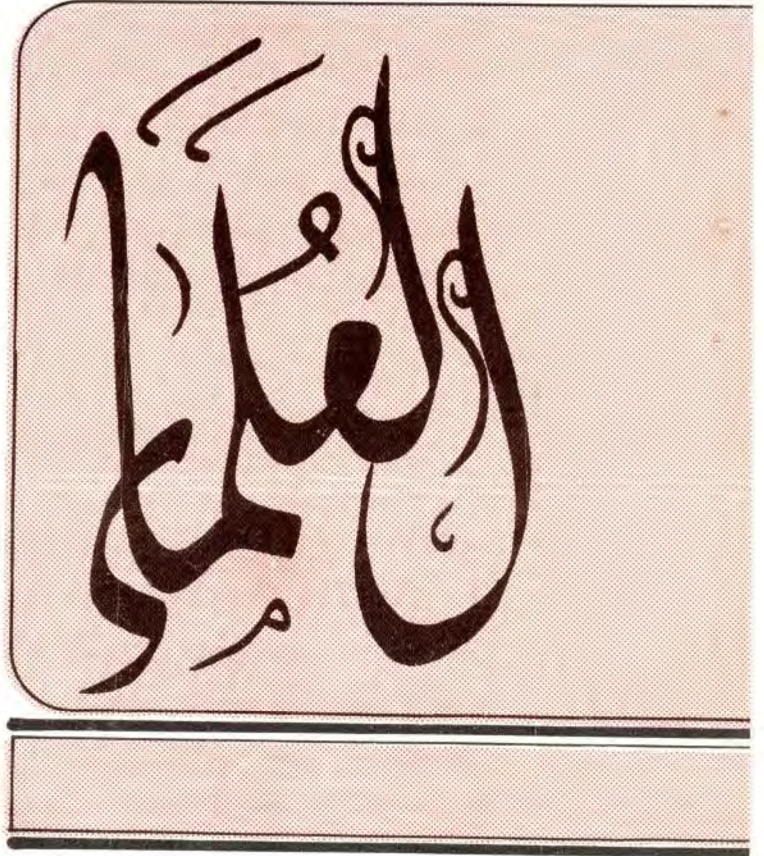
من جهاد

للاستاذ / عبد الحفيظ فرغلي علي القرني

غني عن البيان الحديث عن الجهاد ومنزلته في الاسلام ويكفي في الاشارة الى ذلك قوله تعالى : **(يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم . تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون . يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم . وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين)** وقوله تعالى **(ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم)** التوبة/ ١١١

كما يكفي في الاشارة الى ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم . لمعاذ ابن جبل:«الا أخبرك برأس الامر





وعموده وذروة سنامه ؟ قلت بلى يا رسـول الله قـال : « رأس الامـر الاسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد » رواه أحمد والترمذي

وعن ابي هريرة رضي الله عنه أنه قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والارض» رواه البخاري .

والآثار الواردة في فضل الجهاد أكثر من أن تحصى سواء منها ما جاء في القرآن الكريم أو ما جاء في الحديث الشريف .

والعلماء هم أولى الناس بمعرفة فضل الجهاد ومنزلته في الاسـلام فالاستجابة له أمر يحتمه العمل بالعلم الذي تعلموه ، وإلا انطبق عليهم قوله تعالى : **(يا ايها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون . كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون)** الصف/٢و٣ وقوله تعالى : **(اتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلـون الكتـاب أفـلا تعقلـون)** البقرة/٤٤

وهم أحق الناس باستيعاب الدرس الذي ألقاه الله في آذان قوم تمنوا الجهاد فلما كتب عليهم تقاعسوا .. فقد اخرج النسائي والحاكم عن ابن عباس ان عبد الـرحمن بن عوف واصحابا له . اتوا النبي صلي الله عليه وسلم . فقالوا يا نبي الله ، كنا في عِزّ ونحن مشركون ، فلما آمنا صرنا أذلة ، قال إني أمرت بالعفو فلا تقاتلوا القوم ، فلما حوله الله الى المدينة أمره بالقتال فكفوا فانزل الله قوله تعالى : **(الم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيـديكم واقيموا الصـلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله او أشد خشية وقالوا ربنا لِمَ كتبت علينا القتال لولا أخرتنا الى أجل قريب قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا)** النساء/٧٧ اسباب النزول للسيوطي .

وزينة العالم أن يعمل بما عَلِمَ ،

فمن عمل بما عَلِمَ ورثه الله عِلم ما لم يَعْلَمْ .

● فضيلة العلم

ولا يجهل أحد فضيلة العلم ، فهو لا يقل عن منزلة الجهاد شأنا وعلو مكانة ، حتى ورد انه يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدماء الشهداء . دلالة على ان العلم له من الأثر في تثبيت دعائم الدين ورفع لوائه واقامة المجتمع على اسس سليمة ما للجهاد سواء بسواء .

وقد ورد في فضل العلم آثار شتى ، يكفي في الاستدلال بها والاستشهاد قوله تعالى : (**قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون**) الزمر/ ٩ وقوله تعالى : (**يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات**) المجادلة/ ١١

وقوله عليه الصلاة والسلام فيما اخرجه ابو داوود والترمذي عن ابي الدرداء : « من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة وان الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع وان العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الارض حتى الحيتان في الماء » .

وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب . وان العلماء ورثة الانبياء وان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما . وانما ورثوا العلم . فمن أخذه . أخذ بحظ وافر ..

وقد اوضح النبي صلى الله عليه وسلم في الخبر . ان العلم جهاد في سبيل الله فعن انس رضي الله عنه . قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع » رياض الصالحين . باب العلم ـ

ولقد تحدث العلماء كثيرا في فضيلة كل من العلم والجهاد ، ووازنوا بين العالم والمجاهد ، واتفقوا على افضلية كل منهما وان كليهما له من الفضل ما يرفع من قدره في الدنيا والآخرة .. بشرط ان يكون العمل فيهما خالصا لوجه الله قائما على نصرة الحق والدين .

● غايات الكمال .

فللعالم المخلص ثوابه العظيم وفضله العميم واثره الذي لا ينكر في إرشاد الجاهل، وتوضيح المبهم من الأمور، والدفاع بالقلم واللسان والعلم عن الدين، والرد على الشبهات وتفنيدها ، وهذا في حد ذاته عمل لا يقل شأنا عن رفع لواء الجهاد بالسيف في ميدان القتال ..

وهناك من المواقف ما لا يغني فيها السيف غناء العلم والفتوى والرأي ، واذا كانت الدولة في حاجة الى الجنود والقادة فهي في حاجة كذلك الى العلم والدراسة وبخاصة في وقت وصل العلم فيه الى درجة عليا واصبح التقدم فيه وسيلة عظمى في تقدم الدول ورفعتها .

والعلماء في ذلك مجاهدون ، وبخاصة حين يستدعي العلم من العالم بذل الجهد والطاقة في سبيل

الكشف والاختراع .

ولكن على الرغم من ذلك فان التاريخ يوقفنا على ان هناك من العلماء من لم يقنعوا بمنزلتهم العلمية التي وصلوا اليها بل تاقوا الى غيرها من غايات الكمال ، فلم يضنوا بأنفسهم في سبيل الجهاد بالسيف والمشاركة في الغزوات والحروب وهناك من استشهدوا في سبيل ذلك .

● عبد الله بن المبارك

من هؤلاء العلماء المجاهدين الذين جمعوا بين بطولتي العلم والجهاد عبد الله بن المبارك وهو من متقدمي السلف الصالحين من تابعي التابعين كان مشهودا له بالعلم والرواية ، وله حلقة من حلقات العلم يحضرها التلاميذ والمريدون ، وكان معاصرا له الفضيل بن عياض الفقيه المحدّث .

ومن صفات عبد الله بن المبارك الى جانب علمه الغزير الذي تناول مختلف الفنون انه كان يأكل من تجارته التي يكسب منها فينفق ما يكسبه على اهل العبادة والزهد والعلم وربما انفق من رأس ماله .

ـ قال عنه سفيان بن عيينة نظرت في أمره وأمر الصحابة . فما رأيتهم يفضلونه الا في صحبتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال عنه اسماعيل بن عياش . ما على وجه الارض مثله .

قدم مرة الرقة وبها هارون الرشيد ، فلما دخلها احتفل به الناس وازدحموا حوله ، فاشرفت أم ولد الرشيد من قصرها هناك فقالت . ما للناس ؟ فقيل لها . قَدِمَ عالم من علماء خراسان يقال له عبد الله بن المبارك فانجفل الناس اليه . فقالت المرأة هذا هو الملك لا ملك هارون الذي يجمع الناس عليه بالسوط والعصا والرغبة والرهبة .

وأثر عن عبد الله بن المبارك حبه للغزو وعدم القعود عنه حتى قال في الجهاد شعرا جميلا . اذكر طرفا منه :

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا
لعلمت أنك في العبادة تلعب
من كان يخضب خده بدموعه
فنحورنا بدمائنا تتخضب
أو كان يتعب خيله في باطل
فخيولنا يوم الصبيحة تتعب
ريح العبير لكم ونحن عبيرنا
وهج السنابك والغبار الأطيب
ولقد أتانا من مقال نبينا
قول صحيح صادق لا يكذب
لا يستوي غبار خيل الله في
أنف امرئ ودخان نار تلهب
هذا كتاب الله ينطق بيننا
ليس الشهيد بميت لا يكذب

ولما أنشد هذا الشعر لفضيل بن عياض في المسجد الحرام ذرفت عيناه ، وقال صدق والله ابو عبد الرحمن وذكر لمن انشد أمامه هذه الأبيات ، الحديث الآتي عن ابي هريرة رضي الله عنه ، قال : جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقال دلني على عمل يعدل الجهاد ، قال « لا أجده » قال هل تستطيع ، اذا خرج المجاهد ان تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر ، وتصوم ولا تفطر ؟ قال : ومن يستطيع ذلك . اخرجه البخاري .

● الرباطات

ولقد انشئت الرباطات في الاسلام على يد العلماء الأجلّاء الذين كانوا يعلّمون الناس الدين ، اقاموها في الثغور ليجمع فيها المتعلمون بين العلم والجهاد ، وقد اشارت دائرة المعارف الاسلامية في هذه المادة الى تعريف الرباط فقالت . الرباط هو المكان الذي يجتمع فيه الفرسان متأهبين للقيام بحملة من الحملات ولكن هذه الكلمة أطلقت على منشأة دينية وحربية ويتصل نظام الرباط بالجهاد ، فالرباطات قلاع واماكن يتجمع فيها الجنود عند الثغور الاسلامية المعرّضة للخطر فهي تشبه القلاع عند أهل الغرب كما تتخذ أبراج مراقبة لتحذير أهل البلاد المهددين وجنود الحاميات في داخل البلاد وعلى الحدود .

وكان معظم هذه الرباطات منشآت حكومية الا ان خدمة المحاربين فيها لم تكن بأي حال من الأحوال إجبارية ، فرجال الرباط والمرابطون متطوعون من اهل التقى والورع . نذروا أنفسهم للذب عن الاسلام .. وكان يشرف عليهم في التعليم شيوخ من أجلّاء العلماء .

وقد قام هؤلاء المرابطون بأعمال جليلة يذكرها لهم التاريخ الاسلامي بالفخر والاعتزاز ..

● علماء الدين كانوا قدوة

لم يقف العلماء بمنأى عن الجهاد . ولكنهم شاركوا عمليا في المعارك التي دارت بين المسلمين واعدائهم لم يستثن من كان مشهورا منهم بالتقى والصلاح والدعوة الى الله . ولكن هؤلاء كانوا في طليعة المجاهدين ، تذكر كتب التاريخ أن الشيخ أبا الحسن الشاذلي لم يمنعه كف بصره من الاشتراك في صدّ الحروب الصليبية معبئا النفوس والأرواح ومذكرا بالشهادة ومذكيا الروح الاسلامية وملبيا داعي الله ، ويقول الشعراني في مقدمة كتاب الطبقات الكبرى ، في ذلك « ولما اجتمع العلماء والأولياء في وقعة الإفرنج بالمنصورة قريبا من ثغر دمياط . جلس الشيخ عز الدين بن عبد السلام والشيخ مكين الدين الاسمر والشيخ تقي الدين بن دقيق العيد واضرابهم .. وظل كل منهم يتكلم .. وحين تكلم الشيخ ابو الحسن الشاذلي صاح الشيخ العز بن عبد السلام قائلا هلموا الى هذا الكلام القريب العهد من الله»

والشاهد في هذا الكلام أن العلماء كانوا يشاركون الأمة أعباء الجهاد . ولم يكونوا في معزل عن قضايا الشعوب العامة والخاصة .

ولقد تحمل علماء الأزهر قديما عبء الدفاع عن الشعب ضد ظالميه من الحكام والأمراء ولهم في ذلك مواقفهم المشهورة التي يذكرها التاريخ بالإعجاب والتقدير ..

كما أن مواقف العز بن عبد السلام والشيخ عبد الله الشرقاوي والشيخ احمد الدردير وغيرهم . مواقف لا ينكرها احد .

وتدل على تمكن روح الجهاد في نفوس العلماء حتى هانت لديهم الدنيا وَلَم يَعُدْ لها قيمة في نظرهم .

ويقول حاتم الأصم وهو من الشيوخ الأجلّاء العاملين توفى سنة سبع وثلاثين ومائتين . الجهاد ثلاثة : جهاد في سرك مع الشيطان حتى تكسره . وجهاد في العلانية في أداء الفرائض حتى تؤديها . وجهاد مع أعداء الله في عزّ الاسلام .

● من سير العلماء المجاهدين

ولنقلب معا صفحات التاريخ لنعثر على سيرة الفقية البطل أسد بن الفرات في طليعة المجاهدين الذين جمعوا بين فضيلة الجهاد في العلم والجهاد في الغزو .

نشأ هذا الفقيه العالم في المغرب ورحل في طلب العلم الى الحجاز حيث التقى بالإمام مالك رضى الله عنه ثم ارتحل الى العراق والى مصر وارتوى من معين الفقه في تلك البلاد التي رحل اليها ما طاب له حتى أصبح عالما يشار اليه بالبنان . واستقر به المقام في مدينة القيروان ، وكان مذهب الامام مالك قد اخذ باقطار نفسه فعكف على نشره ، واصبحت له حلقة بالقيروان غاصة بالمتعلمين يأتون اليه من كل فج وينهلون من علمه الفياض ويعودون وقد اخذ بمجامع قلوبهم .

وفي يوم كان يفسر قول الله تعالى : **(انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون)** التوبة / ٤١ وكانه أفاق من غشية كانت تعترية .

فلماذا لا يطبق هذه الآية عليه وهذا داعي الجهاد يدعو الى فتح صقلية .. وانخرط في سلك المجاهدين تحت قيادة زيادة الله بن الاغلب ، الذي حاول ان يثنيه عن عزمه قائلا له : إن ميدان جهادك لا يقل خطرا عن ميدان جهادنا ، ولكنه أصرَّ على موقفه وابى الا الاشتراك في المعركة القادمة .

وحملت السفن الجنود في طريقها الى صقلية وفي إحداها أسد بن الفرات العالم الجندي الذي كان قد شاخ ونيّف على السبعين .واخذ يخطب في الجنود حاثا لهم على القتال والجهاد ، وكان لموقفه وخطبته أثر عظيم في إلهاب حماس الجنود الذين تمكنوا من فتح صقلية وخضعت لحكم الاسلام فترة طويلة .

لقد أدرك هذا الشيخ قيمة الجهاد ، واستحيا من الله أن يدعو الناس الى الجهاد ولا يجاهد ، فطبق العلم على العمل فكان حقا على الله أن يجمع له بين المنزلتين . منزلة العالم ومنزلة المجاهد . وتلك عقبى الصالحين .

● الشجاعة الأدبية ●

على ان هناك ميدانا آخر لا يقل روعة عن ميدان الغزو في سبيل الله .. ذلك هو ميدان النصح للملوك والوقوف في وجه مظالمهم . وفي الأثر الكريم ان افضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر ..

وقد برز في هذا الميدان كثير من العلماء الأجلّاء الذين باعوا الدنيا بالآخرة وضحوا بأرواحهم في سبيل كلمة الحق والدفاع عن المظلوم وكّفّ الظالم عن ظلمه .

وأمامنا مثل في ذلك نكتفي به عن بقية الأمثلة التي تحفل بها كتب التاريخ نستمده من الحوار الذي تم بين سعيد ابن جبير والحجاج بن يوسف الثقفي . جاء في شذرات الذهب « لابن العماد » في حوادث سنة خمس وتسعين . فيها أراح الله العباد والبلاد بموت الحجاج بن يوسف الثقفي . ثم تحدث عن مظالمه التي استشرت حتى ضج منها الناس . قال ـ لما أُخبر الحسن البصري بموته سجد لله شكرا وقال . اللهم كما أمته فأمت سنته . ووجد في سجونه بعد موته ثلاثة وثلاثون ألفا لم يجب عليهم قطع ولا صلب ، ويقال إن زياد بن أبيه أراد أن يتشبه بعمر بن الخطاب في ضبطه وسياسته فتجاوز الحدّ ولم يصب ، واراد الحجاج أن يتشبه بزياد فدمَّر وأهلك .

ولقد قتل الحجاج سعيد بن جبير الوالي المقرىء المفسر الفقيه المحدِّث . أحد أعلام المسلمين في عصره وله نحو من خمسين سنة . اكثر روايته عن ابن عباس وحدَّث في حياته بإذنه وقيل كان أعلم التابعين سعيد بن جبير وأعلمهم بالحج عطاء . وأعلمهم بالحلال والحرام . طاووس وأعلمهم بالتفسير . مجاهد وأجمعهم لذلك سعيد بن جبير . وقتله الحجاج وما على وجه الارض أحد الا وهو مفتقر الى علمه .

وقال الحسن يوم قتله :

اللهم أَعِنْ على فاسق ثقيف . والله لو أن أهل الارض اشتركوا في قتله لكبهم الله في النار . وفي المحاورة التي جرت بين سعيد والحجاج يوم قتله شفاء لصدور اهل العلم وحجة لهم على اهل الظلم من الولاة والخلفاء .

قال ابن العماد :

لما دخل سعيد بن جبير على الحجاج قام بين يديه فقال له ـ **أعوذ منك بما استعاذت به مريم بنت عمران حين قالت . أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا** .

فقال الحجاج . ما اسمك ؟

قال سعيد : سعيد بن جبير .

قال الحجاج . بل شقي ابن كسير .

قال سعيد . أمى أعلم باسمي منك .

قال الحجاج . شقيتَ وشقيتْ أمك .

قال سعيد . الغيب يعلمه غيرك .

قال الحجاج . لأوردنك حياض الموت .

قال سعيد . أصابت إذن أمي .

قال الحجاج . فما تقول في محمد صلى الله عليه وسلم .

قال سعيد . نبي ختم الله تعالى به الرسل وصدق به الوحي وأنقذ به من التهلكة . إمام هدى . ونبي رحمة .

قال الحجاج . فما تقول في الخلفاء ؟
قال سعيد . لست عليهم بوكيل . إنما استحفظت أمر ديني .
قال الحجاج . فأيهم أحب اليك ؟
قال سعيد . أحسنهم خلقا وأرضاهم لخالقه .
قال الحجاج . فما تقول في علي وعثمان ؟ أفي الجنة هما أم في النار ؟
قال سعيد . لو دخلتهما فرأيت أهلهما . إذن لأخبرتك . فما سؤالك عن أمر غُيِّبَ عنك ؟
قال الحجاج . فما تقول في عبد الملك ابن مروان ؟
قال سعيد . تسألني عن امرىء انت واحد من ذنوبه ؟
قال الحجاج . فما لك لم تضحك قط ؟
قال سعيد . كيف يضحك من خُلِقَ من تراب وإلى التراب يعود ؟
قال الحجاج . فإني أضحك من اللهو .
قال سعيد . ليست القلوب سواء .
قال الحجاج . فهل رأيت من اللهو شيئا ؟
ودعا بالناي والعود ، فلما نفخ بالناي بكى سعيد ـ رضي الله عنه ـ فقال الحجاج ، ما يبكيك ؟
قال . ذكرني يوم ينفخ في الصور . فأما هذا العود فمن نبات الارض وعسى أن يكون قد قطع من غير حقه وأما هذه المغاش والأوتار فإنها سيبعثها الله معك يوم القيامة .
قال الحجاج . إني قاتلك .
قال سعيد . إن الله وَقّتَ لي وقتا أنا بالغه . فان يكن أجلي قد حضر فهو أمر قد فرغ منه ولا محيص عنه ، وإن تكن العافية فالله أولى بها .
قال الحجاج . فاذهبوا به فاقتلوه . .
قال سعيد . أشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له . استحفظكها يا حجاج حتى ألقاك يوم القيامة .
فلما تولوا به ليقتلوه . ضحك سعيد . فقال الحجاج . ما أضحكك ؟
قال سعيد . عجبت من جرأتك على الله . وحلم الله جَلَّ وعلا عليك ،
ثم استقبل القبلة فقال . وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين .
قال الحجاج . اقتلوه عن القبلة .
قال سعيد . فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم .

قال الحجاج : اضربوا به الأرض
قال سعيد : منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى .
قال الحجاج : اضربوا عنقه .
قال سعيد : اللهم لا تحل له دمى ولا تمهله من بعدي

فلما قتله لم يزل دمه يجري حتى علا وفاض ودخل تحت سرير الحجاج ، فلما رأى ذلك هاله وأفزعه ، فبعث الى صادوق المتطبب فسأله عن ذلك فقال . لأنك قتلته ولم يَهُلْه ففاض دمه ولم يجمد في جسده ، ولم يخلق الله عز وجل أكثر دما من الانسان .

فلم يزل ذلك الفزع بالحجاج حتى منعه النوم ، وجعل يقول مالي ولك ياسعيد بن جبير وكان في جملة مرضه كلما نام رآه آخذا بمجامع ثوبه يقول له . ياعدو الله فيم قتلتني ؟ فيستيقظ مذعورا ومازال كذلك حتى مات

فزعا ..

هذا مثل طيب من أمثلة العلماء الأجلّاء الذين لا يرهبون صولة السلطان ، لأن سلطان الله ملأ قلوبهم رهبة وخشية وأضاء أرواحهم بنور المعرفة واليقين فلم يعد يهمهم رضاء بشر أياً كان .

مثل من سعيد بن المسيب :

ومن أمثلة الشجاعة الأدبية ما حدث من سعيد بن المسيب المخزومي ، الذي كان أحد أعلام الدنيا وسيد التابعين وواحدا من الفقهاء السبعة ، وقد رأى الدنيا تكفي مؤنتها اربعمائة دينار ، فلما امتلكها اتجر بها في الزيت وجعل يرتزق منها دون أن يقتضي عن علمه مالاً ودون أن يمدّ يده للعطاء ، ولما مات العبادلة المشهورون صار الفقه في جميع البلدان الى الموالي الا المدينة فكان فقيهها سعيد بن المسيب . وقد جمع بين العلم والعمل .

وكان ذنبه فيما رواه الاستاذ سيد الأهل في كتابه عن عمر بن عبدالعزيز ـ أنه رفض البيعة لولدي عبدالملك بن مروان في حياته . لأنه كان يرى أن تكون الخلافة شورى بين المسلمين ، وأنه لا ينبغي أن يختار الخليفة أبناءه خلفاء من بعده وأصَرَّ سعيد على موقفه الذي يمليه عليه دينه وعلمه .

وكان والي المدينة إذ ذاك هشام بن اسماعيل ، فلم يغتفر له هذا الخطأ لمكانته من الجاه أو العلم أو التعبد ، فاستدعى هشام سعيدا فضربه ستين سوطا وطاف به وهو في تبان « لباس قصير كلباس الاستحمام والمصارعة » وعليه مسوح ، وطاف به على الناس ، حتى اذا بلغ الثنية التي كانوا يقتلون عندها العصاة رده حياً .

فحزن سعيد حين ردوه لأنه ظن أنه مقتول فلم يعارض لبس المسوح والتبان ، ولو علم أنه لن يقتل لرفض لبسهما ، وحين جاء الوليد بن عبدالملك الى المدينة ـ في خلافة عمر بن عبدالعزيز عليها ، والوليد هذا هو الذي رفض سعيد أن يبايع له في خلافة والده . وقد أصبح الآن خليفة .

فودَّ عمر بن عبدالعزيز ألا يلقي الوليد سعيدا حتى لا تثور العاصفة من جديد ضده .

ولكن سعيدا كان يلازم مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم . ولا يبرحه فكيف لا يلقاه ؟

وكان عمر قد أمر أن يُخلي المسجد للخليفة ، فلم تجرؤ الشرطة أن يحملوا سعيدا على الخروج ..

وكأن الله قد أراد أن يرفع من شأن العلم ويعلي من قدره فجعل الخليفة يمر في ردهات المسجد بعد تجديده ، ويعجب بما يرى ..

وحانت منه التفاتة فرأى سعيدا جالسا في المحراب ، فقال . من هذا الشيخ ؟ أهو سعيد بن المسيب ؟ فأجاب عمر بأنه هو .

وحاول عمر أن يعتذر عنه للخليفة قائلا .

لو علم بمكانك لقام فسلم عليك وهو

ضعيف البصر .

فقال الوليد . قد علمنا حاله ونحن نأتيه .

ودار الوليد في المسجد ثم جاء لسعيد في مجلسه . فقال : كيف حال الشيخ ؟ فما تحرك سعيد . ثم قال : بخير والحمدلله . فكيف أمير المؤمنين ؟ وكيف حاله ؟

قال عمر بن عبدالعزيز وهو يروى هذه القصة . ثم انصرف الوليد وهو يقول هذا بقية الناس . وأنا أقول . أجل ياأمير المؤمنين .

فانظر كيف كان موقف هذا العالم من السلطة ، وكيف احترمته حين رأته يحرص على احترام علمه .

وبعد :

فهذه أمثلة صادقة عن طائفة من علمائنا البررة الذين أدركوا حقيقة العلم وزينوه بالعمل ، ورفعوا مناره عاليا بالجهاد فأضاءت بهم الدنيا وصاروا فيها مثلا عليا . وهكذا يكون العلماء .

إن الله جَلَّ وعلا أكرم العلماء بالعلم فمن واجبهم أن يحفظوا هذه النعمة ويشكروها بأن يرفعوا من قدره أمام الناس فلا ينبغي أن يكونوا في ركاب السلاطين والأمراء ولا ينبغي أن يرفعوا المادة فوقه بحيث يتهافتون عليها ويتنافسون فيها .

والحق أن بين علمائنا نخبة أدركوا قيمة ما أنعم الله به عليهم فصغر في أعينهم كل شيء عدا هذه النعمة التي اعتبروها منة من الله فصانوها بالشكر وحفظوها بأداء حقها الذي شرعه الله . وهم وإن كانوا قلة إلا أنهم قدوة صالحة وأسوة حسنة .

كلمة تحية :

أذكر أستاذا كان يدرّس لنا مادة العلوم « في الثلاثينات » وهذا الاستاذ اجتذبته هواية الصيد « صيد الطيور النادرة » التي كادت تنقرض :

فكان يصطادها مكلفا نفسه المشقة في ذلك ، ثم يحاول تشريحها والاحتفاظ بها في متحف أعده لذلك وكتب في واجهته هذه العبارة :

ضحينا بها في سبيل العلم ونحن نضحي بأنفسنا في سبيل الوطن .

ولم تكن قولته هذه مجرد شعار أجوف ، ولكنها قولة صادرة عن إخلاص يشهد به تفانيه في العمل ودروس الوطنية التي كان يبثها في طلابه إلى جانب ما كان يلقيه أمامهم من علوم ، والإيمان بقدرة الله التي كانت تنطق بها عباراته وهو يقرر لهم دروس الأحياء والمشاهدة .

وانطوت الأيام . ورأيت هذا الاستاذ بعد سنوات فاذا به قد تزهد في الدنيا وأكسبه تفانيه في العلم لذة هونت أمامه ما كان ينتظره من مناصب . فوفر نفسه على البحث والدراسة والاطلاع مكتفيا من الدنيا بالكفاف ..

لذلك ذكرني هذا الاستاذ كلمة قالها . احد العلماء القدامى .

نحن في لذة لو أدركها الملوك لقاتلونا عليها بالسيوف ..

محاضرات

من حكم الحج وأسراره

للدكتور / فؤاد خدرجي العقلى

١ - في الحج تتمثل أركان الاسلام كلها :

الحج هو الركن الخامس من أركان الاسلام الأساسية التي قام عليها بناؤه ، وهذا الركن تتمثل فيه عناصر هامة من الأركان السابقة عليه ، فان من شهد أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله ، كان لزاما عليه أن يلبي دعوته له ، لحج بيته حيث قال

تعالى : (**ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا**) آل عمران ٩٧ .

وأن يستجيب لدعاء خليل الله ابراهيم عليه السلام ، حين أمره ربه أن يؤذن في الناس بالحج في قوله : (**وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق**) الحج/٢٧ وأن يستجيب لأمر رسول الله ، صلى الله عليه وسلم في قوله : (يا أيها الناس إن الله قد فرض عليكم الحج فحجوا) رواه مسلم .

واذا كانت الصلاة متجه المصلى فيها هو بيت الله الحرام ، فان الحج هو قصد التوجه والسفر لزيارة هذا البيت الحرام ، واذا بدئت الصلاة بالاحرام والتكبير فأن بداية الحج هي الاحرام والتلبية ، واذا ختمت الصلاة بالسلام ، فان الحاج يختم حجه بالسلام على نبي الاسلام ، عليه الصلاة والسلام .

■ واذا كانت الزكاة نزولا عن جزء من المال طلبا لمرضاة الرحمن ، فان في الحج نزولا عن بعض المال في نفقات السفر والاقامة والعودة ، واعداد الهدى وغيره ، كل ذلك ابتغاء مرضاة الرحمن .

■ واذا كان الصيام امتناعا عن ملذات البدن وشهواته طلبا لمرضاة

رب العالمين ، فان في الحج تجردا من زينة اللباس والرياش ، وهجرا للأهل والولد والمال والوطن ، ابتغاء وجه الله ، واستهدافا لرحمته ، وفي الحج امتناع عن لغو القول وفاحش اللفظ كما قال تعالى : (**فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج**) البقرة/١٩٧ ، وكما قال صلى الله عليه وسلم « من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه » متفق عليه . كما أن في الصوم امساكا عن فاحش القول ، وبذىء اللفظ ، مصداقا لقول الرسول ، صلى الله عليه وسلم : « إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ، فان سابه أحد أو قاتله فليقل إني صائم »متفق عليه .

ب ـ الحج ركيزة من ركائز القوة في الاسلام :

إن الحج مظهر من مظاهر القوة في الاسلام ، فالاسلام يريد لأتباعه القوة الكاملة الشاملة لشتى صور القوة ، وما أوامر الله لنا في شعائر الحج المختلفة إلا عناصر أساسية في تحقيق صور القوة المتنوعة ، وما امتثالنا لهذه الأوامر وقيامنا بأداء هذه الشعائر ، إلا مظاهر صادقة على أننا حصلنا على هذه الألوان من القوة .

إننا اذا تأملنا شعائر الحج وتصفحناها واحدة واحدة لوجدنا كلا منها ترمز الى صورة من صور تلك القوة التي يريدها الاسلام لأتباعه ، فمثلا ، الاحرام يمثل القوة الروحية ، حيث يتجرد الحاج من زينة الملبس مكتفيا بما يواري سوأته ، كما يهجر

أهله وأحبابه ودنياه ! مهاجرا الى ربه ، مقبلا عليه بكل همته .
كما أن الطواف حول البيت يمثل معنى روحيا عميقا ، فان دوران المسلم حول الكعبة ، هذه الدائرة التي يرسمها بدورانه ومركزها الكعبة ، ترمز الى أن المسلم مهما شرق أو غرب ، أو أيمن أو أشمل ، فمركز حياته هو دين الله وشرعه الذي ترمز اليه الكعبة ، ومحور تصرفاته كلها وقطب الرحى في سلوكه هو هذا الدين الذي هو منهج الله الذي رسمه ليحيا به المسلم .

■ كما أن قطع نهار عرفة وجزء من ليلة النحر في مناجاة الله ودعائه ، وتكبيره وتسبيحه ، والضراعة والابتهال اليه ، في ذلك أسمى مظاهر القرب من الله ، وتحصيل أعلى مستوى من القوة الروحية والدينية .
كما أن السفر بما يكبده للحاج من مشقات ، في قطع الأبعاد الشاسعة والمسافات الواسعة ، وكذا الطواف حول البيت والسعي بين الصفا والمروة ، بما فيه من صعود وهبوط ، مسرعا ومبطئا ، أشواطا بعد أشواط ، كل ذلك يمثل مظهرا من مظاهر القوة البدنية والعسكرية التي يحبها الاسلام للمسلمين .
■ ثم هذه الأموال التي لا بد من توافرها ، لتنفق على السفر والاقامة واجتلاب الهدى ، وتوزيع الصدقات ، إن هي إلا أموال دعى المسلمون الى كسبها من وجوهها المشروعة ، وانفاقها في حاجات المسلمين ومصالحهم ، ثم ما يتبع قيام موسم الحج من رواج تجاري ، وتبادل سلعي ورخاء اقتصادي مقصود اليه في قول الله تعالى : (**ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم**) البقرة/١٩٨ .
كل ذلك من مظاهر القوة الاقتصادية التي أرادها الله للمسلمين .
وصفوة القول أن الحج أحد عوامل القوة التي أرادها الله لهذه الأمة ، فقد أراد ـ سبحانه ـ لأمة الاسلام أن تستجمع كل عناصر القوة وأسبابها ، التي لا بد منها لأمة كتب الله لها الخلود ، حيث حفظ عليها دينها ، وصان لها كتابها الى يوم القيامة فقال تعالى : (**إنا نحن نزلنا الذكر و إنا له لحافظون**) الحجر/ ٩ .

ج ـ الحج فرصة ذهبية لجمع الكلمة ، وتوحيد الصفوف :

وأحب هنا أن أركز على فائدة للحج ! هي في نظري ، أهم الفوائد الاجتماعية للحج ، لأنها تعود بأعظم النفع على الجماعة الاسلامية كأمة أراد الله لها العزة والمنعة ، وكتب لها السؤدد والرفعة ، طالما تمسكت بشرع الله ، وسارت على نهجه المستقيم الذي رسمه لها .
إن الواجب على المسلمين أن يتنبهوا الى ما يراد بهم ممن حولهم من أعداء الاسلام وأن يترابطوا ويتحدوا قلبا وهدفا ، فيتخذوا من هذا المؤتمر الاسلامي الأكبر ، الذي يقيمه لهم دينهم كل عام فرصة ذهبية للتفاهم ، ونسيان تلك الخلافات الصغيرة ، وذلك كي يعود المسلمون ، كما أراد

الله لهم : (**بنعمته إخوانا**) آل عمران/١٠٣ .
ومن حكمة العليم الحكيم ، الرحيم الخبير بأحوال خلقه ، ومصالح عباده ، أن جعل اجتماع المسلمين على هذه الفريضة المقدسة ، واجبا حتميا ، وركنا أساسيا من أركان دينهم ، لتظل الفرصة سانحة ، والظروف مهيأة ، والأسباب متاحة لالتقاء المسلمين ، لقاء متجددا ، عاما بعد عام ، وكأن الله ـ سبحانه ـ يناديهم : يا معشر المسلمين ، إن باب التصالح والتصافي والتحاب بينكم مفتوح على الدوام ، فمن تقاعس عن لقاء اخوانه هذا العام ، ومن غلبته جواذب نفسه فأقعدته عن تلبية الدعوة هذه السنة ، فلا يزال الباب أمامه مفتوحا لم يوصد ، فيما يلى من أعوام .

■ إن الحق ـ تبارك وتعالى ـ قد أراد لهذه الأمة الوحدة الشاملة ، القائمة على المحبة والأخوة والتعاون والبر والتقوى ، نقرأ في ذلك قوله ـ سبحانه ـ : (**إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون**) الأنبياء/٩٢ .
وقوله : (**إنما المؤمنون إخوة**)الحجرات/١٠ ، وقوله تبارك وتعالى : (**وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان**)المائدة/٢
لذلك حرص الاسلام على حراسة هذه الوحدة الاسلامية الكبرى ، وصيانتها من أي تفكك أو ضعف ، فأقام هذا المؤتمر السنوي العظيم ، قصدا الى تدعيم هذه الوحدة .

د ـ حتى يكون حجنا مبرورا :
ثم لا ينبغي أن ينسينا الاسترسال في ذكر حكم الحج وأسراره الاجتماعية والحياتية ، المقصد الأسمى لهذه الرحلة المباركة ، وهو استكمال المسلم فرائض الاسلام ، وتطهير نفسه من الذنوب والآثام ، ولم يقصد بها أبدا أن تكون محلا للرياء والسمعة ، والتفاخر والمباهاة ، وكأن بعض المسلمين انما يخرج للحج ليحصل على لقب « حاج » .

■ واذا كان الشرع لم يقصد بطلب الصلاة والزكاة والصوم إلا أداء فرض الله ، وتزكية نفس صاحبها ، فان مقصده ـ بالدرجة الأولى ـ في الحج امتثال أمر الله ، وتعظيم فرائضه ، وتطهير نفس الحاج وغفران ذنوبه .
ان رحلة الحج ليست رحلة ترفيهية أو سياحية ، انما هي هجرة الى الله ورسوله ، وتخفف من ذنوب الحياة الدنيا وآثامها ، بزيارة بيت الله الحرام ، ففي رحابه الطاهرة تزكو النفس ، وترتفع درجة إيمانها ، حين تطالع قبلة الاسلام الأولى ، وتشاهد مهابط الوحي وآثار النبوة ، وتستغرق في الأنوار المحمدية عند مثول المسلم بين يدي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في الروضة الشريفة ، الى حفوف رحمات الله بالمسلم في عرفات ، وما يتنزل هنالك من بركات وفتوحات وفيوضات .
وحتى تكون حجتك ، يا أخى المسلم

مقبولة عند ربك ، فهناك بعض الآداب والشروط التي ينبغي مراعاتها ، نوجزها فيما يلي :

١ ـ اذا اعتزمت الحج فعليك أن تبدأ بالتوبة من جميع الذنوب ، فترد المظالم الى اصحابها ، فان كنت اغتصبت مالا فرده لصاحبه ، او ضربت انسانا أو شتمته أو آذيته بوجه من الوجوه ، فمكنه من نفسك لينال منك حقه ، واذا كان عليك دين قضيته قبل سفرك ، واذا كانت لديك أمانات أو ودائع أديتها الى أهلها .

٢ ـ أن يكون المال الذي اعددته لنفقات الحج ذهابا وايابا وإقامة ، وشراء هدى ، وتصدقاء من حلال ، وكسب طيب فان الله طيب لا يقبل الا طيبا .

٣ ـ ينبغي حسن اختيار رفقاء السفر من الصالحين الذين يعينونك على الخير ، إن نسيت ذكروك ، وإن ذكرت اعانوك ، وإن عجزت قووك ، وأحسن معاشرتهم ، وألن لهم الكلام : (**فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج**) .

٤ ـ التوسعة على الفقراء والمساكين بالنفقة والصدقة حسب الاستطاعة .

٥ ـ أن تكون طيب النفس بما تنفق من مال ، وبما تلقى من مشقة في سبيل مرضاة الله عز وجل ، في غير منّ ولا أذى ، وفي غير مباهاة ولا فخر .

٦ ـ أن تعلم أن حجة واحدة مقبولة عند الله ، أفضل من ألف حجة غير مقبولة ، فليست المسألة بالكثرة ، إنما المهم هو القبول .

فاحرص على ان تكون حجتك مبرورة ، وبدلا من تكرار الحج مرات ومرات دون مراعاة لشروط الحج وضوابطه وآداب قبوله ، فاني أقول لك : إنك إذا أديت فريضة الحج على الوجه الاكمل مرة ، فخير لك بعد ذلك ، **أن تنفق ما تريد انفاقة في وجوه الخير الأخرى التي تعود على المجتمع الاسلامي بالنفع ، وعلى الاسلام بالقوة** ، من المساهمة في اقامة المساجد ، وبناء المدارس والمستشفيات ، والمصانع والمشروعات العمرانية التي يعود نفعها على المسلمين ، وكذلك إعالة الاسر التي فقدت عائليها ، أو قصرت مواردها عن تلبية احتياجاتها ، كل ذلك ونحوه خير لك من تكرار الحج بعد اداء الفريضة ـ وهذا ترشيد لك ايها المسلم ـ بما هو الاصلح لدينك ووطنك .

وأخيرا ـ أخي المسلم ـ إن هذه الرحلة تذكر المؤمن بالرحلة للآخرة ، فما أشبه السفر اليها ، بالسفر الأخير لملاقاة المولى عز وجل ، ووداعك الاهل والاحباب ، كوداعك لهم في سكرات الموت ، وفراق الاوطان والاصحاب ، كفراق الدنيا بالموت ، والالتفاف في ثياب الاحرام كالالتفاف في اثواب الاكفان ، ودخولك الميقات للاحرام ، كدخولك القبر وهو ميقاتك ، للقيامة ، ومن التلبية في الحج تتذكر تلبية داعي الله ـ عز وجل ـ لك عند البعث./ احياء علوم الدين للغزالي . ج ٣ ص ٤٧٥ وما بعدها .

وختاما أبشر ـ يا أخي الحاج ـ بقبول حجك ، وغفران الله لك ، وتنزل رحماته عليك في عرفات .

في القلب عبرة وفي النفس فرحة بعيد الفداء

للدكتور/محمد عبدالحكم مهدي

ويحين من جديد عيد نحرنا ، عيدنا الأكبر ، عيد التضحية والفداء .. وتهل نسماته لتزيل ما علق بالنفوس من أحزان وهموم . وتسطع شمسه لتنير في القلب أنوار الايمان والمعاني السامية والمثل العليا . ويظل العيد موعدا متجددا لفرحة النفس ، وعبرة الايمان في القلب .

وبحلول العيد ، وفرحة الصغار ، وبسمات الكبار ، وأضحية تنحر ، وأهل واصدقاء يتزاورون لابد أن يثور في الذهن سؤال : لماذا عيد الاضحى ؟ ولعل حكمة العيد تكمن فيما يلي :

١ - ان العيد وقفة سنوية لتجديد الصحة النفسية للمسلم . فحينما يمر عام يكون قد مر على الانسان من هموم الحياة ومشاكلها وانشغاله بها ما عكر صفو أيامه ولياليه . والعيد وقفة لكي يوقن الفرد المسلم ان دوام الحال من المحال ، وأنه لابد بعد العسر يسرا ، وبعد الضيق فرجا ، وبعد الشدة رخاء وهناء . وبذلك يقبل المسلم على الحياة من جديد ، ويثق أنه لابد واجد حلا لمشاكله . ولا يخفى ما لأهمية

تجديد الصحة النفسية للفرد المسلم من ضرورة بالغة من اجل بناء مجتمع مسلم صحيح وقوي وسعيد .

٢ ـ ان العيد تجديد للعقد الاجتماعي بين افراد المجتمع المسلم . وهذا العقد ليس مبنيا على ما نادى به الفيلسوف جان جاك روسو من ان الحاجة هي اساس المجتمعات الانسانية ، ولكنه مبني على اساس اخر هو الحب في الله ان تحب لأخيك كما تحب لنفسك وتكره له ما تكره لها . انه النموذج المشرق والفريد للعلاقة الانسانية القائمة على المثل العليا . فحين يحل العيد يجب على الفرد المسلم ان يزور اهله واصدقاءه وجيرانه ، وبذلك يصفي ما بينه وبينهم من مشكلات يومية تافهة ، يصفيها بالحب والهدوء والتفاهم . وعليه فانه يجدد صلاته معهم ولا يبقى بين افراد هذا المجتمع غير الحب في الله والصداقة لوجهه وحده .

٣ ـ ان العيد تجسيد لمعنى الوحدة الاسلامية ففي يوم معين ومحدد هو العاشر من ذى الحجة من كل عام يحل عيد الاضحى ، ويذكر المسلمون جميعا في مشارق الأرض ومغاربها ومع اختلاف ألوانهم وألسنتهم وجنسياتهم قصة ابراهيم الخليل وولده اسماعيل ، وفي ذلك اشارة لهم انه مهما اختلفت مواقعكم ومشاكلكم فأنتم جميعا متحدون واخوة متحابون في هذا الدين الحنيف . وحينما تختلفون ـ دون شطط او تجاوز او رغبة في الخلاف ـ فإنكم في الأصل متحدون مترابطون . انها الوحدة الاسلامية الكبرى التي لا تنفصم عراها ولا تذبل مواثيقها ، ولا تبلى أصولها وتشيخ .

٤ ـ وفي العيد تذكير بأداء فريضة الحج ، الركن الخامس في الاسلام « **ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا** » (آل عمران/٩٧) ، « **وأذّن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق** » ـ الحج/٢٧ . في العيد تذكير وترغيب باداء تلك السياحة الروحية الخالصة في الأرض المقدسة ، ومعايشة أنصع فترات تاريخ الاسلام والمسلمين وتلبية لنداء الله العلي القدير « لبيك اللهم لبيك .. لبيك لا شريك لك لبيك » .

٥ ـ ان العيد احتفال بالانتهاء من اداء ركن هام من اركان الاسلام الا وهو الحج الذي يتميز بمجاهدة ومشقة بدنية ونفسية ، وهو يماثل الركن الآخر من اركان الاسلام الذي يتميز بنفس الصفات ألا وهو الصوم وفي ذلك بيان لأهمية هذين الركنين المتميزين من اركان الاسلام : الصوم ذلك العمل الوحيد الذي لو أدى صحيحا فانه يكون لله وهو سبحانه يجزي به

يقول رب العزة في الحديث القدسي « كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فانه لي وأنا أجزي به » ـ رواه البخاري ومسلم .

والركن الثاني هو الحج الذي لو أدى صحيحا بلا رفث ولا فسوق ولا جدال فان صاحبه يعود نقيا طاهر

الذيل كيوم ولدته أمه « من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه » - رواه البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجة .

من هنا تبدو اهمية الاحتفال بالانتهاء من اداء هذين الركنين الهامين من أركان الاسلام حيث يأخذ المسلم - عن طريق أدائهما - زادا ومعينا يساعده على إكمال المسيرة الإيمانية لمدة عام جديد . ومن هنا جاءت حكمة العيدين : عيد الفطر وعيد الأضحى .

٦ - وفي عيد الاضحى المبارك تحل ذكرى قصة الفداء : قصة ابراهيم عليه السلام وولده نبي الله اسماعيل . قصة أب شيخ أمره الله سبحانه وتعالى أن يذبح ولده ليرى امتثال نبيه لأوامره ، وولد مطيع يدرك أن أباه لا ينطق عن الهوى ، ولا يطلب إلا ما أمر به ربه ، والتضحية كبيرة ، والخطب عظيم ، ولنتدبر القصة من مفاهيم جديدة :

أ) بالنسبة لابراهيم الخليل نرى مدى خطورة الابتلاء ، وفداحة الطلب ، فالمطلوب هو ذبح اسماعيل ولده الوحيد من زوجته هاجر . ولده الوحيد الذي سبق أن تركه وأمه في قلب صحراء جرداء بلا زرع ولا ماء ولا أنيس فكانت حكمة الله بتحقيق دعاء ابراهيم ورزق هاجر وابنها الماء والسكن والأمن . ثم يجيء الأمر بذبح ذلك الابن ولنا أن نتخيل ما في الأمر من مشقة حتى مع نبي لله ورسول يهدي الى الحق .

ب) وبالنسبة لاسماعيل عليه السلام نرى معنى التسليم - مع صغر السن - بأمر الرب وأمر الأب . التسليم بأن ما رآه الوالد حقا وصدقا وأن ما أراده الرب لابد وأن يكون لحكمة لا يمكن أن تكون شرا . من هنا ايضا تتضح نجابة الابن وفطنته وتضحيته ورجاحة عقله مع أنه كان يخطو أولى خطواته نحو الشباب وفورته وحماسه .

جـ) قد يثور تساؤل : لماذا اختار الله سبحانه وتعالى ابراهيم الخليل وابنه اسماعيل دون غيرهما من الرسل لهذا الابتلاء العظيم ؟ قد يبدو السؤال غريبا لكن التفكير الهادىء يمكن أن يقودنا الى الحكمة من وراء هذا الاختيار . إن الدارس لحياة رسول الله ابراهيم عليه السلام يرى أنه كان عقلانيا فقد اهتدى الى الايمان بعقله بعد أن مَنَّ الله عليه بهذا العقل المتزن ومنحه هذا القلب العامر بالتقوى .

« **وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين . فلما جَنَّ عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين . فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين . فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا اكبر فلما أفلت قال ياقوم إني بريء مما تشركون . إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين** » - الانعام/ ٧٥ - ٧٩

وحينما أمره الله بتبليغ رسالته لقومه كان اسلوب دعوته عقلانيا

ايضا ومنطقيا بالضرورة . « **وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم** » (الانعام/٨٣) .

لذا لم يقبل من أهله استمرار عبادتهم للأصنام لمجرد أن آباءهم كانوا لها عابدين « **إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون . قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين . قال لقد كنتم أنتم و آباؤكم في ضلال مبين** » (الانبياء/٥٢ - ٥٤) . لأنه ليس من المعقول أن يعبدوا إلها لمجرد التقليد والمحاكاة وبدون اقتناع عقلي يقوم على أسباب وحجج . وحينما أراد أن يهز ابراهيم عليه السلام عقول أهله من الأساس قام بتحطيم الأصنام وادعى أن هذا العمل من فعل كبير الأصنام لكي يعجز أهله بالمنطق والحجة حينما يروا الفأس معلقة في كتف كبير الأصنام « **وتا لله لأكيدن اصنامكم بعد أن تولوا مدبرين . فجعلهم جذاذا إلا كبيرا لهم لعلهم إليه يرجعون . قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين . قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم . قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون . قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم . قال بل فعله كبيرهم هذا فأسألوهم ان كانوا ينطقون . فرجعوا الى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون . ثم نكسوا على رؤوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون** » - (الانبياء/٥٧ - ٦٥) .

ومن دلائل عقلانية ابراهيم عليه السلام أنه سأل ربه ليريه كيف يحيى الموتى ولم يكن ذلك نتيجة ضعف في ايمانه ولكن السبب أن ابراهيم اراد أن يرى معجزة الخلق والموت رؤية العين والتجربة « **وإذ قال ابراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهنّ اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم أن الله عزيز حكيم** » - البقرة/ ٢٦٠ .

ويتضح استخدام ابراهيم عليه السلام للعقل والمنطق والحجة البالغة وقدرته على المحاورة والإفحام عند لقائه بالملك النمرود حيث ادعى النمرود أنه إله قادر على أن يحيي ويميت بمعنى أنه يستطيع أن يقتل أي فرد أو أن يتركه حيا وأفحمه ابراهيم عليه السلام حينما طلب منه أن يأتي بالشمس من المغرب بدلا من المشرق إن كان إلها حقا فسقط في يد الملك « **ألم تر إلى الذي حاج ابراهيم في ربه أن أتاه الله الملك إذ قال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال ابراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين** » - (البقرة/٢٥٨) .

من هنا نرى أن ابراهيم عليه السلام كان عقلانيا وأن عقله كان يأخذ بالأسباب ، ولما كانت رسالة ابراهيم هي الاسلام ، لذا فقد أراد الله سبحانه أن يعلم نبيه ابراهيم

صفة التسليم ، ويدربه عليها ، ويدخلها إلى قناعاته الداخلية قولا وعملا . ولا يكون التسليم واقعا إلا بالاقتناع والايمان أنه يمكن - بارادة المولى عز وجل - تحقيق النتائج بلا اسباب منطقية أو عقلانية ، وخرق الناموس الطبيعي لقوانين الحياة من أجل حكمة إلهية يريدها المولى جل وعلا ، وعليه فقد كانت نجاته من النار - حينما أراد قومه أن يحرقوه لأنه كَسَّرَ أصنامهم - خرقا لناموس الكون والعقل والمنطق وتدليلا على قدرة الله على تحقيق النتائج بلا أسباب . وكذلك كان وحي الله لنبيه ابراهيم أن يترك ولده اسماعيل وزوجته هاجر وسط الصحراء الجرداء حيث لا زرع ولا ماء خرقا لناموس الكون ايضا بالمقاييس البشرية وكانت مشيئة الله وقدرته هي التي فجرت بئر زمزم وأوجدت أسباب استمرار الحياة لهاجر وولدها اسماعيل .

وكانت مشيئة الله أن يهب لنبيه ابراهيم أولادا من زوجته الأولى سارة رغم تقدم العمر بهما خرقا لناموس الكون والعقل والمنطق أيضا لكنها كانت ارادة الله التي تحقق النتائج بلا أسباب . « **قالت ياويلتا أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا إن هذا لشيء عجيب . قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد** » - (هود / ٧٢ و ٧٣) .

واخيرا كان الابتلاء الأخير لابراهيم ، إنه الابتلاء الأكيد والأهم لاختبار امتثاله لأوامر الله مهما كانت صعبة لا تستند الى المفهوم البشري - الى منطق أو سبب ، لكنه اختبار جاء في ميعاده ، وكان نجاح ابراهيم عليه السلام في امتحانه مذهلا ، وكان لا يقدر عليه سواه ولا يمكن أن يناط هذا الاختيار بغيره . ومن هنا تأتي الحكمة بأن رسالة ابراهيم هي رسالة الاسلام ، رسالة التسليم لله ، ومن هنا كذلك تأتي صلة رسالة نبينا محمد ابن عبدالله برسالة جده ابراهيم . فكل منهما تقوم على التسليم المطلق والكلي لأوامر الله وكل منهما تعتمد على العقل كأساس للاقتناع والاقناع دون معجزات مادية خارقة لأن كلا منهما ، هي عقيدة الفطرة التي فطر الله الناس عليها . ومن هنا اخيرا كان انتساب المسلمين جميعا لابراهيم المسلم الأول والأعظم .

وأما بالنسبة لاسماعيل عليه السلام فان الأمر يبدو منطقيا فهو الطفل الذي نشأ بين أحضان الصحراء على القوة والجلد والاحتمال . وهو الصبي الذي استطاع أن يقهر الجياد البرية ويروضها . وهو الشاب الذي خصّه ربه بأن تكون نشأته وصباه وحياته حول بيت الله العتيق وفي رحاب الأرض المقدسة التي بارك الله فيها وحولها . بل هو اسماعيل الذي ساعد وشارك أباه ابراهيم في رفع القواعد من البيت الحرام وتطهيره للطائفين والعاكفين والركع السجود :

« **وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وعهدنا الى ابراهيم**

واسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود . وإذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وبئس المصير . وإذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم » - (البقرة/ ١٢٥ - ١٢٧) .

ومن هنا كان قبول الابن بأمر الله وأمر نبيه مقنعا له دون سواه ، ومن هنا كانت عظمة الابن في قبول أمر الله رغم أن الأمر كان يعني تعريض حياته ذاتها للهلاك والفناء .

د) ولنتدبر الآن قصة الفداء كما وردت ببلاغة منقطعة النظير واعجاز ليس له مثيل في القرآن الكريم لنرى كيف عبر القرآن العظيم عن النوازع السيكولوجية التي تشابكت داخل نفس ابراهيم الخليل كنبي مرسل وكوالد انسان . ونرى كيف تقبل اسماعيل الأمر مسلما أمره لله الواحد القهار .

« **فلما بلغ معه السعي قال يابني إني أرى في المنام أني اذبحك فانظر ماذا ترى قال ياأبت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين . فلما أسلما وتلّه للجبين وناديناه ان يا ابراهيم.قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزي المحسنين.ان هذا لهو البلاء المبين.وفديناه بِذِبح عظيم »** - (الصافات/ ١٠٢ - ١٠٧) .

١ - تبدأ الآيات بالقاء الضوء على عمر اسماعيل حين أوحى الله لنبيه ابراهيم أن يذبح ولده « فلما بلغ معه السعي » . ولعله لا يغيب عن أذهاننا أن القرآن الكريم بهذا البيان قد أوضح فداحة الخطب وجسامة المطلوب من الناحية النفسية . فالانسان حينما يبتلي في عزيز لديه مازال في مرحلة الطفولة أو جاوز مرحلة الرجولة فانه يجزع ويألم لكن جزعه يصبح مضاعفا بشدة ويصبح ألمه بليغا إذا كان المصاب في مرحلة الشباب . ولنا أن نحسّ بما جرى في نفس نبي الله ابراهيم وقد تلقى أمر ربه حينما بلغ ولده اسماعيل مبلغ الشباب والسعي في طلب الرزق . أي بلاء هذا ، وأي أب يمكن أن يتحمل كل هذا . « **إن هذا لهو البلاء المبين** » .

٢ - ونأتي لقول ابراهيم عليه السلام « **إني أرى في المنام أني أذبحك ، فانظر ماذا ترى** » وهكذا - في اعجاز رائع عبر القرآن العظيم عن كل ما كان يجرى ويعتمل داخل نفس ابراهيم وهو يتعرض لهذا البلاء العظيم . لقد استخدم ابراهيم ألفاظا مجردة قاسية ليضع الحقيقة كلها أمام ولده كي يكون اختياره حرّا وتسليمه لأمر الله خالصا لوجهه . فبرغم أن سيدنا ابراهيم كان يوقن أن رؤياه حق - ورؤيا الأنبياء وحي من الله واجب التنفيذ - إلا أنه كأب وانسان قال « **أني أرى** » وأضاف « **في المنام** » ولم يقل أوحي إليّ أو أن الله يأمرني أو غير ذلك حتى لا يضع لولده قيدا عند

الاختيار ، بل ترك له الحرية كاملة ، له أن يصدق وله غير ذلك . وأضاف ابراهيم النبي « **أني أذبحك** » وهكذا كان التجريد واستخدام اللفظ القاسي لبيان جسامة الابتلاء . لم يقل إني أقدمك لله قربانا رغم صحة المعنى . هكذا توضح الكلمات كل ما كان يجرى داخل نفس ابراهيم كأب . كان يؤمن أن رؤياه وحي وحق واجب التنفيذ وكانت عاطفته كأب تقدر فداحة المطلوب فاختار أن يسلم أمره لله وأن يمتثل لقضائه وأن يضع الحقيقة - مجردة - أمام ولده ليختار قدره،وألفاظ القرآن الكريم تشير كلها الى خوف الوالد ورغبته أن يكون اختيار ولده حرا وتسليمه خالصا بلا شائبة . لذلك تستطرد آيات القرآن الكريم « **فانظر ماذا ترى** » . لم يقل سيدنا ابراهيم إن هذا أمر الله وعلينا الامتثال لأمره ولم يقل اني نبي ورؤيتي وحي وحق واجب الاتباع ، بل ترك الأمر كله لاسماعيل . ترى أي نوع من الحرية هذا ، هكذا بمقولة ابراهيم عليه السلام تحقق تسليم الأب .

٣ - ونأتي إلى اجابة الابن « **ياأبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين** » أدرك إسماعيل أن رؤيا والده النبي حق وأنها واجبة التنفيذ ، وأدرك أن الأمر ليس أمر أبيه وإنما هو أمر الله ، وقبل التضحية ، وقبل التنفيذ راضيا مستسلما وقانعا . بل لقد أراد اسماعيل عليه السلام أن يزيل الخوف والتوتر النفسي عن والده فكانت كلماته تشجيعا للأب أن يمضي في تنفيذ ما أمره به ربه ، وهكذا بدأت اجابة اسماعيل بـ « **ياأبت افعل** » وأضاف « **ما تؤمر** » أي ما أمرك به الله . لكن اسماعيل استدرك - وقد أحسَّ بخطورة المطلوب وفداحته - متمسكا بالصبر من عند الله ، ودعا ربه أن يرزقه الجلد وقوة الاحتمال « **ستجدني إن شاء الله من الصابرين** » .. وهكذا تحقق تسليم الابن .

٤ - وتستطرد آيات القرآن الكريم « **فلما أسلما وتلّه للجبين** » أي حينما تحقق تسليم الأب وتحقق تسليم الابن ولم يكن التسليم شفاهة أو بالقول فقط بل اقترن القول بالفعل « وتلّه للجبين » ، وتحققت الحكمة من الرؤيا وهي الاسلام لله إذ أن الاسلام هو الطاعة والامتثال وهو دين الله في الأولين والآخرين . وهكذا كانت رسالة الاسلام الأولى على يد نبي الله ابراهيم وهكذا كانت رسالة الاسلام الآخرة على يد سيدنا محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم . ومن هنا كانت العلاقة الوثيقة بين الديانتين أو هي الديانة الواحدة أولا وآخرا .

٥ - وهكذا تم الفداء « **وفديناه بذبح عظيم** » . ومن هنا جاء احتفالنا السنوي بهذه المناسبة الاسلامية الهامة كل عام لنتذكر قصة الفداء وحكمتها ، فالذكرى تنفع المؤمنين .

وبعد : فقد جاء عيد الاضحى المبارك بكل ما توجبه الذكرى من معان وافكار ومفاهيم ، فهنيئا للمسلمين بعيدهم ، وكل عام والأمة الاسلامية بخير .

مع الصحافة

المحنة والمحنة الكبرى

ان من يتابع الاحداث التي تعصف بالمسلمين اليوم لا يستطيع ان يدفع عن نفسه احساسا اليما بالقلق حين يحاول ان يرسم في خياله صورة للمستقبل الاتي من تاريخ هذه الامة . ان تأمل الخط البياني للانتكاسات والترديات التي يعيشها المسلمون اليوم يشير بوضوح قاس الى ان صورة المستقبل مظلمة على الرغم من ان المسلم لا ينفك عن الثقة بروح الله ، ولكن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.ويشير الخط البياني ايضا الى ان سيل المحن الشداد ما يزال في اوله ، اذا استمر العزف على اوتار العجز والصمت والصمم .. وحركة التاريخ لا ترحم الضعفاء ولا العجزة ولا المستكينين .

واذا كانت الهزيمة محنة فان المحنة الكبرى ان يدمن المسلمون على الهزائم والنكسات حتى يوشك ان يكون هذا طبيعة جديدة فيهم مناقضة تماما لما تدعوهم اليه قيم الاسلام من العزة والقوة ، وهذا في الحقيقة ليس من قبيل التفلسف التاريخي ، بل هو واقع ملموس ، وسنة من سنن الله في تاريخ البشر ، تتكرر كلما وجدت اسبابها ، ذلك بان الاثار التي تخلفها احداث التاريخ في نفوس الناس عميقة وبعيدة الخطر ، بمثل ما هي بطيئة خفية المظهر ، والذي يثير في النفس هذا الاحساس بالخطر ما نجده من استكانة ردود الفعل بين صفوف المسلمين على ما يجرى لاخوتهم في العقيدة ، من ضروب القتل والاضطهاد في هذه البقعة او تلك من بقاع العالم الاسلامي ، حتى لم يعد اعداء المسلمين يحذرون ، فيما يقترفون من جرائم ، صولة للمسلمين او شوكة ، او يحسبون لذلك حسابا ما .

لقد كان الشهر الماضي مسرحا لحوادث القتل والاضطهاد والتدمير راح ضحيته

المسلمون في الدرجة الاولى ، في فلسطين وفي لبنان ، بينما اشتعلت من جديد حرب الخليج بآثارها المدمرة وخسائرها الفادحة ، وتصاعد الصراع في تشاد ، وازداد وضوحا تدخل العوامل الدولية فيه ، واستعلنت مطامع الدول الكبرى ، وتبين كيف تذهب مصائر الشعوب المضيعة هدرا في اتون الصراع على النفوذ والمصالح الدولية .

○ فلسطينيو الضفة يتعرضون لخطر الترحيل

لا تخرج الاعمال التي تقوم بها منظمات الارهاب اليهودية عن الاهداف الاصيلة لسياسة الحكومة الاسرائيلية ، ولا يمكننا ان نفصل بين تخطيط حكومة العدو لتهويد الضفة وبين ما قام به الارهابيون اليهود في الكلية الاسلامية في الخليل .. وقد اعترف صحفي اسرائيلي في افتتاحية نشرتها جريدة (هاعو لام هازية) الاسرائيلية : اعترف بان الحكومة الاسرائيلية تتستر على سرايا الموت اليهودية التي تتحرك ضد الفلسطينيين . حول مخطط التهجير في السياسة الاسرائيلية كتبت صحيفة هيرالد تريبيون مقالا في الاسبوع الاخير من شوال جاء فيه :

تميز رد الفعل الفلسطيني في الضفة الغربية للهجوم على طلاب الكلية الاسلامية في الخليل بالغضب الشديد وليس الدهشة مما حصل ، وهو الهجوم الذي اودى بحياة ثلاثة من الطلاب وجرح اكثر من ثلاثين اخرين . وجاءت الحادثة لتعزز وتزيد من مخاوف الفلسطينيين من ان الحادث ما هو الا بداية موجة من العنف تستهدف اجبارهم على مغادرة اراضيهم هناك والرحيل الى شرقي الاردن . ويعتقد السكان هؤلاء بان الاسرائيليين الذين يخططون لضم الضفة الغربية منذ مدة طويلة لم يمنعهم حتى الان سوى الطبيعة السكانية لهذه الاراضي التي يسكنها حوالي مليون و ٢٠٠ الف فلسطيني حيث ان دمج هذا العدد من الناس في الدولة اليهودية يضعف من هيمنة الشخصية اليهودية في اسرائيل .

وبدلا عن ذلك تحاول الحكومة الاسرائيلية تغيير الطبيعة السكانية في هذه الاراضي عن طريق تجريد السكان من حقوقهم الانسانية واضعاف اقتصاد الاراضي المحتلة ونزع ملكيتها لتوطين اليهود هناك ، كما يرى العرب في هذه الاراضي .

والحقيقة ان المستوطنين اليهود في الضفة قد اقاموا ما يشبه دولة داخل الدولة فهم يديرون شؤونهم العامة من خدمات وطرق وشئون قضائية منفصلة ولهم برنامجهم الاقتصادي الخاص . كما يرى عرب الضفة ان اسرائيل قد اتخذت خطوات ليس من شأنها التضييق على الشعور الوطني لدى السكان فحسب بل الحركة الاقتصادية هناك أيضا مما ينتج عنه تدهور ملحوظ في الخدمات العامة من صحة وتعليم وقضاء وبرامج المعونة

الزراعية وغيرها . والقطاع الخاص كذلك يعاني من الاشراف العسكري الذي ينظم استخدام المياه ، والصادرات والواردات والتشجير والانشاءات وكذلك تحويل الاموال من الخارج . كما تشرف الادارة العسكرية على جميع الهيئات التعاونية من اتحادات ونقابات وجمعيات ومدارس وجامعات . والنتيجة ان الاقتصاد الفلسطيني هناك اصبح معتمدا كليا على الاقتصاد الاسرائيلي . ويعتقد السكان انهم مجرد سوق محمي للمنتجات الاسرائيلية ومصدر ايدي عاملة رخيصة للمصانع الاسرائيلية وحتى المساعدات التي كان يتلقاها السكان من العرب في الخارج تم تقليصها الى اقل حد ممكن .

ويخشى السكان العرب من المضي قدما في سياسة تهويد اراضيهم بهدف الضم النهائي لها . والوسيلة الوحيدة لذلك في نهاية الامر هي تفريغ الاراضي من سكانها الفلسطينيين وقد شرع المتطرفون اليهود في مناقشة خطط لطرد السكان علنا . ويخشى الفلسطينيون ان اسرائيل في انتظار خلق ظروف طارئة مناسبة لتنفيذ هذه الخطط ، كاشعال حرب او احداث عنف في هذه الاراضي من شأنها نشر الخوف بينهم واجبارهم على المغادرة . ويعتقد الفلسطينيون انه في حالة فشل هذه الخطة فان المتطرفين اليهود يفكرون في وسائل اخرى لاجبارهم على الرحيل شرقا عبر النهر بالتنسيق مع الادارة العسكرية في هذه الاراضي التي ستغمض عينيها عن ممارسات المستوطنين المتطرفين . وقد طلب المستوطنون اعطاءهم دورا اكبر في تطبيق القانون في الاراضي المحتلة ، واخذوا يطالبون بإبعاد عائلات الشباب الذين يتسببون في اية اضطرابات كعقاب جماعي لهم . كما انسحب المستوطنون من وحدات الاحتياط في الجيش النظامي ليشكلوا وحدات دفاع اقليمية مسلحة اوكلت لها مهمة الاشراف على القرى العربية المجاورة لمستوطناتهم في الاوقات الطارئة او الحرب ، وقد سجل هؤلاء رقما قياسيا في حوادث ارهاب الفلسطينيين في الاماكن التي اوكلت لهم فيها مهمة تنفيذ القانون .

○ الشركات العالمية تستعمر المال العربي

الوجه الاخر للانتكاسات العسكرية والسياسية هو الاستعمار الاقتصادي الذي يعاني منه المسلمون . ويبدو ان ازمة الديون التي تبهظ عددا من دول العالم الثالث ، وعجزها عن السداد اثارت ـ ضمن عوامل اخرى ـ نقاشات حول اوضاع المال في السوق العالمية ، وتحتل الاموال العربية على هذا الصعيد اهتماما بارزا . حول هذا الموضوع نشرت صحيفة القبس في ٢٩ شوال مقالا جاء فيه :

تحرير رأس المال العربي يتطلب بطبيعة الحال من الجهات المالية العربية وبصورة خاصة المصارف المركزية أو وزارات المال في بعض الأقطار العربية صاحبة «الفائض» المالي ، نظرة جديدة الى الأمور المالية والاقلاع عن تطبيق نظريات مالية تركها العالم المتقدم في متحف التاريخ منذ عقود ويستخدمها فقط للتصدير الى العالم الثالث لاعاقة الجهود الانمائية . وجوهر القضية التي أريد أن أبرزها هنا هو أن تحقيق السيادة المالية

الفعلية يتطلب رفض الوضع المالي الذي يجعل رأس المال العربي خارج السيادة الفعلية العربية فتبقى الثروة النفطية اسميا في أيدي العرب وفعليا في أيدي الدول الصناعية . فأموال النفط تخرج من محفظة بعض الجهات في الدول الصناعية لتدخل على الفور في محفظة بعض الجهات الأخرى ، فهي فعليا لا تتحرك في الأسواق المالية الدولية ويبقى الجزء الأكبر منها متمركزا في اقتصادات الدول الصناعية عن طريق استثمارها من قبل مؤسساتها المالية وبشكل أرصدة محررة بعملات تلك الدول . أما صاحب هذه الأموال الطائلة فلا يملك من الادارة والطاقة الفنية ما يمكنه من توجيه هذه الثروة توجيها سليما .

فاذا كان من غير الطبيعي أن تظل هذه الأموال الضخمة خارج البلاد العربية «وهنا يبرز تدريجيا وعي عربي جديد » . وهو أمر لا مناص منه ما دام التعاون المالي العربي لم يأخذ حجمه الطبيعي ، فان ابقاء الأموال في الخارج مع استمرار انعدام السيطرة الفعلية عليها لهو أمر أكثر استغرابا بكثير . خصوصا ان معالجة هذا الوضع في متناول اليد ، عن طريق خلق شبكة من المؤسسات المالية العربية في الأسواق العالمية ، تكون مجهزة بالكفايات الفنية العربية المتوافرة بغزارة في أنحاء العالم ، وقادرة على توجيه المال العربي واستثماره في اقتصادات البلدان الغربية ، حسب سياسة مدروسة ونشطة لافادة الأقطار النفطية التي تنقصها حاليا الطاقة الاستيعابية نظرا الى قلة التعاون والتنسيق الاقتصادي العربي ، وما وراءه من أسباب سياسية وغيرها .

ان الهدف الأساسي لممارسة أية سيادة فعلية على الأموال العربية في الخارج هو تواجد شبكة من المؤسسات المالية العربية في كل الأسواق العالمية تودع صناديقها تلك الثروة الهائلة لاستثمارها حسب خطة مدروسة لمصلحة الأقطار النفطية والعالم العربي ككل . لذلك يجب الخروج عن الدروب التقليدية في توظيف الأموال في شكل ودائع قصيرة الأجل أو الاكتتاب بسندات مكفولة من حكومات غربية وهي سياسة تتبعها منذ سنين بعض المصارف الغربية بغية «تأمين السيولة » وقد كرستها في قوانين مالية داخلية تنقصها المرونة ولا تستفيد منها الا مجموعة المصارف الدولية . وعلى كل حال فان المفهوم التقليدي للسيولة المصرفية لا يعني شيئا في بلدان « الفائض » حيث تدخل صناديقها يوميا أموال هائلة .

فالمطلوب هنا تأسيس شبكة من المصارف العربية في الأسواق الخارجية لاستيعاب رساميل «الفائض » وتوجيهها توجيها ماليا حديثا في ميادين الصناعات الدولية الحديثة للاسراع في الجهود العربية لدخول العالم التكنولوجي الحديث تقنيا وثقافيا واقتصاديا .

وعلى كل حال لا يمكن أن يتصور المرء استمرار بقاء هذا التراكم المالي مهما كان حجمه الناتج عن استغلال الثروة العربية خارج المنطقة العربية في أيدي مؤسسات غير عربية ، فالخطوة الأولى لتصحيح هذا الوضع الشاذ هي ايجاد الأجهزة الملائمة في الأسواق العالمية للسيطرة الفعلية على تلك الأموال وعلى مثل هذه الأجهزة أن تتولى قيادة عمليات ادخال الصناعات الحديثة للعالم العربي بعدما تكون دخلت هذا النطاق بنجاح خارج العالم العربي .



لموضوعات مجلة الوعي الإسلامي

لسنة

١٤٠٣هـ

موضوعات مجلة الوعي الاسلامي لعام ١٤٠٣ هـ

اسم الكاتب	الموضوع	العدد / الصفحة
الأستاذ ابراهيم أبوالخشب	الخطيب الديني	٢١٧/٦٥
الدكتور ابراهيم سليمان عيسى	النمل والقرضة	٢٢٢/٦٢
الأستاذ ابراهيم النعمة	الجزية بين الأخذ والرد	٢١٨/١٠٧
الأستاذ ابراهيم النعمة	لغتنا العربية	٢٢١/٩٢
الأستاذ أبوالمعاطي سليمان عطا الله	أضواء على بعض قضايا الاسلام	٢٢٣/١٠٣
الشيخ أحمد حسن الباقوري	سنة الحياة أخذ وعطاء	٢٢١/٣٤
الشيخ أحمد حسن الباقوري	ابن سينا	٢٢٦/١١٠
الدكتور أحمد حسنين القفل	الله أقسم أن يتمم نوره (قصيدة)	٢١٧/١٠٢
الدكتور أحمد حسنين القفل	ألا وحدة في الله (قصيدة)	٢٢٠/٩٦
الدكتور أحمد حسنين القفل	القرآن وآداب ترتيله	٢٢٦/ ٧
الأستاذ أحمد حمدي عبد الرحمن	من وحي العيد (قصيدة)	٢٢٦/٦٧
الدكتور أحمد شوقي الفنجري	أنس بن مالك	٢٢٣/٩٨
الأستاذ أحمد عبد الرحيم السايح	الصوم وغايته التشريعية	٢٢٥/٧
الدكتور أحمد علي المجدوب	جماعات القصاص	٢١٧/٣٨
الدكتور أحمد علي المجدوب	أصالة النظام العقابي الاسلامي	٢٢٦/٥٤
الشيخ أحمد علي حشيش	أحسنوا التوكل على الله	٢٢٧/٩٤
الأستاذ أحمد العناني	وقفة تأمل أخرى	٢٢٢/٥٥
الدكتور أحمد محمد الخراط	الخطابة بين الواقع والواجب	٢٢٤/٥٦
الدكتور أحمد محمد الخراط	من معالم التخطيط	٢٢٧/٨٢
الشيخ بدر الهلالي	حياة المسلم عقيدته	٢٢٢/٢٢
الأستاذ توفيق محمد سبع	أمن المجتمع المسلم	٢١٨/٦٨
الأستاذ توفيق محمد سبع	ايمان المنفعة كما يصوره القرآن	٢٢٤/٣٨
الدكتور حامد صادق القنيبي	تعاقب الليل والنهار	٢٢٢/ ٧
الدكتور حسن محمد الشرقاوي	الخائفون من شريعة الله	٢٢٦/٦١
الدكتور حسن فتح الباب	تلمسان مدينة الفكر الاسلامي	٢١٧/٩٤
الدكتور حسن فتح الباب	حرب التحرير الجزائرية	٢٢٠/٥٢
الأستاذ حسين محمد طاحون	ما يغفره الله وما لا يغفره	٢٢١/٦٨
الأستاذ حسين ناجي	بين الدعاة والأدعياء	٢١٩/٤٣
الأستاذ حسين ناجي	عقائد المسلم من عند الله	٢٢٢/٤٢
الأستاذ / حسين ناجي محيى الدين	حروف القرآن بين التلاوة والكتابة	٢٢٨/٢٨
الأستاذ حسنين نعيم	المجتمع الفاضل	٢١٩/١٠٢

موضوعات مجلة الوعي الاسلامي لعام ١٤٠٣ هـ

موضوعات مجلة الوعي الاسلامي لعام ١٤٠٣ هـ

موضوعات مجلة الوعي الاسلامي لعام ١٤٠٣ هـ

اسم الكاتب	الموضوع	العدد الصفحة
الاستاذعلي السيدالسيد فايد	السياسة الخارجية لدولة الرسول	٢٢٦/٩٩
المستشار علي عبد الله طنطاوي	وجوب تطبيق الشريعة الاسلامية	٢١٧/٨
المستشار علي عبدالله طنطاوي	الشريعة الاسلامية والعلاقات الدولية	٢٢٠/٢٤
الاستاذ علي القاضي	رسول الله وأثره في البشرية	٢١٩/١٤
الاستاذ علي القاضي	القلق وأثره في المجتمعات الحديثة	٢٢٢/١١٤
الاستاذ علي القاضي	المرأة العاملة	٢٢٦/٨٦
الدكتور علي محمود رسلان	دور التربية في غرس الايمان	٢٢٦/٢٦
الدكتور عمادالدين خليل	ألقاه في اليم مكتوفا	٢٢٠/٩١
الدكتورعماد الدين خليل	رحلة مع الجمال في كتاب الله	٢٢٧/٧٦
الاستاذ عمر بهاء الدين الأميري	ضراعة المضطر (قصيدة)	٢٢٢/٦٠
الاستاذ عمر حافظ سليم عاصي	الشورى في الاسلام	٢١٨/٧٦
الاستاذ عمر حافظ سليم عاصي	في رحاب الاسراء والمعراج	٢٢٢/٣٢
الاستاذعمرحافظ سليم عاصي	الأمر بالمعروف	٢٢٥/٥٤
الاستاذ عمر الراكشي	خير يوم طلعت عليه الشمس	١١٩/٣٦
الاستاذ عمر الراكشي	مراجعة الحق خير من التمادي في الباطل	٢٢٣/٨٨
الاستاذ عمر الراكشي	القرآن وشعر ما قبل الاسلام	٢٢٧/١٠٦
الدكتور غريب جمعه	الجهاز التنفسي	٢٢١/٧٦
الدكتور غريب جمعه	أكثر أمراض الجهاز التنفسي شيوعا	٢٢٧/٨٦
الاستاذ الغزالي حرب	القرابة والقربة	٢٢١/١٠٢
للدكتور / فؤاد خدرجي العقلي	لمحات مع حكم الحج واسراره	٢٢٨/١٠٠
الدكتور فؤاد محمد العارضة	حقوق الانسان	٢١٨/٣٢
الاستاذ فتح الله محمدالحمدي	التقويم الهجري والميلادي	٢١٧/٦٩
الاستاذ فهمي عبدالعليم الامام	ثقوب في ذاكرة الحكيم	٢٢٤/١١٤
الاستاذفهمي عبد العليم الامام	أوقاف المسلمين	٢٢٥/٨٠
للأستاذ / فهمي الامام	كلمة الوعي	٢٢٨/٤
الاستاذ كارم السيد غنيم	وسائل الانسان لقهر الشيطان	٢١٨/١٠٠
الاستاذ كارم السيد غنيم	مناجاة الله	٢٢٥/٦١
الاستاذ كمال أحمد عون	البدعة وذكرى مولد الأمين	٢١٩/٢٨
الاستاذ محمد ابراهيم الخطيب	علوم الدين الاسلامي (كتاب الشهر)	٢٢٠/١٠٤
الشيخ محمد الأباصيري خليفة	المرتد عن الاسلام	٢٢٤/١٠٥

موضوعات مجلة الوعي الاسلامي لعام ١٤٠٣ هـ

موضوعات مجلة الوعي الاسلامي لعام ١٤٠٣ هـ

موضوعات مجلة الوعي الاسلامي لعام ١٤٠٣ هـ

موضوعات مجلة الوعي الاسلامي لعام ١٤٠٣ هـ

موضوعات مجلة الوعي الاسلامي لعام ١٤٠٣ هـ

موضوعات مجلة الوعي الاسلامي لعام ١٤٠٣ هـ

موضوعات مجلة الوعي الاسلامي لعام ١٤٠٣ هـ

موضوعات مجلة الوعي الاسلامي لعام ١٤٠٣ هـ

موضوعات مجلة الوعي الاسلامي لعام ١٤٠٣ هـ

موضوعات مجلة الوعي الاسلامي لعام ١٤٠٣ هـ

« إلى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الأمر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بالشركة العربية للتوزيع ص . ب (٤٢٢٨) بيروت ـ لبنان أو بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر : القاهرة ـ مؤسسة الأهرام ـ شارع الجلاء .
السودان : الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص . ب (٣٥٨)
الجزائر : الشركة الوطنية للصحافة ٢٠ شارع الحرية
المغرب : الدار البيضاء ـ الشركة الشريفية
تونس : الشركة التونسية للتوزيع ـ5 شارع قرطاج ـ ص . ب : 440
لبنان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص . ب (٤٢٢٨)
الأردن : عمان : وكالة التوزيع الأردنية : ص .ب (٣٧٥)
السعودية : جدة : مكتبة مكة ـ ص . ب (٤٧٧)
الخبر : مكتبة مكة ـ ص . ب (٦٠)
الرياض : مكتبة مكة ص . ب (٤٥٢)
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء
سلطنة عمان : مكتبة العائلة ـ روى ـ ص . ب : (٣٣٧٦)
صنعاء : دار القلم للتوزيع والنشر والاعلان ـ ص .ب :١١٠٧
البحرين : دار الهلال
قطر : دار العروبة ص . ب ٦٣٣
أبو ظبي : المؤسسة العامة للطباعة والنشر ـ ص .ب (٦٧٥٨)
دبي : دار الحكمة ص . ب (٢٠٠٧)
الكويت : الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات ت : ٤٢١٤٦٨

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة .

محتويات العدد

مجلة الوعي الاسلامي - ص.ب (٢٣٦٦٧) دولة الكويت
KUWAIT

طباعة مؤسسة دار السياسة - الكويت -